

تاريخ الأدب العربي

تأليف
الدكتور عمر فروغ

الجزء السادس

الأدب في المغرب والأندلس
من أوائل القرن السابع إلى أواسط القرن العاشر للهجرة

دار المعارف

تاريخ الأدب العربي

تاريخ الأدب العربي

لجزء السادس

الأدب في المغرب والأندلس

من أوائل القرن السابع إلى أواسط القرن العاشر للهجرة
(أوائل القرن الثالث عشر إلى أواسط القرن السادس عشر للميلاد)

تأليف

مؤلف

شبكة كتب الشيعة
عضو مجمع اللغة العربية في دمشق
عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة
عضو جمعية البحوث الإسلامية في بومباي
عضو المجمع العلمي العراقي في بغداد

دار العام للملايين

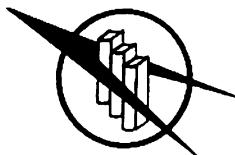


رابط بديل < mktba.net

دار العلم للملايين

مؤسسة ثقافية لتأليف والترجمة والنشر

شارع مار الياس - خلف مكتبة العلوم
من ب. ١.٨٥٠ - تلفون. ٢٠١٤٤٥ - ٨١٢ ١١٤
بريقية، ملائبيس - لكس، ٢٣١١١ ملايين
بيروت - لبنان



جميع الحقوق محفوظة

لا يجوز نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب في أي شكل
من الأشكال أو بأية وسيلة من الوسائل - سواء التصويرية
أو الإلكترونية أم الميكانيكية - بما في ذلك النسخ الميكانيكية
والنسخ على أي شكل أو وسيلة أو حفظ المعلومات أو أي شكل
- دون إذن خطي من الناشر.

الطبعة الرابعة

نيسان / أبريل ٢٠٠٦

الكلمة الأولى

سيكون الفصل الأول من هذا الجزء السادس طويلاً جداً، ذلك لأنه سيعرض صورة العصر في الأندلس أيام بني نصر أو بني الأحمر (٦٢٩-٨٩٧ هـ) ثم في المغرب كله: في أيام بني مرين في فاس (٥٩٢-٩٥٧ هـ) وبني زيان في تلمسان (٦٣٣-٩٦٢ هـ) والدولة الوطاسية في بادية الجزائر (٦٣٣-٩٦١ هـ) والدولة الحفصية في تونس (٦٢٥-٩٨٢ هـ)؛ وتلك حقبة تمتد أربعة قرون كوامل.

ولطول هذا العصر سببان رئيسان: طول ذلك العصر نفسه من حيث الزمن ثم الحاجة إلى شيء من التوسع في السعي لردّ التهمة عن ذلك العصر بأنه عصر انحطاط، مع العلم بأن الحياة العمرانية والحياة الثقافية ثم الحياة السياسية نفسها - في المغرب خاصة - كانت كلها مزدهرة.

إن الضعف السياسي في الأندلس (في سلطنة غرناطة الضيقة الرقعة والحاضرة للنفوذ النصارى) قد أدى - كما يُستظر في مثل هذه الحال - إلى ضعف في الأدب عامة وفي الثقافة أيضاً. غير أن هذه القاعدة العامة قد خرقها في الأندلس، وفي ذلك الحين، نهضة عمرانية من البناء ومن الزخرف لم يسبقها نهضة مثلهما ولا لحقتها نهضة مثلهما. إن قصور الحمراء في غرناطة معالم من فن البناء وفن الزخرف وعنوان لحضارة لم ترق إليها حضارة أخرى. ولهذه الآثار العربية في الأندلس (إسبانية اليوم) قيمة اقتصادية تقوم عليها حياة الإسبان، أولئك الإسبان الذين كانت صدور كبرائهم قد ضاقت بالإسلام وبالمسلمين، فقاتلوا المسلمين - بقيادة البابوية - ثم أخرجوهم من ديارهم بوخية لم يعرفها إلا عصرنا الحاضر في فلسطين وفي غير فلسطين أيضاً، بالأسر القريب.

ليس من المعقول، ولا من المألوف، أن نَصِفَ بالانحطاط الفكري أو الانحطاط

الأدي عصرًا كان فيه القُرطبي المُفسر (ت ٦٧١ هـ) ثم ابنُ أبنُ عُصفور الإشبيلي (ت ٦٦٩ هـ) وابنُ مالك (ت ٦٧٢ هـ) النُّحويان الكبيران ثم ابنُ البناءِ العددي (ت ٧٢١ هـ) والقَلصادي (ت ٨٩١ هـ) الرياضيان ثم تلك الكوكبة من علماء التاريخ والجغرافية والاجتماع الموصيين (وبعضهم يقول: الموسويون): عبد الواحد المراكشي (ت ٦٤٥ هـ) وأبو المطرف بن عميرة (ت ٦٥٨ هـ) وحازم القرطاجي (ت ٦٨٤ هـ) وابنُ الأبار القضاعي (ت ٦٨٥ هـ) وبنو سعيد الغني الذين ملأوا القرن السابع ثم ابنُ عبد الملك المراكشي (ت ٧٠٢ هـ) وابنُ منظور (ت ٧١١ هـ) صاحبُ قاموس «لسان العرب» ثم ابنُ خاتمة (ت ٧٧٠ هـ) وابنُ أبي حجلة (ت ٧٧٦ هـ) ولسانُ الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) وابنُ بطوطة الرحالة (ت ٧٧٩ هـ) ويحيى بن خلدون (ت ٧٨٠ هـ) وأبو حَمَو الثاني (ت ٧٩١ هـ) وآل مرزوقي الذين ملأوا القرن الثامن بالفقه والأدب ثم الكوكبُ الوضاءُ عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) مؤسسُ علم التاريخ وموجدُ علم الاجتماع في العالم كله ثم الوثريسي (ت ٩١٤ هـ) صاحب كتاب «المِيار»، وقد جَمَعَ فيه آراء طيبة في الإدارة وفي التربية والتعليم.

وإذا نحنُ نسينا في هذه الصورة الزاهية - من الحكام - بني نصر أو بني الأحمر ملوك غرناطة - مع أنهم تركوا لنا في الحضارة العمرانية أثرًا لا يُنسى - فلا يجوزُ لنا أن ننسى المنصورَ المرينيَّ يعقوب بن عبد الحق (٦٥٦-٦٨٦ هـ) ويحيى بن عبد الواحد الحفصي (٦٢٥-٦٤٧ هـ) وأبا حَمَو موسى الثاني (٧٦٠-٧٩١ هـ).

الأمم كلها تمرُّ في أدوارٍ من الرُّقي ومن الانحطاط مرّةً بعد مرّة. وأرى أن المسلمين لم يمرّوا في ماضيهم في مثل هذا الانحطاط الذي يمرّون به في عصرهم الحاضر، لأنهم يفتقدون في عصرهم الحاضر هذا رجال دولة من أمثال الذين عدّذناهم في الأسطر السالفة. فعسى أن يبعث الله فينا من يرُدُّ لنا تلك المكانة التي كانت لنا من قبل. إنّه على كُلِّ شيء قدير.

الأحد في ٢٠ من صفر ١٤٠٣ = ١٩٨٢/١٢/٥.

عمر فروخ

★ صورة العصر في المغرب وفي الأندلس ٢٥ - ٥١

دولة بني الأحمر - الأثر الحاكمة في المشرق والمغرب ٢٨ -
 الحفصيون في تونس ٢٩ - بنو مرين ٣١ - أبو عنان ٣٢ - بنو
 وطّاس ٣٣ - ليبيا ٣٥ - السودان الغربي (أو المغربي) ٣٦ -
 حوض النكار (النيجر) وحوض السنغال ٣٧ - مالي أو مالي
 ٤٠ - غانة ٤٣ - كانم: برنو ٤٥ - الصوصو (صو)؟ كوكو في
 كياك (كانياغا) ٤٧ - امبراطورية سنهي (صغاي) ٤٨ - ودّاي
 ٥٠ .

★ الحياة الثقافية في هذا العصر ٥٢ - ١٣٤

العلوم الدينية ٥٢ - علوم الحديث ٥٥ - علوم الفقه ٥٩ - أصول
 الدين وعلم الكلام ٧١ - التصوف ٧٤ - التاريخ والجغرافية
 ٨٠ - علوم التعاليم (الرياضية) - العلوم الطبيعية - رثاء البلدان
 أدب المولد - (الثقافة في السودان الغربي).

النة
الهجرية

١٣٤	أبو البقاء البلنسي	٦١٦
١٣٥	ابن غياث الثريشي	٦٢٠
١٤٠	أبو عبد الله بن عسكر	٦٣٦
١٤٤	محمد بن أحمد الأستحي	٦٣٩
١٤٨	موسى بن سعيد العنسي	٦٤٠
١٥٣	الأعلم البطليوسي	٦٤٢
١٥٤	طلحة بن حزم الأموي	٦٤٣
١٥٧	عنان بن جابر	٦٤٥

١٥٩	ابن سفر المرّي	
١٦١	أبو عليّ الثلوبيني	٦٤٥
١٦٤	عبد الواحد المراكشي	٦٤٥
١٦٧	أبو بكر بن البناء الإشبيلي	٦٤٦
١٧٠	أبو الحسن الدبّاج الإشبيلي	٦٤٦
١٧١	يحيى بن عبد الواحد الحفصي	٦٤٧
١٧٤	ابن سهل الإشبيلي	٦٤٩
١٨٣	التيغاشي القفصي	٦٥١
١٨٨	حميد الأنصاري	٦٥٢
١٨٩	أبو الخطّاب السكوني	٦٥٢
١٩٢	أبو الحجاج البيّاسيّ	٦٥٣
١٩٤	محمد بن عبد الله المرسّي	٦٥٥
١٩٦	ابن الجنّان الأنصاريّ	٦٥٥
٢٠٤	أبو الحسن الناذليّ	٦٥٦
٢١٠	ابن الأبار القضاعيّ	٦٥٨
٢١٧	أبو المطرف بن عميرة	٦٥٨
٢٢٤	ابن عربيّة (عربية؟)	٦٥٩
٢٢٧	أحمد اللّلياني	٦٥٩
٢٢٩	ابن سيّد الناس	٦٥٩
٢٣٣	ابن عبدون المكناسيّ	٦٥٩
٢٣٥	ابن سراقّة الشاطبي	٦٦٢
٢٣٧	أبو الحسن بن محمد الجيّاني	٦٦٣
٢٤٠	ابن الفقّار الرعيني	٦٦٦
٢٤٦	أبو الحسن الثّثري	٦٦٨
٢٤٨	ابن عصفور الإشبيلي	٦٦٩
٢٥٢	الدرجيني	٦٧٠

٢٥٣	ابن أبي الحسين	٦٧١
٢٥٥	القرطبي صاحب التفسير	٦٧١
٢٦٠	ابن مالك النحوي	٦٧٢
٢٧١	محمد بن الحسن القلمي	٦٧٣
٢٧٣	ابن الجنان الشاطبي	٦٧٥
٢٧٧	ابن الناظر القرشي	٦٧٩
٢٧٧	سعيد بن حكم القرشي	٦٨٠
٢٨٣	ابن معمر الهواري	٦٨٢
٢٨٤	محمد بن موسى المزالي	٦٨٣
٢٨٦	أبو البقاء صالح بن شريف الرندي	٦٨٤
٢٩١	حازم القرطاجني	٦٨٤
٣١٢	علي بن موسى بن سعيد العنسي	٦٨٥
٣١٧	إبراهيم بن أبي بكر التلمساني	٦٩٠
٣١٩	ابن السعاط المهدوي	٦٩٠
٣٢٣	ابن عتيق المرسى	٦٩٠
٣٢٥	ابن الفخار البلنسي	
٣٢٧	حافي رأسه	٦٩٣
٣٢٩	عبد العزيز الملزوزي	٦٩٧
٣٣١	بدر الدين بن هود	٦٩٩
٣٣٤	ابن فرح الإشبيلي	٦٩٩
٣٣٥	مالك بن المرحل	٦٩٩
٣٤٠	يحيى بن علي اليفري	٧٠٠
٣٤١	ابن عبد النور المالقي	٧٠٢
٣٤٦	ابن عبد الملك المرآكشي	٧٠٣
٣٥٣	الغبريني صاحب الدراية	
٣٥٧	أبو العباس العزقي	٧٠٧

٣٥٨	أبو جعفر بن الزبير	٧٠٨
٣٦١	ابن خيس التلمساني	٧٠٨
٣٦٥	ابن الحكيم الرندي	٧٠٨
٣٦٨	أبو عبد الله محمد الغالب بالله	٧١٠
٣٦٩	ابن منظور صاحب لسان العرب	٧١١
٣٧٤	أبو العباس الملياني	٧١٥
٣٧٦	التجاني صاحب الرحلة	٧١٨
٣٨٢	ابن رُشَيْد السبتي	٧٢١
٣٨٨	ابن البناء العدديّ	٧٢١
٣٩٣	ابن آجروم	٧٢٣
٣٩٩	ابن الفخّار الجذامي	٧٢٣
٤٠١	العبدري صاحب الرحلة	٧٢٥
٤٠٤	ابن عذاري المراكشيّ	
٤٠٦	ابن أبي زرع	٧٢٦
٤٠٩	ابن الرّيّات الكلاعيّ	٧٢٨
٤١١	القيجاطي	٧٣٠
٤١١	ابن هاني السبتي	٧٣٣
٤١٤	ابن القويح التونسيّ	٧٣٨
٤١٩	ابن عمر الملكيشيّ	٧٤٠
٤١٠	محمد بن أحمد بن جزيّ	٧٤١
٤٢٦	أبو حيّان الفرناطي	٧٤٥
٤٣٠	الطويحين الساحلي	٧٤٧
٤٣٦	أبو بكر بن شبرين	٧٤٧
٤٣٨	ابن الحيات الفرناطي	٧٤٩
٤٤١	ابن جابر الوادي آشي	٧٤٩
٤٤٥	عبد المهيمن الحضرمي	٧٤٩

٤٤٩	الجزنائي الفاسي الكرياني	٧٤٩
٤٤٢	ابن الصائغ المغربي	٧٤٩
٤٥٥	أبو العلاء بن سمالك	٧٥٠
٤٥٧	ابن ليون التجيبي	٧٥٠
٤٦٠	محمد البدري	٧٥٠
٤٦١	ابن المراجع	٧٥٠
٤٦٥	ابن هذيل الفرناطي	٧٥٣
٤٦٨	أبو عبد الله بن جزّي الكلي	٧٥٧
٤٧١	المقرّي الجدّ	٧٥٩
٤٧٧	أبو القاسم السبتي الفرناطي	٧٦٠
٤٨٠	أبو جعفر بن صفوان	٧٦٣
٤٨٣	ابن الحاجّ النميري الفرناطي	٧٦٨
٤٨٩	ابن خاتمة الأنصاري	
٤٩٦	منديل بن أجروم	٧٧٣
٤٩٨	أبو البركات بن الحاجّ البلفيقي	٧٧٣
٥٠٣	لسان الدين بن الخطيب	٧٧٦
٥١٧	ابن أبي حجلة	٧٧٦
٥٢١	ابن بطّوطة	٧٧٩
٥٢٨	أبو جعفر الفرناطي الرعيني	٧٧٩
٥٣٠	ابن جابر الأندلسي	٧٨٠
٥٣٣	محمد بن يوسف الثغري التلمساني	٧٨٠
٥٤٠	محيي بن خلدون	٧٨٠
٥٤٦	ابن مرزوق الخطيب	٧٨١
٥٥٥	أبو سعيد بن لبّ	٧٨٢
٥٥٨	أبو جعفر أحمد بن محمد بن جزّي	٧٨٥

٥٦١ محمد الطريف التونسي	٧٨٧
٥٦٣	أبو جعفر بن زرقاله	
٥٦٥	ابن عباد الرندي	٧٩٧
٥٦٩	ابن زمرك	٧٩٥
٥٧٦ ابن فرحون	٧٩٩
٥٧٩	أبو زيد المكوذي	٨٠٧
٥٨٦	ابن خلدون	٨٠٨
٦١٠	ابن قنفذ القنطيني	٨٠٩
٦١٥ ابن الأحمر صاحب « نثر الجمان »	٨١٠
٦٢١	يوسف بن يوسف بن الأحمر	٨١٩
٦٢٣	ابن جابر النصافي الكناسي	٨٢٧
٦٢٥	أبو بكر بن عاصم	٨٢٩
* ٦٣٤ ابن مرزوق الحفيد	٨٤٢
* ٦٣٣	أبو يحيى بن عقبة	٨٦٠
٦٤١	أبو يحيى بن أبي بكر بن عاصم	٨٦٠
٦٤٨	ابراهيم التازي	٨٦٦
٦٥٣	ابن عبد المنعم الحميري	
٦٥٧	الجزولي السملالي	٨٧٠
* ٦٦٥	القليصادي	٨٩١
* ٦٦١	القاضي ابن الأزرق	٨٩٦

* إن التراجم مرتبة في هذا الكتاب كله على سنوات الوفيات. ولكن اتفق لها، حيث وضع على رقم الصفحة نجم صغير « (٥) »، أن تأخرت ترجمة مرتبة واحدة، وكان حقها أن تتقدم (أو تتأخر) وكان حقها أن تأخر. وهذا ينطبق على التراجم الست المثبتة على هذه الصفحة وعلى الصفحة التالية.

٦٧١	عبد الكريم الفرناطي	٨٩٨
٦٧٣	زرّوق البرنسي	٨٩٩
٦٨٠	ابن عبد الجليل التنسيّ	٨٩٩
٦٨٥	شهاب الدين (بن) الخلّوف	٨٩٩
٦٨٨	أبو العبّاس الونشريسي	٩١٤
٦٩٥	ابن غاز المكناسيّ	٩١٩
*٧٠٣	ابراهيم الفجيحي	٩١٠
*٦٩٨	محمد بن العربيّ العقيليّ	٩١٨
٧٠٥	محمود بن عمر أقيت التنيكتيّ	٩٥٥

مقدمة

هذا الجزء يَصِلُ بنا إلى الفتح العثماني في المغرب (أي إلى نحو سنة ٩٣٠ هـ = ١٥٢٤ م). غير أن نقرأ من الذين أذركم الفتح العثماني قد بقوا مدة بعد ذلك الفتح، فدخل نفر منهم في نطاق هذا الجزء.

وهذا الجزء السادس الحاضر تنتهي السلسلة التي عَمِلْتُ في وضعها جيلاً كاملاً من الدهر (١٣٧٠ - ١٤٠٣ هـ = ١٩٥١ - ١٩٨٣ م) (*). وقد كنت جمعت في تلك الأثناء ألوفاً من البطاقات. فربما كان الأديب مُقِلّاً أو ربّما كانت معرفتنا بأخباره ضئيلة جداً، فيكون له بطاقة واحدة من هذه البطاقات. وربّما كانت مصادره أخباره ومراجعتها كثيرة، وعدد مصنفاته كبيراً، فيكون له عشر بطاقات أو عشرون أو أكثر.

ولم يكن بالإمكان أن يدخل كلُّ اسمٍ على بطاقة (أو على عددٍ من البطاقات) في متن هذا الكتاب. لقد كان لي طريقة في قبول الأديب أو الشاعر أو العالم في سلك تراجم هذا الكتاب. هذه الطريقة تقوم على ثلاثة أسس: (أ) أن يكون للشخص المختار نصوص على مستوى ما من الجودة، و(ب) أن يكون له تاريخ وفاء دقيق أو قريب من الدقة، و(ج) أن يكون له أثر ثقافي أو لفظة بارعة.

وقد كان اختيار التراجم مضمناً. كنت أرجع إلى كل بطاقة ثم أعود إلى المصادر والمراجع التي على تلك البطاقات صفحة صفحة. فإذا لم أجد نصّاً صالحاً لأن تبني عليه ترجمة مستقلة، وضعت البطاقة المتعلقة به جانباً. ثم أرجع إلى تلك البطاقات التي وضعت جانباً فأنظر فيها مرة ثانية، فقد أجدّها تصلح لتكون إضافة إلى صورة العصر الذي أعالجه. فإذا لم تصلح لذلك أيضاً أهملتها مرة واحدة. ولا شك في أن هذا العمل يقتضي وقتاً طويلاً. ومع هذا كله، فأنا لا أستطيع أن أزعم أن كل ترجمة تستحق الدخول في هذا الكتاب قد دخلت فيه، كما لا أستطيع أن أقول أيضاً إن كل

ترجمة قَبْلُهَا هي أَفْضَلُ من كُلِّ ما أَهْمَلْتَهُ من التَّراجم. إِنَّ للجُهدِ الْإِنْسَانِي حَدوداً من الْمكانِ وَقُيوداً من الزَّمانِ، ولا يُمكنُ عندَ النَّظرِ في كُلِّ ترجمةٍ أَنْ أَعُودَ إلى كُلِّ جِلَّةٍ تَمَلُّقُ بِتلكَ التَّرجمةِ في كُلِّ كِتابٍ بَيْنَ يَدَيَّ أوِ في مِتناوِلِ يَدَيَّ من قُرْبٍ أوِ من بُعْدٍ. وأُرِيدُ أَنْ أَعُودَ مرَّةً أُخْرى إلى نَفَرٍ من الَّذِينَ يُحَقِّقُونَ الْكُتُبَ.

في هذا الجزء ترجمة صاحبها آبنُ شَيْبِ الكُرياني. لهذا الشاعر ترجمة في «الإحاطة في أخبار غرناطة» للسان الدين بن الخطيب. وقد جاء لهذا الشاعر مقطوعة منها البيت التالي (مصر- شركة طبع الكتب العربية- ١٣١٩ هـ، الجزء الأول، ص ١٤٣):

كان اللقاء فكان حظي ناظري وسطا الفراق فصار حظي مسمي.
وفي عام ١٩٥٥ للميلاد (بعد الطبعة الأولى (بنتي وعشرين عاماً أو تزيد) أصدرت دارُ المعارف في مصر طبعةً جديدة من «الإحاطة» على صفحة الغلاف منها: «حَقَّقَهُ وَقَدَّمَ لَهُ مُحَمَّدُ عَبْدَ اللَّهِ عِيَّانٌ». وقد جاء فيها هذا البيت (١: ٢٨٥) على الشكل التالي:
كان (اللقاء) فكان حظي ناظري (وسطاً) الفراق فصار حظي (مسمي).
ولم ينسَ محقق طبعة دار المعارف أَنْ يَضَعَ سَكُوناً على السين وفتحة على الطاء في كلمة «وسط». وكذلك حذف الهمزة من كلمة اللقاء (ويحتل وزن البيت بذلك) ثم حذف أيضاً الياء من القافية «مسمي» (والياء هنا ضمير)، فأصبح حق «سمع» أن تصبح «سمما» (والمعنى يميز ذلك، ولكن القافية لا تحبزه).

فأين التحقيق؟

ورجعة جديدة إلى «نقح الطيب» في موضع واحد من مواضع كثيرة. في قصيدة ابن الأبار المتعلقة بالاستنجاد ببلاطين المغرب لإنتقاذ الأندلس هذا البيت (٤):
٤٥٧ هـ) وقد جاء على هذا الشكل:

يا للجزيرة أضحى أهلها جَزَراً للعادثاتِ وأمسى جَدُّها تِصاً.

وقد ضبط المحقق كلمة «تصا» بفتح التاء وكسر السين فصار المعنى أن الجدَّ

(بفتح الجيم: الحظّ، السعد) أصبح تاعساً. وهذا غير مقبول في المنطق، فنحن لا نقول: إن الخير أصبح شراً. بل نقول: إن الحال آنقلت من الخير إلى الشر. وكذلك الأندلس (في بيت ابن الأبار) قد تبدلت بجدها (بحظّها) تَعَساً (بفتح التاء والسين).

إن الذي ضَبَطَ كَلِمَةَ «تَمِس» في هذا البيت يجب أن يكون قريباً في مُنَاقِلَةِ الحديث من عَوَامِّ الناس. إن العامة هُم الذين يقولون: «فلانُ حَظُّهُ تَمِس» فيُخْطِئُونَ مرتين: مرّةً حين يَتَوَهَّمُونَ أن «الحَظَّ» ذاته يُصْبِحُ تَمِساً، وأن الخير نفسه يُصْبِحُ شراً، وأن الغنى يُصْبِحُ فقراً. ثم هم يُخْطِئُونَ مرّةً ثانية حين يقولون: «تميس» على وزنٍ فَعِيلٍ، مكانَ تَمِسٍ أو تاعِسٍ.

نحن نقرأ في الكتاب المُنَزَّل (٢: ١٠٨، سورة البقرة): «..... وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ».

غير أننا نَسْتَطِيعُ في بابِ البلاغة أن نقول: «أضحى غناه فقراً» (لأن فلاناً أساء استِمالَ المَالِ فَوَضَعَهُ في غيرِ مواضعِهِ فأضاعه ولم يَنْتَفِعْ به). وكذلك نَسْتَطِيعُ أن نقول: «أصبحَ خيره شراً» (لأنه اتَّبَعَ الخيرَ الذي صَنَعَهُ إلى بعضِ الناسِ مَنّاً أو أذى). ونَسْتَطِيعُ أن نقول (في باب البلاغة) أيضاً: «إن جَدَّهُ قد أَمْسَى تَعَساً» (لأنه أضاعَ الفُرْصَةَ السَّاحَةَ للقيام بعمله في الوقت المناسب). وكلُّ هذا ليس من باب قول ابن الأبار في شيء.

وفي «نفع الطبيب» أيضاً حاشية مؤلّة (٥: ١٩)، فقد ذَكَرَ الحَقُّقُ أن أبا بكر بن عاصمٍ قد تَوَلَّى القضاءَ سَنَةِ ٨٨٨ (ثمانٍ وثمانينَ وثمانمائة)، مَعَ أن أبا بكرٍ هذا قد تَوَفَّى سَنَةَ سَبْعَةٍ وَعَشْرِينَ وَثَمَانِمائة (راجع تقويم ذلك في ترجمة أبي يحيى بن عاصم: ابن أبي بكر بن عاصم) المتوفى سنة ٨٦٠ للهجرة في الأغلب. ولقد تَبَهَّ خير الدين الزركلي إلى أن هذا التاريخ ٨٨٨ «خطأ مطبعي» (راجع الأعلام الطبعة الرابعة، ٧: ٤٨ في حاشية العمود الأول).

ومرّة أخرى إلى «أزهار الرياض». لهذا الكتاب - وهو مطبوعٌ في ثلاثة أجزاء - فهارسٌ مستقلةٌ بكلِّ جزءٍ (وهذا غيرُ مقبولٍ - إلا إذا كان المُحَقِّقُونَ الكبارُ،

وهم ثلاثة، قد دُفِعتَ لهم أجورُ التحقيق على أساس العملِ منفردين، فتناولَ كلُّ واحدٍ منهم جزءاً). ولقد آهَمَ المُحقِّقون الثلاثة بالفهارس، ولكن على دَرَجَاتٍ مختلفة: ففي الجزء الأول من الفهارس هذه التي تلي، وعلى الترتيب التالي أيضاً: فهرس الأعلام - فهرس الشعراء - فهرس القبائل - فهرس الأماكن - فهرس الكتب - فهرس القوافي - فهرس الموضوعات. وفي الجزء الثاني تفصيلٌ أكثر للفهارس: فهرس الشعراء (قبل فهرس الأعلام) - فهرس الأعلام - فهرس القبائل - فهرس الأماكن - فهرس الكتب - فهرس الأيام (المعارك) - فهرس الأمثال - فهرس القوافي - فهرس الموشحات والأزجال - فهرس أنصاف الأبيات - فهرس الموضوعات. وأمّا الجزء الثالث ففیه: فهرس الأعلام - فهرس الشعراء - فهرس القبائل - فهرس الأماكن - فهرس الكتب - فهرس القوافي - فهرس الموضوعات.

ولا أريدُ الآن أن أشغلك بترتيب الأسماء في كلِّ فهرس وفي كلِّ جزء، فإن ذلك يطول. ولقد أحْبَبْتُ أن أُشيرَ إلى ذلك هنا لِيُعْلَمَ مقدارُ ذلك التَّعَبِ الذي يُعَانِيهِ المؤلِّفُ الجادُّ في الاستفادة من كثيرٍ من الكتب. إنَّ ذلك المؤلِّفَ الذي أعينهِ مُضْطَرٌّ إلى أن يكون مُحَقِّقاً لعددٍ كبيرٍ من الكتب التي يُوَضَّعُ على غِلافيها أنها بَتَحْقِيقِ فلانٍ أو بَتَحْقِيقِ فلانٍ وفلانٍ أو بَتَحْقِيقِ فلانٍ وفلانٍ وفلانٍ.

ثم إنِّي لا أدفعُ نَفْراً من المؤلِّفين عن حقِّهم بالاهتمام بأقطارهم المختلفة في التاريخ وفي الأدب. إنَّ هذا المنحى قديمٌ جدًّا، وأكثرُ ما يلجأُ إليه المؤلِّفون في هذا الباب تفصيلُ أخبارِ أقطارهم. غيرَ أنَّي أعتقدُ أن هذا العملَ، وإن كانت له فائدةُ التفصيل، فإنه لا يَصوِّرُ الحقيقةَ. لقدِ اضْطُرَرْتُ في تأليفي المدرسيّ - في التاريخ وفي الأدب وفي الجغرافية أيضاً - إلى أن أخصَّ «لبنان» بكتبٍ خاصّةٍ في ذلك. ولكن الذي يطالعُ هذه الكتب المدرسيّة التي ألَّفْتُها أو شاركتُ في تأليفها يرى أنَّني كنتُ دائماً أُرْسِمُ إطاراً للثقافة العربيّة في إطارٍ من الثقافة الإنسانيّة حولَ الموضوع اللبنايِّ الذي أعالجه بحسبِ المنهج اللبنايِّ للتعليم. إنَّ التاريخ - كما ذكرتُ في كتابي «تجديد التاريخ»، مثلاً - لا يجري في مجارٍ مُنفصلة. ومثُلُ ذلك الأدب في كلِّ أمةٍ، فإنه لا يُمكنُ أن يخلُصَ من آثارِ الآداب الأخرى، فلا بدَّ في تاريخ الأدب العربي الحديث من

إشارات واضحة إلى الآداب الأجنبية شرقية وغربية. لا الأدب العربي خلص، في تاريخه الحديث، من آثار فرنسية وإنكليزية أو ألمانية أو هندية، أو إفريقية أو أميركية؛ ولا هذه الآداب كلها قد خلصت، في تاريخها الحديث وفي تاريخها الوسيط أيضاً، من الآثار العربية. ولكن هذا موضوع ليس هنا مكان تفصيله.

قد يستغرب نفر من القراء إذا رأوا أنني ضمنت إلى كتاب في تاريخ الأدب تراجم لفقهاء ولعلماء في السياسة والتاريخ والرياضيات. إن أولئك النفر يجب ألا يستغربوا ذلك، ذلك لأن التعبير البارع عن الفكر الفقهي والفكر الفلسفي والفكر السياسي والفكر الرياضي أوجه من وجوه الأدب. أضف إلى ذلك كله أن الأديب الحق هو الذي يشارك في عدد من فنون المعرفة الإنسانية. ثم يجب أن نخيل قول ابن خلدون (المقدمة، بيروت - دار الكتاب اللبناني - ١٩٦١ م، ص ١١٠٧): «ولهذا كان شيوخنا، رَجَمَهُمُ اللهُ، يعيرون... المتنبّي والمعرّي بَعْدَ السَّج على الأساليب العربية.. فكانَ شعْرُها كلاماً منظوماً نازلاً عن طبقة الشعر. والحالُ في ذلك هو الذوق»، على محمل التشدد في التعريف - وإلا فَمَنْ يستطيع أن يُنكر على المعرّي «طبقة السامية في الشعر» حيناً يَقْصُرُ مِثْلَ هذا المعنى ثم يُجْريه في هذا اللفظ السهل والتشبيه البارع فيأتي بهذا الوصف المبتكر للبرق في الليلة الظلماء (الدوان، مصر - مطبعة هندية - ١٣١٩ هـ، ص ٢١):

إذا ما أحتاجَ أحمَرَّ مُسْتَطِيراً حَيَنْتَ اللَّيْلَ رَنْجِيًّا جَرِيحاً.
إنَّ هذا وَصَفٌ يَعْجُزُ عن مِثْلِهِ المُبْصَرُونَ.

المصادر والمراجع

في كلّ ترجمة في هذا الكتاب مقطعٌ يَسْبِقُه الرقم « ٤ ». المقصودُ أن يأتي بعدَ هذا الرقم ما لصاحب الترجمة من الكُتُب أو ما كُتِبَ عنه من الكُتُب أو في الكُتُب.

كان المفروضُ أن استخدمَ طبعةً واحدةً من «الديباج المذهب» مثلاً. ولكن، برغمِ حجمِ مكتبي الخاصة، فإنّ هنالك كُتُباً لا أملكُها، فأنا أَسْتَعِيرُها من مكتبةِ الجامعة الأميركية أو من مكتبةِ الجامعة العربيّة (في بيروت). وفي عددٍ من الأحيان لا يكون كتاب من هذه الكُتُب معي فأضطرُّ إلى استخدامِ طبعةٍ أُحْصِلُ عليها (وفي أحيان كثيرة أُشيرُ إلى ذلك). وربّما يكونُ الكتابُ معي، فتحتاج إليه المكتبةُ العامّة فأرُدُّه إليها (نهائياً أو مؤقتاً) فيفبُ هذا الكتاب من قائمَةِ المراجع (بعدَ الرقم « ٤ ») أحياناً.

ولا أستطيع أن أقولَ إنّ كلَّ كتابٍ أُثْبِتُهُ قد رأيتُهُ بَمِئَنِي رأسي، وإلاّ فما الفائدةُ من عملِ أولئك الذين يَعمَلون في «تأليف قوائم المطبوعات»؟

ثمّ إنّ هذا المقطع الرابع - ذا الرقم « ٤ » - دليلٌ للقارئ إذا هو أحبُّ أن يتوسّع في آثارِ صاحب الترجمة المُعَيَّنَة. وفي كثيرٍ من المراجع دليلٌ آخرٌ إلى مصادرٍ ومراجعٍ ليست مذكورةً في كتابي. أنا لم أذكرُ المغالات التي كُتِبَت في أبي العلاء المَعْرِي أو في عبدِ الرحمن بن خَلْدُون، ولكنني أثْبِتُ في ترجمة أبي العلاء «مَرَجِعاً من تأليف يوسف أسعدٍ داغرٍ» فيه مُعْظَمُ المغالات التي نُشِرَتْ في المجلّات وكانت تتناول حياةَ أبي العلاء المَعْرِي أو خصائصه وآثاره، كما ذكرتُ - في ترجمة عبد الرحمن بن خَلْدُون - كتاباً لعبدِ الرحمن بدوي فيه مثل ذلك عن عبدِ الرحمن ابن خَلْدُون.

لقد كان ترتيبُ هذا الفهرس في هذا الجزء السادس عملاً شاقاً لعدد من الأسباب أولها أَنَّ الأسماء في هذا الجزء كثيرة جداً (راجع ص ٧١٢ وما بعدها)؛ ثُمَّ إِنَّ التداخلَ في أنساب الرجال في هذا الجزء خاصةً كان كثيراً (كما نلاحظ مثلاً في سلاسل النسب لبني الأحمر أو آل مرزوق)، فحينما يكونُ في نسب أبي يحيى بن عاصم (ص ٦٤١) خسة أسماؤهم «محمد» في نسبي واحدٍ مُتتابعٍ يصبح من الصعب الكلامُ على الأب وعلى الأخ وعلى الابن بوضوح (راجع مثلاً ترتيب أسماء «ابن الأحمر» وترتيب أسماء «ابن مرزوق»).

لقد رتبْتُ أسماء بني الأحمر على النسبِ ثُمَّ جملتُ بين أهلة كبار أرقاماً. إِنَّ كلَّ رقمٍ يدلُّ على مرتبة صاحبه في تولي عرض غرناطة. أمّا بنو مرزوق فاتبعتُ في سرد أسماؤهم ترتيباً أقربُ إلى التاريخ.

وكان منشأ الصعوبة، هنا وفي الأجزاء الباقية، حُبُّ الرواية للاختصار: فربما أكنفى الراوي للأخبار أو المؤلفُ للكُتب بقوله: وكان ابنُ الأحمر، قال ابنُ مرزوق، وأخذ فلانُ العلمَ على ابنِ مرزوق وما يُقربُ من ذلك.

ولقد حاولتُ أن أتعَلَّبَ على هذه الصعوبة في أثناء التأليفِ فكنْتُ أحاولُ أن أُنْكِرَ، معَ كلِّ اسمٍ غامضٍ الدلالةِ أو كثيرِ الوردِ، من القرائنِ الدالةِ عليه (اسمه، كنيته، لقبه، تاريخ وفاته، صلته بأستاذه أو بتلميذه، إلخ). ولعلَّ القارئَ يعجبُ حينما يراني أثبتُ تاريخَ الوفاةِ لرجلٍ مرتين أو ثلاثاً في الصفحة الواحدة. غيرَ أنني لم أُنْقلُ كلَّ هذه التفاصيل في الفهرس، ولكنني كنتُ أُنْشيرُ بها في أثناء ترتيب هذا الفهرس.

ومَعَ هذا كُلِّهِ فإني لا أُحِيلُ أن يكونَ قد بَقِيَ في هذا الفهرس شيء من الخطأ أو التداخل أو السهو. من أجل ذلك وضعتُ أحياناً إلى جانبِ عدد من الأسماء وإلى جانبِ عددٍ من أرقام الصفحات علامةً استفهامٍ أو كلمة «راجع» كي يكونَ القارئُ مُتنبهاً عند محاولة الاستدلال برقم الصفحة على الاسم المطلوب.

هذه السلسلة

بهذه الجزء السادس من تاريخ الأدب العربي «تنتهي هذه السلسلة بحسب المنهج الذي كنت قد وضعته لها حيناً بدأتُ جمع الموادِ لتأليفها، مُنذُ اثْنين وثلاثين عاماً. لم أكن في ذلك الحين أفكر في المضي بها إلى أبعد من الفتح العثماني. ذلك لأنني كنت أدرك أن التأليف المنظم يحتاجُ إلى وقت طويل. ولو أنني أحييتُ الآن أن أبدأ ملحفاً لتاريخ الأدب العربي في العصر الحديث (على المنهاج الذي سرتُ عليه في الاجزاء الستة الماضية) لأحتجتُ إلى رُبْعِ قرنٍ جديد. وهذا أمرٌ مستحيلٌ عليّ ووراء المستحيل أيضاً.

في هذه السلسلة منهجٌ متبعٌ لم يختلف في ترجمة من التراجم إلا على منهجٍ آخر، وذلك في التراجم التي ليس فيها «مختارات». وبما أن هذه السلسلة وُضِعَتْ على «النسق التاريخي»، فقد كان من الصعب أن أقدم إلى ترجمة (عند الطبع خاصة) إلا بعد استيفاء الكلام الضروري في التراجم السابقة. لقد وقّع في يدي كُتُبُ في تاريخ الأدب (وفي غير تاريخ الادب أيضاً)، ولم يكن فيها منهجٌ: كانت كُتُباً من عمل الخواطر (مقالات مفردة تسمى استبداداً «تاريخ الأدب»: يأتي فيها المتأخر قبل المتقدم، ويأتي آخر الموضوع قبل أوله، وينسى المؤلف جانباً من البحث بعد أن يكون قد انتقل إلى عددٍ من البحوث الأخرى فيرجعُ إلى ما كان فيه، أو من عملٍ (التعليق) يبدأ المؤلفُ بقطعة من الإنشاء الكلامي البليغ ثم يوردُ مرة بعد مرة عدداً من الأبيات أو من الأسطر - وأكثر التأليف الذي أقصده هنا هذه الكلمة يكون في الشعر عادة - ثم إنك لا ترى «الشكل» الكافي (أو الضروري) أحياناً، ولا الشرح المفيد (مُقيداً بالتاريخ أو بالمصدر أو بالقاموس على الأقل). لقد كنتُ أنا أرجعُ إلى القاموس وإلى القواميس (عند محاولة شرح كلمة كنتُ أغرفُها من قبل) وريثاً كنتُ أرجعُ إلى الكلمة الواحدة التي وردتْ مرتين في صفحة واحدة إلى القاموس مرتين أو أكثر من

مرتين (ذلك لأنني كنت أريد أن أرى ما يقصده الشاعر أو الكاتب منها لا ما شاع من معناها أو ما كنت أنا قد عرفتُه من معناها). وكثيراً ما يلاحظ القارئ (في جميع أجزاء هذه السلسلة) أنني أقول أحياناً «ليست هذه الكلمة في القاموس» - وأعني بالقاموس هنا «القاموس المحيط» للفيروزآبادي - أو ليست هذه الكلمة في القاموس بالمعنى الملموح هنا، أو أنني كنت لا أضع التفسير وراء قاطعة (:)، بل في أهلة كبار (.....)، كل ذلك كي أترك للقارئ أيضاً إمكان النظر في المعاني المقصودة أو المقبولة أو القريبة من الصحة.

ولهذا الجزء السادس من هذه السلسلة قصة أخرى:

بدأت بإعداد هذا الجزء (بعد الانتهاء من تأليفه) للطبع (بعد من الإصلاحات هنا وهناك) في أوائل عام ١٩٨٢ (اثنين وثمانين) وقدمت نصفه الأول للمطبعة. ثم بدأ الطبع والتصحيح. ولما بدأ الاحتياح الإسرائيلي (وعانت مدينة بيروت ذلك القصف المروع من الأرض والبحر والجو) كان نصف الكتاب في المطبعة والنصف الآخر معي في البيت. أما النصف الذي كان في المطبعة فقد سلمت فيه أمري إلى الله (ولم ينفعني في ذلك إلا ذلك). وأما النصف الثاني الذي كان معي فقد كنت - بعد اتكالي على الله وتسليم الأمر في كل شيء إليه وخذه من قبل ومن بعد - أحرص عليه أكثر من حرصي على كل شيء آخر: تركت بنبي ثلاثة أشهر، فكانت «بقية ذلك الجزء» معي. وكنت إذا نزلت (في أثناء القصف إلى الملجأ - أو ما كان يسمى ملجأ) أخذت هذه البقية معي (لا أريد أن أقول أنا لك سبب ذلك، ولعلك تذكر سبب ذلك).

وغادرت بيروت إلى الجبل فكانت بقية هذا الجزء معي في السيارة إلى جانبي (بينما كان هنالك أغراض كثيرة في صندوق السيارة). - ولم يحفظني ويحفظ هذه البقية إلا الله.

كنت دائماً أقول في نفسي: لو تلفتت هذه البقية من الجزء السادس، فماذا يكون مصير السلسلة - وهي متبورة من آخرها؟ - . ولكن الله سلم.

وفي ختام هذه الكلمة أحمّد الله على أن تفضّل عليّ - إلى جانب أفضاله الكثيرة - بإتمام هذه السلسلة على هذا الوجه، وأرجو أن أكون قد أدّيتُ بها رسالة أحببتُ أن أوّدّيها: أستخراج صورة وافية للأدب العربيّ، قدر الأماكن، مجموعة في كتاب واحد.

«ولا تقولنّ لشيء: إني فاعلٌ ذلك غداً، إلا أن يشاء الله» (*).
والحمد لله أولاً وآخراً وبين ذلك كثيراً.

بيروت، الأربعاء

في الرابع من جمادى الأولى ١٤٠٣،

١٦/٢/١٩٨٣ م.

ع.ف

(*) القرآن الكريم ١٨ (سورة الكهف) ٢٣.

* إنني الآن أحاول أن أصعّ شمع هذه السلسلة في جزء واحد، أو أكثر من جزء واحد في الأغلب، بعنوان «سالم الأدب العربي في العصر الحديث» ولكنّي سأترك الحواشي الكثيرة التعقيد ثم استيفاء المصادر والمراجع (والحواشي الكثيرة التعقيد واستيفاء المصادر والمراجع كأننا محتاجون إلى الجانب الأوفر من أعداد كلّ ترجمة) فمضى أن يمين الله على ذلك.

صورة العصر في المغرب والأندلس

- في أيام بني الأحمر -

سيكون هذا الفصل التمهيدى طويلاً جداً لطول المدة التي يحاول وصفها في تلك البقاع الواسعة المترامية التي يجري فيها تاريخ هذه المدة: من برقة شرقاً إلى شنيقطة (موريتانيا: بلاد البيضان) على البحر الأخضر أو بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) ثم من جبال البرانس (الفاصلة بين فرنسا وإسبانية) في الشمال إلى خط الاستواء (من قارة إفريقية) جنوباً^(١).

دولة بني الأحمر (أو بني نصر)

في مطلع القرن السابع للهجرة (الثالث عشر للميلاد) كان لا يزال في الأندلس - إلى جانب الحكم الموحدي - ظل من الحكم المحلي لبني غانية في الجزائر

(١) كان غفريق الأبناء (أبناء الأشخاص وأبناء القبائل والبلاد - وخصوصاً ما يتعلق بالمغرب ثم بلاد السودان الغربي على الأخضر) صعباً جداً: كنت أؤد أن أصل إلى اللفظ المحلى مع إثبات اللفظ المغرب أيضاً. لقد اعتمدت « تاريخ السودان » (السودان الغربي) لعبد الرحمن بن عبد الله السعدي (أنجي ١٨٩٨ م) وتاريخ الفناش في أخبار البلدان والحجوش وأكابر الناس لمحمود كمت بن الحاج المتوكل كمت التسنكي (باريس ١٩٦٤ م).

ولقد كنت اهتمت في تحقيق هذه الأبناء بالرجوع إلى عدد من المراجع العرصة والأحسية (كدائرة المعارف الإسلامية) ثم اتفق أن أكتب نقرأ من الأصدقاء مصححوها في عدد من الأبناء. ولقد أحسب ألا أذكر أبناءهم كبلايس ما بقي من الأبناء بلا تحقيق إلى ساهلهم. وبعد، فإني قد اعتمدت في ذلك كله أحتهادي، راجحاً ألا يكون الخطأ في ذلك كثيراً. وسأكون شاكرراً لكل من يفضل فيسهي إلى تصحيح ما بقي من خطأ، في هذا الباب وفي غيره أيضاً.

الشرقية (جزائر البليار: ميورقة ومنورقة ويابسة) ولبنى مَرْدَانِيَشَ في شرقي الأندلس.

ولمَّا ضُمَّتِ المَوَّحِدُونَ في المَغْرِبِ جعلُوا لَهُمْ في الأندلس يَتَنَازِعُونَ، فثَارَ عَلَيْهِمُ مُحَمَّدُ بْنُ يُوْسُفَ بْنِ هُوْدٍ (من أعقابِ بَنِي هُوْدٍ ملوكِ الطوائفِ في سَرَقُطَنَة) ودخلَ مَدِينَةَ مُرْسِيَّةَ (٦٢٥ هـ = ١٢٢٧ م) ثُمَّ أَمَدَّ سُلْطَانَهُ، في جَنُوبِ الأندلس، على شَاطِئَةِ وَقُرُطْبَةِ وإِشْبِيلِيَّةَ وجبلِ طَارِقٍ ثُمَّ على مَرَقَا سَبْتَةَ في المَغْرِبِ.

وَتَصَدَّى لِمُنَافَسَةِ مُحَمَّدِ بْنِ يُوْسُفَ بْنِ هُوْدٍ على حُكْمِ بَقَايَا الأندلسِ رَجُلٌ من قُرُطْبَةِ اسْمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ يُوْسُفَ بْنِ نَصْرِ (بنِ الأحمر) بعدَ أَنْ اسْتَبَدَّ بِحُكْمِ غَرْنَاطَةِ (٦٢٩ هـ = ١٢٣٢ م). ثُمَّ اسْتَدَّتِ المُنَافَسَةُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ وجعلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا يَسْتَنْجِدُ بِالطَّاعِيَةِ (فَرْدِيْنَانْدُ الثَّالِثُ ملكُ قِسْتَالَةَ) وَيَبْذُلُ لَهُ المَحْصُونَ والمُدُنَ الإِسْلَامِيَّةَ حَتَّى يُعَيِّنَهُ على خِصْمِهِ. وفي كُلِّ مَرَّةٍ كَانَتْ أَرْضُ المُسْلِمِينَ في الأندلسِ تَتَقَلَّصُ من غَيْرِ أَنْ يَسْتَفِيدَ المُنَافِسَانِ شَيْئًا. ولجَأَ ابْنُ الأحمرِ مَرَّةً إلى فَرْدِيْنَانْدِ الثَّالِثِ لِيُعَيِّنَهُ على نَازِلِ صَغِيرٍ في إِشْبِيلِيَّةَ، ثُمَّ سَارَ ابْنُ الأحمرِ وفَرْدِيْنَانْدُ لِحِصَارِ إِشْبِيلِيَّةَ. وبعدَ عَامَيْنِ سَقَطَتِ إِشْبِيلِيَّةُ وَلَكِنْ في يَدِ فَرْدِيْنَانْدِ لَا في يَدِ ابْنِ الأحمرِ (٦٤٨ هـ = ١٢٥٠ م).

وَجَازَ يَعْقُوبُ المَنْصُورُ المَرْيَنِيُّ إلى الأندلسِ مَرَارًا وحَارَبَ الإِسْبَانِ وَأَنْتَصَرَ عَلَيْهِمُ، وَكَانَ في كُلِّ مَرَّةٍ يَتْرُكُ الغَنَائِمَ والأَسْلَابَ لِبَنِي الأحمرِ لِيَقْوُوا بِهَا على أَعْدَائِهِمْ. وَلَكِنْ بَنِي الأحمرِ كَانُوا قَلِيلِي الوَفَاءِ لِبَنِي مَرْيَنٍ قَصِيرِي النَظَرِ في مَا يَتَعَلَّقُ بِالصَّالِحِ لَهُمْ، فَكَانُوا مَرَّةً يَتَأَمَّرُونَ مَعَ الطَّاعِيَةِ على بَنِي مَرْيَنٍ وَمَرَّةً يُخَرِّضُونَ الدُّوَلَاتِ البَرْبَرِيَّةَ في المَغْرِبِ وَيَسَاعِدُونَهَا على قِتَالِ بَنِي مَرْيَنٍ. وَمَعَ ذَلِكَ قَدِ اتَّصَرَ يَعْقُوبُ المَنْصُورُ المَرْيَنِيُّ على الإِسْبَانِ في مُعْظَمِ المَعَارِكِ الَّتِي خَاضَهَا في الأندلسِ. وَبَلَغَتْ مَهَابَةُ يَعْقُوبَ المَنْصُورِ المَرْيَنِيِّ في قُلُوبِ الإِسْبَانِ إلى (أَنْ طَلَّبَ شَانْجَهَ الرَّابِعَ ملكُ قِسْتَالَةَ من المَنْصُورِ عَقْدَ مَعَاهِدَةٍ لِلصُّلْحِ. فَعَقِدَتِ المَعَاهِدَةُ على مَا أَمْلَأَهُ المَنْصُورُ المَرْيَنِيُّ. وبعدَ عَقْدِ الصُّلْحِ حَضَرَ شَانْجَهَ الرَّابِعَ بِنَفْسِهِ وَقَابَلَ المَنْصُورَ المَرْيَنِيَّ على مَقَرَّبَةٍ من وَادِي لَكَّه (في جَنُوبِ الأندلس) وَأَرَادَ أَنْ يَقْدِمَ إلى المَنْصُورِ هَدِيَّةً، فَطَلَبَ المَنْصُورُ مِنْهُ «كُتُبَ الإِسْلَامِ الَّتِي

كان الإسبان يَسْتَوْلُونَ عليها عند استيلائهم على المَدِينِ الإسلامية. فَبَعَثَ سَاحِجُهُ إِلَى المنصور قَدْرًا عَظِيمًا مِنْ تِلْكَ الْكُتُبِ وَعَدَدًا مُهِمًّا مِنَ الْمَصَاحِفِ الْكَرِيمَةِ. فَتَقَلَّ الْمَنُصُورُ هَذِهِ الْكُتُبَ وَالْمَصَاحِفَ إِلَى مَدِينَةِ فَاسَ وَوَقَّعَهَا عَلَى طَلَبَةِ الْعِلْمِ .»

وَبِرُغْمِ الْعِدَاوَةِ الَّتِي كَانَ بَنُو الْأَحْمَرِ يُضْمِرُونَهَا وَيُظْهِرُونَهَا لِبَنِي مَرِينٍ، فَإِنَّ بَنِي مَرِينٍ لَمْ يَنْقَطِعُوا عَنِ الْجَوَازِ إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَالِدِفَاعِ عَنِ الْمُسْلِمِينَ. وَفِي سَنَةِ ٧٤١ هـ (١٣٤٠ م) جَازَ أَبُو الْحَسَنِ الْمَرِينِيُّ إِلَى الْأَنْدَلُسِ، وَلَكِنَّ الْقِتَالَيْنِ وَالْبِرْتَعَالَيْنِ أَجْتَمَعُوا عَلَى حَرْبِ الْمُسْلِمِينَ فِي مَعْرَكَةٍ قُرْبَ مَصْبِ نَهْرِ سَالَادُو عَلَى الْخَيْطِ الْأَطْلَسِيِّ وَهَزَمُوهُمْ. وَبَعْدَ أَنْ اسْتَوْلَى الْفُونُسُ الْحَادِي عَشَرَ مَلِكُ قِشَالَةَ عَلَى عِدَدٍ مِنَ الْمَدِينِ الْإِسْلَامِيَةِ مَنَحَ أَبَا الْحِجَّاجِ يَوْسُفَ الْمُؤَيَّدَ بِاللَّهِ مَلِكَ غَرْنَاطَةَ هَذِهِ مَدَاها عَشْرَ سَنَاتٍ.

كُلُّ هَذَا وَبَنُو الْأَحْمَرِ فِي غَرْنَاطَةَ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا بَيْنَهُمْ وَيُعَادُونَ بَنِي مَرِينٍ وَيُوَالُونَ الْإِسْبَانِ حِينَئِذٍ بَعْدَ حِينٍ. وَلَمْ يَسْتَطِعِ الْإِسْبَانُ أَنْ يَسْتَوْلُوا عَلَى مَا بَقِيَ فِي يَدِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ لِأَنَّهُمْ هُمْ أَيْضًا كَانُوا فِي هَذِهِ الْحِقْبَةِ مُخْتَلِفِينَ فِيهَا بَيْنَهُمْ، فَقَدْ كَانَتْ أُسْرَةُ أَرْغُونُ تُحَارِبُ أُسْرَةَ قِشَالَةَ. وَلَكِنْ فِي عَامِ ١٤٦٩ م (٨٧٣ - ٨٧٤ هـ) تَزَوَّجَ فَرْدِينَانْدُ الْخَامِسُ مَلِكُ أَرْغُونُ إِيسَابِلَ أُخْتِ هَنْرِي الرَّابِعِ قِشَالَةَ. وَتَوَفَّى هَنْرِي الرَّابِعِ (١٤٧٤ م) وَخَلَفَ ابْنَةُ قَاصِرَةٌ فَتُصَيِّتُ إِيسَابِلَ عَلَى الْعَرْشِ فَاتَّحَدَ بِذَلِكَ عَرْشُ أَرْغُونُ وَعَرْشُ قِشَالَةَ.

زَالَ الْخِلَافُ الَّذِي كَانَ بَيْنَ أُسْرَةِ أَرْغُونُ وَأُسْرَةِ قِشَالَةَ فَسَارَتْ إِيسَابِلُ عَلَى رَأْسِ جَيْشٍ وَحَاصَرَتْ غَرْنَاطَةَ بِنَفْسِهَا - وَكَانَ مَلُوكُ غَرْنَاطَةَ لَا يَزَالُونَ مُتَخَاصِمِينَ يَكِيدُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ. وَجَاءَ شَتَاءُ فَاسَ، وَضَيَّقَ الْإِسْبَانُ الْحِصَارَ عَلَى غَرْنَاطَةَ - وَلَمْ يَكُنْ قَدْ بَقِيَ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ جَمِيعِ مُلُوكِ الْأَنْدَلُسِ سِوَاهَا - فَاضْطُرَّ أَهْلُهَا إِلَى الْأَسْتِغْلَامِ (٨٩٧ هـ = ١٤٩١ م) عَلَى أَنْ يَبْقَى مِنْ أَهْلِ غَرْنَاطَةَ فِي غَرْنَاطَةَ مَنْ شَاءَ وَأَنْ يُخْرَجَ مِنْهَا مَنْ شَاءَ. وَكَانَ فِي مَعَاهِدَةِ الْأَسْتِغْلَامِ سِمَةٌ وَسَيَتُونَ شَرْطًا لَمْ يَبْقَ الْإِسْبَانُ لِلْمُسْلِمِينَ بِشَرْطٍ مِنْهَا.

*** للمقارنة بالأسر الحاكمة في المشرق القريب

- في بلاد الروم (آسية الصغرى: في أماكن مختلفة منها):
السلاجقة التُرك ٤٦٤ - ٨٨٨ هـ (١٠٧٢ - ١٤٨٣ م).
 - في مصر:
بقايا من الأيوبيين ٥٦٤ - ٦٥٠ هـ (١١٦٨ - ١٢٥٢ م)
المالِك البحرية ٦٤٨ - ٧٩٢ هـ (١٢٥٠ - ١٣٩٠)
المالِك البُرْجِيَّة ٧٨٤ - ٩٢٢ هـ (١٣٨٢ - ١٥١٦ م)
 - في الشام (سورية):
الباطنيون (الإسماعيلية - جبال النصيرية: في الغرب)
٥٥٧ - ٦٧١ هـ (١١٦٢ - ١٢٧٢ م)
بقايا من الأيوبيين في مدن مختلفة (في الشَّال خاصة)
٥٧٤ - ٩٣٠ هـ (١١٧٨ - ١٥٢٤ م)
 - في اليمن (في أماكن مختلفة من جنوبي شبه جزيرة العرب):
٥٩٣ - ٩٢٣ هـ (١١٩٧ - ١٥١٧ م)
- بنو عُثْمَانَ (الأتراك العثمانيون)
- في بلاد الروم (آسية الصغرى) ٦٩٩ هـ (١٢٩٩ م) وما بعد.
 - فتح القُسطنطينية ٨٥٧ هـ (١٤٥٣ م)
 - الفتح العثماني في المشرق ٩٢٢ هـ (١٥١٦ م)
 - الحكم العثماني في الجزائر ٩٣١ هـ (١٥٢٤ م).

الصورة السياسية في أيام بني نصر (بني الأحمر) في غرناطة:

بنو مرين (من زناتة) في فاس	٥٩٢ - ٩٥٧ هـ (١١٩٦ - ١٥٥٠ م)
بنو هود في مرسية	٦٢٠ - ٦٦٨ هـ (١٢٢٣ - ١٢٧٠ م)
بنو حفص في تونس	٦٢٥ - ٩٨١ هـ (١٢٢٨ - ١٥٧٣ م)
بنو نصر في غرناطة	٦٢٩ - ٨٩٧ هـ (١٢٣١ - ١٤٩٢ م)
بنو زيان بن عبد الواحد بتلمسان	٦٣٣ - ٩٥٧ هـ (١٢٣٥ - ١٥٥٠ م)
بنو مزني في بسكرة (الجزائر)	٧٤٠ هـ (١٣٤٠ م) وما بعد.

الحفصيون في تونس

كان الحفصيون فرعاً من الموحدين، وهم ينسبون إلى أبي حفص يحيى بن عمر الهنناقي. وكان أبو حفص هذا من الأنصار الأقوياء الذين ثبّتوا حكم الموحدين في المغرب. ثم إن الناصر الموحدي نصب أبا محمد عبد الواحد الحفصي، سنة ٦٠٣ (١٢٠٧ م) نائباً عنه في مدينة تونس. وكانت هذه النيابة وراثية في الحفصيين.

ولما جاء إلى نيابة تونس، سنة (١٢٢٧ م) ٦٢٦ هـ، أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد، كان الموحدون في مراکش قد ضعفوا ونشأ إلى جانبهم بنو مرين الذين حملوا ينافسونهم على حكم المغرب. فأنتهز أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد الفرصة وأعلن

استقلَّه بالقطر التونسي. واستطاع أبو زكريا أن يمدَّ ملكه إلى القطر الجزائري (حتى مدينتي الجزائر وتلمسان) وإلى القطر المغربي (حتى سجلماسة ومكناسة وسبتة وطنجة). وكذلك كان أبو زكريا حاكماً عُمرانياً بنى القصر في القصبَة (المدينة الداخلية: القلعة) وبنى سوقَ المطارين (مركز الحياة الاقتصادية في مدينة تونس) وبنى المساجد فأزدهر القطر التونسي في أيامه اقتصادياً وعُمرانياً وثقافياً. وبنى أبو زكريا هذا مكتبةً ضمت، فيما قيل، ستة وثلاثين ألفَ كتاب.

وجاء بعد أبي زكريا ابنه محمد المستنصر بالله (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ)، وعمره نحو عشرين سنة، فنازعه العرشَ ابنُ عمِّه اللحْيائي ثم خَلَصَ العرشُ للمستنصر. ولكن في آخر سنة ٦٦٨ (١١٧٠ م) هاجم ملكُ فرنسا لويس التاسع - الملقَّب: القديس لويس - شالي تونس بأربعين ألفَ جندي فطالت الحربُ بين الملكين سجالاً نحو ستة أشهر. ثم فشا الطاعونُ في تونس وامتدَّ إلى الجيش الفرنسي فهلك فيه خلقٌ عظيمٌ فيهم الملكُ لويس نفسه. فأضطرت فرنسا إلى سحب جيوشها وعقد الصلح ودفع غرامة كبيرة لتونس. وزادت الحضارة في أيام المستنصر بالله هذا حتى بلغت إلى الترف، فكان هذا الترفُ إيذاناً بالسقوط في التقهقر.

غرقت تونس في النزاع على العرش وفي الفتن زمنًا طويلاً، من سنة ٦٧٦ إلى سنة ٧٩٦ (١٢٧٧ - ١٣٩٣ م). ثم جاء إلى عرش الحفصيين في تونس أبو فارس عزَّور (عبد العزيز) بن أحمد (٧٩٦ - ٨٣٧ هـ) فاستردت تونس هدوءها ومكانتها وقوتها وأزدهارها. ولكن المرينيين أصحاب مراكش ناجزوه القتال فاستطاع أن يتغلب عليهم ويتوغلَّ في المغرب حتى وصل إلى مدينة فاس، فجتاح المرينيون إلى الصلح. وكان لعزَّور هيبة وسلطة فمظمت مكانته في أقطار المغرب وفي الأندلس أيضاً. وكان عزَّور عُمرانياً فمكنته ثروة تونس يومذاك من إقامة القلاع والمستشفيات والمكتبات. غير أن الدولة الحفصية كانت قد هزمت بالنزاع الداخلي وبالترف وبالزمن أيضاً وزاد طمع الإسبان فيها فهاهم مجاهدتيها خير الدين وأخوه عروج العثمانيان فدفعوا عنها خطر القراصنة الأوروبيين^(١).

(١) القراصنة: لصوم البحر. والفرصة قديمة جداً عُرفت في أيام المسيحيين (أو الكُتُمانيين) الذين =

ثم زاد هذا الخطر كثيراً فاستنجد أهل الشمال الإفريقي بالدولة العثمانية.

بنو مرين:

إن الحفصيين خلفوا الموحدين في تونس بالسلم، أما المرينيون فقد انتزعوا الحكم من الموحدين بالحرب. بدأت دولة بني مرين بالانسيلاء على مدينة فاس ثم على مدينة مراكش في آخر ذي الحجة من سنة ٦٦٧ (١٢٦٩/٨/٣٠ م). ولكن القتال لم يهدأ في المغرب، فإن دولة الموحدين لم تنقرض إلا في سنة ٦٧٤ (١٢٧٥ م) ثم إن القتال ظل دائراً بين المرينيين وخصومهم من الطامعين بالملك في أقطار المغرب المختلفة.

يرجع الفضل في شاة دولة بني مرين إلى السلطان يعقوب بن عبد الحق (٦٥٦ - ٦٨٥ هـ) وكان قديراً حازماً لم تقتصر جهوده على توحيد المغرب، بل امتدت جهوده إلى مساعدة أهل الأندلس أيضاً، فقد جاز إلى الأندلس أربع مرات في نحو عشر سنوات (٦٧٤ - ٦٨٤ هـ) وأستطاع أن يهزم الإسبان ويدفع عن مسلمي الأندلس شراً كثيراً. ولم يكن النصارى الإسبان وحدهم أعداء للسلطان المريني، بل كان بنو الأحرار المسلمين يخافون على ملكهم الصغير من المرينيين فكانوا في أكثر الأحيان يألئون الملك النصارى على السلطان المسلم. ولكن الإسبان اضطروا بعد هزائمهم المتوالية إلى طلب الصلح فعمد المنصور المريني معهم صلحاً وأخذ فيها أخذه في مقابل هذا الصلح أحياناً من كتب العلم التي كان نصارى الأندلس قد سلبوها من

= كانت لهم سفن تطوف في البحار. وعرفها الإغريق (عدهم اليونان - وقد ورد ذكرها في الأوديسة، وهي ملحمة منسوبة مع أختها الإلياذة إلى هوميروس من أحياء القرن التاسع قبل الميلاد). وقد بقى هذه « اللصوصية » إلى العصر الحديث.

كان القراصنة جماعة من المغامرين يسطون على السفن وعلى التواطىء للسلب والنهب. وربما قتلوا، وربما دمروا أيضاً ومع أن بقاءهم من هؤلاء كانوا يقومون بمثل هذا العمل بدافع شخصي، فإن عدداً من الدول الأوروبية في العصر الحديث (إنكلترا وفرنسا وهولندا وإسبانيا والبرتغال وإيطاليا) كان يستعمل هؤلاء في مهاجمة سفن المسلمين وفي الاعتداء على التواطىء الإسلامية في البحر الأبيض المتوسط (وخصوصاً في الحوض الغربي منه) وعلى التواطىء السربية من المحيط الأطلسي (سواحل المغرب) وكانت حركة غروج وأجيه خير الدين بربروساً ردّاً على الفرصة الأوروبية للدفاع عن مراكز المسلمين وعلى البلاد الإسلامية.

المدن الإسلامية. وكان عهد المنصور المريني عهد قوة وأزدهار اقتصادي وثقافي أيضاً.

وتوفي المنصور المريني في الثاني والعشرين من المحرم من سنة ٦٨٥ (١٢٨٦/٣/٢٠ م). فخلفه ابنه يوسف الملقب بالناصر. فعاد الإسبان وبنو الأحمر إلى المقاومة. ولكن الناصر استطاع أن ينتصر على الإسبان، سنة ٦٩١ (١٢٩٢ م) في معركة بحرية انتصاراً باهراً. وكذلك ثار على الناصر نفر من الناقمين في المغرب نفسه واستعانوا باليهود الساكنين في المغرب، فتغلب الناصر على هؤلاء جميعاً. ولكن الناصر لم ينبج من المؤامرات فقد اغتاله أحد خصيانه، سنة ٧٠٦ (١٣٠٦ م).

وامتد بعد الناصر عصر من الضعف طويل. ومع أن السلطان أبا الحسن علي بن عثمان (٧٣١ - ٧٥٢ هـ) يُعد في السلاطين الأقوياء الحازمين، فإن أيام حكمه الطويلة كانت مملوءة بالفتائل الداخلية والخارجية. ولم يعرف المغرب آنذاك عزّة صحيحة وأزدهاراً مستقراً إلا في أيام أبي عثمان فارس.

أبو عثمان

أشهر سلاطين بني مرين المتأخرين أبو عثمان فارس بن الحسن (٧٥٢ - ٧٥٩ هـ)، فإنه لما استتب له الأمر استرد تلمسان (٧٥٣ هـ) من يد سلطانها أبي سعيد الزياني أحد بني عبد الواد^(١) الذين كانوا قد نازعوا بني مرين على جانب من المغرب، ثم قتله. وصمد^(٢) أبو ثابت الزعيم بن عبد الرحمن، بعد أبي سعيد الزياني، لبني مرين ولكن أبا عثمان هزمه فتمت سيادة بني مرين على المغرب الأوسط (المغرب الجزائري). وكذلك استولى أبو عثمان على جانب من إفريقيا (المغرب الأدنى - القطر التونسي). ثم إن عهد أبي عثمان في الملك كان عهداً استبحرت فيه الحضارة واتسع

(١) في إحدى زوراني للجزائر لحصور عدد من ملتقيات الفكر الإسلامي سألت عن هذا الاسم «عبد الواد». وقد قال لي مرة الشيخ سليمان داوود بن يوسف - وهو من أفاضل المؤرخين ومن علماء الأياضية - أن المفروض أن يكون أصل هذا الاسم «عبد الواحد». غير أنه لم يثأ أن يقطع في ذلك. (٢) صمد: قصد، هاجم (والمائة يستعملون هذا الفعل بمعنى «ثت»).

العلم وعمّ العمرانُ وأرقتِ الثقافة، فَقَدَ بنى أبو عَنانِ المدارسَ والزوايا - وأشتهرتِ المدرسة البوعنانية في فاسَ بما كان فيها من آثارِ العمرانِ والزُخُوفِ وبما ضُمّتْ من الطُلابِ ومن مجاميع الكتب. ويكفيه فخراً أن العَلَّامةَ عبدَ الرحمنِ بنَ خَلْدُونٍ اختارَ أن يَنْزِلَ عنده لَمَّا بارحَ بلدَهُ تونسَ. ثم كتب «مقدمته» الشهيرةَ وقَدَّمها إليه.

غَيْرَ أنْ كُلَّ هذا الإحسانِ لم يُنْقِذْ أبا عَنانٍ من يَدِ الطُغَيَّانِ فقد قتلَهُ وزيرُهُ الحسنُ بنُ عُمَرَ الفودودي (٧٥٩ هـ = ١٣٥٨ م).

بنو وطّاس

في ذلك الحين لم تَكُنِ الحدودُ ثابتةً بين القطرِ الجزائريِّ والقطرِ المَغْرِبِيِّ (المغرب الأقصى). وكذلك لم يَحْلُصِ الحُكْمُ في المغربَ لبني مَرِينٍ، فقدَ أَسْتَبَدَّ بنو عبدِ الوادِ (عبدِ الواحد؟) ^(١) - وهم قَرْعٌ من بني زَيَّان - بالحُكْمِ في تِلِمَسَانَ (٦٣٣ - ٧١٨ هـ) ثم عاد الحُكْمُ في تِلِمَسَانَ إلى الرَيْنِيِّينَ مُدَّةً. ثم عاد قَرْعٌ آخَرُ من بني زَيَّانِ إلى الحُكْمِ، سَنَةَ ٧٦٠ (١٣٥٩ م).

ولَمَّا انقضتْ دولة بني مَرِينِ عاد الأمرُ كُلُّهُ إلى مَرعٍ من بني مَرِينٍ يعرفونَ ببني وطّاس. ولم يكن في أيامِ بني وطّاسِ سِوَى النزاعِ الداخلي الذي فَسَحَ المجالَ أَمَامَ البرتغاليِّينَ للاستيلاء على مُعْظَمِ شواطِئِ المغرب. لقد بلغ المغربُ في أيامِ الدولةِ الوطّاسيةِ ذَرَكَ النزاعِ والفساد. وفي سَنَةِ ٨٩٧ (١٤٩٢ م) سقطتْ غَرْنَاطَةُ آخِرُ بِلَادِ المُسلمينَ في الأندلسَ، فانتقلَ جماعاتٌ من المسلمين من الأندلسِ إلى المغرب.

وعاشت الدولة الوطّاسية - معَ كُلِّ ما كان فيها من الفِلاقلِ والفِتَنِ - إلى سَنَةِ ٩٦١ (١٥٥٤ م) لما انبسطَ الحُكْمُ العُثمانيُّ على الجزائرِ.

القطر الجزائري

كُلُّ بِلَادٍ تَوَلَّفُ دولةً تَتَبَّعُ في أَسْمائها وفي إدارتها كُرْسِيَّ (العاصمة) فيها. وبما أن

(١) راجع، فوق، الصفحة السابقة، الحاشية الأولى.

الأقطار المغربية كان فيها كُرسيان للحكم (عاصمتان) إحداها مدينة تونس في المغرب الأدنى (القطر التونسي) والثانية منها مراكش في المغرب الأقصى، فإنَّ القطر الجزائري كان، في الواقع، مقسوماً بين تَنِيكَ العاصمتين، ولم يكن في القطر الجزائري دولة عامة - برغم ما نشأ فيه، بين الحين والحين، من الدويلات الخاصة - مرةً تزيد حصّة تونس منه ومرةً تزيد حصّة مراكش.

من أجل ذلك كانت أقسامٌ مختلفة من القطر الجزائري تتبع مرةً حكم الحفصيين في تونس ومرةً حكم المرينيين في مراكش.

ومَعَ أنَّ اعتداء الإفرنج (من الإيطاليين والفرنسيين والإنكليز وغيرهم) كان كثيراً على طول الشواطئ المغربية، فإن شواطئ القطر الجزائري نالها من ذلك الاعتداء نصيبٌ أكبر لوقوع القطر الجزائري في وَسَطِ تلك الشواطئ.

ولقد شارك أبناء القطر الجزائري في هزيمة الحملة الصليبية التي قادها القديسُ لويسُ على قرطاجنة (شاليّ مدينة تونس) مشاركةً فعالة، سنةَ ٦٦٩ (١٢٧٠ م).

وعانت شواطئ القطر الجزائري من القرصنة الأوروبية شراً كثيراً. وكان القراصنة الأوروبيون يُغيرون على الشواطئ ويخطفون الذين يتفق وجودهم هناك. كان القراصنة يحملون أولئك المخطوفين إلى أقطارٍ أوروبية ويبيعونهم رقيقاً مُستعدين. ولم يكن في القرصنة عنصرٌ اقتصاديٍّ تجاريٍّ فحسب، بل كان فيه عنصرٌ دينيٍّ صليبيٍّ أيضاً. ولما طال شرُّ القرصنة على الشواطئ من القطر التونسي خاصة، نشأت هنالك حركةٌ إسلاميةٌ للجهاد تولاها المجاهدان العُثمانيان خير الدين وأخوه عروج. والقرصنة الأوروبية لم تكن مشاريع فرديةً شعبيةً، بل كانت حركةً دوليةً جماعيةً ولكن يتولاها في الظاهر أفراد. إن الدول الأوروبية (إيطالية وإسبانية والبرتغال خاصة) كانت بين الحين والحين، حيناً تستطيع، تحتلُّ عدداً من المدن الساحلية في القطر التونسي أو القطر المغربي أو القطر الجزائري. وفي سنة ٩١٠ (١٥٠٤ م) احتلَّ الإسبانُ المرسي الكبير في وهران. ولم يبقَ الجهادُ الفرديُّ قادراً على أن يدفعَ الاعتداءَ الدوليَّ، فاستنجد أهل الجزائرُ بالعُثمانيين فجاء العثمانيون

لِنَجْدَتِهِمْ وَبَدَأُوا فِي الْمَغْرِبِ حُكْمًا إِدَارِيًّا اِمْتَدَّ فِيهَا بَعْدُ إِلَى تُونِسَ وَلَكِنْ لَمْ يَصِلْ إِلَى الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى.

أما على الصعيد الداخلي فَإِنَّ رِزْيَانَ بْنَ أَبِي حَسَمٍ الثَّانِي تَوَلَّى بِلِمْسَانَ سَنَةَ ٧٩٦ (١٣٩٣ م) وَقَطَعَ دَعْوَةَ الْمَرِينِيِّينَ. مِنْ ذَلِكَ الْحِينِ يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ إِنَّ جَانِبًا مِنَ الْجَزَائِرِ قَدْ أَصْبَحَ لَهُ شَكْلٌ دَوْلِيٌّ خَاصٌّ. هَذَا الشَّكْلُ الدَّوْلِيُّ الْخَاصُّ الَّذِي نَشَأَ فِي بِلِمْسَانَ، بَعِيدًا عَنِ السَّاحِلِ، اسْتَمَرَّ مَدَّةً إِلَى مَا بَعْدَ الْحُكْمِ الْعُمَائِيِّ.

ليبيا

كَانَ تَارِيخُ لِيْبِيَا، فِي هَذِهِ الْحِقْبَةِ، مِنْذَ ٧٢٤ هـ = ١٣٢٤ م، يَدُورُ حَوْلَ طَرَابُلُسَ الْغَرْبِ فِي الْأَكْثَرِ. وَلَقَدْ تَوَلَّى طَرَابُلُسَ بَنُو ثَابِتِ بْنِ عَمَّارٍ غَيْرَ مُسْتَقْلِينَ بِهَا لِأَنَّ الْحَفْصِيِّينَ وَالْمَرِينِيِّينَ وَالْإِفْرَنْجَ كَانُوا يَتَنَازَعُونَهَا وَيَتَدَاوَلُونَ الْحُكْمَ عَلَيْهَا. وَلَمْ يَكُنْ فِي مَقْدُورِ وَلَاتِهَا مِنْ بَنِي عَمَّارٍ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يَرْضَوْا بِالدَّوْلَةِ الَّتِي تَسِيْطِرُ عَلَيْهِمْ أَوْ أَنْ يَسْتَظْهَرُوا بِالْعَرَبِ (الْبُدُو) عَلَى مَقَاوِمَةِ الدَّوْلِ مَقَاوِمَةً مَحْدُودَةً.

وَفِي سَنَةِ ٧٥٥ هـ (١٣٥٤ م) اسْتَوْلَى تُجَارُ جَنَوَةَ الْإِيطَالِيَّوْنَ عَلَى طَرَابُلُسِ الْغَرْبِ فَتَكَاتَفَ عَلَى اقْتِدَائِهَا نَفَرٌ مِنَ السُّلَاطِينِ وَالْأُمَرَاءِ وَالنَّاسِ مِنْهُمْ أَبُو عَيْنَانَ الْمَرِينِيُّ الْمَشْهُورُ، وَمِنْهُمْ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ مَكِّيٍّ صَاحِبُ قَابِسَ (وَقَابِسَ مَدِينَةُ سَاحِلِيَّةٌ فِي جَنُوبِ الْقَطْرِ التُّونِسِيِّ) وَبَعْضُ أَهْلِ الْحَامَةِ وَالْجَرِيدِ (فِي جَنُوبِ الْقَطْرِ التُّونِسِيِّ أَيْضًا).

وَمَعَ أَنَّ آلَ ثَابِتِ بْنِ عَمَّارٍ كَانُوا فِي أَوَاخِرِ أَيَّامِهِمْ خَاضِعِينَ لِلدَّوْلَةِ الْحَفْصِيَّةِ فِي تُونِسَ، فَقَدْ أَدْرَكَ أَبُو فَارِسٍ عَزَّوَزٌ (عَبْدُ الْعَزِيزِ الْحَفْصِيِّ) أَنَّ آلَ عَمَّارٍ لَيْسُوا قَادِرِينَ عَلَى حَيَاةِ طَرَابُلُسَ مِنَ الْإِفْرَنْجِ فَسَارَ إِلَيْهَا وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا فَانْقَرَضَتْ بِذَلِكَ وِلَايَةُ بَنِي عَمَّارٍ بْنِ ثَابِتِ (٨٠٣ هـ = ١٤٠١ م).

وَلَمَّا بَدَأَ الضَّغْفُ يُدْبِ فِي الدَّوْلَةِ الْحَفْصِيَّةِ عَادَتْ الْقِلَاقُلُ إِلَى طَرَابُلُسَ فَطَمِعَ الْإِسْبَانِيُّوْنَ بِهَا وَاسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا (٩١٦ هـ = ١٥١٠ م). وَأَضْطَرَبَتِ الْأُمُورُ فِي لِيْبِيَا حَتَّى أَنْقَضَهَا الْحُكْمُ الْعُمَائِيُّ، سَنَةَ ٩٥٨ = ١٥٥١ م، مِنْ ذَلِكَ الْأَضْطِرَابِ.

السودان الغربي (أو المغربي) (*)

السُّودَانُ هو المِنطقةُ الممتدةُ في قارةِ إفريقيا (جَنُوبَ مِصرَ وليبيا والقطرَ الجزائري والقطرَ المَغْرِبِي) من البحرِ الأحمرِ شرقاً إلى بحرِ الظُّلُمَاتِ (المحيطِ الأطلسي: الأطلنطيقي) غرباً. وهذه المِنطقةُ تقعُ، عِنْدَ الجُغرافِيِّينَ العربِ، شَمَالَ خَطِّ الِأَسْتَوَاءِ، ذلكَ لِأَنَّ قُدَمَاءَ الجُغرافِيِّينَ مُنْذُ أَيَّامِ اليونانِ قد ظَنُّوا أَنَّ ما وراءَ (جَنُوبَ) خَطِّ الِأَسْتَوَاءِ بَحَارٌ أَوْ قَفَارٌ أَوْ غَابَاتٌ كَثِيفَةٌ تَمْلَأُها الوُحُوشُ الضَّارِيَةُ والهَوَامُّ المُهْلِكَةُ، وَأَنَّها لَا تَصْلُحُ لِسُكْنَى البَشَرِ.

ولَمَّا قَسَمَ القُدَمَاءُ «الرُّبْعَ المَعْمُورَ» (الجَانِبَ المَسْكُونُ) من الأرضِ (ما بَيْنَ خَطِّ الِأَسْتَوَاءِ والقُطْبِ الشَّمَالِيِّ) جَعَلُوهُ سَبْعَةَ أَقَالِمٍ (أَوْ مَنَاحِتٍ) وجَعَلُوا السُّودَانَ في الأَقْلِيمِينِ الأوَّلِ والثَّانِي وَعَدُّوهُما «مُنْحَرَفَيْنِ عَنِ الِإِعْتِدَالِ» لِشِدَّةِ الحَرِّ فِيهِما، ثُمَّ لِقَلَّةِ مُوَافَقَتِهِما لِلسُّكْنَى وَلِنَشْأَةِ الحَضَارَةِ.

وهذا السُّودَانُ قِسْمَانِ شَرْقِيٌّ وَغَرْبِيٌّ. والقِسْمُ الشَّرْقِيُّ منه يُعْرَفُ اليَوْمَ بِأَسْمِ السُّودَانِ المِصْرِيِّ (بِحُكْمِ الجِوَارِ) - وَهُوَ جُمهُورِيَّةُ السُّودَانِ - وفي السُّودَانِ الشَّرْقِيِّ كِينِيَا (جَنُوبَ جُمهُورِيَّةِ السُّودَانِ) وَأوغَنْدَةُ وجَانِبٌ من حَوْضِ نَهرِ الكُونِغُو (وإنْ كَانَ حَوْضُ نَهرِ الكُونِغُو أَحَقُّ أَنْ يُنْسَبَ إِلَى أَواسِطِ إفريقيا. وَلَا صِلَةٌ كَبِيرَةٌ لَهُ الآنَ بِبَحْثِنَا لِأَنَّ الإِسْلَامَ دَخَلَ إِلَى حَوْضِ الكُونِغُو فِي زَمَنِ مُتَأَخِّرٍ عَنِ العَصْرِ الَّذِي نَعَالِجُهُ).

وَأَمَّا القِسْمُ الغَرْبِيُّ من السُّودَانِ فَيَمْتَدُّ من الحُدُودِ الغَرْبِيَّةِ لْجُمهُورِيَّةِ السُّودَانِ اليَوْمَ إِلَى الشَّوْاطِئِ الواقعةِ عَلَى المَحِيطِ الأطلسي من الغَرْبِ ومن الجَنُوبِ. ويدخُلُ فِيهِ (في السُّودَانِ الغَرْبِيِّ: غَرْبِيَّ إفريقيا) شَادُ وبلادُ النِّكَارِ (النِّيجِرِ) وَمَالِي والسَّنْغَالُ وبلادُ غَانَّةَ وساحلُ العَاجِ وما يُجاوِرُ هذه كُلَّها من الأَقْسامِ السِّياسِيَةِ الحَدِيثَةِ.

بدأ دُخُولُ الإِسْلَامِ إِلَى السُّودَانِ الغَرْبِيِّ مُنْذُ القَرْنِ الرَّابِعِ لِلهِجْرَةِ (العَاشِرِ

(*) راجع الحاشية على الصنعة ٢٥ والمتعلقة بضبط الأعلام الجغرافية وأسماء الأشخاص والقبائل في هذا الفصل، وخصوصاً فيما يتعلق بالسُّودَانِ الغَرْبِيِّ.

للميلاد) من طريق التجار المترددين على المناطق المختلفة. ثم زاد انتشار الإسلام مع قيام حركة المرابطين في القرن التالي. ولقد كان لدولة المرابطين (٤٤٨ - ٥٤١ هـ) خاصة ثم لدولة الموحدين (٥٢٤ - ٦٦٧ هـ) أثر كبير في ازدياد انتشار الإسلام.

والبحث في جغرافية السودان الغربي وتاريخه معقد جداً لأسباب منها أسماء الأماكن التي ترد على صور مختلفة باختلاف لهجات السكان الكثيرة. ثم إن هذه الأسماء قد تكون أحياناً أسماء قبائل. أضف إلى ذلك كله أن هذه الأسماء نفسها لا تطلق عادة على أماكن متحيزة، ذلك لأن مساكن القبائل تتداخل ثم تتسع وتضيّق بحسب امتداد سلطة رؤساء القبائل أو تقلص تلك السلطة.

وبعد ذلك تأتي الروايات التاريخية المتضاربة والمختلطة بالخرافات وما تشاء الذاكرة الإنسانية من الأحداث ثم ما تضيفه من الأحداث إلى ذلك القصص الشعبي القائم على النقل الشفوي من جيل إلى جيل.

ثم إن معالجة الحياة السياسية في السودان الغربي لا يمكن أن تكون على أساس الوحدات السياسية (الدول) التي نعتها في أيامنا، بل على أنها مساحات من الأرض تضيق أو تتسع بحسب قوة المتغلبين عليها من أرباب الأسر ورؤساء القبائل.

حوض النكار وحوض السنغال

يبدأ نهر النيل الغربي (النكار)، تمييزاً له من نهر النيل الشرقي أو نيل مصر^(١) من غربي إفريقيا، متجهاً نحو الشمال الشرقي حتى يصل إلى نقطة عند طرف الغابات الاستوائية على الحدود الجنوبية من الصحراء الكبرى، ثم يعطف نحو الجنوب ويستمر على سمنه (في اتجاهه) إلى أن يصب على مقربة من خليج فرناندوبو اليوم.

وأما نهر السنغال فيقع في الطرف الجنوبي الغربي من السودان الغربي: يبدأ في منطقة فوتا جالون (بلاد فوتا) ثم يتجه شمالاً. وبعد انحلاله شديد يتجه غرباً ليصب

(١) في مقدمة ابن خلدون (٩٢/٥٤) : «... ويسمى نيل السودان، ويذهب إلى البحر المحيط فيصبا فيه عند جزيرة أوليك (٣). وعلى هذا النيل مدينة سلا (قرب الرباط، في المغرب) وتكرور وغانة - وكلها لهذا المهد في ملكة ملك مالي.

في بحر الظُّلُمَاتِ (المحيط الأطلسي) شَآلَ العاصمة دَكَارَ، عِنْدَ بِلْدَةٍ جَدِيدَةٍ هِيَ سَان لُوس. وَمَعَ أَنَّ كَلِمَةَ تَكَرُّورُ تُطْلَقُ، عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ، عَلَى مُعْظَمِ السُّودَانِ الْغَرْبِيِّ، فَإِنَّهَا أَكْثَرُ أَنْطَبَاقًا عَلَى ذَلِكَ الْجُزْءِ الْغَرْبِيِّ الَّذِي يُسَمَّى بَعْضُهُ (عَلَى بَحْرِ الظُّلُمَاتِ) «السَّنْغَال».

الإسلام في السودان الغربي

إِنَّ أَتَشَارَ الْإِسْلَامَ فِي السُّودَانِ يَرْجِعُ إِلَى جُهِودِ جَمَاعَةٍ مِنَ الْبَرَبِرِ يَحْسِنُ الْكَلَامَ عَلَى نَفَرٍ مِنْهُمْ هُنَا.

البربر أو السكَّان الذين كانوا في المغرب عند الفتح الإسلامي قسماً رئيسان: البرانس والبتر. ومن البرانس: صنهاجة وكُتَّامَةُ. «وَحَتَّ صِنْهَاجَةٌ قَبَائِلُ كَثِيرَةٌ تَنْتَهِي إِلَى السَّبْعِينَ مِنْهُمْ لَمْتُونَةُ وَكَذَالَةُ (بِكَافٍ مَعْقُودَةٍ) وَمَسُوفَةُ..... وَحَتَّ هَذِهِ الْقَبَائِلُ بَطُونٌ وَأَفْخَادٌ تَمُوتُ الْحَصَرَ..... وَمِنْ صِنْهَاجَةٍ «الْمُلْتَمُون»..... وَمَوْطُنُ هَؤُلَاءِ الْمُلْتَمِينَ أَرْضُ الصَّحْرَاءِ وَالرَّمَالُ الْجَنُوبِيَّةُ فِيمَا بَيْنَ بِلَادِ الْبَرَبِرِ وَبِلَادِ السُّودَانِ..... وَكَانَ دِينُ صِنْهَاجَةٍ أَهْلِ اللَّثَامِ الْجُوسِيَّةِ فَدَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ فَتْحِ الْأَنْدَلُسِ (٩٢ لِلْهِجْرَةِ = ٧١١ م). وَكَانَتْ الرِّئَاسَةُ فِيهِمْ لِلْمَتُونَةِ. وَثَبَّتَ مُلْكُ لَمْتُونَةِ وَطَالَ فَجَاهَدُوا أُمَّةَ السُّودَانِ وَدَعَوْهَا إِلَى الْإِسْلَامِ، فَدَانَ بِالْإِسْلَامِ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ السُّودَانِ.

ثُمَّ أَفْتَرَقَ أَمْرُ لَمْتُونَةِ بَعْدَ ذَلِكَ وَأَصْبَحَ مُلْكُهُمْ طَوَائِفَ وَأَصْبَحَتْ رِئَاسَتُهُمْ شَيْعًا، مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ - نَحْوَ مِائَةِ وَعِشْرِينَ سَنَةً - إِلَى أَنْ قَامَ فِيهِمْ الْأَمِيرُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ تَيْفَاوَتِ الْمَعْرُوفُ بِتَاسَرَتِ اللَّمْتُونِيِّ فَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ وَبَايَعُوهُ.

وَلَمَّا تَوَفَّى مُحَمَّدُ بْنُ تَيْفَاوَتِ قَامَ بِأَمْرِ صِنْهَاجَةٍ يَحْيَى بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْكَذَالِي، وَكَانَ بَنُو صِنْهَاجَةٍ يَسْكُنُونَ الصَّحْرَاءَ الَّتِي تَلِيهَا مِنَ الْجَنُوبِ غَابَاتُ بِلَادِ السُّودَانِ وَيَلِيهَا مِنَ الْقَرَبِ الْبَحْرُ الْمَحِيطُ. وَكَانَ أَبْنُ تَيْفَاوَتِ يُتَابِعُ الْجِهَادَ فِي بِلَادِ السُّودَانِ لِلدِّفَاعِ عَنْ قَبِيلَتِهِ صِنْهَاجَةٍ وَلِنَشْرِ الْإِسْلَامِ.

وَفِي سَنَةِ ٤٢٧ لِلْهِجْرَةِ (١٠٣٥ م) ذَهَبَ يَحْيَى بْنُ إِبْرَاهِيمَ إِلَى الْحَجِّ. وَلَمَّا رَجَعَ مَرَّ

بِالْقَيْرَوَانِ فَلَقِيَ فِيهَا أَبَا عِمْرَانَ مُوسَى بْنَ عَيْسَى الْفَفْجُومِيَّ الْقَاسِيَّ. وَخَاطَبَهُ فِي أَمْرِ
الْبُرَيْرِ الَّذِينَ يَعِيشُونَ فِي جَنُوبِي الْمَغْرِبِ وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى عِلْمٍ كَافٍ بِأُمُورِ الْإِسْلَامِ.
فَكَتَبَ أَبُو عِمْرَانَ رِسَالَةً إِلَى أَحَدِ أَتْبَاعِهِ وَاجَّاجَ بْنَ زُلُو^(١) اللَّمَطِيِّ (وَكَانَ يَسْكُنُ فِي
بَلَدَةِ نَفِيسَ، عَلَى مَقَرَّةٍ مِنْ سِجْلَمَاسَةَ - جَنُوبَ جِبَالِ الْأَطْلَسِ عِنْدَ الْحُدُودِ الشَّمَالِيَةِ
لِلصَّحْرَاءِ) وَأَعْطَاهَا لِيَحْيَى بْنَ إِبْرَاهِيمَ. فَأَشَارَ وَاجَّاجُ عَلَى أَحَدِ تَلَابِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
يَاسِينَ الْجَزُولِيِّ^(٢) بِأَن يُرَافِقَ يَحْيَى بْنَ إِبْرَاهِيمَ. وَكَانَ ذَلِكَ فِي رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ ٤٣٠
(رَبِيعَ عَامِ ١٠٣٩ م)^(٣).

وَرَأَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَاسِينَ أَنَّ أَفْضَلَ الْوَسَائِلِ لِتَنْشِئَةِ جِيلٍ يَقُومُ بِالْجِهَادِ وَيَحْمِلُ
الدَّعْوَةَ إِلَى الْإِسْلَامِ إِقَامَةُ رِبَاطٍ (أَوْ رِبَاطَةٍ) فِي نَهْرِ النَّيْلِ الْغَرَبِيِّ (النَّبِجَرِ) يَرْمِي فِيهِ
أَتْبَاعَهُ تَرْبِيَةً خَالِصَةً مَقْطُوعَةً مِنْ مَشَاكِلِ الْبَيْئَةِ الْأَجْتَامِعِيَّةِ الْعَامَّةِ.

فِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ تُوُفِّيَ يَحْيَى بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْكَدَالِيُّ فَأَخْتَارَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَاسِينَ مِنْ
قَبِيلَةِ لَمْتُونَةَ أَمِيرًا عَلَى فُرُوعِ قَبِيلَةِ صِنْهَاجَةَ هُوَ يَحْيَى بْنُ عُمَرَ اللَّمْتُونِيُّ، وَظَلَّ عَبْدُ
اللَّهِ بْنُ يَاسِينَ صَاحِبَ دَعْوَةِ الْمُرَابِطِينَ (نِسْبَةً إِلَى الرِّبَاطَةِ الَّتِي كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَاسِينَ
قَدْ أَقَامَهَا فِي نَهْرِ النَّيْلِ الْغَرَبِيِّ). غَيْرَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ يَاسِينَ كَانَ فِي الْحَقِيقَةِ الْحَاكِمَ
الْفِعْلِيِّ مِنْ وَرَاءِ يَحْيَى بْنِ عُمَرَ.

وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَاسِينَ لَمْ يَكْتَفِ بِالْدَّعْوَةِ بِالْكَلِمَةِ الْحَسَنَةِ، بَلْ جَعَلَ يُجَاهِدُ قِبَائِلَ
الْبُرَيْرِ فِي جَنُوبِي الْمَغْرِبِ حَتَّى حَمَلَهَا جَمِيعًا عَلَى الطَّاعَةِ وَنَشَأَهَا عَلَى الدِّينِ الْخَالِصِ
(السُّلُوكِ الْخَالِي مِنْ شَوَائِبِ الْوُثْيَةِ) وَجَعَلَهَا قُوَّةً سِيَاسِيَّةً مَرْهُوبَةً الْجَانِبِ.

ثُمَّ تُوُفِّيَ يَحْيَى بْنُ عُمَرَ اللَّمْتُونِيُّ، سَنَةَ ٤٤٧ لِلْهِجْرَةِ فَقَدَّمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَاسِينَ لِرِثَاسَةِ
صِنْهَاجَةَ أَخَا لِيَحْيَى بْنِ عُمَرَ هُوَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عُمَرَ، فِي الْمُحَرَّمِ مِنْ سَنَةِ ٤٤٨ (أَوَّلِ
أَيَّامِ الرَّبِيعِ مِنْ عَامِ ١٠٥٦ لِلْمِيلَادِ).

(١) زُلُو (بِرَايَ سَاكَةِ).

(٢) قَبِيلَةُ كُرُولَةَ (سَكَاةٌ بِمَقْعُودَةٍ سَاكَةِ، تَلْمِظُ كَمَا يَلْمِظُ أَهْلُ الْقَاهِرَةِ الْحِمَّ: جُرُولَةً). أَمَّا حَرَكَةُ هَذِهِ الْجِيمِ
فَتَكُونُ بِالتَّمَجِّ (وَهُوَ أَشْهَرُ) وَتَكُونُ بِالصَّمِّ.

(٣) كَانَتْ وَفَاةُ أَبِي عِمْرَانَ الْقَاسِيَّ سَنَةَ ٤٣٠ هـ.

وفي سنة ٤٥١ للهجرة (١٠٥٩ م) تُوِّفِيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَاسِينَ، ورَأَى أَبُو بَكْرٍ بْنُ عُمَرَ أَنَّ الْعَبْءَ أَثْقَلَ مِنْ أَنْ يَحْمِلَهُ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَقَعِدَ إِلَى أَبِيهِ عُمَرُ لَهُ هُوَ يَوْسُفُ بْنُ تَاشَفِينَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ اللَّمْتُونِيُّ وَقَوَّضَ إِلَيْهِ جَانِباً مِنَ الْأَمْرِ السِّيَاسِيِّ وَمِنْ الْجِهَادِ فِي قِبَائِلِ الْبَرَبِ الْقَرِيبَةِ مِنْ شِمَالِي الْمَغْرِبِ وَبَقِيَ هُوَ يُجَاهِدُ فِي الْجَنُوبِ قَرِيباً مِنْ بِلَادِ السُّودَانِ. وَلَكِنْ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ ٤٥٣ (مطلع عام ١٠٦١ م). نَظَّمَ يَوْسُفُ بْنُ تَاشَفِينَ الْجَيْشَ الَّذِي كَانَ بِإِمْرَتِهِ، وَكَانَ - كَمَا بَدَأَ فِيهَا بَعْدَ - يُرِيدُ الْأَسْتِقْلَالَ بِالْحُكْمِ. وَلَقَدْ كَانَتْ رَغْبَةُ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عُمَرَ فِي الْجِهَادِ وَالِدَعْوَةِ فِي بِلَادِ السُّودَانِ أَكْبَرَ عِنْدَهُ مِنَ الرَّغْبَةِ فِي الْحُكْمِ السِّيَاسِيِّ، فَلَمْ يُقَاوِمْ عَمَلَ يَوْسُفَ بْنِ تَاشَفِينَ.

وظَلَّ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عُمَرَ يُجَاهِدُ فِي الْجَنُوبِ وَيَدْعُو حَتَّى أَدْرَكَتْهُ الْوَفَاةُ، سَنَةَ ٤٨٠ للهجرة (١٠٨٧ م). فِي ذَلِكَ الْحِينِ كَانَ الْإِسْلَامُ قَدْ اتَّسَعَ أَنْتَشارُهُ فِي بِلَادِ السُّودَانِ وَبَدَأَتْ تَنْهَضُ فِي السُّودَانِ دَوْلٌ مُسْلِمَةٌ.

مَالِي أَوْ مَالِي^(١):

على ضفاف نهر النيل الغربي هذا مُدُنٌ مُهِمَّةٌ (زال عددٌ منها منذُ زَمَنِ). مِنْ هَذِهِ الْمُدُنِ كُلُّهَا (أَبْتَدَأَ مِنْ مَنَاجِيعِ النِّيجَرِ): جَارِبُ، كَانْكَابَا، بَرْمَكُو^(٢)، نِيَانِي (مَالِي الْقَدِيمَةِ)، جِنَّة، دِيَا، ثُمَّ (قَبْلَ أَنْعَاطِهِ جَنُوباً) بَامْبَا. وَعَلَى مَسَافَةٍ قَلِيلَةٍ مِنْ هَذَا الْمُنْعَطَفِ (إِلَى الشَّالِ الْغَرْبِيِّ) تَقُومُ مَدِينَةُ تَنْبِكْت (تَمْبِكْتُو)، ثُمَّ بَعْدَ أَنْعَاطِهِ مَدِينَةُ كَاو. (كَأغُو).

وَالْمَدِينَةُ الَّتِي تُعْرَفُ الْيَوْمَ بِأَسِرِ مَالِي بُنِيَتْ عَلَى هَضْبَةٍ تَكْثُرُ فِيهَا الزَّرَاعَةُ، بَنَاهَا أَحَدُ شِيُوخِ جَمَاعَاتِ مَنَدَةِ فِي زَمَنِ لَا نَحْقُقُهُ، وَلَكِنْ - عَلَى كُلِّ حَالٍ - قَبْلَ الْقَرْنِ الرَّابِعِ لِلْهَجْرَةِ (الْعَاشِرِ لِلْمِيلَادِ). وَالْعَاصِمَةُ الْأُولَى لِهَذِهِ الْمَمْلَكَةِ كَانَتْ جَارِبُ فِي أَعْلَى

(١) بلاد مالي اليوم) كانت تعرف عند المسلمين باسم بلاد التكرور (بالتون في آخرها) ويقال لها اليوم «التكرور» (بالراء). وكان هذا الاسم يطلق أيضاً على معظم بلاد السواحل الغربي (غربي أفريقيا).

(٢) برمكو (في المصادر الأجنبية وفي المصادر العربية الحديثة): تاماكو

نهر النكار (النيجر قريباً من منابعه) في مِنطقة كانشاما. ودَخَلَ الإسلام إلى كانشاما وعمَّما مُنذُ القرن الرابع للهجرة (الحادي عَشَرَ للميلاد).

ومالي دَخَلَهَا الإسلامُ من طريقِ التَّجَارِ، في نحو ٤٠٠ للهجرة (١٠١٠ م)، وفي سَنَةِ ٤٤٢ للهجرة (١٠٥٠ م) أَعْتَقَ مَلِكُهَا باراماندانا^(١) الإسلامَ. وأدَّى هذا الملكُ فَرِيضَةَ الْحَجِّ، فكان بذلك قُدْوَةً لَجَمِيعِ ملوكِ مالي الذين جاءوا بعده.

ومرَّ من الزمنِ قرنانِ كان - في أَثنائها - تاريخُ مالي القائمُ على الرواياتِ الشعبيَّةِ (مثلَ غيره من تاريخ بلاد السودان) كثيرَ القُمُوضِ. في هذه الحِقْبَةِ، ونحو سَنَةِ ٤٩٥ للهجرة (١١٠٠ م)، كان المَلِكُ موسى كَنَعَ - والمُلَقَّبُ: عَلَا كُنِي (كُنِي بِضَمِّ فسكون: الرئيس) - قد أدَّى فَرِيضَةَ الْحَجِّ أربعَ مرَّاتٍ، فيما قيل. غيرَ أَنَّ التاريخَ السياسيَّ الواضحَ لِمَمْلَكَةِ مالي يبدأ بِمُجِيءِ ملكٍ أَسَمَهُ سُنْ دِيَاثَا.

إلى الشَّمالِ الغربي من مِنطقة مالي كانتِ تقومُ بلدةٌ صوصو (وربَّما كانتِ «صوصو» * اسماً لِمقاطعةٍ وَلِقَباً أيضاً). ففي سَنَةِ ٦٢١ للهجرة (١٢٢٤ م)، أو بعدَ ذلك بقليلٍ، اسْتَوَلَى سومان غورو سَيِّدُ صوصو على ماندِنغ^(٢) (آسَمَ مالي القديم) وأخذَ أبناءَ مَلِكِهَا الْأَثْنِي عَشَرَ وَقَتْلَهُمْ إِلَّا واحداً كان كسيحاً (مُقْعِداً) يُدعى سُنْ دِيَاثَا (السَيِّدُ الْأَسَد).

اسْتطاعَ سُنْ دِيَاثَا، بِرُغْمِ عَاهَتِهِ، أن يهْرُبَ من أَسْرِ سومان غورو وأن يَجْمَعَ حَوْلَهُ أنصاراً ويقاَتلَ بهم ثم يستعيدَ ماندِنغَ من يَدِ سومان غورو، سَنَةَ ٦٣٣ للهجرة (١٢٣٥ م). وأَحَبَّ سومان غورو أن يَسْتَرِدَّ ما فَقَدَهُ في حربِ سُنْ دِيَاثَا، فَتَشَبَّثَ بَيْنَ الْمَلِكَيْنِ مَعْرَكَةٌ في كيريني، عندَ مَدِينَةِ كولييكورو (شَالِ بَرَمَكُو)^(٣) فَانْهَزَمَ سومان غورو وَسَقَطَ في المَعْرَكَةِ قَتِيلاً. وتابَعَ سُنْ دِيَاثَا فُتُوحَهُ حَتَّى اسْتطاعَ أن يُلْجِقَ إمبراطوريَّةَ صوصو كُلَّهَا بِمَمْلَكَتِهِ. ونحو سَنَةِ ٦٣٨ للهجرة (١٢٤٠ م) اسْتَوَلَى على غَانَةِ وَخَرَبَّهَا.

(١) برما (أو باراما) ثم ندنا (أو ندانا) بإدغام النون في الدال. ولعل له صبغاً أخرى.

(٢) ماندِنغا (اسم قبيلة) * أو * كوكو * أيضاً.

(٣) في الكتب الحديثة: باماكو.

ولمَّا اتَّسَعَتْ مَمْلَكَةُ سُنْ دِيَاثَا أُصْبَحَتْ عَاصِمَتُهُ جَارِبُ (في مقاطعة كانغابا) في أعالي حوضِ النيجرِ مَطْرَفَةً جَدًّا: مُوْغَلَةٌ في الغاباتِ الأَسْوَانِيَّةِ وَبَعِيدَةٌ عَنِ طَرِيقِ القَوَافِلِ، فَبُنِيَ مَدِينَةٌ - عَلَى نَحْوِ مِائَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ كِيلُومِترًا شَمَالِ جَارِبِ - سَمَاهَا، عَلَى الْأَرْجَحِ، نِيَامِي. أَمَّا قَبَائِلُ الْفُولَانِي^(١) (فِي الْغَرْبِ) فَيَقُولُونَ فِيهَا: مَالِي وَمِيلِي (بِإِمَالَةِ الْيَاءَيْنِ)، وَالْبَرْبُرُ يَقُولُونَ: مِيل وَمِيلِيَّت (بِإِمَالَةِ الْيَاءَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ). وَالْعَرَبُ يَقُولُونَ: مَالِيل وَمِيلِيل (بِإِمَالَةِ الْيَاءِ الثَّلَاثِ). أَمَّا الْهُوسَا (وَهُمْ جَمَاعَاتٌ لَعُوبَةٌ لَا عِرْقِيَّةٌ) فَيَقُولُونَ: وَنُكَّرُ.

وَبَعْدَ سَنَةِ ٦٣٨ لِلْهِجْرَةِ لَمْ يَقُمْ سُنْ دِيَاثَا بِحَمَلَاتٍ جَدِيدَةٍ، وَلَكِنْ قُوَادَهُ اسْتَطَاعُوا أَنْ يُوسَمُوا رُقْعَةً الْإِمْبَرَاطُورِيَّةِ. وَفِي النِّصْفِ الثَّانِي مِنَ الْقَرْنِ السَّابِعِ لِلْهِجْرَةِ (وَالنِّصْفِ الثَّانِي مِنَ الْقَرْنِ الثَّلَاثِ عَشَرَ لِلْمِيلَادِ) بَلَغَتْ إِمْبَرَاطُورِيَّةُ مَالِي أَقْصَى اتَّسَاعِهَا وَذُرُوءَ عَظَمَتِهَا.

وَفِي مَدَى جِيلٍ مِنَ الدَّهْرِ (٦٧٠ - ٧٠٧ لِلْهِجْرَةِ) بَعْدَ سُنْ دِيَاثَا، تَوَالَى عَلَى عَرْشِ مَالِي خَمْسَةُ مُلُوكٍ أَوْ يَزِيدُونَ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ مَنْ يَسْتَحِقُّ لِقَبِّ مَلِكٍ سِوَى مَوْلَى (عَبْدٌ رَقِيقٌ أَعْتَقَهُ سَيِّدُهُ) يُدْعَى سَبْكَوْرَا أَوْ سَكُورَا (٦٨٤ - ٧٠٠ هـ) اُعْتَصَبَ الْعَرْشَ وَلَكِنْ رَدَّ إِلَى مَالِي شَيْئًا مِنْ عَظَمَتِهَا.

ثُمَّ جَاءَ أَشْهُرُ مُلُوكِ مَالِي فِي صَفَحَاتِ التَّارِيخِ: مَنْسَا مُوسَى أَوْ الْمَلِكُ مُوسَى (٧١٢ - ٧٣٨ هـ) فَزَادَ فِي اتَّسَاعِ رُقْعَةِ الْإِمْبَرَاطُورِيَّةِ. وَأَشْتَهَرَ مَنْسَا مُوسَى بِقِيَامِهِ بِالْحَجِّ سَنَةَ ٧٢٤ لِلْهِجْرَةِ (١٣٢٤ م)، فَإِنَّهُ حَمَلَ مَعَهُ مَالًا كَثِيرًا وَأَصْطَحَبَ حَاشِيَةً وَفِيرَةً وَتَصَدَّقَ بِأَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ.

وَلَمَّا عَادَ مَنْسَا مُوسَى إِلَى السُّودَانِ أَصْطَحَبَ نَفَرًا مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْأَدْبَاءِ، بِحَسْنِ أَنْ نَذَكَّرَ مِنْهُمْ هُنَا الشَّاعِرَ الْفَرْنَاطِيَّ إِبْرَاهِيمَ بْنَ مُحَمَّدٍ السَّاحِلِيَّ الْمَشْهُورَ بِالطُّوَيْجِي^(٢)، وَكَانَ مُهَنْدِسًا أَيْضًا أَدْخَلَ الْبِنَاءَ بِالطَّابُوقِ أَوْ الْقَرْمِيدِ (الطِّينِ

(١) فَلَانَا (بِالْيَاءِ) وَشَدَّةُ عَلَى الْلامِ ثَمَّ نَاءٌ مُنْأَنَةٌ مِنْ فَوْقِهَا) إِسْمُ قَبِيلَةٍ. وَالْعَلَّانِي (بِمَنْعِ الْمَاءِ وَتَشْدِيدِ الْلامِ) وَتَاءٌ قَبْلَ الْيَاءِ الْأَخِيرَةِ) وَالْفَلَّانِي (بِضَمِّ الْمَاءِ وَتَشْدِيدِ الْلامِ ثَمَّ نُونٌ قَبْلَ الْيَاءِ).

(٢) فِي الْإِحَاطَةِ (١: ٣٣٧ وما بعد): دَخَلَ إِلَى بِلَدِ السُّودَانِ فَاتَّصَلَ بِمَلِكِهَا وَاسْتَوْطَنَهَا زَمَانًا طَوِيلًا. كَانَتْ وَفَاتُهُ ٧٤٧ هـ (رَاجِعْ تَرْجُمَتَهُ فِي هَذَا الْجُزْءِ).

المطبوخ) وبنى عدداً من المساجد في تُنْبُكْتُ وكاغو، على الطريقة الهرمية (بسطوح عالية مَخْرُوطَة تنتهي بنقطة) مما يساعد على تخفيف الحرّ عن المصلّين.

وبعدَ مناسي هذا بدأ آخدارُ إمبراطورية مالي.

غانة

غانة، في الأصل، لَقَبٌ للملوك الذين حكموا تلك البلاد التي عُرِفَتْ فيما بعدُ بِاسمِ غانة. ثم أُطْلِقَ هذا الاسمُ «غانة» على عاصمة المملكة وعلى البلاد الداخلية في حُكْمِ تلك المملكة. ويبدو أَنَّ عاصمة إمبراطورية غانة كانت في وعكري أو في قُنْب (قُنْب صالح)، وَهِيَ الآن خرائبُ على نحوِ مَاتَنِي ميل - ثلاثيئة كيلومتر شال برمكو^(١).

وقيمة غانة في التاريخ تَرَجُّعُ إلى مَعْدِنِ الذهب الكثير في أرضها. ثم هي ملكة قديمة عَرَفَهَا التاريخُ منذُ القرن الثاني قبل الميلاد. وقد كانت أكبرَ ممالك السودان في غربي إفريقيا.

في أواسطِ القرنِ الثاني للهجرة (نحو ٧٧٠ م) كانت تحكم غانة أسرة سودانية من السُّنُغِي^(٢)، وكان النزاعُ بينَ هذه الأسرة وبينَ قبائل البربر في الشَّال شديداً. وفي سَنَةِ ٣٨٠ للهجرة (٩٩٠ م) أَحْتَلَّتْ قَبِيلَةُ لَمْتُونَة مَدِينَةَ أوداغشتَ (أو أوداغستَ)، وجعلتها مركزاً تجارياً كبيراً. هذه المدينة قد زالت الآن، ولا نَعْرِفُ مَوْقِعَهَا بالتدقيق. غيرَ أَنَّ ذلك لم يَنْقُصِ الأسرة السُّنُغِيَّة من البقاء في الحكم ومن مَدِّ حُدُودِهَا ما بين تُنْبُكْتُ والبحرِ المُحِيط (الأطلسي) ما بين نهر النيل الغربي (النيجر) ونهر السنغال. وذلك في القرن الخامس للهجرة (الحادي عَشَرَ للميلاد).

(١) راجع، فوق، ص ٤٠، الحاشية الثانية.

(٢) تلفظ «صفاي» (بصاد مضومة ثم عين كأنها قاف ثم نون خفيفة كأنها مضومة: مدغمة في الباء).

ولعل معناها: السَّي، نسبة إلى سَنَةِ رسول الله (ﷺ).

في سَنَةِ ٤٦٩ للهجرة (١٠٧٦ م) اسْتَوْلَى أَبُو بَكْرُ بْنُ عُمَرَ عَلَى مَدِينَةِ قُنْب عاصِمَةِ غَانَةِ وَدَخَلَ جَانِبَ كَبِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْبِلَادِ فِي الْإِسْلَامِ. غَيْرَ أَنَّ جِهَادَ أَبِي بَكْرِ بْنِ عُمَرَ فِي قِبَائِلِ الْبَرْبَرِ لَمْ يُكُنْ مِنَ الْإِحْتِفَاطِ بِعَاصِمَةِ غَانَةِ طَوِيلًا، إِذْ أَضْطُرَّ إِلَى الْإِنْسِحَابِ مِنْهَا ثُمَّ قُتِلَ فِي إِدْرَارَ (جِبَالِ الْأَطْلَسِ)، سَنَةِ ٤٨٠ للهجرة (١٠٨٧ م) وَهُوَ يُقَاتِلُ الْبَرْبَرَ.

وَبَعْدَ سَنَةِ ٤٨٠ للهجرة أَخَذَتْ قُوَّةُ مُلُوكِ غَانَةِ السُّنَنِ فِي التَّرَاجُعِ حَتَّى اقْتَصَرَتْ مَمْلَكَتُهُمْ عَلَى بُقْعَةٍ إِلَى غَرْبِ نَهْرِ النُّكَارِ فِيهَا بَسَّيْكَونُو عَلَى مَقَرَّةٍ مِنَ النَّهْرِ ثُمَّ وَعُكْرِي الْمُوَغْلَةَ غَرْبًا. أَمَّا الْمَنَاطِقُ الْآخَرَى الَّتِي كَانَتْ خَاضِعَةً لِلْمَمْلَكَةِ غَانَةَ فَقَدْ أَصْبَحَتْ مَمْلَكَةً مُسْتَقْلَلَةً.

وَفِي سَنَةِ ٦٣٣ للهجرة (١٢٣٥ م) اسْتَوْلَتْ مَالِي عَلَى مَدِينَةِ غَانَةِ. وَبَعْدَ خَمْسِ سِنَوَاتٍ دُمِّرَتْ مَدِينَةُ غَانَةِ.

وَلَقَدْ كَانَ لِغَانَةِ أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي انْتِشَارِ الْإِسْلَامِ فِي السُّودَانِ الْغَرْبِيِّ، فَإِنَّ الْأَسْرَ الَّتِي كَانَتْ تَحْكُمُ فِيهَا وَالْقِبَائِلُ الَّتِي كَانَتْ تَسْكُنُهَا وَتَعْمَلُ فِي الرِّعْيِ - وَفِي الزَّرَاعَةِ أَيْضًا - وَهِيَ فِي الْأَغْلَبِ قِبَائِلُ سُنَنِ (صَغَايَ)، ثُمَّ هِيَ مُخْتَلِفَةٌ الْأَصُولِ مُخْتَلِفَةُ الْمَسَاكِينِ. وَبِمَا أَنَّ هَذِهِ الْقِبَائِلُ كَانَتْ كَثِيرَةً الْعَدَدِ مُتَفَرِّقَةً فِي الْمَنَاطِقِ فَقَدْ اتَّسَعَ انْتِشَارُ الْإِسْلَامِ عَلَى يَدَيْهَا حَتَّى وَصَلَ إِلَى أَطْرَافِ الْغَابَاتِ الْأَسْتَوَانِيَّةِ - جَنُوبِ الصَّحْرَاءِ الْكُبْرَى.

لَيْسَ لَنَا عِلْمٌ بِالتَّارِيخِ الَّذِي بَدَأَ فِيهِ انْتِشَارُ الْإِسْلَامِ فِي السُّودَانِ الْغَرْبِيِّ. وَلَيْسَ ثَمَّتْ مَا يَنْبَغُ مِنْ أَنْ يَكُونَ انْتِشَارُهُ قَدْ بَدَأَ مِنْذُ مَجِيءِ الْعَرَبِ إِلَى الْمَغْرِبِ، مِنْذُ الْقَرْنِ الْأَوَّلِ لِلْهَجْرَةِ، مِنْ طَرِيقِ التَّجَارَةِ وَمِنْ طَرِيقِ دُعَاةِ مُتَطَوِّعِينَ. وَبِذِكْرِ لُويْسُ مَاسِينِيونَ فِي تَقْوِيمِهِ «الْعَالَمُ الْإِسْلَامِي» (بِالْفَرَنْسِيَّةِ)، طَبْعَةُ ١٩٥٤ بَارِيسَ) أَنَّهُ كَانَ فِي كَانَم^(١) شَادَ الْيَوْمَ شِبْهُ دَوْلَةٍ يَسْكُنُهَا مُسْلِمُونَ مِنْذُ الْقَرْنِ التَّاسِعِ لِلْمِيلَادِ (الثَّالِثُ لِلْهَجْرَةِ) فِي الْأَغْلَبِ (ص ٣٥٩).

(١) كَانَم (بِفَتْحِ النُّونِ وَبِضَمِّهَا أَيْضًا) وَنَشَادُ أَوْ «شَاد» (بِلَا تَاءٍ فِي أَوَّلِهَا).

غير أن من الثابت أن الإسلام بدأ انتشاراً واسعاً في مُعْظَمِ أراضي إفريقيا الغربية (السودان الغربي) منذ مُطْلَعِ القرن الخامس للهجرة (الحادي عشر للميلاد). ولكن إذا نحن استقرضنا «الديباج المذهب» لابن فرحون اليعقوبي (ت ٧٩٩ هـ) - وهو مقرئ الأصل - ثم كتاب «نيل الأبتهاج بتطريز الديباج لأحمد بن أحمد بن أقيس المعروف بلقب بابا التنبكي (ت ١٠٣٦ هـ) - وهو من تنبكت (تنبكتو) المركز الأكبر للثقافة في السودان الغربي (أو الغربي) - لم نَرَهُما ذكراً أحداً من الأدباء أو العلماء أو الفقهاء قبل القرن التاسع للهجرة، مما يدل على أنه لم ينشأ في تلك البلاد أحدٌ من ذوي التقدم والشهرة في هذه الفنون قبل ذلك التاريخ.

كانم - برنو^(١)

من المؤرخين من يُعالجُ تاريخ كانم مستقلاً عن تاريخ بُرنو، ومنهم من يسوق تاريخهما في سردٍ واحدٍ. وأظن أن المنهج الثاني أذعن إلى الاختصار.

وكانم - في الأصل - اسمٌ مدينةٍ ثم أطلقَ هذا الاسمُ على دولة. وكانم هذه كانت تقع إلى الشرق الشمالي من بحيرة شاد، وهي اليوم مقاطعة في جمهورية تشاد. أما برنو فهي مقاطعة إلى غرب بحيرة شاد. وكان سكان المقاطعتين - كانم وبرنو - أخلاطاً من القبائل.

يبدو أن تأسيس هذه الدولة كان على يد قبيلة زواغة البربرية، وهي قبيلة بدوية كانت تسكن إلى الشمال من كانم، وكان انتشارها في تلك الأصقاع واسعاً. وقد بدأ دخول الإسلام إلى كانم منذ القرن الرابع للهجرة (العاشر للميلاد) على يد التجار الذين كانوا يأتون إليها من ليبيا ومصر، أو يَمُرُّون بها. ولما بدأ القرن السادس للهجرة (٥٠١ هـ = ١١٠٨ م) كان الإسلام قد اتسع انتشاره ثم استقر. ولكن يبدو أيضاً أن الحكم كان، إلى ذلك الحين، «مُشِيخةً بدويةً» ثم انتقل إلى دولة ملكية، فيما بعد.

(١) برنو (الأصل في الاء أن تكون ساكنة، وهي هنا شبه مفتوحة، مع ميل إلى ضمتها).

وفي الرواية أَنَّ أَوَّلَ الملوك المسلمين في هذه الدولة حومي أو أومي (٤٧٨-٤٩٢ هـ)، ثم يضطرب سياق الملوك لأنَّ اسم حومي (محمد؟) يكثرُ فيهم. ولَمَّا جاء دوغا بنُ حومي (نحو ٤٩٠-٥٤٥ هـ=١٠٩٧-١١٥٠ م) استطاع، في أثناء رئاسته الطويلة الأمد أن يُؤيِّدَ سلطة قبيلته في كامل. وقد حجَّ مرتين ثم غرق، في المرَّة الثالثة، في البحر الأحمر.

ويأتي في هذه السلسلة حومي آخرُ أو محمد بنُ عبد الجليل الملقَّب سَلْمَى (سالم؟)، وقد حكم من سَنَةِ ٥٩٠ إلى سَنَةِ ٦١٨ للهجرة (١١٩٤-١٢٢١ م) فوسَّع المملكة وسيطر على قبيلة زغاوة (التي كانت هيَ ميطرةً على كامل وما حولها). وفي أيامه أيضاً بدأ زوالُ الوثنية. ثم أصبحت جيمي (نجينا)^(١) عاصمةً للدولة.

وبعدَ السلطان محمد بن عبد الجليل جاء أبْنُهُ دونَّا (ت ٦٤٩ هـ=١٢٥١ م) فكان عهده مملوءاً بالحروب. ولكنَّه خرَّصَ على إقامة صلاتٍ بالحفصيين أصحاب تُونِسَ فأرسلَ إلى السلطان الحفصيّ المُستنصر (أي عبد الله محمد بن يحيى) هدايا نفسيَّة كان فيها زُرَاقَةٌ (وكان دونَّا يدعى في ذلك الحين سُلطان بُرنُو، وكانت عاصمته مدينة كوكه أو جاجا أو كاكّا- بكاف عربية أو بكاف معقودة). ويبدو أن برنو كانت مُنفردةً بِحُكْمِ نفسها ولكنها كانت تابعةً لِمَمْلَكَةِ كَاتَم. ثم يَمُرُّ قرنٌ أو يزيدٌ قليلاً فترى كَاتَمَ نَفْسَهَا تابعةً لِسُلطان بُرنُو؛ ويُرسِلُ سلطانها أبو عمرو عُثْمَانُ بنُ إدريس، سَنَةَ ٧٩٤ للهجرة (١٣٩١ م) رسولاً إلى الظاهر بَرْقُوقِ سُلطان مَضَرَ يشكو إليه غاراتٍ على أَرْضِهِ ذَهَبَ فيها أخوه وسَلَفُهُ في الحُكْمِ عمرو (أو عُمَرُ) بنُ إدريس بن إبراهيم، إلى جانب عددٍ كبيرٍ من الرعايا سقطوا قَتْلَى أو أُسْرَى في يَدِ المُغِيرين.

وبعدَ جيلٍ من الدهر (نحو ٨٤٣ هـ=١٤٤٠ م) أصبحت مملكة بُرنُو على

(١) هذه اللفظة «نجينا» تنويع من الاسم الذي يرجع في أصله إلى العربية: إن حمنا (استرحنا) والعامة يقولون نجينا (إن نجينا نكتب كلمة واحدة: النجينا).

جانب من القوة فأخذَ جيرانها يُدارونها، وربما دَفَعُوا لها الجزى. ثم بعدَ جيلٍ آخرَ جاءَ إلى عرش بُرنو الغازي علي بن دونَا (٨٨١-٩٠٩ هـ) فقضى على المنازعات على العرش ونظَّم مَرافِقَ الدولة ثم بني، إلى الغرب من بُحيرة شاذَ، سَنَةَ ٨٨٩ للهجرة (١٤٨٤ م)، عاصمةً جديدةً سَمَّاها «غَرْغَمُو» (تَصَرَّغَمُو أو بَرْنُونُ بَرْنُو^(١)): حصن بُرنو) وبَسَطَ سُلْطَنَتَهُ على مَنْ كانَ يحاوره شَرْقاً وغرباً.

وجاء بعدَ عليّ هذا سُلْطَانٌ هو إدريسُ كَنَعِ كُرُمِي (?) فحكم من سَنَةِ ٩٠٩ إلى سَنَةِ ٩٣٢ للهجرة (١٥٠٣-١٥٢٦ م)، فعادتْ كَانُمْ إلى الخُضُوعِ لِمُلْكَةِ بُرنو وَبَقِيَتْ قَبَائِلُ بولالا شَبَّةً مُسْتَقِلَّةً (تَعِيشُ في تلكَ المُلْكَةِ ولكن تدفعُ جزيةً).

امبراطورية الصوصو (صو) في كِيَاكَ (كانياغا)

جاءت جماعاتٌ من التَّكُرُورِ (حوض نهر السنغال)، في القرن السادس للهجرة (الثاني عَشَرَ للميلاد) وَاسْتَبَدَّتْ بالسيطرة على كِيَاكَ: كانياغا (إلى الغرب من أواسط نهر النيجر). وفي سَنَةِ ٥٧٦ للهجرة (١١٨٠ م) نَهَضَ جُنْدِيٌّ وَعَكْرِيٌّ (سلنكي: نسبة إلى مدينة سيلَا من مدن السنغال) يدعى ديارا كِنْتِي (?) - وكان هذا الأسمُ يُطْلَقُ أيضاً على الأسرة الحاكمة وعلى البلد. وقد كانت تلكَ الأسرةُ الحاكمةُ وَثِيَّةً.

وجاء^(٢) بعدَ ديارا كِنْتِي أبْنُهُ صوماغورو (صوماهورو) كِنْتِي (نحو ١٢٠٠-١٢٣٥ م: ٥٩٨-٦٣٣ هـ) وأَحْتَلَّ مَندَنغ (في أعالي حوض النيجر)، فَشَجَّعَهُ ذلكَ على أَنْ يَحْتَلَّ جَارِبَ (كانغابا) في الجَنُوبِ ثم غانَةَ في الشَّالِ.

غَيْرَ أَنَّ هذا النَّصْرَ كانَ خَاوِياً فَإِنَّ النَّهْبَ وَالْقَتْلَ اللَّذَيْنِ سادا بعدَ هذا الاِحتِلَالِ حَمَلَا التَّجَارَ المُسْلِمِينَ (في غانَةَ خاصَّةً) على الهِجْرَةِ إلى ولاتِن (إلى

(١) برنن برنو أصلها برنو (مدينة، حصن) برنو (مضاف ومضاف إليه: برنو برنو - وفي لغتهم تدخل اللون بين المضاف والمضاف إليه فيصنع التركيب الإصافي: برنن برنو.

(٢) راجع، موف، ص ٤٠ «تاريخ مالي».

الشَّال الشرقي من بلدة غانة، على الحدود بين مِنطقة الغابات ومنطقة الصحراء) وعلى إنشاء محطة تجارية في ولاتن أخذت، على طريق القوافل، مكان غانته، وذلك نحو سَنَةِ ٦٢١ للهجرة (١٢٢٤ م).

ويقال إن صوماغورو لما آحتل ماندنغ قتل أحدَ عَشَرَ أَبْنَاءَ للملك ماندنغ. غير أن واحداً من هؤلاء الأبناء - وأسْمُهُ: صندياتا^(١)، وكان كسيحاً - نجا من القتل. ثم إنّه جمع أنصاراً له، وفي سَنَةِ ٦٣٣ للهجرة قاتل صوماغورو، فأهزم صوماغورو وقُتل، فعادت قُلُوبُ أَتباعِهِ إلى التكرور، وعادت ماندنغ إلى حكم صندياتا.

امبرطورية سنفي (صُغاي)

تطلق كلمة سنفي على قبائل من أصول مختلفة كانت تسكن في الحوض الأدنى للنيكار (في منتصف الطريق بين أنحائه في الشَّال ومَصْبِهِ في الجنوب). وفي نحو ٢٦٠ للهجرة (٨٧٢ م) كانت مملكتهم كوكو* (بضم الكافين أو بفتحها) أكبر ممالك السودان. في ذلك الحين كان يسكنها جماعات من البربر. ففيها ولِدَ أبو يزيد مَخْلُدُ بْنُ كَيْدَادِ الزَّنَاتِي النِّكَاري (نسبة إلى النيجر؟) الإباضي الذي ثار على الفاطميين (أصحاب تونس).

وفي نحو سَنَةِ ٣٧٠ للهجرة (٩٨٠ م) كان حكام كوكو مسلمين. وبعد قرن من الزمن أعتنقت أسرة «زا» (جا، ديا: الجاءون: الذين جاءوا من اليمن) الإسلام. ولكن يبدو أن السكان الأصليين (من السودان) ظلوا على الوثنية زماناً طويلاً.

ثم دخلت مملكة سُنْفِي، سَنَةِ ٦٤٨ للهجرة (١٢٥٠ م) في حكم مالي. وفي سَنَةِ ٦٧٥ للهجرة (١٢٧٥ م) أسس علي كولون أسرة سي أو شي، أو شيا (الجُباة، الخلفاء: خلفاء جا؟). وفي نحو ذلك الزمن انتقلت عاصمة سُنْفِي إلى مدينة كوكو.

ويبدو أن حكام مالي كانوا، بين حين وآخر، يَنسُطون سُلْطَنَهُمْ على بلاد

(١) راجع، فوق، ص ٤١.

* موصو

سُنِّيَ هذه. وبين سَنَةِ ٧٢٦ وسَنَةِ ٧٣٧ (١٣٢٥ - ١٣٣٥ م) كانت كوكو وما يَتِمُّهَا داخِلَةً فِي سُلْطَان مَالِي. وَقَدْ زَارَ مُوسَى صَاحِبَ مَالِي، سَنَةَ ٧٢٦ (مَدِينَةُ كوكو).

ثمَّ إِنَّ أَسْرَةَ الْجَائِينَ اسْتَعَادَتْ اسْتِقْلَالَهَا. فِي سَنَةِ ٨٧٠ لِلْهِجْرَةِ (١٤٦٤ م) أَقَامَ عَلِيُّ الْكَبِيرُ إِمْرَاطُورِيَّةَ سُنِّي. وَمِنْ ذَلِكَ الْحِينِ عُرِفَتْ هَذِهِ الْأَسْرَةُ بِأَسْمِ صُنِّي. وَجَاءَ صُنِّي عَلِيٌّ إِلَى الْعَرْشِ (نَحْو ٨٧٠ - ٨٩٩ هـ) فَاسْتَطَاعَ اسْتِرْدَادَ تَنَبُكْت، سَنَةَ ٨٧٤ لِلْهِجْرَةِ (١٤٦٩ م)، بَعْدَ أَنْ كَانَ الطَّوَارِقُ قَدْ اسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا، سَنَةَ ٨٣٧.

وَيُقَالُ إِنَّ صُنِّيَ عَلِيًّا هَذَا كَانَ يَهْتَمُّ بِأَغْرَاضِهِ الشَّخْصِيَّةِ أَكْثَرَ مِنْ أَهْمَاتِهِ بَا سَوَى ذَلِكَ. وَلَمْ يَكُنْ حُكْمُهُ فِي تَنَبُكْت صَالِحًا فَهَجَرَهَا الرُّعَاءُ مِنْ أَهْلِهَا وَهَجَرَهَا تِجَارُهَا إِلَى وَلَائِن. فِي سَنَةِ ٨٩٨ لِلْهِجْرَةِ (١٤٩٢ م) مَاتَ صُنِّي عَلِيٌّ فِجَاءَ بَعْدَهُ بَارُو (أَبُو بَكْر دَاوُ). وَلَكِنْ فِي الْعَامِ التَّالِيِ اسْتَطَاعَ أَحَدُ الْقَوَادِ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى الْحُكْمِ، وَكَانَ مُسْلِمًا مُخْلِصًا، فَارْتَقَى الْعَرْشَ بِأَسْمِ أُسْكِيَا مُحَمَّدٍ الْأَوَّلِ فَنَظَّمَ الْإِدَارَةَ وَأَنْشَأَ جِيشًا نِظَامِيًّا وَأَقْرَأَ الْأَمْنَ فَعَادَتْ تَنَبُكْتُ مَرْكَزًا لِلثَّقَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ. ثُمَّ إِنَّهُ أَسَّسَ أَسْرَةَ حَكَمَتْ قَرْنًا كَامِلًا مِنَ الزَّمَنِ. مِنْ سَنَةِ ٩٠٠ إِلَى سَنَةِ ١٠٠٠ لِلْهِجْرَةِ (١٤٩٣ - ١٥٩١ م).

وَفِي سَنَةِ ٩٣٥ لِلْهِجْرَةِ (١٥٢٨ م) كُفَّ بَصَرُ مُحَمَّدٍ وَأَصِيبَ بِالْعَجْزِ فَاسْتَبَدَّ بِالْمُلْكِ مَكَانَهُ ابْنُهُ مُوسَى. وَلَكِنْ وَقَعَ التَّنَافُسُ عَلَى الْحُكْمِ بَيْنَ نَفَرٍ مِنَ الْقَوَادِ وَنَفَرٍ مِنَ الْمُفَارِمِينَ وَأَضْطَرَبَ الْأَمْرُ حَتَّى جَاءَ أُسْكِيَا إِسْحَاقُ، سَنَةَ ٩٤٦ لِلْهِجْرَةِ (١٥٣٩ م) فَتَغَلَّبَ عَلَى خُصُومِهِ وَقَتْلَهُمْ. وَجَاءَ بَعْدَ أُسْكِيَا إِسْحَاقُ أَخُوهُ دَاوُودُ (سَنَةَ ٩٥٦ هـ). وَلَقَدْ تَابَعَ إِسْحَاقُ وَأَخُوهُ دَاوُودُ سِيَاسَةَ أَبِيهِمَا أُسْكِيَا مُحَمَّدٍ الْأَوَّلِ فِي نَشْرِ الْإِسْلَامِ^(١).

(١) هذه الأحداث والتي تليها وقعت بعد الحقبة التي يهاجمها هذا الجزء، ولكن الاستمرار قليلاً في سردنا يجعل الصورة التاريخية لتلك البلاد التي يغيب عنا كثير من تاريخها أكثر وضوحاً ثم يدل على اتصال مجرى الثقافة الإسلامية في ذلك الجانب من الأرض.

ولما مات داوود، سَنَة ٩٩٠ هـ (١٥٨٢ م) عَادَ الاضطرابُ إلى البلاد، ولم يَسْتَطِعْ ابنه مُحَمَّدُ الثالثُ أَنْ يُدَارِيَ الأحداثَ الَّتِي كَانَتْ فِي أَيَّامِهِ.

فِي ذَلِكَ الْحِينِ كَانَ عَلَى عَرْشِ الْمَغْرِبِ سُلْطَانٌ قَوِيٌّ قَدِيرٌ هُوَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَعْرُوفُ بِالْمَنْصُورِ الذَّهَبِيِّ، وَقَدْ حَكَّمَ مِنْ سَنَةِ ٩٨٦ إِلَى سَنَةِ ١٠١٢ لِلْهَجْرَةِ (١٥٧٨ - ١٦٠٣ م). وَلَا رَيْبَ فِي أَنَّ الْمَنْصُورَ لَمَّا نَظَرَ إِلَى قُوَّتِهِ وَإِلَى ضَعْفِ الْمَمَالِكِ السُّودَانِيَةِ كَانَ قَدْ دَاخَلَهُ الطَّمَعُ فِي الْاِسْتِيلَاءِ عَلَى مَنَاجِمِ الْمُنَحِّ وَمَنَاجِمِ الذَّهَبِ فِي بِلَادِ السُّودَانِ. وَكَانَ بَيْنَ الْمَنْصُورِ سُلْطَانِ الْمَغْرِبِ وَإِسْحَاقَ الثَّانِي مَلِكِ كَاغُو مَفَاوِضَاتٍ سِيَاسِيَةٍ لَمْ تُشْجَرْ، فَأَرْسَلَ الْمَنْصُورُ إِلَى السُّودَانِ جَيْشًا كَبِيرًا بِقِيَادَةِ قَائِدٍ اِسْمُهُ جُوذِر. وَمَعَ أَنَّ الْجَيْشَ الْمَغْرِبِيَّ لَمْ يَصِلْ مِنْهُ إِلَى أَرْضِ السُّودَانِ إِلَّا أَقْلُهُ - لِطَوْلِ الطَّرِيقِ وَتَشَقُّقِ التَّحْرُكِ فِي الصَّحْرَاءِ - فَإِنَّ الْجَيْشَ الْمَغْرِبِيَّ قَدْ تَغَلَّبَ، بَمَا كَانَ لَدَيْهِ مِنَ الْمَدَافِعِ، عَلَى جَيْشِ الْقَبَائِلِ السُّودَانِيَةِ (الَّتِي زَادَتْ عَلَى مِائَةِ أَلْفٍ مِنَ الرِّجَالِ) لِأَنَّهَا كَانَتْ تُحَارِبُ بِأَدَوَاتٍ بَدَائِيَةِ مِنَ النَّبَالِ وَالرَّمَاكِ. كَانَ ذَلِكَ فِي أَوَاخِرِ سَنَةِ ٩٩٩ لِلْهَجْرَةِ (١٥٩١ م). وَقَدْ فَرَّ اِسْكِيَا^(١) إِسْحَاقُ الثَّانِي (غَرْبًا) عَبْرَ نَهْرِ النِّجَّارِ (النِّيجِر). وَيَبْدُو أَنَّ شَيْئًا مِنَ الْمَقَاوِمَةِ لِلْمَغَارِبَةِ قَدْ اِسْتَمَرَّ فِي أَرْضِ السُّودَانِ، وَلَكِنْ تِلْكَ الْمَقَاوِمَةُ اِنْتَهَتْ فِي الْعَامِ التَّالِيِ وَأَنْقَرَضَتْ بِاِنْتِهَائِهَا إِمْبِرَاطُورِيَّةُ سُنْفِي.

وَدَايَ

وَدَايَ مِيقَاطَةٌ تَتَّصِلُ بِهَا بِاجْرِمَةُ وَدَارْفُورُ، غَرْبُ بُحَيْرَةِ شَاد (بَحِيرَةُ لَامِي)، وَهِيَ أَحَقُّ أَنْ تَكُونَ مِنَ أَوَاسِطِ السُّودَانِ أَكْثَرَ مِنْ غَرْبِهِ. وَقَدْ تَأَخَّرَ دُخُولُ الْإِسْلَامِ إِلَى وَدَايَ حَتَّى الْقَرْنِ الْعَاشِرِ لِلْهَجْرَةِ (الْسادِسَ عَشَرَ لِلْمِيلَادِ). قَبْلَ دَخْلِهَا الْإِسْلَامُ عَلَى يَدِ رَجُلٍ اِسْمُهُ صَالِحٌ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ

(١) اِسْكِيَا: الشَّيْخُ (؟). - اِسْكِيَا: الَّذِي لَيْسَ هُوَ، الْآخَرُ (غَيْرُ الَّذِي كَانَ مِنْ قَبْلِ). هَذِهِ مِلَاحَظَةٌ أَبْدَاهَا الزَّمِيلُ فِي مَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَةِ بِالْقَاهِرَةِ الدُّكُورُ عَبْدُ اللَّهِ الطَّيِّبُ (الْمُخْرُطُومُ).

تُعرف «وداي» باسم دار صالح أو دار صليح أيضاً. أما الاسم «وداي» فيقال فيه إنه أت من «وداعة». وأهل المنطقة يفضلون على اسم «وداي» اسم بركو (بضم الباء).

أما الأحداث التي دارت في وداي فمتأخرة عن العصر الذي نُقِصَ تاريخه في هذا الكتاب.



الحياة الثقافية - في أيام بني الأحرر -

سألنا في تصوير هذا العصر إلى إيراد عددٍ وافٍ جداً من الكتب في فنون العلم المختلفة. ومع أن عدداً كبيراً جداً من هذه الكتب لا يُعدُّ في نطاق الأدب، فإنه يدلُّ على رُقيِّ الحياة الثقافية بلا ريب. ثم إننا نرى في هذه الكتب ميلاً كبيراً إلى الموضوعات الدينية، مما يتفقُ عموماً حيناً تضعفُ القوةُ السياسية في الأمة، فالدينُ ملاذٌ وملجأٌ في أيام المحن والضعف.

وسببُ الإطالة في هذا الفصلِ لصورة هذا العصرِ حرصٌ بناً على أن نُوقنَ أن هذا العصرَ الذي لم يكن وضاءً في السياسة، قد كان وضاءً جداً في الثقافة. وسيرى القارئ أن عدداً كبيراً من الأسماء - من أسماء الكتب ومن أسماء مؤلفي الكتب - يدفعُ عن هذا العصر «ثمةَ الآخطاط» التي أرادَ نفرٌ من الأغيارِ ومنا أيضاً أن يُلصِقوها به.

العلوم الدينية:

من أوائل الذين يُشارُ إليهم في هذا الباب، وفي العلوم الدينية، محمد بن عبد الله المرسى (٥٧٠ - ٦٥٥ هـ) له: رَيُّ الظَّمَانِ أو التفسيرُ الكبير (في أكثر من عشرين جزءاً) - التفسيرُ الأوسط (في عشرة أجزاء) - التفسيرُ الأصغرُ (ثلاثة أجزاء). ومنهم المقرئ أبو عبد الله محمد بن حسن الفاسي (٥٨٩ - ٦٥٦ هـ) في الأغلب له الآلَاءُ الفريدة في شرح القصيدة الشاطبية. ثم منهم ابنُ عَبْدِوْنِ المِكناسي (ت ٦٥٩ هـ) (**). ومنهم المفسرُ الكبير أبو بكرِ القُرطبي (ت ٦٧١ هـ) (**).

(**) لأصحاب الأسماء من الذين أثير إليهم بنجمين نراجم مستقلة في هذه السلسلة (يهتدى إليها بسنوات وفياتهم).

ومنه أيضاً أحمد بن محمد بن خضير الشاطبي (ت ٦٧٤ هـ) له: قواعد الخط - كتابان في قراءة ورش^(١). وكذلك منهم عبد السلام بن عتي الزواوي ولي قضاء المالكية في دمشق وأنتهت إليه رئاسة الإقراء فيها له: عدد الآي - التنبيهات على معرفة ما يخفى من الوقوفات (في القراءات). ثم يأتي هنا الشاعر مالك بن المرحل (ت ٦٩٩ هـ) (**). ثم أبو جعفر بن الزبير القرناطي (ت ٧٠٣ هـ) (**). صنف: البرهان في ترتيب سور القرآن - بلاك التأويل تنمة لكتاب «درة التنزيل وغرة التأويل» لفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ)^(٢) أو رد عليه.

ويأتي هنا أيضاً عبد الواحد بن محمد المالقي (ت ٧٠٥ هـ) له: الدر الثير والعذب النير في شرح كتاب التيسير لأبي عمرو الداني المتوفى سنة ٤٤٤ للهجرة (**). ثم هنالك ميمون الفخار (ت ٧١٦ هـ) له: التحفة في القراءات - الدرة - المورد. وكان لأبي عبد الله محمد بن محمد الخراز الشريشي (ت ٧١٨ هـ) إمام القراء في فاس: أرجوزة مورد الظمان في رسم القرآن - عمدة البيان في رسم القرآن - الحصرية في القراءات - شرح العقيلة^(٣) في القراءات - شرح ابن بري^(٤) - الدرر اللوامع في أصل مقرأ نافع. وذكر عبد الله كنون (النبوغ المغربي ٢١٦)^(٥) كتباً في علوم القرآن لابن البناء العددي (ت ٧٢١ هـ) منها: تفسير الباء في البسطة - تفسير الاسم (باسم الله الرحمن الرحيم) في البسطة - تفسير سورة الكوثر - تفسير سورة العصر - حاشية على الكشف - الدليل في مرسوم خط التنزيل - المتشابه اللفظ في القرآن - تسمية الحروف وخاصية وجودها في أوائل السور.

ولابن آجروم^(*) (ت ٧٢٣ هـ): البارغ في قراءة نافع - شرح حيز الأمان (في القراءات) للشاطبي. وهنالك «الأجوبة» (في التفسير) لابن البقال (ت ٧٢٥ هـ). ثم هنالك أحمد بن الحسن بن الزيات الكلاعي له: لذة السمع في القراءات السبع - قصيدة

(١) عثمان بن سعيد (لقبه ورش) من الفقهاء المشهورين، مولده ووفاته في مصر (١١٠ - ١٩٧ هـ).

(٢) لفخر الرازي ترجمة في الجزء الثالث من هذه السلسلة.

(٣) عقيلة أنراب الفصائد؟ (للشاطبي).

(٤) ابن بري: علي بن محمد بن الحسين الرباطي (ت ٧٣١ هـ) عالم بالقراءات.

(*) له ترجمة في هذا الجزء.

على نَمَطِ الشَّاطِئِيَّةِ (حِرْزِ الأَمَانِي). ثم هنالك لأبي الحسنِ عليّ بن محمّدَ ابنِ بَرِّي الرِّباطي (ت ٧٢٥ هـ) وكان من أهلِ تازةَ ورئيسَ ديوانِ الإنشاءِ فيها: أرجوزةٌ في مَخارجِ الحروفِ - أرجوزة مشهورة هي «الدرر اللوامع في أصلِ مقراءِ الإمامِ نافع»، مطبوعة (الأعلام للزركلي ٥: ١٥٦) وعليها شُروحٌ ولها مختصراتٌ منها: المختار من الجوامع في مُحَاذاةِ الدُّرِّ اللوامع لأبي زيدِ عبدِ الرحمنِ بنِ محمّدِ بنِ مخلوفِ الثَّعالبي الجَزائري (ت ٨٧٥ هـ) صَنَفَهُ سَنَةَ ٧٤٢ (الجزائر ١٣٢٤ هـ).

وكان أحمدُ بنُ محمّدِ العِشَّابِ القُرطُبيُّ وزيراً في تُونِسَ، له تَفْسِيرٌ (لِلقرآن) مختصرٌ. ولابنِ القَوَيْعِ التُّونِسي (ت ٧٣٨ هـ) (***) تَفْسِيرُ سُورَةِ ق. ولابنِ جَزَيٍّ مرتَّبُ رِخْلَةٍ ابنِ بَطْوَطَةَ (ت ٧٤١ هـ) (**): البارعُ في قِراءةِ نافعٍ - التسهيلُ لعلومِ التَنزِيلِ (مطبوع، راجع الأعلام للزركلي ٦: ٢٢١). وكذلك لإبراهيمَ بنِ محمّدِ الصَّفَاقِسي (٦٩٧ - ٧٤٢ هـ) «المُجِيدُ في إعرابِ القرآنِ المُجِيدِ» (أَلَفَهُ مَعَ أخيه محمّد). ولحمّدُ ابنِ عليّ البَلَنْسِيّ القَنْسِيّ (ت ٧٤٦ هـ) «صِلَةُ المَجْمَعِ وعوائدُ التذيلِ لمُؤْصولِ كِتَابِي الأعلامِ والتكميلِ لُبَّهَاتِ القرآنِ».

ولحمّدِ بنِ عليّ بنِ عابِدِ الفاسيِّ (ت ٧٦٢ هـ) اختصارُ الكِشَافِ (لِلزَّمَخْشَرِي) أزالَ عنه صِبْغَةَ الاعتزالِ. وكذلك لأبي القاسمِ السَّلُولِيّ (من أحياءِ القرنِ التاسع) تَفْسِيرٌ لِلقرآنِ. وللجَادِرِيِّ أو الجَادِرِيِّ (ت ٨١٨ هـ): النافعُ في أصولِ حَرْفِ نافعٍ^(١) - شرحُ ضَبْطِ القِيسِيِّ - شرحُ ابنِ بَرِّي^(٢). ولحمّدُ بنُ يحيى بنِ جابرِ الفَاساني المكناسي (ت ٨٢٧ هـ) كتابٌ في رسمِ القرآنِ. ولأحمدُ بنُ محمّدِ المَسِيلِيّ (ت ٨٣٠ هـ) تَفْسِيرٌ لِلقرآنِ.

(١) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم (بالتصغير) المدني المتوفى في المدينة، سنة ١٥٩ هـ (٧٧٥ م) على الأصح (وفيات الأعيان ٥: ٣٦٨ - ٣٦٩)، وفي الأعلام للزركلي (الطبعة الرابعة ٨: ٥) سنة ١٦٩ هـ، وهو أحد القراء السبعة.

(٢) ابن بَرِّي النحوي أبو محمّد عبد الله بن بَرِّي المتوفى ٥٨٢ هـ (له ترجمة في الجزء الثالث من هذه السلسلة). ولعل المقصود بابن بَرِّي هنا: أبو الحسن عليّ بن محمّد التازي (ت ٧٣١ هـ) من الماهرين في العلوم العربية والقراءات (النبوغ المغربي ٢٠٩).

ومن المُكثَرين في التَّأليف أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الثعالبي^(١) الجزائري (٧٨٦ - ٨٧٥ هـ) له: الجواهرُ الحسانُ في تفسير القرآن (الجزائر ١٣٢٧ هـ) - المُختار من الجوامع في مُحاذاة الدرر اللوامع في أصل مقراً الإمام نافع (الجزائر ١٣٢٤ هـ، راجع سركيس ٦٦١؛ بروكلمان، الملحق ٢: ٣٥٠، السطر العشرين). - نفائس المرجان في قصص القرآن. وكذلك لأبي عبد الله الحسين (أو الحسين) بن عليّ الشوشاوي السبلائي (ت ٩٠٠ أو ٨٩٩ هـ): إعانة المُبتدئين (في القراءات) - الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة - شرحُ مورد الطَّهَّان في رسم القرآن. ويأتي هنا محمد بن عبد الكريم المغيلي التِّلْسانِي (ت ٩٠٩ هـ) له البدرُ المنير في علوم التفسير. ثم هنالك لابن غاز المكناسي (ت ٩١٩ هـ) (***) نظم قراءة نافع.

..... علوم الحديث

يُحسُن البدء هنا بعليّ بن إبراهيم الأُمِّي الشَّريشي (٥٦١ - ٦٤٢ هـ) كان عليه مدارُ الفُتيا في وقته، وله تأليفٌ في الحديث والفقه. ومن المؤلفين في الحديث القاسمُ ابنُ محمد بن الطَّيْلَسَانِ القُرطبي (٥٧٥ - ٦٤٢ هـ) له: الجواهر المفصَّلات في المُسَلَّات - غرائب أخبار المُسنِّين^(٢) - ما وَرَدَ من الأمر في شُرْب الخمر - بيانُ البُشَى على قارئ الكتاب والسُّنَنِ^(٣). ثم هنالك محمد بن عتيق اللاردي (٥٦٣ - ٦٣٧ هـ) له: أنوارُ الصباح في الجمع بين الكُتُب السِّتَةِ الصَّحاح^(٤) - مطالعُ الأنوار في شمائل المُختار (رسول الله). ثم هنالك أيضاً محمد بن يوسف بن مسدي (بفتح الميم أو بضمها) القُرْطَاطِي (ت ٦٦٣ هـ)، له: المُسْنَدُ القَرِيب (جمع فيه مذاهب علماء

(١) راجع، في الثعالبي هذا، تاريخ الجزائر العام ٢: ٢٦٢ - ٢٦٤ سركيس (معجم المطبوعات العربية) ٦٦١.

(٢) المسند (بضم فسكون ففتح - والتي تجمع جمع مذكر سالماً): الحافظ لحديث رسول الله والمؤثوق في روايته.

(٣) الكتاب (القرآن الكريم) والس (المقصود: أحاديث رسول الله عامة).

(٤) والصَّحاح: صحيح البخاري (ت ٢٥٦ هـ) - صحيح مسلم (ت ٢٦١ هـ) ثم كتب السنن: لابن ماجة (ت ٢٧٣ هـ) - وأبي داود السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) - والترمذي (ت ٢٧٩ هـ) - والنسائي (ت ٣٠٢ هـ).

الحديث) - المُسَلَّات - الأربعون (حديثاً) المختارة في فضل الحجّ والزّيارة (زيارة المدينة) - مُعْجَم (ترجم فيه لشيّوّه). وهناك أيضاً مُحَمَّدُ بْنُ أَحَدَ الْعَزْزِيِّ (بفتح ففتح) السَّنِّي (٦٠٧ - ٦٧٧ هـ) أَكْمَلَ نَظْمَ «الدَّرِّ الْمُنْظَمِ فِي مَوْلِدِ النَّبِيِّ الْمُعْظَمِ» (من تأليف والده أَحَدٌ). ومن المؤلّفين في الحديث عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي جَمْرَةَ الْأَنْدَلِسِيِّ (ت ٦٩٩ هـ في الأغلب) له جُمُعُ النِّهَايَةِ (اختصر فيه صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ) - بهجة النفوس (شرح جمع النّهاية)، والكتابان مطبوعان.

وهناك مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْيَقُورِيُّ الْأَنْدَلِسِيُّ (ت ٧٠٧ هـ) له إِكْمَالُ الْإِكْمَالِ (للقاضي عياضٍ على صَحِيحِ مُسْلِمٍ). وكان ابنُ رُشَيْدٍ السَّيْتِي (ت ٧٢١ هـ) (***) صاحبُ الرِّحْلَةِ من كبارِ علماء الحديث، له: تَرْجُمَانُ التَّرَاجِمِ (في وَجْهِ مناسبة تراجم البخاري) - إِفَادَةُ النَّصِيحِ بِأَسْنَادِ الْجَامِعِ الصَّحِيحِ - السَّنَنُ الْأَبْيَنُ وَالْمَوْرِدُ الْأَمْنُ فِي الْحَاكِمَةِ بَيْنَ الْإِمَامَيْنِ (الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ فِي الْحَدِيثِ الْمُعْتَمَنِ^(١)). ولابن السَّاطِ الْقَاسِمِ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْإِسْبِيلِي (ت ٧٢٥ هـ) كِتَابُ التَّعْرِيفِ بِرِجَالِ الْبُخَارِيِّ - حَاشِيَةٌ عَلَى صَحِيحِ مُسْلِمٍ. ولأبي الْقَاسِمِ التَّجِيبِي السَّبْئِي (ت ٧٣٠ هـ) «أربعون حديثاً في الجهاد».

ومن أكابر العلماء في الحديث مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سَيِّدِ النَّاسِ الْيَعْمُرِيُّ (٦٧١ - ٧٣٤ هـ) أَصْلُهُ من إِسْپِيلِيَّةٍ وَلَكِنَّهُ وَلَدَ ثُمَّ تَوَفَّى فِي الْقَاهِرَةِ. له: عُيُونُ الْأَثَرِ فِي غَزَوَاتِ سَيِّدِ رِبْعَةٍ وَمُضَرٍّ^(٢) وفي شَمَائِلِهِ إِذْ هِيَ أَشْرَفُ شَمَائِلِ الْبَشَرِ (عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير) (القاهرة ١٣٥٦ هـ، دمشق ١٣٥٨ هـ) - بُشْرَى اللَّيْلِبِ بِذِكْرِ الْحَبِيبِ (مجموع قصائد في مدح الرسول مرتبة على الشعراء) مطبوع (سترلند في شمالي شرقي ألمانيا ١٨١٥ م) - الْمَقَامَاتُ الْعَلِيَّةُ فِي الْكِرَامَاتِ الْحَلِيَّةِ (مدائح في الرسول) - النَّفْعُ الشَّدِيدِي شَرْحُ جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ - عُدَّةُ الْعَادِ فِي عَرُوضِ «بَاسْتِ سَعَادُ» (لِكَمْبِ بْنِ زَهِيرٍ فِي مَدْحِ الرَّسُولِ) - مَبْنَعُ الْمَدَحِ (قصائد للصّحابة

(١) الحديث المصنوع: المسند إسناده متصلاً: حدثنا فلان عن فلان عن فلان الخ (حتى يصل إلى رسول الله).
(٢) ربيعة ومضر (قبيلتان كبيرتان قويتان ومعظم عرب الشمال). والمقصود بسيد ربيعة ومضر هنا «مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ». الأثر (هنا: أحاديث رسول الله).

رجالاً ونساء) - تحصيل الإصابة في تفضيل الصحابة .

وهناك علّم الدين القاسم بن محمد البرزالي (٦٦٥ - ٧٣٩ هـ) الإشبيلي، نسبة إلى برزالة (قبيلة من البربر، كان أصل أهلها من إشبيلية، وكان مولده في دمشق، له: ثلثيات مُسنَدِ أحمد بن حنبل - العوالي المُسنَدَة - تأليف في طبقات المُحدّثين - مُعْجَم شيوخه. ثم هناك عائشة بنت علي الصنهاجية كانت عالمة بالحديث .

ولابن جزي (ت ٧٤١ هـ) (***) مرتب رحلة ابن بطوطة: وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم .

وصنّف أبو بكر الكتّاني، سنة ٧٤٣، الإلمام لذوي النهى والأحلام . ولميس بن سمود الزواوي (٦٦٤ - ٧٤٣ هـ) إكمال الإكمال . وهناك كذلك عبد المهيمن الحضرمي (ت ٧٤٩ هـ) (***) السبتي، كان له تقدّم في علم الحديث وضبط رجاله . صنّف مشيخة (تبتاً بأسماء شيوخه احتوت على ألف شيخ) . وكان محمد بن جابر الوادي آشي (٦٧٣ - ٧٤٩ هـ) واسع المعرفة بالحديث قليل البضاعة في الفقه نعتّه ابن خلدون بإمام المُحدّثين في تونس، له «أربعون حديثاً» (تدلّ بروايتها عن رجال مُتباعدين في الأوطان على اتّساع رحلته) . وله تعاليق وأسانيد في الفقه .

ويذكرُ عبد الله كنون (ص ٢١٦، ٢١٧) أبا عبد الله الكرسوطي الفاسي المولود سنة ٦٩٠ ثم يذكرُ الكرسوطي الفاسي (لعلها واحدٌ، واختلاف التهجئة من خطأ الطبع) ويورد مع ذكرها عدداً من كتب الحديث والفقه . كما يذكر كنون أيضاً (ص ٢١٦) أبا القاسم بن عمران الحضرمي السبتي ويورد له «الشافى في اختصار التيسير والكافي» في فضل علوم القرآن والحديث . وهناك عبد الله بن محمد بن فرحون (٦٩٣ - ٧٦٩ هـ)، أصله من تونس ومولده ومشوّه وفاته في المدينة (لم يخرج منها إلّا إلى مكة)، له: الدرّ المُخلّص من التقيصيّ والمُلخّص (جمع فيه أحاديث الكتابين) - كشف المُفطى في شرح مختصر الموطأ (شرح للكتاب السابق كما في الديباج ١٤٥، الأسطر ٦ - ٨) .

ولمحمد بن محمد النذرومي التلمساني (ت بعد ٧٧٧ هـ) ثبّت (ذَكَرَ فيه ما أخذه عن مُعاصريه من علّمه الحديث) . وكان أبو عبد الله محمد بن سعيد الرُعيني الأندلسي

الفاشي (٦٨٥ - ٧٧٨ هـ) فقيهاً مُحدثاً (نفع الطيب ٢ : ٥٦٠) له نُحفة الناظر في غرائب الحديث. ولعلَّ كُتبه: تَسْيَةُ الغافل وتعليم الجاهل - الجامع المفيد - الاعتدال في الجهاد، قد كانت في الحديث.

ولابن مرزوق (ت ٧٨١ هـ) (***) شرحُ عمدة الأحكام عن سيّد الأنام - المُسند الصحيح الحَسَن في مآثر مولانا أبي الحسن (!).

وكان في هذه الحقبة سراجُ الدين عمرُ بنُ نور الدين الأنصاريُّ الأندلسيُّ (٧٢٣ - ٨٠٣ هـ)، جَلَسَ للإقراء في دِمَشْقَ والقاهرة، له: أَسْهُ رجالِ الكتب الستة - طبقاتُ الأولياء (تاريخ الفكر الأندلسي ٤٠٠). ومن كبارِ علمه الحديثُ سراجُ الدين عمرُ بنُ عليٍّ المعروفُ بابنِ المُلَقَّن (٧٢٣ - ٨٠٤ هـ) أصله من وادي آش ومولده ووفاته بالقاهرة له كتبٌ كثيرةٌ جدًّا منها: إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال - التذكرة في علوم الحديث - إيضاح الارتباب في معرفة ما يَشْتَبُه ويُتَصَحَّفُ من الأسماء والأنساب - الإعلام بفوائد عمدة الأحكام - التوضيحُ لشرح الجامع الصحيح (للبخاري) - المتنع في علم الحديث - خصائص أفضل المخلوقين - غاية السؤل (السؤل) في خصائص الرسول - شرح عمدة الحكام - التُّكْتُ اللطافُ في بيان الأحاديث الضعاف المُخرَّجة في مُسْتَدْرَكِ الحافظِ أبي عبد الله الحاكم النِّسَابُوري - البدرُ المنير في تخريج أحاديث الشرح الكبير - «خُلاصة البدر المنير» (في تخريج أحاديث شرح الوجيز للرافعي!) - طبقات المُحدثين - شرح زوائد مسلم على البخاري - شرح الجامع الصغير - مختصر شُعْبِ الإيمان - ثلاثة شروح على المنهاج (وهو شَرْحٌ على صحيح مسلم للنَّوَوِي).

ثم هنالك يحيى بنُ أحمدَ التَّنَزيُّ السَّراجُ الرُّنديُّ الفاسيُّ (ت ٨٠٥ هـ) الذي أُنْتَهَتْ إليه رئاسةُ الحديث في بلده ووقته، له تقييد أو «مُشِيخة». ولأبي القاسم قاسمُ بنُ عليٍّ التَّيْنَمَلِّيُّ الفاسيُّ المألَّفِي (٧٤٣ - ٨١١ هـ) «بَرْزَانَج» في مَنْ أَخَذَ عنهم، خرَّجَ له الصلاح الأقفهسيُّ جزءاً من مَرْوِيَّاته سماه «نُحْفَةُ القادِم» من فوائد الشيخ أبي القاسم. وهنالك مُحَمَّدُ بنُ عبدِ الملكِ المِنتُوريُّ (ت ٨٣٤ هـ) الغرناطيُّ الأصلُ المَغْرِبِيُّ الدَّارِلِي: فَهْرِسْتٌ (يَشْتَمِلُ على مَرْوِيَّاته) - الأُمالي في الأحاديث العوالي.

ولحمّد بن أحمد بن مرزوق العجيسي التلمساني المعروف بالحفيد (***)
 (٧٦٦ - ٨٤٢ هـ): أنواع الزراري في مكررات البخاري - التحرّح الرّيح في شرح
 الصحيح (للبخاري) رَجَزٌ في علم الحديث - روضة الإعلام بأنواع الحديث السام
 (السامي). ولأبي القاسم السّلوّي من أحياء القرن التاسع: شرح صحيح مسلم. ولأبي
 زيد عبد الرحمن بن محمّد الثعالبي الجزائري (٧٨٦ - ٨٧٥ هـ): الأنوار (في المعجزات
 النبويّة). وفي نحو سنة ٨٧٥ صَنَفَ أحمد بن زكريّا المغربي «مُعَلِّمَ الطُّلَّابِ بما للحديث
 من الألقاب» (طبقات الحديث: صحيح، حسن، مرفوع، مُرْسَل.....، ضعيف
 الخ).

وكان محمّد بن يوسف السّنوسي (٨٣٢ - ٨٩٥ هـ) متعدّد نواحي الشخصية كثير
 التّأليف له في الحديث: مكمل إكمال الإكمال - شرح مشكلات البخاري - مختصر
 الزركشي على البخاري - مختصر الرّوض الأنف (للسّهلي) - مختصر الأبي^(١) على
 (صحيح) مسلم. ومن الأسماء المشهورة في هذا الباب أبو عبد الله محمّد بن القاسم
 التلمساني المعروف بابن الرّصاع (ت ٨٩٤ هـ)، كان قاضياً وإماماً في جامع الزيتونة
 في تونس الحاضرة، له: تحفة الأخيار في الصلاة على النبيّ المختار - تذكرة المحبّين في
 أسماء سيّد المرسلين - الهداية الكافية. ومن علماء الحديث في هذه الحقبة أحمد بن
 زروق (ت ٨٩٩ هـ) (***)، له كتب في الحديث والفقه والتّصوّف. ولابن غاز المكناسي
 (ت ٩١٩ هـ) (***) : إرشاد اللبيب إلى مقاصد حديث الحبيب - الفهرسة المباركة
 (فهرس لمحمّد بن فاس وآثارهم).

..... علوم الفقه:

وكانت الرّغبة في الفقه دائماً شديدة. فمن فقهاء هذه الحقبة عبد السلام بن غالب
 المصراقي المعروف بابن غلاب (ت في القيروان ٦٤٨ هـ) له: الوجيز في الفقه. ومنهم
 راشد بن الوليد الفاسي (ت ٦٧٥ هـ) له: كتاب «الحلال والحرام» - حاشية على
 المدونة. ومنهم عبد الله بن سعد بن أبي جَمْرَة (حزرة) الأندلسي (ت ٦٩٩ هـ في

(١) الأبي (بالضمّ) هو محمّد بن خلفه (بالكسر) بن عمر من بلدة أنة (سها وبين القيروان ثلاثة أمّام) من
 علماء الحديث ومن الفقهاء، توفّي سنة ٨٣٧ هـ (١٤٢٤ م).

الأغلب) له: المقنع في الأحكام.

ومن فقهاء هذه الحقة أيضاً الرّناقي (ت ٧٠٢ هـ) له: شرح على الموطأ - شرح المدونة (ص ٢١٦، ٢١٧). ومنهم أيضاً محمد بن عبد الملك المراكشي (**): له: الجمع بين كتابي ابن القطان الفاسي وابن المواقى الغرناطي على « كتاب الأحكام » لعبد الحق الإشبيلي (ص ٢١٧).

ومن كبار الفقهاء ابن الحسن الصغير (بالصغير في الأغلب) علي بن عبد الحق الزرّويلي (ت ٧١٩ هـ) قاضي فاس له: الدرّ النّير في النوازل والأحكام - تقييد على المدونة (في عدة مجلدات) - فتاوى - تقييد على الرسالة (لابن أبي زيد) - تقييد على التهذيب.

ولابن الفخّار الجذامي المالقي (ت ٧٢٣ هـ) (**): شرح الرسالة - تحريم الشطرنج - شرح المختصر (؟). ولابن الشّاطّ القاسم بن عبيد الله الإشبيلي (ت ٧٢٥ هـ): غنية الرائض في علم الفرائض. ولمحمد بن عبد الله بن راشد القفصي (ت بعد ٧٣١ هـ): لباب اللباب فيما تضمّنه الكتاب من الأركان والشروط والموانع والأسباب (في فروع الفقه، تونس ١٣٤٦ هـ) - الشهاب الثاقب في شرح مختصر ابن الحاجب (في الفروع) - المذهب في ضبط قواعد المذهب - الفائق في معرفة الأحكام والوثائق - النظم البديع في اختصار التفرّيع - تحفة اللبيب في اختصار كتاب ابن الخطيب (؟). ثم هنالك لمحمد بن أحمد بن جزي (٦٩٣ - ٧٤١ هـ): القوانين الفقهية: قوانين الأحكام الشرعية ومائيل الفروع الفقهية (تونس ١٣٤١ - ١٣٤٤ هـ) - الأنوار السنية في الألفاظ السنية (؟). ولعبد الله بن علي بن سلكون الكيناني الغرناطي (٦٦٩ - ٧٤١ هـ) الشافي في تحرير ما وقع من الخلاف بين التبصرة والكافي - وثائق. ثم هنالك لعيسى بن مسعود الزواوي (٦٦٤ - ٧٤٣ هـ): شرح جامع الأمّهات - مناقب مالك (بهامش تزيين المالك للسيوطي، القاهرة ١٣٢٥ هـ). وكذلك لعز الدين محمد بن عبد السلام الهوّاري النّسيري (٦٧٦ - ٧٤٩ هـ) قاضي الجماعة في تونس: شرح جامع الأمّهات (لأبن الحاجب) - شرح مختصر ابن الحاجب - تفايد على مختصر ابن الحاجب (؟). ديوان

قَتَاوَى. وهنالك عبدُ الرحمن الجَزَوِيُّ (ت ٧٤١ هـ) له تقييدٌ على الرسالة (لأبن أبي زيد القيرواني).

وهنالك أيضاً أبْنُ أَبِي يَعْبَى التَّسْلَوِيُّ (ت ٧٤٩ هـ) له: تقييدٌ على المَدَوْنَةِ - شرح الرسالة - شرح التهذيب - شرح الأجوبة (ص ٢١٧). ثم يأتي السَّطِّيَّ (ت ٧٥٠ هـ) له: تعليقٌ على المَدَوْنَةِ - تعليقٌ على مختصر أبْنِ شَاسِرٍ (عبدِ الله بنِ مُحَمَّدٍ المِصْرِيِّ المَالِكِيِّ التَّوَفِيُّ ٦١٦ هـ) - شرحُ الحَوَفِيَّةِ (عليّ بنِ إِبْرَاهِيمَ الحَوَفِيِّ المِصْرِيِّ التَّوَفِيُّ ٤٣٠ هـ) (ص ٢١٨).

ويحسُنُ قطعُ الكلامِ هنا للتأكيد على قيمة «التَّوَتُّيق» في الفقه. اهتمَّ المغاربةُ والأندلسيونُ بالوثائقِ (العُقُود التي تُنظَّمُ بين المتعاملين لدى الكاتبِ الصِّدْلِ) وآلفوا فيها. من هؤلاء جميعاً عبدُ الله بنُ عليّ بنِ سَلْمُونِ الغَرْنَاطِيِّ (ت ٧٤١ هـ) وأبو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بنِ يَحْيَى الغَرْنَاطِيِّ (ت ٧٥١ هـ) وأبو القاسمِ بنُ سَلْمُونِ بنِ عليّ البَيَّاسِيِّ الغَرْنَاطِيِّ (ت ٧٦٧ هـ) له: العِقدُ المُنظَّم للحُكَّام فيما يجري بينَ أيديهم من الوثائق والأحكام. وآلف فيها مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ الفِشْتَالِيَّ (ت ٧٧٧ هـ). ثم هنالك القاضي أبو عبدِ الله مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بنِ عبدِ الملكِ بنِ شُعَيْبِ القَاسِي (ت ٧٧٧ هـ) أو (٧٧٩ هـ) له الفائقُ في (علم التأليف ب) - الوثائق. ولأبي عِمْرَانَ موسى بنِ عيسى المَغِيلِيَّ (ت ٧٩١ هـ) المَهْدُبُ الرائقُ في تدبيرِ الناشئ من القضاة وأهلِ الوثائق - قِلادة التسجيلات والعقود وتصرف القاضي والشهود.

ثم استمر الاهتمامُ بذلك طويلاً، فلأحمدُ بنِ يَحْيَى الوَنُشَرِيسِيُّ التلمساني (ت ٩١٤ هـ): الفائقُ في الأحكام والوثائق.

ونعودُ إلى المجرى الرئيسِ العامِّ في فروعِ الفقه.

كان من كبار الفقهاء والقضاة، في العلم والإقراء والقضاء، الشريف الغرناطي (ت ٧٦٠ هـ) (***) له: حصر مشارات (؟) القضاء بالأدلة.

وليوسف بنُ عُمَرَ الأنفاسيَّ (٦٦١ - ٧٦١ هـ) إمام جامعِ القَرَوَيْنِ بفاسَ تقييدٌ على رسالة ابنِ أبي زيدٍ تداوله الناسُ في أيامه. ولمحمدُ بنِ مُحَمَّدٍ الربيعي التونسي (٦٨١ - ٧٦٣ هـ) «مَشِيخَةٌ» خُرِّجَتْ له. ولمحمدُ بنِ الحسنِ المَالِقي (ت ٧٧١ هـ) شرحُ

مختصر ابن الحاجب. ثم لأبي عمران القندوسي (ت ٧٧٦ هـ): تقييدٌ على المدونة - تقييد على الرسالة - تقييد على التهذيب (ص ٢١٧).

ومن كبار الفقهاء الإمام الحافظ أبو العباس أحمد بن قاسم القاسي المعروف بالقاب (ت ٧٧٩ هـ) له: اختصار أحكام ابن القطان - شرح قواعد القاضي عياض - بيع ابن جماعة - فتاوى (ص ٢٠٥، ٢١٨). ومن الفقهاء محمد بن أحمد الشريشي (٦٩٤ - ٧٧٩ هـ) له: شرح المنهاج (للنووي، أربعة أجزاء) - زوائد الحاوي الصغير على المنهاج - اختصار الروضة.

وهناك أبو عبد الله محمد بن سعيد الرعيني الأندلسي القاسي (٦٨٥ - ٧٧٨ هـ) الفقيه المحدث (نفع الطبيب ٢: ٥٦٠) له: اختصار المقدمات (لأبي رشد) - الأسئلة والأجوبة - القواعد الخمس - المقدمات (٩) - شرح المقدمات - الجامع المفيد - تنبيه الغافل وتعليم الجاهل - الروضة البهية في البسمة والتصلية - المهاد في الجهاد (ص ٢١٧).

ومن كبار الفقهاء محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني (٧١٠ - ٧٨١ هـ) (*) له تأليفٌ عديدةٌ في فنون كثيرة (راجع الديباج، القاهرة، ص ٣٠٥ - ٣٠٩). أمّا الإمام الشاطبي (ت ٧٩٠ هـ) (*) فشهرته بالأصول أكبر من شهرته في الفروع.

ومن كبار الفقهاء ومشهورهم الإمام الشاطبي (*) المشهور أبو اسحاق إبراهيم بن موسى (ت ٧٩٠ هـ). كان مُفسراً ومحدثاً وفقياً وأصولياً نظاراً^(١) ولغوياً ونحوياً وبيانياً له استنتاجاتٌ جليلة وبحوثٌ مُحَرَّرة^(٢) وقواعدٌ مُحَقَّقةٌ وكان حريصاً على اتباع السنة مُجانباً للبدع وأهلها. وكان شاعراً ناثراً، قال لما آتَبْتُ بِأَهْلِ الْبِدْعِ: بُلَيْتُ، يَا قَوْمُ، وَالْبُلُوى مُنَوَّعةٌ بين أَدَارِيهِ حَتَّى كَادَ يُزْدِنِي^(٣). دَفَعُ الْمَضْرَةَ لَا جَلْبَ لِمَصْلَحَةٍ^(٤). فَحَسْبِيَ اللَّهُ فِي عَقْلِي وَفِي دِينِي!

(١) النظار: المأطر (الذي يحاول نصر رأيه بالبراهين) وخصوصاً في العقائد الدينية.

(٢) محررة (مصححة، مضبوطة).

(٣) أردى فلان فلاناً: أهلكه، أماته.

(٤) غابى دفع الضرر لا الاستفادة المادية. في قواعد الفقه أن دفع الضرر عن الناس مقدم على جلب المصلحة لهم.

ومن أقواله: «أما من تعسفَ وطلبَ المُحتملات والفَلَبَةَ بالمُشكلات وأعرضَ عن الواضحات فيخاف عليه التشبُّه بمن ذمَّه (ذمَّهم) الله في قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ﴾^(١) منه آبتغاء الفتنَة وآبتغاء تأويله^(٢). وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون: آمنا به، كلٌّ من عند ربنا. وما يذكر إلا أولو الألباب»^(٣).

وكان لا ينظر في كتب المتأخرين (القريبين من عصره) قال في مقدِّمة «الموافقات»:

... وأما ما ذكرتم من عدم اعتمادى على^(٤) التآليف المتأخرة فليس ذلك مني محض رأي، ولكن اعتمدته بحسب الخبرة عند النظر في كتب المتقدمين مع المتأخرين. وأعني بالتأخرين (نقراً) كابن بشير وابن شاس وابن الحاجب^(٥) ومن بعدهم، ولأنَّ بعض مَنْ لقيته من العلما في بالفقه أوصاني بالتحامي^(٦) عن كتب المتأخرين....

ومن كتب الإمام الشاطبي: الموافقات أو عنوان التعريف بأصول التكليف (في أصول الفقه يتوسط فيه بين مالك وأبي حنيفة) - المجالس (شرح فيه كتاب البيوع من صحيح البخاري) - الاعتصام (في التوحيد، وقد تكلم فيه على البدع وتعريفها وما أخذها وأحكامها) - البدع والحوادث^(٧) - أصول النحو - عنوان الاتفاق في علم

(١) الزين: الميل (بالفتح) والاعراف عن الحق والهدى. تشابه الأمران: أشبه كل واحد منها الآخر (الأمر المشابه: الذي يحتمل معنيين أو أكثر).

(٢) التأويل: الخروج (في التفسير) عن ظاهر الكلام.

(٣) اللَّبَّ (بالضم): العقل. هذه الآية في المتن من سورة آل عمران (٣: ٦) أو سبعة، بحسب التعداد في المصحف.

(٤) «على» زائدة (راجع السطر التالي).

(٥) لم أهند إلى ابن بشير هذا إلا في مقدِّمة ابن خلدون (بيروت ١٩٦١، ص ٨٠٧، ١٠٢١) وهو من الشراح المتأخرين على «المدونة» (في الفقه المالكي) - ابن شاس هو عبد الله بن محمد (ت ٦١٦ هـ) شيخ الفقهاء المالكية في عصره في مصر. - وابن الحاجب هو عثمان بن عمر (ت ٦٤٦ هـ) من كبار علماء العربية (النحو)، وله كتب في الفقه أيضاً. ولد في مصر، وسكن الشام مدة، وتوفي في الإسكندرية.

(٦) العَلَماني (٥): الكثير العلم. التحامي عن الشيء: اجتنابه، تركه.

(٧) الدعة (الجديد في الدين كما لم يغضه اللف). الحوادث (جمع حادثة): ما أحدثه الناس مما لا يقره الدين.

الاشتقاق - شرح على الخلاصة^(١) (في النحو) - الإفادات والإنشادات (فيه طُرفٌ ومُلحٌ أديبات وإنشادات، أي مقاطعٌ من الشعر).

ومن الذين شهدوا القرنين الثامن والتاسع محمد بن عبد الرحمن الفارسي المراكشي، صَنَّفَ سَنَةَ ٨٠١ كتاب «إسجاع الصِّمِّ في إثبات الشرف من قِبَلِ الأُمِّ»^(٢). ومنهم ابنُ عَرَفةَ الوَرُغَمِيُّ التُّونِسِيُّ (ت ٨٠٣ هـ) شيخُ الإسلام في المغرب، له: المُختَصَرُ في الفقه - الطرق الناصحة في عمل الناصحة^(٣) - البسوط في الفقه - مختصر الفرائض^(٤) - شرح الفرائض الحوفية^(٥) - الحدودُ الفِقيمية. وكذلك منهم ابنُ المُلقِّنِ (ت ٨٠٤ هـ)، وإن كان أكثرُ كُتُبِهِ شروحاً ومُختَصراتٍ، له: الإعلامُ بفوائدِ عمدة الحُكَّام - خلاصةُ الفتاوى في تسهيل أسرارِ الحاوي^(٦) - تصحيح الحاوي - شرح الحاوي الصغير - عُجالةُ المُحتاج على المنهاج (للنووي) - شرحُ منهاج النووي (في فروع الفِقه الشافعي) - العِقدُ المَذْهَبُ في طَبَقَاتِ حَمَلَةِ المَذْهَبِ (٢) = العِقدُ المذهب في طبقات الشافعية نُزْهَةُ النُّظَّارِ في قُضَاةِ الأُمصار - كلامٌ على سُنَّةِ الجُمُعَةِ القِبْلِيَّةِ والبَغْدِيَّةِ^(٧) (الهند ١٣١٤ هـ، في مجموعة) - شرح تَنْبِيهِ الشيرازي (بروكلمان ٢: ١١٣، الملحق ٢: ١٠٩؛ الزركلي ٥: ١٣١٨؛ سركيس ٢٥٢).

ولسعيد بن محمد التَّجِييَّ العَقْبَانِي التِّلِمَسَانِي (٧٢٠ - ٨١١ هـ) شرح الحوفية (في

(١) الخلاصة: أُلْفِيَةُ ابن مالك.

(٢) المفروض أن يكون النسب المعتمد من جانب الأب. فعند العرب قول خاطيء هو أن الأم وعاء (أي لا يرث الطفل شيئاً من خصائصها، وهذا طبياً خطأ). ويبدو أن هذا الكتاب محاولة لنقض هذا الرأي الخاطيء.

(٣) تناصح الرجلان: نصح كل واحد منهما الآخر. وناصح فلان نفسه في التوبة: كان مخلصاً فيها وصادقاً.

(٤) الفرائض (هنا) تقسيم الإرث.

(٥) أبو القاسم أحمد بن محمد بن خلف الحوفي القلاعي الإشبيلي (ت ٥٨٨ هـ) أصله من حوف مصر، كان قاضياً في إشبيلية ومن البارعين في الفرائض (تقسيم الإرث) له فيها «تصانيف كبير ومتوسط ومختصر، وكل ذلك بما بلغ في إجادته الغاية» (ابن فرحون ٥٣ - ٥٤؛ بروكلمان ١: ٤٨٠، الملحق ١: ٦٦٣ - ٦٦٤).

(٦) الحاوي (٢).

(٧) في صلاة السنة قبل صلاة الجمعة وبعد صلاة الجمعة أقوال للفقهاء.

الفرائض) - شرح الجمل للخونجي (محمد بن نامارو المتوفى ٦٤٦ هـ). وهناك عبد الرحمن بن يحيى الأصنوني المغيلي صنف، سنة ٨١٦، شرح التلمسانية.

وكان محمد بن أحمد الوائوغي التونسي (٧٥٩ - ٨١٩ هـ) متعدد نواحي الشخصية واسع الإلمام بكثير من فنون المعرفة الدينية والطبيعية حتى قال هو عن نفسه: «أُعْرِفُ ثَلَاثِينَ عِلْماً لَا يَعْرِفُ أَهْلُ عَصْرِي أَسْمَها!». وتأليفه كثيرة، وربما كرّر التأليف في الموضوع الواحد مراراً (راجع شذرات الذهب ٧: ١٣٨ - ١٤١؛ بغية الوعاة ١٣).

وهناك الفقيه المشهور أبو بكر بن عاصم (ت ٨٢٩ هـ) (***) الفرناطي، له: تحفة الحكّام في نُكْتِ العقود والأحكام (أرجوزة في قواعد القضاء)، ويُقال لها العاصمية وتحفة عاصم أيضاً (الجزائر ١٨٨٣، باريس ١٨٨٣ (٢)، الجزائر ١٨٩٢ - ١٨٩٣ م؛ الجزائر ١٢٨١ - ١٢٨٣ هـ، فاس ١٢٨٩ هـ)؛ عليها شرح: لأبي عبد الله محمد بن أحمد ميسارة (ت ١٠٧٢ هـ) (القاهرة ١٣١٤ هـ)؛ لمليّ بن عبد السلام التسولي (بولاق ١٢٥٦، القاهرة).

ومن الفقهاء أبو موسى الجنّاي (ت ٨٣٠ هـ) له تقييدٌ على المدوّنة. (ص ٢١٧). والغالب على تصانيف تقي الدين محمد بن أحمد القاسمي (٧٧٥ - ٨٣٢ هـ) التاريخ، ولكن له: إرشاد الناسك إلى معرفة الناسك (في الحج). ولقاسم بن عيسى القيرواني (ت ٨٣٧ هـ): شرح المدوّنة - شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني (مصر ١٣٣٠ هـ) - خلاصة من غاية التحصيل وترك التعليق والتزويل (التأويل!) للبرذعي (راجع نهاية التحصيل... بروكلمان ٢: ٣١١، سطر ١٩، الملحق ٢: ٣٣٧، السطر ٤ من أسفل). - شرح التهذيب (مختصر من المدوّنة) لابن البراذعي المتوفى سنة ٣٧٢ هـ (!).

وهناك يوسف بن إبراهيم الوائوغي (ت بعد ٨٣٨ هـ) له: كفاية الناسك في علم الناسك.

ومن الفقهاء البارعين في الأدب أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن الشّرّان الفرناطي، كان لا يزال حياً في سنة ٨٣٧، له تصانيف منها: الأرجوزة المنظومة في

الفرائض (تقسيم الإرث). وقد شرحها الحاسب المشهور القلصادي المتوفى سنة ٨٩١. جاء في مقدمة هذه الأرجوزة (نيل الابتهاج ٣١١-٣١٢):

دوامُ حالٍ من الحال واللفظ موجود على كلِّ حال^(١).
وعادة الأيام معهودة: حرب وسلم والليالي سجال^(٢).
منَّ لليلي بأثلاف؟ وم منَ اعتبارٍ في اختلاف الليال^(٣)!
والشمس بعد الغيم تُجلى، كما للغيث من بعد القنوط أنهار.
والنصر بالصبر مُحلى الطُّبا، والجَدَّ بالجَدِّ مَرِيضُ النَّبال^(٤).
وما على الدهر انتقادُ على حالٍ، فإنَّ الحالَ ذاتُ انتقال.
والسيف قد بصدأ في غمده، ثمَّ يُجَلِّي صَفَحَتَيْهِ الصِّقال.
والفرَجَ الموهوبُ تجري به لطائفٌ لم تَجِرْ يوماً بِبال.
فصابر الدهرَ بِجَالِيهِ من حُلُوٍّ ومُرٍّ وأعتدا وأعتدال^(٥).
فما له^(٦) صبرٌ على حالة. وإنَّما الصبرُ حُلِيُّ الرجال.
ولا يَضِيقُ صدرك من أزمَةٍ ضاقت، فصنَّع الله رَحْبَ المَجال.

والواضح أنَّ هذه الأبيات من مقدِّمة الأرجوزة قبل الوصول إلى معالجة تقسيم الإرث.

وأبْنُ مرزوقِ الحفيدُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ (ت ٨٤٢ هـ) (***) من المشاهير، له: آغتنام الفرصة في معاداة عالم قفصة (ابن يحيى بن عقيبة، في التفسير والفقه) - شرح مختصر خليل - الأمل في شرح الجمل (للخونجى). وهنالكَ أحمد بن مُحَمَّد البرزلى

- (١) اللطف (لطف الله بمباهدة): رعاية الله للبتر بدفع المكروه عنهم.
- (٢) معهودة (حرت العادة بأنها سيئة). سجال: متداول (مرَّة يكون النصر لهؤلاء ومرَّة لأولئك).
- (٣) اغتبار = عبرة (درس ذو مغزى). اختلاف الليالي (تقلُّها خيراً وشرًّا).
- (٤) الظبة (بضم ففتح بلا تشديد): حد السيف (لا ينفع الضرب بالسيف إلَّا مع الصبر والثبات في القتال). مريض النبال (يوضع للسهم ريش في مؤخرته حتى يستقيم سيره في الهواء): يصيب هدفه.
- (٥) صابر الخصم خصمه: بارأه في الصبر (في طول الصبر) وغله (صر أكثر منه).
- (٦) للدهر

(٧٤١-٨٤٤ هـ)، وقد طال عمره كثيراً، وكان إمام جامع الزيتونة في تونس، له: جامع مسائل الأحكام فيما نزل من القضايا بالفتن والحكام. وهنالك محمد بن محمد الفرناطي (٧٨٢-٨٥٣ هـ) له: أنتصار الفقير السالك لترجيح مذهب مالك. ولقاسم ابن سميد العقباني التلمساني (ت ٨٥٤ هـ) تعليق على ابن الحاجب (في الفقه! راجع الزركلي ٦: ١٠). ثم هنالك لإبراهيم بن فائد الزواوي الجزائري (٧٩٦-٨٥٧ هـ): تسهيل السبيل لمقتطف أزهار خليل - فيض النيل في شرح مختصر خليل - تحفة المشتاق في شرح مختصر خليل بن إسحاق.

وفي سنة ٨٦٤ صنف محمد بن محمد بن منصور القيسي الأندلسي فتوى في حقوق المرأة المطلقة.

وذكر خير الدين الزركلي اثنين باسم محمد العقباني أثبت موتها سنة ٨٧١: أحدهما محمد بن أحمد بن قاسم بن سميد من أهل تلمسان له «تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر» (٦: ٢٣١) وثانيهما محمد بن العباس بن محمد بن عيسى التلمساني النحوي أورد له «فتاوى» وعدداً من كتب النحو (٧: ٥٣). وقد ذكر بروكلمن الأول منها (الملحق ٢: ٣٤٦). وذكر بروكلمن «العقباني» مجرداً وأورد له حاشية على كتاب ابن الحاجب: منتهى السؤال (السؤل) والأمل في علمي الأصول والجدل (الملحق ١: ٥٣٨، السطر ١١).

وهنالك القوري (ت ٨٧٢ هـ) له: شرح مختصر خليل (في ثمانية مجلدات) - المنهل المورود شرح المقيّد الممود لابن الجنان (من أحياء القرن الثامن) - شرح وثائق الفرناطي (ص ٢١٦، ٢١٧). ولأبي زيد عبد الرحمن بن مخلوف الجزائري (٧٨٦-٨٧٥ هـ): جامع الأتمهات في أحكام العبادات - الإرشاد إلى مصالح العباد - شرح على مختصر خليل بن إسحاق - شرح على مختصر ابن الحاجب (في فروع الفقه، جمع فيه نخب كلام ابن رشد وابن عبد السلام وابن هارون و خليل بن إسحاق وأبي عرفة).

ونسب بروكلمن (٢: ٣١٩ مرتين، الملحق ٢: ٣٤٧، ٣٤٨) «الدّر المكنونة في نوازل المازونة» إلى أبي عمران موسى بن عيسى الغيلي المازوني (ت ٧٩١ هـ) وإلى

أَبْنَهُ أَبِي يَحْيَى زَكَرِيَّا (ت ٨٨٣ هـ)، مع أَنَّ الْفَرْقَ بَيْنَ سَتَيْ وَفَاتَيْهَا نُحِيلُ أَنْ يَكُونَ الثَّانِي أَبْنًا لِلأَوَّلِ (ولعل المازونة هذه رسالة أو أرجوزة. ومازونة في الأصل فَرْعٌ مِنْ قَبِيلَةٍ مَغِيلَةٍ).

وهناك عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ اللَّطْفِيُّ الْمَكْنَسِيُّ (ت ٨٨٠ هـ) مِنْ أَهْلِ فَاسَ لَهُ تَقَايِيدُ عَلَى مُخْتَصَرِ خَلِيلٍ (ص ٢٢٠). ثُمَّ هُنَاكَ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَشْدَالِيُّ (ت ٨٦٦ هـ) لَهُ: تَكْمَلَةٌ حَاشِيَةٌ أَبِي مَهْدِي الْوَانُغِيِّ عَلَى الْمُدَوَّنَةِ - مُخْتَصَرِ الْبَيَانِ لِابْنِ رِشْدٍ (رَتَّبَهُ عَلَى نَسَقِ مَسَائِلِ ابْنِ الْحَاجِبِ وَجَعَلَهُ شَرْحًا لَهُ وَرَدَّ كُلَّ مَسْأَلَةٍ إِلَى مَوْضِعِهَا مِنْ الْإِحَالَاتِ، فَجَاءَتْ فِي غَايَةِ الْإِتْقَانِ وَالتَّسْيِيرِ؛ وَتَرَكَ مِنْ مَسَائِلِهِ مَا لَا تَعَلَّقَ لَهُ أَصْلًا بِكَلَامِ ابْنِ الْحَاجِبِ وَلَا يَقْرُبُ إِلَيْهِ بَوَاجِهُ) - أَخْتَصَارُ أَجْمَاتِ ابْنِ عَرَفَةَ (فِي مُخْتَصَرِ ابْنِ عَرَفَةَ لِتِلْكَ الْمَسَائِلِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِكَلَامِ ابْنِ شَاسٍ وَابْنِ الْحَاجِبِ. ثُمَّ شَرَحَ هَذِهِ مَعَ زِيَادَةِ شَيْءٍ يَسِيرٍ تَمَّا لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ ابْنُ عَرَفَةَ). ثُمَّ هُنَاكَ أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ الْعِلْمِيُّ الْقُسْنَطِينِيُّ (ت ٨٨٨ هـ) لَهُ: تَقَايِيدُ عَلَى الْمُدَوَّنَةِ - مُخْتَصَرِ خَلِيلٍ - الرَّسَالَةِ. وَمِنْ مَشَاهِيرِ الْفُقَهَاءِ وَالْمُؤَلِّفِينَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ السَّنُوسِيِّ (ت ٨٩٥ هـ) لَهُ كُتُبٌ مِنْهَا: شَرْحُ مُخْتَصَرِ ابْنِ عَرَفَةَ - مَكْمَلُ إِكْمَالِ الْإِكْمَالِ - نُصْرَةُ الْفَقِيرِ فِي الرَّدِّ عَنِ أَبِي الْحَسَنِ الصَّغِيرِ (بِالتَّصْفِيرِ!) - شَرْحُ الْوُغْلِيْسِيَّةِ - نَظْمٌ فِي الْفُرَائِضِ - تَعْلِيقٌ عَلَى (مُخْتَصَرِ!) ابْنِ الْحَاجِبِ - شَرْحٌ عَلَى الْحَوْفِيَّةِ (فِي الْفُرَائِضِ). وَلِمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْأَزْرَقِ (ت ٨٩٦ هـ) (***) شَفَاءُ الْغَلِيلِ فِي شَرْحِ مُخْتَصَرِ خَلِيلٍ. وَهُنَاكَ أَحَدٌ مِنْ زَكَرِيَّ التَّلْمَسَانِيِّ (ت ٨٩٩ هـ) لَهُ مَسَائِلُ الْقَضَاءِ وَالْفُتْيَا.

وهناك أَيْضًا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ السَّقَطِيِّ الْمَالْتَقِيَّ، كَانَ فِي أَوَاخِرِ الْقَرْنِ التَّاسِعِ، لَهُ كِتَابٌ فِي الْحِسْبَةِ. وَمِنْ فُقَهَاءِ هَذِهِ الْحِقْبَةِ مُحَمَّدُ بْنُ (مُحَمَّدِ بْنِ) يُوسُفَ الْمَوَاقِ (ت ٨٩٧ هـ)، عَالِمُ غَرْنَاطَةٍ فِي وَقْتِهِ، لَهُ: شَرْحُ مُخْتَصَرِ خَلِيلٍ. ثُمَّ يَأْتِي هُنَا أَحَدٌ مِنْ أَحَدِ الْمَعْرُوفِ بِزُرُقٍ (ت ٨٩٩ هـ) لَهُ: شَرْحٌ عَلَى رِسَالَةِ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ (مصر ١٣٣٢ هـ). وَقَدْ أوردَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ كُنُونٌ (ص ٢١٨) عِدَدًا مِنَ الْكُتُبِ فِي الْفِقْهِ وَأَصُولِ الْفِقْهِ وَالتَّصَوُّفِ لَمْ يُمَيِّزْ بَعْضَهَا مِنْ بَعْضٍ (رَاجِعْ أَيْضًا شَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٧: ٣٦٣).

وَأَبُو سَالِمٍ إِبْرَاهِيمَ بْنُ هَلَالٍ (ت ٩٠٣ هـ) شَيْخٌ سِجْلَمَاسَةٌ وَمُتَنِيهَا: كِتَابُ

الناسك (فاس ١٣١٨ هـ) - فتاوى (ص ٢١٧ ثم بروكلمن، الملحق ٢: ٣٤٨).

وكان محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت ٩٠٩ هـ) من القائمين بنشر الإسلام وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المغرب نفسه ثم في بلاد السودان فدخل بلاد أهر وبلاد كنو وكشن ثم رحل إلى بلاد التكرور فوصل إلى بلدة كاغو وأجتمع بسطانها ساسكي محمد الحاج؛ له تصانيف منها: مغني النبيل شرح مختصر خليل - إكليل المغني (حاشية على مختصر خليل) - أحكام أهل الذمة. وكان له شعر يسير عادي عليه جفاف لفه العلماء (راجع في ذلك كله نيل الابتهاج ص ٣٣٠ - ٣٣٢). من هذا الشعر في إنكار صحة المنطق والاكتفاء بقول الشرع (وقد كتب بذلك إلى الإمام جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١):

سَمِعْتُ بِأَمْرٍ مَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ؛ وَكُلُّ حَدِيثٍ حُكْمُهُ حُكْمُ أَصْلِهِ^(١).
أَيَكُنْ أَنَّ الْمَرْءَ فِي الْعِلْمِ حُجَّةٌ وَيَنْهَى عَنِ الْفُرْقَانِ فِي بَعْضِ قَوْلِهِ^(٢)؟
هَلِ الْمُنْطَقُ الْمَغْنِيُّ إِلَّا عِبَارَةٌ عَنِ الْحَقِّ أَوْ تَحْقِيقِهِ حِينَ جَهْلِهِ^(٣).
مَعَانِيهِ فِي كُلِّ الْكَلَامِ؛ وَهَلْ تَرَى دَلِيلًا صَحِيحًا لَا يُرَدُّ لَشَكْلِهِ^(٤)؟
خِذِ الْحَقَّ حَقًّا مِنْ كُفُورٍ، وَلَا تُثَمِّمْ دَلِيلًا عَلَى شَخْصٍ بِمَذْهَبٍ مِثْلِهِ^(٥).
عَرَفْنَاهُمْ بِالْحَقِّ، لَا الْعَكْسَ، فَاسْتَبِينَ بِهِ لَا يَبْهَمُ، إِذْ هُمْ هُدَاةٌ لِأَجَلِهِ^(٦).

وفي سنة ٩٠٩ هـ صنف يوسف دليلي البرغواوي بن محمد العجيزي الحنفي كتاب

- (١) الحديث (القول المروي عن رسول الله) أو كل قول آخر. حكمه حكم أصله (تكون مرتبته في الصحة كمزلة راويه (أو قائله) من الصدق والثقة).
- (٢) الفرقان: القرآن الكريم. ينهى عن الفرقان في بعض قوله (يجعل أقوال الرسول) - في بعض الأمور - فوق قول القرآن، كالذين يقولون إن السنة أو أقوال الرسول وأفعاله، نسخ بعض ما جاء في القرآن).
- (٣) المنطق «طريق» للوصول إلى الحق أو لاستخراج المجهول من المعلوم.
- (٤) معاني المنطق (أحكامه) مأخوذة من الكلام المألوف (ولكن مرتبة على منهج مخصوص). والدليل الصحيح (على صحة حكم) يقاس بدليل آخر قام على صحة حكم آخر.
- (٥) لا تحكم على إنسان بسلك شخص آخر (ولو كانا رفيقين أو جارين أو من أتباع دين واحد).
- (٦) نحن نعرف مكانة كل إنسان بما في قوله من الصواب، ولا نعرف صواب القول من مزلة قائله عندنا. لأجله = لأجل الحق.

المَهْمَات في العبادات (في الفقه الحنفي). ولأبي الحسن علي بن القاسم التَّجِيبِي الرِّقَاقِي (ت ٩١٢ هـ): المنهَجُ الْمُتَخَبُّ إلى أصول المذهب - لامية (في واجبات القاضي). وعلى هذين المصنفين شروح كثيرة معظمها مطبوع (بروكلمان ٢ : ٣٤١ - ٣٤٢، الملحق ٢ : ٣٧٦؛ الزركلي ٥ : ١٣٧ = ٤ : ٣٢٠).

ومن مشاهير الفقهاء أحمد بن يحيى التلمساني النشريسي (ت ٩١٤ هـ) له: إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام أبي عبد الله مالك - المنهج الفائق والمسهل الرائق في أحكام الوثائق (في آداب المؤتق - طبع فاس ١٢٩٨ هـ؛ في نشرة المراسلات الإفريقية بالفرنسية ١٨٨٤ م) - الميعار المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب (فاس ١٣١٤ - ١٣١٥ هـ؛ الوثائق المراكشية بالفرنسية، باريس ١٩٠٨ م) - أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبة والزواج (منشأ بالمانية ١٨٦٦ م) - كتاب الآقضية (نشره مركز الدراسات العليا في المغرب، المجلد الثامن، ١٩٣٧ م).

وفي هذه الحقبة يأتي محمد بن عبد الله اليفرقي الكناسي (ت ٩١٧ هـ) قاضي فاس، له المجالس (في الفقه) - التنبيه والإعلام فيما قضى به القضاء وأفتى به الحكام من الأوهام (ص ٢١٨). وابن ميمون الإدريسي (٩١٧ هـ) رسالة الإخوان من أهل الفقه وحلة القرآن (ص ٢١٧). ومن الفقهاء والمكثرين في التأليف محمد بن أحمد بن غاز القاسمي الكناسي (٨٤١ - ٩١٩ هـ) (**)، له في الفقه: تحرير المقالة في نظائر الرسالة (رسالة ابن أبي زيد القيرواني) وهي منظومة - الكليات الفقهية. وإبراهيم الفيجي (ت ٩٢٠ هـ) (**). المفيد في الفقه. وفي هذه الحقبة أيضاً بمن لا نعرف زعمهم بالدقة أبو منصور المغراوي السجلسي، له المسائل الفقهية المنوطة بالأحكام الشرعية. ثم هنالك عبد النور العمراني، له تقييد على المدونة - فتاوى. وربما دخل في هذه الحقبة القاضي محمود كمت بن المتوكل كمت الكرمي داراً التبتكتي مسكناً الوعكري الصنهاجي (٨٦٥ - ٩٥٥ هـ)، ولعله قد بلغ أشده في سنة ٩٢٥ هـ، له تقييد على مختصر خليل. وربما دخل فيها أيضاً محمد بن محمد الرعيني الخطاب

(**) له ترجمة في هذا الجزء.

الصغير (٩٠٢ - ٩٥٤ هـ)، أصله من المغرب ومولده ومشوؤه في مكّة ووفاته في طرابلس (ليبيا)، وهو فقيه مالكيّ من علماء المتصوّفين، له: مواهب الجليل في شرح مختصر خليل - إرشاد السالك المحتاج إلى بيان المغتفر والحاج - هداية السالك المحتاج إلى بيان أفعال المعتمر والحاج (أوردَ بركلان ٥٢٦: ٢، هذين العنوانين على أنها كتابان مستقلّان) - تحرير الكلام في مسائل الالتزام (فاس ١٣٠٥ هـ) - شرح نظائر رسالة ابن أبي زيد (لابن غز) - مواهب الجليل في شرح مختصر أبي الضياء سيدي خليل (مصر: مطبعة السعادة ١٣٢٨ - ١٣٢٩ هـ؛ المطبعة الميمنية ١٣٣١ هـ).

ومن فقهاء الإباضية أبو طاهر إسماعيل بن موسى الجيطاليّ، من جيطال في جبل نفوسة (جنوب غربي ليبيا اليوم) له قناطر الخيرات (يصف فيه مرور المؤمنين على مقامات سبع عشرة من قناطر الصراط حتّى يصلوا إلى الجنان؛ القاهرة ١٣٠٧ هـ) - قواعد الإسلام (القاهرة، بلا تاريخ) مع شرح لعبد الله بن محمد الكسي. ثم هنالك أبو الفضل أبو القاسم بن إبراهيم البراديّ الدماريّ تلميذ أبي سكن عامر السماخيّ. صنّف البراديّ، سنة ٨١٠ هـ؛ «الجواهر المنتقاة من إتمام ما أحلّ (أخلّ) الدارجيني به (في) كتاب طبقات المشايخ (راجع ترجمة الدارجيني، ت ٦٧٠). ثم يأتي أشهر مصنفي الإباضية أبو العباس أحمد بن سعيد بن عبد الواحد السماخيّ البفريّ العامري (ت ٩٢٨ هـ)، له: كتاب السير (مختصر ثم تكملته لكتاب السير*) لأبي زكريّا يحيى بن أبي بكر الورجلاني الإباضي المتوفى سنة ٤٧١ هـ ومن كتاب طبقات المشايخ للدرجيني المتوفى سنة ٦٧٠ هـ ومن كتاب الجواهر المنتقاة للبرادي) - سرد الحجّة على أهل الغفلة. وهنالك مصنّف إباضي آخر، لعله من هذه الحقة، هو سالم بن سعيد الصائغي (أو الصائغي؟) له: «لباب الآثار الواردة عن مشايخ (المشايخ؟) المتأخرين الاخير (في الأديان).

أصول الدين وعلم الكلام

وفي الفقهاء من يغلّب عليه علم الكلام (في تخريج الأدلة أو في سياقة الجدل، وفي

الدفاع عن الرأي المُعْتَقَدِ أو الردَّ على آراء المُخالفين في الاعتقاد) أو يَغْلِبُ عليهم التصوُّفُ (من إقامة الأحوال الروحية مكانَ الأسباب المادية). من هؤلاء جميعاً عبدُ الحكيم بن برّاجان الأندلسي له «شرحُ الأسماء الحسنى». ومنهم مُحَمَّدُ بْنُ خَلِيلِ التُونِسِيِّ السَّكُونِي (ت ٧١٦ هـ) له «لحنُ العوالمِ فيما يتعلّق بعلمِ الكلام». ومنهم المتصوِّفُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ قَرْحُونٍ (ت ٧٤٦ هـ) له: الزاهر (ديوان شعره) - التصدير والتعجيز (أو التذييل) : وكذلك منهم أبو إسحاق إبراهيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ المُرْسِيِّ الأندلسي (ت ٧٥١ هـ) له «زهرُ الكيام في قصّة يوسفَ عليه السلام» (وهي مقاماتٌ فيها شواهدٌ من القرآن الكريم والحديث ومن التأملِ والأخلاق وأشياء من القَصَصِ، شِعراً ونثراً مسجوعاً). وقد كان لهذه القِصّة شهرةً (طُبعت في بودابست سنة ١٨٨١ م؛ القاهرة سنة ١٢٢٧، ١٣٠٦، ١٣٤١ هـ).

ويبدو أن كُتِبَ الأصول (أصول الدين وأصول الفقه) كانت في هذه الحِقْبَةِ قليلة. ففي هذا الباب يدخل مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْبَقَالِ (ت ٧٢٥ هـ) من أهلِ تازة ثم سكن فاس. وكان مُلِماً بعددٍ من فنون العلم ولكنه اشتهر بالأصول، له «الأجوبة في التفسير والأصول». وهناك مُعاصره ابنُ الشاطِ الأِشْبِيلِيّ (ت ٧٢٥ هـ) له «أنوارُ البروق في تعقّب القواعد والفروق». وفي هذه الحِقْبَةِ أيضاً مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عُثْمَانَ الرُّعَيْنِيّ (٦٨٥ - ٧٧٨ هـ) الأندلسيُّ الأصلُ الفاسيُّ الدارِ مولداً ووفاةً، له: اختصار المُقَدِّماتِ المُهَدَّاتِ (لابنِ رشد) - اختصارُ حدود الشيرازي - الأسئلة والأجوبة - تنبيه الغافل وتعليم الجاهل - الجامع المفيد - الاعتاد في الجهاد. وكذلك لعبدِ الرحمنِ بْنِ أَحَدٍ الوَغْلِسِيِّ (ت ٧٨٦ هـ): المُقَدِّمَةُ (أو العقيدة) الوغْلِسِيَّة - رسالة في الإيمان والإسلام.

وقد مرَّ الكلامُ على الإمام المشهور أبي إسحاق الشاطبي (ت ٧٩٠ هـ) عندَ الكلامِ على الفقه.

وتبرُّزُ الإشارة هنا إلى أنسلمو تورميذا الذي وُلِدَ في جزيرة مَيُورْقَة وتعلَّم في لاردة (إسبانية) وبولونيا (إيطالية) وأصبحَ راهباً فرنسيسكانياً. وكان قد صَنَفَ مُناظرة باللغة الكاتالانية (لهجة شَالِيّ شرقيّ إسبانية) اسمُها «الجِدالُ بين الحيار

والفرنسيسكاني أنسلمو تورميديا». وقد نَصَحَهُ الأسقفُ نقولا مارتلَ بأن يعتنقَ الإسلامَ - وكان الأسقفُ مارتلَ نفسه مسلماً في قلبه. فانتقلَ أنسلمو إلى تُونِسَ سنة ٨٢٣ هـ (١٤٢٠ م) - قبلَ خروجِ العربِ من الأندلسِ بِاثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ عاماً - واعتنقَ هنالك الإسلامَ وتسمّى عبدُ الله بن عبدِ الله، وعُرفَ بالترجّانِ الميورقي^(١)، ثم صَنَّفَ رسالةً عنوانها: نُحْفَةُ الأريبِ (أو اللبيب) في الردِّ على أهلِ الصليبِ.

وهناك أيضاً يحيى بن إبراهيم بن عُمَرَ الرقيليُّ من أحياء القرن التاسع له: تجريد المِلَّة (في الردِّ على اليهود) - كتابُ المُجادلة مع اليهود والنصارى.

ومن علماء الكلام في القرن التاسع أبو حفص عُمَرُ بنُ جامعة الإباضي له كتاب في العقيدة عليه عددٌ من الشروح. ثم هنالك عبدُ العزيز بن عبدِ العزيز اللَّمطي المكناسي (ت نحو ٨٨٠ هـ) له نظْمٌ في المنطق وفي الأصول وفي الفقه. وله تقايد على « مختصر خليل » (في الفقه).

ولأحمد بن عبدِ الله الجزائري الزاوي (٨٠٠ - ٨٨٤ هـ) قصيدةٌ في التوحيد (علم الكلام) تُلَفَّى بعنوانين مُختلفين: المنظومة الجزائرية - القصيدة - كفاية المريد (وهي نَيْفٌ وأربعمائة بيتٍ شَرَحَهَا كثيرون). ومن المُكثَرين في التأليفِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدَ بنِ عيسى البرنسي الفاسي المعروفُ بِزَرَّوق (٨٤٦ - ٨٩٩ هـ) من أهلِ فاس، ولكنه توفّي في تَكْرين بجوار طرأنس (ليبيا)، له كُتُبٌ منها: شرحٌ مختصر خليل - شرح رسالة أبي زيد القيرواني - الجُنة للمعتصم من البدع بالسُّنة^(٢) - شرح العقيدة القدسيّة، الخ. ولأبي انعبّاس أحمد بن محمد الفاسي (؟)

(١) يذكر عبد الله بن عبد الله الترّجان الميورقي في هذه الرسالة بلدَه ومَنشأَه ثم رحلته ودخوله في الإسلام في أيام الأمير الحفصي (في تونس) أبي العباس أحمد (٧٧٢ - ٧٩٦ هـ) وأيام ابنه أبي فارس عزّوز (٧٩٦ - ٨٣٧ هـ) ويبيّن مقصود الرسالة في تسعة أبواب (ست وثمانين صفحة): وقد طبعت هذه الرسالة في لندن بلا تاريخ. وطبعت في تونس ١٢٩٠ هـ وفي مصر ١٨٩٥ م و١٩٠٤ م (راجع بروكلمان ٢: ٣٢٢ - ٣٢٣، الملحق ٢: ٣٥٢؛ معجم المطبوعات العربية ٦٣٠ عن كشف الظنون).

(٢) الجُنة (بالضّم): الوقاية. البدعة: الأمر المحدث في الدين تماماً لا يتفق مع المروئي في الدين (وإن كان هنالك بدعة حسنة لا ضرر منها ثم بدعة سيئة). السُّنة: قول رسول الله وعمله.

أرجوزة» في أن اللغة فضيلة الإنسان « (في المنطق!) صنفها سنة ٩٠٠ هـ. ثم هنالك أحمد بن محمد بن زكري التليسماني (ت ٩٠٦ هـ) أو قبل ذلك بقليل (راجع الأعلام للزركلي، ط ٤، ١: ٢٣١) والحاشية التي معه). ولابن زكري هذا: مُوصل المقاصد (أرجوزة) - بُغية الطالب - المسائل العشر المسماة ببغية المقاصد وخلاصة المراسد (بروكلمن، الملحق ٢: ٢٥٧).

التصوف

وحينما تَضُمُّ السُّلْطَةُ السِّياسِيَّةُ أو تَحْتَلِّ الحَيَاةَ الاجْتِمَاعِيَّةَ تَنْسَعُ الأَحْوَائُ الصُّوفِيَّةُ، لأنَّ الذين يَعْجِزُونَ حينئذٍ عن القيام بالإصلاح الاجتماعي أو يَقْصُرُونَ في دفع عجلة القوَّة المادِّيَّة يعتزلون الحياة العامَّةَ ويسْتَرُونَ عَجْزَهُم بالتظاهر بحياة التقوى والتوكُّل.

ففي أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن كان ابن الرِّقَامِ شمسُ الدين أبو الفضل القاسمُ بنُ سَعْدِ السَّبْتي التُّونسي (ت ٧٠٥ هـ)؛ له: اصطلاحُ الصُّوفِيَّةِ والتَّنْبِيهِ على مقاصدهم الجُزْئِيَّةِ والكُلِّيَّةِ - تكملةُ الأنوار من علوم المُجَرِّبين الأبرار. وكذلك كان مُحَمَّدُ بنُ أَبِي القاسمِ الحِميريِّ (بروكلمن ٢: ٣٢٧) المعروفُ بابنِ الصَّبَّاحِ، له دُرَّةُ الأسرار وتُحْفَةُ الأبرار في مناقب سيدي أبي الحسن الشاذلي (تونس ١٣٠٤ هـ).

وفي هذه الحِقْبَةِ أبْنُ الحاجِّ القاسيُّ أبو عبدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدِ العَبْدَرِيِّ القَيْرَوَانِي التِّلِيسْمَانِي (ت القاهرة ٧٣٧ هـ) له: شمسُ الأنوار وكُنُوزُ الأسرار (الكبرى: سحر وطلاسم) طبع في مصر ١٢٩٧ هـ ثم ١٣٢٩ هـ. - المُدْخَلُ أو مَدْخَلُ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ على المذاهب الأربعة، كشف فيه عن معائبٍ وِبدَعٍ يَفْعَلُهَا النَّاسُ ويتساهلون فيها أَكْثَرُها تَمَّا يُنْكَرُ وبعضها تَمَّا يُحْتَمَلُ (طبع في الاسكندرية ١٢٩٧ هـ والقاهرة ١٣٢٠ هـ) - بلوغُ القَصْدِ والنُّنى في خواصِّ أسماءِ الله الحسنى.

وَنَجِدُ في القرن الثامن أبا عبدِ اللهِ مُحَمَّدَ بنَ سَعِيدِ الصِّنْهَاجِي، عاش في النصف الأوَّل من القرن الثامن، له: كنزُ الأسرار ولَوَاقِحُ الأفكار - التُّحْفَةُ الطَّرِيفَةُ في الأسرار الشريفة. وكذلك نَجِدُ لِعَلِيِّ بنِ عُمَرَ الهَوَارِيِّ التُّونسيِّ « مناقبَ الصالح عِيَاد

الزَيَّات». ونجد أيضاً عَمَرَ الجزائريَّ الرشيدِيَّ، جاء إلى تُونِسَ سَنَةَ ٧٥٧ هـ، وصنَّف ابتسام المروس ووشَى الطُّروس في مناقبِ أبي العبَّاسِ أحمدَ بنِ عروس (تونس ١٣٠٣ هـ) - قنَّعُ النفوس من كلامِ أبي عروس - ديوان (القاهرة ١٨٨٠ م).

وفي هذه الحِقْبَةِ كان جالُ الدين أبو الحاسن يوسفُ بنُ عليَّ الندروميَّ (من ندرومة قرب وهران بالجزائر اليوم) له قَبَسُ الأنوار وجَمْعُ الأسرار (في معاني الحروف في أسماء النبات والحيوان) صنَّفه سنة ٧٨٦. وفيها الفقيهُ الخطيبُ العارفُ المحقِّقُ أبو عبدِ الله محمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ عبَّادٍ (***) النَّفَرِيُّ الرُّنْدِيُّ (٧٣٣ - ٧٩٢ هـ).

وكان فيها أيضاً أبو العبَّاسِ أحمدُ بنُ يوسفَ التُّجِيبِيِّ بنِ البناءِ السَّرْقَاطِيِّ القاسِيَّ (توفي في فاس قُبيلَ مبدأ القرن التاسع) نظم في التصوِّف، له: المباحث الأصلية عن جملة الصوفية. وفيها أحمدُ النادِيَّ المتوفَّى في تُونِسَ بُعيدَ القرن الثامن، له: مناقبُ الصالحة عائشة بنتِ عمران المنويِّ. ثم هنالك محمدُ بنُ محمدٍ بنِ يعقوبَ الكومِيَّ التُّونِسِيَّ، صنَّف بُعيدَ ٨١٠ هـ «تيسير المطالب ورغبة الطالب».

ومن المتصوِّفة المشهورين المُكثَرين من التأليف شهابُ الدين أبو العبَّاسِ أبو الفضل أحمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدَ بنِ عيسى بنِ زَرْوَقِ الحضارِ البرنسي القاسي (ت ٨٩٩ هـ)، له: الكِنَاش (أصول الحقيقة والطريقة. مطبوعاً مع شرح بقلم محمد بن أحمد الخروبي وبمعنوان: قواعد التصوِّف، القاهرة ١٣١٨ هـ) - النصيحة الكافية لمن خصَّه الله بالعافية (القاهرة ١٢٨١ هـ) - المُقْصِدُ الأسمى فيما يتعلَّق بمقاصد الأسماء (الأسماء الحسنى) - المُقْصِدُ الأسنَى في شرح الأسماء الحسنى - الوظيفة^(١) الزَّرَوَقِيَّة - وظيفة - دعاء - دعاء الصباح ودعاء المساء - نِصائِحُ - مفاتيح العزِّ والنصر في التنبيه على بعض ما يتعلَّق بحزب البحر^(٢): سفينة النجا (النجاة) فيمن إلى الله التجا (التجا) - شرح حزب البحر - عمدة (عدة) المُريد الصادق من أسباب المقت في بيان الطريق وذكر خواصِّ الوقت - شرح القصيدة النونية^(٣) - شرح عقيدة

(١) الوظيفة: أدعية دينية معيّنة يقرأها صاحبها في أوقات راتنة (بأستمرار في أوقات معلومة).

(٢) «حزب البحر» لأبي الحسن عليَّ بن عبد الله النادِيَّ (ت ٦٥٦ هـ).

(٣) يذكر بروكلس «شرح القصيدة النونية» هذه، الملحق ٢٦٢:٢ ثم يُحيل (للقصيدة النونية) على ١ =

الغزالي - أرجوزة في عيوب النفس - تهديد (تأسيس) عقائد التصوف وأصوله (أعاد صوغه وحرره علي بن حسام الدين المتقي الهندي بعنوان: قواعد الطريقة في الجمع بين الشريعة والحقيقة) - مكتابة إلى كافة الفقهاء (في الشروط الخمسة للقبول في الطريقة) - الذكر (الحقيقي) - السدّر المنتخبة في الأدوية (الأدعية؟) المجربة - الجامع لمجل من الفوائد والمنافع - المواهب السنية - المباحث السنية في خواص منظومة نور الدين الدمياطي (نظم أسماء الله الحسنى) - الكشف - شرح الحكم العطائية^(١) - شرح المقدمة الوغليسية^(٢).

وفي سنة ٨٣٠ هـ صنف محمد المفضل بن الهادي بن أحمد بن عزوز «كشف الران»^(٣) عن فوائد مانع الزيارة ومدعي تفضيل الوظيفة على القرآن والدليل (على ذلك) والبرهان. وفي سنة ٨٦٠ هـ صنف علي بن عيسى بن سلامة البسكري «الوامع والأسرار في منافع القرآن والأخبار».

وفي هذه الحقبة أيضاً إبراهيم التازي الوهراني (ت ٨٦٦ هـ) له: النصح التام للخاص والعام (قصيدة في المواعظ والحكم) - المرادية^(٤). وله في هذا الجزء ترجمة مفردة. ومن المتصوفة المشهورين أبو عبد الله محمد بن سليمان الجزولي (ت ٨٧٠ هـ) صاحب «دلائل الخيرات» (بروكلمن ٣٢٧: ٢) له ترجمة مفردة.

وهناك محمد بن محمد بن يعقوب الكومي التونسي (ت بعد ٨٨٠ هـ) له: تيسير المطالب ورغبة الطالب (في أسرار الحروف) - الإيماء إلى علم الأسماء (بروكلمن ٢:

= ٤٨٤ (الترقيم للطبعة الأولى) أو ٦٣٧ - ٦٣٨ (الترقيم للطبعة الثانية). تم وقعت في بروكلمن، الحق ١: ٤٨٤ على «القصيدة النبوية» لأبي الحسين علي بن عبد الله الششتري المتصوف (ت ٦٦٨ هـ). وفي نصح الطبيب (٢: ١٨٦ - ١٨٧): وقال (الششتري)، وهي من أشهر ما قال: «أرى طالباً منّا الزيادة لا الحسنى.....»، وهي طويلة مشهورة في الشرق والغرب، وقد شرحها شيخ شيوخ شيوخنا (كذا ثلاث مرّات) العارف بالله تعالى سيدي أحمد زروق.

(١) الحكم العطائية لأحمد بن محمد بن عطاء الله الاسكندري (ت ٧٠٩ هـ) المتصوف.

(٢) المقدمة الوغليسية (في الأصول: أصول الدين) لأبي زيد عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي (ت ٧٨٦ هـ).

(٣) الران: النطاء والهجاب الكثيف. الزيارة (لقبر الرسول في المدينة). الوظيفة (راجع الحاشية على الصفحة السابقة). على القرآن (على قراءة القرآن).

٣٢٨)؛ وفي سنة ٨٩١ هـ صَنَّفَ أبو النجم ركن الدين الخطيب المغربي «عقائِق الحقائق» .

ومن أكاير رجالِ التصوّف الإمام أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسيّ (نسبة إلى قبيلةٍ من المغرب) التِّلِمَسَانِي الحَسَنِي (٨٣٢ - ٨٩٥ هـ) كان متعدّد نواحي الشخصية مُلِمّاً بعددٍ كبيرٍ من علوم الدين ومن علوم الدنيا حتّى أَيْسَاغُوجِي (المُدْخَل إلى المنطق) والفلسفة والطبِّ وعِلْم الجبر والمَقَابِلَة وعِلْم الأسطَرلاب (الفلك). ولكنّه آنفرد بعِلْم الباطن (التصوّف) وفاقَ به أهلَ بلدِهِ وزمنِهِ. ومن أقواله:

« من الفرائِب في زمانِنَا هذا أن يُوجد عالمٌ جُمع له علم الظاهر (الفقه) والباطن (التصوّف) على أكمل وجه بحيث يُنتَفَعُ به في العلمين . فوجود مثله في غاية الدُّور . فَمَنْ وَجَدَهُ فقد وجد كنزاً عظيماً دُنْيَاً وأُخْرَى فَلْيَسُدَّ عليه يَدَهُ لئلاّ يَضِيعَ عن قريب فلا يَجِدَ مثله شرقاً وغرباً أبداً - الوليُّ الحقيقيُّ من لو كُشِفَتْ له الجَنَّةُ وَحُورُهَا ما أَلْتَفَتَ إليها ولا رَكَنَ لغيرِهِ تعالى . فهذه حقيقة العارف . - حقيقة العبودية امتثالُ الأمرِ وَاجْتِنَابُ النَّهْيِ مَعَ كِبَالِ الدَّلَّةِ وَالْحُضُوعِ » .

وللإمام السنوسي من الكتب: شرح الفاتحة - شرح صحيح البخاري - مَكْمَلُ إِكْبَالِ الإِكْبَالِ (شرح على صحيح مسلم) - شرح الفرائض الحَوْفِيَّة - المَقَرَّبُ للمستوفي في شرح فرائض الحَوْفِي - شرح كَلِمَتِي الشَّهَادَةِ - الدليل على أن الشهادتين تَجْمَعَانِ جميع صفات الله ورسوله - شرح أسماء الله الحُسْنَى - العقيدة الكبرى = عقيدة أهل التوحيد والتسديد المُخْرَجَة من ظلمات الجهل ورُبْقَة (رَبَقَات) التقليد المُرْغَمَة أَنْفَ كُلِّ مُبْتَدِعٍ عنيد، القاهرة ١٣٠٦ - شَرَحُهَا للسنوسيّ نفسه (أُعمِدَة أهل التوفيق والتسديد في عقيدة أهل التوحيد) مصر ١٣١٧ هـ . - العِقْدُ الفريد (المنهاج السديد)؟ - العقيدة الوسطى (السنوسية الوسطى = الجمل = المرشدة) مَعَ شَرَحٍ لها للسنوسي - حاشية عليها لعمود المُقَدَّسِي، تونس ١٣٢١ هـ . - العقيدة الصغرى = عقيدة أهل التوحيد الصغرى = أُمُّ البراهين في العقائد (مختصر محتو على عقائد التوحيد)، ليبسك ١٨٤٨ م، الجزائر ١٨٩٦ م، فاس (مراراً)، فاس (في مجموعة) ١٣١٧ هـ، جاوى ١٣١٨ هـ، مصر ١٢٧١، ١٢٧٣، ١٢٨٨، ١٢٩٧،

١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٦، ١٣٢٣ هـ - شَرْحُ عَلِيهَا لِلْسُّنُوسِي: توحيد أهل
 العرفان ومعرفة الله ورسوله والبرهان (بالبرهان)، تراقي (قرب باري في إيطالية)
 ١٩١٤م - مع شرح لها باللغة الملاوية لزين العابدين محمد بَنَانِي،
 بنانغ ١٣١٠ هـ - شرح (بالأردو)؟ لمحمد زين بن جلال الدين ()
 بومبائي ١٣١٠ هـ - (نشره غابرييلي)، تراقي (قرب باري في إيطالية)
 ١٩١٤م - (نشرها هورتن في «نصوص قديمة» رقم ٣٩) بون (ألمانية)
 ١٩١٦م - (نشرها لوشيان في المجلة الإفريقية وعلّق عليها باللغة الفرنسية) الجزائر
 ١٨٩٦م (راجع معجم المطبوعات العربية ١٠٥٨، قارنه بـ بروكلمن، الملحق ٢: ٣٥٣:
 المجلة الإفريقية، رقم ٤٢، عام ١٨٩٨م) - حاشية لمحمد بن أحمد الدسوقي (ت
 ١٣٣٠ هـ)، بولاق ١٢٨١، ١٢٩٧؛ القاهر - ١٢٩٠، ١٢٩٥، ١٣٠٥، ١٣٠٦،
 ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣٣١ الخ - حاشية لإبراهيم الباجوري (١١٩٨ - ١٢٧٧ هـ)،
 بولاق ١٢٧٢، ١٢٧٧، ١٢٨٠، ١٢٨٣، ١٢٨٩، ١٢٩٣، ١٢٩٨، ١٣٠٠، ١٣٠١،
 ١٣٠٢، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣١٠، ١٣٣٠ (مع شرح أحمد
 الأجهوري على الهامش) ثم (طبع حجر) القاهرة ١٢٧٩، ١٢٨٣، ١٢٨٩، ١٢٩٨،
 ١٣٠٧، ١٣١٠، ١٣١٨ هـ - حاشية لعبد الله بن حجازي الشرقاوي (ت ١٢٢٧ هـ)،
 القاهرة ١٢٩٢ هـ - حاشية لأبي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي العريف (ت
 ١٠٩٦ هـ) في مجموعة، فاس ١٣٠٦ - ١٣٠٨ هـ - حاشية: ذريعة اليقين إلى أم
 البراهين لمحمد بن عمر النووي الجاوي، القاهرة ١٣١٣ هـ، مكة ١٣١٧ هـ - حاشية
 لمحمد زين، الاستانة ١٣٠٢ هـ - حاشية: سراج الهدى لمحمد زين السماوي (باللغة
 الملاوية)، مكة ١٣٠٣ هـ.

وللإمام السنوسي أيضاً: المقدمة (في الفلسفة: الإلهيات والتوحيد، نشرها
 لوشيانو) الجزائر ١٩٠٨م - شرح المقدمة (شرحها السنوسي) - مختصر المقدمة
 (المواهب الربانية، شرحها إبراهيم بن الحسن البنّاني السرقسطي) مطبوعة على هامش
 «العقيدة الصغرى»، القاهرة ١٣٠٤، ١٣٢٢ هـ - نصره الفقير = نصره أهل الدين
 وأهل اليقين على من تعرّض في التطريق (?) (في الردّ على أبي الحسن الصغير،

بالتصغير؟، المكناسي)- عمدة ذوي الألباب - كتاب الحقائق - جواب عَمَّنْ (٢) سأله عن وزن الأعمال - صلوات - رسالة (بلا عنوان) - جواب عن سؤال عن أبيات لبعض الصوفية - ترجمة (٢) المقامة النبوية - جواب على سؤال التقي على بعض الأخيار في النوم - المُجَرَّبَات (المُحَلِّي بالمجربَات)، بولاق ١٢٧٩ هـ، مصر ١٢٩٦ هـ، ١٣١٦ هـ؛ (بهامش مجربَات الديرلي) القاهرة ١٣١٨ هـ - شرح كتاب ايساغوجي (شرح الايساغوجي) - مختصر علم المنطق (مع حاشية الباجوري على شرح السنوسي على مختصر السنوسي في علم المنطق)، ضمن مجموعة، مصر ١٢٩٢ هـ - مختصر المنطق مع شرحه للسنوسي نفسه، حاشية على الشرح لمحمد بن الحسن البناني السرقسطي (ت ١١٩٤ هـ)، فاس ١٣٠٢ هـ - حاشية على مختصر المنطق للباجوري، القاهرة ١٢٩١، ١٣٢١ هـ - الطب النبوي = تفسير ما تضمنته كلمة (!) خير البرية من غامض أسرار الصناعة الطبيّة - شرح على حديث «المعدة بيت الداء».

ومن المؤلفين في التصوّف، في هذه الحقبة بركاتُ بن أحمد بن محمد العروسي النجّار القسنطينيّ، كان في أواخر القرن التاسع وأوائل العاشر، له: وسيلة المتوسّلين في الصلاة على سيّد المرسلين - تذكرة الغافل وتبصرة الجاهل.

ومن الذين ألفوا في التصوّف أبو عبد الله محمد بن محمد بن السكّاك المكناسيّ (ت قبيل ٩١٤ هـ) له استنزال اللطائف الرضوانية - نُصَح ملوك الإسلام بما يجب عليهم من حقوق آل البيت الكرام - أسلوبٌ من الكلام على «لا حول ولا قوّة إلا بالله» . ويأتي في هذه الحقبة أبو عبد الله محمد بن محمد الصبّاغ قاضي القضاة في القلعة (في القطر الجزائري) كان في أوائل القرن العاشر، وقد صنّف بُستان الأزهار في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الرشيد (دفين مليانة بالقطر الجزائري نحو سنة ٩٢٠) - شفاء الغليل - شرح على الذّكر - وله أقوال نشرها رينيه باسّه، باريس ١٨٩٠ م.

ثم هنالك الفقيه الصوفي محمد بن أحمد بن صغير التلمساني^(١) (ت مصر ٩٠١ هـ)

(١) راجع بروكلمن، اللحق ٢: ٣٦٢، وفيه بن سعد (خطأ في الطبع)، ثم الأعلام للزركلي ٢٣١: ٦ (٥: ٣٣٥).

تلميذ السنوسي، له: النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب - روضة السرين في مناقب الأربعة المتأخرين (المهوّاري)، وإبراهيم التازي والحسن أبركان وأحمد بن الحسن الفاري) - مفاخر الإسلام في فضل الصلاة على النبي عليه السلام.

وعاش في النصف الأوّل من القرن العاشر برهان الدين إبراهيم بن محمود الشاذلي (ت نحو ٩٠٦ هـ) له: أصول مقدّمات الوصول - حزب المغرب - التفريد بضوابط قواعد التوحيد.

التاريخ والجغرافية

يلي اتّساع التأليف في العلوم الدينية، في عصر بني نصر، اتّساع التأليف في التاريخ لأنّ التاريخ من الفنون التي يتأسّى بها الناس في أيام ضعفهم. فبين أوائل الذين اشتغلوا بكتابة التاريخ في هذا العصر يوسف بن محمد البياسي (ت ٦٥٤ هـ)، له الإعلام بالحروب في صدر الإسلام. وفي أيامه كان أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الأبار القضاعي (***) الذي كثرت تصانيفه في التاريخ السياسي والتراجم وفي تاريخ الأدب. ثم يأتي أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد العنسي (***) (ت ٦٨٥ هـ) آخر الذين عملوا في تأليف كتاب «المغرب في حلى المغرب»، له «كتاب الجغرافية» (بيروت - المكتب التجاري ١٩٧٠ م). ولعبد العزيز بن محمد الملزوي (***) (ت ٦٨٥ هـ) كتاب في تاريخ المغرب لا نعرف له عنواناً خاصاً. ثم يأتي أبو محمد العبدري البُلنسي (***) صاحب «الرحلة المغربية» التي بدأ القيام بها سنة ٦٨٨ للهجرة.

فإذا انتقلنا إلى القرن الثامن وجدنا أبا العباس الغبريني (***) (ت ٧١٤ هـ) صاحب «عنوان الدراية فيمن عُرِف من العلماء في المائة السابعة ببجاية» (في القطر الجزائري اليوم)، وهو كتاب تراجم، ثم وجدنا ابن عذارى (***) (ت ٧٢٥ للهجرة، في الأغلب)، وله «البيان المغرب في أخبار إفريقية والمغرب»، سرد فيه أولاً تاريخ المغرب ثم تاريخ الأندلس. وهناك أبو الحسن علي بن عبد الله (أو ابن محمد) الفاسي (***) (ت ٧٢٦ هـ) له «الأنيس المطرب برووض القُرطاس في أخبار ملوك

المغرب وتاريخ مدينة فاس . وهناك قاضي غرناطة أبو عبد الله محمد بن يحيى بن أبي بكر (قُتِلَ شهيداً في وقعة طريف ، ٧٤١ هـ) له « التمهيد والبيان في فضل الشهيد عثمان بن عفان » - وكأنه نظرَ عند تأليف هذا الكتاب إلى موته هو شهيداً . ولأبي البقاء خالد بن عيسى البَلَوِيّ (**) رحلة (٧٣٦ - ٧٤٠ هـ) سماها « تاج المفرق بتخليّة علماء المشرق » وقد ملأها بالسجع . ويأتي هنا أيضاً أبو الحسن عليّ الجزنائي (**) (ت ٧٤٩ هـ) له « زهر الآس » (في بناء مدينة فاس) . وفي هذا العصر المؤرخ الموصي لسان الدين بن الخطيب (**) (ت ٧٧٦ هـ) والرحالة ابن بطوطة (**) (ت ٧٧٩ هـ) ، وشهرتها في فنونها واسعة . ولأبي زكريا يحيى بن محمد بن خلدون (**) (قُتِلَ بِنُلمسان ، سنة ٧٨٠ هـ) ، له « نعيّة الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد » . ثم هناك لعبد الله بن إبراهيم الأصيلي (ت ٧٩٢ هـ) « عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب » .

ومن كبار المؤرخين مؤسس علم التاريخ وموجد علم الاجتماع عبد الرحمن ابن خلدون (**) (ت ٨٠٨ هـ) . ويأتي هنا أبو الفضل أبو القاسم إبراهيم البرادي تلميذ الشيخ عامر الشماخي (ت ٧٩٢ هـ) . وقد صنف البرادي ، سنة ٨١٠ هـ ، كتاب الجواهر المنتقى في إتمام ما أحلّ به كتاب الطبقات « (القاهرة ١٣٠٢ هـ) . وكتاب الطبقات المشار إليه هنا ، هو « طبقات المشايخ » (في حياة الرسول والصحابة والأئمة الرُستُميين وعلماء الإباضية) لأبي العباس أحمد بن سعيد الدرّجيني ، ألفه الدرّجيني بُعيد سنة ٦٢٦ للهجرة .

ومن أسرة بني نصر (أو بني الأحمر) في غرناطة أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن محمد (**) (ت ٨١٠ هـ ، في الأغلب) له عددٌ من كُتب التاريخ : نشرُ الجُمان في شعر من نظمنا وإياه الزمان - تنيرُ أفراد (؟) الجُمان في نظم فُحول الزمان (من أحياء المائة الثامنة) - مشاهيرُ بيوتات فاس - حديقةُ النُسر في أخبار بني مرّين . ولأبي العباس أحمد بن الحسين (أو الحسن) بن عليّ بن قُنفِذ (ت ٨١٠ هـ) « كتاب الوفيات » مُرتباً على السنين ، وهو على غاية من الإيجاز . ثم يأتي القاسم بن عيسى بن الناجي القيرواني (ت ٨٣٧ هـ) القاضي ، وخطيب جامع الزيتونة ، له « معالم

الإيمان» (في أقسام): وصف المساجد القديمة، تاريخ بناء القيروان، وتراجم نقر من المشاهير). وبعد أمد نجد مُحَمَّد بن علي الشاطبي المغربي الذي صنف، في تازة (في المغرب الأقصى)، سنة ٨٧٠ للهجرة، «عقود الجمان» (مختصر أخبار الزمان). ثم هنالك مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي (ت ٨٩٩ هـ)، له «نظم الدرر والعقبات» في بيان شرف بني زيان.

ويأتي أخيراً أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن غاز (***) (ت ٩١٩ هـ)، له «الروض المتون» في أخبار مكناسة الزيتون. ثم يأتي في أعقاب هذا العصر أبو العباس أحمد بن أبي عثمان سعيد بن عبد الواحد الشماخي البفري العماري المتوفى في جبل نفوسة (جنوب غربي ليبيا اليوم) في جادى الأولى من سنة ٩٢٨ (نيسان - إبريل ١٥٢٢ م)، له كتاب «السيرة» اختصره من كتاب أبي زكريا يحيى بن أبي بكر الوردجاني (ت ٤٣١ هـ) وعنوانه: «السيرة وأخبار الأئمة» (تاريخ أئمة الإباضية في مزاب بجنوبي الجزائر) ومن كتاب الطبقات للدرجيني ومن الجواهر المنتقاة للبرادي (راجع في الدرجيني والبرادي، فوق، ص ٨١) ثم زاد على هذه الكتب تراجم (إلى قريب من زمنه).

والسياسة العامة شديدة الصلة بالتاريخ. ولقد مر بنا شيء من ذلك في الكلام على أبي بكر مُحَمَّد بن الوليد الطرطوشي (***) (ت ٥٢٠ هـ) ويحس هنا مد الكلام قليلاً في أبي حمو موسى (الثاني) بن أبي يعقوب يوسف بن أبي زكريا يحيى بن أبي يحيى يغمراسن بن زيان. ويغمراسن بن زيان (٦٠٣ - ٦٨١ هـ) هذا استقل بمدينة تلمسان (القطر الجزائري) بعد ضعف دولة الموحدين وأنشأ سلطنة قرع زيان من بني عبد الواد.

وُلد أبو حمو موسى بن يوسف، سنة ٧٢٣ للهجرة (١٣٢٣ م)، في غرناطة (الأندلس) حيث كان أبوه مبعداً. وفي أواخر سنة ٧٣٦ للهجرة (أواسط ١٣٣٦ م) استولى المرينيون على تلمسان وأزالوا ملك بني زيان. ثم إن أبا حمو موسى بن يوسف استطاع بعد أمد، في صفر من سنة ٧٦٠ (كانون الثاني - يناير ١٣٥٩ م)، وفي حديث طويل، أن يدخل تلمسان ويعيد ملك بني زيان. وجعل أبو حمو موسى

(الثاني) هذا لدولة بني زيان قوةً وأبهةً. غير أن الدهر لم يصف لأبي حمو فنارعة أولاده ثم قتل هو في معركة الغيران (على نصف يوم من تلمسان - في محاربة ابنه عبد الرحمن) - في ربيع ذي الحجة من سنة ٧٩١ (٢٣ / ١١ / ١٣٨٩ م).

وكان أبو حمو موسى بن يوسف حازماً حكيماً وإدارياً عمرانياً ومُتَقَفّاً مُصَنِّفاً وَصَلَ إلينا منه كتابٌ قيّمٌ في السياسة العامة أسه^(١) « واسطة السلوك في سياسة الملوك » ، ألفه بين ٧٧١ و ٧٧٧ للهجرة (١٣٣٩ - ١٣٧٥ م) وجعله أربعة أقسام: في قواعد الملك والوصايا والآداب والحكم المرشدة إلى طرق الصواب (في الحكم) - في قواعد الملك وأركانها وما يحتاج إليه الملك في قوام سلطانه - في الأوصاف التي هي نظام الملك وكآله وتبجته وجاله - في الفراسة (معرفة خفايا الناس من النظر إلى وجوههم ومن كلامهم وسلوكهم) وهي خاتمة السياسة.

ولا شك في أن أبا حمو قد اعتمد عدداً من المصادر استقى منها أحكامه وأمثلته أبرزها أثراً في كتابه: سراج الملوك للطُّرُوشِي (ت ٥٢٠ هـ) - كتاب العقد لابن عبد ربّه (ت ٣٢٨ هـ) - المنهج السلوك في سياسة الملوك لعبد الله ابن عبد الرحمن^(٢) - سُلُوانُ الْمُطَاع في عُدُوانِ الْإِتِّبَاع لمحمد بن عبد الله بن ظَفَرِ المالكي (ت ٥٦٥ هـ).

(١) الأسطر التالية المتعلقة بأبي حمو موسى (الثاني) الزياتي مستقاة من البحث التالي: النظرية السياسية للسلطان أبي حمو الزياتي الثاني لوداد القاضي - في مجلة « الأبحاث » (مجلة يصدرها مركز الدراسات العربية ودراسات الشرق الأوسط: كلية الآداب والعلوم - الجامعة الأميركية، رئيس التحرير: إحسان عباس - الجامعة الأميركية في بيروت) السنة ٢٧ (١٩٧٨ - ١٩٧٩ م).

(٢) هو جلال الدين أبو النجيب أبو الفضائل عبد الرحمن بن نصر (الله) بن عبد الله بن نصر بن عبد الله الشيزري (نسبة إلى شيزر - قرب حاة في شمالي الشام: سورية) التبريزي العدوي النيراوي (بفتح ففتح فيها)، عاش مدة طويلة في حلب وكان كاتباً عند صلاح الدين الأيوبي، وتولى القضاء في طبرية. ثم كانت وفاته سنة ٥٨٩ للهجرة (١١٩٣ م). وكان عبد الرحمن بن نصر هذا مصنفًا له: المنهج السلوك (أو نهج السلوك) في سياسة الملوك (ألفه لصلاح الدين الأيوبي) ثم خلاصة الكلام في تأويل الأحلام (راجع بروكلمن ١: ٦٠٣، الملحق ١: ٨٢٣ - ٨٢٤). وقد اضطرب يوسف اليان سركيس في فهرسته الجامع «معجم الطبوعات العربية والمعربة» فأورد اسمه في أسكنة مختلفة، قال: أبو الفرج عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله الشيرازي تبع في حلب (سنة) ٥٦٥، له خلاصة الكلام في تأويل الأحلام، باريس ١٨٦٤ (ص ١١٧٥)، وقال: الشيخ عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله، توفي ٥٨٩، له المنهج

وتحاول وداد^(١) القاضي صُنعَ نظريةً سياسيةً لأي حوِّ تقيمها على الأسس التالية :
 خُلِقَ الْمَلِكُ : القاعدةُ الرباعية (الفضائل الأربعة : العقل والشجاعة والعدل ثم الكرم
 والحلم والعفو كأنها شيء واحدٌ، حتى يُصبحَ العددُ هنا أربعةً). وأما الأساس الثاني
 فهو رعيّةُ الملك (وتُسمّيها صاحبةُ المقال : القاعدةُ البيروقراطية) ، أي مرافقُ الدولة
 أو حُطَّطُها أو مناصبها والموظفون مِن الذين يقومون بالعمل في هذه المناصب .
 والأساس الثالث : مال الملك (القاعدة الاقتصادية) أو الجباية وإنفاقُ مالِ الدولة
 وحُسنُ القيام على هذا المال في جبايته وفي إنفاقه . والأساس الرابع : جيشُ الملك
 (القاعدة العسكرية) حُسنُ معاملةِ الجُند والتفطُّنُ لمقاصدِ العدوِّ والحركاته . والأساس
 الخامس : قِراءةُ الملك (القاعدة السيكولوجية) . ولقد أولى أبو حوِّ هذا الأساس
 اهتماماً كبيراً فيما يتعلّق برجاله وأعدائه وبما يتعلّق بمُحْصِومِهِ وأعدائه .

ولا ريب في أن هذا الكتاب - واسطة السلوك في سياسة الملوك (كما يظهر من
 مقال وداد القاضي) - نصائح شخصية جمعها أبو حوِّ من طريق حياته (من قراءته في
 الكتب ومن اختباره في الإدارة والحرب) . ويبدو أن أبا حوِّ قد حاول أن يبيّنها
 تبويهاً عاقلاً نافعاً .

ولا يغيب عن المطالع في مقال وداد القاضي أن أبا حوِّ قد استفاد من كتاب
 « كليلة ودمنة » ، كما استفاد من المسأورات عن أفلاطون والواردة في الكتب
 العربية . إن ما سمّته وداد القاضي : خُلِقَ الْمَلِكُ أو القاعدةُ الرباعية - وهي العقل
 والشجاعة والعدل ... والحلم ... - إنّما هي الفضائل الأربع عند أفلاطون (ت ٩٧٠
 قبل الهجرة = ٣٤٧ ق.م) ، وإن كان أبو حوِّ قد جمع في كتابه كلّ الأقوال التي

= السلوك في سياسة الملوك، بولاق ١٨٤١ م (١٢٥٧ هـ)؛ مصر ١٣٠٦ و ١٣٢٦ هـ (ص ١٢٧٧). وبعد
 سطرين ذكر عبد الرحمن بن نصر التبرازي وأحال على التبرازي. راجع أيضاً الأعلام للزركلي
 (الطبعة الرابعة) ٣ : ٣٤٠ . وقد قلت وداد القاضي عنواناً للكتاب « المنهج السلوك ... » (ص ٧٩) .
 وهناك أيضاً « المنهج السلوك في سياسة الملوك » ليويس بن أيوب بن يحيى (بروكلمان الملحق ٢ :
 ١٠١٧) .

(١) هي (الآنسة الدكتور) وداد بنت عفيف بن حسن بن يحيى الدين القاضي من أسر بيروت الكريمة
 المعروفة (ولدت في بيروت ٢٢ / ١١ / ١٩٤٣ م) .

توافق مَقْصِدَه من غير أن يوزَعها بين مصادرها . ولقد أشارت ودادُ القاضي إلى مثل ذلك .

وفي هذا الباب من السياسة العامة يأتي شمسُ الدين أبو عبد الله محمد بنُ علي بن محمد الأصبغي المعروفُ بآبِنِ الأَزْرَقِ الأندلسيِّ ، تولَّى القضاء في غرناطة ثم غادر الأندلس إلى تِلِمَسَانَ (في المُدَوِّة المَغْرِبِيَّة) ^(١) - لَمَّا استولى الإسبانُ على غرناطة - ويبدو أن وفاته كانت بُعيد ذلك (قُبيلَ انتهاء القرن الهجري التاسع والقرن الميلادي الخامس عَشَرَ) . وأحبَّ آبنُ الأَزْرَقِ هذا أن يسلكَ سبيلَ آبنِ خَلْدُونِ (ت ٨٠٨ هـ) في فَهْمِ التاريخِ فهما أَجْتَمَعَا ، فوصل إلينا من كُتُبِهِ : الإبريزُ المسبوكُ في كَيْفِيَّةِ آدابِ الملوك (صنّفه سَنَةَ ٨٨٣ هـ) - تحبيرُ الرياسة وتحذيرُ السياسة - بدائعُ السُّلُكِ في طبائعِ المُلُكِ ، قال فيه أحمدُ بنُ أحمدَ بابا التُّنْبُكِيُّ (ت ١٠٣٦ هـ) (نيل الابتهاج ٣٢٤) : « ... بدائعُ السُّلُكِ في السياسة السُّلْطَانِيَّة ، كتابٌ حَسَنٌ مُقْبَدٌ في مَوْضوعه ، لَخَصَ فيه (آبنُ الأَزْرَقِ) كلامَ آبنِ خَلْدُونِ في مُقدِّمة تاريخه وغيره معَ زَوَائِدَ لَا يُسْتَفْنَى بوجهٍ عنها » (لا يستفنى عنها بوجه) .

ومن المتأخّرين في هذا الدورِ محمدُ بنُ عبدِ الكريم المَغِيلِي التِّلِمَسَانِي ^(٢) ، له « تعريفٌ فيما يَجِبُ على الملوك » ، وقد طُبِعَ بعنوان « تاجُ الدين فيما يجبُ على الملوك والسلّاطين » (بيروت ١٩٣٢ م) - « أحكامُ أهلِ الذمة » .

ومن السياسة الخاصّة (سياسةِ الإنسانِ نفسه) السُّكَّاحُ . وقد وَصَلَ إلينا من

(١) في نيل الابتهاج (ص ٣٢٤) : الفرناطي وقاضي الجماعة في غرناطة ... كان حَبًّا في حدود التسعين وثمانئة ، ارتحل لتلمسان لَمَّا استولى العدوُّ على بلده ثم للشرق . ولم أقف على وفاته . - راجع أيضاً بروكلس ٢ : ١٣٤٣ الأعلام للزركلي ٧ : ١٨١ (٦ : ٢٨٩ ، مع الحاشية الطويلة المفيدة) . وقد قدَّر الزركلي تاريخ وفاة ابن الأَزْرَقِ مكانت عنده ٨٩٦ هـ (١٤٩١ م) . ومن الصواب أن تؤخَّر بضع سنوات أخرى .

(٢) هو محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي - نسبة إلى مغيل (بفتح فكسر) بلد قرب فاس (الغاموس ٤ : ٥١) - التلمساني مفسرٌ وفقهٌ ونحويٌّ ومنطقيٌّ ومن العارفين بالاجتماع والسياسة (راجع نيل الابتهاج ٣٣٠ - ٣٣٢ بروكلس ، الملحق ٢ : ١٣٦٣ الأعلام للزركلي (ط ٦ ، ٢١٦) . وكانت وفاته ٩٠٩ هـ (١٥٠٣ م) .

تصنيف أبي عبد الله محمد بن أحمد التجاني^(*) صاحب الرحلة والمتوفي نحو سنة ٧١٧ للهجرة (١٣١٧ م) «تُحفة العروس»^(١) ونزهة النفوس». وكذلك وصل إلينا من تصنيف أبي عبد الله عمر بن محمد النفاوي^(٢) كتاب الروض العاطر في نزهة الخاطر = المطبوع بعنوان «تنوير البطاح في معرفة كيفية النكاح» (القاهرة: بلا تاريخ؛ فاس ١٣١٠ هـ؛ تونس ١٩٢٨ م. ثم هو منقول ومطبوع في اللغات الفرنسية والإنكليزية والألمانية).

علوم التعاليم

علوم التعاليم هي العلوم التي تجري في الأعداد كثيراً أو قليلاً، أو هي العلوم الرياضية والطبيعية في تصنيف المعارف الإنسانية عندنا اليوم. وهنا موضع ملاحظة يحسن أن تتكرر مرة بعد مرة: إن «العلم» ليس فقط مفردات المعارف القائمة على القواعد الدقيقة كالْحساب والفلك والموسيقى، ولكن «نعت» العلم ينطبق أيضاً على كل فن من فنون المعرفة الإنسانية كالفلسفة والأدب والتاريخ إذا نحن سِرنا فيه على منهج معين.

وعصر بني نصر في الأندلس كمصر بني مرين في المغرب لم يخل من علوم التعاليم. أما قلة هذه العلوم في الأندلس فلأن العرب لم يكن لهم في الأندلس، في تلك الحِقبة، سوى مدينة غرناطة وما حولها، فلا يُنتظر أن يكون فيها «علم» كثير وإن كثرت فيها الفنون الأدبية واللغوية والدينية، لأن هذه الفنون أقرب إلى العاطفة - والعاطفة تقوى في أيام الضعف السياسي. أما قلة علوم التعاليم في المغرب في ذلك الحين فترجع في رأي عبد الله كنون (النبوغ المغربي، ص ١٩٨، راجع ١٩٩) إلى أن سلاطين المرينيين لم يشجعوا هذه العلوم كما شجعها الموحدون في

(١) العروس نقال للرجل والمرأة.

(٢) كتب النفاوي هذا لأبي عوانة الزواوي وزير السلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز الذي تولى من سنة ٧٩٦ إلى سنة ٨٣٧ للهجرة (١٣٩٤ - ١٤٣٣ م). ويبدو أن الزواوي كان في أول هذه المدة (راجع بروكلمان ٢: ٣٣٤، للمحق ٢: ٣٦٨ - ٣٦٩).

بعض أدوارهم ، وخصوصاً في أيام يعقوب المنصور الموحدي (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ).



يبرز في هذا العصر ثلاثة من علماء الرياضيات أولهم في تاريخ الوفاة محمد بن إبراهيم بن الرقام المُرسي الأندلسي (ت ٢١ صفر ٧١٥) وكان مشاركاً في الرياضيات والفيزياء وعلم النبات وفي الطب ، له كتاب في علم الظلال (فيزياء : بصريات؟) وفي المساحة (الهندسة المستوية) في كتاب له عنوانه «التكسير» ، أوله : «التكسير صناعة يُنظر فيها في مساحة الأشكال» (راجع الأعلام للزركلي ، ط ٤ ، ٥ : ٢٩٧ ؛ بروكلمن ، الملحق ٢ : ٣٧٨).

وأما الشمس المشرقة في الرياضيات ، في هذا العصر ، فكان أبا العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المراكشي المعروف بابن البناء العددي (٦٤٩ - ٧٢١ هـ) ، صنّف كتباً كثيرة في الحساب والجبر والهندسة والفلك والتنجيم والجغرافية والنبات . وتقوم شهرته على كتابه المعروف بعنوان «تلخيص أعمال الحساب»^(١) . ويبدو أن اهتمام ابن البناء - بالإضافة إلى إحاطته بفروع هذا العلم - كان منصباً على تبسيط الحساب على الناس^(٢).

ثم يأتي يعيش بن إبراهيم بن يوسف بن سمالك (ت نحو ٧٧٣ هـ) له : مراسم الانتساب في علم الحساب - رفع الإشكال في مساحة الأشكال (في الهندسة المستوية) - علم القبان (فيزياء - علم الجبل : ميكانيك) وغيرها في موضوعات أخرى^(٣).

(١) حققه وترجمه (نقله إلى الفرنسية) وعلق له الدكتور محمد السويبي ، تونس (منشورات الجامعة التونسية) ١٩٦٩ م.

(٢) راجع تمهيد محمد السويبي لكتاب «تلخيص أعمال الحساب» (الحاشية السابقة) ، تراث العرب العلمي لقدري طوقان ، الطبعة الثالثة ، ٤٢٩ - ٤٣٢ ؛ بروكلمن ٣٣٠ : ٢ - ٣٣١ ، الملحق ٢ : ٣٦٣ - ٣٦٤ ؛ النبوغ المغربي ٢٢٠ - ٢٢١ ؛ الأعلام للزركلي ٢١٣ : ١ - ٢١٤ (٢٢٢).

(٣) راجع الأعلام للزركلي ٢٧١ : ٩ - ٢٧١ : ٨ (٢٠٥ - ٢٠٦) : ووفاته في بروكلمن (٢ : ٣٤٤) قبل سنة ٧٧٤ هـ . ثم يذكره بروكلمن (الملحق ٢ : ٣٧٩) باسمه وينسب إليه الكتب التي ذكرها له من قبل ولكن يجعل وفاته سنة ٨٩٥ هـ = ١٤٨٩ م.

ولعلّ من علماء هذا العصر (وفي القرن الثامن للهجرة؟) أبا عبد الله بن هلال، قال فيه عبد الله كنون (النبوغ المغربي ١٩٨): إمامُ التعاليم وأتَمُّ شَرَحَ كتابِ المِجَسَّطِي لِبطليموسَ القلُوديّ.

ويبدو أنّ علم الفلك والحُسابَ الفلكيَ كانا على مستوىٍ صالحٍ من الرقيّ، فإنّ أبا عليّ الحسن بن عُمَرَ المَرَاكُشِيّ (ت نحو ٦٦٠) كان له كتابٌ «جامع المبادئ والغايات في علم المِيقَاتِ» (بروكلمن ١ : ٦٢٥، الملحق ١ : ٨٦٦).

ومن البارعين في علم الفلك في هذا العصر مُحبيّ الدين أبو الفتح يحيى بن مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الشُّكْرِ (أو شُكْر) المعروف بالحكيم المَغْرِبِيّ (ت بين ٦٨٠ و ٦٩٠ هـ)، كان من أهل قُرطُبَة ثُمَّ رَحَلَ إلى المشرق وعَمِلَ مَعَ نصيرِ الدين الطوسيّ في مرصد مَرَاغَة^(١). ولابن أبي الشُّكْرِ كُتِبَ كثيرٌ في الرياضيات والفلك منها (في الهندسة والمثلثات): تحرير أقليدس في أشكال الهندسة - كتاب المَخْرُوطَات (تحرير المخروطات لأبولونيوس) - إصلاح كتاب منالوُس في الأشكال الكُرَيَّة - تهذيب كتاب ثيودوسيوس في الأَكْر - رسالة في استخراج الجيوب الواقعة في الدائرة - رسالة فيا تَفَرُّعٍ عن الشكلِ القَطَاعِ من النَّسَبِ على سبيل الإيجاز. ثمّ له (في الفلك والحُساب الفلكي): الحُكْمُ على قَرائن (قِران)^(٢) الكواكب في البروج الاثني عَشَرَ - مقالات تتعلق بمركات الكواكب - مقالة في استخراج تعديل النهار وساعات المشرق (شروق الشمس)، والدائر من الفلك بطريق الهندسة - مُلَخَّصُ المِجَسَّطِيّ (?) من نقل أبي الفرج غريغوريوس المَلَطِيّ المتوفى ٦٨٥ للميلاد) - زِيحٌ (جدولٌ وتفسيرٌ لهذا الجدول) لتقوم الكواكب يشتمل على يائَتَيْنِ وواحدٍ وأربعين فَنًا من الحساب - تسطيح الأسطرلاب - أربعُ مقالات في النجوم - رسالة الخطأ والإيغور^(٣). وكذلك

(١) مراغة في آذربيجان الفارسية (في منطقة جبلية في أقصى الشمال - جنوب تبريز). وكان فيها مرصد من أكبر المراصد القديمة. اجتمع في هذا المرصد نفر كثيرون من علماء الفلك المسلمين.

(٢) القِران (بالكسر): وجود نجمين على مر واحد من خطِّ البصر.

(٣) الخطأ: (بجاء معجمة مفتوحة وطاء مهملة مفتوحة وألف): كناية - قبائل من الترك كانوا يعيشون شمال نهر جيحون، في أواسط آسية وكانوا على الوثنية، وساكمهم كانت في ساطق تابعة للصين (راجع في تحقيق ذلك تاريخ ابن الأثير ٩ : ٢٩٧، ١١ : ٨١، ٨٣، ٨٤، ٨٥ ثم راجع فهرس الأعلام (في تاريخ =

له كتب في التنجيم^(١).

ويأتي هنا شمسُ النمن أبو العباسِ محمدُ (أحمدُ) بنُ مسعودِ الخزرجي السبتي (من أهل سبتة) المغربي (ت ٦٩٨ هـ)، قيل فيه إنه مخترعُ علم الزايرجة^(٢).

ثم يأتي أبو مفرع (يفتح فسكون ففتح: النبوغ المغربي ٢٢١ مرتين) أو أبو مفرعة (نفع الطيب ٢: ٦٩٣، السطر السادس من أسفل) البطوي^(٣) له رجز في التقويم والتنجيم^(٤).

ولشمس النمن محمدُ الجزوليُّ (ت نحو ٧٤٥ هـ): كتاب العمل بالأسطرلاب - رسالة في العمل بالجيب الغائب (٩) - رسالة في رُبُع المسطرة (٩) - رسالة في ثَمَن الدائرة (بروكلمن ٢: ٣٣١ - ٣٣٢، الملحق ٢: ٣٦٤ ابن الجزولي).

ومن علماء الفلك أبو زيد اللجائي الفاسي (ت ٧٧٣ هـ) اخترع أسطرلاباً مُلصقاً بالجدار والماء يدير شبكته (٩) على الصنفعة، فيأتي الناظر فينظر إلى ارتفاع الشمس كم هو وكَم مضى من النهار، أو ينظر ارتفاع الكواكب في الليل.

ثم نجدُ للزبير بن أحمد بن إبراهيم بن الزبير (ت ٧٩٠ هـ) تذكرة ذوي الألباب في استيفاء العمل بالأسطرلاب (بروكلمن ٢: ٣٤٤). ثم يأتي في هذا النسق أبو الحسن علي بن موسى بن عبد الله بن محمد بن حيدور^(٥)، له: الاعتبارات النظرية في الأحكام

= ابن الأثير) لأقام التحقيق. والاهور أيضاً من الترك. - طريقة الحساب الفلكي عند هاتين الأمتين.

(١) راجع في الحكم المغربي: الأعلام للزركلي ٩: ٢١٠ (٨ ١٦٦)، بروكلمن ١: ٦٢٦، الملحق ١: ٨٦٨ - ١٨٦٩ تراث العرب العلمي لقدري طوقان ٤٢٤.

(٢) في تاج العروس (الكويت ٦: ٢٥): الزاجعة صورة مربعة أو مدوّرة تعمل لموضع (مواضع) الكواكب في الفلك لينظر (فيها) في حكم المولد (مولد الشخص من حيث السعد والنحس) في عبارة المنجمين. - راجع في ابن مسعود السبي بروكلمن ١: ٦٥٥، الملحق ١: ٩٠٩ - ٩١٠.

(٣) يمكن أن يكون اسمه الكامل: أبو محمد عبد الحق بن علي البطوي (نسبة إلى بطوية في الريف، شمال المغرب) الوردزي الحمولي الرجوشي السوسي، له رجز في التقويم والتنجيم (لملح: بروج القمر عند العرب، الذي حرره موتيلسكي وطبعه (الجزائر ١٨٩٩ م) - راجع النبوغ المغربي ١٢٢١ بروكلمن ٢: ٣٣١، الملحق ١: ٣٦٤).

(٤) راجع في اللجائي النبوغ المغربي ٢١٤ - ٢١٥: تراث العرب العلمي ٤٣٧.

(٥) في النبوغ المغربي، ص ٢٢١، السطر الخامس: هيدور (بالهاء). راجع أيضاً بروكلمن الملحق ١: ٣٦٥ - (بالهاء).

النجومية - شرح تلخيص أعمال الحساب لأبن البناء العددي.

ثم يأتي الجاديري (بالياء بعد الدال ، النبوغ المغربي ١٩٩ ، ٢٢١) أو الجادري (بكسر الدال ويفتح الدال : راجع بروكلمن ، الملحق ٢ : ٢١٧) وهو أبو زيد عبد الرحمن المؤقت في مسجد القرويين في فاس (ت ٨١٦ هـ) ، له روضة الأزهار في علم الليل والنهار .

ثم يأتي محمد بن أحمد بن يحيى بن الحباك (ت ٨٦٧ م) ، له : بغية الطلاب في علم الأسطرلاب - شرح روضة الأزهار في علم الليل والنهار (للجاديري) - تحفة الطلاب في عدد السنين والحساب (راجع بروكلمن ٢ : ٣٣٢ ، الملحق ٢ : ٣٦٥ ؛ نيل الابتهاج ٣٣٣ فاس).

ومن الفنون التي تأخذ من الرياضيات ومن الفيزياء الموسيقى . في نحو سنة ٧٠٠ للهجرة صنف محمد بن إبراهيم الصلاحي للناصر لدين الله المريني (٦٨٥ - ٧٠٦ هـ) أبي يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق^(١) كتاباً في آلات الموسيقى أثبت بروكلمن (٢ : ٣٣٣) عنواناً له : « الإمتاع والانتفاع »^(٢) .

وفي العلم الطبيعي على الحصر (الفيزياء) يأتي شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشي^(*) التونسي (ت ٦٥١ هـ) ، له : أزهار الأفكار في جواهر الأحجار - مطالع البدور ومنازل السرور (في المعادن) - فصل الخطاب في مدارك الحواس الحفسر لأولي الألباب - الأحجار التي توجد في خزائن الملوك ودخائير الرؤساء وغيرها . ثم هنالك أبو الحسن بن يوسف المديوني الحكيم (في نحو هذا العصر) له الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة (النبوغ المغربي ٢٢١) لسك العملة ، وفي هذا العمل جانب من الفيزياء .

ومع أن الصنعة (الكيمياء القديمة) قد عاشت في المشرق والمغرب مدة طويلة ثم

(١) يورد بروكلمن عادة أسماء الأعلام مختصرة . وقد وردت جملة بروكلمن كما يلي : للمريني أبي يعقوب بن يحيى بن عبد الحق .

(٢) لعل العنوان الكامل : الإمتاع والانتفاع بالآلات الساع .

إِنَّمَا أَسْتَمَرْتُ فِي أوروْبَةٍ إِلَى نَصْفِ الْقَرْنِ الْمَاضِي ، فَإِنَّ الْعَصْرَ الَّذِي نَبَحْتُ فِي أَعْلَامِهِ
الآنَ لَمْ يَجْمَعْ مِنْ عُلَمَاءِ الْكِيمِيَاءِ مَنْ كَانَ ذَا أَثَرٍ بَارِزٍ . هُنَالِكَ مَثَلًا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ
عُمَرَ الزَّوَاوِيُّ النِّجَارِيُّ الْجَائِي (مِنْ أَحْيَاءِ الْقَرْنِ التَّاسِعِ فِي الْقَطْرِ الْمِزَانِيِّ) لَهُ فَصْلٌ
فِي الْكِيمِيَاءِ ثُمَّ تُخَفِّفُ النَّظَرُ وَتُزْهِدُ الْمُنَاطَرُ (بِفَتْحِ الْمِيمِ - بَرُوكْلَمَنْ ، الْمُلْحَقُ ٢ :
٣٦٧) ، وَعُنْوَانُهُ لَا يَدُلُّ عَلَى مَوْضُوعِهِ .

كَانَ حَظُّ الْعَصْرِ الْمَرِينِيِّ مِنَ الطِّبِّ أَوْفَرَ مِنْ حَظِّهِ مِنَ الْكِيمِيَاءِ . كَانَ فِيهِ (النَّبُوغُ
الْمَغْرِبِيُّ ٢٠٠) أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الشَّيْخِ الطَّبِيبِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ الْعَنْسِيِّ الْمَرَاكُشِيِّ
(وَفِي أَسْمِهِ شَيْءٌ مِنَ الْخِلَافِ) ، وَقَدْ كَانَ مُشَارِكًا فِي عِدَّةٍ مِنَ الْعُلُومِ الْكُونِيَّةِ ، لَهُ فِي
الطِّبِّ : الْأَمْرَاضُ السَّرِيَّةُ وَعِلَاجُهَا - الْأَذْكَمَةُ (٢٢) وَصِفَاتُهَا وَمَا يُطْلَبُ أَنْ يُتَجَنَّبَ
فِيهَا . ثُمَّ لَهُ : النِّسَاءُ وَمَا يُخَمَدُ أَوْ يُذَمُّ مِنْهُنَّ ، وَضَعَهُ بِرَسْمِ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ الْمَرِينِيِّ
(٧٣٢ - ٧٤٩ هـ) .

وَيَبْدُو أَنَّ مِنَ الْبَارِعِينَ فِي الطِّبِّ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ أَحْمَدُ بْنُ شُعَيْبٍ الْجَزْنَائِيُّ (**)
(ت ٧٤٩ هـ) ، وَكَانَ كَاتِبًا وَشَاعِرًا وَطَبِيبًا جَعَلَهُ السُّلْطَانُ أَبُو سَعِيدٍ الْمَرِينِيُّ
(٧١٠ - ٧٣٢ هـ) فِي جُمْلَةِ الْكُتَّابِ ، وَلَكِنْ أَجْرَى عَلَيْهِ رِزْقًا (مُرْتَبًا) الْأَطْبَاءِ
لِتَقْدِيمِهِ فِي الطِّبِّ ، فَكَانَ كَاتِبَةً وَطَبِيبَةً . وَكَذَلِكَ فَعَلَ السُّلْطَانُ أَبُو الْحَسَنِ الْمَرِينِيُّ
(٧٣٢ - ٧٤٩ هـ) بَعْدَ ذَلِكَ (النَّبُوغُ الْمَغْرِبِيُّ ٢٠٠) .

وَمِنَ الْمُؤَلِّفِينَ فِي الطِّبِّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ اللَّخْمِيُّ الشُّقُورِيُّ (نِسْبَةٌ إِلَى بَلَدَةِ
شُقُورَةٍ ، مِنْ نَوَاحِي جَبَّانَ) الْأَنْدَلُسِيِّ ، صَنَّفَ سَنَةَ ٧٤٩ هـ لِلْهِجْرَةِ : تَحْقِيقَ النَّبَأِ عَنْ أَمْرِ
الْوَبَاءِ (فِي طَاعُونِ سَنَةِ ٧٤٩ هـ = ١٣٤٨ م) أَوْ الْمَوْتِ الْأَسْوَدِ (الطَّاعُونِ الْكَبِيرِ) الَّذِي
أَنْتَشَرَ فِي أوروْبَةٍ سَنَةَ ٧٤١ هـ (١٣٤٠ م) وَأَسْتَمَرَ إِلَى سَنَةِ ٧٥٠ هـ (١٣٤٩ م) ثُمَّ
عَادَ إِلَى أوروْبَةٍ ١٣٦١ - ١٣٦٢ وَ ١٣٦٩ لِّلْمِيلَادِ (٧٦٢ وَ ٧٧١ - ٧٧٢ هـ لِلْهِجْرَةِ) .
وَلَهُ أَيْضًا مَجَرَّبَاتُ فِي الطِّبِّ (رَاجِعَ بَرُوكْلَمَنْ ٣ : ١٢٧٩ ، السُّطْرُ ٢٨ وَمَا بَعْدَ
الْأَعْلَامِ لِلزَّرْكَلِيِّ ، ط ٤ ، ٦ : ٢٨٥) .

وَمِنَ الْبَارِزِينَ فِي التَّطْبِيبِ وَفِي التَّأْلِيفِ فِي الطِّبِّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ آيْنِ
عَبْدِ اللَّهِ الْقِرْبَلِيَّانِيُّ (نِسْبَةٌ إِلَى قِرْبَلِيَّانَةٍ أَوْ كَرَابَلِيَّانَتِهِ عَلَى مَقَرَّةٍ مِنْ أَوْرُيُولَةٍ ، شَرْقُ

مَرْسِيَّةً ، في الجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ مِنَ الْأَنْدَلُسِ) . كَانَ عَالِماً بِالْأَعْشَابِ وَطَبِيباً جَرَّاحاً سَكَنَ مَرَّاكُشَ مُدَّةٍ ثُمَّ عَادَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ فَنُتُوْفِي فِي غَرْنَاطَةِ (سَنَةِ ٧٦١ هـ) . وَلِلْقَرِيبَانِي هَذَا كِتَابٌ فِي الْأَعْشَابِ (النَّبَاتَاتِ الْمُسْتَحْدَمَةِ فِي تَرْكِيبِ الْأَدْوِيَةِ) ثُمَّ كِتَابُ «الْأَسْتِصَاءِ وَالْإِبْرَامِ فِي عِلَاجِ الْجِرَاحَاتِ وَالْأَوْرَامِ» أَلْفَهُ لِلسُّلْطَانِ أَبِي الْجَيُوشِ نَصْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّصْرِيِّ الَّذِي جَاءَ إِلَى الْحُكْمِ سَنَةَ ٧١١ لِلهَجْرَةِ ثُمَّ خُلِعَ سَنَةَ ٧١٣ . وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي وَادِي آشَ (قَرَبَ غَرْنَاطَةِ) سَنَةَ ٧٢٢ هـ (رَاجِعِ بَرُوكْلَمَن ، الْمَلْحَقُ ٢ : ٣٦٦ ؛ الْأَعْلَامُ لِلزَّرْكَلِيِّ ، ط ٤ ، ٦ : ٢٨٥) .

وَفِي أَيَّامِ الْمَرِينِيِّينَ (وَرُبَّمَا فِي النِّصْفِ الثَّانِي مِنَ الْقَرْنِ الْمَهْجَرِيِّ الثَّامِنِ) كَانَتْ عَاشَةُ بِنْتُ الشَّيْخِ الْكَاتِبِ الْوَجِيهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْجِيَّارِ الْمُخْتَسِبِ^(١) فِي مَدِينَةِ سَبْتَةِ فِي شَمَالِي الْمَغْرِبِ . زَادَتْ سِنُهَا عَلَى السَّبْعِينَ ، وَكَانَتْ عَارِفَةً بِالطَّبِّ وَبِالْعَقَاقِيرِ ، بِصِيرَةٍ بِالمَاءِ (النَّظَرِ إِلَى بُولِ الْمَرِيضِ) وَبِإِعْلَامَاتِهِ (رَاجِعِ النُّبُوغِ الْمَغْرِبِيِّ ٢١٥) .

وَمِنَ الْمَذْكُورِينَ فِي هَذِهِ الْحِقْبَةِ الشَّرِيفُ الصِّقْلِيُّ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ التُّونِسِيِّ ، كَانَ فِي أَيَّامِ أَبِي فَارَسٍ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْخَفَاصِيِّ (٧٩٦ - ٨٣٧ هـ) وَصَنَّفَ لَهُ كِتَابُ الْأَطْبَاءِ (أَوْ كِتَابُ حِفْظِ الصَّحَّةِ) الْمَعْرُوفُ بِالطَّبِّ الشَّرِيفِ . وَلَهُ شَرْحٌ عَلَى أَلْفِيَةِ ابْنِ سِينَا (بَرُوكْلَمَن ٢ : ٣٣٣ ، الْمَلْحَقُ ٢ : ٣٦٧) .

وَفِي سَنَةِ ٨٩٧ لِلهَجْرَةِ صَنَّفَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْحَسَنِيُّ الْمَصْمُودِيُّ مِنْ أَهْلِ تِلْمَسَانَ كِتَاباً جَعَلَهَا بَرُوكْلَمَن (٢ : ٣٣٤ ، الْمَلْحَقُ ٢ : ٣٦٧) فِي فَصْلِ الْكِيمِيَاءِ وَعِلُومِ الْجُمْفَرِ ، هِيَ : تُحْفَةٌ مَن صَبَرَ عَلَى تَطْهِيرِ الْحَجَرِ (وَهُوَ عُنْوَانُ شَدِيدِ اللَّصُوقِ بِالْكِيمِيَاءِ ، فَالْمَقْصُودُ بِالْحَجَرِ هُنَا حَجَرُ الْفَلَسَافَةِ الَّذِي تُحَكُّ بِهِ الْمَعَادِنُ الْحَمِيْسَةُ فَتُضَيِّحُ ذَهَباً ، فِي ظَنِّهِمْ) - الْوَاقِفِي فِي تَدْبِيرِ الْكَافِي - الْمَحَنَةُ الْمَنْكِيَّةُ (٢) لِمَبْتَدِئِ الْقِرَاءَةِ الْمَنْكِيَّةِ .

وَيَأْتِي فِي أَوَاخِرِ هَذِهِ السَّلْسَلَةِ عَبْدُ الْقَاهِرِ بْنُ مُحَمَّدٍ التُّونِسِيُّ ، صَنَّفَ سَنَةَ ٨٩٩

(١) الْمُخْتَسِبُ هُوَ الَّذِي يَتَوَلَّى الْحِسْبَةَ (فِي الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ) : مَرَاقِبَةُ السُّوقِ (مَرَاقِبَةُ الْأَسْوَاقِ وَالْأَخْلَاقِ الْعَامَّةِ وَالْبَضَائِعِ وَالْأَطْعَمَةِ) .

للهجرة كتابَ الطَّبِّ في تدبير المُسافرين ومَرْضَى الطاعونِ (بروكلمن، الملحق ٢ : ٣٦٧).

رثاء البلدان:

الدُّنْيَا دُولٌ - والدَّوْلَةُ: انتَقَالَ الأمرُ من جَامِعَةٍ إلى جَامِعَةٍ، مَرَّةً يَكُونُ لهؤلاءِ ومَرَّةً يَكُونُ لأولئكِ، وربَّما كان لقومٍ ثم لم يَمُذَّ إِلَيْهِمْ - والقاعدةُ أَنَّ كُلَّ دَوْلَةٍ (بمعنى مُلْكٍ أسرةٍ أو فردٍ جَامِعَةٍ * من الناسِ أو رُقْعَةٍ من الأرضِ وبمعنى حِيازةِ الإنسانِ ثروةً أو تَمَتَّعَ فردٍ بِجَاهٍ) لا تَمِيشُ إلى الأبدِ، بل لا بُدَّ لها من عُمُرٍ طَبِيعِيٍّ نَحْيَا في مداهُ ثم تَسْقُطُ ليقومَ غَيْرُها مكانَها، كما يَقُولُ ابنُ خلدونٍ. ولقد كان من الطَّبِيعِيِّ جَدًّا أَنْ يَحْزَنَ أَهْلُ كُلِّ دَوْلَةٍ على زَوَالِ دَوْلَتِهِمْ أو خَوْفًا من أَنْ تَزُولَ دَوْلَتُهُمْ حينَما يَبْدَأُ اتِّخَاذُهَا نَحْوَ الزَوَالِ الأكيدِ.

ولقد أَرَادَ الإسلامُ مِنَ الناسِ أَنْ يَكُونَهُمْ في زَوَالِ الدُّوَلِ والأَمَمِ عِبْرَةً فلا يَظْلِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ولا يَأْتُوا بما يُعْجَلُ زَوَالُهُمْ أو يَجْعَلُ زَوَالَهُمْ شَدِيدَ الأَلَمِ لَهُمْ - ما دَامَ ذَلِكَ الزَوَالُ أَمْرًا لا مَفَرَّ مِنْهُ - أو سَيِّءِ العَوَاقِبِ عَلَيْهِمْ وقومهم. ويَكْفِينَا هُنَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى. أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ؟ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا. أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟﴾ (١٢: ١٠٩، سورة يوسف). وقال اللهُ تَعَالَى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا؟ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ، وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (٢٢: ٤٦، سورة الحج).

ومن أوائل الذين يَحْسُنُ الِاسْتِشْهَادُ بِهِمْ مِنَ الشُّعراءِ في هذا الموضوعِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسِ الرُّقَيْيَاتِ (ت ٧٥ هـ) الأُمَوِيُّ قال في قصيدتهِ المَهْزِيَّةِ المشهورة (راجع الجزء الأول من هذه السلسلة) يخافُ على دَوْلَةِ بني أُمَيَّةِ القُرَشِيَّةِ أَنْ تَزُولَ بالنِّزاعِ الذي كان بينَ الطَّامِعِينَ في الحُكْمِ (وقد سَقَطَتِ الدَّوْلَةُ الأُمَوِيَّةُ، سَنَةَ ١٣٢ للهجرة - عام ٧٤٩ للميلاد):

* «جماعة» (بالنصب): مفعول به من المصدر «ملك» مضافاً إلى فاعله (أسرة أو فرد).

حبّذا العيشُ حينَ قومي جميعاً لم تُفرّقْ أمورها الأهواءُ ؛
 قبلَ أنْ تَطْمَعَ القبائلُ في مُدِّ لكِ قُرَيْشٍ وتشتتَ الأعداءُ .
 أيُّها المشتَهى فناءَ قُرَيْشٍ ؛ يبيدُ اللهَ عُمْرها والفتاءُ .
 إنْ تودَّعَ من البلادِ قُرَيْشُ لا يَكُنْ بعدهمُ لحيٌّ بققاء .

كَانَ عُبيدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ يَخْشَى عَلَى مُسْتَقْبَلِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ . أَمَّا الْبُحْتَرِيُّ ، فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ ، فَقَدْ جَاءَ إِلَى الْبِرَاقِ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِي تَمَّامٍ (٢٣٢ هـ = ٨٤٦ م) لِيُجَرِّبَ حَظَّهُ فِي التَّكْسِبِ بِالشَّعْرِ . لَمْ يَلْقَ الْبُحْتَرِيُّ النَّاشِئُ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّاعِرَ الرَّاسِخَ الْمَكَانَةَ تَوْفِيقًا ، فَذَهَبَ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ إِلَى الْمَدَائِنِ - وَهِيَ مَشْهُدٌ لِمَدِينَةٍ قَدِيمَةٍ ، عَلَى نَحْوِ عَشْرِينَ مِيلًا شَرْقَ بَغْدَادَ - وَوَقَّفَ عِنْدَ إِيوَانٍ كَسَرَى يُعَرِّي نَفْسَهُ (الْحَاضِيَةَ فِي التَّكْسِبِ بِالشَّعْرِ) بِزَوَالِ تِلْكَ الدَّوْلَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي كَانَتْ قَدْ بَنَتْ ذَلِكَ الْإِيوَانَ (الْمَقَرَّ الْمَلَكِيَّ) ثُمَّ زَالَتْ ، فَقَالَ (رَاجِعِ الْجُزْءَ الثَّانِي مِنْ هَذِهِ السَّلْسِلَةِ) قَصِيدَتُهُ السَّيْنِيَّةُ : « صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يُدْنِسُ نَفْسِي » . فَمِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

حَضَرَتْ رَحْلِي الْمُهْمُومُ فَوَجَّهَ سَأْتُ إِلَى أَيْبُضِ الْمَدَائِنِ عَنِّي^(١) ،
 أَسْتَلْسِي عَنْ الْمُهْمُومِ وَأَسَى لِمَحَلٍّ مِنْ آلِ سَاسَانَ دَرَسَ^(٢) .
 ذَكَرْتَنِيهِمُ الْخُطُوبُ التَّوَالِي ، وَلَقَدْ تَذَكَّرُ الْخُطُوبُ وَتَنَسَّى^(٣) .
 فَكَأَنَّ الْجِرْمَازَ مِنْ عَدَمِ الْأَنْدَ سِوَا إِخْلَالِهِ بَنِيَّةَ رَمْسٍ^(٤) .
 لَوْ تَرَاهُ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّيَالِي جَعَلَتْ فِيهِ مَأْتَمًا بَعْدَ عُرْسٍ .

(١) الرحل: البيت، المكن؛ نزلت علي المهوم في بلدي فافرت وجئت إلى العراق. العنسى: الناقة القوية. أبيض المدائن: المدائن (بلدة على نحو عشرين ميلاً شرق بغداد).

(٢) أسي (بفتح فـ فكر ففتح) فلان على فلان: حزن عليه وأشفق. آل ساسان: ملوك الفرس. درس: دارس، محو العالم.

(٣) الخطب (بالفتح): المصيبة.

(٤) الجرماز: بناء عظيم كان عند أبيض المدائن، وقد عني (أعني) أثره (تاج العروس - الكويت ١٥: ٥٩). من عدم (فقدان) الإنس (بالكسر): الناس، السكان، وإخلاله (ترك الناس له). البنية (بالفتح): كل ما بني. رمس: قبر.

وكانت الدواعي لِثَلَاثَةِ المَدُنِ في الأندلس كثيرةً، بعد أن بدأ الإسبانُ النَّصارى يَتَوَلَّونَ على المَدُنِ الإسلامية في تلك الحربِ الصليبية التي سَبَقَتْ الحربَ الصليبيةَ في المَشْرِقِ.

في نَفَحِ الطيب (٤: ٣٥٢، راجع ٣٥٤، ٣٥٥؛ راجع وفيات الأعيان ٥: ٢٧):
أَنَّ مِنْ أَوَّلِ المَدُنِ العظيمةِ التي آتَوَى عليها الإسبانُ مَدِينَةَ طُلَيْطَلَةَ، أَخَذَهَا
ألفونسو السادسُ، سَنَةَ ٤٧٨ للهجرة، من يَدِ القادرِ بِحْيَى بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ ذِي النونِ.
فقال بعضُ الشعراءِ يَرِثُهَا (نَفَحِ الطيب ٤: ٤٨٣ - ٤٨٦) بقصيدةٍ ليستُ من عيونِ
الشعر، ولكنَّ فيها عاطفةٌ قويَّةٌ مِنَ التعبيرِ وكَشْفٌ عن أسبابِ ضَعْفِ الأُمَمِ. من هذه
القصيدةِ الطويلة:

طُلَيْطَلَةَ أَبَاحَ الكُفْرُ مِنْهَا	جَاهَا. إِنَّ ذَا نَبَأٍ كَبِيرُ.
فليس مِثَالُهَا إِيوَانُ كِسْرَى،	ولا مِثَالُهَا الخَوَرَنَقُ والسَّدِيرُ ^(١) .
أَلَمْ تَكُ مَعْقِلًا لِلدِّينِ ضَعْبًا	فذلَّلَهُ كَمَا شَاءَ القَدِيرُ ^(٢) ؟
وكانت دَارَ إِيْمَانٍ وَعِلْمٍ	مَعَالِمُهَا الَّتِي طُمِئْتُ تُنِيرُ ^(٣) ،
فمادت دَارَ كُفْرٍ مُصْطَفَاةً	قَدِ اضْطَرَبَتْ بِأَهْلِهَا الأُمُورُ ^(٤) :
مساجدُهَا كَنَائِسُ، أَيُّ قَلْبٍ	على هَذَا يَقْرُ ولا يَطِيرُ؟
أَنَا مَنُ أَنْ يَحِلَّ بِنَا أَنْتَقَامُ	وفينا الفُسْقُ أَجْعُ والفُجُورُ *؟
وَأَكُلُ لِلْحَرَامِ، ولا اضْطَرَارُّ	إِلَيْهِ؟ فيسْهُلُ الأَمْرُ العَصِيرُ.
يَزُولُ السُّرُّ عَنْ قَوْمٍ إِذَا مَا	على العِصْيَانِ أُرْخِيتِ السُّتُورُ.
خُذُوا ثَارَ الدِّيَانَةِ وَأَنْصُرُوهَا،	فقد حامت على القَتْلِ النُّسُورُ.

(١) إِيوَانُ كِسْرَى لا يشبهها. ولا منها (وليس من نوعها أو مكانتها) الخَوَرَنَقُ والسَّدِيرُ (قصران في جنوبي العراق من أيام المأذرة).

(٢) القدير: الله تعالى.

(٣) معالِمُهَا (مدارسها ومساجدها الخ التي طمست أو محبت الآن كانت من قبل تنير).

(٤) مصطفاة (مختارة): اختار الإسبان أخذها (الآن) دون غيرها. مصطفاة (أيضاً): مأخوذة. - اصطنى فلان مال فلان: أخذه كله (القاموس ٤: ٣٥٢، السطر التاسع من أسفل).

(*) أَجْعُ (بالضم) توكيد للفُسْقِ (فينا جميع أنواع الفسق). ثم «أَجْعُ (بالفتح) حال من «فينا» (فينا جميعاً فسق).

ولا تهنوا، وسلّوا كلّ عَضْبٍ
لقد صَمَّ السَّمْعُ، فلم يُعَوَّلْ
تُجَادِبُنَا الأعادي بِأَصْطِنَاعِ
فباقي في الدَّيَانَةِ تحتَ خِزْيِ
وآخرُ مَارِقُ هَانَبَتْ عليه
كَفَى حَزَنًا بَأَنَّ النَّاسَ قالوا:
أَتَتْرُكُ دُورَنَا وَنَفِرُ عَنْهَا
لقد ذَهَبَ اليَقِينُ فلا يَقِينُ،
فلا دينٌ ولا دُنْيَا، ولكن

تَهَابُ مَضَارِباً مِنْهُ النُّحُورُ^(١).
على نَبَأٍ، كما عَمِيَ البَصِيرُ^(٢).
فَتَنَجَذِبُ الْمُخَوَّلُ والفَقِيرُ^(٣):
تُثَبِّطُهُ الثَّوْبَةُ والبَعِيرُ^(٤)،
مَصَائِبُ دينِهِ، فَلَهُ السَّعِيرُ^(٥).
إلى أينَ التَّحَوُّلُ والمَّيْرُ؟
وليسَ لَنَا وَرَاءَ الْبَحْرِ دُورٌ؟
وَعَرَّ الْقَوْمَ بِاللهِ الْغُرُورُ^(٦).
غُرُورٌ بِالْمَعِيشَةِ مَا غُرُورُ^(٧).

وَكَثُرَ رِثَاءُ الْمُدْنِ والدُّوَلِ فِي الْأَنْدَلُسِ. وَمِنْ أَشْهُرِ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ قَصِيدَةُ آئِنِ
عَبْدُونِ (ت ٥٢٩ هـ، راجع ترجمته في الجزء الخامس): «الدَّهْرُ يَفْجَعُ بَعْدَ الْعَيْنِ
بِالْأَثَرِ».

وجرت بين ملوك المغرب وملوك الأندلس مكاتبات، فكانت رسائلهم في
ذلك - في البكاء على أحوال المسلمين في الأندلس وفي استنهاض بعض أولئك
الملوك همم بعضهم الآخر - مثل تلك القصائد.

-
- (١) لا تهنوا: لا نضعوا. العَضْب: السيف. تهاب (تخاف). انحر (أعلى الصدر): المكان الذي ينحر أو
يذبح حنه البعير.
- (٢) كانت الأخبار تأتي بالخطر على طليطلة فلم يلق الأمراء بالاً إلى ذلك.
- (٣) الاصطناع: تقرب الناس إليك شيء من الغام المادّية. المخول: الذي خوله الله (أعطاه) ملكاً أو
خيراً كثيراً.
- (٤) تُثَبِّطُهُ (توقفه عن الحرب أو الهجرة) الثوبية (الثاة الصغيرة) أو البعير (الحَيوان الكبير): يخاف أن
يجارب أو يهاجر فيخسر شيئاً (صغيراً أو كبيراً) يملكه.
- (٥) السعير: نار جهنم (في الآخرة). مارق: خارج من الإسلام (كافر).
- (٦) اليقين: الإيمان الثابت. الغرور (بالفتح): إبليس. راجع القرآن الكريم (٣١: ٣٣، سورة لقمان):
﴿..... فلا تفرّكنّ الحياة الدنيا، ولا يفرّكنّك بالله الغرور﴾.
- (٧) ليس لمؤلاء دين، ولا هم يفهمون ما الدنيا (الحياة الكريمة)، ولكنهم مغرورون (مفتنون، متعلقون)
بالمعيشة العادية. غرور ما غرور (اهتمام شيء قليل جداً من أسباب الحياة).

إن أسباب الخوف على مستقبل المسلمين في الأندلس كانت كثيرة منذ أيام ملوك الطوائف حينما بدأ تنازع ملوك الطوائف ثم استيلاء الإسبان النصارى على البلدان وعلى الحصون من أيدي الحكام المسلمين. ففي سنة ٤٨٨ للهجرة - لما استولى السيد القمبيطور على بلنسية قال أين خفاجة (٤٥٠ - ٥٣٣ هـ) يأسي لحالها (نفع الطيب ٤: ٤٥٥):

عائت بساحتك الظبا، يا دارُ، ومعا محاسنك البلى والنار^(١)،
فلذا تردد في جنابك ناظرٌ طال اعتبارُ فيك واستعمارُ^(٢).
أرضٌ تقاذفت الخطوب بأهلها، وتمخضت بحرابها الأقدار^(٣).
كئبت يدُ الحدثان في عرصاتها: (لا أنت أنت ولا الديار ديار)^(٤).
وقال القاضي أبو بكر بن العربي لما جرت معركة ٥٢٧ للهجرة (١١٣٣ م) - عند إشيلية^(٥) - حينما جاء إلى تفسير قوله تعالى: ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾، الآية (٩: ٤١، سورة التوبة) ما يلي (نفع الطيب ٤: ٤٧٦ - ٤٧٧):

ولقد نزل بنا العدو - قصمه الله تعالى - سنة سبع وعشرين وخمسمائة فجاس ديارنا^(٦) وأسر جيرتنا وتوسط بلادنا..... فقلت للوالي والمولى عليه^(٧): هذا عدو الله قد حصل في الشرك والشبكة^(٨)، فلتكن عندكم بركة، ولتكن منكم إلى نصره

- (١) عاث: أفسد، أتلغ، أهلك. الظبا (بالضم) جمع ظبة (بضم ففتح بلا تشديد): حد السيف. وفي نفع الطيب: ظبا (بالكسر) بقصد ظباء جمع ظبة (غزال)، وهو خطأ. البلى: القدم (بكسر ففتح): تقادم الزمن والتمهؤ والملاك.
- (٢) فلذا تردد (نقل البصر من مكان إلى مكان) في جنابك (أطرافك، أقسامك) ناظر (عين). الاعتبار: الانعاط بالمصائب. استعمار: بكاه (حزن).
- (٣) الخطب (بالفتح): المصيبة. تقاذفت الخطوب بأهلها (شردت المصائب أهلها من مكان إلى مكان). تمخضت (تمحركت ثم انجلت) الأقدار (جمع قدر - بفتح ففتح: وفوق ما كان الله تعالى قد قضاه أو حكم به في سابق علمه) عن خرابها.
- (٤) الحدثان (مفرد): كناية عن الليل والنهار. والحدثان أيضاً: المصائب. ولا أنت أنت ولا الديار ديار: مطلع قصيدة لأي قلم يمدح بها القائد المباسي أبا سعيد محمد بن يوسف الثوري.
- (٥) جاس بلادنا: وطنها، جاء إليها.
- (٦) للوالي على البلد (إشيلية؟) وللمولى عليه: لأهل البلد (لناس كلهم).
- (٧) في الشرك والشبكة (أصبح بين أيديكم بعيداً عن مراكز توبته ومهاطاً برعيتكم).

الدين التَّعَنُّةَ عَلَيْكُمْ^(١) حَرَكَةً: فَلْيَخْرُجْ إِلَيْهِ جَمِيعُ النَّاسِ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ فِي جَمِيعِ الْأَقْطَارِ (إِلَّا خَرَجَ إِلَيْهِ) فَيَحَاطُّ بِهِ^(٢)، فَإِنَّهُ هَالِكٌ لَا مَحَالَةَ إِنْ يَسْرِكُمْ اللَّهُ لَهُ. فَغَلَبَتِ الذُّنُوبُ وَرَجَفَتِ بِالْمَعَاصِي الْقُلُوبُ، وَصَارَ كُلُّ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ تَعَلُّبًا يَأْوِي إِلَى وَجَاهِهِ^(٣)، وَإِنْ رَأَى الْمَكِيدَةَ بِجَارِهِ * * . فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

- وَفِي رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ٥٦٤ نَظَّمَ الشَّاعِرُ أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْكِنَانِيُّ الْوُقْشِيَّ قَصِيدَةً فِي مَدْحِ السُّلْطَانِ يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ (ثَانِي سَلَاطِينَ الْمُوَحِّدِينَ) وَقَالَ فِيهَا يَصِفُ حَالَ الْأَنْدَلُسِ وَيَحْتُ عَلَى الْجِهَادِ (الذِّيلُ وَالتَّكْمِلَةُ ١: ١٩٧ - ١٩٩):

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي، هَلْ يُمِدُّ لِي الْمَدَى فَأُبْصِرَ حَفْلَ الْمُشْرِكِينَ طَرِيدًا^(١)
وَهَلْ، بَعْدُ، يُقْضَى فِي النَّصَارَى بِنُصْرَةٍ تُعَادِرُهُمُ لِلْمُرْهَفَاتِ حَصِيدًا^(٢)
وَيَغْزُو أَبُو يَعْقُوبَ فِي شَانِتِ يَاقِبٍ يُعِيدُ عَمِيدَ الْكَافِرِينَ عَمِيدًا^(٣)
وَيَفْتِكُ مِنْ أَيْدِي الطُّغَاةِ نَوَاعِمًا تَبْدُلُنَ مِنْ نَظْمِ الْحُجُولِ قُبُودًا^(٤)
وَعَفَرَ مِنْهُنَّ التُّرَابُ تَرَائِبًا وَخَدَّدَ مِنْهُنَّ الْمُهْجِرُ خُدُودًا^(٥)

(١) الْمُتَعَنِّةَ عَلَى الْوَالِي وَعَلَى النَّاسِ: الْوَاجِبَةَ عَلَيْهِمْ.

(٢) يَحَاطُّ بِهِ: يَصْبَحُ مُحْصُورًا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ.

(٣) الْوَجَارُ شَقٌّ فِي الْأَرْضِ يَدْخُلُهُ الْحَيَوَانَاتُ كَالثَّعَالِبِ وَالْأَرَاتِبِ.

(*) * مَعَ أَنَّهُ يَرَى اسْتِيلَاءَ الْعَدُوِّ عَلَى أَرْضِ جَارِهِ أَوْ يَرَى أَنَّ الْعَدُوَّ يَقْتُلُ جَارَهُ.

(٤) يُمِدُّ لِي الْمَدَى (الْمُسَاعَدَةُ): يَطُولُ عَمْرِي. الْحَمْلُ: الْاجْتِمَاعُ. طَرِيدٌ: مَطْرُودٌ، مُشْرَدٌ.

(٥) الْمُرْهَفُ: السِّيفُ. حَصِيدٌ: مُحْصُودٌ (مَقْتُولٌ).

(٦) أَبُو يَعْقُوبُ: السُّلْطَانُ يُوسُفُ بْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ. شَانِتُ يَاقِبٍ (سَانَتُ يَاقُو، الْيَوْمُ) بَلَدٌ فِي أَفْصَى الشَّامِ الْغَرْبِيِّ مِنْ جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ. عَمِيدُ الْكَافِرِينَ: رَئِيسُ الْإِسْبَانِ. عَمِيدٌ: مَعْمُودٌ (مَضْرُوبٌ عَلَى رَأْسِهِ بِالْمَعْمُودِ) مَقْتُولٌ (وَيُزُولُ مَلِكُهُ).

(٧) الطُّغَاةُ جَمْعُ طَاغِيَةٍ (وَكَانَ الْعَرَبُ يَطْلُقُونَ كَلِمَةَ طَاغِيَةٍ عَلَى كُلِّ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الْإِسْبَانِ). نَوَاعِمُ جَمْعُ نَاعِمَةٍ (فَنَاءٌ شَائِبَةٌ، أَمْرَأَةٌ فَتَيَّةٌ). الْحُجْلُ (بِالْكَسْرِ): الْخُلْخَالُ (بِالْفَتْحِ). بَدَلًا مِنْ أَنْ يَتَأَنَّقْنَ فِي لِبْسِ الْمَخْلَاحِلِ فِي أَرْجُلِهِنَّ لِلزَّيْنَةِ أَصْحَحْتَ الْقُبُودَ تَوْضِعَ فِي أَيْدِيْنِ وَأَرْجُلِهِنَّ فِي الْأَسْرِ وَالسَّحْنِ.

(٨) عَفَرَ فَلَانَ الشَّيْءَ: مَرَّعَهُ فِي النَّبَارِ أَوْ أَدْخَلَهُ فِي التُّرَابِ. التَّرِيَّةُ: الْجَانِبُ الْأَعْلَى مِنَ الصَّدْرِ. خَدَّدَ: شَقَّقَ. الْمُهْجِرُ: حَرٌّ نَعْفَ النَّهَارِ (كِتَابَةٌ عَنِ الْعَمَلِ وَقَتِ الظَّهْرِ) حِينَ يَسْتَرِيحُ النَّاسُ عَادَةً بِالْقِيلُولَةِ (بِالنُّومِ بَعْدَ الظَّهْرِ).

ولما عظم خطرُ الإسبانِ على بَلَنْسِيَّةَ قبلَ سُقوطِها^(١) جاء من أهلها وفدٌ إلى السُّلطانِ أبي زكريَّا الحفصيّ صاحبِ تونس، في رَجَبٍ من سَنَةِ ٦٣٦. وكان في الوفدِ ابنُ الأَبَارِ القُضاعي^(٢) فأشَدَّ قصيدته السَّنيَّةَ «أذرك بِخَيْلكَ خَيْلَ اللهِ أُنْدُلُسا» بين يَدَيِ السُّلطانِ الحفصيّ.

وفي هذا الوقتِ نفسِه، قُبيلَ سقوطِ بَلَنْسِيَّةَ، وجَّهَ بعضُ الشُّعراءِ إلى السُّلطانِ الحفصيّ أبي زكريَّا نفسِه قصيدةً مطلعُها «نَادَتْكَ أُنْدُلُسُ قَلْبَ نِدَاءِها»^(٣) جاء فيها (نفع الطيب ٤: ٤٧٩ - ٤٨٣):

تِلْكَ الْجَزِيرَةُ لَا بَقَاءَ لَهَا، إِذَا	لَمْ يَضْمَنْ الفَتْحُ القَرِيبُ بَقَاءَها ^(٤) .
أَشْفَى عَلَى طَرْفِ الحَيَاةِ دَمَاؤُها،	فَاسْتَبَقِ لِلدِّينِ الحَنِيفِ دَمَاءَها ^(٥) .
حَاشَاكَ أَنْ تَفْنَى حَشَاشَتُها، وَقَدْ	قَصَّرْتَ عَلَيْكَ نِدَاءَها وَرَجَاءَها.
إِيَّهَ، بَلَنْسِيَّةَ، وَفِي ذِكْرِكَ مَا	يَمْرِي الشُّوْنُ دِمَاءَها لَا مَاءَها ^(٦) .
كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى أَحْتِلَالِ مَعَاهِدِ	شَبَّ الأَعَاجِمُ دُونَهَا هَيْجَاءَها ^(٧) .
بِأَيِّ مَدَارِسُ كَالطُّلُولِ دَوَارِسُ	نَسَخَتْ نَوَاقِيسُ الصَّلِيبِ نِدَاءَها ^(٨) .

وأشهرُ القصائدِ في هذا البابِ قصيدةُ أبي البقاء صالح بن يزيد الرُّندي^(٩) (ت ٦٨٤ هـ): «لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ» (راجع ترجمة الرندي هذا في هذا الجزء). ومع أَنَّ هذه القصيدة قد عُرِفَتْ بِأَسْمِ «رِثَاءِ الأَنْدُلُسِ»، فإنَّها قد نُظِّمَتْ

(١) استولى الإسبان عليها ٦٣٦ هـ (١٢٣٨ م).

(٢) ابن الأَبَارِ القُضاعي (ت ٦٥٨ هـ؛ راجع ترجمته في هذا الجزء).

(٣) لَبِّي: أَجَابَ.

(٤) إِذَا لَمْ تَنْقُذْهَا أَنْتَ قَرِيبًا، فَإِنَّ الإِسْبَانِ سَيَسْتَوْلُونَ عَلَيْهَا.

(٥) أَشْفَى: قَرَبَ، اقْتَرَبَ. الدَّمَاءُ: بَقِيَّةُ الحَيَاةِ. الدِّينِ الحَنِيفِ: الإِسْلَامُ.

(٦) مَرَى يَمْرِي (مَسَحَ): يَمْرِي الحَالِابُ ضِرْعٌ (بِالْكَسْرِ) النَّمْعَةُ لِسِيلِ اللَّبَنِ مِنْهُ. الشَّانُ (بِالْفَتْحِ، وَجِدَ شُؤْنٌ): يَجْرِي الدَّمْعُ مِنَ الْعَيْنِ. يَمْرِي الشُّوْنُ: يَجْعَلُنَا نَبْكِي حُزْنًا.

(٧) أَحْتِلَالٌ: سَكَنَى. المَعْبِدُ (الْمَزْلُ الَّذِي أَلْفَهُ الْإِنْسَانُ) شَبَّ: أَوْقَدَ. الأَعَاجِمُ (هَنا): نَصَارَى الإِسْبَانِ الَّذِينَ لَا يَتَكَلَّمُونَ الْعَرَبِيَّةَ. دُونَهَا (دُونَ رَجُوعًا أَوْ وَصُولًا إِلَيْهَا). الْمِهْجَاءُ: الْحَرْبُ.

(٨) مَدَارِسُ (هَنا) مَآذِنٌ، مَسَاجِدُ (لِأَنَّ الْمَسْجِدَ فِي الإِسْلَامِ مَكَانُ الدِّرَاسَةِ وَالْعِلْمِ). الطُّلُلُ: بَقَايَا النَّبَاءِ بِ هَذَا الْمَكَانِ الَّذِي زَالَ مِنْهُ النَّبَاءُ). دَوَارِسُ (جَمْعُ دَارِسٍ: مَحْوٌ).

قبل سقوط الأندلس بقرنين كاملين.

وكان بين أبي الطرّف أحد بن عبد الله بن عميرة (٥٨٢ - ٦٥٨ هـ) وأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الأتار القضاعي (٥٩٥ - ٦٥٨ هـ) صداقة ومكاتبات. فلما سقطت بلنسية وردّ على ابن عميرة رسالة من ابن الأتار (في شأن بلنسية، فيما يبدو، وبعد انقطاع المكاتبة بينهما زمناً)، فردّ عليها ابن عميرة برسالة طويلة من النثر والنظم جاء فيها (نفع الطبيب ٤: ٤٩٠ - ٤٩٦):

..... وأعود من حيث بدأ الأخ الذي أبته شوقي وأنطعم حلاوة عشرته باقية في حاسة ذوقي، طارحت حديث مؤرّد جفّ وقطين خفّ^(١). فيا - الله - لأتراب درجوا^(٢) وأصحاب عن الأوطان خرجوا. قصّت الأجنحة وقيل: طيروا، وإنما هو القتل أو الأسر أو سيروا. فتفرّقوا أيدي سباً وانتشروا يلئم الوهاد والرهي^(٣) ففي كل جانب عويل وزفرة، وبكل صدر غليل وحسرة^(٤). ولكل عين عبرة لا ترقأ من أجلها عبرة^(٥). داء خامر بلادنا حين أتاها، وما زال بها حتى سجي^(٦) على موتاتها، وشجا^(٧) ليومها الأطول كهلها وقتها. وأنذر بها في القوم بحران أنيجة^(٨) يوم أثاروا أسدها المهيجة، فكانت تلك الحطمة طلل الثوبوب^(٩) وباكورة البلاء

(١) طارح فلان فلاناً حديثاً: حاوره بمحدث. المورد: مكان شرب الماء. القطين: الساكن. خفّ: ارتحل.

(٢) التراب (بالكسر) - تراكب من كانت منه مثل سنك. درج: ذهب (مات). النداء (هنا): الأذان (النداء إلى الصلاة).

(٣) تفرّقوا أيدي سباً (في كل مكان)، كما تفرّق أهل اليمن بعد انفجار سد مأرب. الوهد (بالفتح): ما انحفض من الأرض.

(٤) الغليل: شدة العطش وحرارته (والحرز).

(٥) عبرة (بالكسر): عظة، درس، مفزى، (وبالفتح): دمة، بكاء. رقأ: جفّ (الدمع) وانقطع.

(٦) سجي البيت (بفتح فسكون): غطاه.

(٧) شجا الأمر فلاناً (جملة محزنة).

(٨) كان قد سبق سقوط بلنسية معركة أنيجة (أو أنيسة) التي دلت على ضعف المسلمين هنالك. البهران: شدة الحر (ودخول المريض في الهذيان من شدة الحمى). الحطمة (بضم ففتح): النار الشديدة. الناقة التي تضرب الأرض بحفها ضرباً شديداً، الحادث النيف. الطلل: أول المطر، المطر الخفيف.

(٩) الثوبوب: الدضة (بالضم): الكبيرة من المطر. سقوط أنيجة (وهي بلدة صغيرة) كان البدء لسقوط المدن الكبيرة (مثل بلنسية).

المُصْنُوب. أَتُكَلِّمُنَا إِخْوَانًا^(١) أَبْكَانَا نَعِيْهُمُ.....

في نفع الطيب (٤: ٣٨٥ وما بعد):

ولم يَزَلْ بنو مَرَيْنٍ يُعِينُونَ أَهْلَ الْأَنْدَلُسِ بِالْمَالِ وَالرَّجَالِ، وَتَرَكُوا مِنْهُمْ حُصَّةً مُّتَعَبَةً^(٢) مِنْ أَقَارِبِ السُّلْطَانِ بِالْأَنْدَلُسِ غَزَاةً. فَكَانَتْ لَهُمْ وَقَائِعٌ فِي الْعَدُوِّ مَذْكُورَةٌ وَمَوَاقِفٌ مَشْهُورَةٌ. وَكَانَ عِنْدَ أَبِي الْأَحْمَرِ^(٣) مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ بِغَرْنَاطَةَ وَعَلَيْهِمْ رَيْسٌ مِنْ بَيْتِ مُلْكِ بَنِي مَرَيْنٍ يُسَمُّونَهُ «شَيْخُ الْغَزَاةِ». وَلَمَّا أَفْضَى الْمُلْكُ إِلَى السُّلْطَانِ الْكَبِيرِ الشَّهِيرِ أَبِي الْحَسَنِ الْمَرْيَنِيِّ، وَخَلَّصَ لَهُ الْمَغْرِبُ وَبَعْضُ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ، أَمَرَ بِإِنْشَاءِ الْأَسَاطِيلِ الْكَثِيرَةِ بِرَسْمِ الْجِهَادِ بِالْأَنْدَلُسِ وَأَهْتَمَّ بِذَلِكَ غَايَةَ الْأَهْتَامِ.

فَقَضَى اللَّهُ تَعَالَى أَنْ أَسْتَوْلِيَ الْإِفْرَنْجُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ تِلْكَ الْمَرَاقِبِ بَعْدَ اخْتِزَامِ الْجَزِيرَةِ الْخَضِرَاءِ، وَكَانَ الْإِفْرَنْجُ قَدْ جَمَعُوا جُمُوعًا كَثِيرَةً بِرَسْمِ الْأَسْتِيلَاءِ عَلَى مَا بَقِيَ لِلْمُسْلِمِينَ بِالْأَنْدَلُسِ. فَاسْتَنْفَرُوا^(٤) أَهْلَ الْأَنْدَلُسِ السُّلْطَانَ أَبَا الْحَسَنِ الْمَذْكُورَ، فَجَاءَ بِنَفْسِهِ إِلَى سَبْتَةَ - فُرْضَةِ الْمَجَازِ^(٥) وَعَمِلَ أَسَاطِيلَ الْمُسْلِمِينَ - فَإِذَا بِالْإِفْرَنْجِ جَاءُوا بِالشُّنِّ آتِي لَا تُحْصَى وَمَتَّعُوا مِنَ الْمُبُورِ وَإِغَاثَةِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ حَتَّى اسْتَوْلَوْا عَلَى الْجَزِيرَةِ الْخَضِرَاءِ^(٦) وَأَنْكَبُوا فِي مَرَاقِبِهِ أَعْظَمَ نَكَابَةً^(٧)، وَلِلَّهِ الْأَمْرُ.

وَقَدْ أَفْصَحَ عَنْ ذَلِكَ كِتَابُ صَدَرِ مِنَ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ الْمَذْكُورِ إِلَى سُلْطَانِ مِصْرَ وَالشَّامِ وَالْحِجَازِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ بْنِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ الصَّالِحِيِّ الْأَلْفِيِّ^(٨).....

- (١) أَتُكَلِّمُنَا (أَقْدَمْنَا بِالْوَت). النِّمَى (بِتَشْدِيدِ الْبَاءِ): الَّذِي يَطْلُنْ خَيْرَ الْمَوْتِ.
- (٢) حُصَّةٌ (قِسْمٌ) مُتَعَبَةٌ (وَأَفْيَةٌ، كَثِيرَةٌ): جَمَاعَةٌ مِنْ جُنُودِ بَنِي مَرَيْنٍ.
- (٣) ابْنُ الْأَحْمَرِ لِقَبِّ لِكُلِّ سُلْطَانٍ مِنْ سُلَاطِينِ بَنِي نَصْرٍ فِي غَرْنَاطَةَ.
- (٤) اسْتَنْفَرُوا الرَّجُلَ قَوْمَهُ: دَعَاهُمْ (وَأَوْجَبَ عَلَيْهِمْ) أَنْ يَسِيرُوا لِلْحَرْبِ.
- (٥) الْفُرْصَةُ: الْخَلِيجُ (عَلَى النَّهْرِ أَوْ الْبَحْرِ) تَرَسُو فِيهِ الْفُجَرَاءُ (بِحَرِّ الْمَجَازِ) الَّذِي يَجُوزُ (بِهَنْتَقِلُ) فِيهِ النَّاسُ بَيْنَ بَرِّ الْمَغْرِبِ وَبَرِّ الْأَنْدَلُسِ.
- (٦) الْجَزِيرَةُ الْخَضِرَاءُ: الْغُرَفُ الْأَفْصَى مِنْ جَنُوبِي جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ، وَمَدِينَةُ هُنَاكَ أَيْضًا.
- (٧) أَنْكَبُوا (فِي الْقَامُوسِ: نَكَبُوا - يَفْتَحُ فَيَفْتَحُ فَسَكُونُ): غَلِبُوهُ، قَهَرُوهُ..... أَغْرَفُوا كَثِيرًا مِنْ مَرَاقِبِهِ.
- (٨) الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ قَلَاوُونَ (٦٧٨ - ٦٨٩ هـ) الصَّالِحِيُّ (لَأَنَّ الْمَلِكَ الصَّالِحَ نَجْمَ الدِّينِ أَيُّوبَ قَدْ أَعْتَقَهُ سَنَةَ ٦٤٧ لِلْهَجْرَةِ) (الْأَلْفِيُّ، لِأَنَّ سَيِّدَهُ كَانَ قَدْ اشْتَرَاهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ).

وبَعْدَ خَمْسِ صَفَحَاتٍ مِنْ دِيبَاجَةٍ فِي التَّمَدُّحِ وَالْمَدِيحِ وَبَثَّ الْأَشْوَاقَ وَذَكَرَ
الْمَفاخرَ تَبْدَأُ رِسَالَةً أَيْ الْحَسَنِ الرَّيْفِيَّ إِلَى الْمَلِكِ الصَّالِحِ (٤: ٣٩١ وما بعد):

.... لَمَّا وَصَلْنَا مِنَ الْأَنْدَلُسِ الصَّرِيخُ^(١)، وَنَادَى مُنَادٍ لِلْجِهَادِ عَزْمًا لِيُمِثِلَ نِدَائِهِ
بُصِيخُ^(٢)، أَنْبَأَنَا أَنَّ الْكُفَّارَ قَدْ جَمَعُوا أَحْزَابَهُمْ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ^(٣)، وَحَتَمَ عَلَيْهِمْ
بَابَهُمُ اللَّعِينُ التَّنَاصُرَ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ^(٤)، وَأَنْ تَقْصِدَ طَوَائِفُهُمُ الْبِلَادَ الْأَنْدَلُسِيَّةَ
بِإِيجَافِهَا وَتَنْقُصَ بِالْمُنَازَلَةِ أَرْضَهَا مِنْ أَطْرَافِهَا^(٥) لِيَنْحُوا كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ مِنْهَا وَيُقْلَصُوا
ظِلَّ الْإِسْلَامِ عَنْهَا. فَقَدَمْنَا مَنْ يَشْتَفِلُ بِالْأَسَاطِيلِ مِنَ الْقَوَادِ، وَسِزْنَا عَلَى أَثَرِهِمْ إِلَى
سَبْتَةِ مُنْتَهَى الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى وَبَابِ الْجِهَادِ. فَمَا وَصَلْنَاهَا إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ أَخَذَهُ الْعَدُوُّ
الْكَافِرُ، وَسَدَّتْ أَجْفَانُ الطَّوَاعِثِ^(٦) عَلَى التَّعَاوُنِ مَجَازَ الْعُبُورِ.... لَكُنَّا - مَعَ
أَنْسَادِ تِلْكَ السَّبِيلِ..... - حَاوَلْنَا إِمْدَادَ تِلْكَ الْبِلَادِ بِحَسَبِ الْجُهْدِ،
وَأَضْرَخْنَاهُمْ^(٧) بِمَنْ أَمَكْنَ مِنَ الْجُنْدِ..... وَأَمَرْنَا لِصَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ مِنَ الْمَالِ بِمَا
يُجَهِّزُ بِهِ حَرَكَةَ إِمْدَانَةِ مَحَلِّ حِزْبِ الضَّلَالِ^(٨).... وَقَدْ كَانَ مِنْ لُطْفِ اللَّهِ حِينَ
قَضَى بِأَخْذِ هَذَا الثَّغْرِ^(٩)، أَنْ قَدَّرَ لَنَا فَتَحَ جَبَلِ طَارِقٍ^(١٠) مِنْ أَيْدِي الْكُفْرِ وَهُوَ الْمُطِلُّ

(١) الصرّيح: الاستغاثة.

(٢) عزمًا (مفعول به من نادى). بصيخ: يميل (بسمعه). - كان عزمنا في الاستجابة لندائه أكيداً غلصاً
مثل استغاثته بنا.

(٣) لَمَّا وَصَلْ مِنَ الْأَنْدَلُسِ الصَّرِيخُ.... أَنْبَأَنَا (أخبرنا). صوب: جهة.

(٤) حتم: أوجب، فرض. لَمَّا كُتِبَ هَذِهِ الرِّسَالَةُ، سَنَةَ ٧٤٥ لِلْهِجْرَةِ (١٣٤٥ م) كَانَ الْبَابُ فِي رُومِيَّةِ
كَلِيمَتِ السَّادِسِ (١٣٤٢ - ١٣٥٢ م). الْأَوْبُ: الْمَهْجَةُ وَالنَّاحِيَةُ.

(٥) الْإِيجَافُ: السَّرْعَةُ (الاستيلاء عَلَى الْأَرْضِ بِلا حَرْبٍ). تَنْقُصُ (فَعْلٌ مُتَمَدٍّ) طَوَائِفُ الْإِسْبَانِ (فَاعِلٌ)
بِالْمُنَازَلَةِ (الْقِتَالِ، الْمُبَارَاةِ فِي الْقِتَالِ) الْأَرْضَ (مَفْعُولٌ بِهِ) مِنْ أَطْرَافِهَا (جَوَانِبِهَا). رَاجِعِ الْقُرْآنَ
الْكَرِيمَ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ (١٣: ٤١، سُورَةُ الرَّعْدِ).

(٦) الْأَجْفَانُ جَمْعُ جَفْنٍ (بِالْفَتْحِ): مَرْكَبٌ حَرْبِي (٥). الطَّوَاعِثُ (جَمْعُ طَاغُوتٍ): الشَّيْطَانُ كِتَابَةً عَنِ
الْإِسْبَانِ.

(٧) أَضْرَخَ: أَغَاثَ، سَاعَدَ.

(٨) لِدَانَةِ مَحَلِّ حِزْبِ الضَّلَالِ (لِلْاقْتِرَابِ مِنَ الْإِسْبَانِ الْمُهَاجِمِينَ بِمِيشٍ: لِلْحِيلُولَةِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ احْتِلَالِ
الْمَدِينِ).

(٩) الثَّغْرُ: الْمَكَانُ الَّذِي يَمْشِي بِجِهَةِ الْعَدُوِّ مِنْهُ (بَرًّا أَوْ بَحْرًا).

(١٠) جَبَلُ طَارِقٍ: رَأْسُ صَخْرَةٍ شَرَفَ عَلَى الْبَحْرِ عِنْدَ طَرَفِ جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ جَنُوبًا.

على هذه المدرة^(١)، والفرصة منها - إن شاء الله - متيسرة^(٢).... وعُدنا لحضرتنا^(٣) فاس لتستريح الجيوش من وعثاء السفر^(٤) وترتبط الجياد وتتخبط العُدَّة^(٥) لوقت الظهور المنتظر وتكون على أهبة^(٦) الجهاد.....

وعند عودنا من تلك المحاولة، تيسر الركب الحجازي^(٧) موجهاً إلى هنالكم رواجه^(٨)، فأصدرنا إليكم هذا الخطاب.... واعتقدنا فيكم في ذات الله لا يخشى جديده من البلاء^(٩). وما لكم من غرض بهذه الأنعام فموقى قصده على أكمل الأهواء^(١٠)... والبلاد باتحاد الودّ متحدة، والقلوب على ما فيه مرّضة الله - عز وجل - منعقدة. جعل الله ذلكم خالصاً لرب العباد مذخوراً ليوم التناد^(١١) مسطوراً في الأعمال الصالحة يوم المعاد^(١٢).... والسلام الأثم يحصكم كثيراً أثيراً^(١٣) ورحمة الله وبركاته. وكتب يوم الخميس السادس والعشرين من صفر المبارك من عام خمسة

-
- (١) المدرة: القرية (المدينة) المبنية بالطين (أي مدينة الخزمره الحمراء التي بنيت هنالك لتكون مكاناً لتجمع الجيوش).
 - (٢) ... متيسرة (سهلة) لمهاجمة الإسبان.
 - (٣) المحصرة: العاصمة.
 - (٤) وعثاء السفر (شدته والتعب الذي يقاومه المسافر).
 - (٥) ارتباط الجياد (الحيل): إعدادها للحرب. العدة (بالضم): آلة الحرب.
 - (٦) الأهبة: العدة (بالضم) الوسيلة، الاستعداد.
 - (٧) الركب الحجازي: القافلة المتوجهة إلى الحجاز للحج.
 - (٨) الراحلة: الحيوان (البعير، الحصان، الخ) الذي يافر الناس عليه.
 - (٩) نحن نعتقد أنكم إذا دُعيتُم إلى مثل هذه المساعدة في الدفاع عن المسلمين في الأندلس، ولا يخشى جديده من البلاء. (الاحتبار): أنتم معروفون أن أعمالكم الماضية كانت للدفاع عن الإسلام والمسلمين (وهذا ملموح في ثنايا الرسالة)، فلن يكون موقفكم الجديد إلا كمواقفكم القديمة.
 - (١٠) وما لكم (ما ترغبون فيه) من غرض (حاجة أو رغبة) بهذه الأنعام (في بلادنا: المغرب) فموقى (نقوم لكم به) على أكمل الأهواء (على أحسن ما ترغبون).
 - (١١) مذخوراً: مدخراً، محفوظاً. التناد = التنادي (يوم القيامة)، إذ يكثر فيه تنادي الناس: ينادي أصحاب النار أصحاب الجنة يستغيثون بهم لشيء من الماء مثلاً) وينادي أصحاب الجنة أصحاب النار (ليذكروهم بأن أعمالهم - أعمال أصحاب النار - في الدنيا لم تكن صالحة).
 - (١٢) يوم المعاد: يوم القيامة (عودة البشر كلهم إلى ربهم للحساب).
 - (١٣) الأثير: الفاضل، الكريم.

وأربعين وسبعمائة^(١).

وفي سنة ٧٥٠ للهجرة (١٣٥٠ م)، أو بعدها بقليل كتب لسان الدين بن الخطيب على لسان سلطان غرناطة أبي الحجاج يوسف النيار بن إسماعيل (٧٣٣ - ٧٥٥ هـ) «رسالة إعلامية» (من الدعاية الرسمية) يُشدّد فيها عزائم الرعية على شيء من الصبر على الضيق النازل بقرناطة ويُميّهِم^(٢) بفرج أوسع مدى. في هذه الرسالة (نفع الطيب ٤: ٤٤٢ - ٤٤٤):

.... فقد عَلِمْتُمْ، ما كانتِ الحالُ آلتِ^(٣) إليه من ضيقة البلادِ والعيادِ بهذا الطاغية^(٤) الذي جرى في مِبدانِ الأملِ جَرَيِ الجموحِ^(٥)، ودارتِ عليه خَمَرَةُ النُخوةِ والحيلةِ معَ الفُبوبِ والصُّبوحِ^(٦)، حتّى طَمَحَ بِسُكْرِ أَعْتازِلِهِ. و (قد) مُحَصَّنُ^(٧) المسلمون على يدهِ بالوقائعِ التي تُجاوِزُ مُنتهى بِقداره^(٨)، وتَوَجَّهَتْ إلى اسْتِفْصالِ الكَلِمَةِ^(٩) مطامِعُ أَفكارِهِ، وَوَقَّعَ بِأَنَّهُ يُطْفِئُ نورَ اللهِ بِنارِهِ. ونازَلَ جَبَلَ الفَتْحِ فَشَدَّ مُحَنَقُ حِصارِهِ^(١٠).... وساءَ الظُّنُونُ في هذا القَطَرِ الوحيدِ^(١١) المُنْقَطِعِ بينِ الأُمّةِ الكافرةِ والبُحُورِ الزاخرةِ والمَرَامِ البعيدِ. وإِنّا صابِرنا بالله^(١٢) تعالى تَبَارَ سَيِّلِهِ واستَضأنا بنورِ التوكُّلِ عليه في جُنحِ هذا الحَطْبِ ودُجْنَةِ لَيْلِهِ^(١٣)، ولجأنا إلى

(١) بوافقه في التقويم الميلادي ١٣٤٤/٧/٩.

(٢) يجعل لهم أمنية: أملاً مقبلاً.

(٣) آلت: رجعت، صارت (وصلت).

(٤) كان المسلمون في الأندلس يطلقون على ملوك إسبانية لقب «الطاغية» (الظالم المتجبر).

(٥) الجموح: الحصان الشيط النافر الذي لا يكاد يمكن أحداً من ركوبه.

(٦) خمر (الصواب: خمر). الحيلة: التكبر. الحاماة، التعاطف، التكبر. الفبوب: شرب الخمر ساء.

الصبح: شرب الخمر صباحاً.

(٧) محصن: طهر، اختبر، نفى الكدر والثوابث من المعادن. محص (القتال) الناس: نفى منهم من لا يصلح (أهلك أكثرهم).

(٨) قتل من المسلمين، أكثر مما كان هو قادراً على قتله (لضعف المسلمين ونحاذلهم).

(٩) استيفصال: اقتلاع. الكلمة (كلمة التوحيد).

(١٠) جبل الفتح: جبل طارق.... اشتدّ عليه الحصار.

(١١) الوحيد (هنا) المنفرد بنفسه والمنقطع عن إخوانه المسلمين.

(١٢) صابرينا بالله (استمناً بالله ليكون صبرنا على القتال أكثر من صبر عدونا).

(١٣) الجنح: الجانب من الليل. الدجّة: الظلام.

مَنْ يَبْدَهُ نَوَاصِيِ الْخَلَائِقِ ^(١).... وَفَسَحْنَا مَجَالَ الْأَمَلِ فِي ذَلِكَ الْمَيْدَانِ الْمُتَضَاقِقِ....
وَلَمْ نَقْصُرْ - مَعَ ذَلِكَ - فِي إِبْرَامِ الْعَزْمِ وَاسْتِشْعَارِ ^(٢) الْحَزْمِ وَإِمْدَادِ الثُّغُورِ بِأَقْصَى
الْإِمْكَانِ وَبَعَثِ الْجِيُوشَ إِلَى مَا يَلِينَا عَلَى الْأَحْيَانِ ^(٣). فَرَحِمَ اللَّهُ انْقِطَاعَنَا إِلَى كَرَمِهِ
وَالْتَجَاءَنَا إِلَى حَرَمِهِ ^(٤)، فَجَلَّى ^(٥) بِفَضْلِهِ، سُبْحَانَهُ، ظُلْمَ الشَّدَةِ وَمَدَّ عَلَى الْحَرَمِ
وَالْأَطْفَالِ ظِلَالَ رَحْمَتِهِ الْمُتَمَدِّدَةِ.....

وَبَيْنَمَا شَفَقَتُنَا عَلَى جَبَلِ الْفَتْحِ تُقِيمُ وَتُقْعِدُ، وَكَلَبُ ^(٦) الْأَعْدَاءِ عَلَيْهِ يُبْرِقُ
وَيُزْعِدُ، وَالرَّجَاءُ وَالْيَأْسُ خَصَانٍ: هَذَا يُقَرِّبُ وَهَذَا يُبْعِدُ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا الْبَشِيرُ
بِأَنْفِرَاجِ الْأَزْمَةِ وَحَلَّ تِلْكَ الْعَزْمَةَ وَمَوْتَ تِلْكَ الرَّقْمَةِ ^(٧) وَإِبْقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى
تِلْكَ الْبَقْعَةِ ^(٨)، وَأَنَّهُ، سُبْحَانَهُ - أَخَذَ الطَّاعِيَةَ ^(٩) أَكْمَلَ مَا كَانَ أَغْتَرَارًا وَأَعْظَمَ
أَنْصَارًا.... وَأَنَّ مَنْ يَبْدَهُ الْأَمْرُ طَرَقَهُ بِحَتْفِهِ ^(١٠) وَأَهْلَكَهُ بِرُغْمِ أَنْفِهِ، وَأَنَّ مَحَلَّتَهُ
عَاجِلَهَا التَّيَّابُ وَالتَّبَارُ ^(١١)، وَعَاقَتْ فِي مَنَازِلِهَا النَّارَ ^(١٢).... وَأَنَّ حُمَاتَهَا ^(١٣) يَخْرُبُونَ

(١) إلى من يبدئه.. (إلى الله). الناصية: مقدم الرأس أو شعر مقدم الرأس.

(٢) استشعار (لبس) الحزم (البت في الأمور): تظاهروا بذلك.

(٣) الثغر: المكان الذي يحشى بحميء العدو منه. يلينا: يكون إلى جانبنا، على مقربة منا. على الأحيان: حيناً بعد حين (٢).

(٤) الحرم: المكان الذي يحميهِ صاحبه. حرم الله: المكان الذي لا يجوز فيه القتال.

(٥) جَلَّى: كشف.

(٦) الكلب (بفتح ففتح): شدة الأذى.

(٧) الأزمة: الشدة. العزيمة: الإرادة. شاه (ملك) الرقمة: رقعة الشطرنج (بالكسر): كناية عن ملك
الإسبان ألفونسو الحادي عشر الذي توفي في أثناء حصار جبل طارق، عام ١٣٥٠ للميلاد
(٧٥١هـ). - التعبير «شاه تلك الرقمة» مأخوذ من المقامة المضيرية لبدیع الزمان الهمداني (ت
٣٩٨هـ).

(٨) تلك البقعة (التي كانت قد بقيت للمسلمين في الأندلس).

(٩) أخذ الطاغية: أماته.

(١٠) طرقه (أناه بفتة) بحتفه (بهلاكه).

(١١) التباب والتبار: الهلاك.

(١٢) عاث: أفسد.

(١٣) الهابة: الجنود (المدافعون، الأبطال).

بيوتهم بأيديهم وينادي بشتات^(١) الشمل مُناديهم. وتلاحق الفُرسان^(٢) من جَبَلِ الفتح (ذلك) المَعْقِلِ^(٣) الذي عليه من عناية الله تعالى رواقٌ مضروب، والرباط^(٤) الذي من حاربه فهو المهروب^(٥). فأخبرت بانفراج الضيق وارتفاع العائق لها عن الطريق.... وأن النصرى - دمرها الله تعالى - جدت في أرتحالها^(٦) وأسرعت بحيفة طاعتها^(٧) إلى سوء مآلها^(٨) وحالها، وساحت للنار والنهب بأسلابها وأموالها^(٩). فبهرنا هذا الصنع الإلهي الذي مهد الأقطار بعد رجفانها^(١٠) وأنام العيون بعد سهاد أجفانها.... ورأينا سر اللطائف الحفيفة كيف سريانه في الوجود وشاهدنا بالعيان أنوار اللطائف الإلهية والوجود. وقلنا: إنما هو الفتح الأول شمع بنان، وقواعد الدين الحنيف أيدت من صنع الله بينان^(١١). اللهم، لك الحمد على نعيمك الباطنية والظاهرة ومينك^(١٢) الوافرة. إنك ولينا^(١٣) في الدنيا والآخرة.

وهالك رسائل أخرى بهذا المعنى لا تخرج عن هذا الإطار - من ضعف المسلمين حيناً وتحاذل أمرائهم حيناً آخر، ومن تناصر الدول النصرانية في أوروبة على إخراج المسلمين من الأندلس. وكانت البابوية تنزعهم هذه الحركة - مما لا حاجة إلى الاستشهاد بها. إن ما ذكرته يُجزئ عما لم أذكره. وفي هذه الصفحات الكثيرة التي

(١) الشتات: التفرق.

(٢) تلاحق الفرسان: لحق بعضهم بعضاً (فرّوا، هربوا، انهزموا).

(٣) المعقل: الحصن (بالكسر).

(٤) الرباط: المكان الذي يكون فيه مدافعون على حدود الدولة الإسلامية.

(٥) المهروب: الملولب (الحاسر).

(٦) جدت في أرتحالها: أسرعت في سفرها (رجوعها إلى بلادها).

(٧) حيفة (جثة) طاعتها (ملكها: ألفونس الهادي عشر).

(٨) إلى سوء مآلها: مرجعها، مصيرها (مرجع الملك بعد الموت إلى جهنم).

(٩) ساحت للنار والنهب بأسلابها وأموالها (٩).

(١٠) مهد (بلا تشديد وبتشديد): عمل على تسهيل الأمر وتهيشته (نسكينه).

(١١) الفتح الأول (موت الطاغية ألفونس الهادي عشر). الفتح الثاني (انسحاب الإسبان وتركهم محاصرة المسلمين). قواعد (أسس) الدين الحنيف (الإسلام) أيدت (قويت، زاد، رسوخها) بينان (بدعائم، بكمال).

(١٢) المن جمع منة (بالكسر): نعمة.

(١٣) الولي: الذي يتولى أمر الناس (الصاحب، النصير، الحليف، الكفيل، الخ).

مَرَّتْ نَوْعٌ مِنَ الْأَدَبِ (أَدَبِ التَّمَجُّعِ) وَغَاذُجٌ وَافِيَةٌ لِأُسْلُوبِ لِسَانِ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ.

- ومن رسالة لِسَانِ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ، بَعْدَ أَنْ وَرَدَ خَبَرُ بَأْنِ بَنِي مَرِينٍ كَانُوا قَدْ عَزَمُوا عَلَى إِنْجَادِ غَرْنَاطَةَ ثُمَّ جَاءَ خَبَرٌ ثَانٍ بِأَنَّهُمْ عَدَلُوا عَنْ ذَلِكَ (نَفَحَ الطَّيْبُ ٤ : ٤١١ - ٤١٤):

.... وَنَحْنُ مِنْهَا شُدُّ الْمُخْتَقِ بِكُمْ نَسْتَنْصِرُ، أَوْ تَرَخِي فِيهِ وَدُّكُمْ نَسْتَنْصِرُ، أَوْ فَتَحَ اللَّهُ تَعَالَى فَأَبْوَابَكُمْ نُهْنِي وَنُبَشِّرُ. وَقَرَّرْنَا عِنْدَكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ تَوَقَّفَ عَنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ فَلَمْ تَصِلْ مِنْهُ إِلَيْهَا سَرِيَّةٌ^(١)، وَلَا بَطْشَتْ لَهُ (فِيهَا) يَدٌ جَرِيَّةٌ^(٢)... وَلَا نَدْرِي الْمَكِيدَةَ تُدَبِّرُ.... أَوْ لَشَاغِلٍ فِي الْبَاطِنِ لَا يَظْهَرُ^(٣)؟ وَبَعْدَ ذَلِكَ، وَرَدَّتْ عَلَى بَايُنَا مِنْ بَعْضِ كِبَارِهِمْ وَزُعَاةِ أَقْطَارِهِمْ مُخَاطَبَاتٌ يَتَذَبُّونَ فِيهَا إِلَى جُنُوحِهَا لِلسَّلَامِ فِي سَبِيلِ النُّصْحِ^(٤)... فَلَمْ يَخَفَ عَنَّا أَنَّهُ أَمْرٌ دُبِّرَ بِلَيْلٍ^(٥)... فَوَجَّهْنَا إِلَيْهِ... لِنَعْتَبِرَ مَا لَدَيْهِ^(٦)... فَتَأْتَى ذَلِكَ وَجَرَ مُفَاوِضَةٍ أَعْدَدْنَا (فِي الْحَاشِيَةِ: أَعْدَدْنَا) لِأَجْلِهَا الرِّسَالَةَ^(٧) وَاسْتَشْعَرْنَا الْبَسَالَ^(٨).... وَنَحْنُ نَرْتَقِبُ مَا يَخْلُقُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ مُهَادِنَةٍ تَحْصُلُ بِهَا الْأَقْوَاتُ الْمُهَيَّاتُ لِلْإِنْتِسَافِ^(٩)، وَتَسْكُنُ (فِي الْحَاشِيَةِ: تَسْكُنُ) مَا سَاءَ الْبِلَادُ الْمُسْلِمَةُ مِنْ هَذَا الْإِرْجَافِ^(١٠).... أَوْ حَرْبٍ يَبْلُغُ الْأَسْتَبْصَارَ فِيهَا غَايَتَهُ^(١١).... وَلَمْ

(١) السَّرِيَّةُ (فِي الْأَصْلِ): جَيْشٌ يَذْهَبُ لِلْجِهَادِ وَلَا يَكُونُ فِيهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ. وَهَذَا: حَلَّةٌ عَسْكَرِيَّةٌ فَقَطْ.

(٢) جَرِيَّةٌ = جَرِيَّةٌ (وَحُذِفَتِ الْهَمْزَةُ لِلْمُوَافَقَةِ فِي السَّجْعِ مَعَ «سَرِيَّةٍ»).

(٣) ...لَشَاغِلٍ فِي الْبَاطِنِ: لِشَاكِلٍ دَاخِلِيَّةٍ (فِي بِلَادِ الْإِسْبَانِ).

(٤) .. يَطْلُبُونَ مِنَّا أَنْ نَمْنَحَ (نُعِيلَ) إِلَى السَّلَامِ (الصَّلَاحِ) فِي سَبِيلِ النُّصْحِ (اقْرَأْ: عَلَى سَبِيلِ النُّصْحِ): حُبًّا بِفَائِدَتِنَا نَحْنُ (الْمُسْلِمِينَ).

(٥) أَمْرٌ دُبِّرَ بِلَيْلٍ (مَكِيدَةٌ، خَدَاعٌ).

(٦) تَظَاهَرْنَا أَنَّنَا قَبِلْنَا اقْتِرَاحَ الْإِسْبَانِ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ مُفَاوِضِينَ.

(٧) الرِّسَالَةُ (هَذِهِ الرِّسَالَةُ).

(٨) اسْتَشْعَرْنَا الرَّجُلَ: لِسِ الثَّمَارِ (ثَوْبٍ بَلِيسٍ مُلَاصِفًا لِلدَّنِّ). اسْتَشْعَرْنَا الْبَسَالَ (الشَّجَاعَةَ): تَظَاهَرْنَا بِالْقُوَّةِ (بَيْنَنَا كُنَّا نَكْتُبُ إِلَيْكُمْ هَذِهِ الرِّسَالَةَ لِنَسْتَفِيتَ بِكُمْ).

(٩) فَعَمَلْنَا ذَلِكَ (قَبِلْنَا الْهَدَنَةَ) خَوْفًا عَلَى الْمَوَاسِمِ الَّتِي قَرُبَ حَصَادُهَا وَنَحْنُ إِذَا جَاءَ الْإِسْبَانُ بِحِمْلَةٍ عَلَيْهَا أَنْ يَنْتَسِفُوهَا (يَقْتُلُوهَا): يَتْلَفُوهَا.

(١٠) الْإِرْجَافُ: نَشْرُ الْأَخْبَارِ السَّيِّئَةِ (الْتِهَادِيدِ بِالْحَرْبِ).

(١١) حَرْبٌ يَبْلُغُ الْاسْتَبْصَارَ (حَسَنَ النَّظَرِ) فِيهَا غَايَتَهُ (تَقَامَهُ): حَرْبٌ لَيْسَتْ لِصَالِحِنَا.

نَجْعَلُ سَبَبَ الْأَعْيَازِ فِيهَا أَرْدْنَا وَشَمُوحَ الْأَنْفِ فِيهَا أَصْدَرْنَا إِلَّا مَا أَشْعْنَا مِنْ عَزْمِكُمْ ^(١) عَلَى نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ وَارْتِقَابِ خُفُوقِ الْأَعْلَامِ ^(٢).... ثُمَّ اتَّصَلَ بِنَا الْخَبِرُ الْكَارِثُ ^(٣) بِمَا كَانَ مِنْ حَوَرِ الْعِزَائِمِ الْمُؤْمَنَةِ بَعْدَ كَوْرِهَا ^(٤)، وَتَسْوِيفِ مَوَاعِيدِ النُّصْرَةِ بَعْدَ قَوْرِهَا ^(٥) وَأَنَّ الْحَرَكَةَ مُعَمَّلَةً إِلَى مَرَاكُشٍ ^(٦) الْجَهَةِ الَّتِي فِي يَدَيْكُمْ زَمَانُهَا..... فَقَطَّ فِي الْأَيْدِي الْمَمْدُودَةِ ^(٧)... وَخَسِيتِ الْأَبْصَارُ الْمُرْتَقِبَةُ ^(٨) وَسَاءَتِ الظُّنُونُ وَذَرَفَتِ الْعُيُونُ. وَأَكْذَبَ الْفُضْلَاءُ الْخَبَرَ وَتَقَوَّا أَنْ يُعْتَمَرَ. وَقَالُوا: هَذَا لَا يُمَكِّنُ حَيْثُ الدِّينُ الْحَنِيفُ وَالْمُلْكُ الْمُنِيفُ ^(٩) وَالْعُلَمَاءُ الَّذِينَ أَخَذَ اللَّهُ تَعَالَى مِيثَاقَهُمْ وَحَمَلَ النُّصِيحَةَ أَعْنَاقَهُمْ ^(١٠). وَهَذَا الْمُفْتَرَضُ ^(١١) يَا أَبَاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَالْإِسْلَامُ، وَتَأْبَاهُ الْعُلَمَاءُ وَالْأَعْلَامُ، وَتَأْبَاهُ الْمَآذِنُ وَالْمَنَابِرُ، وَتَأْبَاهُ الْهَيْمُ الْأَكَابِرُ. فَبَادَرْنَا نَسْتَطْلِعُ طَلَعَ هَذَا النَّبَأِ الَّذِي إِنْ كَانَ بَاطِلًا فَهُوَ الظَّنُّ، وَهُوَ الْمَنُ ^(١٢). وَإِنْ كَانَ خِلَافَهُ لِرَأْيِ تَرْجَحَ.... فَنَحْنُ نُؤَفِّدُ كُلَّ مَنْ يَقْدَمُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِهَذَا الْقَطْرِ فِي شَفَاعَةٍ وَيَعِدُّ إِلَيْهِ كَفَّ ضَرَاعَةٍ وَمَنْ يُوسِّمُ ^(١٣) بِصَلَاحٍ وَعِبَادَةٍ.... يَتَطَارَحُونَ عَلَيْكُمْ فِي نَقْصٍ مَا أُبْرِمَ وَنَسْخٍ

(١) أَشْعْنَا: أَدْعْنَا، أَعْلَنَّا.

(٢) ارْتِقَاب (انتظار) خُفُوق (تَوَجُّع) الْأَعْلَام (الرايات): مَجِيئُكُمْ لِمَاعِدَتِنَا.

(٣) الْكَارِثُ: الشَّدِيدُ الْوَقْعُ عَلَى النَّفْسِ (الْمُنْذِرُ بِكَارَةِ).

(٤) الْحَوَرُ: الرَّجُوعُ (عَنِ الْعِزْمِ)، نَقْضُ مَا كَانَ الْإِنْسَانُ قَدْ عَزَمَ عَلَيْهِ. الْكُورُ: لَفَّ الشَّيْءُ عَلَى الْجَسْمِ (إِحْكَامُ الرِّبَاطِ، تَأْكِيدُ الْأَمْرِ). الْغُورُ (الْإِسْرَاعُ فِي الْعَمَلِ).

(٥) إِنْ الْجَيْشُ الَّتِي كَانَتْ مَتَّجِهَةً مِنْ مَرَاكُشِ (عَاصِمَةِ الْمَغْرِبِ) إِلَى الْأَنْدَلُسِ لِقِتَالِ الْإِسْبَانِ، هِيَ الْآنَ مَعْمَلَةٌ (مُسْرَعَةٌ) نَحْوُ مَرَاكُشِ (سَبَبِ التَّرَاوُعِ بَيْنَ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ الرَّبِيعِيِّ عَلِيِّ بْنِ عِثَانَ وَأَبِي عِثَانَ فَارِسَ، سَنَةَ ٧٥١ لِلْهَجْرَةِ، عَلَى الْمَرْشِ - رَاجِعِ الْاسْتِقْصَا ٢: ٨٥).

(٦) سَقَطَ فِي الْأَيْدِي الْمَمْدُودَةِ (الطَّالِبَةِ لِلْمُعُونَةِ): تَحَيَّرَتْ وَاضْطَرَّتْ.

(٧) خَسِيتْ: ضَعُفَتْ (فَقَدَتْ الْقُدْرَةَ عَلَى مَعْرِفَةِ الْأُمُورِ). الْمُرْتَقِبَةُ: الْمُنْتَظَرَةُ.

(٨) الدِّينُ الْحَنِيفُ: الْإِسْلَامُ. التَّنِيفُ: الْعَالِي (الثَّابِتُ الْقَوِيُّ).

(٩) الْعُلَمَاءُ مُسْوُولُونَ عَمَّا يَصِيبُ أَمْتَهُمْ.

(١٠) الْمُفْتَرَضُ = الْمَفْرُوضُ (رُجُوعُ بَنِي مَرْيَمَ عَنْ وَعْدِهِمْ بِنُصْرَةِ الْأَنْدَلُسِ وَمُحَارَبَةِ الْإِسْبَانِ).

(١١) نَسْتَطْلِعُ طَلَعَ النَّبَأِ: نَتَبَحَّثُ عَنْ صِحَّةِ الْخَبَرِ. الْمَنُ: النِّعْمَةُ، الْإِنْعَامُ عَلَى النَّاسِ.

(١٢) يَقْدَمُ (٤). الضَّرَاعَةُ: السُّؤَالُ (مَنْ اللَّهُ) بِتَذَلُّلٍ وَخُضُوعٍ. وَسَمَ (بِالْبَاءِ لِلْمُجْهُولِ): صَارَ لَهُ عَلَامَةٌ. - ... نُرْسِلُ إِلَيْكُمْ أَفْرَادًا تُقْبَلُ شَفَاعَتُهُمْ عِنْدَكُمْ (٤) وَتَضَرَّعُ إِلَى اللَّهِ كَيْ تَقْبِلُوا مِنْهُ (٤).

ما أَحْكَمَ^(١)، فَإِنَّكُمْ^(٢) تَجْنُونَ به على مَنِ اسْتَنْصَرَكُمْ عَكْسَ ما قَصَدَ.... وَهَبِ الْعُذْرَ يُقْبَلُ في عَدَمِ الإِعَانَةِ وَضُرُورَةِ الاسْتِمَانَةِ وَالْاسْتِكَانَةِ، أَيْ عُذْرُ يُقْبَلُ في الْأَطْرَاحِ وَالْإِعْرَاضِ الصَّرَاحِ^(٣) كَأَنَّ الدِّينَ غَيْرُ وَاحِدٍ^(٤)، كَأَنَّ هَذَا الْقَطْرَ لِكَلِمَةِ الْإِسْلَامِ جَاحِدٌ، كَأَنَّ ذِمَامَ^(٥) الْإِسْلَامِ غَيْرُ جَامِعٍ.... فَحَنُّ نَسَائِلِكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي تَسَاءَلُونَ به وَالْأَرْحَامِ^(٦)، وَنَأْنَفُ لَكُمْ مِنْ هَذَا الْإِخْجَامِ. وَتَنْتَاطِرُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَتْرُكُوا حَظَّكُمْ فِي أَهْلِ تِلْكَ الْجِهَةِ^(٧) حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْعَدُوِّ الَّذِي يَتَكَالَبُ عَلَيْنَا بِإِذْبَارِكُمْ بَعْدَمَا تَسَاءَلُ لَاسْتِنْفَارِكُمْ^(٨).... وَمَا ذَهَبْتُمْ إِلَيْهِ لَا يَمُوتُ^(٩).... إِنَّمَا الْفَائِثُ مَا وَرَاءَكُمْ مِنْ حَيْثُ تَأْنَفُ مِنْ سَاعِهِ أَوْ دَاوُكُمْ^(١٠) وَدِينٌ يَشْمَتُ به أَعْدَاؤُكُمْ^(١١). فَاسْتَفُوا بِالشَّفَاعَةِ فِيمَنْ يَبْنِيكَ الْجِهَةُ الْمَرَاكِشِيَّةَ قَصَدْنَا^(١٢)، وَحَاشَا إِحْسَانَكُمْ أَنْ يَرْضَى فِيهِ رَدُّنَا.....

- (١) يَطَارِحُونَ: يَتَبَادَلُونَ الْأَرَءَاءَ فِي أَمْرِ مَا (هنا: يَلْقَوْنَ بَأَنفُسِهِمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ بِذَلِكَ). فِي نَفْضِ مَا أَيْرَمَ (فِي) إِطْلَالِ مَا كُنْتُمْ أَقْرَرْتُمُوهُ. وَفِي نَسْخِ مَا أَحْكَمَ (تَبْدِيلِ مَا كَانَ قَدْ جُعِلَ فَرَضًا وَاجِبًا).
- (٢) فَإِنَّكُمْ (إِقْرَأْ: وَإِلَّا فَإِنَّكُمْ - فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَإِنَّكُمْ).
- (٣) اطْرَاحَ الْأَمْرَ: تَرَكَ جِلَّةً وَإِهَالَهُ. الْإِعْرَاضُ (الْإِلْتِفَاتُ عَنِ الْأَمْرِ، تَرَكَ الْإِهْتِمَامَ بِالشَّيْءِ) الصَّرَاحُ (الْوَاضِحُ الَّذِي لَا تَرَدُّدَ فِي تَفْسِيرِهِ).
- (٤) كَأَنَّ دِينَنَا غَيْرَ دِينِكُمْ.
- (٥) الذِّمَامُ: الْعَهْدُ، الْحَقُّ، الْحَرَمَةُ (وَجُوبُ الدِّفَاعِ عَمَّا يَتَّصِلُ بِالْإِنْسَانِ).
- (٦) فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ (٤: ١، سُورَةُ النِّسَاءِ): خَافُوا اللَّهَ. تَسَاءَلُونَ = تَسَاءَلُونَ بِهِ بَيْنَكُمْ (حِينَ يَقُولُ أَحَدُكُمْ لِلْآخَرِ: أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ - بِأَنِّي وَإِيَّاكَ نَعْبُدُ رَبًّا وَاحِدًا) وَاتَّقُوا (خَافُوا عَلَى) الْأَرْحَامِ (الْقَرَابَةِ الَّتِي بَيْنَنَا فِي الدِّينِ، وَفِي النَّسَبِ أَيْضًا) أَنْ تَقْطَعُوهَا وَتَتْرُكُوا نَصْرَنَا فَيَسْتَوْلِي عَلَيْنَا الْعَدُوُّ الْكَافِرُ.
- (٧) انْزَكُوا الْآنَ الْخِلَافَ الَّذِي بَيْنَكُمْ فِي تِلْكَ الْجِهَةِ (مَرَاكِشَ - مِنَ الْخِلَافِ عَلَى تَوَلَّى الْعَرْشِ) إِلَى أَنْ تَقْضُوا مِنَ الْعَدُوِّ (الْإِسْبَانِ) الَّذِي يَتَكَالَبُ (يَعْلُنُ الْعِدَاةَ لَنَا ثُمَّ يَشِبُّ عَلَيْنَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ) بِإِذْبَارِكُمْ (إِذَا رَأَى أَنَّكُمْ تَتَخَلَّفُونَ عَنْ نَصْرَتَا).
- (٨) اسْتِنْفَارِكُمْ: الاسْتِخَانَةُ بِكُمْ.
- (٩) مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ (حُلُّ مُشْكَلَةِ الْخِلَافِ عَلَى الْعَرْشِ) لَا يَمُوتُ (لَا بِمَضِيِّ زَمْنِهِ، يُمْكِنُ أَنْ تَعَالِجُوهُ بَعْدَ مَدَّةٍ). إِنَّمَا الْفَائِثُ (الَّذِي تَحْصِرُونَهُ ثُمَّ لَا تَقْضُونَهُ) مَا وَرَاءَكُمْ (مَا تَرَكَتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ: لَا تَهْتَمُّونَ بِهِ، أَيْ ضِيَاعُ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ).
- (١٠) الْوَادَّ: الْمَهْجَرُ.
- (١١) وَدِينٌ (أَيِ الْإِسْلَامِ) يَشْمَتُ به أَعْدَاؤُكُمْ - إِذَا زَالَ عَنِ الْأَنْدَلُسِ.
- (١٢) ابْعَثُوا إِلَى مُسَاعَدَتِنَا أَوْلَئِكَ الْجُنُودَ الَّذِينَ رَدَدْتُمُوهُمْ إِلَى مَدِينَةِ مَرَاكِشَ.

المَوْلِدُ، هنا، ذكرى ميلادِ محمدٍ رسولِ الله - في ثاني عشر ربيعِ الأولِ من العام ٥٢ قبلَ الهجرة (٥٧٠ م) - والاحتفالُ بهذهِ الذكرى بِدَعَا (شيءٍ) لم يكنِ في أيامِ رسولِ الله ولا في أيامِ الصَّحابةِ. غيرَ أنَّ هذهِ البِدْعَةَ إذا اتَّصلتْ بالتقوى (من صلاةٍ وذكرٍ لله) وبالأعمالِ الصالحةِ (من خدمةِ المجتمع: بالصدقةِ والوعظِ والتحدثِ بمآثرِ الإسلامِ وزيارَةِ بعضِ المسلمينَ بعضاً تأكيداً للمودَّةِ بينهم) فإنَّها تُصَيِّحُ حينئذٍ بِدْعَةَ حَسَنَةٍ محمودَةٍ. أمَّا هذا الذي يفعله اليومَ جماعاتٌ من المسلمينَ عادةً (من إقامةِ الزينةِ من الورقِ الملونِ وإطلاقِ الرصاصِ والرُّكُضِ في الشوارعِ واستغلالِ المناسبةِ الكريمةِ في سبيلِ أغراضٍ دُنْيَوِيَّةٍ مُختلفةٍ - سياسيَّةٍ أو غيرِ سياسيَّةٍ) فإنَّها هُوَ جاهليَّةٌ ووَنِيَّةٌ أيضاً. وعلى هذا قال الإمام شَيْخُ الإسلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ (ت ٧٢٨ هـ).

«..... وأما اتِّخَاذُ مَوْسَمٍ غيرِ المَوَاسِمِ الشرعيَّةِ^(١) كَبَعْضِ ليالي شهرِ ربيعِ الأولِ التي يُقالُ إنَّها ليلةُ المولدِ^(٢)، أو بعضِ ليالي رَجَبٍ^(٣) أو ثامنِ عَشَرَ ذي الحِجَّةِ^(٤) أو

(*) للدكتور محسن جمال الدين كتاب في ثمان وأربعين صفحة، على صفحته الأولى: في رياض الأندلس: احتفال الموالد النبوي في الأسماء الأندلسية والمغربية والمهجربة، الطبعة الأولى، بغداد (مطبعة دار البصري) ١٩٦٧ م. - ومع أن هذا الكتاب يتناول أشياء كثيرة لا صلة لها بالمولد: دخول الإسلام إلى المغرب والأندلس (ص ٨ - ١٤) ثم اهتمام العلماء والأمراء والخلفاء في ميلاد الرسول الأعظم (ص ١٤ - ١٩)، وهو فصل في نفر من علماء المغرب والأندلس ليس فيه ذكر للمولد. ثم يأتي فصل: الشخصيات الأندلسية والمغربية التي زارت المشرق أو دخلت الأماكن المقدسة (ص ١٩ - ٢٠). وابتداء من الصفحة العشرين (أو الحادية والعشرين على الأصح) يأتي الكلام على الاحتفال للمولد البيوي. ولا شك في أن الصديق محسن جمال الدين قد نبه الأفكار بكتابه الموجز إلى موضوع يستحق عناية وافية.

(١) في الإسلام موسمان شرعيان: أوَّلُ شَوَّالٍ (عيد الفطر) لخروج المسلم من صيام رمضان على طاعةٍ ثم العاشر من ذي الحِجَّةِ (عيد الأضحى: لقيام المسلم المستطيع بفريضة الحج).

(٢) لا خلاف في أن محمداً رسول الله قد ولد في شهر ربيع الأول، ولكن هنالك خلافاً في اليوم الذي ولد فيه من شهر ربيع الأول.

(٣) لعل في ذلك إشارة إلى ليلة الإسراء. إنَّ الحوادث التاريخية: إسراء الرسول صلى الله عليه وسلم (في السابع والعشرين من رجب) ثابت. ولكن الاحتفال بهذه الليلة من كلِّ عام لم يكن معروفاً في أيام الصحابة.

(٤) في الثامن عشر من شهر ذي الحِجَّةِ (من السنة العاشرة للهجرة) كان الرسول راجعاً من حجة الوداع. فلما =

أَوَّلِ جُمُعَةٍ مِنْ رَجَبٍ أَوْ ثَانِيَنِ شَوَّالٍ الَّذِي يُسَمِّيهِ الْجُهَّالُ عِيدَ الْأَبْرَارِ، فَإِنَّهَا مِنْ الْبِدْعِ الَّتِي لَمْ يَسْتَحِبَّهَا السَّلَفُ وَلَمْ يَفْعَلُوهَا ^(١) .

أَمَّا الْأَحْتِفَالُ بِذِكْرِ الْمَوْلِدِ وَبِذِكْرِ أَيَّامِ وَلِيَالٍ مُخْتَلِفَاتٍ فَبَدَأَ فِي أَيَّامِ الْفَاطِمِيِّينَ (فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ لِلْهِجْرَةِ = الْعَاشِرِ لِلْمِيلَادِ)، فَقَدْ أَرَادَ الْفَاطِمِيُّونَ أَنْ يَجْمَعُوا لِحُكْمِهِمُ السِّيَاسِيَّ وَجَاهَةً فَاتَّخَذُوا عِدَّةً مِنَ الْمُنَاسِبَاتِ الْمَشْهُورَةِ وَتَأَلَّفُوا بِهَا عَوَامَ النَّاسِ بِإِقَامَةِ الْمَادِبِ الْعَامَّةِ وَإِقَامَةِ مَعَالِمِ الزِينَةِ بِالْأَنْوَارِ وَبِقِرَاءَةِ السِّيَرَةِ (النَّبَوِيَّةِ أَوْ غَيْرِهَا مِنَ السِّيَرِ). وَأَحَبُّ الْعَامَّةِ ذَلِكَ. وَلَمْ يَكُنْ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَحْتِفَالَاتِ ضَرَرٌ (إِذَا كَانَتْ لِلتَّقْوَى وَلِفَائِدَةِ النَّاسِ)، وَلَكِنَّهَا - عَلَى كُلِّ حَالٍ - لَيْسَتْ قَرَضاً عَلَى النَّاسِ.

وَأَحَبُّ نَفَرٍّ مِنَ الْعَمَلِ أَيْضاً وَضَعَ سِيرَةَ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقِرَاءَةَ تِلْكَ السِّيَرَةِ عَلَى النَّاسِ فِي عِدَدٍ مِنَ الْمُنَاسِبَاتِ الْعَامَّةِ أَوْ الْخَاصَّةِ (شُكْرًا لِلَّهِ عَلَى شِفَاءِ مَرِيضٍ أَوْ نَجَاحِ مَشْرُوعٍ أَوْ مَا يُشْبِهُ ذَلِكَ).

وَبَيْنَمَا كَانَ عَوَامُ النَّاسِ وَنَفَرٌ مِنَ الرُّعَمَاءِ السِّيَاسِيِّينَ يَخْرِصُونَ عَلَى الْأَحْتِفَالِ بِذِكْرِ الْمَوْلِدِ، كَانَ هُنَاكَ مَقَاوِمَةً لِهَذَا الْأَحْتِفَالِ عَلَى أَنَّهُ بِدْعَةٌ. أَمَّا صِلَاحُ الدِّينِ الْأَيُّوبِيِّ فَقَدْ كَانَ يُشَجِّعُ هَذِهِ الْأَحْتِفَالَاتِ لِأَغْرَاضٍ دِفَاعِيَّةٍ. كَانَ الْإِفْرِنْجُ الصَّلِيبِيُّونَ يَجْتَمِعُونَ فِي الْمَوَاسِمِ النَّصْرَانِيَّةِ، فإِذَا رَأَوْا غُرَّةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ هَاجَمُوهُمْ. فَدَعَا صِلَاحُ الدِّينِ إِلَى إِقَامَةِ مَوَاسِمٍ إِسْلَامِيَّةٍ فِي أَيَّامِ الْمَوَاسِمِ النَّصْرَانِيَّةِ بِاسْمِهَا مُخْتَلِفَةٍ وَأَخْتَرَعَ عِدَّةً مِنْ مِثْلِ تِلْكَ الْمَوَاسِمِ أَيْضاً ثُمَّ جَعَلَ لِلْمَوْسِمِ الْوَاحِدِ (فِي يَوْمٍ مَا مِنْ الْأَيَّامِ) أَسْمَاءً مُخْتَلِفَةً فِي الْأَمَاكِنِ الْمُخْتَلِفَةِ ^(٢).

= وَصَلَ إِلَى غَدِيرِ خَمٍّ نَزَلَ (لِيَسْتَرِيحَ)، لِأَنَّ السَّفَرَ الْقَدِيمَ كَانَ مَرَّاحِلَ. فَفِي ذَلِكَ الْمَكَانِ أَخَى الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ. الْهَدُوثُ تَارِيخِيٌّ فِيهَا يَدُورُ. وَلَكِنْ الْأَحْتِفَالُ بِذِكْرِ هَذِهِ الْحَادِثَةِ بَدْعَةٌ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ بَدْعَةٌ حَسَنَةٌ، وَلَكِنَّهَا لَيْسَتْ عِيدًا شَرْعِيًّا.

(١) فَتَاوَى ابْنِ تَبْيَةِ (الْقَاهِرَةُ ١٣٢٦ هـ) ١: ٣١٢.

(٢) كَانَتْ هَذِهِ الْمَوَاسِمُ (الْأَعْيَادُ الشَّعْبِيَّةُ) تَحْمِلُ مَعْنَى دِينِيًّا وَغَايَةً سِيَاسِيَّةً حَرْبِيَّةً. مِنْ هَذِهِ مَوْسَمِ النَّبِيِّ مُوسَى فِي الْقُدْسِ وَمَوْسَمِ النَّبِيِّ رُؤَيْبِنَ فِي بَاغَا (فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ؟.....؟) وَأَرْبَعَاءُ أَيُّوبَ فِي بَيْرُوتَ، وَخَبْسُ الْمَشَايِخِ (خَبْسُ الدَّعَةِ) فِي حِمصَ، الْخ. وَقَدْ كَادَتْ هَذِهِ الْمَوَاسِمُ تَنْسَى الْآنَ.

وكانت غاية صلاح الدين من ذلك أن يكون من المسلمين جماعات مجتمعة متأهبة في أيام آجتاج النصارى في أعيادهم لئلا يُهاجم الإفرنج الصليبيون بلدة مسلمة والمسلمون فيها أو حولها غافلون عن ذلك. وانتشرت هذه المواسم في الشام ومصر والعراق ثم عاش عددٌ منها بعد ذلك زماناً طويلاً.

يُخبرنا ابنُ جُبَيْر في «رحلته» أنه شهد احتفالاً بذكرى مولد الرسول في مكة، في أواخر القرن السادس للهجرة (أواخر القرن الثالث عشر للميلاد).

وفي مطلع القرن السابع للهجرة كان مظفر الدين كوكبوري صهر صلاح الدين الأيوبي (زوج أخته) يُقيم احتفالات لذكرى المولد في ولايته، في إربل، بالعراق. وقد نظم ابن دحية الكلبي التوفى سنة ٦٣٣ للهجرة (١٢٣٥ م) لكوكبوري «مولداً» (سيرة رسول الله: التنوير في مولد الرّاج المنير).

ومن الشام ومصر انتقل هذا الاحتفال بذكرى مولد الرسول إلى المغرب والأندلس، ثم إلى الهند أيضاً. قال السّخاوي (ت ٩٠٢هـ = ١٤٩٧م) في كتابه «التبصرة المسبوك في نصيحة الملوك» (ص ١٣ - ١٤): «ولا يزال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده، صلى الله عليه وسلم: يعملون الولائم لذلك ويتصدقون في ليلته بأنواع الصدقات ويظهرون السرور ويزيدون في المبرات ويتغنّون بقراءة مولده الكريم... وأكثرهم بذلك عناية أهل مصر والشام. وللسلطان في تلك الليالي مقام يقوم فيه... فلقد حضرت ليلة مولد من سنة ٧٨٥ (*) عند الظاهر بقوق».

والبديعيات (مدح رسول الله) فن قديم جداً بدأه كعب بن زهير بن أبي سلمى (ت ٢٦ هـ = ٦٤٥ م) في أيام الرسول (راجع الجزء الأول من هذه السلسلة). ثم اتسع القول في ذلك. وخرج هذا الفن من المدح المألوف إلى التغني به في المناسبات، وفي ذكرى مولد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، من كل عام. فبين الذين وضعوا

(*) ليلة المولد (بالحسان العربي): العرب يحسبون اليوم من غروب الشمس إلى غروبها في اليوم التالي، فالليلة عندهم قبل النهار. فليلة المولد، إذن، هي الثاني عشر من شهر ربيع الأول (من سنة ٧٨٥ للهجرة: ١٦ / ٥ / ١٣٨٣ م). أمّا في حسابنا اليوم (في الرزنامة) فليلة المولد في تلك السنة كانت (عندنا اليوم) أول ليل الحادي عشر من ربيع الأول ٧٨٥ هـ (١٥ / ٥ / ١٣٨٣ م).

«مَوَالِدَ» يُتْلَى أَوْ لِيُتَشَدَّ فِي هَذِهِ الْمُنَاسِبَةِ الْكَرِيمَةِ مِنْ كُلِّ عَامٍ (فِي الْمَشْرِقِ): ابْنُ الْمُفَرِّجِ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ (ت ٤١٨ هـ) لَهُ قَصِيدَةٌ فِي مَدْحِ الرَّسُولِ (نَفْحِ الطَّيِّبِ ٧: ٤٨٨ - ٤٨٩) ثُمَّ أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْجَوْزِيِّ (٥٩٧ هـ) وَعَبْدُ الرَّحِيمِ الْبُرْجِيُّ الْيَمَنِيُّ (ت ٨٠٣ هـ) وَالسَّخَاوِيُّ صَاحِبُ الضَّوِّ اللَّامِعِ (ت ٩٠٢ هـ) وَعَاشَةُ الْبَاعُونِيَّةِ (ت ٩٢٢ هـ) وَابْنُ الدِّيَنْعِ الشَّيْبَانِيُّ (ت ٩٤٤ هـ) وَابْنُ حَجَرٍ الْهَيْتَمِيُّ (٩٧٤ هـ).

وَقَالَ أَهْلُ الْمَغْرِبِ وَأَهْلُ الْأَنْدَلُسِ كَثِيرًا فِي مَدْحِ رَسُولِ اللَّهِ وَأَنْشَدُوا الْمَدَائِحَ فِيهِ فِي الْمُنَاسِبَاتِ (وَفِي ذِكْرِ الْمَوْلَدِ خَاصَّةً). وَفِي هَذَا الْفَصْلِ الطَّوِيلِ لَمَحَاطٌ مِنْ ذَلِكَ. وَسِيرَى الْقَارِئِ أَنَّهُ لَوْ أَرَدْتُ اسْتِعْرَاضَ كُلِّ مَا قِيلَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ هُنَا لَبَلَغَ هَذَا الْفَصْلُ نِصْفَ هَذِهِ الْجُزْءِ.

فَمِنْ الَّذِينَ نَظَمُوا فِي «مَوْلَدِ رَسُولِ اللَّهِ» خَاصَّةً أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْعَرِيفِ الصُّوفِيُّ (ت ٥٣٦ هـ)، لَهُ عَدَدٌ مِنَ الْمَدَائِحِ فِي الرَّسُولِ (نَفْحِ الطَّيِّبِ ٧: ٤٩٧ - ٤٩٩). مِنْ ذَلِكَ مَثَلًا:

وَحَقِّكَ، يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ قَلْبِي بِحُبِّكَ قُرْبَةً نَحْوَ الْإِلَهِ (١).
جَرَتْ أَمْوَاهُ حُبِّكَ فِي فُؤَادِي فَهَامَ الْقَلْبُ فِي طَيْبِ الْمِيَاهِ.
فَصَبَرْتُ أَرَى الْأُمُورَ بَعَيْنٍ حَقٍّ، وَكُنْتُ أَرَى الْأُمُورَ بَعَيْنٍ لَا هِيَ (٢).
إِذَا شُغِفَ الْفُؤَادُ بِهِ وَدَادَا، فَهَلْ يَنْهَاهُ عَنْ ذِكْرِهِ نَاهِي؟ (٣)

وَلِابْنِ الْعَرِيفِ أَيْضًا «صَلَاةٌ عَلَى النَّبِيِّ» تُشَبِّهُ «دَلَائِلَ الْخَيْرَاتِ» (أَيِ إِبْرَادِ الْمَعَانِي الْمُخْتَلِفَةِ فِي جَمَلٍ مُتَقَارِبَةٍ فِي اللَّفْظِ). مِنْ ذَلِكَ (نَفْحِ الطَّيِّبِ ٧: ٤٩٨ - ٤٩٩):

صَلَّى الْإِلَهُ عَلَى النَّبِيِّ الْهَادِي مَا لَازَتْ الْأَرْوَاحُ بِالْأَجْسَادِ (٤).
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا أَسَوَّدَ الدُّجَى فَكَمَا مُحِبًّا الْأَفْقَى ثَوَّبَ جِدَادِ.

(١) قربة: قرَّبًا. وسيلة للقرب. - أَنَا أَحَبُّكَ لِغُرْبَتِي حَبِّي لَكَ مِنْ اللَّهِ.

(٢) اللاهي: الذي يسهو، يفتل عن الأمور.

(٣) ذكراه: ذكرى الرسول.

(٤) لاذ: التجأ - وهو يقصد ما دام في الأجساد أرواح (ما دامت هذه الدنيا).

صَلَّى عَلَى خَيْرِ الْأَنَامِ مُحَمَّدٍ مَنَ خَصَّهُ بِالنُّورِ وَالْإِشْرَادِ .
 صَلَّى إِلَهُهُ عَلَى رَسُولٍ فَاتَحَ فَتَحَ الظَّلَامَ بِنُورِهِ الْوَقَادِ .
 صَلَّى عَلَيْهِ مَنَ أَرَاهُ جَلَالَهُ وَأَنَالَهُ مِنْ ذَاكَ كُلِّ مُرَادٍ (١) .

وهذه القصيدة في نفح الطيب واحدٌ وثلاثون بيتاً على هذا النوعِ مِنَ السُّرْدِ .

فإذا نحن اتَّغَلْنَا إِلَى الْأُنْدَلُسِ وَجَدْنَا بَعْضَهُمْ يَنْسِبُ بِدِيعَةِ إِلَى الْقَاضِي عِيَاضٍ
 أَبِي مُوسَى بْنِ عِيَاضٍ (ت ٥٤٤ هـ) . وَلَكِنَّ الْمَقْرِيَّ يَقُولُ (نفح الطيب ٧ :
 ٣٢٣ - ٣٢٤) :

هَنَالِكَ قَصِيدَةٌ « فِي التَّوْبَةِ بِسُورِ الْقُرْآنِ وَ (فِي) مَدْحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ ... » وَهِيَ مِنْ غُرَرِ الْقَصَائِدِ . وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَنْسِبُهَا لِلْقَاضِي الشَّهِيرِ عَالِمِ
 الْمَغْرِبِ أَبِي الْفَضْلِ عِيَاضٍ . وَكَتَبْتُ أَنَا فِي أَوَّلِ الْأَشْتَغَالِ مِمَّنْ يَمْتَقِدُ صِحَّةَ هَذِهِ
 النَّسَبَةِ حَتَّى وَقَعْتُ عَلَى الْبَدِيعَةِ الْمَوْصُوفَةِ لِرَفِيقِهِ أَبِي جَعْفَرٍ (٢) ، فَإِذَا هِيَ مَنْسُوبَةٌ
 لِلنَّاطِمِ ابْنِ جَابِرٍ (٣) .

غَيْرَ أَنَّ الْقَوْلَ فِي « الْبَدِيعِيَّاتِ » عَامَةٌ وَفِي « الْمَوْلُودِيَّاتِ » خَاصَةٌ قَدْ اتَّسَعَ فِي زَمَنِ
 لَاحِقٍ وَكَثُرَ حَتَّى أَصْبَحَ يَفْخِرُ عَلَى الْحَصْرِ .

أَمَّا الرَّحَّالَةُ أَبُو جُبَيْرٍ (ت ٦١٤ هـ) فَقَدْ وَصَفَ طَرَفًا مِنَ الْأَحْتِفَالِ بِالْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ

(١) جلاله : عظمته (عظمة الله) - لعلَّ في هذا البيت إشارة إلى المراج (حينما وصل رسول الله إلى قرب
 عرش الرحمن) .

(٢) في كل « فاتحة » للقول متبره حتى الشاء على البعوث بـ « البقرة » .
 الفاتحة هي السورة الأولى في المصحف ، والبقرة هي السورة الثانية .

(٣) أبو جعفر الفَرْنَاطِيُّ أَوْ الْإِلْبِيرِيُّ (ت ٧٧٩ هـ) رَفِيقُ ابْنِ جَابِرِ الضَّرِيرِ (ت ٧٨٠ هـ) - رَاجِعْ تَرْجُمَتَهُمَا
 فِي هَذَا الْمَجْزِءِ . فِي هَذَا النَّصِّ مِنْ « نَفْحِ الطَّيِّبِ » انْقِطَاعٌ فِي السُّرْدِ أَوْ نَقْصٌ فِي الْكَلَامِ . أَنَّ أَبَا جَعْفَرَ
 الْفَرْنَاطِيَّ هَذَا (ت ٧٧٩ هـ) لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ رَفِيقًا لِلْقَاضِي عِيَاضٍ (ت ٥٤٤ هـ) . وَلَعَلَّ الْكَلَامَ يَسْمَعُ
 إِذَا قُلْنَا : ... حَتَّى وَقَعْتُ عَلَى هَذِهِ الْبَدِيعَةِ الْمَوْصُوفَةِ (فِي كَلَامِ يَتَنَاوَلُ ابْنَ جَابِرِ الْإِنْدَلُسِيِّ الْهَوَّارِيِّ)
 لِرَفِيقِهِ أَبِي جَعْفَرٍ ، فَإِذَا هِيَ مَنْسُوبَةٌ لِلنَّاطِمِ ابْنِ جَابِرٍ .

(٤) رَاجِعِ الْحَاشِيَةَ السَّابِقَةَ .

في مكة. وصل ابن جُبَيْر إلى مكة في ثانيَ عَشَرَ ربيعِ الآخر (يوم ذكرى المولد *) فنظم قصيدة منها (نفع الطيب ٢: ٤٩٢ - ٤٩٤):

بلغتِ النسي وحللتِ الحرم فعادَ شأْبُكَ بعدَ الهرم^(١)
 فأهلاً بِكَ، أهلاً بِها، وشُكراً لِمَن شُكْرُهُ يُلْتَزَمُ...^(٢)
 نبيُّ شفاعته عِصمةٌ، فيومَ التَّنَادي به يُعْتَصَمُ،^(٣)
 ويَزْعَى لِرؤُوسِهِ في غَبَدٍ ذِمَاماً، فما زال يَرعى الذِّمَّ^(٤)
 عليه السلام، وطوبى لمن أَلَم يَتْرُسْهُ فَاسْتَلَمَ^(٥)

ثُمَّ إِنَّ لَابْنَ جُبَيْرِ أَشْعَاراً كَثِيراً فِي الْحِجَازِ فِي مَدْحِ الرُّسُولِ. فَمِنْ هَذِهِ الْأَشْعَارِ مَا يَقْرُبُ مِنْ أَدَبِ الْمَوْلِدِ قَوْلُهُ (نفع الطيب ٢: ٤٩٣):

أَحِبُّ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى وَأَبْنَ عَمِّهِ عَلِيّاً وَسِبْطِيهِ وَفَاطِمَةَ الزَّهْرَا^(٦)
 هُمْ أَهْلُ بَيْتِ أَذْهَبِ الرَّجْسِ عَنْهُمْ؛ وَأَطْلَعُهُمْ أَفْقُ الْهُدَى أَنْجَمُ زَهْرَا^(٧)
 مُوَالَاتُهُمْ فَرَضٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، وَحُبُّهُمْ أَسْنَى الذَّخَائِرِ لِلْأُخْرَى^(٨).

(*) وصل ابن جبير إلى مكة يوم الخميس الثالث عشر لربيع الأول ٥٧٩ هـ، وهو الرابع من شهر آب - أغسطس، عام ١١٨٣ م (راجع «رحلة ابن جبير» بيروت، دار صادر ودار بيروت، ١٣٧٩ هـ = ١٩٥٩ م، ص ٥٨، راجع ص ٤٤ و ٤٩).

(١) الحرم: الحرم المكي (المساحة المحيطة بالكعبة).

(٢) شكراً لله).

(٣) يوم التنادي: يوم القيامة.

(٤) في غد (يوم القيامة). الذمة والذمام: العهد، الأمن، الكفالة.

(٥) نربته (غير الرسول). استلم: قَبِلَ.

(٦) المصطفى (المختار من جميع الناس). علي: علي بن أبي طالب. سبطاه = سبطا رسول الله (الحسن والحسين أبنا علي بن أبي طالب). فاطمة الزهراء (البضاء) ابنة الرسول وزوج الإمام علي.

(٧) أهل البيت هنا (رسول الله وفاطمة وعلي والحسن والحسين). وأهل البيت في القرآن الكريم (٣٣: ٣٣)، سورة الأحزاب: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْمُجَاهِلَةِ الْأُولَى وَأَقْبِصْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ، وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً». أطلعهم (جعلهم). زهرا = بيضا (لامعة). - أفق فاعل «أطلع».

(٨) الذخيرة: ما يحبسه الإنسان ويمدّه (ليستعين به في المستقبل). الأخرى: يوم القيامة.

وما أنا للصَّحْبِ الكِرَامِ بِمُنْبُضٍ ، فَإِنِّي أَرَى الْبَغْضَاءَ فِي حَقِّهِمْ كُفْرًا .^(١)
 هُمْ جَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ : وَهُمْ نَصَرُوا دِينَ الْهُدَى بِالطَّبَاطُفِ .^(٢)
 عَلَيْهِمْ سَلَامُ اللَّهِ مَا دَامَ ذِكْرُهُمْ لَدَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى ، وَأَكْرِمَ بِهِ ذِكْرًا .^(٣)

ويبرز هنا أبو العباس محمد بن أحمد العزفي السبتي المغربي، فقد ألف (نحو سنة ٦٣٣ هـ) «الدَّرَّ الْمُنْتَظَمَ فِي مَدْحِ النَّبِيِّ الْمُعْظَمِ» (راجع نفع الطيب ٢: ٣٦):

أَهْلُ الْحَدِيثِ عِصَابَةُ الْحَقِّ فَازُوا بِدَعْوَةِ سَيِّدِ الْخَلْقِ .^(٤)
 قَوُجُوهُمْ زُهْرٌ مُنْضَرَّةٌ لِأَلَاؤِهَا كَتَأَلَّقَى الْبَرْقِ .^(٥)
 يَا لَيْتَنِي مَعَهُمُ فَيُذِرْكَنِي مَا أَذْرَكَوهَا مِنْ السَّبْقِ .^(٦)

ولأبي زيد الغازي^(٧) (ت ٦٣٧ هـ) عددٌ من القصائد في مدح الرسول (نفع الطيب ٧: ٥٠٧ - ٥١٢)، منها (٧: ٥٠٨):

أَيُّ نَوْرِ كَشَفَ اللَّهُ بِسَمِيهِ سُدَفَ الْبَاطِلِ عَنَّا أَجْمَعِينَ .^(٨)
 خَتَمَ اللَّهُ بِـــــــهُ أَنْوَارَهُ عِنْدَمَا أَكْمَلَ سِنَّ الْأَرْبَعِينَ .^(٩)
 وَأَتَانَا بِدَلِيلٍ بَيِّنٍ عَجَزَتْ عَنْهُ دَوَاعِي الْمُدَّعِينَ .^(١٠)
 فَأَعِذْ أَنْبَاءَهُ فَهِيَ^(١١) مُنَى أَنْفُسِ الْقَائِلِ وَالْمُسْتَمْعِينَ .^(١٢)

وهنا يأتي أيضاً ابن عربي^(١٣) (ت ٦٣٨ هـ)، وَلَعَلَّ في «الصلاة الأكبرية»^(١٤) له ما

- (١) الصحب: اصحاب رسول الله .
- (٢) الطبا جمع طبة (بضم ففتح): حد السيف .
- (٣) الملأ الأعلى: العالم العلوي (الإلهي) مع الملائكة .
- (٤) أهل الحديث: الذين يشتغلون برواية أحاديث رسول الله . عصابة: جماعة على رأي واحد . سيد الخلق: محمد رسول الله . فازوا (نجحوا) لما استجابوا لدعوة رسول الله والاهتمام بأقواله وأفعاله .
- (٥) زهر جمع أزهر: أبيض، لامع، طاهر، نقي . المنضرة: الجبال والانشراح (في الوجه) التألقى اللعان .
- (٦) من السبق إلى الخير والأجر .
- (٧) السدفة (بالضم): الظلمة .
- (٨) لما بلغ محمد عليه الصلاة والسلام سن الأربعين بعثه الله رسولا وجعله خاتم (آخر) الأنبياء .
- (٩) في الأصل كذا: دواعي . لعلها: دعاوى .
- (١٠) أنباءؤه: أخبار (رسول الله) .
- (١١) راجع سركيس ١٧٨ .

يَقْرُبُ إِلَى «أَدَبِ الْمَوْلِدِ». وَمَعَ إَدْرِيسَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ مُوسَى الْأَنْصَارِيِّ الْقُرْطُبِيِّ
(تَ آخِرَ سَنَةِ ٦٤٧ هـ) نَقَرْتُ فِي مُخَمَّسَتِهِ مِنْ «أَدَبِ الْمَوْلِدِ» (نَفْحِ الطَّيِّبِ ٧):
(٤٤١ - ٤٤٤):

أَهْلًا بِكُمْ، يَا أَهْلَ هَذَا النَّادِي، أَهْلَ اعْتِقَادِ الْوَعْدِ وَالْمِيعَادِ^(١)،
أَهْدُوا الصَّلَاةَ إِلَى النَّبِيِّ الْهَادِي وَصِلُوا السَّلَامَ لَهُ مَعَ الْأَبَادِ^(٢)
يَنْدَى نَسِيًّا مُذَكِّرًا تَسْنِيًّا^(٣)،
أَوْصَافُهُ مِنْ كُلِّ حُسْنٍ أَهْجُ: الْعَرَفُ يَنْفَعُ وَالسَّنَا يَتَبَلَّجُ^(٤)،
فَتَأْرَجُ الْأَرْجَاءُ مِنْهُ وَتَبْهَجُ. فَاقَ الزَّوَاهِرَ نَوْرُهَا يَتَوَهَّجُ^(٥)
وَالزَّهْرَ نَفَاحَ النَّسِيمِ وَسِيًّا^(٦)

وَفِي مُوشَعَةٍ لِأَبْنِ سَهْلٍ الْإِسْبِيلِيِّ (ت ٦٤٩ هـ) نَفْسٌ قَرِيبٌ جِدًّا مِنْ «التَّوَشِيحِ»
الَّذِي يُقْرَأُ عَادَةً فِي الْمَوَالِدِ مَعَ غُذُوبَةٍ وَطَلَاوَةٍ عُرِفَ أَبْنُ سَهْلٍ بِهَا وَنَفَقَدُ جَانِبًا كَبِيرًا
مِنْهَا فِي شِعْرِ غَيْرِهِ. وَفِي تَرْجَمَةِ أَبْنِ سَهْلٍ جَانِبٌ وَافٍ مِنَ الْمَوْشَعَةِ الْمَذْكُورَةِ.

وَأَبْنُ الْجَنَّانِ الْأَنْصَارِيِّ (ت بُعِيدَ ٦٥٢ هـ) عَالِمٌ وَأَدِيبٌ مَتَرَسِّلٌ وَشَاعِرٌ وَمِنْ الَّذِينَ
أَكْثَرُوا الْقَوْلَ تَبَرُّكًا بِمَدِيحِ رَسُولِ اللَّهِ. وَلَهُ فِي هَذَا الْجُزْءِ تَرْجَمَةٌ مُسْتَقَلَّةٌ. ثُمَّ لَهُ مَوْشَعَةٌ
بَارِعَةٌ فِي مَوْلِدِ الرَّسُولِ مَطْلَعُهَا (نَفْحِ الطَّيِّبِ ٧: ٤٣٢):

اللَّهُ زَادَ مُحَمَّدًا تَكْرِيمًا
وَحَبَاهُ فَضْلًا مِنْ لَدُنْهُ عَظِيمًا^(٧)

(١) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْوَعْدِ (النَّشْرُ مِنَ الْقُبُورِ) وَالْمِيعَادِ (اجْتِمَاعُ النَّاسِ فِي الْآخِرَةِ لِلْحَسَابِ).

(٢) الْأَبَادُ جَمْعُ أَبَدٍ: دَهْرٌ (مَدَّةٌ لَا تَنْتَهِي).

(٣) يَنْدَى (يَصْدُرُ مِنْهُ هَوَاءٌ رَطْبٌ بَارِدٌ) بِذِكْرِ النَّاسِ بِوَصْفِ التَّسْنِيمِ (وَالتَّسْنِيمِ عَيْنُ مَاءٍ فِي الْجَنَّةِ).

(٤) أَهْجُ: أَكْثَرُ نَضَارَةً (حَسَنًا وَتَأَلَّفًا). الْعَرَفُ: الرَّائِعَةُ الطَّيِّبَةُ. نَفْحِ الطَّيِّبِ (الْمَسْكُ، مَثَلًا): انْتَشَرَتْ
رَائِحَتُهُ. السَّنَا: الضَّوءُ. يَتَبَلَّجُ الصَّبْحُ: طَهَّرَ وَأَنَارَ.

(٥) تَأْرَجُ الْأَرْجَاءُ (نَوَاحِي الْبِلَادِ): تَكْتَسِبُ رَائِعَةً (طَيِّبَةً) الزَّوَاهِرَ: الزَّهَرَ (بِالضَّمِّ) جَمْعُ أَزْهَرٍ: نَجْمٍ
مَصْنُوعٍ. تَوَهَّجُ: زَادَ انْتِفَادًا أَوْ اشْتِعَالًا (نُورًا).

(٦) نَفْحِ النَّسِيمِ: تَحَرَّكَ. نَفْحِ الطَّيِّبِ: انْتَشَرَتْ رَائِحَتُهُ.

(٧) إِنْ كَلِمَةُ «لَدُنْهُ» مُشْكُولَةٌ (نَفْحِ الطَّيِّبِ ٧: ٤٣٢، السُّطْرُ ١١) بِكَسْرَةِ عَلَى الْمَاءِ. وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ =

وَأَخْتَصَّ فِي الْمُرْسَلِينَ كَرِيماً

ذَا رَأْفَةٍ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً^(١) صَلَّوْا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيماً.

وفي ترجمة ابن الجنان جانب من هذه الموشحة.

ولابن الجنان أيضاً عدداً من القصائد في مدح الرسول. وله أيضاً «رَمَضَانِيَّةٌ»

(الإحاطة ٢: ٢٥٧ - ٢٥٨)، وهي تدخلُ في هذا الباب مادامَ الجامعُ بينَ الرَّمْضَانِيَّةِ

والميلادية مديحُ رسولِ الله. ومطلعُ هذه الرَّمْضَانِيَّةِ:

مضي رَمَضَانٌ أَوْ كَأَنِّي بِهِ مَضَى وَغَابَ سَنَاهُ بَعْدَ أَنْ كَانَ أَوْمَضَا.^(٢)

فِيَا عَهْدَهُ قَدْ كَانَ أَكْرَمَ مَعْهَدٍ؛ وَيَا عَصْرَهُ أَغْزَزَ عَلَيَّ أَنْ أَنْقَضَى^(٣)

أَلَمْ بِنَا كَالضَيْفِ فِي الطَّيْفِ زَائِراً فَخَيْمَ فِينَا سَاعَةً ثُمَّ قَوَّضَا^(٤).

فِيَا لَيْتَ شِعْرِي، إِذْ نَوَى غُرْبَةَ النَّوَى، أَبِالسُّحُطِ عَنَّا قَدْ تَوَلَّى أُمَ الرِّضَا^(٥).

ثُمَّ قَالَ مَشِيراً إِلَى لَيْلَةِ الْقَدْرِ^(٦):

= هذا من عمل محقق الكتاب، بل من مساعد أو من مثبِّع. إن هذه الكلمة «لدنه» ترد في القرآن

الكریم مرتين (٤: ٤٠، سورة النساء): ﴿... وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهِ أَجْراً عَظِيماً﴾ ثم (١٨: ٢، سورة

الكهف): ﴿لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مَنْ لَدُنْهِ﴾. والنون في «لدن» مبنية على السكون، فإذا أُضِيفَتْ

«لدن» إلى الهاء (ضمير الغائب) كانت الهاء مضمومة. فهي شبيهة «عن»، فنحن نقول: عنه

(يضم الهاء لا بكسرها)، وكذلك نقول: «لدنه» بسكون النون وضم الهاء.

(١) في القرآن الكريم (٩: ١٢٨، سورة التوبة): ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ: عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ يُعِزُّ

عَلَيْهِمْ. يُوَلِّهِ أَنْ تُلْفُوا مَسْجِدَ أَوْ مَكْرُوهًا)، حريص عليكم، بالمؤمنين رؤوف رحيم.

(٢) كَأَنِّي بِهِ مَضَى (مضى منذ زمن يسير جداً. سناه. نوره. أومض. لمع لمعاناً خفيفاً (رأى الشاعر أن رمضان

لم يطل كثيراً = إن تَوَلَّى الشاعر وَحْيَهُ للقيام جملة شعر أن هذا الشهر كان قصيراً).

(٣) أَغْزَزَ عَلَيَّ أَنْ أَنْقَضَى: قد شَقَّ عَلَيَّ أَنْ يَنْقَضِيَ (لم أكن مسروراً بانتهاه).

(٤) أُمَ: زار زيارته خفيفة. الطيف: الحلم (بالضم)، المنام. خَيْمَ: نزل، حلَّ، سكن. قَوَّضَ: رفع الحُصَّةَ،

رحل، سافر.

(٥) إِذْ (لَمَّا) نَوَى (قصد رمضان) غربة النوى (القراق - ليعود البنا بعد أحد عشر شهراً). تَوَلَّى: ذهب.

(٦) ليلة القدر تكون في ليلة وأثر من العشر الليالي الأخيرة من رمضان: ٢١، ٢٣، ٢٥، ٢٧ أو

٢٩. - من أحيا هذه الليلة (سهر فيها إلى الصبح ثم اتَّفَقَ أن دعا دعاء صالحاً، فإن الله يستجيب

هذا الدعاء).

وإن قُضِيَتْ قَبْلَ التَّفَرُّقِ وَقَفَّةٌ
فِيا حُسْنُهَا مِنْ لَيْلَةٍ جَلَّ قَدْرُهَا،
وَقَالَ: أَطْلُبُوهَا تَسْعَدُوا بِطِلَابِهَا
جَزَاءُ إِلَهَ الْعَرْشِ خَيْرَ جَزَائِهِ
وَصَلَّى عَلَيْهِ مِنْ نَبِيِّ مُبَارَكٍ
عَلَيْهِ سَلَامُ اللَّهِ مَا أَتَهَلَ سَاكِبٌ
فَمَقْضِيَّتُهَا مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ مَا قَضَى (١).
وَحَضَّ عَلَيْهَا الْهَاشِمِيُّ وَحَرَضًا (٢).
فَحَرَّكَ أَرْبَابَ الْقُلُوبِ وَأَنْفَضًا (٣).
وَأَكْرَمَنَا بِالْعَفْوِ مِنْهُ وَبِالرِّضَا؛
رَوْوَفٍ رَحِيمٍ لِلرَّسَالَةِ مُرْتَضَى.
وَذَهَبَ مُوسَى الرِّيَاضِ وَقَضَضًا (٤).

ولأبي الحجاج يوسف بن موسى المنتشاقري (القرن الثامن) (٥) في أدب
المؤلِّدِ شعرٌ منه مُدَسَّةٌ (٦) ثم منه قصيدةٌ طويلة (٦٥ بيتاً) جاء فيها (نفع

- (١) يبدو أن الشاعر قد طلب ليلة القدر (سهر أَمْلاً في أن يراها، فلم يرها).
 - (٢) الهاشمي: محمد رسول الله. حَضَّ عليها وحرَضًا: حثَّ المسلمين على السهر في الليالي العشر الأواخر من رمضان في التقوى والعبادة.
 - (٣) أرباب (اصحاب) القلوب: الذين يذهبون في العبادات مذهباً روحياً (يدركون الجانب الظاهر والمعنوي الخفي من العبادة). أنفض: أخذ الأمر بالجدِّ (بالكسر) وجهد في تنفيذه؛ حرك، دفع.
 - (٤) أنهل ساكب (هطل مطر كثير). وذَهَبَ موسى الرِّياضِ وقَضَضًا: أنبت في الأرض نباتاً مذهباً (بضم الميم وفتح الهاء: بلون الذهب) وقَضَضًا.... (بلون الفضة).
 - (٥) من نفع الطبيب: كان المنتشاقري هذا فقيهاً (٥١٢: ٧) قاضياً في رندة ومن شيوخ (أساتذة) لسان الدين بن الخطيب (٦٠٥: ٥)، ولكن لسان الدين نفسه يذكر أنه لقي المنتشاقري مدَّةً قصيرة جداً (٦: ١٣٩). وكانت بينهما مراسلة (راجع ١٣٥: ٦ - ١٣٨) وتألَّفَ المنتشاقري كثيرة (٦: ١٤٥). ولما انتهى لسان الدين بن الخطيب من تأليف كتاب «الإحاطة بأخبار غرناطة»، سنة ٧٧١ للهجرة (راجع الإحاطة ١: ٦٨، مقدِّمة عبد الله عنَّان) كان المنتشاقري لا يزال حياً (٦: ١٤٥).
 - (٦) وصف المقرئ المدَّسة (القصيدة المسطَّعة: ذات الاختلاف في قوافيها) والتي يتألف كلُّ بيت (كلُّ مجموع من ستَّة أشطر) من أربعة أشطر بقافية مستقلة ثم شطرين هما قفلة لكلِّ بيت بقافية ثابتة (هي الميم في شطري القفلة). وقد قال المقرئ في وصفها (٥١٢: ٧ - ٥١٣): «وترتيبها على حروف المعجم باصطلاح أهل المغرب، فيا عدا الروي (يقصد الحرف الأساسي في قافية القفلة) فإنه على حرف الميم. وكذا آخر النطر الذي قبله فإنه ميم أيضاً». وهذا نصُّ (نص التديس: المدَّسة) بحروفه، ما عدا حرف الواو فإنَّه لم أجده وكمثلته على منواله.
- وترتيب الأبجدية عند أهل المغرب، كما يبدو في هذا التديس: من الألف إلى الزاي (أخت الراء) كترتيب المشاركة. ثم تستمرُّ الأحرف على النسق التالي: ط، ك، ل، م (والميم غائبة من الأبيات لأنها في قافية القفلة)، ن، ص، ض، ع، غ، ف، ق، س، ش، هاء، واو، ي (ألف مقصورة: ي بلا نقط)، ي (بنقطتين تحتها).

حُبِّي وَمَذْحِي أَحْمَدَ الْهَادِي الَّذِي
أَسْمَى الْوَرَى فِي مَنْصِبٍ وَبِمَنْسَبِ
الْحَقِّ أَظْهَرَهُ عَقِيبَ خَفَائِهِ،
وَنَفْسٍ هُدَاهُ ضَلَالَةً مِنْ جَانِبِ
سُبْحَانَ مُرْسِلِهِ إِلَيْنَا رَحْمَةً
وَالْمُعْجَزَاتُ بَدَتْ بِصِدْقِ رَسُولِهِ
كَالظَّنْبِيِّ فِي تَكْلِيمِهِ، وَالْجِدْعُ فِي
وَالنَّارِ إِذْ خَمَدَتْ بَنُورُ وِلَادَةِ،
فُوزُ الْأَنَامِ يَصْحُ فِي تَصْدِيقِهِ^(١).
مِنْ هَاشِمٍ زَاكِي النُّجَارِ عَرِيقِهِ^(٢).
وَالدِّينُ نَظْمُهُ لَدَى تَفْرِيقِهِ^(٣).
مُسْتَوْتِسِقِي بَيْغُوثِهِ وَيَمُوقِهِ^(٤).
يَهْدِي، وَيُهْدِي الْفَضْلُ مِنْ تَوْفِيقِهِ^(٥).
وَحَقِيقُهُ بِالْمَأْثُرَاتِ خَلِيقُهُ^(٦):
تَحْنِينُهُ وَالْبَذَرُ فِي تَنْشِيقِهِ^(٧)،
وَأُجَاجٌ مَلَأَ قَدَحًا مِنْ رَيْقِهِ^(٨).

- (١) أحد الهادي: محمد رسول الله. - فوز الإنسان (في الآخرة بدخول الجنة يمكن إذا صدق الإنسان برسول الله) وعمل بما جاء به رسول الله.
- (٢) المنصب (هنا): المقام (مقام الرسالة). المنصب: النسب. زاكِي: طاهر. النجار: الأصل. العريق: الكريم الأصل.
- (٣) محمد رسول الله أظهر الحق بعد أن كان الحق خافياً (بين الناس)، ثم نظم الدين بعد أن كان الدين (بين الناس) فوضى.
- (٤) هُدَاهُ (هدى الرسول). الضلال والضلالة: السير في طريق الباطل. الجائر: الظالم، الحائد عن الطريق المستقيم. مستوتق: معتقد، متمسك. يغوث ويموق من الأصنام التي عبدتها جماعات من عرب الجاهلية.
- (٥) هو يهدي (بالبناء للمعلوم) الناس. ويهدي (بالبناء للمجهول) الفضل (نائب فاعل مرفوع): (زيادة الخير عما عند الآخرين) من توفيقه (من موافقة الناس لما جاء الرسول به؟) - ويجوز «يهدي» (بالبناء للمعلوم) الفضل (مفعول به زيادة الخير فيه عما عند غيره)..... المعنى، على كل حال، غامض لضف التركيب.
- (٦) دلت معجزات رسول الله على صدق رسول الله. المأثرة: العمل الكريم. وحقيقه بالمأثرات خليفه (؟) وبحقيقه: بما عرف عنه من الأعمال الكريمة) خليفه (لا وجه لإعرابها بالجر): إن صدق الرسول المعروف والمشهور جملة خليفاً: مستحقاً، قادراً وأهلاً للمعجزات التالية؟
- (٧) كلمة الطيبي وحنّ الجذع لفقده (راجع موسوعة ابن سهل الإشبيلي، ت ٦٤٩ هـ). وأشار مرة إلى البدر فانشقّ البدر قسمين.
- (٨) يوم مولد رسول الله انطفأت النار في فارس (وكانت تلك النار في الهيكل في ذلك الحين مشتعلة منذ ألف سنة بلا انقطاع). في التاريخ: إن النار انطفأت (في نحو ذلك الزمن). الأجاج: الماء الشديد الملوحة.

والزادُ قَلَّ، فزادَ من بَرَكَاتِهِ فكفى الجُيُوشَ بَتَمَرِهِ وَسَوِيْقِهِ (١).
غَيْرَ أَنَّ «مُسَدَّسَةَ الْمُنتَشَاقِرِيِّ» (نفع الطيب ٥١٢: ٥١٧) أَغْلَى نَفْسًا وَأَحْسَنُ
مَعَانِي وَأَقْرَبُ إِلَى الْجَوِّ الرُّوحِيِّ لِلنَّبُوءَةِ. قَالَ الْمُنتَشَاقِرِيُّ:

حَلَّ فِي طَيِّبَةِ رَسُولٍ كَرِيمٍ فَعَلِيهِ الصَّلَاةُ وَالتَّسْلِيمُ (٢).

★ ★ ★

صَفْوَةُ الْخَلْقِ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، مُرْشِدُ النَّاسِ لِلطَّرِيقِ السَّوَاءِ،
وَالْإِمَادُ الْمَلَاذُ فِي الْأَوَاءِ وَشَفِيعُ الْعَصَاةِ يَوْمَ الْجَزَاءِ (٣).
يَوْمَ يَبْدُو لَدَيْهِ جَاءٌ عَظِيمٌ فَعَلِيهِ الصَّلَاةُ وَالتَّسْلِيمُ.

★ ★ ★

أَذْهَبَ الْغَيِّ نَوْرُهُ وَالْغِيَايِبُ فَأَضَاءَتْ مَشَارِقُ وَمَغَارِبُ (٤)،
وَعَدَا الْحَقُّ غَالِبًا لِلْكَاذِبِ وَبَدَتْ مِنْهُ لِلْأَنَامِ عَجَائِبُ
صِدْقُ أَقْوَالِهِ بِهَا مَعْلُومٌ فَعَلِيهِ الصَّلَاةُ وَالتَّسْلِيمُ.

★ ★ ★

كُسِّلُ دِينٍ بِدِينِهِ مَنسُوخُ (٥)، فَيَوَى مَا قَضَى بِهِ مَفْخُوحُ.
لِهُدَاهُ بِكُلِّ قَلْبٍ رُسُوحُ، فَالْوَرَى مَادِحٌ لَهُ وَمُصِيخُ (٦).
كُلُّهُمْ فِي هَوَى النَّبِيِّ يَهِيمُ، فَعَلِيهِ الصَّلَاةُ وَالتَّسْلِيمُ.

★ ★ ★

(١) السويق: نفع الشعير.

(٢) طيبة: المدينة المنورة.

(٣) العباد (الذي يُعْتَمَدُ وَيُعْتَمَدُ عَلَيْهِ). الملاذ: الملجأ. الأواء: ضيق المعيشة وشدة المرض. يوم الجزاء: يوم القيامة.

(٤) الغي: الضلال. الغيب: الظلام.

(٥) منسوخ: ملغى. الدين لا يلغى، وإنما الذي نسخ (بالبناء للمجهول) هو الشريعة (نظام المعاملات). الإسلام لم يبلغ الدين كما أنزل على موسى وعيسى. ولكن الناس نوا (بضم السين) هذين الدينين. ثم جاء الإسلام بحقيقة الدين وأبطل شريعة الدينين السابقين لأن الأحكام تتغير بتغير الأزمان.

(٦) مصيخ: مائل بسمعه.

فَاقَ بِالْمَوْلِدِ السَّعِيدِ رَبِّيعُ أَنَّ فِيهِ بَدَا الْجَلالُ الرَّفِيعُ
مَنْ هُوَ الذُّخْرُ وَالْعِبَادُ الْمُنِيعُ، فَمَلَأَ لِلْمُذْنِبِينَ شَفِيعُ
وَرَوْفٌ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمٌ^(١) فَعَلِيهِ الصَّلَاةُ وَالتَّسْلِيمُ.

★ ★ ★

قَدْ سَمَّا قَدْرَهُ بِغَيْرِ تَنَاهِي^(٢) وَعَلَا جَاهُهُ عَلَى كُلِّ جَاهٍ
أَمِرٌ بِالتَّقْصِي، عَنِ الشَّرِّ نَاهٍ؛ مَنْ يُطْعِمُهُ يَنْلُ ثَوَابَ الْإِلَهِ،
وَلَهُ عِنْدَهُ التَّعْميمُ الْمُقِيمُ^(٣). فَعَلِيهِ الصَّلَاةُ وَالتَّسْلِيمُ.

وفي هذا السِّلْكِ يأتي الإمامُ مالِكُ بْنُ الْمَرْحَلِ الْمَالَقِيُّ السَّبْتِيُّ (الأَنْدَلُسِيُّ الْمَغْرِبِيُّ) وَالمُتَوَفَّى سَنَةَ ٦٩٩ للهجرة فيزِيدُ على آبنِ سَهْلٍ الإشبيليِّ في الصَّنَاعَةِ (راجع ترجمة الشاعرين) ولم يُقَصِّرْ عنه في الطَّلَاوَةِ. غيرَ أَنَّ آبنَ الْمَرْحَلِ يَفْضَلُ آبنَ سَهْلٍ في أَنَّهُ جَلَا الْكَلَامَ على الرُّسُولِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في جَوْهِ الرُّوحِيِّ، بينما آبنُ سَهْلٍ قد مَدَّ الْقَوْلَ في تَشَابِيهِ مَادِيَّةٍ تَنْطَوِي على تَجَسُّمٍ (راجع نفع الطيب ٧: ٤٤٥ - ٤٤٩، مَوْشَحَةٌ ابنِ سَهْلٍ تم ٤٥٣ - ٤٥٩، مَوْشَحَةٌ ابنِ الْمَرْحَلِ).

ولأَيِّ عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدٍ التَّنَسِّيُّ (من أحياء القرن الثامن للهجرة) كتابان في تاريخ الْمَغْرِبِ: «رَأْسُ الْأَرْوَاحِ» فيما قاله الْمُؤَلَّى أَبُو حَمَّوْ من الشُّعْرِ وَقِيلَ فِيهِ من الْأَمْدَاحِ وما يُوَافِقُ ذَلِكَ على حَسَبِ الْاِقْتِرَاحِ «ثمَّ نَظَّمَ الدَّرَّ وَالْعَفْيَانِ في شَرَفِ بَنِي زَيْيَانٍ وَمُلُوكِهِمُ الْأَعْيَانِ» عَرَضَ فِيهَا لِأَدَبِ الْمُؤَلِّدِ وَلِاحْتِفَالِ الْمَغَارِبَةِ بِلِيلَةِ الْمُؤَلِّدِ. جاء في نفع الطيب (٦: ٥١٣ - ٥١٥):

وكان السُّلْطَانُ أَبُو حَمَّوْ الْمَمْدُوحُ بِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ^(٤) يَحْتَفِلُ لِلْبَلَّةِ لِمَوْلِدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَايَةً الْإِحْتِفَالِ، كما كان مُلُوكُ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ، في ذلك العصر

(١) راجع القرآن الكريم (٩: ١٢٨، سورة التوبة).

(٢) التناهي: بلوغ الشيء إلى نهاية يقف عندها.

(٣) نعم مقم: دائم.

(٤) «ما على الصَّبِّ في الهوى من جناح»، ليحيى بن خلدون.

وما قبله، (يفعلون). ومن احتفاله له^(١) ما حكاه شيخُ شيوخِ شيوخنا الحافظُ سيدي أبو عبد الله التَّنسيُّ ثم التِّلْمَسانيُّ في كتابه «راح الأرواح...»، ونصُّه:

إنه^(٢) كان يُقيمُ ليلةَ الميلادِ النَّبويِّ - على صاحبه الصلاة والسلام - بشورة^(٣) من لُفْسانِ المحروسة مدعاة حُفيلة يُخسرُ فيها الناسُ خاصةً وعامةً، فما شئتَ من غارقٍ مصفوفةٍ وزرَّاجيٍّ مَبْثُوثَةٍ^(٤) وبُسْطٍ مُوشَاةٍ ووسائدٍ بالذهبِ مُفْشَاةٍ^(٥)، وشمعٍ كالأسطواناتِ وموائدٍ كالمالاتِ، ومباخرٍ منصوبةٍ كالقبابِ يخالها المُبْصِرُ تراءُ مُذاب^(٦). ويُفاضُ على الجميعِ أنواعُ الأطيعةِ كأنها أزهارُ الربيعِ المُنْصَمَّةِ^(٧) تَنْتَهِيها الأنفُسُ وتَسْتَلِدُّها النواظرُ. ويُخالطُ حُسنُ رِياها الأرواحُ ويُخامرُ^(٨). رُتَبُ الناسِ فيها على مراتبهم ترتيبَ احتفالٍ، وقد علَّتِ الجميعُ أهبَّةَ الوَقارِ والإجلالِ.

وَيُغْقِبُ ذلكَ يَحْتَفِلُ السُّمُوعُ^(٩) بأمداحِ المُصْطَفَى عليه الصلاة والسلام، ومُكْفَرَاتٍ تُرْعِبُ في الإقْلَاعِ عن الآثامِ^(١٠)، يَخْرُجونَ فيها من فنٍّ إلى فنٍّ ومن أسلوبٍ إلى أسلوبٍ ويأتون من ذلك بما تَطَرَّبُ له النفوسُ وترتاحُ إلى سَماعه القلوبُ. وبالقُرْبِ من السُّلْطانِ - رضوانُ الله تعالى عليه - خزانةُ المِنجانيةِ^(١١) قد رُخِرَتْ

(١) الاحتفال: الاجتماع للقيام بتكريم إنسان أو حادثة.

(٢) أبو حو.

(٣) بشورة (هنا) يبدو أنها مكان أو بناء خاص أو جانب من بناء.

(٤) في القرآن الكريم (٨٨: ١٥ - ١٦، سورة النّاشية): ﴿..... وغارق مصفوفة وزرّاجي مبثوثة﴾. النمرق والنمرقة (بضمّ النون فيها): الوسادة (المهدّة) الصغيرة يتكىّ الجالس عليها. الزريّة (بالفتح): باط كيف أو حصر (والعامة يقولون: «سجّادة»). مبثوثة: متفرقة في أماكن مختلفة.

(٥) الوشي: التفش في السجج بأشكال مختلفة وألوان مختلفة (التزيين). مفاة: منورة (عليها تزيين كبير بخيوط الذهب).

(٦) حقّ «مذاب» النصب: مذاباً. في التجويد (قراءة القرآن) يمكن الوقوف على المروع والجرور بالسكون، ولكنّ المنسوب يجب الوقوف عليه بالفتحة. ولكنّ الكاتب هنا أراد أن يناسب بين «مذاب» و«كالقباب» في السجع. وهذا خطأ.

(٧) المنعم: (هنا) المزخرف (المزّين) الرقش (باللوان مختلفة).

(٨) الرّيا: الرائحة الطيّبة. خامر: خالط.

(٩) المسع: المغني. المصطفى: المختار (رسول الله).

(١٠) يبدو أن المكفّرات (هنا) قصائد دينية تحثّ على الإقْلَاع (ترك) عن الآثام (الذنوب).

(١١) المِنجانية (بجمع فارسية): ساعة تدلّ على الوقت.

كَأَنَّهُا حَلَّةٌ يَأْتِيَةُ لَهَا أَبْوَابٌ مَوْجِفَةٌ^(١) عَلَى عَدَدِ سَاعَاتِ اللَّيْلِ الزَّمَانِيَةِ. فَمِهَا مَضَتْ سَاعَةٌ وَقَعَ النَّقْرُ بِقَدَرِ حِسَابِهَا، وَفُتِحَ عِنْدَ ذَلِكَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِهَا وَبَرَزَتْ مِنْهُ جَارِيَةٌ صُوِّرَتْ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فِي يَدَيْهَا الِیْمْنَى رُقْعَةٌ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى نَظْمٍ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِأَسْمِهَا مَسْطُورَةٌ فَتَضَعُهَا بَيْنَ يَدَيِ السُّلْطَانِ بِلَطَافَةٍ، وَيُسْرَاهَا عَلَى فَمِهَا كَالْمَوْدِيَةِ بِالْبَيَاطَةِ حَتَّى الْخِلَافَةِ. هَكَذَا حَالُهُمْ إِلَى أَنْ يَلَاجِ عَمُودُ الصَّبَاحِ وَنِدَاءُ الْمُتَادِي: حَيٍّ عَلَى الْفَلَاحِ^(٢).

وَيَنْقُلُ الْمُقَرِّيُّ قِطْعَةً ثَانِيَةً فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ نَفْسِهِ مِنْ كِتَابِ التَّنْسِي: نَظْمُ الدُّرِّ وَالْعِيَانِ «.....»، (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٥١٤:٦ - ٥١٧). وَمَعَانِي هَذِهِ الْقِطْعَةِ الثَّانِيَةِ هِيَ مَعَانِي الْقِطْعَةِ الْأُولَى مَعَ شَيْءٍ مِنَ الْاِخْتِلَافِ فِي التَّعْبِيرِ وَمَعَ اخْتِصَارٍ يَسِيرٍ هُنَا وَتَفْصِيلٍ يَسِيرٍ هُنَاكَ. وَيَكْثُرُ التَّفْصِيلُ فِي وَصْفِ الْمُنْجَانَةِ مَعَ ذِكْرِ الْأَشْعَارِ الَّتِي تُقَالُ عِنْدَ كُلِّ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ اللَّيْلِ.

وَيَبْدُو أَنَّهُ كَانَ لِلِّسَانِ الدِّينِيِّ الْخَطِيبِيِّ (ت ٧٧٦ هـ) مِيلَادِيَّاتٌ (قِصَائِدُ طِبَالٍ قِيلَتْ فِي ذِكْرِ الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ الْكَرِيمِ). مِنْ ذَلِكَ مَثَلًا قَوْلُهُ مِنْ قِصِيدَةِ (نَفْحِ الطَّيِّبِ ٤٥١:٦ - ٤٥٥):

تَأَلَّقَ نَجْدِيًّا فَأَذْكَرَنِي نَجْدًا وَهَاجَ فِي الشَّوْقِ الْمَرْحُ وَالْوَجْدُ^(٣).
ثُمَّ يَقُولُ:

إِذَا أَنْتَ شَافَهْتَ الدِّيَارَ بِطَبِئَةٍ وَجِئْتَ بِهَا الْقَبْرَ الْمُقَدَّسَ وَاللَّحْدُ^(٤).
وَأَنْتَ نَوْرًا مِنْ جَنَابِ مُحَمَّدٍ يُجَلِّي الْقُلُوبَ الْغُلْفَ وَالْأَعْيُنَ الرُّمْدُ^(٥).

-
- (١) مَوْجِفَةٌ: مَغْلَقَةٌ (أَوْجَفَ الْبَابَ: أَغْلَقَهُ).
(٢) نِدَاءُ الْمُتَادِي: أَذَانُ الْمُؤَذِّنِ. حَيٍّ عَلَى الْفَلَاحِ (الْأَذَانُ لِصَلَاةِ الصَّبْحِ: بَيْنَ ظَهْرِ الْفَجْرِ وَطُلُوعِ الشَّمْسِ).
(٣) تَأَلَّقَ (الْبُرْقِ): لَمَعَ. نَجْدِيًّا: مِنْ جِهَةِ نَجْدٍ (شَالِي شِبْهُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ). الْمَرْحُ: الْمَتَعِبُ، الْعَذِيبُ. الْوَجْدُ: الْحُبُّ.
(٤) شَافَهُ الرَّجُلُ الْمَكَانَ: اقْتَرَبَ مِنْهُ. طَبِئَةُ: الْمَدِينَةُ الْمُنَوَّرَةُ. الْقَبْرُ: قَبْرُ رَسُولِ اللَّهِ.
(٥) الْأَغْلَفُ: الَّذِي عَلَيْهِ غَطَاءٌ طَبِيعِيٌّ (قَلْبٌ أَغْلَفَ: لَا تَصِلُ إِلَيْهِ النَّصِيحَةُ أَوْ الْحَقِيقَةُ). الْعَيْنُ الرُّمْدَاءُ (الَّتِي أَصْبَحَتْ عَرَضَ الرَّمَدِ فَحَالَ ذَلِكَ دُونَ رُؤْيَيْهَا الْأَشْيَاءَ بوضوح).

فَنُبِّ عن بعيد الدارِ في ذلك الحِمى
وقل: يا رسول الله، عبدٌ تقاصرت
ولم يستطع، من بعد ما بعد المدى،
تداركهُ، يا غوثَ العبادِ، برحمة؛
أجارَ بك الله العبادَ من الردى
حتى دينك الدنيا وأقطعك الرضا
تقدمتُ مختاراً تأخرتُ مبعثاً؛
وعلةُ هذا الكونِ أنت؛ وكلُّ ما
فإذا عسى يُشني عليك مقصراً،
عليك صلاةُ الله، يا كاشفَ العمى،
تقضى زماي في «لعل» وفي «عسى»
إلى أن أخطُ الرِّحْلَ في ترُبِّكَ الذي
لِمَوْلَاكَ أَهْتَزُّ أَوَّجُ الْوُجُودِ فَأَشْرَقْتُ
قصورٌ يَبْصُرُ ضَاءَ الْهَضْبِ وَالْوَهْدِ (١٢)

- (١) ناب فلان عن فلان: قام مقامه وفعل ما يجب عن الآخر. أذرى فلان الدمع: نثره (بكى). عفر (مرغ بالتراب)
- (٢) أضحي من أحبته فرداً: لم يبق له محب (٩).
- (٣) تتناد (بالبناء للمعلوم) = تتعاده (تعود إليه مرة بعد مرة).
- (٤) أجدى: أنفع. ما أجدى: ما أنفعه. ما أندى كفك: ما أكثر نداها (كرمها).
- (٥) بوأ الله الصد مكاناً: أنزله فيه وأسكنه.
- (٦) اختارَك الله للرسالة قبل جميع الأنبياء، ولكن جعلك آخرهم في الزمن.
- (٧) والله خلق هذا العالم من أجل أن تكون أنت رسلاً إليه. وكل شيء خلقه الله بعد ذلك كان أيضاً من أجلك. أبدأ: فعل الشيء ابتداء (للمرة الأولى). أعاد العمل: عمله ثانية وثالثة الخ.
- (٨) ألا بالو ألوأ: قصر. الذكر (القرآن الكريم).
- (٩) الروح: الخوف. أربد: تغير لونه (أظلم، اشتد).
- (١٠) اللوعة: حرقة الحب أو الحزن.
- (١١) الندى: (بالفتح): الرائحة الطيبة، (بالكسر): المني، الكفو.
- (١٢) اهتز الإنسان (طرب، فرح). لما ولد الرسول: أضاءت السماء وظهرت أقطار العالم واضحة، حتى إن المباني التي في بصرى (في الشام) رؤيت من مكة. الهضب: المكان العالي. الوهد: المكان المنخفض.

ومن رُغْبِهِ الْأَوْثَانُ خَرَّتْ مَهَابَةً،
وِغَاضَ لَه الْوَادِي، وَصَبَحَ عِزَّهُ
رَعَى اللَّهُ مِنْهَا لَيْلَةً أَطْلَعَ الْهُدَى
وَلِلَّسَانِ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ «مِلَادِيَّة» بَارِعَةٌ رَقِيقَةٌ لَمْ يَحْفَظِ الْمَقْرِيُّ مِنْهَا سِوَى
الْأَبْيَاتِ التَّالِيَةِ (نَفْحِ الطَّيِّبِ ٦ : ٥٠٩ - ٥١٠):

مَا عَلَى الْقَلْبِ بَعْدَكُمْ مِنْ جُنَاحٍ
وَعَلَى الشُّوقِ أَنْ يَتَشَبَّ إِذَا هَبَّ
جَبَرَةُ الْحَيِّ، وَالْحَدِيثُ شُجُونٌ
أُتْرُونَ السُّلُوَ خَامَرَ قَلْبِي
وَلَوْ أَنِّي أُعْطِيَ اقْتِرَاحِي عَلَى الْـ
ضَائِقَتِي فِيكُمْ صُرُوفُ اللَّيَالِي
وَسَقَتِي كَأْسَ الْفِرَاقِ دِهَاقًا
وَأَسْتَبَاحَتْ مِنْ جِدَّتِي وَقَتَائِي
يَا تُرَى - وَالنَّفُوسُ أَسْرَى الْأَمَانِي
هَلْ يُبَاحُ الْوُرُودُ بَعْدَ ذِيَادٍ
أَنْ يُرَى طَائِرًا بِغَيْرِ جُنَاحٍ^(١)،
سَبَّ بِأَنْفَاسِكُمْ نَسِيمَ الصَّبَاحِ^(٢)،
وَاللَّيَالِي تَلْسِينُ نَعْدَ الْجِهَاحِ^(٣)،
بَعْدَكُمْ؟ لَا، وَقَالِقِ الْإِصْبَاحِ^(٤)!
أَيَّامٍ مَا كَانَ بُعْدُكُمْ بِاقْتِرَاحِي.
وَأَسْتَدَارَتْ عَلَيَّ دَوْرُ الْوِشَاحِ^(٥)؛
فِي اغْتِبَاقِي مُوَاصِلَ وَأَصْطِبَاحِ^(٦)،
حَرَمًا لَمْ أَخْلُهُ بِالسُّتَبَاحِ^(٧)،
مَا لَهَا مِنْ وَثَاقِهَا مِنْ سَرَاحٍ؟
أَوْ يُتَاحُ اللَّقَاءُ بَعْدَ انْتِرَاحِ^(٨)؟

- (١) حر: سقط. إيوان كسرى: قصر شرق بغداد كان للوك الفرس. وقد اشقَّ جانبه ليلة مولد الرسول وسقط عدد من شرفاته (وفي التاريخ ما بهلَّ على حدوث ذلك في نحو ذلك الوقت).
(٢) غاض الوادي (النهر): غار ماؤه وجفَّ (في ذلك الحين غار الماء في بحيرة ساوة في فارس). انمر: القوة والمجد. صبحا الحادث: جاءنا صباحاً. - في ذلك الحين انططأت النار في الهيكل الكبير بعد أن ظلت مشتعلة ألف عام بلا انقطاع.
(٣) جناح (بالضم): لوم، ذنب.
(٤) شبَّ الشوق (المحبة): اشتعل، زاد. هبَّ: جرى، قوي.
(٥) الشح (بفتح ففتح): الغصن. الحديث شجون (أنواع مختلفة ومتشعبة). الجهاج: الشدة والمصيان.
(٦) السلو: النسيان. خامر: خالط. قالق الإصباح (الله تعالى)، والواو للقم.
(٧) صروف الليالي: الأحداث والمصائب. واستدارت عليَّ دور الوشاح (أحاطت بي من كل مكان).
(٨) دهاقاً: مملوءاً. الاغتياق والاصطباح: شرب الخمر مساءً وصباحاً.
(٩) الحدة: الزهو والفرقة. الفناء: الشباب.
(١٠) الورود: شرب الماء. ذباد: طرد، منع. الانتراح: البعاد.

وإذا أعوزَ الجُسمَ التلاتي، نابَ عنه تعارفُ الأرواح.

ويرى المقرئ، بحق، أنَّ أبا زكريا يحيى بن خلدون (ت ٧٨٠ هـ) قد حاكى هذه القصيدة لسان الدين لما مدح السلطان أبا حو في مَوْلِدِ سَنَةِ ثَانِيَةِ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ (في صيف عام ١٣٧٦ م) فقال (نفع الطيب ٦: ٥١٠ - ٥١٣):

ما على الصَّبِّ في الهوى من جُنَاح أن يُرى جِلْفَ عِبْرَةٍ وأفتضاح^(١).

(وفي ترجمة يحيى بن خلدون مختارات من هذه القصيدة).

ولابن زَمَرْكَ المَتَوَقَّسَى سَنَةَ ٧٩٥ - أو بعدها بقليل (نفع الطيب ٧: ١٧١ - ١٩٥) بَدِيعَاتٍ تجري في قصائد ومُوشَحَاتٍ. من هذه البديعات قصيدته التي أنشدَها في مَوْلِدِ سَنَةِ ٧٦٧ للهجرة (نفع الطيب ٧: ١٧٩ - ١٨٣):

زارَ الحَيَّالُ بِأَيِّمِنِ الزُّوراءَ فجلا سَناءُ غياهِبِ الظُّلَماءِ^(٢).

قال فيها:

يا ليت شِعْري، هل أرى أطوي إلى	قبر الرسولِ صحائفَ البَيِّداءِ
فَطَيْبٍ في تلكِ الرُّبُوعِ مدائحي	ويَطُولُ في ذاكِ المقامِ نَوَائِي ^(٣) ؟
حيثُ النُّبُوَّةُ نورُها مُتَأَلَّقُ	كالشمسِ تَزْهِى في سَناءٍ وَسَناءٍ ^(٤) ؛
حيثُ الرِّسَالَةُ في نَيْبَةٍ قُدْسِها	رَفَعَتْ لِهَيْدِي الخَلْقِ خَيْرَ لَواءٍ ^(٥) ؛
حيثُ الضَّرِيحُ، ضَرِيحُ أَكْرَمِ مُرْسَلِي،	فَخَرَّ الوجودُ وشافِعَ الشُّعْماءُ؛
المُصْطَفَى والمُرْتَضَى والمُجْتَنَبَى	والمُنْتَقَى مِنْ عُنْصُرِ العَلْيَاءِ ^(٦) .

(١) الجناح (بالضم): اللوم، الذنب. العبرة: الدفعة (البكاء).

(٢) الزوراء: المكان الذي في الطريق إليه اغتناء. والزوراء علم على مدينة بغداد لأن نهر دجلة ينمطف

قبل الوصول إليها. السنا: النور. الغيب: الظلمة. الظلماء: الليل.

(٣) التواء: المكث (بالضم): الإقامة.

(٤) متألّق: لامع. تزهي: كذا في الأصل: تفتخر تتكبر. لعلها «تزهو»: تضيء، تنير. السنا: النور.

السنا (بالهمزة): علو، الارتفاع.

(٥) ثنية (٢) قدسها (الطهارة، البركة، السمو والرفعة): قدسها الخالص التام الكامل.

(٦) المصطفى: المختار. المجتنبى: المقرّب.

وَبَلَيْلَةَ الْمِيلَادِ كَمْ مِنْ رَحْمَةٍ
 قَدْ بَشَّرَ الرُّسُلُ الْكِرَامُ بِبَعْثِهِ،
 أَكْرَمَ بِهَا بُشْرَى عَلَى قَدَمِ سَرَتِ
 أَمْسَى بِهَا الْإِسْلَامُ يُشْرِقُ نُورُهُ،
 هُوَ آيَةُ اللَّهِ السَّيِّ أَنْوَارُهَا
 وَالشَّسْ لَا تَخْفَى مَرِيَّةُ فَضْلِهَا
 يَا مُصْطَفَى - وَالْكُونُ لَمْ تَعْلَقْ بِهِ،
 يَا مُظْهِرَ الْحَقِّ الْجَلْبِيِّ وَمُطْلِعَ النَّوْءِ
 يَا مُلْجَأَ الْخَلْقِ الْمُشْفَعِ فِيهِمْ،
 يَا آسِيَ الْمَرْضَى وَمُنْتَجِعَ الرِّضَا
 أَشْكُو إِلَيْكَ، وَأَنْتَ خَيْرُ مُؤَمِّلٍ،
 إِنْ كُنْتُ لَمْ أَخْلُصْ إِلَيْكَ، فَإِنَّمَا
 تَمْ يَسْتَرْدُّ أَبْنُ زَمْرَكَ إِلَى مَدْحِ مُحَمَّدٍ الْخَامِسِ الْغَيْبِيِّ بِاللَّهِ مَلِكِ غَرْنَاطَةِ^(١)، مَعَ
 الْإِشَارَةِ إِلَى الْاِحْتِفَالِ بِالْمَوْلِدِ:

وَبَسْمِ مَوْلَايَ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ
 يَا أَبْنَ الْخِلَافَةِ مِنْ بَنِي نَصْرِ وَمَنْ
 مِنْ كُلِّ مَنْ تَقِفُ الْمُلُوكُ بِبَابِهِ
 تَعْبُدُ الْأَسَافِي أَنْ يُتَاحَ لِقَائِي.
 حَاطُوا ذِمَارَ الْمَلَّةِ السَّمْحَاءِ^(٢)
 يَسْتَمِطُّونَ سَحَائِسَبَ النَّعْمَاءِ.

- (١) الكون (ها) العالم، الوجود. الإشاء: الإيجاد من العدم. - أختارك الله (يا محمد) قبل أن يبدأ الله خلق هذا العالم.
- (٢) الآسى: الطبيب، المداوي. منتجع الرضا (الذي يطلب الناس رضاء). المواسي: الذي يساوي الآخرين بنفسه - الذي يواسي أو يحاول تخفيف آلام الآخرين.
- (٣) خلص فلان إلى المكان: استطاع أن يصل إليه محرراً أزدحام الناس.
- (٤) محمد (الغبي بالله) بن يوسف ثامن سلاطين بني نصر في غرناطة (٧٥٥ - ٧٦٠ هـ) وخامس من كان اسمه محمداً منهم.
- (٥) الذمار: الكيان والحرمة (ما يجب على الإنسان أن يدافع عنه). الملة السحاء: الدين اللين السهل (لا تعقيد ولا تشدد فيه)، الإسلام.

قَوْمٌ إِذَا قَادُوا الْجِيُوشَ إِلَى الْوَعَى فَالْغُصْبُ رَائِدُهُمْ إِلَى الْأَعْدَاءِ،
وَالْعِزُّ مَجْلُوبٌ بِكُلِّ كَتِيبَةٍ، وَالنَّصْرُ مَعْقُودٌ بِكُلِّ لِيَاءٍ.
يَا فخرَ أُنْدُلُسٍ وَعِصْمَةَ أَهْلِهَا، بَجَزِيرِكَ عَنْهَا اللَّهُ خَيْرَ جَزَاءِ،
كَمْ خُضَّتْ طَوْعَ صَلَاحِهَا مِنْ مَهْمَةٍ لَا تَهْتَدِي فِيهِ الْقَطَا لِلْمَاءِ^(١).
عَظُمْتَ مِلَادَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَشَفَعْتَهُ بِاللَّيْلَةِ الْغَرَاءِ^(٢).
أُخِينَتَ لَيْلِكَ سَاهِراً فَأَقْدَتَنَا قُوْتَ الْقُلُوبِ بِذَلِكَ الْإِحْيَاءِ^(٣).

وَلَا بَيْنَ زَمْرِكَ مُوسِحَةٍ فِي ذِكْرِ الْمَوْلِدِ (نفع الطيب ٧: ٢٨٠ - ٢٨١) مطلعها:

لَوْ تَرَجَّعُ الْأَيَّامُ بَعْدَ الذَّهَابِ، لَمْ تَقْدَحِ الْأَيَّامُ ذِكْرِي حَبِيبِ^(٤).
وَكُلُّ مَنْ نَامَ بِلَيْلِ الشَّبَابِ يُوقِظُهُ الدَّهْرُ بِصُبْحِ الْمَشِيبِ^(٥).

★ ★ ★

والبیتان الآخران فيها^(٦):

(هل يُحْمَلُ الزَادُ لِدارِ الْكَرِيمِ) الْمُصْطَفَى الْهَادِي شَفِيعُ مَطَاعِ^(٧).
فَجَاهُهُ ذُخْرُ الْفَقِيرِ الْعَدِيمِ وَحُبُّهُ زَادِي، وَنِعْمَ الْمَتَاعُ

- (١) المهمة: الأرض المغفرة (الحالية). القطا: طير قوي الحاسة للماء.
- (٢) الغراء: البيضاء (الباركة). الليلة الغراء (٩). لعلها ليلة عاشوراء (راجع، تحت، ص ١٣٠ - ١٣١).
- (٣) قوت القلوب: غذاء الروح. الإحياء: سهر الليل في العبادة. في الحاشية (نفع الطيب ٧: ١٨٣): إن الشاعر يورث هنا (يشير) إلى كتاب «قوت القلوب» (لأبي طالب المكي) وكتاب «إحياء علوم الدين» (لأبي حامد الغزالي). هذا التعليل بعيد.
- (٤) قدحت الأيام في الشَّيْءِ: أثلثت جانباً منه. لم تقدح الأيام ذكرى حبيب (لم تنسى حبيبي). - مها ينقُصُ على الحبِّ من الزمن لا ينسُ أحياءه (لقد شاخ الشاعر، ولكنه ما يزال يرجو الذهاب إلى الحج^(٩)).
- (٥) إذا غفل الإنسان في أيام شبابه (عن بعض العبادة)، فإنه يعود (إلى ذلك الجانب من العبادة) حينما تتقدَّم به السن.
- (٦) البيت في المَوْشَعِ (وفي المسطَّ) عدد من الأَشْطُرِ يجمع بينها ترتيب معيَّن في قوافيها.
- (٧) «هل يحمل الزاد لدار الكرم» شطر للفقير الزاهد أبي عبد الله أبي الحجاج يوسف المنصفي (نسبة إلى المنصف، وهي قرية قرب بلنسية). وكان للمنصفي رحلة إلى المشرق. وسكن سبعة وهو من أحياء النصف الأول من القرن السابع للهجرة (راجع المغرب ٣: ٣٥٤، نفع الطيب ١: ١٨١، ٣: ٥٩٥، ٤: ٣٣٦).

والله سَاءَ الرُّؤُوفَ الرَّحِيمِ، فجارُهُ المكفُولُ ما إنْ يُضَاعُ^(١).
عسى شَفِيعُ النَّاسِ يَوْمَ الْحِسَابِ وملكاً الخَلْقِ لِرَفْعِ الْكُرُوبِ^(٢)
يَلْحَقَنِي مِنْهُ قَبُولٌ مُجَابٍ يَشْفَعُ لِي فِي مُوبِقَاتِ الذُّنُوبِ^(٣).

* * *

يا مُصْطَفَى، والخَلْقُ رَهْنُ الْعَدَمِ، والكَوْنُ لم يَفْتَقْ كِبَامَ الْوُجُودِ^(٤).
مَرْيَّةٌ أُعْطِيَتْهَا فِي الْقِدَمِ بها على كُلِّ نَسِيٍّ تَسُوذُ،
مَوْلِدُكَ المَرْقُومُ لَسَا نَجَمَ أَنْجَزَ لِلْأُمَّةِ وَعَدَ السُّعُودِ.
نَادَيْتُ لو يُسَمِّحْ لِي بالجَوَابِ شَهْرَ رَبِيعٍ، يا رَبِيعَ الْقُلُوبِ،
أُطْلَعْتَ لِلْهَدْيِ بِغَيْرِ أَحْتِجَابٍ شَمْساً، ولكنْ ما لها مِنْ غُرُوبِ.

ويبدو أَنَّ من المُنَاسِبَاتِ الَّتِي كانَ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ (والمَغْرِبِ) يَخْتَفِلُونَ لها ذِكْرُ عِشْوَرَاءِ (العَاشِرِ مِنَ الْمُحَرَّمِ: الشَّهْرِ الْأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ الْهَجْرِيَّةِ - وفي العَاشِرِ مِنَ الْمُحَرَّمِ مِنْ سَنَةِ ٦١ = ١٠/١٠/٦٨٠ م) كانتَ مَأساةُ عِشْوَرَاءَ ومَقْتَلُ الحُسَيْنِ بنِ عَلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وَلَآئِنْ زَمَرَكَ (نَفَحَ الطَّيْبَ ٧: ٢٢١) مِنْ قَصِيدَةٍ فِي مَدْحِ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ ﷺ بِاللَّهِ النَّصْرِيِّ يَذْكُرُ فِيها عِشْوَرَاءَ:

يا أَيُّها المَوْلَى الَّذِي بَرَكَاتُهُ رَقَعَتْ لَوَاءَهُ لِلنَّدَى مَنُشُوراً^(٥)،
لَكَ رَاحَةٌ تُزْجِي الفَهِامَ بِأَنْمُلٍ فَجَرَّتَ مِنْها بِالنَّوَالِ بُحوراً^(٦).

(١) راجع القرآن الكريم (٩: ١٢٨، سورة التوبة). ما أن يضاع: لا يضاع (هـ أن • زائدة).

(٢) يوم الحساب: يوم القيامة. الكرب: الحزن الشديد.

(٣) الذنب الموبى (الملوك، العظيم).

(٤) المصطفى: المختار للرسالة (محمد رسول الله). والخلق (الواو للحال): حينما كان البشر لا يرالون رهن العدم (قبل وجودهم في هذا العالم). الكون (هنا): هذا العالم. الفتق: الثقب. الكيام: الكأس (الأوراق الخضر التي تلتف الزهرة قبل أن تتفتح الزهرة). - أن الله قضى أن يكون محمد رسولاً إلى هذا العالم قبل أن يخلق الله هذا العالم.

(٥) المولى: السيد (محمد رسول الله). الندى: الكرم.

(٦) تزجي: ترسل، تسيّر. الأنملة: طرف الإصبع (كتابة عن سهولة تسيير الأمور). النوال: العطاء (الخبر، الفائدة).

وَالْيَوْمَ مَوِّسُهُمْ قُرْبَةً وَعِبَادَةً وَغَدَاً - ظَفَرَتْ بِأَجْرِهِ - عَاشُورَا^(١).
 رَاعَيْتَ فِيهِ سُنَّةَ نَبِيَّةٍ تَرَوِي الثَّقَاتُ حَدِيثَهُ الشُّهُورَا.
 لَا زِلْتَ، عَامَكَ كُلَّهُ، فِي غِبْطَةٍ لُقِيتَ مِنْهَا نَضْرَةً وَسُرُورَا^(٢).
 وَلَايْنِ زَمَرِكَ أَيْضاً قَصِيدَةً يَبْدُو أَنَّهُ مَدَحَ بِهَا الْغَنِيَّ بِاللَّهِ النَّصْرِيَّ وَوَرَدَ فِيهَا ذِكْرُ
 عَاشُورَاءَ (نَفْحِ الطَّيِّبِ ٧ : ١٧٦ - ١٧٧). مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ:

مُولايَ، يَا أَبْنَ السَّابِقَيْنِ إِلَى الْعُلَا وَالرَّافِعِينَ لِوَاءِهَا الشُّورَا،
 أَبْنَاءُ أَنْصَارِ النَّبِيِّ وَضَحْبُهُ فِي الذِّكْرِ أَصْبَحَ فَخْرُهُمْ مَذْكُورَا^(٣)؛
 وَالْمُؤْتَرُونَ - وَرَبُّنَا أَتَى بِهَا؛ فِي الْحَشْرِ خُلِدَ وَصْفُهُمْ مَسْطُورَا^(٤)،
 فَاضَتْ عَلَيْنَا مِنْ يَدَيْكَ غَائِثُ وَتَفَجَّرَتْ مِنْ رَاحَتَيْكَ بُحُورَا،
 فِي مَوِّسٍ لِلدِّينِ قَدْ جَدَّدَتْهُ وَأَقَمْتَ فِينَا عِيدَهُ الشُّهُورَا.
 أَضْعَافَ مَا أَهْدَيْتَنَا مِنْ مِنَّةٍ تُهْدِي إِلَيْكَ ثَوَابَهَا عَاشُورَا^(٥).

أَمَّا فِي السُّودَانِ الْغَرْبِيِّ خَاصَّةً فَيَبْدُو أَنَّ الْأَهْتَامَ كَانَ بِالْفِقْهِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهِ؛ وَأَمَّا
 النَّتَاجُ الْأَدْبِيُّ وَالتَّأْلِيفُ فِي الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ فَكَانَ فِي زَمَنِ تَأَخَّرَ جِدًّا. ثُمَّ
 إِنَّ هَذَا النَّتَاجَ كُلَّهُ لَمْ يَظْهَرْ بِالطَّبِيعِ إِلَّا قَلِيلًا جِدًّا، كَمَا أَنَّ وُصُولَنَا إِلَى هَذَا
 النَّتَاجِ - مَخْطُوطاً وَمَطْبُوعاً - كَانَ أَيْضاً صَعْباً.

وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، فَإِنَّ هُنَاكَ بَضْعَةً نَفَرٍ وَرَدَ ذِكْرُهُمْ فِي «نَبْلِ الْإِبْتِهَاجِ»، مِنْهُمْ
 عَبْدُ الْعَزِيزِ التَّكْرُورِيُّ الَّذِي رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ فِي مِائَتِصَفِ الْقَرْنِ الثَّانِي (ص ١٨٢).

- (١) القربة: العمل الذي يَسِّرُ الْآخَرِينَ وَيَقْرِّبُكَ مِنْهُمْ.
- (٢) النبتة: النعمة، حسن الحال، السرور. فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (٧٦ : ١١، سُورَةُ الدَّهْرِ): «فَوَقَّاهُمْ (صَرَفَ عَنْهُمْ) اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ (يَوْمَ الْحِسَابِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ) وَلَقَّاهُمْ (أَعْطَاهُمْ) نَضْرَةً (حَسَنًا وَإِضَاءَةً فِي وَجْهِهِمْ) وَسُرُورًا».
- (٣) فِي الذِّكْرِ (فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ).
- (٤) الْمُؤْتَرُونَ: الَّذِينَ يَفْضَلُونَ الْآخَرِينَ (بِفَتْحِ الْهَاءِ) عَلَى أَنْفُسِهِمْ. الْحَشْرُ (سُورَةُ الْحَشْرِ). فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (٥٩ : ٩، سُورَةُ الْحَشْرِ): «وَيُؤْتَرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ» حَاجَةٌ إِلَى ذَلِكَ الشَّيْءِ الَّذِي يَمُوتُونَ لَهُمْ.
- (٥) الْمَنَّةُ: الْإِحْسَانُ، الْإِنْعَامُ.

ومهم محمد بن أحمد بن أبي محمد التازخي (نحو ٨٧٠ - نحو ٩٣٦ م) والمشهور بلقب أيد^(١) أحد رَحَلَ إلى تكدة فلقي فيها المصلي (ت ٩٠٩ هـ) وحضر دروسه. ثم رَحَلَ إلى الشرق وأخذ عن نفر من العلماء في مضر ومكة. وأجتهد (في تخريج مسائل الفقه) وصار من محصلي العلماء محدثاً ومحققاً ومتقناً في عدد من العلوم. ثم قفل إلى السودان ونزل في بلدة كشن فأكرمه صاحبها غاية الإكرام وولاه قضاءها (ص ٣٣٥).

وأخذ الفقيه الحافظ مخلوف بن علي بن صالح البلبالي (توفي بعد ٩٤٠ هـ) العلم وكانت قد تقدمت به السن عن عبد الله بن عمر بن محمد أقيت في بلاد ولاتن ثم سافر للغرب (للمغرب) فأخذ عن ابن غازي (ت ٩١٩ هـ). بعدئذ دخل بلاد السودان، مثل بلد كند وبلد كشن وغيرها وأقرأ أهلها وجرى بينه وبين العاقب الأنصمي خلاف. ثم إنه دخل تنبكت ودرس فيها. وعاد حيناً إلى مراكش ثم رجع إلى بلاده (ص ٣٤٤).

وهناك أيضاً عبد الرحمن بن علي بن أحمد القصري الفاسي السفياني المعروف بلقب سقين أبي محمد (نحو ٨٧٠ - نحو ٩٥٦ هـ) أخذ عن زروق (ت ٨٩٩ هـ) وعن ابن غازي (ت ٩١٩ هـ). ثم إنه رَحَلَ إلى الشرق (سنة ٩٠٩ هـ). ثم رجع إلى بلاد السودان ودخل كانو وغيرها وبقي هناك مدة عاد بعدها إلى فاس، سنة ٩٢٤ للهجرة وتولى الخطابة فيها في جامع الأندلس^(٢). وبعد وفاة محمد بن محمد بن الإمام الفوري (ت هـ) تولى الفتيا فيها أيضاً، مدة وجيزة، فها يبدو. فلما عزل عن الفتيا أكب على رواية الحديث وإقرائه إلى أن أدركته الوفاة (ص ١٧٦ - ١٧٧).

ثم يأتي محمد بن محمود بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن يحيى الصنهاجي (٩٠٩ - ٩٧٣ هـ). ولما توفي والده (سنة ٩٥٥ للهجرة - راجع ترجمته) قاضي

(١) أيد، أيت: ابن.

(٢) في جامع غُدوة الأندلسيين - الجانب الذي سكنه المهاجرون من الأندلس في مدينة فاس.

تَنَبَّكَتَ تَوَلَّى هُوَ الْقَضَاءُ بَعْدَهُ. وَكَانَتْ لَهُ مَعْرِفَةٌ بِالْبَلَاغَةِ وَالْمَنْطِقِ، وَلَهُ تَعْلِيقٌ عَلَى رَجَزِ الْمَغِيلِي فِي الْمَنْطِقِ (ص ٣٤٠).

وَلَا بَدْءَ مِنَ الْإِشَارَةِ، قَبْلَ أَنْتَهَاءِ الْقَرْنِ الْعَاشِرِ لِلْهِجْرَةِ، إِلَى أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ أَقْبَيْتَ التَّنْبُكِّيَّ (٩٣٢-٩٩١ هـ)، كَانَتْ لَهُ مَعْرِفَةٌ بِاللُّغَةِ وَالْفِقْهِ، كَمَا كَانَتْ لَهُ «تَأْلِيفُ صِغَارٍ فِي التَّصَوُّفِ» وَغَيْرِهِ، مِنْهَا «مُعِينُ الضَّعْفَاءِ فِي الْقَنَاعَةِ» (ص ١٠٢). وَكَذَلِكَ تَحَسَّنُ الْإِشَارَةُ إِلَى الْعَاقِبِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ أَقْبَيْتَ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ يَحْيَى التَّنْبُكِّيَّ (٩١٣-٩٩١ هـ)، كَانَ قَوِيَّ الْقَلْبِ صُلْبًا فِي الْحَقِّ مِقْدَامًا وَمُسَدَّدًا فِي أَحْكَامِهِ ثُمَّ جَسُورًا عَلَى السُّلْطَانِ وَعَلَى مَنْ دُونَهُ. وَلَهُ مَعَ جَمِيعِ هَؤُلَاءِ وَقَائِعُ كَانُوا يَخْضَعُونَ لَهُ فِيهَا. أَمَّا إِذَا لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ فَكَانَ يَغْزِلُ نَفْسَهُ مِنَ الْقَضَاءِ وَيَلْزِمُ بَيْتَهُ، فَيُلَاطِفُونَهُ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى مَنْصِبِهِ. وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ مِرَارًا. وَكَانَ الْعَاقِبُ بْنُ مُحَمَّدٍ هَذَا قَدْ رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ وَأَدَّى فَرِيضَةَ الْحَجِّ وَاتَّصَلَ بِنَفَرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ فَأَخَذَ عَنْهُمْ وَأَجَازَوْهُ (ص ٢١٨-٢١٩).

وَمِنَ الْفُقَهَاءِ الْعَاقِبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَمِيِّ الْمَوْفِيِّ (تُوفِّيَ بَعْدَ ٩٥٠ هـ) مِنْ أَهْلِ أَكْدَسَ - وَهِيَ بَلَدَةٌ قَرِيبَةٌ مِنْ بِلَادِ السُّودَانِ - أَخَذَ عَنِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْمَغِيلِيِّ التِّلْمَسَانِيِّ (ت ٩٠٩ هـ)، وَكَانَ الْمَغِيلِيُّ قَدْ رَحَلَ إِلَى بِلَادِ السُّودَانِ وَبِلَادِ التَّكُرُورِ. ثُمَّ رَحَلَ الْعَاقِبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى الْمَشْرِقِ وَأَخَذَ عَنْ جَلَالِ الدِّينِ السِّيُوطِيِّ (ت ٩١١ هـ) فِي مِصْرَ وَغَيْرِهِ، فِي أَثْنَاءِ طَرِيقِهِ إِلَى الْحَجِّ. وَلِلْعَاقِبِ تَصَانِيفُ مِنْهَا تَعْلِيقَةٌ عَلَى قَوْلِ خَلِيلٍ^(١) - جُزْءٌ فِي وُجُوبِ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ فِي قَرْيَةِ أَصْمَنَ - الْجَوَابُ الْهَدُودُ عَلَى أَسْئَلَةِ الْقَاضِي مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ - أَجُوبَةُ الْفَقِيرِ عَنْ أَسْئَلَةِ الْأَمِيرِ، أَجَابَ فِيهَا السُّلْطَانُ أَسْكَي الْحَاجَّ مُحَمَّدَ (ص ٢١٧-٢١٨، رَاجِعْ ٣٤٤).

(١) خَلِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ الْجَنْدِيِّ (لَأَنَّهُ كَانَ يَلْبِسُ ثِيَابَ الْجَنْدِ): فَقِيهٌ مَلِكِي (ت ٧٧٦ هـ)، لَهُ كِتَابٌ فِي الْفِقْهِ مَشْهُورٌ بِعَنْوَانِ «مَحْتَصَرِ خَلِيلٍ».

ابن أبي البقاء البلنسي

١- هو الأستاذ أبو عبد الله محمد بن محمد بن سليمان الأنصاري المعروف بأبي أبي البقاء، أصله من سرقطة (ومسكنه في بلنسية). كانت وفاته سنة ٦١٦ للهجرة (١٢١٩ - ١٢٢٠ م).

٢- كان أبى أبي البقاء البلنسي بارعاً في العربية (النحو) واسع العلم بها، وقد تصدر لتعليمها، وكانت له عناية بتقيد الآثار (الحديث؟). ثم هو شاعر مجود، له رثاء وله وصف جيد وغزل.

٣- مختارات من شعره

قال أبى أبي البقاء البلنسي من قصيدة له في الرثاء:

قد علمتني الليالي أن ريقتها صاب، وإن قال قوم إنها عسل^(١).
إن الذي كانت الآمال مشرقة به وعيش الأماني بردها خصل^(٢)،
أصاب صرف الليالي منه قطب جحي.
يا من رأى الثهب أعت دونها السبل^(٣).

- وقال يصف السيف:

وذي رونق كالبرق، لكن وعدة صدوق؛ ووعد البرق كذب. ورثيا^(٤)....

(١) الرقة: الرق (اللعب - بالضم - القليل): كتابة عن السرور القليل الذي تحاول الدنيا أن تنه للناس. الصاب: شجر له عصارة (بالضم) مرة.

(٢) بردها (بالضم) ثوبها (وفي الأصل، ضبطت الكلمة بفتح الباء من البرد، ضد الحر، ولا معنى له).
الحصل: المبتل، الناعم.

(٣) الحجي: العقل. قطب جحي (مركز العقل): المسند الذي يدور عليه العقل. صرف الليالي: المصائب. يا من رأى الثهب أعت دونها السبل (كانت المصيبة يوت هذا الرجل عظيمة إلى حد أن النجوم وقعت عن الدوران) لقد اضطرب كل شيء بعد موته.

(٤) الروني: الحسن (بالضم)، اللعان. برق السيف إذا هزه صاحبه ليضرب به. السيف يبرق وهو على ونك أن يصيب فيقتل. أما البرق (الذي في النعم) فقد يظهر فيتبعه مطر أو لا ينعمه مطر. ورثيا (منها اكتفاء): ورثيا أمطر (النعم بعد البرق).

عَقَدْتُ نِجَادِيهِ لِحَلِّ قَاتِمِي وَقُلْتُ لَهُ: كُنْ لِلْمَكَارِمِ سُلَّمًا^(١).
 وَسَلَامَ الْأَعَادِي إِذْ بَكَتْ شَفْرَاتُهُ، وَسِرًّا وَلَاَةَ الْوُدِّ لَمَّا تَبَسَّا^(٢).
 - وله في الغزل:

غَيْرُ خَافٍ عَلَى بَصِيرِ الْغَرَامِ أَنَّ يَوْمَ الْفِرَاقِ يَوْمٌ حِيَامٌ^(٣).
 عَبْرَاتٌ تَصُدُّ عَنْ نَظَرَاتٍ، وَنَشِيجٌ يَحُولُ دُونَ الْكَلَامِ^(٤).
 وَدِمَاءٌ تُرَاقِبُ بِأَسْرِ دُمُوعٍ، وَنُفُوسٌ تُودِي بِرَسْمِ سَلَامٍ
 شَرِبْتُ، بَعْدَكَ، اللَّيَالِي حَيَاتِي غَيْرَ أَوْشَالٍ لَوَعَتِي وَسَقَامِي^(٥).

٤- ** الذيل والتكملة ١: ٢١٥ (رقم ١٤٣).

ابن غِيَاثِ الشَّرِيشِيِّ

١- هو أبو عمرو مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غِيَاثِ الْجَذَامِيِّ الشَّرِيشِيِّ، كان مولده سنة ٥٣٦ للهجرة (١١٤١-١١٤٢ م). كَتَبَ فِي شَبَبَتِهِ عَنِ الْأَمِيرِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ (مِنْ وَلَاَةِ الْمُوحِدِينَ فِي الْأَنْدَلُسِ؟). ثُمَّ إِنَّهُ زَارَ مَرَاكُشَ وَمَدَحَ أَمْرَاءَهَا. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي الْمُحَرَّمِ مِنْ سَنَةِ ٦٢٠ (شباط - فبراير ١٢٢٣ م) فِي الْأَغْلَبِ: أَوْ ٦١٩ (الوفاي ٤: ١٠).

- (١) النجاء (بالكسر) ما يحمل به السيف فيمَلَقُ في العنق. انتمية: حجاب يملَقُ على الصبي لمنع إصابته بالمين (من خرافات العامة). عقدت نخاديه لحل قاتمي: بدأت يحمل السيف (بالقتال والحرب) لما حلَّت عَنِّي قَاتِمِي (لما جاوزت سن الطفولة): باكراً - وقلت كن (في يدي: سأقاتل بك) في سبيل الوصول إلى معالي الأمور.
- (٢) الشفرة: حديدة السيف التي تقطع. بكّت شفرة السيف (سال عليها الدم من قتال الأعادي). تسم السيف: كثر طريقه (لكنة تحريكه للضرب به).
- (٣) الهيام (بالكسر): الموت.
- (٤) تكثر العبرات (الدموع) في العين حتى تجمز العين عن النظر. النشيج: إرتفاع الصوت بالبكاء.
- (٥) بمدك (بعد فراقك). شربت الليالي حياتي (ذهبت من الحياة: بطلت بمدك قيمة الحياة). الوشل (يفتح ففتح): الماء القليل (بقية الشيء). اللوعة: حرقه يجدها الإنسان في نفسه من أثر حب أو ألم أو حزن. السقام: الضعف، المرض.

٢ - كان أبو عمرو بن غياث ذا مكانة في قومه، كما كان أديباً وكاتباً مُحسناً
 اتَّصلتْ المكاتباتُ بينه وبينَ نَفَرٍ من أدباءِ زَمَانِهِ منهم مَثَلُ ابنِ مَرْجٍ الكُحْلِ^(١)،
 وكانت تلك المكاتباتُ تجري في ثَنَرٍ وفي شَعَرٍ. وشعرُهُ كثيرٌ رقيقٌ جَيِّدٌ. ويبدو أن
 مُعْظَمَ شعرِهِ كان في مدحِ الملوكِ والرؤساءِ.

٣ - مختارات من آثاره

- لأبي عمرو بن غياث أبياتٌ في العتابِ والنسيبِ، هي (نفع الطيب: ٢ :
 :٦٠٨):

أودعُ فؤادي حَسْرَةً أَوْ دَعَا نَفْسَكَ تُؤْذِي. أَنْتَ فِي أَضْلَمِي^(٢).
 أَسْكَ سِهَامَ اللَّحْظِ أَوْ فَارَمَهَا: أَنْتَ بِمَا تَرْمِي مُصَابُ مَعِي^(٣).
 مَوْقِعُهَا الْقَلْبُ، وَأَنْتَ الَّذِي مَسَكُنُهُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ.

- قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الرَّعِينِيُّ^(٤): لَقِيتُ (أَبْنَ غِيَاثٍ) سَنَةَ خَمْسِ عَشْرَةَ (وَسِتِّينَاةً)
 وَأَخَذْتُ عَنْهُ ثُمَّ اسْتَجَزْتُهُ^(٥) سَنَةَ سِتِّ عَشْرَةَ فَكَتَبَ إِلَيَّ مُجِيزاً:

..... قَسَاً بِمَا يَكُونُ بِهِ الْقَسَمُ^(٦)، لَقَدْ اسْتَفْتَحْتَ بَاباً وَإِنَّهُ لَمُعْلَقٌ مِثْمُ^(٧)،
 وَاسْتَنْطَقْتَ أَعْجَبِيّاً، وَمِنْ أَيْنَ لَهُ أَنْ يُفْصَحَ الْأَعْجَمُ. وَنَفَخْتَ حَيْثُ لَا ضَرَمَ^(٨):

(١) ابن مرج الكحل (راجع الجزء الخامس، ص ٦٩١).

(٢) أودع (أجمل في) فؤادي حسرة أو دع (أترك وضعا). إنك إن فعلت (ووصفت حسرة في قلبي) فإنك
 تؤذي نفسك أيضاً لأنك محبوي الذي أجعله أنا بين أضلعي (في قلبي).

(٣) إرم سهام اللحظ: أطلقها علي.

(٤) هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الرعيني (٥٩٢ - ٦٦٦ هـ).

(٥) طلبت منه إجازة (شهادة) بما أخذته عنه من العلم والسلاح لي بأن أعلم الناس ما تعلمته منه.

(٦) بما به يكون القسم (الحلف باليمين): بالله تعالى.

(٧) استفحت ماأ (طلبت فتح باب): طلبت مني شيئاً (إجازة). وأنه (أن هذا الباب): إعطاني
 إجازات. وأنه لمعلق (ليس لي عادة بإعطاء إجازات). المهم: الشيء الساذج (الذي لا علامات
 فيه).....

(٨) ونفخت حيث لا ضرم: لا مائة فائلة للاشتغال بالترويح (شفح الريح) عليها.

أَعْيْذُهَا نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً أَنْ تَحْسَبَ الشَّحْمَ فِيمَنْ شَحْمُهُ وَرَمَّ^(١).

.....^(٢) ولقد تركتُ مِنَ الْأَشْيَاخِ^(٣) مَنْ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُتْرَكَ وَيَجِبُ أَنْ يُتِمَّنَ

بِهِ وَيُتَبَرَّكَ. غَيْرَ أَنَّ الْقِدَمَ وَالْهَرَمَ وَالْأَلَمَ^(٤) صَرَفْتَنِي عَنِ الْإِسْهَابِ وَالتَّطْوِيلِ^(٥). وَمَا

يُطِيلُ شَيْخٌ لَهُ بَعْدَ نَوَامَاتِ الْعُيُونِ بِاللَّيْلِ نَظْرَةً تَحْجِيلٍ^(٦)، وَكُتُبَةً تَحْجِيلٌ وَعَيْشُهُ

تَنْكِيلٌ^(٧). وَقَدْ أَتَّضَحَ لَهُ مِنَ السَّبْعِينَ إِلَى الثَّانِينَ السَّبِيلُ^(٨).

- وَلَهُ أَبْيَاتٌ فِي الصَّبَا وَالشَّيْبِ:

صَبَوْتُ، وَهَلْ عَارٌّ عَلَى الْحُرِّ إِنْ صَبَا وَقِيدَ بُعِيدَ الْأَرْبَعِينَ إِلَى الصَّبَا^(٩)؟

يَرَى أَنْ حُبَّ الْحَسَنِ فِي اللَّهِ قُرْبَةً لِمَنْ شَاءَ بِالْأَعْمَالِ أَنْ يَتَقَرَّبَا.

وَقَالُوا: مَشِيبٌ. قُلْتُ: وَاعْجَبًا لَكُمْ، أَيْنُكُرُ نُورٌ قَدْ تَخَلَّلَ غَيْبَهَا^(١٠)؟

وَلَيْسَ مَشِيبًا مَا تَرَوْنَ، وَإِنَّا كُمَيْتُ الصَّبَا مِمَّا جَرَى عَادَ أَشْهُبَا^(١١).

٤ - ** المغرب ١: ٣٥؛ برنامج الرعي ٩٩ (رقم ٣٧)؛ الذيل والتكملة ٦: ٢٩٥ - ٢٩٦

(رقم ٧٨٠)؛ تحفة القادم ١٢٩؛ الواقي بالوفيات ٤: ١١؛ نفع الطيب ٢: ٦٠٨.

(١) البيت للمنتبّي. الشحم: مائة يصبح بها الجسم سمياً. الورم: انتفاخ من مرض.

(٢) كان ابن غياث يريد أن يذكر نقرأ من شيوخه (أساتذته). وهم غير مذكورين في الأصل.

(٣) الأشياخ: الشيوخ (الأساتذة).

(٤) القدم (طول الزمن) يدعو إلى النسيان. الهرم (طول العمر) يدعو إلى الضعف. الألم (ذهاب الصحة)

يدعو إلى قلة الصبر وقلة الاحتمال.

(٥) الإسهاب: إكثار التمايز للمعنى الواحد. التطويل: الإتيان بمعان كثيرة.

(٦) بعد نومات العيون (بعد أن ينام الناس في الليل). نظرة تحجیل: تدلّ على الحبل (بفتح ففتح):

الجنون أو فساد التفكير.

(٧) كتبه (كذا في الأصل). والكتب جمع كتاب بمعنى الحكم أيضاً. يقول: إن أحكامه من عمل الخيال لا

صواب فيها. التنكيل: العقاب الشديد الذي يراد به ردع الآخرين عن أعمال السوء.

(٨) اتّضح (بان، ظهر).... السبيل (النهاية، الموت).

(٩) صبا: مال (إلى المحبوب). قاد: جرّ. الصبا: الشق (الجهل في أيام الشباب)..

(١٠) الغيب: الظلام (هنا: سواد الشعر). في الواقي: «بدر» مكان «نور».

(١١) الكميت (المحسان الأحمر اللون). كميت الصبا (نشاط الشباب). أشهب (أبيض اللون).

الرفاء المرسى

١ - هو الأستاذ أبو علي الحسن بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن موسى بن عبد الرحمن الكينائي المرسى، من أهل مرسية. أخذ القراءات عن أبي جعفر (بن) (١) الحصار. ومات الرفاء في بلد مرسية سنة ٦٣٣ للهجرة (١٢٣٥ - ١٢٣٦ م) في الأغلب.

٢ - كان الرفاء المرسى مُقرئاً ونحويّاً، وكان أديباً شاعراً مطبوعاً صاحب مُقطعات، وفي شعره تكلف لزوم ما لا يلزم. ويبدو أنه كان يُكثر من وصف المأكّل.

٣ - مختارات من شعره

- قال الرفاء المرسى في المُجَنَّبَات (نوع من الحلوى: عجّين مخشوّ بالجبن يُقلّى بالسمن ويُغمّس في القطر، كالقطائف) (٢):

شَفِئْتُ مَحَبُّ أَبْكَارِ حَبَالِي، وَوَدَّيْ لَوْ بَنَيْتُ بِهَا عَرُوساً (٣).
إِذَا لَاحَتْ بُدُوراً فِي الْمَقَالِي تَرَاءَتْ لِلْعَيُونِ بِهَا شُمُوساً (٤).

- وله في النسيب (من لزوم ما لا يلزم بِكَلِمَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ):

أَتَسَى فَأَسَى كُلُّهَا كُلُّهَا، وَبِإِنِّ الْأَسَى كُلُّهَا كُلُّهَا (٥).

(١) في بغية الوعاة (ص ٢٧٣): أبو جعفر بن الحصار. وفي نفع الطيب (٢: ٥٠) أبو جعفر الحصار.

(٢) يمكن أن تقل بالبرج (بالسين المهملّة المكسورة) أو الشرج (بالسين المعجمة المفتوحة): دهن السم.

(٣) شنف الرجل (بالبناء للمجهول): أصيب شفاف (بالضمّ) قلبه (غلاف قلبه) من الحب. أبكار جمع بكر (بالكسر) كناية عن القطيفة (وجمعها قطائف) التي تكون شنيّة ومختومة الطرفين أو تكون من قطعتين أطبقت إحداها على الأخرى وختمت دائرتها. حبالى (كناية عن انتفاع القطائف لكثرة ما في جوفها من الجبن). بنى الرجل بالمرأة (اتخذها زوجاً له) لأنّه يبنى بيتاً (خيمة) تضمّها معاً. ودّ (بالضم أو بالكسر أو بالفتح): الحب، الرغبة (بالفتح).

(٤) لاحت بدوراً (تكون بيضاء حيناً تكون عتيماً). المقالى (هنا) جمع مفلاة (صفحة تقل فيها الأظلمة). تراءت شموساً (حيناً تقلّ تصبح صمراء أو حمراء).

(٥) أسى: داوى. كلّاً (بالضمّ): في كلّ مرّة. كلّم (بالفتح): جرح. بان: ابتعد، ذهب. الأسى: الحزن. كلّم (في القافية): خاطب. - إذا نظر المحبّ بعينه إلى المحبّ، شعر المحبّ بأنّه قد جرح (قلبه). فإذا عاد المحبّ فخطب المحب شعر المحبّ بأنّه قد شفي من جروح قلبه.

وَرَوَى الْفَلِيلَ، وَمِنْ بَعْدِمَا شَفِي الصَّبَّ مَاءَ اللَّيْلِ آلا^(١)
وَلَمْ مَا شَاءَ مِنْ قَرِيبَةٍ وَزَادَ فَقَدْ ثَلَّ مَا ثَلَّ^(٢)
وَسَلَّ عَلَيْهِ حُصَامَ النَّوَى، وَمَنْ يَأْسُ مَا سَلَّ مَا سَلَّ^(٣)
وَضَرَمَ نَارَ الْجَوَى فِي حَنَاهُ فَالْحَفَّهَ ضَرَّ مَا ضَرَّ^(٤)
وَعَدَمَهُ الصَّبْرَ مِنْ بَعْدِهِ يَرَى فُرْصَةً عَدُوَّ مَا عَدُوَّ^(٥)
أَعْيْنِيهِ، كَفَّاءَ فَأَصْلُ الْبَلَا - إِذَا مَا أَعْتَرَى وَأَنْتَمَى - أَنْتَمَى^(٦)
وَيَسَا صَاحِبِيهِ، أَلَا عُدْتُهَا، وَهَلَّا إِذَا عُدْتُمَا عُدْتُمَا^(٧)؟
وَقَدْ قُلْتُهَا أَنْ سَيَقْضَى أَسَى، وَمِنْ قَبْلِهِ قُلْتُ مَا قُلْتُهَا^(٨).

٤ - ** تحفة القادم ١٥٨؛ الوافي بالوفيات ١٢ : ٦٦ - ٦٧؛ بغية الوعاة ٢٢٣.

- (١) رَوَى الْفَلِيلَ (حَرَّ الْعَطَشِ، الْعَطَشُ الشَّدِيدُ): أَطْفَأَ الْعَطَشَ. الصَّبَّ: الْحَبَّ. مَاءَ اللَّيْلِ (سَمَرَةُ الشَّفَاءِ رَيْقٍ (الْمُحِبُّوبِ). آلا (أَدْخَلَ الْأَمَّ عَلَى النَّصِّ)، لِأَنَّ الْمُحِبُّوبَ حَجَبَ رَيْقَهُ (بِمَدِّثٍ) عَنِ الْمُحِبِّ.
- (٢) الْبَيْتَ غَامِضٌ. ثَلَّ: قَطَعَ، شَتَّقَ. (قِرَاءَةُ نَسْبٍ؟) - فِي الْأَصْلِ «قَرِيبُهُ» مُضْبُوطَةٌ بِضَمَّةٍ فَكُسِرَتْ. زَادَ (؟). ثَلَّ: هَدَمَ.
- (٣) النَّوَى: الْفَرَاقُ، الْبُعَادُ. يَأْسُو: يَدَاوِي. مَا سَلَّ: أَثَرُ الْحُصَامِ (الْبَيْفِ). سَلَّ (؟): أَلْقَى السَّلامَ، نَجَّى، أَنْقَذَ..... (؟).
- (٤) الْجَوَى: أَلَمَ الْحَبَّ. الْحَشَا: الْبَاطِنُ، الْقَلْبُ. الْحَفَّهَ: غَطَّاهُ (بِالْحَافِّ). ضَرَّ: أَذَى، مَرَضَ. ضَرَمَ: أَشْعَلَ النَّارَ.
- (٥) عَدَمَهُ: أَعْدَمَهُ، أَفْقَدَهُ. الصَّبْرَ (مَفْعُولٌ بِهِ). مِنْ بَعْدِهِ (بِالضَّمِّ؟): فِرَاقُهُ، بَعَادُهُ. - يَرَى فُرْصَةً (مَفْعُولٌ بِهِ ثَانٍ مَقْدَمٌ). عَدُوَّ (مَفْعُولٌ بِهِ أَوَّلُ مُؤَخَّرٍ). عَدَمَ (بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ): فِي هَذِهِ الْفُرْصَةِ الَّتِي لَا يَرَى الْمُحِبُّ فِي أَثْنَائِهَا مُحِبُّوبَهُ يَسْتَطِيعُ الْمُحِبُّ أَنْ يَعْرِفَ الْأَشْيَاءَ الَّتِي عَدَمَهَا (فَقْدَهَا) لِمَا ابْتَعَدَ مُحِبُّوبُهُ.
- (٦) كَفَّاءَ: تَوْقِفًا (عَنِ الدَّمْعِ، الْبَيْكَاءِ). اعْتَرَى: أَصَابَ. أَنْتَمَى (انْتَسَبَ): إِنَّ ابْتِلَاءَ الْمُحِبِّ بِالْمَصَائِبِ رَاجِعٌ إِلَى أَنْ عَيْنِيهِ تَوْبَانُ الْمُحِبُّوبِ اعْتَرَى = أَنْتَمَى (؟).
- (٧) وَيَا صَاحِبِيهِ (رَفِيقِيهِ). عُدْتُمَا: التَّجَاعُفَا (احْتِمِيئَا مِنْ أَنْ يَصِيبَكُمَا الْحَبُّ بِالْمَصَائِبِ). وَإِذَا كُنْتُمَا أَنْتُمَا قَدْ عُدْتُمَا (وَنَجَوْتُمَا) مِنَ الْحَبِّ، فَلِهَذَا مَا عُدْتُمَا (رَجَعْتُمَا) إِلَيْهِ (وَأَنْقَذْتُمَا) مِمَّا هُوَ فِيهِ). عُدْتُمَا (فِي الْأَصْلِ) بِالدَّالِ الْمُهْمَلَةِ. وَقَاعِدَةُ لَزُومٍ مَا لَا يَلْزِمُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ أَنْ تَكُونَ «عُدْتُمَا» (بِالدَّالِ الْمُهْمَلَةِ). عُدْتُمَا (الثَّانِيَةِ) لَعَلَّهَا سَتَمْعَةٌ فَلَا مُتَعَدِّيًا (وَلَيْسَتْ فِي الْقَامُوسِ بِهَذَا الْمَعْنَى) - بِقَصْدِ أَنْجِيَّتَاهُ، أَنْقَذْتُمَا.
- (٨) قَضَى: مَاتَ. الْأَسَى: الْحُزَنُ. - وَأَنَا قَبْلُكَمَا قُلْتُ عَنْ هَذَا الْحَبِّ أَنَّهُ سَيَمُوتُ مِنَ الْحَبِّ (وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ لَا يَزَالُ حَيًّا).

أبو عبد الله بن عسكر

١ - هو القاضي أبو عبد الله بن عسكر (المرقبة العليا ١٢٣) أو أبو عبد الله محمد ابن عسكر (نفع الطيب ٢ : ٣٥١) : محمد بن علي بن عبيد الله بن الحضر بن هارون الفسائي الملقب (الذيل والتكملة ٦ : ٤٤٩)، أصله من إحدى قرى مالقة، وكان مولده نحو سنة ٥٨٤ للهجرة (١١٨٨ - ١١٨٩ م).

تلقى أبو عبد الله بن عسكر العلم على نفر كثيرين في الأندلس وفي العُدوة (المغربية) وفي المشرق. وقد ولي قضاء مالقة نيابة عن القاضي أبي عبد الله محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين النباهي^(١) - عند انتقال الحكم في الأندلس من بني هود إلى بني الأحمر - (نحو ٦٣٠ هـ) ثم تولى قضاءها مستبداً (مستقلاً) إلى آخر حياته في ربيع جُمادى الآخرة من سنة ٦٣٦ (١٢٣٩/١/١٢ م).

٢ - كان أبو عبد الله بن عسكر مستقيم السيرة ماضي العزيمة عادلاً. وكان متوقفاً للذهن واسع المعرفة بالقراءة (للقرآن الكريم) وبالحدِيث والفقه والنحو والتاريخ. وكان مؤلفاً صنّف عدداً من الكتب منها: مقامة سماها «رسالة آذخار الصبر وافتخار القصر والقبر»، وهي غريبة في بابها - المشرع الروي في الزيادة على غريب الهروي^(٢) - أربعون حديثاً (ألتم فيها اسم شيخه اسم الصحابي)^(٣) - نزهة الناظر في مناقب عمار بن ياسر^(٤) - الجزء المختصر في السلوك عن ذهاب البصر^(٥) - الإكمال

(١) تولى القضاء بمالقة من سنة ٦٢٦ إلى سنة ٦٣٠ هـ في أيام الأمير محمد بن يوسف بن هود الذي كان مستبداً بما كان قد بقي للعرب في الأندلس قبل مجيء بني نصر أو بني الأحمر.

(٢) أحد بن محمد الهروي (ت ٤٠١ هـ) له كتاب غريب القرآن (الألفاظ القليلة الاستعمال في اللغة) وغريب الحديث.

(٣) اشترط أن يكون كل حديث من الأربعين حديثاً قد رواه صحابي اسمه كاسم أحد شيوخ أبي عبد الله ابن عسكر أو أن تكون الأربعون حديثاً رواها صحابة أسماؤهم كلهم كاسم شيخ واحد من شيوخ ابن عسكر (٤).

(٤) عمار بن ياسر (ت ٣٧ هـ) من الصحابة وأحد السابقين إلى الدخول في الإسلام، ومن الولاة والغداة الشجعان.

(٥) ألّفه لأبي محمد بن أبي خرم (بضم الحاء) الضرير الواعظ.

والإتقان في صيلة الإعلام بمحاسن الأعلام من أهل مألقة الكرام^(١).

ولأبي عبد الله بن عسكر نظمٌ جيدٌ يأتي فيه أحياناً بلُزومٌ ما لا يلزمُ. وهو أديبٌ مُحسِنٌ في النثر والنظم مع المقدرة على وجوه البلاغة.

٣ - مختارات من آثاره

- لما كان أبو عمران موسى بن سعيد^(٢) بالجزيرة الخضراء مُقدِّماً على أعمالها من قبَل ابن هود^(٣) وَصَلَ (إليه) كتابٌ مِنَ الفقيه القاضي أبي عبد الله محمد بن عسكر قاضي مألقة، مع أحد الأدباء، منه (نفع الطيب ٢: ٣٥١-٣٥٢):

أَفَاتِحُ مَنْ قَلْبِي بِعَلَيَّاهِ وَاتَّقُ، وَإِنْ كَانَتْ الْأَبْصَارُ لَمْ تَنْسَخِ الْوُدَّ^(٤).
وَنَفَسْتُ بِمَا لِي مِنْ ذِمَامِ تَشْيَعِي بِالْأَلِ سَعِيدٍ فَأَبْتَغَيْتُ بِهِ السَّعْدَ^(٥).
وَبِالْحُبِّ يَدْنُو كُلُّ مَنْ أَقْصَتِ النَّوَى يَرْغُمُ حِجَابَ النَّوَى بَيْنَنَا مَدَا^(٦).

يا سَيِّدِي الَّذِي حَمَلْتَنِي مَا أَمَالَ أَسَاعِي مِنَ الشَّاءِ عَلَيْهِ أَنْ أَهْجُمَ عَلَى مُفَاتِحِهِ شَافِعاً فِي مُوَصِّلِهَا إِلَيْهِ، وَاتَّقاً بِالْفَرْعِ لِعِلْمِ الْأَصْلِ^(٧)، مُؤَمِّلاً لِلْإِفْضَالِ بِتَحْقِيقِ الْفَضْلِ^(٨). إِنْ لَمْ تَقْضِ بِاجْتِنَاعِ بَيْنَنَا الْأَيَّامَ فَلَا^(٩) تُخْزِيهِ مِنَ الْمُشَافَهَةِ بَيْنَنَا أَلْسُنُ الْأَقْلَامِ وَيُوحِي بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ بَسُورِ الْوِدَادِ^(١٠). وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْلَعَكَ فِي ذَلِكَ

(١) لهذا الكتاب اسم آخر، هو: مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار فيما احتوت عليه مألقة من العلماء والرؤساء والأخبار وتقييد ما لهم من المناقب والآثار. وأبو عبد الله بن عسكر مات قبل أن يكمل هذا الكتاب، فتولَّى كتابه (إكباله) ابن أخته أبو بكر بن محمد بن خيس.

(٢) من آل سعيد العنسي (راجع الجزء الخامس، ص ٣٣٨).

(٣) محمد بن يوسف بن هود المستبد بمجنوبي الأندلس باسم المتوكل (٦٢١ - ٦٣٥ هـ).

(٤) أفاتح: أبدأ بمخاطبة... - الأبصار لم تَنْسَخِ الْوُدَّ (٩).

(٥) الذمام: العهد، الحرمة، الحق. التشيع: الانتلاء إلى قوم أو رأي.

(٦) أقصى: أبعد (فعل ماضٍ). النوى: البعاد، القرعة، الفراق.

(٧) لعلم الأصل (لمعرفتي بمكانة آل سعيد وفضلهم).

(٨) الإفضال: الإحسان إلى الآخرين. تحقيق الفضل: الثقة بأن يحدث الإحسان الجديد (قياساً على ما عرف عن آل سعيد من الفضل السابق).

(٩) كذا في الأصل (المنى يقتضي أن يقال: فلا أقلُّ من أن تخزيه....).

(١٠) الوداد: المحبة. سور الوداد (بالهبة الكاملة، المحبة السامية).

الأُفُقُ بذراً^(١)، وأذناك من هذه الدارِ فَصِرْنَا لِقُرْبٍ مَنْ يَرِدُ عَنْكَ لَا نَعْدَمُ لَكَ ذِكْرًا^(٢). فَكُلُّ يُشْنِي بِالَّذِي عَلِمْتَ سَعْدًا^(٣) وَيَصِفُ مِنْ خِلَالِكَ مَا يَقْضِي (به) ذلك المجد^(٤). وَلَمَّا كَانَ إِحْسَانُكَ يُبَشِّرُ بِهِ الصَّادِرُ وَالْوَارِدُ وَيُحَرِّضُ عَلَيْهِ الْغَائِبُ وَالشَّاهِدُ^(٥)، مَدَّ أَمَلَهُ نَحْوَكَ مُوَصِّلٌ هَذِهِ الْمَفَاتِحَ، وَلَيْسَ لَهُ وَسِيلَةٌ وَلَا بِضَاعَةٌ إِلَّا الْأَدَبُ^(٦)، وَهِيَ - عِنْدَ بَيْتِكَ الْكَرِيمِ - رَاجِحَةٌ. وَهُوَ مِنْ شَتَّى خُطُوبٍ هَذَا الزَّمَانِ شَمْلُهُ وَأَبَانَتْ نَوَائِبُهُ صَبْرَهُ وَفَضْلُهُ^(٧). وَمَا طَمَحَ بِبَصَرِهِ إِلَّا إِلَى أَفْقِكَ^(٨)، وَلَا وَجْهَ رَجَاءٍ إِلَّا نَحْوَ طَرَفِكَ^(٩). وَالرَّجَاءُ مِنْ فَضْلِكَ أَنْ يَعُودَ وَقَدْ أَثْنَتْ حَقَائِقُهُ^(١٠) وَأَعْنَقَتْ مِنَ الْحَمْدِ رَكَائِبُهُ^(١١). وَدُمْتَ غُرَّةً فِي الزَّمَنِ الْبَهِيمِ^(١٢) مَخْصُوصًا بِأَفْضَلِ التَّحِيَّةِ وَالتَّسْلِيمِ.

- ومن شعره في النسيب، وفيه عاطفة فطرية من الطُفولة العذبة (نفح الطيب

: ٣٥٢: ٢)

-
- (١) بدرأ (معروفاً مشهوراً نافعاً).
 - (٢) ذكرك عندنا لا يتقطع.
 - (٣) إشارة إلى قول الشاعر: «وما قلت إلا بالذي علمت سعد» (أي بما هو معروف ومشهور).
 - (٤) الخلال: الصفات، الخصال الحميدة. ذلك المجد (القديم الذي لقومك).
 - (٥) الصادر (الذاهب من عندنا) والوارد (القادم علينا) والغائب (الذي ليس معنا الآن) والشاهد (الحاضر بيننا): جميع الناس.
 - (٦) لا يجمع بينك وبينه إلا المعرفة بالأدب (بالشعر) مثلاً، وإلا فإنه ليس قريباً لك في الفن أو الجاه أو المكانة.
 - (٧) أبانت: أبعدت، قطعت. نوائبه (نوائب الزمان: المصائب).
 - (٨) أفقك: بلدك (المكان الذي أنت فيه).
 - (٩) طرفك (الجانِب من البلاد حيث أنت).
 - (١٠) إشارة إلى قول الشاعر الأيوبي نصيب (بالتصغير) بن رباح (ت بين ١٠٥ و ١١٠ هـ):
فاجوا فأتوا بالذي أنت أهله، ولو سكوا أثنت عليك الحقائق.
 - (١١) الركوبة: المظلة يسافر الناس عليها. أعنت: مدت أعناقها وهي تسير (مسرعة). من الحمد (يمجدونك سروراً بما نالوا منك).
 - (١٢) البهيم: الساذج، الغفل (بضم فسكون): الذي لا معالم فيه أو إشارات تهدي السائرين.

أهواك، يا بَدْرُ، وأهوى الذي يَعْذِلُنِي فيك، وأهوى الرقيب^(١)؛
والجارَ والدارَ وَمَنْ حَلَّهَا وَكُلَّ مَنْ مَرَّ بِهَا مِنْ قَرِيبٍ؛
وكلَّ مُبْدٍ شَبَهَا مِنْكُمْ، وَكُلَّ مَنْ يَلْفِظُ بِأَسْمِ الْحَبِيبِ.

- وقال يصف رجلاً أهدبَ ويقارنه بشكلِ هندسيٍّ مثلث (الإحاطة ٢: ١٢٥):

وأهدبٍ تحسبُ في ظهره سفينَةً في نهرٍ عائمٍ.
مثلثُ الخَلْقَةِ، لكنَّسه في ظهره زاويةٌ قائمةٌ.

- وصف البُلغة (والبلغة جذاء خفيف مألوف في الشَّال الإفريقي وفي الأندلس، وهي، في الأصل، تُتَّخَذُ من الخلفاء^(٢)). والبُلغة لا تزال معروفةً في المغرب إلى اليوم، وتُصنَعُ من جِلْدٍ عاديٍّ ذي لون أبيض أو أصفر في الأكثر). وهذه الأبيات من قصيدة قالها الشاعرُ في مدح السلطان المأمون أبي الملاء بن المنصورِ الموحديِّ (٦٢٦ - ٦٣٠ هـ):

رَبِّيتُ إِلَى لُقْيَاكَ كُلَّ مَطِيَّةٍ مُبَرَّاةٍ أَنْ تَعْرِفَ الْأَبَ وَالسَّلَا^(٣).
إِذَا نَسَبُوهَا فَالتَّنَوُّسَةُ أُمُّهَا، وَوَالِدُهَا مَاءُ الْغَمَامِ إِذَا أَنْهَلَا^(٤).
وَمَا عَلِمْتُ يَوْمًا غِذَاءً، وَإِنَّا أَعَارَ لَهَا الْأَعْضَاءُ صَانِعُهَا قَتَلَا^(٥).
وقد ضَمُرْتُ حَتَّى اغْتَدْتُ مِنْ نُوعِهَا
فلو عُرِضْتُ لِلشَّمْسِ مَا أَسْقَطَتْ ظِلًّا^(٦).

-
- (١) البدر: المبوب الجميل الذي يشبه البدر. يعذل: يلوم. الرقيب: الذي يتابع أعمال المحبين لينقِص عليهم حياتهم (ينهم من الالتقاء، يشي بهم، إلخ).
(٢) الخلفاء: نبات ينبت على أطراف الماء له أوراق ليفية تشبه سف النخيل تصنع منه حبال، ويشتمل أيضاً بسرعة وشدة.
(٣) يشبه البلغة بالمطية (الدابة التي يسافر الناس عليها)، سوى أنها لا أبوان لها ولا نسل (أولاد) لها.
(٤) التنوفة: الغلاة (الأرض الواسعة لا ماء فيها). أنبل: انهر (هطل: سقط بكثرة).
(٥) أعضاؤها (أقسامها) لم تأت من النمو بالغذاء، ولكن الذي صنع البلغة كان قد قتل أوراق الخلفاء على أشكال مختلفة.
(٦) ضمرت: أصبحت نحيلة أو هزيلة. اغتدت (كذا في الأصل بالادال المهملة): أصبحت. التسع (بالكسر) سير عريض من جلد. اغتدت من نوعها^(٧).

وما في قراها قدرُ مقعدِ راكبي، ولكنها ساوتَ مِباحثها الرِّجلاً^(١).
 لتبليغها المضطرَّ تدعى ببلغة، وإن قست بالتشبيه شبهتها نغلاً^(٢).
 أشكرها جهدي وأنتي بفضلها؛ فقد بلغتني خيرَ من وطىء الرَّملا^(٣).
 ملكاً كأنَّ الشمسَ فوقَ جبينه وليث الشرى في درعه حامياً شَيْلاً^(٤).
 إذا رامَ أمراً لم يكن فيه من «عسى» وإن قال: كُنْ، لم يخشَ في غرضِ مولى^(٥).
 وما ذاك إلا أن في الله همُّهُ
 فيُجري له، في ذلك، القولَ والنغلاً^(٦).

٤ - * الذيل والتكملة ٦: ٤٤٩-٤٥٢ (رقم ١٢١٨)، المرقبة العليا ١٢٣، راجع ١١٢؛
 الإحاطة ٢: ١٢٢-١٢٥؛ نفح الطيب ٢: ٣٥١-٣٥٢، ٣: ٣١١،
 ٤: ٣١١-٣١٢، ٥: ١٣٠.

محمد بن أحمد الاستجّي

١ - هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد الاستجّي، كان أسلافه من
 سُكَّانِ إِسْجَةَ ثمَّ انتقلوا إلى مالقة.

وُلِدَ أبو عبد الله الاستجّي في مالقة وتلقّى العلمَ على نفرٍ منهم أبو جعفر أحمد بن
 يحيى بن إبراهيم الحِميرِيّ القُرطُبيّ وأبو محمد بن حَوَاطِ الله وأبو عليٍّ عُمَرُ بن عبد

- (١) القرى (بالفتح): الظهر.
- (٢) لتبليغها المضطرَّ: للوصول بالهتاج إلى السفر تسمّى بلغة (تبليغه مقصده). - في عملها (خدمتها)
 لصاحبها تشبه المطيعة) أمّا شكلها فيشبه النمل.
- (٣) جهدي: بأقصى طاقتي. أنتي بفضلها: أشكرها على فضلها.
- (٤) الشري: الحبل. ليث (أسد) الشرى يكون شديداً ضارباً. هم أسد الشرى (شجمان أقوياء). - في
 درعه حامياً شَيْلاً (٤).
- (٥) لم يكن فيه من «عسى»: لم يكن فيه تردد. المولى: السيد. لم يخش (يخف) في غرض (في أمر من
 أموره) مولى (سيّداً فوقه يمنعه مما يريد).
- (٦) كلّ همّة أن يرضي الله بأعماله. من أجل ذلك يجري له الله ذلك (يساعده الله على تنفيذ كلّ ما
 يريد من قول أو فعل).

المجيد الأزدي وأبو علي بن سيري^(١). ثم إنه أقرأ في بلده مائة وهو بعد في العشرين من العمر.

ويبدو أن الاستجى هذا قد جاء إلى غرناطة^(٢) في آخر عمره - سنة ٦٣٩ للهجرة - ومريض فيها ثم توفي في أواخر سنة ٦٣٩ هـ (١٢٤٢ م) في الأغلب.

٢- كان محمد بن أحمد الاستجى من حملة العلم والمشتغلين بالحديث، ولكن الأدب غلب عليه. وله نثر وشعر ليسا في الغاية من الإجابة. ثم هو مُصنّف له: ظهور الإعجاز بين الصدور والأعجاز^(٣) (شرح لديوان المتنبي) - شمس البيان في نَسْ الشبان - الزهرة الفاتحة في الزهرة اللاتحة^(٤) - نفع الكيامات^(٥) في شرح المقامات - اقتراح المتعلمين في اصطلاح المتكلمين - التصور والتصديق في التوطئة لعلم التحقيق (في المنطق؟) - رقم الحلال في نظم الدول - مفتاح الإحسان في اصطلاح الإحسان^(٥)، هذا بالإضافة إلى ما له من شعر ونثر وخطب ورسائل. وهذه الكتب الدالة على اتساع نطاق معرفته لم يصل إلينا منها شيء.

وفي شعر أبي عبد الله الاستجى شيء من العذوبة - برغم ما يبدو عليه من التقليد - فقد ذكر لسان الدين بن الخطيب للاستجى مطلع قصيدة هو: « ما للنسيم لدى الأصيل عليلاً^(٦) ؟ » ثم أورد منها بيتاً واحداً هو:

حتسى النسيم إذا ألم بأرضهم خلموا عليه رقة ونحولا^(٧).

٣- مختارات من آثاره

- قال محمد بن أحمد الاستجى على طريقة أهل التصوف في ذكر الأماكن المقدسة:

(١)

(٢) يبدو أنه انتقل من مائة إلى غرناطة لئلا كانت قد وقعت عليه في مائة.

(٣) الإعجاز (بالكسر): عجز بعض الناس عن فعل ما يقدر عليه بعضهم الآخر. الأعجاز (بالفتح) جمع

عجز (بفتح فـ): الشطر الثاني من بيت الشعر. الصدور جمع صدر: الشطر الأول من بيت الشعر.

(٤) نفع: انتشار الرائحة، الكيامة: الأوراق المخضر التي تضم الزهرة قبل أن تتفتح الزهرة.

(٥) الإحسان الإحسان (٤).

(٦) الأصيل: منتصف الوقت بين الظهر والمغرب. العليل: الضعيف (القليل الحر).

(٧) ألم: مر (بأرضهم) أو نزل نزولاً خفيفاً (عليلاً).

قِفُوا فِي رُؤْيَى نَجْدٍ، فِي الْقَلْبِ مَرَاةٌ؛ وَغَنُوا إِذَا أَبْصَرْتُمْ ثُمَّ مَفْضَاهُ^(١).
 أَمَا هَذِهِ نَجْدٌ؟ أَمَا ذَا هُوَ الْجَمْعُ؟ فَهَلْ عَمِيَتْ عَيْنَاهُ أَمْ صَمَّ أُذُنَاهُ^(٢)؟
 دَعُوهُ يُؤَقِّي ذِكْرَهُ بِلِسَانِهِ دُونَ هَوَاهُ قَبْلَ أَنْ يَتَوَفَّاهُ^(٣).
 وَيَا سَاقِياً عَيْسَ الْغَرَامِ بَلْوَمِهِ

- وَكُلُّ إِذَا يَفْشَاهُ فِي الْحُبِّ يَخْشَاهُ^(٤) -

أَرْحَاهُ، فَقَدْ ذَابَتْ مِنَ الْوَجْدِ وَالسُّرَى، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا عَظْمُهَا وَبَقَايَاهُ^(٥).
 وَيَا صَاحِبِي، عَجِبْ فِي عَلَى الْخَيْفِ مِنْ مَنَى؛ وَيَا ذَا التُّغَى، مَنْ لِي بِأَتَمِّ أَلْفَاهُ^(٦)؟
 وَعَرَّجْ عَلَى وَادِي الْعَقِيقِ فَإِنِّي أَسْأَلُ عَمَّنْ كَانَ بِالْأَمْسِ سَكْنَاهُ^(٧).
 وَقُلْ لِلْيَالِ قَدْ سَلَفَنَ بَعِيثُهُ وَعُمِرْ عَلَى رُغْمِ الْعَدُولِ قَطْعَنَاهُ^(٨)،
 هَلِ الْعَوْدُ أَرْجُوهُ أَمْ الْعُمُرُ يَنْقُضِي فَأَقْضِي وَلَا يُقْضَى الَّذِي أَتَمَّنَاهُ^(٩)؟

- وله من برنامج مَشَيْخَتِهِ (وفيه تكلف كثير وتوريات وإشارات مختلفة إلى

الأدب والنحو والتاريخ):

ما هذه الأنوارُ اللاتحة والآنوارُ الفائحة^(١٠). إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ الْحِكْمَةِ وَلَا أَفْنَدُ،

(١) المرمى: النزول، البقاء، السكى. المضى: المكان المعبور (الذي يسكنه الناس).

(٢) الجمى: المسكن الذي يجب علينا حايته.

(٣) قبل أن يتوفاه الله (قبل أن يموت).

(٤) العيس جمع عَيْسَاء: الناقة. - يا أَيُّهَا الَّذِي يسوق النياق إلى نجد (مكان المحبوب) وهو بنشد لوم المحبة. - وكلُّ إنسان يرى هذا الحبَّ يخاف منه (لتشكل جسمه بالنحول من أثر الحب)؟ -

(٥) أرحها: أترك العيس مدة بلا سير (بلا سفر) فلعلها تستريح قليلاً (لكثرة أسفار هذا الحب عليها ولبعد أسفاره). الوجد: شدة الحب أو ألم المحبة. السرى: السير في الليل.

(٦) عاج: مال (إلى مكان لينزل فيه). الخيف ومنى في الحجاز (من مناسك الحج) يكنى بها عن مكان المحبوب.

(٧) ... عن المحبوب الذي كان يسكنه.

(٨) العذول: اللام. سلفن (مضين - يفتح الضاد) بعيشه (بالعيش فيه).

(٩) العود: الرجوع إلى ذلك المكان. فأقضي (أموت). لا يقضي الذي أتمناه (لا يتاح لي ما أتمنى: زيارة المحبوب).

(١٠) الأنوار (الأولى) جمع نُور (بالضَم): الضوء، الضياء. الآنوار (الثانية) جمع نُور (بالفتح): الزهرة. اللاتحة: البادية للنظر. الفائحة: التي تنتشر منها الرائحة الطيبة.

وَأَرَدَ مَوْرَدَ النِّعْمَةِ وَلَا أَكْتَدُ^(١). أَمِنْكَ دَارِينَ يُنْهَبُ أَمِ الصَّنْدَلُ فِي الضَّرَامِ
الْمُلْهَبِ^(٢)؟ أَمْ تَفْتَحَتْ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ فَفَاحَ نَسِيمُهَا، وَتَوَضَّحَتْ أَسْبَابُ الْمِنَّةِ فَلَاحَ
وَسِيمُهَا^(٣)؟

(وقال في صُلْبِ هذا البرنَامَجِ في ذِكْرِ نَفَرٍ مِنْ شُيُوخِهِ):

وَمِنْهُمْ الْفَقِيهَ الْأَجْلُ الْعَالِمُ الْعَدْلُ الْمُحَدِّثُ^(٤). الْأَكْمَلُ الْمُتَفَنُّ الْحَطِيبُ الْقَاضِي
أَبُو مُحَمَّدٍ بِنِ حَوْطِ اللَّهِ^(٥)، سَمِعْتُ عَلَيْهِ كُتُبًا كَثِيرَةً بِإِقْرَاءَةِ الْفَقِيهِ أَبِي الْعَبَّاسِ
أَبْنِ غَالِبٍ^(٦)، وَلَقَيْتُهُ بِقَرْطَبَةٍ - وَهُوَ قَاضِيهَا - وَحَدَّثَنِي عَنْ جَدِّي وَعَنْ جُمْلَةِ شُيُوخِ
وَلِهَ بَرْنَامَجٌ كَبِيرٌ. وَأَخُوهُ الْقَاضِي الْفَاضِلُ أَبُو سُلَيْمَانَ مِنْهُمْ.

وَمِنْهُمْ الْفَقِيهَ الْأَجْلُ الْعَالِمُ الْعَلَمُ الْأَوْحَدُ النَّحْوِيُّ الْأَدِيبُ الْمُتَفَنُّ أَبُو عَلِيٍّ عُمَرُ
أَبْنِ عَبْدِ الْمَجِيدِ الْأَزْدِيِّ^(٧)، قَرَأْتُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ الْعَزِيزَ مُفْرَدًا^(٨)، وَكَتَابَ الْجُمْلِ
وَالْإِبْضَاحِ وَسَيَبَوَيْهِ^(٩) تَقْفَاهُ^(١٠). وَمَا زِلْتُ مُوَاطِنًا لَهُ إِلَى أَنْ تَوَفَّيَ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

(١) أَكْتَدَ (يُنْسَبُ إِلَى الْفَنَدِ) يَفْتَحُ فَتَحَ - ضَمَّ الرَّاْيَ (الْمَجْنُون). أَكْتَدَ (يُنْسَبُ إِلَى الْكِنُودِ): كَفَرَانِ
النِّعْمَةُ أَوْ نَكَرَانِ). وَفِي ذَلِكَ اقْتِبَاسٌ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (١١٢: ٩٤، يُوْسُفُ): ﴿إِنِّي لِأَجِدُ رِيحَ يَوْسُفَ
لَوْلَا أَن تَفْنَدُونَ﴾ تَمَّ (١٠٠: ٦، الْعَادِيَاتُ): ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾.

(٢) دَارِينَ اسْمُ لِمَكَائِيلِ (فِي الْبَحْرَيْنِ وَفِي الشَّامِ: سُورِيَّةٌ) مَشْهُورِينَ بِالسَّكِّ. نُهَبَ: أُتِيجَ لِجَمِيعِ النَّاسِ.
الصَّنْدَلُ: مَادَّةٌ طَيِّبَةُ الرَّائِحَةِ تَلْقَى فِي النَّارِ فَتَفْجُو رَائِحَتَهَا.

(٣) لَاحَ: طَهَرَ. وَسِيمُهَا (شَبَحَهَا الْجَمِيلَ).

(٤) الْعَدْلُ: الَّذِي تَقْبَلُ شَهَادَتُهُ أَمَامَ الْقَاضِي (تَقَالُ لِلْمَذْكَرِ وَالْمَوْثُوتِ وَاللَّوَّاحِدِ وَاللَّجَمِ). الْمُحَدِّثُ: الْمُتَنَفِّلُ
بِالْحَدِيثِ (حَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ).

(٥) الْقَاضِي أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بِنِ سُلَيْمَانَ بِنِ حَوْطِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ الْمَالِقِيُّ (ت ٦١٢ هـ) تَوَلَّى الْقَضَاءَ فِي بِلْدَانِ
عَدِيدَةٍ فِي الْأَنْدَلُسِ وَافْرِيقِيَّةٍ. كَانَ فَقِيهًا أَدِيبًا، وَلَهُ شِعْرٌ (الرَّقِيقَةُ الْعِلْيَا ١١٢). وَحَوْطُ اللَّهِ تَحْرِيفُ
(فِيَا يَبْدُو) مِنْ حَوْتَلَلُو (حَوْتٌ: سَمَكَةٌ، وَدَأَلَلُو: عَلَامَةُ التَّصْغِيرِ فِي الْإِسْبَانِيَّةِ).

(٦) لَعَلَّهُ الْفَقِيهَ الْقَاضِي مُحَمَّدُ بِنِ إِبْرَاهِيمَ بِنِ مُحَمَّدٍ بِنِ غَالِبِ الْأَنْصَارِيِّ (ت نَحْو ٦٤٠ هـ أَوْ قَبِيلَ ذَلِكَ).
وَتَوَلَّى قَضَاءَ غَرْنَاطَةِ، فِي الْأَغْلَبِ (الرَّقِيقَةُ الْعِلْيَا ١٢٤).

(٧)

(٨) مُفْرَدًا: بِرَوَايَةِ (فِي الْقُرَآئَاتِ) وَاحِدَةً (بِقِرَاءَةِ نَافِعٍ وَحَدَّثَهَا أَوْ بِقِرَاءَةِ وَرْثٍ وَحَدَّثَهَا إِلَيْهِ - رَاجِعْ ذَلِكَ
فِي تَرْجَمَةِ الْقُرْطُبِيِّ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ ٥٩٠، فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ).

(٩) كِتَابُ الْجُمْلِ (لِلزَّجَّاجِيِّ) وَكِتَابُ الْإِبْضَاحِ (لِأَبِي عَلِيٍّ الْفَارَسِيِّ) تَمَّ سَيَبَوَيْهِ = الْكِتَابُ.

(١٠) تَقْفَاهُ: فَهَّمَهَا وَمَنَاقَشَهَا وَنَقَدَهَا (كَانَ يَعْرِفُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِ). وَهُوَ الْآنَ يَرِيدُ أَنْ يَزِدَّادَ مَعْرِفَةَ بَه).

وكان فريده عصره في الذكاء، ولم يكن في طلبه الأستاذ أبي زيد السهيلي أعجب منه^(١).....

ومِنْهُمْ الْفَقِيهُ الْأَجَلُ الْعَالَمُ الْمُحَدِّثُ السَّيِّدُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْفَرُطِيُّ^(٢)، قَرَأْتُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ بِالرَّوَايَاتِ مُفْرَدَاتٍ^(٣)، وَتَفَقَّهْتُ عَلَيْهِ فِي الْجُمَلِ^(٤) وَالْأَشْعَارِ. وَأَجَازَنِي جَمِيعَ مَا رَوَاهُ^(٥). وَكَذَلِكَ فَعَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِمَّنْ تَقَدَّمَ.

٤-★★ الإحاطة ٢: ٢٤١-٢٥٠.

موسى بن سعيد العنسي

١- هو أبو عمران موسى بن محمد (٥١٤ - ٥٨٩ هـ) بن عبد الملك (٤٢٦ - ٥٦٢ هـ) بن سعيد العنسي، وُلِدَ فِي (قَلْعَةِ بَحْصَب) * فِي خَاصِ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ ٥٧٣ لِلْهِجْرَةِ (٢٨ / ١٢ / ١١٧٧ م). ثُمَّ إِنَّ مُوسَى أَذْرَكَ الْفِيلَسُوفَ آيْنَ رُشْدٍ (ت ٥٩٥ هـ) وَتَلَقَّى عَلَيْهِ شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ (المغرب ١: ١٠٤).

بدأ موسى بن سعيد حياته السياسية بأن تولى الكتابة لعبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن (أخي المنصور الموحد)، حينما كان عبد الواحد هذا والياً على الأندلس (إشبيلية؟). ويبدو أن منافسة شديدة كانت بين عبد الواحد والمستنصر أبي يعقوب يوسف الثاني (حفيد يعقوب الأول المنصور) وسُلْطَانِ الْمَغْرِبِ (٦١١ - ٦٢٠ هـ). وأَرَادَ الْمُسْتَنْصِرُ أَنْ يَسْتَعْمِلَ مُوسَى بْنَ سَعِيدٍ فَعَرَّضَ عَلَيْهِ الْوِزَارَةَ فِي مَرَاكُشَ، فَلَمْ يَقْبَلْ مُوسَى (نفع الطيب ١: ٥٨٢ - ١٨٣).

(١) أبو زيد (أبو عبد الرحمن) السهيلي (ت ٥٨١ هـ) صاحب كتاب «الروض الأنف (بضم فظم)».

(٢)

(٣) كل ختمة من القرآن (قراءة كاملة) برواية واحدة في الفراءات (راجع الحاشية الثانية على هذه الصفحة).

(٤) الجمل = كتاب الجمل (للزجاجي)

(٥) سمح لي بأن أروي عنه (ما نعلمته منه): أعلمه لمعري.

* بحصب (بضم الصاد أو بكسرها).

وَأَسْتَطَاعَ عَبْدُ الْوَاحِدِ أَنْ يَتَوَلَّى الْمُلْكَ فِي مَرَاكُشَ (٦٢٠ - ٦٢١ هـ) عاماً واحداً ثُمَّ خُلِعَ وَقُتِلَ (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٤ : ٣٨٤). وَمَعَ أَنَّ مُوسَى بْنَ سَعِيدٍ لَمْ يَكُنْ فِي مَرَاكُشَ يَوْمَ تَوَلَّى عَبْدُ الْوَاحِدِ الْمُلْكَ، بَلْ كَتَبَ إِلَيْهِ مِنْ إِشْبِيلِيَّةَ يُهْنِئُهُ (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٢ : ٣٦٢)، فَإِنَّهُ ذَهَبَ إِلَى مَرَاكُشَ (المغرب ٢ : ٥٣) بَعْدَ ذَلِكَ.

ثُمَّ نَارَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنَ هُودٍ، سَنَةَ ٦٢٥ لِلْهِجْرَةِ (١٢٢٨ م) عَلَى الْمُوحِدِينَ وَأَسْتَبَدَّ بِالصُّخَيْرَاتِ (قُرْبَ مُرْسِيَّةَ) وَأَتَسَّعَ مُلْكُهُ فِي جَنُوبِ الْأَنْدَلُسِ، فَهَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الْعَنْسِيَّ وَأَبْنَهُ مُوسَى (صَاحِبُ هَذِهِ التَّرْجَمَةِ) مَعَهُ إِلَى آيْنِ هُودٍ وَنَقَضَا وَلاءَهُمَا لِلْمُوحِدِينَ (كَمَا كَانَا قَدْ نَقَضَا مِنْ قَبْلُ وَلاءَهُمَا لِلْمُرَابِطِينَ).

وَأَرَادَ آيْنُ هُودٍ أَنْ يُكَافِيَءَ بَنِي سَعِيدٍ عَلَى نُصْرَتِهِمْ لَهُ فَوَلَّى مُوسَى عَلَى الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ.

وَاتَّصَلَ اسْتِبْدَادُ آيْنِ هُودٍ بِجَنُوبِ الْأَنْدَلُسِ عَشْرَ سِنِينَ ثُمَّ قَتَلَهُ أَحَدُ وَلَدَيْهِ، سَنَةَ ٦٣٥ لِلْهِجْرَةِ (فِي أَوَّلِ شَهْرِ عَامِ ١٢٣٨ م).

وَيَبْدُو أَنَّ مُوسَى بْنَ سَعِيدٍ قَدْ تَنَقَّلَ بَعْدَ ذَلِكَ مُدَّةً فِي مَدِينِ الْأَنْدَلُسِ ثُمَّ رَأَى أَنْ مُقَامَهُ فِي الْأَنْدَلُسِ أَصْبَحَ كَثِيرَ الْأَضْطِرَابِ فَعَزَمَ عَلَى الرَّحْلَةِ إِلَى الْمَشْرِقِ بِنَيْتَةِ الْحَجِّ، غَيْرَ أَنَّهُ تَوَفَّى بَعْدَ وَصُولِهِ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ، وَذَلِكَ فِي ثَامِنِ شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ٦٤٠ (٣٠ / ١٢٤٣ م).

٢- كَانَ أَبُو عِمْرَانَ مُوسَى بْنُ سَعِيدٍ رَجُلَ سِيَاسَةٍ، وَدَوْلَةٍ مِثْلَ أَهْلِهِ. وَكَانَ كَاتِباً مُتَرَسِّلاً وَشَاعِراً، إِلَّا أَنَّهُ أَبْرَعُ فِي ثَنَرِهِ مِنْهُ فِي شِعْرِهِ. وَالَّذِي يَبْدُو أَنَّ مَيَّزَتَهُ كَانَتْ فِي اتَّسَاعِ مَفْرَقَتِهِ بِالتَّارِيخِ وَبِالْأَدَبِ، وَهُوَ أَحَدُ الَّذِينَ شَارَكُوا فِي تَأْلِيفِ كِتَابِ «الْمَغْرِبِ فِي حُلَى الْمَغْرِبِ».

٣- مَخْتَارَاتُ مِنْ آثَارِهِ

- قَالَ أَبُو عِمْرَانَ مُوسَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سَعِيدٍ فِي الْمُظَفَّرِ عَبْدِ الْمَلِكِ

العامري^(١) (المغرب ٢: ٣٠٢) إملاء (أرتجألاً):

مَلِكٌ لَمْ يَرِثِ الْإِمَارَةَ عَنْ كَلَالَةٍ وَبَدَّرَ لَمْ يَطْلُعْ بِغَيْرِ هَالَةٍ^(٢)، إِذْ كَانَ قَدْ تَقَدَّمَتْ
بِبَلَنْسِيَّةٍ رِثَاسَةً جَدَّهُ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ^(٣)، وَأَوْى مِنْهُ أَهْلُهَا - فِي تِلْكَ
الْخُطُوبِ - إِلَى جِرْزِ حَرِيزِ^(٤). فَظَنَّ النَّاسُ أَنَّ التَّيْتَلَ فِي الْمَخْبَرِ^(٥) مِثْلُ الْأَسَدِ،
فَقَلَّدُوهُ تِلْكَ الْقَلَائِدَ فَذَبَّ عَنْ نِظَامِهَا وَاجْتَهَدَ^(٦). فَهَزَمَ الْمُتَشَمِّينَ وَأَخْرَجَ عَنْ بِلَادِهِ
أَمِيرَهُمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ غَانِيَةَ. وَطَلَعَ عَلَى تِلْكَ الظُّلُمِ كَالصُّنْحِ الْمُبِينِ^(٧)، إِلَّا أَنَّهُ صَادَفَ
فِي شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ الْأَمِيرَ أَبَا مُحَمَّدٍ بْنَ عِيَاضٍ أَسَدَ الْحُرُوبِ وَقُطْبَ الْخُطُوبِ^(٨)، رَجُلٌ
الشُّغْرُ^(٩) شُهْرَةٌ وَشَجَاعَةٌ، وَقَدْ أَلْقَى جَمِيعَ تِلْكَ الْبِلَادِ لَهُ بِالْإِسْمَاعِيلِيَّةِ وَالطَّاعَةِ. فَهَوَّتْ قُلُوبُ
أَهْلِ بَلَنْسِيَّةٍ إِلَيْهِ^(١٠). وَرَأَى أَنَّ عَبْدَ الْعَزِيزِ صَرَفَهُمْ عَنْ ذَلِكَ فَتَارُوا عَلَيْهِ. فَخَضَعَتْ
أَقْلَامُهُ لِلسُّيُوفِ^(١١)، وَدَارَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْفِتَنِ صُرُوفٌ^(١٢). فَلَمْ يَرِ إِلَّا الْفِرَارَ، قَائِلًا لَيْسَ

(١) من نسل النصور بن أبي عامر (ت ٣٩٢ هـ) المستبدُّ بأمر الخلافة المروانية في أيام هشام بن الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر.

(٢) الكلالَة: الرجل يموت لا أولاد له ولا زوجة (إن المظفر لم يصحح ملكاً لأنه لم يكن هنالك ملوك، بل انتزع الملك من أصحابه). الهالة دائرة (مظلمة أو ملوثة) ترى حول الجرم المضيء بنفسه كالشمس والقنديل (وهي في الحقيقة ترى حول عين الراي - أو عين الجسم المضيء - وعين الراي حيناً يكون الهواء شبيهاً بالروطبة على درجة معينة). وكانوا من قبل يمتقدون أن الهالة تدلُّ على شيء من القداسة.

(٣) هو حفيد النصور بن أبي عامر.

(٤) الخطب: المصيبة، الحادث المؤذي. أوى: التجأ.

(٥) في القاموس (٣: ٣٤١): التيتل (بالثاء المثناة) الوعل المسنّ، نوع من بقر الوحش (الفرلان). المخبر: الاختبار (حقيقة الأمر).

(٦) قلدوه تلك القلائد (وآؤه - بفتح اللام - الحكم). ذبّ: دفع (دافع، حامى عن البلد).

(٧) المبين: الظاهر، الواضح.

(٨) صادف (يقصد: وافق، حدث). ابن عياض: ملك (مستبد) بشرق الأندلس (راجع نفع الطيب ٤: ٤٥٦). قطب الخطوب (سبب تلك الأحداث الكبار).

(٩) الشغر: المكان (براً أو بحراً) يجتأى مجيء العدو منه يحكم منطقة قرية من بلاد الاسبان.

(١٠) هوت إليه القلوب (مالت).

(١١) انهزم أدبه (ورجال بلاطه الأدباء) أمام القوة.

(١٢) الصرُوف: المصائب.

على زأر الأسد قراراً^(١). فجاءت به المقادير إلى أن حصلته في يد عدوه عبد الله بن غانية، فسجنه في جزيرة ميورقة إلى أن يسر الله سراحه على يد الموحدين. فحل براكش تحت نعمة ضافية ملحوظاً بعين الرعاية متفقداً من الأمر العزيز بأجزل جراءة^(٢).

- قال موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد في نهر أندرش (المغرب ٢: ٢٣٥):

خَلَنِي فِي نَهْرِ أَنْدَرَشٍ كَيْ أَرَوِي عِنْدَهُ عَطْشِي.
مُدَّ مِنْهُ بَغْصَمٌ نَضِرٌ فِي بَسِيطٍ بِالرِّيَاضِ وَشِي^(٣).
عِنْدَ مَا أَبْصَرْتُ بَهْجَتَهُ حِرْتُ مِنْ فِكْرِ وَمِنْ دَهْشِ^(٤).

- وقال يُرد على من عاتبه^(٥) بكثرة المطالعة والصبر عليها (المغرب ٢: ١٧٠ = نفع الطيب ٢: ٣٣٤):

يَا مُفْنِياً عُمْرَهُ فِي الْكَاسِ وَالْوَتْرِ وَرَاعِياً فِي الدُّجَى لِلْأَنْجَمِ الزَّهْرِ^(٦)
يَبْكِي حَبِيباً جَفَاءً أَوْ يُنَادِمُ مَنْ يَهْوَ لَدَيْهِ كَفْصُنَ بَاسِمِ الزَّهْرِ^(٧)،
مُنْعَماً بَيْنَ لَذَاتٍ يُمَحِّقُهَا وَلَا يُخَلِّدُ مِنْ فَخْرِ وَلَا سِيرِ^(٨)،

(١) يقول النابغة الذبياني:

أُنِشِيتَ أَنَّ أَبَا قَابُوسٍ أَوْغَسَنِي، وَلَا تَرَارَ عَسَلِي زَأْرَ مِنَ الْأَسَدِ.
لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَطْمَئِنَّ إِذَا كَانَ يَسْمَعُ صَوْتَ أَسَدٍ (إذا كان إلى جانبه ما يهدده).

(٢) المتفق الذي يعتني به أناس كثيرون. من الأمر العزيز (أمر الملك). أجزل (أكبر، أثنى) جراءة: مرتب جار على الموطف أو المقرب باستمرار.

(٣) نضر، ناضر: ريان، برّاق. وشي (المقصود: الفعل المجهول من وشى - تشديد الشين - زين).

(٤) الدهش (بفتح أو بفتح ففتح): التحير، ذهاب العقل.

(٥) هو يرّد بهذه الأبيات على ابنه عليّ (ت ٦٨٥ هـ) والمؤلف الأخير لكتاب المغرب (راجع نفع الطيب ٢: ٣٣٣ - ٣٣٤).

(٦) الكأس (شرب الخمر) والوتر (سباع الغناء): اللهو.

(٧) الزهر جمع أزهر: لأمع، مشرق. راعياً للأجهم الزهر: ساهراً بلا عمل منتج.

(٨) جفاء: هجره. هفا إليه: مال، اشتاق. كفصن (حبيب معتدل الغامة كالغصن).

(٩) يحققها (يضيقها سدى). السيرة: السمعة الحسنة أو التاريخ المكتوب.

وعاذل لي فيما ظلمت أكتبه:

يُنْهِي التَّعْجُّبَ مِنْ صَبْرِي وَمِنْ فِكْرِي^(١)؛

يقول: ما لك؟ قد أَفْنَيْتَ عُمْرَكَ فِي

جَبْرِ وَطِرْسٍ عَنِ الْأَغْصَانِ وَالْحَبْرِ^(٢) وَلَا تَرَى أَبَدَ الْأَيَّامِ مِنْ ضَجَرِ^(٣).

أَقْصِرْ، فَإِنِّي أَذْرِي بِالَّذِي طَمَحْتَ

لِأَفْقِهِ هِمَّتِي، وَأَسْأَلُ عَنِ الْخَبْرِ^(٤)،

وَأَسْمَعُ لِقَوْلِ الَّذِي تُتْلَى مَحَاسِنُهُ،

(جَالُذِي الْأَرْضِ كَانُوا فِي الْحَيَاةِ وَهُمْ،

بَعْدَ الْمَوْتِ، جَمَالُ الْكُتُبِ وَالسَّيْرِ)^(٥).

*** ٤ - المغرب (١٧٠ - ١٧١) ثم راجع ١: ٩٨ - ٩٩، ١٠٤، ١٠٥ - ١٠٧، ١١٠، ١٤٢، ٢٢١، ٢٣٥، ٢٥٣، ٢٥٨، ٣٢٠، ٣٣٤، ٤٢٣ - ٤٢٤، ٤٢٦، ٤٣٤، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٧، ٢: ٣٥، ٥٣، ٦٣، ٧٣، ٨١ - ٨٢، ٨٥، ١٠٣، ١١٠ - ١١٣، ١١٨، ١٢٠، ١٤٥، ١٤٨ - ١٥١، ١٥٣، ١٦٤، ١٨٠، ١٨٥، ٢٠٦، ٢١٠، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٧٣، ٢٧٦، ٢٨٨، ٣٠١، ٣٠٨، ٣١٧، ٣١٨، ٣٢١، ٣٦٢، ٣٧٨، ٣٨٤، ٤٠٦؛ نفع الطيب (٣٣٣ - ٣٣٥) ثم ١: ١٥٤ - ١٥٥، ١٧٨، ١٧٩ - ١٨٢، ١٨٣، ٢: ٣٣٧، ٣: ١٨٣، ٣٥١، ٣٦٤ - ٣٦٦، ٤: ١٣٨ - ١٤٠.

الأعلم البطليوسي

١ - هو أبو إسحاق إبراهيم بن قاسم بن إسحاق الأعمى البطلْيُوسِي^(٧) النَحْوِي،

(١) العاذل: اللائم. ظلت (بالكسر) = ظلمت (بكسر اللام الأولى وسكون الثانية).

(٢) في حجر (مداد أسود يكتب به) وطرس (ورق): في الكتابة والتأليف. الأغصان والحبر (الثوب الجميل من الحرير الأسود) لعله يقصد النساء الجميلات (اللواتي قامهنّ متدلة كالأغصان وأشارهن أو طاهر جلدهنّ ناعم كالحرير).

(٣) إن كلمة ظلمت (في هذا البيت وفي البيت الرابع من هذه القطعة أيضاً) مضبوطة (في نفع الطيب ٢: ٣٣٣) بفتح الظاء. أبدأ الأيام: كل الأيام (التي لا تنتهي).

(٤) أقصر (أترك هذا الاعتراض).

(٥) من بعد ما صار مثل التراب (بعد ما مات). تتلى محاسنه كالسور (محاسنه كريمة كالسور في القرآن الكريم - هذه مبالغة غير مستحبة).

(٦) الواضح أن البيت مضمّن السيرة (تاريخ رجل عظيم).

(٧) هو غير الأعمى التنمري يوسف بن سليمان (ت ٤٧٦ هـ). وفي سنة وفاة الأعمى البطليوسي شيء من الخلاف.

وُلِدَ فِي بَطْلَيْوَسَ وَأَخَذَ النَحْوَ عَنِ الْأَسَاطِيزِ هَذِيلٍ^(١) مِنْ عُلَمَاءِ النَحْوِ. ثُمَّ إِنَّهُ تَصَدَّرَ لِلإِقْرَاءِ فِي إِشْبِيلِيَّةَ، فِي عَدِيدٍ مِنَ الْفُنُونِ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي سَنَةِ ٦٤٢ هـ (١٢٤٤ - ١٢٤٥ م) فِي الْأَغْلَبِ.

٢- كَانَ الْأَعْلَمُ الْبَطْلَيْوَسِيُّ رَجُلًا ضَيِّقَ الصَّدْرِ بِكُلِّ شَيْءٍ كَثِيرَ الشَّكْوَى مِنَ الزَّمَنِ وَمِنَ النَّاسِ، وَهَجَا حِمَصَ (إِشْبِيلِيَّةَ) وَلَمْ يَتَّقَ أَنْ هَجَاها أَحَدٌ قَبْلَهُ. وَكَانَ بَارِعًا فِي النَحْوِ خَاصَّةً. وَلَهُ تَصَانِيفٌ مِنْهَا: تَارِيخُ بَطْلَيْوَسَ - الْجَمْعُ بَيْنَ الصُّبْحِ لِلْجَوْهَرِيِّ وَالْغَرِيبِ الْمَصْنُوفِ (رَاجِعْ بَغِيَّةَ الْوَعَاةِ ١٨٥). وَقَدْ بَلَّغَتْ تَصَانِيفُهُ خَمْسِينَ عَدَدًا (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٣: ٤٥١).

وَكَذَلِكَ كَانَ الْأَعْلَمُ الْبَطْلَيْوَسِيُّ أَدِيبًا شَاعِرًا. وَكَانَ نَاقِدًا أَيْضًا (رَاجِعْ نَفْحُ الطَّيِّبِ ٣: ٤٥١ - ٤٥٢، ٥٩٦، ٧: ٦ و ٧).

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ

- لِلأَعْلَمِ الْبَطْلَيْوَسِيِّ فِي الشَّكْوَى مِنَ الدَّهْرِ وَالنَّاسِ:

★★ دَعِ الْأَيَّامَ تُنْصِفُ مِنْ أَنَاسٍ إِذَا صَارَتْ لَهُمْ حَقَرُوا الْكِرَامَا.^(٢)
وَلَا تَدْمَغْ جُفُونُكَ إِنْ تَفَانَوْا وَلَا تَقْرَأْ عَلَى أَحَدٍ سَلَامَا.
وَنَكَّبْ عَنْ مَصَارِعِهِمْ جَزَاءً، وَلَا تَحْفَظْ لِمَذْمُومٍ ذِمَامَا.^(٣)
وَفَكَّرْ فِي صَنِيعِهِمْ - وَلاَةَ - لَتَشْكُرْ فِي تَسْرُعِهِ الْجِهَامَا!
صَحِبْتُ النَّاسَ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ فَلَمْ أَرَ مِنْ أَوْدٍ لَهُ الْمُقَامَا.
★★ يَا حِمَصُ، لَا زِلْتِ دَارًا، لِكُلِّ بُؤْسٍ، وَسَاحَاةَ.

(١) الْأَسَاطِيزُ هَذِيلٌ (كَذَا غَيْرُ مَنْسُوبٍ) ذَكَرَهُ السُّيُوطِيُّ فِي «بَغِيَّةِ الْوَعَاةِ» (ص ٤٠٨) نَقْلًا عَنِ الْمَغْرِبِ (١: ٢٦٥)، وَسَمَّاهُ الْقُرِّيَّ فِي «نَفْحِ الطَّيِّبِ» (٤: ١٢٧): «الْأَدِيبُ النَّحْوِيُّ هَذِيلُ الْإِشْبِيلِيِّ». رَاجِعْ أَيْضًا فِي «الْمَغْرِبِ» (١: ٢٦٥)، الْحَاشِيَةَ الْآخِرَةَ. وَفِي الْفُصُولِ الْيَابِتَةِ (ص ٦٩ - ٧١) شَيْءٌ مِنْ أَخْبَارِهِ وَمِنْ شِعْرِهِ.

(٢) إِذَا صَارَتْ لَهُمْ: إِذَا أَصْبَحَ لَهُمْ نَفُودٌ.

(٣) نَكَّبَ: تَجَنَّبَ، ابْتَعَدَ. الْمَرْعُ: الْقَتْلُ، الْهَلَاكُ. جَزَاءً: عِقَابًا (لَا تَعَاظِبِ الَّذِينَ يَهْتَلِمُ الدَّهْرَ).

ما فيك موضع راحة إلا وما فيه راحة^(١)

- ومن أقواله في النقد (من نفع الطيب): لَيْكُنْ مَحْفُوظُكَ مِنَ النِّظْمِ مِثْلَ قَوْلِ
أَبْنِ الْقَبْطُرْنَه^(٢): «دَعَاكَ خَلِيلُكَ وَالْيَوْمُ طَلٌّ» (٥٩٦: ٣) - وقال إِنَّهُ سَمِعَ أَبَا بَكْرٍ
أَبْنَ زُهْرٍ يَقُولُ: «كُلُّ الْوَسَّاحِينَ عِيَالٌ عَلَى عُبَادَةِ الْقَرَّازِ فَمَا اتَّفَقَ لَهُ مِنْ قَوْلِهِ:
«بَدْرُ بَيْتٍ...»... وما حَدَّثْتُ قَطُّ وَشَاحاً عَلَى قَوْلِ إِلَّا أَبْنُ بَقِيٍّ حِينَ وَقَعَ لَهُ: «أَمَا
تَرَى أَحَدًا... لا يُلْحَقُ» (٧: ٧).

٤ - ** المغرب ١: ٣٦٩؛ القدر المعلق ١٥٧؛ بغية الوعاة ١٨٥؛ نفع الطيب (راجع
المتن)؛ أزهار الرياض ٣: ١٠٢؛ الأعلام للزركلي ١: ٦٠ (٦٢).

طلحة بن حزم الأموي

١ - هو أبو محمد طلحة بن أبي بكر محمد (ت ٦١٩ هـ) بن طلحة بن محمد بن عبد
الملك بن أحمد بن خلف بن الأسعد بن حزم الأموي البصري الشيبلي، أصل أهله من
بصرة^(٣) ثم انتقلوا إلى شيبلي.

وُلِدَ طَلْحَةُ بْنُ حَزْمٍ الْأُمَوِيُّ، فِي أَوَاخِرِ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سَنَةِ ٦٠١ (مطلع كانون
الثاني - يناير من عام ١٢٠٥ م).

وروى طلحة بن حزم الأموي عن أبيه أبي بكر وعمه أبي العباس ثم عن نفرٍ
كثيرين منهم أبو بكر بن قسوم الزاهد (ت ٦٣٩ هـ) وأبو علي بن الشلوبين
(ت ٦٤٥ هـ) وغيرهم. ولم يأخذ عن أبيه كثيراً لأنه كان قد عانى مرضاً شديداً في
مطلع شبابه، ثم إن أبا، توفّي باكراً (سنة ٦١٩ هـ). غير أن هذا كله لم يمنعه من أن
يستدرك كثيراً من العلم في وقت قصير، فقد تصدّر لتدريس النحو وغيره باكراً ثم
أجاز لنفرٍ من الذين درسوا عليه قبل أن يجاوز هو العشرين من عمره.

(١) موضع راحة (مقدر راحة اليد).

(٢) أبناء القبطنة ثلاثة أدباء شعراء (راجع تراجمهم في الجزء الخامس).

(٣) بصرة في البرتغال اليوم (شرق لشبونة العاصمة).

وكانت وفاة طَلْحَةَ بنِ حَزْمٍ في إشبيلية سَنَةَ ٦٤٣ للهجرة (١٢٤٥ م) في الأغلب.

٢ - كان طَلْحَةُ بنُ حَزْمٍ الأمويُّ مُقَرَّباً للقرآن قديراً في صِناعة التجويد، كما كان عارفاً بالحديث ونَحْوياً ماهراً ومُتبحِّراً في التاريخ. ثم كانت له عناية بالأدب، ورُبَّما نَظَّمَ الشَّعْرَ. وشِعْرُهُ عاديٌّ يَمِيلُ إلى شيءٍ من الضَّعْفِ.

ثم هو مُصَنَّفٌ له مُفَجِّمُ شُيُوخِهِ سَمَاءُ «مُلْحَةُ الراوي وخِتَامُ عَيْبَةِ الحاوي»^(١) (أَلْفُهُ سَنَةَ ٦٢٠ هـ) ثم وَسَّعَ هذا المُعْجَمَ (سَنَةَ ٦٣٥ هـ) في بِرْنامِجٍ سَمَّاهُ «نُغْبَةُ الوارد ونُجْبَةُ مُسْتَفَادِ الوافد»^(٢) (وهو مُشتمِلٌ على أَسْمَاءِ مِثَالٍ مِنَ الرِّجَالِ والنِّسَاءِ). ثم إنَّه عَمِلَ قَهَّارِسَ (لِأَسْمَاءِ الْكُتُبِ؟) لِنَفْسٍ مِنْ أَشْيَاخِهِ كَأَيِّ أُمِّيَّةٍ وَأَيِّ وَلِيدٍ بِنِ الْحَاجِّ وَغَيْرِهَا، وَقَدْ ظَهَرَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ جَوْدَةُ اخْتِيَارِهِ وَحَسَنُ تَرْتِيبِهِ وَفَضْلُ اقْتِدَارِهِ. وكذلك كان قد بدأ يَزِيدُ في «كِتَابِ الصَّلَةِ» لِأَيِّ الْقَاسِمِ بْنِ بَشْكَوَالٍ، وَلَكِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ إِمَامًا مَا بَدَأَ بِهِ.

٣ - مختارات من آثاره

- قال طَلْحَةُ بنُ حَزْمٍ الأمويُّ: كان أبو زكريا يحيى بنُ عَاصِدٍ يُنْشِدُنَا فِي أَوَاخِرِ مَجَالِسِ السَّعَاءِ (تَدْرِيسُ الْحَدِيثِ):

مَجَالِسُ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ حَدَائِقُ تَنْزَعُ^(٣) فِيهَا أَعْيُنٌ وَقُلُوبُ.

ثم قال (طَلْحَةُ بن حزم): وسألني صاحبنا وشيخنا أبو محمد بن قاسم الحريري تَذْيِيلَ هَذَا الْبَيْتِ.... فَقُلْتُ:

(١) الملحة: ما يستحسن من الأحاديث. الراوي: راوي الحديث. العيبة: وعاء من خوص (جريد النخل). الحاوي: الذي يرقى الأفاعي ويقبض عليها ويلاعبها. والحاوي (الشيء) يشتمل على أشياء كثيرة.

(٢) النغبة: الجرعة (بالضم) أو ملء الفم من الماء. الوارد: الآتي إلى الماء ليستقي (يشرب أو يلا وعاء). الوافد: الآتي من مكان بعيد.

(٣) تنزعه = تنزعه: تسير في البساتين طالبة التفرغ عن النفس (وهذا المعنى المقصود هنا خطأ شائع). والتنزعه، في القاموس، الترفع عن الأمور التي لا تليق.

(مجالسُ أصحابِ الحديثِ حَدَائِقُ تَفَجَّرَ يَبْوَعُ الثَّرِيعَةَ وَسَطَهَا وَأَظْلَمَتِ الْأَنْفَانُ زَهَرَ فُنُونِهِ وَأُثْمِرَتِ الْأَزْهَارُ زُهِرَ فَوَائِدِ كَسَتْ شُسُودَ دِينَ الْمُصْطَفَى كُلَّ مَا بِهَا نَرَى طَالِي الْأَثَارِ فِي رَغْدِ عَيْشِهِمْ فَلِلْفِكْرِ قَطْفٌ ثُمَّ لِلنَّفْسِ نَعْشَةٌ،

- ومن نظم أبي محمد طلحة بن حزم:

من كان في كَسْبٍ لَهُ مُسْتَهْلًا؛ ذاك الذي لا ريب في تَنْقِيسِهِ (٧).
من لا يَمِيرُكَ أَمْرُهُ فِي دِرْهَمٍ فهو الذي لا شَوْبَ فِي تَغْلِيصِهِ (٨).
حَكَمَ لَهُ فِي حُكْمِهِ عَدْلٌ فَمَا يَرْتَابُ فِي الْإِنْصَافِ فِي تَخْصِيصِهِ (٩).
فَكَأَنَّ مَا حَكَمُوا بِهِ مِنْ حُكْمِهِ عَنْهُ اسْتَفَادُوهُ وَمِنْ تَمْحِصِهِ (١٠).

٤ - * * * الذيل والتكملة ٤ : ١٦١ - ١٧٠ (رقم ٣٠٣)؛ بغية الوعاة ٢٧٣.

- (١) أَيْعِ الثمر: نصح (واستعماله للعصن خطأ).
- (٢) الفَن (مفتح ففتح): المصن. الفنون (هنا) الأنواع. الصبا: ربح الشرق. النشر: الرائحة الطيبة.
- (٣) زهر، لعلها « زهر » (بالضم): نجوم (فوائد بارعة مشهورة). جنى يجي: قطف الآثار. جنى معنى: معان مختارة.
- (٤) دين المصطفى (محمد رسول الله): الإسلام. النور (بالتفتح): الزهر الأبيض. روق (حسن منظر؟) لا يستقيم بها الوزن هنا.
- (٥) الآثار (هنا) الأحاديث (أحاديث رسول الله). رغد العيش: سمتع ونومونه. والجملة: « جناب رجب والحلّ خصيب » في محل نصب حال (؟).
- (٦) للفكر قطف (طالبو الآثار، أي دارسو الحديث، يقطفون من رواية الأحاديث أغاراً شهية مقبدة). النعشة (هنا): اغتناء الإنسان بعد فقر أو إنهاضه بعد عثرة، سرور.
- (٧) - من كان متساهلاً في إنفاق ما يَكْسِبُهُ، فذلك الذي يَكْسِبُ مَالَهُ مِنْ وَجْهِ غَيْرِ شَرْعِي (بسهولة).
- (٨) - والذي لا تَشْكُ في أمره عند إنفاق ماله، فذلك لا شوب (لا خلط، لا سوء) في إخلاصه في جمع ماله.
- (٩) الحكم (هنا) الله. لا يرتاب في تخصيصه (في إعطاء بعض الناس أكثر من بعضهم الآخر).
- (١٠) فإذا وافق حكم الناس على فلان من الناس ما حكم به الله عليه، فأنهم يكونون قد استفادوا هذا الحكم الصحيح من نعمة الله عليهم، ومن التحجّص: البحث الدقيق في الأمور (٤٤٤).

عنان بن جابر

١- هو **عنان بن جابر بن جامع** زعيم قبيلة بني مرداس بن سليم - وكان بنو مرداس هؤلاء قد جاءوا مع القبائل التي سرحها الفاطميون من صعيد مصر إلى إفريقية (القطر التونسي) انتقاماً من الذين كانوا قد تخلّوا عن الدعوة الفاطمية (راجع الجزء الرابع). وقد كان ملوك بني حفص يُقرّبون رجالات من بني مرداس ويُقدّون عليهم العطايا لِيَسْتَعِينُوا بهم عند الحاجة إليهم في مقاومة خصوم الحفصيين.

وفي أيام أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد الحفصي (٦٢٥ - ٦٤٧ هـ) حدّث خلاف بين بني مرداس ويحيى الحفصي، فألقى يحيى الحفصي شيئاً من العداوة بين قبيلة بني مرداس وقبيلة بني علاق. فاستاء **عنان بن جابر** (شيخ بني مرداس) وأرتحل مع قومه إلى المغرب الأوسط (القطر الجزائري).

وكانت وفاة **عنان بن جابر** نحو سنة ٦٤٥ للهجرة (١٢٤٧ م).

٢- **عنان بن جابر** شيخ **بذوي مُستقيم السيرة أبي النفس شجاع**. وشعره **بذوي الخصائص** وعليه نفحة جاهلية، وفيه حماسة (وصف للقتال) وفخر بالنفس. وشعره متين السبك ولكن يتخلله صيغ غريبة: سالي (سال)، تحاير، ضرائر^(١).

٣- مختارات من شعره

- قال **عنان بن جابر** يفخر ويذكر سبب انتقاله من إفريقية (تونس) إلى المغرب الأوسط (القطر الجزائري):

ولما رأيت الودّ قد بانَ وأنقضى دَعَوْتُ، ونارُ الشوق تغزو ضائري^(٢)؛

(١) سالي (مضمين على الباء) مكان سالي (منقوص): الذي يسلو (ينسى)؛ التخاذل (التنافس في الخير)، وهو يقصد بها الاختيار؛ الضرائر (جمع ضرة: ثافي زوجي الرجل أو جمع ضرورة: ما يضطر الإنسان إلى فعله، الحاجة)، وهو يستعملها بمعنى الضرر.

(٢) بان: ابتعد.

أَلَا أَيُّهَا الْغَادِي عَلَى مَتْنٍ ضَامِرٍ سَلِمَ الْقَرَى عِبْلَ الذَّرَاعَيْنِ فَاطِرُ^(١)
 عَلَيْهِ غَلَامٌ لَا يَمَلُّ مِنَ السُّرَى عَلِمَ خَبِيرٌ بِالصَّوَى وَالْخَاطِرُ^(٢)،
 تَحَمَّلَ إِلَى تَرْشِيشٍ عَنِّي حَيَّةً كَمَا سَلَّمَ الْأَحْبَابُ عِنْدَ التَّزَاوُرِ^(٣).
 بِلَادٌ بِهَا نِيطَتْ عَلَيَّ تَأَمِّي، وَفِيهَا نَا عَقْلِي وَلُبِّي وَخَاطِرِي^(٤).
 وَبَلَغَ لِنَذْبِ أَرْحَمِي سَمِيدِعٍ سَلَاماً يُؤَدِّي عَنْ عَيْنَانِ بْنِ جَابِرٍ^(٥)
 بَعَثَتْ، أبا عَبْدِ الْإِلَهِ، بِدَائِعاً مُحَبَّرَةً مَنْظُومَةً كَالْجَوَاهِرِ^(٦)،
 تُذَكِّرُنِي الْوَدَّ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا وَتَزَعُمُ أَنِّي سَالِيٌ غَيْرُ ذَاكِرٍ^(٧).
 لَيْالٍ وَأَيَّامٍ نَعِمْنَا بِوَصْلِهَا عَلَى كَرَمٍ مِنَّا وَحَفَظِ سِرَائِرِ^(٨).
 وَكُنَّا إِذَا مَا الْجَيْشُ صَفَّتْ جُنُودُهُ تَرَانَا عَلَى خَيْلِ عِتَاقٍ ضَوَامِرٍ^(٩).
 فَلَمَّا بَدَأَ لِي بَعْضُ مَا كُنْتُ أَتَقِي وَحَانَتْ أُمُورٌ ضَيِّقَاتُ الْمَصَادِرِ^(١٠)،
 وَعَادَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ حَلَقَةً خَاسِرَ بَلَا ذِلَّةٍ مِنِّي سِوَى طَوْعِ أَمْرِ،
 رَأَيْتُ رِجَالاً مِنْ رِيَّاحٍ وَمَالِكٍ وَعَوْفٍ وَدَبَّابٍ وَزَعْبٍ وَمَاجِرٍ^(١١)

- (١) الغادي: الذاهب باكراً. من (ظهر) ضامر: حصان نخيل البطن (قادر على الجري السريع طويلاً).
 القرى: الظهر. عبل: سين. فاطر: الذي فطر (شئ)، أي شئت سته لحم اللثة وبرزت (في السنة الثانية من عمره؟). أصبح قوياً.
 (٢) السرى: السر في الليل. الصوة (بضم الصاد وتشديد الواو): علامة توضع على جانب الطريق لمعرفة الاتجاه أو لقياس المسافات. الخاطر (يقصد الأماكن التي فيها خوف).
 (٣) ترشيش: تونس. التزاور (نيادل الزيارات أو زيارة بعض الناس بعضاً).
 (٤) ط: علق. التمنية: حرز (بالكسر): قطعة ورق تطوى طياً يجعلها مثلثاً متساوي الساقين وتعلق على الصبي الصغير لدفع أذى العين والحد (يفسد أنه ولد في تونس).
 (٥) النذب: الظريف والتحيب (الذكي، الفاضل) الأرجي: الشيط، الحليم (الواسع الحلق)، الكريم. السمدع: السيد، الكريم، الشجاع.
 (٦) بدائع محبرة (مزينة): أي قصيدة ذات معان جميلة.
 (٧) سالي: (أو سالي) يقصد «سال» (يكسرتين على اللام): الذي ينسى.
 (٨) سرائر جمع سريرة: ما يكتمه الإنسان أو سره (بضمه) في نفسه.
 (٩) الحصان المتيق: الكريم (المعروف السب)، القادر على الركض. الضامر (النخيل البطن)، السريع.
 (١٠) اتقى: أخشى، أخاف (من العداوة). حان: اقترب. أمر ضيق المصدر (لا خيار فيه؟) سيء العاقبة.
 (١١) رياح ومالك وعوف أسماء قبائل، ثم دباب وزعب (بالضم) اسان. ويبدو أن ماجر أيضاً اسم بطن من قوم الشاعر.

لَهُمْ مَرْقَبٌ دُونِي وَقَدْ كُنْتُ فَوْقَهُمْ بَسِيفِي وَرُحْمِي وَالْوَعَى وَعِشَائِرِي ^(١) ،
 تَبَيَّنْتُ حَالًا لَا أُطِيقُ أَحْتَالَهَا فَحَدَّثْتُ بِنَفْسِي عَنْ عَدُوٍّ وَجَائِرٍ .
 وَسَلَّمْتُ أَرْضَ الشَّرْقِ لَا عَنْ مَذَلَّةٍ ، وَبِمَتُّ أَرْضَ الْغَرْبِ لَا عَنْ تَخَايُرٍ ^(٢) ،
 إِلَى بَلَدٍ لَا يَعْرِفُ الدَّلَّ أَهْلُهُ كِرَامَ الْعَاشَايَا مِنْ هِلَالِ بْنِ عَامِرٍ ^(٣) .

٤- ** - مجمل تاريخ الأدب التونسي ٢٠٢-٢٠٥ : عنوان الأريب ٢٠٢-٢٠٥ .

ابن سَفَرِ الْمَرْيِيَّ

١- هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ (ابن عبد الله) بن سَفَرِ الْمَرْيِيَّ ^(١) - منسوباً إلى
 جَدِّهِ - أَصْلُهُ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَرْيَةِ وَلَكِنَّهُ عَاشَ فِي إِشْبِيلِيَّةٍ . لَا نَعْلَمُ زَمَنَهُ بِالتَّحْدِيدِ ،
 وَلَكِنْ يُنْتَظَرُ أَنْ يَكُونَ - أَسْتِنَاداً إِلَى وَرُودِ تَرْجُمَتِهِ فِي « نَحْفَةِ الْقَادِم » لِابْنِ الْأَبَّارِ
 الْمُتَوَفَّى فِي مَطْلَعِ سَنَةِ ٦٥٨ - مِنْ أَهْلِ النِّصْفِ الْأَوَّلِ مِنَ الْقَرْنِ السَّابِعِ (الثَّالِثِ
 عَشَرَ لِلْمِيلَادِ) .

٢- ابْنُ سَفَرِ الْمَرْيِيَّ أَدِيبٌ بَارِعٌ وَشَاعِرٌ رَفِيقٌ مَحْسُنٌ كَانَ شَاعِرَ الْمَرْيَةِ فِي عَصْرِهِ ،
 أَحْسَنَ شِعْرِهِ الْوَصْفُ ، وَوَصَفُهُ مِنْ أَبْدَعِ الْأَوْصَافِ فِي جَهَالِ الْأَنْدَلُسِ .

٣- مَخْتَارَاتُ مِنْ شِعْرِهِ

- قَالَ ابْنُ سَفَرِ الْمَرْيِيَّ فِي وَصْفِ الْأَنْدَلُسِ (نَفْحِ الطَّيِّبِ ١ : ٢٠٩ - ٢١٠) :
 فِي أَرْضِ أَنْدَلُسٍ تُلْتَدُّ نَعْمَاءٌ وَلَا يُعَارِقُ فِيهَا الْقَلْبَ سَرَاءٌ ^(٥) .

(١) - كَانَ لَهُمْ مَكَانَةٌ دُونِي (تَحْتِي) ...

(٢) يَمُّ : قَصْدٌ . تَخَايُرٌ (يَقْصِدُ اخْتِيَارًا) .

(٣) كَرِيمُ الْعَشِيَّةِ : يَحَافِظُ عَلَى عِفَافِهِ (٤) . هِلَالُ بْنُ عَامِرٍ : جَدُّ قَبِيلَةٍ .

(٤) فِي الْمَغْرِبِ : أَبُو الْحُسَيْنِ . وَفِي نَفْحِ الطَّيِّبِ (١ : ٢٠٩) الْمَرْيِيَّ (وَهُوَ تَصْغِيفٌ) . وَفِي الْوَاقِعِ بِالْوُفَاتِ :
 الْمَغْرِبِي . وَيَدْعَى أحياناً : ابْنَ صَفَرٍ (بِالضَّادِ) .

(٥) النِّعْمَاءُ : الْخَفْضُ وَالِدَعَةُ (الْمَيْشُ فِي أَمْنٍ وَاطْمَئِنَّانٍ) . السَّرَاءُ : النِّعْمَةُ وَالرَّحَاءُ (سَمَةُ الْمَيْشِ) وَالْمُسْرَةُ .

وليس في غيرها بالعيش مُتَنَفِّعٌ،
وَأَيْنَ يُعَدَّلُ عن أرضٍ تَحُضُّ بها
وكيفَ لا يُنْهَجُ الأبصارَ رُؤْيُهَا
أَنْهَارُهَا فِضَّةً، والمِسْكُ تُرْبَتُهَا،
وللهواء بها لُطْفٌ يَرِيقُ به
ليس النسيم الذي يهفو بها سَحَرًا،
وإِنَّا أَرَجُّ النَّدَا استِشَارَ بها
وأين يبلغُ منها ما أَصَنَّفَه،
قَدُمُيْتَ من جِهَاتِ الأرض حين بدتْ
دارتْ عليها نَطاقًا أَمَجْرُ خَفَقَتْ
لذاك نَسِمٌ فيها الزَّهْرُ من طَرَبٍ؛
فيها خَلَفْتَ عِذَارِي ما به عَوَضُ؛

فَقَبِي الرِّياضُ وكُلُّ الأرضِ صَحراءُ !^(١)

- (١) الصَّهَاءُ: الحُمُرُ - حتَّى الحُمُر (إذا شربت في غير الأندلس) لا تحدت للإنسان أنساً (اشراحاً).
والأنس في الأصل: حديث النساء.
(٢) وأين يعدل عنها: إلى أين ينتقل الإنسان.
(٣) الوشي: التزيين. صنعاء: عاصمة اليمن (مشهورة بالنسيج الجيد الجميل).
(٤) الحَزْر: الحرير. الدر: اللؤلؤ. الحصباء: الحصى، صفار الحجارة.
(٥) يرق نه من لا يريق: إنَّ الجاني الطبع يصيح (بعد تنشق هوائها) رقيقاً لطيفاً. الأهواء جمع هوى: ميل النفس إلى العشق وما يتبعه.
(٦ و٧) هفت الريح: هبت وحركت الأعصان. السحر: آخر الليل قبيل الفجر. في نفع الطيب (١: ٢١٠)
«النسيم» (بالرفع: بضمة على آخره) وهذا لا يستقيم في الإعراب «ه فالذي» لا تعرب في المشهور
خيراً مع الاسم الظاهر في النواسخ. وكذلك المعنى بذلك لا يستقيم. المقصود: ليس الذي يهب في
الأندلس (في آخر الليل) نيباً (من الهواء)، ولا قطرات الماء المنتثرة (المتفرقة) في الفصون من الطفل
(الندى) ماء متجمعة، ولكن ذلك كله مزيج من الأريج (الرائحة الطيبة) ومن ماء الورد.
(٨) يحيط بالأندلس (كالنطاق: الزنار، من كل جانب) أبحر (بحار وأنهار). وجداً بها: عشقاً لها. تبدت
وهي (أي الأندلس).
(٩) خلعت عذارى: انفست في اللهو. والأصح: قضيت كل شبابي (في التمتع باللهو أيضاً). ولا أجد
عوضاً (بدلاً) من شبابي.

- وقال في النسيب:

وواعدَتهَا والشمسُ تجنَحُ للذَّجَى ، بزورَتهَا شمساً وبدرُ الذَّجَى يَمرِي^(١) .
فجاءتْ كما يَشي سَنَا الصُّبْحِ في الذَّجَى ،
وطوراً كما مرَّ النِّسيمُ على النهرِ^(٢) ؛
فقطرتِ الآفاقُ حَولي فأشعرتْ بِمَقْدَمِهَا ، والعَرَفُ يُشِعِرُ بِالزَّهْرِ^(٣) .
فتابعتُ بالتَّجِيلِ آثارَ سَفِيهَا كما يَتَقَصَّى قَارِيءُ أَحْرَفِ السَّطْرِ^(٤) .
فبِئْسَ بِهَا ، واللَّيلُ قد نامَ ، والهوى تَنَبَّهَ بَيْنَ القُصْنِ والحَقْفِ والبَدْرِ^(٥) .
أعَانَقَهَا طوراً وألْتَمَ تَارَةً إلى أن دَعَتْنَا للنَّوى رَايَةُ الفَجْرِ ،
فَقَضَّتْ عُقوداً للتَّعَانُقِ بَيْنَنَا . فياليلةَ القَدْرِ ، اترُكِي ساعةَ النَّفْرِ^(٦) !

٤ - ** الوافي بالوفيات ٣ : ١١٤ ؛ المغرب ٢ : ٢١٢ - ٢١٣ ؛ نفع الطيب ١ : ١٥٧ ،
٢٠٩ - ٢١٠ ، ٢٢٧ ، ٣ : ١٩٨ - ١٩٩ ، ٢١٢ ؛ بالنشأ ١٢٩ - ١٣٠ .

أبو عليّ الشَّلَوِينُ

١ - هو أبو عليّ عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَزْدِيُّ الْإِشْبِيلِيُّ الْمَعْرُوفُ
بِالشَّلَوِينِ وَبِالشَّلَوِينِيِّ^(٧) ، وُلِدَ فِي إِشْبِيلِيَّةَ سَنَةَ ٥٦٢ هـ لِلْهِجْرَةِ (١١٦٦ - ١١٦٧ م) .

- (١) الشمس (الحقيقية) تجنح (تميل) للذجى (الليل، للغروب). شمساً (قناة جميلة) تزورني في الليل مع أن
البدر ظاهر في سماء الليل.
- (٢) كما يمشي سناً (ضوء).... على مهل.
- (٣) العرف: الرائحة الطيبة.
- (٤) سفيها (إي): عيشتها، سيرها. كما يتقصى..... خطوة خطوة.
- (٥) بت بها (معها). نام الليل: غفل (طال). القصن (قوامها) والحقف: ما اعوج من الرمل (وسط جسمها)
والبدر: وجهها (أعانقها.... وأقبلها).
- (٦) ففضت..... أنها لقاءنا. ليلة القدر (الليلة السابعة والعشرون من رمضان - وهي مباركة وخير من
ألف شهر). ساعة النفر: الوقت الذي ينحدر فيه المحتاج من عرفات (وهو المنسك الأساسي في
الحج). - يا ليلتنا السعيدة لا تنتهي! (هنا) ليلة القدر (كتابة عن الليلة التي قضاها مع محبوبته)، وليلة
النفر (كتابة عن الصباح الذي اضطر فيه إلى مغادرة مكان محبوبته).
- (٧) هنالك نحو ي عرف بالشلويين الصغير (نحو ٦٢٠ - ٦٦٠ هـ) هو أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن =

أخذ أبو عليّ الشلوبين عن جماعة وفيرة العدد من العلماء (راجع أسماءهم في «الذيل والتكملة» ٥: ٤٦١ - ٤٦٢). ثم تصدر للإقراء نحو سنة ٥٨٠ هـ واستمر في ذلك سنتين عاماً. في هذه الأثناء كان منقطعاً إلى آل زهر. ثم إنه زار مراكز في أيام المنصور الموحدي (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ). وكانت وفاته (نفع الطيب ٤: ٤٧٢) في إشبيلية في منتصف صفر من سنة ٦٤٥ (١٢٤٧/٦/٢١ م).

٢- قال أبو جعفر أحمد بن الزبير (ت ٧٠٨ هـ = ١٣٠٨ م) في «صلة الصلة» (٧٠ - ٧١): «وكان الأستاذ أبو عليّ (الشلوبين) رحمه الله إماماً في العربية غير مدافع، وهو آخر أثمة ذلك الشأن بالشرق والمغرب.... أقرأ نحواً من ستين سنة وعلا صيته واشتهر ذكره. وكان ذا معرفة بنقد الشعر وغيره بارعاً في التعليم ناصحاً (وبه أبقى الله ما بأيدي أهل المغرب من علم العربية. وقلّ متأدّب بالأندلس من أهل وقتنا لم يقرأ عليه أو نخوي لا يستند - ولو بواسطة - إليه).

ومن «نفع الطيب»: كان أبو عليّ الشلوبين من أعلام إشبيلية (٢: ٢٧١) سار في المشرق والمغرب ذكره (٣: ١٩٢) وهو إمام النحاة (٣: ٤٩٠). ولقد كان له نظم على منهج نظم العلماء مملوء بالإشارات اللغوية والنحوية، متخلف (ردى).

وكانت له مصنفات منها: كتاب القوانين (في علم العربية: النحو) - كتاب

= إبراهيم الأنصاري المالقي، أخذ العربية (النحو) والقراءات عن عبد الله بن أبي صالح ولازم ابن عصفور مدة إقامة ابن عصفور في مالقة. وأقرأ الشلوبين الصغير القرآن والعربية في بلده (مالقة) مجاناً، بغرى الدين مجنون التزوّد بالعلم للعلم غير فاصدين التكسب بما يتعلمون. وكان يعيش من أملاك له. له شيء من التصنيف: شرح أبيات سيويه شرحاً مفيداً وكمل شرح شيخه ابن عصفور على الجرولية (بنية الرواة ٧٩ - ٨٠). والشلوبيني، في الغالب، نسبة إلى الشلوبنية (سالورينيا - وهي بلدة صغيرة في منتصف الساحل الجنوبي على البحر الأبيض. وهي تقع جنوب غرناطة تماماً. ولكن على شاطئه البحر). وهي قرية من قرى إشبيلية (إنباء الرواة ٢: ٣٣٢). وفي القاموس (٤: ٢٤٠): شلوبين أو شلوبنة (بفتح فتح فيها) بلد بالمغرب مه أبو عليّ الشلوبيني النحوي. وفي نفع الطيب أيضاً (٣: ٤٩١) «... وهو منسوب إلى حصن شلوبنية» (في نسخة: شلوبنية). ولكن نقرأ من المؤلفين في الموضوع يذكرون أن الشلوبين هو الأبيض أو الأشقر. وابن خلكان يقول (٣: ٤٥٢): «... هذه النسبة إلى الشلوبين، وهو بلغة الأندلس (نصارى الأندلس): الأبيض أو الأشقر. هكذا ذكروا. والله أعلم». ثم راجع الحاشية الثالثة، تطبيقاً على قول ابن خلكان.

التوطئة على الجزولية، وهو مشهور (نفع الطيب ٣ : ١٨٤). والجزولية أرجوزة في النحو لأبي موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي (ت ٦٠٧ هـ). وهذه « التوطئة » مختصر لكتاب القوانين. - شرح المقدمة الجزولية (شرحها شرحين: شرحاً كبيراً وشرحاً صغيراً) - تعليق على كتاب سيبويه.

٣ - مختارات من شعره

- وصل إلينا من أبي عليّ الشلوبيّ أبياتٌ من الشعر (المغرب ٢ : ١٣٠، نفع الطيب ٣ : ٤٩١) يتغرّل فيها بعلام أسمه قاسمٌ كان نفواه، وهي:

ومما شجّا قلبي وفَضّ مدامعي هوى قدّ قلبي إذ كَلَفْتُ بقاسم^(١).
تَشَقَّقَه جُهدي، فكان - لَشَقَوِي وطول عَنائي - قاسياً غيرَ راحمٍ.
وكنْتُ أَظُنُّ الميمَ أصلاً، فلم تَكُنْ. وكانت كَثيرَ الحَقِّق بالزَّلَاقِمِ^(٢).

- ولأبي عليّ الشلوبيّ أيضاً (القدح المملّى ١٥٣):

لو لم تَكُنْ لِي أَعراقٌ لها كَرَمٌ، ولم يَكُنْ في رجال الأزدِ لي سَلَفٌ^(٣)،
لكان في سِيبَوِيهِ الفخرُ لي، وكفى بذاك فخرأ. فكيف العُلْمُ والشرف^(٤)
فالحمد لله حمداً لا أنصرامَ له. فكلُّ ذي حدٍ في مِثْلِ ذا يَقِفُ^(٥).

(١) شجّا: حزن، أحزن. فضّ مدامعي: نثر دموعي (جعلها تنساقط بكثرة). قدّ: قطع. كلفت بالشئ: أحببته وتعلّقت نفسي به.

(*) العناء (بالفتح): التعب.

(٢) الميم أصلاً (كنت أحسب أن اسمه، حقيقة، قاسم: يضم بين نفيه ومحبته قسمة حق). ولكن الميم في اسمه زائدة (فهو قاس). الزلاقم: الحيات الزرق (من المغرب ونفع الطيب).

(٣) أعراق جمع عرق (بالكسر): أصل (من النسب). الأزد (قبائل من عرب الجنوب).

(٤) سيبويه: عمرو بن عثمان الهارثي (ت ١٨٠ هـ) من أهل النصرة، فارسي الأصل، كان إمام النحاة. فكيف العلم والشرف: فكيف إذا أضيف إلى أصلي الكرم وإلى نسبي في قبائل الأزد ما بلغت إليه أنا من العلم ومن الشرف (المكانة الاجتماعية)؟

(٥) أنصرام: انقطاع، انتهاء. فكلُّ ذي حدٍ في مثل ذا يقف: لا أحد يجسدي في هذه الأمور لأنه يعلم أنه لا يستطيع أن يبلغ فيها إلى مثل ما بلغت أنا فيها.

٤- ** التكملة ٦٥٨ (رقم ١٨٢٩)؛ الذيل والتكملة ٥: ٤٦٠-٤٦٤؛ صلة الصلة ٧٠-٧١ (رقم ١٢٨)؛ المغرب ٢: ١٢٩-١٣٠؛ القدح المُلقي ١٥٢-١٥٤؛ وفيات الأعيان ٣: ٤٥١-٤٥٢؛ الديباج المذهب ١٨٥-١٨٦؛ ابن قنفذ ١٣١٧؛ بغية الوعاة ١٣٦٤؛ نفع الطيب (راجع المتن)؛ شذرات الذهب ٥: ٢٣٢-٢٣٣؛ الأعلام للزركلي ٥: ٢٢٤ (٦٢).

عبد الواحد المراكشي

هو مُخي الدين أبو محمد عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، وُلِدَ في السابع من ربيع الثاني من سنة ٥٨١ (١١٨٥/٧/١٠ م) في مدينة مراكش في أسرة كانت، فيما يبدو، غنيّة وجيئة متصلة بالبيت المالِك اتصالاً وثيقاً لا يتعدّ أن يكون من جهة القرابة.

لقِيَ عبد الواحد المراكشي الطبيب الشاعرَ أبا بكر بن زُهر، قيل في مراكش وقيل في فاس، ولا نَعْلَمُ ما مَبْلَغُ العلم الذي أخذَه عنه إذ كان مولدَ عبد الواحد سنة ٥٨١ وكانت وفاة ابن زهر في سنة ٥٩٥.

وتنقّل عبد الواحد المراكشي كثيراً في المغرب وفي الأندلس وبينهما، وكان وثيق الاتصال بالأمير أبي اسحق بن أبي يوسف يعقوب المنصور الموحديّ - وكان حاكماً لإشبيلية في أيام أخيه محمد الناصر (٥٩٥-٦١١ هـ) - . وفي آخر يوم من سنة ٦١٣ هـ (٩/٤/١٢١٧ م) غادرَ عبد الواحد الأندلس إلى مصر ثم حجّ (آخر سنة ٦٢٠ هـ = مطلع ١٢٢٤ م) وعادَ بعد ذلك إلى مصر. ولعلّه زارَ في أثناء تلك المدة الشام والعراق.

ويبدو أنّ عبد الواحد المراكشي لم يَزَجِعْ إلى المغرب. ومع أنّنا لم نسمع من أخباره شيئاً بعد تأليف كتابه «المعجب»، سنة ٦٢١ للهجرة، فإنّ وفاته كانت سنة ٦٤٥ (١٢٤٧ م) أو بعد ذلك بعامٍ أو عامين.

٢- شهِرَ عبد الواحد المراكشي بكتابه المُعْجَب في تلخيص أخبار المغرب، ألفه

في المشرق بطلب من وزير عباسي كان قد «أصفاه وُدّه وأغدق عليه إحسانه» وقرع من إملائه في رَمَضان من سنة ٦٢١ (أيلول - سبتمبر ١٢٢٤ م). ولعل ذلك الوزير كان مؤيد الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم بن برز القمي الذي تولى الوزارة للعباسيين في بغداد من أواخر سنة ٥٩٥ إلى سنة ٦٢٣ هـ (١١٩٨ - ١٢٢٦ م). ثم إننا لم نسمع شيئاً عن عبد الواحد المراكشي بعد الفراغ من إملاء كتابه المعجب.

و «المعجب» كتاب طريف فيه تاريخ وفيه جغرافية وفيه أدب واجتماع، وخصوصاً من تلك المدة التي شهدتها المؤلف من عهد الدولة الموحدية فأثبت عدداً من الحوادث التي شهدتها بنفسه أو رواها عن شهداء.

٣ - مختارات من آثاره

- من مقدمة كتاب «المعجب»:

.... وبعد، أيها السيد الذي توالى عليّ نعمة وأخذ بضيعتي من خضيتي الفقر والحمول اعتناؤه وكرمه.... فإنك سألتني - بؤاك الله أعلى الرتب، كما عمرك بك أنديّة الأدب... - إملأ أوراقي تشتمل على بعض أخبار المغرب وهيئته وحدود أقطاره وعلى شيء من سير ملوكه، وخصوصاً ملوك المصامدة من بني عبد المؤمن، من لدن ابتداء دولتهم إلى وقتنا هذا - وهو سنة ٦٢١ - وأن ينضاف إلى ذلك نبذة من ذكر من لقيته أو لقيت من لقيته عنه بوجه ما من وجوه الرواية من الشعراء والعلماء وأنواع أهل الفضل.

- شيء من سيرته (المعجب ٢٦٢ - ٢٦٣):

.... فمراكش آخر المدن في المغرب^(١).... وبهذه المدينة، أعني مراكش، مسقط رأسي. وهي أول أرض مس جلدي ترابها^(٢). وكان مولدي بها لسبع خلون من ربيع الآخر سنة ٥٨١، في أول أيام أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن

(١) في أبعد نقطة من المغرب إلى الجنوب.

(٢) «وَأول أرض مسّ جلدي ترابها» - نظر من الشعر (راجع نفع الطيب ١: ١٧٣) من شعر بعض الأعراب (راجع حاشية ٦، نفع الطيب ١: ١٧٢). وهو بيت مشهور (وفيات الأعيان ٤: ٢٥٤).

أَبْنِ عَلِيٍّ^(١). ثُمَّ فَصَلْتُ^(٢) مِنْهَا وَأَنَا أَبْنُ تِسْعَةِ أَعْوَامٍ إِلَى مَدِينَةِ فَاسَ، فَلَمْ أَزَلْ بِهَا إِلَى أَنْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ وَجُودَتُهُ وَرَوَيْتُهُ^(٣) عَنْ جَاعَةٍ كَانُوا هُنَاكَ مُبْرَزِينَ فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ وَالنُّحُو. ثُمَّ عُدْتُ إِلَى مَرَّاكُشْ فَلَمْ أَزَلْ مُتَرَدِّدًا بَيْنَ هَاتَيْنِ الْمَدِينَتَيْنِ^(٤). ثُمَّ عَبَرْتُ إِلَى جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ سَنَةَ ٦٠٣. فَأَذْرَكْتُ بِهَا جَاعَةً مِنَ الْفُضَلَاءِ مِنْ أَهْلِ كُلِّ شَأْنٍ^(٥) فَلَمْ أُحْصَلْ - بِمَحْمَدِ اللَّهِ - مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَّا مَعْرِفَةَ أَسْمَائِهِمْ وَمَوَالِدِهِمْ وَوَقَايَتِهِمْ وَعُلُومِهِمْ، وَأَنْفَرَدُوا دُونِي بِكُلِّ فَضِيلَةٍ. وَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَى اللَّهُ وَلَا مُعْطِيٍّ لِمَا مَنَعَ، يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ، وَهُوَ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ^(٦).

- إِشْبِيلِيَّةُ (المعجب ٢٧١):

....وَإِشْبِيلِيَّةُ هَذِهِ هِيَ حَاضِرَةُ الْأَنْدَلُسِ فِي وَقْتِنَا هَذَا^(٧). وَهِيَ الَّتِي تُسَمَّى عِنْدَهُمْ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ حِمَضَ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِتَزُولِ أَجْنَادُ حِمَضَ إِذَاهَا حِينَ أَفْتَتَحَ الْمُسْلِمُونَ الْأَنْدَلُسَ^(٨). وَقَدْ زَادَ أَمْرُ هَذِهِ الْمَدِينَةِ عَلَى صِفَةٍ كُلِّ وَاصِفٍ وَأَتَى فَوْقَ نَعْتِ كُلِّ نَاعِتٍ. وَهِيَ عَلَى شَاطِئِ نَهْرٍ عَظِيمٍ يَنْصَبُّ مِنْ جِبَالِ شُقُورَةٍ، وَتَنْصَبُّ إِلَيْهِ أَنْهَارٌ كَثِيرَةٌ، فَلَا يَصِلُ إِلَى إِشْبِيلِيَّةٍ إِلَّا وَهُوَ خِضَمٌّ^(٩) تَصْعَدُ فِيهِ السُّفُنُ الْكِبَارُ مِنَ الْبَحْرِ الْأَعْظَمِ^(١٠) سَبْعِينَ مِيلًا - وَذَلِكَ مَرَحَلَتَانِ^(١١) - . وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ كَانَتْ

(١) هو المنصور الموحد (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ).

(٢) فصل الرجل من البلد: غادرها، سافر منها.

(٣) رويته (رويت قراءاته وأحكام قراءته والناسخ والنسخ فيه، الخ).

(٤) مترددًا بين هاتين المدينتين (هنا: انتقل بينهما).

(٥) كلُّ شَأْنٍ (كلُّ فرع من فروع المعرفة).

(٦) يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ..... ﴿القرآن الكريم ٣: ٧٤﴾ آل عمران، راجع ٢: ١٠٥، البقرة.

(٧) الحاضرة: العاصمة. في وقتنا هذا (زمن المؤلف: عبد الواحد المراكشي): القرن السابع للهجرة (الرابع عشر للميلاد).

(٨) إشبيلية سُمِّيَتْ حِمَضَ لِشَبَهِهَا بِمَدِينَةِ حِمَضَ بِالشَّامِ (سوريا). أَمَّا الْأَجْنَادُ (الهاربون الذين نزلوا فيها فهم الذين جاءوا في عصر الولاة مع بلج بن بشر (راجع ذلك في الجزء الرابع - اطلب بلج بن بشر في الفهرس).

(٩) الحَضَمُ: البحر الواسع.

(١٠) البحر الأعظم: المحيط الأطلسي (الاطلانطيكي).

(١١) المرحلة: المسافة التي يقطعها المسافر في يوم (نحو ٣٠ كيلومترًا). والكاتب يجعل المرحلة خمسة وثلاثين ميلًا (رومانيًا) أو اثنين وخمسين كيلومترًا.

قاعدة^(١) مُلْك بني عَبَّادٍ، حَسَبَ مَا تَقَدَّمَ، ثُمَّ صَيَّرَهَا الْمَصَامِدَةُ^(٢) مَنَزِلًا لَهُمْ أَيَّامَ كَوْنِهِمْ بِالْأَنْدَلُسِ، مِنْهَا يَنْفُذُ أَمْرُهُمْ وَفِيهَا يَسْتَقَرُّ مُلْكُهُمْ. وَبَنَوْا بِهَا قُصُورًا عَظِيمَةً وَأَجْرُوا فِيهَا الْمِيَاءَ وَغَرَسُوا الْبَسَاتِينَ فَزَادَ ذَلِكَ فِي حُسْنِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ.

٤ - المعجب... (دوزي)، ليدن ١٨٤٧ م ثم ١٨٨١ م؛ (محمد هاشم الكنتي)، دمشق ١٣٢٤ هـ؛ مصر (مطبعة السعادة) ١٣٢٤ هـ؛ مصر (الطبعة الخمالية) ١٣٣٢ هـ؛ (محمد القاسي)، فاس ١٩٣٨؛ (صححه.... محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي)، القاهرة (مطبعة الاستقامة) ١٣٦٨ هـ = ١٩٤٩ م.

★ صلة الصلة ٧٠ - ٧١؛ التكملة (رقم ١٨٢٩)؛ الدياج المذهب ١٩٠؛ مقدمة المعجب (في طبعة دوزي وفي طبعة العريان)؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ٩٤؛ بروكلمن ١: ٣٩٢ - ٣٩٣، الملحق ١: ٥٥٥؛ المكتبة العربية الصقلية ٣١٨ - ٨٢١؛ النبوغ المغربي ١٥٤ - ١٥٥؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣٢٦ (١٧٦)؛ سركيس ١٧٢٤ - ١٧٢٥؛ بالنشأ ١١٨ - ١١٩، ٢٤٨ - ٢٥٠؛ الأدب المغربي ٣٩٠ - ٣٩٤.

أبو بكر بن البناء الإشبيلي

١ - هو أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الرحمن العبيدي الإشبيلي المعروف بابن البناء، فقد كان أبوه بناءً في إشبيلية، ويبدو أنه قد تأثر بصنعة أبيه فنشأ على كثير من الجِدِّ والهَمَّةِ والمُثَابَرَةِ. كان مولده في إشبيلية سنة ٥٨١ للهجرة (١١٨٥ - ١١٨٦ م).

تلقَّى أبو بكر بن البناء العلمَ على نفرٍ منهم أبو الحسن بن عطية (ت ٦٤٥ هـ) وأبو بكر بن طلحة (ت ٦١٨ هـ) وأبو الحسن بن جابر بن الدباج (ت ٦٤٥ هـ) وأبو عليّ ابن الشلوبين (ت ٦٤٥ هـ).

وعَمِلَ أبو بكر بن البناء الإشبيلي كاتباً لِنَفَرٍ من الولاة على الأندلس ثم خَصَّ نفسه بولاة الموحدين على إشبيلية. وفي آخر مدة المسلمين في إشبيلية استبدَّ بِمُحْكَمِهَا

(١) قاعدة (عاصمة): مدينة مهمّة.

(٢) مصوودة قبيلة بربرية ينتمي إليها سلاطين دولة الموحدين.

حيناً. ثم لما استولى عليها الإسبان (رَمَضَانَ ٦٤٦) انتقل منها إلى سَبْتَةَ (في العُدوة المغربية)، وفيها تُوُفِّيَ وشيكا في السادس من شَوَّالٍ من سَنَةِ ٦٤٦ (١٢٤٩/١/٢٢ م).

٢- كان ابنُ البناءِ الإشبيليُّ أديباً كاتباً ومُتَرَسِّلاً مُكثِراً وشاعراً. وقد ذَكَرَ المؤرِّخونَ لحياته أن تَرَسُّلَهُ كان عادياً وأن شعرَه كان قليلَ الرونق. ولكنَّه يبدو واسعَ الثقافة، فقد كان مُولِعاً بِاقتناء نفائس الكتب كما كان مُولِعاً أيضاً بِنسخ الكُتُبِ النُفُوسِ وَبِتَقْيِيدِ الأقوالِ والنُكْتِ البارعة، حتَّى قيلَ إِنَّه لما غادرَ إشبيليةَ حَمَلَ مَعَهُ خَمْسِمِائَةَ كتابٍ بِحِطِّ يَدِهِ.

وكان ابنُ البناءِ الإشبيليُّ على شيءٍ من التناقض في طبعه: كان يظهرُ مُتَدِيناً بينما كان جريئاً على سَفَكِ دماءِ خُصومه. وكان يبدو متواضعاً وهو يرى نفسه فوق الناسِ جميعاً. وكان رفيقاً في معاملةِ الوُلاة: كان يَخْدِمُهُمْ مدَّةً ثم إذا أَرَادَ الانفصالَ عنهم فَعَلَ ذلك يُيسِّرُ من غير أن يَجِدَ أولئك الوُلاةَ طريقاً إلى لُومِهِ.

٣- مختارات من شعره

- كان السَيِّدُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي حَفْصٍ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ الْمُوحِدِيُّ والياً على بَلَنَسِيَّةَ (في شَرْقيِّ الأندلس) ثم أصبح والياً على إشبيلية (في غربيِّ الأندلس). فَمَاتَ في إشبيلية، فقال أبو بكر بن البناء يَرْثِيهِ (المغرب ١ : ١٤٩؛ راجع اختصار القدر المَعْلَى ١١٩):

كَأَنَّكَ مِنْ جِنْسِ الْكُوكَبِ كُنْتَ، لَمْ تَفَارِقْ طُلُوعاً حَالَهَا وَتَوَارِيَا^(١).
تَحَلَّيْتَ مِنْ شَرْقٍ يَرُوقُ تَلَالُؤاً، فَلَمَّا أَنْتَحَيْتَ الْغَرْبَ أَصْبَحْتَ هَاوِيَا^(٢).

(١) كأنك من جنس الكواكب (مثل الكواكب: مضيء، منير) لم تفارق حالها (الإضاءة، النور). التواري: الاختفاء، الغروب. أنت مثل الكوكب مضيء دائماً (سواء أكنت ظاهراً في السماء أم غائباً عن السماء) ولكن الناس لا يرونك.

(٢) غمَّيْتُ الرَّجُلَ: اتَّخَذْتُ أَوْ لَبَسْتُ حُلِيَّةً أَوْ زِينَةً. يَرُوقُ (يَجْسُ فِي النَّظَرِ). انْتَحَى: اتَّحَى إِلَى نَاحِيَةٍ. هَاوِيَا: السَّاقِطُ وَرَاءَ الْأَفْقِ الْغَرْبِيِّ (لِيُغِيبَ كَالشَّمْسِ).

- كان « الباجي » رجلاً ثائراً استبدَّ بإشبيلية حيناً وانتزعها من ابن هود (في أوائل عشر الثلاثين من القرن الهجري الرابع). وقد مدَّحه أبو بكر بن البناء ومدَّح معه نفرًا من أهله وأنصاره فقال فيهم جميعاً - والأبيات التالية من الشعر الجيد (اختصار القدح الملقى ١١٩):

أَنْتُمْ وَلَاءُ الْأَمْرِ رُغْمًا عَلَى أَنْفِ أَعْدَاءِ وَحُصَادٍ (١).
 فِي ضَيْضِيءِ الْمَجْدِ أَشْرَكْتُمْ فِي بُخْبُوحَةِ الرَّأْيِ لَدَى النَّادِي (٢).
 ثَلَاثَةٌ مِثْلُ الْأَثَانِي عَلَى الرَّأْيِ الَّذِي يَمْدُو عَلَى الْعَادِي (٣).
 هُرِّزُوا بِمَا أُعْطِيتُمْ قُبَّةَ الْقَصْرِ وَهَرِّزُوا قُبَّةَ الْوَادِي (٤).

- في الذيل والتكملة (٥ : ٦٨١) أن بعض خواص ابن البناء جمَّع له جانباً من رسائله في أربعة مجلِّدات ضخمة. قيل: فلما أطلع ابن البناء عليها كتب بخطه على أولها يَتَيَّن من الشعر من نظمه ها:

إِنِّي تَأَمَّلْتُ فَلَمْ أَتَجِدْ أَكْثَرَ مَا فِيهِ وَلَمْ أَرْضَهُ (٥).
 وَرُمْتُ بِالْإِحْسَانِ فَوْزاً فَلَا سَهْمَ نِلَسْتُ وَلَا أَرْضَهُ (٦).
 وَهَذَانِ أَيْضاً بَيَّتَانِ جَيِّدَانِ مِنْ لُزُومِ مَا لَا يَلْزَمُ (بِأَرْبَعَةِ أَحْرَفٍ).

٤- ** الذيل والتكملة ٥ : ٦٨١ - ٦٨٢ (رقم ١٢٨٣)، اختصار القدح الملقى ١١٨ - ١١٩ المغرب ١ : ٢٤٩.

- (١) أنف = أنوف (جمع أنف).
- (٢) الضيضة: الأصل. البخبوكة: وسط الدار (المكان الواسع). النادي: مجلس كبار القوم ذوي المكانة والنفوذ.
- (٣) الأثنية (بالضم) إحدى حجارة ثلاث ينصب عليها القدر فوق النار. إنَّ الشكل ذا الزوايا الثلاث يكون أثبت من كل شكل آخر ذي أربع زوايا أو خمس أو ست. الخ. العادي: المعتدي، الهاجم، المدو. أنت على رأي واحد لا يترزعزع.
- (٤) بما أعطيتمو (من القوة ومن حسن الرأي) قبة القصر.... قبة الوادي.... - أنتم بقوتكم تحفون قصر الموحدين في مراكش وقصر الوادي (النهر الكبير الذي عليه مدينة إشبيلية مقر الوالي على الأندلس من طرف الموحدين).
- (٥) استجاد الشيء: وجده جيداً. أرضه (من الرضا).
- (٦) رام يروم: قصد. فلا سهم نلت ولا أرضه (لم أنل منه شيئاً لا كبيراً ولا صغيراً).

أبو الحسن الدبّاج الإشبيلي

١- هو أبو الحسن عليُّ بن جابر بن عليّ بن عليّ بن يحيى اللّخميّ الإشبيليّ المعروف بابن الدبّاج أو ابن الدبيج (بنية الوعاة ٣٣١)، وُلِدَ سَنَةَ ٥٦٦ هـ (١١٧٠-١١٧١ م).

أَخَذَ ابْنُ الدَّبَّاجِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ طَلْحَةَ وَأَبِي الْحَسَنِ بْنِ خَرُوفٍ وَأَبِي ذَرٍّ الْحُسَيْنِيِّ وَغَيْرِهِمْ. ثُمَّ تَصَدَّرَ لِإِقْرَاءِ الْقُرْآنِ بِالْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ وَلِتَدْرِيسِ النُّحُو (من كتاب سيبويه) والأدب (في الكامل للمبرّد ونوادر القالي وغيرها) نحوَ خَمْسِينَ سَنَةً. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي ٢١ مِنْ شَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ ٦٤٦ (١٢/٩/١٢٤٨ م).

٢- كان أبو الحسن الدبّاج رجلاً عالماً صالحاً زاهداً من أعلام القراء والنحويين والأدباء في زمانه، وكان شديد الذكاء ظريفاً الدّعاة. وله مقطعات من الشعر الرصين الصحيح وموشحات (القدح المملّى ١٥٦).

٣- مختارات من شعره:

- قال أبو الحسن الدبّاج الإشبيلي في الغزل:

لَمَّا تَبَدَّتْ وَشَسُّ الْأَفْقِ بَادِيَةً أَبْصَرْتُ شَمْسَيْنِ مِنْ قُرْبٍ وَمِنْ بَعْدٍ.
من عادة الشمس تُعْشِي عَيْنَ نَاطِرِهَا، وهذه نورُها يَشْفِي مِنَ الرَّمَدِ^(١).

- وَقَالَ يَصِفُ مُجَبَّنَاتٍ (قطائف مَحْشُوءَةٌ بِالْجُبْنِ وَمَقْلُوءَةٌ بِالسَّمَنِ، تُغْمَسُ فِي الْقَطْرِ)^(٢):

أَخْلَى مَوَاقِعِهَا إِذَا قَرَّبَتْهَا وَبُخَارُهَا فَوْقَ الْمَوَائِدِ سَامِي.
إِنْ أَحْرَقْتَ لَسًا فَإِنَّ أَوَارَهَا فِي دَاخِلِ الْأَحْشَاءِ بَرْدٌ سَلَامٍ^(٣)!

- وقال في ظاهر الأمور وباطنها:

-
- (١) تُعْشِي: تُضَفِّجُ الْبُحْرَ (وخصوصاً في الليل).
(٢) القطر: سكر مخلول بقليل من الماء يغلى على النار حتّى يكسب كثافة معينة. ويضاف إليه قليل من الحمض (المادّة الحامضة كيلا يتبلور).
(٣) الأوار: حرّ الشمس والنار.

مَا جَاءَ عَفْوَاً فَخُذْهُ وَمَا أَبَى فَتَجَنَّبْ.
وَلَا تَرُدْ كُلَّ مَرْعَى وَلَا تَرُدْ كُلَّ مَشْرَبٍ^(١).
فَرُبَّمَا لَـذَّ طَعْمُ وَفِيهِ سَمٌ مُّقْتَبٌ^(٢).

- وقال في القناعة بالعيش:

رَضِيتُ كَفَافِي رُتْبَةً وَمَعِيشَةً فَلَسْتُ أَسَامِي مُوسِراً وَوَجِيهاً^(*).
وَمَنْ جَرَّ أَثْوَابَ الزَّمَانِ طَوِيلَةً فَلَا بُدَّ يَوْماً أَنْ سَيَعَثُرُ فِيهَا!
- وقال في مرِّ الأيام بِسُرْعَةٍ:

مَا لِي أَرَى أَيَّامَنَا نَمَرٌ مُرّاً مُسْرِعاً؟
إِذْ حَبَبْتُ أَشْهُراً حَسِبْتُهُنَّ جُمُعاً^(٣).
وَلَمْ نَكُنْ نَعْنَسِي بَأَنَّ تُبْطِئُ أَوْ أَنْ تُسْرِعاً^(٤)،
لَوْ لَمْ تَكُنْ أَعْمَارُنَا وَهْنٌ يَذْهَبُ مَعَنَا!

- ٤- ** برنامج الرعي ٨٨-٨٩: التكملة ٦٨٣ (رقم ١٩١٠)؛ الذيل والتكملة ٥:
١٩٨-٢٠١، صلاة الصلوة ١٣٧؛ المغرب ١: ٢٥٥-٢٥٦؛ القدح الملقى
١٥٥-١٥٦؛ بغية الوعاة ٣٣١؛ شذرات الذهب ٥: ٢٣٥-٢٣٦؛ فتح الطيب
٢: ٩٥، ٣: ٤٦١، ٤٧٨-٤٧٩.

يحيى بن عبد الواحد الحفصي

١- هو أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص، وُلِدَ سَنَةَ

- (١) راد يرود: طلب، بحث عن. ورد برد: ذهب إلى الماء ليشرب.
(٢) وفيه سَمٌ مُّقْتَبٌ (مزوج به) - صواب التركيب: طعام مُّقْتَبٌ (مزوج بسم أو بما يفسده).
(*) الكفاف: ما كان مقدار الحاجة بلا زيادة ولا نقصان. رتبة: في المكانة الاجتماعية (من الناحية المئوية).
معيشة: فيما يتعلق بالطعام والشراب واللباس (من الناحية المادية). سامى فلان فلانا: نافه للبلوغ حتى
يلعب إلى مثل مكانته (العلمية أو الاجتماعية....). المور: الفتي.
(٣) حب يحسب (يفتح السين في الماضي وضمها في المضارع): عذ. وحسب يحسب (بكر السين في الماضي
وفتحها في المضارع): ظن. جمعة: أسبوع.
(٤) نَعْنَسِي: نَهْمٌ، نشغل (يفتح الفين) بالناء.

٥٥٩ هـ (١١٦٣ - ١١٦٤ م). كان الحكّام الذين سبقوه في حاضرة تونس ولاةً للموحّدين. فلما آلت الولاية إلى أبي زكريّا هذا (٦٢٦ هـ) كان الموحّدون قد ضَعُفُوا جدًّا فأعلن استقلاله عنهم. ثم اضطدّم يحيى بن غانية الميورقي (وكان بنو غانية لا يزالون أنصاراً للمرابطين الذين خلفهم الموحّدون في المغرب) فقاتله يحيى وتغلّب عليه وقتله (٦٣١ هـ). ثم تغلّب أيضاً على قبيلة هَوَارة التي ثارت عليه.

وعمل أبو زكريّا على توسيع رُقعة مُلكه فانتزع من الموحّدين عدداً من المدن (تِلْمَسَان وسِجِلْمَاسَة في الجزائر اليوم إلى جانب سَبْتَة وطَنْجَة ومِكنَاسَة في المغرب اليوم).

وكانت وفاة يحيى بن عبد الواحد الحفصي في بونة (أرض الجزائر اليوم)، في جُمادى الآخرة من سنة ٦٤٧ (مطلع الحريف من عام ١٢٤٩ م).

٢- يُعَدُّ يحيى بن عبد الواحد المؤسّس للدولة الحفصية في تونس. وقد كان عظيمَ الهيبة سديدَ الرأي، كما كان تقيّاً عادلاً متواضعاً ومُحبّاً للرعية. وكان ملكاً عُمرانياً أنشأ جامع القَصْبَة (القلعة القديمة) وصوّمعتَه (مُذنته) البديعة العجيبة (ولمّا اكتمل بناؤها في غرة رَمَضان من سنة ٦٣٠ بدأ الأذان فيها هو نفسه). وبنى سوقَ المطّارين (ولا تزال سوق المطّارين إلى اليوم تحمل الطابع التونسي القديم) وعدداً من المدارس وأنشأ مكتبة كبيرة. وكذلك كان أديباً ناثراً وناظراً.

٣- مختارات من آثاره

- من وصية يحيى بن عبد الواحد الحفصي لابنه وليّ عهده أبي عبد الله محمد المنتصر:

اعلم - سَدَدَكَ الله وأرشدَكَ، وهَدَاكَ لِما يُرْضِيكَ وأُسَعِدَكَ، وجعلَكَ محمودَ السيرة مأمونَ السيرة^(١) - أن أولَ ما يَجِبُ على مَنْ أَسْرَعاهُ اللهُ في خَلْقِهِ وجعله مسؤولاً عن رعيته، في جُلِّ أمرِهِم ودِقِّهِ^(٢)، أن يُقَدِّمَ رِضا الله في كُلِّ أمرٍ يُحاولُه، ويكونَ عمله

(١) سَدَدَكَ الله (جعل سرك مستغيباً). السيرة: الطوبى، الباطن (ما يكتمه الإنسان في نفسه).

(٢) الجُلُّ الكبير، العظيم (العام الحمل). الدقّ: الدقيق، الصغير (المفضل).

وسعيه وذبة^(١) عن المسلمين بعد التوكل عليه. ومتى فاجأك أمرٌ مُقلِقٌ أو وردَ عليك همٌ مُرهقٌ فريضٌ لُبِّكَ وسكنٌ جأشك^(٢).... ولا تُقَدِّمَ إقدامَ الجاهل، ولا تُحْجِمَ إحجامَ الآخرق^(٣). والتكاسل. واعلم أن الأمر إذا ضاقَ مجاله وقصرَ عن مقاومته رجاله، فمفتاحه الصبرُ والحزيمة^(٤) وأخذ الرأي من عقلاء الدولة ورؤسائها وذوي التجارب من نُبھائها^(٥)، ثم الإقدام عليه بعد التوكل على الله فيها لديه..... وعليك بتفقدِ أحوالِ الرعية: فلا تنم عن مصالحهم ولا تُسامحَ أحداً فيهم..... واتخذِ ثقاتٍ صادقين مُصدقين لهم في جانبِ الله أو فَرَنْصِيبٍ، وفي رفعِ مسائلِ خلقه إليك أسرعٌ مُجيب.

- وقال يصفُ روضةً أنشأها قُربُ تونسِ العاصِية:

وسالَ نَمِيرُ الماءِ بَيْنَ أَخْضارِها فجاءَ كَمِثْلِ الْفَرْقِ بَيْنَ الذَّوَابِ^(٦)،
وإِلَّا كَمَا شَقَّ الْكَنْهَوْرُ بَارِقُ، وإِلَّا كَمِثْلِ الصُّبْحِ بَيْنَ الْفَيَاهِبِ^(٧).
قَدِ اطَّرَدَتْ فِيهِ الْمَذَانِبُ دَائِمًا، ولم تَرَ حَسَنًا كَاطْرَادِ الْمَذَانِبِ^(٨).
وَالْيَاسَمِينَ الْفَضُّ فِي خُضْرِ بُسْطِها ناثِرٌ دُرٌّ أَوْ سَبَائِكُ سَاكِبِ^(٩).
مُعْطَرَةٌ الْأَرْدَانِ يُنِيمُ نَفْعُها

يُحْيِيكَ عَرَفُ الطَّيِّبِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ^(١٠).

(١) ذب عن شيء: دافع عنه.

(٢) اللَّبُّ: العقل. الجأش: النفس، القلب.

(٣) أحجم: تأخر (خاف مباشرة العمل). الآخرق: الأحق والمتخير الذي لا يدري ما يجب أن يفعل.

(٤) الحزيمة: الفصل في الأمور.

(٥) النُبهاء: الأشراف ثم ذوو الفطنة (جودة المهن).

(٦) النَمِير: الطَّيِّبُ النافع في الريِّ (سني المزروعات). الفرق (فصل شعر الرأس جانبيين). الذَّوَابُ (بالضم): ضفيرة الشعر. - سال غير الماء (يقصد: النهر) بين اخضرارها (نبات الأرض الأخضر) كأنه فرق: خطَّ أبيض (لأنَّ الفرق في الشعر يكشف عن جلد الرأس) بين الذوَابِ (الضفائر السود - والعرب تقول للأسود أخضر).

(٧) الكَنْهَوْرُ: قطع السحاب العظيمة (والملوح هنا أنها السود - فإنَّ الغيوم إذا كثف فيها بخار الماء بدت سوداء). الغنيب: الظلمة (بالضم)، الليل الشديد السواد.

(٨) اطَّرَدَتْ الأشياء (كانت متتابعة). المَذْنِب (بالكسر): مسيل الماء (الماء المجرور من نهر أو من حوض).

(٩) الفَضُّ: الطريق الناضر (الذي فيه لين ولعان وجمال). الدرُّ: اللؤلؤ. السيكة: قطعة الممدن (بكر الدال) التي أذيت (فأصبحت صافية خالية من المواد الغريبة) ثم أعيد سبكها.

(١٠) الرदन (بالضم): طرف الثوب. نفعا: ما ترسله من رائحة طيبة. أُنعمت الریح: هبت هينة.

٤ ★★ أزهار الرياض ٣ : ٢٠٨ : فوات الوفيات ٢ : ٤٠٠ - ٤٠١ : المجلد في تاريخ الأدب التونسي ١٨٦ - ١٩٠ : خلاصة تاريخ تونس ١٠٧ - ١٠٨ : الأعلام للزركلي ٩ : ١٩٣ - ١٩٤ (٨ : ١٥٥).

ابن سهل الإشبيلي

١ - هو أبو إسحاق إبراهيم بن سهل، وُلِدَ في إشبيلية، نحو سنة ٦٠٧ هـ (١٢١٠ م)، على اليهودية فكان يُعرفُ بابن سهل اليهودي أو الإسرائيلي. ثم لما اهتدى إلى الإسلام، بعد أن بلغ مبلغ الشباب، أصبح يُدعى ابن سهل الإشبيلي والإسلامي. غير أن نقرأ من مؤرخي الأدب كانوا يشكون في صحة إسلامه (راجع نفع الطيب ٣ : ٥٢٣ - ٥٢٤).

يبدو أن ابن سهل بدأ تلقّي العلم وقراءة القرآن قبل أن يدخل في الإسلام. وقد درس على أبي علي الشلويني (ت ٦٤٥ هـ) وعلى أبي الحسن الدباج (ت ٦٤٦ هـ). وتطوّف ابن سهل شعره بين بلاطات الأمراء، فلقد كان في قرطبة (وله وصف في نهرها: الوادي الكبير)، كما مدح صاحب مرسية محمد بن يوسف بن هود (٦٢١ - ٦٣٥ هـ). ثم انتقل إلى إشبيلية، منقط رأسه، وسكنها إلى أن استولى الإسبان عليها، سنة ٦٤٦ هـ (١٢٤٨ م). فانتقل إلى العُدوة الإفريقية (المغرب). وسكن سبتة وأصبح كاتباً لواليتها أبي علي بن خلاص. وكان مرة في البحر معاً، في عرض سبتة، ففرقا، سنة ٦٤٩ هـ (١٢٥١ م) في الأغلب.

٢ - ابن سهل الإشبيلي شاعرٌ مُقلٌ مُحسن له قصيدٌ وموشحاتٌ منوعةٌ أكثرها في الغزل، وأكثرُ غزله في غلامٍ يهوديٍّ اسمه موسى. وغزله رقيقٌ جداً، قيل لأنه «اجتمع فيه دُلائلُ ذلِّ العشق وذلِّ اليهودية». وكذلك له وصفٌ بارعٌ. وأما موشحاته فهي منوعةٌ. وجميع شعره سلسٌ عذبٌ. وله بديعيةٌ (في مدح الرسول)، قيل نظمها قبل أن يُسلم.

- قال ابن سهل الإشبيلي في النسيب، وهو من شعره الرقيق المشهور:

سَلِّ فِي الظَّلَامِ أَحَاكَ الْبَدْرَ عَنْ سَهْرِي؛ تَذْزِي النُّجُومُ، كَمَا يَذْزِي الْوَرَى، خَبْرِي.
أَبَيْتُ أَهْنَيْتُ بِالشُّكْوَى وَأَشْرَبُ مِنْ دَمِي وَأَنْشَقُ رَيًّا ذِكْرُكَ الْعَطِيرُ^(١)؛
حَتَّى أُخَيِّلَ أَنِّي شَارِبٌ نَمِلُ بَيْنَ الرِّيَاضِ وَبَيْنَ الْكَأْسِ وَالْوَتْرِ^(٢).
- وقال يصف نَهْرًا يَخْتَرِقُ مَرَجًا:

الْأَرْضُ قَدْ لَبِستُ رِدَاءَهُ أَخْضَرَا، وَالطَّلُّ يَنْشُرُ فِي رُبَاهَا جَوْهَرَا^(٣).
هَاجَتْ فَخَلَّتْ الزَّهْرُ كَافُورًا بِهَا؛ وَحَسِبْتُ فِيهَا التُّرْبَ مَسْكَأً أَذْفَرَا^(٤).
وَكأنَّ سَوَسَنَهَا يُصَافِحُ وَرْدَهَا ثَغْرًا يُقَبِّلُ مِنْهُ خَدًّا أَحْمَرَا^(٥).
وَالنَّهْرُ مَا بَيْنَ الرِّيَاضِ تَخَالُهُ سَيْفًا تَمَلَّقَ فِي نِجَادٍ أَخْضَرَا^(٦).
- ومن بَدِيعِيَّةٍ لَهُ يمدحُ فِيهَا الرَّسُولَ، وَهِيَ طَوِيلَةٌ:

وَرَكِبْ دَعْنَهُمْ نَحْوَ طَيِّبَةِ نَبِيَّةٍ فَمَا وَجَدَتْ إِلَّا مُطِيعًا وَسَامِعَا^(٧).
تُضِيءُ مِنَ التَّقْوَى خَيَابَا صُدُورِهِمْ وَقَدْ لَبَسُوا اللَّيْلَ الْبَهِيمَ مَدَارِعَا^(٨).
تَكَادُ مُنَاجَاةُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ تَمُّ بِهِمْ مَسْكَأً عَلَى الشَّمِّ ذَائِعَا^(٩).

(١) هُتِفَ فُلَانٌ: صَاحَ وَهُوَ يَذْ صَوْتَهُ. نَشَقَ (بَفَتْحٍ فَكْسَرٍ): شَمَّ. الرِّيَا: الرِّيحَ الطَّيِّبَةَ.

(٢) أُخَيِّلَ: أَهْدَى. النَّاطِرِينَ (إِلَى): التَّمَلُّ: الَّذِي أَتَرَتْ فِيهِ الْحُمْرُ.

(٣) الطَّلُّ: نَقَاطُ الْمَاءِ الْمُتَجَمِّعَةِ مِنْ بَرْدِ اللَّيْلِ عَلَى الْأَغْصَانِ. الْجَوْهَرُ: اللَّوْلُؤُ.

(٤) الْكَافُورُ: طَيِّبٌ أَيْبَسَ اللَّوْنُ. الْمَسْكُ: طَيِّبٌ أَسْوَدَ اللَّوْنُ. الْأَذْفَرُ: الشَّدِيدُ الرَّائِحَةِ (طَيِّبَةً نَلَّكَ الرَّائِحَةُ كَانَتْ أَوْ كَرِيهَةً) - وَالْمَقْصُودُ هُنَا: الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ.

(٥) السَّوْسَنُ: الزَّنْبَقُ الْأَبْيَضُ. يَشْبُهُ الْفَمَ (الْأَسْنَانَ) بِالزَّنْبَقِ الْأَبْيَضِ، وَالْحَدَّ (لَا حَرَارَةَ): دَلِيلُ صَحْتِهِ وَجَالَهُ بِالْوَرْدِ.

(٦) النَّعَادُ: حَالَةٌ (بِالْكَسْرِ): سِرَانٌ مِنْ جِلْدٍ أَوْ نَسِيجٍ يَطْلُقُ بِهَا السِّيفُ إِلَى الْعَنْقِ.

(٧) الرُّكْبُ: الْجَمَاعَةُ عَلَى الْإِهْلِ (بِكَسْرِ فَكْسَرٍ) يَافِرُونَ مَعًا. طَيِّبَةٌ (بِالْفَتْحِ): الْمَدِينَةُ النُّورَةُ.

(٨) الْبَهِيمُ: الَّذِي لَا عِلَامَةَ ظَاهِرَةَ فِيهِ (شَدِيدُ السَّوَادِ). الْمَدْرَعُ (بِكَسْرِ فَكُونٍ فَفَتْحٍ): الدَّرَاعَةُ (بِالضَّمِّ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ): ثَوْبٌ مِنْ صُوفٍ. - لَبَسُوا اللَّيْلَ الْمَدَارِعَ: اسْتَعَانُوا عَلَى بَرْدِ اللَّيْلِ بِثِيَابٍ مِنْ صُوفٍ ثُمَّ تَابَعُوا سِرَّهُمْ.

(٩) الْمُنَاجَاةُ: الْحَاطِبَةُ سِرًّا مِنْ قَرَبٍ (أَوْ فِي الصَّمِيرِ). ثُمَّ: انْتَشَرَ. ذَائِعٌ: مُنْتَشِرٌ.

تَلَاقَى عَلَى وَرْدِ الْيَقِينِ قُلُوبُهُمْ خَوَافِقُ يُذَكِّرْنَ الْقَطَا وَالْمَشَارِعَا (١) :
 قُلُوبٌ عَرَفْنَ الْحَقَّ فَهِيَ قَدْ أَنْطَوَتْ عَلَيْهَا جُنُوبٌ مَا عَرَفْنَ الْمَضَاجِعَا (٢) :
 - ولابن سهل هذه الموشحة المشهورة التي كثر تقليدها في المغرب والمشرق :
 هَلْ دَرَى ظَنِّي الْجَمَى أَنْ قَدْ حَمَى قَلْبَ صَبٍّ حَلَّهْ مِنْ مَكْنَسٍ (٣) :
 فَهَوَ فِي حَرٍّ وَخَفَّقِي مِثْلَا لَمِيتَ رِيحُ الصَّبَا بِالْقَبَسِ (٤) :

* * *

يَا بُدُورَا أَشْرَقَتْ يَوْمَ النُّوَى غُرَّرَا تَسْلُكُ فِي نَهْجِ الْفَرَزِ (٥) :
 مَا لِنَفْسِي فِي الْهَوَى ذَنْبٌ سِوَى مِنْكُمْ الْحُسْنَى وَمِنْ عَيْنِي النَّظَرِ (٦) :
 أَجْنِسِي اللَّذَاتِ مَكْلُومَ الْجَوَا وَالتَّدَانِي مِنْ حَبِيبِي بِالْفِكْرِ (٧) :
 كُلَّمَا أَشْكُوهُ وَجَسَدِي بَسَا كَالرُّبَى بِالْعَارِضِ الْمُنْبَجِسِ (٨) :

(١) الورد (بالكسر): مكان الماء (ذهاب الناس إلى الماء للشرب). تلاقى - تلاقى. القطا جمع فطاة (طائر سريع الطيران). المشرعة: الشريعة (مكان شرب الماء). - يجتمع المسلمون الفاضلون إلى طيبة (المدينة المنورة، لزيارة قبر الرسول) يقيين (بإيمان ثابت) خوافق (قلوبهم تخفق من فرحة اللقاء أو الوصول إلى المدينة). يذكرون (يذكرون) بالضم والكاف المشددة المكسورة) الناس (بالنصب) بالقطا والمشاريع (بطيور القطا وهي سرعة في طيرانها إلى أماكن الماء).

(٢) قلوبهم موجودة بين جنوب (جمع جنب) ما عرفن المضاجع: الاستلقاء في الفراش (النوم).
 (٣) الحمى: ما يجب على الإنسان حمايته. ظني الحمى (أجل أهل المحي والمحي الذي يحبه أهله من أن تمتد إليه عين المحبة). حمى: منع. الصب: المحبة المشتاق إلى المحبوب. قلب صبَّ حله (المحبيب الذي حل: نزل، ملا) قلب المحبة. المكس (يفتح فكون ففتح): الكناس (بالكسر): المكان تأوي إليه الأطباء (هنا: النساء الجميلات) وغيرها من الوحوش.

(٤) الصبا: ريح الشرق. القبس: النار القليلة المحمولة (ولها لحيب) في عود دقيق.
 (٥) النوى: البعاد (بالضم). الفراق. الفرقة (بالضم): مقدم الجبين (كتابة عن البياض والجمال). - كلَّ محبوب من هؤلاء المحبوبين غرة (كل شيء فيه جيل): نهج: طريق. الفر (يفتح ففتح): الضلال.
 (٦) منك الحسنَى (مؤنث أحسن): فيكم أحسن (أجل) ما في جميع الناس.
 (٧) أجنتي: أجنتي: أقطف، أنال (القليل من اللذات). مكلوم: مجروح. الجوا (يقصد: الجواء جمع جَوَ: داخل الشيء): القلب. التداني: القرب. - لذتي الوحيدة أنني أفكر في حبيبي (لأنني لا أستطيع لقاءه).

(٨) الوجد: الحزن (من الابتعاد عن المحبوب). بسم: ابتسم (انفجرت شفتاه فظهرت أسنانه الجميلة - من غير أن يحدث صوتاً). الربوة: الرابية (الأرض المرتفعة قليلاً تسقى بماء وافر وتعرض للريح وللشمس =

إِذْ يُقِيمُ الْفَطْرُ فِيهَا مَأْتًا، وَهِيَ مِنْ بَهَجَتِهَا فِي عُرْسٍ (١).

* * *

غَالِبٌ لِي غَالِبٌ بِالتَّوَدُّ؛ بَابِي أَفْدِيهِ مِنْ جَافٍ رَقِيقٍ (٢).

مَا عَلَّمْنَا مِثْلَ ثَغْرِ نَضْدَةٍ أَفْخُونًا عَصَبَتْ مِنْهُ رَحِيقٌ (٣).

أَخَذْتُ عَيْنَاءَ مِنْهُ الْعَرَبْدَةُ؛ وَقُوَادِي بَكَرُهُ مَا إِنَّ يُقَيِّقُ (٤).

فَاجِمُ اللَّمَّةِ مَعْمُولُ اللَّمَى سَاجِرُ الْفُنُجِ شَمَى اللَّسِ (٥).

وَجْهَهُ يَتَلَوُ «الضُّحَى» مُبْتَسِمًا، وَهُوَ مِنْ إِعْرَاضِهِ فِي «عَبَسَ» (٦).

* * *

أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ جُرْمِي لَدَيَّ، لِي جَزَاءُ الذَّنْبِ وَهُوَ الْمَذْنِبُ.

أَخَذْتُ شَمْسَ الضُّحَى مِنْ وَجْهَتَيْهِ مَشْرِقًا لِلشَّمْسِ فِيهِ مَغْرِبٌ (٧).

= فيكثر نباتها وزهرها). العارض: النعم المقبل (المملوء بالمطر). النجس: التفجر (المتدفق) بالماء. - شكوي إلى تحمله بهتم وتظهر أسنانه فيزداد جلالاً، كما أن المطر ثبت في الربوة أنواع النبات والأزهار فتزداد بذلك جمالاً.

(١) نزول الفطر (المطر) كأنه دموع المائم (اجتماع النساء عند الميت - بفتح فكون). وهي (أي الربي) من بهجتها (من جمالها وفرحها - بما فيها من أنواع الرهر. ...).

(٢) التوددة: التآني (أنا شديد الحب له ولسرعة لقاءه، وهو يضرب لي المواعيد البعيدة أو يتفاوض عن رغبتى). الحافي: الغليظ القاسي.

(٣) نضد: رتب. سقى. الأفخوان زهر له ثلاث بيض (تشبه بها الأسنان اللسعة الجميلة) وقلبه أصفر. الرقيق (السائل الخلو في الزهر تنثره التحل ثم نفعه من فيها فيكون منه السمل). والشاعر يقصد بالرحيق «الحمر».

(٤) عينا المحبوب سكرت من رحيق فمه (راجع الحاشية السابقة). العربدة: السكر الذي يؤدي به السكران من حوله. وقوادي سكره ما إن (إن هنا زائدة) يقيق (وقوادي لا يقيق من سكره - من نظري إلى جمال فمه ومعرقى بما في فمه - من غير أن أكون قد ذقت).

(٥) فاجم: أسود. اللمة (بالكسر): الشعر المجاور للأذن (سواد الشعر كتابة عن الشباب). اللمى: سرة في الشفة (كتابة عن السماء، وعن الرقيق). الفنج الدلال، جمال العينين. اللس: سواد قليل في باطن الشفة (كتابة أيضاً عن الرقيق).

(٦) مطلع السورة الثالثة والتمسين في المصحف: «والضحى (أول ارتفاع النهار وامتداد الضياء) والليل إذا سجي (حبط بهدوء وسكن)، ما ودعك ربك (تركك، يا محمد) وما قلى (أبعض، أبفضك). ومطلع السورة الثاين: «عيسى ونولى أن جاءه الأعمى».

(٧) مشرق للشمس (كتابة عن بياض وجهه) فيه (في وجهه) مغرب للشمس (كتابة عن حره خدوده، كالحمرة التي تركها الشمس على الأفق الغربي إذا هي غرت).

ذَهَبَ الدَّمْعُ بِأَشَوَاتِي إِلَيْهِ؛ وَلَهُ خَذٌ بَلَحْظِي مُذْهَبٌ^(١)؛
يَبْتُسُّ الْوَرْدُ بَلَحْظِي كُلَّمَا لَاحَظْتُهُ مُقْلَتِي فِي الْخُلْسِ^(٢).
لَيْتَ شِعْرِي، أَيُّ شَيْءٍ حَرَمًا ذَلِكَ الْوَرْدَ عَلَى الْمُفْتَرَسِ^(٣)؟

* * *

كُلَّمَا أَشْكُو إِلَيْهِ حُرْقِي غَادَرْتَنِي مَقْلَتَاهُ دَنَفًا^(٤).
تَرَكْتُ الْخَاطِطَ مِنْ رَمَقِي أَثَرَ النَّمْلِ عَلَى صَمِّ الصَّفَا^(٥).
وَأَنَا أَشْكُرُهُ فِي مَا بَقِيَ، لَسْتُ أَلْهَاءَ عَلَى مَا أَتْلَفَا^(٦).
فَهَوَّ عِنْدِي عَادِلٌ إِنْ ظَلَمَا؛ وَعَذُولِي نُطْقُهُ كَالْخُرْسِ^(٧).
لَيْسَ لِي فِي الْأَمْرِ حُكْمٌ بَعْدَمَا حَلَّ مِنْ نَفْسِي مَحَلُّ النَّفْسِ.

* * *

أَضْرَمَ النَّارَ بِأَحْشَائِي ضِرَامَ تَتَلَطَّسِي كُلَّ حِينٍ مَا تَشَأْ.
هِيَ فِي خَدْيِهِ بَرْدٌ وَسَلَامٌ، وَهِيَ ضَرٌّْ وَحَرِيقٌ فِي الْحَشَا^(٨).
أَتَقِي مِنْهُ عَلَى حُكْمِ الْفَرَامِ أَسَدًا وَرَدًّا وَأَهْوَاءَ رَشَا^(٩).

- (١) فني دمعني وجفت من كثرة بكائي (لأن حبي له شديد وهو معرض عني). خذه مذهب (في احرار من خجله كلما نظرت إليه).
- (٢) يجر خذه (من الخجل) كلما نظرت إليه في الخلس (جمع خلسة بالضم) مرة بعد مرة في غفلة من الذين حولنا.
- (٣) أنا الذي أزرع الورد في خدوده (أجعلها تحمر من نظري إليها) ثم هي حرام علي (لا أستطيع أن أقطف منها ما زرعته فيها: أن أقبلها).
- (٤) الدنف: المريض القريب من الهلاك (التلف، الموت).
- (٥) الرمق: بقية الروح (في الجسد). الصفا جمع صفاة: الصخرة الملاء الصلبة. الصم جمع أصم وصماء. الشيء الأصم: الصلب المصمت (المملوء جوفه). - إن سير النملة على الصخر لا يترك أثراً.
- (٦) أشكره في (علي) ما بقي (في) من حياة وقوة. ألهاء (من لهى، بهلى: دَمَ، لَمِنَ).
- (٧) العذول: الذي يلوم المحب على حبه. كلام عذولي وسكوته بيان (أنا لن أسمع لوماً في محبوبي من أحد).
- (٨) هذه الحمرة التي تشبه النار هي برد وسلام في خدي (لا تضره)، وهذا اقتباس من القرآن الكريم (٦٩: ٢١)، سورة الأنبياء: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِالنَّارِ﴾، كوفي برداً وسلاماً على إبراهيم ﴿الحشا: القلب (قلبي).
- (٩) أتقي: أخاف، أجنب. الورد: الأحمر (الأسد الورد: الشدبد الضراوة والافتراس). رشاً: غزال

قلتُ، لَمَّا أَنْ تَبَدَّى مُعَلِّمًا، وَهُوَ مِنْ الْحَاطِظَةِ فِي حَرَسٍ (٢) :
أَتَيْهَا الْآخِذُ قَلْبِي مَفْنًا أَجْعَلِ الْوَصْلَ مَكَانَ الْخُصْسِ (٣) !

- من نفع الطيب (٧ : ٤٤٥ وما بعد) : من ذلك قولُ أبي إسحاق إبراهيم بن سهل الإسرائيلي الإشبيلي (موشعة، ولكن) بمضاً ذكر أنها من قوله لَمَّا أَظْهَرَ الإسلامَ، وهي لا تقتضي رَفْعَ الرِّبَةِ عنه والانتقام (٤) :

جَمَلُ الْمُتَيْنِ حُبُّ أَحَدٍ شَيْمَةٌ (٥)
وَأَتَى بِهِ فِي الْمُرْسَلِينَ كَرِيمَةٌ (٦)
فَفَدَا هَوَاهُ عَلَى الْقُلُوبِ تَمِيمَةٌ (٧) ؛

= صغبر - أنا أحبه كأنه غزال جبل بري ثم أخافه (أحاف نثائي هجرانه) كأنه أسد كربه النظر شديد الضراوة.

- (١) تبدي: ظهر لي (لَمَّا رَأَيْتُهُ). المُعَلِّمُ: العارس الشجاع القوي الذي لا يتلثم في أثناء المارك (ولا في غير المارك) لأنّه لا يخاف من خصومه، بل هم يخافونه. الحَاطِظَةُ: الفتاة (كالسيف والرمح) تحرسه.
(٢) أنت أخذت كل قلبي (سلطتي القدرة على أن أحب محبواً آخر)، تصدق علي بوصلك (بالاقتراب منك). مكان الخمس (في الجهاد توزع أربعة أخماس الغنائم المنقولة بين الأحياء من الذين اشتروا في المعركة)، ويبقى الخمس الخامس فيكون لآل بيت الرسول (إذ لا يجوز لهم أن يأكلوا من الزكاة والصدقات) وللحجاجين من سائر المسلمين. وهنا إشارة إلى آية من القرآن الكريم (٨ : ٤١، سورة الأنفال): ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّا نَغْنِمُ مِنْ شَيْءٍ (في الحرب) فَإِنَّ اللَّهَ خُسَّةٌ (للتصدق على المحتاجين) وللرسول (لنفقة الرسول ونفقة أهل بيته) ولذي القربى (لأقارب الرسول) واليتامى والمساكين (الذين يكتسبون مالاً لا يكتفهم لحياتهم) وابن السبيل﴾ (المتقطع عن وطنه لا يملك ما يتابع به طريقه).
(٣) لم يكن المقرّي صاحب نفع الطيب على حق في إعلان الارتياح بصعّة إسلام ابن سهل، ذلك لأنّ الإيمان شيء بين الإنسان وخالفه، ولا يجوز لنا إذا قال إنسان إنّه مسلم أن نردّ قوله، ما لم يكن لنا دليل على أنّ معلماً من أعماله يخالف للإسلام جهاراً. ولا شك في أن الإيمان في الناس على مراتب، فهناك أفراد إيمانهم أعلى من إيمان أفراد آخرين. غير أن الحكم في ذلك لله وحده. ولقد كان في أيام الرسول، صلى الله عليه وسلم، جماعة صغّ الارتياح بإيمانهم فسمّاهم الله «منافقين»، ولم يقل إنهم كفّار أو غير مسلمين.

- (٤) قال إحسان عباس في (نفع الطيب ٧ : ٤٤٥، الحاشية ٢) : لم أجد هذه الخمسة (الموشعة) منسوبة لابن سهل الإسرائيلي إلّا في النسخ، ولم ترد في ديوانه (طبع صادر ١٩٦٧).
(٥) المهيس (من أسماء الله الحسنى). أحمد (محمد رسول الله). شيمّة: خلق (بضمّ فصح)، العادة (المجيلة).
(٦) كريمة: جوهرة (الؤلؤة) نفيسة (ثمينة، غالية)، فهو حير المرسلين وآخر المرسلين.
(٧) التميمية: الحجاب (ما يعلّق على الأطفال لرّد العين عنهم ومع الأذى).

وَعِدَا هُدَاهُ لَهْدِيهِمْ تَنِيماً. صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً^(١).

★ ★ ★

أَبْدَى جَبِينُ أَبِيهِ شَاهِدَ نَوْرِهِ^(٢)،

سَجَّكَتْ بِهِ الْكُتَّانُ قَبْلَ ظُهُورِهِ^(٣)

كَالطَّسِيرِ غَرَدَ مُغْرِباً بِصَفِيرِهِ

عَنْ وَجْهِ إِصْبَاحٍ يُبْطِلُ نَسِيماً. صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً^(٤).

★ ★ ★

اللَّهُ أَوْضَحَ قَضْلَهُ فَتَوَضَّحَا،

وَاللَّهُ بَيْنَ حُبِّهِ فِي «وَالضُّحَى»^(٥)،

وَالْجَسَدُ حَرٌّ لَهُ هَوَى فَرَنَحَا^(٦)،

وَالْمَاءُ فَاضَ بِكَفِّ تَنِيماً^(٧). صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً.

★ ★ ★

(١) المُنْدَى (بِالضَّمِّ) كَالْمُنْدَى (بِالْفَتْحِ). فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (سُورَةُ الْأَحْزَابِ): ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾.

(٢) فِي الْأَخْبَارِ أَنَّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ (وَالَّذِي مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ) كَانَ فِي حَبِينِهِ نَوْرٌ يَتَلَأَلُ (وَصَلَ إِلَى اللَّهِ مِنْ النُّورِ الَّذِي وَضَعَهُ اللَّهُ فِي آدَمَ). ثُمَّ إِنَّ امْرَأَةً (فِي الْجَاهِلِيَّةِ) كَانَتْ تُرِيدُ عَبْدِ اللَّهِ، وَكَانَ هُوَ يَأْبَى ذَلِكَ (وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْحِينِ زَوْجُ أَمْنَةَ وَالِدَةِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ). وَيَقُولُونَ (وَهَذَا مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ الظَّاهِرَةِ أَوْ الْخَفِيَّةِ) إِنَّهُ بَعْدَ مَدَّةٍ (وَكَانَتْ أَمْنَةُ قَدْ حَبِلَتْ بِمُحَمَّدٍ) مَرَّ عَبْدِ اللَّهِ بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ فَرَأَتْ أَنَّ النُّورَ الَّذِي كَانَ يَتَلَأَلُ فِي حَبِينِهِ قَدْ اخْتَفَى (انْتَقَلَ إِلَى الْجَنِينِ فِي بَطْنِ أَمْنَةَ) فَلَمْ تَرْغَبْ فِيهِ.

(٣) سَجَّعَ: غَشَى، أَكْثَرَ الْكَلَامَ (فِي الشَّيْءِ).

(٤) «نَسِيماً» (كَذَا فِي الْأَصْلِ) وَلَا مَعْنَى لَهَا هُنَا. يَجِبُ أَنْ تَكُونَ «وَسِيماً» (جِيلَلاً). ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْقَافِيَةَ (نَسِيماً) تَأْتِي فِي آخِرِ خَمْسٍ مِنْ هَذِهِ الْمَوْشِعَةِ.

(٥) حَبَّهُ (حَبُّ الرُّسُولِ). الصَّحِي (السُّورَةُ الثَّالِثَةُ وَالْعِشْرُونَ فِي الْمَصْحَفِ) وَهِيَ: ﴿وَالضُّحَى﴾ (أَوَّلُ النَّهَارِ). وَالْوَاوُ لِلْقِسْمِ، وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى (نَزَلَ، خَنِمَ). مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ (تَرَكَكَ، يَا مُحَمَّدُ). وَمَا قُلَى (أَبْغَضَكَ). وَلِأَخْرَجَةِ خَيْرٍ لَكَ مِنَ الْأَوَّلَى (مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا). أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى؟... الخ.

(٦) الْجَذَعُ جُزْءٌ مِنَ سَاقِ شَجَرَةٍ كَانَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ يَقِفُ عَلَيْهِ لِيُخَاطِبَ. فَعَمَلُ جَمَاعَاتٍ مِنَ النَّاسِ يَقُولُونَ لَهُمْ يَسْمَعُونَ هَذَا الْجَذَعُ مِنْ (بَشَرٍ حَزْناً عَلَى رَسُولِ اللَّهِ). فَقَطَعَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ هَذَا الْجَذَعُ.

(٧) وَفِي الْأَثَرِ أَنَّ الْجَيْشَ عَطَشَ مَرَّةً وَلَمْ يَجِدْ مَاءً فَفَاضَ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ الرَّسُولِ مَاءٌ شَرِبَ مِنْهُ الْجَيْشُ حَزْناً =

اَخْتَسَتْ فِي السَّبْعِ الطَّبَاقِ بُرَاقَهُ،
وَالْأَرْضُ وَاجْفَةٌ تَخَافُ فِرَاقَهُ^(١).
سُبْحَانَ مَنْ أَدْنَى سُرَاهُ فَسَاقَهُ
شَخْصاً عَلَى مَلِكِ الْمُلُوكِ كَرِيماً^(٢). صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً.

★ ★ ★

فَأَشِمْ رَنَحَـانَ الْقُلُوبِ الطَّيِّبِـاءِ،
وَدْنَا فَأَسْمِعَ: « يَا مُحَمَّدُ، مَرْجِبا^(٣).
إِنِّي جَعَلْتُكَ جَارَ عَرْشِي الْأَقْرَبِـاءِ،
إِنْ كُنْتُ قَبْلَكَ فَدِجَعَلْتُ كَلِـيماً^(٤) ». صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً.

★ ★ ★

يَا لَيْلَةَ بَجْرِي الزَّمَانِ فَتَبِقْ،
الْمُحْجَبُ فِيهَا وَالْأَرَائِجُ تُفْتَقُ^(٥).
مَا كَانَ مِنْكَ اللَّيْلُ قَبْلَكَ يَعْـبِقُ.

-
- = أَرْتَوَى. تَسْمِعُ: عَيْنٌ فِي الْجَنَّةِ (مَاءٌ عَذْبٌ).
(١) أَخَسَّتِ الدَّابَّةُ: حَثَّتْهَا (حَضَّتْهَا عَلَى الْإِسْرَاعِ). السَّبْعُ الطَّبَاقُ (السَّمَوَاتُ السَّبْعُ). الْبُرَاقُ: دَائَةٌ أَكْبَرُ مِنَ الْهَمَارِ وَأَصْفَرُ مِنَ الْحِمَارِ عَظِيمَةُ السَّرْعَةِ، إِذْ تَحْمِلُ، فِي كُلِّ خُطْوَةٍ، حَافِرَهَا حَيْثُ يَنْتَهِي بِصَرِّهَا. وَعَلَى الْبُرَاقِ كَانَ الْإِسْرَاءُ بِالرَّسُولِ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ. الْوَاجِفُ: الْخَائِفُ الْمُضْطَرِبُّ.
(٢) مَلِكُ الْمُلُوكِ: اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.
(٣) أَشِمْ (بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ) أَدْنَى مِنْهُ (جَعَلَهُ اللَّهُ) يَشْمُ (بَضَمُ الشَّيْنِ) رِيحَاناً (نَبَاتاً ذَا رَائِحَةٍ طَيِّبَةٍ). رِيحَانُ الْقُلُوبِ (يَنْعَشُ الْقَلْبُ؟). دَنَا (أَقْرَبَ مِنْ عَرْشِ الرَّحْمَنِ). فَأَسْمِعُ: (بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ: جَعَلَهُ اللَّهُ يَسْمَعُ).
(٤) ... إِذَا كُنْتُ مِنْ قَبْلِ قَدْ جَعَلْتُ مُوسَى يَكَلِّمُنِي (وَهُوَ لَا يَرَانِي)، فَقَدْ جَعَلْتُكَ الْآنَ جَاراً قَرِيباً جَدّاً لِعَرْشِي (تَسْمَعُ وَتَرَى).
(٥) الْمُحْجَبُ جَمْعُ حِجَابٍ (دُونَ عَرْشِ الرَّحْمَنِ) تَفْتَقُ (تَشَقُّ لِبَصَرِ الرَّائِي مِنْ خِلَالِ فَتَوَقُّهَا: شَقَوَقُّهَا). الْأَرَائِجُ جَمْعُ أَرْبِجٍ وَأَرْبِجَةٌ (رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ). تَفْتَقُ: يَفْتَحُ وَاعَاُذَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ (شَمَّ الرَّسُولُ فِي الْإِسْرَاءِ رَائِحَةَ لَا عَهْدَ لِلْإِنْسَانِ بِهَا).

بُشْرَى، مُحَمَّدٌ اسْتَفَادَ نِسِيًّا^(١). صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا.

★ ★ ★

حَتَّى إِذَا أَفْتَقَسَ الْبُرَاقَ لِيَنْزِلَا،

نَادَتْهُ أَسْرَارُ السَّمَوَاتِ الْعُضَلَا^(٢):

« يَا رَاجِلًا وَدَعْتُهُ لَا عَنْ قَلْبِي،

مَا كَانَ عَهْدُكَ بِالْغُيُوبِ ذِمًّا^(٣) ». صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا.

٤ - ديوان ابن سهل القاهرة ١٢٧٩، ١٢٨٩، ١٢٩٢، ١٢٩٧، ١٣٠٢، ١٣٢٨ هـ.

فاس (طبع حجر) ١٣٢٤ هـ: (أبو حسين القرني)، القاهرة ١٣٤٤ هـ= ١٩٦٦ م؛

بيروت ١٨٨٥ م (١٣٠٢ - ١٣٠٣ هـ)؛ القاهرة (المكتبة العربية) ١٩٢٦ م. (قدّم له احسان

عبّاس)، بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٩٥٣ تمّ ١٩٦٧ م.

- مختارات من ابن سهل، بيروت (مكتبة صادر) ١٩٥٣.

★ السلك السهل في شرح توشيح ابن سهل، تأليف محمد الإفرائي المغربي، فاس ١٣٢٤ هـ= ١٩٠٩ م.

- ابن سهل الأندلسي، تأليف عارف تامر.

المغرب ١: ٢٦٤ - ٢٦٥؛ قوات الوفيات ١: ٢٩ - ٣٥؛ الوافي بالوفيات ٦: ٥ - ١١؛

القدح المعلّى ١٤٠ - ١٤١؛ شذرات الذهب ٥: ٢٦٤ - ٢٦٥؛ نفع الطبيب ٢؛

٣٠٧ - ٣٠٨، ٣: ٥٢٢ - ٥٢٧، تمّ هنالك موشّحات لابن سهل ومعارضاتها ٧: ١١،

(١) عيب (بفتح فكسر): ظهرت رائحته. سك الليل (ظلام الليل كلّهُ، لأنّ المسك أسود): كان الليل كلّهُ
بنوح رائحة طيبة.... استفاد نسيّاً (أصبح له هو أيضاً رائحة طيبة تفوح في العالم).

(٢) آتعد فلان الدابة: ركبها. اتعد الرسول البراق (لينزل إلى الأرض). أسرار السواوات (كائنات في
السماء لا يعرفها الناس). القلي: البفض.

(٣) ما كان عهدك بالغيوب (جمع غيب: وجودك في عالم الغيب، في طبقات السماء) ذمياً (مذموماً): لقد
كنت في عالم الغيب كأنك في الأصل من أهله. أو: لقد أسرى بك إلى السماء لأنك ميراً من كل عيب
(سلوكك بالغيب، في السرّ، كسلوكك الظاهر في العلن). - راجع القرآن الكريم: ﴿أَرْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ
فَقُولُوا: يَا أَبَانَا، إِنَّ أَبْنَاءَكَ سَرَقُوا. وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا، وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ (١٢: ٨١)، سورة
يوسف، تمّ ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله به بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم.
فالعالمات (من النساء) قانتات (مطيعات لأوامر الله ولأزواجهن) حافظات للغيب (محافظات على
سلوكهن في أثناء غيبة أزواجهن) بما حفظ الله﴾ (بما كان الله قد وصى)..... تمّ ﴿ذلك ليعلم أنّي لم أخنه
بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين﴾ (١٢: ٥٢، سورة يوسف).

٦١-٦٥، ٦٩، ٢٤٦ وما بعد، ٤٤٥-٤٧٠: دائرة المعارف الإسلامية ٣:
٩٢٥-٩٢٦: بروكلمن ١: ٣٢٢-٣٢٣، الملحق ١: ٤٨٣: نيكل ٣٤٤-٣٤٥:
مختارات نيكل ٢٠٩-٣١٢: الأعلام للزركلي ١: ٣٦ (٤٢) سركيس ١٢٣.

التيفاشي القفصي

١- هو شرف الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد بن أبي بكر بن حمدون
أبن حجاج^(١) القيسي التيفاشي، نسبة إلى تيفاش^(٢). وُلِدَ في مدينة قفصة (في غربي
القطر التونسي)، سنة ٥٨٠ (١١٨٤ م) وبدأ تعلّمه فيها على أبي العباس أحمد بن أبي
بكر بن جعفر المقدسي. ثم انتقل إلى تونس الحاضرة وتابع دراسته في جامع الزيتونة.
بعدئذ رحّل إلى مصرَ وقرأ على عبد اللطيف البغدادي (ت ٦٢٩) ثم انتقل إلى
دمشقَ وقرأ فيها على تاج الدين الكندي.

وعادَ التيفاشي إلى تونسَ فولّاه أبو زكريا يحيى الحفصي (٦٢٦-٦٤٧ هـ)
القضاء في قفصة. ولكنّه ارتحل ثانية إلى المشرق. وفي رحلته الثانية ماتت امرأته.
ثم انكسر به المركب مرةً (بعد موت زوجته) ففرّق أبنائه الثلاثة وضاع ما كان معه
من المال.

وتحوّل التيفاشي في المشرق: زار العراقَ وفارسَ ثم جاء إلى القاهرة نحو سنة
٦٣٠ (١٢٣٢-١٢٣٣ م) وعرفَ نفراً من كبارها منهم مُحمّي الدين محمد بن ناضي^(٣)
وأبو الحسن علي بن سعيد العنسي (وقد أجازَ له رواية كتاب «المغرب في محاسن
المغرب») ومُكرّم بن منظور (ت ٦٥٤) والدُ صاحب «لسان العرب» وكانت وفاة
التيفاشي القفصي في القاهرة، سنة ٦٥١ (١٢٥٣-١٣٥٤ م).

٢- كان التيفاشي القفصي واسع الإحاطة بفنون من الأدب والعلم وشاعراً

- (١) في «الديباج المذهب» سلسلة نسب أطول. في بروكلمن ١: ٦٥٢، الملحق ١: ٩٠٤: شهاب الدين.
(٢) تيفاش قرية من قرى قفصة (الديباج المذهب ٧٥). وذكر حسن حسني عبد الوهاب أن تيفاش
(الورقات ١: ٤٤٨) في شمالي عمالة (مقاطعة) فسنطينة في شمالي القطر الجزائري.
(٣) وفي «الورقات» (ص ٤٥٠، ٤٥٥) ابن ندى.

يَنْهَجُ مِنْهَجَ أدبائه عصره في تكلف أوجه البلاغة؛ غير أن شُغْرَه نازل على المرتبة المقبولة. أما شهرته ومكانته فتقومان على مؤلفاته العديدة، وإن كان أكثرها وثيق الصلة جداً بالناحية الجنسية الصريحة. وللتيفاشي كتبٌ منها: فصل الخطاب في مدارك الحواس الخمس لأولي الألباب^(١) - الدرّة الفائقة في محاسن الأفارقة (التونسيين) - أزهار الأفكار في جواهر الأحجار (لعله الأحجار الملوكية، ولعله في الأصل من كتاب فصل الخطاب) - سجع الهديل في أخبار النيل - الديباج الحُسرواني في شرح شعر ابن هاني - درّة اللآلي من عيون الأخبار ومستحسن الأشعار - نزّهة الألباب في ما لا يوجد في كتاب (نواذر وأشعار تتعلّق بالجنس) - مطالع البدور في منازل السرور - قادمة الجناح (في معاشرّة النساء) - رجوع الشيخ إلى صباه في القوّة على الباه - رسالة في ما يحتاج إليه الرجال والنساء في استعمال الباه بما يضر وينفع.

٣ - مختارات من آثاره

- من تاريخ الموسيقى في المغرب:

.... كان غناء أهل الأندلس في القديم إمّا بطريقة النصارى * وإمّا بطريقة حُدّاة العرب^(٢). ولم يكن عندهم قانون يعتمدون عليه إلى أن قامت الدولة الأموية، وكانت مدّة الحكم الرّبيضي^(٣)، فوجد عليه من المشرق ومن إفريقيّة التونسية من يُحسِن صنعة التلاحين المدنية^(٤) وأخذ الناس عنهم، إلى أن وفد الإمام المُقدّم في

(١) هذا الكتاب يقع في أربعين جزءاً (محو ثمانية آلاف صفحة)، وهو مُوسمة (موسوعة: دائرة معارف) مبيبة على الأنواع التي تتناول المعارف الإنسانية المختلفة من مظاهر الطبيعة (المعاد والحيوان) ومن المدارك العلميّة والعقليّة كالطبّ والموسيقى ومن الأحوال الاجتماعيّة والفكرية كتاريخ الأمم وعُلومهم كالفلك وعلم الحجارة الكريمة. وقد اختصر هذا الكتاب أنْ منظّر مصنّف «لسان العرب». ويمكن أن نعدّ هذا الكتاب سلسلة متوالية في التأليف لأنّ التيفاشي جعل لكلّ جزء عنواناً مستقلاً (راجع أيضاً «الورقات»، ص ٤٥٥ - ٤٥٧).

(٢) الحادي: الذي يسوق قوافل الإبل، يقصد بطريقة الحداة «الفناء البدوي».

(٣) الدولة الأموية: الدولة المروانية في الأندلس. الحكم الرّبيضي هو الحكم الأوّل (١٨٠ - ٢٠٦ هـ) بن هشام بن عبد الرحمن الداخل.

(٤) المُدْبِيَة (بضمّ نضمّ): خلاف البدوية. * نصارى الأندلس (الأسباك).

هذا الشأن عليُّ بنُ نافعٍ الملقَّبُ بِزُرْيَابٍ غُلامُ إِسْحَاقَ المَوْصِلِيِّ على الأميرِ عبدِ الرحمن الأوسط (١) فجاء بما لم تَعْمَدْهُ الأسماعُ واتَّخذَ السلطانُ (٢) طريقَتَهُ ونُسيَ غَيْرُهَا إلى أن جاء ابنُ باجَهَ الإمامُ الأعظمُ فاعتكفَ مُدَّةَ سِنينَ مَعَ جَوَارِ مُحَسِّنَاتِ فَهْذَبِ الاستِهْلالِ (٣) والعَمَلِ ومزجَ غِنَاءَ النصارى بفناء المشرقِ واخترعَ طريقةَ الأجدالِ (٤) (٥) بالأندلسِ. وقد مالَ إليها طَبِيعُ أَهْلِهَا ورفضوا ما سواها. ثمَّ جاء بعده ابنُ جودي وابنُ الحَمَارَةِ وغيرُها فزادوا الحانَهُ (٦) تهذيباً واخترعوا ما قَدَّرُوا عليه من الألحانِ المطربةِ. وكان خاتمةَ هذه الصَّنَاعَةِ أبو الحسنِ بنُ الحانسرِ المُرْسِيِّ (٧) فَإِنَّهُ أَذْرَكَ فِيهَا عِلْماً وَعَمَلًا ما لم يُذَكِّرْهُ أَحَدٌ. وله في الموسيقى كتابٌ كبيرٌ في جُمْلَةِ أَسْفَارِ. وكلُّ تَلحينٍ سَمِعَ بالأندلسِ والمَغْرِبِ في شِعْرِ مُتَأَخِّرٍ فَهُوَ من صَنَعَتِهِ.....

- يوم نعيم بين ليلين غير ذلك:

ويوم سَرَقْنَاهُ من الدهرِ جِلْسَةً؛ بلِ الدهرِ أَهْدَاهُ لَنَا مُتَفَضِّلًا.
أَشْبَهَهُ بَيْنَ الظَّلَامينَ غُرَّةً لِحَسَاءٍ لَاحَتْ بَيْنَ فَرَعَيْنِ أَرْسَلَا (٨)!

- ذهاب الليل ومجيء الفجر:

(١) زُرْيَاب (راجع، فوق، ص ٨ في الجزء الرابع). تلميذ إِسْحَاقِ المَوْصِلِيِّ. عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨ هـ).

(٢) السلطان: صاحب السلطة (الخليفة، الدولة) - يقصد الغناء الرسمي، في البلاط.

(٣) ابن باجَهَ (راجع، فوق، ص ٣١٥ في الجزء الخامس). الاستِهْلال: مطلع الغناء. العمل: منحه الغناء والسير فيه (٤).

(٤) الأجدال (غير معروفة - وعلامة الاستفهام من الأصل المنقول عنه).

(٥) ابن جودي (٥). ابن الحَمَارَةِ (ضبطها حسن حسني عبد الوهاب (الورقات ١: ٤٥٤) بتشديد الميم. وتركها شوقي ضيف (المغرب ٢: ١٢٠) مهملة. وكذلك فعل إِحْسَانُ عَبَّاسٍ (نفع الطيب ١: ٢٠٥، ٣: ٥٩٧، ٤: ١٣٠، ١٤٠)، وديدرينغ (الوافي بالوفيات ٢: ٢٤٢). وابن الحَمَارَةِ الغرناطي تلميذ ابن باجَهَ، برع في الألحان وفي نظم الشعر. ويرد هذا الاسم في نفع الطيب مرَّةً بكتيبة واسمها أبو الحسن عليٌّ وثلاث مرَّات أبو عامر محمد. ولعلَّ الاثنين واحد..... في الحانَهُ (في الحان ابن باجَهَ).

(٦) أبو الحسن بن الحانسر المُرْسِيِّ (٧).

(٧) الفروع: الشعر. لاحت بين فرعين: ظهر وجهها بين شيء من شعرها في كلِّ جانب.

نَبَّةٌ نَدِيمُكَ، إِنَّ الدِيكَ قَدْ صَحَبَا
والفجر في كَيْدِ اللَّيْلِ السَّعِيمِ حَكِي
كَأَنَّهُ، بِظِلَامِ اللَّيْلِ مُعْتَزِجًا،
كَأَنَّا الْفَجْرُ زَنْدٌ قَادِحٌ شَرًّا
كَأَنَّ أَوَّلَ فَجْرِ فَارِسٍ حُمِلَتْ
كَأَنَّ ثَانِيَ فَجْرِ غُرَّةٍ وَضَحَتْ
- وصف الزلزال:

أَمَا تَرَى الْأَرْضَ فِي زَلْزَالِهَا عَجَبًا
أَضَحَّتْ كَوَالِدَةَ خِرْقَاءِ مُرْضِعَةٍ
قَدْ مَهَّدَتْهُمْ مِهَادًا غَيْرَ مُضْطَرَبٍ
حَتَّى إِذَا أَبْصَرْتَ بَعْضَ الَّذِي كَرِهْتَ
هَزَنْ ۖ مَهْدَهُمْ تَشَا تَنْهِنُهُمْ
فَصَكَّتِ الْمَهْدَ غَضَبِي فَهِيَ لَا فِظَةَ
تدعو إلى طاعة الرحمن كُلَّ تَقِي.
أَوْلَادَهَا دَرَّ ثَنِي حَافِلٍ غَدَقٍ (٧).
وَأَفْرَشْتَهُمْ فِرَاشًا غَيْرَ مَا قَلَقٍ.
مِمَّا يَشُقُّ، مِنَ الْأَوْلَادِ، مِنْ خُلُقٍ (٨)،
ثُمَّ اسْتَنَاطَتْ وَآلَ الطَّبَعِ لِلْخَرَقِ (٩).
بَعْضًا عَلَى بَعْضِهِمْ مِنْ شِدَّةِ الْحَنَقِ (١٠).

- (١) صخب: علا صوته واختلط بغيره (يقصد: صاح). الطنب: خشبات حول الخيمة تشد أطراف الخيمة إليها. قَوْض: هدم، قلع.
- (٢) المتَّيِّم: الذي أمرضه الحب. غلبا (كذا في الأصل)، لعلها «حببا».
- (٣) اقترأ: ابتسم فظهرت أسنانه. المنسم: الرائحة الطيبة (كذا يقصد الشاعر). الشنب: البارد! والشنب (يفتح ففتح): الجميل، الصافي.
- (٤) الزند: قطعة من الحديد تدفع (تستخرج) بها النار من الحجر. فعملة الليل: اشتداد سواده.
- (٥) أول فجر: الفجر الكاذب (أول ظهور نور الصباح من وراء الأفق) ويكون ضعيفاً. كبا: عثر. - كأن الفجر فارس (على حصان أسود؟) تالت وراءه الرايات البيض حتى غلبته وغطت عليه!
- (٦) الفجر الثاني: الفجر الصادق (حينما يعم النور وجه الأفق الشرقي ولكن قبل أن تستنير الأرض. المرأة: مقدمة الوجه أو الرأس (وتكون بيضاء). نَسِيلٌ: تمتد (تظهر ثابتة). الطرف: الحصان. الأدهم: الأسود.
- (٧) الخرقاء الحمقاء. الدر: اللبن. حافل: مملوء. غدق: كثير.
- (٨) شق: صعب (بضم العين)، أتعب.
- (٩) تشا تنهينهم: تشاء أن تكفهم (تردهم، تمنهم) عن السلوك السيء. آل: رحسج. الخرق: الحق.
- (١٠) صلك: صرب.

- مَنَامٌ مُنْذِرٌ بِمُصِيبَةٍ:

وجرى لي في المنام أمرٌ عجيبٌ في السراج . وذلك أفي رأيتُ^(١) كأنني جالسٌ وبين يديّ ثلاثة سُرُجٍ موقودة^(٢)، وإلى جنبي زوجتي وهي تنفُخُ على أحد السُرُجِ لتُطْفِئَهُ . فأدركني عليها غَيْظٌ شديدٌ ونَهَيْتُهَا عن ذلك، فَأَلَحَّتْ في النَّفْخِ عليه . فاضطربتُ وَقُلْتُ لها: إِنَّ أَطْفَائِيهَ فَأَنْتِ طَالِقٌ! فقامتُ فَتَفَحَّخْتُ في السرجِ الثلاثةَ وَأَطْفَأْتُهَا . ولم أَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ (قد) جرى على لساني للطلاقِ ذِكْرُ الْبَتَّةِ^(٣)، ولا حَدَثَتْ نفسي بَطَلَاقِهَا قَطُّ . وكان لي منها ثلاثة بَنِينَ . وَاتَّقَى بَعْدَ هَذِهِ الرُّؤْيَا بِأَيَّامٍ أَنْ مَرِضَتْ فَاتَتْ . وَرَكِبْتُ أَنَا وَأَوْلَادِي الثلاثةَ الْبَحَرَ وَمَعِيَ مَالٌ طَائِلٌ . فمُطِيبَتِ السَّفِينَةِ فِي الْبَحْرِ وَغَرِقَ الْبَنُونَ الثَّلَاثَةُ وَالْمَالُ جَمِيعُهُ . وَنَجَوْتُ عَلَى لَوْحٍ مَسْلُوباً^(٤) مِنَ الْأَهْلِ وَالْمَالِ .

٤- أزهار الأفكار في جواهر الأحجار (بيشيا)، فلورانس ١٨١٨م؛ حققه يوسف حسن ومحمود بسيوني (المطبعة العامة للكتاب ١٩٧٧م).

- نثار الأزهار في الليل والنهار (جزء من «أزهار الأفكار» - اختصره ابن منظور)، القسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩٨ هـ.

- كتاب الباء في رجوع الشيخ إلى صباه (رجوع الشيخ إلى صباه من القوة على الباء)، بولاق ١٣٠٩، القاهرة ١٣١٦.

- الأحجاز التي توجد في خزائن الملوك وذخائر الرؤساء (راجع الأعلام للزركلي).

- سرور النفس بمدارك الحواس الخمس (هذه ابن منظور - حققه إحسان عباس)، بيروت (المؤسسة العربية للدراسات والنشر) ١٩٨٠م.

★ الوافي بالوفيات ٨: ٢٨٨ - ٢٩١؛ الديباج المذهب ٧٤ - ٧٥؛ الورقات لحسن حني عبد الوهاب، ص ٤٤٨ - ٤٦٠ (راجع له أيضاً: مجلة العكر - جوان ١٩٥٩م - ص ٤ - ١١٠؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ٢٠٥ - ٢٠٨؛ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٣٩: ١٢؛ (لعبد القادر زمامة)، المجلة الآسيوية ١٨٢٨م، ص ٥ وما بعد؛ بروكلمن ١: ٦٥٢،

(١) أي رأيت فيها يرى النائم.

(٢) كذا في الأصل. والصواب: موقدة (من أوقد): مشتعلة.

(٣) البتة: أبداً، قط، مطلقاً.

(٤) مسلوباً: مجرداً عما أملك.

حُمَيْدُ الْأَنْصَارِيِّ

١- هو أبو بكر أحمد بن عبد الله بن الحسن بن أحمد بن يحيى بن عبد الله الأنصاري القرطبي المالقي، أصلُ أهله من قرطبة وقد انتقل جدُّه لأبيه - الحسن بن أحمد - إلى مالقة. وولِدَ حميدُ الأنصاريُّ في مالقة سنة ٦٠٧ للهجرة (١٢١٠-١٢١١ م).

سَمِعَ حُمَيْدُ الْأَنْصَارِيُّ مِنْ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الشَّارِيِّ^(١). وَسَمِعَ مِنْ كَثِيرِينَ غَيْرِهِ فِي الْأَنْدَلُسِ وَالْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ. وَكَانَ قَبْلَ رِحْلَتِهِ (نَحْوَ ٦٤٩ هـ) قَدْ تَصَدَّرَ فِي بَلَدِهِ مَالِقَةً لِلتَّدْرِيسِ فَأَقْرَأَ الْقُرْآنَ وَحَدَّثَ وَدَرَسَ الْفِقْهَ وَالْعَرَبِيَّةَ (النَّحْوَ).

وَرَحَلَ حُمَيْدُ الْأَنْصَارِيُّ إِلَى الْمَشْرِقِ بِنَيْتَةِ الْحَجِّ. وَيَبْدُو أَنَّهُ وَصَلَ أَوَّلًا إِلَى الشَّامِ (سُورِيَّة) ثُمَّ أُنْتَقَلَ إِلَى مِصْرَ، وَلَكِنَّهُ مَرَضَ فِي مِصْرَ ثُمَّ تَوَفَّى فِي الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ ٦٥٢ (١٢٥٤/٥/١١ م).

٢- كان حميد الأنصاري ورعاً زاهداً متقشفاً. وقد كان مقرئاً للقرآن مجوداً ومحدثاً حافظاً وفهياً و ماهراً في علم العربية (النحو). ثم هو كاتب وشاعر، وشعره كثير عادي قاصر على الزهد والحكم.

٣ - مختارات من شعره

- قال حميد الأنصاري في الناس وأحوالهم:

مَطَالِبُ النَّاسِ فِي دُنْيَاكَ أَجْنَسُ فَأَقْصِدْ فَلَا مَطْلَبَ يَبْقَى وَلَا نَاسٌ^(٢).

(١) توفي في رمضان من سنة ٦٤٩. وفي الديباج المذهب (ص ٤٦): أبو الحسن بن محمد الشافعي (وتكرار «الشافعي» في الذيل والتذكرة يمكن أن يدل على أنَّ الشافعي أصم).

(۲) اقصد: اعتدل.

وَأَرْضَ الْقَنَاعَةِ مَالًا وَالتُّقَى حَسَبًا، فَمَا عَلَى ذِي تُقَى مِنْ دَهْرِهِ بَأْسٌ (١).
وَأِنْ عَلَتِكَ رُؤُوسٌ وَأَزْدَرَّتْكَ، فَنَفِي بَطْنِ الثَّرَى يَسَاوِي الرَّجُلُ وَالرَّاسُ.

- وقال في الدنيا وأحوالها:

وَلَمَّا رَأَيْتُ الثَّيْبَ بَيْنَ صُبْحِهِ وَلَيْلِ شَبَابِي قَدْ مَضَى لِسَبِيلِهِ (٢)،
أَقَمْتُ عَلَى نَفْسِي فَنَاءً دَلِيلَهَا، فَصِرْتُ بَوَاجِهِ مُعْرِضٌ عَنْ دَلِيلِهِ (٣).
وَقَالَتْ: «تَمَتَّعْ مِنْ زَمَانِكَ سَاعَةً، وَلَا تَبْكِيَنَّ الْهَوْلَ قَبْلَ نَزْوِلِهِ (٤)،
وَبَادِرْ إِلَى لَذَاتِ ذَاتِكَ وَأَعْتَنِمْ طُلُوعَ مُحْيَا الْبَدْرِ قَبْلَ أَفْوَلِهِ (٥).»
وَعَرَّتْ وَمَا بَرَّتْ، وَلَكِنْ أَجَبْتُهَا: «وَكَمْ نَاصِحٍ لِي مَا أَصْحَتُ لِقِيلِهِ (٦)»!

٤- ** الذيل والتكملة ١: ١٣٨ - ١٤٣ (رقم ٢١٤)، الديباج المذهب ٤٤٦: بغية الوعاة ١٣٥؛ نفع الطيب ٢: ٣٧٨ - ٣٧٩.

أبو الخطاب السكوني

١- هو أبو الخطاب محمد (٧) بن أحمد بن خليل بن إسماعيل بن عبد الملك بن خلف بن محمد بن عبد الله السكوني، أصلُ أهلِهِ من لَبْلَةٍ (في جَنُوبِي البُرْتغال اليوم - غرب إشبيلية). وكان مسكنُهُ في إشبيلية، ثم غادرَهَا لَمَّا أَسْتَوْلَى عَلَيْهَا

- (١) بَأْسٌ: شَقَّةٌ، ضَرَرٌ.
- (٢) بَيْنَ: ظَهَرَ. لَيْلِ شَبَابِي (شعري الأسود، شبابي).
- (٣) فَنَاءً دَلِيلَهَا (؟).
- (٤) الْهَوْلُ: المصيبة الخفيفة (الموت؟).
- (٥) الْبَدْرُ (الهابوب). الْأَفْوَلُ: الغيب.
- (٦) عَرَّتْ (أي الدبأ أو النفس): خدعت. بَرَّتْ: وفّت بما وعدت، صدقت بما قالت. أَصْحَتُ: أملت سمي إليه، سمعت منه. الْقِيلُ: القول.
- (٧) جاء في الذيل والتكملة ذكر ثلاثة إخوة لأبي الخطاب السكوني اسم كل واحد منهم «محمد» أيضاً. هم أبو الحكم (٥: ٦٣٠، رقم ١١٩٩) وأبو عمر (٥: ٦٣٥، رقم ١٢٠١) وأبو الفضل (٥: ٦٣٦، رقم ١٢٠٢).

النصارى (٦٤٦ هـ). روى أبو الخطاب السكوفي فتوناً من العلم عن نفرٍ من أهله ثم عن نفرٍ آخرين منهم: أبو عبد الله بن زرقون (ت ٥٨٦ هـ) وأبو جعفر بن مضاء (ت ٥٩٢ هـ) وأبو عمران المارتنلي الزاهد (ت ٦٠٤ هـ) وعبد الملك بن بدرون (ت ٦٠٨ هـ) وأبو عمر بن عسات (٥٤٢-٦٠٩ هـ) وأبو الحسن بن خروف (ت ٦١٠ هـ) وأبو محمد بن حوط الله (ت ٦١٢ هـ) وأبو بكر بن طلحة الإشيلي (ت ٦١٨ هـ).

وكتب أبو الخطاب السكوفي، في أيام شبابه لبعض الأراء ثم ترك ذلك. وكانت وفاته عن سنٍ عالية، في العشر الأواخر من شعبان من سنة ٦٥٢ (النصف الثاني من آب - أغسطس من عام ١٢٥٤ م).

٢ - كان أبو الخطاب السكوفي حافظاً للحديث وفقهياً وعارفاً بالتاريخ، كما كان مُبرِّزاً في علوم اللغة. وكان فصيحاً بليغاً يحطُّ برؤية وأرتجالاً بين يدي الملوك وفي المحافل الجمهوريّة. وله شعرٌ. غير أن شعره الواصل إلينا عاديٌّ ويؤو بأشياء من الضعف.

وكان أيضاً مُصنِّفاً صنَّع برنامجاً سماه «التذكيرة» ضمَّنه التعريف بشيوخه وبيداركهم العلميّة وبأخوالهم وبطُرُق أخذه عنهم، وقد عدَّ منهم ثبفاً وتسعين شيخاً. وكان هذا البرنامجُ ضحاً ولكنه ضاع لما غادر أبو الخطاب إشبيلية.

وله أيضاً قصيدةٌ سماها «ناظمة الفرائض»^(١) في عقْد العقائد - الحجج الإقناعية في الحجور إذا استعمل في الخطط الشرعية - النفعة الدارّة واللّمة البرهانية في العقيدة السّنية والحقيقة الإيمانية. وقد جُمِعت جُملةً من رسائله الإخوانية خاصّةً ومن أشعاره في كتاب عُنوانه «الفرُّ والدرُّ» (جمعه أبو بكر بن أحيه أبي عمر).

(١) في حاشية الصفحة ٦٣٢ (الذيل والتكملة، السفر الخامس): كذا في الأصل. ولعلّها «الفرائد» (إذ الملوّح أن هذه القصيدة في العقائد الإيمانية من علم الكلام، بينما «الفرائض» في الموارث. والمريدة: اللؤلؤة الثمينة النادرة).

- قال أبو الخطاب محمد بن أحمد الشوكي صاحب هذه الترجمة في السأم من الأسفار ومن أحوال الزمن وأحوال البشر:

أشكو إلى الله ما لاقيت من زمنٍ في غربية عارضت في مآلف الوطن^(١)
إذا تنكر لي حالا (٢) تنكر لي أبناؤه وأثاروا نائراً الإحني^(٢)
أستغفر الله، كم لله من ميثا! لمت الزمان، ولا لوم على الزمن^(٣)
فالأمر لله في الحالات أجمعها، والكل لولاه لم يوجد ولم يكن^(٣)
هو الذي خلق الأشياء مخترعاً فالملح بلامحة الأبواب والفطن^(٤)
وكن مع الله في علم وفي أدب مستوضحاً سنن القرآن والسني^(٥)

- وله في شيء من الجدال الكلامي (علم الكلام):

بمذكر العقل كل الخلق مطلوب كسباً، ولكن لرب الخلق منسوب^(٦)
مشيئة الحق في الأكوان كائنة علماً قديماً، وسر الغيب محبوب^(٧)
وكل شيء فمقدور بقدرته، وهو المسبب، ما للغير تسبب^(٨)

- (١) عارضت في مآلف الوطن: حالت دون استقراره في وطنه.
- (٢) حالا (كذا في الأصل). لعل المقصود: إذا تنكر لي وطني (في حال من أحواله) تنكر لي (أيضاً) أبناء وطني. الصواب أن يقال: حال. ولعل: حالا، خطأ من السخ (في الأصل المخطوط) أو في أثناء التصحيح (عند الطبع) أو من الإهمال.
- (٣) المنة: المروف، الفضل (بلا مقابل).
- (٤) مخترعاً (على غير مثال سابق ومن غير مادة موجودة من قبل).... فاعرف ذلك بعقلك.
- (٥) السن (يفتح ففتح): الطريقة، المثال. السن جمع سنة (بالضم فيها): عمل رسول الله.
- (٦) كل الناس مطالبون بأن يعملوا أعمالهم بعد تفكير (وإرادة)، مع العلم بأن الله تعالى هو الذي يعمل الإنسان قادراً على أعماله (هذا الرأي يرجع في علم الكلام إلى أن أعمال الإنسان مكتوبة عليه منذ الأزل، ومع ذلك فهو مباشرها بإرادته (أو على الأقل يكون راضياً بها).
- (٧) - كل ما يحدث الآن وبعد الآن في العالم هو بإرادة الله القديسة....
- (٨) إن الله وحده قادر على كل شيء، وهو مسبب (موجد) الأشياء كلها. ولا يستطيع أحد غيره أن يوحده شيئاً.

فَلَمْ الْأَمْرَ لِلْأَحْكَامِ وَأَرْضَ بِهَا ، فَكُلُّ حُكْمٍ بِصَفْحِ اللُّوحِ مَكْتُوبٌ (١).

٤- ** الذيل والتكملة : ٥- ٦٣٠- ٦٣٥ (رقم ١٢٠٠).

أبو الحجاج البيهقي

١- هو جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن محمد بن إبراهيم الأنصاري البيهقي، وُلِدَ في بَيَّاسَة من كورة جَبَّانَ في ١٤ من ربيع الأول من سَنَةِ ٥٧٣ (١١٧٧/٩/١٠ م). وقد تَنَقَّلَ في البلاد: زارَ إشبيلية والجزيرة الخضراء وغيرها ثم انتقل إلى تُونِسَ وَلَزِمَ بَلَّاطَ أَبِي زَكَرِيَّا يَحْيَى الْحَفْصِي (٦٢٦- ٦٤٧ هـ) ونال عنده حُظْوَةً فَأَجْرَى أَبُو زَكَرِيَّا لَهُ رَاتِباً شَهْرِيّاً. وألَّفَ البيهقي لأبي زكريا كتاب الإعلام بالحروب الواقعة في صدر الإسلام. وكانت وفاته في الرابع من ذي القعدة من سَنَةِ ٦٥٣ (١٢٥٥/١٢/٥ م) في مدينة تونس.

٢- كان أبو الحجاج البيهقي أديباً بارعاً مُطَّلِعاً على أقسام الكلام من النظم والنثر، عارفاً بآيām العرب وأشعارها في الجاهلية والإسلام كثير الحفظ والرواية يحفظ النوادر والفكاهات المروية عن الأندلسيين مما جعله ندياً للملوك. وكان أيضاً عالماً في اللغة. ثم هو من أشياخ المؤرخين ومؤرخ الأندلس (المغرب ١: ٢٠٥، ٤٢٧، ٧٣: ٢). وهو مصنف له كتاب الإعلام بالحروب الواقعة في صدر الإسلام (من مقتل عُمَرَ بن الخطاب إلى ثورة الوليد بن طريف الخارجي على هرون الرشيد ببلاد الجزيرة الفراتية). - ذيل على تاريخ ابن حيّان - الحماسة المغربية (انتهى من تأليفها في مدينة تُونِسَ، في آخِرِ شَوَالٍ من سَنَةِ ٦٤٦). وله ذيلٌ على كتاب «المتين» (في التاريخ)، لأبي مَرْوَانَ حَيَّانَ بن خلف بن حَيَّانَ (ت ٤٦٩ هـ)، وكان ابن حَيَّانَ قد ألَّفَ هذا الكتاب في عشرة أجزاء وجعلَه قاصراً على أحداث عصره (نفع الطيب ٣: ١٨٨).

(١) كن راصاً بالأحكام (ما يحكم عليك الله به في هذه الدنيا)، إذ لا فائدة من الاعراض عليها فإنها مكتوبة (عليك) في صفحة اللوح المحفوظ (في السماء، منذ خلق الله السماء والأرض).

- من مقدمة كتاب الحماسة المغربية:

..... أما بعد، فإنني قد كنتُ في أوَانِ حَدَاتِي وزمانِ شَيْبَتِي ذا وَلُوعٍ بالأدب
وحبِّهِ في كلامِ العرب. ولم أزلُ مُتَّبِعاً لمعانيه ومُفْتَشّاً عن قواعده ومَبَانِيهِ إلى أن
حَصَلْتُ لي جُمْلَةٌ منه لا يَسَعُ الطالبُ المُجْتَهِدُ جَهْلُهَا، ولا يَصْلُحُ الناظِرُ في مُثْلِ هذا
العلمِ إلَّا أن يكونَ عنده مِثْلُهَا. وحَمَلْتُني الحُبَّةُ في ذلك العلمِ والوَلُوعُ به على أن
جَمَعْتُ ممَّا أَخْتَرْتُهُ وَأَسْتَحْسَنْتُهُ من أشعار العرب جاهليِّها ومُخَضَّرِمْها وإِسْلَامِيَّها
ومُوَلَّدِها^(١) ومن أشعار المُحَدِّثِينَ من أهلِ المشرق والأندلس وغيرهم ما تَحْسُنُ به
المُحَاضِرَةُ وتَجْمَلُ عليه المناظرة^(٢).

ثم إنني رأيتُ أن بَقَاءَها دونَ أن تَدْخُلَ تحتَ قانونِ يَجْمَعُها ودِيَانِ يُؤَلِّفُها مُؤَدِّنُ
بذَهايَها ومُؤَدِّ إلى فسادِها. فرأيتُ أن أضُمَّ مُخْتَارَها وأَجْعَ مستَحْسَنَها تحتَ أبوابِ
تَقْيِدٍ نافرَها وتَضَمُّ نادرَها. فنظرتُ في ذلك فلم أَجِدْ أَقْرَبَ تبويماً ولا أحسنَ ترتيباً
مِمَّا بَوَّبه ورَتَّبه أبو تمامٍ حَبِيبُ بنِ أوسٍ رَحِمَهُ اللهُ تعالى في كتابهِ المعروف بكتاب
الحماسة ولا أحسنَ من الاقتداء به والتَّوَحُّيِ لمذهبه لِتَقْدِيمِهِ في هذه الصَّنَاعَةِ وَأَنْفِرَادِهِ
منها بأَوْفَرِ حِظٍّ وَأَنْفَسِ بِضَاعَةٍ. فَاتَّبَعْتُ في ذلك مَذْهَبَهُ ونَزَعْتُ مِنْزَعَهُ، وَقَرَنْتُ
الشَّعْرَ بما يُجَانِسُهُ ووَصَلْتُهُ بما يُنَاسِبُهُ. ونَقَعْتُ ذلكَ وَأَخْتَرْتُهُ على قَدْرِ اسْتَطَاعَتِي
وَبَلُوغِ طاقَتِي وَجُهْدِي.....

- وله هجاء فيه مُجُونٌ في غلامٍ يُحِبُّه كان يقرأ عليه ثم شبَّ، قاله يخاطب آخر:
قد سَلَوْنَا عن السَّيِّئِ تَذْرِيبَهُ وَجَفَوْنَاه إِذْ جَفَا بِالتَّيِّبِ؛

(١) الشعر المحضرم هو الذي نظمته شاعر عاش في الجاهلية والإسلام. والشعر المولد هو الشعر العباسي لأنَّ
عددًا كبيراً من الشعراء العباسيين كانوا مولودين بين أب عربي وأم غير عربية، أو لأنَّ معانيه كانت
مولدة (مبتكرة أو منطوية) فيها إلى المعاني التي كانت عند غير العرب.

(٢) المحاضرة كلام القوم الذين يحضرون مجلساً واحداً ويتناول المحاضرون فيه كلاماً وأخباراً ممَّا يحضُرهم
ومن مُتَنَاول أَيْدِيهِمْ وذَكَرَتِهِمْ. والمناظرة: المباحثة في أمرٍ بالمُحَاجَّةِ (بإقامة المُجَجِّج) ومحاولة كلِّ منَاظِر
أن يتغلبَ بالمُجَجَّةِ على منَاظِرِهِ.

وَتَرَكْنَاهُ صَاحِباً لِلْأَنْفَاسِ خَدَعُوهُ بِالزُّبُرِ وَالتَّمْوِيهِ:
لِمُضِلٍّ يَهْدِيهِ لِحَوْ مُضِلٍّ وَسَفِيهِ يَقُودُهُ لِسَفِيهِ!

٤-★★ المغرب ٢: ٧٣؛ الفصح الملقى ٩٤-٩٥؛ وفيات الأعيان ١: ٢٣٣، ٧:
٢٣٨-٢٤٤ (وفيها مختارات كثيرة من كتاب الحماسة المغربية)؛ نفع الطيب ٣:
١٨١، ٣١٦-٣١٧؛ شذرات الذهب ٥: ٢٦٢؛ بروكلمن ١: ٤٢٤، الملحق
١: ٥٨٨-٥٨٩؛ الأعلام للزركلي ٩: ٣٢٩-٣٣٠ (٨: ٢٤٩).

محمد بن عبد الله المرسي

١- هو شرف الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل السلمي
المرسي، وُلِدَ في مُرْسِيَّة في أَوَّلِ سَنَةِ ٥٧٠ (صيف ١١٧٤) أو آخِرِ ٥٦٩. قرأ القرآن
على أبي الحسين محمد بن غلبون المرسي، وسمع النحو من أبي الحسن علي بن يوسف بن
شريك الدائقي والطيب بن محمد بن الطيب والشلوبين وتاج الدين الكندي، وسمع
الموطأ في المغرب من الحافظ أبي محمد عبد الله بن محمد بن عبيد الله الحجري.

وبعد أن تطوَّفَ في الأندلس والمغرب في طلب العلم رَحَلَ، سَنَةَ ٦٠٧ وَحَجَّ
وتطوَّفَ في الحجاز والشام والعراق ومِصْرَ وخُرَاسَانَ يَزِدَادُ عَلِيًّا أو يتصدَّرُ
للتدريس^(١). وفي سَنَةِ ٦٢٤ انتقل إلى مِصْرَ. وقد كانت وفاته في عَرِيشِ مِصْرَ، وَهُوَ
مُتَوَجِّهٌ إِلَى دِمَشْقَ، في خَامِسَ عَشَرَ رَجَبِ الأَوَّلِ من سَنَةِ ٦٥٥ (١٢٥٧/٤/١م)^(٢).

٢- كان مُحَمَّدُ بن عبد الله المرسي مُفَسِّراً وَمُحَدِّثاً وَفَقِيهاً، كما كانت له مُشَارَكَةٌ
في شَيْءٍ من المَهَنْدِسَةِ المُسْتَوِيَّةِ^(٣) وفي عِلْمِ الكلام. وكذلك كان أديباً ناثراً وناظماً

(١) راجع معجم الأدباء ١٨: ٢١٠، ٢١١؛ بغية الوعاة ٦١.

(٢) في بروكلمن (الملحق ١: ٥٤٦): في ٣/ ٤/ ١٢٥٧م.

(٣) في معجم الأدباء (١٨: ٢١١)، راجع بغية الوعاة (٦١): «وكان نبيلاً ضريراً يحلّ بعض مشكلات
أقليدس». وهذا مستغرب لأن الأعمى لا يستطيع معالجة المسائل القائمة على الأشكال (إلا إذا كانت
كلمة «ضرير» خطأ في النسخ). ومع أن الصفدي قد ترجم له في الوافي بالوفيات (٣: ٣٥٤-٣٥٥)
فلأنه لم يذكره في نكت الهميان في نكت العميان.

وعالماً بالنحو. وكانت له تصانيف كثيرة وَرَدَ له منها: رَيِّ الطَّهَّان في تفسیر القرآن (كبير جداً في عشرين جزءاً، قَصَدَ منه أن يَرْبِطَ عند التفسير بين الآيات) - التفسير الأوسط (عشرة أجزاء) - التفسير الصغير (ثلاثة أجزاء) - مختصر صحيح مُسَلَّم - كتاب في أصول الفقه والدين - كتاب في البديع والبلاغة - الإملاء على المُفَصَّل (للزَّمَخْشَرِي) - الضوابط النحوية في علم العربية - الكافي في النحو - تعليق على الموطأ. وله عددٌ من التعاليق أيضاً في فنون مختلفة.

٣- مختارات من شعره

- قال مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَرْسِيِّ فِي الثِّقَةِ بِمَعْنَى اللَّهِ:

قالوا: مُحَمَّدٌ، قد كَبُرَتْ - وقد أتى داعي المُنُونِ - وما اِهْتَمَمْتَ بِزَادٍ (١) !
قلتُ: الكَرِيمُ - مِنْ القَبِيحِ لَضَيْفِهِ عِنْدَ القُدُومِ مَحْيِيَّتُهُ بِالزَّادِ.

- وقال في الغزل:

قالوا: فلانٌ قد أزال بهاءَهُ ذاك العِذارُ، وكان يَدْرُ تَمَامَ (٢).
فأَجَبْتُهُمْ: بل زادَ نورُ بهائِهِ، ولذا تَضَاعَفَ فِيهِ قَرَطُ غَرَامِي.
واستَقْصَرَتْ أَلْهَاطُهُ فَتَكَاتِهَا فَأتى العِذارُ يُمِدُّهَا بِسِهَامِ (٣).

- وقال في أَنَّ النِّجَاةَ (يَوْمَ الْقِيَامَةِ) تَكُونُ بِاتِّبَاعِ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ:

من كان يَرِغَبُ فِي النِّجَاةِ فَمَا لَهُ غَيْرُ اتِّبَاعِ الْمُصْطَفَى فِيمَا أَتَى (٤).
ذاك السَّبِيلُ الْمُسْتَقِيمُ، وَغَيْرُهُ سُبُلُ الْغَوَايَةِ وَالضَّلَالَةِ وَالرُّدَى (٥).

(١) مُحَمَّدٌ (منادى: يا مُحَمَّد). المُنُون: الموت. الزاد (هنا): التقوى والأعمال الصالحة التي تنفع الإنسان في الآخرة. في القرآن الكريم (٢: ١٩٧، البقرة): ﴿وَمَنْ زَادُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾.

(٢) بهاءه: جماله. العِذار: الشعر النابت في الوجه. كان بدر تمام: كان وجهه قبل أن يبت شعر وجهه أبيض كله (يشبه البدر)...

(٣) - مع تقدّمه في الشباب خَفَّ السَّحَرُ فِي عَيْنَيْهِ فَمَوْضُ مِنْ ذَلِكَ الشَّعْرُ الَّذِي يَبْدَأُ فِينَبِتُ فِي وَجْهِهِ (وكانوا يَرَوْنَ أَنَّ بَدْءَ نَبَاتِ الشَّعْرِ فِي الْوَجْهِ يَزِيدُ فِي الْجَمَالِ).

(٤) المصطفى: مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ. فِيمَا أَتَى بِهِ مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ.

(٥) الردى: الموت، الهلاك.

فَاتَّبَعَ كِتَابَ اللَّهِ وَالشَّنَّ الَّتِي صَحَّتْ فَذَاكَ إِذَا اتَّبَعْتَ هُوَ الْهُدَى^(١)
وَدَعَ السُّؤَالَ بِكُمْ وَكَيْفَ؟ فَإِنَّهُ بَابٌ يَجْرُ ذَوِي الْبَصِيرَةِ لِلْعَمَى^(٢).
السَّيْنُ مَا قَالَ النَّبِيُّ وَصَحْبُهُ وَالتَّابِعُونَ وَمَنْ مَنَاهِجَهُمْ قَفَا^(٣).

٤- ** معجم الأدياء ١٨ : ٢٠٩ - ٢١٣ : الوافي بالوفيات ٣ : ٣٥٤ - ٣٥٥ : بقية الوعاة
٦٠ - ٦١ : نفع الطيب ٢ : ٢٤١ - ٢٤٢ : بروكلمن، الملحق ١ : ٥٤٦ : الأعلام
للزركلي ٧ : ١١٠ (٦ : ٢٣٢).

ابن الجنان الأنصاري

١- هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد القيسي المعروف بابن الجنان^(١)
الأنصاري من أهل الرِّبَةِ. أَخَذَ ابْنُ الْجَنَانِ الْأَنْصَارِيُّ الْعِلْمَ عَنْ نَفَرٍ مِنْهُمْ: أَبُو الْحَسَنِ
سَهْلُ بْنُ مَالِكٍ وَأَبُو بَكْرٍ عَزِيزُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْقَيْسِيُّ الْمُرْسِيُّ (ت ٦٣٦ هـ) والمُعرفُ
بِابْنِ خَطَّابِ النَّحْوِيِّ (نفع الطيب ١ : ٢٢٢) ثُمَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْحَقِّ بْنِ قَطْرَالِ
الْمُتَوَفَّى أَيْضاً سَنَةَ ٦٣٦ لِلْهِجْرَةِ (راجع نفع الطيب ٥ : ٢٥٦ و ٧ : ٤١٦) ثُمَّ أَبُو
الرَّيِّعِ بْنُ سَالِمٍ وَأَبُو عَيْسَى بْنُ السَّدَّادِ ثُمَّ أَبُو عَلِيٍّ الشَّلُونِيُّ (ت ٦٤٥ هـ).

وَاتَّصَلَ ابْنُ الْجَنَانِ الْأَنْصَارِيُّ بِالْمُتَوَكِّلِ مُحَمَّدِ بْنِ يَوْسَفَ بْنِ هُوْدٍ صَاحِبِ مُرْسِيَّةَ
(٦٢١ - ٦٣٥ هـ). فَلَمَّا اسْتَوْلَى الْإِسْبَانُ عَلَى مُرْسِيَّةَ (٦٤٠ هـ) انْتَقَلَ إِلَى أَوْرُيُولَةَ. ثُمَّ
جَاءَتْهُ دَعْوَةٌ مِنْ ابْنِ خُلَاصٍ صَاحِبِ سَبْتَةَ (المغرب) فَانْتَقَلَ إِلَى سَبْتَةَ. ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى

(١) كتاب الله : القرآن الكريم . السن (جمع سنة) : الصل الذي كان الرسول يقوم به ، والأحاديث التي كان
يقولها .

(٢) في الحياة أمور مغيبية (وراء الحس الإنساني) لا فائدة من محاولة معرفتها ، والبحث عن أسبابها
وكيميائياتها يزيد في غموضها وفي حيرة الباحث .

(٣) الصحب والصحاب : الذين عاشوا في زمن الرسول وعرفوه وصحبوه . التابعون : الذين لم يروا الرسول ،
ولكن رأوا صحبه . قفا يقفو : تبع .

(٤) اختار خير الدين الزركلي أن يسمي ابن الجنان هذا (الأعلام ٧ : ٢٥٦ = ٧ : ٢٩) ابن الجنان بالياء
بنقطين تحتها . راجع نطقه .

بجاية. وفي بجاية مَرَضَ ثُمَّ تَوَفَّى نحو ٦٥٥ هـ (١٢٥٧ م).

٢- كان ابنُ الجنانِ الأنصاريُّ من العلماء بالحديث والفقه، كما كان أديباً وخطيباً بارعاً وكاتباً مترسلاً وشاعراً مُحَسَّناً. وفنُونُ شعره الرُّهْدُ والمواعظ والبديعيات (القصائدُ في مدحِ الرسول) والألغاز. والسهولة والعذوبة تغلبان على شعره. ونثره متينٌ حَسُنَ الصِّناعة. وله موشحات.

٣- مختارات من آثاره

- قال ابنُ الجنانِ الأنصاريُّ (في مرضه الذي تَوَفَّى فيه) يَرْجُو رَحْمَةَ اللَّهِ:

جَهْلَ الطَّيِّبُ شِكَايِي؛ وَشِكَايِي أَنْ الطَّيِّبُ هُوَ الَّذِي هُوَ مُرْضِي^(١).
فَإِنْ أَرْضِي بُرِّي تَدَارِكْ فَضْلَهُ، وَإِنْ أَرْضِي سَقَمِي رَضِيَتْ بِمَا رَضِي.
مَا لِي اعْتَرَضَ بِالَّذِي يَقْضِي بِهِ، لَكِنْ لِرَحْمَتِهِ جَعَلْتُ تَعْرِضِي^(٢).

- وقال في الشفاعة برسول الله:

أَيُّذْهَبُ يَوْمٌ لَمْ أَكْفُرْ ذُنُوبَهُ بِذِكْرِ شَفِيعٍ فِي الذُّنُوبِ مُشْفَعٌ^(٣).
وَلَمْ أَقْضِ فِي حَقِّ الصَّلَاةِ فَرِيضَةً عَلَى ذِي مَقَامٍ فِي الْحِسَابِ مُرْفَعٌ^(٤).
أُرْجَى لَدَيْهِ النِّفْعَ فِي صِدْقِ حُبِّهِ، وَمَنْ يَرْتَجِ الْمُخْتَارَ لَا شَكَّ يُنْفَعُ^(٥).
وَأَهْدِي إِلَى مِثْوَاهِ مَنْيَ تَحِيَّةٍ إِذَا قَصَدْتَ بَابَ الرِّضَا لَمْ تُدْفَعْ.

(١) الطيب (في النظر الأول): الحكيم الذي يداوي الناس. الشكاية: المرض. الطيب (في النظر الثاني): الله.

(٢) - مع أَنَّ الإنسان المؤمن لا يجوز له أن يعترض على أحكام الله، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَنْبَغُ مِنْ أَنْ يَتَعَرَّضَ (يتصدى، يتوجه) الإنسان في طلب الخير من الله.

(٣) الشفيع المشفع يوم القيامة محمد رسول الله (ولكنه يشفع بعد إذن الله له بذلك). ففي القرآن الكريم (٣٢: ٤)، سورة السجدة: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ (من دون الله) مَنْ وَلَّى وَلَا شَفِيعٌ﴾ ثم (٣٥: ٢)، سورة البقرة: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ (عند الله) إِلَّا بِإِذْنِهِ؟﴾.

(٤) ذو مقام في الحساب (يوم القيامة) مرفع (عالي المقام): محمد رسول الله.

(٥) المختار (محمد رسول الله).

- الموشحة المشهورة .

هذه الموشحة بديعة في مدح الرسول وذكر فضائله ومُعجزاته . وهي مشهورة جداً لا تزال إلى اليوم تُسمع في المناسبات الدينية . ولقد كانت شهرتها منذ أيامه هو واسعة جداً عارضها أو قلدها شعراء كثيرون^(١) . من هذه الموشحة .

الله زادَ مُحَمَّدًا تَكْرِيمًا
وَحِبَاءً فَضْلًا مِنْ لَدُنْهُ عَظِيمًا^(٢)
وَاخْتَصَّاهُ فِي الْمُرْسَلِينَ كَرِيمًا
ذَا رَأْفَةٍ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا . صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا^(٣) .

★ ★ ★

حَارَزَ الْحَامِدَ وَالْمَادِحَ أَحَدًا^(٤) ،
وَزَكَّتْ مَنَابِيهَ وَطَابَ الْمَحْتَبَدُ^(٥) .
وَتَأْتَلَّتْ عَلَيْهِ أَوَاهُ وَالسُّودَدُ^(٦)
مَجْدًا صَمِيمًا حَادِثًا وَقَدِيمًا . صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا^(٧) .

★ ★ ★

فَخَرَّ لَأَدَمَ قَسْدَ تَقَادَمَ عَصْرُهُ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْذَرَى وَيَجْرَى ذِكْرُهُ .
سِرُّ طَوَاهِ الطُّبَّاءِ فَمَنْ نَشَرُهُ

(١) راجع نفح الطيب ٧ : ٤٣٢ - ٥١٩ (في أماكن كثيرة متتالية ومتفرقة).

(٢) حباء: أعطاه . من لدنه: من عنده (لا يقال إلا في الله).

(٣) راجع التطبيق في ترجمة ابن سهل الإشبيلي (ت ٦٤٩ هـ) على « صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » .

(٤) أحمد (محمد رسول الله).

(٥) زكا: طاب ، طهر . النسب (القراءة) . والمناسب: أصول الفرد وأبواه . المحتد: الأصل (الكرم) والطبع (السلام).

(٦) تأتل: ثبت ، عظم . السودد (والسودد ، أيضاً): السيادة .

(٧) الصميم: وسط الشيء ، الخالص النقي من كل شيء (غيراً أو شراً).

معنى السجود لآدم تفهيماً^(١). صلّوا عليه وسلّموا تسليمًا.

★ ★ ★

آيَاتُهُ بَهَرَتْ سَنَاءً وَسَنَاءً^(٢)

وَأَفَادَتْ الْقَمَرِينَ مِنْهُ ضِيَاءً^(٣)

وَعَلَّتْ بِأَعْلَامِ الظُّهُورِ لَوَاءً^(٤)

فَهَدَى بِهِ اللَّهُ الصِّرَاطَ قَوِيًّا. صلّوا عليه وسلّموا تسليمًا.

★ ★ ★

دَنَّتِ النُّجُومُ الزُّهْرُ يَوْمَ وَلادَتْهُ،

وَرَأَتْ حَلِيمَةً آيَةً لِسَادَتِهِ.

وَتَحَدَّثَتْ سَفْدٌ بِذِكْرِ سَعَادَتِهِ

فَتَفَاءَلُوا، نِعَمَ الْيَتِيمِ يَتِيًّا^(٥). صلّوا عليه وسلّموا تسليمًا.

★ ★ ★

مَا زَالَ بُرْهَانُ النَّبِيِّ يُلُوحُ:

يَفْسُدُ بِهِ الْإِعْجَازُ ثُمَّ يَرُوحُ،

(١) في الأخبار المروية أنّ «محمداً» (صلّى الله عليه وسلّم) كان موجوداً قبل آدم أبي البشر. وفي هذه المحسنة أنّ الله أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم (راجع القرآن الكريم، مثلاً، ٣٤: ٢، سورة البقرة) لأنّ «النطفة» التي نشأ منها «محمّد» كانت موجودة في آدم منذ ذلك الحين (وهذه أقوال مخالفة لما ورد في القرآن الكريم، في أماكن كثيرة).

(٢) الآية: العلامة، المعجزة التي يختصّ الله بها بعض خلقه دون بعض (انقلاب المصاحبة كان آية لموسى). بهر: أدهش، حير، غلب، ستر (الأشياء المماثلة). السناء: ضوء البرق. السناء: العلوّ، الرفعة.

(٣) القمران: الشمس والقمر.

(٤) العلم: الجبل. الظهور جمع ظهر: رأس الجبل. اللواء (يسير بها الرجل فيتبعه الناس). وعلت..... فاق (محمّد) برسائله جميع الذين جاءوا قبله.

(٥) دنا: اقرب. الزهر: اللامعة. حليلة السعدية: مرضعة رسول الله. سعد (بنو سعد): قبيلة حليلة السعدية) - في هذه الأشرطة علامات ينسبها الشاعر (كما نسب نعر كثيرون مثلها) إلى ولادة الرسول (وليس من الأخبار الصحاح - وقد قال الرسول: أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد: اللحم المحمّف).

حَسَى أَنَاءَ بِمَسَدَ ذَاكَ الرُّوحُ^(١)
يُوحِي لَهُ وَخِيَ الْآلِهَ حَكِيمًا. صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا.

★ ★ ★

بَرَكَاتُهُ أَرْتَسَتْ عَلَى التَّغْدَادِ^(٢)
كَمْ أَطَقَمَتْ من حَاضِرِينَ وَبَادِ
من قَصَصَةٍ أَوْ حَنِينَةٍ من زَادِ
رِزْقًا كَرِيمًا لِلْجِيوشِ عَمِيًّا^(٣)! صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا.

★ ★ ★

وَالْجِدْعُ حَنَّ لِسَه حَنِينِ الْوَالِدِ^(٤)،
يُيَدِي الَّذِي يُخْفِيهِ من بِلَالِهِ^(٥).
أَفْلا يَحْنُ مُتَمِّمٌ بِجِهَالِهِ^(٦)
يَشْتَاقُ وَجْهًا لِلنَّبِيِّ وَسِيًّا^(٧)? صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا.

★ ★ ★

ذَاكَ الشَّفِيعُ مَقَامُهُ مُحَمَّدٌ،

-
- (١) برهان النبي... ما عهده معاصروه من صدقه وأمانته واهتمامه بخير قومه. الروح: جبريل.
(٢) أرى: زاد. الحاضر: الساكن في المدينة. البادي: الساكن في البادية. القصعة: وعاء صغير يوضع فيه الطعام. الحنية (ليست في القاموس). الحني: ما يؤخذ (من الأشياء) باليد: مقدار كفاً (شيء قليل).
(٣) المقيم: الجمع الكثير.
(٤) كان في صدر مسجد الرسول في المدينة جذع (قطعة من ساق شجرة ضخمة) كان الرسول يقف عليه ليخطب في المسجد. فبعد وفاة الرسول أخذ نفر من الناس يأتون إلى هذا الجذع للتبرك به ثم يقولون إنهم يسمعون منه حنباً (صوتاً بدلاً على الشوق والحزن) كحنين الوالد (الشديد الحزن، المتحير). فقطع عمر بن الخطاب هذا الجذع لأنه قدر أن سلوك نفر من الناس عند هذا الجذع بدلاً على الوثنية.
(٥) البليال: اضطراب العقل وتحيريه بأفكار مختلفة تخطر له.
(٦) المتيمم: الذي أمرضه الحب.
(٧) الوسيم: الجميل.

وَلَوْ أَذِنَ لَكَ يَتَذَكَّرُ الْمُعْتَدُونَ.
فَإِذَا تَوَافَيتَ لِلْحَبَابِ وَفُودُ^(١)،
قَالُوا: تَقْدَمُ بِالْأَنَامِ زَعِيمًا. صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا.

★ ★ ★

فَيَقُومُ بِالْبَابِ الْعَلِيِّ وَيَسْجُدُ،
وَيَقُولُ: يَا مَوْلَايَ، أَنَّ الْمَوْعِدُ^(٢)،
فِيْجَابُ: قُلْ يُسْمَعُ إِلَيْكَ، مُحَدِّدُ!
وَنُزِيكَ مَنَا نَضْرَةَ وَنَعْمًا^(٣). صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا.

★ ★ ★

أَعْظِمَ بِمِرْ مُحَمَّـدٍ وَبِجَاهِهِ.
أَكْرِمَ بِهِ مَتَوَسِّلًا لِلْإِلَهِ^(٤)،
شَرِبْتَ كِرَامُ الرُّسُلِ فَضْلَ مِيَاهِهِ^(٥)،
فَقَدَتِ تَعْظَمُ حَقَّهُ تَعْظِيمًا. صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا.

★ ★ ★

يَسَا سَامِعِي أَخْبَارِهِ وَمَقَاخِرِهِ
وَمُطَالَمِي آثَارِهِ وَمَاثِرَةِ^(٦)،
وَمُؤَمَّـسِلِي وَافِي الثَّوَابِ وَوَاغِرِهِ،
إِنْ شِئْتُمْ فَوَزَا بِذَاكَ عَظِيمًا، صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا.

-
- (١) للحساب: ليوم الحساب (يوم القيامة) وفود الأمم المختلفة (من أتباع الأنبياء).
(٢) فيقوم (يقف) بالباب العليّ (بين يَدَيِ اللَّهِ). أَنْ: قرب، حلّ. الموعد: الوعد (وعد الله بتفضيل أمة محمد على غيرها من الأمم، ففي القرآن الكريم: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ بِالنَّبَأِ الْمَجْهُولِ - لِلنَّاسِ﴾).
(٣) النضرة (هنا) تَلَأُوْا الوجه من نشاط أو سرور.
(٤) تَوَسَّلَ الرجل: طلب شيئاً (مَنْ هُوَ فَوْقَهُ) مع الرجاء.
(٥) شربت الرسل فضل مياهه (إنائه): كانت رسالاتهم جزءاً من رسالته.
(٦) الماثرة (بضمّ التاء المثناة): المكربة (المعمل الكريم) المتوارثة.

- من وصية كتبها ابن الجنان الأنصاري على لسان ابن هود^(١) إلى أولاده وعماله الموظفين في دولته).

.... إنا - والله المرشد - لنعلم أن الأمر الذي قلّدنا الله تعالى منه ما قلّده، وأسندّه إلينا من أمور خلقه ما أسندّه، قد ألزّمنا من حقوقه الواجبة وفروضه الراتبة ما لا يُستطاع إلا بمعونته أداؤه^(٢)، ولا يستتب إلا بتوفيق الله تعالى انتهاؤه وابتدأؤه. فهو المشكور عزّ وجلّ على نعمته والمستعان على ما يُدني من رضاه ويُقرّب من رحمته. وإن كلّ امرئ مشغول، وعن خوصية^(٣) نفسه مسؤول. ونحن بما استرعانا الله تعالى مشغولون، وعن الكبير والصغير مسؤولون. وعلينا النصيحة لله في عبادته وبلاده، والنظر لهم بمتهمي جدّ المجتهد واجتهاده. ولا قوة إلا بالله عليه توكلنا، وبه إليه توكلنا^(٤). فعيننا تسهرُ لثنام للرعية عيونهم، وتحركنا يتصل ليحصل لهم سكونهم. وأملنا ألا نقرّ فيهم بحول الله تعالى ظلمًا ولا هضمًا^(٥)، ولا نخرم لهم في إقامة حقوق الله ما استطعنا نظرًا. وأتّى^(٦) ينصرف، عن هذا القصد بعمله وبنيته، من يعرف أن الله جلّ جلاله لا يجوز ظلم ظالم في برّيته^(٧). ولعلّ الله الذي حملنا ما حملنا، واستعملنا بمشيئته فيما استعملنا، أن يهب لنا توفيقه ويسلك بنا إلى هداه طريقه.

- دَم الدنيا (من خطبة لابن الجنان الأنصاري):
.... قُبِسَت الدارُ داراً لا تُداري، ولا تُقبلُ لعائرها عِثاراً^(٨)، ولا تُقبلُ

(١) المتوكل بن هود صاحب مرسية (٦٢١ - ٦٣٥ هـ).

(٢) الراتب: المتكرر على نسق واحد. أداؤه: القيام به.

(٣) الخوصية تصغير الخاصية التي هي نسبة إلى الخاصة (ما يخصّ نفسك دون غيره).

(٤) نستعين بالله في طلبنا شيئاً من الله.

(٥) الهضم: أن يكون لأحد عندك حقّ تقطعه جزءاً منه فقط (والظلم أن نلبيه كلّ حقّه).

(٦) أتّى: كيف؟

(٧) البرية: الخلق (بالمفتح) جميع الناس.

(٨) الدار: هذه الدنيا. لا تقبل لعائرها عِثاراً (لا ترفع ساقطاً من سقطته): لا تغفر ذنباً (جاء به أحد خطأ).

لِمُعْتَذِرٍ اعْتَذَاراً، وَلَا تَقِي مِنْ جَوْرِهَا^(١) حَلِيفاً وَلَا جَاراً. وَلَيْسَ لَهَا مِنْ عَهْدٍ وَلَا ذِمَامٍ: كَمْ فَتَكَتْ بِقَوْمٍ غَافِلِينَ عَنْهَا نِيَامٍ، كَمْ نَازَلَتْ بِنَوَازِلِهَا مِنْ قِبَابٍ وَخِيَامٍ^(٢)، كَمْ بَدَلَتْ مِنْ سَلَامَةٍ بِدَاءٍ وَمِنْ صِحَّةٍ بِسَقَامٍ.. كَمْ أَبَادَتْ طَوَارِقَ حَوَادِثِهَا مِنْ شَيْخٍ وَكَهْلٍ وَغُلَامٍ. لَا تُبْقِي عَلَى أَحَدٍ، وَلَا تَرْثِي لَوَالِدٍ وَلَا وَلَدٍ. وَلَا تُخْلِدُ سُرُوراً فِي خَلْدٍ^(٣)، وَلَا يَمْتَدُّ فِيهَا لِأَمَلٍ أَمَدٌ. بَيْنَا يُقَالُ قَدْ وَجَدَ، يُقَالُ قَدْ فَقَدَ! بَعْدَ مَا قَدْ طُبِعَتْ عَلَى نَكَدٍ وَكَمَدٍ، فَالْفَرْحُ فِيهَا تَرَحُّ، وَالْحَيْرَةُ عَيْرَةٌ^(٤)، وَالضَّحْكُ وَالْأَبْسَامُ بُكَاءٌ وَأَدْمَعُ سِجَامٌ^(٥). تُفَرِّقُ الْأَحْيَةَ بَعْدَ اجْتِمَاعِهِمْ، وَتُسَكِّنُ الْوَحْشَةَ مُؤْنَسَ رَبَاعِيهِمْ^(٦)، وَتُبَيِّحُ بِالْجِيَامِ^(٧) جِمَى الْأَعْرَةِ فَلَا سَبِيلَ إِلَى امْتِنَاعِهِمْ، وَتَسَبِّحُ رُكَّائِبَ الْخَلَائِقِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَارْتِجَاعِهِمْ^(٨)، فَيَسِيرُونَ طَوْعَ الرِّمَامِ^(٩)، وَيُلْقُونَ مَقَادَةَ التَّنْذِيلِ وَالِاسْتِئْلَامِ، حَتَّى يَلْجَأُوا بِالرِّغَامِ وَيَنْزِلُوا بِطُوقِ الرُّجَامِ وَيَحِلُّوا الْوَهْدَ بَعْدَ الْمَقَامِ السَّامِ^(١٠). فَلَا نَاجٍ مِنْ خَطْبِهَا الْعَظِيمِ وَلَا سَلِيمٌ^(١١): يَتَسَاوَى فِي حُكْمِ النَّيَةِ الْأَغْرُ وَالْبَهِيمُ

(١) وقى: بقي: حى، دافع عن. الجور: الظلم، الحيد عن طريق الحق.

(٢) نازلت: حاربت، اعتدت. النازلة: المصيبة. قباب (أهل القباب). القبة: خيمة كبيرة من جلد يكتسها الرؤساء والأغنياء. والخيمة تكون (في العادة صغيرة من شعر أو صوف أو نسيج آخر وسكسها عاتة الناس). الدنيا عدو لجميع الناس.

(٣) لا ترضي لفنان: لا ترحمه. لا تخلد: لا تنقي، لا تديم. ثم اقرأ: ولا تخلد سروراً ولا في خلد (في بال): لا يحظر سأل أحد أن الدنيا تدوم لأحد.

(٤) ترح: حزن. الحيرة: السرور. عيرة: دمة (حزن، أسف).

(٥) السجام مصدر سجم: سال (كثيراً أو قليلاً). وان الخنأ (هنا) يصف الدموع بالمصدر «سجام» والمصدر (إذا جعلناه صفة) يلزم الأفراد أكان الموصوف مفرداً أو جمعاً.

(٦) الرباع جمع ربع (بالفتح): المكان المسكون.

(٧) الجيام (بالكسر): الموت.

(٨) تحنت: تحرص وتحث على السرعة (نسوق بعنف). الركائب جمع ركوبة: دابة تركب في السفر. إلى الله (أي بالموت). ارتخاع (الخلق إلى الله: ردّ الناس إلى الله (يوم القيامة) لحسابهم.

(٩) الرمام: لجام الدابة، رستها.

(١٠) الرغام: التراب. الرجام جمع رجة (بالفتح): حجر يصب على القبر. الوهد: الأرض المنخفضة، الحفرة. السام (حقاً أن تكون: السامي): العالي (لأنّ المنقوص تلزمه الياء في التعريف والإضافة: هو سام، ولكنه سامي المقام والسامي في المقام.

(١١) الخطب: المصيبة. الخطب العظيم: الموت. سليم معطوفة على ناج.

٤- ** عنوان الدراية ٣٠٢-٣٠٦، الإحاطة (١٣١٩ هـ) ٢: ٢٥٦-٢٦٤، نفح الطيب ٧: ٤٠٦-٤٣٨، ٤٤٠-٤٤١، ٥٠١-٥٠٢، ٥٠٦-٥٠٧، الأعلام للزركلي ٧: ٢٥٦ (٢٩).

أبو الحسن الشاذلي

١- هو نور الدين أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشريف^(٢) الرزوي الشاذلي، وُلِدَ في قرية غُمارَة قرب سَبْتَة^(٣)، سنة ٥٩٣ هـ (١١٩٦ م) ونشأ فيها وتلقَى علومه الأولى.

تاقت نفسُ أبي الحسن إلى التصوف منذ مَطْلَعِ شبابه فانتقل إلى رَزْوِيلَة^(٤). ثم إنّه جاء إلى فاسَ فلقِيَ نَفراً من أتباع الصوفي المشهور أبي القاسم الجُنيد البغدادي (ت ٢٩٧ هـ) ومن أتباع أبي مدين، أشهرهم عبد السلام بن مشيش (ت ٦٢٥ هـ) وأبو عبد الله محمد بن جرّهم المعروف بابن حَرَّازِم وبأبي جرّزَم (ت ٦٣٣ م) وأخذ عنهم مُعَظَمَ معارفه وطريقة سلوكه في التصوف.

(١) المنيّة: الموت. الأعزّ: الأبيض (الكريم الأصل). البهم: الأسود (المجهول الأصل). ويقال للشئ إذا لم يكن واضحاً في جودته أو في رداءته: لا أعزّ ولا بهيم. المضم (بالفتح): الدليل.

(٢) أبو الحسن الشاذلي من البربر أهل المغرب الأقصى كما يدلّ على ذلك مولده في قرية غمارَة وتلقّبه في المغرب في مطلع حياته - في رزويلة وفاس - ولكنّ أتباعه المتأخرين رفعوا نسبه إلى الطوبين عامّة مرّة، وإلى الأدارسة مرّة ثانية خاصّة - ومن هنا أطلقوا عليه لقب الشريف. وبحسن أن نلاحظ أيضاً أن هؤلاء المؤرّخين لحياه جملوه يلقى من مشاهير الصوفيين والعلماء نفراً لم يجمع بينه وبينهم مكان ولا زمان - جرباً على عادة نفر من المؤرّخين الذين لا يحكمون قوانين المنطق وطبيعة العمران ومجاري العادة عند التأريخ. - ومعظم الذين أرّخوا لأبي الحسن الشاذلي شغلوا أنفسهم بالكرامات (شبه المعجزات) وبالروايات الخيالية والمسامات أكثر مما رجّعوا إلى التاريخ وإلى ضبط أحداث حياة الشاذلي بالتواريخ.

(٣) سبتة مرفأ المغرب الأقصى على البحر الأبيض المتوسط.

(٤) رزويلة بلدة كانت عند شفشاون، قريبة من تطوان (في الجانب التالي من المغرب الأقصى).

بعدئذٍ انتقل إلى تونس وتلقّى على نَفَرٍ من علمائها التفسيرَ والحديثَ والفقهَ والنحوَ والأدبَ ولقيَ فيها المتصوِّفَ أبا سعيدَ الباجيَّ (ت ٦٢٨ هـ).

ولعلَّ عبدَ السلامَ بنَ مشيشٍ كان قد أشار على أبي الحسنِ الشاذلي بالتوجّه إلى تونسَ توسيعاً لطريقةِ التصوِّفِ فانتقل أبو الحسن إلى تونسَ وَاَتَّخَذَ رِبَاطاً^(١) في جبل زَغْوَانٍ وأخذَ ينشُرُ دعوته في بلدةٍ شاذلةٍ قريباً من رِبَاطِهِ. وكَثُرَ أَتْبَاعُ أبي الحسنِ في تونسَ وعَظُمَ نفوذُهُ فَسَمِيَ به أبو القاسمِ بنُ البراءِ قاضي الجماعة بتونسَ إلى السلطان أبي زكريّا الحفصيّ (٦٢٦ - ٦٤٧ هـ) فتمرّضَ أبو الحسنُ لشيءٍ من الاضطهادِ ثم نُفِيَ عن تونسَ فجاء إلى مِصْرَ، ولعلَّه في هذهِ الفترةِ ذهب إلى العراقِ ولقي في بغدادَ أبا الفتحِ الواسطيَّ (ت ٦٣٢ هـ).

وعاد أبو الحسنِ الشاذليُّ إلى تونسَ سَنَةَ ٦٤٠ هـ (١٢٤٢ م)، ولكنّه أُرْعِجَ عنها من جديدٍ فَرَجَعَ إلى مِصْرَ (٦٤٢ هـ) ومَعَهُ نَفَرٌ من خاصّةِ أَتْبَاعِهِ أشهرُهم أبو العبّاسِ المُرسيُّ^(٢). واستقرَّ الشاذليُّ وأتباعُهُ في الاسكندريةِ وَاَتَّسَمَت دعوتهُ هناك فتمرّضَ لشيءٍ من الاضطهادِ. ثم كُفَّ بِصَرِّهِ - أو ضَعُفَ كَثِيراً - سَنَةَ ٦٤٦ هـ. ويُقالُ إنّه اشترك في تلكِ السَنَةِ نفسها في مَعْرَكَةِ المنصورةِ التي نَشِبَتْ بينَ المسلمينَ وبينَ الحملةِ الصليبيّةِ السادسةِ التي كان يقودُها لويسُ التاسعُ ملكُ فرنساَ والتي أُسِرَ فيها لويسُ نفسه.

وسار أبو الحسنِ الشاذليُّ في نَفَرٍ من أَتْبَاعِهِ إلى الحجِّ - بعدَ أن كان قد حجَّ مراراً من قبلُ - فأصابته وَعْكَةٌ في قريةِ حُمَيْتَرَةَ^(٣) بصحراءِ عَيْنِذَابٍ من صعيدِ مِصْرَ، فتوفّي في شهرِ شَوَّالٍ من سَنَةِ ٦٥٦ (تشرين الأوّل - أكتوبر ١٢٥٨ م) فتولّى أبو العبّاسِ المُرسيُّ دَفَنَهُ.

(١) الرِبَاطُ: محلُّ ربطِ الخيلِ، وهو مكانٌ تنزل فيه جماعات من المجاهدين لصَدِّ المدوّ عن تخوم البلاد الإسلاميّة. ثم أصبح الرِبَاطُ دالّاً على بناءٍ صغيرٍ ذي قَبَّةٍ يقيم فيه رجلٌ أو نفر من الرجال للزهد والتصوِّف، أو للعبادة.

(٢) أبو العبّاسِ المُرسي: هو شهاب الدين أحمد بن عمر (ت ٦٨٦ هـ).

(٣) حُمَيْتَرَةُ (بالتصغير) وبثاء (ثالث حروف الهجاء منقوطة بنقطتين من فوقها) علم (بفتح ففتح) في صحراءِ عَيْنِذَابٍ، من صعيدِ مصر (راجع القاموس ٢: ١٤ ثم تاج العروس - الكوثر ١١: ٩٤).

٢- أبو الحسن الشاذليّ من كبار أصحاب الطُّرُق^(١) الصوفية ومن أشهرهم. وكان الشاذليّ قد تأثّر بعددٍ من كُتُبِ التَّصَوُّفِ المشهورة منها: المواقف والمُخاطبات لمحمد بن عبد الجبار النيفريّ (ت ٣٥٤ هـ) - قوت القلوب لأبي طالب المكيّ (ت ٣٨٧ هـ) - الرسالة البيانية لأبي القاسم القشيريّ (٤٦٥ هـ) - إحياء علوم الدين للغزاليّ (ت ٥٠٥). ومَعَ أَنَّ الشاذليّ من أصحاب التَّصَوُّفِ المعتدل في التفكير والسلوك، فإنَّ الجانب السلبيّ بارزٌ في حياته جدًّا: إِنَّ تصوُّفه يقومُ على أربع دعائم: الذِّكْر وبساطة العمل الصالح، التفكير وبساطة الصبر، الفقر وبساطة الشُّكر، الحبّ وبساطة بُغْضِ الدنيا وأهلها، وثمرَةُ ذلك محاولةُ الاتِّصالِ بالحبوب (الله). ويبدو أَنَّ الشاذليّ كان في أولِ حياته أكثرَ ميلًا إلى الكِفاح والجِهَاد والعمل الاجتماعيّ، ولكن لم يُعْرِزْ نجاحًا في كِفاحه في المغرب الأقصى وتونس ومِصرَ ثم نالَه من محاولة العمل الإيجابيِّ اضطهادٌ مستمرٌّ، فأثّر الإخْلَادُ إلى الوجه السلبيّ من التَّصَوُّفِ.

وكان للشاذليّ نظم.

والشاذليّ مُصَنِّفٌ له: عُمدة السالك على مذهب الإمام مالك في العبادات وغير ذلك - المقدِّمة العِريّة للجماعة الأزهرية (مختصر الكتاب السابق) - كتاب الإخوة - الرسالة الخُوزيّة - التَّسْلِيّ والتَّصَوُّر على ما قضاه الله من أحكام أهل التَّجَبُّر والتَّكَبُّر - تحميس رائية أبي مدنيّ - ديوان - مجموع أشعار^(٢) - رسالة الأمين - الاختصاص من الفوائد القرآنية والخواصّ (السّرّ الجليل في خواصّ حسنا الله ونعم الوكيل). وللشاذليّ أحزاب^(٣) كثيرةٌ منها: حزب البرّ (أو الحزب الكبير) - حزب البحر - حزب الإخفاء - حزب النصر - حزب الطُّغْس على عيون الأعداء - حزب اللُّطف - حزب الفُتْح (أو حزب الأنوار) - حزب الضُّحى - حزب

(١) الطرق جمع طريقة: أسلوب للحياة الصوفية يقوم على الاقتداء بشيخ صوفي معيّن مع اتِّعَاد سلك معيّن وقراءة أحزاب معيَّنة (الحزب: راجع حاشية تالفة).

(٢) لعلَّ هذا المجموع هو الديوان.

(٣) الحزب: الورد (كسر الواو): ترتيب لأبيات وأقوال على وجه مخصوص بقرائها التَّصَوُّفِ (أو التَّعَبُّدِ عامّة) في أوقات معيَّنة (راجع نموذج من ذلك في المختارات من آثار الشاذلي).

صلاة الفتح والمغرب - حزب الحمد - حزب التفريح - الحزب الأول - الحزب الثاني - دعاء .

٣ - مختارات من آثاره

- من حزب البرّ المعروف بالحزب الكبير:

أعوذُ بالله من الشيطان الرَّجيم^(١). بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ^(٢)؛ ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ. كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ: إِنَّهُ مِنْ عَمَلٍ مِنْكُمْ سَوْءٍ بِالْجَهَالَةِ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ؛ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣). ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً؛ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ. وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٤).....
اللَّهُمَّ، إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي بِالْجَهَالَةِ مَعْرُوفٌ. وَأَنْتَ بِالْعِلْمِ مُوصُوفٌ، وَقَدْ وَسَّعْتَ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ جَهَالَتِي بِعِلْمِكَ فَصَحَّ ذَلِكَ بِرَحْمَتِكَ كَمَا وَسَّعْتَهُ بِعِلْمِكَ. وَاعْفِرْ لِي، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.....

يا الله، يا عظيم، يا علي، يا كبير: نَسْأَلُكَ الْفَقْرَ مِمَّا سِوَاكَ^(٥) وَالْغِنَى بِكَ حَتَّى لَا نَشْهَدَ إِلَّا إِلَافَكَ^(٦). وَالطُّفْ بِنَا فِيهَا لُطْفًا عَلِمْتَهُ يَصْلُحُ لِمَنْ وَالَاك، وَاكْتَسَبْنَا جَلَابِيبَ الْعِصْمَةِ فِي الْأَنْفَاسِ وَاللَّحْظَاتِ، وَاجْعَلْنَا عِبِيدًا لَكَ فِي جَمِيعِ الْحَالَاتِ، وَعَلِّمْنَا مِنْ

(١) القرآن الكريم (١٦: ٩٢، سورة النحل): ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾.

(٢) في القرآن الكريم مائة وأربع عشرة سورة تبدأ بمائة وثلاث عشرة سورة منها بالآية: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ». أمّا السورة التاسعة (سورة التوبة) فلا تبدأ بهذه الآية لأنها نزلت في الحرب وفي «براءة» الله ورسوله من المشركين الذين كانوا لا يزالون إلى ذلك الحين على الوثنية. ومطلع السورة التاسعة: «براءة من الله ورسوله.....». ولذلك تعرف أيضاً بسورة «براءة». ثم إِنَّ الآية «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» ترد في سياق سورة السمل (٢٧: ٣٠) فيكون عدد مرّات السلسلة في القرآن الكريم مائة وأربع عشرة بعدد السور.

(٣) القرآن الكريم ٦: ٥٤ (سورة الأنعام).

(٤) القرآن الكريم ٦: ١١١ (سورة الأنعام).

(٥) هذه الجملة يجب أن تعني ما يلي: نَسْأَلُكَ أَنْ تَحْمِلَنَا أَغْنَاءَ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ سِوَاكَ، قَرَاءَ (مُحْتَاجِينَ) إِلَيْكَ وَحْدَكَ وَأَنْ نَغْنَى (نُصِيحَ أَغْنَاءَ بِكَ: بِمِطْلَاقِكَ أُنْتَ).

(٦) حَتَّى لَا يَكُونَ أَمَامَ أَبْصَارِنَا وَبَصَائِرِنَا غَيْرُكَ.

لَدُنْكَ عِلْمًا نَصِيرُ بِهِ كَامِلِينَ فِي الْحَيَا وَالْمَوَاتِ.....

اللَّهُمَّ، نَسْأَلُكَ إِيمَانًا دَائِمًا، وَنَسْأَلُكَ قَلْبًا خَاشِعًا، وَنَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَنَسْأَلُكَ يَقِينًا صَادِقًا، وَنَسْأَلُكَ دِينًا قَيِّمًا. وَنَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ مِنْ كُلِّ بَلِيَّةٍ، وَنَسْأَلُكَ تَهَامَ الْعَافِيَةِ^(١)، وَنَسْأَلُكَ الشُّكْرَ عَلَى الْعَافِيَةِ. وَنَسْأَلُكَ الْغِنَى عَنِ النَّاسِ.....

- من مقدمة المقدمة العززية ومن خاتمتها:

.... هذه مقدمة في مسائل العبادات وغير ذلك على مذهب الإمام مالك بن أنس، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، لِيَسْتَنْفَعَ بِهَا الْوُلْدَانُ وَنَحْوُهُمْ - إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى - لَخَصَّصْتُهَا مِنْ كِتَابِي الْمُسَمَّى بِـ «عُنْدَةِ السَّالِكِ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكٍ فِي الْعِبَادَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ». وَسَمَّيْتُهَا بِـ «الْمُقَدِّمَةِ الْعِزِّيَّةِ لِلْجَمَاعَةِ الْأَزْهَرِيَّةِ» مُشْتَمِلَةً عَلَى أَحَدٍ عَشَرَ بَابًا.....

يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَلَّا يُرَى إِلَّا مُحْصِلًا حَسَنَةً لِمَعَادِهِ أَوْ دِرْهَمًا لِمَعَايِشِهِ، وَيَتْرُكُ^(٢) مَا لَا يَنْبَغِيهِ وَيَخْتَرِسُ مِنْ نَفْسِهِ وَيَقِفُ عِنْدَ مَا أَشْكَلَ وَيُنْصِفُ جَلِيسَهُ وَيُلِينُ لَهُ جَانِبَهُ وَيَصْنَعُ عَنِ زَلَّتِهِ وَيَلْزِمُ الصَّبْرَ. وَإِنْ نَظَرَ عَالِمًا نَظَرَ إِلَيْهِ بِعَيْنِ الْإِجْلَالِ، وَيُنْصِتُ لَهُ عِنْدَ الْمَقَالِ. وَإِنْ رَاجَعَهُ رَاجَعَهُ تَعَهَّأَ وَلَا يِعَارِضُهُ فِي جَوَابِ سَوَالِ سَأَلِهِ. وَمَنْ نَاطَرَ فِي عِلْمٍ فَيَسْكِينِيهِ وَوَقَارٍ وَتَرَكَ الْاِسْتِيلَاءَ وَبَحْسَ التَّانِي وَجَمِيلَ الْأَدَبِ، فَإِنَّهَا مُعِينَانِ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ.....

٤ - الشرح (أو الأنس أو السر) الجليل في خواص «حسبنا الله ونعم الوكيل»^(٣)، القاهرة (طبع حجر) بلا تاريخ؛ القاهرة ١٢٩٧ هـ.

- حزب البحر (في مجموع لطيف)، القاهرة (طبع حجر) ١٨٦٥ م (١٢٨٢ هـ)؛ قازان ١٨٩٧ م (١٣١٤ - ١٣١٥ هـ)؛ مع أحزاب أخرى وأشعار وترجمة فارسية تتخلل السطور في مجموع عنوانه «لوح محفوظ»، لمحمد محفوظ الحق، أَرَا (٢) ١٣٠٩ هـ؛ مع أحزاب أخرى بمقدمة هندستانية وترجمة تتخلل السطور، لمحمد عبد القيم، كاوبور

(١) العافية من كل بليّة: الإعفاء (الحماية) من كلّ مصيبة. قام العافية: قام الصحة.

(٢) السياق النحوي يقتضي أن يكون الفعل «ترك» والأفعال التي بعده مطبوعة عليه «منصوبة»، ولكن المعنى حينئذ يضطرب ويصبح «وَأَلَّا يَتْرُكَ مَا لَا يَنْبَغِيهِ: أَيِ يَهْتَمُّ بِمَا لَا يَنْبَغِيهِ».

(٣) في القرآن الكريم (٣: ١٧٣)، سورة آل عمران: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَكْفِيْنَا مَكَادًا أَعْدَاثَنَا وَيُدْفَعُ تِلْكَ الْمَكَادَاتَ عَنْنَا﴾ (وهو الذي نفّوض إليه أمرنا في كلّ شيء).

- ١٨٩٦ م؛ مع ترجمة إلى لغة التاميل (في جنوب الهند) في مجموع «نفحة الأنبار» (٩)، «
 لنوح عليّ القادري، بومباي ١٣٢٠ هـ.
- المقدمة المَرْيَّة للجامعة الأزهرية، القاهرة (دار إحياء الكتب العربية: عيسى البابي
 الحلبي وشركاه) بعد ١٣٣٢ هـ.
- مجموع الأحزاب، القاهرة ١٣١٧ هـ.
- *** شرح حزب البحر:
- شرح.... لأحمد بن أحمد زروق^(١) (على هامش دلائل الخيرات)، مدراس ١٩٠٨ م.
- اللطيفة المرضية، لابن ماهلا (٩)، القاهرة ١٩٣٥ م.
- فيض الرحمن (حاشية) لحسن العدوي، القاهرة ١٢٨١ هـ.
- خلاصة الزهر.... لمحمد خليل الفاوقجي^(٢)، القاهرة ١٣٠٤ هـ.
- شرح حزب البرّ (أو الحزب الكبير):
- تنبيه العارف البصير على أسرار الحزب الكبير، للمرتضى الزبيدي^(٣)، القاهرة (مطبعة
 السعادة) ١٣٣٣ هـ.
- شرح حزب البرّ أو الحزب الكبير، تأليف أبي زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي^(٤) (مع
 «تنبيه العارف»)، القاهرة (مكتبة الكليات الأزهرية) ١٩٦٩ م.
- الجواهر المضيّة (٩) في شرح المَرْيَّة، لصالح بن عبد السميع الآبي الأزهرى، القاهرة (دار
 إحياء الكتب العربية) ١٣٣٢ هـ.
- درّة الأسرار وتحفة الأبرار، تأليف محمد بن أبي القاسم الصبّاغ الحميري، تونس
 ١٣٠٤ هـ.
- مجموعة آراء سنيّة للسادة الشاذلية (تحرير محمد الطيّب الجزائري)، دمشق ١٣٠١ هـ.
- ابن عطا الله ونشأة الطريقة الشاذلية: تحقيق «احكم العطائية» - لبولس نونا)،
 المفاخر العلّية في المآثر الشاذلية، تأليف محمد بن محمد عيّاد.....
- أبو الحسن الشاذلي، بقلم علي سالم عمّار، الجزء الأول، مصر، (مطبعة دار التأليف)
 ١٩٥١ م.
- أبو الحسن الشاذلي الصوفي والعارف بالله، بقلم الدكتور عبد الحليم محمود (أعلام العرب،
 رقم ٧٢)، القاهرة (المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر) ١٩٦٧ م.

-
- (١) أحمد بن أحمد بن زروق (ت ٨٩٩ هـ)، له ترجمة في هذا الجزء.
- (٢) محمد بن خليل المنشي الفاوقجي الطرابلسي (ت ١٣٠٥ هـ)، راجع بروكلمن، الملحق ١: ٧٧٦.
- (٣) محمد بن محمد المرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) صاحب القاموس العظيم «تاج العروس».
- (٤) عبد الرحمن الفاسي (ت ١٠٣٦ هـ).

نكت الميمان ٢١٣؛ ابن قنفذ ٣٢٣؛ شذرات الذهب ٢٧٨: ٥ - ٢٧٩؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ٤: ٢٤٦ - ٢٤٩؛ بروكلمن ١: ٥٨٣ - ٥٨٤، الملحق ١: ٨٠٤ - ٨٠٦؛ النبوغ المغربي ٣٥٧ - ٣٦٥؛ الأعلام للزركلي ١٢٠: ٥ (٤: ٣٠٥)؛ مجلة العربي ٦/ ١٩٦٤ و ٧/ ١٩٦٤؛ سركيس ١٠٨٨ - ١٠٨٩.

ابن الأَبَارِ القُضَاعِيّ

١- هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٦١٩ هـ) بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن أبي بكر بن الأَبَارِ القُضَاعِيّ البَلَنْسِيّ، وُلِدَ في بَلَنْسِيَّةَ في أحد الربيعين من سنة ٥٩٥ (أوائل ١١٩٩ م) ونشأ فيها.

بدأ ابنُ الأَبَارِ تَلَقَّى العلمَ على والده ثم سَمِعَ من نفرٍ كثيرين منهم: عبد الله بن أَيُّوبَ بن نوحٍ العافقي السَّرْقَسَطي (ت ٦٠٨ هـ) ومحمد بن محمد بن عبد العزيز الأنصاري (ت ٦١٠) وقد أخذ عنه النحو والأدب. ومن شيوخه أبو سليمان داوود بن سليمان بن حَوْطِ الله (نفع الطيب ٤: ٣٣٥) المَتوفى سَنَةَ ٦٢١ للهجرة - وكان من المشتغلين بالتاريخ؛ ومنهم أبو الخطّاب أحمد بن محمد بن واجب القيسي (ت ٦١٤ هـ) أخذ عنه التاريخ. ومن أكبر شيوخه أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكَلَاعِيّ (ت ٦٢٤ هـ) وكان بارعاً في الحديث والتاريخ مع العلم بالبلاغة والأدب كما كان له عددٌ من الكتُب. وقد لازمه ابنُ الأَبَارِ عشرين سَنَةً وتخرّجَ على يَدَيْهِ وتعلّم منه صِناعة الكتابة ومن شيوخه أيضاً أبو جعفر بن الحصار، وكان عارفاً بالقرءات (نفع الطيب ٢: ٥٠).

وفي سنة ٦٢٥ هـ دخل ابن الأَبَارِ في خِدمة الدولة فكتب لأبي عبد الله محمد بن حفص الموحّدي والي بَلَنْسِيَّةَ ثم لابنه السيد أبي زيد ثم لزيّان بن مردانيش، في السنة التالية. ولما حاصرَ دون جاقمة صاحبُ بَرْجَلُونَة (برشلونة) مدينة بَلَنْسِيَّةَ (رَمَضانَ ٦٣٥) ذَهَبَ ابن الأَبَارِ في وقْدٍ إلى سُلطان تُونِسَ أبي زكريا يحيى للاستنجاد به على الفرنجة. وأنشد ابن الأَبَارِ يومذاك مِذْحَته في أبي زكريا «أَذْرِكْ بِجَيْلِكَ خَيْلَ اللَّهِ أَنْدَلُسًا». وأرسل أبو زكريا أسطولاً لِنَجْدَةِ بَلَنْسِيَّةَ، ولكنَّ الأسطولَ وَصَلَ بعدَ فواتِ

الأوان. ولما استولى الفرنجة على بلنسية (صفر ٦٣٦) خرج ابن الأبار منها بأمرته مع الجالين عن المدينة. وانتقل إلى تونس واستقر فيها. وتقلبت الأحوال بابن الأبار في تونس فكتب للسلطان أبي زكريا (٦٣٦ هـ) ثم وُزِّرَ للمستنصر (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ)، كما غَضِبَ المستنصر عليه مراراً ورَضِيَ مراراً. وفي العشرين من المحرم من سنة ٦٥٨ (١٢٦٠/٦/٦ م)، في الأغلب، أمر المستنصر بقتله، بعد أن بَلَغَ خصومه في الدس عليه الغاية.

٢ - كان ابن الأبار القضاعي عارفاً بالتاريخ بصيراً بطبقات الرجال مُلمّاً بفنون كثيرة من العلم والأدب، أديباً ناثراً مترسلاً وشاعراً مُحِيناً. وكان من فنونه المدح والاعتذار والوصف والغزل والنسيب والمجون. وله ترسلٌ كثيرٌ التكلف.

وكذلك كان ابن الأبار مُصَنِّفاً له من الكتب: كتابُ تَكْمَلَةِ الصِّلَةِ (وهو تكملة لكتاب الصلة لابن بشكوال، وقد حَته على وضع هذا الكتاب شيخه أبو الربيع بن سالم) - تحفة القادم (تراجم شعراء)^(١) - إعتابُ الكُتَّاب (تراجم لنفر عديدين من الكتاب المشارقة والمغاربة) - الحُلَّةُ السَّيْرَاءُ في أشعارِ الأمراء - المُعْجَمُ في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصَّدَقِ - درر السَّمَطِ في خبر السَّطِ (الحسين بن علي!) - إيماض البرق في أدباء الشرق - إفادة الوفادة (في ذكر الوافدين على الأندلس) كتاب التاريخ - قطع الرياض (في أشعار مختارة) - معادن اللُّجَيْنِ في مرثي الحسين - هداية المعترف في المؤلف والمختلف.

٣ - المختار من آثاره:

- قال ابن الأبار القضاعي يمدح أبا زكرياً يحيى الحفصي سلطان تونس

(١) كتاب «تحفة القادم» مفقود. ولكن أبا إسحاق البليغي كان قد صنع منه «المنتخب من كتاب تحفة القادم» (بتحقيق إبراهيم الإبياري، القاهرة، الطبعة الأميرية ١٩٥٧ م). والبليغي هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي إسحاق (إبراهيم؟) بن الحاج. أصل البليغي من مراكش ولكن مولده ومنشأه في الأندلس وهو ينتسب إلى بليغ (يفتح الباء، وتروى أيضاً بفتح الفاء مع كسر اللام المشددة) وهي حصن قرب المرتبة. ولعل وفاة أبي إسحاق البليغي كانت في مراكش في أواخر القرن الثامن للهجرة.

ويستنصره على الإفرنج لإنقاذ بلنسية (نفع الطيب، ٤: ٤٥٧-٤٦٠):

أَدْرِكَ بِجَيْلِكَ خَيْلَ اللَّهِ أَنْدَلُءَا، إِنَّ السَّبِيلَ إِلَى مُنْجَاتِهَا دَرَسَا^(١).
وَهَبْ لَهَا مِنْ عَزِيزِ النَّصْرِ مَا التَّمَسَتْ؛ فَلَمْ يَزَلْ مِنْكَ عِزُّ النَّصْرِ مُلْتَمَسَا.
يَا لِلْجَزِيرَةِ! أَضْحَى أَهْلُهَا جَزْرًا لِلْحَادِثَاتِ، وَأُمْسَى جَدُّهَا نَعْسَا^(٢).
فِي كُلِّ شَارِقَةٍ إِلَامٌ بَارِقَةٍ يَعُودُ مَاتَمُهَا عِنْدَ الْعِدَا عُرْسَا^(٣).
تَقَاسَمَ الرُّومُ لَا نَالَتْ مُقَاسِمَهُمْ إِلَّا عَقَائِلُهَا الْمَحْجُوبَةُ الْأُنْسَا^(٤).
وَفِي بَلَنْسِيَّةٍ مِنْهَا وَشَاطِئَةٍ مَا يَنْسِفُ النَّفْسَ أَوْ مَا يَنْزِفُ النَّفْسَا^(٥).
مَدَائِنُ حَلَّهَا الْإِشْرَاكُ مُبْتَسَا جَذْلَانِ، وَارْتَحَلَ الْإِيمَانُ مُبْتَسَا.
فَمِنْ دَسَاكِرَ كَانَتْ دُونَهَا حَرَسَا، وَمِنْ كُنَائِسَ كَانَتْ قَبْلَهَا كُنْسَا^(٦).
يَا لِلْمَسَاجِدِ عَادَتْ لِلْعِدَا بَيْعَا، وَلِلنِّدَاءِ غَدَا أَثْنَاءَهَا جَرَسَا^(٧).

(١) - أسرع بإنقاذ الأندلس. درس: امحى (فقد الأمل بـ) منجاتها).

(٢) يا للجزيرة: كان الله في عون جزيرة الأندلس وأنقذها من بليتها! جزراً: ذائب. الجد (فتح الحيم): الحظ. التمس: اليأس والشقاء.

(٣) في كل شارقة = عند طلوع كل شمس: كل يوم. البارقة: السيوف (الفاموس ٣: ٣١١، السطر ١٩). الإلام: الزلزل، الإصابة، الزيارة. إلام بارقة: قتل بالسيوف. العدى: الإسبان الإفرنج. وفي طبعة بيروت (٤: ٤٥٧): باقة (داهية).

(٤) البيت غامض. - الروم: نصارى الأندلس. تقاسم الروم: نوزعوا الغنائم بينهم. العقائل جمع عذبة: المرأة المصونة الكريمة. المحجوبة: المحبأة عن عيون الأجانب. الأنس جمع أنوس: (اللطيف العشرة، المؤانس). - الملووح في معنى البيت: يتقاسم الإسبان (بعد كل هجمة على العرب) الغنائم (لأ النساء) (فإنهن يقتلن...) فلا نال (تهدأ) مقاسم (بضم الميم: صاحب السهم أو النصيب في القسمة) شيء من تلك الغنائم!

(٥) ما ينسف (يدك، يهدم، يقتلع الشيء من أصله) أو ما ينزف (ينزع، يلاشي، يفرغ) النفس = ما يقتل، ما يهلك.

(٦) الدسكرة: المزرعة. كانت تلك الدساكر حماية لتلك المدن التي سقطت في يد الإسبان (فذهبت المدن والدساكر معها). الكنس جمع كناس (بكر الكاف): بيت الطهي (ساكن للنساء الجميلات).

(٧) البيعة (بكر الباء): الكنيسة، معبد النصارى. النداء: الأذان، دعوة المسلمين إلى الصلاة من المآذن.

كانت حدائق للأخداق مونة^(١) فصوح النصر من أذواجها وعسا^(٢)
فأين عيش جنيناه بها خصرأ؟ وأين غصن جليناه بها سلسا^(٣)؟
محا معاشنا طاع أنيس لها، ما نام عن هضمها جينا ولا نعا^(٤).
صل حبلا، أها المولى الرحيم، فها أبقى المراس لها حبلا ولا مرسا^(٥).
وأخي ما طمست منها العداة كما أحييت من دعوة المهدي ما طمسا^(٦).
أيام صبرت لنصر الحق مستيقا وبث من نور ذاك الهدي مقتبسا^(٧).
وقمت فيها بأمر الله منتصرا كالصارم اهتز أو كالعارض أنجسا^(٨).
هذي راسلها تدعوك من كتب، وأنست أفضل مرجو لمن يثسا^(٩).
توم يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص مقبلة من تزيه القدسا^(١٠).
ملك تقلدت الأملاك طاعته دينا ودنيا ففشاها الرضا لسا^(١١).
من كل غاد على يمينه مستلما وكل صا إلى نغاه ملتسا^(١٢).
مؤيد لو رمى نجما لأثبتته ولو دعا أفقا لبى وما اختبسا^(١٣).
ماضي العزيمة والأيام قد نكلت، طلق المحيا ووجه الدهر قد عبسا^(١٤).

- (١) للأخداق (اللعيون) مونة (جيلة): سم الناظرين. صوح = يس. النصر: الأخضر الريان. الدوح والأدواح جمع دوح: الشجرة الكبيرة. عسا، يمسو: يس.
(٢) جليناه (جلواناه): أبرزناه، جعلناه. سلسا: لينا، رائقا، مطاوعا لنا.
(٣) الطاعي: الظالم. وكان مؤرخو العرب يسمون كل ملك من ملوك الإيبان «طاعية». الهضم: انتزاع جزء من الحق من صاحبه. نص: مال إلى النوم (غفل).
(٤) صل حبلا: أحملها من أهلك ودافع عنها المراس: شدة (العدو عليها)، كثرة حروبها. ما أبقى المراس لها حبلا (صلة، قرابة بأحد) تحلى جميع الناس عنها ولا مرسة (قوة على القتال).
(٥) طمس: مح. المهدي بن تومرت (ت ٥٢٤ هـ) مصلح عظيم، وهو صاحب دعوة الموحدين ومؤسس دولتهم (راجع ص ٣٥٩ من الجزء الخامس).
(٦) الصارم: السيف. اهتز: تحرك، قابل بصله (استعدادا للضرب به أو في أثناء الضرب به). العارض: الغيم القليل يحمل مطرا. انجس: تحرق، هطل منه المطر.
(٧) بناء مستلما = مقبلا يده البني. صاد: عطشان.
(٨) - لو رمى سهمه النجم لأصابه ولو دعا الغيم في السماء إلى أن يطر لأمطر.
(٩) نكل عن الأمر: حس عنه وتأخر.

كَأَنَّهُ الْبَدْرُ - وَالْعَلِيَاءُ هَالَتُهُ -
تَدْبِيرُهُ وَسِعَ الدُّنْيَا وَمَا وَسِعَتْ،
قَامَتْ عَلَى الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ دَوْلَتُهُ
مُبَارَكٌ هَدْيُهُ، بَادٍ سَكِينَتُهُ؛
قَدْ نَوَّرَ اللَّهُ بِالتَّقْوَى بَصِيرَتَهُ،
وَرَبُّ أَصِيدٍ لَا تَلْفِي بِهِ صَيْدًا،
إِلَى الْمَلَائِكِ يُنْهَى وَالْمُلُوكِ مَعَا
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ، أَنْتَ لَهَا
وَقَدْ تَوَاتَرَتْ الْأَنْبَاءُ أَنَّكَ مَنْ
طَهَّرَ بِإِلَادِكَ مِنْهُمْ، إِنَّهُمْ نَجَسٌ،
وَاضْرِبْ لَهَا مَوْعِدًا بِالْفَتْحِ تَرْقُبُهُ.
- وَمِنْ نَثَرِهِ مَا كَتَبَهُ فِي تَرْجَمَةِ أَسَازَدِهِ أَبِي الرَّيِّعِ بْنِ سَالِمٍ^(١) فِي كِتَابِ إِيْعَابِ

- (١) المألة: ضياء محيط (في رأي العين) بالفرعادة. تحف: تحيط. القنا جمع قناة: الفصية، الرمح. شهب: القنا: النصال المركبة في رؤوس الرماح (كناية عن كثرة الأسلحة ومضاهاها).
(٢) تدبيره: حكمه. عرف (رائحة) معروفه (خيرته): القليل من معروفه وعطائه. وسع الدنيا وما وسعت: أدرا، نظم الدنيا وكل ما فيها (كل ما وسعته الدنيا). واسى: عزى، أحسن إلي. الورى: جمع الناس. أسا: طيب، شفي.
(٣) أنشرت: بعثت من الموت. وجود: في الأصل، ولعلها «وجه»: أنواع. رس: قبر.
(٤) لا يباي إلا نزلت المصيبة فجأة (لأنه مستعد لجميع المفاجآت).
(٥) الأصيد: المائل العنق تحييراً (لأنه ملك عظيم). الأشوس: الذي ينظر بمؤخرة عينه من التكبر والغيظ (طلباً للانتقام). - قد يتظاهر بعض الناس بالقدره والشجاعة وليس له شيء منها.
(٦) - هو في سلوكه وأخلاقه مثل الملائكة، وفي نسبه من الملوك. النبعة: عدد كبير من سبلات الفمخ أو من القصب أو النخل نشت من أصل واحد (كناية عن الأسرة العظيمة النبيلة). ما غرسا (بالبناء للمجهول أو للمعلوم).
(٧) - الشائع بين جميع الناس أنك وحدك الذي تستطيع أن تتغلب على ملوك الصفر (الروم، الإيبان الإفرنج) وتتغلب الأندلس.
(٨) ترقبه: تنتظره (الأندلس).
(٩) راجع ٥: ٦٩٣.

شَيْخِي الَّذِي أَوْرَشَنِي هَذِهِ الصَّنَاعَةَ وَرَضِيَّ اتَّخَذَهَا لِي بَضَاعَةً، وَضَمَّنَ أَنْ لَا إِضَاقَةَ (فِي امْتِنَانِهَا) وَلَا إِضَاعَةَ؛ جَاعِلًا قَوْلَ ابْنِ أَبِي الْخِصَالِ ^(١) شَاهِدًا فِي الْإِعْلَاقِ بِهَا وَالْإِتِّصَالِ: «مَنْ جَمَعَ بِلَاغَةً وَخَطًّا لَمْ يَخْشَ فِي دَوْلَةِ الْأَفَاضِلِ خَطًّا». فَاسْتَرْجَعْتُ حَصَانَةَ ^(٢) وَأَقْبَلْتُ عَلَيْهَا قَابِلًا وَصَانَةً غَيْرَ مُسْتَبْدِلٍ بِهِ خُطَّةً وَلَا مُتَبَوِّئَةً دُونَهَا خُطَّةً لِكَيْلًا أَنْقُضَ مَا أُبْرِمَ وَأُرْتَبِطَ خِلَافَ مَا اسْتَكْرَمَ ^(٣). وَكَانَ هُوَ - قَدَسَ اللَّهُ أَشْلَاءَهُ - وَأَجْزَلَ مِنَ النِّعَمِ الْمُقِيمِ جِزَاءَهُ ^(٤) قَدْ عُيِّنَ لِي فِي شَيْبَتِهِ، فَعَتَبَ عَلَيْهِ وَالِي بَلَنَسِيَّةَ حِينَئِذٍ وَحَجَّهَ رَائِعًا عَلَيْهِ وَغَادِيًا وَالزَّمَنُ مَكَانًا قَاضِيًا كَانَ بِهِ قَاضِيًا ^(٥). فَخَاطَبْتُهُ مُسْتَعِظًا بِرِسَالَةِ مِنْهَا:

وَبَعْدُ، فَكَتَبَ الَّذِي قَصَرَ، ثُمَّ عَايَنَ قَصْدَهُ وَأَبْصَرَ ^(٦)؛ وَأَقْتَرَفَ فَاعْتَرَفَ، وَاجْتَرَحَ ^(٧) فَلَمْ يَجِدْ أَجْدَى مِنْ أَنْ قَرَعَ بَابَ الْمَغْفِرَةِ وَاسْتَفْتَحَ. وَفِي عِلْمِ الْمَوْلَى أَنَّ الْعَبِيدَ أَهْلَ الْخَطَا وَمَطْنَةَ السَّيِّئِ الْمُسْتَبْطِلِ ^(٨). إِنْ اغْرَقُوا النَّزْعَ عَنْ قَوْسِ الْإِجْتِهَادِ ^(٩)

(١) شَيْخِي: أَسْتَاذِي وَمُعَلِّمِي. إِضَاقَةٌ: ضَيْقٌ ذَاتُ الْيَدِ، فَقَرَأَ ابْنُ أَبِي الْخِصَالِ: أَدِيبٌ شَاعِرٌ (رَاحِعٌ ص ٣٦١ مِنَ الْجِزَةِ الْخَامِسِ).

(٢) الْخَطُّ: حَسَنُ الْخَطِّ، الْكِتَابَةُ الْمُسَمَّاةُ لُصُورَ الْأَحْرَفِ. الْخَطُّ: الْإِلْخَطَاطُ، النُّزُولُ عَنِ الرَّتَبَةِ الْعَالِيَةِ. اسْتَرْجَعْتُ حَصَانَةَ (عَقْلَهُ): وَجَدْتُهَا رَاجِعَةً (صَحِيحَةً. مُصَيِّبَةً).

(٣) الْوَصَادَةُ: الْوَصِيَّةُ، النَّصِيحَةُ. الْخُطَّةُ (بِضَمِّ الْخَاءِ): الطَّرِيقَةُ فِي الْعَمَلِ، الْمُنَاجَاةُ. الْخُطَّةُ (بِكَسْرِ الْخَاءِ): الْقِطْعَةُ مِنَ الْأَرْضِ. نَبَوُا: نَزَلُوا (فِي مَكَانٍ)، سَكَنُوا. نَقَضَ: حَلَّ، أَبْطَلَ. أُبْرِمَ: أَحْكَمَ، قَرَّرَ. ارْتَبَطَ (الْحَيْلُ) اقْتَنَى (خَيْلًا) اسْتَكْرَمَ (الْحَيْلَ، الْمَرْأَةَ، إلخ): وَجَدَهَا كَرِيمَةً الْأَصْلَ فَاتَّخَذَهَا لِنَفْسِهِ (لَمْ أَرَأْ أَنْ أَفْزِلَ إِلَّا مَا كَانَ هُوَ بِفَعْلٍ).

(٤) قَدَسَ: بَارَكَ. أَشْلَاءَهُ: الْقَطْعُ مِنْ حَسَدِهِ (لَأَنَّهُ كَانَ قَدْ مَاتَ شَهِيدًا فِي الْمَرَكَةِ). أَجْزَلَ: أَكْثَرَ. النِّعَمِ الْمُقِيمِ (الدَّائِمِ): الْخُلُودُ فِي الْحَيَاةِ. جِزَاؤُهُ: نَوَاجِهُ.

(٥) عَنِي ي: أَهْتَمُّ فِي وَسْمٍ عَلَى تَأْدِيبِي. حُجَّتُهُ: مَنَعَهُ مِنَ الدُّخُولِ إِلَى مَلَاطِهِ. رَائِعًا عَلَيْهِ وَغَادِيًا... (!) أَلَزَمَهُ مَكَانًا قَاضِيًا (بَعِيدًا) أَجْبَرَهُ عَلَى السُّكْنَى فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ. كَانَ بِهِ قَاضِيًا: هُوَ، أَيُّ الْوَالِي، اخْتَارَهُ هُنَاكَ لِلْفَضَاءِ (٥).

(٦) الَّذِي قَصَرَ..... (أَيُّ ابْنِ الْأَبَارِ).

(٧) اقْتَرَفَ (الذَّنْبَ): أَنَاءَهُ (أُذْنِبَ).

(٨) اجْتَرَحَ: اكْتَسَبَ ذَنْبًا، سَبًّا، شَتْمًا.

(٩) الْمَوْلَى: السَّيِّدُ. الْمَطْنَةُ: مَوْضِعٌ، مَكَانٌ. مَطْنَةُ السَّيِّئِ الْمُسْتَبْطِلِ (الْمُتَأَخَّرِ) الْعَبِيدِ يَسْرِعُونَ فِي ارْتِكَابِ الْخَطَا

وأصابوا شاكلة المراد^(١)، فكالهَام في قرطه مراميه^(٢). وإن تَنَكَّبوا^(٣) مُرْتَضَى السَّعْيِ الحميدِ وتَجَنَّبُوا مُقْتَضَى الرَّأْيِ السديد، ففَعِرْ نَكَرَ (أَنَّ ذَلِكَ) مِنْ شَيْمِ الْعَبِيدِ. وَمَتَى نُوَقِّتُوا الْحَاصِبَ عَلَى كُلِّ زَلَّةٍ وَعُوَّقُوا عَلَى كُلِّ ضِلَّةٍ^(٤)، أَفَنَاهُمُ الْعِقَابُ سَرِيعاً وَأَهْلَكَهُمُ التَّأْدِيبُ^(٥) جَمِيعاً...

- ٤ - التكملة لكتاب الصلة (تحرير فرنسيسكو كوديرا)، مدريد ١٨٨٦ - ١٨٨٩ م.
- التكملة لكتاب الصلة (تحرير فنزالس بالنسيه)، مجريط ١٩١٥ م.
- كتاب التكملة لكتاب الصلة (القسم الأول المفقود من طبعة الشيخ قداره في مجريط عام ١٨٨٦ - ١٨٨٩ م ومن طبعة غوثالث وبالنسيا، عام ١٩١٥ م) - (عُني بطبعه وتعليق حواشيه ألفرد بل ومحمد بن أبي شب)، الجزائر (المطبعة الشرقية) ١٣٣٧ هـ / ١٩١٩ م؛ (نشره عزة المطار)، القاهرة ١٩٣٥ م؛ القاهرة (مكتبة الحانجي) وبعداد (مكتبة المثني) ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥ م.
- فهارس تكملة الصلة، من عمل الاركون وبالنسيا، مدريد ١٩١٥ م.
- المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدي (فرنسيسكو كوديرا إي زيدبن)، مدريد (روخس)، ١٨٨٤ - ١٨٨٦ م؛ القاهرة (دار الكاتب العربي) ١٩٦٧؛
- الحلة البراء (قطع متفرقة نشرها دوزي)، ليدن ١٨٤٧ - ١٨٥١ م؛ ثم باريس ١٨٦٤، ثم ١٨٨٣ م؛ قطع أخرى (نشرها موللر) ١٨٨١ م؛ (حققه وعلق حواشيه حسين مؤنس)، القاهرة (الشركة العربية للطباعة والنشر) ١٩٦٣ م.
- إعتاب الكتاب (حققه صالح الأستر)، دمشق (مطبوعات مجمع اللغة العربية) ١٣٨٠ هـ = ١٩٦١ م.
- المقتضب من كتاب تحفة القادم: اختيار وتقييد أبي اسحاق ابراهيم بن محمد بن إبراهيم البليقي (بتحقيق إبراهيم الإيباري)، القاهرة (المطبعة الأميرية) ١٩٥٧ م؛ (نشره ألفرد البستاني).....

ثم يتأخرون في التوبة وإصلاح أخطائهم. أعرقوا: بالفوا (٤). الزرع: مدّ القوس (وصع سية القوس

- مؤخرته - في وتر القوس ثم جذب الوتر لإطلاق السهم).

(١) الشاكلة: الحاصرة. أصاب الشاكلة (قل المصاب). أصاب شاكلة الأمر: أحسن العمل وأتقنه...

(٢) في قرطه مراميه (٤).

(٣) تنكّب (الطريق): ابتعد عنه.

(٤) الضلة (بالكسر): الضلال، ضد الهدى، الحيرة، الغفلة عن الصواب.

(٥) التأديب: القصاص، الضرب (في سبيل الإصلاح).

- معارضة « ملقى السبيل » لأبي العلاء المبري (مطبوع مع « فتوى في القيام والألقاب » لابن تيمية)، بيروت (دار الكتاب الجديد) ١٩٦٣ م.
- ديوان ابن الأبار (تحقيق عبد السلام المرّاس)....
- **- الحلة السيرة (رسالة لعبد الله الطباع)، بيروت (دار النشر للجامعيين).
- ابن الأبار: حياته وكتبه، تطوان (معهد مولاي الحسن)
- المغرب ٢: ٣٠٩-٣١٢؛ الوافي بالوفيات ٣: ٣٥٥-٣٥٨؛ فوات الوفيات ٢: ٢٨٣-٢٨٤؛ الذيل والتكملة ٦: ٢٥٣-٢٧٥ (رقم ٧٠)؛ الفتح الملقى ١٩١-١٩٧؛ عنوان الدراية ٢٥٧-٢٦٢؛ ابن قنفذ ٣٢٤؛ شذرات الذهب ٥: ٢٩٥؛ نفع الطبيب ١: ٣١٥، ٢: ١١٦، ٥٨٩-٥٩٤، ٥٩٧-٥٩٨، ٣: ١٣٩، ١٤٤-١٤٥، ٤٦٧، ٦٠٣-٦٠٤ (?)، ٤: ٥٨-٥٩، ١١٩-١٢١، ٣١٩-٣٢٠، ٣٢٣-٣٢٤، ٤٥٧-٤٦٠، ٤٧٢-٤٧٣، ٤٩٠-٥٠٧؛ أزهار الرياض ٢: ٢٠٤-٢٢٧؛ المكنة العربية الصقلية ٣٢٧-٣٣٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٧٣؛ بروكلمن ١: ٤١٦، الملحق ١: ٥٨٠-٥٨١؛ الأعلام للزركلي ٧: ١١٠ (٦: ٢٣٢)؛ تراجم إسلامية ٣٤٢-٣٥٣؛ نيكل ٣٣٢-٣٣٣؛ مختارات نيكل ١٩١.

أبو المطرف بن عميرة

- ١- هو أبو المطرف أحمد بن عبد الله بن الحسن بن عميرة الخزومي^(١)، أصله من جزيرة شقر (قرب بلنسية)^(٢).
- وُلد أبو المطرف في بلنسية، في رَمَضانَ من سَنَةِ ٥٨٠ (كانون الأوّل - ديسمبر ١١٨٤ م) أو قبلَ ذلك بسنتين*. بدأ تلقّي العلم في الأندلس ثم رَحَلَ (في الأندلس والمغرب؟) فدرس الحديثَ والفقه وعلم الكلام والأدب، ولكنَّ مَبْلَغَهُ كان إلى اللغة:

(١) هو غير أبي جعفر أحمد بن عبد الملك بن عميرة (يفتح العين أيضاً) الضبي اللوزني الفارسي المحدث النوفلي ٥٧٧ هـ (نفع الطبيب ٢: ٦٠١). وغير أحمد بن يحيى بن أحمد عميرة الضبي (ت ٥٩٩) صاحب نفية المتنس (راجع ترجمته). * في الإحاطة (١: ١٨٥): ٥٨٢ هـ.

(٢) جزيرة شقر ببلدة جنوب بلنسية وليست جزيرة. وإِنَّمَا قيل لها جزيرة لأنَّ الماء (نهر شقر) يحيط بها (وفيات الأعيان، بيروت، ١: ٥٧). راجع تحت (ص ٢١٩) قول أبي المطرف بن عميرة: هل النهر عقد للجزيرة مثلاً عهدنا...؟ وشقر (بالفتح): جزيرة شرقها (تاج العروس - الكويت ١٢: ٢٢٢) وهي في وفيات الأعيان (١: ٥٧) بالضم: شقر.

أَخَذَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ هُرُونَ بْنِ عَاتٍ (٥٤٢ - ٦٠٩ هـ) وَأَبِي الرَّبِيعِ بْنِ سَالِمٍ وَابْنِ حَوْطٍ
أَبِي الْخَطَّابِ أَحْمَدَ بْنَ وَاجِبٍ (ت ٦١٤ هـ) وَعَنْ الشُّلُوبِينَ (ت ٦٤٥ هـ).

وَعَادَ أَبُو الْمَطَّرِفِ فَاسْتَقَرَّ فِي بَلَنْسِيَّةَ مَدَّةً ثُمَّ تَوَلَّى الْقَضَاءَ فِي شَاطِئَةِ ثُمَّ فِي جَزِيرَةِ
مَيُورْقَةَ (٦٢٧ هـ)، وَكَانَ فِيهَا لَمَّا اسْتَوْلَى عَلَيْهَا الْإِسْبَانُ (آخَرُ رَجَبٍ
٦٢٨ = ١٢٣١/٦/٢ م). ثُمَّ إِنَّهُ عَادَ إِلَى بَلَنْسِيَّةَ وَشَهِدَ سَقُوطَهَا^(١) أَيْضاً
(٦٣٧ هـ = ١٢٣٩ م).

عِنْدئِذٍ جَارَ إِلَى الْمَغْرِبِ فَاسْتَوَظَنَ بِجَايَةِ مَدَّةً وَأَقْرَأَ بِهَا. ثُمَّ إِنَّ الرِّشِيدَ الْمُوحِدِيَّ
(٦٢٠ - ٦٤٠) اسْتَوَزَّه. وَتَوَلَّى الْقَضَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي سَلَا ثُمَّ فِي مَكْنَسَ ثُمَّ فِي سَبْتَةَ.
وَلَمَّا اسْتَوْلَى الْمَرِينِيُّونَ عَلَى سَبْتَةَ غَادَرَهَا إِلَى تُونِسَ وَدَخَلَ فِي خِدْمَةِ الْحَفْصِيِّينَ فَاتَّخَذَهُ
الْمُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ الْحَفْصِيُّ (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ) مُسْتَشَارًا.

وَكَانَتْ وَفَاةُ أَبِي الْمَطَّرِفِ بْنِ عَمِيرَةَ فِي تُونِسَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ رَابِعَ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ
٦٥٨ (١٢٦٠/١١/١١ م) فِي الْأَغْلَبِ.

٢ - كَانَ أَبُو الْمَطَّرِفِ بْنُ عَمِيرَةَ نَاصِرًا وَنَاطِلًا وَمُؤَرِّخًا مُؤَلِّفًا صَنَّفَ كِتَابًا عَنْ
« كَائِنَةِ مَيُورْقَةَ » (سَقُوطُ جَزِيرَةِ مَيُورْقَةَ فِي أَيْدِي الْإِسْبَانِ)، وَالْكِتَابُ مَفْقُودٌ. وَيَبْدُو
أَنَّهُ لَهُ كِتَابٌ آخَرُ « التَّبَيَّانُ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ ». وَيَأْتِي شِعْرُهُ مَطُولَاتٍ وَمُقْطَعَاتٍ، وَبَعْضُ
مَطُولَاتِهِ أَفْضَلُ مِنْ مَقْطَعَاتِهِ فِي الْبَيْتَيْنِ وَالثَّلَاثَةِ تَمَّا قَالَهُ فِي عِدَدٍ مِنَ الْأَغْرَاضِ
الْعَارِضَةِ وَبَنَاهَا عَلَى تَوَرِيَّاتٍ قَلِيلَةٍ التَّوْفِيقِ. وَفَنُونُ شِعْرِهِ الْمَدْحُ وَالْفَزْلُ وَالشُّكْوَى
وَالْإِخْوَانِيَّاتُ (قَصَائِدُ يَتَبَادَلُهَا الشُّعْرَاءُ كَمَا يَتَبَادَلُ سَائِرُ النَّاسِ رِسَالَتَهُمْ). وَنَثَرَهُ
نُوعَانِ: نَوْعٌ شَدِيدُ التَّكَلُّفِ كَثِيرُ الْإِشَارَاتِ حَتَّى يَغْفُضَ عَلَى الْقَارِئِ، وَلَوْ كَانَ
مُنْقَفًا، ثُمَّ نَوْعٌ عَادِيٌّ سَهْلٌ مُرْسَلٌ وَمُطْلَقٌ مِنَ الصَّنَاعَةِ.

٣ - مَخْتَارَاتُ مِنْ آثَارِهِ

- قَالَ أَبُو الْمَطَّرِفِ بْنُ عَمِيرَةَ يَتَشَوَّقُ إِلَى بَلَنْسِيَّةَ بَعْدَ سَقُوطِهَا وَرَحِيلِ عَنْهَا:

(١) نَجَّحَ الطَّبِيبُ: ٤: ٤٦٠.

ويندبُ عهداً بالشرق فاللوى . وابن اللوى منه وابن الشرق^(١) !
تغيرَ ذاك العهدُ بعدني وأهله . ومن ذا على الأيام لا يتغير ؟
وأقفرَ رسم الدارِ إلّا بقيةً . لسائلها عن مثلِ حالي تُخبرُ .
فلم تبقَ إلّا زفرةٌ إثر زفرةٍ ؛ ضلوعي لها تنقذُ أو تنقطرُ^(٢) ؛
وإلّا اشتياقٌ لا يزالُ يهزني ، فلا غايةً تدنو ولا هو يفترُ .
أقول لساري البرق في جُح ليلةٍ . كلانا بها قد بات يبكي ويسهرُ^(٣) ،
تعرضَ مُجتازاً فكان مُذكرًا . بعهد اللوى ؛ والشئُ بالشئِ يُذكرُ .
ألا ليت شعري ، والأماي ضِلَّةٌ . وقولي : « ألا يا ليت شعري » تحيرُ .
هل النهرُ عقدٌ للجزيرةِ مثلما . عهدنا ؟ وهل حصاؤه (بعد) جوهر^(٤) ؟
وهل للصبا ذيلٌ عليه عجره . فيزورُ عنه موجه التسكر^(٥) .
وتلك المغاني ، هل عليها طلاوةٌ . بما راقَ منها أو بما رَقَّ تحرُّ ؟
ملعبُ أفراس الصبابة والصبا . تروحُ إليها تارة وتبكرُ^(٦) .
وقبلي ذاك النهرِ كانت معاهدُ . بها العيشُ مطلولُ الحميلة أخضر^(٧) ،
بحيث بياضُ الصبحِ أزرارُ جنيهِ . تطيب وأردانُ النسم تُعطرُ^(٨) .

- (١) اللوى : ما استدار من الرمل : الشرق . حصن في شرقي بلاد العرب (والشاعر يبكي بها عن وطنه جزيرة شقر) .
(٢) تنقذُ : تنقطع . تنقطرُ : تشقق .
(٣) الساري : السائر في الليل . المنح : الجزء ، من الليل . ساري البرق (البرق الذي يلمع ليلاً) . كلانا بها (وي تلك الليلة) يبكي (أنا أبكي بدموعي ، والبرق يقط في أثره المطر) .
(٤) الجزيرة : جزيرة شقر . هل النهر عقد للجزيرة (يحيط بها) . الحصاء : الحصى .
(٥) الصبا : ريح لطيفة تهب على شبه جزيرة العرب من جبال فارس مارة فوق مياه خليج البصرة (والعرب يحبونها) . والشعراء يذكرون الصبا ويمنون بها كل ريح محبوبة . ازور : مال .
(٦) الصبابة : الحب . الصبا : الشباب . تروح (في المساء) وتسكر (في الصباح) : دائماً تهب عليها هذه الريح .
(٧) القبلية : الجهة . وتستعمل عادة للجهة الجنوبية لأن اتجاه المسلمين في صلاتهم انتقل في عهد الرسول من القدس (شمال المدينة) إلى الكعبة في مكة (جنوب المدينة) .
(٨) الحبيب : مدخل القميص في العنق (أعلى الثوب) ، والأردان أطراف الثوب (أدنى الثوب) . الريح الطيبة تعطر أجواء جزيرة شقر .

ليالِ بماء الورد ينضجُ ثوبها وطيبُ هواه فيه منك وعنبر.
جَنَابٌ بأعلاه بهارٌ ونرجس: فأبيضُ مفترُّ الثايا وأصفر^(١).
كذاك إلى أن صاح بالقوم صائحٌ وأنذرَ بالبين المُتَتِ مُنذر^(٢).
وفرَقَهم أيدي سِبا وأصابهم على غيرةٍ منهم قضاءً مُقدَّر^(٣).

- وقال أبو المطرف يمدح الأميرَ أبا زكريا يحيى بن عبد الواحد الحفصيَّ سلطان
تونس (٦٢٦ - ٦٤٧ هـ) قبلَ أن ينتقل أبو المطرف إلى تونس (وفي الأبيات التالية
كثير من الجِناس والطِّباق):

شاقَّه غِبُّ الخيالِ الواردِ بارقَ حاجَ غرامِ الهاجدِ^(٤).
لم يكن بعدَ السرى مُتَمَتِّعٌ فيه للرائي ولا للرائدِ^(٥).
مَلِكٌ لولا حُلاه الفُرُّ لم يجزِ بالحمدِ لسانُ الحامدِ.
فضله مثلُ سنا الشمسِ، وهل لَسنا الشمسُ يرى من جاحد؟
قَهَرَ البَغْيَ بِجِدِّ صادِعِ ما تمدَّاه وَجَدَّ صاعدِ^(٦).
إِنَّا آلُ أبي حَفْصٍ هُدَى للورى مِنْ غائِبٍ أو شاهدِ.
قَمَدوا فوقَ النجومِ الزُّهرِ عن هِمِّ نَبْهَنَ عَزَمَ القاصدِ.
وعن الإسلامِ ذادوا عندما قَلَّ طولُ العهدِ غَرَبَ الذائدِ^(٧).
أَيُّ فخرٍ عُمريُّ المنتمى ورثوه ماجداً عن ماجدِ^(٨)!
ما الفتوحُ الفُرُّ إِلَّا لَهُمُ بين ماضٍ بادى أو عائدِ.

- (١) جناب: جانب من الأرض. أعلاه (نلاله). البهار: زهر الربيع (ويطلق عادة على الزهر الأصفر).
- (٢) صاح بالقوم صائح (يدعوهم إلى التفريق أو الهلاك). البين: الفراق.
- (٣) أيدي سباً: في كل جهة. غرة: غفلة. قضاء (حكم) مُقدَّر (محسوب، مكتوب على الناس).
- (٤) غِبُّ: بعد. الخيال الوارد: الحلم (النمام). الهاجد: التائم الذي يضلُّ بالليل.
- (٥) السرى: السر في الليل.....
- (٦) الجَدُّ: الجهد (بضم الجيم). لعلها الحدُّ (بالهاء المهملة). الصادع: الذي يصدع (يشق، يكسر). وصدع بالأمر: أعلنه. الجَدُّ (بالفتح): الخطأ.
- (٧) ذاد: دافع. الغرب: الحدُّ (حد السيف). قَلَّ: ثم، شقق، كثر.
- (٨) عمريُّ المنتمى: يرجع إلى عمر (بن الخطاب).

في مُحِبًّا لاحِقٍ من سابقٍ، وعلى المولود سِما الوالد.

- كان بين أبي المطرّف بن عَميرة وأبي عبد الله محمد بن محمد بن الجنّان (توفي بعيد ٦٥٠ هـ) وأبي الحسن علي بن محمد الرُعينيّ بن الفخّار (٥٩٢ - ٦٦٦ هـ) مراسلات. وكانوا جميعاً كثيري التكلّف للصّناعة في رسائلهم مع حشد الإشارات المُختلفة من أدبية وتاريخية وجغرافية. وبما أنّ حرف النون موجود في اسمي أبي الحسن الرُعيني وابن الجنّان، فقد كتب أبو المطرّف رسالة التزم في كلّ كلمة منها حرف النون نثراً ونظماً. من هذه الرسالة (الذيل والتكملة ٥: ٣٤٨ - ٣٤٩):

محاسنُ دُنْيانا تبينُ لناظرٍ يُنقِبُ عنها مُستَيِّبنا لِقَيْنِها^(١)
نجيبُ الرُعينيّ مارنُ أنفها، وتذبُّ بني الجنّان إنسانُ عَيْنِها^(٢).

البيانُ أنواع. وإن ظنَّ أن يمينه صنّاع، فلنُسجِه ناسٌ نعرفهم نقلاً وعيناً^(٣)، ونعدّهم زماناً زماناً. فتجدُ مناقلهم نايّةً ونسبهم مُتدانيةً ومنازعهم عن الإحسان وانيةً^(٤). معانٍ عونٌ وغيطانٌ وحُزونٌ، ونُكتٌ تندرُّ وتبدُّ عيونُ النقدِ نحوها تنظر^(٥). وإنا الصّناعة لناظمي جنانها ومُتناولي عنانها^(٦) اللذين يُتَوَعانُ الإنسان ويصعان أُمكّةَ الثّقبِ الهناء^(٧)..... إن نظماً أنسياً فندّ زماناً وناقةً بني دُبيان وابنَ الحسينِ عندَ بني حَمدانَ وحُدُجانَ ونسيبه بالحِسان، وابنَ القَيْنِ ونصيبه من

(١) - محاسن الدنيا لا تبين (لا تظهر) إلّا للناظر المتأمل الذي ينقّب (يبلغ في البحث). عينا (هنا): حقيقتهما، وجودها المادّي.

(٢) الحجب: الفاصل على مثله. الرُعينيون: أبو رعين (أفضل بي رعين). المارن: أعنى الأنث (كتابة عن الرفعة والشرف). التذب: التجيب. إنسان العين: البؤبؤ (كتابة عن أفضل الأشياء).

(٣) الصّاع: الماهر، النارع. نقلاً (ساعاً عنهم) وعينا (مشاهدة لهم).

(٤) المنقل (بالفتح): الطريق المختصر. المنقلة (بالفتح): أرض ذات حجارة. نايّة (من نأ أو من نوا): مرتفعة أو غير مسوية. مناقلهم نايّة (٥). وانية: ضعيفة، مفصرة.

(٥) عون (جمع عون): (هنا) مكرورة، معادة. العوط والغبط (بالفتح فيها): أرض واسعة محمصة لبنة. الحزن (بالفتح): أرض صلبة يصعب فيها السير. السكنة: الفكره الطريفة اللطيفة. الببده (بالضّم أو بالفتح): القطعة (المسبوذة: الغليظة القيمة).

(٦) الهناية (بالضّم): اللؤلؤة الكبيرة. العنان: رَس الدابة.

(٧) النقة (بالضّم): الحرج أو الثقرة (بالضّم) من أثر الحرب الهناء: الفطرات (بصمان الأمور مواضعها).

الإحسان^(١). وإن تَرَأَ قَمَنَ ساكنُ أرْجَانٍ ونائب ديوان الإنشاء ببغداد^(٢) وأصنافٌ كان من شأنهم وكان؟ ميمناً بالرحمن والمثاني والقرآن وبالنور والسكينة والنبي ومكانه من المدينة^(٣)، إنها للبيتنا بناء البيان وأنجبُ أبناء الزمان^(٤)؛ نزلاً منزل الفرقدين وتناولاً أنواع المناقب باليدَيْن^(٥). فمن نزاهة تُناطح كيوان ونوال يُنسي معن بني شيبان^(٦).

- لما استولى الإسبان على بلنسية عَظُمَ الرُّزُّ على المسلمين، فكتب أبو المطرف إلى الشيخ أبي جعفر بن أُمَيَّة (نفع الطيب ١: ٣٠٥ - ٣٠٨):

ألا أيها القلبُ المُصرِّحُ بالوحدِ، أما لك من بادي الصَّباية من بُدٍّ^(٧)؟
وهل من سُلُو يُرْجى لِمُتِمِّ له لَوَعَةُ الصادي ورَوْعَةُ ذي الصَّدِّ^(٨)؟
يَحِنُّ إلى نجد. وهيهات! حرَّمت صروفُ الليالي أن يعود إلى نجد^(٩).
أمن بعد رزءٍ في بَلَنَسِيَّةِ ثَوَى بأخنائنا كالنارِ مُضْمَرَةٌ الوَقْدِ^(١٠)،
يُرحي أناسٌ جَنَّةً من مصائب تُطاعنُ فيهم بالثَّقَفَةِ المُلْدِ^(١١)؟

(١) القصد الزماني والتابعة الذبائي والحدجان (حدج: امرؤ القيس) شعراء جاهليون. ابن الحسين (المتنبي). بنو حمدان (قوم سيف الدولة). ابن القين (الحداد) يقصد به الفرزدق، لأن حريراً كان يعبر الفرزدق بأنه من قوم حدادس (أي مدينيين).

(٢) بعداد = بغداد. ساكن أرْجَانٍ ونائب ديوان بغداد (٤٤).

(٣) المتاني: الآيات (تننئ: تقرأ تاسع وثلاثة، إلح، تكرر)، النور والسكينة معروفان والمقصود منها (هنا) غامض.

(٤) اللبنة: قطعة من الطين المطبوخ أو من الحجر تجعل في بناء الحدران.

(٥) الفرقدان: النجم القطبي (وهو نجم مزدوج). المنقبة: الفعل الكرم والمفخرة.

(٦) كيوان: كوكب زحل. معن بني شيبان هو معن بن زائدة (ت ١٥١ هـ) من الفصحاء والشجعان والكرماء.

(٧) الوحد والصباية: الحب.

(٨) المتِمُّ الذي تيمُّه (أرضه) الحب. اللوعة: التألم. الصادي: العطشان (المتناق إلى الميوب) الروعة: الهبة. ذو الصَّدِّ: المائل عمن يريد (المحبوب).

(٩) نجد (الأرض المرتفعة): مقاطعة في شمالي شبه جزيرة العرب (كتاية عن جزيرة شقر).

(١٠) أحنأنا: ضلوعنا (في قلوبنا).

(١١) جَنَّةً (بالضم): حاية، ستر. الثقف: الريح. الأملد: الناعم اللين من العصون (يقصد الرمح المستقيم الذي ينحني ولا ينكسر).

وهلْ أَذْنَبَ الْأَبْنَاءُ ذَنْبَ آبَائِهِمْ فَصاروا إلى الإخراج من جَنَّةِ الْخُلْدِ^(١) ؟
 مَرْجَباً بالسَّاءَةِ^(٢) وما أَعَارَتْ أَقْفِي من الوَضَاءَةِ، وَوَرَدَتْ تَسَحُّرُ النَّهْيِ.
 وَتَسَحَّبَ ذَيْلًا عَلَى السُّهَى^(٣)..... بِلَاغَةٍ تَفْتِنُ كُلَّ لَبِيبٍ وَتُرْعَى رَوْضَ كُلِّ أَدِيبٍ
 وَتَقْصُ عَلَى رُغْمِ الْعَدُوِّ مِنْ حَبِيبٍ^(٤)..... وَأَجْرِيَتْ خَيْرَ الْحَادِثَةِ الَّتِي مَحَقَّتْ بَدْرَ
 التَّامِّ وَذَهَبَتْ بِنَصَارَةِ الْأَيَّامِ. فَيَا مَنْ حَضَرَ يَوْمَ اللَّطَشَةِ وَعُزِّي فِي أُنْسِهِ بَعْدَ تِلْكَ
 الْوَحْشَةِ، أَحَقًّا أَنَّهُ دَكَّتِ الْأَرْضُ وَنَزَفَ الْمَعِينُ وَالْبُرْصُ وَصَوَّحَ^(٥) رَوْضَ الْمُنَى وَصَرَخَ
 الْحَطْبُ وَمَا كُنِيَ؟ أَيْنَ لِي كَيْفَ فُقِدَتْ رَجَاحَةُ الْأَحْلَامِ وَعُقِدَتْ مَنَاحَةُ الْإِسْلَامِ.....
 أَحْلَمْ مَا نَرَى؟ بَلْ مَا رَأَى ذَاكَ حَالُمْ: طَوْفَانٌ يُقَالُ عِنْدَهُ: لَا عَاصِمَ^(٦)! مَنْ يُنْصِفُنَا
 مِنَ الزَّمَانِ الظَّالِمِ؟ اللَّهُ بِمَا يُلْقَى الْفَوَادُ عَالِمٌ.

- وَقَالَ فِي تَارِيخِ جَزِيرَةِ مَيُورَقَة: اسْتَيْلَاءُ الْإِسْبَانِ عَلَيْهَا (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٤ :
 ٤٦٩ - ٤٧٠) - وَقَوْلُهُ هُنَا مِنَ النَّثْرِ الْمُرْسَلِ.

إِنَّ سَبَبَ أَخْذِهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ أَمِيرَهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُوسَى
 كَانَ فِي الدَّوْلَةِ الْمَاضِيَةِ أَحَدَ أَعْوَانِهَا، وَلَيْسَ بِهَا سَنَةٌ سِتٌّ وَسِتِّمِائَةٌ، وَاحْتِاجٌ إِلَى الْخَشَبِ
 الْمَجْلُوبِ مِنْ يَابَسَةِ^(٧). فَأَنْفَذَ طَرِيدَةً بَحْرِيَّةً وَقِطْعَةً حَرْبِيَّةً^(٨). فَعَلِمَ بِهِ وَالِي طَرُوشَةِ
 فَجَهَّزَ إِلَيْهَا مِنْ أَخْذِهَا. فَعَقَّظَ ذَلِكَ عَلَى الْوَالِي وَحَدَّثَ نَفْسَهُ بِالْفَزْوِ لِبِلَادِ الرُّومِ^(٩).

(١) ذنب أبيهم (آدم).

(٢) السَّاءَةُ: الغَيْمَةُ، السَّحَابَةُ (١). تَسَحَّبَ ذَيْلًا (تَفَتَحَ).

(٣) السُّهَى وَالسُّهَى: نَجْمٌ خَفِيَ (بَعْدَهُ وَعَلَوْهُ).

(٤) غَضِبَ مِنْهُ: حَطَّ مِنْ قَدْرِهِ. حَبِيبٌ (أَبُو قَامِ الشَّاعِرِ).

(٥) أَجْرِيَتْ خَيْرَ الْحَادِثَةِ (ذَكَرَتْ سَقُوطَ بِلَنِيَّةٍ). مَحَقَّتْ بَدْرَ التَّامِّ (ذَهَبَتْ بَنُورُهُ، أَعَادَتْهُ مَظْلَمًا). دَكَّتِ
 الْأَرْضُ دَكًّا: تَهَدَّمَتْ، سَقَطَ كُلُّ مَا عَلَيْهَا. نَزَفَ: فَنَى، نَفَدَ. الْمَعِينُ: الْمَاءُ الْكَثِيرُ الْجَارِي. الْبُرْصُ:
 الْبُشْرُ الْقَلِيلَةُ الْمَاءِ. صَوَّحَ: بَيَّسَ.

(٦) لَا عَاصِمَ: لَا مَانِعَ، لَا حَامٍ. (لَيْسَ ثَمَّةُ شَيْءٍ يَمْنَعُ الْمَصِيبَةَ).

(٧) يَابَسَةُ: حَزِيرَةٌ صَغِيرَةٌ فِي أَرْحَبِيلِ الْبَلْبَارِ (شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ).

(٨) طَرِيدَةٌ (يَدُوهَا أَتَمَّا قِطْعَةٌ بَحْرِيَّةٌ).

(٩) طَرُوشَةُ: فِي شِمَالِ شَرْقِيَّ جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ (فِي مَنَاصِفِ الْمَسَافَةِ بَيْنَ بِلَنِيَّةٍ وَبَرْسَلُونَةِ). وَالِي طَرُوشَةِ
 الْإِسْبَانِي. بِلَادُ الرُّومِ (إِسْبَانِيَّةٌ الَّتِي كَانَ يَحْكُمُهَا النَّصَارَى - وَالْعَرَبُ كَانُوا، فِي الْأَنْدَلُسِ، يَطْلُقُونَ اسْمَ
 الرُّومِ عَلَى كُلِّ طَوَائِفِ النَّصَارَى).

وكان ذلك رأياً مشؤماً. وَوَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرُّومِ * . وفي آخِرِ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ بَلَّغَهُ أَنَّ مُسْطَحاً^(١) مِنْ بَرْسَلُونَةَ^(٢) ظَهَرَ عَلَى يَابَسَةَ^(٣) وَ(أَنَّ) مَرْكَباً آخَرَ مِنْ طَرْطُوشَةَ^(٤) انْضَمَّ إِلَيْهِ. فَبَعَثَ وَلَدَهُ فِي عِدَّةٍ قَطَعَ إِلَيْهِ حَتَّى نَزَلَ مَرْسَى يَابَسَةَ. وَوَجَدَ فِيهِ لِأَهْلِ جَنْوَةِ^(٥) مَرْكَباً كَبِيراً، فَأَخَذَهُ وَسَارَ حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى الْمُسْطَحِّ فَقَاتَلَهُ وَأَخَذَهُ. وَظَنَّ أَنَّهُ غَالِبُ الْمُلُوكِ، وَغَابَ عَنْهُ أَنَّهُ أَشْأَمُ مِنْ عَاقِرِ النَّاقَةِ^(٦). وَإِنَّ الرُّومَ، لَمَّا بَلَغَهُمُ الْخَبَرُ، قَالُوا لِمَلِكِهِمْ وَهُوَ مِنْ ذُرِّيَةِ أَذْفُونَشٍ^(٧): كَيْفَ يَرْضَى الْمَلِكُ بِهَذَا الْأَمْرِ وَنَحْنُ نَقَاتِلُ بِنَفُوسِنَا وَأَمْوَالِنَا؟^(٨)

٤- ** أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي: حياته وآثاره، تأليف محمد بن شريفة، الرباط (جامعة محمد الخامس) ١٩٦٥ م.

المغرب ٢: ٣٦٣-٣٦٤؛ الوافي بالوفيات ٧: ١٣٣-١٣٥؛ الفتح الملقى ٤٢-٥٢؛ تحفة القادم ١٤٥-١٥٠؛ الذيل والتكملة ١: ١٥٠-١٨٠ (رقم ٢٣١)؛ أعمال الأعلام ٢٧٣-٢٧٤؛ الإحاطة ١: ١٧٩-١٨٦؛ الديباج المذهب ٤٦-٤٧؛ جذوة الاقتباس ١٧٢؛ عنوان الدراية ٢٥٠-٢٥٣؛ بنية الوعاة ١٣٧-١٣٨؛ نفح الطيب ١: ٣٠٥-٣١٧، ٣: ١٤٥-١٤٧، ٤٨٧-٤٨٨، ٤: ٤٦٩-٤٧١، ٤٩٠-٤٩٦، ٥٠٦-٥٠٧، ٦: ٢٤٦ وما بعد؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٠٤-٧٠٨؛ بروكلمن ١: ٣٨١، الملحق ١: ٥١٦؛ الأعلام للزركلي ١: ١٥٢-١٥٣ (١٥٩)؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٩٠-١٩٤.

ابن عربيّة^(٩)

١- هو أبو عمرو عُثْمَانُ بْنُ عَتِيقِ بْنِ عَثْمَانَ الْقَيْسِيُّ الْمَعْرُوفُ بِأَبْنِ عَرَبِيَّةٍ وَلِدَ فِي

(١) مسطح: يبدو أنه نوع من المراكب. برسلونة: مرفأ كبير مهم في شالي شرقي جزيرة الأندلس.

(٢) جنوة. مرفأ في أقصى الشمال الغربي من شبه جزيرة إيطاليا. * (كداء).

(٣) قالوا اسمه: قدار (بالضم)، عقر (ذبح) الناقة التي أرسلها الله اختباراً لقبيلة ثود قوم النبي صالح، فغضب الله على ثود وهدم بلادهم.

(٤) الأذفونش في الأصل اسم علم على شخص (كان في إسبانية عدد من الملوك يحملون هذا الاسم). ثم أصبح هذا الاسم كاللقب للملوك إسبانية النصراني، كما كان كسرى لقباً للملوك الفرس وقيصراً لقباً للملوك الروم والرومان.

(٥) وهذه الرسالة تسمى تصف تست آراء المسلمين وتحاذلهم في القرن الأخير من حياتهم في الأندلس.

(٦) يرد هذا الاسم: عربية (بفتح فتح) عربيّة (بتقديم الباء وبالتصغير). وقد اخترت القراءة الأولى.

المهديّة، سنة ٦٠٠ هـ (١٢٠٣-١٢٠٤ م)، ونشأ بها. ثمّ إنّه انتقل إلى تونس الحاضرة وأتصل بأبي زكريا يحيى بن عبد الواحد (٦٢٦-٦٤٧ هـ) فولاه القضاء في تبرسق. وكانت وفاته في تبرسق، ٢٨ المحرم ٦٥٩ هـ (١٢٦١ م).

٢- كان ابن عَرَبِيَّةَ عالماً بالحديث وبالفقه وبعديد من فنون الأدب، غير أنّ شهرته كانت في الشعر. وهو شاعرٌ مُجيدٌ يُقلدُ المِثاقَةَ مِنَ الإِسْلامِيِّينَ والمُحدَثينَ (الأُمويّينَ والعبّاسيّين). وأغراضه وُجْدانيّةٌ في النسيبِ والعتابِ والوصفِ. وربّما تكلفَ استِعمالَ الغريبِ مِنَ الألفاظِ. وهو مِنَ الذين خَصّوا القصيدةَ الشُّعْراييةَ لِعبدِ اللهِ بنِ يحيى الشُّعْراييسِيّ (ت ٤٦٦ هـ) في مدحِ الرّسولِ. ثمّ هو مُصنّفٌ له: جوامعُ الكَلِمِ النَّبويّةِ - آثارُ السَّحابةِ في شُراءِ الصَّحابةِ - قصائدُ المِدَحِ ومصانيدُ المِنحِ (وهي ديوانه). ثمّ له عددٌ مِنَ الكُتبِ في الحديثِ والفقهِ.

٣- مختارات من شعره

- قال ابن عريية في النسيب والعتاب:

ألا، فَرَعَى اللهُ الحِمَى ونَسِمَهُ، وإن جَلَّ ما ألقاه من ساكني الحِمَى^(١)،
وَيَتِمَّكُمْ، يا أَهْلَ نَجْدٍ، فَإِنِّي أراكم تَلومونَ المَشوقَ المَتَمِّيا^(٢)،
هَجَعْتُمْ. وَمَنْ لي بِالْهُجوعِ؟ فَرُبَّما أَلَمَ بِهِ مِنْكُمْ خَيالٌ فَسَلِّيا^(٣)،
أَيَطْرُقُ جَفَنًا بَاتَ مِنْي ساهِراً وَيَتْرُكُ أَجْفاناً لَكُمْ بَتْنَ نوماً^(٤)؟
ولما اسْتَطارَ البرقُ قُلْتُ لِصاحبي: أَقْلِي هَفاً أَمْ نَفَرَهُ قَدْ تَبَسَّيا^(٥)؟
أَعارَ وَمِضَّ البرقِ حُسْنَ ابتسامِهِ وماذا عليه لو أعارَ له اللَّمى^(٦)؟

(١) جَلَّ: عظم، كثر، اشتدَّ. ما ألقاه (من العذاب في البعد عن محبوبي في الحِمَى).

(٢) نَبِمَ الحبَّ الرجل: اشتدَّ عليه فأمرضه.

(٣) أَلَمَ (مَرَّ، زار) به (فيه: في المَجوع، الإِغْماء، النُوم). في الأَصْل «سَلِّيا» (ولا وجه لها). أقرأ: فَسَلِّيا.

(٤) طَرَقَ: زار ليلًا. - أنا سهران لا أرى حبيبي في مومي (ولا في اليقظة - بفتح ففتح). وأنتم تنامون مله جفونكم، ولكن لا ترونه في ماسمكم (لأنكم لا تفكرون به ولا تعرفون مكانته ولا تدركون حاله).

(٥) استطار: انتشر. أقرب المعاني للفعل «هفا» هنا: حزن، اشتاق.

(٦) اللَّمى: السمرة في الشفاء.

أَوِ الْبَرْدَ الْعَذْبَ الَّذِي لَنْ تُذَيِّهَ حرارة أنفاسِ امرئٍ قَبْلَ الْمَآءِ^(١) ؟
تَعْلَمُ مِنْهُ خُلْبُ الْبَرَقِ خُلْفَهُ ؛ فَمِنْ أَيِّمَا بَرَقَ تَرَاهُ تَعْلَمُ^(٢) ؟
- وقال في الحنين إلى الوطن (وقد تكلف فيه الغريب من الألفاظ):
أَقُولُ لِرُكُوبِ قَافِلٍ مِنْ مُعَرَّسٍ بِحِمَّةٍ، تَرْدِي بِالْحُمُولِ مَشَاجِئَهُ^(٣) :
لَكَ اللَّهُ، أُمْتِنَا عَنِ الْبَلَدِ الَّذِي أَكْبَرُهُ أَسْلَافُنَا وَأَبَالِجُهُ^(٤) ؛
وعن وطني، لولا العلى وطلابها لَعَزَّ عَلَى مَمَوَايَ أَنِّي خَارِجُهُ^(٥)
وعن رسم إيوانٍ تداعت عِراضُهُ وَدُكَّتْ حَنَائِيهَا وَخَرَّتْ مَعَارِجُهُ^(٦) ؛
وَمَا صَنَعَ الْقَصَّةُ الْعُبَيْدِيُّ وَالْحِمَى وَسُورُ الْمَصْلَى وَالْكُثَيْبُ وَعَالِجُهُ^(٧) ؟

- (١) البرد: قطرات الماء التي تجمد بعد سقوطها من السحاب (كتابة عن أسنان المحبوب).
(٢) البرق الخَلْبُ (الذي يبرق ويرعد ثم يفتش غيبه من غير أن يطرأ). الخلف (بالضم): إخلاف الوعد. - هذا المحبوب تعلم قلة الوفاء بالوعد من هذا البرق الذي براه في سائنا، فمن أي برق أخذ لون أسنانه البيض وعذوبة ريقه؟
(٣) الركب جماعة (على إبل) في سفر. قافل: راحل. المعرس: المكان الذي ينزل فيه المسافرين في أثناء سفرهم ثم يتابعون السفر بعد ذلك. الحِمَّة: مكان يجتمع فيه ماء كثير. وَجَّة (هنا) بلد (في تونس). تردى الخيل: تضرب الأرض بجوافرها صرماً من سرعة جريها. الحمول جمع حمل (بالفتح): المودج على الجمل (شبه بيت تركب فيه النساء). مشاحج (٤). المشحج (بالكسر): الغراب. - لعله يقصد البغال التي تحمل النساء والأحمال.
(٤) آمئنا: حدثنا حديثاً متمماً (يسرنا). الأبالج (٥) - الأبلج: الأبيض، الجميل، الكريم الأصل، الجواد، وجمعها بلج (بالضم).
(٥) خارجه: خارج منه (بعيد عنه). - خارج: خبر «إن» وليست «ظرفاً متعلقاً بالخبر المحدوف (٤).
(٦) الرسم: أثر البناء بعد زواله. الإيوان: البناء العظيم لمجلس الملك. تداعى: تهاوى. العرصة (بالفتح): المكان الواسع بين البيوت لا بناء فيه (والاستعمال هنا خطأ).
دك (بالبناء للمجهول) القصر: هدم كُله. الحنينة: القنطرة المعقودة. خر: سقط. المراج (بالكسر): المصعد (بالفتح): الطريق. يصعد فيها السائر. والشاعر يقصد بالمعارج السلال جمع سل (بضم ثم لام مشددة مفتوحة).
(٧) القصر العبيدي: القصر الذي كان ينزل فيه أئمة العبيديين (الفاطميون) في المهديدة (في الفطر التونسي). الحمى (المكان المهرس: مسكن النساء، والقلمة). الكُثَيْب: الرمل المستطيل المحدود. عالج: الرمل المتداخل المراكب. لعل الشاعر يعصد بالكُثَيْب وعالج مكانين تلذزة (راجع البيت التالي).

وشاطئُهُ أَنَّى تَنَوَّعَ حُسْنُهُ، وَخَضِرُهُ أَنَّى تَدَقَّعَ مَائِجُهُ (١)
سلام عَلَى الْمَهْدِيَّتَيْنِ ففِيهِمَا أَبْ بِنْتُ عَنْهُ قَاصِرُ الْخَطِّ هَادِجُهُ (٢).

٤ - ** رحلة التجاني ٣٧٥ - ٣٨٠: يحمل تاريخ الأدب التونسي ١٩٧ - ١٩٩، الأعلام للزركلي ٤: ٣٧١ (٢٠٩).

أحمد اللّلياني

١ - هو أبو العباس أحمد بن إبراهيم اللّلياني - نسبة إلى لّليانة قُرب المَهديّة، في القطر التونسي - انتقل به أبوه إلى تونس الحاضرة (العاصمة)، وفيها لازم الإمام أبا زكريّا البرقيّ.

تولّى أحمد اللّلياني عدداً من أعمال الدولة في أيام المستنصر الأوّل (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ). وكانت له في الوقت نفسه صلات تجاريّة بفرنسة وإيطالية فجَمَعَ من ذلك ثروة كبيرة كانت سبباً لحسده عليها ثمّ مصادرتها. ولم يُشَف ذلك غِلُّ السُلطان له فقتله بعد ذلك في المحرم من سنة ٦٥٩ (في آخر شهر ١٢٦٠ م).

٢ - كان أحمد اللّلياني فقيهاً وشاعراً مشرقياً الديباجة مشرقياً الأغراض متين السبك صحيح التعبير. وفنون شعره الغزل والعتاب. وداليته التي تأتي في «مختارات من شعره» تُذكرنا باليتيمة: «هلّ بالطلول لسائل ردُّ؟» (راجع ٢: ١٩٧).

٣ - مختارات من شعره

- كان أحمد اللّلياني بعيد الطموح يُحدّث نفسه بأمور كثيرة (بالوصول إلى السُلطة مثلاً). وفي مثل ذلك يقول:

(١) أنى: كيف. المحصورة: البحر العظيم.
(٢) المَهديّتين: ... (٩) المَهديّة: بلد في منتصف الساحل الشرقي من القطر التونسي. شب عنه: استعدت (من بان سين). قاصر الخطو (صعب عاجز عن المشي). الهادج: الذي يسعى بسعونه أو باربعاش

في أم رأسي حديثٌ سامع ليس يُصير^(١).
 فإن تطاولَ عمري وساعدَ الجدُّ يظهر^(٢).
 أرى جُموعاً صحاحاً، ومذهبي أن تُكسر^(٣).
 - وله في الغزل:

شادنٌ في القلب مرتعُ خصّه بالحسن مُبدعُ^(٤).
 لامي فيه أخو سَفَهِ بكلامٍ لست أسمعُه^(٥).
 ردّ لي قلبي لِتَغْذَلِهِ، فهو في كَفِّهِ أجمُعُ^(٦).
 هل يرى دهرٌ يهودُ به بعد ما قد كان يمنعه.
 وشقيقي النفس يُتَعَفُّني بحديثٍ جَلَّ موقِعُه^(٧).
 لفظُهِ دُرٌّ يُساقطُ، وبَناني السمعُ يجمعه^(٨).
 - وقال أحدُ اللّليانيّ في العتاب:

هذي العُذيبُ، وهذه نَجْدُ! أين الذي يَقْضي به الوجدُ^(٩)؟

-
- (١) أم الرأس: الدماغ. سامع ليس يصير (يسمع كلامي ولكن لا يتبين معناه ولا يدرك ما يخبره به المستعمل).
- (٢) الجدُّ (بالفتح): الخطأ.
- (٣) في البيت نوريتان. الجمع الصحيح (جمع الأسماء جمعاً مذكراً سالماً أو مؤنثاً سالماً)، جماعات من الناس: أهل الدولة مثلاً. تكسير الجمع من الكلام جمعه على غير نسق معلوم: جمع تائر تائرون (جمعاً سالماً) وتَوَار (جمع تكسير). وتكسير الجمع (من الناس) تفريقه.
- (٤) الشادن: الغزال الصغير (الحبيب). في الأصل: خصّه في الحسن أبدعه. المبدع: الخالق (الله).
- (٥) السفه: النقص في العقل.
- (٦) عذل: لام. - إذا أردت أن أسمع نوتك في حبيبي حتى أهجره فاعمل أولاً على أن تردّ إليّ قلبي الذي هو أسير في يدي محبوبي.
- (٧) شقيق النفس: الذي هو عندك بمنزلة نفسك (روحك، حيائك). الحبيب. جلّ موقعه: عظم وقعه (تأثيره في نفسي).
- (٨) - كلام محبوبي درّ (جوهر، لؤلؤ) يلقي به وهو يتكلّم، وأنا أصغي إليه بانتباه كأنّي ألتقط اللؤلؤ بيناني (أطراف أصابعي) من الأرض.
- (٩) العذيب: نبع ماء (وماؤه قليل ولكن حلوا) قرب ينبع (نهر المدينة المنورة). هذي العذيب..... هاهي قريبة منّي. الوجد: الحب. الذي يقضي به الوجد أن يزور الحب أرض حبيبه.

ما هكذا حال المُجِبِّ إذا أعلام رَّبَعَ حبيبهِ تبدو^(١).
 سَرَّحَ دُمُوعَ العَيْنِ مُتَبَدِّراً وبِذِكْرِ ماضِي عَهْدِهِمْ فَاشْتَدَّ^(٢).
 وَأَلْتَمَّ عَلَى شَقَفِ موَاطِنَهُمْ، إنَّ عَاقَ عَنْ مَقْصُودِكَ البُعْدِ.
 لَمْ أُنْسَ يَوْمَ وَدَاعِهِمْ سَحَرًا، والدمعُ أَسْلَمَ دُرَّةَ العِقْدِ^(٣).
 فَعَسَى اللِّقَاءُ يَكُونُ مُقْتَرِنًا إنَّ أَنْجَدْتَ كَلَفًا بِهِ نَجْدُ^(٤).
 وَلَمَلَّ مَا نَرْجُو تَجَوُّدَ بِهِ كَفُّ الزَّمَانِ وَيُسَعِدُ الجَدَّ^(٥).

١- ** - مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٩٥-١٩٧؛ عنوان الأريب ١: ٧٣-٧٤.

أبو بكر بن سيّد الناس

١- هو أبو بكر محمد بن الفقيه أبي العبّاس أحمد (٥٦١-٦١٨ هـ) بن عبد الله (٥١١-٥٩١ هـ) بن محمد بن يحيى بن محمد^(١) بن سيّد الناس البَغْمَرِيُّ الإِسْبِيلِيُّ، أصلُ أهله من مَنبَجِ قَرْبِ حَلَبَ (في الشام)، وأصلُ أهله الأقربين من أُنْبَدَةَ من عَمَلِ جِيَانِ.
 يذكُرُ أبو بكر بن سيّد الناس عن نفسه أَنَّهُ وَلِدَ لَعَنَرٍ لِيَالٍ بَقِيَتْ من شهر أكتوبرِ الأعجميِّ في صدر سَنَةِ سَبْعٍ وتسعين^(٢). فعلى هذا يكون مولده في عاشر المُحَرَّمِ من سَنَةِ ٥٩٧ (١٢٠٠/١٠/٢١ م)، في المُحْجِرَةِ من قُرَى إشبيلية، وبدأ تلقّي العلم على

(١) الأعلام: الجبال، الأماكن العالية البارزة. الربع: المسكن. - لا يفعل أحد مثل فعل: يرى أرض حبيبهِ ثم لا يذهب إليها.

(٢) ابتدأت العين: سال دمعها. المتندر (الذي يهكي كثيراً). شدا: غشى - كان ماضي عهدي معهم سعيداً.

(٣) أَسْلَمَ دُرَّةَ العَقْدِ: انقطع سلكه وتفرقت حَيَاتُ لؤلؤهِ (كتابة عن كثرة بكاؤه).

(٤) أُنْجَدْتَ: ساعدت (نجد على إتاحة الفرصة لربارتها).... مقتربا (!).

(٥) الجَدَّ (بالفتح): الخطّ.

(٦) ساق الرواية نسب أبي بكر بن سيّد الناس سيافة أطول، مع شيء من الاختلاف (راجع «عنوان الدراية» و«الذيل والتكملة».

(٧) سنة سبع وتسعين وخمائة. أكتوبر المعجمي (تشرين الأوّل) والشهر العاشر من السنة الشمسيّة في الحساب الحديث.

أبيه ولازمه خمس عشرة سنة، وعلى جدته لأبيه أم القفاف نزهة بنت سليمان اللخمي ولازمها ست سنوات ونصف سنة. ثم يذكر نقرأ كثيرين من الذين قال إنه تلقى العلم عليهم، منهم: أبو حفص عمر بن عبد الله بن عمر السلمي (ت ٦٠٣ هـ) وأبو ذر مضعب بن محمد الحسني (ت ٦٠٤ هـ) وأبو الحسن بن خروف النحوي (ت ٦٠٩ هـ) وابن جبير الرحالة (ت ٦١٤ هـ) وأبو القاسم محمد بن عبد الواحد الملاح (ت ٦١٩ هـ) وغيرهم كثير، حتى قال ابن عبد الملك المراكشي (الذيل والتكملة: ٥: ٦٥٧): «وشيوخه كثيرون يتعذر إحصاؤهم ويدعو إلى السأم استقصاؤهم»، مع أنه قد سرد من أسمائهم ما ملأ أربع صفحات (٥: ٦٥٤ - ٦٥٨). ويبدو أن ابن سيد الناس كان مبالغاً في عدد الذين تلقى عنهم العلم وفي العلم الذي تلقاه أيضاً، حتى (الذيل والتكملة: ٥: ٦٥٨) «أنكر كثير من الناس عليه ذلك ونسبوه إلى أدعائه ما لم يرويه (من العلم) ولقاء من لم يلقه (من الشيوخ) على الوجه الذي زعمه».

وأكتب أبو بكر بن سيد الناس (أي جعل الناس يكتبون عنه ما يلقي من فروع العلم) بعض القصر (قرب إشبيلية) مدة - وفي الإكتاب أذهب معظم عمره في الأندلس - ثم فصل عنها وأكتب القرآن في قرية خاملة من قرى شريش (من أقصى الجنوب الغربي من الأندلس) تدعى بونينة. ثم فصل (نزع) من بونينة، بعد سنة ٦٤٠ للهجرة، إلى سبتة (في أقصى الشمال من المغرب، على البحر المتوسط)، بعدئذ انتقل إلى بجاية (في القطر الجزائري اليوم) فتولى الإمامة والخطابة بجامعها.

وفي حدود سنة ٦٥٤ للهجرة (١٢٥٦ م)، دعاه المستنصر^(١) الحفصي (٦٤٧-٦٧٥ هـ) إلى تونس الحاضرة وولاه الإمامة والخطبة بجامعه. وقد كانت وفاته بمحاضرة تونس، في جهادي الأخيرة^(٢) من سنة ٦٥٩ للهجرة

(١) في عنوان الدراية المستنصر (ص ٢٤٧) مرتين. وفي الحاشية: تحطنته ليل الابتهاج لأنه قال المنتصر (راجع نيل الابتهاج ٢٢٩). وفي «خلاصة تاريخ تونس» لحسن حني عبد الوهاب «المنتصر» (ص ١٠٨-١٠٩) أربع مرات، وفي الصفحة ١٢٥ «المنتصر». وفي زامباور (ص ١١٥): «المنتصر» وفي الحاشية المنتصر.

(٢) في «عنوان الدراية» (ص ٢٤٩): وكانت وفاته يوم الثلاثاء، الثالث والعشرين جادى الآخرة، سنة سبع =

(١٢٦١ للميلاد). وَلَحِقَهُ قُبَيْلَ مَوْتِهِ مَرَضٌ فِي عَيْنَيْهِ (راجع نفع الطيب ٤: ١١٠).

٢- كان أبو بكر بن سَيِّدِ النَّاسِ بارعاً في القراءات حافظاً للحديث عارفاً برجاله وبأسانئهم وتاريخ وفتايتهم ومبلغ أعمارهم. وكان يقوم على البخاري^(١) قياماً حسناً. وكان إذا قرأ الحديث يُسَنِّدُهُ (إلى رواته) حَتَّى يَنْتَهِيَ إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ثُمَّ إِذَا أَتَاهُ الْإِسْنَادُ (رُجُوعاً إِلَى الرَّسُولِ) عَادَ إِلَى ذِكْرِ رِجَالِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فَمَنْ بَعْدَهُمْ وَاحِداً وَاحِداً يُعَرِّفُهُمْ نَسَباً وَأَسْماً وَصِفَةً (حَتَّى يَنْتَهِيَ نُزُولاً) إِلَى شَيْخِهِ..... ثُمَّ يَذْكُرُ لُغَةَ الْحَدِيثِ وَفِقَّهُهُ وَالْخِلَافَ الْعَالِيَّ^(٢) وَدَقَائِقَهُ وَرِقَائِقَهُ وَالْمُسْتَفَادَ مِنْهُ (راجع عنوان الدراية ٢٤٦-٢٤٧ ونيل الابتهاج ٢٢٩).
ثُمَّ هُوَ خَطِيبٌ وَلُغَوِيٌّ وَتَارِيخِيٌّ وَشَاعِرٌ.

وقيل في أبي بكر بن سَيِّدِ النَّاسِ (الذيل والتكملة ٥: ٦٥٨-٦٥٩): «وَتَصَدَّى لِإِسْبَاعِ الْحَدِيثِ وَغَيْرِهِ مُتَظَاهِراً بِسَمَةِ الرَّوَايَةِ وَالْإِكْثَارِ عَنْ^(٣) الشُّيُوخِ... فَأَنْكَرَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ ذَلِكَ.... وَعَلَى الْجُمْلَةِ، فَقَدْ كَانَ قَاصِراً عَمَّا تَعَاطَاهُ مِنْ ذَلِكَ شَدِيدَ التَّجَاسُرِ عَلَيْهِ، مُتَأَيِّداً بِمَا نَالَهُ مِنَ الْجَاهِ وَالْحُطُوتِ عِنْدَ الْأَمِيرِ بُتُونِسَ».

٣- مختارات من آثاره

- قال أبو بكر بن سَيِّدِ النَّاسِ يَتَشَوَّقُ إِلَى زِيَارَةِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ (الكعبة المشرفة في مكة):

أَيَا سَائِراً نَحْوَ الْحِجَازِ، وَقَصْدُهُ إِلَى الْكَعْبَةِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، بَلَاغُ^(١)
وَمِنْهُ إِلَى قَبْرِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ يَكُونُ لَهُ بِالرُّوضَتَيْنِ مَرَاغُ^(٥).

= وخسين وستائة. وفي «الذيل والتكملة» ٨ أو ٧ جادى الثانية، وفي «نيل الابتهاج»: ثالث عشر جادى الأخيرة ٦٥٧. توفي بتونس في رجب (شذرات الذهب ٥: ٢٩٩).

(١) كتاب «الجامع الصحيح» (في أحاديث رسول الله) لِمُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيِّ (ت ٢٥٦ هـ).

(٢) الخلاف العالي = الخلاف في الأحاديث العوالي التي يروها أفراد معاصرون للرسول (٤).

(٣) مدّعياً أَنَّهُ تَلَقَّى الْعِلْمَ عَلَى شُيُوخٍ كَثِيرِينَ.

(٤) قصده (نَبَّهَ) بِلَاغٍ (تَبَلَّغَهُ مَرَامُهُ وَتَوَجَّبَ لَهُ الْأَجْرُ وَإِنْ لَمْ يَصِلْ) (٥). أو أُرْجُو أَنْ تَبْلُغَ سَلامِي.

(٥) الروضة الشريفة (مكان قبر الرسول). المراع والمراغة: المكان الذي يتمرغ فيه الشخص (يتقلب على التراب ليحك جسمه بالأرض أو للتدليل أو للباس، إلخ).

فيا أسفاً، كم قد تَمَنَّيْتُ قَصْدَهُ فأدفع عن قَصْدِي له وأُراغ^(١).
 وقَصَّرَ بي جَدِّي، إذ الأمرُ في يدي جميعٌ، وعِنْدِي ثروةٌ وفراغ^(٢).
 (وذا) الآن قد حَطَّ الشَّيْبُ بِمُفَرِّقِي، وكَلَّلَ رأسي من حُلَاةِ صباغ^(٣).
 أَعْلَلُ نفسي بالنَّسَى، وتَصُدُّني ذنوبُها عند الفراق مَصَاغ^(٤) (١).
 عسى توبةٌ قبلَ الماتِ وِرْزورةٌ فيَنْضَحُ من شَيْنِ الذَّنُوبِ رِداغ^(٥).
 وألقى شيوخاً يُؤَسُّ المرءَ مِنْهُمُ أحاديثُ صِدْقٍ تُجْتَلَى وتُصاغ^(٦).

- ومن رسالة بخط أبي بكر بن سيد الناس يقول فيها (الذيل والتكملة ٥ :

٦٥٩ - ٦٦١):

أما أصلنا فمن منبج الشام. وخرج سلفنا غزاة في طالعة بلج^(٧) واستوطنوا أبدة جيان - ويقال إنها شبيهة ببلديهم في خصبها وأتساع خيرها - كذا رأيتهم وسمعتهم يتلفظون بها، بالذال المعجمة. وفي أخبارها ما يدلُّ على أنَّ العرب، إذ ذاك، تكلموا فيها بالذال المهملة. ... ومولد جدِّي الفقيه أبي محمد بأبدة سنة إحدى عشرة وخمسمائة. وتوفي في إشبيلية عام (معركة) الأرك سنة إحدى وتسعين^(٨). ومولد أبي إشبيلية في

(١) « ادفع » حَقَّها التَّصَبُّ بأن مضرة بعد فاء السببية (بعد فعل التمني). ولكن يجب حينئذ نصب

« أراغ » فيحدث إقواء (عيب: نصب بدل الرفع في القافية). أراغ: أبعد (عن الطريق السوي).

(٢) الجدُّ (بالفتح): الخطُّ. في الأصل « إذا » (الصواب إذ). - انا مستطيع أن أذهب إلى الحج، ولكن حظي سيء، فلم تتح لي فرصة بعد للذهاب.

(٣) خط: كتب (بدأ الشيب في رأسي). كلَّلَ رأسي: أحاط برأسي صباغ (لون أبيض: شيب) من حلاة: زينته. - كان لون شبيهة جيلًا.

(٤) ذنوب لها عند الفراق مصاغ (٩): تنحرف بي عن قصدي.

(٥) زورة (للمدينة، لقبر الرسول)، الثين: العيب. نضح: غسل بالماء. الرداغ: الوحل. أرجو إذا زرت مكة والمدينة أن تصل تلك الزورة (مع التوبة) ما علي من عيب الذنوب.

(٦) شيوخ (أساتذة). أحاديث صدق: أحاديث صادقة (ثابتة، صحيحة). تحتلى: يطلب الإنسان اجتلاءها (النظر إليها). وتصاغ (تعمل رنية لما يحفظه الإنسان من فنون العلم).

(٧) بلج بن بشر القشيري (ت ١٢٤ هـ) قائد جيش جاء من الشام لإخضاع الثائرين في إفريقية (تونس) ثم دخل الأندلس وشارك في القتال. راجع أخباره مفصلة في الجزء الرابع من هذه السلسلة (ص ٤٣ وما بعد).

(٨) سنة ٥٩١ هـ. ومعركة الأرك استمر فيها الموحِّدون على الإنسان في الأندلس وحفوا وطأه الإنسان عن المسلمين هناك. راجع في هذه السلسلة الجزء الخامس (ص ٣٦٠).

جُهادى الآخِرَةَ سَنَةً إِحْدَى وَتَسْعِينَ (وخمسمائة)، وتُوُفِّيَ بها في مُتَنَصِّفِ جُهادى الأَوَّلَى سَنَةً ثِنْيَيْنِ عَشْرَةَ وَسِتِّمِائَةَ. ومولدى بقرية من قُرى إِشْبِيلِيَّة تُسَمَّى الحُجَيْرَةَ، خرج أَبَوَايَ لَهَا في غَلَّةِ الزَيْتُون لِصَمِّ فَاثِدٍ^(١) أَمْلَاكِهِمْ - وَكَانَا مُتَحَابِّينِ لَا يَصْبِرُ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ، فَخَرَجَا جَمِيعاً إِلَيْهَا - فَكَانَتْ وَلادِيَّ بِهَا لِعَفْرِ لَيْالٍ بَقِيَتْ مِنْ شَهْرِ أَكْتُوبِرِ^(٢) الْعَجَمِيِّ، وَلَا أَدْرِي مَا وَاقَفَ مِنَ الْأَشْهُرِ الْعَرَبِيَّةِ لِتَلَفِّ تَقْيِيدَاتِي وَتَقْيِيدَاتِ سَلْفِي فِي ضَيْعَةٍ^(٣) كُتِّبِي. إِلَّا أَنَّ وَالِدِي كَانَتْ تَقُولُ: كُنْتُ لَيْلَةَ مَوْسَمِ يَنْبَرٍ مِنْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً^(٤)، وَإِلَّا مَا تَحَقَّقَتْهُ بِآخِرَةٍ^(٥) مِنْ وَجْهِهِ (مَنْ) أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي صَدْرِ سَنَةٍ سَبْعٍ وَتَسْعِينَ، قَبْلَ السَّيْلِ الْكَبِيرِ بِأَشْهُرٍ.

٤ - ** الذيل والتكملة ٥: ٦٥٣ - ٦٦٢ (رقم ١٢٤٥)، عنوان الدراية ٢٤٦ - ٢٤٩؛ نيل الابتهاج ٢٢٩ - ٢٣٠، شذرات الذهب ٢٩٨ - ٢٩٩.

ابن عبدون المكناسي

١ - هو أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِوْنِ بْنِ قَاسِمِ الْخَزَرْجِيِّ الْمِكنَاسِيِّ، مِنْ أَهْلِ مِكنَاسٍ، كَانَتْ وَفَاتُهُ فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ ٦٥٩ (خَرِيفِ ١٢٦١ م) فِي الْأَغْلَبِ.

٢ - ابْنُ عَبْدِوْنِ الْمِكنَاسِيِّ شَاعِرٌ مَتِينُ السَّبْكِ جَزَلُ الْمَعَانِي عَلَى شِعْرِهِ نَفْحَةٌ مَشْرِقِيَّةٌ بَارِزَةٌ. وَفَنُونُهُ الْفَزْلُ وَالْعِتَابُ وَوَصْفُ الطَّبِيعَةِ يَنْحُو فِيهَا الْمُنْحَى الْوُجْدَانِيَّ. وَيَبْدُو أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ مِشَارَكَةٌ فِي الْقِرَاءَاتِ وَالْفِقْهِ.

(١) غَلَّةُ الزَيْتُون = مَوْسَمُ الزَيْتُون (فِي الْحَرِيفِ). الْفَاثِدُ = الْعَائِدَةُ (٩): مَحْصُولُ أَرْضِيهِمْ.

(٢) أَكْتُوبِر (رَاجِعْ مَطْلَعُ تَرْجَمَةِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ سَيِّدِ النَّاسِ).

(٣) ضَيْعَةٌ = ضِيَاعُ (بِالْفَتْحِ: فُقْدَانُ).

(٤) (٩).

(٥) الْفِيضَانُ الْعَظِيمُ.

٣- مختارات من شعره

- قال ابن عبدون المكناسي في الشيب:

لَمَّا تَرَأْتِ لِلْمَشِيبِ يَفْرُقُنِي شُهْبٌ أَغْرَنَ عَلَى شَبَابِي الْأَذْهَمَ^(١)
أَبْدَى التَّجَهُمَ مَنْ أَحَبُّ. أَمَا دَرَى أَنَّ الدِّيَاجِي حُسْنُهَا بِالْأَنْجُمِ^(٢)؟

- وقال في فاس ومكناس:

إِنْ تَفْتَحِرْ فَاسٌ بِمَا فِي طَيْهَا وَبِأَنْهَا فِي زَيْهَا حَسَاءُ^(٣)
يَكْفِيكَ مِنْ مِكَاسَةٍ أَرْجَاؤُهَا وَالْأَطْيَانِ: هَوَاؤُهَا وَالْمَاءُ^(٤)!

- وقال في العتاب:

يَا جِيرِي وَمَنْ أَسْتَحَرْتُ بِهِمْ مِنْ جَوْرِ عِزِّهِمْ عَلَى ذُلِّي^(٥)
عَلَّقْتُ حَبْلَ مَحَبَّتِي بِكُمْ. بِحَيَاتِكُمْ، لَا تَقْطَعُوا حَبْلِي.
مَا كَانَ أُنْدَى ظِلًّا عَيْشَتَنَا إِذْ كَانَ مُنْتَظِمًا بِكُمْ شَمْلِي؛
إِذْ نَجَّسْنِي ثَمَرُ الْمُنَى ذُلًّا فِي رَوْضِ أُنْسٍ وَافِرِ الظَّلِّ^(٦)!
عُودُوا إِلَى عَادَاتِ وَصْلِكُمْ؛ لَا تَحْرُمُونِي لَسَدَةَ الْوَصْلِ.
حَاشَاكُمْ، وَالْفَضْلُ شَيْئُكُمْ، أَنْ تُغْفُوا الْإِخْصَابَ بِالْمَحْلِ^(٧)!
وَإِذَا أُيْتُمْ غَيْرَ جَوْرِكُمْ، فَالْجَوْرُ مِنْكُمْ غَايَةُ الْعَسَلِ.
إِنْ شِئْتُمْ قَتْلِي، فَهَا أَنَا ذَا. لَا تَحْذَرُوا مِنْ طَالِبِ دَحْلِي^(٨)!

(١) الفرق المكان الذي يفصل فيه الإنسان بين شعره. شهب: نجوم (شمرات بيض).
أغرن = هجن - الأذهم: - كثر الشعر الأبيض في شعري الذي كان شديد السواد.

(٢) تحمهم فلان فلانا: استقبله بوجه عابس كربه.

(٣) بما في طيها: داخلها (ماضيها من الآثار الجليلية والمكانة الرفيعة).

(٤) الأرجاء جمع رجا: الناحية.

(٥) الحور: الظلم (الاستبداد).

(٦) ذلل جمع ذلول: سهل. يهل الوصول إليه.

(٧) الشيعة: العادة (الجميلة). المحل (بالفتح): القمط. - (أعبدكم من أن تقطعوني بعد أن كنتم تحسنون إلي).

(٨) الدحل: الثأر.

ابن سُرّاقة الشاطبيّ

١ - هو أبو عبد الله (ويُكنّى أيضاً : أبا بكرٍ وأبا القاسم) مُحَمَّدُ بْنُ أَحَدٍ^(١) بْنِ مُحَمَّدٍ
ابْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْأَنْصَارِيِّ الشَّاطِطِيِّ الْمَعْرُوفُ بِأَبْنِ سُرَّاقَةَ . وَلِدَ فِي شَاطِطِيَّةٍ فِي رَجَبٍ
مِنْ سَنَةِ ٥٩٢ (حزيران - يونيو ١١٩٦ م) . وَقَدْ سَمِعَ مِنْ قَاضِي الْجَمَاعَةِ بِقَرْطَبَةِ أُلِي
الْقَاسِمِ (أَحْمَدَ بْنِ يَزِيدَ بْنِ بَقِيٍّ) (ت ٦٢٥ هـ) .

وَرَحَلَ أَبْنُ سُرَّاقَةَ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ إِلَى الْعِرَاقِ ، وَيَجِبُ أَنْ تَكُونَ رِحْلَتُهُ فِي زَمَنِ
بَاكِرٍ جِدًّا حَتَّى يَسْتَطِيعَ أَنْ يَسْمَعَ مِنْ أَبِي الْهَاسَنِ بْنِ شَدَّادٍ (ت ٦٣٢ هـ) ، فِي بَغْدَادَ أَوْ
فِي أَثْنَاءِ رِحْلَةِ أَبْنِ شَدَّادٍ إِلَى حَلَبَ . وَكَذَلِكَ سَمِعَ فِي الْعِرَاقِ مِنْ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ
الشُّهْرَوَزْدِيَّ (ت ٦٤٣ هـ) وَأَبِي عَلِيٍّ بْنِ الْجَوَالِقِيِّ وَأَبِي حَفْصٍ الدِّينَوْرِيَّ وَآخَرِينَ .
وَتَوَلَّى أَبْنُ سُرَّاقَةَ دَارَ الْحَدِيثِ الْبَهَائِيَّةَ فِي حَلَبَ (مُدَّةَ سِيرَةٍ ، فَمَا يَبْدُو) ، إِذْ أَنَّهُ
أَنْتَقَلَ إِلَى الْقَاهِرَةِ وَتَوَلَّى بِهَا دَارَ الْحَدِيثِ الْكَامِلِيَّةَ ، مِنْ سَنَةِ ٦٤٢ لِلْهَجْرَةِ إِلَى حِينَ
وَفَاتِهِ سَنَةَ ٦٦٢ (١١٦٣ - ١١٦٤ م) .

٢ - كَانَ أَبْنُ سُرَّاقَةَ الشَّاطِطِيُّ أَحَدَ الْأَثَمَةِ الْمَشْهُورِينَ بِالْعِلْمِ وَأَحَدَ الشُّيُوخِ الْمَعْرُوفِينَ
بِالتَّصَوُّفِ ؛ وَهُوَ فِي الْأَصْلِ مِنْ بَيْتِ عِلْمٍ ، وَقَدْ تَوَلَّى نَفَرٌ مِنْ أَهْلِهِ الْقَضَاءَ . ثُمَّ هُوَ شَاعِرٌ
عَلَى مَذْهَبِ الْقَوْمِ (الْمُتَّصِفِينَ) . وَشِعْرُهُ سَهْلٌ وَاضِحٌ ، وَلَكِنَّهُ يَنْمِضُ عَلَى الْقَارِيءِ الْعَادِيِّ
أَحْيَانًا بِمَعَانِيهِ الصُّوفِيَّةِ أَحْيَانًا . وَقَدْ ذَكَرُوا أَنَّهُ أَلَفَ كُتُبًا فِي التَّصَوُّفِ .

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ شِعْرِهِ .

- قَالَ أَبْنُ سُرَّاقَةَ الشَّاطِطِيُّ أَبْيَاتًا فِيهَا مَعَانٍ صُوفِيَّةٌ ، فَمِمَّا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْهَا :

(١) فِي نَسَبِهِ خِلَافٌ . رَاجِعْ حَاشِيَةَ فِي الْأَعْلَامِ لِلزَّرْكَلِيِّ .

نَصِيتُ، وَمِثْلِي لِلْمَكَارِمِ يَنْصَبُ،
وَحَاوَلْتُ إِحْيَاءَ النَّفُوسِ بِأَسْرِهَا
وَأَتَعَبْتُ إِنْ لَمْ تَمْنَحِ الْخَلْقُ رَاحَةً،
مُرَادِي شَيْءٌ، وَالْمَقَادِيرُ غَيْرُهُ.
* إِلَى كَمْ أَمْتِي النَّفْسُ مَا لَا تَنَالُهُ
وَقَدْ مَرَّ لِي خَمْسٌ وَعِشْرُونَ حِجَّةً
وَأَعْلَمُ أَنِّي - وَالثَّلَاثُونَ مُدَّتِي -
فَمَاذَا عَسَى فِي هَذِهِ الْخَمْسِ أَرْجِي
- وَقَالَ فِي الصَّدِيقِ الْمُخْلِصِ:

وَصَاحِبِ كَالزُّلَالِ يَحْوِ
لَمْ يُخْصِرْ إِلَّا الْجَمِيلَ مِنِّي،
صَفَاؤُهُ الشُّكَّ بِالْيَقِينِ
كَأَنَّهُ كَاتِبُ الْيَمِينِ^(٧).

- (١) نَصَبٌ يَنْصَبُ (يَكْسِرُ الصَاد فِي الْمَاضِي وَفَتْحُهَا فِي الْمَضَارِعِ): جَدَّ وَسَمَى وَصَدَّ (اتَّجَهَ إِلَى الشَّيْءِ). وَمِثْلِي لِلْمَكَارِمِ يَنْصَبُ (يَقْصِدُ أَنْ يَرْقَى إِلَى الْمَكَارِمِ). رَامَ: أَرَادَ. غَرَبَ (بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ): اتَّجَهَ نَحْوَ الْغَرْبِ، أَمْعَنُ فِي فَرْغِهِ (بَالِغٌ فِي عَمَلِهِ). وَرَمْتُ شُرُوقَ الشَّمْسِ وَهِيَ تَغْرُبُ: أَرَدْتُ أَنْ تَنْظُرَ الشَّمْسُ مَشْرِقَةً، بَيْنَمَا هِيَ مِنْ عَادَتِهَا أَنْ تَشْرِقَ وَتَغْرُبَ (أَرَدْتُ خِلَافَ مَا تَعَوَّدَ الْبَشَرُ).
- (٢) وَحَاوَلْتُ إِحْيَاءَ النَّفُوسِ (بِالْعَمَلِ) بِأَسْرِهَا (كَلْبَهَا)، وَقَدْ غَرَّغَتْ (تَرَدَّدَتْ الرُّوحُ عِنْدَ الْمَوْتِ فِي الْخَلْقِ = وَقَدْ أَوْشَكَتْ نَفُوسُ الْبَشَرِ أَنْ تَمُوتَ مِنَ الْجَهْلِ لِمَعْرِفَةِ الْحَقِيقَةِ).
- (٣) إِنْ لَمْ تَمْنَحِ (يَا رَبِّ الْعَالَمِينَ؟) وَغَيْرِي إِنْ لَمْ يَتَعَبِ الْخَلْقُ يَتَعَبُ (٤).
- (٤) الْمُرَادُ: الْبَغْيَةُ (بِالضَّمِّ)، الْمَطْلُوبُ. الْمَقَادِيرُ (مَا قَضَاهُ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ وَأَرَادَهُمْ أَنْ يَفْعَلُوهُ أَوْ مَا كَتَبَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْحَوَادِثِ).
- (٥) كَانَ الشَّاعِرُ يَظُنُّ أَنَّهُ سَبْعِينَ ثَلَاثِينَ سَنَةً فَقَطْ. وَكَانَ لَمَّا قَالَ هَذِهِ الْمَقْطُوعَةَ فِي الْخَامِسَةِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الْعُمُرِ (رَاجِعِ الْبَيْتَ السَّابِقَ) - فِي هَذِهِ السَّنَةِ (بَيْنَ الْخَامِسَةِ وَالْعِشْرِينَ وَالثَّلَاثِينَ) يَكُونُ الْإِنْسَانُ مِثَالًا إِلَى الذَّهَابِ إِلَى مَقَالِي (أَمَاكِنِ) الْلَّهْوِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَأَنَا أَرْفُضُ الْلَّهْوَ (فِي هَذِهِ السَّنَةِ) رَفْضًا بَاطِلًا. حَرَّ (بِفَتْحِ الْحَاءِ وَبِلَا شِدَّةٍ عَلَى الرَّاءِ): خَلِيقٌ، أَهْلٌ، يَسْتَحِقُّ.
- (٦) فِي هَذِهِ الْخَمْسِ (فِي السَّنَوَاتِ الْخَمْسِ الْبَاقِيَةِ مِنْ عُمْرِي). وَجَدِي: حَبْنِي، شَوْقِي (مِيلَ نَفْسِي إِلَى الْلَّهْوِ) إِلَى أَوْبٍ (رُجُوعٍ) مِنَ الْعَمَلِ (عَشْرَ سَنَوَاتٍ). أَفْضَى: أَذَى، وَصَلَ. - أَنَا الْآنَ أَشْعُرُ بِاللَّيْلِ إِلَى الْلَّهْوِ كَأَنِّي لَا أَرَاهُ ابْنَ عَشْرِ سِنِينَ (٤).
- (٧) ... لَا يَذْكُرُ إِلَّا أَفْعَالِي الْجَمِيلَةَ الْحَسَنَةَ الصَّالِحَةَ. - عَلَى كَيْفِي كُلِّ فَرْدٍ مِنَ النَّاسِ مُلْكَانِ (يَنْتَعِجُ فَتَنْتَعِجُ:

٤-★★ فوات الوفيات ٢: ١٨٥-١٨٦: الوافي بالوفيات ١: ٢٠٨-٢٠٩، شذرات الذهب ٥: ٣١٠-٣١١: نفع الطيب ٢: ٦٣-٦٥: الأعلام للزركلي ٦: ٢١٧ (٥: ٣٢٢).

أبو الحسن بن محمد الجياني

١- هو أبو الحسن علي بن محمد بن حسن الأنصاري الإشبيلي الجياني، أخذ النحو عن أبي الحسن بن الدباج وأبي علي بن الشلوبين. ثم إنه تصدر للتدريس وتولى القضاء مدة مجصن القصر (قرب إشبيلية). بعدئذ نزل في مراكش، وقد استكتبه الرشيد الموحدي (٦٣٠-٦٤٠ هـ) حيناً. وكانت وفاته سنة ٦٦٣ هـ (١١٦٤ هـ = ١١٦٥ م).

٢- يبدو أن أبا الحسن بن محمد الجياني قد وقف جميع آثاره على مدح الرسول. ومع أن آثاره هذه عادية في معانيها وفي المعجزات التي سردّها من تلك الحارقة للمادة والحارقة للطبيعة، فإننا نلمح فيها عاطفة دينية مشوبة ورغبة ملحّة في زيارة قبر الرسول خاصّة. ويبدو أن هذه الفرصة لم تسح له قط. من أجل ذلك كتب رسالة طويلة بهذا المعنى وأرسلها لتوضع على قبر الرسول. وبعض شعره أكثر عدوية من نثره.

٣- مختارات من آثاره:

- من بديعياته (في مديح الرسول)^(١):

كيف لا أندبُ عهداً بالجمي عن جفوني طارق النور حمي^(٢)؟
نزعَت شوقاً إليه مهجّة لم يدغ منها الهوى غير ذماً^(٣).

اثان من اللاتكة) يوصي الذي على الكف البسني منها الأعمال الصالحة التي يأتي بها ذلك الفرد، ويوصي الآخر أعمال الفرد السيئة.

(١) أسماء الأماكن في هذه القصيدة ليست أعلاماً جغرافية معينة. بل رموز للسكان الذي يتشوق إليه المتصوّف أو المتفرّج.

(٢) الطارق: الآتي ليلاً. طارق النور: النوم الطبيعي.

(٣) نزع: مالت، تشوّقت. مهجة: دم القلب (القلب). الدماء (بالفتح): بقية الروح في الجسم.

يا ليالينا بذي الغور، أما
وعهوداً باللوى قد سَلَفَتْ
يا حُدَاةَ العيس، رَفَقًا! إِنِّهَا
أَوْهَنُ الْوَحْدِ قَوَاهِنُ، فَإِنْ
مَدَّتِ الْأَعْنَاقَ لَنَا رَمَلَتْ
هَادِيَاتِ الْبُهَوَادِي، كَلَّمَا
جَنَّبُوهَا مَوْرِدَ الْمَاءِ، فَقَدْ
وَعِدَاهَا بَعْدَاهَا ظَفَرًا
إِنِّهَا قَدْ حَمَلَتْ شُعْنًا، إِذَا
شَرَبُوا الدَّمْعَ حَمِيمًا وَأَرْتَوْوَا،
مَنْ عَذْبِيرِي مِنْ زَمَانٍ قَدْ مَضَى
حَضْرَتَا إِنْ لَمْ أُبْلَغْ أَمَلِي
إِنَّ حَسْبِي فِي غَدٍ أَنْ أَغْتَدِي
النَّسِيَّ الْأَبْطَحِي الْمُجْتَبِي

يَتَسَلَّى الْقَلْبُ عَنْكَ أَمَا
لَمْ أَرْزُلْ أَبْكِي عَلَيْكَ دَمًا.
شَكَّتِ الْجَهْدَ وَبُعْدَ الْمُرْتَمَى^(١).
لَا حَ نَجْدُ خَلَّتْ فِيهَا لَمَّا^(٢).
بَنَقَا الرَّمْلَ وَأُكْنَفِيَ الْجَمَى^(٣).
ضَلَّ حَادٍ جَاذِبَتْهُ الْخَطَا^(٤).
حَرَمْتُهُ أَوْ تَزَوَّرَ الْحَرَمَا^(٥).
وَسُرُورًا يَوْمَ تَأْتِي الْمَوْبَا^(٦).
مَا بَكَوْا قُلْتُ غَمَامٌ سَجَا^(٧).
وَلِذَا عَافُوا الزَّلَالَ الشَّبَا^(٨).
أَفْرَعُ النَّ عَالِيَهُ نَدَمًا.
قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ الرَّدَى مُحْتَرمًا^(٩).
لَا بُدَّ بِالْمُصْطَفَى مُحْتَرمًا^(١٠).
سَيِّدِ الْخَلْقِ الْكَرِيمِ الْمُتَنَمَّى^(١١).

- (١) يا حداة (سائقي) العيس (النبايق). الجهد: التعب. المرعى: الطليعة (الذي يسير في مقدمة القوم) - والشاعر يقصد المراد (المكان الذي يؤدّ الذهاب إليه).
- (٢) أوهن: أضعف. الوحد: السير (السرير المتوالي). ومع ذلك فلما اقتربا من نجد (من المكان الذي شتاق إليه) ظن أن بهائمًا (حيوانات) لكثرة ما أسرع من جديد.
- (٣) رمل: يقصد بها هنا: غرقت قواهم في الرمل وعجزت عن السير (وهذا معنى ليس في القاموس)، مدت أعناقها لتصلح أقرب إلى المكان المقصود بضعة أصابع، هرول.
- (٤) الهادية: الناقة التي تسير في مطلع القافلة (لأنها تعرف الطريق). الخطام (بالكسر): اللجام. - شوقها يجعلها تعرف الطريق الصحيح أكثر من الهادي (السائق).
- (٥) لا تحاولوا أن تسقوها ماء في أثناء الطريق. لأنها عزم على ألا تشرب ماء قبل وصولها إلى مكة.
- (٦) عداها (فعل أمر للشيء من «وعد») العدا: الأعداء. الموسم: اجتماع الناس في الحج.
- (٧) الأشت: الذي أغتر وجهه ونشئت شره من طول السفر وعبار الطريق. سجم: مال بكثرة.
- (٨) الحميم: الحار. الزلال: الماء الصافي. الشيم: البارد.
- (٩) احترام الموت للرجل: أخذه (قبل أوانه).
- (١٠) حسي: كفاية لي. لا بُدَّ: ملجئ. المصطفى: رسول الله. محترماً = مشرماً: لا بهائي أحد بموه.
- (١١) الأبطح: من بطحاء مكة (أشرف بقاعها وأعزها). المجتبى (المختار المفضل). المنمى: الأصل.

الرسول الساطع النور السدي قد جلا نور هُدها الظلم.

- وله من رسالة طويلة كُتِبَ بها لتُؤخذَ إلى قبر رسول الله:

إلى سيِّد المرسلين ورسول ربِّ العالمين ، الذي جُعِلَ له الأرضُ منجداً وطهوراً^(١) ،
وكان ولم يرَلْ مُتَقَلِّلاً من صُلبِ آدَمَ نوراً^(٢) . من يَلجأُ إليه يومَ الفرعِ الأكبرِ
النَّبَوْنِ^(٣) . ويرجو مذخورَ شفاعته في غَدِ المِيتُونِ . ذُوَانَةُ بني هاشمِ المُتَجَشِّمِ في ذاتِ
اللهِ سُبْحَانَهُ أَصْعَبُ المَهاشِمِ^(٤) المِيتُونِ النَقِيبَةِ والطَلِيبَةِ^(٥) ، المُشِيرُ إلى الأصنامِ
فَحَرَّتْ صَرِيعةً^(٦) . حَبِيبُ اللهِ وَخَلِيلُهُ ومن أُنزِلَ عليه تحرُّمُهُ وتحليلُهُ ، وقام على صِدْقِهِ
بُرْهَانُ الحَقِّ الواضِحِ ودليلُهُ . الذي أَغْجَرَ البُلغَاءَ وَهُمْ أَوْفَرُ النَّاسِ في وقْتِهِ عَدَدًا^(٧) ،
ولو اتَّخَذُوا البحرَ مِدَادًا والأشجارَ مَدَدًا^(٨) فَضَحَّيْهُمْ بِبَاهِرِ آيَاتِهِ وبِحَا فَجْرِهِمُ الكاذِبِ
سُطُوعِ آيَاتِهِ^(٩) ، الذي جُمِعَتْ له شَتَى الفضائلِ وضروبُها

٤ - * * الذيل والتكملة : ٥ : ٢٨٧ - ٣٠١ (رقم ٥٧٩) : الأعلام للزركلي (٤ : ٣٣٣).

- (١) في الحديث « جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً » (في الإسلام تجوز الصلاة في كل مكان من غير ضرورة إلى بناء مخصوص أو لباس معين).
- (٢) انتقل النور من آدم إلى أبنائه واحداً بعد واحد ، في نسب متصل مستمر ، حتَّى وصل إلى محمد رسول الله.
- (٣) يوم الفرع الأكبر : يوم القيامة . مذخور الشفاعة : الشفاعة المدخرة لتكون يوم القيامة من حقِّ محمد رسول الله.
- (٤) الذُوَانَةُ : أعلى القوم . المُتَجَشِّمُ : الذي لا فِى سبيل الدعوة إلى الله أشد المصاعب .
- (٥) المِيتُونِ : البارك . النَقِيبَةِ : الطليعة . الطَلِيبَةِ : (طلائع الجيوش التي قامت بالجهاد).
- (٦) لَمَّا كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ ، سَنَةَ ٨ (٦٣٠ م) صعد الرسول إلى ظهر الكعبة وبيده قضيب كان يدفع به الأصنام ويلقيها أرضاً وهو يقول : ﴿ قل : جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقاً ﴾ (١٧ : ٨١ ، سورة الإسراء) . حَرَّتْ : سقطت . صَرِيعة : ملقاة أرضاً (لا فرق بينها وبين سائر المحاربة في الأرض).
- (٧) بلاعة الرسول (وكان أمياً لا يحط ولا يقرأ الخط) كانت معجزة ظاهرة في زمن اشتهر أهله بالبلاغة .
- (٨) المداد : الحبر . المدد : النجدة (لو جعلت جميع الأشجار تصلح لتكون أقلاماً).
- (٩) أول نور الفجر يكون ضميماً فيسمى الفجر الكاذب (لا تحين به صلاة الصبح) ثم ينتشر النور من وراء الأفق واضحاً فيسمى الفجر الصادق . السطوع : الصياء القوي . الآيات : العلامات ، الدلائل . الضروب : الأنواع .

ابن الفَخَّارِ الرُّعَيْنِي

١- هو أبو الحسن عليُّ بنُ محمد بن علي بن محمد بن عبد الرحمن بن هِنَيمِ الرُّعَيْنِي المعروف بابن الفَخَّارِ، وُلِدَ في إشبيلية في شَعْبَانَ من سَنَةِ ٥٩٢ (صيف ١١٩٦ م) وفيها نشأ وأخذ عن شيوخ عصره - وقد عدَّ منهم في «برنامجه» مائةً وأثني عشر - منهم: أبو الحسن عليُّ بنُ محمد بن خروف النحوي (ت ٦٠٩ هـ) ومحمد بن عبد النور السبيّ المُرِّي (ت ٦١٤ هـ) وأبو الحسين محمد بن محمد بن زرقون الفقيه المحدث (٥٣٩-٦٢١ هـ) وأبو القاسم عامر بن هشام الأزدي القرطبي الشاعر (٥٥٣-٦٢٣ هـ) وأبو الحسن عليُّ بن محمد البلوي الفقيه (٥٥٤-٦٢٣ هـ) وأبو عبد الله محمد بن إدريس بن مرج الكحل (ت ٦٣٤ هـ).

جلس ابن الفَخَّارِ الرُّعَيْنِي للتدريس والإفادة منذ سَنَةِ ٦١٤ للهجرة. وكان كثيرَ التنقُلِ في الأندلس والمغرب: في سنة ٦١٥ للهجرة كان قاضياً في مَورُور (من جنوب الأندلس بين شريش وقَرْمُونَة وإشبيلية). ثم رأيناه في مالقة (٦١٥ هـ) وإشبيلية وفي قرطبة (٦٢٥ هـ). وفي سبته بالمغرب (٦٢٩ هـ)، ثم في غرناطة (٦٣٦ هـ)، وتِلْصَانَ بالمغرب (٦٤٦ هـ). في هذه الأثناء كتبَ (في ديوان الإنشاء) لِنَفرٍ من ملوك الأندلس وملوك المُدَوَّة الإفريقية. وفي آخرِ عُمُرِهِ استقرَّ في مَرَاكُشَ حيثُ تُوُفِّيَ في الرابع والعشرين من رمضان سَنَةِ ٦٦٦ (٧/ ٦ / ١٢٦٨ م).

٢- ابنُ الفَخَّارِ الرُّعَيْنِي فقيهٌ ومُحدِّثٌ وأديبٌ ناثِرٌ مُترسِّلٌ وناظمٌ، وكتابته تتصف بخصائص عصره من الميلِ الشديدِ إلى السجع وإلى أنواع البديع، فقد يُنشئ رسالةً أو يُنظِّم قصيدةً في كلِّ كلمةٍ من كلماتها حرفُ العينِ أو حرفُ السينِ، مثلاً (راجع «مختارات من آثاره»). وله شيءٌ من الشعرِ الوجداني ذي النَفْحَةِ الدينية. ثم هو مُصنِّفٌ له: كتاب الإيراد لِنُبْذَةِ المستفاد من الرواية والإسناد بقاء حملة العلم في البلاد على طريق الاقتصاد والاعتصار (وهو برنامج شيوخه: برنامج شيوخ الرُّعَيْنِي) - اقتفاء السَّنِ في انتقاء أربعين من السَّنِ (في الحديث) - شرح الكافي لابن شريح^(١) - جَنَى

(١) كتاب الكافي (في القراءات....) لمحمد بن شريح بن أحمد الرُّعَيْنِي الإشبيلي القُرِّي (٣٩٢-٤٧٦ هـ). =

الأزاهر النضيرة وسنا الزواهر المنيرة في صيلة المَطْمَع والدَّخِيرَة مَّا وَلَدَتْهُ الحَوَاطِر مِن
المحاسن في هذه المدة الأخيرة (فيه المَخَاطَبَات التي جرت بينه وبين الكتاب والشعراء).

٣- مختارات من آثاره

- قال ابن الفَخَّار الرُّعَيْنِي (مَعَ شرط التزام العين في كل كلمة)^(١)

عَلَكَ عَلَّتْ عُلُوُّ الشَّعْرَيْنِ مُصَاعِدَةٌ لأَعْلَى المَطْلَعَيْنِ^(٢)
أَعَادَ عَلَى المُلَا عَصْرِي سُودِ بِرَيْحَانِ المَعَارِفِ مُمْرِعَيْنِ^(٣)
عُنَيْتَ بِمَنْزِعِي عَمَلِي وَعِلْمِي عِنَايَةً مُوَلِّسٍ بِالْمَنْزَعَيْنِ
وَتَعْتَمِدُ العُقُولُ بِمُعْجَزَاتِ أَشْبَتْهَا تَرَوْعِ السَّاطِعَيْنِ^(٤)

علاؤك شَعْرُ إعظامي ومَنْزَعُ اعتصامي^(٥) وعُمْدَةُ اعتالي وعِزَّةُ أَعْتَادِي وَعُرَّةُ
أَعْتَادِي^(٦) ومِهْجُ إشراعي ومَرْيَعُ نزاعي^(٧) بِعَيْنَيْكَ أَعَالِي الرِّعَانِ وَأَتَاعِي
الإِمْعَانِ^(٨) وَأَدْعِي الإِفْرَاعَ وَأُعْنِي الْيِرَاعَ^(٩) وَأُدْفَعُ الْعِيَّ وَأُضَارِعُ الْأَلْمِيَّ^(١٠)

= طبع كتاب الكافي بإشاش كتاب المَكْرَر فيما تواتر من الفراءات وتحرَّر هـ لأبي حفص عمر بن القاسم بن
محمد الشار الأنصاري، مكة ١٣٠٦هـ؛ القاهرة (مطبعة دار الكتب) ١٣٢٦ هـ (راجع بروكلمان
الملحق ١: ١٧٢٢ الأعلام للزركلي ٧: ٢٨، مجمع المطبوعات العربية ١٧٧٦، ١٨٥٦).

(١) سيكون الشرح للقطعة التالية موجراً يكاد يقتصر على الألفاظ. إنَّ المقصود من القطعة إبراز المجهود
اللفظي، والمعاني كانت تبعاً لذلك.

(٢) الشعرى اليانية (الشعرى البيضاء من النجوم المشهورة المهمة).

(٣) ربحان كل شيء: أوله وأفضله. المرع: الحصيب.

(٤) ترع: تعجب الناظر (مع الشعور بشيء من الخوف). الساطعان: الشمس والقمر.

(٥) الشعر: المسك (مكان العبادة). الفرع: اللجأ.

(٦) العزوة: الانتساب، القرابة. العروة: كل ما يتسلك به ويعتمد عليه أو يربط شيئاً بشيء.

(٧) المِهْج: الطريق الواضح. المَرْيَع: المسكن. الرِّعَاع: الزرع (الجيل والاشناق).

(٨) عالي: باري في الملوك. الرعن (بفتح فسكون): أنف الجبل وطرقة الشخص (العالي). أَتَاعِي: أتعاظم الإيمعان:

أحاول التوكل في الأمور.

(٩) الإِفْرَاع: علو الشرف في القوم. أَعْنِي: أُنْتَبِ. اليِرَاع: الظلم (٩).

(١٠) أَدْفَعُ الْعِيَّ: أبعد عن نفسي المحز عن الكلام. أُضَارِعُ: أَشَاهُ. الْأَلْمِيَّ: الحفيف الطريف. النلممي:

الذكى.

- وقال (من غير اشتراط معين) يُجيب أبا المطرّف بن عميرة:

وافى الكتابُ وقد تقلّدَ جيدهُ ما أنتَ مُحسِنُ نظمِهِ ومُجيدُهُ^(١).
أبَا المطرّفِ، دعوةً من خالصٍ لَمُلاكٍ غائبٍ وُدّه وشَهِيدُهُ^(٢).
أنتَ الوحيدُ بلاغةً وبراعةً ولكَ البيانُ طَريقَهُ وتَليدُهُ^(٣).
فالنثرُ أنتَ بديعُهُ وعبادُهُ، والنظمُ أنتَ حبيبُهُ ووليدُهُ^(٤).

إيه، أُمّها السيّدُ الذي جَلَّتْ سيادَتُهُ وحَلَّتْ صَمِيمُ الفؤادِ ودادَتُهُ^(٥)، دامتْ سعادَتُهُ
وهامتْ بما يَنفَعُ الناسَ عادَتُهُ. أَلَتِي إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ خَطَّتَهُ تِلْكَ اليَمِينُ الَّتِي اليَمِينُ^(٦)
فِيهَا تَخُطُّهُ وَسَقَتْ جَواهُرُ بَيانِهِ الَّتِي راقَ بِها سِنطُهُ^(٧). فلا تَسألُوا عَن اِبْتِهاجِي
لأعاجيبِهِ وانتِهاجِي لَأَساليبِهِ وشِدَّةَ كَلَفِي بِالتَّيْهاجِ وَسِيمِهِ وجِدَّةَ شَفَني بِاسْتِرواحِ
نَسيَمِهِ^(٨).

أما أَنَّ القلبَ لو فَهَمَ حَقِيقَةَ اليَمِينِ قَبْلَ وَقوعِهِ وَعِلْمَ قَدَرِ ما نُفِثَ مِنَ الرُّوعِ فِي
رُوعِهِ^(٩)، لِبالِغِ فِي اجْتِنائِهِ واعتَقَدَ المَعْنَى عَنْهُ مِنْ قَبِيلِ المَعْنَى بِهِ^(١٠). وَلِها^(١١) اللهُ
الأطباعَ فَإِنّاها تَسْتَدْرِجُ المَرءَ وتَسْتَجِرُّهُ وتَسْتَخْرِجُ حِينَ تَعْرِيه، ما سِيرَهُ^(١٢)، ما زالتْ تَقْبِلُ

(١) الحيد: المق.

(٢) أبو المطرّف (راجع، فوق، ص ٢١٧....). التهيد: الشاهد (الحاضر).

(٣) الطريف والتليد: الجديد والقديم.

(٤) بديعه وعباده وحبيه وولده: بديع الزمان الهمذاني وعباد الدين الأصمغاني وأبو تمام والبحري.

(٥) الودادة (بالفتح): المودة.

(٦) أَلَتِي إِلَيَّ: وصل إِلَيَّ مِنْ شَخْصٍ عَالِي المَرْتَبَةِ. فِي القرآن الكريم (٢٧: ٣٠، النمل): ﴿إِنِّي أَنَا إِلَهِي﴾
كِتَابٌ كَرِيمٌ: إِنَّهُ مِنْ سُلْبانِ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. اليمينى: اليد اليمنى. اليمين: البركة.

(٧) السبط: الخيط الذي تنظم فيه الآلية ليكون منها عقد.

(٨) الكلف: شدة الحب. الوسع: الوجه. الحميل: التفنن. الحب الذي يصل إلى الشفاف (يفتح الثين:
غلاف القلب).

(٩) الين: العاد والفرق. نفث: ففخ. الروح (بالفتح): الخوف. الروح (بالضم): النفس.

(١٠) المعنى عنه (في الفقه والمعبادة): الذنب اليسر (اليسى القليل الذي لا يبطل وضوءاً). من قبيل المعنى
به: الواجب معاملته (لأنه وإن كان يسيراً فإنه يؤدي إلى نتائج خطيرة).

(١١) لها: لمن.

(١٢) تستخرج (تزع منه) حين تعريه (من النعم) ما (كان) بهرّه. - أي تسلمه النعم.

في الدرّوة والدرّوة وتختل^(١) بالترغيب في الجاه والثروة حتى أنأت عن الأحباب
الحائب ورمّت بالغريب أقصى المغارب^(٢).....

- وقال يحنّ إلى الذهاب إلى الحجاز للحج:

حَينِي إلى البيتِ العتيقِ شديدُ، وشوقِي إلى وادي العقيقِ يزيدُ^(٣)
فيا لَيْتَ شعري، هل يُباحُ إلَيْهَا وُصولُ فيحظى بالوِصالِ عميدُ^(٤)
ومن لي أن أذعنّ إلى حَرَمِي هُدًى؟ وهل لي على تلك البقاع وفودُ؟
وهل نأقعُ لي ماءَ زَمْزَمَ غلّةُ لها بين أحناء الصّلوعِ وقودُ^(٥)
وهل أنثني نحو الرسولِ لَطِيفِ فيَدنو لقلبي من مُناه بعيدُ^(٦)
والصِّقَ خدي- من ضريحِ محمد- بحيثُ تلاقَت في ثراهُ خُدودُ؟
فما لي لا أسمى إلَيْهَا مُبادِراً بَقِيّةَ عُمرٍ تنقضي وتبيدُ^(٧)
تَحُثُّ رِكاكِي نحوها عَزْمَةٌ امرئُ بِمُخَيَّاهُ في ذاتِ الإلهِ يَجُودُ^(٨)
يَهْمُ فيُلقي بينَ عَيْنَيْهِ عَزْمَةً ويمضي مُضاه السهم حيث يُريدُ^(٩)
فأقصى دَماءَ النفسِ في عَرَصَاتِهَا غريباً لَدُنْهَا، والغريبُ شهيدُ^(١٠)

- (١) في القاموس (٤: ٢٨): ما زال (فلان) يفتل من فلان في الدرّوة والغارب: يدور من وراء خديمه (أي يحاول أن يكرهه ويضيقه وهو ينظّاه بمحاولة نفعه). حل ريد عمراً: خدعه (بعد أن وجد منه غيلة) فالتخل هو الذي يخدع من يتو به.
- (٢) أنأت: أبعد. الأحباب جمع حبّ (بكر الحاء): المحبّ أو المحبوب. الحائب جمع حبيبة. رمت به أقصى المغرب: بذته، طرحته أبعدته إلى آخر المأمور من الأرض.
- (٣) البيت العتيق: الكعبة. وادي العقيق في المدينة.
- (٤) العميد أو العمود هو الذي ضرب على رأسه بالعمود (المحبّ الذي كاد يهلكه الحبّ).
- (٥) زَمْزَم: بئر في مكّة (في الحرم). العَلّة: العطش. نفع الظّان (الطشان) من الماء أو بالاء: روي وزال عطشه.
- (٦) وهل أنثني: أرجع (بعد الحجّ إلى مكّة) لطيفة (للمدينة).....
- (٧) إلَيْهَا (إلى المدينة) مادراً (سرعاً)، بقية عُمر (في آخر عمري) بينا هذه البقية تنقضي (أوشكت أن تنتهي) وتبيد (تلاشي، تهلك).
- (٨) الركاب: الإبل المعدّة للركوب. الهبا: الحياة. في ذات الآله: في سبيل الله.
- (٩) يَهْمُ: يعزم (على أمر). بين عينيه (أمامه!).
- (١٠) الدماء: بقية الروح في الحد. فأقصى دماء النفس: أموت. العرصة (يفتح فسكون): فحة أمام الدار لا بناء فيها.

وَأَنَّ أَمْرًا يَقْضِي فَرِيضَةً حَجَّهِ وَزَوْرَةَ قَبْرِ الْمُصْطَفَى لَسَعِيدٌ^(١)!

- من مقدّمة برنامج شيوخ الرعيي لأبي الحسن الرعيي:

أما بعد: فَإِنَّ بَعْضَ الْأَصْحَابِ الْعُلِيَّةِ الْجَلَّةِ الْمَعْدُودِينَ^(٢) - لَأَعْتَنَاهُمْ بِرَوَايَةِ الْعِلْمِ وَنَقْلِهِ فِي عُدُولِ الْمِلَّةِ^(٣) - سَأَلَنِي أَنْ أُقَيِّدَ لَهُ مَا عُلِقَ بِالْخَاطِرِ مِنْ أَسْمَاءٍ مِنْ لَقَبَتِهِ وَرَوَيْتُ عَنْهُ. فَتَوَقَّفْتُ فِي إِسْعَافِهِ وَاسْتَهْدَفْتُ لِسَاهِمَ الْمَلَامَةِ فِي خِلَافِهِ^(٤) سَتَرًا (لهذا) التَّزْرُ الذي أَوْتِيْتَهُ مِنْ ذَلِكَ وَاتَّقَاءٍ مِنْ مِثْلِي أَنْ يَطْوَرَ تِلْكَ الْمَسَالِكُ^(٥)، إِلَى أَنْ غَيَّبَ أَفْقُ الثَّرَى شِبَابَهُ وَنَهَبَتْ يَدُ الْبَلَى إِهَابَهُ. وَادَّكَرْتُ بَعْدَ أُمَّةٍ^(٦) وَحَدَّرْتُ أَنْ أُرْهَقَ^(٧) فِيهِ بِمَدْمَةٍ، فَأَثَرْتُ أَنْ أُسْتَدْرَكَ^(٨) مَا فَاتَ مِنْهُ لِمَنْ طَلَبَهُ مِثْلُ طَلَبِهِ، وَأَنْ أُورَدَ مَنْ هُوَ مِنَ الشَّيْخَةِ وَمَا عِنْدِي مِنَ السَّاعِ بِحَسَبِهِ^(٩). فَأَثْبَتُ مَا لَمْ يُفْلِتْهُ ذِكْرِي، وَأَوْرَدْتُ مَا لَمْ يَرْتَبْ فِيهِ^(١٠) فِكْرِي مِنْ أَسْمَاءِ الْأَشْيَاحِ الَّذِينَ لَقَبْتُهُمْ وَأَخَذْتُ عَنْهُمْ وَالْإِفْصَاحَ بِبَعْضِ مَا اسْتَفَدَّتُهُ مِنْهُمْ، وَإِنْ كَانَ قَدْ أَتَى عَلَى كَثِيرٍ مِنْ ذَلِكَ مَا مُنِيَ بِهِ الْإِنْسَانُ مِنَ النِّسيَانِ وَذَهَبَ

(١) المصطفى من أسماء الرسول.

(٢) العلية (بالكسر) جمع «علي» (ذو المكانة الرفيعة في قومه). الجلّة (بالكسر) جمع جليل (العلم). المكنانة (بالضمة). المدود (المذكور بين كبار القوم).

(٣) العدول (بالهم) جمع عدل (بالتفتح): العادل الأمين الذي يرضي الناس بحكمه. الملة: الدين (الأمّة الإسلامية).

(٤) توقّف: أحجم، تردّد. في إسعافه (في إجابته إلى ما طلب). استهدف: تعرّض (أصبح ظاهراً مكتوفاً للذي يريد مهاجمته).

(٥) التّزْر: الغليل. اتّقاء: شفقة، خوف. يطور: يحوم حول الشيء (يسير في) تلك المسالك: الطرق (الصعبة، المتعبة).

(٦) الثرى: التراب. البلى: الهلاك. الإهاب: الجلد. إلى أن غيَّب الخ: إلى أن مات. اذكرت (تذكرت) بعد أُمّة (زمن طويل). - راجع القرآن الكريم (١٢: ٤٥، سورة يوسف): ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ...﴾.

(٧) حدر: حاف، تحبّب. أرهق (بالضمة) بالبناء للمجهول) بمَدْمَةٍ: أتهم (بالبناء للمجهول) بأمر لا استحقّ الثمة به (لأنّي تركت عملاً أستطيع عمله).

(٨) أثر: فصل. استدرك الرجل ما فاتّه: قام بعمل كان يجب عليه أن يعمل من قبل.

(٩) الشّيخة: كبار الأساتذة. السّاع: تلقى العلم من أهواء الرجال. بحسبه (بسبب كلّ شيء تعلّمه إلى النسيح الذي تعلّم ذلك الشيء منه).

(١٠) أرتاب: شكّ.

مُعْظَمُ الْمُقْبَدِ وَالْمُسْتَفَادِ بِالْتَرَدِّ^(١) فِي الْأَسْفَارِ وَالتَّحَوُّلِ عَنِ الْأَوْطَانِ....

- وله ، في حديثٍ طويلٍ ، رسالةٌ من (شعر ونثر) ألتمَزَ فيها حرفَ العينِ في كلِّ كلمةٍ من كلماتها: وفيما يلي شيءٌ منها:

أَعِيدِ التَّعْهُدَ لِلْعَمِيدِ بِعَظْفَةٍ تُعْنَى بِرَجْعَةِ عَهْدِكَ التَّبَاعِدِ^(٢).
أَعْهَدْتَ عَقْدَ الْعَزَمِ عِنْدِي عَارِيًّا عَنْ رَغْبِي عَهْدٍ مُعَاهِدٍ وَمُوَاعِدٍ^(٣)؟
يَا عَلَمِي التُّبَيْعَ وَعَارِضِي التُّنَجَّعَ^(٤) وَمُعْتَمِدِي الْمَطَاعَ الْمُتَنَبِّعَ^(٥) ، تَعْهَدُكَ لِلنَّعَمِ
هَمْعُ عَهَادِهَا^(٦) ، وَرَعَتْكَ لِلْعَمِّ شُرْعُ صِعَادِهَا^(٧) ، وَأَعْتَلَى السَّعْدُ بِإِعْلَانِكَ وَأَعْتَنَى الْعِلْمُ
بِأَعْتَانِكَ ، وَرُفِعَتْ الْأَعْيُنُ لِزَعَامَةِ إِبْدَاعِكَ.....

٤- برنامج شيوخ الرعيي (حقَّقه إبراهيم شوح) - دمشق (وزارة الثقافة والإرشاد القومي:
مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، رقم ٤)، دمشق (المطبعة الهاشمية)
١٣٨١ هـ = ١٩٦٢ م.

★ الدليل والتكملة ٥: ٣٢٣-٣٦٩ (رقم ٦٣٦) - وفيها نصوص لغيره: صلة الصلة
١٤٠-١٤١ (رقم ٢٨٣)، الفدح الملقى ١٧٣، نفع الطيب ٥: ٥٢-٥٣، راجع ١:
٣١١، الأعلام للزركلي (٤: ٣٣٣).

(١) المعبد (أو دفاتري من مفردات المعلومات) والمستفاد (الذي تتقَف به عقلي من الاختبار كما يصعب تدوينه في وقته، بل يندكره الإنسان بعد مدة). مني: أصيب. التردّد: كثرة الذهاب والجمي.

(٢) التعهد: الاعتناء، حسّ العاملة. المعبد (المضروب بالعمود): الحبّ. تعني (تعلّق) برجعة (عودة) عهدك (ومن إحائك، صداقتك، حبّك) المساعد (الذي مرّ عليه زمن طويل).

(٣) هل تذكر أنّي عزمت مرة على عمل لم يكن فيه وفاء لك (.... عن الوفاء بكلّ ما أنتظره مني صديقي أو ما وعدت به أحداً).

(٤) المعز: المكان العالي (الحل)، التارة الظاهرة. التبع (الذي أقنيت به). العارض: الحباب المطر. التنجع: المكان الذي يذهب إليه الناس بعد أن يسقط عليه المطر (للترب منه ولرعي أنعامهم).

(٥) المعتمد المطاع المنع (الذي اعتمد عليه وأطبعه ثمّ هو لا يجيئ إلى ما أطلّعه منه).

(٦) تعهدتك (عمل طلب للدعاء) للنعم (حتى تال النعم) هَمْعٌ (فاعل تعهدتك، والمهمّ جمع هامة: سحابة مطرة). المعاهد: المطر المتتابع (والضمير «ها» في «عهادها» راجع إلى «النعم»).

(٧) رعتك (حنك، دافعت عنك) للعصم (٩): لهابنك. الصعدة (وجمعها: صداد - بالكسر -): القصبة المنوبة المستقيمة. الرمح. الشرع جمع شارعة (قناة - أي رمح - شارعة: سدة، موجّه نحو المدوّ).

أبو الحسن الشُّشْتَرِيُّ

١- هو أبو الحسن عليُّ بنُ عبد الله النُمَيْرِيُّ الفاسِيُّ الوادي آشي، أصله من سُشْتَرٍ من عَمَلٍ (مِنْطَقَة) وادي آشٍ (قُرْبَ غَرْنَاطَة).

وُلِدَ الشُّشْتَرِيُّ نَحْوَ سَنَةِ ٦٠٢ هـ (١٢٠٥ - ١٢٠٦ م) وتعلَّمَدَ للقاضي مُحْيِي الدين مُحَمَّد بن إبراهيم بن الحسن بن سُرَاقَةَ الأنصاري الشاطبي (ت ٦٦٢ هـ)؛ ثمَّ ذهب إلى المَغْرِبِ وَلَقِيَ الْمُتَصَوِّفَ الشَّهُورَ عَبْدَ الْحَقِّ بنَ سَعِيدٍ (٦١٤ - ٦٦٨ هـ) فأخذ عنه واقتدى به (مع أَنَّ ابنَ سَعِيدٍ أَصْفَرُ سِنًا). ثمَّ إِنَّهُ رَحَلَ إلى المَشْرِقِ وَتَطَوَّفَ بِهِ كَثِيرًا وَحَجَّ مَرَارًا.

وكانت وفاة الشُّشْتَرِيِّ في دِمِياطَ (بمصرَ)، في ١٧ من صَفَرِ سَنَةِ ٦٦٨ (١٢٦٩/١٠/١٦ م).

٢- كان أبو الحسن الشُّشْتَرِيُّ مُجَوِّدًا للقرآن عارِفًا بعمانيه، وكان له عِلْمٌ بالحِكْمَةِ وبطريقي الصوفية. وقد أثارَ التَّجَرُّدَ (الرُّهْدَ) والعبادة. وله شِعْرٌ منه قَصِيدٌ ومنه مُوشَّحاتٌ. وشِعْرُهُ على طَرِيقَةِ أَهْلِ الحَقِيقَةِ (المتصوفة). ولكن يَظْهَرُ على شِعْرِهِ شيءٌ من الضَّعْفِ.

وللشُّشْتَرِيِّ كُتُبٌ كثيرةٌ منها: العُرْوَةُ الوُثْقَى (في بيان السُّنَنِ وإحصاء العلوم وما يجب على المسلم أن يَعْلَمَهُ ويعتقده إلى حين وفاته) - المَقَالِيدُ الوجودية في أسرار الصوفية - الرسالة القدسية في توحيد العامة والخاصة والراتب الإيمانية والإسلامية والإحسانية - ديوان شعر.

٣- المختار من شعره

- لأبي الحسن الشُّشْتَرِيِّ مقاطعٌ على طَرِيقَةِ أَهْلِ الحَقِيقَةِ (المتصوفين) منها^(١):

(١) معاني هذه القطعة صوفية لا نهم فيها دقيقاً إلا بالتأويل الذي ينفرد به المتصوفون. إن الألفاظ: التَّجَرُّدُ، الفِرَاقُ، الخلق، الأمر، الطَّيُّ، النُّشْرُ، إلخ ألفاظ صوفية معانها عند المتصوفة غير معانها المألوفة في القواميس.

لَقَدْ تَهْتُ عُجْبًا بِالتَّجَرُّدِ وَالْفَقْرِ
وَجَاءَتْ لِقَلْبِي نَفْحَةٌ قُدْسِيَّةٌ
طَوَّيْتُ بِسَاطِ الْكَوْنِ، وَالطِّيَّ نَشْرُهُ،
وَعَمَّضْتُ عَيْنَ الْقَلْبِ غَيْرَ مُطْلَقٍ
وَصَلْتُ لِمَنْ لَمْ تَنْفَصِلْ * عَنْهُ لِحِظَةٍ
وَمَا الْوَصْفُ إِلَّا دَوْنَهُ، غَيْرَ أَنِّي
وَذَلِكَ مِثْلُ الصَّوْتِ أَيْقِظُ نَائِمًا
فَقُلْتُ لَهُ: الْأَسْمَاءُ تَبْنِي بَيَانَهُ،

- أَرَى طَالِبًا مِنَّا الزِّيَادَةَ لَا الْحِثِّي
وَطَالِبِينَ مَطْلُوبِنَا مِنْ وَجُودِنَا

- مَنْ لَامَنِي، لَوْ أَنَّهُ قَدْ أَبْصَرَ
وَعِدَا يَقُولُ لَصَحْبِهِ: إِنْ أَنْتُمْ
شَدَّتْ أُمُورُ الْقَوْمِ ^(٢) عَنْ عَادَاتِهِمْ،

٤- ديوان أبي الحسن الششتري (تحقيق علي سامي النشار). الاسكندرية. ١٩٦٠ م.

** عنوان الدراية ٢١٠-٢١٣: نيل الابتهاج ٢٠٢-٢٠٣: نفح الطيب ١٨٥-١٨٧.
٢٠٥-٢٠٧: دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ٣٩٣: ٤: بروكلمن ٣٢٣
الملحق ١: ٤٨٣-٤٨٤: نيكل ٣٥٢-٣٥٣: مختارات نيكل ١٩٤-١٩٦: الأعلام
للزركلي ٥: ١٢٠-١٢١ (٤: ٣٠٥).

(٥) لَمْ تَنْفَصِلْ عَيْنَ الْقَلْبِ.

(١) عَنِ الْحِثِّي.

(٢) الصَّغِيرُ: الْغِيَابُ عَنِ الْحَسَنِ. عَنْ: ظَهَرَ - إِنْ مَطْلُوبُوا مِنْ حَاجَاتِنَا أَوْ نَصَلَ إِلَى اللَّهِ، فَإِنْ تَحَلَّى لَنَا غِيَابًا عَنِ الْحَسَنِ.

(٣) الْقَوْمُ = الْمَصُوفُونَ

ابن عصفور الإشبيلي

١- هو الأستاذ (وفيات ابن قنفذ ٣٣١) العلامة (وفات الوفيات ١١٦: ٢) أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي بن أحمد بن محمد بن عمر بن عبد الله بن عصفور الحضرمي الإشبيلي، وُلِدَ في إشبيلية سنة ٥٩٧ هـ (١٢٠٠-١٢٠١ م).

تلقَى ابنُ عصفورِ العلمَ على نفرٍ منهم أبو الحسن الدبّاج (٥٦٦-٦٤٦ هـ) وأبو علي الثّلويين (٥٦٢-٦٤٥ هـ)، وقد لازَمَ الثّلويين عَشْرَ سِنِينَ وقرأَ عليه كتابَ سيبويه. ثم جلس للإقراء في إشبيلية نفسها إلى أن حَدَّثَتْ بَيْنَهُ وبينَ الثّلويين مُنافرةٌ أدَّتْ إلى وَخْبةٍ فمقاطعة (صلة الصلة ١٤٢) لتنافسٍ في إعرابِ كَلِمَةٍ (راجع نفع الطيب ٢: ٢٠٩-٢١١). وكان الثّلويين أوسعَ وَجَاهَةً فاضطَّرَّ ابنُ عصفورٍ إلى مُغادرة إشبيلية فتنقَّلَ بينَ شَرِيشٍ وشَدونةٍ ومالقةٍ ولُورقةٍ ومُرَبِّيةٍ يَدْرُسُ على نفرٍ من علمائها. ثم إنَّه جلس للتدريس أشهراً في كُلِّ بلدةٍ يُعَلِّمُ فيها تَقَاييدهَ (تعلقاته) على كتابِ الجُمَلِ للزَّجَّاجي وكتابِ الإيضاح لأبي عليِّ الفارسي وعلى الكُرَاسَةِ المنسوبة للجزولي وعلى كتابِ سيبويه. وكان يُعَلِّمُ هذه الكتبَ كُلَّها من حِفْظه.

ثم إنَّ ابنَ عصفورٍ غادرَ الأندلسَ إلى تُونسَ وتصدَّرَ فيها للتدريس مدَّةَ سيرةٍ ثم انتقلَ إلى بجايةَ (في الجزائر اليوم) بانتقالِ مَخْدومه (المُحْسِنِ إليه) الأميرِ أبي عبدِ الله محمدِ المستنصرِ الحفصيّ (قبلَ سنة ٦٤٧ هـ، في الأغلب، قبل أن يَلِيَ المستنصرُ الملك). بعدئذٍ عاد ابنُ عصفورٍ إلى لُورقةَ (جنوبَ شرقيِّ الأندلس). ثم انتقلَ إلى غربيِّ الأندلسِ.

ولم تَطُلْ إقامةُ ابنِ عصفورٍ في الأندلسَ فَرَجَعَ إلى المَغْرِبِ ونَزَلَ في بلدةٍ سَلَا (قرب الرِّباط). في هذه الأثناء، فيما يبدو، كان المستنصرُ الحفصيّ قد جاء إلى العرش، سنة ٦٤٧ هـ فاستدعى ابنَ عصفورٍ فعاد ابنُ عصفورٍ إلى تُونسَ الحاضرةِ واستقرَّ فيها. وكانت وفاته في تُونسَ غريباً في ذِي الحِجَّةِ من سنة ٦٦٩ في الأغلب (مطلع الصيف من عام ١٢٧١ م).

٢- كان ابنُ عصفورِ الإشبيليُّ بارِعاً في العربية (النحو) كَثُرَ طُلَّابُهُ وأقبلوا عليه من المَغْرِبِ والمَشْرِقِ، إذ «كان بَقِيَّةَ الحاملين للواءِ العربية في المَغْرِبِ»، ثم أصبحتْ

عليه الإحالة (الرجوع إلى رأيه) من المشرق والمغرب (نفع الطيب ٣ : ١٨٤).
وابنُ عَصُورٍ يَتَّبِعُ مَذْهَبَ الْبَصْرِيِّينَ (في النحو) عُمُومًا وَيُقَدِّمُ سَبِيحَهُ (أشهرَ
البصريين) خَاصَّةً عَلَى كُلِّ نَحْوٍ. ثُمَّ هُوَ يَتَخَيَّرُ أحياناً أَشْيَاءَ مِنْ آراءِ الْكُوفِيِّينَ
وَالْبَغْدَادِيِّينَ.

ولابنُ عَصُورٍ أَشْيَاءٌ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، وَلَكِنْ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ مِنْ اخْتِصَاصِهِ (راجع
نفع الطيب ٥ : ٣٨٤).

وابنُ عَصُورٍ مُصَنِّفٌ مُكْثِرٌ لَهُ: الْمُقَرَّبُ (في النحو)، وَيُقَالُ إِنَّ حُدُودَهُ (تعريفاته)
كُلُّهَا مَأْخُذَةٌ مِنَ الْجَزُولِيَّةِ (فوات الوفيات ٢ : ١١٦) تَأَلَّفَ عِيسَى بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ
الْجَزُولِيُّ الْمَغْرِبِيُّ (ت ٦٠٧ هـ). وَقَدْ اتَّقَدَّ كَثِيرُونَ مِنَ الْأَنْدَلُسِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ ابْنُ عَصُورٍ
عَلَى هَذَا الْكِتَابِ (راجع نفع الطيب ٤ : ١٤٨). وَلَكِنْ لِهَذَا الْكِتَابِ قِيَمَةٌ يَدُلُّ عَلَيْهَا
كَثْرَةُ الَّذِينَ شَرَحُوهُ وَاخْتَصَرُوهُ^(١).

وَلَهُ أَيْضًا: الْمُنتَجِعُ فِي التَّصْرِيفِ (وأبوابه: الحروف الزوائد، أُنْبِيَةُ الْأَسْمَاءِ، أُنْبِيَةُ
الْأَفْعَالِ، أَيِ الصِّيَغِ الَّتِي تَأْتِي عَلَيْهَا الْأَسْمَاءُ وَالْأَفْعَالُ. نَحْوُ قَعْلٍ، فُعَالٍ، فُعَلٌ، اسْتَفْعَلُ
إِلخ؛ الإِبْدَالُ، الْقَلْبُ وَالْحَذْفُ وَالنَّقْلُ، الْإِدْغَامُ، مَسَائِلُ التَّمْرِينِ). وَالْمُقَرَّبُ كِتَابٌ
يَدُلُّ عَلَى سَعَةِ مَطَالَعَاتِ ابْنِ عَصُورٍ فِي كِتَابِ عِلْمَاءِ النُّحُو. ثُمَّ إِنَّهُ عَادَ فَالَفَ «شرح
المقرب».

وكَذَلِكَ لَهُ شُرُوحٌ عَلَى عِدَدٍ مِنْ كِتَابِ النُّحُو: شَرْحُ كِتَابِ سَبِيحِهِ (ت ١٨٠ هـ) -
شَرْحُ كِتَابِ الْجُعَلِ لِلرَّجَاجِيِّ (ت ٣٣٧ هـ) شَرْحُهُ ثَلَاثَةُ شُرُوحٍ كَبِيرًا وَوَسَطًا وَصَغِيرًا -
إِنَارَةُ الدِّيَاجِيِّ^(٢) - الْأَزْهَارُ - الْهَلَالُ أَوِ الْهَلَالِيَّةِ (البلغة ١٧٠) - السِّلْكُ وَالْعِنَانُ
وَمِرَامُ اللَّوْلُوِّ وَالْمَرْجَانُ (بروكلمن، الملحق ١ : ٥٤٧) - الْفَتْاحُ - شَرْحُ الْإِبْرَاضِ^(٣) -

(١) راجع أسماء هؤلاء الشراح والمختصرين في «ابن عصور والتصريف» (ص ٥٣ - ٥٥).

(٢) يقول فخر الدين قباوي (ابن عصور والتصريف ٨٩، الحاشية ٤)، لَعَلَّ (إِنَارَةَ الدِّيَاجِيِّ) أَحَدُ شُرُوحِ
جَمَلِ الرَّجَاجِيِّ.

(٣) يرى بروكلمن (١ : ٣٥٢، السطر ٢٨) أَنَّ «الْإِبْرَاضَ» هُوَ «إِبْرَاضُ الْمَشْكَلِ» لِلْمَطْرُزِيِّ (ت ٦١٠ هـ)،
وَفِي دَائِرَةِ الْمَعَارِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ (٣ : ٩٦٢) أَنَّ الْإِبْرَاضَ هُوَ لَأَنَّ عَلِيَّ الْفَارِسِيَّ (ت ٣٧٧ هـ)؛ وَفِي بْرُوكْلَمَنْ =

مختصر المحتسب (في النحو لابن بابشاذ المصري المتوفى ٤٦٩ هـ) - البديع (شرح لمقدمة «الجزولية» في النحو للجزولي المتوفى ٦٠٧ هـ) - المقنع - مختصر الغرّة - منظومة في النحو. ثم له كتب ألصق باللغة والأدب: شرح الأشعار البتّة (دواوين امرئ القيس، النابغة، زهير، علقمة الفحل، طرفة، عنتره) ولكن لم يتمّه - شرح الحماسة (ديوان الحماسة لأيّ قنم) ولكن لم يتمّه - شرح ديوان المتنبي - مفاخرة السالف والعدار^(١) - الضرائر (الضرورات التي تحمل الشاعر على مخالفة قواعد في اللغة أو في النظم) - سرقات الشعراء .

وكان لابن عصفور شيء من الشعر وشيء من الكتابة الأنيفة .

٣ - مختارات من آثاره

- قال ابن عصفور في وصف التّجمل بعد الجهل:

لَمَّا تَدَنَسْتُ بِالتَّغْرِيطِ فِي كِبَرِي وَصِرْتُ مُغْرَى بِشُرْبِ الرَّاحِ وَاللَّسِّ^(٢)
رَأَيْتُ أَنْ خَضَابَ الشَّيْبِ أَسْتُرَ لِي إِنَّ الْبَيَاضَ قَلِيلُ الْحَمَلِ لِلدَّنَسِ^(٣)!

- من مقدمة كتاب المقرّب:

.... فلَمَّا كَانَ عِلْمُ الْعَرَبِيَّةِ (النحو) مِنْ أَجْلِ الْعُلُومِ قَدْرًا وَأَعْظَمَهَا خَطَرًا، إِذْ بِهِ تَقُومُ لِلإِنْسَانِ دِيَانَتُهُ فَتَنْتَمُ صَلَاتُهُ وَتُصَحَّ قِرَاءَتُهُ؛ وَكَانَتْ أَكْثَرُ الْمَوْضُوعَاتِ فِيهِ لَا تُبْرَدُ غَلِيلاً^(٤) وَلَا تُحْصَلُ لَطَالِبِهِ مَأْمُولًا، وَأَنْهَا بَيْنَ مُطَوَّلَةٍ قَدْ أُسْرِفَ فِيهَا غَايَةُ الْإِسْرَافِ

= أَيْضًا (١: ٣٥٤، الطر الثاني) أَنْ الْإِبْصَاحَ لِلْسَّكَاكِي (٦٢٦ هـ) وَأَنْ «نَرْجُ الْإِبْصَاحَ» لِلْسَّكَاكِي مِنْهُ. وَفِي «ابن عصفور والتصريف» أَنْ «الْإِبْصَاحُ» (ص ٤٩) غَيْرُ «شرح الإِبْصَاح» (ص ٥١) وَأَنْ الْإِبْصَاحَ لِأَوَّلِي الْفَارِسِيِّ.

(١) السالف للمرأه، والعدار للرجل

(٢) الرّاح: الحمر اللّسن سواد مسح في باطن الشّفة (المقصود: التّخيل)، الغزل - في «فوات الوفيات» (١١٦: ٢) - المحلّط في كبرى... برشف الرّاح واللّسن.

(٣) - أَنْ أَقْلَ قَدَرٍ مِنَ الْوَسْخِ يُمْكِنُ أَنْ يَبْدُو عَلَى سَبِيحِ أَبْصَحَ. إِنَّهُ صَغِيرٌ شَرُّهُ حَتَّى إِذَا ظَهَرَ مِنْهُ هَوْنٌ لَمْ يَلْمِ النَّاسَ بِحُجَّةٍ أَنَّهُ مُتَقَدِّمٌ فِي السِّبْخِ لَا يَجُوزُ مِنْهُ مِثْلُ ذَلِكَ الْعَمَلِ!

(٤) الخطر (أهمّة قسمة)، الطلل: شدّة العطش وحرارته. - لَا تَبْرَدُ غَلِيلاً (لَا تَمُتُ الْإِنْسَانُ مَا يَطْلُهُ).

وَمُخْتَصَرَةٌ أَحَجَفَ فِيهَا غَايَةَ الإِحْجَافِ أَشَارَ مِنَ النُّجَحِ مَعْقُودُ بَنَوَاصِي آرَائِهِ وَالْيَمْنُ مُعْتَادٌ فِي مَذَاهِبِهِ وَأَنْحَائِهِ - مَالِكٌ عَنَانِ الْعُلُومِ وَفَارَسُ مِيدَانِهَا وَمُخَرِّزُ قَصَبِ السَّبَقِ فِي حَلْبَةِ رَهَانِهَا وَتَارِيخِ الْفَضَائِلِ وَعُنَوَانُهَا وَحَدَقْتُهَا وَإِنْسَانُهَا - الْأَمِيرُ الْأَجَلُّ الْأَوْحَدُ الْبُؤَيْدُ الْأَسْعَدُ أَبُو زَكَرِيَّا ابْنُ الشَّيْخِ الْمُقَدَّسِ ^(١) الْمُجَاهِدِ أَبِي مُحَمَّدَ بْنِ الشَّيْخِ الْمُجَاهِدِ الْمُقَدَّسِ أَبِي حَفْصٍ ^(٢) أَدَامَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ وَعَلَاءَهُمْ وَأَنَارَ بَنُجُومِ السَّعْدِ سَاءَهُمْ - إِلَى وَضْعِ تَأْلِيفِ مُنَزَّهِ عَنِ الْإِطْنَابِ الْمِلِّ وَالْإِخْتِصَارِ الْمَخْلِيِّ، مُخْتَوٍ عَلَى كَلْبِيَّاتِهِ مُسْتَعِيلٍ عَلَى فُصُولِهِ وَغَايَاتِهِ، عَارٍ عَنِ إِيرَادِ الْجَلَّافِ ^(٣) وَالِدَلِيلِ، مُجَرَّدٍ أَكْثَرُهُ عَنِ ذِكْرِ التَّوْجِيهِ وَالتَّغْلِيلِ، يُشْرِفُ النَّاطِرُ فِيهِ عَلَى جُمْلَةِ الْعِلْمِ فِي أَقْرَبِ زَمَانٍ وَيُحِيطُ بِمَائِلِهِ فِي أَقْصَرِ أَوَانٍ. قَوَّضْتُ فِي ذَلِكَ كِتَابًا صَغِيرَ الْحَجْمِ مُقَرَّبًا لِلْفَهْمِ، وَرَفَقْتُ فِيهِ مِنْ عِلْمِ النُّحُوِّ شِرَائِعَهُ ^(٤) وَمَلَكَتُهُ غَضِيَّةً وَطَائِعَةً وَذَلَّلْتُهُ لِلْفَهْمِ بِحَسَبِ التَّرْتِيبِ وَكَثَرَةِ التَّهْذِيبِ لِأَتْفَافِهِ وَالتَّقْرِيبِ، حَتَّى صَارَ مَعْنَاهُ إِلَى الْقَلْبِ أَسْرَعَ مِنْ لَفْظِهِ إِلَى السَّمْعِ. فَلَمَّا أَتَيْتُ بِهِ عَلَى الْقَدَحِ تَمَتُّعًا عَلَى الْقَدَحِ ^(٥) مُشَبَّهًا لِلْعَقْدِ فِي التَّثَامِ وَوُضُولِهِ وَاتِّسَاطِهِ فُصُولِهِ، سَمَّيْتُهُ «بِالْقُرْبِ» لِيَكُونَ أَسْمُهُ وَفَقَّ مَعْنَاهُ وَمُتَرَجِّمًا عَنْ فَعْوَاهُ...

٤ - المتع (نشره فخر الدين قباوي). حلب ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م.

- المقرَّب (نشره أحمد عبد السَّارِ الجَوَارِي وَعبد الله الجَوَارِي). بغداد (رئاسة ديوان الأوقاف في الجمهورية العراقية - في سلسلة «إحياء التراث الإسلامي»)، الجزء الأول. بغداد (مطبعة الماني) ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م.

** ابن عصفور والتصرف، تأليف فخر الدين قباوي. حلب (دار الأصفمى) ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م.

صلة الصلة ١٤٢ - ١٤٣ (رقم ٢٨٥)؛ فوات الوفيات ٢: ١١٦؛ الذيل والتكملة ٥: ٤١٣ - ٤١٤؛ وفيات ابن قنفذ ٣٣١؛ البلغة ١٦٩؛ عنوان الدراية ٢٦٦ - ٢٦٨؛ بغية الوعاة ٣٥٧؛ نفع الطبيب ٢: ٢٠٩ - ٢١١، ٣: ١٨٤. راجع ٢: ٢٧١ - ٢٧٢، ٢٧٠، ٢٧١.

(١) النُّفَس (بكسر الدال: الذي يكبر من تقدس الله ونسيجه).

(٢) هو أبو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْهَتَاتِي (٥٩٩ - ٦٤٧ هـ) جدُّ الخلفاء المُنْصَوِّينَ.

(٣) الخلاف: اختلاف الحاة في تحريك الإعراب، إلخ.

(٤) الشرائع، المفروض أنها جمع شريعة (طريقة!)، أو: شراعه: قلع (بالكسر) السمة.

(٥) القدح (يفتح القاف): الصب. (وكسر القاف) الحق (قلت منه الحق كيلا يستطيع أحد أن يمسّه).

٤ : ١٤٨ ، ٥ : ١٣٨٢ شذرات الذهب : ٥ : ٣٣٠ ؛ بروكلمن : ١ : ٣٨١ ، الملحق : ١ : ٥٤٦ - ٥٤٧ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٩٦٢ الأعلام للركلي : ٥ : ١٧٩ - ١٨٠ (٢٧) ، معجم المؤلفين : ٧ : ٢٥١ .

الدَّرْحِينِي

١ - هو أبو العباس أحمد بن سعيد بن سليمان بن علي بن إغلاف من تيجار في جبل نفوسة ومن أسرة كان لها نشاط إباضي وعلم وفقه .

يبدو أن مولد الدَّرْحِينِي كان في السَّنوات الأخيرة من القرن السادس . ودرس في مطلع شبابه في وَرْجَلَة (٦١٦ - ٦١٨ هـ) ثم رأيناه يتابع تلقّي العلم (سنة ٦٣٣) في تَوْزَر مجَنُوبِي تُونِسَ . وبعد ذلك عاش مُدَّة في جزيرة جَرَبَّة . ولعلَّ وفاته كانت نحو ٦٧٠ (١٢٧٠ م) .

٢ - كان الدَّرْحِينِي فقيهاً إباضياً ومؤرخاً وشاعراً . ويبدو أن نشاطه الأدبي بدأ سنة ٦٣٦ (١٢٣٨ م) . اشتهر بكتابه «طبقات المشايخ» . وهذا الكتاب قسمان واضحا أولهما (يبدو وكأنه منسوخ من «كتاب السيرة وأخبار الأئمة لأبي زكريا يحيى بن أبي بكر الورجلاني»)، استعرض فيه انتشار المذهب الإباضي في شمالي إفريقيا وتأسيس الدولة الرُستَمية ثم ألحق به تراجم لنفر من فقهاء الإباضية المتقدمين من المغاربة . وأمّا ثاني القسمين فهو مجموع تراجم لمشاهير الإباضية من فقهاء وغير فقهاء . ويتألف هذا القسم الثاني من اثنتي عشرة طبقة تتناول كل طبقة خمسين سنة . وقد خُصت الطبقات الأربع الأولى (في القرنين الأولين من الهجرة) بالفقهاء الإباضية من المارقة ، والطبقات الثماني الباقية بالفقهاء الإباضية من المغاربة .

- طبقات المشايخ . القاهرة ١٣٠٢ هـ .

★ ★ دائرة المعارف الإسلامية : ٢ : ١٤٠ - ١٤١ ؛ بروكلمن : ١ : ٤١٠ ، الملحق : ١ : ٥٧٥ .

ابن أبي الحسين

١- هو أبو عبد الله محمد بن الحسين بن أبي الحسين^(١) سعيد بن الحسين بن سعيد بن خلف العنسي، من أهل القيروان، كان هو وأهله من أبناء الدولة (المقرئين من السلطان). ويبدو من شعره أن أهله كانوا من البدو الذين قدمهم الحفصيون على قوم عنان بن جابر (راجع، فوق، ص ١). وقد تولى محمد بن أبي الحسين الحجابة (الوزارة) في أيام أبي زكريا يحيى (٦٢٥-٦٤٧ هـ) ثم في أيام أبيه محمد المستنصر (٦٤٧-٦٧٥ هـ)، فزاد ذلك في نفور عنان بن جابر وقومه فرحلوا عن تونس^(٢). وكانت وفاة محمد بن أبي الحسين، سنة ٦٧١ للهجرة (١٢٧٢-١٢٧٣ م)، في تونس.

٢- كان محمد بن أبي الحسين رجلاً بعيد الهمة ذا عزم وحزم في الأمور. وقد وصفه حسن حسني عبد الوهاب ياتقان العلوم والمعرفة باللغة وبرقة الشعر والبراعة في الترسل. وفي شعره متانة، وفيه وصف وفخر وشيء من الحكمة. ثم هو مصنف عني بكتاب «المحكم» لابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) رتبته على أواخر الكلمات وسماه «ترتيب المحكم» ثم اختصره وجعل اسم مختصره «خلاصة المحكم».

٣- مختارات من شعره

- قال أبو عبد الله بن أبي الحسين بن سعيد قصيدة بحث فيها عنان بن جابر على العوزة إلى تونس:

(١) هذا السبب الطويل من الأعلام (للزركلي). وقد اختصر حسن حسني عبد الوهاب على محمد بن أبي الحسين بن سعد (مكان: سعيد)، أبو عبد الله.

(٢) راجع البيت الرابع عشر من المختارات من شعر عنان بن جابر. يذكر حسن حسني عبد الوهاب أن محمد ابن أبي الحسين قد تولى الحجابة للمستنصر الحفصي. وفي بي حفص سلاطين تونس بضعة نمر تلقوا بالمستنصر، ولكنهم كلهم جاءوا بعد وفاة محمد بن أبي الحسين. والصواب أن يقال إن ابن أبي الحسين تولى الحجابة للمستنصر الحفصي (٦٤٧-٦٧٥ هـ) وهو أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد وأخو أبي زكريا يحيى مؤسس الدولة الحفصية (راجع زامباور، ص ١١٥ و ١١٧).

لَوْ دُمْنَةٌ بَيْنَ الْقَضَا وَالْوَاجِرِ
وَدُونَكُمْ، يَا لِلرَّجَالِ، تَحِيَّةٌ
فَتَسَى مَا دَعَتْهُ زَلَّةٌ فَأَجَابَهَا،
وَقَدْ كَانَ بَيْنِي، يَا عِنَانُ، وَبَيْنَكُمْ
وَفِي كُلِّ عَامٍ كَانَ لِلجَيْشِ وَقْعَةٌ
فَتَحْتَالُ أُعْطَافٌ وَتَصِلُ سُرُنَا،
تَنَازَى عَلَى خَيْلٍ تَنَازَى كَأَنَّا
عَزِيزٌ عَلَيْنَا، يَا عِنَانُ، ضَلَالَةٌ
تَبْصُرُ وَلَا تَحْمِلُ عَلَى النَّفْسِ غِيَّاهُ
فَدَيْتُكَ، لَا تَسِرِ الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى؛

هَلِ اسْتَنْ فِيهَا وَاكْفَاتُ الْمَوَاطِرِ^(١)؟
يُخَصُّ بِهَا عِنَانُ بْنُ جَابِرٍ^(٢).
كَفَيْفَ طَوَى كُنُحًا عَلَى نَفْسٍ غَادِرٍ^(٣)؟
بِوَاطِنٍ صُنَّاهَا بِحَفَظِ الظَّوَاهِرِ^(٤).
نَجُرُّ بِهَا أَذْيَالَنَا جَرَّ سَادِرٍ^(٥)
وَنَهْتَزُ كَالسَّمْرِ أَبْتِغَاءَ الْمَفَاخِرِ^(٦)
وَأَسْيَافِنَا لَمْ نَسْتَفِيقْ مِنْ تَسَاكُرٍ^(٧).
حَدَّثَ بِكَ لَا تَلْوِي عَلَى زَجَرٍ زَاجِرٍ^(٨).
أَعْيِذُكَ مِنْ كِرَاتٍ دَهْرٍ جَوَاسِرٍ^(٩)
فَدَيْتُكَ، لَا تَسِرِ الْعَمَى بِالْبَصَائِرِ^(١٠).

(١) الدمة: آثار الدار (المكان الذي كان فيه دار مسكونة). العضا: نوع من الشجر. الواجر: لعلها جمع سورج - بالفتح -: نوع من الشجر (تاج العروس - الكويت ١١ : ٥٠٧). استن: هطل (فيها المطر دفعة - بالضم - واحدة وتتابع). الواكف: (المطر) السائل، الهاطل. المواطر جمع ماطرة (٢) - عينة مطرة.

(٢) دونكم: خذوا (اعلموا). يا للرجال (ما أحسنه من رجل).

(٣) الكنح: الجانب (من جسم الإنسان). طوى كنحاً: أسر (حقد).

(٤) صنَّاهَا من صان: حفظ، حمى.

(٥) جرَّ فلان ذيله: مشى متبخترًا (معجباً بنفسه). السادر (الذي لا يبالي بالعواقب، المتطلق في هواه لا يفكر في شيء آخر).

(٦) العطف (بالكسر) الجانب الأعلى من الجسم. نعل: تهتز. السمر جمع أسمر: الرمح. اهتزاز الرمح (في الذهاب إلى الحرب) كناية عن الثقة بالظفر.

(٧) السنوان: السكران (المسروع بما يملك). تساكُر (تظاهر المرء بالسكر وهو ليس سكران).

(٨) عزيز علينا (أمر صعب علينا، قبيح على نفوسنا، مسيء لنا). حدث بك: ساقتك، دفعتك. لا تلوي: لا تلتفت (لا تسمع زجر زاجر: من يريد أن يردك عن الضلال).

(٩) الغي: الضلال. كرامة الدهر (هجمته بالأذى على الإنسان). جواسر (يريد بها جمع جاسرة: جريئة، شحاخة).

(١٠) شرى: اشتري. البصائر جمع بصيرة: الفطنة وحس الإدراك للأمور (ولعلّه يقصد العين الباصرة، من مقارنة البصائر بالعمى).

وما العربُ العَرَبُ إِلَّا بِمِثْلِهَا، فَمَنْ كَانَ أَوْفَى كَانَ أَوْلَىٰ فَخِيرٌ^(١)،
فَكَمْ حَفِظْتَ مِنْ ذِمَّةِ قَوْسٍ حَاجِبٍ، وَكَمْ مِثْلِي أَبْقَى السَّمَوَاتِ سَائِرٌ^(٢)،
كَذَلِكَ كَانَ النَّاسُ يُؤْفُونَ، فَاتَّبِعُوا سَبِيلَ الْوَفَاءِ كَابِرًا إِنْثَرُ كَابِرٌ^(٣)،
وَمَنْ تَتَفَعُّ الذِّكْرَى تَلَفَى تَلَاْفَهُ وَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ مِنَ الرُّشْدِ سَافِرٌ^(٤)،
هَدَّتْكَ الْهُوَادِي، يَا عَيْنَانُ، وَأَمْطَرَتْ ذُرَاكَ الْهُوَادِي بَيْنَ بَادٍ وَحَاضِرٍ^(٥).

٤- ** مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٩٩-٢٠١، الاعلام للزركلي ٦: ٣٣٤ (١٠١-١٠٢).

القرطبي صاحب التفسير

١- هو الشيخ الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الحنزرجي الأنصاري من أهل قرطبة، ولد سنة ٥٧٨ للهجرة (١١٧٣ م). سمع من أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي (٥٧٨-٦٥٦ هـ) وأخذ عن أبي علي الحسن بن محمد بن محمد البكري وعن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن حفص اليعقوبي.

- (١) الرباء: الصريحة السب. بمِثْلِهَا: بمِثْلِهَا (بكثره عددها). أَوْفَى: أكثر عدداً. أكثر وفاء بالمهد.
- (٢) حاجب بن زرارة (بالضمة) سَبَدَ بَنِي تَيْمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ (ت سنة ٣ هـ) كَانَ قَوْمُهُ قَدَرًا عَتَدُوا عَلَى بَغْيَةٍ مِنَ الْمُرَاغِي عَلَى ضُفَافِ نَهْرِ الْفَرَاتِ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ. فَغَضِبَ كَسْرَى وَأَرَادَ أَنْ يَنْبَغِ بَنِي تَيْمٍ مِنَ الرِّعْيِ فِي جَمِيعِ مَنَاطِقِ الْفَرَاتِ. فَجَاءَ حَاجِبٌ إِلَى كَسْرَى وَوَعَدَهُ بِأَلَّا يَهْجُوَ بَنُو تَيْمٍ إِلَى الرِّعْيِ فِي مَنَاطِقِ لَيْسَتْ لَهُمْ وَجَعَلَ قَوْمَهُ رَهَاءً لِلْوَفَاءِ بَوْعَدِهِ. وَوَفَّى بَنُو تَيْمٍ بِالْوَعْدِ. وَالسَّمَوَاتِ بِنِ عَادِيَا، يُقَالُ فِيهِ إِنَّهُ كَانَ وَفِيًا بَوْعَدِهِ. فَكَمْ حَفِظْتَ مِنْ ذِمَّةِ قَوْسٍ حَاجِبٍ (هذه القوس القبلية التي كانت غنية جداً لأنها حلت بني تيم على الوفاء بوعدهم ثم علمتهم الوفاء بالوعد في غير موقفهم مع كسرى).
- (٣) كَابِرًا إِنْثَرُ (بعد) كَابِرٌ: إِرثًا مِنْ سَلَفٍ عَظِيمٍ إِلَى حَلْفٍ عَظِيمٍ بَعْدَهُ.
- (٤) - وَالَّذِي يَنْفَعُهُ تَذَكُّرُ مَاضِيهِ يَتَلَاْفَى (يَتَجَنَّبُ) تَلَاْفَهُ (هَلَاكُهُ) ثُمَّ يَكْتَفِ (يَعْرِفُ) بِحَيْثُ وَجْهًا مِنْ أَوْجِهِ الرُّشْدِ (الصواب). سَافِرٌ: وَاضِحٌ، ظَاهِرٌ. لَيْسَ فِي «م» (هنا) مَعْنَى التَّرُطِّ.
- (٥) الْهَادِيَّةُ: الدَّلِيلُ الْمُتَقَدِّمُ فِي السَّيْرِ، الْهَادِي النَّاصِحُ. الدَّرْوَةُ (بِالْكَسْرِ أَوْ بِالضَّمِّ): الْمَكَانُ الْعَالِي (بَيْنَكَ الرَّفِيعِ، الشَّرِيفِ). الْعَادِيَّةُ: الْعِيَّةُ الْمَطْرَةُ الْقَادِمَةُ فِي الصَّبَاحِ. بَيْنَ بَادٍ وَحَاضِرٍ: إِذَا كُنْتَ فِي الْبَادِيَةِ أَوْ فِي الْحَصْرِ (الْمَدِينَةِ).

رَحَلَ الْقُرْطُبِيُّ إِلَى الْمَشْرِقِ وَاسْتَقَرَّ فِي مَنِيَّةِ بَنِي خَصِيبٍ، شَمَالَ أَسْوَطَ بَصْعِيدٍ مِصْرَ. وَكَانَتْ وَفَاتِهِ هُنَاكَ فِي تَاسِعِ شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ٦٧١ (١٢٧٣/٣/٣١ م).

٢- كَانَ الْقُرْطُبِيُّ صَاحِبُ التَّفْسِيرِ رَجُلًا صَالِحًا مُتَعَبِّدًا زَاهِدًا وَمِنْ الْعُلَمَاءِ الْعَارِفِينَ مُتَجَرِّبًا فِي عِدَّةٍ مِنَ الْعُلُومِ، وَفِي التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ خَاصَّةً، كَمَا كَانَ مَلِيحَ النِّظَمِ.

وهُوَ مُصَنَّفٌ لَهُ: الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ الْمُبِينِ لِمَا تَضَمَّنَهُ (الْقُرْآنُ) مِنَ السُّنَّةِ وَآيِ الْفُرْقَانِ (أَسْقَطَ مِنْهُ الْقِصَصَ وَالتَّوَارِيخَ وَأَثْبَتَ عَوَضًا عَنْهَا أَحْكَامَ الْقُرْآنِ وَاسْتَنْبَاطَ الْأَدِلَّةِ وَذَكَرَ الْقِرَاءَاتِ وَالْإِعْرَابَ وَالنَّاسِخَ وَالْمَنْسُوخَ) - الْأُسْنَى فِي شَرْحِ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى - التَّذْكَارُ فِي أَفْضَلِ الْأَذْكَارِ - التَّذْكَرَةُ بِأَحْوَالِ الْمَوْتَى وَأَحْوَالِ (أُمُورِ) الْآخِرَةِ (= التَّذْكَرَةُ الْفَاخِرَةُ بِأَحْوَالِ الْآخِرَةِ؟) - قَمْعُ الْحِرْصِ بِالزُّهْدِ وَالْقَنَاعَةِ وَرَذَلُ (ذَلِ) السُّؤَالِ بِالْكَفِّ (بِالْكَتَبِ) وَالثَّقَاعَةُ - شَرْحُ التَّقْصِي - أَرْجُوزَةٌ (جَمَعَ فِيهَا أَسْمَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) - الْإِعْلَامُ بِمَا فِي دِينِ النَّصَارَى مِنَ الْفَسَادِ وَالْأَوْهَامِ وَإِظْهَارُ مَحَاسِنِ دِينِ الْإِسْلَامِ وَإِثْبَاتُ نُبُوَّةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (رَدُّ عَلَى كِتَابِ فِي الْجَدَلِ لِأَحَدِ نَصَارَى طُلَيْطَلَةَ) - كِتَابُ الْعَقِيدَةِ - الْمِصْبَاحُ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ الْأَفْعَالِ (لَا يَنْ الْقَطَّاعِ) وَالصَّحَّاحِ (لِلْجَوْهَرِيِّ) (بِمَجَرَّدٍ مِنَ الشَّوَاهِدِ).

وَالْمَقْصُودُ بِكِتَابِهِ «الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ» أَنْ يَكُونَ تَفْسِيرًا لِآيَاتِ الْقُرْآنِ. وَلَكِنْ هَذَا الْكِتَابُ لَيْسَ تَفْسِيرًا بِمَعْنَى «تَوْضِيحِ مَعْنَى الْآيَةِ بَعْدَ الْآيَةِ»، بَلْ هُوَ «عَرَضٌ لِكُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِكُلِّ آيَةٍ مِنْ وَجْهِ الْمَعْرِفَةِ مِنْ تَفْسِيرِ الْأَلْفَاظِ وَبَيَانِ إِعْرَابِهَا وَذِكْرُ مَا يَتَّصِلُ بِهَا مِنْ أَوْجِهٍ الْبَلَاغَةِ وَمِنْ الشَّوَاهِدِ الدَّالَّةِ عَلَى الْمَقْصُودِ مِنْهَا سِوَاهُ» أَكَانَتْ هَذِهِ الشَّوَاهِدُ مِنْ أَقْوَالِ الرِّجَالِ أَوْ مِنَ الْأَشْعَارِ أَوْ مِنَ الْأَحَادِيثِ أَوْ مِنَ الْآيَاتِ حِينَ تَوَافَقَ الْآيَةُ الْآيَةُ الْمَقْصُودَةُ بِالتَّفْسِيرِ. وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ «الْجَامِعَ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ» يَنْكَشِفُ عَنْ سَعَةِ الْمَعْرِفَةِ الَّتِي كَانَ الْقُرْطُبِيُّ يَتَمَتَّعُ بِهَا وَعَنْ إِصَابَةِ الرَّأْيِ فِيهَا يَتَنَاوَلُ مِنَ الْمَوْضُوعَاتِ.

ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْكِتَابَ مَفِيدٌ جَدًّا لِلْبَاحِثِ، إِذْ هُوَ يَجْمَعُ لِلْقَارِئِ مَعْظَمَ مَا يَتَعَلَّقُ بِكُلِّ آيَةٍ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ. وَلَكِنَّهُ يَشُوْشُ الْأُمُورَ عَلَى الْقَارِئِ الْعَادِي حِينَ يَحَاوِلُ أَنْ «يُفَسِّرَ» الْقُرْآنَ بِالْقُرْآنِ (أَيَّ يَدُلُّ عَلَى الْمَقْصُودِ مِنْ آيَةٍ مَا بَايَرَادُ مَا يَشْبَهُ تِلْكَ الْآيَةَ مِمَّا وَرَدَ

من آيات القرآن، فيختلط الأمر حينئذ على القارئ العادي بين الآية المقصودة بالتفسير في موضعها والآيات المستشهد بها. وهذه خطة تدعو إلى التطويل. لقد جاء تفسير الآية: ﴿أَتَأْتُمِرُونَ النَّاسَ بِالْبَرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ، وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ؟ أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟﴾ (٢: ٤٤، سورة البقرة) في سبع صفحات (١: ٣١١-٣١٦) في نحو مائة وعشرة أسطر (نحو ألف وثلاثمائة كلمة) منها ستة عشر بيتاً من الشعر.

وهناك مأخذ آخر على أسلوب القرطبي في التفسير حينما يفصل بين كلمات الآية الواحدة ثم يُورد في أثناء تفسير تلك الآية أقساماً من آيات توافق الآية المقصودة بالتفسير في المعنى وفي اللفظ. ففي تفسير الآية: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا: إِنَّا مَعَكُمْ. إِنَّمَا نَحْنُ مُسَهَّرُونَ﴾ (٢: ١٤١)^١. في أثناء شرح هذه الآية (١: ١٧٩-١٨١) يورد القرطبي أقساماً من آيات هي:

- وجزاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٍ مِثْلُهَا (٤٢: ٤٠، الثوري).
- فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ بِهِ (٢: ١٩٤، البقرة).
- وَمَكْرُوهًا وَمَكْرَ اللَّهُ (٣: ٥٤، آل عمران).
- إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا (٨٦: ١٦، الطارق).
- يَخَادِعُونَ اللَّهَ، وَهُوَ خَادِعُهُمْ (٤: ١٤٢، النساء).
- فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ، سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ (٩: ٧٩، التوبة).

إنَّ القارئ العادي لا يستطيع أن يعرف (بالتأكيد) أن هذه الآيات الست مختلفة المواقع في المصحف وأنها ليست (في القراءة) من الآية المقصودة بالتفسير، والتي هي من سورة البقرة. ولكن هذه هتات (مأخذ سيئة) في «أسلوب» التفسير، وليست تمنع من أن نرى القرطبي في تفسيره هذا جيداً الفهم للمقصود حسن التخريج للأدلة.

٣- مختارات من آثاره

- ١- من مقدمة «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي المفسر (١: ٢-٣): وبعد، فلما

(١) راجع الجامع لأحكام القرآن ١: ٣١١ وما بعد.

كان كتابُ الله هو الكفيلُ بجميعِ علومِ الشَّرْعِ الذي استقلَّ بالسَّنةِ والفَرَضِ، ونزلَ به أمينُ السماءِ إلى أمينِ الأرض^(١)، رأيتُ أنْ اشتغلَ به مدى عُمري وأستفرغَ به مَتْنِي^(٢) بأنْ أكتبُ فيه تعليقاً وحيزاً يتضمَّنُ نكثاً^(٣) من التفسيرِ واللُّغاتِ والإعرابِ والقراءاتِ و(من) الرَّدَّ على أهلِ الرِّيعِ والضَّلالاتِ^(٤) و(من) أحاديثِ كثيرةٍ شاهدةٍ لما نذكرُه من الأحكامِ ونزولِ الآياتِ^(٥) جامعاً بين معانيها ومُبيِّناً ما أشكل^(٦) منها (وذلك) بأقوالِ السلفِ ومن تبعَهُم من الخلفِ.

وعَمَلتُهُ تذكِرةً لنفسي وذخيرةً ليومِ رَمَسي وَعَملاً صالحاً بعدَ موتي. قال اللهُ تعالى: ﴿يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ بِوَعْدِهِ يَوْمَ قَدَمٍ وَأُخْرٍ﴾؛ وقال تعالى: ﴿عَلِمْتَ نَفْسُ مَا قَدَمْتُ وَأُخْرْتُ﴾؛ وقال رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم: «إذا ماتَ الإنسانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ».

وشرطُني في هذا الكتابِ إضافةً الأقوالِ إلى قائلِها والأحاديثِ إلى مُصنِّفِها^(٧)، فإنَّه يُقالُ: مِنْ بركةِ العلمِ أنْ يُضَافَ القولُ إلى قائلِهِ.

وكثيراً ما يجيءُ الحديثُ في كُتُبِ الفقهِ مُبْهِماً لا يَعْرِفُ مَنْ أَخْرَجَهُ^(٨) إِلَّا مَنْ أَطَّلَعَ عَلَى كُتُبِ الحديثِ فيبقى مَنْ لا خَبِيرَةَ لَهُ حائِراً لا يَعْرِفُ الصَّحِيحَ مِنَ السَّقِيمِ^(٩) - ومعرفة ذلك عِلْمٌ جسيمٌ^(١٠) - فلا يُقْبَلُ منه الاحتِجاجُ به ولا الاستِبدالُ حتَّى

(١) أمينُ السماءِ: جبريل. أمينُ الأرض: محمد رسولُ الله.

(٢) المَتْنُ (بالهمز): العَوْدُ.

(٣) النكثُ: النقطَةُ البارزة، المسألةُ الدقيقةُ أو النادرة.

(٤) الرِّيعُ: الخبيثُ أو الميلُ عن الطريقِ الصحيح. الضَّلالةُ: الباطل، مخالفةُ الطريقِ المستقيم.

(٥) نزولِ الآياتِ (أسبابُ نزولِها، تاريخها).

(٦) أشكلُ الأمرِ: أشبه. النسي (لم يَكُنْ الحِزْمُ فيه رأيٌ واضح).

(٧) مصنفُ الأحاديثِ مرتَّبُ أحاديثِ رسولِ الله في أبوابِها بحسبِ معانيها.

(٨) أخرج الحديثَ (بيَّن طريقَ روايته).

(٩) الحديثُ الصحيح: الثابتُ في روايته عن رسولِ الله. السقيمُ من الحديثِ: ما كان في روايته عن رسولِ الله شكٌّ أو حرجٌ في أمانَةِ رِجَالِهِ (فهو ضعيف) أو ما لم يكن من أحاديثِ رسولِ الله (فهو موضوع، مكذوب).

(١٠) جسيم: عظيم. (صمب).

يُضَيِّفه إلى من خرَّجه من الأئمة الأعلام والثقات المشاهير من علماء الإسلام . ونحن نُشيرُ إلى جُمْلٍ من ذلك في هذا الكتاب . والله الموفق للصواب .

(ثم إنِّي) أَضْرَبُ^(١) عن كثير من قصص المُفسِّرين وأخبار المؤرِّخين ، إلَّا ما لا بُدَّ منه ولا غناء^(٢) عنه للتبيين . وأَعْتَصَمْتُ من ذلك تبيينَ أي الأحكام بمسائل تُشيرُ عن معناها وتُرشد الطالب إلى مقتضاها^(٣) . فَضَمَّنْتُ كُلَّ آيَةٍ تَتَضَمَّنُ حُكْمًا أو حَكْمَيْنِ فما زَادَ مسائلُ تُبَيِّنُ فيها ما تحتوي عليه من أسباب النزول والتفسير والغريب والحُكْمُ^(٤) ، فإن لم تَتَضَمَّنْ حُكْمًا ذَكَرْتُ ما فيها من التفسير والتأويل^(٥) ، هكذا إلى آخر الكتاب . وسَمَّيْتُهُ « الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تَضَمَّنَتْهُ من السُّنة وآي الفرقان »^(٦) ، جَعَلَهُ اللهُ خَالصًا لوجهه ، و(أرجو) أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ وَوَالِدِي عَنْهُ^(٧) . إِنَّهُ سَمِعَ الدُّعَاءَ قَرِيبٌ مُجِيبٌ^(٨) . آمين .

٤ - الجامع لأحكام القرآن ، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٩٣٣ - ١٩٥٠ م ، الطبعة الثانية ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧ م ، الطبعة الثالثة ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٣ م ؛ القاهرة (دار الكاتب العربي) ١٩٦٧ م (نسخة مصورة) .

- أفضىة الرسول صلى الله عليه وسلم . القاهرة (البابي) ١٣٤٦ هـ .
- التذكرة بأحوال الموتى وأحوال (أمور) الآخرة^(٩) (في مجموع ، رقم ٤) ، القاهرة (مكنسة الجمهورية العربية) بلا تاريخ ؛ (صححه أحمد محمد مرسى) ، القاهرة (مطابع مذكور وأولاده) بلا تاريخ .

-
- (١) أَضْرَبُ عن الشيء : رفض الأخذ به ، ترك العمل به .
 - (٢) الغناء (بالفتح) : (هنا) الاستثناء . لا غناء عنه : ضروري .
 - (٣) مقتضاها : وجوبها ، الحاجة إليها ، وجه العمل بها .
 - (٤) الغريب (من الألفاظ) : ما كان قليل الاستعمال . الحكم : الوجه الشرعي الذي يجب العمل به .
 - (٥) تأويل الكلام : المدول به عن الحقيقة إلى المجاز . ترك المعنى الظاهر وطلب المقصود الباطن .
 - (٦) الفرقان : القرآن الكريم (الذي يفرق بين الحق والباطل) .
 - (٧) المنّ (بالفتح) : النعمة ، الفضل .
 - (٨) في القرآن الكريم (٢ : ١٨٦ ، البقرة) : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ﴾ (دعائي) .
 - (٩) في بروكلمن (الملحق ١ : ٧٣٧) : بولاق ١٣٠٠ ؛ القاهرة ١٣٠٤ ، ١٣٠٨ ، ١٣١٠ (لم يَأْبَ قبلها كلمة مطبوع) .

- التذكار في أفضل الأذكار: القرآن الكريم (خرَج أحاديثه... أحمد بن محمد الفهاري)، القاهرة (الخانجي) ١٣٥٥ هـ.
- ***- شرح التذكرة القرطبية (لأحمد بن أحمد بن محمد، التوفى ٨٩٦ هـ)، بولاق ١٣٠٠ هـ؛ القاهرة ١٣٠٤، ١٣٠٨، ١٣١٠ هـ.
- مختصر التذكرة بأحوال الموتى الخ، لعبد الوهاب النعماني (ت ٩٧٣ هـ)، بولاق ١٣٠٠ هـ؛ مصر (مطبعة شرف) ١٣٠١ هـ، ١٣٠٤ هـ؛ مصر (مطبعة عبد الرزاق) ١٣٠٣ هـ؛ مصر (المطبعة الخيرية) ١٣١٠ هـ؛ مصر ١٣٢٠ هـ.
- مختار تصير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تصنيف توفيق الحكيم (؟)، القاهرة (المهنة المصرية العامة للكتاب) ١٩٧٧ م.
- الوافي بالوفيات ٢: ١٢٢-١٢٣؛ الدياج المذهب ٣١٧-٣١٨؛ شذرات الذهب ٥: ٣٣٥؛ نفع الطيب ٢: ٤٨-٤٩، ٣: ٢٣٥-٢٣٧؛ دائرة المعارف الإسلامية ٥: ٥١٢ وما بعد؛ بروكسل ١: ٥٢٩، الملحق ١: ٧٣٧؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢١٧-٢١٨ (٥: ٣٢٢)؛ سركيس ١٥٠٤، راجع ١١٣٣ (رقم ١٧).

ابن مالك النحوي

- ١- هو جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائفي الحناني. وُلدَ ابنُ مالك في جَبَان، سَنَةَ ٥٩٨ هـ (١٢٠٢ م) في الأغلب، ودرس فيها على ثابت بن خيار المتوفى سَنَةَ ٦٢٨ هـ (نفع الطيب ٧: ٢٨٧) وعلى أحمد بن نوار وعلى أبي عبد الله محمد ابن مالك المَرشَاني وعلى أبي علي الشلويني الصغير (ت ٦٦٥ هـ).
- ورحلَ ابنُ مالك في مطلع حياته فدرس في مِصْرَ على أبي عمرو عثمان بن الحاجب (٥٧٠-٦٤٦ هـ) وأبي صادق بن الصباح (ت ٦٣٢ هـ). ثم جاء إلى دمشق فدرس على أبي الحسن بن السخاوي (ت ٦٤٣ هـ) وأبي الفضل مكرم بن محمد (ت ٦٣٥ هـ). وانتقل إلى حَلَبَ فأخذ من ابن يَمِيشَ (ت ٦٤٣ هـ) ومن تلميذه ابن عمرو (ت ٦٤٣ هـ).

وتصدّر ابنُ مالكٍ للتدريس في دِمَشْقَ، وفي حَمَاة مُدَّةً، وفي حَلَبَ أيضاً.

وكانت وفاة ابن مالك في دِمَشْقَ في الثاني عشر من شَبَّانَ من سَنَةِ ٦٧٢

(١٢٧٤/٢/٢٢ م).

٢- كان ابنُ مالكٍ إماماً في القراءات وفي اللُغة والنحو واسعَ الأَطلاعِ على أشعار العرب التي يُستشهدُ بها في اللغة والنحو: كان يأتي بالشاهد من القرآن الكريم، فإذا لم يجدْه في القرآن أخذَه من الحديث، فإذا لم يجدْه فيها أخذَه من أشعار العرب.

ولابنِ مالكٍ النَّحويُّ نظمٌ كثيرٌ يدورُ كُلُّه على جمع قواعدِ اللغة والنحو وعلى شوارِدِها. وهذا النوع من النظم يكون في العادة كثير التكلُّفِ قليل الرونق.

ولابنِ مالكٍ تصانيفٌ كثيرةٌ منها: الفوائدُ (في النحو، وقد ضاع) - تسهيل الفوائد، (مختصر من الفوائد) - تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد (قيل: كتاب ضمَّته ابنُ مالكٍ كتابَه «تسهيل الفوائد» - شرحُ التسهيل - الموصَّل في نظم المُفصل (في النحو. والمُفصل للزمخشري) - سبك المنظوم وفكُ المختوم (نثرُ الكتاب السابق) - الكافيةُ الثانيةُ (وهي أرجوزة في ثلاثة آلاف بيتٍ مطلعُها: قال ابنُ مالكٍ محمَّدٌ وقد ...). - الخلاصة (مختصر الكافية، وتُعرف عادةً بِأسم الألفية لأنها تتألف من نحو ألف بيت، ومطلعُها: قال محمَّدٌ هو ابنُ مالكٍ) - شرح الكافية - إكمالُ الاعلام بِمُثلثات الكلام - لاميةُ الأفعال - شرحُ لاميةِ الأفعال - فعل وأفعل - المقدمةُ الأُسدية (في النحو وضعها بِأسم وَلَدِهِ تقيَ الدين الأسد - عُدَّةُ الالفاظِ وعُمدةُ الحافظ - النظم الأوجزُ في ما يُهمزُ - الاعتضاد في الظاء والضاد - نُحفة المودود في المقصور والمدود. وله أيضاً الداليةُ الرموزة (وهي تحتوي على ما تحويه ألفية الشاطبي^(*)) في القراءات السَّبع، وهي المعروفة بِأسم «جرز الأمانى ووجه التَّهاني» أو بِأسم الشاطبية اختصاراً. وفي الدالية أكثرُ مِنّا في الشاطبية - اعراب مُشكيل البخاري.

٣- مختارات من آثاره

- قال ابنِ مالك النَّحويُّ في مطلع «الألفية»:

قال محمَّدٌ هو ابنُ مالكٍ: أَحمدُ ربي الله^(١) خيرَ مالِكٍ،

(*) راجع ترجمة الشاطبي (ت ٥٩١ هـ) - في الجزء الخامس.

(١) لفظ الجلالة «الله»، هنا، مرقق (بجمل الألف التي بعد اللام الثانية وقبل الهاء بين الفتح والكَسْرِ) لأنَّه جاء بِمَدْكَسرة (في «ري»). وفي غير هذا الموضع (أي بعد الفتح أو الصم) يلفظ اسم الجلالة «الله» مفتحاً، نحو: قال الله... أو هذا خلقُ الله.

مُصْلِيًا عَلَى الرَّسُولِ الْمُصْطَفَى
وَأَسْمَيْنُ اللَّهَ^(١) فِي أَلْفِيَةِ
تُقَرَّبُ الْأَقْصَى بِلَفْظٍ مُوجَزٍ
وَتَقْتَضِي رَضًا بِفَسِيرِ سُخْطٍ
وَهُوَ بِسَبْقِ حَائِزٌ تَقْضِيلاً
وَاللَّهُ يَقْضِي بِهِمَا وَافره
وَالِهِ الْمُتَكَمِّلِينَ الشَّرَفَ^(٢)
مَقَاصِدُ النُّحُو بِهَا مَخَوِيَّةٌ،
وَتَبْطُ الْبَذَلُ بِوَعْدِ مُنَجَّرٍ^(٣)؛
فَائِقَةُ أَلْفِيَّةِ ابْنِ مُعْطَى^(٤)،
مُسْتَوْجِبٌ ثَنَائِي الْجَمِيلَا^(٥)،
لِي وَلِهِ فِي دَرَجَاتِ الْآخِرَةِ^(٦)
- وَمِنْ مَثَرِ الْأَلْفِيَةِ (هَمْزَةُ «أَنْ» - مَتَى تُكْسَرُ وَمَتَى تُقْتَحُ):

لِ «إِنَّ، أَنْ، لَيْتَ، لَكِنَّ، لَعَلَّ،
«كَانَ» عَكْسُ مَا لَ «كَانَ» مِنْ عَمَلٍ^(٧)؛
كُفَاءٌ «و» لَكِنَّ ابْنَهُ ذُو «ضَيْغٍ»^(٨)،
كَلِمَتِي فِيهَا «أَوْ... هُنَا غَيْرِ الْبَذِي»^(٩)
مَدَّهَا، وَفِي سَوَى ذَلِكَ أَكْبَرُ^(١٠)

(١) الشَّرَفُ: مَعْمُولٌ بِهِ مَنْصُوبٌ بِالْفَتْحَةِ (الاسم الفاعل المهيئ باللام - بلام التعريف).

(٢) لَفْظُ الْجَلَالَةِ «اللَّهُ» مَعْمُولٌ بِهِ.

(٣) تَحَاوَلُ (هَذِهِ الْأَلْفِيَّةُ) أَنْ يَجْمَعَ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ وَجْهِهِ النُّحُو: الْأَقْصَى: الْأَبْعَدُ (التَّوَادُّ) أَيْ فِيهَا أَمْتَلَةٌ عَلَى الْقَوَاعِدِ وَعَلَى مَا يَشُدُّ أَيْضًا عَنْ تِلْكَ الْقَوَاعِدِ. ثُمَّ تَبْطُ (تَفْصِلُ) الْبَذَلُ (الْعَطَاءُ): كَثْرَةُ وَجْهِهِ الْأَعْرَابِ. وَلَكِنْ بِالْجَارِ.

(٤) تَقْضِي (تَسْتَحِقُّ، تَطَالِبُ الْقَارِيءَ الْمَعْمُولَ) رَضًا (سُرُورًا بِهَا مِنْهُ). السُّخْطُ: الْكَرْهُ وَالْغَضَبُ. فَائِقَةُ: فَاضِلَةٌ (تَزِيدُ فِي قِيَمَتِهَا وَفِي نَفْعِهَا عَلَى أَلْفِيَةِ ابْنِ مُعْطَى ت ٦٢٨ هـ - رَاجِعُ تَرْجُمَتِهِ فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ).

(٥) وَهُوَ (ابْنُ مُعْطَى) مُسْتَحَقٌّ تَنْصِيلاً عَلَى أَنَّهُ سَقَى فِي نِظْمِ أَلْفِيَةِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

(٦) الْآخِرَةُ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ. دَرَجَاتُ الْآخِرَةِ (يَكُونُ الْمُؤْمِنُونَ الْمَحْسُونُونَ فِي الْجَنَّةِ فِي مَرَاتِبٍ يَطْلُو بِمَعْصَاهَا عَلَى بَعْضِ مَحَبِّ أَعْمَالٍ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا).

(٧) عَمَلُ الْأَحْرَفِ التَّنْبِيهُ بِالْعَمَلِ: (إِنَّ، أَنْ، لَكِنَّ، لَيْتَ، لَعَلَّ) تَنْصِبُ الْأَسْمَ وَتَرْفَعُ الْخَبَرَ: إِنْ رِيدَ قَائِمٌ. وَعَمَلُ الْفِعْلِ الْبَاقِصِ (كَانَ وَأَخَوَاتُهَا: ظَنَّ، مَا زَالَ، الْحَ) تَرْفَعُ الْأَسْمَ وَتَنْصِبُ الْخَبَرَ: كَانَ زَيْدٌ قَائِمًا.

(٨) الضَّيْغُ: الْحَقْدُ. - فِي الْأَمْتَلَةِ (رَاجِعُ الْحَاشِيَةِ السَّابِقَةِ).

(٩) «رَاعَ» (فَعَلَ أَمْرًا مِنْ رَاعَى - بِرَوَاعِي) حَافِظٌ عَلَى تَرْتِيبِ الْأَلْفَاظِ فِي الْجُمْلَةِ: الْخَرْفُ الشَّبْهُ بِالْعَمَلِ (أَوْ الْعَمَلُ الْبَاقِصُ) ثُمَّ اسْمُهُ ثُمَّ خَبَرُهُ: لَيْتَ رِيدَ قَائِمٌ. - أَمَّا إِذَا اتَّصَلَ بِالْخَبَرِ (أَوْ بِمَا يَقُومُ مَقَامَهُ) حَرْفُ جَزْ (أَوْ ظَرْفٍ)، فَحَيْثُ يَنْفَعُ الْخَبَرَ عَلَى الْأَسْمِ: لَيْتَ عَلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ ثَمَرًا (أَوْ ثَمَرًا) - اسْمٌ «لَيْتَ» مُؤَخَّرٌ.

كَانَ فِي الدَّارِ رَجُلٌ. لَيْتَ هَا غَيْرَ الْمَذِيَّةِ الَّذِي: الَّذِي يَتَكَلَّمُ كَلَامًا فَيُحِثُّ.

(١٠) نَمِجَ هَمْزَةً «أَنْ» إِذَا كَانَتْ هِيَ وَاسْمُهَا وَجَرُّهَا عَكْسًا تَأْوِيلًا كَلَّمَا يَبْصُرُ يَكُونُ مَعْمُولًا لَهُ مَحَلٌّ مِنْ =

وَأَكْثَرُ فِي الْإِتِّدَاءِ، وَفِي بَدْءِ صِلَةٍ، وَحَيْثُ «إِنَّ» لِيَمِينٍ مُكْمِلَةٌ^(١)،
أَوْ حُكِيَتْ بِالْقَوْلِ، أَوْ حَلَّتْ مَحَلَّ حَالٍ «كَرُزْتَهُ وَإِنِّي ذُو أَمَلٍ»^(٢)،
وَكَثَرُوا مِنْ بَعْدِ فَعْلٍ عَلَّقَا بِاللَّامِ «كَأَعْلَمُ إِنَّهُ لَذُو تُقَى»^(٣)،
بَعْدَ إِذَا فُجَاءَةٌ، أَوْ قَسَمٍ، لَا لَامَ بَعْدَهَا يَوْجِهَتَيْنِ نُمِي^(٤)،
مَعَ تِلْوٍ «فَا الْجَزَا» - وَذَا يَطْرُدُ فِي نَحْوِ: «خَيْرُ الْقَوْلِ إِنِّي أَحْمَدُ»^(٥)،
وَبَعْدَ ذَاتِ الْكَسْرِ تَضَحُّبُ الْحَبْرِ لَامٌ اسْتِدَاءً، نَحْوُ: «إِنِّي لَوَزَرٌ»^(٦)،
وَلَا يَلِي ذِي اللَّامِ مَا قَدْ نُفِيَا وَلَا مِنَ الْأَفْعَالِ مَاكَ «رَضِيَا»^(٧)،

= الإعراب: علمت أن ريداً قادم (علمت قدوم زيد - قدوم مفعول به) - العدل أن تنصف الناس من نفسك: العدل إنصافك الناس من نفسك (إنصاف خبر) الخ. وفي سوى ذلك من الأماكن تكسر همزة «أُن».

(١) الهمزة في «أُن» (من الأحرف المشبهة بالفعل) تأتي أحياناً مكسورة وأحياناً مفتوحة. تكون مكسورة: إذا جاءت في أول الكلام (إن الله يحب المحسنين) - وفي بدء الحملة التي تكون صلة لاسم الموصول (جاء الذي إن حديثه يمحيني) - وبعد القسم (والله، إن العلم نافع).

(٢) حُكِيَتْ بالقول (جاءت بعد فعل القول): قال سميد: إن الحوَّ بارد (إن الحوَّ بارد «جلة مفعولة القول، وهي تصلح لأن تكون بدء الكلام). «زرته وإني ذو أمل» «إني ذو أمل» جلة في محل نصب حال (بعد واو الحالية).

(٣) لو قلنا: اعلم أن العلم نافع (همزة «أُن» تكون مفتوحة - لأن «أُن وما بعدها» بأول مصدر يقع معمولاً به لفعل «علم». فإذا قلنا: اعلم إن العلم نافع، كسرنا همزة «أُن»).

(٤) إذا جاءت «أُن» بعد «إذا» المجاءة (وليس بعدها لام التوكيد): «سمعت صوتاً مطلقاً، فالتفت فإذا أنه ذئب يموي (هنا يجوز فتح همزة أن وكسرها). فإذا تلتها لام التوكيد «..... فإذا إنه لذئب..... (تعبير كسر همزة «أُن»)، وكذلك في القسم: «اقسم بالله أنه بريء (يجوز الوجهان في «أُن»). فإذا قلنا: «اقسم بالله إنه لبريء» (كانت همزة «أُن» مكسورة). نفي ينفي: رفع، نسب (صح عن المتفهمين).

(٥) إذا جاءت «أُن» مسوقة بفاء الجراء (في جلة شرطية أو شبهة بالشرطية)، همزة «أُن» تكون مكسورة: ومن يتب من ذنوبه، فإن الله غفور رحيم يطرد: يأتي بلا شواذ.

(٦) إن لام التوكيد تدخل على الخبر جوازاً: إني واثق - إني لواثق (ولكن همزة «أُن» تكون في الحالين مكسورة).

(٧) ولام التوكيد هذه تدخل على الفعل المضارع إذا كان مثبتاً. إن الإنسان لبرصى عن المحس في كل حين، أو إذا كان اسم فعل (عنى الفعل المضارع): إن زيدا لنعم الرجل - ولعم الرجل زيد. ولكنها لا تدخل على الفعل الماضي ولا على الفعل المضارع إذا جاء مسمياً، فلا يقال: إن زيدا لرضي أو أن زيدا لا يرضى.

وقد يليها مع قَدْ، «كَلِمَ ذَا» لقد سما «على العِدَا مُسْتَحْذَا»^(١).

٤- كنت أودُّ أن أُنسِقَ تَأْلِيفَ ابْنِ مالِكٍ وشروحه وحواشيها نَسْقاً منطقياً - كما كنت قد فعلت بتأليفِ ابْنِ هشامٍ الأنصاري (٣ : ٧٨٣ - ٧٨٧) - ولكن يبدو أن الشروحَ والحواشيَ على تأليفِ ابْنِ مالِكٍ أكثرُ تعقيداً منها على شروحِ ابْنِ هشامٍ . ثم أدركني زَمَنُ الطَّبَاعَةِ - وأنا في إعدادِ هذا الجزء للطبع (وإن كان وضعه بالتأليفِ والترتيب والنسخ قد تَمَّ منذ زمن بعيد). من أجل ذلك آثرتُ الطريقةَ التالية، وهي أهونُ عليّ. فعسى أن تُتاحَ فرصةٌ في الطَّبَعَاتِ المقبلة فأستدرِكُ هنالك ما فاتني هنا.

ويرى القارئُ أَنَّ الطَّبَعَاتِ الحديثةَ هنا قليلةٌ (ولا أعتقدُ أنها في الأصلِ قليلةٌ). غيرَ أَنِّي قد اعتمدتُ في جمعِ هذه الكتبِ مكتبةَ جامعةِ بيروتَ العربيةِ (وكتبُ ابْنِ مالِكٍ فيها قليلةٌ جداً لا تتجاوزُ أربعةً) ومكتبةَ يافثَ في الجامعةِ الاميركيةِ في بيروتَ (وكانتُ كتبُ ابْنِ مالِكٍ فيها قليلةً أيضاً) ثم معجمَ المطبوعاتِ العربيةِ ليوسفَ إلّبانِ سركيس (مصر ١٣٤٦ - ١٣٤٧ هـ = ١٩٢٨ م) و«تاريخَ الأدبِ العربيِّ» لكارل بروكلمن (خسة أجزاء، ليدن ١٩٣٧ - ١٩٤٩ م).

كتب ابن مالك:

- * أَلْفَبَةُ ابْنِ مالِكٍ، وتُعرفُ أيضاً بِاسْمِ «الْخُلَاصَةِ» - (شرح دى ساسي)، باريس ١٨٣٣ م (١٢٤٩ هـ).
- بولاق ١٢٥١، ١٢٥٣، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٢٩، ١٣٣٢ هـ. القاهرة (المكتبة التجارية) الطبعة الثالثة ١٩٣٣ م.
- (مع شرح لعبد الواحد)، كاونور (الهند) ١٢٦٠ هـ.
- في مجموع «أمهات الفنون» (مصر؟) ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٩٥ هـ (١٨٦٣ - ١٨٧٨ م).

(١) وتدخل هذه اللام على «قد» التي تسبق العمل الماضي لتؤكد أنه أو على الفعل المضارع لتكسبه تأكيداً: لقد جاء سعيد مسروراً - ولقد يكون الحسن محبوباً.

- القاهرة (طبع حجر - مطبعة المدارس)^(١) ١٢٩٠ هـ.
- قسنطينة (الجزائر) ١٨٨٧ م (١٣٠٥ هـ).
- (نشرها غوغيه)^(٢). بيروت (المطبعة الأدبية) ١٨٨٨ م (١٣٠٦ هـ).
- ؟ (مطبعة محمد أبي زيد) ١٣٠٦، ١٣٠٧ هـ.
- مصر (المطبعة البارونية) ١٣٠٨ هـ.
- طهران (طبع حجر) ١٢٨٨ (نيروزيه: فارسية) = ١٣١٠ هـ.
- ؟ (في مجموع) ١٣١٠، ١٣١٣ هـ.
- (حررها محمد حسن علي)، لكنهو (طبع حجر) ١٨٩٨ م (١٣١٦ هـ).
- نشرها أنريكو فسو^(٣) - مع ترجمة وشرح) بيروت ١٨٩٨ م (١٣١٦ هـ).
- لاهور (الهند) ١٩٠٢ م (١٣٢٠ هـ).
- فاس ١٣٢٣ هـ.
- مصر (المطبعة الحسينية) ١٣٢٥ هـ.
- مصر (المطبعة البينينة)، مراراً ثم ١٣٣٠ هـ.
- * شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح (للخاري)، الهند ١٣١٩؛ (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي)، القاهرة (دار العروبة) ١٩٥٧ م.
- * أرجوزة في المثلثات^(٤) (نشرها محمد الأمين الشنيطي)، القاهرة ١٣٢٩ هـ.
- * تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد (تحقيق محمد كامل بركات)، القاهرة (دار الكاتب العربي) ١٩٦٧ م.
- * لامية الأفعال (المفتاح في أبنية الأفعال)، بطرسبورج ١٨٦٤ م (١٢٨١ هـ)؛ (مع الألفية)، بيروت ١٨٨٨ م (١٣٠٦ هـ).
- * تحفة المودود في المقصور والمدود (تحرير إبراهيم اليازجي)، القاهرة (مطبعة البيان) ١٨٩٧ م (١٣١٥ هـ)؛ (نشرها محمد بن الأمين الشنيطي - مع أرجوزة المثلثات لابن مالك)؛ (مطبوع مع الاعلام)، مصر ١٣٢٩ هـ.
- * منظومة فيا ورد بالواو والياء (في مجموعة)، القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٦ هـ.
- * شروح وحواش على كتب ابن مالك مباشرة:

(١) طبعة واحدة أو طبعان (٢).

(٢) Goguyer.

(٣) E. Vitto.

(٤) يرد هذا الكتاب بعنوانين مختلفة: الاعلام أو اكمال الاعلام بثلاث الكلام (سركيس ٢٣٣) وأرجوزة في المثلثات - بيان ما فيه لمات ثلاث فاكتر - المثلث ذو المسمى الواحد (بروكلمن ١: ٣٦٣، الملحق ٥٢٦).

(أ) على أُلْفِيَّة ابن مالك:

- شرح على أُلْفِيَّة ابن مالك لأبي زيد عبد الرحمن بن عليّ المكوذي (ت ٨٠١ هـ)، مصر (طبع حجر) ١٢٧٩ هـ؛ القاهرة (مطبعة محمد مصطفى) ١٣٠١ هـ؛ القاهرة (المطبعة الشريفة) ١٣٠٣ هـ؛ القاهرة (المطبعة المسمية) ١٣٠٥ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٥ هـ؛ ثم ١٣١٥، ١٣٢٠، فاس ١٣٩٤، ١٣١٨ هـ. ثم بلا تاريخ؛ القاهرة (المكتبة التجارية) ١٣٥٤ هـ.
- الدرر المضية..... ليدر الدين محمد بن محمد بن عبد الله (ت ٦٨٦ هـ)، بيروت ١٣٠٢ هـ؛ القاهرة ١٣٤٢ هـ.
- منهج السالك في الكلام على أُلْفِيَّة ابن مالك، لأثير الدين أبي حيّان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ)، (حرره وقدم له سدي غليزر)، يوهافن (جمعة الاستشراق الأميركية) ١٩٤٧ م.
- شرح أُلْفِيَّة ابن مالك، لعبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل (ت ٧٦٩ هـ)، بولاق ١٢٥١، ١٢٥٣ هـ، ١٢٨١ هـ؛ القاهرة (دار الطباعة) ١٢٦٥ هـ؛ (نشرها دبّريشي)، لبيك ١٨٥١ م (١٢٦٨ هـ)؛ برلين ١٨٥٢ م بيروت (المكتبة العمومية) بلا تاريخ ثم ١٨٧٢ م (١٢٨٩ هـ)؛ القاهرة ١٣٠٦ هـ؛ القاهرة (المكتبة التجارية)، الطبعة الثالثة ١٩٣٢، ١٩٥٨ م.
- شرح خطبة (مقدمة) أُلْفِيَّة ابن مالك، تأليف محمد الكردودي، فاس (بلا تاريخ).
- أوضح المسالك أو التوضيح لابن هشام الأنصاري (ت ٧٦٢ هـ) (تحرير عبد الرحيم الصفيوري)، كلكتا ١٢٤٨ هـ = ١٨٣٢ م، ١٢٣٧ هـ (١٢٥٣ هـ)؛ القاهرة ١٣٠٤، ١٣١٢، ١٣١٦ هـ؛ بولاق ١٣١٠ هـ؛ (في مجموعة) ١٣٢٦ هـ؛ القاهرة (مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده)، الطبعة الثالثة ١٩٦٤؛ القاهرة (المكتبة التجارية)، الطبعة الرابعة ١٩٥٦ م؛ بيروت (دار إحياء العلوم) ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م.
- المقاصد الحويّة في شرح شواهد الألفية (ويعرف بعنوان: التواهد الكبرى)، ليدر الدين محمود بن أحمد المني (ت ٨٥٥ هـ)، القاهرة ١٢٩٧ هـ؛ (على هامش «خزانة الأدب» للبغدادي)، القاهرة ١٢٩٩ هـ.
- منهج السالك إلى أُلْفِيَّة ابن مالك، لملي بن محمد الأشموني (ت نحو ٩٠٠ هـ)، (هامش حاشية على شرح الأشموني)، بولاق ١٢٨٠ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٥ هـ؛ القاهرة (المطبعة الأزهرية) ١٣١٥ هـ؛ (حقّق محمد محيي الدين عبد الحميد)، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ١٩٥٥ م.
- البهجة^(١) (شرح الألفية) لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، لكنهو ١٨٣١ م

(١) ربّما قرئت «البهجة» بالنون راجع سركيس، ص ١١٠٧٦ بروكلين ١: ٣٦٢، الملحق ٢: ٥٢٤ (الكتاب رقم ١٥ فيها).

(١٢٤٧ هـ)، طهران (طبع حجر) ١٢٤٨، ١٢٦٨، ١٢٨٤ هـ؛ القاهرة ١٢٨٢ هـ؛ تبريز (طبع حجر) ١٢٨٦ هـ؛ القاهرة (مطبعة المدارس) ١٢٩١ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣١٠ هـ؛ (بهاش الأزهري الرئيسية) بولاق ١٢٩٤ هـ (٥)؛ القاهرة ١٣١٩ هـ.

- تمرين الطلاب في صناعة الاعراب (على القسم النحوي من الألفية) لخالد بن عبد الله الأزهرى (ت ٩٠٥ هـ)، بولاق ١٢٥٢، ١٢٩٢ هـ؛ القاهرة (طبع حجر) ١٢٧٤، ١٢٨٩، ١٢٩٣؛ القاهرة (مطبعة شرف) ١٢٩٩ هـ؛ القاهرة (المطبعة الأزهرية) ١٣٠١ هـ؛ القاهرة (مطبعة محمد مصطفى) ١٣٠٢؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٥؛ القاهرة ١٣٠٨، ١٣١٠ هـ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣١٢؛ القاهرة ١٣٣٥ هـ.

موصل الطلاب إلى قواعد الاعراب لخالد بن عبد الله الأزهرى (ت ٩٠٥ هـ)، (بهاش «تمرين الطلاب»، سنة ؟).

- الأزهري الرئيسية في شرح متن الألفية، تأليف أحمد بن زبي دحلان (ت ١٣٠٤ هـ)، بولاق ١٢٩٤ هـ؛ القاهرة (المطبعة المنجية) ١٣١٩ هـ.

(ب) شروح على لامية الأفعال:

- شرح بدر الدين بن مالك (ت ٦٨٦ هـ)، هلسنغفورس - فنلندا ١٨٥١ م (١٢٦٨ هـ)؛ (نشرها كلفرن)، هلسنغفورس ١٨٥٤ م (١٢٧١ هـ)؛ (نشرها كلفرن وفولك)، بطرسبورج ١٨٦٤ م (١٢٨١ هـ)؛ (نشرها فولك)، ليبسغ ١٨٦٦ م (١٢٨٣ هـ)، بيروت ١٣١٢ هـ (سركس ٢٣٥).

- الهند ١٢٦١ هـ؛ (في «مجموع من مهمات الفنون»): القاهرة ١٢٧٣، ١٢٧٦، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٩٥، ١٢٩٧، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٦، ١٣٢٣ هـ؛ فاس ١٣١٧ هـ؛ تونس ١٣٢٩ هـ (٩).

- الشرح الكبير والشرح الصغير، لمحمد بن عمر بن بحرق البمني الحضرمي (ت ٩٣٠ هـ)، القاهرة ١٣٠٥ هـ؛ تونس ١٣٢٩ هـ.

- حاشية على «لامية الأفعال» لأحمد الرفاعي المالكي الأزهرى، القاهرة ١٢٩٧، ١٣٠٤ هـ.

- حاشية على الشرح الكبير والشرح الصغير (لابن بحرق)، تأليف محمد الطالب بن حدون بن عبد الرحمن بن الحاج السلمي الفاسي، فاس ١٢١٥ هـ؛ القاهرة ١٣١٨ هـ.

(ج) خلاصة ومعارضة:

- خلاصة الخلاصة (الألفية) لمؤلف مجهول، لكن هو (بلا تاريخ).

- المعارضة على ألفية ابن مالك أو الاحرار (؟ بروكلين ١: ٣٦٢، الطر ٢٢، الملحق ١: ٥٢٣، رقم ٢٥، ٣: ١٢١٥، الطر الخامس)، لمعد الودود بن علي بن أحمد بن المختار

- الشيقي (ت بعد ١٣٠٠)، القاهرة ١٣٢٧ هـ.
- *** شروح وحواش على شروح وحواش (منسوقة بحسب وفات مؤلفها - والذين لم أعثر الآن على تواريخ وفياتهم ألحقوا بآخر هذه القائمة):
- حاشية على شرح ابن عقيل لعبد الرحمن بن صالح المكدوي (ت ٨٠١ هـ)، القاهرة ١٢٧٩ هـ، ١٣٠٥ هـ.
 - التصريح بمضمون التوضيح على أوضح المسالك على ألفية ابن مالك، لخالد الأزهرى (ت ٩٠٥ هـ)، بولاق ١٢٨٦، ١٢٩٤ هـ؛ القاهرة (مطبعة محمد مصطفى) ١٣٠٥ هـ؛ القاهرة (المطبعة الأزهرية) ١٣٣٥، ١٣٢٦، ١٣٤٤ هـ؛ طهران ١٢٨٦ هـ ثم ١٢٩٩ هـ (١٨٨١ م) و ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م).
 - حاشية لابن زين الدين الحمصي (ت ١٠٦١ هـ) على شرح التوضيح لخالد الأزهرى (بهاش «التصريح بمضمون التوضيح»)، مصر ١٣٠٥ هـ.
 - حاشية (على البهجة المُرْضية للسيوطي)، تأليف ياسين بن زين الدين عليم الحمصي العليمي (توفي في عاشر شعبان من سنة ١٠٦١ = ١٦٥٩/٧/٢٩ م)، فاس ١٣٢٧ هـ؛ القاهرة ١٣٠٥، ١٣١٣ هـ ثم (بهاش التصريح على التوضيح، تأليف خالد بن عبد الله الأزهرى)، طهران ١٨٨١ م (١٢٩٩ هـ) و ١٨٨٨ م (١٣٠٦ هـ).
 - حاشية على شواهد شرح ابن عقيل، لعبد النعم الجرجاوي (ت ١١٩٥ هـ)، بولاق ١٢٦٤ هـ؛ القاهرة ١٢٨٠، ١٢٩٥، ١٣٠١، ١٣٠٨، ١٣١١، ١٣٢٥ هـ.
 - حاشية الشيخ أبي العباس شهاب الدين أحمد بن عبد الفتاح الجبري الملو (ت ١١٨١ هـ) على شرح المكدوي على ألفية ابن مالك، مصر (طبع حجر) ١٢٧٩ هـ؛ القاهرة (مطبعة محمد مصطفى) ١٣٠١ هـ؛ القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٣٠٣ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٥ هـ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٥ هـ ثم (بهاش شرح المكدوي)، القاهرة (؟) ١٣٠٥ هـ.
 - شرح شواهد ابن عقيل، تأليف عبد النعم الجرجاوي (ت ١١٩٥ هـ)، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٨ هـ؛ القاهرة (مطبعة عبد الرزاق) ١٣١١ هـ.
 - زواهر الكواكب لبواهر المواكب، تأليف أبي عبد الله محمد بن علي بن سعيد التونسي (ت ١١٩٩ هـ)، وهي حاشية على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تونس ١٢٩٣ هـ، ١٢٩٨ هـ.
 - فتح الجليل على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك أو حاشية السجاعي، تأليف أحمد بن محمد السجاعي (ت ١١٩٧ هـ)، بولاق ١٢٧٠، ١٢٨٦، ١٢٩٠ هـ؛ القاهرة (مطبعة شرف) ١٣٠٢ هـ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٦ هـ؛ (مع تقرير الشرح محمد بن محمد الأنباري المتوفى سنة ١٣١٣ هـ)، بولاق ١٣٠٣ هـ.

- حاشية على أوضح المسالك، للطيب بن عبد المجيد الكراي (؟) (المتوفى سنة ١٢٢٧ هـ)، فاس ١٣١٥ هـ.
- حاشية محمد علي الصبان (ت ١٢٠٦ هـ) على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، بولاق ١٢٨٠، ١٢٨٥، ١٢٨٨؛ القاهرة ١٣٠٥، ١٣١٩، ١٣٢٣ هـ.
- نظم أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تأليف أبي عبد الله محمد بن حمدون بن الحاج السلمي (ت ١٢٤٧ هـ)، فاس ١٣١٨ هـ.
- شرح نظم أوضح المسالك.... تأليف ابن حمدون السلمي (مطبوع مع «نظم أوضح المسالك»).
- حاشية على شرح الأزهري لمحمد الطاهر، تأليف حسن بن محمد العطار (ت ١٢٥٠ هـ)، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٧ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٧ هـ؛ القاهرة (المطبعة العلمية) ١٣١٥ هـ.
- حاشية حمدون بن الحاج السلمي (ت ١٢٧٣ هـ) على شرح بحرق على لامية الأفعال لابن مالك، فاس ١٣١٥ هـ.
- كنز الحفاء والغطاء: حاشية على أوضح المسالك. للطالب بن حمدون بن الحاج السلمي (ت ١٢٧٤ هـ)، فاس (؟) ١٣١٨ هـ.
- فتح الجليل بشرح شواهد ابن عقيل، تأليف محمد بن عبد الرحمن التهر بلقب قطرة العدوي (ت ١٢٨١ هـ)، بهامش حاشية الجرجاني، بولاق ١٢٦٤ هـ؛ ثم (مستقلة) بيروت ١٨٧٢ م (١٢٨٩ هـ) راجع بروكلمان ١: ٣٦١ (السطر العاشر)، الملحق ١: ٥٢٤ (السطر الثالث)؛ القاهرة ١٣٠٥ هـ؛ بهامش شرح شواهد ابن عقيل، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٨ هـ؛ القاهرة (مطبعة عبد الرزاق) ١٣١١ هـ.
- حاشية على شرح ابن عقيل، تأليف محمد الخضرى لدمياطي (ت ١٢٨٨ هـ)، القاهرة ١٢٧٢، ١٢٨٢، ١٢٨٧، ١٢٩١، ١٣٠٣، ١٣٠٥، ١٣١٧، ١٣٢٢، ١٣٤٥ هـ.
- حاشية نصر الموريني (ت ١٢٩١ هـ) على «منهاج السالك» للأشموني، بولاق ١٢٩٤ هـ.
- حاشية الشيخ أحمد الرفاعي الأزهرى (ت بعد ١٣١٢ هـ) على شرح بحرق على لامية الأفعال لابن مالك، القاهرة (المطبعة الوهبية) ١٢٩٧ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٤ هـ.
- تقرير العالم (حاشية على حاشية الصبان) لمحمد الأنباري (ت ١٣١٣ هـ)، بولاق ١٢٨٨ هـ.
- حاشية محمد علي بن سعيد على منهاج السالك. فارس (طبع حجر) ١٢٦٨ هـ (؟). تونس ١٢٠٠ - ١٢٠٨، ١٢٩٢ - ١٢٩٣ هـ.
- تقارير على حاشية السجاعي لمحمد بن محمد الأنباري (ت ١٣١٣)، بولاق (؟) ١٢٩٦ هـ.

- تقرير على حاشية الصبان (على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، تأليف اسماعيل الحامدي (ت ١٣١٦ هـ)، مصر ١٣٠٥ هـ.
- شرح محمد المهدي بن محمد الوزاني (ت ١٣٤٢ هـ) على شرح المكودي على ألفية ابن مالك، فاس ١٣١٨ هـ.
- إرشاد السالك إلى ألفية ابن مالك، تأليف عبد المجيد الشرنوبي (ت ١٣٤٨ هـ)، بولاق ١٣١٩ هـ.
- منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة (الطبعة العاشرة).... الطبعة الحادية عشرة ١٩٦١ م.
- بغية السالك إلى أوضح المسالك، تأليف عبد المتعال الصعدي (نحو ١٩٧٥ هـ ؟)....
شروح وحواش لم أستطع تحقيق مؤلفها فسررتها بحسب تواريخ طبعتها:
- حاشية ميرزا أحمد طالب (على الهجة للسيوطي)، طهران ١٢٧٥ هـ.
- إرشاد السالك إلى فهم ألفية ابن مالك، تأليف محمد بن مسعود الشربيطي العتافي، فاس ١٣٠٥، ١٣١٥ هـ.
- حاشية المهدي بن مصطفى القرشي (التقرشي؟) على ألفية ابن مالك، فارس- إيران ١٣٠٩ هـ.
- حاشية على شرح المكودي لأحمد بن محمد بن حمدون بن الحاج، فاس (بلا تاريخ)، القاهرة (بهاشم شرح المكودي)، ١٣١٥ هـ.
- حاشية..... على شرح بحر على لامية الأفعال لابن مالك، فاس ١٣١٥ هـ، القاهرة (مطبعة محمد مصطفى) ١٣١٨ هـ.
- حاشية على شرح المكودي، تأليف المهدي بن سليمان الصدري، فاس (؟) ١٣١٨ هـ.
- التوضيح أو تهذيب أوضح المسالك: حاشية ألفها محمد سالم علي وأحمد مصطفى المراغي، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م).
- الكواكب الدرية (شرح الألفية)، تأليف صالح بن عبد الصنوع الآبي الأزهري، القاهرة ١٣٤٤ هـ.
- القواعد الأساسية للغة العربية حسب منهاج شرح الألفية، تأليف.... القاهرة () ١٣٥٤ هـ.
- فوات الوفيات ٢: ٢٨٤ - ٢٨٥؛ الوافي بالوفيات ٣: ٣٥٩ - ٣٦٤؛ ابن قنفذ ٣٢٢؛
بغية الوعاة ٥٣ - ٥٧؛ شذرات الذهب ٥: ٣٣٩؛ نفع الطيب ٢: ٢٢٢ - ٢٣٣؛ ٦: ٢٤٦، ٧: ٣٧٦؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٦١ - ٨٦٢؛ نيكل ٣٥٧ - ٣٥٨؛
مختارات نيكل ٢٠٤؛ بروكلمن ١: ٣٥٩ - ٣٦٣، الملحق ١: ٥٢١ - ٥٢٧؛ مركيس ٢٣٢ - ٢٣٤، راجع ١٧٨٧؛ الأعلام للزركلي ٧: ١١١ (٦: ٢٣٣)؛ معجم المؤلفين ١٠: ٢٣٤؛ العربي ٩ / ١٩٧٢.

محمد بن الحسن القلمي

١- هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن علي بن ميمون التميمي القلمي، نسبة إلى قلمة بني حماد (فقد كان جد أبيه ميمون قاضياً فيها). نشأ في مدينة الجزائر وأخذ فيها عن محمد بن منداس. ثم إنه انتقل إلى بجاية واستوطنها، وفيها برع واشتهر. وقد تصدر للتدريس في فنون العربية - اللغة والنحو والأدب - . وتوفي في بجاية، سنة ٦٧٣ هـ (١٢٧٤-١٢٧٥ م).

٢- كان محمد بن الحسن القلمي مشاركاً في عدد من فنون العلم، في الفقه والتاريخ واللغة والنحو والأدب، بارعاً في علم التصريف مُحِبّاً للتعليل على طريقة ابن جني^(١). كما كان شاعراً على شعره نفحة دينية ونفحة صوفية. وكان مُصنفاً له: الموضع في علم النحو - حَقَّقَ الميوس في تنقيح القانون (نحو) - نُشِرَ الحَقْنِي في مُشكلاتِ أبي عليّ (الفارسي في كتابه: الإيضاح في النحو).

٣- مختارات من آثاره

- قال محمد بن الحسن القلمي في مدح الرسول:

أَمِنْ أَجْلِ أَنْ بَانُوا فَوَادُكَ مُغْرَمٌ وَقَلْبُكَ خَفَاقٌ وَدَمْعُكَ يَنْجِمُ^(٢) ؟
وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ جِسْمَكَ مُنْجِدٌ وَقَلْبُكَ مَعَ مَنْ سَارَ فِي الرِّكْبِ مُنْتَمِمْ^(٣) .
وَمِنْ قَائِلٍ فِي نَظْمِهِ مُتَمَجِّباً: أَجْسَمُ بِلَا قَلْبٍ، فَكَيْفَ رَأَيْتُمْ ؟
وَلَا عَجَبٌ أَنْ فَارَقَ الْجِسْمَ قَلْبُهُ، فَحَيْثُ نَوَى الْهَوْبُ يُنَوِي التُّبَيْمُ^(٤) !
عَاهُمْ، كَمَا أَبْدَوْا صُدُوداً وَجُفُوءاً، يَعُودُونَ لِلْوَصْلِ الَّذِي كُنْتُ أَعْلَمُ .

(١) ابن جني: أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢ هـ) من أئمة النحو والأدب.

(٢) بانوا: ذهبوا، اجتعدوا. سجم الدمع: سأل.

(٣) أعبد الرجل: جاء بخدا (المكان العالي). الركب: الجماعة المسافرون معاً. أنتم (فتح فسكون) الرجل:

نزول إلى تامة (بالكسر): ساحل الهجاز (المكان المنخفض). - يريد أن يقول: حاجات جسمي مختلفة من

حاجات قلبي (نفس، عقلي).

(٤) نوى: مكث. التميم: الذي تيممه (ذلكه) الحب.

إليك، رسولَ الله، أرفعُ حاجتي؛ فأنتَ شافعُ الخلقِ، والخلقُ همُّ (١).
 فقد سارتِ الرُّكبَانُ واغتموا النسي، وإني من دونِ الخلائقِ مُحَرَّمٌ (٢).
 وهبني عَصِيَّتُ اللهَ جهلاً وَصَبُوءَ، فمن يقبلُ الشكوى ومن يترحم (٣)؟
 وقد أثقلتُ ظهري ذُنُوبٌ عظيمةٌ، ولكن عفو الله أعلى وأعظم.

- وله من قصيدة يدو عليها أثرُ ابنِ عبدون: «الدهر يفجعُ بعدَ العينِ بالأثر» (٤):

الخُبْرُ أصدقُ في المَرأى من الخَبَرِ. فمَهْدِ العُذْرَ، ليسَ العينُ كالأثرِ (٥).
 وَخَلَّ عن زَمَنِ تحشى عواقِبَه، إِنَّ الزمانَ إذا فَكَّرْتَ ذو غيرِ (٦).
 أين الألى جَنَّبُوا خَيْلاً مُسَوِّمَةً وشيدوا إرماً خوفاً من القَدَرِ (٧)؟
 تنافسَ الناسُ في الدنيا، وقد عَلِمُوا أَنَّ المَقَامَ بها كاللَمَحِ بالبَصْرِ.
 أودى بداراً وأودى بابنِ ذي يَزَنٍ وَقَلَّ غَرْبَ هِرْقَلٍ؛ إِنَّه لَحَرِي (٨)!

- (١) الهم جمع هائم: الذي اشتدَّ عطشه، الذي اشتدَّ حبه، الذي سار على وجهه لا يدري إلى أين يذهب.
 (٢) المسبة: ما ينشأه (يرغب فيه) الإنسان. اغتموا (رجعوا) النسي: وصلوا إلى مكة والمدينة. محرم = محروم (من الذهاب إلى الحج).
 (٣) الصبوة: الميل إلى السوء.
 (٤) راجع الجزء الخامس، ص ١٩٢.
 (٥) مهْد العذر (اجعل طريق اعتداري إليك مَهْدًا: سهلاً في السير): اقبل عذري. العين: الشخص المائل (القائم أمام الراي) من كل شيء.
 (٦) حلَّ عن زمن: انك التذكَّرَ زمن. غير (بكسر ففتح) الدهر: أحداثه وأحواله المتغيرة. ويجوز أن تكون جمعاً لكلمة «غيرة» (بكسر ففتح ففتح) راجع تاريخ العروس (الكويت ٣: ٢٨٧).
 (٧) جَنَّبَ القومَ خيلهم (جعلوها تسير مسرعة ملجمة إلى جنب إبلهم، استعداداً للقتال). المُسَوِّمَةُ: المدة (بضم) ففتح ففتح ففتح ففتح ففتح: المِهْيَاة. شَيْدَ: بنى بالحجارة الضخمة. إرم (بكسر ففتح) مدينة قديمة. قبل كانت سفوحها من النحاس (وقد سَفَّ ابنُ خلدون، في مقدمته، هذا القول. وقال: هي ارم ذات المهاد أو الأعمدة، أي البلدة التي يسكن أهلها في الخيام).
 (٨) أَوْدَى الدهر بالرجل (أهلكه). داراً ملك فارسي. ابنُ ذي يزن (ملك من ملوك اليمن العرب). قَلَّ: نكس (قطع). العرب: حدَّ السيف. هرقل: ملك من ملوك الروم. إِنَّه لحري: إِنَّه حُرٌّ بذلك (جدير به). ينظر منه ذلك: حُرِّي بالدهر أن يهلك كلَّ الناس، وحُرِّي بهرقل أن يهلك كما يهلك جميع الناس.

وَلْتَمَتِكِرْ فِي مَلُوكِ الْعُرَبِ مِنْ يَمَنِ ، وَلْتَعْتَبِرْ بِمَلُوكِ الصِّينِ مِنْ مُضَرٍّ (١) :
أَفْنَاهُمْ الدَّهْرُ أَوَّلَاهُمْ وَآخِرَهُمْ لَمْ يَسِقْ مِنْهُمْ سِوَى الْأَسْمَاءِ وَالسَّيْرِ .

٤- ** تعريف الخلف ٢ : ٣٥٩-٣٦٣ ؛ عنوان الدراية ٩٤-٩٩ ؛ تاريخ الجزائر العام ٦٠-٦٢ ؛ تاريخ أعلام الجزائر ١٤٨-١٤٩ ؛ الأعلام للزركلي ٦ : ٣١٧ (٨٦) ؛ الطنار ٩٥-٩٨ ؛ الأصاله ٤ : ١٩ (ص ٢٨٢) .

ابن الجنان الشاطبي

١- هو فخر الدين أبو الوليد محمد بن (الشريف، المشرف) سعيد بن هشام بن الجنان الشاطبي الحنفي، وُلِدَ في شاطبة سنة ٦١٥ للهجرة (١٢١٨-١٢١٩ م).
قَدِمَ ابْنُ الْجَنَانِ الشَّاطِبِيُّ إِلَى الشَّامِ وَسَكَنَ دِمَشْقَ وَصَحِبَ فِيهِ كِهَالِ الدِّينِ عُمَرَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ الْعَدِيمِ (٥٨٨-٦٦٠ هـ) وَابْنَهُ مَجْدَ الدِّينِ فَاتَّقَلَ فِي صُحْبَتَيْهِمَا مِنَ الْمَذْهَبِ الْمَالِكِيِّ إِلَى الْمَذْهَبِ الْحَنَفِيِّ . وَفِي دِمَشْقَ دَرَسَ فِي الْمَدْرَسَةِ الْإِقْبَالِيَّةِ . وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ٦٧٥ هـ (١٢٧٦-١٢٧٧ م) .

٢- كَانَ ابْنُ الْجَنَانِ الشَّاطِبِيُّ أَدِيبًا فَاضِلًا وَشَاعِرًا مُحَسَّنًا عَلَى الطَّرِيقَةِ الصُّوفِيَّةِ .

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ شِعْرِهِ

- قَالَ ابْنُ الْجَنَانِ الشَّاطِبِيُّ فِي الْأَغْرَاضِ الصُّوفِيَّةِ :

أَفْنَانِي الْقَبْضُ عَنِّي حَتَّى تَلَامُنِي وَجُودِي (٢) .
وَجَاءَ فِي السُّطِّ يُحْيِي رُوحِي بِفَضْلِ وَجُودِي (٣) .

(١) وَلْتَمَتِكِرْ (فَكَرَّ أَنْتَ فِي مَا صَارَ إِلَيْهِ أَمْرُ مَلُوكِ الْعُرَبِ) . مُضَرٌّ : عَرَبُ الشَّامِ . وَمَلُوكِ الصِّينِ ، فِي التَّارِيخِ ، لَا صِلَةَ لَهُمْ بِمُضَرٍّ .

(٢) الْقَبْضُ : حَالُ يَكُونُ الصُّوفِيُّ فِيهَا مَجْذُوبًا إِلَى اللَّهِ (لَا وَحُودَ شَخْصًا لَهُ) .

(٣) السُّطُّ حَذُّ الْقَبْضِ . يَظَلُّ الصُّوفِيُّ فِي هَذِهِ الْحَالِ قَرِيبًا مِنْ لُطْفِ اللَّهِ ، وَلَكِنْ اللَّهُ يُبْقِي لَهُ وَجُودَهُ التَّحْصِي رَحْمَةً بِالْإِنْسَانِ كَيْلَا يَفْرَعَهُمْ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَكُنْ أَنْ يَصِلَ إِلَى تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ .

فَقُلْتُ لِلنَّفْسِ: شُكْرًا، لَذَاكَ بِالنَّفْسِ جُودِي^(١).
وَقُمْتَ أَشْطَحَ سُكْرًا، فَعَيِنْتُ عَنْ ذَا الْوُجُودِ^(٢)!

- وَقَالَ أَبُو الْجَنَانِ، عَلَى الطَّرِيقَةِ الصُّوفِيَّةِ (الْقَدْحُ الْمُلَى ٢٠٧):

خَبَّرَ بِأَنْفَاسِ الرِّيحِ مُعْطَّرٌ وَافَى شَدَاهُ فَظَلْتُ مِنْهُ أُنْكَرُ^(٣).
لَهُ مَا أَخْلَى شَمَائِلَهُ الَّتِي جَاءَ النِّسْمُ بِعَرْفِهَا يَتَبَخَّرُ^(٤).
وَافَى وَمَا فِي الْقَوْمِ مِنْ يَذْرِي بِهِ إِلَّا فَتَى فِي حُبِّهِ مُتَنَكَّرُ^(٥).
تُتْلَى أَحَادِيثُ الْغَرَامِ بِقَلْبِهِ، وَلِسَانُهُ عَمَّا بِهِ يَتَنَخَّرُ^(٦).
حَتَّى إِذَا غَنَى لَهُ الْحَادِي بِهِ، وَسَرَى لَهُ مِنْ تَشْرِ لَيْلِي الْعَنَبِ^(٧).
هَزَّ الْمَاطِفَ ثُمَّ رَاحَ مُوَلِّهًا شَوَانَ فِي تِلْكَ الصَّبَابَةِ يَمُورُ^(٨).
- مُتَهَنِّكَاً فِي الْعَاشِقِينَ، كَمَا تَرَى - يُسْدِي الَّذِي يُخْفِيهِ مِنْهُ وَيُضْمِرُ.

- وَلاِبْنَ الْجَنَانِ أَيْضاً مَقْطَعَاتٌ فِي مِثْلِ ذَلِكَ^(٩):

★ ذَكَرَ الْعَذِيبُ فَمَالَ مِنْ سُكْرِ الْهَوَى صَبَّ عَلَى صُحُفِ الْغَرَامِ قِدَانُ طَوَى^(١٠).

- (١) إذا وصلت إلى مثل تلك الحال هان عليّ بذل نفسي (الاستغناء عن الحياة في هذه الدنيا).
- (٢) الشطح: كلام على طاهره رُعُونَةٌ (حَقَّةٌ وَحَقٌّ وَنَصْرِيحٌ مَا لَا يَجُوزُ لِلْعَاقِلِ أَنْ يَصْرَحَ بِهِ). السُكْرُ: غِيْبَةٌ تَحْصُلُ لِلصُّوفِي إِذَا جَاءَهُ لُطْفٌ مِنَ اللَّهِ أَخْرَجَهُ مِنْ شَعُورِهِ بِمَا حَوْلَهُ.
- (٣) الشذا: طيب الرائحة.
- (٤) الشمايل جمع شال (بالكسر): الخلق، السجّية، الصفة.
- (٥) وافى: جاء، وصل. فتى (يقصد الشاعر نفسه): الرجل الذي يعتمد عليه. في حبه متَنَكِّرٌ: (يُظَنُّ النَّاسُ أَنَّ حُبَّهُ مِثْلَ حُبِّهِمْ - حُبِّهِمْ ذَلٌّ لِلْمُحْبُوبِ، وَحُبُّهُ اعْتِزَالٌ بِلَفْهِ).
- (٦) مع أَنَّ حُبَّهُ فِي قَلْبِهِ (قَرِيبٌ مِنْهُ جِدًّا)، فَإِنَّهُ يَسَاهُلُ عَنْ هَذَا الْحُبِّ (لَأَنَّهُ مُسْتَغْرَبٌ عِنْدَ الْبَشَرِ).
- (٧) الحادي: سائق القافلة يَهْدِي لِلْمَافِرِينَ كَيْلَا يَلْمُؤُوا مِنْ طُولِ الطَّرِيقِ. سَرَى: سَافَرَ لَيْلًا. النثر: الرائحة المنتشرة (الطبيّة). العنبر: مَادَّةٌ طَيِّبَةُ الرَّائِحَةِ. لَيْلِي (كِتَابَةٌ عَنِ الْعَرَّةِ الْإِلَهِيَّةِ).
- (٨) المعطف (بالكسر): رداء واسع يلبس أَتَقَاهُ لِلرَّدِّ. وَالشَّاعِرُ يَقْصِدُ الْمَطْفَ (بِالْكَسْرِ): الْجَانِبَ الْأَعْلَى مِنَ الْجِسْمِ. هَزَّ عَطْفَهُ: اقْتَضَرَ وَأَعْجَبَ بِنَفْسِهِ (لَأَنَّ اللَّهَ أُنَمُّ عَلَيْهِ بِتَفْرِيبِهِ - رَاجِعُ الْبَيْتِ السَّابِقِ). الْمَوْلَى: الَّذِي يَكَادُ يُجَنُّ مِنْ شِدَّةِ الْحُبِّ. شَوَانَ: سُكْرَانٌ. الصَّبَابَةُ: الْحَبَّةُ. يَمُورُ مِنَ الصَّبَابَةِ: إِنَّ الْحَبَّةَ (حَبَّةُ اللَّهِ) قَدْ شَغَلَتْهُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى أَصْبَحَ يَمُورُ (يَقَعُ) إِذَا مَشَى (أَيَّ غَاظًا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ آخَرَ).
- (٩) المعاني في القطع التالية صُوفِيَّةٌ تَحْتَمِلُ تَأْوِيلَاتٍ مُخْتَلِفَةً (رَاجِعُ الْقِطْعَةِ السَّابِقَةِ).
- (١٠) العذيب: نَعَمَ مَا قَرُبَ بَسَمُ (بِضَمِّ الْبَاءِ). وَيَسَمُّ مَرْقَا الْمَدِينَةَ الْمُنَوَّرَةَ.

يُكِي عَلَى وادي القَيْقِي بِثَلْهِ
وَبُتْجَسْتِي مَعْبُودُ حُسْنٍ مِنْهُمْ،
أَوْحَى إِلَى قَلْبِي الَّذِي أَوْحَى لَهُ.
* يَا رَعَى اللَّهُ عَيْشَنَا بَيْنَ رَوْضٍ
تَحَسُّبُ النُّهْرَ عِنْدَهُ يَتَنَسَّى
* لِي حَيْسَبٌ عَنْ حُبِّهِ لَا أَحُولُ.
قَالَ لِي عَاذِلِي: تَنَاسَّ هَوَاهُ.
لَوْ ضَلَلْنَا فِي قَفَرَةٍ مِنْ هَوَاهُ
وَيَمِيلُ مِنْ طَرَبٍ مُتَمَطِّفُ اللَّوَى^(١).
فَلَذَا عَلَى عَرْشِ الْقُلُوبِ قَدِ اسْتَوَى^(٢).
فَعَجَبْتُ كَيْفَ نَطَقْتُ فِيهِ عَنِ الْهَوَى^(٣)!
حَيْثُ مَالَ السَّرُورُ فِيهِ نَمِيلُ.
وَتَخَالَ الْفُصُونُ فِيهِ تَمِيلُ.
إِنْ شَرَحَ الْغَرَامُ فِيهِ يَطُولُ.
قُلْتُ: أُنْسِي، يَا عَاذِلِي، مَا نَقُولُ؟
لَهْدَانَا مِنْ مُقَلَّتِيهِ رَسُولُ^(٤)!

٤- ** الوافي بالوفيات ١: ١٧٥-١٧٧؛ فوات الوفيات ٢: ١٩٥-١٩٨؛ الفتح الملقى
٢٠٦-٢٠٩؛ المغرب ٢: ٣٨٣-٣٨٤؛ بغية لوعة ٤٥-٤٦؛ نفع الطيب ٢:
١٢٠-١٢٣؛ ٣: ٣٥٣.

ابن الناظر القرشي

١- هو أبو علي الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن أبي الأحوص
القرشي الفهري، أصله من بَلَنَسِيَّةَ ومولده في جَيَّانَ سَنَةِ ٦٠٣ (١٢٠٦-١٢٠٧ م)،
طَلَّبَ الْعِلْمَ في عِدَدٍ مِنْ بُلْدَانِ الْأَنْدَلُسِ: أَخَذَ في غَرْنَاطَةِ عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْكُتَّابِ وَفي
إشبيلية عَنْ عَلِيِّ بْنِ جَابِرِ الدَّبَّاجِ (ت ٦٤٦ هـ) وَلَا زَمَ الثَّلَوِيَّ (ت ٦٤٥ هـ) فِي الْأَدَبِ

-
- (١) وادي القيقق ومنططف اللوى: مكانان (الأول منها قرب المدينة)، والثاني اسم عام.
(٢) معبود حسن (يقصد الله). وفي البيت إشارة إلى آيات كثيرة في القرآن الكريم، منها (٥: ٢٠) سورة طه:
﴿الرحمن على العرش استوى﴾.
(٣) أوحى (الله) إلى قلبي.... هنا أيضاً إشارة إلى قوله تعالى في سورة النجم (٥٣: ٣-٤): ﴿في حقِّ محمدٍ
رسول الله: ﴿وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحيٌ بوحى﴾﴾.
(٤) الفترة: المدة الفاصلة بين رسالتين. كان بين عيسى بن مريم ومحمد رسول الله فترة (هدوء)، مدة لم يعرف
البشر فيها ديناً منزلاً).

والنحو وأخذ عنه أكثر كتاب سيبويه. وفي بَلَنَسِيَّة أخذ عن أبي الربيع بن سالم وفي مُرْسِيَّة عن أبي العباس بن عياش وفي جزيرة شُقر عن الخطيب أبي بكر بن وضاح وفي مَالَقَة عن الحاج أبي محمد بن عطية وأبي القاسم بن الطيلسان.

أقرأ ابن الناظر القرشي القرآن والعربية (النحو) والأدب في غرناطة مدة ثم انتقل إلى مَالَقَة وتصدّر فيها للإقراء والتحديث وخطب في جامعها بضعا وعشرين سنة. ثم إنه غادر مَالَقَة إلى غرناطة فولّي القضاء في المَرِيَّة وبَسْطَة ومَالَقَة (وهي تابعة لغرناطة).

وكانت وفاة ابن الناظر القرشي في الرابع عشر من جُادى الأولى من سنة ٦٧٩هـ^(١) (١٢٨٠/٨/١٣م).

٢- كان ابن الناظر القرشي من أهل المعرفة والدراية (العلم بالحديث) والرواية الواسعة (للحديث) ومن القراء والفقهاء، كما كان نحوياً أديباً وشاعراً. والقطعة الواردة له هنا من لزوم ما لا يلزم، وفيها شيء من الإحسان. ثم هو مُصنّف له شرح المُستصفى (للإمام الغزالي؟) وشرح الجُمَل (في النحو للزجاجي؟)، إلى جانب مُصنّفات في القراءات والحديث.

٣- مختارات من شعره

- قال ابن الناظر القرشي في الدنيا والآخرة:

رَغِبْتُ عن الدنيا لِعِلْمِي أَنَّهَا مَحَلُّ حَيَاةِ الْمَرْءِ فِيهِ بِلَاغٌ^(٢).
وقد لاح في قُودَيَّ شَيْبٌ على الرّدى دليلٌ، وفيه- ما أَرْدْتُ- بلاغٌ^(٣).
وأَمَلْتُ من مَوْلَايَ نَظْرَةَ رَحْمَةٍ يكون بها مَنِيَّ إِلَيْهِ بِلَاغٌ^(٤)؛

(١) من بغية الوعاة (ص ٢٣٤) وهي مثبتة بالأحرف. وفي المرقعة العليا (ص ١٢٧): ٦٩٩ (ولكنها مدونة بالأرقام).

(٢) رغبت عن الشيء: زهدت فيه وتركته. بلاغ كناية (ما يتلغ به الإنسان كي يتنى حياً).

(٣) القود: الشعر في جانب الرأس. الردى: الموت. بلاغ: بيان، انذار.

(٤) مولاي: ربي (الله). بلاغ: وصول (إلى الحق).

فأخطى إذا الأبرار قيل لهم غداً: هَلُمُوا إلى دار النعيم فراغوا^(١).
 رأيتُ بنيتها ما رمتهم سيهاها فطاشت، ولا حمّ الهيامُ فراغوا^(٢).
 فمُختُ إلى دار البقاء بهمتي، فيُندي عنها راحةً وفراغاً^(٣).

٤- ** المرقبة العليا ١٢٧: بغية الوعاة ٢٣٤: نفع الطيب ٥٣٦: ٥٤٠، ٥٥٠، ٥٧٥؛
 الأعلام للزركلي ٢: ٢٦٠ (٢٤١).

سعيد بن حكم القرشي

١- هو الأمير الرئيس أبو عثمان سعيد بن حكم بن عمر بن أحمد بن حكم بن عبد
 العزيز بن حكم الماعري القرشي الطبري، أصله من طبرية^(٤) - من غربي
 الأندلس - وبها مولده في سادس جمادى الآخرة من سنة ٦٠١ (١٢٠٥/١٩/٢٩ م).

تطوّف سعيد بن حكم في الأندلس مدة ثم استقر في مدينة إشبيلية وقرأ فيها الموطأ
 على أبي الحسين (أبي الحسن؟) بن زرقون وعلى أبي عليّ الثلويين (ت ٦٤٥ هـ). ولكن
 يبدو أنه لم يكن على وفاق مع والي إشبيلية من قبل الموحدين فانتقل إلى المدوّنة
 المرقبية فجاء إلى سبتة ثم جال في إفريقية (تونس) والمغرب. بعدئذ استقر مدة في
 تونس الحاضرة ثم جاء إلى جزيرة ميورقة^(٥)، وذلك قبل أن يتغلب عليها الإسبان في
 منتصف صفر من سنة ٦٢٧ (١٢٣٤/١/٢ م). وقد كان له شيء من الإشراف في

- (١) هَلُمُوا: تعالوا (فتح اللام)، أسرعوا. دار النعيم: الجنة. راغ يروغ: مال، جاء إلى.
- (٢) بوها (بو الدنيا): الناس. طاشت: حاد عن الهدف، أخطأ الهدف. سهامها (سهام الدنيا، سهام النية أو الموت). - كانت سهامها دائماً مصبة (لم ينج أحد من الموت). حمّ: قرب. الهيام: الموت. راغ: حاد (غما).
- (٣) عاج مال. قصد: دار البقاء: الآخرة (في مقابل دار الفناء: الدنيا). فراغ: خلاه البال.
- (٤) يذكر حين مؤسس (الحلة السراء ٢: ٣١٨، الحاشية) مدينتين باسم طبرية، إحداها على بعد كيلومترين من مصب نهر مندق في منتصف الساحل الغربي من البرتغال اليوم. والثانية قرب الساحل الجنوبي عند منتصفه. والذي يظن على الظن أن هذه البلدة الثانية هي التي ولد فيها سعيد بن حكم.
- (٥) إلى الجنوب الشرقي من الأندلس أرخيل فيه ثلاث جرد ذوات أحجام ظاهرة: ميورقة (الكبيرة) ومورقة (الصغيرة) وباسة.

جزيرة ميورقة. ثم إنه جاء إلى جزيرة منورقة عاملاً (أميراً على جمع الضرائب). وفي أيام دولته في منورقة اشتغل بالحديث على المحدث أبي الحسين يوسف بن مَفُوز.

ولما آخَلَ أمرُ الموحدين وأستولى الإسبان على ميورقة أستطاع سعيد بن حُكم أن يَحُولَ بَيْنَهُمْ وبين الأَسْتِلاء على منورقة بشيء من المُدَاراة وبَدَفَع جَزِيَّة سَنَوِيَّة. وكان النافذ في منورقة مُحَمَّد بنُ أَحْمَد بن هَاشِم، وكان أمرُ المُوَحِّدِينَ قد ضَعُفَ وَأَقْرَبَتِ الكَلِمَةُ - فَاسْتَبَدَّ سَعِيدُ بنُ حُكْمٍ بِأَمْرِ الجزيرة في ثَاني شَوَالٍ مِنْ سَنَةِ ٦٣١ (١٢٣٤/٧/١م) ثُمَّ اسْتَمَرَّ فِي حُكْمِهَا حُكْمًا عَاقِلًا صَالِحًا حَتَّى كَانَتْ وَفَاتُهُ (١) فِي السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ٦٨٠ (١٢٧٢/١/٩م).

٢- كان سعيد بن حُكم القُرَشِيُّ حَازِمًا فِي الإِدَارَةِ شَدِيدَ الْقَوَّةِ فِي الْعُقُوبَةِ يَقْتُلُ عَلَى شَرْبِ الْخَمْرِ، عَاتِبَهُ فِي ذَلِكَ أَسَازُهُ أَبْنُ مَفُوزَ، فَرَدَّ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ (أَعْمَالُ الْأَعْلَامِ ٢٧٦): « يَا قَفِيَّةُ! هَذِهِ الْجَزِيرَةُ كَثِيرَةُ الْعَنْبِ. وَالنَّاسُ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ بِهَا وَيَسْكُرُونَ فَيُضَيِّعُونَ الْإِحْتِرَاسَ فَيُظْهَرُ (يَتَغَلَّبُ) عَلَيْنَا الْعَدُوُّ ». وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ مُحْسِنًا إِلَى الْأَفْرَادِ وَإِلَى الْجَمَاعَاتِ: يَفُكُّ الْأَسْرَى وَيَتَصَدَّقُ عَلَى الْمُحْتَاجِينَ وَيَنْصُرُ الْمَظْلُومِينَ.

وَهُوَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْأَدْبَاءِ وَذُو حِظٍّ وَافِرٍ مِنْ رِوَايَةِ الْحَدِيثِ. ثُمَّ هُوَ أَيْضًا نَائِرٌ شَاعِرٌ شَدِيدُ الْأَخْذِ بِالصَّنَاعَةِ فِي نَثَرِهِ خَاصَّةً كَثِيرُ الْمِثْلِ إِلَى الْإِلْغَازِ فِي الْأَشْيَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ نَظْمًا وَنَثَرًا. وَفَنُونُ شِعْرِهِ السَّيْبُ وَالْحِكْمَةُ وَالْمَدْحُ وَالْوَصْفُ. وَأَبْرَزُ فَنُونِ نَثَرِهِ التَّرْسُلُ.

٣- مختارات من آثاره

- من رسالة كتب بها سعيد بن حُكم القرشي (٢):

أَمْتَعَ اللَّهُ بِكَ، أَيُّهَا الْوَلِيُّ الْكَرِيمُ الْوَفِيُّ الصَّمِيمُ الشَّرِيفُ أَبَا الْمَنِفِ حَبِيبًا وَصَنَعَ لَكَ وَبَلَّغَكَ أَمْلَكَ. يَخْصُكَ بِالنَّاءِ - الطَّيِّبُ كُنْثَاكَ، الصَّيِّبُ كُوفَانُكَ - مُجَلِّكَ

(١) من زامناور (ص ٩٣)، وفي أعمال الأعلام (ص ٢٧٦): في حدود ٦٨٠.

(٢) يبدو أن سعيد بن حُكم كتب هذه الرسالة إلى أحد أمراء الحفصيين في تونس: أبي رُكْرَبِيَّا بَحْسَى (٦٣٦ - ٦٤٧ هـ) أو أباه أبي عبد الله مُحَمَّد (المنصور) الأول (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ).

بالحقّ الواجب ومُجَلِّك من الودّ بين الترائب^(١) سعيدٌ من حَكَم . ولا جديدٌ إلّا عناية الله تعالى وكفايته ووقايته - سُبحانه - (والتي) هي خيرٌ من دِفاعنا - وحايته^(٢) .

وقد وَرَدَتِ الْحَدِيقَتَانِ الْأَيْقَتَانِ وَالرَّوَضَتَانِ الْغَضَّتَانِ تَعْبَقَانِ إِذْ تُنْسَقَانِ وَتَرَوَقَانِ^(٣) تَرْمُقَانِ . وَالْحُسْنُ مِنْ مَرَاهِمَا يَنْفِرُ وَالِدَجْنُ يَنْجَلِي مِنْ سَنَاها إِذَا يُسْفِرُ^(٤) . سَبَقَتْ أُولَاهَا كَالْبُشْرِ ، وَتَبِعَتْ بَعْدَ عَلَى أَثَرِهَا الْأُخْرَى وَجَاءَتَا خَفِيفَتِي الْحَمَلِ لَطِيفَتِي الْمُجَمَّلِ ... فَلِلَّهِ مُهْدِيهَا وَمُطْلِعُهَا تَبِيرَتَيْنِ^(٥) . لَقَدْ أَوْجَبَ بِرَهَا حَقًّا كَبِيرًا ، وَحَمَلَ مِنْ شُكْرِهَا مَا يَثْقُلُ ثَبِيرًا^(٦) . وَاللَّهُ يَتَوَلَّاهُ وَيَحْفَظُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَلِيِّ مَا أَوْلَاهُ^(٧) .

- وقال مُلْفِرًا في شِمْعَةٍ :

مَا جِيلَةُ الْمَرَاةِ صَقِيلَةٌ كَالْمَرَاةِ مُنْتَصِبَةٌ كَالْقَنَاءِ^(٨) مَرْتَقِبَةٌ مِنَ الْأَذَانِ بِالْعِشَاءِ لِلْأَدَاةِ^(٩) . مَعَ الْإِسْتِمَالِ قَرِيبَةُ الْحَيَاةِ ، وَعَلَى الْعُطْلَةِ وَالْإِغْفَالِ بَعِيدَةُ الْوَفَاةِ^(١٠) . مُنْهَلَةٌ وَلَيْسَتْ بِفَاقَةِ ، مُسْتَقَلَّةٌ وَلَكِنْ بِدَعَامَةٍ^(١١) . وَمَعَ كَوْنِهَا تَهْمِي بِدُرَرٍ (فَإِنَّهَا) تَرْمِي

(١) عَمَلُكَ : عَمَرُكَ . عَمَلُكَ : مَزَلُكَ (بِالضَّمِّ) . التَّرَائِبُ : عِظَامُ أَعْلَى الصَّدْرِ (بَيْنَ التَّرَائِبِ : فِي الْقَلْبِ) .

(٢) حَايَتُهُ مَعْطُوفَةٌ عَلَى وَقَايَتِهِ .

(٣) هَذِهِ الرِّسَالَةُ شُكْرٌ عَلَى هَدِيَّةٍ : حَدِيقَتَانِ وَرَوَضَتَانِ (٥) . أَنْبَقَ : جَلِيلٌ . غَضَنَ : طَرَى . عَنَقَ (بِشَحْظِ فَكْرٍ) الطَّبِيبُ : انْتَشَرَتْ رَائِحَتُهُ . رَاقَ يَرُوقُ : حَسَنٌ فِي الْعَمَلِ . رَمَقَ : نَظَرَ . مَا (٥) : حَمَا (٥) .

(٤) سَفَرٌ : يَظْهَرُ حَسَبُهُ وَجَالُهُ . الدَّحْنُ : الْعَيْمُ (النَّهَارُ الَّذِي يَقْلُ فِيهِ الْوَرْدُ لِكَثْرَةِ الْعَيْمِ) . السَّاءُ : الصَّوْءُ السَّاطِعُ . يَسْفِرُ : يَشْرُقُ . لَعَلَّ الْهَدِيَّةَ كَانَتْ شِمْعَتَيْنِ .

(٥) الْحَمَلُ (بِالْجَمِّ) : الْجَسْمُ أَوْ الْحَجْمُ . تَبِيرَتَيْنِ : مُصْبَتَيْنِ .

(٦) بِرَهَا : طَاعَتُهَا (الشُّكْرُ عَلَيْهَا) . يَثْقُلُ : يَرِيدُ فِي الثَّمَلِ عَلَى شَيْءٍ (اسْمُ جَلٍّ) .

(٧) الْحَلِيُّ : الثَّمَرُ . مَا أَوْلَاهُ : أَسَخَّ عَلَيْهِ (أَعْطَاهُ) مِنَ النِّعْمَةِ .

(٨) الْمَرَاةُ (بِفَتْحِ الْمِيمِ) : الْمُرَأَى ، الْمُنْظَرُ . (وَبِكَسْرِ الْمِيمِ) : صَفْحَةٌ مَصْفُوفَةٌ مِنْ مَسَدٍ أَوْ صَفْحَةٌ مِنْ زَجَاجٍ مَفْتًى أَحَدَ وَجْهَيْهَا يَرَى الْبَاطِنَ فِيهَا نَحْوَهُ . الْقَضَاءُ : الْقِصَّةُ ، الرِّمَجُ .

(٩) مَرْتَقِبَةٌ : مُنْظَرَةٌ . مِنَ الْأَذَانِ بِالْعِشَاءِ (قَبْلَ أَذَانِ الْعِشَاءِ) نَلَادَةٌ (٥) .

(١٠) إِذَا أَضَاءَهَا الْإِنْسَانُ كَثِيرًا ذَابَتْ بِسَرْعَةٍ ، وَإِنْ لَمْ يَضِئْهَا كَثِيرًا طَالَ حَيَاتُهَا .

(١١) مُنْهَلَةٌ : يَسَاقُطُ مِنْهَا نَافَاطُ كَالدَّمُوعِ (مِنْ التَّمْعِ الدَّائِبِ بِحَرَارَةِ يَوْزِهَا) . مُسْتَقَلَّةٌ : نَاهِيَةٌ ، مُنْتَصَةٌ . بِدَعَامَةٍ (عَلَى دَعَامَةٍ : شِمْعَتَانِ) .

بَشَّرَ^(١).... وليست من بيت النبوة وإن كان قد أُوحيَ إلى آبائها^(٢).... تُرَضِّعُ
أَبْنًا لم تَلِدْهُ ذا عقوق، يُسْرِعُ إلى أذاتها غيرَ فُروق^(٣)... تقومُ ليلها تهجداً، وتُريك
ابتساماً دائماً وتجلداً^(٤).....

- وقال سعيد بن حكيم يصفُ عادته في الإحسان إلى الناس:

لا تَمْنَعِ المعروفَ يو ما مُعْرَضاً ومُعْرَضاً^(٥).
فكِلَاهُمَا من حَقِّهِ فيه له أن يُفْرَضاً^(٦).
هَذَا تَنْزَعٌ فَاسْتَحَقْ قَى على نَراهِهِ الرِّضَا^(٧).
وَالْآخِرُ اسْتَحْيَا مِنَ الذِّ تَصْرِيحٍ فِيهِ فَمُرَّضَا.
هَذَا الَّذِي مَا زِلْتُ أَف حَلُّ أَوْ أَقُولُ مُحَرَّضَا.

- وله في الحقْد:

الحَقْدُ دَائِمٌ فِي الْقُلُوبِ، وَالصَّفْحُ مِنْهُ هُوَ الطَّبِيبُ.
فاحْلُمْ عَنِ الْجَانِي فَقَدْ يدعوه حِلْمُكَ أَنْ يَتَوَبَّ.
وَأَنْسَ الذَّنُوبَ، فَإِنَّا ذَكَرُ الذَّنُوبِ مِنَ الذَّنُوبِ.

- وقال في النسيب:

إِنِّي لَأَكْلِفُ بِاسْمِهَا كَلْفِي بِهَا. فانظُرْ، فهذا للْعَفَافِ شِعَارُ^(٨).

- (١) همي بدر (يسل من أعلاها نقاط كاللؤلؤ، كأنها نقاط ماء من المطر). ترمي شرر: بصدر منها نور (براء صعب البصر خيوطاً متجهة إلى كل جهة).
- (٢) يصع النعم الفاجر من المادّة - النسيعة - التي نهته الحل أقرصاً ذوات سدسات لحزن فيها العمل. وفي القرآن الكريم: ﴿وَأُوحيَ رَبِّكَ إِلَى الْحَلِّ﴾ (١٦: ٦٨ سورة الحل).
- (٣) ترضع ابناً (تدّ أو تزود الفضل الذي في وسطها بالمادّة التي تمكّنه من الإضاءة. ذو عقوق (عصيان) لأنّ إضاءته يذهب جسمها (من النعم) فكأنّه يقتلها. فروق: خائف.
- (٤) تقوم (تهر) الليل هجداً (في العادة). ابتساماً (من إشراق نورها) وتجلداً على احتفال حرّ الاحتراق.
- (٥) المرص: الذي سدى إباء لأحد الصدقة. المرص (تشديد الراء): الذي يشر من طرف حقّي إلى طلب الصدقة.
- (٦) أن يعرض له (نصيب من الزكاة).
- (٧) تنزّه: ترفع (عن طلب الصدقة).
- (٨) كلف (صح مكرراً بالشيء) (تعلقت نفسه به).

وإذا أمرٌ بدارِها فكأنَّها
 غابت فأبكي بعدها شوقاً لها،
 تالته، ما لَمَحْتَ جفوني - مُدْ نأت -
 يبضاً تحسبُ أنها من فضة،
 مالت معاطفها ولأنَّ حديثها؛
 لو لم تُحلَّ، لكان حلياً تُفرِّها.
 تخشى البريةُ مُقلَّتِها غيَّرها.
 قد دَرَّ فيها الوابلُ المِدرار^(١).
 والشمسُ تهملُ بعدها الأمطار^(٢).
 نُوراً. وهل بعدَ المِهةِ نَهار^(٣)؟
 في الحَدِّ منها للحياءِ نُصار^(٤).
 أَيْكونُ عن خِبرِ الجُفونِ خُبار^(٥)؟
 إنَّ الفِصونَ جُلَّها النُّوار^(٦).
 أَيْهابُ سُوْرةِ نَبْلِهِ الأَسوار^(٧)؟

- وقال يصف شمعاً:

وصَفراءُ من غيرِ ما عِلَّةٍ
 تُطِيلُ الوقوفَ على واحدٍ
 تَزِيدُ على الشمسِ في نورِها
 تُحاربُ دأباً جيوشَ الظلامِ
 لها أذْمَعُ أبداً سائلة.
 مَدَى لَيْلِها قُتْرى ناحِلِه.
 إذا ما غَدَّتْ للدُّجَى واصِلَه^(٨).
 قُتْبَصْرُ مَقُولَةٍ قاتِلِه.

- (١) دَرَّ: جرى. الوابل: المطر الشديد. المِدرار: الكثير الماء.
 (٢) تهمل (تضع النار) ثم كسر الميم أو ضمها) تنقط بكثرة. إذا احتجبت الشمس بالغيوم كان ذلك سارة سقوط المطر.
 (٣) المِهة: الفترة الوحشية، الشمس (المعجم الوسيط ٨٩٧). وهل بعد المِهة (بعد غياب الشمس) يمكن أن يبقى النهار طالماً (أو النور موجوداً).
 (٤) حَداها أبيض كالفضة ولكنَّ حياءها (الذي أصبح عادة لها) يكسب وجهها حمرة كلون النصار (الذهب). مع أن الذهب الخالص أصفر لا أحمر (وبحسب، احمرار الذهب الألوف في العملة وفي الحلي من مزجه بال نحاس).
 (٥) المطف (بالكسر) والمعطف (بكسر الميم وفتح الطاء): الطرف الأعلى من الجسم. الخمار: السكر - هل يمكن الإنسان أن يسكر من نظرات المرأة الجميلة؟
 (٦) تحلَّى: تنزَّه بالحلي. لكان تُفرِّها (أساساً التي تشبه اللؤلؤ)... النُّوار: الزهر الأبيض. في الفصون نورية (فروع الشجرة، والقوام المتندل).
 (٧) البرية: مجموع البشر. غيرها: غير هذه المرأة (على الاستثناء). أَيْهاب (أبحاف) سورة (شدة) نبله وسهامه الأَسوار (الفارس).
 (٨) يقصد: أن نور الشمعة يكون أقوى من نور الشمس إذا اقتربت الشمس من مبيها.

- قال سعيد بن حكيم في الملوك الذين لا يحكمون حكماً صحيحاً عادلاً:

إِنِّي لَأَعْجَبُ مِنْ مُلُوكٍ أَصْبَحُوا وَهُمْ مَوَالٍ أَعْبَدَ الشَّهَوَاتِ^(١)
الْأَطْيَانِ مَرَادُهُمْ وَمُرَادُهُمْ: أَرَبُ الْفُرُوجِ وَإِرْبَةُ اللَّهَوَاتِ^(٢)
لَوْ وَقَفُوا وَقَفُوا اجْتَمَعَهُمْ عَلَى نَفْيِ الْهَوَى قَضَاءً عَنِ الْخَلَوَاتِ^(٣)
مَرَّتْ سِنُونَ وَهُمْ مِلَاكٌ لِلْوَرَى. يَا لَيْتَهُمْ مَرَّوْا مَعَ السِّنَوَاتِ^(٤)!

- ومَرَّتْ به في أيام صباه امرأة جميلة، كان زَوْجُهَا شُرْطِيًّا، فقال:

وَجَنَّةٍ خَازِنُهَا مَالِكٌ، يَا لَيْتَنِي كُنْتُ لَهَا مَالِكًا^(٥)
أَسْجُدُ فِي مِحْرَابِهَا سَجْدَةً تُنْكَأُ؛ وَمِثْلِي لَمْ يَزَلْ نَاسِكًا^(٦)
وَكَيْفَ أَرْجُو الْقُرْبَ مِنْهَا وَقَدْ أَضْحَى حَامًا لَخَطْطُهَا فَاتِكًا^(٧)!
إِنَّ أَمَائِي الْفَتَى ضِلَّةٌ يُمْنَى بِهَا حَتَّى يُرَى هَالِكًا.
مَنْ لِي بِهَا شَمْسَ الضُّحَى أَطْلَعَتْ جُنَحَ دُجَى مِنْ شَمَرِهَا هَالِكًا^(٨)
سَلَكْتُ سَبِيلَ الْغَيِّ فِي حُبِّهَا، وَلَمْ أَكُنْ قَبْلُ لَهَا سَالِكًا.

٤- * * * المغرب ٢: ٤٦٩؛ القدرح المعلقى ٣٨-٤١؛ الوافي بالوفيات ١٥: ٣١٢-٣١٣؛

- (١) موال (جمع مولى): تابعون. أعبد جمع قلّة من «عبد».
- (٢) الأطيان: الطعام والنكاح. الأرب: الحاجة. الإربة: النّعة، المطلب. اللهوات جمع «لهاء» (يفتح اللام): الهنة التي في أول الحلق. المقصود: الفم.
- (٣) لو كانوا ناجحين في الحكم لعلّوا هَمَّهُمْ ترك هوى أنفسهم (أهواءهم الشخصية) وخصوصاً حلواتهم الصّبيحة (كثرة الاهتمام بالنساء).
- (٤) مرّ زمن طويل وهم ملاك (قوام)، وهم كلّ شيء في حياة الورى: الناس). يا ليتهم مرّوا كما مرّت السّنات (ماتوا).
- (٥) الحنة خازنها (بؤنها) رضوان (بكسر الراء). ومالك خازن جهنّم. ولكن هذه المرأة الجميلة، وهي جنة، لها خازن (زوج) هو مالك (لأنّه شرطيّ موكل بمقاب الناس - يا ليتني كنت لها مالكا (زوجاً شرعياً).
- (٦) أسعد في محرابها.... (الكناية الملوحة واضحة، ولكن يمكن أن تكون قبيحة).
- (٧) ولكنّ الذي ينبغي من قربها ليس زوجها الشرطيّ، ولكن عيونها.....
- (٨) شمس يجوز فيها النصب (تخيلاً) والجر (بدلاً من «ها»، والرفع (خبر لمبتدأ محذوف). المجمع: قسم، مدّة من الليل. الدجى: الظلام. الخالك: الشديد البؤاد. - هي شمس (بلونها الأبيض) نصفي النهار، ولكن شمرها الأسود يجعل من النهار جانباً مطلياً.

الحلّة السيرة ٢: ٣١٨-٣٢٠؛ الذيل والتكملة ٤: ٢٨-٣٣؛ أعلام ٢٧٥-٢٧٦؛
بعية الوعاة ١٢٥٥؛ نفع الطيب ٤: ٤٧١-٤٧٢؛ راجع أزهار الرباض ٣: ٢١٥-٢١٨؛
الأعلام للزركلي (٣: ٩٣).

ابن معمر الهواري

- ١- هو أبو عليّ الحسن بن موسى بن معمر الهواري الطرابلسي ولد في طرابلس،
سنة ٦٠٩ هـ (١٢١٢-١٢١٣ م). قرأ ابن معمر مدةً يسيرةً في طرابلس ثم رحل إلى
المهدية وقرأ على الفقيه أبي زكريّا يحيى البرقي (ت ٦٤٧ هـ). ثم إنه انتقل إلى مدينة
تونس في أيام المستنصر بالله (٦٤٧-٦٧٥ هـ). وقد تولى القضاء في باجة وبجاية
وغيرها، كما تولى خطة العلامة الكبرى والنظر في خزانة الكتب. ثم وقعت بينه وبين
المستنصر وحشة فنفاه المستنصر إلى المهدية (من أواخر ٦٦٧ إلى آخر ٦٦٨ هـ). عاد
بعد ذلك إلى تونس وإلى رئاسة خزانة الكتب. وكانت وفاته في تونس، في جادى
الآخرة (*) من سنة ٦٨٢ هـ (أيلول - سبتمبر ١٢٨٣ م).
- ٢- كان ابن معمر الهواري فقيهاً وخطيباً ومناظراً، كما كان شاعراً رقيقاً يتوقّر
على الأغراض الوجدانية. وشعره سهل واضح صحيح التركيب.

٣- مختارات من شعره

- قال ابن معمر الهواري من قصيدة له في النسيب:

لولا احورارُ جُفُونٍ أودِعتْ سَمًا ما أنطرتْ سُحُباً أجفاني الدموعَ دَمًا^(١)
ولا وقفتْ أصيلاً برنعيكم ولا سقيتْ رُباه من دمي دَمًا^(٢).
شملُ السرورِ شئتُ بعدَ بينكم، وطالما كان قبلَ اليومِ مُلتئماً^(٣).

* في نحات السرين والريحان (ص ٩٣): في التاسع من جادى الأولى.

(١) الاحورار: شدة سواد العين مع شدة بياضها.

(٢) أصيلاً = أصيلاً: قريباً من غروب الشمس. الدية: الغنمة المطرة.

(٣) البين: البعد، البعاد.

الْبَيْنُ يَقْطَعُ مِنْهُ كُلُّ مُتَّصِلٍ ، وَالشَّوْقُ يَنْثُرُ مِنْهُ كُلُّ مَا انْتَهَلَا .
 يَا مَنْ يُلَوِّمُ عَلَى مَا جَلَّ مِنْ أَتْفَى ، هَذَا السَّيْرُ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي كُتِبَا !
 أَنْبِئْكُمْ أَنَّنِي مِنْ يَوْمٍ بَيْنَكُمْ مَا زَلْتُ لِلْسَّهْدِ وَالتَّذْكَارِ مُلْتَزِمَا .
 أَرْتَاخُ إِنْ هَبَّ رِيحٌ مِنْ جَنَابِكُمْ أَوْ لَاحَ بَرَقَ بِذَاكَ الْأَفْقِ وَابْتَسَمَا .
 أَمَّا وَمَنْ قَدَّرَ الْأَشْيَاءَ مُقْتَدِرًا وَحُبُّكُمْ - وَكُفَى بِالْحُبِّ لِي قَمَا - (١)
 مَا رَامَ قَلْبِي اصْطِبَارًا بَعْدَ بُعْدِكُمْ وَلَا تَأَخَّرَ بِي مِنْ وَجْدِهِ قَدَمَا (٢) !

- وَكَانَ ابْنُ مُعَمَّرٍ مَحْبُوسًا مَعَ صَدِيقِهِ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الْفَضْلِيِّ ثُمَّ أُطْلِقَ سَرَّاحُهُ قَبْلَ الْفَضْلِيِّ ، فَكُتِبَ إِلَى الْفَضْلِيِّ بَيِّنَاتٌ :

لَيْتَ سَرَّيَ فَكُ الْإِسَارِ مِنَ الْحَسْرِ ، لَقَدْ سَاءَ فِي فَقْدِي لَهَا فِيهِ مِنْ أُنْسِي .
 وَلَوْ أَنَّنِي خَيْرْتُ فِيمَا أُرِيدُهُ ، لَأَثَرْتُ تَقْدِيمِي سَرَّاحَكَ عَنْ نَفْسِي .

٤ - ** عنوان الأريب ٧٠ - ٧٢ ؛ نفعات النسرین والرحمان ٩٢ - ٩٦ ؛ رحلة التجاني ٢٧٤ - ٢٨٠ ؛ أعلام من طرابلس ٧٥ - ٨٤ .

مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الْمَزَالِيِّ

١ - هُوَ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عِمْرَانَ مُوسَى بْنِ الثُّعْلَانِ الْمَزَالِيِّ التُّلُسِيَّانِ الْقَاسِي الْمَرَاكِشِيِّ الْهَنْتَاقِي الْإِسْبِيلِيَّ ، وَلَدَ فِي تِلْهَسَانَ ، سَنَةَ ٦٠٦ هـ (١٢٠٤ - ١٢٠٥ م) أَوْ سَنَةَ ٦٠٧ هـ .

رَحَلَ الْمَزَالِيُّ إِلَى مِصْرَ فَسَمِعَ فِي الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ مِنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحَرَّاتِيِّ وَأَبِي الْقَاسِمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الْجَبِيدِ الصُّفْرَاوِيِّ (٥٤٤ - ٦٣٦ هـ) وَسَمِعَ بِعِصْرَ (الْقَدِيمَةِ) مِنْ أَبِي

(١) وَمَنْ قَدَّرَ الْأَشْيَاءَ (الْوَاوُ: لِلْقَسَمِ . مَنْ قَدَّرَ الْأَشْيَاءَ : أَيِ اللَّهِ تَعَالَى) . حِكْمٌ (مَجْرُورَةٌ عَلَى أَنَّهَا قِسْمٌ ، أَوْ عَلَى أَنَّهَا مَعْطُوفَةٌ عَلَى قِسْمٍ) .

(٢) رَامَ : طَلَبَ . مَنْ وَجَدَهُ (مَنْ كَثَّرَهُ حَبْلَهُ لَكُمْ) . قَدَمَا : مَقْدَارَ قَدَمٍ .

حسن الصابوني وابن الطفيل وابن المقير. وكانت وفاته في مِصرَ، سنة ٦٨٣ هـ (١٣٨٤ - ١٣٨٥ م).

٢ - كان محمد بن موسى المزالي فقيهاً مالكيّاً وزاهداً عابداً عارفاً (صوفيّاً). وله شعرٌ على الطريقة الصوفية سهلٌ حسنٌ. وكان مُصنفاً له كتاب «مِصباحُ الظلام في المُستغنين بحير الأنام في اليَقظة والنام». (يبدو أنه ألفه سنة ٦٣٩ هـ).

٣ - مختارات من شعره:

- قال محمد بن موسى المزالي في ليلي (المرّة الإلهية):

أَتَطْمَعُ أَنْ تَرَى لَيْلِي بَعِينٍ وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَى حَسَنِ سِوَاهَا^(١).
سِوَاهَا لَا يَرَوْقُ الطَّرْفَ حُناً. وَأَوْصَافُ الْجَمَالِ لَهَا حِمَاهَا^(٢).
حِمَاهَا مَنَزِلُ الْأَحَابِ قَدْماً، وَإِنْ كَانَ الْجَمَالُ لَهَا حِمَاهَا^(٣).
أَتَنْظُرُهَا بَعِينٍ بَعْدَ عَيْنٍ، فَتُلكَ الْعَيْنُ تَمْنَعُهَا قَدْأَهَا^(٤).
قَدْأَهَا إِنْ أَرَدْتُ يَزُولُ عَنْهَا، بَعِينُ الدَّهْرِ غَيْرُكَ لَا تَرَاهَا^(٥).

٤ - * * الوافي بالوفيات ٥: ١٨٩، بروكلمن. الملحق ١: ٦٦٥.

-
- (١) - لقد أعجبك في هذه الدنيا أشياء حسنة، ولذلك لن تستطيع أن ترى ليلي (المرّة الإلهية).
(٢) - كل ما رأيته ليس جيلاً في الطرف (العين). وجمال ليلي العظيم (غير المؤلف) حى لها (مانع من رؤيتها).
(٣) - حِمَاهَا: منزلها هو منزل المحبوبين القدامى (الذين لا يجوز لأحد أن يمتّ أحداً بعدهم). وجمالها العظيم يحجبها (يمنع أعين البشر) من رؤيتها.
(٤) - أنظرها (أي ليلي: المرّة الإلهية) بعين (مادية، بعين جسمك) بعد عين (عين قلبك؟) فهذه العين الجمجمة يجتمع فيها عادة قذى (وسخ) يمنعها أن ترى الألوهية).
(٥) - إذا أردت أن يزول القذى (الوسخ، العشى) من عينك لتستطيع أن ترى ليلي، فحسب لا ترى أحداً غيرك (لا ترى إلّا نفسك).

أبو البقاء صالح بن شريف الرندي

١- هو أبو البقاء (أو أبو الطيب)^(١) صالح بن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم بن علي بن شريف^(٢) الرندي الأندلسي من أهل رُنْدَة (في الجزيرة الخضراء، بين مَالَقَة وشَرِيش).

تلقى أبو البقاء الرندي العلم على أبيه وعلى نفرٍ منهم أبو الحسن الدباج وابنُ الفَخَّار الشريشي وابنُ قطرَال وأبو الحسن بن زَرْقُون وأبو القاسم بن الجَدِّ التونسي. ويبدو أَنَّهُ كان مُنْقَطِعاً إلى بني الأحرار كثيرَ التردّد على غرناطة، كما أَنَّهُ قد أقام حيناً في مَالَقَة. ولمَلْ وفاته كانت في سَنَةِ ٦٨٤ (١٢٨٥-١٢٨٦م).

٢- كان أبو البقاء الرندي حافظاً للحديث وفقياً وفَرَضِيّاً ومُشاركاً في الحساب ثم كان بارعاً في منظوم الكلام ومنشوره مجيداً في المدح والغزل خاصة والزُهد والوصف. ولكن شهرته تَرَجُّع إلى قصيدته «لِكُلِّ شيء إذا ما تَمَّ نَقْصَانُ» وقد نَظَّمَهَا بعد ضياع عددٍ من المَدَن الأندلسية منها: بَلَنِيَّة (٦٣٠ هـ) وقرطبة (٦٣٦ هـ) وجِيَان (٦٤٤ هـ) وشاطِبة (٦٤٥ هـ) وإشيلية (٦٤٦ هـ) ومُرَيْيَّة (٦٦٨ هـ). هذه القصيدة تجمع بين العاطفة المكشوفة والسهولة المتناهية والردِّ المنطقي.

وكان أبو البقاء الرندي مُصَنِّفاً آلفَ في الفرائض (تقسيم الإرث) نظماً ونثراً. وله أيضاً مقاماتٌ بديعة. ومن كُتُبِهِ: رُوحَةُ الأُنس ونُزْهَةُ النُفْس - مختصر في الفرائض - الوافي في نظم القوافي (في البلاغة والنقد وطبقات الشعراء وعمل الشعر وفي فنون الشعر وخصائصها المُستَحَبَّة). ولكن يبدو أن الكتاب قليل الابتكار وأن غاية الرندي فيه كانت جمع الخصائص المشهورة من كتب النقد المختلفة. وكان اتكاؤه على

(١) في الإحاطة (مطبعة الموسوعات بمصر ١٣١٩ هـ، ١: ٣٠٣، وفي طبعة محمد عبد الله عيان، مصر - دار المعارف، ١: ٤٨٤): الطيب (ببإم).
(٢) في سِياقة نَسَبِهِ شيء من الخلاف. وقد جمعه محمد رضوان الداية (تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، ص ٤٣٢): البَرِّي (بنون مكشورة وفاء مشددة مفتوحة) نسبة إلى مدينة نَقَر في جنوبي العراق. والصواب النَزْري (بنون مفتوحة وفاء ساكنة وزاي منقوطة: اسم قبيلة مغربية)، هذا إذا كان، الرندي مسوياً إلى تلك القبيلة.

ابن رشيق واضحاً).

وكتاب « الوافي في نظم القوافي » يجمع بين^(١) النقد والبلاغة وشيء من الأخبار الأدبية الأندلسية وطائفة من شعر المؤلف، وهو أربعة أجزاء. الجزء الأول في فضل الشعر ومن تكلم به وأثاب عليه. ثم في الشعراء وطبقاتهم، ثم في عمل الشعر وآدابه ثم في أغراض الشعر من المديح والتهنئة والرثاء والأعتذار والعتاب والهجاء والوصف. والجزء الثاني في محاسن الشعر وبديعه ومعانيه من الابتداء والانتهاى والاستطراد والمطابقة وما يناسبها من المقابلة ثم التشبيه والاستعارة والتجنيس والتضمن والمبالغة والتسليم (التقسيم والترتيب) والتسجيع والتسميط (التشبيه بالتوشيح). والجزء الثالث في عيوب الشعر من الإخلال أو سوء اللفظ وسوء التركيب والترتيب - عيوب السُرقة - أكان الأخذ من شاعر آخر قصداً أو عموماً - ثم الضرورة (أو الرخص في الشعر) مما يدل على ضعف الشاعر في صناعة الشعر). والجزء الرابع في حد الشعر وفي العروض والقوافي وفي بحور الشعر الأصلية (الخمسة عشر) والبحور المهملة.

٣- مختارات من آثاره

- رثاء الأندلس. قال أبو البقاء الرندي هذه القصيدة يستنصر أهل العدو الإفريقية من بني مرين، لما جعل ابن الأحمر (محمد الغالب بن يوسف أول سلاطين غرناطة) يتنازل للإسبان عن عدد من القلاع والمدن استرضاء لهم وأملأ في أن يبقى له حكمه المقلقل على غرناطة:

لكل شيء إذا ما تم نقصان
فلا يُمرَّ بطيب العيش إنسان.
هي الأمور كما شاهدتها دُول^(٢)؛
من سره زمن ساءتْه أزمان.
وهذه الدار^(٣) لا تُبقي على أحد،
ولا يدوم على حال لها شان:

(١) من « تاريخ النقد الأدبي في الأندلس » لمحمد رضوان الداية (ص ٤٣٥ وما بعد)

(٢) الدولة (يفتح الدال أو يضمها): انقلاب الأمر مرة بعد مرة (مرة للهؤلاء ومرة لأولئك)

(٣) هذه الدار: هذه الدنيا.

يُمَزَّقُ الدهرُ حَتَبًا كُلَّ سَابِقَةٍ
وَيُنْتَضَى كُلُّ سِنْفٍ لِلْفَنَاءِ، وَلَوْ
أَيَّنَ الْمُلُوكُ ذَوُو التَّيْجَانِ مِنْ يَمِيٍّ،
وَأَيَّنَ مَا شَادَهُ شَدَادُ فِي إِرَمٍ؟
وَأَيَّنَ مَا حَازَهُ قَارُونُ مِنْ ذَهَبٍ؟
أَتَى عَلَى الْكُلِّ أَمْرٌ لَا مَرَدَّ لَهُ
وَصَارَ مَا كَانَ مِنْ مُلْكٍ وَمِنْ مُلْكٍ
دَارَ الزَّمَانُ عَلَى دَارَا وَقَاتَلَهُ
إِذَا نَبَتَ مَشْرِفَاتُ وَخِرْصَانٍ^(١)؛
كَانَ ابْنُ ذِي يَرِينَ وَالْعِمْدُ غَمْدَانِ^(٢).
وَأَيَّنَ مِنْهُمْ أَكَالِيلُ وَتِيْجَانٍ^(٣)؟
وَأَيَّنَ مَا سَاسَهُ فِي الْفُرْسِ سَاسَانٍ^(٤)؟
وَأَيَّنَ عَادَ وَشَدَادَ وَقَحْطَانٍ^(٥)؟
حَتَّى قَضَوْا فَكَأَنَّ الْقَوْمَ مَا كَانُوا^(٦).
كَمَا حَكَى عَنْ خِيَالِ الطِّيفِ وَشَنَانٍ^(٧)؛
وَأَمَّ كِسْرَى فَمَا آوَاهُ إِيوَانٍ^(٨)؛

- (١) السابغة: الدرع. المشرقي: السيف (من صنع مشارف الثام، كناية عن جودة حديدته وصنعه). الخرصان (بالضَّم أو الكسر أو الفتح): الرمح. والمجمع خرصان (بالضَّم أو الكسر) - إذا لم تتمزَّق الدرع بالسيوف والرماح فإنها تنهرأ بمرور الزمن (من لم يقتل في الحرب مات بالدهر، بانقضاء أجله).
- (٢) انتضى الفارس السيف: سحبه من غمده. كل مدخَّر، منها تحافظ عليه، بذكره البلى (بكسر الباء). سيف بن ذي يرين: ملك من عظماء ملوك اليمن. غمدان قصر في اليمن.
- (٣) أَيْنَ الْمُلُوكُ.....؟ - ذهبوا (ماتوا). الإكليل: التاج الصغير. وأَيَّنَ مِنْهُمْ أَكَالِيلُ وَتِيْجَانٍ: (هذه لم تدفع عنهم الموت).
- (٤) شاد: نبى. شَدَادُ بن عاد: ملك يمني قديم فتح فتوحاً كثيرة بعيدة. إرم ذات الحماد (الأعمدة): مدينة عظيمة تقول الحرافة إن جدرانها وسقوفها من الذهب والنحاس وأعمدتها من الزبرجد والياقوت. ساسان: مؤسس الدولة الساسانية (الفارسية المتأخرة).
- (٥) حازه: امتلكه. قارون: كان أغنى أغنياء العالم (كانت مفاتيح قصوره كثيرة إلى حد أن الرجل القوي لا يستطيع حملها كلها). عاد وشَدَاد وقحطان من جدود العرب القدماء والأقوياء.
- (٦) أمر لا مَرَدَّ لَهُ (الموت).
- (٧) خيال الطيف: الحلم (بضم الهاء): المنام. الوشان: الذي أخذته العاس (أفاق من النوم ولم يزل نسان).
- (٨) دار الزمان: انقلاب. دارا (داريوس) الأول فتح الهند وأخضع مقدونية (اليونان) ثم هُزِمَ في ماراثون (باليونان). أَمَّ: قصد. كسرى: لقب ملوك الدولة الساسانية. والمقصود هنا كسرى أنوشروان العادل الواسع السلطان والغنى والوجاهة بين الأمم. الإيوان: قصر عظيم لكسرى في المدائن (على عشرين كيلومتراً شرق بغداد). آوَاهُ (حماه من الموت).
- اقرأ: وقَاتَلَهُ (فعل ماضٍ) فذلك أحسن من حيث البيان. هذا مع العلم بأن دارا الثالث قد اغتاله بعض أتباعه، سنة ٣٣٠ ق.م. (بعد أن انهزم أمام الاسكندر المقدوني في معركة أربل، جنوب العراق). والمملوح أن الرندي قد قصد المجاسة بين «دار» و«دارا»، ولم يلمح الفرق بين دارا الأول (ت ٤٩٠ ق.م.) ودارا الثالث!

كَأَنَّمَا الصَّعْبُ لَمْ يَنْهَلْ لَهُ سَبَبٌ،
فَجَاءَتْ الدَّهْرُ أَنْوَاعٌ مُنَوَّعَةٌ،
وَالْحَوَادِثُ سُلُوكٌ يَهْوُوهُنَّ؛
ذَهَى الْجَزِيرَةُ أَمْرٌ لَا عَزَاءَ لَهُ
أَصَابَهَا الْعَيْنُ فِي الْإِسْلَامِ فَارْتَزَأَتْ
فَاسْأَلْ بَلَنَسِيَّةً: مَا شَأْنُ مُرْسِيَّةٍ؟
وَأَيْنَ قُرْطُوبَةَ دَارِ الْعُلُومِ فَكَمْ
وَأَيْنَ جِمْنَصُ وَمَا تَخْوِيهِ مِنْ نُزْوِ
قَوَاعِدُ كُنَّ أَرْكَانَ الْبِلَادِ، فَمَا
تَبْكِي الْحَقِيقَةُ الْبَيْضَاءُ مِنْ أَسَفٍ،
عَلَى دِيَارٍ مِنَ الْإِسْلَامِ خَالِيَةٍ؛
حَيْثُ الْمَاسِجِدُ قَدْ صَارَتْ كَنَائِسَ مَا
حَيْثُ الْحَارِيبُ تَبْكِي وَهِيَ جَامِدَةٌ
يَا غَافِلًا، وَلَهُ فِي الدَّهْرِ مَوْعِظَةٌ،
وَمَا شَيْئًا مَرَحًا يُلْهِمُهُ مَوْطِنُهُ،
تِلْكَ الْمُصِيبَةُ أَنْتَ مَا تَقَدَّمَهَا،
يَوْمًا، وَلَمْ يَمْلِكِ الدُّنْيَا سُلَيْمَانُ^(١)،
وَاللَّزْمَانُ مَرَاتٍ وَأَحْزَانُ؛
وَمَا لَهَا حَلٌّ بِالْإِسْلَامِ سُلُوكُ^(٢)؛
هَوَى لَهُ أَحَدٌ وَانْهَدَ تَهْلَانُ^(٣)،
حَتَّى خَلَّتْ مِنْهُ أَقْطَارُ وَبُلْدَانُ^(٤)؛
وَأَيْنَ شَاطِئَةٌ أَمْ أَيْنَ جِيَانُ؟
مِنْ عَالَمٍ قَدْ سَمَا فِيهَا لَهُ شَانُ؟
وَنَهَرُهَا الْعَذْبُ فَيَاصُ وَمَلَانُ؟
عَسَى الْبَقَاءُ إِذَا لَمْ تَبْقَ أَرْكَانُ^(٥)؛
كَمَا بَكَى لِفِرَاقِ الْإِلَافِ هَيَّانُ^(٦)،
قَدْ أَقْفَرَتْ وَلَهَا بِالْكَفْرِ عُمْرَانُ؛
فِيهِنَّ إِلَّا نَوَاقِيسُ وَصُلْبَانُ؛
حَيْثُ الْمَنَابِرُ تَرْثِي وَهِيَ عَيْدَانُ^(٧)،
إِنْ كُنْتُ فِي سِنَةِ فَالِدِ الدَّهْرِ يَقْطَانُ^(٨)؛
أَبْعَدُ جِمْنَصٍ تَغْرُ الْمَرْءَ أَوْطَانُ؟
وَمَا لَهَا مَعَ طَوَالِ الدَّهْرِ نِسَانُ.

(١)

- (٢) سُلُوكٌ: شَرَابٌ يَجْعَلُ النَّاسَ يَسُونُ (يَفْتَحُ الْبَيْنَ) مَصَافِيهِمْ.
(٣) ذَهَى: أَصَابَ بِدَاهِيَةٍ (مُصِيبَةٍ). الْجَزِيرَةُ (الْأَنْدَلُسُ). أَحَدُ (جَبَلٍ قَرِبَ الْمَدِينَةِ) تَهْلَانُ: جَبَلٌ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ.
(٤) خَلَّتْ: أَصَابَهَا (أَصَابَتِهَا) الْعَيْنُ (مِنْ الْحَدِّ). ارْتَزَأَ (أَصِيبَ بِرُزْءٍ: مُصِيبَةٍ كَبِيرَةٍ).
(٥) الْقَاعِدَةُ: الْعَاصِمَةُ (مَرْكَزُ الدَّوْلَةِ).
(٦) الْحَقِيقَةُ: الْإِسْلَامُ. الْهَيَّانُ: الْحُبُّ الشَّدِيدُ الْحُبُّ.
(٧) الْمَنَابِرُ: مَجْلِسٌ فِي قِبْلَةِ الْمَحْدِ يَقِفُ فِيهِ الْإِمَامُ عِنْدَ الصَّلَاةِ (كَتَابَةِ عَنِ الْمَاسِجِدِ). جَامِدَةٌ (مِنْ جَمَادٍ).
(٨) وَمَعَ ذَلِكَ نَهَى تَحَسُّنًا بِالْمُصِيبَةِ. الْعُودُ: غُصْنُ الشَّجَرَةِ (الْحَشْبِ).
(٩) سِنَةٌ (بِكسر فَتَح): الْعَامُ.

يا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْبَيْضَاءُ رَأَيْتُهُ،
يا رَاكِبِينَ عِثَاقَ الْخَيْلِ ضَامِرَةً
وَحَامِلِينَ سِوْفَ الْهِنْدِ مُرْهَفَةً
وَرَاتِعِينَ وَرَاءَ الْبَحْرِ فِي دَعَاةٍ
أَعِنْدَكُمْ نَبَأٌ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ؟
كَمْ يَسْتَفِيتُ بَنُو الْمُسْتَظْفِقِينَ، وَهُمْ
مَا ذَا التَّقَاطُعِ فِي الْإِسْلَامِ بَيْنَكُمْ،
أَلَا نَفُوسٌ أَيْبَاتٌ لَهَا هِمَمٌ!
يَا مَنْ لِدَلَّةِ قَوْمٍ، بَعْدَ عِزَّتِهِمْ،
بِالْأَمْسِ كَانُوا مُلُوكًا فِي مَنَازِلِهِمْ،
فَلَوْ تَرَاهُمْ حَيَارَى لَا دَلِيلَ لَهُمْ
وَلَوْ رَأَيْتُ بُكَاهِمَ عِنْدَ بَيْنِهِمْ
يَا رَبُّ أُمٍّ وَطِفْلٍ حَيْلَ بَيْنَهَا
وِطْفَلَةٍ مِثْلَ حُصْنِ النَّمِسِ إِذْ بَرَزَتْ،
يَقُودُهَا الْغُلُجُ لِلْمَكْرُوهِ مُكْرَهَةً
لِمِثْلِ هَذَا يَذُوبُ الْقَلْبُ مِنْ كَمَدٍ،
أَدْرِكُ بِسَيْفِكَ أَهْلَ الْكُفْرِ، لَا كَانُوا^(١).
كَأَنَّهُا فِي مَجَالِ السَّبَقِ عُفْيَانُ^(٢)،
كَأَنَّهُا فِي ظَلَامِ النَّفْعِ نِيرَانُ^(٣)،
لَهُمْ بِأَوْطَانِهِمْ عِزٌّ وَسُلْطَانُ^(٤)،
فَقَدْ سَرَى بِمَحْدِثِ الْقَوْمِ رُكْبَانُ.
أَسْرَى وَقَتْلَى، فَمَا يَهْتَزُّ إِنْسَانُ!
وَأَنْتُمْ - يَا عِبَادَ اللَّهِ - إِخْوَانُ!
أَمَا عَلَى الْخَيْرِ أَنْصَارٌ وَأَعْوَانُ!
أَحَالَ حَالَهُمْ كُفْرٌ وَطُفْيَانُ.
وَالْيَوْمَ هُمْ فِي بِلَادِ الْكُفْرِ عُبدَانُ.
عَلَيْهِمْ مِنْ ثِيَابِ الدُّلِّ أَلْوَانُ،
هَلَالِكَ الْأَمْرُ وَاسْتَهْوَتْكَ أَحْزَانُ.
كَمَا تَفَرَّقُ أَرْوَاحٌ وَأَبْـدَانُ،
كَأَنَّا هِيَ يَاقُوتٌ وَمَرْجَانُ،
وَالْعَيْنُ بَاكِئَةٌ وَالْقَلْبُ حَيْرَانُ^(٥).
إِنْ كَانَ فِي الْقَلْبِ إِسْلَامٌ وَإِيمَانُ!

- عمل الشعر

قال الرُّنْدِي^(٦): يَنْبَغِي لِمَنْ يَوْمُ عَمَلِ الشَّعْرِ أَنْ يَتَحَرَّى أَوْقَاتَ الْفَرَاغِ وَأُمُكِنَةِ

- (١) البَيْضَاءُ رَأَيْتُهُ (كناية عن المجد والقوة والظفر).
(٢) الفرس السبق: الأصيل. الصامر (الحيل الحصر) ويكون عادة سريعاً. العقاب (بضم العين): طير من الكواثر (كالسر) تشبه به الخيل لقوة بدنه وسرعة انقضاضه.
(٣) مرهف: رقيق الحد. النفع: غبار الحرب. - تلمع سيوفهم لثدة جلائها وصفائها.
(٤) رتع: عاش في الحصب والسم كما يشاء. وراء البحر (في الفارة الإفريقية). الدعاة: السمة في العيش مع الاطشنان.
(٥) الطلج: الكافر من غير العرب. المكروه: (الفضل الفبيح).
(٦) من «تاريخ القديس الأدي في الأندلس لمحمد رصوان الداية» (ص ٤٤٠ - ٤٤١).

الخلوة و(ألا) يعمل شيئاً من الشعر حتى يشتهي. فإن الشهوة نعم المعين. وإذا سئم فليرخ نفسه ولا يكره طبعه. و(يخس أن) يطالع من أشعار الناس ما يستجده في المعنى الذي يريده، فإن من أمثاله: الكلام من الكلام وينبغي ألا يقبل كل ما يتعنه هاجسه وتفتت به وساؤه^(١). بل ينقح ويختار ولا يذهب إلى الاستكثار. وإذا قرع من شعره تبتت في أمره فتأمله مرتين ورجع البصر فيه كرتين. فكثيراً ما سودت وجوه المبيضات (٢) بالتغير، وأدى العجل إلى الندم والتحير. و(كذلك) ينبغي أن يعرض كلامه على من يثق بمعرفته ونصيحته، فإن الإنسان لا يرى عيب نفسه، والمرء - كما قيل - يفتن^(٣) بآبئه وشعره. وقد يفرض للشاعر أن يرتج عليه فيكمم حده ويصلد زنده^(٤) ولا يستطيع أن ينظم شيئاً. وقد يتأتى له (من) حسن البديهة وجودة القرينة ما يفتجبه منه.

٤- ** الذيل والتكملة ٤: ١٣٦ - ١٣٩ (رقم ٢٦٣). نفع الطب ٣: ٣٤٧ - ٤: ٤٧. ٤٨٦ - ٤٩٠. أزهار الرياض ١: ٤٧ - ٤٩: بروكلس. الملحق ١: ٨٦٠. ٢: ٩٢٥: نيكول ٣٣٧ - ٣٣٩: مختارات نيكول ٢٠٠ - ٢٠٢: الأعلام للزركلي (٣: ١٩٨): تاريخ النقد الأدبي لمحمد رضوان الداية ٤٣٢ - ٤٤٠: تاريخ النقد العباسي لإحسان عباس ٥٣٨ - ٥٣٩: مجلة العربي (الكويت) ١٩٧٣/٧. ص ١٠٢: ٤/١٩٧٤ (لأكرم زعتر) ص ٧.

حازم القرطاجني

١- هو أبو الحسن حازم بن محمد (سرقنطة ٥٥٤ - قرطاجنة ٦٣٢ هـ) بن حسن بن

- (١) الهاجس: الحاطر (ما يبدو في فكره من غير أن يقصده). نعت: نفع. الواس: ما يحدث الإنسان به نفسه في أوقات فراغه (تأمل لا فائدة منه أو مما فيه خوف). والمقصود هنا حديث النفس عامة.
- (٢) يفتن (في الأصل بشدة على النون): أي يفتن أو يكثر من العيون (ولا معنى له هنا). والمقصود يفتن (بالساء للمجهول): أي يدخل عليه شيء من الرهو أو محاسة الحق. وفي القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتْنَةٌ﴾ (سورة النفاق: ٦٤: ١٥).
- (٣) أرتج (بالساء للمجهول) على الشاعر: استغلق (انصغى) عليه الكلام. كهم السيف بكمهم (بفتح الهاء فيها): كل. ضف (لم يقطع). صلد يصلد (بضم اللام فيها): صلب (بضم اللام). الرند: حديدة ترفع بها البار من الحارة.

محمد بن خلف بن حازم الأوسي الأنصاري القرطاجي، نسبة إلى قرطاجنة التي بشرقي الأندلس، وفيها وُلِدَ سَنَةَ ٦٠٨ (١٢١١ - ١٢١٢ م).

بدأ حازم القرطاجي تلقي العلم في بلده على والده ثم لقي نفراً من شيوخ عصره. وتنقل في طلب العلم بين مرسية وإشبيلية وغرناطة، ولقي في إشبيلية أبا علي الشلوبين فنصح له أبو علي بدرس الفلسفة القديمة (اليونانية)، فاطلع على أشياء منها.

ولما بدأ الإسبان بالاستيلاء على شرقي الأندلس - على بياسة (٦٣٢ هـ) وبلنسية (٦٣٦ هـ) وشاطبة ودانية (٦٣٨ هـ) - أثر حازم أن يرحل، فانتقل إلى المغرب وقضى في مراكش العاصمة حيناً من الزمن مدح في أشائه السلطان الموحدي أبا محمد عبد الواحد الرشيد (٦٣٠ - ٦٤٠ هـ). ثم إنه انتقل إلى تونس الحاضرة وأتخذها دار إقامة ومدح ملوكها المحفصين: أبا زكريا الأول (٦٢٦ - ٦٤٧ هـ) والمستنصر (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ) والواثق (٦٧٥ - ٦٧٨ هـ).

وكانت وفاة حازم القرطاجي في تونس في ٢٤ رَمَضَانَ من سَنَةِ ٦٨٤ (١٢٨٥/١١/٢٤ م).

٢ - كان حازم القرطاجي رجلاً واسع الدِّراية بأوجه كثيرة من فنون المعرفة النظرية: في اللغة والنحو والبلاغة والشعر والفلسفة، ولكنه لم يتعرض لإفادة الناس بما كان يعلم. وكان أديباً ناثراً قديراً وشاعراً مجيداً طويل النفس ينطوي شعره على أغراض كثيرة. ويغلب على شعره استجاء المعاني والتأنيق البلاغي أيضاً. وكان ناقداً بارعاً. ثم هو مُصَنِّفٌ له: سراجُ البلغاء أو منهاجُ البلغاء وسراجُ الأدباء (في البلاغة وفي المناهج الأدبية في النقد ونظم الشعر). ويبدو أنه قد تأثر - في جانب من هذا الكتاب - بالآراء اليونانية كما عرّضها أرسطو (ت ٣٢٢ ق. م.) وما عرّفه من كتاب الشفاء لابن سينا (ت ٤٢٨ هـ) من الجُملة الأولى^(١): الفن الثامن (الخطابة) والفن التاسع (الشعر). ولحازم القرطاجي ديوان شعر - المقصورة (عارض فيها ابن

(١) الجملة الأولى (المجموعة الأولى: المجلد الأول).

دريد) - العروس - القوافي - التجنيس - شدّ الزبار على جفلة الحمار^(١).

٣- مختارات من آثاره

- قال حازم القرطاجني يمدح المستنصر الحفصي^(٢)

أُحْبِيتَ وَحَدَّكَ بِالْجَمَالِ الْمَطْلُوقِ؟ أَمْ قِيلَ إِذْ قُيِّمَ الْجَمَالُ - لَكَ: اتَّقِ^(٣)!
فَلَقَدْ جَرَيْتَ مِنَ الْجَمَالِ لِفَايَةٍ أَصْبَحْتَ فِيهَا سَابِقاً لَمْ تُلْحَقْ.
مَا عُدُّرُ مَنْ لَمْ يَلُ مَّا قَدْ جَنَّتْ عَيْنَاكَ؟ بَلْ مَا عُدُّرُ مَنْ لَمْ يَسْتَقِ؟^(٤)
أَخَذَ الْهَوَى عَهْداً عَلِيًّا، فَلَمْ أُطِيقْ تَقْضَا لَهَا أَخَذَ الْهَوَى مِنْ مَوْتِي.
وَبِمُهْجَتِي مِنْهَا الَّتِي - مِذْ مُلَكْتُ رِقُّ الْقُلُوبِ لِحَاطُهَا - لَمْ تُتَقِ.
عَقَدَ الْجَمَالُ وَشَاحَهُ مِنْهَا عَلَى خَصِرٍ بِالْحَاطِظِ الْعَيُونِ مُنْطَقِ^(٥).
وَأَجَلْتُ فِي إِثْرِ الشَّبَابِ وَإِثْرَهَا - لَمَّا نَأَتْ وَنَأَى - لَوَاحِظٌ مُتَفِيقِ^(٦).
وَبَكَيْتُ أَيَّامَ الشَّبَابِ كَمَا بَكَى حَسَنُ أَيَّاماً حَسَنٌ مَجْلُوقِ^(٧).
وَرَأَيْتُ أَيَّامَ النِّعَمِ قَدْ انْقَضَتْ لَمَّا انْقَضَى شَرُّ الشَّبَابِ الْمُوْتِقِ^(٨).

(١) الزبار: شاق (بالكسر: حبل أو سير من جلد) شدّه به البيطار جفلة (شفة) الدابة لتقاده به وتذلّ إذا

استمضت على راکها أو قائدها (راجع تاج العروس - الكويت ١١: ٤٨٣ ثم راجع ٤٦٤)

(٢) هو المستنصر بالله أبو عبد الله محمد بن يحيى الحفصي سلطان تونس (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ) كان عمرانياً مشهوراً أرسل إليه أهل الحجاز يبعثهم بالخلافة فسرّ بذلك وتلقّب «أمير المؤمنين». وفي أيامه غزا لويس التاسع ملك فرنسا (القديس لويس) تونس. ولكنّه هُزم وقتل (٦٦٩ هـ ١٢٧٠ م).

(٣) حبا: أعطى. اتقى (من الاتقاء): فعل أمر (اختر، تحبّر).

(٤) سلا بولو: نسي، نسى (عن مصيبة أو أذى سابق): جنى: أحرّم. أذنب.

(٥) بالحافظ العيون منطوق (عليه نطق): زئار: التأتى ينطرون إليه بكثرة حتى كأن عيونهم قد أصبحت كالزئار حول خصمه.

(٦) نظرت إلى شبابي الماضي وجمالها الحاضر لَمَّا نَأَتْ (ابتعدت هي عني) ونأى (شبابي: مضت أيام شابي).
لَوَاحِظٌ مُتَفِيقٌ (نظرات رجل حزين).

(٧) حسان بن ثابت الأصبغى (ت ٥٤ هـ). حَسَنٌ (كَنَ حاناً). حَلَقٌ (عاصمة العاسنة في حوران). ولعلّ للإشارة هنا إلى قول حسان:

لله دَرٌ عِصَابٌ نَادِمَتُهُمْ يَوْمَ عَلَّقَ فِي الرِّمَاسِ الْأَوَّلِ!

(٨) شرح الساب: عموامه وقوته وهورته. الموتى: الذي يحس مرآة في العين.

ثم ينتقل الشاعر إلى المديح:

بَنَدَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تَبَجَّسَتْ سَحْبُ الْمَكَارِمِ وَالسَّاحِ الْمُنْدَقِ^(١) .
 كَمْ فَرَقْتُمْ مِنْ شَمَلٍ مَالٍ فِي النَّدَى مِنْهُ مَكَارِمُ كَالسَّحَابِ الْغَيْدَقِ^(٢) .
 وَلَكَمْ أَثَارَتْ خَيْلُهُ مِنْ عَارِضٍ صَخْبِ الرُّوَاعِدِ لِلْأَعَادِي مُصْغِقِ^(٣) ،
 سَبَّتِ الْعِيدَا حَتَّى غَدَّوْا أَيْدِي سَبَا، وَتَمَرَّقُوا فِي الْأَرْضِ كُلَّ مُمَرَّقِ^(٤) .
 قَادَ الْكَيْمَاءَ إِلَى الْعُدَاةِ، لِبُوسِهِمْ يَبِيضُ تَرَجَّرَجُ فَوْقَهُمُ الْكَارِثِيُّ^(٥) .
 أَخْلِيفَةُ اللَّهِ الَّذِي مَذَّ حَقَّقَتْ أَمْوَالُهُ آمَالَنَا لَمْ تُخْفِقِ^(٦) ،
 جَلَيْتَ عَنَّا لَيْلَ كُلِّ ضَلَالَةٍ بِهَدَايَةِ مِثْلِ الصَّبَاحِ الْمُشْرِقِ^(٧) .
 أَجْرَى أُمُورَ الْخَلْقِ عَدْلُكُمْ عَلَى شَرَعَ الصَّلَاحِ الشَّامِلِ الْمُتَوَسِّقِ^(٨) .
 أَذْكَيْتَ مِنْ طَرَفِ السَّانِ لِرِغْبِهِمْ طَرَفًا بِهِ سِنَّةُ الْكَرَى لَمْ تَعْلَقِ^(٩) .
 مَا زَالَ فِي حِفْظِ الرِّعْيَةِ سَاهِرًا وَمُورَقًا لِيُنِيمَ كُلُّ مُورَقِ^(١٠) .

- ومن غزلة في مطلع قصيدة في المديح:

- (١) الندى: الكرم. تبجس: تمجّر (جرى بكثرة). المندق: الكثير (السحاب المندق: ذو الماء الكثير).
- (٢) الغيدق: الواسع من العيش (المفروض أن يقول في هذا البيت: كالسحاب المندق، وأن يقول في البيت الذي سبق: والسحاب المندق!).
- (٣) العارض: الغيم الكثير الذي يمتريض (يبدّ) الأفق. صخب: شديد الصوت. مصغق: قاتل.
- (٤) سبي: أسر. أيدي سبا: متفرقين متباعدين في الأرض.
- (٥) الكمي: الشجاع، البطل. لبوسهم (لباسهم، على أبدانهم) يبيض (درع من حديد. يبيض: جديدة) ترجرج (تترجرج، تتحرك أجزاؤها بسهولة للنبها، دلالة على جودتها).
- (٦) حققت أمواله آمالنا (كانت عطاياه لنا كثيرة كثرة بلغت بها كل ما نريد). أخفق: خاب.
- (٧) جلّيت عنا: كشفت عنا.
- (٨) المتوسق: المجمع والمنظم.
- (٩) أذكى: أوقد. السان: حديدة في رأس الرمح. السنة (بكسر السين): النعاس، النوم. الطرف: العين. الكرى: النوم. - أنت ترعاهم بطرف (يسكون الرء: عين) شديدة اليقظة (بفتح الفاء) مثل طرف (يفتح الرء) السان. به سنة الكرى لم تعلق لم يبق.
- (١٠) المؤرق (الذي هرب النوم عنه) - مؤرقاً (بإرادته) ليجعل المؤرق محوادث الدهر) بهام (يزيل أسباب أرقه: يبدّ له حاجاته).

بِمَا طَيَّبَتِ الْعَفْرَ الْحَالِي مُوَالِفَةً،
 وَبِمَا شَقِيقَةً بَدَرَ التَّمَّ، لَوْ أَمِيتُ
 حَاشَا لِلْحَظِيكِ أَنْ يُعْزَى إِلَى رَشَا
 وَلِإِتْسَامِكِ أَنْ يُعْزَى إِلَى زَهْرٍ
 مَا خِلْتُ قَبْلَكَ أَنْ أَرُونِي إِلَى قَمَرٍ
 سُلْطَانُ حُسْنِكَ مَذْ دَانَتْ بِطَاعَتِهِ
 بِمَا عَازِلِي فِي الْهَوَى، أَقْصِرْ فَلَسْتُ أَرَى
 إِنَّا، بَنِي الْحُبِّ، لَا نُضْعِي إِلَى عَدَلٍ
 وَأَعْلَمْنِي بِأَنْ اللَّيْلَ مُوَعِدُنَا،
 حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ أَخْفَى الشَّخْصَ عَنْهُ
 وَافِيتُ مَنَزِلَهَا وَالنَّجْمُ يَرْمُقُنِي
 فَبَسْتُ مُجْتَلِيًا لِلْبَدْرِ مُجْتَنِيًا
 حَتَّى إِذَا الصُّبْحُ أَتَانَا بِطَلْعَتِهِ
 مِنْ قَلَدِ الْحَلْيِ آرَامًا وَغَيْرَلَانَا^(١)
 - كَمَا أَمِيتَ - بِدَوْرِ التَّمِّ تَقْصَانَا^(٢)
 إِذَا تَلَقَّتْ نَحْوَ السَّرْبِ وَسَانَا^(٣)،
 إِذَا غَدَا بِسَقِطِ الطَّلِّ رَيَانَا^(٤)،
 مُقْلَدًا أَنْجَا زَهْرًا وَشَهَانَا^(٥)
 قُلُوبُ أَهْلِ الْهَوَى لَمْ تَنْوَعْ عِصْيَانَا
 مُقْصَرًا فِي الْهَوَى عَنْ شَاوِ غِيلَانَا^(٦)،
 وَلَا نُمِيلُ إِلَى الْعَدَالِ آدَانَا^(٧)،
 فَظَلَّتْ مُرْتَبِيًا مِيقَاتِ لُقْيَانَا
 فَلَمْ يَكُنْ يُنْصِرُ الْإِنْسَانَ إِنْسَانًا^(٨)،
 حَتَّى لَكِدْتُ أَطْرُقُ النَّجْمَ غَيْرَانَا^(٩)،
 مِنْ رَوْضَةِ الْحُسْنِ تَفَاحًا وَرُمَانًا^(١٠)،
 بَرْدُ السَّوَارِ فَأَذْكِي الْقَلْبَ نِيرَانًا^(١١)

- (١) العفر: وجه الأرض، التراب. الحالي: المزمع. الخالي (الخالص الطيبي). الرثم: الغزال الأبيض.
 (٢) بدر التَّم: القمر ليلة أربع عشرة. هو ينقص بعد غامه، وأنت أمتت النقصان (تظلين جبلة كما أنت الآن).
 (٣) يعزى: ينسب. رشاً: غزال صغير. السرب: قطع الغزلان. أنت أجل من جمع الغزلان.
 (٤) الطل الذي يسقط. سقبط الطل (الندى الذي يسقط في الليل). ريان: ندى. طري.
 (٥) أرنو (أنظر) إلى قمر (قناة جبلة). الزهر: اللامعات. التهان جمع شهاب: حجر يخرج من مداره حول القمر، فإذا مر في جو الأرض اشتعل وأضاء....
 (٦) العادل: اللاتم. أقصر: انته. توقف. مقصر: متأخر. شاو: النوط، الغاية. غيلان مئة ذو الرمة (ت ١١٧ هـ) شاعر أموي محب، قيل إنه طاف بالمكان الذي تسكن فيه حبيته مئة عاماً كاملاً ثم رأى حاربتها فغاد مسروراً لأنه رأى من رآها!
 (٧) العدل: اللوم.
 (٨) المهيب: الظلمة.
 (٩) وافى: جاء، وصل. رمق: نظر إلى.
 (١٠) محتلاً: ناظرًا. محتسباً = جانباً، قاطعاً. التفاح كناية عن الحدود. الرمان كناية عن الثديين.
 (١١) - شمر بأن الصبح طلع من شعورنا يبرد أجسامنا! أذكي: أشعل.

مالتُ نُوْدُعُنِي والدمعُ يَغْلِيها على الكلام فلا تَسْطِيعُ بَيَانا .
أدنى التعانقُ شَخْصِيْنَا وَضَمَّها لَفَّ النواعم بالأغصان أغصانا^(١) .
فيا لها ليلة ما كان أقصرها وقتاً، وأفسحها في الحُسْن مِيدانا .

- وقال حازم القرطنجي يرُدُّ على أرسطو^(٢) في زعمه أنَّ الأقاويل الشعرية لا تكون إلَّا كاذبة:

وإنَّا غَلَطُ في هذا- فظنَّ أنَّ الأقاويلَ الشعرية لا تكونُ إلَّا كاذبةً- قومٌ من المتكلمين^(٣) لم يكنْ لهم علمٌ بالشعر، لا من جهةٍ مزاولته ولا من جهة الطُرُقِ الموصلة إلى معرفته .

ولا مُرَجَّحٌ على ما يقوله في الشيء من لا يَعْرِفه ولا التفاتٌ إلى رأيهِ فيه فإنما يُطَلَّبُ الشيءُ من أهله، وإنَّا يُقْبَلُ رأيُ المرء في ما يَعْرِفه. وليس هذا جُرْحَةً للمتكلمين ولا قَذْحاً في صيانتهم، فإنَّ تَكَلُّفَهُمْ أن يتعلَّموا في طريقتهم ما ليسَ منها شَطَطٌ. والذي يُوَرِّطُهُمْ^(٤) في هذا أنهم يحتاجون إلى الكلام في إعجاز القرآن^(٥) فيحتاجون إلى ماهية الفصاحة والبلاغة من غير أن يتقدَّم لهم علمٌ بذلك، فيُفَرِّعون^(٦) إلى مطالعة ما تيسَّر لهم من كُتُب هذه الصَّنَاعة. فإذا فَرَّقَ أحدهم بين التَجْنِيس والتريد، وماز الاستعارة من الأوصاف^(٧)، ظنَّ أَنَّهُ قد حَصَلَ على شيء من هذا العلم فأخذ يتكلم في الفصاحة بما هو مخضُّ الجهل.....

(١) لَفَّ النواعم..... كما يلفَّ بعض الأغصان الناعمة بعضها الآخر (بسهولة وإسهاب تام).

(٢) أرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ ق. م.) فيلسوف اليونان عبر سارخ وأكبر فلاسفة العالم بإطلاق، كان مثل أساذه أفلاطون (٤٢٨ - ٣٤٧ ق. م.) يرى أنَّ الشعر من حيز الخيال والتقليد بعيداً عن الواقع.

(٣) المتكلمون: الذين يداومون عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية (باستخدام الفلسفة).

(٤) الشغط: الجور (الظلم) في الحكم. يورطهم: يحملهم على الدخول فيها لا يريدونه.

(٥) إعجاز القرآن: بحمى المادَّة في القرآن الكريم والتعير عنها بما يحزر البشر عن الإتيان مثله.

(٦) فرع إلى: لحاً.

(٧) التجنيس: الإتيان بكلمتين متقنيتين (أو متقاربتين) في اللفظ مختلفتين في المعنى، كقول أبي تمام: بيض

الصفائح (اليوف) لا سود الصفائح (الصفحات المكتوبة).... أما التريد فهو المعية بكلمة واحدة

ستعمل في الحملة مرتين في علاقيتين مختلفتين، كقول زهير بن أبي سلمى:

ومن هباب أساب المأبى يلبسه، وإن يرق أساب السماء سلّم. =

- المناسبة بين فنون الشعر وأوزان الشعر (من منهاج البلغاء، ص ٢٦٦):

..... ولما كانت أغراضُ الشعر شتى، وكان منها ما يُقصدُ به الجَدُّ والرِصانة وما يُقصدُ به المَزَلُّ والرشاقة^(١)، ومنها ما يقصد به البهاء والتفخيم وما يقصد به الصغار والتحقير، وجب أن تُحاكى تلك المقاصد بما يُناسبها من الأوزان ويُخيلها للنفوس. فإذا قصدَ الشاعرُ الفخرَ حاكى غرضه بالأوزان الفخمة الباهية الرصينة، وإذا قصد في موضعٍ قصداً هزلياً أو استخفافياً وقصدَ تحقيرَ شيءٍ أو القَبْثَ^(٢) به حاكى ذلك بما يُناسبه من الأوزان الطائشة القليلة البهاء، وكذلك في كلِّ مقصِّدٍ. وكانت شعراء اليونانيين تلتزم لكلِّ غرضٍ وزناً يليقُ به ولا تتعداه فيه إلى غيره^(٣).

وهذا الذي ذكرته في تحييل الأغراض بالأوزان قد نبه عليه ابنُ سينا في غير موضعٍ من كتبه، ومن ذلك قوله في الشفاء^(٤) في تعديد الأمور التي تجعل القول مُخيلاً: منها أمورٌ تتعلَّقُ بزمان القولِ وعدَدِ زمانه - وهو الوزنُ - ومنها أمورٌ تتعلَّقُ بالسموع من القول، ومنها أمورٌ تتعلَّقُ بالمفهوم من القول، ومنها أمورٌ تتردَّد بين المسموع والمفهوم.

- مكانة الفكر في الشعر (منهاج البلغاء، ص ٣٤١، ٣٤٢):

اعلم أنَّ خيرَ الشعر ما صدرَ عن فكرٍ ولعٍ بالفنِّ والغرضِ الذي القولُ فيه مراتجُ

= الأسباب الأولى معلقة بالمايا ومعناها (علل)، والأسباب الثانية منعلقة بالسواء ومعناها (الهمال، السلام). والفرق هنا بين الجناس والترديد أنَّ الشاعر هو الذي أتى بالكلمة ثم استخدمها في وجهين (مع العلم بأن استعمال السب في علاقته بالسواء قد جاء في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿فليندسب إلى السواء ثم ليقطع فليسطر﴾ (الحج، ١٥: ٢٢). والاستعارة نسبة الفعل إلى غير صاحبه، نحو: وليل كموج البحر أرحى سدوله على. فإنَّ امرأ القيس استعار لليل سدولاً وجعل له أيدياً يرخي بها السدول ويرفعها كما يفعل النسر) والوصف (هنا) ما كان قريباً من التشبيه (لأنَّ الاستعارة تشبيه حذف أحد طرفيه) كنول ابن الرومي مثلاً: «ورازقني غنطف (بضم فسكون فتفتح) المحصور»، فهو يصف نوعاً من القصب محصوراً من أوسطه. هذا الوصف قريب من التشبيه ومن الاستعارة ولكن أركان التشبيه والاستعارة فيه غير واضحة.

(١) يفصد بالرشاقة: النظرف والتملح (ذكر أشياء تسرَّ النفس ولكن لا جدَّ فيها).

(٢) الصب: التلهي واللعب.

(٣) كان الشعراء اليونانيون (أو شعراء اليونانيين) يناسون بين الغرض الذي يعالجونه والبحر الذي ينظمون أبيات ذلك الغرض عليه. وكذلك كان العرب أيضاً ينظمون.

(٤) الشفاء كتاب جامع لفظة ابن سينا (ت ٤٢٨ هـ = ١٠٣٧ م).

للجهة والمنحى الذي وَجَّهَ إليه كلامه لإقباله بكلِّيته على ما يقوله وتوفير نشاطِ الخاطر وحديثه بالانصباب معه حيث مال به هواه^(١). ولهذا كان أفضل النسيب ما صدر عن نفس شجيَّة وقريحة قريحة^(٢). وكذلك الإخوانيات^(٣) والمرائي وما جرى هذا المجرى.

.... واعلم أن المنحى الشعري، نسيباً كان أو مدحاً أو غير ذلك، فإن نسبة الكلام المقول فيه إليه نسبة الفلادة إلى الجيد^(٤). (ذلك) لأن الألفاظ والمعاني كالآلي، والوزن كالسبك، والمنحى الذي هو مناط الكلام وبه اعتلاقه كالجيد له. فكما أن الحلي^(٥) يزداد حسنه في الجيد الحسن، فكذلك النظم إنما يظهر حسنه في المنحى الحسن. فلذلك وجب أن يكون من له قوة التشبه^(٦) المذكورة أكمل في هذه الصناعة ممن ليست له تلك القوة.

- من مقصورة حازم القرطاجني^(٧)

هذه المقصورة ألف وستة أبيات، أورد منها، بعد قليل، مائة وخمسة وثلاثين بيتاً. والأصل في المقصورة أن تكون قوافيها صينفاً مشتقة من أفعال ناقصة (معتلة الآخر بالواو أو بالياء). وكان ابن دريد (ت ٣٢١ هـ) - صاحب المقصورة التي عارضها حازم القرطاجني - قد لزم هذه القاعدة. وإذا كان ابن دريد قد جاء^(٨) في مقصورته بكلمة

(١) إلى حيث تميل به عاطفته.

(٢) ... ما صدر (خرج) عن نفس شجيَّة (حزينة) وقريحة (فكر) قريحة (مقروحة، مجروحة، معدبة).

(٣) الإخوانيات: رسائل يبادلها الأصدقاء خاصة (تثراً أو شراً).

(٤) الفلادة: العقد. الجيد: العنق.

(٥) كذا منقوطة ومشكولة في الأصل. والمقصود الحلي (يفتح الحاء وسكون اللام وبالياء، المنقوطة بنقطتين من تحتها): ما يزين به من مصوغات المدنيات والحجارة (القاموس ٤: ٣١٩) وهي مفردة تاسب الضائر المذكورة في النص. أما الحلي (بضم فكسر فتشديد، كما في الأصل) فهي جمع وتقتضي أن تكون الضائر بعدها مؤنثة.

(٦) التشبه (كما في الأصل). المقصود النخل أو التشبيه.

(٧) حوليات كلية الآداب - جامعة ابراهيم (عين شمس) المجلد الثاني (١٩٥٣ م): مقصورة أبي الحسن حازم القرطاجني - تحقيق النص للدكتور مهدي علام، ص ١ - ١١٠.

(٨) شرح مقصورة ابن دريد، مصر (محمد علي صبيح) بلا تاريخ (راجع ص ١٠).

«سوى» (مكان «سواء»)، فإن له عذراً من جواز ذلك في اللغة (راجع القاموس ٤: ٣٤٥، السطر ١١)، وإن كانت كلمة «سواء» أفصح وأشهر. أما حازم القرطاجني فقد تاهل أحياناً فأهمل الهمزة في عددٍ من الألفاظ فقال، مثلاً، الظما، يُبتدا، السماء، الدواء، ابن دُكا، طيبُ الثنا، منشور اللوا، رقا (ص ٢٣، ٢٦، ٥٩، ٧٣، ٨٢، ١٠٤)، مكان الظما، يُبتدا، السماء، الدواء، ابن دُكا، طيب الثناء، منشور اللواء. رقا. وأبعد من ذلك كله في القافية المقصورة قوله «الهناء» (ص ٤٦) مكان «الهناء»-. وليست هذه الألفاظ التي تُشير إليها هنا من باب القوافي المقصورة.

نظم حازم القرطاجني هذه المقصورة في مديح المستنصر بالله (أي عبد الله محمد بن أبي زكريا يحيى) خامس سلاطين الحفصيين في تونس (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ). وذكر حازم نفسه أنه طوى مقصورته هذه على عددٍ من الفنون والأغراض (ص ١٦) من مدح وغزل وحكمة ومثل ومن وصف البلدان والرياض والأزهار والأزمان والبحار والصيّد والقتص والوعظ والقصص. ثم قال إنها قصيدة من الرجز غير مشطورة (أي تفاعيلها ثامة: مستفعلن مستفعلن مستفعلن)، عارضتُ بها قصيدة أبي بكر بن دريد المقصورة».

ومدح حازم القرطاجني بمقصورته هذه المستنصر بالله الحفصي مدحاً كثيراً (ص ١٥ - ١٧، الخ). ولكن هذه المقصورة متفاوتة في الجودة: فيها أبياتٌ سائرة وأبياتٌ كثيرة الغريب كثيرة التكلف. ثم إن فنونها الكثيرة (مدحاً وغزلاً وخرأً ومجوناً وحكمةً وفحراً وشكوىً وتاريخاً ووصفاً) جعلت تنظيمها مضطرباً، فهو في كثير من الأحيان يأتي إلى التاريخ ثم يغادره إلى فنٍ آخر ثم يعود إلى التاريخ. ومثل ذلك (في الفنون الأخرى) كثير أيضاً.

ولا شك في أن لحازم معرفةً بالغريب (الألفاظ القليلة الدوران على الألسنة) ومعرفةً باستعمالها. ثم إن إشارته إلى الأحداث التاريخية كثيرة. أما أبياته في الوصف والغزل والحكمة ففيها سلاسة وطلاوة.

وفيما يلي نخبَةٌ من هذه المقصورة:

لله ما قد هجئت، يا يومَ النوى،
 لقد جمعتَ الظلمَ والإظلامَ، إذ
 فإن يطل ليلى، فكم قصرته
 وكم تعممتُ بوصلي ناعمٍ
 شفى قُؤادي رشقه، من بعد ما
 وعزني وجسدي بخود غرني
 فلو تجود قذر ما ضنتُ حكنتُ
 خليفة الله المسمى المكتنى
 المرتقى من نسبة المجد التي
 من نعية أصولها ثابتة
 ذاك أبو حفص الذي إلى علا

على قُؤادي من تباريح الجوى^(١)،
 وارتيت شمسَ الحسن في وقت الضحى^(٢).
 بقاصرات الطرفِ يبيض كالدمى^(٣)،
 وباقتناص باغمٍ مثلِ الطلاء^(٤).
 أشفى بقلبي طرْفَه على شفا^(٥).
 عطفتُ لها لأن بقلبٍ قد قسا^(٦).
 جودَ أمير المؤمنين المرتجى^(٧)،
 خير الأسماءِ السامياتِ والكُنَى^(٨)،
 سمو إلى الفاروقِ أعلى مرتقى^(٩).
 وفرغها إلى السماء قد سما^(١٠).
 سميهِ الهادي أبي حفصٍ غما^(١١).

- (١) النوى: البعد، العاد. يوم النوى: يوم الفراق. التباريح: المصائب. الجوى: ألم الحب.
- (٢) وارتيت: أخفيت. - لعل في النظر الثاني إشارة إلى أن محبوبة الشاعر أو قريبة له ماتت وهي في أول شبائها (٤).
- (٣) قاصرات الطرف (البصر) عين (جمع عيناء - بالفتح - الواسعة العينين): النساء الغنيات اللواتي يقصرن (يجسسن) أبصارهن على أزواجهن ولا يمددن بصرهن إلى رجال آخرين. راجع القرآن الكريم (٤٨: ٣٧)، الصافات: ﴿وعندهم قاصرات الطرف عين﴾. الدمية: التمثال الصغير (المرأة الجميلة).
- (٤) ناعم (قناه ناعمة: قنية، صغيرة السن) الباعم: ذو الصوت الجميل (مثل صوت الغزال). الطلى (بالفتح والألف المقصورة): ولد الطسة.
- (٥) رشقه (شرب الرين من فمه). أشفى بقلبي طرفه (نظره، عنه) على شفا: (كاد لحظه أن يلف قلبي، أن يقتلني).
- (٦) عزني (علي) وجدي (شدة حيي، ألم الحب) بخود (امرأة جميلة) غرني (خدعني). العطف: الجانب الأعلى من الجسم. - يتألم عطفها ليلته (قتالها، جالها).
- (٧) صن: بخل. أمير المؤمنين (المنصور الحفصي المدوح بهذه المقصورة).
- (٨) خير الأسماء = محمد. خير الكنى = أبو القاسم (كعبة الرسول).
- (٩) يصل نسه إلى الفاروق أبي حفص عمر بن الخطاب.
- (١٠) راجع القرآن الكريم (١٤: ٢٤، إبراهيم): ﴿كنجرة أصلها ثايت ومرعها في السماء﴾. النبعة: مجتمع جدور النبات (سلة القمح تكون واحدة من مجموع كبير مجتمع).
- (١١) أبو حفص (الأول): الحد الأعلى للأجرة الحفصة الحاكمة في تونس. أبو حفص (الثانية): عمر بن الخطاب. غما: ارتفع، انتب.

وزادَ عبدُ الواحدِ الهادي ابنَهُ
 ثم أتمَّ اللهُ نورَ هَدْيِهِ
 ثم تجلَّتْ آيَةُ اللهِ التي
 بنخلهم، بل نجهم، بل بذرهم،
 محمدٍ سليلِ يحيى بن أبي
 مُستنصرٍ بالله منصورٍ به،
 فرعُ كريمٍ من أصولِ كرمٍ
 إن أمرَ الدهرَ بفتحٍ يأتمرُ.
 حضرته أم البلادَ كلَّها
 كجَنَةِ الخلدِ سرٌّ من رأى
 حُسْنُ البلادِ كلَّها مُجتمعٌ
 أرؤت، أميرَ المؤمنين، سَحْبُ
 طابَتْ به الأيامُ لي حتى لقد
 فيا خليلي، أنصِاني أكوأَ
 بلَغْتَ آرابَ النسي في دولةٍ
 في بُقعةٍ كجَنَةِ الخلدِ التي
 أقسمَ الأيامُ بينَ منظرِ

معالمِ التوحيدِ والهدْيِ عَلَا^(١)
 بنخله يحيى الإمامِ المرتضى.
 بدا بها الحقُّ اليقينُ وجلالُ
 بل شَمِهم ذاتِ السَّاءِ والسَّاءِ^(٢)؛
 مُحَمِّدٌ نجلُ أبي حفصِ الرضا،
 مؤيَّدٌ بعونه على العدا،
 قديرٌ اصطفاها مِنْهُمْ منِ أصطفى،
 وإن نَهَى الدهرُ عَنِ الضَّرِّ أَتَهَى.
 وقُطِبَ ما منها دنا وما قضا^(٣)،
 فبرزَ الخلدُ سرٌّ من رأى^(٤)،
 لها، وكلُّ الصيدِ في جَوْفِ الفراءِ^(٥)،
 من جودكم رَوْضَ الأمانِ فأرتوى،
 ذَكَرْتُ - فيما قد خلا - عَيْشًا خلا،
 تُسَكَّرُ من خمرِ الصَّبَا منْ قد صحا،
 أولتُ يدي أنسى الأيادي واللها^(٦)،
 يرى بها كُلُّ قَوَادٍ ما أَشهى،
 ومنفعَ يَئِنِّي العقولَ والنُهَى.

- (١) زاد (عبد الواحد) هذه المعالم (ارتفاعاً) فوق علاها.
 (٢) السَّاء: الرضة والمكابة العالية. السَّاء: الصود. النور: اللعنان.
 (٣) الحضرة: العاصمة. أم البلاد (أصل كلِّ البلاد، أكبرها). قضا: ابتعد.
 (٤) برزدي: يجهر. الخلد: قصر الخلد في بغداد منذ أيام أبي جعفر المصور ثاني الخلفاء العباسيين مر من
 رأى: مدينة عنى أربعين كيلومتراً شمال بغداد كانت عاصمة للحلقة المعتصم تأسس الخلفاء العباسيين.
 (٥) الفراء: حمار الوحش. «كل الصيد في جوف الفراء» مثل مناء أن صد الفراء أفضل من جمع أنواع
 الصيد.
 (٦) الأرب: الحاجة، العاية. أنسى: أنسى. النسي: الد (وجهاً أيدي). العصور: المعروف الد اوجمه
 أيادي: العمة، العظمة. اللها جمع هوة (بالضم منها): العظمة

وَمَنْعَمَ بِمَطْعَمٍ وَمَشْرَبٍ يُرْضِي الْعُيُونَ وَالْأَنْوَفَ وَاللِّهَامَ^(١)
 وَمَرْكَبَ الْبَاسِ وَمَجْلِسَ وَمَلْثَمَ لِمَرْشَفٍ وَمَهْضَرٍ
 فَالْدَهْرُ عَبْدٌ وَاللَّيَالِي عُرْسٌ، مَنَازِلُ لِلْحُسْنِ تُسَيِّجِلِقْأُ،
 ثُمَّ تَنَادَيْنَا بِقَضْدِ مَنَازِلٍ وَأَتْرَعَسْتُ لِلشَّارِبِينَ أَكُوْسُ
 فَاجْتَمَعَ الْأَنْسُ بِمَجْمَعٍ قَيْسِيَّةٍ حَارِبَتِ الْأَشْجَانَ عَنْهُمْ وَعَتَتْ
 فَلَمْ تَدَعْ هَمًّا عَنَّا، حَتَّى لَقَدْ غَنِيَتْ عَنْهَا بِكُوْسٍ أَدَبٍ
 وَأَثَرَتْ نَفْسِي عَلَيْهَا شَرْبَةً يُرْضِي الْعُيُونَ وَالْأَنْوَفَ وَاللِّهَامَ^(٢)
 فِي مَدْرَسٍ وَمَحْضَرٍ فِي مُنْتَدَى، لِيَمْطَقَ مِنْ أَهْيَفٍ طَاوِي الْحَشَا^(٣)
 وَالْدَهْرُ أَحْلَامٌ كَأَحْلَامِ الْكَرَى^(٤)، وَنَهْرُهَا السَّلَالُ يُنْسِي بَرْدِي^(٥)،
 جَعْنَا فِيهِ السَّرُورَ وَتَدَى^(٦)، مِمَّا حَلَا مَطْعُمُهُ وَمَا حَذَى^(٧)،
 عَلَى عَجُوزٍ وَسَمُهَا وَسَمُ الْفَقَى^(٨)، - مِنْ طَارِقِ الْهَمِّ - عَلَى مَنْ قَدَعْنَا^(٩)،
 كَادَتْ تُشِبُّ كُلَّ هَمٍّ قَدْ عَنَا^(١٠)، تُقْفَى فَيُسْتَفْنَى بِهَا وَيُسْتَفْنَى^(١١)،
 مِنْ ضَرْبٍ يُجْنَى وَرِسْلٍ يُعْتَرَى^(١٢)

- (١) اللها جمع لموة (بالفتح فيها): الحلق (أقصى الفم).
 (٢) المرشف: الفم. ومهضر لمطف (أي: ضم الرجل امرأة إلى صدره). الأهيف: التحيف الجسم. طايوي (ضامر، تحيل) الحشا (البطن).
 (٣) ترد كلمة «الدهر» مرتين في هذا البيت. وأفضل أنا أن أجمل «الدهر» الثانية «المر».
 (٤) منازل (في تونس) تسمى جلقاً (بلداً في حوران - بين سورية وفلسطين اليوم - وبطلقتها الثعراء عادة على دمشق). ونهر تونس (نهر مجردة) السلال: الماء المذب الصافي. يردى: نهر دمشق.
 (٥) ندى المطر الأرض «(بلها)». ندا يندو (جاد، سخا): كثر فيه السرور. «ندى» معطوفة على «جمعنا».
 (٦) أترعت: ملئت. هذا الشراب يحذو: قرص اللسان (يشدته أو مرارته).
 (٧) عجزوز: خمر. وسها: صفتها.
 (٨) التهن (يفتح ففتح): الحزن (بالضم). عتا: ظلم، اشتد. الطارق: الآتي فجأة. يتوهم الشاعر أن شرب الخمر يذهب هموم شاربها.
 (٩) ترد كلمة «عتا» في بيتين متوالين (ص ٥٢، الطران الأولان). عتا (في البيت الثاني): كبر، عظم.
 «كادت تشب كل هم قد عتا» (كادت تجعل كل هم عتي أو كبير همّاً شاباً أو صغيراً جديداً - ؟).
 (١٠) تركت شرب الخمر واستمضت بأحاديث الرجال. هذه الأحاديث يراد بها أيضاً نسيان الهموم، وهي تسمى الهموم أيضاً.
 (١١) أثر: فضل. الضرب (يفتح ففتح): الصل. الرسل (بالكسر): اللبن الحليب. يمتري: يملأ (حديثاً).
 (١٢) من ضرب يجرى ورسل يمتري

كَمْ زُرْتُ فِي تِلْكَ الْمَغَانِي الْقُرُومِ
 لَمَّا غَلَا مَا أَرْخَصْتُ مِنْ وَضْئِهَا،
 مَا حَكَمْتُ عَيْنِي عَلَى قَلْبِي لَهَا
 فِي ذِمَّةِ اللَّهِ فَوَادَّ مَا رَعَى
 إِنَّ تَحَدَّرَ فِي وَصْفِهِ فَإِنَّهُ
 وَنَاطِرٌ يَنْسَعُ كُلُّ نَاطِرٍ
 وَمَنْبَسٌ يَزْدَجِمُ الْبَرْقُ بِهِ
 وَصَحْنُ صَدْرِ مُنْبَتٍ رَمَاتَنِي
 وَفَخِذَانِ آخِذَانِ فَوْقَ مَا
 يَكَادُ يَبْدُو خَصْرُهُ مُنْخَذِلًا
 نَشْوَانٌ مِنْ خَمْرِ الصَّبَا يَحْبُهُ
 ظَنِّي أَذَالَ اللَّبَثُ إِذْ أَدَّى لَهُ؛
 غَانِيَةً تَنْظُرُ مِنْ عَيْنِي رَشًا^(١)
 أَرْخَصْتُ مِنْ دُرِّ الدَّمُوعِ مَا غَلَا^(٢)
 حَتَّى أَنْالَتْهَا بِعَيْنَيْهَا الرُّشَى^(٣)
 ذِمَّتَهُ ظَنِّي بِقَلْبِي قَدْ رَعَا^(٤)
 بَدْرٌ عَلَى غُصْنٍ عَلَى دُغْصٍ نَقَا^(٥)
 مِنْ وَرْدٍ خَدُّ نَاضِرٍ أَنْ يُجَنِّسَ^(٦)
 إِذَا أَنْبَرَى مَا بَيْنَ ظَلَمٍ وَلَمَى^(٧)
 حُسْنٍ، وَبَطْنٌ مُنْطَوٍ طَيُّ الْمَلَا^(٨)
 ثَمَّا بِهِ مِنَ النِّعَمِ الْمُتَعَذِّي^(٩)
 مِنْ رَدْفِهِ إِذَا تَمَّتْ الْحَيْرَى^(١٠)
 نَشْوَانٌ مِنْ خَمْرِ الدُّنَانِ مَنْ نَجَا^(١١)
 يَا مَنْ رَأَى ظَنِيًّا لِلَيْثٍ قَدْ أَدَّى^(١٢)

(١) العنى: المكان المسكون. القرُوم: جمع أغر وعراء (أبيض، بضاء): عظيمة، وجبهة. الغاسية: المرأة الخسيلة (المنسوبة بمجالها عن الخفي). الرشا: ولد الطيبة.

(٢) الدر: اللؤلؤ. لما بحثت علي عما جادت به على غيري بكت كثيراً

(٣) الرشى جمع رشوة.

(٤) أحسبتها بكل قلبي فلم تحفظ لقلبي تصحيحه. فبات قلبي.

(٥) وجهها كاليد، وقامتها كالغصن، وأردافها كالدهص (القطعة المستديرة من الرمل، الخائب من التفة) من نقا: رمل (أبيض).

(٦) ألاحظها (القاسية) تمنع كل ناظر إليها (محباً لها) أن يعطف ورد حدها (أن يملأها).

(٧) المسم: الفم. البرق (كناية على الأسنان البيضاء). أنبرى (بدا، ظهر). الظلم (بالفتح): طريق الأساس وماؤها (نضارتها وحسن لونها). اللمى (بالفتح): السمرة في التفتين.

(٨) اللادة (بالضم): ثوب يلف به الجسم (وجمعها ملأه - بالضم).

(٩) النعم المتعدي (من التعدي بالطعمة الطيبة المفيدة)

(١٠) منخذل (ليست في القاموس) = منخذول، مقطوع، منقطع (مخافة خصره وعظم ردفه يجلان إلى الرائي أن أحدها سيفصل عن الآخر). الحيرى: شنة (بالكسر) فيها تناقل (بطء)

(١١) الدن (بالفتح) وعاء الخمر الكبير. - أن الذي يصره يطه سكران من الخمر (بما هو سكران من نشاط الشاب).

(١٢) أذال (أ) لعلها أذال (بالدال غير المقوطة): نصر (شخصاً على آخر) غلب أدى: خذل (حده) =

يا ظبيّة حازتْ فؤادي فعدا
يا ليتْ شِعري، مَنْ سلبتْ قلبه
لا تَظلمي إنسانَ عيني في الهوى،
ظننتُ بأنّ اللّومَ يُنسي* خاطري
وَأَسْطَرَفْتُ جُزْبي بَمدانِ الصّبا،
وبسّينَ جَنَبي فؤادٌ لم يَرُغْ
وَأَعْتاضَ مِمّا قد أَفاتَ دهرُه
ظِلُّ أُميرِ المؤمنينَ عَندَه
فإنْ ذوى رَوْضِ الصّبا، فجوّدُه
فلا تَظنّي أنّني آسى لِمَا
قد مارستُ نَفْسي حالي دهرِها،
وَقَلْبَتُ قلبي الليالي بينَ ما
فلم يَطرِزْ لِمُؤنِسٍ مَسرّةً،
ولي فؤادٌ مُنْصِفٌ في حُكمه

قلبي من جُسي بعيدَ المُنتوى^(١)،
هل يَرجعُ الباقي إليه ما سى^(٢)؟
فليس للإنسانِ إلّا ما سعى^(٣).
عن صَبوةٍ لَلكوةِ، فإِ أثْنَسى.
لَمّا رَأَتْ طَرفَ الشّبابِ قد كَبَا^(٤).
جَنابَه شيبَ بَقُودَيّ بدا^(٥).
بِمَا أَفادَ من يَدٍ وما حَبَا^(٦).
أنعمُ من ظِلِّ الشّبابِ والصّبا.
يُميدُ غَضّاً ناعماً ما قد ذَوَى.
قد بَرَزِي صَرفُ الزّمانِ وبَرَا^(٧).
فلم يَدُمُ سُرُورُها ولا الأسى^(٨).
قد لَانَ من خُطوبِها وما قَسا.
ولم يَطيّشْ لُمُوحِشٍ ولا نَزَا^(٩).
مُتَّصِفٌ بِالعدلِ فيما قد قَضَى.

- = الطريدة ليصطادها). - ظني غلب أبدأ (امرأة جميلة أسرت بحبا رجلاً قوياً). والمادة أن الأسد يتغلب على الظبي وأن القوي يخذع الضعيف.
- (١) المنتوى: الشيء المقصود. حاز: استولى. - لا أستطيع أن أصل إلى قلبي (لا أستطيع أن أحكم عليه).
- (٢) رجع (بفتح ففتح) يرجع (بفتح فسكون فكسر) فعل لازم ومتعدّ: يرجع (هنا) يردّ الشيء إلى صاحبه.
- (٣) معنى الشطر الأول (٤). «وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى» (سورة النجم).
- (٥) لعلها: «يشي» (يرد، ينهي) مكان «يُسي».
- (٦) القود: الشعر الثابت في جانب الرأس. - الشيب الذي بدا (ظهر) في شعري لم يرعني (لم يخفني)، فما زلت أحبّه.
- (٧) الدهر قوّت عليه أشياء كثيرة (شابه) فتعوض منها صحبة أمير المؤمنين (راجع البيت التالي)، بما ناله من العطايا (من السلطان المستنصر). حبا: أعطى.
- (٨) آسى: أحرن. برز: غلب، سلب. صرف الزمان: شدائده ومصائبه. يزا يوزو: قهر، بطش.
- (٩) الأسى: الحزن.
- (٩) طار (فرح). طاش السهم: انحرف. خفّ عقله واضطرب. نزا: وثب (اضطرب؟).

كَمْ دَمَتْ الخُلُقَ لِمَنْ فِي خُلُقِهِ
 قَدْ وَافَقْتَنِي أَرْزَمُنِي وَخَالَفْتَنِي
 وَلَمْ تُصَرِّ مُهْجَتِي فِي الْحَدِّ، بَلْ
 لَمْ يَكُنْ عَلَيَّ عَرَفَانِي بِهَا
 مَا يَقْطَعُ الْعَيْشَ إِلَّا حُلْمٌ،
 وَكَيْفَ تَصِفُو لَأَمْرِي مَعِيشَةً،
 وَإِنَّا الْأَمَالُ فِيهَا صُورٌ
 وَالْعَيْشُ مَحْبُوبٌ إِلَى كُلِّ أَمْرِي:
 وَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ فِي عَيْشِهِ
 وَخَيْرُ عَيْشٍ الْمَرْءُ مَا سُرَّ بِهِ.
 مَنْ أَقْنَعَ الْحِظُّ الْقَلِيلُ نَفْسَهُ،
 وَإِنْ أَغْنَى النَّاسُ عِنْدِي عَاقِلٌ
 مَنْ أَبْتَغَى مَنْ لَمْ يَقْدِرْ كَوْنُهُ
 قَدْ يُدْرِكُ الْحَاجَةَ مَنْ لَمْ يَنْعَ فِي
 مَنْ كَانَ سَعْدُ الْحَدِّ مِنْ أَعْوَانِهِ،
 وَمَنْ يَحْتَنُ الْحَدُّ لَمْ يَنْهَضْ بِهِ
 دَمَائَةً، وَكَمْ جَا لِمَنْ جَا^(١).
 وَلَآنَ لِي عِطْفُ اللَّيَالِي وَعَسَا^(٢).
 قَصَرَ بِي جَدُّ إِذَا شِئْتُ أُمِّي^(٣).
 مَنْ زَجَرَ الطَّيْرَ وَعَافَ وَحَزَى^(٤)
 وَلَا مَرَاتِي الدَّهْرَ إِلَّا كَالرُّؤْيَى^(٥).
 وَمُورِدُ الدُّنْيَا مَسُوبٌ بِالْقَذَى^(٦)؟
 تُخْلَعُ أحياناً وَحِيناً تُكْنَسُ
 لَا فَرْقَ بَيْنَ الشَّيْخِ فِيهِ وَالْفَتَى.
 نَفَعَ إِذَا صَبَغُ الصَّبَا عَنْهُ نَضَا^(٧).
 وَمَنْ يَقُلْ قَوْلًا سَوَى هَذَا هَدَى^(٨).
 أَضْحَى عَنِ الْحِظِّ الْكَثِيرِ ذَا غِنَى.
 أَبْدَى اقْتِنَاعاً بِالْقَلِيلِ وَأَكْنَى.
 لَهُ، فَإِنْ مُسْتَحِيلًا مَا أَبْتَغَى.
 طَلَابِهَا، وَقَدْ تَوَتُّ مَنْ سَمَى.
 أَظْفَرَهُ اللَّهُ بِأَقْصَى مَا رَجَا^(٩).
 جَدُّ وَلَمْ يَظْفَرْ بِأَدْنَى مَا نَوَى.

(١) دَمَتْ: لَبِنَ. جَا: قَا، يَس.

(٢) عِطْفُ الزَّمَانِ: جَانِبُ الزَّمَانِ (الزَّمَان). عَسَا: غَلَطَ، يَس.

(٣) الْحَدُّ (بِالْكَسْرِ): السَّيِّءُ، الْكَدُّ. الْجَدُّ (بِالْفَتْحِ): الْحِظُّ.

(٤) ... مَنْ اسْتَطْلَعَ الْغَيْبَ: مَزَجَرَ الطَّيْرَ (إِذَا رَأَى طَيْرًا يَطِيرُ مِنَ السَّارِ إِلَى الْيَمِينِ تَعَالُ، وَإِذَا رَأَى طَيْرًا مِنَ الْيَمِينِ إِلَى الْيَسَارِ تَنَادَى) وَبِالْعَافَةِ (التَّعَاوُلُ أَوْ التَّشَاوُغُ بِأَسْمَاءِ الطَّيُورِ الَّتِي تَمُرُّ بِالْإِنْسَانِ أَوْ بِالْأَمَاكِنِ الَّتِي تَقَعُ عَلَيْهَا تِلْكَ الطَّيُورُ). حَزَى: تَكَهَّرَ (حَاوَلَ مَعْرِفَةَ الْغَيْبِ).

(٥) الْمَرَايَ: الْمَظْهَرُ الْبَادِي لِلْعَيْنِ. الرُّؤْيَى جَمْعُ رُؤْيَا: الْمَنَامُ، الْحُلْمُ.

(٦) مَسُوبٌ: مَخْلُوطٌ، مَزْجُوجٌ.

(٧) صَبَغَ (لَوَّنَ) الصَّبَا (الشَّبَابَ): سَوَادَ الشَّعْرِ. نَضَا (فَعَلَ لَازِمًا وَمَتَعَدًّا): نَضَلَ (ذَهَبَ لَوْنُهُ)، أَيْضًا: خَلَعَ.

(٨) هَدَى يَهْدِي: نَكَلَّمَ بِكَلَامٍ غَيْرِ مَعْهُومٍ وَلَا مَقْضُوعٍ (مَنْ مَرَضَ أَوْ جُنُنَ).

(٩) الْحَدُّ (بِالْفَتْحِ): الْحِظُّ.

وخيرُ ما يَدَّخِرُ المرءُ، وما
والبعدِ مِمَّا لَا يُفِيدُ قُرْبَهُ
وَأَلْفَةُ النَّاسِ يَرَاهَا وَحْشَةً
من لم يَكُنْ مُتَّيِّباً لِلْخَيْرِ لم
من صَاحِبِ الْإِنْسَانِ فِي الْعُرَى كَمَا
من يُرْضِ مَخْلُوقاً بِمَا لَا يَرْضَى
إِنْ ثَوَاءَ الْمَرْءِ فِي أَوْطَانِهِ
لَا تَعْتَقِدُ أَنَّ لِحَلْقِ قُوَّةً،
فَاصْغُرُ الْأَشْيَاءَ قَدْ أَثَرُ فِي
قَدْ أَهْلَكَ الْأَحْيَاشَ طَيْرٌ قَدْ رَمَى
وَهَدَّ قَدَمًا هَذَهُدً بِنَاءً
وقد أَعَادَ الْفَارُّ سُدَّ مَأْرَبٍ
وَأَلْقَتِ الثُّمُرُودَ مِنْ كُرْسِيِّهِ
وَقَلَّمَ مَدَّ الْمَدَى لِمَنْ غَدَا
وكيف لَا يَخَافُ عَقْبَى الْبَنِي مِنْ
قَدْ حَفِظَ اللَّهُ نِظَامَ الْخَلْقِ فِي

يُقِيهِ فِي أَعْقَابِهِ، طَيِّبُ الثَّنَاءِ.
فَائِدَةٌ حَقِيقَةٌ أَنَّ تَقَنُّسِي.
مَنْ أَلْفَ الْوَحْدَةِ عَنْهُمْ وَأَنْزَوَى.
يُكْرَمُ، وَإِنْ كَانَ كَرِيمَ الْمُتَمَيُّ (١).
صَاحِبُهُ فِي يُرَى قَدْ وَفَى.
خَالِقُهُ، فَإِنَّهُ شَرُّ الْوَرَى.
عِزٌّ، وَمَا الْغُرْبَةُ إِلَّا كَالْتَوَى (٢).
إِلَّا إِذَا مَا اللَّهُ أَعْطَاهُ الْقُوَى.
أَعْظَمَهَا بِالْعَوْنِ مِنْ رَبِّ الْعَلَا.
جِيُوشَهُمْ بِمَكَّةٍ بِمَا رَمَى (٣).
مَا كَانَ هَذَاذَ لِبَلْقَيْسَ ابْنَتِي (٤).
دَكَّا كَأَنَّ لَمْ يَنْبَهُ مَنْ قَدْ بَنَى (٥).
بَعُوضَةٌ عَدَّتْ عَلَيْهِ إِذْ عَدَا (٦).
فِي الظُّلُمِ وَالْعُدُوانِ مَدُودَ الْمَدَى.
رَأَى عِقَابَ اللَّهِ فَيَمُنْ قَدْ بَنَى؟
دُنْيَاهُمْ وَلَمْ يَدْعُ شَيْئاً سُدَى.

(١) منتم: تابع، منسوب. كريم المتتمى: شريف الأهل، معروف الأجداد.

(٢) الثواء: المكت، السكنى. التوى: الهلاك.

(٣) الأحوش: الأحباش. الطير المذكورة في سورة الفيل (رقم ١٠٥ في المصحف). جاءت على جيش أبرهة الحبشي أبابيل (جاعات) من الطير وألقت حجارة من سجيل (بالكسر: طين مطبوخ) فأبادت الجيش وما كان معه من الفيلة.

(٤) «بنياً» لها: بياً (في اليمن). هدهد بن شُرَحْبِيل (أبو بلقيس). هد عرشها أو ملكها (٥). راجع القرآن الكريم (٢٧: ٢٠ وما بعد، سورة النمل).

(٥) دك الرجل البناء: هدهد. في الأساطير أن فأراً نقر حجارة سد مأرب.

(٦) نمرود من الجبابرة (تاج العروس - الكويت ٩: ٣٤٠)، كان ملكاً ظالماً. وفي الأساطير أن بعوضة دخلت في أنه فوصلت إلى دماغه فكانت سبب موته. كرسية (عرشه).

فليس يُخْلِي خَلْقَهُ مِنْ رَافِعٍ
إِنَّمَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ بِوَحْيِهِ
قَدْ بَدَأَ اللَّهُ الْهُدَى بِآدَمَ
وَأَرْشَدَ الْخَلْقَ بِرُسُلٍ بِمَدَّةِ
وَجَعَّ اللَّهُ جَمِيعَ هَدْيِهِمْ
وَخَلَقْتَهُ فِي الْهُدَى خَلَائِفًا
ثُمَّ أَتَاهِيَ كُلُّ رِشَادٍ بَعْدَهُمْ
خَلِيفَةً أَحْسَنَ لِلنَّاسِ فَقَدْ
نَادَى إِلَى طَاعَتِهِ دَاعِي هُدًى
عَادَ بِهِ الدَّهْرُ رِبْعًا كُلَّهُ،
سَاقَ الْمُلُوكَ بِمَصْصَا سُلْطَانِهِ،
فَلَوْ أَرَادَ سَوْقَ خَاقَانَ بِهَا
وَلَوْ أَرَادَ سَوْقَ كِسْرَى فَارِسَ،
وَلَوْ سَمَا بِهَا لِضَرْبِ قِصْرِ،
وَلَوْ بِهَا أَرَادَ سَوْقَ تُبَّعَ،

لِمَا هَوَى أَوْ رَاقِعٍ لِمَا وَهَى^(١) .
هَادٍ وَإِنَّمَا مَلِكٌ عَدْلٍ رِضَا .
وَأُظْهِرَ الْخَيْرَ بِهِ حَتَّى بَدَأَ^(٢) .
هَدَّوْا إِلَى سَبِيلِهِ كَمَا هَدَى^(٣) .
وَفَضَّلَهُمْ فِي الْهَادِي الْمُسْطَفَى^(٤) .
بِهَدْيِهِمْ بَعْدَ هُدَاةِ يُقْتَدَى^(٥) .
إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُجْتَبَى^(٦) .
جَزَاءَهُ بِالْإِحْسَانِ عَنْهُمْ مَنْ جَزَى .
لِصَوْتِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ نَدَى^(٧) .
وَقَامَ مِيزَانُ الزَّمَانِ وَأَسْتَوَى
فَكُلُّهُمْ صَيَّرَهُمْ عَبْدَ الْعَصَا .
لِاتِّقَادٍ فِي طَاعَتِهِ وَمَا عَصَى^(٨) .
بِهَا ثَاءٌ وَهُوَ مَكْسُورُ الْمَطَا^(٩) .
لِنَاءَهُ قَسْرًا بِهَا ضَرْبُ الْجَزَى^(١٠) .
لِجَاءِهِ مُتَّبِعًا وَمَا أَبَى^(١١) .

(١) هوى: سقط . وهى: ضعف، استرخى، تنقق .

(٢) حَتَّى (لَمَّا) حين .

(٣) كَمَا هَدَى اللَّهُ رِسْلَهُ (٤) .

(٤) إِثَارَةً إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (بَنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ هَاشِمٍ) الْمُسْطَفَى (الْمُخْتَارَ) .

(٥) الْخَلَائِفَ: الْخُلَفَاءَ الرَّاشِدِينَ: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ .

(٦) الْمُجْتَبَى: الْقَرِيبُ مِنَ اللَّهِ، الْمُخْتَارَ: الْقَصُودَ هَذَا: الْمُنْتَصَرِ الْخَفِصِيِّ .

(٧) نَدَى الصَّوْتِ (الْقَامُوسُ ٤: ٣٩٤، السُّطْرُ الْآخِرُ): الصَّوْتُ الْقَوِيُّ الَّذِي يَكُونُ لَهُ صَدَى (أَثَرٌ) بَعِيدٌ .

(٨) خَاقَانَ: لَقَبُ مُلُوكِ التُّرْكِ .

(٩) الْمَطَا: الظُّهْرُ. ثَاءٌ: رَدَّةٌ (عَمَّا يَرِيدُ) مَكْسُورُ الْمَطَا: مَرْغَمٌ . بِهَا (بِمَصْصَا) .

(١٠) سَامَهُ قَسْرًا: أَذَلَهُ، قَهَرَهُ (وَأَوْغَمَهُ عَلَى الْإِتِقَادِ لِأَمْرِهِ) . ضَرْبُ الْجَزَى (رَتَّبَ عَلَيْهِ جَزَاةً): أَخْضَعَهُ لِحُكْمِهِ .

(١١) تَبَعَ: لَقَبُ مُلُوكِ الْيَمَنِ .

قد فاض في الآفاق نور سَعْدِهِ،
 وجعلتْ جُودُهُ تُرَبِّي عَلَى
 من كلِّ منصور الجنودِ ناشِرٍ
 قَادُوا إِلَى أُنْدَلُسٍ كِتَائِباً
 وصَبَحُوا الْأَرْكَ بِحِشْرِ غَطٍّ فِي
 مَا زَالَ يُمْلِي الْمُلُوكُ نَصْرَهُ،
 طَاعَتُهُ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ، فَمَنْ
 لَيْسَ السَّيِّدُ غَيْرَ مَنْ أَسْعَدَهُ
 وَلَا السَّخِيُّ غَيْرَ مَنْ بَذَاتِهِ
 يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ، إِنِّي نَاصِحٌ
 لَا تَغْتَرِرَ بِالْعُمُرِ وَأَعْلَمْ أَنَّ مَا
 وَكُلُّ مَا لَا بُدَّ مِنْ إِتْيَانِهِ
 لَا بُدَّ أَنْ يَنْتَهِيَ الْمَرْءُ إِلَى
 فَالْعُمُرُ مَا بَيْنَ وُجُودَيْنِ، وَمَنْ

وَأَلْسَ الْأَيَّامَ حُسْنًا وَكُنَّا.
 مَا شَيْدَتْ جُودُهُ مِنَ الْبَنَى (١)
 لِلْعَدَلِ فِي الْآفَاقِ مَنُشُورِ اللَّوَا
 أَمَامَهَا النَّصْرُ الْعَزِيزُ قَدْ قَدَى (٢).
 أَذْيَبِهِ أَذْفَشَ لَمَّا أَنْ غَطَا (٣).
 وَسَيْفُهُ يَحْطُطُّ مَا يُمْلِي الْمَلَا (٤).
 دَعَا إِلَى هَذِي، إِلَى تِلْكَ دَعَا (٥).
 إِلَهُهُ بِالْعُزْرِ عَنْهُ وَالرُّضَا.
 قَدْ جَادَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَسَخَا (٦).
 فَاسْتَمِعَ النَّصْحَ وَكَنَ مَنَ وَعَى.
 لَمْ يَمُضَ مِنْ أَيَّامِهِ كَمَا مَضَى.
 وَكَوْنِهِ فَإِنَّهُ كَمَا أَتَى.
 مَا قَدَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَقَضَى.
 ظَنَّ الْوُجُودَ وَاحِداً فَقَدْ سَهَا (٧).

(١) جدود جمع جدّ. الجدّ (بالكسر): الجهد والكدّ والعمل. والجِد (بالتفتح): الخطّ أو أبو الأب. البنى جمع بَنِيَّة (البناء القائم). لقد بنى بعمله هو وحده أكثر مما كان جميع جدوده قد بنوا (بفتح النون).

(٢) قدى: أصرع.

(٣) الأرك: بلدة في الأندلس بناها بطليوس (عند منتصف الحدود بين إسبانية والبرتغال اليوم). حدثت عندها معركة (سنة ٥٩١ هـ) فهزم الموحدون الأسيان وردّوا عن المسلمين في الأندلس شيئاً من الأذى. ووجه الدخ للخصميين بالانتصار في هذه المعركة أن الموحدين أُلَافَ الخصميين. الآذِي: الموج. الأذفش: لقب ملوك الأسيان. غطا يغطو: (الماء): ارتفع. غطّ: غمس.

(٤) الملوك: الليل والنهار. يمل (يتلو على الناس). يمل (الثانية): يفرض، يوجب. الملا: رؤساء القوم (إشارة إلى عمله بالشورى، فهو لا يستبد في الحكم).

(٥) من دعا إلى طاعة المستنصر فإنه يدعو إلى طاعة الله.

(٦) في ذات الإله: في سبيل الله. سخا: جاد، بذل المال أو النفس، الخ.

(٧) الوجودان الدنيا والآخرة.

ولا تَحِذْ عَنِ سَنَنِ السُّنَّةِ فِي حَالٍ، وَكُنْ مِّنْ بِأَهْلِهَا اقْتَدَى^(١)
وَحِذْ مِنْ الْأَرَاءِ بِالرَّأْيِ الَّذِي وَافَقَ قَوْلَ اللَّهِ وَاتَرَكَ مَا عَدَا^(٢).
نَظَمْتُهَا فَرِيدَةً فِي حُسْنِهَا مَنْظُومَةٌ نَظَمَ الْفَرِيدِ الْمُتَنَقَّى^(٣)
تَحَيَّرَ اللَّفْظَ الْفَصِيحَ خَاطِرِي لَهَا، وَلَمْ يَخْفَلْ بِجَوْشِيِّ اللَّغْنِ^(٤).
قَلَّدَهَا مِنَ الْمَعَانِي حَلِيَّةً وَزَنَهَا إِلَى الْمَعَالِي وَهَدَى^(٥).
نَظَمَهَا أَبْنُ حَازِمٍ، وَقَدْ نَمَى نَسَبَهَا إِلَى أَبْنِ حِزَامٍ مِنْ غَمَى^(٦).
وَقَدْ عَزَا الْإِحْسَانَ فِي أَمْثَالِهَا لِأَبْنِ الْحُسَيْنِ أَحَدٍ مِّنْ قَدِّ عَزَا^(٧).
بَدَأْتُهَا بِاسْمِ الَّذِي خَتَمْتُهَا بِحَمْدِهِ، جَلَّ الْإِلَهِ وَعَلَا.
فَالْبَدْءُ بِاسْمِ اللَّهِ أَوْلَى مَا بِهِ عِنْدَ اقْتِحَاحِ كُلِّ أَمْرٍ يُقْتَسَى.
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَجَلُّ غَايَةِ يُلَئِغُ بِالْقَوْلِ لَهَا وَيُنْتَهَى.

- قَالَ حَازِمُ الْقَرَطَاجِيِّ يَمْدَحُ رَسُولَ اللَّهِ بِيَدِيمِيَّةٍ يُنْصَفُ فِيهَا مُعَلِّقَةً أَمْرِيءَ الْقَيْسِ
(صُدُورُ الْقَصِيدَةِ مِنْ نَظْمِ حَازِمٍ وَأَعْجَازُهَا تَضْمِينُ أَعْجَازٍ مُّعَلِّقَةٍ أَمْرِيءَ الْقَيْسِ).
فَمِنْ أَيْيَاتِ هَذِهِ الْبَدِيمِيَّةِ:

لِعَيْنِكَ قُلٌّ، إِنْ زُرْتُ أَفْضَلَ مُرْسَلٍ: (قِفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَيْبٍ وَمَنْزَلٍ)^(٨).
وَفِي طَبِئَةِ فَأَنْزَلٍ، وَلَا تَغْشُ مَنْزَلًا (سَيْفُطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلٍ)^(٩).

(١) حاد: مال، انصرف، ابتعد عن الطريق السوي. السن: الطريق. السنة: أفعال رسول الله.

(٢) ما عدا (ما عدا) غيره.

(٣) منظومة: مرتبه كأنها في سلك (خيط أو عقد). الفريد: اللؤلؤ الكبار.

(٤) الجوشي من الألفاظ: الوحشي (ما كان غريباً في المعنى وقبيحاً في اللفظ). اللغني جمع لغنة.

(٥) زف الناس العروس (نقلوها إلى بيت زوجها).

(٦) ابن حزام شاعر جاهلي قديم، قيل امرئ القيس، قيل هو أول من وقف على الأطلال وبكى الديار.

والناس رفعوا هذه الأرجورة فقالوا هي من الشعر القديم (الجديد). غمى الحديث: رفعه، نسيه.

(٧) أمثالها: الحكم التي فيها. أحد بن الحسين هو التميمي. عزا: نسب.

(٨) أفضل مرسل: محمد رسول الله. المنزل: المكان الذي «تزل» فيه قافضة مدة ثم تنابع سيرها. ويكون

المنزل عادة عند الماء.

(٩) طيبة: المدينة المنورة. غشي الرجل المكان: أتاه، جاء إليه. سبط اللوى والدخول وحومل أساء

أمكنة.

وَرُزْ رَوْضَةً قَدْ طَالَمَا طَابَ تَشْرُهَا
فِيَا حَادِيِ الْآبَالِ، سِرِّي وَلَا تَقُلْ:
نَبِيٌّ هُدَى قَدْ قَالَ لِلْكَفَرِ بُورُهُ:
لَأَمْدَاحِ خَيْرِ الْخَلْقِ قَلْبِي قَدْ صَبَا،
يُنَادِي: إِلَهِي، إِنَّ ذَنْبِي قَدْ غَدَا
فَكُنْ لِي مُجِيرًا مِنْ شَيَاطِينِ شَهْوَةٍ
أَيَا سَامِعِي مَدْحِ الرَّسُولِ، تَشَقَّقُوا
وَيَا مِنْ أُمَى الْإِصْفَاءِ، مَا أَنْتَ مُهْتَدٍ،
- وَلَهُ أَيْضًا بَدِيعَةٌ عَلَى مِثَالِ الْبَدِيعَةِ السَّابِقَةِ (يُصَفُّ فِيهَا قَصِيدَةً لَامِرِيَّةً
الْقَيْسِ أَيْضًا):

أَقُولُ لِعَزْمِي أَوْ لَصَالِحِ أَعَالِي: (أَلَا عِمَّ صَبَاحًا، أَتُهَا الطَّلُّ الْبَالِي) (١)
أَمَّا وَعَظِي شَيْبٌ سَمَا فَوْقَ لَمْتِي (سُمُو حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالٍ) (٢)؟

-
- (١) الروضة: قبر رسول الله في المدينة المنورة. النشر: الرائحة (الطيبة). الجنوب (رياح الجنوب) والشمال (رياح الشمال). نسجتها (هنا): جعلت فيها آثاراً (وهذا غير المعنى المقصود في المعلقة). المعنى هنا: إن الجنوب والشمال قد جاءتا إلى هذه الروضة برائحة طيبة.
 - (٢) الآبال جمع إبل (يكسر فكسر): الجهال (بالكسر). الهادي: سائق الإبل يهني لحفف عن المسافرين في القافلة الليل من طول الطريق. عفر السرج البعير: أحدث فيه جرحاً.
 - (٣) انجلي الليل أو الظلام: انجاب، انكشف.
 - (٤) صبا: مال، انجبه. اضل (في شرح الزوزني): زال الحب من قلبه (رجع عن حبه).
 - (٥) غدا: جاء باكراً. لبستلي: (ليختبرني).
 - (٦) مجير: منقذ. حراس جمع حريض: شديد الرغبة. لويسرون مقتلي (لو يستطيعون أن يكسبوا خبر قتلي).
 - (٧) الصبا: ريح الشرق (وتكون في نجد رطبة باردة ممتعة). الربا: الرائحة (الطيبة).
 - (٨) إن (هنا) زائدة. القواية = النقي: الضلال.
 - (٩) «عم صباحاً» (غنية الصباح): الطلل: المكان الذي كان فيه خيمة ثم أزيلت وبقي أثرها في الأرض.
 - (١٠) اللعة: الشعر الذي في جانب الرأس. حباب الماء: فقائيق (أكر مملوءة هواء) تطفو (توم) على وجه الماء. حالاً على حال (مرة بعد مرة).

أَنَارَ بِهِ لَيْلُ الشَّابِّ كَأَنَّهُ
نَهَانِي عَنْ غَيٍّ وَقَالَ مُنْبَهًا:
أَغَالِطُ دَهْرِي، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنِّي
وَمُؤْنَسُ نَارِ الشَّيْبِ يَقْبَحُ لَهُوَّةُ
أَشِيخًا وَتَأْتِي فِعْلٌ مَنْ كَانَ عُمُرُهُ
إِلَّا إِنَّهَا الدُّنْيَا، إِذَا مَا أَعْتَبَرْتَهَا
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي، هَلْ تَقُولُ عِزَائِي
فَأَنْزِلْ دَارًا لِلرَّسُولِ، تَرْبِلُهُا
جَوَارُ رَسُولِ اللَّهِ عَجْدٌ مُؤْتَلٌّ،
لَأُحْدِثَ خَيْرَ الْمُرْسَلِينَ أَتَقَمَّتْهَا
وإِنْ رَجَائِي أَنْ أُلَاقِيَهُ غَدًا
فَأُذْرِكَ أَمَالِي، وَمَا كُلُّ أَمَلٍ

(١) شب: توقد، تثلج. القفال (جمع قافل: راجع)، وهم المسافرون في القافلة سواء أكانوا ذاهبين إلى مكان أو راجعين إلى الوطن.

(٢) السمار جمع سامر: الساهر.

(٣) «أَنْ» مصدرية «وليت ناصبة»... كبرت ولا بحسب الله أمثالي.

(٤) مؤنس نار الشيب: الذي شاب شعره. أنس الرجل الشيب في رأسه: رآه. الآسة (في العصر الجاهلي): المرأة التي يأنس الرجال بها. كأنها خط تمثال (جملة فنية).

(٥) ثلاثون شهرًا في ثلاثة أحوال (أعوام: سنة وثلاثون شهرًا؟). لم يمتع بما أراد طويلاً (؟).

(٦) إذا ما اعتبرت: نظرت في أحوالها، تأملتها. ديار عافية (محوه الأثر). دو حال: مكان. الحال: المكان لا أنيس فيه (راجع القاموس ٣: ٣٧٢).

(٧) كَرَّ يَكُرُّ: هجم. اجفال (اللموح هنا: الجبن، الخوف الباطل) - يريد أن يذهب إلى الحج وزيارة قبر الرسول بعد أن طال عليه الزمن ولم يفعل.

(٨) الوجل: الخوف.

(٩) مؤتل: أصيل، قديم، شريف.

(١٠) أحمد من أسماء رسول الله. انتقبت هذه القصيدة. ورضتها: مارسها طويلاً فدل (سهل علي) نظمها.

(١١) انقل: الغض. القالي: المبخض. المغلي: المكروه. الخلال: الصفات.

(١٢) يمدرك (بالغ، واصل إلى) أطراف الخطوب (أحداث الدهر ومصائبه) ولا آل (بمدة على الألف

وكسرتين على اللام: مقصر، منته): لا يستطيع أن يبال ما يطلبه ولا هو يترك طلب الأمور البعيدة المال

- ٤- ديوان حازم القرطاجني (تحقيق عثمان الكماك)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٤ م.
 - منهاج البلغاء وسراج الأدباء (تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة) تونس (دار الكتب الشرقية) ١٩٦٦ م.
 * رفع الحجب المستورة عن المقصورة، تأليف محمد بن أحمد الشريف السبي، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٤٤ هـ.

القدح العلوي ٢٠- ٢١؛ الإحاطة ١: ٢٠٨؛ بغية الوعاة ٢١٤؛ شذرات الذهب ٥: ٣٨٨-٣٨٧؛ أزهار الرياض ٣: ١٧١-١٨٤؛ نفع الطب ٢: ٢٠٨-٢٠٩، ٥٨٤-٥٨٩؛ ٣: ٦٠٤، ٤: ١٤٨، ٥: ١٨٩-١٩٠، راجع ١٩٨، ٤٨١، ٥١٩-٥٢٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٣٣٧-٣٣٨؛ بروكلمن ١: ٣١٧، الملحق ١: ٤٧٤؛ حوليات كلية الآداب (القاهرة- عين شمس، جامعة ابراهيم): بحث وتحقيق للدكتور مهدي علام: «تاريخ أبي الحسن حازم القرطاجني الشاعر النسبي ونشأة فن المقصورة في الأدب العربي» (المجلد الأول، مايو- أيار- نوفمبر ١٩٥١ م، تم «مقصورة أبي الحسن حازم القرطاجني: تحقيق النص»، المجلد الثاني، ص ١- ١١٠)؛ الأعلام للزركلي ٢: ١٦٣ (١٥٩)؛ معجم المؤلفين ٣: ١٧٧؛ الدابة (تاريخ النقد الأدبي في الأندلس) ٤٧١-٥٣٦.

علي بن موسى بن سعيد

١- هو نور الدين^(١) أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد^(٢) العنسي القرطاجي الأندلسي المغربي، وُلِدَ في ٢٢ رَمَضانَ من سَنَةِ ٦١٠ (١٢١٤/٢/٦ م) في الأغلب، في قلعة يَحْصُبَ.

انتقل علي بن موسى إلى اشبيلية فدرس فيها على أبي علي الشلوبي وأبي الحسن الدباج وابن عصفور وغيرهم. وفي سَنَةِ ٦٣٨ هـ (١٢٤٠ م) رَحَلَ مَعَ أبيه فوصلا إلى الاسكندرية في العام التالي. وفي الثامن من شَوَّالٍ من سَنَةِ ٦٤٠ (٦٤٣ م) تَوَفَّى والده. وبقي علي بن موسى بن سعيد في الاسكندرية والقاهرة مدة. ثُمَّ اتَّفَقَ أَنْ زَارَ مِصرَ كِهَالُ الدين بن العديم الحلبي فتابع علي بن موسى سفره مَعَ ابن العديم، سَنَةَ ٦٤٨ هـ،

(١) فوات الوفيات ٢: ١١٢؛ بروكلمن ١: ٤١٠.
 (٢) راجع شجرة النسب وجهود بني سعيد، في تأليف كتاب «المغرب»، بوق، ص.

إلى حَلَبَ. ثم إنه سافر إلى دِمَشْقَ فبغدادَ فالصِرةَ فإلى أَرْجَانَ يَدْرُسُ على شيوخ الأدب والفقه.

وعادَ عليُّ بنُ موسى إلى المَغْرِبِ، سَنَةَ ٦٥٢، وطال مُكثَهُ في تُونِسَ، إذ دخل في خِدْمَةِ المُسْتَنْصِرِ الحَفْصِيِّ (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ). ولكنَّ السُّتُورَ غَضِبَ عليه. ثم إنه سافر مَرَّةً ثَانِيَةً إلى المَشْرِقِ، سَنَةَ ٦٦٦ (١٢٦٧ - ١٢٦٨ م)، وَزَارَ هَوَلاكَ^(١) في أَرْمِينِيَّةَ وَتَزَلَّ ضَيْفًا عليه مُدَّةً من الزَّمَنِ. بعدئِذٍ اسْتَعَدَّ لِلْعُودَةِ إلى المَغْرِبِ، وَلَكِنْ تَوَفَّى في دِمَشْقَ في الأَغْلَبِ، سَنَةَ ٦٨٥ للهجرة (١٢٨٦ م).

٢- عليُّ بنُ موسى بن سعيد جُغْرَائِيٌّ وَمُؤَرِّخٌ وَأَدِيبٌ نَائِرٌ شَاعِرٌ. وشعرُهُ وَسَطٌ مَعَ أَنَّهُ يُسَمَّى بِالْخِصَائِصِ الْإِنْدَلِيسِيَّةِ مِنَ التَّفَنُّنِ في الوَصْفِ والتَّأَثُّقِ في التَّعْبِيرِ. غيرَ أَنَّ شهرته راجعة إلى المَصْنُوعَاتِ الَّتِي نَعَرَفَ مِنْهَا: الطَّالِعُ السَّعِيدِ في تَارِيخِ بَنِي سَعِيدٍ - الْغُرَّةُ الطَّالِعَةُ في شِعْرَاءِ الْمَائَةِ السَّابِعَةِ^(٢) - الْفِدْحُ الْمَعْلَى في التَّارِيخِ الْمَحَلِّيِّ - الْمَرْزَمَةُ - الْمَرْقِصُ الْمُطْرَبُ - الْمُتَتَفِّطُ مِنْ أَزْهَارِ الطَّرْفِ - عُدَّةُ الْمُسْتَنْجِرِ وَعُقْلَةُ الْمُسْتَوْفِزِ - رَايَاتُ الْمُبْرِزِينَ وَغَايَاتُ الْمُمِيزِينَ - مَلُوكُ الشَّعْرِ - الْمُشْرِقُ فِي أَخْبَارِ الْمَشْرِقِ - الْمَغْرِبُ فِي أَخْبَارِ الْمَغْرِبِ؛ وَلَعَلَّهُ الْمَغْرِبُ فِي حُلَى الْمَغْرِبِ.

أَمَّ عَلِيُّ بنُ موسى بن سعيد تَأْلِيفَ كِتَابِ الْمَغْرِبِ فِي حُلَى الْمَغْرِبِ. وَلِكِتَابِ الْمَغْرِبِ مِنْهَاجٌ هُوَ الْإِتْيَانُ بِنَقْرِ مِنَ الشِّعْرَاءِ الْبَارِزِينَ مِنْ لُؤْدَانَ الْمَغْرِبِ (الْأَنْدَلُسِ وَمِصْرَ وَالْمَغْرِبِ) مِنْ طَبَقَاتِ الْجَمْعِ الْمُخْتَلِفَةِ (الرُّؤَسَاءِ وَالْوُزَرَاءِ وَالْعُلَمَاءِ: عُلَمَاءُ الْفَلَسَفَةِ وَالتَّنْجِيمِ وَالْمُوسِيقَى وَالطَّبِّ) وَالشِّعْرَاءِ، إِلَّا أَنَّ لَهُ فِي تَصْنِيفِ الشِّعْرَاءِ وَتَرْتِيبِهِمْ طَرِيقَةً مَعْقَدَةً جَدًّا. وَلَكِنْ الَّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ جَمَعَ تَرَاجِمَ نَادِرَةً وَغَاذَجَ مِنَ الشِّعْرِ وَالْمَوْشَعَاتِ رَاقِعَةً طَرِيقَةً.

٣- الْمُخْتَارُ مِنْ آثَارِهِ

- قَالَ عَلِيُّ بنُ موسى بن سعيدٍ فِي تَرْجُمَةِ «أَبِي جَمْفَرٍ أَحْمَدَ بنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بنِ سَعِيدٍ

(١) هَوَلاكَو سُلْطَانُ التَّنَارِ، وَهُوَ الَّذِي دَمَّرَ بَغْدَادَ وَقَضَى عَلَى الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ، سَنَةَ ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م).

(٢) هُوَ كِتَابُ «النُّصُوصِ الْبَاسَةِ» (رَاجِعِ الْفِدْحَ الْمَعْلَى، ص ١٨٧).

هُوَ عَمُّ وَالِدِي وَأَحَدُ مُصَنِّفِي هَذَا الْكِتَابِ. كَانَ وَالِدِي كَثِيرَ الْإِعْجَابِ بِشِعْرِهِ مُقَدِّمًا لَهُ عَلَى سَائِرِ أَقَارِبِهِ. وَأَسْتَوَزَرَهُ عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ مَلِكُ (والي) غرناطة.... وَأَنْصَافَ إِلَى ذَلِكَ أَشِيرَاكُهَا فِي هَوَى حَفْصَةَ الشَّاعِرَةِ، وَكَانَ عُثْمَانُ أَسْوَدَ اللَّوْنِ، فَبَلَغَهُ أَنَّهُ^(١) قَالَ لَهَا: مَا تُحِبِّينَ فِي هَذَا الْأَسْوَدِ وَأَنَا أَقْدِرُ أَنْ أَشْتَرِيَ لَكَ مِنَ السُّوقِ بِعَشْرِينَ دِينَارًا خَيْرًا مِنْهُ! ثُمَّ إِنَّ أَخَاهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ فَرَّ إِلَى مَلِكِ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ ابْنِ مَرْدَاشِشَ فَوَجَدَ عُثْمَانَ سَبِيًّا إِلَى الْإِيقَاعِ بِأَبِي جَعْفَرٍ فَضَرَبَ عُنُقَهُ.

- وَقَالَ فِي تَرْجُمَةِ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سَعِيدٍ (المغرب ٢: ١٧٠): لَوْلَا أَنَّهُ وَالِدِي لَأَطْنَبْتُ فِي ذِكْرِهِ وَوَفَّيْتُهُ حَقَّ قَدْرِهِ. وَلَهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ الْحِطُّ الْأَوْفَرُ، وَكَانَ أَشْغَفَهُمُ بِالتَّارِيخِ وَأَعْلَمَهُمْ بِهِ. وَجَالَ كَثِيرًا إِلَى أَنْ أَنْتَهَى بِهِ الْعُمُرُ فِي الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ، وَقَدْ عَاشَ سَبْعًا وَسِتِّينَ سَنَةً لَمْ أَرَهُ يَوْمًا يُخَلِّي مِنْ مُطَالَعَةِ كِتَابٍ أَوْ كُتُبٍ مَا يَخْلُو، حَتَّى فِي أَيَّامِ الْأَعْيَادِ.

- وَمِنْ شِعْرِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى قَوْلُهُ فِي النَّهْرِ الَّذِي يَمُرُّ عَلَيْهِ النَّسِيمُ وَتَمِيلُ عَلَيْهِ الْقُصُوفُ:

كَأَنَّا النَّهْرُ صَفْحَةً كُتِبَتْ أَطْرُهَا وَالنَّسِيمُ مُنْشِئُهَا.
لَمَّا أَبَانْتَ عَنْ حُسْنِ مَنْظَرِهِ مَالَتْ عَلَيْهَا الْقُصُوفُ تَقْرَأُهَا.

- وَلَهُ قَصِيدَةٌ يَتَشَوَّقُ فِيهَا إِلَى الْمَغْرِبِ، فِي مَطْلَعِهَا:

هَذِهِ مِصْرٌ، فَأَيْنَ الْمَغْرِبُ؟ مَذُنَايَ عَنِّي دُمُوعِي تَنْكُبُ.
فَارَقْتُهِ النَّفْسُ جَهْلًا؛ إِنَّمَا يُعْرِفُ الشَّيْءُ إِذَا مَا يَذْهَبُ.
أَيْنَ حِفْصُ: أَيْنَ أَيَّامِي بِهَا؟ بَعْدَهَا لَمْ أَلَقْ شَيْئًا يُعْجِبُ^(٢).

- وَقَالَ ابْنُ سَعِيدٍ فِي التَّخْلِي (تَرْكُ الزَّوْاجِ):

أَنَا شَاعِرٌ أَهْوَى التَّخْلِي دُونَ مَا لَكِيَّا تَحْلُصُ الْأَفْكَارُ.

(١) فُلِعَ إِلَى سَعِ عُثْمَانَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى قَالَ.

(٢) حِفْصٌ = أَشِيلْبَةُ.

لو كنتُ ذا زوج لَكنتُ منقَصاً
دعني أريح، طولَ التغرّب، خاطري
كم قائل لي: «ضاع شُرخُ شبابه!»
إذ لم أزل في العلم أجهّد دائماً
مهما أُرّم من دون زوج لم أكنُ
وإذا خرجتُ لفرجة هُنْتُها،
في كلِّ حينٍ رزقها أمتاراً^(١)
حتّى أعودَ ويستقرّ قراراً^(٢)
ما ضيّعتهُ بطلالةٌ وعُقاراً^(٣)
حتّى تأتت هذه الأبكار.
كلّاً، ورزقي دائماً مِدراراً^(٤)
لا صنعة ضاعت ولا تذكّاراً^(٥)

- وقال في طلب اللهو بالطرب في الحداثق والجنائن:

باكرِ اللهو؛ ومن شاء عَتَبُ.
ما تواني من رأى الزهر زها
لا يَلْسُدُ العيشُ إلّا بالطرب.
والصبا تمرّح في الروض خَبَباً^(٦)
- وقال في مثل ذلك:

وعشيّة بَلّغتُ بنا أيدي النوى
فحدائق ما بينها من جدول
منها محارين جامعاتٍ للنخب^(٧)؛
وبلايل فوق الغصون لها طرب.
والنخل أمثال العرائس لبُشها
خرّ وجليتها فلائد من ذهب^(٨)

-
- (١) امتار الرجل لأهله: جلب لهم القوت من مكان بعيد.
(٢) ما دمت مغترباً عن وطني فلا أريد أن أشغل (يفتح العين) بالي بالاهتمام بامرأة وأولاد. فإذا أنا رجعت إلى الوطن واستقررت فيه، فلكلّ حدث حديث.
(٣) شرح التاب: عنوانه وقوّته. القار: الحمر.
(٤) رام يروم: أراد، طلب. الكل: العاجز.
(٥) الفرجة: التخلص من الهم. والفرجة (في الاستعمال الحاضر): الذهاب «للنزّهة» وترويح البال في الأماكن التي فيها جمال للطبيعة أو احتياج للناس.
(٦) تواني: تكاسل، تأخّر. الصبا (بالفتح): ريح ليلية تهبّ على نجد (في بلاد العرب) من الشرق. خيب = خيباً: تيسر بشيء من السرعة (كما تيسر الخيل في أوّل ركضها). يقصد أن الهواء كان منعشاً.
(٧) النوى: البعاد، المراق (المقصود: أن الشاعر رار أرضاً بعيدة؟). النخبة: النخيل، المختار أو المستقى (أجود ما في الأشياء).
(٨) الحرّ: الحرير أو الثياب المسوجة من حرير. الفلادة (بالكسر): حلية (بالكسر) تلبس في المنى.

- ٤- عنوان المطربات المرقصات، القاهرة (مطبعة جمعية المعارف) ١٣٨٦ هـ؛ (نشره عبد القادر محمدا)، الجزائر (كاربونل) ١٩٤٩ م.
- العيون الدعج في حلى بنى طفج (القسم الخاص بالأختبدين- في مصر- من كتاب «المغرب») (نشره تالوكيت)، لندن ١٨٩٩ م.
- المغرب (قسم صقلية)، لندن ١٨٩٨ م، بالرمو ١٩١٠ م.
- النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة (القسم الخاص بالقاهرة من كتاب «المغرب».... (تحقيق حين نصار)، القاهرة (دار الكتب) ١٩٧٠ م.
- رايات المزيين وغايات المميزين (نشره أميليو غارثيا غومذ)، مدريد ١٩٤٢ م.
- المغرب في حلى المغرب (حققه شوقي ضيف)، مصر (دار المعارف) ١٩٥٣-١٩٥٥ م.
- المغرب: قسم مصر (نشره زكي محمد حسن وشوقي ضيف وسيدة كاشف)، القاهرة (مطبعة فؤاد الأول) ١٩٥٣ م.
- اختصار القدح المعلّى (تحقيق ابراهيم الاياري) ١٩٥٩ م.
- العصور الياينة في محاسن شعراء المائة السابعة (بتحقيق ابراهيم الاياري)، مصر (دار المعارف) ١٩٦٧ م.
- كتاب الجغرافة (حققه اسماعيل العربي)، بيروت (مشورات المكتب التحاري) ١٩٧٠ م.
- مختصر جغرافية ابن سعيد (نشره ج. فيرنيه)، تطوان ١٩٥٨ م.

★- ابن سعيد المغربي، تألف محمد عبد المني حسن عام ١٩٧٠ م.

فوات الوفيات ٢: ١١٢-١١٤؛ الذيل والسكلمة ٥: ٤١١ وما بعد؛ القدح المعلّى ١-١٢؛ الدياج المذهب ٢٠٨-٢٠٩؛ بعة الوعاة ٣٥٧؛ نفح الطيب ٢: ٢٦٢-٣٧٤ (يكثّر المقرّي من الكلام على ابن سعيد هذا وعلى نفر من أهله ويقتل من «المغرب» كثيراً- راجع فهرس نفح الطيب ٨: ٦٧)؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٣٦؛ نيكل ١٣٦١ مختارات نيكل ٢٠٥-٢٠٧؛ الأعلام للزركلي ٥: ١٧٩ (٢٦-٢٧)؛ سركيس ١١٨-١١٩؛ بالنشأ ١٣٥-١٣٧؛ تاريخ النقد الأدبي في الأندلس لمحمد رضوان الداية ٣٩١-٣٩٨؛ تاريخ النقد العباسي لاسان عباس ٥٣٢-٥٣٥؛ المكتبة العربية الصقلية ١٣٤-١٣٧؛ مجلّة الجمع العربي بدمشق ٣٣: ٣٠٢ (عام)، راجع ٥٢٥.

ابن أبي الربيع القرشي

١- هو الإمام أبو الحسين عبيد الله بن أحمد بن محمد بن عبيد الله بن أبي الربيع القرشي

الأموي العثاني الإشبيلي، وُلِدَ (في إشبيلية) في رَمَضانَ من سَنَةِ ٥٩٩ (ربيع ١٢٠٣ م)، أَخَذَ الْقِرَاءَاتِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ هَارُونَ التَّيْمِيِّ وَسَمِعَ (الحديث) من القاسم بن بَنيٍّ وَقَرَأَ النَحْوَ عَلَى الثَّلَوِيِّينَ (ت ٦٤٥ هـ) وَالدَّبَّاجَ (٦٤٦ هـ)، وَأُذِنَ لَهُ الثَّلَوِيُّونَ بِالتَّصَدُّرِ لِإِقْرَاءِ النَحْوِ.

وَلَمَّا اسْتَوْلَى الْإِسْبَانُ عَلَى إِشْبِيلِيَّةَ، فِي أَوَّلِ شَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ ٦٤٦ (١٢٤٨/١١/١٩ م) انتقل ابنُ أبي الرِّبيعِ إِلَى سَنَّةٍ وَأَقْرَأَ بِهَا النَحْوَ مُدَّةً. ثُمَّ إِنَّهُ عَادَ إِلَى إِشْبِيلِيَّةَ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِيهَا سَنَةَ ٦٨٨ (١٢٨٩ م).

٢- كَانَ ابْنُ أَبِي الرِّبيعِ إِمَامَ النَحْوِ فِي عَصْرِهِ وَمِنْ الْمُؤَلِّفِينَ فِيهِ، لَهُ: الْمُلَخَّصُ فِي النَحْوِ - الْقَوَانِينُ النَحْوِيَّةُ - الْإِفْصَاحُ فِي شَرْحِ الْإِبْضَاحِ (لِلْفَارِسِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٣٧٧) - شَرْحُ الْجُمْلِ (? لِلزَّجَّاجِيِّ الْمُتَوَفَّى نَحْوَ سَنَةِ ٣٣٩: فِي عَشْرِ مُجَلَّدَاتٍ) - شَرْحُ (كِتَابِ ?) سَيِّبَوِيَّةٍ - بَرَنَامِجُ (شَيْخِهِ).

* * * بَنِيَّةُ الْوَعَاةِ ٣١٩: بَرَوَكْلَسُنَ ٣٨٢: ١: الْمُلْحَقُ ١: ٥٤٧: الْأَعْلَامُ لِلزُّرْكَلِيِّ ٤: ٣٤٤ (١٩١١).

ابراهيم بن أبي بكر التلمساني

١- هُوَ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى الْأَنْصَارِيِّ التَّلْمَسَانِيِّ، أَصْلُهُ مِنْ وَقَّشَ * وَمَوْلَدُهُ فِي تَلْمِيسَانَ، سَنَةَ ٦٠٩ (١٢١٢-١٢١٣ م). انتقل بِهِ أَهْلُهُ إِلَى الْأَنْدَلُسِ فَسَكَنُوا غَرْنَاطَةَ ثَلَاثَ سَوَاتٍ ثُمَّ تَحَوَّلُوا إِلَى مَالَقَةَ وَطَالَ سَكْنُهُمْ بِهَا، وَفِيهَا تَلَقَّى إِبْرَاهِيمُ مُعْظَمَ مَعَارِفِهِ. ثُمَّ إِنَّهُ انتقل إِلَى سَنَّةٍ وَاسْتَقَرَّ فِيهَا بَقِيَّةَ عُمُرِهِ.

وَقَدْ تَلَقَّى إِبْرَاهِيمُ ابْنَ أَبِي بَكْرٍ الْعِلْمَ عَلَى كَثِيرِينَ مِنْهُمْ (الدِّيَاخُ ٩٠): أَبُو بَكْرٍ بْنُ مُحَرَّرٍ وَأَبُو الْحَسَنِ بْنُ طَاهِرٍ الدَّبَّاجَ (الْإِحَاطَةُ ١: ٣٣٥ الرَّبَّاجِ) وَأَبُو عَلِيٍّ الثَّلَوِيَّ (ت ٦٤٥ هـ) وَأَبُو الْعَبَّاسِ عَلِيُّ بْنُ عَصْفُورٍ الْهَوَارِيَّ وَأَبُو الْمُطَرِّفِ بْنُ عَمِيرَةَ (ت ٦٨٥ هـ) وَأَبُو يَعْقُوبَ يَوْسُفُ بْنُ مُوسَى الْحَاسِيَّ الْقَارِيَّ (الْإِحَاطَةُ: الْحَاسِيَّ الْقَارِيَّ).

(*) وَقَّشَ (بِتَشْدِيدِ الْقَافِ الْمَفْتُوحَةِ): مَدِينَةُ بَالَنْدَلُسَ (تَاجُ الْعُرُوسِ - الْكُوَيْتُ ١٧: ٤٥٥).

وكانت وفاة إبراهيم بن أبي بكر في سَنَةِ ٦٩٠ (١٢٩١ م).

٢- كان إبراهيم الأنصاري التلمساني مُبرِّزاً في عِلْمِ الْعَدَدِ (الحِساب) والفرائض (تقسيم الإرث) وماهراً في كثير من العلوم والأعمال التي يُحاولها حاضرُ الذَّهْنِ ذِكْياً. وكذلك كان لُغَوياً وأديباً وشاعراً مُكثِراً ومُطِيباً. وشعره في المدح (وفي البديعيات: مدح الرسول) والأدب (الحِكْمَة)، كما كان له نظمٌ في عددٍ من فروع العلم. وقد كان مُصنِّفاً له: نتيجة الخَيْرِ ومُزيلة الضَّرَرِ في نظم المغازي والسَّيْرِ^(١) - الأرجوزة: المنظومة التِّلْسانِيَّة في الفرائض (تقسيم الإرث)، نَظَّمَهَا نَحْوَ سَنَةِ ٦٣٥ للهجرة، وقد شَرَحَهَا كثيرون^(٢) - المُعْتَرَات على أوزان العرب - مقالات في علم عَرُوض الدوبيت.

٣- مختارات من شعره

- بين يدينا من شعر إبراهيم بن أبي بكر التلمساني:

★ ★ الغدر في الناس شِيمَةٌ سَلَفَتْ قد طال بين الوري تَصَرُّفُهَا^(٣).
ما كُلُّ من قد سَرَتْ له نَعَمٌ منك يرى قَدَرَهَا وَيَغْرِفُهَا.
بل رَبِّها أَغْقَبَ الجِزَاءَ بِهَا مَضْرُوءَةٌ عَزَّ عَنْكَ مَصْرِفُهَا^(٤).
أما ترى الشمسَ تَغْطِيفُ بالـ خور على البدرِ وهو يَكْثِفُهَا^(٥)!
★ ★ أَرَأَيْتَ من رَحَلُوا وزَمُوا العِيا ألا يزول على الطلول حَيَا^(٦)؟

(١) المغازي جمع مغزاة (بفتح الميم): الغزوة (حرب يبير إليها المسلمون في أيام الرسول). البيرة: حياة الرسول والصحابة.

(٢) راجع بروكلسن.

(٣) شِيمَة: خصلة، عادة. سلفت: مضت (هنا: قديمة في الناس). الوري: الناس. تَصَرُّفُهَا: تَقَلُّبُهَا بين الناس وأفعالها فيهم.

(٤) عَزَّ (صعب) مصرفها (دفعها عنك).

(٥) القمر يستمدُّ نوره من الشمس. وفي بعض الأحيان يمتدح القمر بين الشمس والأرض فتتكشف الشمس (يحتجب نورها عن الأرض).

(٦) زَمَّ العيس (النفاق): جعل لها زماعاً (لجاعاً)، أي أَعَدَّهَا للرحيل. - يبدو أن الشطر الثاني شِيمَة لبیت آخر. للملوح أن الذي يمدُّ الرحلة للسفر، لا يبنى محبوساً (واقفاً على بقايا المنازل).

أَحْبَبْتُ سَوْفَ يَمُودُ نَفْسُ تُرَابِهَا بِمَا يُنْفِي لَدَيْكَ نَيْسًا^(١).
 هل مؤنسٌ ناراً بجانب طُورِها لأنيسها أم هل تُجسُّ حَسِيسًا^(٢)؟

٤- ** الديباج المذهب ٩٠-٩١: الإحاطة ١: ٣٣٤-٣٣٧: بروكلمس ١: ٤٨٢، الملحق ١: ٦٦٦: معجم أعلام الحرائر ٩-١٠: الطمّار ٨٣-٨٤ (نقلًا عن الإحاطة).

ابن السَّمَطِ المَهْدَوِيّ

١- هو أبو يعقوب يوسف بن علي بن عبد الملك بن السَّمَطِ البَكْرِي المَهْدَوِيّ، وُلِدَ في المَهْدِيَّة (وهي مرقاً في منتصف الشاطئ، الشرقي من القطر التونسي) سَنَةَ ٦١٣ هـ (١٢١٦-١٢١٧ م). ويبدو أَنَّهُ لَمَّا تَقَدَّمَ بِهِ السَّنُ انتَقَلَ إِلَى الاسترقاق في التقوى والعبادة واشتَدَّ الحَنِينُ بِهِ إِلَى الْحَجِّ إِلَى مَكَّةَ وَإِلَى الزَّيَارَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَكِنْ لَمْ يَتَسَرَّ لَهُ ذَلِكَ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي الْعَتَرِ الْأَوَاسِطِ مِنْ شَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ ٦٩٠ (أَوَائِلَ آب-أغسطس ١٢٩١ م).

٢- كَانَ ابْنُ السَّمَطِ المَهْدَوِيّ قَعِيماً وَأَدِيباً عَارِفاً بِاللُّغَةِ، وَكَانَ شَاعِراً قَصَرَ شِعْرَهُ (لَمَّا تَقَدَّمَ بِهِ السَّنُ) عَلَى الْبَدِيعِيَّاتِ. وَشِعْرُهُ فَصِيحُ الْأَلْفَاظِ صَحِيحُ التَّرَكِيبِ فِيهِ شَيْءٌ يَسِيرٌ مِنَ الصَّنَاعَةِ وَلَكِنَّهُ أحياناً قَلِيلُ الرَوْنَقِ. وَالْأَفْكَارُ فِيهِ كَثِيرَةٌ وَالْمَعَانِي تَغْلِبُ فِيهِ عَلَى الصَّبَاغَةِ.

(١) النقط تَمَثَّلُ نَقْصاً فِي الْأَصْلِ: النَّيْسُ: بَقِيَّةُ الرُّوحِ (النَّفْسِ). الْمَلُوح: هَلْ تَنْظُرُ أَنْ شَمَّ تَرَابِ النَّازِلِ يَنْعَشُ الْإِنْسَانَ.

(٢) هَلْ مُؤْنَسٌ نَاراً: أَهْأَلَكُ مِنْ يُؤْنَسِ (يَرَى) نَاراً: الطُّور: الْحَبْلُ. الْأَنْسُ: الْبَاكِي فِي الْمَكَانِ. - أَتَنْظُرُ أَتُكُّ نَالٍ مُرَاداً مِنَ الْوُقُوفِ فِي دَارٍ خَالِيَةٍ أَوْ هَلْ تَنْظُرُ أَنْ الدَّارَ الْخَالِيَةَ تَحْسَبُ أَنَّكَ وَاقِفٌ فِيهَا؟ - فِي الْأَبْيَاتِ مَعْنَى يَقْرُبُ مِنْ أَنْ يَكُونَ صَوْفِيّاً. رَاجِعْ فِي رُؤْيَا لِسَارِ عِنْدَ الطُّورِ سُورَةُ النِّصَصِ (٢٨: ٢٩): ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَاراً. قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا، إِنِّي آنَسْتُ نَاراً، لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾

- قال ابن السَّمَطِ الْمَهْدِيُّ من بديعة (في مدح الرسول):

لعلَّ نُمَيْاتِ الضُّحَى والأصائل تُؤَدِّي إلى مَعْنَى الحبيبِ رسائلي^(١)،
وتَهْدِي، إذا مَرَّتْ سَحِيرًا بِرَبِّهِ، سلامي إلى بَدْرِ بَطِينَةٍ آفِل^(٢).
وكلُّ الأمانِي في غَدَوِ رواسم إلى رَسْمِهِ أو في رَوَاحِ رِواحل^(٣).
وما سَوْفَها بِلِ شَوْفِها يَسْتَحِبُّها حيثُ أَخِي الإِملاقُ يُدْعِي لِنائِل^(٤).
وكم آيَةٍ دَلَّتْ على صِدْقِهِ، فما أَلَبَّ لها الإِنْكارُ في لُبِّ عاقل^(٥).
رسولٌ أتى والنَّيُّ وارت غَيومُهُ نجومَ المَهدى والرَّشِدِ عن كُلِّ غافل^(٦).
ووافى ودينُ الكُفْرِ قامَتْ دُعائُهُ بإِبْطالِ تَحْقِيقِي وتَحْقِيقِ باطل^(٧).
فلَمَّا بَدَتْ آيَاتُهُ وَهَبَاتُهُ بدا النِّقْضُ فِما أُرِموا في المَهافل^(٨).
وفي كُلِّ ما يَتَلَوُ الرسولُ دَلالَةً على صِدْقِهِ من واضحات الدلائل.
هو المُصْطَفَى من قَبْلِ تَكْوِينِ آدَمَ على الخَلْقِ من آبائِهِم والحلائل^(٩).
لَهُ غايَةٌ من صَخْبِهِ هو لَيْثُها؛ لَدَيْهِم مَريرُ المَوتِ عَذْبُ المَناهل^(١٠).

- (١) الأصيل: الساعات الثلاث التي تسبق غروب الشمس. معنى: ممكن. الحبيب (محمد رسول الله).
- (٢) بدر (كتابة عن رسول الله). طيبة: المدينة المنورة. الآفل: الذي غرب وراء الأفق (غاب في قبره).
- (٣) الرواسم (رسم بضمتين جمع رسوم بالمنح: الناقة الشديدة الوطء على الأرض). الرسم (مكان السكنى الذي خلا من ساكنه). الراحلة: ما يرحل (يسافر عليه الإنسان). الغدو: السر في الصباح. الرواح: الرجوع في المساء.
- (٤) الإِملاق: الفجر. النائل: المطاء.
- (٥) أَلَبَّ: عرض، تعرّض. أَلَبَّ له الإنكار في لُبِّ عاقل (لم ينطع إنسان عاقل أن يعرض لها بإنكار: أن ينكرها).
- (٦) النَّيُّ: الضلال.
- (٧) النِّقْضُ: الهدم. أُرِموا: اتفقوا عليه.
- (٨) الحليلة: (الزوجة). يرى الصوفية أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) هو المخلوق الأول (أي الذي خلق الله العالم من أجله).
- (٩) غايَةٌ (عدد وفير). اللَّيْثُ: الأسد (في هذا إشارة إلى «أسد الغابة في معرفة الصحابة») وهو كتاب في تراجم أصحاب رسول الله لمرز الدين بن الأثير (ت ٦٣٠ هـ).

صدورٌ إذا حَلَّوا بنايدٍ؛ وفي الوغى
أشداءٌ والهجاءُ حامٍ وطيسها،
فكم من عديمٍ صار فيهم كمتُرفٍ؛
كذا فليكن حُسنُ الثناء لِسادةٍ
على من به سادوا الورى وعليهم
فحتى متى أشتأهم وتغرني
وما المرء إلا طاعنٌ مُترَحِّلٌ
وإسفارٌ صُبحَ الشيب عن ليلٍ لَمَني
ولما تقصَّصت في التواني شيبتي
ولم يبقَ لي إلا التفاني بأدْمَعٍ،
وكلُّ يرى أن المديحَ وسيلةً،
مدحتُ الشفيعَ المُصْطَفَى غيرَ قائمٍ
وما المدحُ فيمن يخسُّ المدحُ باسمه
ولكنه جُهدُ القِلِّ لقاصرٍ
ألم (يأتِ) قولُ الله في رَفْعِ ذكره؟

صدورُهُم تلقى صدورَ العوامل^(١)
ذَوو رحمةٍ بالباشات الأرامِلِ.
وكم من غريبٍ صار فيهم كآهلٍ!
متى أُمَلُّوا لم يُخلفوا ظنَّ أَمَلِ.
سلامٌ كَوَرِ الروضِ بَيْنَ الحمائلِ^(٢).
أمانٌ وإمهالٌ كَتَوَيْفٍ باطلِ^(٣).
مُعارٍ لأوقاتٍ تَمُرُّ فَلَائِلِ.
دليلٌ على ظِلٍّ من العُمُرِ زائلِ^(٤).
وأصحتُ من جرائها في حبايلِ^(٥)،
على طولِ تفريطي، هوامٍ هواملِ^(٦).
لكلِّ كريمٍ، من أجلِّ الوسائلِ.
بِمِشارٍ ما يُحصى له من فضائلِ.
وأوصافِهِ إلا كَتَخْصِيلِ حاصلِ؛
عن الفرضِ في تعظيمه والنوافِلِ^(٧).
وهل بعدَ قولِ الله قولٌ لقائلِ^(٨)!

-
- (١) صدور (الأولى): وجهاء الغوم. الوغى: الحرب. صدور (الثالثة): أعالي الرماح. العالية: التصل يكون في رأس الرمح (في الحرب يردون بصدورهم رماح أعدائهم، دفاعاً عن الدين).
(٢) النور (بالفتح): الزهر الأبيض. الحبيبة: النجر الكثير الكثيف المتلف (المتناكب).
(٣) أمان جمع أمنية: ما يتمنى الإنسان أن يحصل عليه. الإمهال: ترك الأمر مهلة (بالضمة): مدة، فترة. توييف: تأخير. توييف باطل (٤).
(٤) اللمة: شعر الرأس المجاور للحممة الأذن (وهو أول ما يئيب عادة من شعر الإنسان).
(٥) التواني: التكاثر (عن عمل الصالحات). في حبايل (من الذنوب).
(٦) التفاني بأدْمَعٍ (ذهاب عمري شيئاً بعد شيء بالبكاء). الهامي والهامل (المنسكب بكثرة).
(٧) جهد القل: الشيء القليل الذي يبذله الفقير أو العاجز. الفرض: ما يجب على الإنسان فعله. النافلة: ما ينطوع الإنسان في فعله.
(٨) جاء في سورة الضحى (الثالثة والتسعين في المصحف): ﴿ورفما لك ذكرك﴾.

- وقال من بديعة ثانية:

سَرَيْتُمْ وَطَرَفِي مِنْ كَرَى الْحَزْمِ مَا هَبَا،
وَطَرِفُ اتِّهَاضِي فِي مَدَى الْحَزْمِ مَا خَبَا^(١)

ومنها:

فَحَسِي رَجَائِي أَنْ يَمُتُوا بَعْطُفِهِمْ. وَأَنْ يُعْقِبُوا لِلْبُعْدِ مِنْ وَصْلِهِمْ قُرْبًا.
وَلَا غَرَوَ أَنْ يَلْقَى الطُّفْلِيَّ مَاجِدٌ. يُوَجِّهُ بِهِ يَلْقَى الْمَعَارِفَ وَالصَّحْبَا^(٢).
وَإِنْ هُمْ جَفَوْنِي سَوْفَ أَهْدِي إِلَيْهِمْ. سَلَامِي لَعَلِّي بِالرَّضَا مِنْهُمْ أَحْيَا^(٣).
وَمَنْ صَدَعَنهُ الْحَبُّ فَلْيَفْشِ مَدَحُهُ، فَإِنَّ امْتِدَاحَ الْحَبِّ يَسْتَنْزِلُ الْحَبَا^(٤).
وَمَا الْقَصْدُ وَالْمَعْنَى بِالرَّمْزِ وَالْكُنَى. سَوَى مَنْ عَلَى كُلِّ النَّبِيِّينَ قَدْ أَرَبَى^(٥)،
وَمَنْ شَاهَدَتْ عَيْنَاهُ مِنْ مُلْكِ رَبِّهِ. وَأَيَّاهُ مَا يُعْجِزُ الْكُتُبَ وَالْكَتَبَا^(٦).
أَحَاشِيكَ، يَا كَلَّ الْمُنَى، أَنْ تَسْدُودَنِي

عَنْ الْحَوْضِ يَوْمَ الْعَرْضِ أَوْ أَمْنَعَ الشُّرْبَا^(٧)
وَرَبَّ كَرِيمٍ غَضَضَ عَنْ وَرْدٍ وَاغْغَلَى
حَيَاءً إِذَا وَافَاهُ إِذْ يَتْبَعُ الشُّرْبَا^(٨)

(١) سرى: سار في الليل. الطرف (بالفتح): العين، البصر. الكرى: النوم. الطرف (بالكسر) الحصان. خبأ: أَسْرَعَ.

(٢) الطفيلي: الذي يذهب إلى الولايم من غير دعوة خاصة به. - لا بد من أن يكون هنالك مَاجِدٌ شريف خَيْرٌ (بشديد الباء) يستقبل الطفيلي كما يستقبل أصدقاءه الذين دعاهم إلى وليسته (كتابة عن الرسول).

(٣) جفوني: ابتعدوا عني، كرهوا. مجيئي: حبا. أعطى، منح.

(٤) الحب (بالكسر): المحبوب، طيفش: فليشر. - إذا مدحت الذي لا يجتلك فيمكن أن نجمله محبًا لك.

(٥) المعنى: المقصود. الكنى: الإشارة إلى الشيء بالتمليح لا بالتصريح. أربى: زاد.

(٦) الكتب (بالضم): جمع كتاب. الكتب (بالفتح): الكتابة. - ما تضيق عن استيعابه الكتب وما تقصر الكتابة عن أن تحيط به.

(٧) أحاشيك (أقول: حاشاك): أجلك عن فعل شيء..... زاد: دفع، طرد. الحوض: مجمع ماء يشرب منه المؤمنون يوم تقوم القيامة. يوم العرض: يوم الحشر، يوم القيامة.

(٨) قد يتفق أن يدعو رجل كريم قوماً ثم يرى وغلًا (طفيلًا) ينبع سرهم (جمعهم) فنض الطرف عنه (يسمح بحضوره الوليمة).

لئن قَصَرَتْ حَطَوِي إِلَيْكَ حَطِيتِي وَذَبَّنِي الْأَوْزَارُ عَنْ بَابِكَ ذَبًا (١)،
فمن شِيمَةِ الْعَبْدِ الْفِرَارُ لِرَبِّهِ وَمِنْ شِيمِ السَّادَاتِ أَنْ يَغْفِرُوا الذَّنْبَ!

٤- ** رحلة النجاني (تونس ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨)، ص ٣٨٠-٣٩٣؛ عنوان الأريب
٧٧-٧٩؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ٣٠٨-٣١٠؛ الأعلام للزركلي ٩: ٣١٩
(٨: ٣٤٣).

ابن عتيق المرسى

١- هو أبو عليّ الحُسينُ بنُ عتيق بن الحسين بن رشيقي التَغْلَبِيُّ الأجدادِ المُرْسِيُّ
الأصلِ السَّبْقِيُّ الاستِيطَان. يبدو أنه انتقل باكراً من مُرْسِيَّة إلى المغرب ونزل بسبْطَة
فَعَمِلَ فيها عَدَلًا من العُدُول (عند أبواب الحاكم) ثم دخل في خِدْمَةِ أمير سبْطَة وأصبح
كاتباً له.

وفي الإحاطة (١: ٤٨٠) أن ابنَ عتيق السَّبْقِيَّ مُنْتَمٍ إلى صاحب الثورة على
المعتمد (٩). ولعلَّ المقصودَ «المعتضد» المُوَحَّدِي (٦٤٠-٦٤٦ هـ)، وكان أنصارُ
للمرينيّين قد ثاروا عليه ثم قُتِلَ هو غيلةً في أثناء معاربتهم.

وبدا لابن عتيق السَّبْقِيَّ أن يعودَ إلى الأندلس فانتقل إلى المَرِيَّةِ فوقع عياله في أسرِ
القَرَّاصِيَةِ (الإِسْبَانِ أو البُرْتغَالِيَّين؟) فنظم قصيدةً في مديح والي المَرِيَّةِ من قِبَلِ سُلْطَانِ
غَرْنَاطَةِ الغَالِبِ بالله (٦٢٩-٦٧١ هـ) يتوسَّلُ إليه أن يُساعده في استنقاذ عياله. ولا
شكَّ في أنه أقام في غَرْنَاطَةِ مُدَّةٍ (ذَكَرَهُ ابنُ الخطيبِ في «الإحاطة»). وفي آخرِ عُمُرِهِ
استدعاهُ السُلْطَانُ المَرِينِيُّ يوسُفُ الناصرُ لدين الله (٦٨٥-٧٠٦ هـ) واستكَّبه. ولعلَّ
وفاته كانت سنة ٦٩٠ هـ (١٢٩١ م) أو بعد ذلك بقليل.

٢- كان ابنُ عتيق السَّبْقِيَّ مُشاركاً في عددٍ من الفنون: كاللغة والنحو والتاريخ
والأدب والتعاليم (الحساب والهندسة والفلك الخ). وكان بارعاً في لَمِبِ الشُّطْرَنْجِ

(١) ذَبَّ: دفع، طرد. الوزر (بالكسر): الذنب.

اخترع سُفرة (رُقعة) مستديرة بَدَل الرقعة المربعة. وله تصانيف منها الكتاب الكبير (في التاريخ) وله التلخيص المسمى «مِيزَانُ الْعَمَلِ». وكذلك كان شاعراً مقتدراً وصل إلينا من شعره شيء من النسيب والمديح ثم قصيدة طويلة في الهجاء المُقَدِّع الفاحش في مالك بن الرَحْل - وكان بينهما عداوة ومهاجاة.

٣- مختارات من شعره

- قال ابن عتيق السقي يهجو مالك بن الرَحْل (ت ٦٩٩ هـ):

لِكِلَابٍ سَتَتْ فِي النَّبَاحِ مِدَارُكَ وَأَشْدُّهَا ذَرْكَاً لَدُنْكَ مَالُكَ^(١).
 شَيْخٌ تَقَانَى فِي الْبَطَالَةِ عُمُرُهُ، وَأَحَالٌ فَكَيْهِ الْكَلَامُ الْآفَكَ^(٢).
 كَلْبٌ لَهُ فِي كُلِّ عِرْضٍ عَضَّةٌ وَبِكُلِّ مُحْصَنَةٍ لِبَانٌ فَاتَكَ^(٣).
 أَحْلَى شَائِلِهِ السُّبَابُ الْمُفْتَرَى، وَأَعَفُّ سِيرَتِهِ الْهَيْجَاءُ الْمَاعَكَ^(٤).
 يَغْشَى مَخَاطِرَهُ اللَّئِيمُ تَقَكُّهُمَا، وَيَعَافُ رُؤْيَتَهُ الْحَلِيمُ النَّاسَكَ^(٥).
 فِي شِعْرِهِ مِنْ جَاهِلِيَّةِ طَبْعِهِ أَتَقَالُ أَرْضٌ لَمْ يَنْتَلِهَا فَاتَكَ^(٦).
 إِنَّ سَامَ مَكْرُمَةٍ جَسَا مُتَقَاثِلًا يَرُغُو كَمَا يَرُغُو الْبَعِيرُ الْبَارَكَ^(٧).
 وَيَدِبُ فِي جُنْحِ الظَّلَامِ إِلَى الْحَنَاءِ عَدَوًا كَمَا يَعْدُو الظَّلِيمُ الرَّاتَكَ^(٨).
 وَالدَّهْرُ بِكَ لَأَنْقِلَابٍ صُرُوفٍ ظَهَرًا لِبَطْنٍ، وَهُوَ لَاهٍ ضَاكُ.
 وَاللُّسْنُ تَنْصَحُهُ بِأَفْصَحِ مَنْطِقِي، لَوْ كَانَ يَنْجُو بِالنَّصِيحَةِ هَالِكُ.

(١) المدرك والمدرك: الوصول (اعتناء على الناس). مالك (بن الرَحْل).

(٢) البطالة: الهزل. وأحال (غير شكل) فكَيْهِ الكلام الآفك (الكذب).

(٣) المحصنة: المرأة العفيفة (ذات الزوج).

(٤) الماعك! يقصد الشاعر «المك» (يفتح فكسر): الأحمق، الشديد الخصومة.

(٥) الرجل اللئيم يدرك أن جمالة ابن الرَحْل خطر عليه ومع ذلك فهو يحضر جماله لأن فيها أسباباً للصحك (عليه: على ابن الرَحْل).

(٦) فاتك (؟). الفاتك هو الكثير المرأة على الأمور.

(٧) إن سام (لعلها: إن سم: إذا طُلب منه). جئنا: ركع.

(٨) دب: شئ بطيء واستغفاه. الجمح: الجانب من الليل. الحناء: العمل القبيح. العدو: الركض. الظلم: ذكر النمام. الراتك: الذي يركض بخطى متقاربة.

تُسَبِّ، يَا أَبْنَ تَسْمِينِ، فَقَدْ جُزَّتْ الْمَدَى
يَا ابْنَ الْمَرْحَلِ لَوْ شَهِدْتَ مَرْحَلًا
لَرَأَيْتَ لِلْعَيْنِ اللَّثِيمَةَ لَمَحَةً
وَشُفِلْتَ عَنْ دَمِ الْأَنَامِ بِشَاغِلٍ،
وَأَرْتَاحَ لِلْقِيَا بَيْتَكَ مَالِكُ (١)،
وَقَدْ آخَنَى بِالرَّحْلِ مِنْهُ الْحَارَكُ (٢)،
وَعَلَا بِصَفْعِ عَرَكَ أُذُنِكَ عَارَكُ (٣)،
وَتَنَاسَكَ خَصَمٌ مِنْ أَيْيِكَ مُهَاحِكُ.

- وله قصيدة يمدح بها والي المروية وكان قريباً للسلطان الغالب بالله:

مُلِقَى النَوَى مَلَقَ لِبَعْضِ نَوَالِكَا، فَاشْفِ الْمُحِبَّ وَلَوْ بِطَيْفِ خَيَالِكَا (١)،
لَا تَحْشَبْنِي مِنْ فُلَانٍ أَوْ فُلَا، أَنَا مِنْ رِجَالِ اللَّهِ ثُمَّ رِجَالِكَا (٢)،
نَصَبَ الْعَدُوَّ حَبَائِلًا لِحَبَائِثِي، وَعَلَقْتُ فِي اسْتِخْلَاصِهَا بِجِيَالِكَا (٣)،
وَكَمَاكَ شَرُّ الْعَيْنِ عَيْبٌ وَاحِدٌ، لَا عَيْبَ فِيهِ سِوَى قُلُولِ نِصَالِكَا (٤).

الإحاطة ١: ٤٨٠ - ٤٨٤: بغية الوعاة ٣٥٤: الأعلام للزركلي ٢: ٢٦٣ (٢٤٣).

ابن الغمَّاز البُلَنَسِي

١- هو أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن سعيد بن محمد بن علي بن مكنف المعروف بابن الغمَّاز الأنصاري البُلَنَسِي، من أهل

- (١) سِرَّ مَالِك (خازن النار) بلقياك (في وقت قريب) لأنك الآن طامن في السَّ. تسمين (!).
- (٢) المرحل: الجد الذي ينسب إليه مالك هذا. يقول له: المرحل ليس اسم الجمل الذي كان يرحل عليه جدك، بل هو اسم جدك الذي كان يحمل عليه الناس أشياءهم فآخنى حاركة (أعلى كتفه) من أجل ذلك.
- (٣) لكنت رأيت في جدك لؤماً يبدو من عينيه ثم (جاء) من يورك أذنك (يُدَّهَا: احتقاراً لك) ويصفحك أيضاً (كرهاً لك).
- (٤) ملقى النوى (الآتي من مكان بعيد) ملق النوال: العطاء ...
- (٥) من فلان أو (فلان) في «فلا» اكفاء (ذكر أحرف تدن على الحرف المحذوف).
- (٦) حباله (بالضم): الشرك (بفتح فتح). الحباث جمع حبيبة. علقت بجبالك: أحبيبتك (المقصود: أصبحت أنا أسيراً لك).
- (٧) النصل: حد السيف وغيره. الفلول: التفوق التفتيح. عيبك الوحيد أن سيفك مغلفة من قتالك الأعداء (من قول النابغة: بين فلول من قراع الكتائب).

بَلَنَسِيَّةً، وَلَذَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ مِنْ سَنَةِ ٦٠٩^(١) وَتَلَقَّى الْعَلَمَ عَلَى كَثِيرِينَ يَلْعُونُ مَائَةً عَدًّا. وَقَدْ تَقَلَّ فِي عَذَابٍ مِنْ مُدُنِ الْأَنْدَلُسِ وَمُدُنِ الْعُدُوَّةِ الْإِفْرِيقِيَّةِ، وَكَانَ يَمْعَلُ فِي هَذِهِ الْبُلْدَانِ فِي الْعَدَالَةِ وَالتَّوَثُّيقِ أَوْ يَتَوَلَّى فِيهَا الْقَضَاءَ: تَوَلَّى الْقَضَاءَ فِي بَجَايَةِ مَعَ الصَّلَاةِ فِي جَامِعِهَا الْأَعْظَمِ؛ وَتَوَلَّى الْقَضَاءَ مِرَاراً فِي تُونِسَ وَأَصْبَحَ فِيهَا قَاضِي الْقَضَاةِ. وَيَبْدُو أَنَّهُ تَحَلَّى فِي أَوَاخِرِ عُمْرِهِ عَنِ الْعَمَلِ لِلتَّكْسَبِ وَعَنِ الْمُنَاصِبِ ثُمَّ تَفَرَّغَ لِلرَّوَايَةِ وَالْإِفَادَةِ (التَّدْرِيسِ). وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي تُونِسَ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَيْضاً مِنْ سَنَةِ ٦٩٣ (١١/١٢/١٢٩٣ م.).

٢- ابْنُ الْغَمَّازِ الْبَلَنَسِيُّ فِي الْأَصْلِ مِنْ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ وَمِنَ الْفُقَهَاءِ. وَكَانَ شَاعِراً مُحْسِناً سَهْلَ الْقَوْلِ وَاضِحَ الْمَعَانِي، وَعَلَى شِعْرِهِ نَفْعَةٌ دِينِيَّةٌ وَدَلَالٌ مِنَ الْإِخْلَاصِ.

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ شِعْرِهِ

- قَالَ ابْنُ الْغَمَّازِ الْبَلَنَسِيُّ فِي رَجَاءٍ عَفْوِ اللَّهِ:

وَقَالُوا: أَمَا تَخْشَى ذُنُوباً أَتَيْتَهَا، وَلَمْ تَكُ ذَا جَهْلِ فُتُغْدَرَ بِالْجَهْلِ؟
فَقُلْتُ لَهُمْ: هَبْنِي^(٢) كَمَا قَدْ ذَكَرْتُمْ: تَجَاوَزْتُ فِي قَوْلِي وَأَسْرَفْتُ فِي فِعْلِي؛
أَمَا فِي رِضَا مَوْلَى الْمَوَالِي وَصَفَحِهِ رَجَاءٌ وَمَسَلَّةٌ لِمُقْتَرَفٍ مِثْلِي^(٣)!

- وَقَالَ فِي مُحَاسَبَةِ نَفْسِهِ:

أَمَا آَنَ لِلنَّفْسِ أَنْ تَحْتَمَا؟ أَمَا آَنَ لِلْقَلْبِ أَنْ يَقْلَعَا^(٤)؟
أَلَيْسَ الثَّمَانُونَ قَدْ أَقْبَلَتْ فَلَمْ تُبْقِ فِي لَذَّةٍ مَطْمَعَا؟
تَقْضَى الزَّمَانُ وَلَا مَطْمَعُ لَهَا قَدْ مَضَى مِنْهُ أَنْ يَرْجِعَا.
تَقْضَى الزَّمَانُ، فَوَاحَرْتَا لَهَا فَاتٌ مِنْهُ وَمَا ضُيِّعَا.

(١) عَاشُورَاءُ: الْيَوْمُ الْعَاشِرُ مِنَ الْهِجْرِ (النَّهْرِ الْفَرْدِيِّ الْأَوَّلِ). هَذَا الْيَوْمُ يَفْعُ (مِنْ سَنَةِ ٦٠٩ هـ) فِي ١٢/١٢/١٢٩٣ م.

(٢) هَبْنِي (عَلَى الْحَرِيدِ: مَخَاطَةِ النَّفْسِ): لِأَفْرَضَ أَنَا أُنِي...

(٣) مَوْلَى الْمَوَالِي: اللَّهُ. الْمَسَلَّةُ: الْمَلَى وَالْمَلُو (السَّيَانُ وَالتَّعَرَّى). الْمُقْتَرَفُ: الْمُرْتَكِبُ (لِلذُّنُوبِ الْكَبِيرَةِ).

(٤) آَنَ: حَالٌ. اقْتَرَبَ (أَلَمْ يَأْتِ الْوَقْتُ بَعْدَ). أَقْلَعُ: رَجَعَ (عَنِ الْعَمَلِ الْقَبِيحِ).

وَيَا وَيْلَتَسَاهُ لِذِي شَيْبَةٍ يُطِيعُ هَوَى النَّفْسِ فِيمَا دَعَا؛
وَبُعْدًا وَسُخْقًا لَهُ إِذَا غَدَا يَمْسَعُ وَعْظًا وَلَنْ يَنْمَعَا^(١)؛
- وقال في التسليم لله في كل شيء:

يَا صَاحِبَ الْهَمِّ، إِنَّ الْهَمَّ مُنْفَرَجٌ؛ كَمْ مِنْ أُمُورٍ شِدَادِ فَرَجِ اللَّهِ!
الْيَأْسُ يَقْطَعُ أَحْيَانًا بِصَاحِبِهِ. لَا تَيَاسَنَّ فَإِنَّ الْفَاتِحَ اللَّهُ.
اللَّهُ حُبُّكَ فِيمَا عُدَّتْ مِنْهُ بِهِ، وَأَيْنَ يَأْمَنُهُمْ مَنْ حَبَّهَ اللَّهُ^(٢).
إِذَا قَضَى اللَّهُ فَاسْتَسْلِمَ لِقُدْرَتِهِ، مَا لِأَمْرِي حِيلَةٌ فِيمَا قَضَى اللَّهُ.
سَلَّمَ إِلَى اللَّهِ فَمَا شَاءَ وَأَرْضَ بِهِ، فَالْخَيْرُ أَجْمَعُ فِيمَا يَصْنَعُ اللَّهُ.

٤- ** عنوان الدراية ١٢٩ - ١٣٠: الدياج ٧٦ - ٧٩: نفع الطيب ٣٠٦ - ٣١٧،
٣٢١ - ٣٢٢، ٣٢٩ - ٣٤٠: وفیات ابن قنط ٣٣٤: درة الحجال ١: ٧٩ - ٨٠،
الأعلام للزركلي ١: ٢١٢ - ٢١٣ (٢٢١).

حافي رأسه

١- هو الشيخ محيي الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن أبي
محمد الزناتى الكملاني^(٣) (نسبة إلى قبيلة من البربر) الإسكندراني (نسبة إلى
إسكندرية مصر) الملقب «حافي رأسه»^(٤).

- (١) الحق: البعد الشديد. بعداً وسحقاً جلة تقال في الدعاء على المذنب.
- (٢) حسبك: يكفيك، كافيك. عدت (التحات) منه (من الذنب) به (بالله). يأمنهم (كذا في الأصل!).
- (٣) الكملاني (من بغية الوعاة ٥٧).
- (٤) في الوافي بالوفيات (٣: ٣٦٥): «لقب بحافي رأسه لعمرة كانت في دماغه (الحفاض في صدغه). وقيل:
كان في رأسه شيء يشبه (حرف) ح. وقيل: لأنه كان في أول أمره مكتوف الرأس، فرآه رئيس في الشعر
(الإسكندرية) فأعطاه ثياباً جُددًا. فقال له: هذا ليدي، ورأسي حاف. فأمر له بعمامة. فلزمه ذلك
اللقب». من أجل ذلك يحسن أن يلفظ لقبه: حافي (بكسرتين) رأسه (بالرفع: ضم السين) على أن
رأسه «فاعل» حاف».

وُلِدَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَافِي رَأْسِهِ فِي تَاهَرْتِ^(١)، سَنَةَ ٦٠٦ هـ (١٢٠٩ - ١٢١٠ م).
ويبدو أَنَّهُ رَحَلَ مِنْذُ مُطْلَعِ شَبَابِهِ حَتَّى يَكُونَ قَدْ أَخَذَ فِعْلاً عَنْ عَبْدِ النَّمِيمِ بْنِ صَالِحِ
التَّمِيمِيِّ (٥٤٧ - ٦٣٣ هـ) وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الْمَجِيدِ الصُّفْرَاوِيِّ (٥٤٤ - ٦٣٦ هـ)،
وَكِلَاهُمَا حِجَازِيٌّ الْأَصْلُ إِسْكَندَرَانِيٌّ الدَّارِ. وَقَدْ أَخَذَ أَيْضاً عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ
مَخْلُوفِ الْإِسْكَندَرِيِّ وَغَيْرِهِ.

وَاسْتَقَرَّ حَافِي رَأْسُهُ فِي الْإِسْكَندَرِيَّةِ (فُعِرْفَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بِالْإِسْكَندَرَانِيِّ) وَتَصَدَّرَ
لِلتَّدْرِيسِ فِيهَا. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ٦٩٣ هـ^(٢) (صيف ١٢٩٤ م).

٢- كَانَ حَافِي رَأْسُهُ مِنْ أَئِمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ (النَّحْوِ)، قَالَ الصَّنَدِيُّ^(٣):

«هُوَ أَحَدُ الثَّلَاثَةِ الْمُحَمَّدِينَ - مِنْ كِبَارِ النَّحَاةِ - فِي عَصْرِ وَاحِدٍ: حَافِي رَأْسُهُ فِي
الْإِسْكَندَرِيَّةِ، وَهَاءُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ النَّحَّاسُ (٦٢٧ - ٦٩٨ هـ) فِي مِصْرَ
(الْقَدِيمَةِ: مَدِينَةُ عَمْرُو بِالْقِسْطَاطِ) وَابْنُ مَالِكٍ (ت ٦٧٢ هـ) فِي دِمَشْقَ. وَكَانَ لِحَافِي رَأْسُهُ
شَعْرٌ.

٣- مَخْتَارَاتُ مِنْ شَعْرِهِ

- قَالَ حَافِي رَأْسُهُ بِشُكْرِ الْمُحِبِّينَ الَّذِي عَلَّمَهُ الصَّبْرَ عَلَى الْمَهْجَرِ:

أُمَلِّمِي الصَّبْرَ الْجَمِيلَ بِهَجْرِهِ فَنَسَى فَوَاداً عَنْهُ لَمْ يَكُ يَنْثَنِي.
لَا بُدَّ مِنْ أَجْرِ لِكُلِّ مُعَلِّمٍ. وَإِلَى السَّلْوِ ثَوَابُ مَا عَلَّمْتَنِي^(٤).

- وَقَالَ يَهْجُو مُتَكَبِّراً (وَيُجْرِي هَذَا الْمَهْجَاءُ فِي تَوْبِيَّةٍ نَحْوِيَّةٍ بَيْنَ رُفْعَةِ الْقَدْرِ
وَالرَّفْعِ فِي النَّحْوِ ثَمَّ بَيْنَ جَرٍّ طَرَفِ الثَّوْبِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ لِلتَّكْبَرِ وَالْحَيْلَاءِ وَبَيْنَ الْجَرِّ

(١) فِي الْوَاوِ بِالْوَوَاتِ (٣: ٣٦٥، الطَّرِيقُ الثَّانِي): وَلِدَ نَلْسَانُ... بِظَاهِرٍ. وَفِي بَعْضِ الْوَعَاةِ (ص ٥٧، الطَّرِيقُ
الثَّلَاثُ مِنْ أَسْفَلِ): وَلِدَ تَاهَرْتُ بِظَاهِرِ تَلْسَانِ.

(٢) مِنْ بَنِيَّةِ الْوَعَاةِ: سَنَةُ ٦٩٣ أَوْ ٣٩١ (عَنْ أَثَرِ الدِّينِ أَبِي حَنَانَ). وَفِي فَوَاتِ الْوَفِيَّاتِ: سَنَةُ ٦٨٠.

(٣) الْوَاوِ بِالْوَوَاتِ ٣: ٣٦٥.

(٤) فِي الْأَصُولِ: وَإِلَى السَّلْوِ (وَالْمَعْنَى غَيْرُ مُسْتَقِيمٍ). أَقْرَأُ: وَلِي السَّلْوُ أَوْ وَلَكَ السَّلْوُ (لَكَ مَنَى السَّلْوُ: نِيَانُ
الْحُبِّ) أَجْرًا عَلَى تَعْلِيمِكَ إِيَّايَ الصَّبْرِ.

في النحو. ثم هنالك طباق بين «الرفع» و«الجر»:

وَمُعْتَبِدٍ أَنْ الرِّثَاةَ فِي الْكَبِيرِ ، فَأَصْبَحَ مَمْقُوتًا بِهَا وَهُوَ لَا يَذَرِي :
يَجْرُ ذُبُولَ الْكَبِيرِ طَالِبَ رُفْعَةٍ . أَلَا فَاغْجِبُوا مِنْ طَالِبِ الرِّفْعِ بِالْجَرِّ !

- ويبدو أنه اقتصر فباع كُتُبَهُ فَكَتَبَ إِلَى الأميرِ نورِ الدين عليّ بنِ سعودِ الصّواي يطلبُ منه عَوْنًا . في البيتين توريتان: الصواب (الحق، الإصابة) والصواي (لقب الأمير نور الدين) ثم «بلا كتاب» (بلا كتاب في مكتبي - بلا كتاب مُنْزَل):

شَكَوْتُ إِلَيْكَ ، نَوْرَ الدِّينِ ، حَالِي ، وَحَسْبِي أَنْ أَرَى وَجْهَ الصَّوَابِ .
وَكُنْصِي بِعُتْهَا وَرَهْنَتْ ، حَتَّى بَقِيتُ مِنَ الْمَجُوسِ بِلَا كِتَابٍ !

٤- ** فوات الوفيات ٢: ٢٨٤-٢٨٥؛ الوافي بالوفيات ٣: ٣٦٤-٣٦٦؛ بعية الوعاة ٥٧-٥٨؛ معجم أعلام الجزائر ١٥٨-١٥٩.

عبد العزيز الملزوزي

١- هو عبدُ العزيز بن عبد الوهاب بن محمد الملزوزي النّجارُ المكناسيُّ، كان شاعرَ البَلَّاطِ المَرِينِيَّ أيامَ المنصورِ يعقوبَ بن عبدِ الحقِّ (٦٦٧-٦٨٤ هـ) وابنه يوسف (٦٨٥-٧٠٦ هـ). وقد رافقَ يعقوبَ المنصورَ في مُعْظَمِ حَمَلَاتِهِ فِي العُدُوَّةِ الإفريقيةِ وفي الأندلسِ. وكان المنصورُ يُكْرِمُهُ، أجازَه على قصيدته «بِحَمْدِ اللَّهِ أَفْتَتَحُ الْخِطَابَا» بِعُشْرَةِ آلَافٍ دِينَارٍ! وَأَجَازَ مُشِيدَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ أَبُو زَيْدٍ الْغَرَابِلِيُّ بِالْأَلْفِ دِينَارٍ! وكانت وفاةُ عبدِ العزيزِ الملزوزي سَنَةَ ٦٩٧ (١٢٩٧-١٢٩٨ م).

٢- عبدُ العزيزِ الملزوزيُّ شاعرٌ مُكَيَّرٌ لَهُ قَصَائِدٌ طَوَالٌ وَمُقْطَعَاتٌ قِصَارٌ فِي المدحِ والوصفِ والنسيبِ. وقد حاولَ نَظْمَ مَلاحِمَ تَوْفَرَّ لَهُ فِيهَا عُنْصُرَا الإِطَالَةِ وَالسَّرْدِ التَّارِيخِيِّ لِسِيرِ الْمُلُوكِ، وَلَكِنْ لَمْ يَتَوْفَّرْ لَهُ فِيهَا عُنْصُرَا الْخَيَالِ وَالْقِصَصِ الْمُحْكَمِ. ثُمَّ هُوَ مُؤَلِّفٌ لَهُ كِتَابٌ فِي تَارِيخِ الْمَغْرِبِ (لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عُنْوَانًا). وَلَهُ أَرْجُوزَةٌ «نَظْمُ السُّلُوكِ فِي مَنْ نَزَلَ الْمَغْرِبَ مِنَ الْمُلُوكِ».

٣- مختارات من شعره

- قال عبد العزيز الملزوي:

لِمَرَاكُشٍ فَضَّلَ عَلَى كُلِّ بَلَدَةٍ، وما أَبْصَرْتُ عَيْنٌ لَهَا مِنْ مُشَابِهِ.
وما هِيَ إِلَّا جَنَّةٌ قَدْ تَزَحَّرَفَتْ، ولكنها حُفَّتْ لَنَا بِالْمَكَارِهِ^(١).

- وقال في النسيب:

أَعْلَمْتُ بَعْدَكَ زَفَرِي وَأُنِيبِي وَصَابَتِي يَوْمَ النَّوَى وَشُجُونِي^(٢)؟
مِنْ بَعْدِ بُعْدِكَ مَا رَكَنْتُ لِرَاحَةٍ يوماً، وَلَا غَاضَتْ عَلَيْكَ شُؤُونِي^(٣).
قَدْ كُنْتُ أَبْكِي الدَّمْعَ أَيْضاً نَاصِعاً، فاليوم تبكي بالدماء جُفُونِي.
قُلْ لِلَّذِينَ قَدْ ادَّعَوْا فِرَاطَ الْهَوَى: إِنْ سَيُثْنَمُو عِلْمَ الْهَوَى فَلُونِي.
إِنِّي أَخَذْتُ كَثِيرَهُ عَنْ عُرْوَةٍ وَرَوَيْتُ سَائِرَهُ عَنِ الْمَجْنُونِ^(٤).

- وقال يرفعُ نَسَبَ بَنِي مَرَيْنٍ - وهم فَخِذٌ مِنْ زَنَاتَةٍ - إِلَى قَيْسِ عَيْلَانَ مِنْ عَرَبِ الشَّهَالِ:

قَدْ جَاوَرَتْ زَنَاتَةُ الْبَرَابِرَا فَصَيَّرُوا كَلَامَهُمْ كَمَا تَرَى^(٥).
مَا بَدَّلَ الدَّهْرُ سِوَى أَقْوَالِهِمْ وَلَمْ يُبَدِّلْ مُنْتَهَى أَحْوَالِهِمْ^(٦).
بَلْ فَعَلَهُمْ أَرْبَى عَلَى فِعْلِ الْعَرَبِ فِي الْحَالِ وَالْإِثَارِ ثُمَّ فِي الْأَدَبِ^(٧).

(١) تزحرفت: تزينت. في الحديث الشريف: «حَفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِ» (أي أن استحقاق الدخول إلى الجنة يقتضي القيام بعدد من الأعمال - الواجبات وأوجه الإحسان - . وهذه ثقيلة في العادة على النفس الإنسانية).

(٢) الصابة: الحب. النوى: البعاد (الفراق). الشجن (يفتح ففتح): الحزن.

(٣) الثأن: يجري الدمع من العين.

(٤) عروة بن حزام (يكسر الحاء) ومجنون بني عامر (قيس بن الملوح: يفتح الواو المشددة) من الشعراء الهنئيين المدريين في العصر الأموي.

(٥) أصبح كلام بني زناتة الآن قريباً من البربرية لأنهم بربر، بل لأنهم جاؤوا البربر!

(٦) لضمهم أصبحت بربرية، ولكن أفعالهم لا تزال عربية!

(٧) أرى: زاد. الإثارة: تفضيل الآخرين على النفس. حَتَّى أَنَّ النَّتَاجَ الْأَدَبِيَّ فِي زَنَاتَةٍ (في النثر والشعر) أحسن منه عند العرب الأصحاح.

فَانظُرْ كَلَامَ الْعَرَبِ قَدْ تَبَدَّلَا وَحَالُهُمْ عَنْ حَالِهِ تَحَوَّلَا ^(١)؛
 لَا يَعْرِفُونَ الْيَوْمَ مَا الْكَلَامُ، وَمَا لَهُمْ نُطْقٌ وَلَا إِفْهَامٌ ^(٢).
 كَذَاكَ كَانَتْ قَبْلَهُمْ مَرِينُ كَلَامُهُمْ كَالدُّرِّ إِذْ يَبِينُ ^(٣).
 فَاتَّخَذُوا سِوَاهُمْ خَلِيلًا فَبَدَّلُوا كَلَامَهُمْ تَبْدِيلًا

٤- ** الاستقصاء ٢: ٣١؛ الأدب المغربي ٢٢٦-٢٣٠؛ النبوغ المغربي ٢٢٦ (ترجمته).
 ٩١٢ إلح.

بدر الدين بن هود

١- هو بدر الدين أبو علي الحسن بن علي بن يوسف بن هود الجُدَامِيُّ المُرْسِيُّ، قيل
 هُوَ أَخُو الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ يَوْسُفَ بْنِ هُودٍ الْمُسْتَبْدِ بِبَقِيَّةِ الْأَنْدَلُسِ فِي أَيَّامِهِ
 (٦٢١-٦٣٥ هـ) ^(١).

وُلِدَ بِدْرِ الدِّينِ بْنُ هُودٍ فِي مُرْسِيَّةَ، سَنَةَ ٦٣٣ لِلْهِجْرَةِ (١٢٣٥-١٢٣٦ م).
 وَاشْتَغَلَ حِينًا بِالطَّبِّ وَالْحِكْمَةِ ثُمَّ صَجِبَ الْمُتَصَوِّفَ أَبْنَ سَبْعِينَ (ت ٦٦٩ هـ). ثُمَّ إِنَّهُ
 حَجَّ وَدَخَلَ الْيَمَنَ وَقَدِمَ إِلَى الشَّامِ وَاسْتَقَرَّ فِي دِمَشْقَ حَيْثُ تُوُفِّيَ فِي ٢٦ شَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ
 ٦٩٩ (١٣٠٠/٦/١٦ م).

٢- يبدو أن بدر الدين بن هود كان ذا اضطراب عصبي فأتجه منذ مطلع حياته إلى
 ملوك الأحوال الصوفية عادة أو دعوى ونشأ عنده قلة مبالاة بالعرف الاجتماعي

(١) - حتى العرب الطائرون على العرب تبدلت لهجنتهم لأنهم هم أيضاً جاؤوا البربر.

(٢-٣) المعنى المقصود في هذه الأبيات ملوح من استعراء الأبيات السابقة.

(٤) يسوق الصفيدي (الوفا بالوفيات ١٢: ١٥٦) نسب بدر الدين بن هود على الصورة التالية: الحسن بن علي
 أبو علي بن عضد الدولة أبي الحسن أخو المتوكل على الله ملك الأندلس (٦٣١-٦٣٥) أبي عبد الله
 أنبي يوسف بن هود. ويسوقه الصلاح الكتي (وفات الوفيات ١: ١٦٣): الحسن بن عضد الدولة أبي
 الحسن أخو المتوكل على الله ملك الأندلس بن يوسف بن هود الجُدَامِي. واللسان غير واضحين. غير أن
 مراجعة تاريخ الوفاة لبدر الدين هذا والملك الأندلسي يمكن أن يدل على أن ابن هود ملك الأندلس عم
 بدر الدين صاحب هذه الترجمة (راجع - مثلاً - زاماور ٩٣).

والديني. حَدَّثَ لَهُ زُهْدٌ مُفْرَطٌ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا وَصَحِبَ ذَلِكَ غَفْلَةً شَدِيدَةً فَكَانَ يُرَى كَأَنَّهُ غَارِقٌ فِي التَّفَكُّيرِ مُتَّصِلُ الْحُزْنِ كَثِيرُ الْإِنْتِبَاضِ عَنِ النَّاسِ، وَشَرِبَ مَرَّةَ الْخَمْرِ عَلَنًا وَلَمْ يُبَالِ بِلَوْمِ النَّاسِ فَكَانَ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: «وَمَا جَرَى؟ أَيْنُ هُوِدُ شَرِبَ خُرًا». وَكَثُرَ الشُّطْحُ^(١) فِي كَلَامِهِ وَفِي أَعْمَالِهِ، فَكَانَ، مَثَلًا، إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ اسْتَقْبَلَهَا وَصَلَّبَ عَلَى وَجْهِهِ. فَقَدْ نَفَرَ كَثِيرُونَ ذَلِكَ مِنْهُ خُرُوجًا عَنِ الْإِسْلَامِ. فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ الْقَاضِي بَدْرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ جَبَاعَةَ (٦٣٩ - ٧٣٣ هـ).

وبدُرُ الدين بن هودٍ شاعرٌ مُكْتَبِرٌ عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ التَّصَوُّفِ، فِي بَعْضِ شِعْرِهِ تَلْمِيحٌ وَفِي بَعْضِهِ تَصْرِيحٌ. وَبَعْضُ شِعْرِهِ مَتِينٌ السَّبْكِ مِنَ الطَّبَقَةِ الْعَالِيَةِ. وَكَانَ يَمِيلُ فِي تَصَوُّفِهِ إِلَى وَحْدَةِ الْوُجُودِ أَوْ الْإِتِّحَادِ^(٢)، وَهُوَ - فِي ذَلِكَ - كَثِيرُ الشُّبْهِ بِعَمْرِ بْنِ الْفَارُضِ.

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ شِعْرِهِ

- قَالَ بَدْرُ الدِّينِ بْنِ هُوْدٍ الْمَرْسِيُّ عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ التَّصَوُّفِ:

فَوَادِي مِنْ مَحْبُوبِ قَلْبِي لَا يَخْلُو، وَسِرِّي عَلَى فِكْرِي مَحَاسِنُهُ يَجْلُو^(٣).
أَلَا يَا حَبِيبَ الْقَلْبِ: يَا مَنْ يَذْكُرُهُ عَلَى ظَاهِرِي مِنْ بَاطِنِي شَاهِدٌ عَدْلُ^(٤)،
تَجَلَّيْتُ لِي مَنِّي عَلَيَّ فَأَصْبَحْتُ صِفَاقِي تُنَادِي: مَا لِمَحْبُوبِنَا مِثْلُ^(٥)!
أَوْرِي بِذِكْرِ الْجَزَعِ عَنِّي وَبَانِهِ؛ وَلَا الْبَانُ مَطْلُوبِي وَلَا قَصْدِي الرَّمْلُ^(٦).
وَأَذْكُرُ سَعْدِي فِي الْحَدِيثِ مُغَالِطًا وَلَيْلِي؛ وَلَا لَيْلِي مُرَادِي وَلَا جُمْل.

(١) الشُّطْحُ: كَلَامٌ عَلَيْهِ رَعُونَةُ (خَفَّةٌ وَحَنٌّ وَخُرُوجٌ عَنِ الْمَأْلُوفِ).

(٢) مَذْهَبُ الْوَحْدَةِ (وَحْدَةُ الْوُجُودِ) أَوْ الْإِتِّحَادِ (فِي التَّصَوُّفِ): أَنَّ بَقْدَ التَّصَوُّفِ شَخْصِيَّتَهُ تَمَّ تَحَقُّقُ ذَاتِهِ فِي اللَّهِ فَيَبْقَدُ الْإِنْسَانُ وَيَبْقَى اللَّهُ.

(٣) سِرِّي يَجْلُو (يُظْهِرُ) مَحَاسِنَ مَحْبُوبِي لِمَكْرِي.

(٤) عَلَى ظَاهِرِي مِنْ بَاطِنِي (رَاجِعُ الْحَاشِيَةِ السَّابِقَةِ): سُلُوكِي الظَّاهِرُ الْخَالِفُ لِعَقْدَادِ النَّاسِ تَوَّغُهُ (غَيْرُهُ) مِرْقَتِي الْبَاطِنَةِ.

(٥) تَجَلَّيْتُ (ظَهَرْتَ حَقِيقَتَكَ لِي). لِي مَنِّي عَلَيَّ (رَاجِعُ الْحَاشِيَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ): التَّصَوُّفُ لَا يَسْتَدَلُّ بِالْمَنْطِقِ وَبِالْبَرَاهِينِ الْخَارِجَةِ، بَلْ بِمَا يَهْقُ فِي قَلْبِهِ (فِي نَفْسِهِ) مِنَ الْإِتِّحَادِ الذَّاقِي (أَوْ الْوَهْمِ).

(٦) وَرَى: ذَكَرَ شَيْئًا وَهُوَ يَرِيدُ غَيْرَهُ. الْجَزَعُ: مَحْطَفُ الرَّمْلِ. الْبَانُ: شَجَرٌ أَغْصَانُهُ طَوَالُ مَسْتَقِيمَةِ سَمَاءٍ.

ولم أرَ في المُثاقِ مثلي، لأنِّي
 سبّو مشرٍ حلّوا النّظامَ ومَرَقوا النّـ
 مجانين، إلّا أنْ ذلّ جُنونهم
 تَلذُّ لي البَلوى ويحلّو لي العَذلُ^(١)،
 ياب؛ فلا قَرَضٌ عليهم ولا تَقَلُّ^(٢)؛
 عزيزٌ، على أعتابهم يسجدُ العقلُ^(٣)!

- وله في مثل ذلك (في العزة الإلهية):

خُضْتُ الدُّجَنَةَ حتّى لاح لي قَبَسٌ
 فقلتُ للقوم: هذا الرّثعُ رَبُّهُمْ؛
 وقلتُ للمين: غُضِّي عن عَاشِنه؛
 وبأنْ بأنْ الحِمى من ذلك القَبَسِ^(٤).
 وقلتُ للسمع: لا تَحَلّو من الحَدَسِ^(٥).
 وقلتُ للنطق: هذا موضعُ الحَرَسِ!
 - وقال بدر الدين بن هود أيضاً:

عَلِمَ قومي بيَ جَهْلٌ
 أَنَا عَبْدٌ، أَنَا رَبٌّ؛
 أَنَا دُنْيَا، أَنَا أُخْرَى،
 أَنَا مَشُوقٌ لِدَاقِي،
 فَوْقَ عَشْرِ دُونَ تِسْعِ
 إِنَّ شَأْنِي لِأَجَلٌ^(٦).
 أَنَا عِزٌّ، أَنَا ذُلٌّ^(*).
 أَنَا بَعْضٌ، أَنَا كُلٌّ.
 لَسْتُ عَنِّي الدَّهْرَ أُنَلُو.
 بَيْنَ خَمْسِ لِي مَحَلٌّ^(٧).

٤- ** الوافي بالوفيات ١٢: ١٥٦-١٥٩؛ فوات الوفيات ١: ١٦٢-١٦٣؛ المعبر للذهبي
 ٥: ٣٩٧؛ شذرات الذهب ٥: ٤٤٦؛ الأعلام للزركلي ٢: ٢٢١ (٢٠٣).

- (١) البلوى: المحنة (المصيبة الكبيرة). العذل: اللوم (بلا صوغ).
- (٢) حلّوا النظام: تركوا التقيّد بالعرف السائد. مرّقوا الثياب: تركوا مظاهر الأمور وعملوا بحقائقها (في ظنهم أو وهمهم). الغرض (الواجب في الدين). النفل (ما يقوم به الإنسان متطوعاً): صوم رمضان فرض على المسلم البالغ العاقل الصحيح (غير المريض). أمّا صوم غيره من الأيام فهو نفل.
- (٣) عزيز: قوي (نفس، نادر، مرغوب فيه).
- (٤) الدجّة: الظلام. قبس: شيء يؤخذ من النار) العزة الإلهية. بأن: ظهر. البان: نبات أغصانه مستقيمة. الحمى: المكان الحصين. بأن الحمى (مدرك الالوهية).
- (٥) الربع: المسكن.. الحدس (يسكون الدال): الظن، التوهم.
- (٦) أجل: أرفع، أعلى قدراً. * كلمة «أنا» تُرسم «أنا» ولكن تُلفظ «أن» (بإسقاط «الألف»).
- (٧) البيت غير واضح (لعلّ المقصود: لي وجود في كلّ مكان).

ابن فرح^(١) الإشبيلي

١- هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن فرح بن أحمد بن محمد بن فرح اللخمي الإشبيلي، وُلِدَ في إشبيلية سنة ٦٢٥ (١٢٢٨ م). وفي سنة ٦٤٦ (١٢٤٨ م) استولى فرديناند الثالث ملك قشتالة على إشبيلية فكان ابن فرح في الدين وقعوا في الأسر (وهو في مطلع شبابه) فاستطاع الهرب. ثم إنه رحل إلى مصر في أوائل عشر الحسين (بعيد ٦٥٠ هـ) وتفقَّ فيها على العزَّ (عزَّ الدين عبد العزيز) بن عبد السلام (٥٧٧-٦٦٠ هـ) وسَمِعَ من شرف الدين الأنصاري الحموي وأحمد بن زين الدين وإسماعيل بن عزَّوزٍ والنجيب بن الصيقل وابن علاق. ثم إنه انتقل (بعد مُدَّة) إلى دِمَشقَ فَمِيعَ من ابن عبد الدائم (٥٧٥-٦٦٨ هـ). ثم كانت له في الجامع الأموي حلقة مشهودة.

وكانت وفاة ابن فرح الإشبيلي في دِمَشقَ في تاسع جمادى الثانية من سنة ٦٩٩ (١٣٠٠/٣/٢ م).

٢- كان ابن فرح الإشبيلي من علماء الحديث ورواته ومن الفقهاء. وهو ناظم مقتدر، اشتهر بقصيدته (القصيدة الغرامية) وهي منظومة غزلية (ظاهرها غزل) في ألقاب الحديث. هذه القصيدة عشرون بيتاً جمَعَ فيها ابن فرح عدداً من أساء الحديث. وقد كان لها شهرة، رواها عنه كثيرون وشرحها كثيرون آخرون^(٢). وله أيضاً: شرح الأربعين (حديثاً) للتَّوَي.

٣- مختارات من شعره

من قصيدة ابن فرح الإشبيلي في ألقاب الحديث^(٣).

-
- (١) فرح بسكون الراء، وقد نصَّ المفري على ذلك (نفع الطيب ٢: ٥٣١).
 (٢) في نفع الطيب (٢: ٥٣١): وقد شرح هذه القصيدة جماعة من أهل المشرق والمغرب بطول تعدادهم. راجع ما طبع من هذه الشروح (بروكلمن، الملحق ١: ٦٣٥).
 (٣) جمعت كلَّ لقب من ألقاب الحديث مطبوعاً بحرف غلط. ولم أفسر هذه الألقاب لأنها ترد هنا في =

غرامي صحيح والرجافيك مُفْضِلٌ^(١)،
 وصَبْرِي عنكم يَهْدُ العقلُ أَنَّهُ
 وَلَا حَنْ إِلَّا سَمْعُ حَدِيثِكُمْ
 وَأَمْرِي مَوْقُوفٌ عَلَيْكَ، وليس لي
 ولو كان مرفوعاً إِلَيْكَ لَكُنْتُ لِي
 وَعَذْلٌ عَذُولِي مُنْكَرٌ لَا أَسِغُهُ
 أَقْضِي زَمَانِي فِيكَ مُتَّصِلَ الْأَسَى
 خُذِ الْوَجْدَ عَنِّي مُسْتَدَاً وَمُعْتَمِناً
 غَرِيبٌ يُقَامِي الْبُعْدَ عَنْكَ، وما له
 فَرَقاً بِمَقْطُوعِ الْوَسَائِلِ مَا لَهُ
 أَوْرِي بِسُعْدَى وَالرَّابِّ وَرَيْنَبِ،^(٢)

وَحُزْنِي وَدَمِي مُطْلَقٌ وَمُكَلَّلٌ.
 ضَمِيفٌ وَمَتْرُوكٌ، وَذَلِّي أَجْمَلٌ.
 مُشَافَهَةٌ يُمْلَى عَلَيَّ فَأَتَقَلُّ.
 عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ الْمُؤَلُّ.
 - عَلَى رُغْمِ عُدَالِي - تَرَقُّ وَتَعْدِلُ.
 وَزُورٌ وَتَدْلِيسٌ!! يُرَدُّ وَيُهْمَلُ.
 وَمُنْقَطِعاً عَمَّا بِهِ أَتَوَصَّلُ.
 فَغَيْرِي مَوْضِعُ الْهَوَى يَتَحَيَّلُ.
 وَحَقُّ الْهَوَى عَنْ دَارِهِ مُتَحَوَّلُ.
 إِلَيْكَ سَبِيلٌ لَا وَلَا عَنْكَ مَعْدِلُ.
 وَأَنْتَ الَّذِي تُعْنَى وَأَنْتَ الْمُؤَمَّلُ.

٤- ** الوافي بالوفيات ٢: ١٤٢؛ دَرَّةُ الْحَجَالِ ١: ٣٦-٣٧ نفع الطيب ٢
 ٥٢٨-٥٣١؛ شذرات الذهب ٥: ٤٤٣-٤٤٤؛ بروكلمان ١: ٤٥٩، الملحق ١
 ٦٣٥؛ الأعلام للزركلي ١: ١٨٦ (١٩٤-١٩٥)؛ نيكل ٣٦٠.

مالك بن المرحل

١- هو أَبُو الْحَكَمِ مَالِكُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْفَرَجِ
 الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْمُرْحَلِ، وَلِدَ فِي مَالِقَةَ سَنَةِ ٦٠٤ هـ (١٢٠٧-١٢٠٨ م). أَخَذَ عَنْ أَبِي
 عَلِيٍّ الشَّوْبِيِّ (ت ٦٤٥ هـ) وَابْنِ الدَّبَاجِ وَقَدْ تَوَلَّى الْقَضَاءَ فِي عِدَّةٍ مِنَ الْأَمَاكِنِ بَعْضُهَا
 فِي نَوَاحِي غَرْنَاطَةَ. ثُمَّ إِنَّهُ انْتَقَلَ إِلَى الْمَغْرِبِ وَسَكَنَ سَبْتَةَ وَتَعَاطَى فِيهَا صِنَاعَةَ التَّوْثِيقِ،

= • تَوْرِيَاتُ • (الْمَعْنَى اللَّفْظِي اللَّغَوِي فِي مَقَابِلِ الْمَعْنَى الْفَنِّي). بطول شرحها، مع أن المقصود ليس غامضاً.
 أَمَّا أَقْلَابُ الْحَدِيثِ: صحيح سلسل موقوف مرفوع ضميم إلخ فهي موجودة في معظم القواميس.
 (١) المصل: المرض الذي عجز الأطباء عن مداوانه.
 (٢) أَوْرِي (أَوْهَم) بِسُعْدَى إلخ (إن تعزلي هؤلاء النسوة...).

وقد آجازه في ذلك أبو القاسم بن بقي.

تقرَّب مالك بن المرحَّل من المنصور المُرَيْيَ (٦٥٦ - ٦٨٥ هـ) وخصَّه بمدايحه. وكانت وفاة مالك بن المرحَّل سنة ٦٩٩ هـ (١٢٩٩ - ١٣٠٠ م) في سِنَّة.

٢- كان مالك بن المرحَّل السبتي مُشاركاً في عددٍ من العلوم كاللِّغَةِ واللُّغَةِ والنَّحْوِ، كما كان من مشاهير الأدباء (نفع الطيب ٢: ٥٥١) كاتباً ومُترسِّلاً وشاعراً. وفنَّون شعره مديحٌ وبديعيات^(١) ووصفٌ وتحليلٌ مع شيءٍ من المَرَحِ أحياناً ومن التَّهَكُّمِ في نشره وشعره. وكان له عددٌ من الآثار: ديوان شعره - كتاب دوبيت^(٢) - أرجوزة نظَّم بها «فصيح ثعلب»^(٣) - الواضحة (نظم في الفرائض: تقيم الإرث) - أرجوزة في النحو - الموطَّاء - التَّبيين والتبصير في نظم كتاب التيسير (عارض به الشاطبية)^(٤) - العروض - الرمي بالحصى والضرب بالعصا - الوسيلة الكبرى المَرْجُو نفعها في الدنيا والأخرى (رتبها على حروف المعجم والتزَّم اقتتاح أبياتها بحروف الروي)^(٥) - المُعْصَرَات النبوية (على نسق «الوسيلة الكبرى»، ولكنَّ عددَ الأبيات في كلِّ مقطوعة أقلَّ) - العشریات الزهدية (لآثار الثلاثة الأخيرة في مدح الرسول).

٣- مختارات من آثاره

- وَقَعَ في كلام ابن المرحَّل تعبيرٌ هو «كان ماذا» فخطَّاه ابن أبي الربيع النحوي وقال: الصوابُ «ماذا كان». فجَرَّت بين الاثنين مُناظراتٌ لم يَصِلْ إلينا ممَّا قاله فيها ابن أبي الربيع شيءٌ، ولكنَّ وَصَلَ إلينا بعضُ ما قاله ابن المرحَّل. من ذلك:

عابَ قومٌ «كان ماذا» ليستَ شِعْري لِمَ هَذَا.

(١) الدبيمة: قصيدة في مدح الرسول.

(٢) شافي (مردوجات: بيتان بيتان من الشعر) من الوزن العارسي وعلى تقفية معينة.

(٣) هو أحمد بن يحيى (ت ٢٩١ هـ) من أئمَّة اللغة والنحو ومن رواة الشعر.

(٤) أرجوزة في القراءات للقاسم بن فوَّره الشاطبي (ت ٥٩٠ هـ).

(٥) راجع موشَّحته في «مختارات من آثاره». على حروف المعجم (على جميع أحرف الهجاء، من الألف إلى الباء. وكلُّ بيت في الموشَّحة - مجموع أشطر - يبدأ في مطلعته بحرف ثم يكون هذا الحرف قافية ذلك البيت في الموشَّحة).

وإذا عابوه جهلاً دون علم، كان ماذا!

(ثم قال مالك بن المرحل يُخاطب ابن أبي الربيع):

لا بُدَّ لك أن تُصيح من تحت طَبَقٍ على طَبَقٍ نيران^(١): كان ماذا؟ «ونادوا: يا مالك، لينض علينا ربك! قال: إنكم ما تكون. لقد جئناكم بالحق، ولكن أكثركم للحق كارهون»^(٢).

إلى كم تُعَيِّدُ في «كان ماذا» تقييداً بعد تقييد؟ لقد حصلت منها في أمرٍ شديد. إلى كم تُعَيِّدُ فيها وتُبْدِيءُ وتَنْظِمُ وتُنشِئُ؟ غَرَّكَ احتالي لِقَدْحِكَ وَمَزْحِكَ وصبري على ألم جَرْحِكَ، حَتَّى قُلْتَ: «ما جرح بِمِيتٍ إيلام»^(٣).

انتَهَزَتِ الْفُرْصَةَ في إِذَايَةِ صَبْرٍ، وَدَلَّكَ حِلْمُهُ في غُرُورٍ^(٤) حَتَّى قُلْتَ:

كُلَّ حِلْمٍ أَتَى بِغَيْرِ احْتِمَالٍ حُجَّةً لاجِئٍ إِلَيْهَا اللَّشَامُ^(٥)!

تالله، لو نُهِيتِ الْأُولَى لَانْتَهتِ الْآخِرَةُ^(٦) ولم تَكُنِ الْفَاقِرَةُ تُشَبِّهُهَا الْفَاقِرَةُ^(٧). ولكن أَعْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى وَصَبَّرْتُ عَلَى الْأَذَى حَتَّى قِيلَ: لو قَدَّرَ لَانْتَصَرَ! وَاتَّصَلَ الْأَمْرُ فَصَارَ دَيْدَنًا^(٨)، فلا جَرَمَ أَنْ أَتَمَقَّبَ كَلَامَكَ وَأَلْفَتَ عَلَيْكَ لَامَكَ فَأَقُولُ، وَإِنَّا أَخَاطِبُ مَنْ سَمِعَ خَطَابِي ونظر في كتابي.

(١) الطبق (ها): الحال. طبقاً عن طبق: حالاً بعد حال، أي إذا أنت مبت (بكسر الميم) فتدخل النار (راجع القرآن الكريم ٨٤: ١٩، سورة الإنشاق).

(٢) مالك: خازن جهم (راجع القرآن الكريم ٤٣: ٧٧-٧٨ سورة الزخرف). لينض علينا ربك: يطلبون من الله أن يبيتهم (حتى يتخلصوا من العذاب في جهم). ماكون: باقون (إلى الأبد).

(٣) شطر للمشي.

(٤) دلى الرجل شيئاً في مكان عميق (أنزله، أغرقه).

(٥) البيت للمشي، والرواية: بغير اقتدار.

(٦) لو أنك وجدت من هناك (نصح لك) حيناً أخطأت في المرة الأولى لَانْتَهتِ في الآخرة (لما أخطأت مرة ثانية ولما عوقبت مرة بعد مرة).

(٧) الفاقة (القرآن الكريم ٧٥: ٢٥ سورة القيامة): المصيبة الكبيرة التي تكسر قنار (جمع فاقة، بالفتح فيها): عظام سلسلة الظهر.

(٨) الديدن: العادة.

(٩) اللام: الهول، الأمر الشديد (لا بُدَّ من أن أتابع أقوالك وأرد عليك الأذى الذي تريد أن تلحقه بي).

- لابن المرحّل السّنيّ مُوسَّحَةً بديعية (في مدح الرسول) « من غُرّر القصائد، وفيها لزومٌ ما لا يلزم من ترتبها على حروف المعجم يجعلها (أي يجعل حروف المعجم) بدأً وروياً على اصطلاح المغرب » (نفع الطيب ٧: ٤٥٣ وما بعد): من هذه البديعية:

ألف: أَجَلُ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ

بضائه شمسُ النهار تُضيءُ

وبه يُؤمَلُ مُحَيَّنٌ وَمُسَيٌّ

فضلاً من الله العظيم عظيماً. صلّوا عليه وسلّموا تسليماً

باء: بَدَأَ فِي أَفْقِ مَكَّةَ كَوَكَبًا،

ثُمَّ اعْتَلَى فَجَلًّا سَاءَ النَّهْيُهَا

حَتَّى أُنَارَ الدَّهْرَ مِنْهُ وَأَخْصَبَا،

إِذْ كَانَ فَيَضُ الْخَيْرِ مِنْهُ عَمِيماً. صلّوا عليه وسلّموا تسليماً.

ثاء: ثَوَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ حَدِيثٌ

فِي كُلِّ أَفْقٍ طَيْبُهُ مَبْنُوثٌ.

داع: بِأَنْوَاعِ الْهُدَى مَبْنُوثٌ

يَتَلَوُ نُجُوماً أَوْ يَهْزُ نُجُوماً. صلّوا عليه وسلّموا تسليماً.

نون: نَبِيٌّ جَاءَنَا بَيَّانٌ

وَبِمُعْجَزَاتٍ أُبْرِزَتْ لِمَيَّانٍ.

وَبِخَبْرِهِ أَنْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ

يَنْفِي قُلُوباً تَشْتَكِي وَجُوماً. صلّوا عليه وسلّموا تسليماً.

- وَقَالَ يَصِفُ قِصَرَ اللَّيْلِ:

وَعَشِيَّةٍ سَبَقَ الصَّبَاحُ عِشَاءَهَا قِصْرًا، فَمَا أُمْنِيْتُ حَتَّى أَسْفُرًا^(١).

مَسْكِيَّةٌ لَبَسَتْ حُلًى ذَهَبِيَّةً، وَجَلَا تَبَسُّمُهَا بِقَابًا أَحْمَرَ^(٢)؛

(١) أسفر (الصبح): بدا، ظهر.

(٢) مسكية: كلون الملك (في الواد). لبست حلّ ذهبية (تلمع من كثرة النجوم) وجلّا تبسمها (أول ظهور =

وَكأنْ شُهَبَ الرَّجَمِ بَعْضُ حُلِيِّهَا عَثَرَتْ بِهِ مِنْ سُرْعَةٍ فَتَكَرَّأ^(١).

- وقال في الثُّرَاء الذين يَفْتَحُونَ قَصَائِدَهُمْ بالغزل (مُسْتَحِينًا طَرِيقَتَهُمْ):

ضَلَّ الْمُحِبُّونَ إِلَّا شَاعِرًا غَزَلًا يُطَارِحُ الْمَدْحَ بِالشَّيْبِ أَوْ طَارًا^(٢)،

لَا يَشْتَكِي الْحُبَّ إِلَّا فِي مَدَائِحِهِ - دَعَوَى - لِيُضْفِيَ أَسَاعَاءَ وَأَبْصَارًا^(٣).

كضارب العودِ وَشَى فِيهِ تَوَشُّيَةً، وبعد ذلك غَنَى فِيهِ أَشْعَارًا^(٤)!

- وقال في السَّيْب (وقد جَانَسَ بَيْنَ عَيْنٍ حُرٍّ وَسَاقٍ حُرٍّ - وَسَاقٍ حُرٍّ ذَكَرُ الْقَهَّارِي:

الْحَمَامِ، وَهُوَ يُحْدِثُ صَوْتًا عَذْبًا لَا يُدْرَى أَبْكَاءٌ هُوَ أَمْ غَنَاءُ):

رُبَّ رَنْعٍ وَقَفْتُ فِيهِ وَعَهْدٍ لَمْ أَجَاوِزُهُ وَالرَّكَائِبُ تَسْرِي

أَسْأَلُ الدَّارَ - وَهِيَ قَفْرٌ خَسَلَاءُ - عَنْ حَبِيبٍ قَدْ حَلَّهَا مِنْذُ دَهْرٍ،

حَيْثُ لَا مُنْعِدٌ عَلَى الْوَجْدِ إِلَّا عَيْنُ حُرٍّ تَجُودُ أَوْ سَاقٍ حُرٍّ^(٥)!

٤ - ** بغية الوعاة ١٣٨٤، نفع الطيب ١٤٥: ٤١ (مسألة «كان ماذا») ٤٥٣: ٧، ٤٥٩ -

أزهار الرياض، راجع ١: ٣٢، الأدب المغربي لتاويت ٢٢١ - ٢٢٥، البوغ المغربي

لكون ٢٢٥ - ٢٢٦، ٣٩٩ - ٤١٥، ٧٢٥ - ٧٢٧، ٩١٢ - ٩١٧، بروكلس ١:

٣٢٣ - ٣٢٤، الملحق ١: ٤٨٤، الأعلام للزركلي ١: ٦، ١٣٨ (٥: ٢٦٣، ٧:

٢٠١ - ٢٠٢).

= (المعبر) فابا أحر (اللون الأحمر على الأفق الشرقي قبل طلوع الشمس).

(١) شهب (غيوم الرجم): أَلْيَازَك: (قطع من الحجارة تنفلت من مدارات الكواكب فتجذب نحو الأرض، فإذا مرت في جو الأرض استملت من احتكاكها بالهواء).

(٢) الشَّيْب: الغزل. أوطار جمع وطر: غاية، مقصد (بكسر الصاد). - بطارح المدح (يجمل قبل المدح): يبدأ قصائده بالغزل.

(٣) - هو غير محب، ولكنه يشكو الحب في شعره ليستميل الأسباع لسباع مديحه التالي.

(٤) من عادة العوَّاد (ضارب العود) أن يبدأ بتقيم (عزف بئر، قليل) قبل أن يبدأ هو بالغناء. الركايب جمع ركوبة (بالفتح): دابة معدة للركوب. تسري: تسير في الليل.

(٥) المسعد (المعين، المشارك). الوجد (ألم الحب). عين حرٍّ (رجل حرٍّ يكي مملِك فيخفَّف شيئاً من مصيبتك) أو ساق حرٍّ (طير يهني فيسبك غناؤه العذب بعض ألمك).

يحيى بن عليّ اليفرقيّ

١- هو أبو زكريّا يحيى بن عليّ بن سلطان اليفرقيّ، يبدو أنّ أصله من المغرب الأقصى^(١). وُلد يحيى بن عليّ سنة ٦٤١ للهجرة (١٢٤٣ - ١٢٤٤ م). وكان يُقرئ العربية (النحو) في تونس فتخرّج به نخبة من نجباء تونس حتّى أصبح له فيها صيت عظيم. وكانت وفاته سنة ٧٠٠ هـ (١٣٠٠ - ١٣٠١ م).

٢- كان يحيى بن عليّ اليفرقيّ عالماً بالقراءة والتفسير والفقه والنحو والأدب، ولكن براعته كانت في النحو وحده فكان يُلقب في المشرق «جبل النحو». واليفرقيّ هذا يعدّ نفسه من المجتهدين في الفقه فلا يُحيز مثلاً نكاح الكتابات^(٢). وهو أيضاً شاعر رقيق مُحسن.

٣- مختارات من شعره

- قال يحيى بن عليّ اليفرقيّ في الغزل:

ماذا على الغصن الميأس لو عطفاً على صباية صبّ حالف الدنفا^(٣) ؟
يا رحمة لغواذي من مُعذّبِيه، كم ذا يُحمّله أن يُحمِل الكلفا^(٤) !
ويا رعى الله داراً ظلّ نجمننا في ظلّ عيش صفا من صبيّه وضفا^(٥) .
مودّة يتننا في الحبّ كاملة ونحن لا نعرف الإعراض والصلفا^(٦) .

٤- ** بعية الوعاة ١٤١٢ فتح الطيب ٤ : ١٤٦ - ١٤٧ .

-
- (١) برون، بفران، ايفران في المغرب الأقصى .
(٢) الكتابية: المرأة من أهل الكتاب كاليهود والنصارى: وهذا رأى الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)، ولكن معظم فقهاء المسلمين يجيزون ذلك .
(٣) الصباية (بضم الصاد): بقية الحياة. الصبّ: الحبّ. الدنف: اشتداد المرض والإشراف منه على الموت .
(٤) الكلف: الولوج بالشيء، احتمال الأمر بشقّة .
(٥) دار مؤنّثة، وقد تذكر (القاموس ٢ : ٣١) . الصب: ما يصيب الإنسان من سهم أو نحوه. صفا من صبيّه (لم يكن فيه ما يسيء!) صفا: قاص .
(٦) الصلف: التكبر. وفي رواية: ضفا من طبه وصفا (وهو أقرب إلى المعنى المراد) .

ابن عبد النور المالقيّ

١- هو أبو جعفر أحمد بن عبد النور بن أحمد بن راشد المالقيّ، وُلِدَ في مالقة في رَمَضانَ من سَنَةِ ٦٣٠ (مطلع الصيف عام ١٢٣٣ م).

يبدو أن ابن عبد النور قد استفاد أكثرَ علومِهِ من المُطالعة، إذ لم يكن له اعتناء بِلِقاءِ الشيوخ، ولكن أخذَ في بلدِهِ القراءةَ عن الخطيب أبي الحسن الحجاج بن أبي رِيحانة المربليّ (ت ٦٧٢ هـ) وقرأ أشياء من الجزولية في النحو^(١) على محمد بن يحيى بن مُفَرِّج المالقيّ (ت ٦٥٧ هـ).

ورَحَلَ ابنُ عبدِ النورِ المالقيّ إلى المغرب ونَزَلَ في سَبْتَةِ حِيناً. ثم إنه عاد إلى الأندلس وجلسَ لإِقراء القرآن الكريم في وادي آش والمريّة وبرجة وغرناطة. وقد تولى القضاء حيناً آخرَ نيابةً لا أصالة.

وكانت وفاةُ ابنِ عبدِ النورِ المالقيّ في ٢٧ من ربيعِ الثاني من سَنَةِ ٧٠٢ (١٣٠٣/١٢/١٦ م) في المريّة.

٢- كان ابنُ عبدِ النورِ المالقيّ قَيِّماً على العربية (النحو) - إذ كانت العربية جُلَّ بضاعتِهِ - كما كانت له مُشاركةٌ في المنطق والعروض وقَرَضَ الشعرَ وفي فُرُوعِ الفقه. وشِعْرُهُ وَسَطٌ، ولم يكن يقصِدُ قولَ الشعر، بل كان يقولُ ما يحطّرُ في بَالِهِ حيناً بعدَ حينٍ.

وكان له تصانيفُ منها كتابُ رَصَفِ المعاني ثم كتابُ البَسْمَلَةِ (بسم الله الرحمن الرحيم) والتَّصْلِيَةِ (الصلاة على الرسول). وله كتاب في شَرْحِ «الكوامل» لأبي موسى الجزولي^(٢)، وله كتابُ شَرْحٍ فيه «مُغرب» أبي عبد الله بن هشامِ الفهرّي الشوافي (لم يُتِمَّهُ). ثم له جزء (كتاب صغير) في العروض وجزء في شواذِّ العروض. ثم شرح على كتاب الجَمَلِ الكُبرى لأبي القاسم الزجاجي (ت ٣٢٧ هـ) وإملاء على كتاب المُقَرَّبِ

(١) راجع الحاشية التالية.

(٢) هو أبو موسى عيسى بن عبد العزيز بن يَلْسَخَتِ الجزولي (ت ٦٠٧ هـ) من علماء العربية (راجع ٥:

لَا بَيْنَ عُصْفُورٍ، وَسَوَى ذَلِكَ قَلِيلٌ.

وكتابُ «رصف المباني في حروف المعاني»، وهي (في هذا الكتاب) حُصَّةٌ وتِسْمُونَ حرفاً منها ثلاثة عَشَرَ مُفْرَدَةً (حرفٌ واحدٌ، نحو: الهمزة، الباء والتاء والكاف واللام والميم والسين والواو، الخ) ثم اثْنانِ وثمانون مركبةً (أَكْثَرُ من حرفٍ واحد، نحو: كمي، لا، لم، لَمَّا، ليس، كَأَنَّ، لوماً، منذ، مَعَ، نَعَمْ، على، في، هل، الخ). ثم إن هذه الأحرف - سواء منها ما كان مُفْرَدًا أو كان مركباً - تنقسمُ قِسْمَيْنِ: عاملةٌ (تؤثِّرُ في الكلمات التي تدخلُ عليها فتحجُّرها أو تنصيها إلخ) أو غير عاملةٍ (لا تؤثرُ فيها يَلِيها: لا تُبَدِّلُ إعرابه).

٣ - مختارات من آثاره

- من شعر ابن عبد النور أبياتٌ في الغَزَلِ (لعلَّ فيها اتِّجَاهاً صوفيّاً):

محاسنٌ مَنْ أهوى يَضِيقُ لها الشَّرحُ،	له الهمَّةُ العَلْيَاءُ والخالقُ السَّمْعُ.
له بهجةٌ يَغشى البصائرَ نورُها،	وتَغشى بها الأبصارُ إنْ غلَسَ الصُّبحُ ^(١) .
إذا ما رَنا فاللَّحْظُ سَهْمٌ مُنَوَّقٌ،	وفي كلِّ عَضْوٍ من إصابته جُرْحُ ^(٢) .
إذا ما آتَشنى زَهْواً وولَّى تَبَخَّراً	يَعَارُ لذاك القَدُّ من لينه الرُّمَحُ ^(٣) .
وإنْ نَفَحَتْ أزهارُهُ عند رَوْضَةٍ	فَيُخْجِلُ رِيّاً زَهْرُها ذلك النِّفْحُ ^(٤) .
هو الزَّمَنُ المأمولُ عند ابتهاجه:	قَلَمَتُهُ لَيْلٌ وغَرَّتُهُ صُبْحُ ^(٥) .

- (١) بهجة: حسن ونسابة. يغشى: يغطي. البصائر جمع بصيرة: قوَّة الإدراك والفطنة. تغشى: تغطي. نصف: تعجز (يكسر الجيم) عن النظر. غلَسَ (ليست في القاموس)، المقصود «غَسى» (يفتح فكسر): أظلم.
- (٢) رنا: أدام النظر. منَوَّقٌ: له فوق (بالضَّمِّ): شبه زاوية حادَّة في أسفله لنبت في وتر القوس عند الرمي. والتاعر يقصد «سهماً صدداً» (يصب المهدف).
- (٣) الزهو: العجب (بالضَّمِّ) بالنسب. التبحر: المشي بحال حسنة فيها هدوء واختيال (إعجاب بالنسب). - الرمح الحَيِّد يكون فيه لين (يحنى ولا يكسر).
- (٤) نفح الزهر: انتشرت رائحته.
- (٥) عند ابتهاجه (عند ابتهاج الزمن): أزدهاره وأمنه وصفاته. اللَّمَّة (بالكسر): شعر الرأس المجاور للأذن. لَمَّة ليل (شديدة الواد): كتابة عن الشاب. وغرته (جبهته، أعلى وجهه) صبح (بيضاء): كناية عن الوجاهة في الناس.

لقد خامرت نفسي مُدَامَةً حُبِّهِ، قَلْبِي من سُكْرِ المُدَامَةِ لا يَضْحُو^(١).
وقد هام قلبي في هواه، فَبَرَّحْتُ بِأَسْرَارِهِ عَيْنَ لِمَدَمِيهَا سَح^(٢).

- من مقدمة كتاب «رصف المباني في حروف المعاني»:

الحمد لله مُدَبِّرُ الْأَشْيَاءِ وَمُحْكِمُهَا وَمُقَدِّرُ النِّجِّ وَمُقَسِّمُهَا....^(٣)، وَمُمَلِّمُهَا،
وْمُخَصِّصُ عَرَبِيَّتِهَا بِأَفْضَلِ الْأَمْرِ وَأَكْرَمِهَا؛ الَّذِي جَمَلَ الْكَلَامَ خَصِيصَةً الْبَشَرِ،
وَأَظْهَرَ بِهَا نَظَرَ النَّاطِرِ وَعِبْرَةَ الْمُتَعَبِّرِ (ثمَّ ضَمَّنَهُ مِنَ الْمَعَانِي الْجَمَّةِ وَفَضَائِلِ الْحِكْمَةِ مَا لَا
يَصِلُ إِلَيْهِ فَهْمٌ أَمِّيٌّ وَلَا يُنْتَدَى إِلَى بَعْضِهِ إِلَّا بَعْدَ أَمَّةٍ^(٤).....

وبعد، فَإِنَّ لِسَانَ الْعَرَبِ لَمَّا كَانَ أَشْرَفَ الْأَلْسِنَةِ وَشَشْنَةً^(٥) اتِّبَاعِ^(٦) فَهْمِهِ أَحْسَنَ
شَشْنَةٍ، إِذْ مِنْهُ يُتَوَصَّلُ إِلَى مَقَاصِدِ الشَّرْعِ فِي أَحْكَامِهِ وَأَغْرَاضِ قَوَاعِدِ الْعِلْمِ وَأَعْلَامِهِ،
وَكَانَ مُقَسِّمًا إِلَى تَقْسِيمِهِ الْمَعْرُوفِ - مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالْأَفْعَالِ وَالْحُرُوفِ - وَكَانَتْ الْحُرُوفُ
أَكْثَرَ دَوْرًا، وَمَعَانِي مُعْظَمِهَا أَشَدَّ غَوْرًا^(٧)، وَتَرْكِيبُ أَكْثَرِ الْكَلَامِ عَلَيْهَا وَرُجُوعُهُ فِي
قَوَاعِيدِهِ إِلَيْهَا، أَتَقَضَى مَا خَطَرَ مِنَ النَّظَرِ أَنْ أُبَحِّثَ عَنْ مَعَانِيهَا وَأُطَالِعَ غَرَضَ
الْوَاضِعِينَ فِيهَا. فَوَحَّدْتُ مِنْهُمْ مَنْ أَغْفَلَ بِمَعْضَاهَا وَأَهْمَلَ، وَمَنْ تَسَامَحَ فِي الشَّرْحِ وَتَسَهَّلَ،
وَمَنْ أَخْتَصَرَ مِنْهَا (أَوْ) أَسْهَبَ، وَمَنْ رَكَّبَ الْبَسِيطَ وَبَسَطَ الْمُرَكَّبَ، وَمَنْ شَتَّتَ أَلْفَاظَهَا
وَعَدَّدَ، وَأُطَالِ الْكَلَامَ لَعِبَرٍ فَائِدَةٍ وَرَدَّدَ.

فَدَعَانِي الْغَرَضُ الْخَاطِرُ وَالرَّفِيقُ الْعَابِرُ^(٧) (إِلَى) أَنْ أُؤَلِّفَ فِيهَا كِتَابًا يَشْتَمِلُ عَلَى

(١) خامر: خالط. المدامة: الخمر المطبوخة بالنار (وتكون شديدة الإسكار).

(٢) هام: سار على غير هدى. برج به الحب: آذاه وأضر به. وجعله عاجزاً (عن كتمان سره). السح: الكثير اليلان.

(٣) المحكم: التتقن. المنحة (بالكسر): العطية.

(٤) يصل إليه فهم أمة (عدد كبير من الناس). بعد أمة (بعد مدة طويلة من الزمن).

(٥) الششنة: العادة الغالبة على الإنسان. اللهجة البازلة عن اللغة الفصحى (٤).

(٦) أكثر دوراً (دوراً على الألسنة): أكثر استعمالاً في الكلام. أشد (أبعد) غوراً (عمقاً): غير واضحة المعاني (في استعمال الناس).

(٧) الخاطر: الذي يبدو فجأة. العابر: المارّ اتفاقاً (هو يقصد أن تأليف كتابه لم يكن عن قصد).

شرحها وإيضاح ما خفي من برحها^(١) ليشتفي صدر الناظر فيه على المأمول
ويفيده - إن شاء الله - إن أخذه بالقبول.

وسمّيته «رصف المباني في شرح حروف المعاني» ليكون أسسه وفق معناه ولفظه
مترجماً عن فقواه. ونظمته على ترتيب حروف المعجم ليكون في التاليف أنبل وعلى
تقويمه أسهل. وذكرت منها على ما هو عليه في النطق من حرف واحد وأزيد
حتى انتهت إلى آخر حرف فيه. وعلى الترتيب المذكور اتبعت أول حرف منه - إذا
كان مركباً - ما يليه من ذلك الترتيب. وما كان ناقصاً (من حروف المعجم وما كان)
مركباً^(٢)

ويست ذلك كله مجملًا ومفصلاً على ما^(٣) الجهد وحمل على بسطه وتقصي
موارده الجِدِّ. وأنهيت في ذلك^(٤) لتكون للكتاب المزية على ما سواه. وإنما
الأعمال بالنيات، ولكل أمرى ما نواه^(٥). والله عز وجل أسترشد إلى ما يرشد،
وأستعصِد فيما أقصِد. فما المَفْرَعُ^(٦) إلّا إليه، وما التوكّل إلّا عليه: إليه أفزع وعليه
أتوكّل، هو حني ونعم الوكيل.

- من متن كتاب «رصف المباني في شرح حروف المعاني (ص ٣١٠ - ٣١١):
أعلم أن «ما»، في كلام العرب، لفظٌ مشتركٌ يقع تارةً اسمًا وتارةً حرفًا، وذلك
بحسب عود الضمير عليه وعدم عوده (بحسب قرينة الكلام. وحظنا من القسمين
الحرفية^(٧) وهي التي يكون معناها في غيرها. ولها في الكلام ثلاثة مواضع:
الموضع الأول أن تكون حرفًا نفيًا. وتنقسم لهذا المعنى قسمين: قسم^(٨) يدخل

(١) البرح: التعب والأذى.

(٢) (١٠٣ و) : بياض في الأصل (اقرأ: وسمي - السمي، العمل (أي حاولت الوصول إلى نهايته وقامه).

(٥) قسمين من حديث لرسول الله «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل أمرى ما نوى». فمن كانت هجرته لله
ورسوله (في سبيل الله وطاعة لرسول الله)، فهجرته لله ورسوله

(٦) المفع: الملجأ.

(٧) وقصدنا من البحث في «ما» على أنه حرف (حرف نفي، حرف استفهام) لا على أنها اسم موصول بمعنى
الذي.

(٨) الأصح أن يقال «قسمًا» (بدل من قسم).

على المبتدأ والخبر، وقسم لا يدخلُ عليها.

فالقسم الذي يدخل على المبتدأ والخبر للعرب فيه مذهبان: مذهب أهل الحجاز ونجد (وذلك) أن يُجروها مجرى «ليس» فيرفعوا بها المبتدأ أسماً لها وينصبوا خبره خيراً لها، فيقولوا: «ما زيد قائم»، وما عبد الله ركباً». وذلك تسميها لها بليس، إذ «ليس» هي للنفي مثلها، وداخلة على المبتدأ والخبر مثلها ونفي الحال^(١). وزاد بعضهم: وتدخل الباء في الخبر كما تدخل في خبر «ليس»، فتقول: «ما زيد بقائم» كما تقول: «ليس زيد بقائم».

إلا أنهم لا يعملونها عملها إلا بثلاثة شروط: الأول ألا يدخل على الخبر «إلا» فيصير موجباً فينقض النفي من جهة النفي^(٢) إذا دخلت، فيرتفع ما بعدها على المبتدأ والخبر. والثاني ألا يتقدم الخبر على الاسم، فإن تقدم ارتفع ما بعدها بالأبداء والخبر لأنها حرف ضعيف لا يقوى قوة «ليس»، إذ هي فعل على ما ذكر في بابها. وعمل «ما» بحق الشبه، كما ذكر^(٣). والثالث ألا تدخل عليها «إن» الزائدة لشيئها بالنافية^(٤)، فكأنه دخل نفي على نفي فصار إيجاباً، فتقول: «ما زيد إلا قائم»، وما قائم إلا أنت، وما إن زيد قائم». قال الله تعالى: ﴿ما هذا بشراً﴾^(٥)، فهذا آتت معن فيه الشروط. وقال تعالى: ﴿ما أنتم إلا بشرٌ مثلنا﴾^(٦). وقال الشاعر:

فما إن طيننا جين، ولكن منايانا ودولة آخرينا^(٧).

(١) نفي الحال (إذا قلنا: ليس زيد مريضاً، فمعنى ذلك أنه الآن ليس مريضاً).

(٢) ينتقض (يطل) النفي من جهة النفي (إن النفي الثاني يطل النفي الأول، فتصح الجملة مثبتة).

(٣) يقال «ما» المشبهة بليس.

(٤) إن «إن» (بكر فكون): حرف نفي يشبه «ما» (إن أنت إلا تلميذ = ما أنت إلا تلميذ = أنت تلميذ).

(٥) القرآن الكريم (١٢: ٣١، سورة يوسف).

(٦) القرآن الكريم (٣٦: ١٥، سورة هود).

(٧) الشعر لفروة بن سبيك، وهو شاعر من الصحابة، توفي ٣٠ هـ. والطب (بالكسر): الشأن، العادة المعروفة عاً. يقول فروة هذا البيت من مقطوعة يعتذر فيها عن انهزام قومه في إحدى المعارك (راجع تاج العروس - الكويت ٣: ٢٥٩، ابن الأثير ٢: ٢٩٥ - ٢٩٧).

- ٤- رصف المباني في شرح حروف المعاني (تحقيق أحمد محمد الخراط)، دمشق (منشورات مجمع اللغة العربي بدمشق) ١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥ م.
* الإحاطة ١: ٢٠٣-٢٠٩: بغية الوعاة ١٤٣-١٤٤.

ابن عبد الملك المراكشي

١- هو الشيخ (نفع الطيب ٥: ٦٠٤) أبو عبد الله محمد بن محمد بن سعيد (المرقبة العليا ١٣٠) بن عبد الملك الأوسى الأنصارى المراكشي، من أهل مراكش، وُلِدَ في ربيع عَشَرَ ذي الحِجَّة من سَنَةِ ٦٣٤ (١٢٣٧/٧/٩ م) في الأغلب.

روى عن أبي الحسن علي بن محمد الرُعَيْنِي وأبي عبد الله محمد بن علي بن هشام وأبي الوليد بن عفير. وأجازَ له ابنُ الزُّبَيْر (ت ٧٠٨ هـ) صاحبُ صِلَةِ الصِّلَةِ.

وكان في أيامِ شَبَابِهِ قد أرادَ أن يرحَلَ إلى الأندلس فلَمَّا وَصَلَ إلى جَنُوبِهَا تَجَوَّلَ فيه ثلاثةَ أيامٍ ثم عادَ إلى المغرب. وقد تَوَلَّى قضاءَ مَرَاكَشَ مُدَّةً ثم أُخْرِعَ عنه بوشاية من رجلٍ كان ابنُ عبد الملك عَنيقاً في مُعاملته. أمَّا وفاته فكانت في أواخرِ المُحَرَّم من سَنَةِ ٧٠٣ (أواسطِ تَمُوز - يوليو ١٣٠٣ م) في بِلِيسَانَ.

٢- كان ابنُ عبد الملك المراكشي عارفاً بعددٍ من فنونِ المعرفة: في الحديثِ والفقه والتاريخ واللغة والنحو والشعر، كما كان ناثراً وناظراً. وشِعْرُهُ عاديٌّ جداً. ثم إنَّه كان مُصَنِّفاً له: كتاب (في الأحكام)^(١) جَمَعَ فيه بينَ كتابِ أبي الحسن علي بن محمد بن القطَّان الفاسي (ت ٦٢٨ هـ) وكتاب ابنِ المَوَاقِ المراكشي. أمَّا شُهرُته فترجعُ إلى كتابه «الذيل والتكملة لكتائمي الموصول والصلة»^(٢)، وهو (أي الذيل والتكملة) قاموس عام لرجالِ الأندلس منذ الفتح إلى آخر القرن السابع للهجرة (ولم يَتِمَّه لانتِباع نطاقه).

(١) لعبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي المعروف بابن الخراط (٥١٠-٥٨١ هـ) كتاب في «الأحكام» (الأحكام الشرعية المستفاد من الحديث) صنع منه ثلاث نسخ: كبرى ووسطى وصغرى. وقد ألف ابن القطَّان في الرد على عبد الحق كتاباً عنوانه: كتاب الوهم والإيهام الواقفين في كتاب الأحكام (لعبد الحق الإشبيلي).

(٢) الموصول في تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (ت ٤٠٣ هـ). والصلة لابن بشكوال (ت ٥٧٨ هـ).

- من مقدمة « الذيل والتكملة »:

.... قال عبدُ الله^(١) المؤمِّلُ رُحماهُ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ أَمَدَهُ اللَّهُ بِتَوْفِيقِهِ وَجَعَلَهُ مِنْ طَائِفَةِ الْحَقِّ وَفَرِيقِهِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْلَى مَعَالِمِ الْعِلْمِ بِأَعْلَامِهِ، وَأَحْلَى مَوَارِدِ الْفَهْمِ لِأَوَّلِي أَحْلَامِهِ^(٢)، وَيَسَّرَ كُلَّ مِنْهُمْ بِهِ لِمَا يَسَّرَ لَهُ مِنْ أَقْسَامِهِ، وَأَهْلَمَهُ إِلَى التَّمَسُّكِ بِأَسْبَابِ سَعَادَتِهِ فَصَبَدَ بِإِلْهَامِهِ، وَأَتَمَّ بِمَا بِهِ ارْتِسَمَ مِنَ الْإِنْتِظَامِ فِي سَبْكِ حَزْبِهِ فَأَفْلَحَ بِإِتْسَامِهِ وَارْتِسَامِهِ وَإِنْتِظَامِهِ^(٣)، وَصَرَفَ إِلَيْهِ دَوَاعِيَ شَفَقِهِ بِهِ وَغَرَامِهِ، وَوَقَفَ عَلَيْهِ مُتَوَالِي أَهْتِبَالِهِ وَأَهْتَامِهِ^(٤)، فَهُمْ مِنْ أَلْتَمَسِهِ بِمُسْتَقَرِّهِ مُعْمِلًا صِدْقَ جَدِّهِ وَتَصْمِيمَ أَعْتَزَامِهِ^(٥).....

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَصَدْتُ فِي هَذَا الْكِتَابِ إِلَى تَذْيِيلِ صِلَةٍ لِرَاوِيَةِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ بَشْكُوَالٍ تَارِيخِ الْحَافِظِ أَبِي الْوَلِيدِ بْنِ الْفَرَضِيِّ^(٦)، رَحِمَهُمُ اللَّهُ، فِي عِلْمَاءِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ وَالطَّارِثِينَ^(٧) عَلَيْهَا مِنْ غَيْرِهِمْ، بِذِكْرِ مَنْ أَتَى بَعْدَهُ مِنْهُمْ، وَتَكْمِيلِهَا بِمَنْ كَانَ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يَذْكُرَاهُ فَأَغْفَلَاهُ. وَقَبْلَ الشُّرُوعِ فِي إِبْرَادِ مَا قَصَدْتُ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ فَلَا بُدَّ مِنْ ذِكْرِ مُقَدِّمَةِ تَطْلُيعٍ عَلَى وَجْهِ الْعَمَلِ الَّذِي اعْتَمَدْتُهُ، وَتُرْتِيذٍ إِلَى الْمَسْلُوكِ الَّذِي فِيهِ سَلَكَتُهُ سَائِلًا مِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ (وَتَعَالَى التَّوْفِيقُ) وَالصَّوَابَ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَإِعْجَادًا عَلَى مَا يَعْصِمُ مِنْ مُوَاقَعَةِ الْخَطَا وَالْحُطُأِ^(٨) (فَإِنَّهُ لَا) مَأْمُولَ إِلَّا خَيْرُهُ، فَأَقُولُ:

(١) عبد الله، هنا، صفة وليس اسماً. إذ نقول: قال عبد الله محمد بن مالك، أو هذا كتاب من عبد الله عبد الملك بن مروان....

(٢) المراكشي مولع بها بالجناس: أعلى معالِمِ العلم بأعلامه - أحلى موارِدِ.... بأحلامه. المورد: المكان يشرب منه الناس. الأحلام جمع حلم (بالكسر): العقل والتروّي في الأمور.

(٣) الاتِّسَامُ (الاتِّصاف) والارتسام (العمل بمتنقى منهج معين) والانتظام (الاتِّسَابُ إلى فريق معلوم يعمل بعملهم).

(٤) الشَّفَقُ: شدة الحبِّ. منوال: متتابع، منسَمَر. الأَهْتَامُ: أَسْتَهَارُ العُرْصَةِ.

(٥) صَمَمَ: عَزَمَ عَلَى الْأَمْرِ وَمَضَى فِيهِ بِنَبَاتٍ.

(٦) في ابن بشكوال (ت ٥٧٨ هـ) وابن الفرضي (ت ٤٠٣ هـ) راجع ٥: ٤٥٦ و ٤: ٣٣٧.

(٧) الطارثي: الآتي إلى المكان من خارجه للزيارة أو الاستقرار.

(٨) أَعْدَ ظُلًّا فَلَانًا: سَاعَدَهُ، أَعَانَهُ. عَصِمَ: حَمَى (أَبْعَدَ عَنِ الْأَخْطَاءِ). الْخُطُأُ: فَادَ الْعَقْلَ وَسَوَّاهُ الْحُكْمَ عَلَى الْأُمُورِ.

إِنَّ الحَافِظَ أَبَا الوليد، رَحِمَهُ اللهُ رَبَّ أَبْوَابِ كِتَابِهِ عَلَى تَوَالِي حُرُوفِ الْمَنْجَمِ المعروفِ بِيَلَادِ المَشْرِقِ، فَعَلَ أَبِي عَبدِ اللهِ البُخَارِيُّ^(١)..... (هنا أسماء مؤلفين) وَتَبِعَهُ عَلَى ذَلِكَ التَّرْتِيبِ أَبُو القَاسِمِ بْنُ بَشْكَوَالٍ فِي صِلَتِهِ تَارِيخَهُ، وَقَدْ فَرَّغَ مِنْ كِتَابَيْهَا حَرْفُ الطَّاءِ^(٢). وَخَالَفَهُمْ فِي تَرْتِيبِ الحُرُوفِ أَبُو عَبدِ اللهِ بْنُ الأَبَارِ^(٣) - وَهُوَ أُنْبِلُ تَابِعِيهِ^(٤) - وَأَبُو العَبَّاسِ بْنُ فَرْتُونَ^(٥) (الوافي ١٣٥ : ٧ - وَكِتَابُهُ الذَّيْلُ عَلَى الصَّلَةِ لَابْنِ بَشْكَوَالٍ مَفْقُودٌ) وَمُصْلِحُ كِتَابِهِ وَمُكْمَلُهُ أَبُو جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ^(٦) فَرَتَّبُوا أَبْوَابَ كُتُبِهِمْ عَلَى نَسْقِ الحُرُوفِ المعروفِ بِيَلَادِ المَغْرِبِ، وَهُوَ مُتَّفِقٌ (مَعَ) التَّرْتِيبِ المَشْرِقِيِّ إِلَى الزَّايِ، وَبَعْدَهُ عِنْدَ أَهْلِ المَغْرِبِ والأَنْدَلُسِ طَظْكَ لَمْ نَصْ عِزَّ غِزَّ قِشَّ هِوِي.

وَجَعَلَ ابْنُ الفَرَّضِيِّ وَأَبْنُ بَشْكَوَالٍ الأَسْمَاءَ فِي الأَبْوَابِ عَلَى طَبَقَاتِ المَذْكُورِينَ فِيهَا فَقَدَمَا الأَسْقِ فِي الوجودِ فَالأَسْقِ، وَعَقَبَا كُلَّ أَسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ الأَنْدَلِسِيِّينَ بِنِ وَجْدِهِ مِنْ مُوَاَفِقِهِ مِنَ الغَرَبَاءِ - وَهُمْ فِي مُصْطَلَحِهَا الطَّارِثُونَ عَلَى الأَنْدَلُسِ مِنْ غَيْرِهَا، سِوَاءِ أَكَّانِ أَصْلُهُمْ مِنْهَا أَوْ مِنْ غَيْرِهَا - إِنْ وَجَدَا لَهُ فِي الغَرَبَاءِ سِمَةً، وَجَعَلَا الأَسْمَاءَ فِي كُلِّ بَابٍ عَلَى حَسَبِ الأَكْثَرِ والأَشْهَرِ فَالأَشْهَرُ^(٧)، وَخَتَمَا كُلَّ حَرْفٍ بِذِكْرِ مَفَارِيدِ (آخِرُ ص ٩)

(١) البخاري (ت ٢٥٦ هـ) له « الجامع الصحيح » في أحاديث رسول الله، وله « التاريخ الصغير » في رجال الحديث ثم « الضعفاء الصغير » في رواية الحديث... فعل... البخاري (أي كما فعل البخاري في ترتيب أسماء الرجال في كتابه الأخيرين).

(٢) فَرَّغَ مِنْ كِتَابَيْهَا حَرْفُ الطَّاءِ (لم يرد في كتابها ذكر رجل يبدأ اسمه بالطاء المعجمة).

(٣) أَبُو عَبدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبدِ اللهِ بْنِ الأَبَارِ (ت ٦٥٨ هـ) له كتاب « التكملة لكتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ومشاهيرهم » لابن بشكوال.

(٤) أنبل: أبرز، أشهر (أفضل) تابعيه (الذين فعلوا في التأليف كما فعل ابن بشكوال في سرد تراجم الرجال).

(٥) أحمد بن يوسف بن فرتون (ت ٦٦٠ هـ) من المؤرخين، له كتاب الذيل على الصلة (على كتاب الصلة لابن بشكوال).

(٦) أحمد بن إبراهيم بن الزبير (ت ٧٠٨ هـ)، له صلة الصلة (... كتاب الصلة لابن بشكوال).

(٧) الأسقى فالأسقى والأشهر فالأشهر (... لا يحملون ورود الأسماء في كسهم على ترتيب حروف الهجاء، بل على مقدار الشهرة عند الناس. مثال ذلك: يأتي اسم « حسن ثم حين » قبل اسم حاتم (بفتح التاء) أو حباب (بالضمة)، وإن كانت الألف والياء تأتيان في حروف الهجاء قبل السين. ثم يأتي عندهم من اسمه :

الأسماء الموجودة فيه ^(١) بتقديم الأندلسيين وتأخير الغرباء إن وجداهم. وكذلك فعل أبو عبد الله بن الأبار وأبو جعفر بن الزبير - فيما وقفت عليه من تاريخها. فأثرت ترتيب كتابي هذا بأن وضعت أبوابه على ترتيب حروف المعجم المشرقي لصحة اعتباره ^(٢).....

وبدأت في حرف الهمة بمن أسمه أحد، وفي حرف الم بمن أسمه محمد، تبركاً بموافقة أسمي النبي صلى الله عليه وسلم. وقد تقدم البخاري إلى تصدير تاريخه بذكر من أسمه محمد، لما ذكر أوله سيد البشر نبينا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه إذ كان أشهر أسمائه. وجعل - بعد الفراغ من ذكر من أسمه محمد - حرف الهمة مبتدئاً فيه بمن أسمه أحد، فبعد بتوالي الاسمين الباركين في صدر كتابه من غير فصل بينهما، وجعل سائر المسمين باسم أوله ميم في حرف الميم.... وقدمت في باب العين من أسمه عبد الله وعبد الرحمن لأنها أحب الأسماء إلى الله. ووسطت بينهما من أسمه عبيد الله لشرف الإضافة ^(٣) (آخر ص ١٨) وأتليت ^(٤) من أسمه عبد الرحمن من أسمه عبد الرحيم لأشتراكهما في الاشتقاق من الرحمة ولتلازمهما في تسمية التبرك وآي من كتاب الله العزيز ^(٥)... وأتبع ذلك سائر المعبدن مقبلاً ^(٦) في ترتيبهم حروفاً

= علي من الأندلسيين قبل الذي اسمه علي من الطائفتين على الأندلس. يجب أن يقال: الأشهر فالأقل شهرة... (كلما كان الاسم أشهر عند الناس قدم في السرد على غيره).

(١) المقاريد: الأسماء المفردة النادرة (التي يكون منها في رجال المذكورين في كتب هؤلاء الواحد أو الاثنان، فنأتي كلها مجموعة بعد استيفاء أسماء المشهورين. فبعد الحسن والحسين... (في باب الحاء المهملة) يأتي حاطب وحجاج وحبيش وحر (بالكسر) مجموعة على غير ترتيب مخصوص.

(٢) لصحة اعتباره.... لأن ترتيب اللفظ عند النشازة: (زي، سين، شين، صاد) أقرب إلى النطق من ترتيب هذه الحروف عند المقاربة (زاي، ط، ك، ل، م، ن، ع.... س، ش، هـ).

(٣) لشرف الإضافة إلى اسم الجلالة: عبد الله، عبد الرزاق، عبد الصميع، عبد الطاهر.....

(٤) أتليت: جعلته تالياً (بعد غيره).

(٥) لورود أسمي الجلالة (الرحمن والرحيم) مقرونين في عدد من آيات القرآن الكريم، نحو: «بسم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله... الرحمن الرحيم (١: ١ - ٢، سورة الفاتحة) - وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم (٢: ١٦٣، سورة البقرة)، الخ.

(٦) مقبلاً: فاطراً، مقبلاً.

أوائل أسماء الله على حسب ما ألفيه منها^(١). وما لم ألفه منها تخطيته إلى أول ما ألفيه بعده منها. وذكرت سائر الأسماء في سائر الأبواب والتراجم على ترتيب الحروف المذكورة..... ولكنني لاحظت صورة الحرف في الهجاء لا أصله، كمؤمل أذكره فيمن بعد الميم من اسمه واو، وإن كانت (ألو) صورة للهمزة^(٢)..... ولا عبرة بأداة التعريف^(٣). وهنا ذكرت الكسرى التي هي أسماء لها كسرى، وأضفت إليها الكسرى التي لعلها أسماء جهلت كُناها^(٤)، أو كُنى جهلت أسماؤها.... (ص ٢٣).

وجعت هذا الكتاب بما أفرق - فيما لا أحصيه عدداً - من برامج روايات الشيوخ لجلّة^(٥) أئمة هذا الشأن كلها وافية بالشروط المعتبرة في توثيق النقل منها، إذ معظمها بخط جامعها، وسائرها^(٦) بخطوط المتمدن عليهم من رجال هذا الفن ومقالاتهم وتصحيحهم، إلى ما نقلته من مقدمات ذوي العناية بهذه الطريقة من موالد ووفيات ورفع أنساب^(٧) وتبيين أحوال الرواة وشبه ذلك من الفوائد، مع ما تلقيته من مشايخي الذين أخذت عنهم شفاهاً، وما التفتت من طبقات القراءات والأنسجة^(٨) على الشيوخ أو منهم والتواريخ على تفريق مقاصدها، وكل ذلك مما أنسجت عليه إروائتي بين سماع

(١) ألفي: وجد.

(٢) يجعل، عند الترتيب، من اسمه شأس قبل مؤمل (وإن كان لفظ الهمزتين بالفتح) لأن صورة الكتابة في الأولى ألف وفي الثانية واو.

(٣) ولا عبرة بأداة التعريف (لا تحب أداة التعريف عند سرد الأسماء وترتيبها). من أجل ذلك يأتي اسم ثابت قبل اسم الحسن، لأن التاء (الثلاثة) تأتي قبل الهاء (ولا قيمة في الترتيب للألف في أول اسم الحسن).

(٤) «أبو بكر» (في الأصل) كنية الخليفة الأول في الإسلام، وكان اسمه عبد الله. ثم إن نقرأ من المسلمين جعلوا يستون أبناءهم «أبا بكر» (فأصبحت الكنية اسماً). ثم اتخذ هؤلاء كسرى فصاروا يقال فيهم: أبو عبد الله (كنيته) أبو بكر (اسمه) بن سعيد بن علي.....

(٥) الجلّة (بالكسر): العظام والسادة.

(٦) سائرهما: باقيهما (في البستان عشر شجرات، ثلاث منها شجرات تقاح، وسائرهما - أي السبع الباقية - من البرتقال).

(٧) رفع النسب: سرده إلى أقدم ما يمكن.

(٨) الأنسجة (يقصد بها هنا جمع سماع - بالفتح)، وهي المقالات التي يسمعا الطالب من شيوخه (أسانده).

وقراءة ومُناولة وإجازة^(١) وغير ذلك من ضروب التحمل^(٢). وقد جرى عمل
الأشياخ على تقديم إسنادهم إلى من تقدّمهم من المؤرخين لِنَسَبُوا إِلَيْهِمْ مَا
يَنْقُلُونَهُ عَنْهُمْ إِلَى كُتُبِهِمْ هَذِهِ، ثُمَّ يُعَقِّبُونَ ذِكْرَ مَنْ يَذْكُرُونَ مِنَ الرِّوَاةِ أَوْ بَعْضِهِمْ بِتَبَعِينَ
مَنْ ذَكَرَهُ. وَذَلِكَ رَأْيُ رَشِيدٍ وَعَمَلُ صَالِحٍ سَدِيدٍ أَجَلَ مُثْمَرَاتِهِ تَبَرُّؤُ النَّاقِلِ مِنْ عَهْدِهِ مَا
نَقَلَ وَالْإِحَالَةَ^(٣) بِهِ عَلَى ذَاكَرِهِ الْأَوَّلِ تَقْوِيَةً^(٤) لِلْاِحْتِجَاجِ بِهِ وَتَصْحِيحاً لِلْاِسْتِنَادِ إِلَيْهِ.
لَكِنِّي وَجَدْتُهُمْ لَا يَقُومُونَ بِمُقْتَضَى ذَلِكَ الْعَمَلِ عَلَى النَّهْجِ، فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ بِمَنْ يُرِيدُونَ
ذِكْرَهُ فَيَرْفَعُونَ فِي نَسَبِهِ وَيَذْكُرُونَ كُتُبَهُ وَسُھَرَتَهُ إِنْ كَانَتْ لَهُ، وَيَعَزِّزُونَهُ^(٥) إِلَى قَبِيلَتِهِ
وَبَلَدِهِ أَوْ إِلَيْهَا وَيُعَرِّفُونَ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَسْتَحْسِنُونَ إِيرَادَهُ، ثُمَّ يُعَقِّبُونَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِمْ: كَانَ
مِنْ أَمْرِهِ كَيْتَ وَكَيْتَ. فَكُلُّ مَا بَدَأُوا بِهِ ذِكْرَهُ إِنَّمَا هُوَ مِنْ قَبْلِهِمْ غَيْرُ مَعْرُوفٍ إِلَى أَحَدٍ
مِمَّنْ قَدَّمُوا ذِكْرَهُ فِي صُدُورِ كُتُبِهِمْ^(٦). وَهَذَا الْعَمَلُ مِنْهُمْ لَيْسَ فِي الْقَلِيلِ تَمَّ يَذْكُرُونَهُ،
وَلَا فِي الثَّنَدَةِ، بَلْ يَكَادُ يَكُونُ مُعْظَمُ مَنْ يَذْكُرُونَ عَلَى هَذَا الْأَسْلُوبِ^(٧). فَصَارَتْ
الْمُهْدَةُ فِيهِ عَلَيْهِمْ فِيمَا لَمْ يَنْسَبُوهُ إِلَى غَيْرِهِمْ^(٨). وَأَيْضاً فَإِنَّ الَّذِي يَنْقُلُونَهُ عَنْ غَيْرِهِمْ إِنَّمَا
يَنْقُلُونَهُ عَنِ الْاِخْتِيَارِ وَالْاِتِّخَابِ لَا عَلَى التَّوَالِي وَالْاِسْتِيعَابِ^(٩). فَعَزَّوْتُ تِلْكَ الْأَقْوَالَ،

(١) من طرف تلقّي العلم في الإسلام: السماع (سماع المحاضرات من الأساتذة) والقراءة (تلاوة النصوص بين
يدي الأستاذ) والمناولة (نقل الرواية من الأستاذ إلى التلميذ؟) والإجازة (الثهادة: كتابة الأستاذ
للطالب ورقة فيها أن الطالب أصبح قادراً ومأذوناً له بأن يعلم الناس ما تعلمه).

(٢) وغير ذلك من ضروب التحمل: ما يجعله التلميذ من أستاذه (ما يأخذه التلميذ عن أستاذه).

(٣) الإحالة: أن يشير المؤلف للعارض إلى المكان الذي استقى المؤلف منه أخباره. المهددة (بالضم): التبعة
(بفتح فكسر).

(٤) تقوية للاحتجاج: تثبيتاً لصحة النقل عن الآخرين.

(٥) عزوت هذا العمل إلى فلان: نسبته إليه.

(٦) يقول نفر من المؤلفين إنهم سيأخذون عن فلان وفلان أو من الكتاب الفلاني والكتاب الفلاني. ولكنهم
كثيراً ما يذكرون أشياء من عند أنفسهم.

(٧) وأكثر ما يذكره أولئك المؤلفين بقولونه هم (وبهوهم العارضي أحياناً أنه مروي عن العلماء السابقين).

(٨) فكل قول لا يذكرون أنه مأخوذ عن عالم ما، فإن تمة ما فيه (من الصواب أو الخطأ) ملقى على
عاتقهم هم.

(٩) هم ينخبرون (يذكرون ما يريدون ذكره فقط)... لا على التوالي (لا يذكرون تسلسل الرواية) ولا على
الاستيعاب (لا يذكرون كلّ شيء).

بعدَ اقْتضائها، إلى قائلها مُستوفاةً مُسامحةً^(١). ولو قَرَضْنَا أَسْتِفاءَ تلكَ الأقوالِ كما وَقَعَ في بعضها مِمَّا اخْتَصِرَ - أو لا يَمُكِنُ اخْتِصارُهُ - لكانتْ عَهْدُهُ ثَقَلًا عَلَيْهِم. إذ لو رَامَ أَحَدٌ من.....^(٢).

- قال ابنُ عبدِ الملكِ المراكشي في مدينة مَرَاكش:

للهِ مَرَاكشُ الفَرَاءِ مِنْ بَلَدٍ، وَحَبْدًا أَهْلُهَا السَّادَاتُ مِنْ سَكَنٍ.
إِنْ حَلَّهَا نَازِحُ الأوطانِ مُقَرَّبٌ أَسْلَوُهُ بِالْأَنْسِ عَنْ أَهْلِ وَعَنْ وَطَنِ^(٣).

- ومن كتاب التكملة والصلة (بقية السفر الرابع، رقم ١٢٢، ص ٤٩ وما بعد):
وقد تعاطى جماعة من الشعراء تذييلَ بَيْتِي الحريري^(٤) المذكورين بما كان سكوتهُم عنه أَصَوْنًا ولاقتضاحهم أَشْرًا؛ وإِخلادُهم إلى حَضِيضِ العَجَزِ عن مُساماته في أَوْجِ^(٥) إِجاداتِهِ أُولَى بِهِمْ وأَجْدَر. فَمِنْ مُطِيلٍ غيرِ مُطِيبٍ ومُجِيلٍ فَكْرُهُ في استدعاء ما ليس له بِمُجِيبٍ، ومن مُقْصِرٍ لو أَبْصَرَ لأَقْصَرَ، ولو أَنْصَفَ لَمَّا تَكَلَّفَ. وقد أَثْبَتُ هُنا من ذلكَ بعضًا ما وَقَعَ إِلَيَّ مِنْهُ، وإن كان من حَقِّه الإِضرابُ عنه. واستَوْدَعْتُهُ هذا المَوْضِعَ بَقِيَّةً عليه من الضياع ورجاء إِفادةٍ مُسْتَشْرِفٍ^(٦) للاستفادة بِهِ والانتفاع... وهذه

(١) مستوفاة: كاملة قدر الإمكان. سامحة (مع شيء قلل من التجاوز).

(٢) هنا ينقطع الكلام في الأصل المطبوع (والخطوط).

(٣) أسلوه: سلوه (بفتح السين وتثنية الدال) أسوه.

(٤) تذييل: تكميل، زهادة (أبيات على بيتي الحريري). للحريري صاحب المقامات (ت ٥١٦ هـ) سنان:

سَمِ سَمَةً تَحْسَنُ آثَارَهَا، وَاشْتَرِ لِمَنْ أَعْطَى وَلَوْ سَمَهُ.
وَالْمَكْرَ مِمَّا أَطْلَعْتَ لَا تَأْتِهِ لِنَقْتَنِي الْوُدَّ وَالْمَكْرَمَهُ.

لاحظ أن أول كل بيت مثل آخره: سم سم، سم سم. وقد اعتقد الحريري أن الإتيان بأبيات على مثالها غير ممكن. وقد حاول نفر ذلك فعادوا بعدد من الأبيات. وابن عبد الملك المراكشي يرى أبيات هؤلاء النفر نازلة عن بيتي الحريري.

(٥) الإِخلاد: السكون والاطمئنان. الحَضِيضُ أدنى (أقرب) ما يصل إليه كوكب من الأرض، والأوج أبعد ما يصل إليه كوكب عن الأرض (وهي كناية على أسفل الأشياء وأعلاها). المساماة: محاولة السوّ (الارتفاع) إلى مستوى شيء آخر أو مكانة شخص آخر.

(٦) تقيّة: خوفًا. المستشرف: الذي يحاول رؤية الأشياء من بعيد.

الْقِطْعَةُ - كما ترى (١) - أَسْبَكَ مِنْ غَيْرِهَا وَأَسْلَسُ نَظْمًا، وَأَتَيْنُ مَعَانِي وَأَمْتَنُ مَبَانِي. غَيْرَ أَنَّهَا مُنْحَطَّةٌ عَنْ بَيْتِي الْحَرِيرِيِّ.... فَقَدْ وَضَحَ هَذَا كُلُّهُ أَنَّ الْحَرِيرِيَّ هُوَ الَّذِي دَانَ لَهُ الْإِخْتِرَاعُ لِلْبِدَائِعِ وَالْإِنْشَاءِ، وَأَنَّ بَرَاعَةَ مَعْلَمِهِ مُعْلَمَةٌ أَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ (٢). وَلِلَّهِ هُوَ! فَلَقَدْ نَصَحَتْ إِشَارَتُهُ وَرَجَرَتْ مُنَاهِضِيهِ، وَنَصَعَتْ عِبَارَتُهُ فَهَرَّتْ - إِذْ بَهَرَتْ - مُعَارِضِيهِ (٣)....

٤ - كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة (حققه إحسان عباس)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٥ م (عدد من أجزائه).

★ المرقبة العليا ١٣٠ - ١٣٢؛ النبوغ المغربي ٢٠٦؛ الأدب المغربي ٢٦٢ - ٢٦٣؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٧٥؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٦١ (٣٢)؛ دعوة الحق ٣/ ٥٩ ص ٢٤.

الغُبَرِيُّ صَاحِبُ الدِّرَايَةِ

١ - هو أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ أَحْمَدَ (وَقِيلَ مُحَمَّدٌ) بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْغُبَرِيُّ، أَصْلُهُ مِنْ قَبِيلَةِ بَنِي غُبَرِينَ فِي بِلَادِ الْقَبَائِلِ (الْمَنْطَقَةُ الْجَبَلِيَّةُ)، وَلَدَ فِي الْأَغْلَبِ فِي مَدِينَةِ بَجَايَةِ (الْقَطْرِ الْجَزَائِرِيِّ) سَنَةَ ٦٤٤ هـ (١٢٤٦ - ١٢٤٧ م).

دَرَسَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْغُبَرِيُّ قِسْطًا صَالِحًا مِنْ عُلُومِ الدِّرَايَةِ (أَصُولِ الدِّينِ وَأَصُولِ الْفِقْهِ وَالْمَنْطِقِ وَالتَّصَوُّفِ) وَشَيْئًا كَثِيرًا مِنْ عُلُومِ الرِّوَايَةِ (التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ وَالنَّحْوِ) وَسَمِعَ مِنْ نَفَرٍ كَثِيرِينَ مِنْهُمْ: أَحْمَدُ بْنُ خَالِدٍ الْمَالَتِيُّ (ت. نَحْوَ ٦٦٠ هـ) وَعَبْدُ اللَّهِ ابْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَمْرِو الْقَلَمِيِّ (ت. ٦٦٩ هـ) وَأَحْمَدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ عَجَلَانَ الْقَيْسِيِّ (ت. ٦٧٠ هـ)

(١) إشارة إلى أبيات على مثال بيتي الحريري.

(٢) المعلم: العلامة الظاهرة تنصب على الطرق السلطانية (الدولية) ليستدل بها الناس على البلدان والمناطق بين البلدان (كتابة عن أن بيتي الحريري شيء بارز في مابه).
معلمة اسم فاعل من «أعلم»، والجملة بعدها في محلّ منقول به. «إِنَّ الْفَضْلَ لَخ» تضمين (٣: ٧٣، سورة آل عمران).

(٣) المناهض: المقاوم. المعارض: المباري، الذي يحاول أن يجري معك أو أن يجاريك في عمل شيء. نهر: زجر. يهرأ: أدهش.

ومحمد بن الحسين بن ميمون التيمي القلعي (ت ٦٧٣) ومحمد بن أحمد بن محمد بن مرسى الطيب (ت ٦٧٤ هـ) وأبو العباس أحمد بن محمد الصدي الشاطبي (ت ٦٧٤ هـ) وعبد الحق بن ربيع الأنصاري البجائي (ت ٦٧٥ هـ) وعبد المجيد بن أبي البركات بن أبي الدنيا الصدي الطرابلسي (ت ٦٨٠ هـ) وعبد النعم بن محمد الصافي الجزائري (ت بعيد ٦٨٠ هـ) وأحمد بن عيسى المارئي (ت ٦٨٢ هـ) وعبد العزيز بن عمر بن مخلوف (ت ٦٨٦ هـ) وأبو القاسم ابن أبي بكر اليميني بن زيتون (ت ٦٩١ هـ) وعبيد الله بن أحمد بن عبد المجيد الأزدي (ت ٦٩١) وأحمد بن محمد بن الغمار البلنسي (ت ٦٩٣ هـ) وغيرهم.

واشتغل أبو العباس الغبريني بالتدريس زمناً، درس في جامع الزيتونة في تونس ثم تولى القضاء في بلدان عديدة كان آخرها بجاية، من غير أن ينقطع عن التدريس في تونس وبجاية وغيرها. ثم ترقى إلى منصب قاضي القضاة في بجاية وبقي في منصبه حتى وقعت وخنة بينه وبين أمير بجاية أبي البقاء خالد الذي جاء إلى حكم بجاية سنة ٧٠٠ هـ (١٣٠٠ - ١٣٠١ م).

لما سار أبو البقاء لتأديب واليه على قسنطينة (الجزائر) محمد بن يوسف الممداني الأندلسي، سنة ٧٠٤ هـ اصطحب أبا العباس الغبريني. ثم إن أبا البقاء أرسل الغبريني في سفارة إلى صاحب تونس محمد الواثق أبي عصيدة. ووشى جماعة إلى أبي البقاء بأن الغبريني قد حرص أبا عصيدة على الثورة ففضب أبو البقاء ثم ألقى الغبريني في السجن ثم أمر بقتله، سنة ٧٠٤ هـ (١٣٠٥ م).

٢- كان أبو العباس الغبريني رجلاً، قبل أن يلي القضاء، يُحب الاختلاط بالناس فيكثر من حضور الولائم ويدخل إلى الحمامات العامة. فلما ولي القضاء ترك ذلك كله ومال إلى الجدة فأصبح مهيباً وقوراً شديداً في أحكامه. وكان للمتصوفين المعتدلين أثر كبير في نفسه يؤمن بكراماتهم.

والغبريني مؤلف له: «عنوان الدراية فيمن عُرِف من العلماء في المائة السابعة ببجاية» وقد ذكر له بروكلمن (الملاحق ٢: ٣٣٧) مصنفاً هو «البرنامج» (فهرست بأسماء شيوخه).

وكتاب «عنوان الدراية» مجموع تراجم لعلماء وأدباء من القرن الهجري السابع، سواء أكانوا من أهل بجاية أو من الوافدين عليها والزائرين لها (من أنحاء القطر الجزائري ومن الأندلس ومن المشرق). وترى شيئاً من غاية الكتاب ومنهج تأليفه في النص المختار.

٣- مختارات من آثاره

- من مقدمة عنوان «الدراية»:

.... إِنَّهُ لَمَّا كَانَ طَلَبُ الْعِلْمِ اللَّدُنِّيِّ^(١) فُرْضاً عَلَى الْكِفَايَةِ حِيناً وَمُتَعَيِّناً فِي الْحَالِ^(٢)، وَلَمْ يَكُنْ بُدٌّ - فِي تَحْصِيلِهِ - مِنْ تَلْقَائِهِ عَنِ الرِّجَالِ... فَلِذَلِكَ اهْتَمَّ الْعُلَمَاءُ بِذِكْرِ الرِّجَالِ وَاسْتَعْمَلُوا فِي تَمْيِيزِ أَحْوَالِهِمُ الْفِكْرَ وَالْبَال... وَقَدْ اخْتَلَفَتْ فِي ذَلِكَ مَصَادِرُهُمْ وَمَوَارِدُهُمْ^(٣)، وَإِنْ اتَّفَقَتْ فِي بَعْضِ الْوُجُوهِ مَقَاصِدُهُمْ. فَمِنْهُمْ مَنْ ذَكَرَ التَّجْرِيعَ وَالتَّمْدِيلَ فِي الْمُحَدَّثِينَ^(٤)، وَمِنْهُمْ مَنْ ذَكَرَ مِنْ يُعْرِفُ بِالْحِفْظِ وَالِإِتْقَانِ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ اقْتَصَرَ عَلَى ذِكْرِ الْعُلَمَاءِ وَالْمُجْتَهِدِينَ.... (و) كُلَّ ذَلِكَ يُحْصَلُ الْإِفَادَةُ وَيُسَهِّلُ لِلطَّالِبِ مُرَادَهُ. وَإِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ يُعْرَضَ فِي هَذَا عَلَى^(٥) سَبِيلِ الْمُكَاتَرَةِ وَطَرِيقِ الْبَاهَاةِ وَالْمُفَاخَرَةِ، كَمَا قَصَدَهُ بَعْضُ مَنْ قَصَرَتْ مَعْرِفَتُهُ وَلَمْ تَرُقْ إِلَى دَرَجَةِ أُولَى النُّهَى دَرَجَتُهُ، (بَلْ) يَكُونُ الْقَصْدُ فِي هَذَا إِنَّمَا هُوَ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ وَيُوصِلُ إِلَى

(١) العلم اللدني: العلم الذي هو من لدن (يفتح ضمّ فسكون: عند) الله، من قوله تعالى (١٨: ٦٥)، سورة الكهف: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾.

(٢) فرض الكفاية هو العمل الذي إذا قام به بعض المسلمين سقط عن بعضهم الآخر (كنسب الحنارة وتولي القضاء). متعين (فرض عين): واجب على كلّ مسلم يجد في نفسه القدرة على شيء، كالجهاد إذا خيف على الإيمان). في الحال: الآن (في زمن المؤلف).

(٣) تلقّيه عن الرجال: بالرواية (بأن ينقل التأخر الخبر عن مسدّم عليه بالزمن). مصادرهم: الأمور التي اعتمدوها واستندوا إليها. مواردهم: غاياتهم والنتائج التي وصلوا إليها.

(٤) المحدّثين (رواة الحديث عن رسول الله). المرحج والتعديل: نقد رجال السند (الذي يروون الحديث سلسلاً واحداً عن واحد) بالمرحج (الكشف عن ضعفهم أو جهلهم أو كذبهم أو انقطاعهم بأن يكون بين أحدهم والذي سبقه في سلسلة السند زمن طويل، الخ) والتعديل (معرفة ما في الراوي من العدل أو المدالة: كالملم والتقوى والأمانة والخلق الكريم، الخ).

(٥) كذا في الأصل (ولعلّ الصواب: ينبغي أن لا يصرّ هذا على....).

السبيل المرصية، وذلك بحيث يعلم طالب العلم (أولئك) الأئمة الذين بهم يقتدى
وبسلوك سنتهم السوي يقتدى.

وإنني قد رأيت أن أذكر في هذا التقييد من عرف من العلماء ببجاية في هذه المائة
السابعة^(١).... أذكر منهم من اشتهر ذكره ونبل قدره وظهرت جلالته وعرفت مرتبته
في العلم ومكاتبه. وقد رأيت أن أصل بذكر علماء هذه المائة ذكر الشيخ أبي مدين
والشيخ أبي علي المسيلي والفقير أبي محمد عبد الحق الإشبيلي، رحمهم الله ورضي عنهم،
لقرب عهدهم بهذه المائة - لأنهم كانوا في أعقاب المائة السادسة - للتبرك بذكرهم
ولانتشار فخرهم. و (أنا) أبدأ بهم، رضي الله عنهم، ثم أتلوهم بذكر مشيختي وأعلام
إفادتي، ثم أتلو^(٢) (هؤلاء) بمن سواهم إلى أن يقع الإتيان على جميعهم، رحمهم الله.
وسميت هذا المجموع: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة
ببجاية.....

- وقال أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني (المرتبة العليا ١٣٢):

لا تُسَكِّنَ سِرِّكَ المَكُونِ خَاطِبُهُ وَأَجْعَلْ لِمَيْتِهِ بَيْنَ الحِشَا جَدًّا.
ولا تَقُلْ: نَفْثَةُ المَصْدُورِ رَاحَتُهُ. كَمْ نَافِثٍ رُوحَهُ مِنْ صَدْرِهِ نَفْثًا.

٤- عنوان الدراية.... (عني بشره محمد بن شب، الجزائر ()
١٣٢٨ - ١٣٢٩ هـ (١٩١٠ م)؛ (نشره عادل نويض)، بيروت () (١٩٦٩ م)؛
(تحقيق رابح بونار)، الجزائر (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع) ١٩٧٠ م.

♦♦ الدياج المذهب ٧٩ - ٨٠: نيل الابتهاج ٧٣ س؛ تعريف الخلف ١: ٢١ - ٢٧؛ وفيات
ابن قنفذ ٣٣٨ - ٣٣٩؛ درة المجال ١: ١٠ - ١١؛ المرقبة العليا للتباهي ١٣٢؛ شجرة
النور الزكية ٢١٥؛ بروكلمن ٢: ٣١٠ - ٣١١، الملحق ٢: ٣٣٧؛ الأعلام للزركلي ١: ٨٧
(٩٠)؛ سركيس ١٤٠٧؛ أعلام الجزائر لنويض ١٥.

(١) المائة السابعة: من ٦٠١ إلى ٧٠٠ للهجرة (بواضحا: ١٢٠٤ - ١٣٠٠ للميلاد).

(٢) أتلو: اتبع.

؛ أبو العباس العزقي

١- هو أبو العباس أحمد بن أبي طالب اللخمي العزقي، كان أهله ذوي رئاسة في سبته، في أواخر أيام الموحدين (نحو ٦٢٥-٦٦٥ هـ)، فنقلهم ابن الأحرر إلى غرناطة.

سمع أبو العباس العزقي من أبي علي بن خيس. ثم كانت وفاته في ٢٨ من ذي الحجة ٧٠٧ (١٣٠٨/٦/١٨ م). وفي الأدب المغربي (ص ٢٣١) سنة ٧١٧ هـ.

٢- أبو العباس العزقي شاعر حسن السبك على شعره شيء من الرقة والطلاوة، وهو يُقَدَّرُ المِثَارَقة. وفنونه وجدانية من الشكوى والخمر والنسيب في الأكثر.

٣- مختارات من شعره

- قال أبو العباس العزقي في الخمر والنسيب:

هذا الصباح، فغادي بصبح؛ وانفض براجك فهي راحة روحي^(١).
لا تكثرت بخطوب دهرك واسمني كأماً تحسن منسه كل قبيح.
ما لي وللأطلال أسأل صامتاً منها وأغول في مهابة فيح^(٢)!
في الراح والريحان شغل شاغل لي عن عيافة بارح وسنيح^(٣).
وأهيم في وزد الحدود وآسها، لا في عرار بالفلاة وشيح^(٤).
كم عرّضوا لي بالملام وصرحوا، فمضيت في التريض والتصريح.

(١) غادي (قدم لي باكراً) بصبح (بمصر في الصباح). الراح الحمر.

(٢) الطلل: مكان بناء الحبة (وهنا): الديار الحرة. أعول: رفع صوته بالبكاء. المهمة: الصحراء الواسعة. الأفيح: الواسع.

(٣) البارح: الطير إذا مر من بين الراقي إلى ياره (وكان عند العرب دليل شؤم). والنايح أو النيح ضد البارح. العيافة: الاستدلال بطيران الطيور على المستقبل.

(٤) الآس: نبات أوراقه خضر. آس الحدود (أوائل الثمر النابتة في الوجه). العرار والنيح من نبات البادية.

عَجَبًا لَهُمْ يَلْقَوْنَ فِي بَلَامِهِمْ
إِنْ صَوَّحَ الرُّؤُوسَ النَّضِيرُ، فَخَذَهُ
قَلْبِي بِعَذْلِهِمْ يَزِيدُ تَوْقُدًا؛
فِي حُبٍّ مَنْ يَلْقَوْنَ بِالتَّسْيِيحِ^(١).
أَزْهَارُهُ أَمِنَتْ مِنَ التَّصْوِيحِ^(٢).
لَا غَرَوَ فِي نَارٍ تُسَبُّ بِرِيحٍ.

- وله في السيب والعتاب:

مَلَكْتُ رَقِي بِالْجَمَالِ فَأَجْمِلُ،
أَنْتَ الْمَلِكُ عَلَى الْمَلَا حِ، (وَمَنْ يَجْرُ
إِنْ قِيلَ: أَنْتَ الْبَدْرُ، فَالْفَضْلُ الَّذِي
لَوْلَا الْحُظُوظُ لَكُنْتَ أَنْتَ مَكَانَهُ،
مَا زِلْتُ أَعْدَلُ فِي هَوَاكَ، وَلَمْ يَزَلْ
أَصْبَحْتُ فِي شُغْلٍ بِحُبِّكَ شَاغِلٍ
لَمْ أَهْمِلِ الْكِتَابَ، لَكِنْ أَدْمَعِي
إِنْ كُنْتُ بَعْدِي حُلْتُ عَمَّا لَمْ أَحُلْ
أَوْ حَالَتِ الْأَحْوَالُ فَاسْتَبَدَلْتُ بِي؛
وَحَكَمْتُ قَلْبِي بِاعْتِدَالِكَ فَاعْدِلُ^(٣).
فِي حُكْمِهِ، إِلَّا جُفُونَكَ، يُعْزَلُ^(٤).
لَكَ بِالْكَمَالِ؛ وَتَقْضُهُ لَمْ يُجْهَلْ.
وَلَكَانَ دُونَكَ فِي الْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ!
سَمِعِي عَنِ الْعُدَّالِ فِيكَ بِمَعْزَلِ.
عَنْ أَنْ أَصِيحَ إِلَى كَلَامِ الْعُدْلِ^(٥).
هَمَلْتُ. وَلَوْ لَمْ تَقْضِي لَمْ تَهْمَلِ^(٦).
عَنْهُ، وَقَدْ أَهْمَلْتُ مَا لَمْ أَهْمِلْ،
فَأَنَا بِحُبِّي فِيكَ لَمْ أَسْتَبْدِلْ.

٤- ** نفع الطب ٢: ٣٦؛ النوغ المغربي ٢٢٦-٢٢٧، ٧٣٢-٧٣٥، ٧٦٤-٧٦٥؛
الأدب المغربي ٢٣١-٢٣٥.

أبو جعفر بن الزبير

١- هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الحسن بن

(١) إِذَا رَأَوْهُ قَالُوا: «سَبَّحَانَ اللَّهِ» (الجمال الحارثي).

(٢) صَوَّحَ: بَيَسَ.

(٣) أَحْمَلُ: عَامِلِي بِإِحْصَانٍ وَلَطْفٍ.

(٤) «وَمَنْ يَجْرُ... يُعْزَلُ» رَاجِعٌ مَوْشَعَةَ عِبَادَةِ بِنِ مَاءِ السَّلَامِ (٤: ٤٤٩-٤٥٠) مِنْ هَذِهِ السَّلْسَلَةِ....

(٥) أَصَاحُ: اسْتَمَعَ.

(٦) - أَنَا كُنْتُ حَيًّا، وَلَكِنْ دَمْعِي الَّتِي انْهَمَرَتْ بِكَثْرَةِ دَلَّتِ النَّاسَ عَلَى حَيِّ لَكَ.

عاصم بن مسلم بن كُثْبِ التَّقْفِي الجَيَّانِي، وُلِدَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ ٦٢٧ (خريفَ عام ١٢٣٠ م) فِي أُسْرَةٍ غَنِيَّةٍ مَعْرُوفَةٍ فِي جَيَّانَ.

تلا أبو جعفر بن الزبير القرآنَ بِالْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ الثَّارِي وَغَيْرِهِ. وَخَرَجَ بِهِ أَبُوهُ مِنْ جَيَّانَ، سَنَةَ ٦٤٣ هـ، لَمَّا اسْتَوْلَى عَلَيْهَا الْعُدُو. وَفِي سَنَةِ ٦٤٥ هـ (١٢٤٧ م) كَانَ فِي فَاسَ فَلَقِيَ أَبَا الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنَ يَوْسَفَ بْنَ قُرْتُوبٍ (ت ٦٦٠ هـ) مُورَخَ أَهْلِ فَاسَ وَتَلَمَذَ عَلَيْهِ.

وَتَصَدَّرَ أَبُو جَعْفَرٍ بِنَ الرُّبُورِ لِإِقْرَاءِ كِتَابِ اللَّهِ وَإِسْمَاعِ الْحَدِيثِ وَتَدْرِيسِ الْفِقْهِ وَتَعْلِيمِ الْعَرَبِيَّةِ (النَّحْوِ) فِي جَيَّانَ ثُمَّ فِي مَالِقَةَ، فِيمَا يَبْدُو. وَظَهَرَ فِي مَالِقَةَ مُشْعُوذٌ يُدْعَى إِبْرَاهِيمَ الْفَرَارِيَّ فَقَاوَمَهُ ابْنُ الزَّبِيرِ. وَلَكِنْ ذَلِكَ الْمَشْعُوذُ اسْتَمَانَ عَلَيْهِ بِالتَّغْلِبِ عَلَى تِلْكَ الْمَدِينَةِ - أَحَدِ بَنِي أَشْقِيلُولَةِ التَّجِيبِيِّينَ - فَأَوْذِي ثُمَّ اضْطُرَّ إِلَى مُبَارَحَةِ مَالِقَةَ فَجَاءَ إِلَى غَرْنَاطَةَ. وَاتَّفَقَ أَنْ جَاءَ إِبْرَاهِيمُ الْفَرَارِيُّ رَسُولًا مِنْ أَمِيرِ مَالِقَةَ إِلَى غَرْنَاطَةَ فَاتَّهَزَ ابْنُ الزَّبِيرِ الْفُرْصَةَ وَشَرَحَ لِلسُّلْطَانِ أَمْرَ هَذَا الْمَشْعُوذِ. وَثَبَتَ عَلَى الْمَشْعُوذِ شِعْؤُهُ وَأَنَّهُ ادَّعَى النَّبُوَّةَ أَيْضًا فَقُتِلَ.

وَكَانَتْ وَفَاةُ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ الزَّبِيرِ فِي غَرْنَاطَةَ، مِنْ ثَابِتِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ ٧٠٨ (١٣٠٨/٨/٢٦ م).

٢ - كَانَ أَبُو جَعْفَرِ بْنِ الزَّبِيرِ مُصَنِّفًا لَهُ مِنَ الْكُتُبِ: مِلَاكُ التَّأْوِيلِ فِي الْمَشَابِهِ اللَّفْظِي فِي التَّنْزِيلِ (الْقُرْآنَ) - الْإِعْلَامُ بَيْنَ خَتَمِ بِهِ الْقَطْرَ الْأَنْدَلُسِيَّ مِنَ الْأَعْلَامِ - صِلَةُ الصِّلَةِ (وَصَلَّ بِهِ صِلَةَ ابْنِ بَشْكَوَالِ) - مَعْجَمُ شَبُوحِهِ - بَرْنَامُجُ رَوَايَاتِهِ (٤).
وَأَسْلُوبُهُ فِي الْكِتَابَةِ مُوجِزٌ وَاضِحٌ وَرَبَّيَا تَأْتِقُ فِي الْكِتَابَةِ حِينًا (كَمَا نَرَى فِي النَّصِّ - فِي «مَخْتَارَاتٍ مِنْ آثَارِهِ»).

٣ - مَخْتَارَاتٍ مِنْ آثَارِهِ

- قَالَ أَبُو جَعْفَرِ بْنِ الزَّبِيرِ فِي الْأَنْصَرَفِ عَنْ أُمُورِ الدُّنْيَا (بَغِيَّةُ الْوَعَاةِ ١٢٧):

مَا لِي وَلِلنَّالِ؟ لَا أُمُّ لِي، إِنَّ سَلْتُ: مَنْ يُعْزَلُ أَوْ مَنْ يَلِي (١)؟
حَتَّى دُنُوِي أَثْقَلْتُ كَاهِلِي؛ مَا إِنَّ أَرَى غَمَاءَهَا تَنْجَلِي (٢).

- وقال (صلة الصلة، ص ٢٨ - ٣٠، رقم ٤١):

عبد الوهاب بن علي بن محمد القيسي من أهل المنشأة من حصون مألقة بفريها (٣)،
يكنى أبا محمد.... كان ورعاً زاهداً أديباً حافلاً (٤) بالغ الأدب، لا يُشَقُّ غُبَارُهُ إِذَا
نَظَمَ أَوْ كَتَبَ: رَشَاقَةٌ جَبِلَ عَلَيْهَا، وَحَلَاوَةٌ أَغْرَاضٍ جَرَتْ طِبَاعُهُ عَلَى عِنَانِهِ (٥) إِلَيْهَا.
وَأَمَّا الْوَرَعُ وَالزُّهْدُ فَهِيَ لِبَاسُهُ وَشِعَارُهُ (٦)، وَإِنْ أَتَهَمْتُ أَوْ أَنْجَدْتُ فَحِكْمُ مَأْذُونِيَّةِ
الْأَدَبِ وَلَوْذَعِيَّتِهِ مَقَامَاتُهُ وَأَشْعَارُهُ (٧). كان، رحمه الله، يرى تفضيل سُكْنَى الْبُوَادِي
عَلَى الْأَمْصَارِ (٨)، وَإِنْ أَسَاءَ لِنَفْسِهِ - كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ - الْاِخْتِيَارَ. (وَلَكِنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ)
إِثَاراً لِلْخُمُولِ وَرَجَاءً لِإِعْدَادِ ذَلِكَ فِي عَمَلِهِ الْمَقْبُولِ (٩).... وَقَدْ قِيدْتُ مِنْ نَظْمِهِ
وَشِعْرِهِ.... مَا يَشْهَدُ بِنَفَقِهِ فِي الْآدَابِ وَإِحْرَازِهِ الْغَايَةَ فِي ذَلِكَ الْبَابِ... وَكَانَ بَيْنَهُ
وَبَيْنَ الشَّيْخِ الْأَدِيبِ الْفَاضِلِ الْوَرَعِ الْجَلِيلِ أَبِي الْحَجَّاجِ بْنِ الشَّيْخِ خَلَّةَ (١٠) مَتَاكُدَةً، وَكَانَا
يَتَرَاوُلَانِ نَظْمًا وَتَرَاوُلًا بَا يَمْلَأُ الْأَرْجَاءَ طَبِيبًا وَتَشْرَأُ (١١)، إِلَى أَنْبَاطٍ وَدُعَايَةٍ مَا شَانَ مِثْلَهُ

(١) لَا أُمُّ لِي، لَا أُمُّ لَكَ تَعْبِيرٌ يَسْتَعْمَلُ لِلذَّمِّ وَالسَّبِّ، وَقَدْ يَسْتَعْمَلُ فِي الْمَدْحِ عَلَى سَبِيلِ التَّعَجُّبِ. وَالْأُمُّ، فِي

الْأَصْلِ، الْوَالِدَةُ، وَهِيَ أَيْضًا الشَّانُ وَالْأَمْرُ وَالْقَصْدُ. لَا أُمُّ لِي (هَذَا): تَكَلَّمْتُ أُمِّي (يَدْعُو عَلَى نَفْسِهِ
بِالْمَوْتِ) أَوْ لَا شَأْنَ لِي بِمِثْلِ هَذَا الْأَمْرِ (٢). سَلْتُ = سَأَلْتُ. مَنْ يُعْزَلُ (عَنِ الْحُكْمِ) وَمَنْ يَلِي (يَتَوَلَّى الْحُكْمَ).

(٣) الْكَاهِلُ: مَا بَيْنَ الْكَفَيْنِ. الْغَمَاءُ: الشَّدَّةُ (الْمَصِيبَةُ) الَّتِي تَمُوتُ (تَنْطَلِقُ عَلَى مَا سِوَاهَا). تَنْجَلِي: تَنْكَفُفُ.

(٤) الْمُنْشَأَةُ: مَوْضِعُ النَّشْأَةِ (مَكَانٌ فِيهِ أَشْجَارٌ وَأَزْهَارٌ)؟

(٥) حَافِلٌ: كَثِيرُ لَبَنَةٍ (الْقَامُوسُ ٣: ٣٥٨) - أَدِيبٌ حَافِلٌ: أَدِيبٌ بَارِعٌ فِي عِدَّةٍ مِنْ فُنُونِ الْأَدَبِ (٢).

(٦) جَرَى عَلَى عِنَانِهِ (رَسَنَهُ، لِحَامَهُ): سَهَلَ عَلَيْهِ الْجُرْيُ (الْبَرَاعَةُ فِي الْأَعْمَالِ).

(٧) التَّعَارُ: تَوَبَّ بَلِيسٌ تَمَا يَلِي الْبَدَنَ. هَذَا الْأَمْرُ لِبَاسِي وَشِعَارِي (يَسْتَفِرَّقُ كُلَّ اهْتِمَامِي وَجَمِيعِ أَعْمَالِي).

(٨) الْوَدُوعِي: الذَّكِيُّ الْفَصِيحُ. فَحِكْمُ مَأْذُونِيَّةِ الْأَدَبِ وَلَوْذَعِيَّتِهِ (٢). الْقَامَةُ: فَنٌ مِنْ فُنُونِ الْأَدَبِ.

(٩) الْبَادِيَةُ: الْمَكَانُ الْبَادِي (الْمَعْدَنُ عَنِ الصَّرَافِ). الْمَصْرُ (بِالْكَسْرِ): الْمَدِينَةُ الْكَبِيرَةُ.

(١٠) إِثَاراً (تَفْضِيلاً) لِلْخُمُولِ (قَلَّةُ الشُّهْرَةِ). الْعَمَلُ الْمَقْبُولُ: الْمَسْلُوكُ الدِّينِيُّ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى رِضَا اللَّهِ وَاسْتِحْقَاقِ
الْجَنَّةِ.

(١١) الْحَلَّةُ (بِالضَّمِّ): الصَّدَاقَةُ.

(١٢) النَّشْرُ: الرِّيحُ (أَوْ الرَّاشِعَةُ) الطَّيِّبَةُ.

أمثالها، ولا عابه. وكانا في الفضل والدين والأدب المتين كَفَرَسَي رَهان^(١). وقد قُلِّدَ بعضُ الجَلَّةِ أخبارَها لِيقْتَنِي من وفق آثارها^(٢). وقد تُوْفِّي الشيخُ الفاضل أبو محمد عبد الوهاب سنة ٥٩٨....

٤- صلة الصلة (تحقيق إتيان ليفي يروفسال) الرباط ١٩٣٧م؛ بيروت (مكتبة خياط - بالنصوير) بلا تاريخ (١٩٦٩م).
الوافي بالوفيات ٦: ٢٢٢؛ الدياج الذهب ٤٢ (فاس ٥٧)؛ الدرر الكامنة (حيدر أباد) ١: ٨٤-٨٦؛ الإحاطة ١: ١٩٥-٢٠٠؛ البدر الطالع ١: ٣٣-٣٥؛ بنية الوعاة ١٢٦-١٢٧؛ شذرات الذهب ٦: ١٦؛ نفع الطبيب ٢: ٢٩-٣٠؛ ٦١٦، ٣٠؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٧٦؛ نيكل ٣٦٢؛ الاعلام للزركلي ١: ٨٣-٨٤ (٨٦).

ابن خميس التِّلْسانِيُّ

١- هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن خميس الحميريُّ الحِجْريُّ الرُّعْنِيُّ التِّلْسانِيُّ، نسبُهُ إلى حِجْرٍ ذي رُعيٍّ من حِميرٍ من مُلوكِ عَرَبِ اليَمَن.

وُلِدَ ابنُ خَميسَ التِّلْسانِيُّ سنةَ ٦٥٠ هـ (١٢٥٢ م) أو قُبَيْلَ ذلك، ولا نكادُ نَعْرِفُ شيئاً عن حياته الأولى سوى أَنَّهُ آثَرَ الحِياةَ في عُرْلةٍ عن الناس. وقد عاصر ابنُ خَميسَ جَلَّةً من العلماء في تِلْسانَ منهم إبراهيمُ بنُ يَخْلَفَ بنِ عبد السلام التَّنَسِيَّ (الجزائري) المَطْطَاطِي التِّلْسانِيُّ (ت ٦٧٠ هـ) وأبو عبد الله محمد بن محمد بن مرزوق المَعْجِسِيَّ التِّلْسانِيَّ (٦٢٠-٦٧١ هـ) والأديبُ الكاتبُ الشاعرُ محمد بن عبد الله بن داوودَ بن خطابٍ العَاقِقي (ت ٦٧٠ هـ)؛ ولكننا لا نَعْلَمُ إذا كان قد أَخَذَ عن أَحَدٍ منهم شيئاً من فنونِ العلم والأدب.

(١) ما شان (عاب) مثله (رجلاً مثله) أمثالها (أمثال هذه الدعاة وذلك الانبساط). الانبساط: ترك النفس (أحياناً) على حقيقتها: ترك الجدَّ (بالكسر) والتعبُّدَ بالعرف القاسي. فرما رهان (قادران على المجري، ولا يكاد أحدها سبق الآخر).
(٢) يقتني (يَتَمَعُّ) من وفق (٩). آثاره: خطواته (طريقته في الحياة).

في سنة ٦٨٨ هـ (١٢٨٩ م) التقى الرحالة المغربي أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد ابن مسعود العبدي بابن خيسر في تلمسان، وكان ابن خيسر لا يزال يحب العزلة، ثم إنه خرج من عزلته الطويلة وتولى منصباً في ديوان الإنشاء للسلطان أبي سعيد عثمان بن يعفراسن بن زيان (٦٨١ - ٧٠٣ هـ) في النصف الثاني من مدته. وفي سنة ٧٠٣ هـ (١٣٠٤ م) لقي جفوة في بلاط تلمسان فخرج غاضباً وجاء إلى سبنة ومدح أبا طالب العزفي المستبد بملك سبنة يومذاك؛ ثم استقر في سبنة للإقراء. غير أن نفراً من الطلاب أساءوا إليه فانتقل وشيكاً إلى مآلفة ثم إلى غرناطة، قيل قبل أن تنتهي سنة ٧٠٣ هـ.

ولما قتل الوزير أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم، في أول شوال من سنة ٧٠٨ (١٣٠٩/٣/١٣ م)، قتل ابن خيسر معه ظلماً.

٢- كان لابن خيسر التلمساني عناية بفنون من العلم والأدب: بالفقه والمذاهب، وباللغة والعربية (النحو)، وبالتاريخ وأيام العرب وأحوالهم، ملماً بشيء من علوم الحكمة بالمنطقي والطب؛ كما كان أديباً كاتباً مترسلاً وشاعراً فحلاً على المنهج المشرقي. وكانت على شعره نفحة قوية من نفس المرعي. وابن خيسر شاعرٌ مخينٌ سريعُ الحاطرٍ طويلُ النفسِ رائقُ المعاني واضحُ المقاصد يغلب على شعره شيء من القصص الملحمي من جاهلية العرب. وفي بعض شعره فكاهة ودعابة؛ وفي بعض شعره نفحة دينية قريبة من التصوف.

ومع أن ابن خيسر التلمساني ميالٌ إلى اشتجاع الغريب في شعره وإلى تصيد وجوه البلاغة، والبدع منها خاصة، في التركيب المتن، فإن شعره ديباجة راقية بالغة في الوضوح والسلاسة والمُدوبة.

ومن فنون شعر ابن خيسر في القصائد الباقية لنا المدح والفخر والشكوى والحنين والغزل والنسيب والحمريات (وهو يفضل الحشيشة على الخمر). ولا ين خيسر شيء من الترسل لا يلحق بشعره.

- قال ابن خيسر التِّلْسَانِي يفتخرُ ويشكو الشَّيْخوخَةَ بعدَ انقضاءِ الشَّبابِ:
 إِنَّ كُنْتَ تَجْهَلُ أَنَّنِي لَا أَرْقُدُ، فَاسْأَلْ يُخَبِّرُكَ السُّهَاءُ وَالْفَرْقَدُ^(١).
 وَإِنْ أَتَيْتَهُمَا لِنَقْصِ تَشَابِهِ يَنِينِ وَبَيْنَهُمَا - فَطَيْفُكَ يَشْهَدُ^(٢).
 وَلَقَدْ أَهَيْتُ اللَّيْلَ لَا أَدْرِي بِهِ سَهْرًا، كَمَا بَاتَ السَّلِيمُ الْأَرْمَدُ^(٣).
 أَرَعَى كَوَاكِبَهُ وَأَرْقَدُ صُبْحَهُ؛ وَالصُّبْحُ أَنَا مِنْ هَوَايَ وَأُبْعِدُ^(٤).
 بَانَ الْخَلِيطُ، وَبَانَ قَلْبِي إِثْرَهُ سَحْرًا، كَمَا زَعَمَ الْغُرَابُ الْأَسْوَدُ؛
 وَتَبَايَسَتْ أَغْرَاضُنَا وَجُؤْمُنَا؛ فَالْجَسْمُ يَتَّبِعُهُمُ وَالْعَزِيمَةُ تَنْجِدُ^(٥).
 وَنَهَضْتُ لَوْ وَافَى نُهْوضِي قُوَّةً مِنِّي وَسَاعَدَنِي الشَّبابُ الْمُسْعِدُ^(٦).
 لَا تَعَجِبَنَّ لِمَزَمَتِي وَتَتَّبَطِّي؛ فَالشَّوْقُ يَنْهَضُ وَالزَّمَانَةُ تُقْعِدُ^(٧).
 أَوْدَى صِبَايَ وَغَاضَ مَاءَ مَعِينِهِ، وَذَوَى قَضِيبُ قَوَايميَ الْمَتَاوُدُ^(٨)؛

- (١) السُّهَاءُ: نجم خفي في بساتن نعش الصفرى. الفرقد أو الفرقدان: نجم القطب الشمالى (لأنه في الحقيقة نجم مزدوج). - السُّهَاءُ والفرقد يشهدان أنني لا أرقد (لا أنام) لأنني أراقبهما طول الليل (في تذكرك). ثم إن السُّهَاءَ والفرقد في كوكبة (أو عنقود نجوم) لا تغيب (فهل كان الشاعر يعرف ذلك ؟). راجع البيت التالي.
- (٢) - وإذا لم تقل شهادتها لأنني شبهها (في السناء: الرفعة) فاسأل طيفك (خيالك) فهو يزورني طوال الليل (لأنني أحلم بك طوال الليل).
- (٣) الأرمد: الذي به مرض في جفونه. السليم: الليل (سُمِّيَ ليلاً تفاؤلاً بسلامته: شفائه).
- (٤) - أساهر الكواكب ثم أقول أنا ما إذا جاء الصبح. ولكن الصبح لا يأتي (فأظن يقظان ليل نهار).
- (٥) تابيت: اختلفت. أغراضنا: أهدافنا، غاياتنا، أمانينا. يُتَمُّ: يأتي تامة (وهي منخفضة). يُجَدُّ: يأتي بجداً (الأرض المرتفعة). - أهدافنا سامية، ولكن أجسامنا لا تستطيع تحقيق تلك الأهداف.
- (٦) - كنت أنهد (أسو لتحقيق أهدافي) لو أن جسمي وهني قوة على ذلك ولو كان لا يزال في بقعة من شاب ناعد على ذلك.
- (٧) - لا تعجب من رغبتي (في السمو) وتشغلي وتباطئي (عجزني عن السير إلى رغبتي). الزمانة: المرض الدائم. يقعد: يجعل الإنسان مقعداً (عاجزاً، لا يستطيع الحركة).
- (٨) أودى: هلك، ذهب. غاض ماء معينه: جف نبع الماء، انقطع عن السبع. ذوى القضب: ببس الفصن، جف ماؤه ودعت نضارته. المتأود: المتطلف، المتأمل (لأنه لين، نضير أخضر).

وَأَتَى الشَّيْبُ يَزُورُنِي مُتَقَدِّمًا ۖ وَالشَّيْبُ أَبْغَضُ زَائِرٍ يَتَقَدَّدُ (١).
وَلَى الشَّابُّ وَشَرُّهُ: لَمْ يَتَّقَ لِي بَعْدَ الشَّابِّ وَشَرُّهُ مَا أَقْدُ (٢)!

- وقال في الشيب والشكوى والفخر بنفسه وبشعره:

عَجَبًا لَهَا! أَيْذُوقُ طَعْمَ وَصَالِهَا ۖ مِنْ لَيْسَ بِأَمَلُ أَنْ يَمُرَّ بِهَا!
وَأَنَا الْفَقِيرُ إِلَى تَعَلَّةٍ سَاعَةٍ ۖ مِنْهَا؛ وَتَمْنَعُنِي زَكَاةَ جَمَالِهَا (٣).
يَتَادُنِي فِي اللَّيْلِ طَيْفُ خَيَالِهَا ۖ فَتُصَيِّسُنِي الْحَاظِلُهَا بِبِنَالِهَا (٤).
وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ أَقِيمَ بِلَدَةٍ ۖ يَوْمًا، وَأَسْلَمَ مِنْ أَذَى جَهَالِهَا.
شَغِلُوا بِدُنْيَاهُمْ! أَمَا شَغَلْتَهُمْ عَنِّي؟ فَكَمْ ضَيَّعْتُ مِنْ أَشْغَالِهَا (٥)!حُجِبُوا بِجَهْلِهِمْ، فَإِنْ لَاحَتْ لَهُمْ شَمْسُ الْهُدَى عَنَبُوا بِضَوْءِ دُبَالِهَا (٦).
وَإِنْ انْتَسَبْتُ فَلِأَنِّي مِنْ دَوْحَةٍ ۖ تَتَقَيَّلُ الْأَنْسَابُ بِرَدِّ ظِلَالِهَا (٧).
مِنْ حِمِيرٍ مِنْ ذِي رُعَيْنٍ مِنْ ذُرَا ۖ حَجَرٍ مِنَ الْعُطَاءِ مِنْ أَقْيَالِهَا (٨).
خُذْهَا، أَبَا الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى، تُخَفَّةٌ ۖ جَاءَتْكَ لَمْ يُنْسَجْ عَلَى مَنَاطِلِهَا:
مَا جَالَ فِي مِضَارِهَا شِعْرٌ، وَلَا سَمَحَتْ قَرِيحَةُ شَاعِرٍ بِمِثَالِهَا!

- (١) تَقَدَّدَ الرَّحْلُ الْأَمْرُ: بَحَثَ عَنْهُ أَوْ عَنْ حَالِهِ.
(٢) الشَّرْحُ = شَرَحَ الصَّبَا: عَنَوَانُهُ، ذُرْوَتُهُ.
(٣) تَعَلَّةٌ: مَا يَتَعَلَّلُ (يَلْهُو) بِهِ الْإِنْسَانُ. زَكَاةُ جَمَالِهَا: مَا تُصَدَّقُ بِهِ الْمَرْأَةُ مِنَ التَّمَةِ بِجَمَالِهَا.
(٤) اعْتَادَ الْمَكَانَ: جَاءَ إِلَيْهِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ - حَتَّى فِي النَّامِ تَتَنَكَّلُ فِي لِحَاطِهَا.
(٥) شَغِلُوا بِدُنْيَاهُمْ (دَعَا عَلَيْهِمْ بِأَنْ تَشْغَلَهُمُ الدُّنْيَا عَنْ مَصَالِحِ أَنْفُسِهِمْ). - فَكَمْ ضَيَّعْتُ (مَصَالِحَ كَثِيرَةٍ لِي) مِنْ أَشْغَالِهَا (سَبَبِ الْأُمُورِ الَّتِي شَغَلَتْنِي بِهَا).
(٦) حُجِبُوا بِجَهْلِهِمْ: حَجَبَهُمْ جَهْلُهُمْ عَنْ مَعْرِفَةِ حَقَائِقِ الْأُمُورِ. فَإِنْ لَاحَتْ لَهُمْ شَمْسُ الْهُدَى (الْحَقُّ، الْمَعْرِفَةُ الرَّائِسَةُ) عَنَبُوا (لَمَسُوا، تَنَهَّوْا) بِضَوْءِ دُبَالِهَا (الدُّبَالُ جَمْعُ دُبَالَةٍ: الْعَتِيلَةُ الَّتِي تُضِيءُ فِي السَّرَاجِ) = هُمْ يَلْتَهُونَ بِظَاهِرِ الْأَشْيَاءِ وَبِصَنَائِرِ الْأَشْيَاءِ عَنْ حَقَائِقِهَا (الْمَعْنَى صَوْفِي).
(٧) انْتَسَبْتُ: ذَكَرْتُ نَسَبِي. مِنْ دَوْحَةٍ (شَجَرَةٍ كَبِيرَةٍ): مِنْ أَسْرَةٍ عَظِيمَةٍ. تَتَقَيَّلُ: نَامَ بَعْدَ الظَّهْرِ (تَنَتَّمَ).
بَرْدٌ طَلَالُهَا: فِي ظِلِّهَا (فِي ظِلِّهَا الْعَلِيلِ الْبَارِدِ) = تَتَمَنَّى الْأَنْسَابُ أَنْ تَكُونَ مِثْلَ نَسَبِي.
(٨) حِمِيرٌ (إِنْ سَاءَ بَيْنَ يَتَحَبُّ - بِضَمِّ الْحِمِيمِ): أَبُو قَبِيلَةٍ مِنْ عَرَبِ الْجَنُوبِ. رُعَيْنٌ: حَصْنٌ فِي الْيَمَنِ. ذُو حَجَرٍ رُعَيْنٌ: أَبُو قَبِيلَةٍ فِي الْيَمَنِ. - يَقْصِدُ الشَّاعِرُ أَنَّهُ مِنْ نَسْلِ مُلُوكِ الْيَمَنِ.

٤- المنتخب النفيس من شعر أبي عبد الله بن خنيس (عمل عبد الوهّاب بن منصور)، فاس (مطبعة ابن خلدون) ١٣٦٥ هـ.

★ تعريف الخلف ٢: ٣٦٦؛ ابن قنفذ ١٣٤١؛ أعمال الأعلام ٢٥٤-٢٥٥؛ نفاضة الجراب ٢١؛ الكنية الكامنة ٣١؛ بغية الوعاة ٨٦؛ المرقبة العليا للباهي ١١٤؛ نفح الطيب ٥: ٣٥٦-٣٧٨، ٧: ١٣١-١٣٣؛ دائرة المعارف للإسلامية ٣: ٨٣٣-٨٣٤؛ الأعلام للركلي ٧: ٢٠٤ (٦: ٣١٤)؛ معجم أعلام الجزائر لنويش ١٧٠-١٧١؛ الطمار ١٢٤-١٤٢؛ مجلّة الأصاله ١٩٧٥/٧، ص ١٢٨ وما بعد، راجع ١٤٩-١٥٠.

ابن الحكيم الرندي

١- هو ذو الوزارتين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى الحكيم. وقد عُرفَ بِحَيٍّ بَلَقِبَ «الحكيم» لَطِبَةٍ (لأنّه كان يعمل في الطب). كان أسلاف ابن الحكيم من إشبيلية ثم انتقلوا إلى رُنْدَة في دولة بني عَبَّاد (القرن الخامس الهجري)، وفي رُنْدَة كانوا يُعرفون ببني قَتُوح.

وُلِدَ ابنُ الحكيم الرُنْدِي في رُنْدَة في ربيع الأول ٦٦٠ وفيها نشأ وأخذَ قِراءة القرآن بالقراءات السبع وأخذَ العَرَبِيَّةَ عن أبي الحسن عليّ بن يوسف القُندَرِي السَّفَّاح النُّعَوِيّ وأبي القاسم بن الأيسر وغيرهما. ثم إنّه رَحَلَ، سَنَةَ ٦٨٣ هـ (١٢٨٤م) - وكان لا يزالُ ذا قِفاء - إلى المشرق فزارَ مِصْرَ ثم حَجَّ، سَنَةَ ٦٨٤ هـ (١٢٨٦م). وبعدَ انتهاء موسم الحجّ جاء إلى الشام، وزار العراق (نفح الطيب ٢: ٦١٩).

وعادَ أبو عبد الله بن الحكيم إلى رُنْدَة سَنَةَ ٦٨٦ هـ. وفي آخر السَّنَةِ التالية انتقلَ إلى غَرْناطَة وأتصلَ بِثاني مُلوِكها أبي عبد الله محمد (الثاني) الفقيه (٦٧١-٧٠١ هـ) فأثبَتَه في خواصّ دولته ثم رَقاه إلى كِتابَةِ الإنشاء. ولَمَّا جاء ثالثُ مُلوِك بني نصر أبو عبد الله محمد (الثالث) المعروفُ بِالْخُلُوع ارتَقَتْ منزلَةُ ابنِ الحكيم الرندي فجمِعتْ له الكِتابَةُ والوزارة ولُقِّبَ ذا الوزارتين. وقد كان ابنُ الحكيم مُمدِّحاً مَدَحَهُ أبو محمد عبد المُنِينِ الحَضْرَمِيّ (٧٤٩ هـ) وأبو الحسن عليّ بنُ محمد بنِ الجِيَّاب (ت ٧٤٩ هـ).

ولم يَصِفْ الدهرُ لابنَ الحكيمِ الرُّنْدِيَّ فَقِيلَ يَوْمَ خُلِعَ مُحَمَّدُ الثَّالِثُ النَّصْرِيُّ، فِي أَوَّلِ شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ٧٠٨ (١٣/٣/١٣٠٩ م) وَمُثِّلَ بِهِ.

٢- كان ابنُ الحكيمِ الرُّنْدِيُّ رجلاً عَالِي الهِمَّةِ كَرِيمِ النَّفْسِ جَبِيلَ الْأَخْلَاقِ وَكَانَ عالِماً ذا عنايةٍ بِالرُّوَايَةِ (لِلْحَدِيثِ) وَأَدْبِيّاً خَطِيئاً وَكَاتِباً بليغاً وعالِماً بِنَقْدِ الشُّعْرِ، وَكَانَ لَهُ نَظْمٌ كَثِيرٌ. وَتُرِّثُهُ أَعْلَى رُتَبَةٍ مِنْ شِعْرِهِ (نَفْحِ الطَّيِّبِ ٢: ٦٢٤). وَفَنُونُهُ الْمَدْحُ، وَلَهُ شَيْءٌ مِنَ الْغَزْلِ الَّذِي يَمِيلُ إِلَى الْمُجَوَّنِ. وَكَانَ يَكْتُبُ أَنْوَاعاً مِنَ الْخَطِّ الْجَمِيلِ.

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ

- لابنُ الحكيمِ الرُّنْدِيَّ مَقْطَعَاتٌ قَصَارٌ مِنْهَا:

إِنِّي لِأَغِيرُ أَحْيَاناً فَيُلْحَقُنِي يُرِّسُ مِنَ اللَّهِ؛ إِنَّ الْعُرَّ قَدْ زَالَا^(١).
يَقُولُ خَيْرُ الْوَرَى فِي سَنَةٍ ثَبَّتَتْ: «أَتَقِقْ وَلَا تَحْشَنَّ مِنَ الْعَرْشِ إِقْلَالاً»^(٢).
* مَا أَحْسَنَ الْعَقْلَ وَأَنَارَهُ، لَوْ لَازَمَ الْإِنْسَانُ إِثْبَارَهُ^(٣).
يَصُونُ بِالْعَقْلِ الْفَتَى نَفْسَهُ كَمَا يَصُونُ الْحُرُّ أَسْرَارَهُ،
لَا سِيماً إِنْ كَانَ فِي غُرْبَةٍ يَحْتَاجُ أَنْ يَعْرِفَ مِقْدَارَهُ!
* مَا زِلْتُ أَسْمَعُ عَنْ عَلَيْكَ كُلِّ سَنَاءٍ أَنْهَى مِنَ الشَّمْسِ أَوْ أَجْلَى مِنَ الْقَمَرِ^(٤)،
حَتَّى رَأَى بَصَرِي فَوْقَ الَّذِي سَمِعْتُ أَذْنِي، فَوْقَ بَيْنِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ!

- وَقَالَ فِي صِبَاهٍ قَصِيدَةً مَدَحَ بِهَا السُّلْطَانَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدًا (الثَّانِي) الْفَقِيهَ لَمَّا جَاءَ السُّلْطَانُ إِلَى رُنْدَةَ:

هَلْ إِلَى رَدِّ عَشِيَّاتِ الْوَصَالِ سَبَبٌ، أَمْ ذَاكَ مِنْ ضَرْبِ الْمَحَالِ؟
وَلِيَالِ مَا تَبَقَّى بَعْدَهَا غَيْرُ أَشْوَاقِي إِلَى تِلْكَ اللَّيَالِي.

(١) أَعْرَ الرَّجُلُ: اقْتَرَفَ. الْبَسْرُ: الْغَضَبُ.

(٢) خَيْرُ الْوَرَى: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ. فِي سَنَةٍ (فِي حَدِيثٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ أَوْ فِي عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِهِ).

(٣) إِثْبَارُهُ (تَفْضِيلُ الْعَقْلِ فِي أَعْمَالِهِ عَلَى الْمَاطِفَةِ).

(٤) السَّنَا (بِالضَّمِّ، بِلَا مَدٍّ): الصَّوَّةُ الصَّيِّتُ الْحَسَنُ. أَيْ: أَجْمَلُ.

وغازل قد بدا لي وجهه
 من تلقى عن هواه فأنا
 فلئن اتعبني حبي له،
 إذ لآلي جوده من قبلي
 قد داوى بلهه ظمائي
 أهما المولى الذي نعاؤه
 فرأيت البدر في حال الكمال
 بيواه عن هواه غير سأل
 فلكنم نلت به أنعم حال
 ووشاحه يميني وشيالي^(١)
 مزجك الصهباء بالماء الزلال^(٢)

- وله من رسالة طويلة كتبها عن السلطان:

..... وقد تقرر عند الخاصّ والعالم من أهل الإسلام، واشتهر في آفاق الأقطار
 اشتها الصبح في سواد الظلام، أننا لم نزل نبذل جهدنا في أن تكون كلمة الله هي
 العليا ونسبح في ذلك بالنفوس والأموال رجاء ثواب الله لا ليعرض الدنيا^(٣).

وإننا ما قصرنا في الاستنصار والاستنصار^(٤)، ولا أقصرنا عن الاعتصاف بكل من
 أمنا معاملته والاستظهار^(٥)، ولا اكتفينا بمطولات الرسائل وبنات الأفكار حتى
 اقتحمنا بأنفسنا لجج البحار فسمعنا بالطارف من أموالنا والتلاد^(٦) وأعطينا رجاء
 نصرة الإسلام موفور الأموال والبلاد، واشترينا بما أنعم الله به علينا ما فرض الله على
 كافة أهل الإسلام من الجهاد

٤-٢ * الإحاطة ٢: ٢٧٨-٣٠٣؛ أزهار الرياض ٢: ٣٤٠-٣٤٧؛ نفع الطيب ٢:

(١) اللآلي (جمع لؤلؤة). الجيد (بالكسر): أعلى الصدر. من قبلي (بكر ففتح): في إجماعي. الوشاح: نسج
 عريض تلف المرأة به أعلى جسمها. يميني وشيالي (يدي اليمنى ويدي اليسرى). نصف الشاعر هنا
 اعتناق الرجل والمرأة.....

(٢) المني: السرة في الثنتين (كتابة عن الثقيل). الصهباء: الخمر. الزلال: الماء الصافي البارد.

(٣) العرض (يفتح ففتح): السلة (بالكسر): البضائع المروضة في السوق.

(٤) الاستنصار: أن يطلب الحاكم أو القائد من الناس أن ينغروا (بكر الفاء) معه لمساعدته ونصرتهم.
 الاستنصار: طلب المونة.

(٥) أقصر الرجل عن أمر: تأخر عنه وهو قادر عليه. الاعتصاف: الاستماعة (بآخرين) ليرداد هو قوة.
 الاستظهار: الاستماعة.

(٦) الطارف والطريف: المال الذي يكسه المرء نفسه. التلاد (التالد والتليد): المال الذي يرثه الشخص
 عن كان قبله.

وَاعْدَنِي وَغَدَاً وَقَدْ أَخْلَفَا؛ أَقْلُ شَيْءٍ فِي الْمَلِيحِ الْوَفَا.
وَحَالَ عَنْ عَهْدِي وَلَمْ يَزَعْه، مَا ضَرَّهُ لَوْ أَنَّهُ أَنْصَفَا^(١).
مَا بِالْهَامِ لَمْ تَتَّعَطَفْ عَلَى صَبَبُهَا مَا زَالَ مُسْتَعِطَفَا.
يَسْتَطْلِعُ الْأَنْبَاءُ مِنْ نَحْوِهَا وَيَرْقُبُ الْبَرْقَ إِذَا مَا هَفَا^(٢).
مَلَكُوكَ الْقَلْبَ، وَإِنِّي أَمْرُو عَلَيَّ مُلْكُ الْأَرْضِ قَدْ وَقَفَا^(٣).
يُزْهَفُ سَيْفِي فِي الْوَعَى مُصَلَّتَا، وَيَتَّقَى عَزْمِي إِذَا أُرْهِفَا^(٤)؛
وَتَرْتَجِي يُمْنَايَ يَوْمَ النَّدَى: تَخَالُهَا السُّحْبُ غَدَتْ وَكُنَا^(٥).
يَا لَيْتَ شِعْرِي، وَالْمَسَى جَمَّةً، وَالدهرُ يوماً هَلْ يُرَى مُنْصِفَا:
هَلْ يَرْتَجِي الْعَبْدُ تَدَانِيكُمْ أَوْ يُصْبِحُ الدهرُ لَهُ مُنْعَفَا^(٦)؟

٤ - روضة النسرین (نشرها بوالی ومارسیه)، باريس ١٩١٧ م.

- نثر (نثر) الجمان فی شعر من نظمی وایام الزمان.

★ الإحاطة ١: ٥٥٢ - ٥٦٤؛ اللوحة البدرية ٤٧ - ٥٦؛ بروكلمن ٢: ٣١٣، الملحق ٢:

٣٤٠، راجع ٣٧٠؛ الأعلام للزركلي ١: ٣٢٩ (٣٢٩ - ٣٣٠).

ابن منظور

١ - هو جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي (وقيل: رضوان) بن أحمد بن

أبي القاسم الأنصاري الرويني^(٧) الحزرجي الإفريقي المصري - المعروف بابن

(١) حال: تغير. لم يره: لم يحفظ (عهدي).

(٢) هفا: أسرع. هفا الطائر بجناحه: حركها. هفا البرق (لمع).

(٣) قد وقف: جمل وقفاً علي (لا يجوز لأحد غيري ولا يليق به).

(٤) رهف وأرهِف (السيف): شدّه ورقفه. مصلت: شهور (محبوب من غمده).

(٥) الندى: الكرم. تخالها: تظنها، تحبها. وكف: كثيرة الوك (المطول، عذبة المياه).

(٦) سحف: مساعد (على نيل الأمان).

(٧) الرويني: نسبة إلى ربيع بن ثابت الأنصاري، أمره معاوية على طرابلس الغرب، سنة ٤٦ هـ

(٦٦٦ - ٦٦٧ م)، فمزا إفريقية وتوفي في برقة وهو أمير عليها. وقبره مشهور في الجبل الأخضر في

برقة.

مكرم - وُلِدَ^(١) في ٢٢ من المُحَرَّم من سَنَةِ ٦٣٠ (١٢٣٢/١١/٨ م).

قِيلَ إِنَّ ابْنَ مَنْظُورٍ سَمِعَ مِنْ ابْنِ الْمُغَيَّرِ (عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ الْبَغْدَادِيِّ) الْمُحَدَّثَ بِالْديَارِ الْمِصْرِيَةِ (ت ٦٤٣ هـ) وروى عن جماعة منهم: مُرتَضَى بْنُ حَاتِمٍ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الطَّيْلِ وَيُوسُفُ الْهَيْلِيِّ ثُمَّ حَدَّثَ هُوَ فِي مِصْرَ وَدِمَشْقَ.

وخدم ابنُ مَنْظُورٍ في ديوان الإنشاء - قيل مُعْظَمَ حَيَاتِهِ^(٢) - . ثم إنه تَوَلَّى القضاء مُدَّةً في طرابُلُسَ (ليبيا) ثم عادَ إلى مِصْرَ وبقيَ فيها إلى أن تَوَفَّى، في شَعْبَانَ من سَنَةِ ٧١١ (كانون الأول - ديسمبر ١٣١١ م) بعد أن عَمِيَ.

٢ - كان ابنُ مَنْظُورٍ مُحَدَّثًا تفرَّد بالعوالي^(٣) ومرتسلاً مَلِيحَ الإنشاء وعارفًا باللغة والنحو والتاريخ، كما كان شاعراً مُقْلًا مُحْصِنًا (يُنْظِمُ المَقْطَعَاتِ). ثم كان مُفْرَمًا باختصار الكُتُبِ له اختصاراتٌ للكُتُبِ التالية^(٤): الحيوان للجاحظ - دُرَّةُ الْغَوَاصِ للحريري - تاريخ بَغْدَادَ للخطيب البَغْدَادِي - ذَيْلُ ابْنِ التَّجَارِ على تاريخ بَغْدَادَ - تاريخ بَغْدَادَ لِلشَّعْبَانِيِّ - تاريخ مَدِينَةِ دِمَشْقَ لابن عساكر - الْأَغَانِي (ورثه على الحروف) - نِسْوَارُ الْمَحَاضِرَةِ لِأبي عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد التَّنُوخِي - فصل الخطاب في مدارك الحوَّاسِ الخمس لأولي الألباب لأحمد بن يوسف التيفاشي - صَفْوَةُ الصَّفْوَةِ لابن الجوزي

(١) لس في المصادر التي بين يدي ذكر للبلد الذي ولد فيه ابن منظور. ولكن إذا كان ابن منظور قد ولد سنة ٦٣٠ هـ ثم سمع من ابن المغيرة الذي توفى في ٦٤٣ هـ، فالفروض أن يكون قد ولد في مصر. ولكن طاهر الزواوي يستنتج من نسبة «الطرابلسي» وهي ترد في المصادر أنه ولِدَ في طرابلس (أعلام ليبيا ٣٠١). ويرى علي الفقيه حسن (مجلة مجم اللغة العربية بدمشق - راجع رقم ٤) أن ابن منظور لبي بثلاثة أسباب: إنَّ جدَّه رُويفُ (راجع الحاشية ص ٣٦٩) مدفون في طرابلس، وأن ابن منظور نفسه كان قاضياً في طرابلس، وأنَّ أُلُوفَهُ وَأَعْقَابَهُ (ويرفون بأل ابن مكرم) كانوا بطرابلس ويتاجروا التابعة لها (ص ٣٦١).

(٢) لعل المقصود بِمُحَمَّد بن مكرم الذي قضى حياته في ديوان الإنشاء في مصر شخص آخر كان من كتاب الإنشاء في أيام تُلَاوُونَ (٦٧٨ - ٦٨٩ هـ) في القاهرة (راجع دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٤٦٤ - في ترجمة ابن منظور صاحب لسان العرب). وهالك عالم بالحساب هو أيضاً أبو منصور مُحَمَّد بن مكرم بن شعبان الكرماني (بروكلمن، الملحق ٢: ١٠٢٣).

(٣) الأحاديث العوالي هي الأحاديث التي دَوَّنت في زمن مُتَقَدِّم.

(٤) ذكرت فيما يلي الأسماء الأصلية للكُتُبِ المختصرة لا العناوين التي جعلها ابن منظور لها.

(ت ٥٩٧ هـ) - المقدّ لابن عبد ربّه - يتيعة الدهر للثعالبي - زهر الآداب للحصريّ -
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بّسام - جامع المفردات (الأدوية) لابن البيطار،
النخ.

ومن تأليفه «لسان العرب» (انتهى من وضعه سنة ٨٦٩ هـ)، وهو قاموسٌ شاملٌ
للألفاظ اللغوية والأعلام الجغرافية والشخصية ولعددٍ من الحقائق التاريخية، بناه ابن
منظور على خمسة كتب هي: «الجمهرة» لابن دُرَيْد (ت ٣٢١ هـ) و «تهذيب اللغة»
للأزهريّ (ت ٣٧٠ هـ) و «الصّحاح»^(١) للجوهري (ت ٣٩٣ هـ) و «حواشي» عبد
الله بن بَرّيّ (ت ٥٨٢ هـ) و «المُحكّم» لابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) و «النهاية في غريب
الحديث والاثار» لمجد الدين بن الأثير (ت ٦٠٦ هـ). وله أيضاً: نثار الأزهار في الليل
والنهار وأطاييب أوقات الأصائل والأسفار وسائر ما يشتمل عليه من كواكب الفلك
الدّوّار - أخبار أبي نُواس.

٣- مختارات من آثاره

- من مقطّعات ابن منظور:

* ضَعُ كِتَابِي، إِذَا أَتَاكَ، إِلَى الْأَر
فَعَلَى خَتْمِهِ وَفِي جَانِبَيْهِ
كَانَ قَصْدِي بِهَا مُبَاشَرَةَ الْأَر
النَّاسُ قَدْ أَثْمَوْا فِينَا بَطْنُهُمْ
مَاذَا يَصْرُكُ فِي تَصْدِيقِ قَوْلِهِمْ
ضَرَبَ ثُمَّ قَلْبُهُ فِي يَدَيْكَ لِمَا مَا^(٢)؛
قُبْلٌ قَدْ وَصَعْتَهُنَّ تُوَامَا^(٣).
ض وَكَفَيْكَ بِالنِّثَامِي، إِذَا مَا^(٤)...
وَصَدَّقُوا بِالَّذِي أَذْرِي وَتَذَرِينَا^(٥).
بَأَنْ نُحَقِّقَ مَا فِينَا يَطْنُونَا^(٦)؟

(١) العنوان الكامل هو: تاج اللغة وصحاح العربية. والحواشي عليه كثيرة (راجع بروكلسن ١:

١٣٣-١٣٤، الملحق ١: ١٩٦-١٩٧).

(٢) لَمَامًا: قَبْلًا، وَلَكِنْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ.

(٣) تُوَامَا: ثَتْنَيْنِ ثَتْنَيْنِ (قَبْلَتَيْنِ قَبْلَتَيْنِ).

(٤) إِذَا مَا..... (فِي الْبَلَاغَةِ: اكْتِفَاءٌ، يَعْنِي أَنَّ الْكَلِمَاتِ الَّتِي لَمْ تَذَكَرْ مَفْهُومَةً: إِذَا مَا وَصَلَ إِلَيْكَ كِتَابِي).

(٥) أَذْنِبُوا لِأَنَّهُمْ أَتَمُّوْنَا بِمَا لَيْسَ فِينَا.

(٦) مَاذَا يَصْرُكُ أَنْ تَرْتَكِبَ الذَّنْبَ الَّذِي يَهْمُونَا بِهِ الْآنَ طَلَمًا؟

حَمَلِي وَحَمَلُكَ ذَنْبًا وَاحِدًا، ثِقَةً بِالْقَوَى، أَجَلُ مِنْ إِثْمِ الْوَرَى فِينَا^(١).
 * بِاللَّهِ، إِنْ جُرْتَ بِوَادِي الْأَرَاكِ وَقَبَلْتَ أَغْصَانَهُ الْخَضِرُ فَالْكُ^(٢)،
 ابْعَثْ إِلَى الْمَمْلُوكِ مِنْ بَعْضِهِ؛ فَإِنِّي، وَاللَّهِ، مَا لِي سَوَاكَ^(٣)!

- من مقدمة «لسان العرب»:

.... أما بعد، فإن الله سبحانه قد كرم الإنسان وفضله بالنطق على سائر الحيوان، وشرف هذا اللسان العربي بالبيان على كل إنسان، وكفاه شرفاً أنه به نزل القرآن وأنه لغة أهل الجنان^(٤).... وإني لم أزل مشغولاً بمطالعات كتب اللغات والاطلاع على تصنيفها وعمل تصاريدها. ورأيت علماءها بين رجلين: أما من أحسن جمعه فإنه لم يُحسن وضعه، وأما من أجاد وضعه فإنه لم يُجد جمعه، فلم يُبد حسن الجمع مع إساءة الوضع، ولا تفقت إجادة الوضع مع رداءة الجمع. ولم أجد في كتب اللغة أجل من تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى ولا أكمل من المحكم لأبي الحسن عليّ ابن إسماعيل بن سيده الأندلسي رجمها الله، وهما من أمهات كتب اللغة على التحقيق وما عداها بالنسبة إليهما ثبات للطريق^(٥). غير أن كلاً منها مطلبٌ غير المَهْلِكِ ومنهَلٌ وعَرُّ الْمَسْلُوكِ.... ووجدت أبا نصر إسماعيل بن حماد الجوهري قد احسن ترتيب مختصره وشهره بسهولة وضعه.... غير أنه في جو اللغة كالذرة وفي بحرها كالقطرة وإن كان في نحرها كالذرة. وهو مع ذلك قد صحف وحرف وجزف فيما صرف^(٦). فأتيت له

(١) لأن يكون لنا معاً ذنب واحد (فيكونوا هم صادقين بتهمتنا) خير (في النظرة الإنسانية) من أن نكون نحن (ونحن اثنان فقط) بريئين ويكون الناس كلهم مدنيين.

(٢) إن جرت (قطعت، مرت به) وادي الأراك (مكان في الحجاز بنيت فيه شجر الأراك الذي تحمل منه المسويك (أداة لتنظيف الإنسان). قبَلْتُ أَغْصَانَهُ فَالْكُ (فعلك): مرت بالسواك على أسنانك.

(٣) فأرسل إلى المملوك (البد الرقيق، يكتي الشاعر بذلك عن نفسه) شيئاً منها. فَإِنِّي مَا لِي سَوَاكَ (تورية: ليس عندي ساويك - ليس لي من أطلب منه هذا الطلب سواك (غيرك)).

(٤) المروي أن اللغة العربية هي لغة أهل الجنة.

(٥) ثبات الطريق: الطرق الفرعية الضيقة. الثبته (يفتح فكسرت ثم ياء مشددة): الطريق في الجبل.

(٦) صحف: أبدل في الكلمة حرفاً بحرف (فرح تصعب: فرج، فرخ، قزح، قرح الخ). حرف: صرف الكلام عن المعنى المقصود. قرأ الأب لويس شيخو جملة هي: وكانت الكلمة لا «سقف» عليها، فأثبتها في بعض كتبه: وكانت الكلمة «لا سقف» عليها. وقرأ أحد تلاميذه جملة البلاذري: وقح العرب =

الشيخ أبو محمد بن بَرِّي قَتَبَ ما فيه وأملى عليه أماليه مُخرجاً لِسَقَطاته مؤرخاً لِفَلَطاته .
 فاستخرت الله سبحانه وتعالى في جمع هذا الكتاب المبارك^(١) الذي لا يُهاهم في سَعَةِ
 فضله ولا يُشارك، ولم أخرج فيه عما في هذه الأصول . ورتبته ترتيب الصّحاح في
 الأبواب والفصول^(٢) . وقصدت توشيح^(٣)ه بجليل الأخبار وجميل الآثار مضافاً إلى ما
 فيه من آيات القرآن الكريم والكلام على مُعْجَزات الذِّكْرِ الحكيم^(٤) لِيَتَحَلَّى بِتَرْصِيعِ
 دُرَرها عِقْدُهُ ويكونَ على مَدَارِ الآياتِ والأخبار والآثار والأمثال والأشعار حلّه
 وعقده . فرأيت أبا السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري قد جاء في ذلك
 بالنهاية^(٥) وجاوز في الجودة حدّ الغاية . غير أنه لم يضع الكَلِمَاتِ في محلّها ولا راعى
 زائد حروفها من أصلها . فوضعتُ كُلَّ ما منها بمكانه . . فجاء هذا الكتاب بمحمد الله
 واضح المنهج سهل السُّلوك وليس لي في هذا الكتاب فضيلةٌ أُمْتُ بها^(٦) ولا وسيلةٌ
 أتمسكُ بسببها سوى أني جمعتُ ما تفرق في تلك انكسب من العلوم وبسطت القولَ
 فيها فَلْيَعْتَدْ^(٧) من ينقل عن كتابي هذا أنه ينقل عن هذه الأصول الخمسة ... فإنني
 لم أقصِدْ سوى حفظِ أصول هذه اللغة النبوية وضبطِ فضلها إذ عليها مدارُ أحكام
 الكتاب العزيز والسنة النبوية وذلك لما رأيته قد غلبَ في هذا الأوَانِ مِن
 اختلافِ الأَلْسِنَةِ والألوان . حتى لقد أصبح اللحنُ في الكلام يُعدُّ لَحْناً مردوداً^(٨) وصار
 التُّطْق بالعربية من المعايير معدوداً . وتنافسَ الناسُ في تصانيفِ التَرْجُمَاتِ في اللغة
 الأعجمية وتفاصحوا في غير اللغة العربية . فجمعتُ هذا الكتاب في زمنٍ أهله بغيرِ

= الثام فتحاً بيراً (أي سهلاً هَيَّأً) فجعلها . قليلاً . . جَرَفَ (أكثر بلا قاعدة) فيما صرفَ (ذكر للجذر صيغاً
 أكثر مما يحتمل!)

(١) أي كتابه: لسان العرب .

(٢) مثال ذلك: . علم . نبحت عنها في باب الميم فصل الميم كأنها = معل . .

(٣) ترتيبه .

(٤) الذِّكْر الحكيم: كلام الله تعالى ، القرآن الكريم .

(٥) بالنهاية: بأقصى (بأوسع) ما يمكن . وهـ النهاية في غريب الحديث والأثر . كتاب لعبد الدين بن الأثير .

(٦) مَتَّ: اتسب .

(٧) اعتدَّ: حسب (أهين) .

(٨) اللحن (الأولى): الخطأ في القول . اللحن (الثانية): النعم . مردود (مكرر ، مألوف) .

لَعَنَهُ يَفْخُرُونَ... وَسَمَّيْتُهُ «لِسَانَ الْعَرَبِ».....

- ٤- نثار الأزهار..... الآستانة (مطبعة الحوائب) ١٣٩٨ هـ.
- لسان العرب..... بولاق ١٢٩٩، ١٣٠٠-١٣٠٨، ١٣٤٨ هـ؛ القاهرة (المطبعة الحسينية) ١٣٣٢ هـ=١٩١٣ م.
- أخبار أبي نواس..... القاهرة ١٩٣٤ م (١٣٤٣ هـ)؛ نشره محمد عبد الرسول وشكري محمود أحمد، بغداد (المعارف).....
- مختار الأغاني في الأخبار والنهائي (تحقيق حسين نصار)، القاهرة (الدار المصرية للنأليف والترجمة والنشر) ١٣٤٥ هـ.
- ★ تصحيح لسان العرب، تأليف أحمد تيمور، القاهرة ١٣٣٤، ١٣٤٣ هـ.
- فهارس لسان العرب (فهرست التمرء، صنمه عبد القيوم محمد)، لاهور ١٩٣٨ م (١٣٥٧ هـ).
- فوات الوفيات : ٢ : ٣٣١-٣٣٢ : الوافي بالوفيات ٥ : ٥٤-٥٧ : درة الحجال ٢ : ٣١٥-٣١٦، نكت الحميان ٢٧٥-٢٧٦؛ بغية الوعاة ١٠٦-١٠٧؛ شذرات الذهب ٦ : ٢٦-٢٧، بروكلمن ٢ : ٢٥، الملحق ٢ : ١٤-١٥؛ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٣ : ٣٢ (١٩٥٧/٧/١ م) ص ٤٦٦-٦٦٩ (تحقيق تاريخه، بقلم علي الفقيه حسن)؛ سركيس (معجم المطبوعات العربية) ٢٥٥-٢٥٦؛ الأعلام للزركلي ٧ : ٣٢٩-٣٣٠ (١٠٨)؛ أعلام ليبيا ٢٩٩-٣٠٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٤٦٤؛ الدرر الكامنة : ٢٦٢-٢٦٤ (رقم ٧٢٥)؛ المنهل العذب ١ : ١٥٧؛ نفحات السرين والريحان ١٤٦-١٤٨.

أبو العباس الملياني

- هو أبو العباس أحمد بن علي الملياني، ومن أهل ميلانة (جنوب مدينة الجزائر). كان عمه أبو علي أحمد قد ثار على الحفصيين فلم ينجح ففرّ إلى المغرب ولجأ إلى السلطان يعقوب المريني (٦٦٧-٦٨٤ هـ) فأقطعه السلطان يعقوب بلدة أغمات (قرب مدينة مراكش). وكان أبو العباس أحمد في صحبة عمه.

أكمل أبو العباس الملياني دراسته في أغمات ومراكش. ولما جاء يوسف بن يعقوب إلى عرش المرينيين، سنة ٦٨٥ هـ (١٢٨٦ م) جعل أبا علي أحمد على جباية الأموال،

ثم بدا من أبي عليٍّ ما حَلَّ السُّلْطَانُ يَوْسُفَ على قتلِهِ. ثم عَلَتْ منزلة أبي العباس فجَعَلَهُ السُّلْطَانُ يَوْسُفَ «كاتبَ العلامة» (صاحب التوقيع على المراسلات والمراسيم السلطانية). ثم استطاع أبو العباس أن يدبِّرَ مَقْتَلَ الذين كانوا سببَ مقتل عمِّه وأن يَفِرَّ إلى تِلْصَان (الجزائر اليوم). وفي سَنَةِ ٧٠٣ هـ غادرَ تِلْصَانَ إلى غِرْنَاطَةَ واستقرَّ فيها إلى حين وفاته، في تاسع ربيع الثاني من سَنَةِ ٧١٥ (١٣١٥/٧/١٣ م).

٢- كان أبو العباس المِليانيُّ كاتباً وشاعراً، وكانت له مُشاركةٌ في الطِبِّ. وفي المصادر والمراجع مقطوعةٌ واحدةٌ من شعرهِ تُنبئُ عن نَفْسٍ ومقدرةٍ في مُعارضةِ الشرِّ المَشْرِقيِّ، في الحماسة خاصةً.

٣- مختارات من شعره

- قال أبو العباس المِليانيُّ يفتخرُ بفعلته إلى أدَّتْ إلى مقتلِ خُصومِ عمِّه وبغيرها:

المِرَّ ما ضُرِبْتَ عليه قبائي،	والفضلُ ما اشْتَمَلَتْ عليه ثيابي ^(١) .
والزَّهْرُ ما أهداه غُصْنُ بَراعتي،	والْمِسْكُ ما أهداه نَقْشُ كِتابي ^(٢) .
والْمَجْدُ يَمْنَعُ أن يُزاحَمَ مَوْردي،	والْعِزُّ يَأْبَى أن يُسَامَ جَنائي ^(٣) .
فإذا بَلَوْتُ صَنِيعَةَ جَارِئِهَا	بِجَمِيلِ شُكْرِي أو جَزِيلِ نَوائي ^(٤) .
وإذا عَقَدْتُ مَوْدَةَ أَجْرِيئِهَا	بِجَمِيلِ طَعَامِي في دَمِي وَشَراي.
وإذا طَلَبْتُ من الفِرَاقِ والسُّهى	ثأراً، فأَوْشِكُ أنْ أُنَالَ طِلَائي ^(٥) !

٤- ** الإحاطة ١: ٢٩٢-٢٩٤ نفع الطيب ٦: ٢٦٦-٢٦٨ الاستقصا ٢: ٣٧-٣٨ تاريخ الجزائر العام ٢: ١٩٤-١٩٥ معجم أعلام الجزائر ٣١: الطمار ١٩٦-١٩٧ البوغ المغربي ٦٩٧.

- (١) القصة: خيمة من جلد (تكون للملوك). - المِرَّ موجود في بيتي فقط، والفضل من صفاتي وحدي.
- (٢) نقش: تلوين (النقش هنا: الخبر الذي أكتب به رسائلي) أنا وحدي أحسن الكتابة.
- (٣) الناس يرهبون (لِموِّ مكانتي) أن يقربوا من حوض الماء الذي هو لي (وإذا لم يكن عليه أحد). - وعزمي (شجاعتي، قوتي) تأبى (ترفض) أن يسام (يذل ظلم) جاني (في بيتي، في).
- (٤) إذا صعب أحد بي معروفاً أثبتته بشكري الجميل أو ببطاقي الكثير.
- (٥) الفراق والسُّهى: نجوم معروفة (ولكن الشر يأتي بها هنا كناية عن البعد). أوْشِكُ: اقترُب.

التجاني صاحب الرحلة

١ - ينتسب آل التجاني في تونس إلى قبيلة تجان من قبائل المغرب (الأقصى)، ولعل أحدهم أبا القاسم (ت نحو ٥٥٥ هـ) كان قد جاء في جيش السلطان الموحدي عبد المؤمن بن علي^(١)، في أواسط القرن السادس للهجرة. ويبدو أن أبا القاسم هذا دخل في خدمة الدولة ثم خلفه فيها ابنه محمد.

ولما استقل بنو أبي حفص الهنتاني^(٢) - وأبو حفص في الأصل من رجال عبد المؤمن الموحدي - دخل إبراهيم وأحد^(٣) ابنا محمد بن أبي القاسم التجاني في خدمة الدولة الحفصية الجديدة.

وقد نبع من أسرة التجاني نفر من العلماء والأدباء نعد منهم علي بن إبراهيم^(٤) وأخته زينب^(٥) وأخاه عمر ثم محمد بن علي^(٦). وكان منهم أيضاً محمد بن أحمد والد صاحب الرحلة.

ولد التجاني صاحب الرحلة - واسمه في الأغلب أبو محمد عبد الله بن محمد في تونس بين سنة ٣٧٠ و ٣٧٥ هـ (١٢٧٢ - ١٢٧٦ م) فبدأ تلقى القراءة والكتابة على أبيه ثم أقبل على حضور دروس الشيوخ في التفسير والحديث والفقه والأدب والتاريخ وغيرها. وقد كان من شيوخه أبو بكر عبد الكريم العوفي (ت ٦٩٨ هـ) قرأ عليه الفقه

(١) عبد المؤمن بن علي (راجع، فوق، ص ١).

(٢) أبو حفص الهنتاني (راجع، فوق، ص ١).

(٣) كان إبراهيم وأحد هذان في بلاط أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص مؤسس الدولة الحفصية باستقلاله عن الموحدين (٦٢٦ - ٦٤٧ هـ). وكانا من أهل الأدب والبلاغة.

(٤) أبو الحسن علي بن إبراهيم التجاني (ت ٧٠٨ هـ) أخذ عن ابن الأبار (ت ٦٥٨ هـ) والشاعر حازم القرطاجي (ت ٦٨٤ هـ) وابن عصفور (ت ٦٦٩ هـ) والكلاعي (ت) وخاصة عن قاضي تونس ومحدثها الكبير أبي العباس أحمد بن محمد بن العزاز البلسي الأندلسي (٦٠٩ - ٦٩٣ هـ)، وكان فقيهاً شاعراً.

(٥) زينب بنت إبراهيم التجاني (التجانية) من شهرات الأدبيات التونسيات في العصر الحفصي.

(٦) عمر بن إبراهيم التجاني كان من العلماء والكتاب والنحاة ثم يقولون الشعر. أما أبو الفضل محمد بن علي ابن إبراهيم التجاني (٧١٨ هـ) فهو من أعلام العلم والأدب في العصر الحفصي، خدم مدة طويلة في ديوان الرماثل. وكان شاعراً ناثراً محسناً (راجع مجمل تاريخ الأدب التونسي، ص ٢١٠).

(سنة ٦٩٣ أو ٦٩٤ هـ) وأبو القاسم بن عبد الوهاب بن قائد الكلاعي (ت)
وأبو علي عمر بن محمد بن علوان التونسي (ت ٧١٠ هـ) أخذ عنه سنة ٧٠٢ هـ. ثم إنه
كان ينتهر الفرص في أثناء رحلته للقاء الشيوخ والأخذ عنهم.

سلك التجاني سبيل أسلافه في الدخول في خدمة الدولة في ديوان الإنشاء، ويدو
أنه دخل هذا الديوان في أيام أبي عَصيدة (٦٩٤ - ٧٠٩ هـ) محمد بن يحيى الوائلي.

في هذه الأثناء كان الاضطراب شديداً في السلطنة الحفصية الشرقية (المملكة
التونسية) والنزاع بينها وبين السلطنة الحفصية الغربية (مملكة الجزائر) عنيفاً. وكان من
شيوخ المؤرخين وكبار رجال الدولة الحفصية في تونس الأمير أبو يحيى زكريا بن محمد
اللحياني طامعاً في الملك، فغرم على مغادرة تونس لترتيب الأمور في خارجها^(١)، وكان
قد اتخذ التجاني كاتباً خاصاً به. فلما غادر تونس (منتصف ٧٠٦ هـ = أواخر
١٣٠٦ م) اصطحب التجاني. ثم إن التجاني عاد إلى تونس في صفر من سنة ٧٠٨
(صيف ١٣٠٨ م)، لأسباب صحيّة.

واستطاع أبو يحيى زكريا اللحياني أن يزحف على العاصمة (حاضرة تونس) وأن
يأخذ البيعة^(٢) لنفسه، سنة ٧١١ هـ، في حديث طويل. ولم ينس أبو يحيى كاتبه القديم
فجعله رئيساً لدواوين رسائله - صاحب خطبة العلامة الكبرى - . ولكن أبا يحيى
أدرك وشيكاً - وقد تقدمت به السن - أنه عاجز عن الكفاح في سبيل استقرار الأمر
له فتخلّى عن الملك ثم انسحب، سنة ٧١٧ هـ إلى طرابلس. واجتمع أنصار أبي يحيى
وولّوا ابنه محمداً أبا ضربة مكانه.

عند هذا التاريخ انقطعت أخبار التجاني صاحب الرحلة، ولعله قتل بُعيد ذلك في
من قتل من أنصار أبيه، في النزاع بين أبي ضربة وأبي بكر الحفصي صاحب قسنطينة
(الجزائر اليوم)، سنة ٧١٨ هـ (١٣١٨ م).

٢ - اشتهر أبو محمد عبد الله التجاني برحلة قام بها بصحبة الأمير أبي يحيى زكريا

(١) ليمدّ العدة للاستيلاء على الملك.

(٢) أن يحمل الناس على اختياره حاكماً.

أَبْنِ مُحَمَّدٍ اللَّعْبَانِيَّ. وَلَكِنَّ هَذِهِ الرَّحْلَةَ كَانَتْ قَصِيرَةً (٧٠٦-٧٠٨ هـ) وَلَمْ يَتَجَاوَزْ بِهَا صَاحِبُهَا الْقَطْرَ التُّونِسِيِّ وَجَانِبًا مِنْ غَرْبِي لِبِيَا الْيَوْمِ. وَإِذَا نَحْنُ نَنْظُرُنَا إِلَى هَذِهِ الرَّحْلَةِ مِنْ حَيْثُ وَصَفَ الْمَنَاطِقَ الَّتِي مَرَّ بِهَا التَّجَانِيَّ حَكَمْنَا بِأَنَّهَا رَحْلَةٌ قَاصِرَةٌ جِدًّا لَمْ تَصِفْ مِنْ مَعَالِمِ تِلْكَ الْبِلَادِ إِلَّا شَيْئًا قَلِيلًا. غَيْرَ أَنَّ هَذِهِ الرَّحْلَةَ غَنِيَّةٌ بِأَوَجِهٍ الْإِسْطِرَادِ إِلَى التَّارِيخِ وَالْأَدَبِ وَالْعِلْمِ وَإِلَى إِيرَادِ الْمُرَاسَلَاتِ بَيْنَ صَاحِبِهَا وَنَفَرٍ مِنْ رِجَالِ عَصْرِهِ، فَهُوَ يُورِدُ تِلْكَ الْمُرَاسَلَاتِ شَيْءٌ كَثِيرٌ مِنَ التَّفْصِيلِ كَمَا يُورِدُ نَازِجَاتٍ كَثِيرَةً مِنْ أَثَارِ الْأَدْبَاءِ الْمُعَاصِرِينَ لَهُ. وَلَكِنْ مِنْ غَيْرِ الْمَأْلُوفِ فِي «الرُّحَلَاتِ» أَنْ يُكْثِرَ صَاحِبُ الرَّحْلَةِ مِنَ الْإِسْتِهَادِ بِكُتُبِ الْجُغْرَافِيَّةِ وَالتَّارِيخِ كَمَا فَعَلَ التَّجَانِيَّ. وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ هَذِهِ الرَّحْلَةَ تَصِفُ جَانِبًا كَبِيرًا مِنْ حَيَاةِ تُونَسَ فِي مَطْلَعِ الْقُرْنِ الثَّامِنِ لِلْهَجْرَةِ (وَهُوَ جَانِبٌ غَامِضٌ فِي تَارِيخِ تُونَسِ).

وَأُسْلُوبُ التَّجَانِيَّ فِي رَحْلَتِهِ أُسْلُوبٌ سَلِيمٌ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الصَّنَاعَةِ. وَالرَّحْلَةُ يَدُلُّ عَلَى ثَقَافَةٍ لُغَوِيَّةٍ وَعِلْمِيَّةٍ وَاسِعَةٍ. أَمَّا شِعْرُ التَّجَانِيَّ فَهُوَ عَادِيٌّ جِدًّا.

٣- مَخْتَارَاتُ مِنْ أَثَارِهِ

- مِنْ مَطْلَعِ الرَّحْلَةِ:

.... هَذَا تَقْسِيمٌ يَشْتَمِلُ عَلَى وَصْفِ مَا شَاهَدْتُهُ فِي هَذِهِ السَّفَرَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الْبِلَادِ مُضَمَّنَ ذِكْرِ^(١) أَحْوَالِهَا وَصِفَاتِهَا وَبَيَانِ طُرُقِهَا وَمَسَافَاتِهَا، وَالْإِشَارَةَ إِلَى مُفْتَتِحِهَا وَبُنَائِهَا^(٢)، وَأَحْوَالِ مَنْ اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ أَصْنَافِ الْعَوَالِمِ وَمَا يَتَمَيَّزُ بِهِ كُلُّ بَلَدٍ مِنَ الْأَثَارِ وَالْمَعَالِمِ، وَمَا يُتَشَوَّفُ إِلَيْهِ وَيُشَوِّقُ^(٣) إِلَى الْإِطْلَاعِ عَلَيْهِ. وَقَدْ أُلْهِسَ ذَلِكَ مِنْ حِلَّةِ النِّظْمِ وَالنَّثْرِ تَمَّا وَرَدَ فِي هَذِهِ السَّفَرَةِ إِلَيَّ أَوْ صَدَرَ عَنِّي اسْتِفْتَاحَ خِطَابٍ أَوْ رَدَّ جَوَابٍ تَمَّا تَحَسُّنَ الْمُحَاضَرَةِ^(٤) بِهِ وَتَحْصُلَ الْإِفَادَةِ...

(١) مُضَمَّنَ نَمَتْ «تَقْسِيمٌ» (تَدْوِينٌ). ذَكَرَ مَفْعُولٌ بِهِ مِنْ «مُضَمَّنَ».

(٢) مُفْتَتِحُهَا: الَّذِي اسْتَوَلَى عَلَيْهَا بِالْقُوَّةِ. بِنَاءُ جَمْعِ بَانَ (الَّذِي بَنَى الْبَلَدَ)

(٣) تَشَوَّقٌ: تَطَلُّعٌ لِرَؤْيِ شَيْءٍ عَنْ بَعْدٍ. تَشَوَّقٌ: مَالٌ يَرْغُوهُ إِلَى شَيْءٍ مَا.

(٤) صَدَرَ عَنِّي: أَرْسَلْتَهُ (أَرْسَلْتُ رِسَالَةً). اسْتِفْتَاحَ (مَطْلَعٌ، مَقْدَمَةٌ) خِطَابٍ (كِتَابٌ، رِسَالَةٌ). الْمُحَاضَرَةُ: (ق) =

فكان خروجي من تونس المحروسة صُحبة الركاب العالي المَخْدومي الليمومي^(١) أعلى الله مقامه وأطال في المِرَّ دَوامه، في آخر جُهادي الأولى من عام سِتَّةٍ وَسَبْعِمِائَةٍ. وكان مُرادُه منها إِنَّا هو التوجُّه لأداء فريضة الحج التي لا يَسَعُ تركُها بعد الاستِطاعة عليها أحداً من الأنام. بهذا تعلَّقت أَمالُه وعليه كان عن (دار) الخِلافة انفصاله. إِلَّا أَنَّ أمرَ الحج طُوِيَ عن الناس في هذه الحركة ذِكرُه وأُخفي عنهم أمرُه. وَسَبَّبَ ذلك أَنَّهُ لِمَا عَلِمَ في تَديبِ الرُّعِيَّةِ من حُسْنِ عَنَانِهِ^(٢) وما اجتمعت عليه قلوبُ الجُمهور واستمَّت من مَحَبَّتِهِ وثَنائِهِ، لو بَيَّنَ لَهُمُ انطلاقةَ لأبْدَى كُلُّ مِنْهُمُ بِهِ اعتلاقَه فَصَدَّوه عن حَاجِهِ وَرَدَّوه عَمَّا يَمَنُّ من نَهْجِهِ^(٣). فرأى أَن كُنْهُمُ الحجُّ أَصلَحُ، وَأَنَّهُ الأكْثَرُ في طريقِ السياسةِ والأَرْجَحُ^(٤) فَجَعَلَ أمرَ جَرَبَةٍ سَبَباً إلى نَيْلِ ذلك المَرَامِ وَرجا مَعَ ذلك أَن يكونَ على يَدِهِ استرجاعُها إلى الإسلام.....

- جزيرة جربة (ص ١٢١):

وَجَزِيرَةُ جَرَبَةٍ من أعظم الجزائر خطراً وأشهرها في سالف الزمان عبارة وذكر^(٥).... وَهِيَ أرضٌ كَرِيمَةُ المزارعِ عَذْبَةُ المِشَارِعِ^(٦). وَأَكْثَرُ شَجَرِهَا النخيلُ والزيتونُ والعُنبُ والتين. وبها أَصْنَافٌ كَثِيرَةٌ من سائر الفواكه، إِلَّا أَن هذه أَكْثَرُ ثَمَرِهَا وعليها مَدَارُ غَلَّتِهَا، وَغَيْرُهَا من كِرامِ الأَرْضِينَ لَا يُقَارِبُهَا على الجُمْلَةِ في ثَبَارِهَا أَوْ يُسَاوِيهَا. وَتَقَاعُهَا لَا يُوجَدُ في جَمِيعِ بَقَاعِ الأَرْضِ لَهُ نَظِيرٌ لِمَا يَوجَدُ بِهَا مِنْهُ صَفَاءٌ وَجَفَافٌ وَطِيبٌ مَذَاقٍ وَعَطَارَةٌ اسْتِشْاقِيَّةٌ^(٧)، وَرَاثَتُهُ تَوجَدُ من المَاسَةِ المَديدَةِ والأُمَيَالِ

= (الأصل) المبالدة (الفتال) والركض (السباق) ثم استعملت في تبادل الآراء في موضوع أو إلقاء فصول من العلم على جماعة.

- (١) في رحلة التجاني (ص ٤) يقول حسن حسني عبد الوهاب: «هكذا (وردت) في جميع النسخ التي بأيدينا.
- (٢) الفناء (يفتح الغين): النفع والكفاية (حسن تصريف الأمور وحل التبعة).
- (٣) الاعتلاق: التعلق، التصك. يَم: قصد. النهج: الطريق، الحطة.
- (٤) أكد: أكثر تأكيداً وتثبيتاً. الأرجح: الأقبل (أقرب إلى العقل وأحسن حجة).
- (٥) الخطر (يفتح ففتح): الرضة والشرف. سالف: ماضي. العارة: العمران، اتساع البناء. الذكر (بكسر فكون): الصيت والتهرة (إن التجنيس لم يتم بين خطراً وذكرأ).
- (٦) كريمة المزارع (خصة تبت غللاً كثيرة). عذبة: حلوة. المِشَارِع جمع مشرع: مكان استقاء الماء.
- (٧) جفافاً (٤). عطارة ليست في القاموس (يقصد: طيب رائحة).

العديدة. وكان من شجره بهذه الجزيرة قبل ذلك كثير ثم قل الآن بسبب أن النصارى يُتخِفون به ملوكهم وكبارهم دون تمويض لأربابه^(١) عنه. فرأى أهل الجزيرة أن غيره من الشجر أعود^(٢) بالفائدة عليهم فقطَعوا أكثره.... وأكثر مساكن أهلها أخصاص^(٣) من النخيل يجعل كل واحد منهم في أرضه واحداً أو اثنين أو أكثر من ذلك ثم يسكنه بعباله. وليس بها بناء قائم إلا دور قليلة. وهم ينقسمون إلى فرقتين: فرقة تُعرف بالوهبية ورئاستهم في بني سمون، وأرض هذه الفرقة من الجزيرة الجهة الغربية وما والاها من جهة الشمال؛ وفرقة تُعرف بالكارة ورئاستهم في بني عزون وأرضهم الجهة الشرقية فما والاها من جهة الجنوب. وكانت مدينة جربة فاصلة بين أرضيهم. وكلا^(٤) الطائفتين خوارج غلاة في مذهبهم مكفرون العصاة على ما هو معروف من مذهب الخوارج.... والمتصلحون^(٥) منهم لا يُساحون بشياهم ثياب أحد ممن ليس على مذهبهم ولا يؤاكلونه في آنيته. وإن استنقى عابراً سبيل ماء من بعض أنهارهم استخرجوا ماء البئر كله فاحوه^(٦).

- توزر:

وتوزر هي قاعدة بلاد الجريد^(٧)، وليس في بلاد الجريد غابة أكبر منها ولا أكثر مياهاً. وأصل مياهها من عُيون تنبع من الرمل وتجتمع خارج البلد في وادٍ مُتسع وتشتب منه جداول كثيرة. وتفرغ عن كل جدول مذانب^(٨) يقيمونها بينهم على أملاك لهم مُقررة مقاسم من المياه معروفة. ولهم على قسمتها أمناء من ذوي الصلاح

(١) النصارى (الإسبان أو البرنغاليون) الذين كانوا يحلون جربة، كانوا يهدون من هذا التفاح إلى ملوكهم ورؤسائهم. ولكنهم كانوا يأخذون هذا التفاح من أصحابه بلا ثمن.

(٢) أعود: أنفع. أعود فائدة: أكثر جلباً للفائدة (للريح).

(٣) بيت (كوخ) من غصون الشجر أو من القصب.

(٤) يجب أن يقال: وكلتا الطائفتين.

(٥) المتصلحون (غير موجودة في القاموس): الصالحون (الذين يسيرون في الحياة على النهج القويم ويتشدّدون في السلوك).

(٦) الأبيار (يقصد الآبار جمع بئر). ماح البئر يميحها: نزع ماءها (أفرغها).

(٧) بلاد الجريد: جنوبي تونس حيث يكثر النخيل.

(٨) المذنب (بكسر الميم): سبل الماء.

فيهم يقيمونها على الساعات من النهار والليل بحساب لهم في ذلك معروف وأمر مقرر مألوف. وعلى ذلك الماء أرحاء^(١) كثيرة منصوبة. ومن العجب أن هذا الوادي يحتل ما يحتل من غشاء^(٢) أو غيره، فإذا انتهى إلى المقسم افترق هنالك أجزاء بالسوية على عدد المسارب^(٣) فمضى كل قسم منها إلى سرب منها. وهذا مما شاهدته فيها عياناً. وكثير من أهلها إنما يسكنون بغايتها، ولا مناسبة بين مباني الغاية ومباني داخل البلد، فإن مباني الغاية أضخم وأحسن. ويدخل البلد جامعان للخطبة^(٤) وحمام واحد. ومتفرجهم^(٥) موضع يعرفونه بباب النشر، وهو من أحسن المتفرجات لأن مجتمع الماء هنالك... ويجتمع به القصارون فيشرون هنالك من الثياب الملونة والأمتعة الموسية^(٦) ما يعمه على كبره فيخيل الناظر أنه روض تفتحت أزهاره واطردت أنهاره^(٧).....

٤-★★ رحلة التجاني (قدم لها حسن حني عبد الوهاب- نشرتها كتابة الدولة للتربية القومية والرياضة)، تونس (المطبعة الرسمية) ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ م؛ ونشر منها قطع مختلفة (راجع بروكلمن).

- تحفة العروس ونزهة النفوس، القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٣٠١ هـ؛ فاس (طبع حجر) ١٣١٧ هـ؛ الفصول الأول والسابع والثامن نشرها دوزي في باريس والجزائر ١٨٤٨ م (١٢٦٦ هـ).

نفع الطيب ٤: ١٢٠-١٢١، ٥: ١٨٢-١٨٣؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ٤: ٧٤٥، بروكلمن ٢: ٣٣٤، الملحق ٢: ٣٦٨؛ المكتبة العربية الصقلية ٣٧٥-٤٠٣؛ عنوان الأريب ٨٢-٨٤ (راجع ص ٨٠، السطر الأول)؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ٢١٢-٢١٤؛ سركيس ٦٥٠.

- (١) الرحا والرحى: الطاحون (حجران يدور أحدها على الآخر).
- (٢) الوادي: النهر. الغشاء: ما يحمله السيل من الوسخ وفئات (بضم الفاء) الأشياء.
- (٣) السرب: (مخرج الماء).
- (٤) جامع الخطبة: مسجد الجمعة (الجامع الذي يصلي فيه الإمام أو الحاكم).
- (٥) المتفرج: المتفره.
- (٦) القصار: الذي يبيض الثياب. يكون الحمام أسمر اللون فيقصرونه (بضم الصاد؟ بتشديدها أيضاً): بالمجنونه بوادٍ كباوية حتى يبيض. الموشى: الملون أو ذو النقوش.
- (٧) الطرد المهر: تابع جريان مائه.

ابن رُشيد السبقي

١- هو محب الدين أبو عبد الله محمد بن عُمر بن محمد بن عمر بن محمد بن إدريس بن عبد الله بن سعيد بن مسعود بن حسن بن محمد الفهري، من أهل سبته، ويُعرف بأبن رُشيد (تصغير «رُشد»).

وُلد ابن رُشيد في سبته، وفي سنة ٦٥٧ للهجرة، في الأغلب. وجعل المقرئ (أزار الرياض ٢: ٣٥٦) مولده في رمضان من سنة ٦٥٧ أو ٦٥٩. وفي سنة بدأ ابن رُشيد دراسة الحديث والنحو، ثم انتقل إلى فاس فتابع فيها الدراسة. ففي سنة قرأ ابن رُشيد القرآن العزيز بالقراءات السبع على أبي الحسن بن أبي الربيع وعلى أبي الحسن علي بن محمد الكتامي المعروف بأبن الحضار، كما درس على ابن أبي الربيع أيضاً أشياء من النحو ومن غير النحو.

وفي سنة ٦٨٣ للهجرة (١٢٨٤ م) عزم ابن رُشيد على الحج. وأتفق أن مركبهُ مرَّ في طريقه إلى المشرق بشعر المربة (في جنوبي الأندلس)، فلقى هناك الوزير أبا عبد الله ابن الحكيم الرندي متوجّهاً إلى الحج أيضاً، فأصطحبا. وأتتهما الرفيقان فرصة الرحلة إلى المشرق فلّقا نفراً من الشيوخ وأخذوا عنهم عدداً من فنون المعرفة. وفي أثناء الطريق أخذ ابن رُشيد عن نفرٍ كثيرين من الشيوخ في المربة وفي بجاية (في الجزائر اليوم) وفي تونس ثم في الإسكندرية والقاهرة ودمشق وفي مكة والمدينة (راجع أزار الرياض ٢: ٤٣٩). وكان ابن رُشيد وابن الحكيم الرندي يتدبجان (ياخذ كل واحد منهما عن الآخر ما عنده من الأحاديث: أحاديث رسول الله).

وبعد ثلاث سنوات من التّطواف في المشرق عاد ابن رُشيد إلى سبته. ولكنه عاش فيها بضعة سنواتٍ في عزلة أو في إهمال من الدولة ومن الناس. ولكن في سنة ٦٩٢ للهجرة (١٢٩٣ م) دعاه صديقه ورفيقه في الرحلة ذو الوزارتين ابن الحكيم الرندي إلى الأندلس، في أيام أبي عبد الله محمد الثاني، ثاني سلاطين بني الأحمر في غرناطة (٦٧١ - ٧٠١ هـ). وفي غرناطة تولى ابن رُشيد الخطبة والإمامة (يوم الجمعة) في الجامع الأعظم. ولقد أقام ابن رُشيد في غرناطة مدة (٦٩٢ - ٧٠٨ هـ) يُقرئ فنونا من

العلم، كما كان في أثناء هذه المدة كلها يُدرّس كل يوم صحيح البخاري. ثم لما توفّي أبو جعفر بن الزبير (في ربيع الأول من سنة ٧٠٨ = مطلع الحريف من عام ١٣٠٨م) - وكان على قضاء المناكح (عقود الزواج) - خلفه ابن رشيد في هذا المنصب.

وفي شوال من سنة ٧٠٨ (آذار - مارس ١٣٠٩م) خلع السلطان أبو عبد الله محمد الثالث بن محمد الثاني، ثالث سلاطين غرناطة، وقتل الوزير ابن الحكيم الرندي، فعاد ابن رشيد إلى المغرب ونزل في فاس. وجعل له السلطان المريني أبو الربيع سليمان بن عامر الحيار في السكنى حيث شاء في المغرب، فأختار أن ينتقل إلى مراكش - لأنه كان قد سكنها مرة واستحسنها - فولاه السلطان الصلاة والخُطبة فيها في الجامع العتيق. وقد أقام في مراكش سنتين لا يشغله سوى التدريس والتحقيق (الأنصاف إلى التوسع في فنون المعرفة).

ثم إن السلطان أبا سعيد عثمان بن يعقوب المريني (٧١٠ - ٧٣٢ هـ) استدعاه، فيما يبدو، إلى فاس (وكانت فاس في ذلك الحين عاصمة المغرب) فجاء ابن رشيد إليها واستقر فيها يُدرّس الحديث (نفع الطيب ٥ : ٣٨٩) في حلقة له في جامع القرويين (نفع الطيب ٥ : ٢٧٠).

وبقي ابن رشيد في فاس إلى أن أذركته المنون، في الثالث والعشرين من المحرم (في الأغلب) من سنة ٧٢١ (١٣٢١/٢/٢٢م).

٢ - كان ابن رشيد السبتي كريم النفس حسن العشرة براً بأصدقائه. وكانت له معرفة بالقراءات، ولكن مُعظَم عنايته كان مُنصرفاً إلى علم الحديث، فلقد كان واسع المعرفة بالحديث: بصيحه متنه وضبط أسانيده وعدالة رجاله (أي مراتب رواته في الثقة بما يروون). وكان هو في كل ذلك ثقة عدلاً. وكذلك كانت له معرفة باللغة والنحو (نفع الطيب ٥ : ٢٧٤) وبالأدب وتاريخ الأدب. ثم كان له علم بالنقد أيضاً (نفع الطيب ٤ : ١٢٤ و ٤٧٥ س). وكذلك كان هو أديباً وخطيباً بليغاً (نفع الطيب ٥ : ٣٣٧ و ٥١٤). وكان في شعره تكلف وميل إلى التجنيس (أزهار الرياض ٢ : ٣٥٣ - ٣٥٤) مع المعرفة بالمعروض والقوافي، ولكن نثره كان جيداً.

وكان ابن رُشيد السبقي مُصنِّفاً. وأشهر ما له في هذا الباب «رِحلته»: مَلءُ العِيَةِ^(١) بطول الغيبة في الوجهتين الكريمتين مكة وطَبِيبَة^(٢) (ذكر فيها نقرأ كثيراً من العلماء والأدباء الذين لَقِيتُهُمْ، كما ذكر فيها أشياء من أرائهم وغازج من أشعارهم، بالإضافة إلى عدد من الملاحظات الجغرافية والتاريخية). وله أيضاً من الكتب^(٣): إفاضة النصيح بالتحريف بإسناد الجامع الصحيح^(٤) - السَّنَ الأبين والمورد الأيمن في السند المُعْنَن^(٥) - ترجان التراجم (في أشياء تتعلق بتراجيم الرواة الواردة أسماؤهم في صحيح البخاري) - المقدمة المُعْرِفَة لعلو المسافة والصفة^(٦) - تقييد على كتاب سيبويه - إحكام التأسيس في أحكام التجنيس - الإضاءات والإشارات في البديع (وهو المسمى: المرتع المربع لرائد التسجيع والترصيع)^(٧) - وصل القوادم بالحوافي^(٨) (شرح لكتاب القوافي لشيخه حازم القرطاجني) - جزء مختصر في العروض.

مختارات من آثاره

- قال ابن رُشيد السبقي في الرَّحْلة والاعتَراب (النبوغ المغربي ٨٠٩):

- (١) العيبة: ربيع (حقيبة أو كيس) من جلد توضع فيه الثياب.
- (٢) في الوجهين (ورد مكانها أيضاً: في الرحلة إلى). طبية (بالفتح): المدينة المورة.
- (٣) راجع أزهار الرياض ٢: ٣٥٠.
- (٤) الجامع الصحيح للبخاري.
- (٥) السن: الطريق. الأبين اسم تفضيل من بين (بشديد البهاء): واضح. المورد: مكان شرب الماء. الأيمن صيغة تفضيل من «اليمين» (وهي صفة معناها: الكثير والقليل، والطويل والقصير. المورد الأيمن: المشرب الكثير الماء (٤). المعنن: السند الطويل (روى فلان عن فلان عن فلان.... الخ).
- (٦) علو: المسافة والصلة.... (٥).
- (٧) المرتع: الرعى. المربع: الحبيب (الكثير الضرب والماء). الرائد: الطالب. التسجيع (السجع): تقفية العواصِل (أواخر الجمل) في النثر. الترصيع (من أنواع البديع): أن تكون الألفاظ في الجملة الواحدة متنقبة في الوزن وفي الأعجاز (بفتح الهزلة: الأواخر)، كقوله تعالى: ﴿إِنْ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ ﴿إِنْ عَلَيْنَا حِيَابَهُمْ﴾ (المعجم الوسيط ٣٤٩) - لاحظ: إِلَيْنَا وَعَلَيْنَا، إِيَابَهُمْ وَحَيَابَهُمْ.
- (٨) القاذمة: الريشة الطويلة في مقدمة جناح الطائر، والحافية: الريشة الصغيرة الناعمة في باطن جناح الطائر.

تَقَرَّبَ وَلَا تَحْفِلْ لِفُرْقَةِ مَوْطِنٍ تَقَرَّبَ بِالْمُنَى مِنْ كُلِّ مَا شِئْتَ مِنْ حَاجٍ (١).
فلولا أَغْتَرَابُ الْمِسْكِ مَا حَلَّ مَفْرَقًا، ولولا أَغْتَرَابُ الدَّرِّ لَمْ يَخْطُ بِالنَّجَاحِ (٢).

- قام ابن رُشيد للخطبة يوم الجمعة بعد فراغ المؤذن الثاني وكان (ابن رشيد) قد ظنَّه (الأذان) الثالث. فكثَّرَ (٣) لفظُ الناس (٤). فقال ابنُ رُشيدٍ بديهة:

إِنَّ الْوَاجِبَ لَا يُبْطِلُهُ الْمُنْدُوبُ (٥)، وَإِنَّ الْأَذَانَ الَّذِي بَعْدَ الْأَوَّلِ غَيْرُ مَشْرُوعٍ الْوَجُوبِ. فَتَأَهَّبُوا لَطَلَبِ الْعِلْمِ وَاتَّبِعُوا. وَتَذَكَّرُوا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ. وَمَا نَهَاكُم عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (٦). وَقَدْ رَوَيْنَا عَنْهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ مِنْ قَالَ لِأَخِيهِ - وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ - : « أَنْصِتْ »، فَقَدْ لَعْنَا (٧). جَعَلَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَعْمِلَ، وَعَمِلَ فَقَبِلَ، وَأَخْلَصَ فَتَخَلَّصَ (٨).

- وقال ابن رُشيدٍ يصف سطح البحر وقد آنسبت عليه أشعة البدر (أزهار الرياض ٢: ٣٥٣):

انْظُرْ إِلَى الْبَدْرِ قَدْ مَدَّتْ أَشِعَّتُهُ عَلَى خُضَارَةٍ حَتَّى آيِضًا أَرْزَقُهُ (٩).
وَالرَّيْحُ قَدْ صَنَعَتْ دِرْعًا مَسَامِيرُهَا حَبَابَ مَاءٍ يَرُوقُ الْعَيْنَ رَوْنَقَهُ (١٠).

-
- (١) لا تحفل: لا تنهم، لا تبال: الحاج (جمع حاجة).
(٢) المفروق: مكان فرق الشعر في الرأس (الرأس). الدرة: المؤلوة. حظي بالأمر: ظفر (بفتح فكسر) به. - لم يحط بالنجاح (لم ترصع به نيجان الملوك).
(٣) من عادة المؤذنين أن يؤذنوا لصلاة الجمعة (صلاة الظهر يوم الجمعة) مرتين أو ثلاثاً (واحدة منها، أو منها، بين يدي الخطيب، حيناً يصعد المنبر). والمشروع في الدين أذان واحد.
(٤) لفظ الناس: اختلاط أصواتهم فتصبح مبهمة (لا تفهم). - استغرب الناس أن يبدأ ابن رشيد بالخطبة يوم الجمعة قبل الأذان الثالث المألوف عندهم.
(٥) الواجب: الفرض. المندوب: ما يستحسن فعله في العبادة (ولكنه ليس فرضاً).
(٦) القرآن الكريم (٥٩: ٧، سورة الحشر).
(٧) لعنا، يلعن: تكلم (فعل فعلاً يطل صلاته). - إذا صعد الخطيب المنبر يوم الجمعة، وجب على جميع المصلين أن يستمعوا إلى أقوال الخطيب، ولا يجوز لأحد أن يتكلم ولا أن يصلي.
(٨) وعمل قبيل (منه عمله). أخلص الرجل في عمله: ترك فيه الرياء (قلته من أجل الله أو من أجل المبدأ، لا ليراه الناس). تخلص: صفا (قلب الرجل: أصبحت جميع أعماله موضوعة مواضعها).
(٩) خضارة: اسم للحر.
(١٠) سامر: سامير (جمع مسار). الحباب: فقايع من الماء تكون مملوءة هواء. الرونق (الجمال، الحسن الذي =

- وقال ابنُ رُشيدٍ يرثي أبناً له (الأدب المغربي ٢٣٦ - ٢٣٧):

فإن ألتفتَ فالشخصُ للعينِ مائلٌ، وإن أستمعَ فالصوتُ للأذنِ طارقٌ^(١).
وإن أذعُ شخصاً بأسمه لِضَرورةٍ، فإنَّ أسمه المَحبوبُ للنُّطقِ سابقٌ^(٢).
وإن تفرَّعَ الأبوابُ راحةً قارعٍ، يطرُ عنها قلبٌ لِذِكْراه خافقٌ^(٣).
رأيتُك المَنايا سابقاً فأغرَّتْها، فجَدَّ طِلاباً إنَّهِنَّ لواحقٌ^(٤).
لئن سَلَبْتُ مِنِّي نَفْسِي دَخائِري، فإنِّي بمذخورِ الأجورِ لَوائِقٌ^(٥).
وقد كان ظنِّي أَنِّي لك سابقٌ، فقد صارَ عَلَمي أَنِّي بك لاحقٌ^(٦).
غَرِيبِينَ كُنَّا، فَرَقَّ الدهرُ بَيْنَنا بأبرحَ ما يَلْقَى الغَريبُ المُفارقُ^(٧).

- من رحلة ابن رشيد: في رابع (النبوغ المغربي ٦١٧ - ٦١٨):

.... ذكر غريبة عنت لنا في رابع. وما عنت^(٧)، بل أغنت في معنى الآية الكريمة وأقنت^(١). وهي قوله تعالى^(٢): ﴿يا أيها الذين آمنوا، لَيُبَلِّغَنَّكُمْ اللهُ بشيءٍ من الصِّدِّ تالَهُ أُيديكم وِرماحكم لِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَخافه ورُسُلَهُ بالغيبِ﴾.

صَحَّيْني في الطريق من المدينة - على ساكنها أفضلُ الصَّلاةِ والسلام - إلى البيت

= يسرَّ العين). راق المنظر العين: وجدته العين حسناً. الصورة البلاغية هنا خطأ، فالريح لا تحمل على ماء البحر (أو ما النهر) حباباً بل تاريج.

(١) كبها الفتى أغخل أنه واقف أمام عيني. وكل صوت أسمه يجيئ إلي أنه صوته.

(٢) وإذا أنا أحنحت إلى أن أنادي أحداً بأسمه، سبق إلى لساني أسم ابني الميت. اقرأ: في النطق.

(٣) طار القلب يطير (من الفرح أو من الخوف).

(٤) رأيك الموت سابقاً (للناس في معالي الأمور). فأركض ما شئت فإن الموت يلحق بك.

(٥) بمذخور الأجر (بالأجر المذخور - المحبب لي ليوم القيامة).

(٦) كنت أظن أنني سابق لك (ساموت قبلك، لأنني أكبر منك سناً).

(٧) أبرح: أشد، أكثر شدة، أكثر ألماً. - كل فراق بأمر من أمور الدنيا أهون على النفس من الفراق بالموت.

(٨) عنت (من «عن»: ظهر). رابع (ها): واد بين مكة والمدينة قريب من البحر. عنت (من «عنى»: أنعب، أهتم).

(٩) أقتى فلان فلاناً: أعطاه (مالاً أو شيئاً ثميناً).

(١٠) القرآن الكريم (٥: ٩٤، سورة المائدة). يخافه بالغيب: يتقيد بأمر الله، ولو لم يكن أحد من أولي الأمر

(رجال الدولة) يراقبه. يبلو: يختبر. تالاه أيدهم ورماحكم: يسهل صيده.

الحرام^(١) أحدُ الشيوخ من سُرفاء المدينة. فلَمَّا وَافَيْنَا^(٢) رَابِعَ رَأْيٍ أَمْرًا عَجَبًا مِنْ تَخَلُّلِ الْوَحْشِ (مِنْ) الْغَزَالِ وَالْأَرْنبِ، بَيْنَ الْجِبَالِ وَالرَّحَالِ^(٣)، بَحِثَ بِنَالِهِ النَّاسَ بِأَيْدِيهِمْ، وَالنَّاسُ يُنَادُونَ: حَرَامٌ، حَرَامٌ! وَالْجَوَارِحُ قَدْ سُلِّسَتْ خِيفَةً تَعْدِي جَاهِلٍ يَتَصَفَّ الْجَاهِلُ^(٤). فَقَالَ لِي ذَلِكَ الشَّيْخُ الشَّرِيفُ: «تَأَمَّلْ تَرَّ عَجَبًا. هَكَذَا جَرَتْ عَادَتُنَا فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ؛ إِذَا مَرَرْنَا بِهِ وَغَنَ مَحْرُومُونَ^(٥) نَجِدُ بِهِ مِنَ الْوَحْشِ مَا تَرَى. فَإِذَا عُدْنَا مُجْلِينَ^(٦)، لَمْ نَجِدْ بِهِ شَيْئًا». فَلَمَّا عُدْنَا كَانَ (الْأَمْرُ) كَمَا قَالَ. فَبَانَ لِي مِنْ مَعْنَى الْآيَةِ مَا لَمْ يَكُنْ عِنْدِي بِالْمُشَاهَدَةِ^(٧).

٤- رحلة ابن رشيد إلى الحرمين الشريفين (تحقيق محمد الحبيب بن الخوجه)*.

★ الوافي بالوفيات ٤: ٢٨٤-٢٨٦ (رقم ١٨٠٥)؛ أوصاف الناس ١٠٠-١٠٢؛ الديباج المذهب ٣١٠-٣١١؛ الدرر الكامنة حيدر آباد ٤: ١١١-١١٣ (رقم ٣٠٨)، مصر ٤: ٢٢٩-٢٣١ (رقم ٤١٧٢)؛ بنية الوعاة ٨٥-٨٦؛ دُرَّةُ الْحِجَالِ ٢: ٩٦-١٠٠؛ شذرات الذهب ٦: ٥٦؛ أزهار الرياض ٢: ٣٤٧-٣٥٦؛ نفع الطيب ١: ٦٠٦-٦١٥، ١٢٢، ١٩٥-١٩٦، ٥٨٢-٥٨٣، ٥٨٩، ٦٢٣-٦٢٤، ٣: ٥٢٣، ٤: ١٢١، ١٢٢، ٣١١-٣١٣، ٤٩٦، ٥: ٢٧٤، ٤٨٠-٤٨١؛ دُرَّةُ الْمَعَارِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ ٣: ٩٠٩؛ بروكلمن ٢: ٣١٧، الملحق ٢: ٣٤٤؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٠٥ (٦: ٣١٤)؛ معجم المؤلفين ١١: ٩٣-٩٤؛ الأدب المغربي ٢٣٦-٢٣٨؛ السُّبُوحُ الْمَغْرِبِيُّ ٢٠٦، ٣٨١ (في الترميم الأول)، ٦١٧-٦١٨، ٨٠٩.

(١) البيت الحرام: الكعبة (مكة).

(٢) وافينا: وصلنا إلى...

(٣) تَخَلَّلَ الْوَحْشُ بَيْنَ الْجِبَالِ وَالرَّحَالِ: مرور الوحش (الحيوانات غير الأليفة) بين الجبال والرحال (الأحمال) - سواء أكان المسافرون سائرين (يتأهبون سفرهم) أو كانوا نازلين (مستريحين)، وقت التوقف عن متابعة السفر).

(٤) الجوارح: الطيور الكاسرة كالنسر وغيره. سللت: رُبطت بالسلال - كان الجوارح قد ربطت فلا تنقض على أحد أو على شاة مع أحد لئلا يضطر محرم (حاج) إلى قتلها (إلى سبك دم لا يجوز سبكه في أثناء الإحرام بالحج). تنصَّب: سلك الطريق على غير علم بها (هجم على أمر لا يعرف عواقبه). المهمل: الأرض لا علامات فيها (جبال أو أشجار الخ).

(٥) المحرم: الذي نوى الحج وجعل يقوم بالناسك (بأعمال الحج).

(٦) المهمل (بتشديد اللام): الذي أنتهى من القيام بناسك الحج ثم نوى الخروج من الإحرام.

(٧) بان: ظهر. بالمشاهدة (بالملاحظة الشخصية).

(*) راجع مجلة «قافلة الزيت» (جمادى الأولى من سنة ١٣٩٢).

ابن البناء العدديّ

١- هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزديّ المعروف بابن البناء (لأنّ والدّه كان بناءً) العدديّ (لبراعته في علم العدد: العلم الرياضيّ) المراكشيّ.

وُلِدَ ابنُ البناءِ العدديّ في مراكش، سنة ٦٤٧ للهجرة على الأصح (نيل الابتهاج ٦٧)، وتلقّى علومه في مراكش وفي فاس. وقد كان له شيوخ (أساتذة) كثيرون (نيل الابتهاج ٦٦) منهم القاضي الشريف محمد بن عليّ بن يحيى قرأ عليه كثيراً من الكتب وذكره في كتاب «الأصول» أو «الأركان» لأقليدس (في الهندسة المستوية). ومنهم ابن حجلة الرياضي قرأ عليه أشياء من الطبّ والفلك، كما قرأ الفلك على أبي عبد الله ابن مخلوف السلجاسيّ. ومن شيوخه أيضاً أبو عبد الله بن يسر قرأ عليه القرآن في مراكش. ومنهم قاضي الجماعة أبو الحجاج يوسف التّجيبسيّ المكناسيّ ثم أبو الوليد بن الحجاج قرأ عليه كتاب الميعار وكتاب المُستصنى (وكلاهما لأبي حامد الغزاليّ). ومن شيوخه أبو عمران موسى الرّزائيّ قرأ عليه شرحه على كتاب الموطأ (للمالك بن أنس) وتفقّه عليه. وكذلك قرأ كتاب سيّونه (في النحو) على أبي إسحاق الصّنهاجيّ العطار.

وتصدّر ابنُ البناءِ المراكشيّ في مراكش للتدريس، ويبدو أنّه كان يُدرّس موضوعاتٍ مختلفة باختلاف الموضوعات التي تلقّاها عن شيوخه.

وكانت وفاة أبي العباس بن البناء في سادس رجب من سنة ٧٢١ (١٣٢٢/٨/٢م) في مراكش.

٢- كان أبو العباس بن البناء رجلاً وقوراً فاضلاً حسن السيرة وافر العقل مهذباً حسن الحديث، ولكن قليل الكلام، لا يكاد يتكلّم إلّا في العلم الذي يريد أن يُفيد به الطّلاب. وكذلك كان إماماً معظماً عند الملوك، وبلغ عندهم مكانة اجتماعيّة سامية. وكان له ميل إلى التصوّف.

ومع أنّ ابن البناء كان مشهوراً بالرياضيات، فإنّه برّع أيضاً في فنون كثيرة. فبالإضافة إلى الحساب والهندسة والفلك، وإلى جانب معرفته بأشياء من التنجيم والسحر وما يتعلّق بها، فإنّه قد برّع في قراءة القرآن وبمعرفة الحديث والفقه والنحو

ولأبي العباس بن البناء تصانيف كثيرة العدد سُنَّوعَةُ الموضوعات، منها: تلخيصُ أعمال الحساب. هذا الكتاب موجزٌ جداً. من أجل ذلك شرَّحه علماء كثيرون. وفي كتاب «التلخيص» هذا أشياء من علم العدد (خواصُّ الأعداد، من تقسيمها أفراداً وأزواجاً وجعلها متوالياتٍ حسابية وهندسية) ومن الحساب (الأرقام) ثم تدوين الأعداد في مراتب) ثم أشياء من الجبر ومن الأعمال الأربعة فيما يتعلَّق بالأعداد الصحيحة والكُسور (راجع الحواشي على النص المختار لابن البناء). ويقول قَدْرِي طُوقَانُ (تراث العرب العلمي ٧٤-٧٥، ٤٣٠): بحثَ أبْنُ البناءِ في «قاعدة الخطَّائين لحلَّ المعادلات ذاتِ الدَّرَجَةِ الأولى... وأدخلَ بعضَ التعديل على الطريقة المعروفة بطريق الخطأ الواحد، ووضع ذلك بشكل قانون.....»

ولابن البناء أيضاً كتابُ اسمه «رَفَعُ الحِجَاب عن وجوه أعمال الحساب» شرَّح فيه أبْنُ البناء نفسه كتابَه «تلخيص أعمال الحساب». يقول ابنُ خَلْدُونِ (المقدمة-دار الكتاب اللبناني، بيروت، ٨٩٧): وهو مُسْتَفْلِقٌ على المُبتدئ بما فيه من البراهين الوثيقة المَباني. (ثم) هو كتابٌ جليلٌ أذكرُكنا المَشِيخَةَ (كِبَارَ الأساتذة) تُعْظِمْه..

وله أيضاً: مقالاتٌ في الحساب (فيه كلامٌ على الأعداد الصحيحة والكُسور والجذور والتناسُب)- كتاب الأصول والمُقَدِّمات (في الجبر والمُقابلة)- تنبيه الألباب على مسائل الحساب- مسائل في العدد التامِّ والناقص- جزء في العمل بالرومي (بتدوين مسائل الحساب بالأحرف لا بالأرقام)- التمهيدُ والتيسير في قواعد التكسير- رسالة في علم المساحة (الهندسة المستوية)- مقدِّمة في أقليدس والمقالات الأربع- منهاج الطالب في تعديل الكواكب- اليسارة في تعديل الكواكب اليسارة- تسهيل العبارة في تكميل ما نَقَصَ من اليسارة (وهو مُلَحَقٌ مُتَمِّمٌ للكتاب السابق) قانونٌ لترجيح الشمس والقمر في المنازل ومعرفة أوقات الليل والنهار- كتابُ تحديدِ القبلة^(١)- رسالة في الأنواء

(١) بَنَحَ الملبون في صلاتهم- حيث كانوا من الأرض- نحو الكعبة المشرفة في مكة المكرمة. ومعرفة القبلة (الاتِّعَاة نحو الكعبة) يحتاج إلى دقَّة في حساب الجهات.

(أحوال الجوّ) - (رسالته) في المناخ - كتاب في التنجيم والأنواء .

ولابن البناء كُتب في تفسير القرآن وفي الفقه منها: عنوان الدليل مرسوم خطّ التأويل - منحنى ملاك التأويل - حاشية على الكتّاف (للزمخشري؟) - جزء صغير على سورة «إنا أعطيناك»، و«العصر»^(١) - تفسير الباء في البسطة^(٢) - بداية التعريف (في الاعتقاد) - الاقتضاب والتقريب للطالب الليب في أصول الدين - منتهى السؤل في علم الأصول - رسالة الفرق بين الخوارق الثلاث: المعجزة والكرامة والسحر - مراسم الطريقة في علم (فن) الحقيقة (في التصوف).

ثمّ له في الأدب: الرّوض المريع في صناعة البديع^(٣) - قانون في معرفة الشعر - مقالة في غيوب الشعر - قانون في الفرق بين الحكمة والشعر - شرح الأرجوزة^(٤) - موشّع كافل للمطلّب^(٥).

٣ - مختارات من آثاره:

- مختارات من «تلخيص أعمال الحساب» لابن البناء:

الغرض من هذا الكتاب تلخيص أعمال الحساب وتقريب أبوابه ومبانيه. وهو يشتمل على جزئين: الأول (منها) في أعمال العدّ المعلوم^(١) والثاني في القوانين التي يُمكنُ بها الوصول إلى معرفة «المجهول المطلوب» من «المعلوم المفروض»، إذا كان بينهما صلة تقتضي ذلك^(٢). ومن الله أسأل العون والتوفيق والإرشاد إلى سواء السبيل. العدّد ما تألّف من الأحاد^(٣). وهو ينقسم بحسب مأخذه قسمين: صحيحاً

(١) سورة الكوثر وسورة العصر (الورتان ١٠٨ ثم ١٠٣ في المصحف).

(٢) البسطة: بسم الله الرحمن الرحيم.

(٣) المريع: المحصب. البديع (الجناس والطباق) من المحسّات اللفظية في البلاغة.

(٤) العدد المعلوم: المقدار المعروف (٥، ١٧، ٢٣، ١٠٨، إلخ) - إن كلّ عدد من هذه يدلّ على مقدار معين.

(٥) هذا تعريف علم الخمر، فإذا نحن قلنا في المتطابقة: س + ٤ = ١١، قلنا: س (المجهول المطلوب) إذا جمع إلى ٤، يكون المجموع ١١. إذ ١١ - ٤ = ٧ (وهو المجهول المطلوب).

(٦) كلّ عدد يتألّف من أحاد، ٥ = ١ + ١ + ١ + ١ + ١، الخ.

وَكَثْرًا. والصحيحُ على ضربَيْنِ (نوعين): زوجٌ وفردٌ^(١). والزوجُ على ثلاثة أنواع: زوجُ الزوج، وزوجُ الفردِ، وزوجُ الزوجِ والفردِ^(٢). والفردُ على نوعين: أولٌ وفردُ الفردِ^(٣). ولَمَّا كان العدَدُ يَتَرَايَدُ إلى غيرِ نهايةٍ^(٤)، جُعِلَ له ثلاثُ مراتبٍ^(٥)، وتُسمَّى أيضاً منازلَ - وتُدَوَّرُ عليها منازلُ العددي - في كلِّ مرتبةٍ منها تسعةُ أعدادٍ.

فالمرتبةُ الأولى من واحدٍ إلى تسعة، وتُسمَّى مرتبةَ الآحاد. والثانية من عشرةٍ إلى تسعين، وتُسمَّى مرتبةَ العشرات. والثالثة من مائةٍ إلى تسعمائة، وتُسمَّى مرتبةَ المئين.

وللعدي اثنا عشرَ أسماً بسيطاً يتركَّبُ منها جميعُ أسمائه. فالتسعة الأولى منها هي الآحاد، والعاشرُ للعشرات، والحادي عشرُ للمئين، والثاني عشرُ للآلاف - وهي بمنزلة الآحاد^(٦) - ومن هنا يعودُ الدور^(٧).

الجبرُ هو الإصلاح^(٧). والمقابلة طَرَحُ كُلِّ نوعٍ من نظيره حتى لا يكونَ في الجهتين

(١) شفع ووتر، أو مجوز (٢، ٤، ٦، ٨، إلخ) ومُفَرَّد (٣، ٥، ٧، ٩، إلخ).

(٢) زوج الزوج، زوج الفرد، زوج الزوج والفرد: اصطلاحات تطلق على المتوالية الهندسية (حينما يكون كلُّ حدٍّ في المتوالية مساوياً لنصف الحد الذي يليه. فزوج الزوج هو المتوالية التي تبدأ بعدد شفع: ٢، ٤، ٨، ١٦، إلخ. وزوج الفرد هو المتوالية التي تبدأ بعدد فرد: ٣، ٦، ١٢، ٢٤، إلخ. وزوج الزوج والفرد يجب أن يكون زوج زوج الفرد، أو هو تحريد الحدود المفردة، نحو ٣، ٥، ٧، ٩، ١١ (وهذه سلسلة حاسوبية: يزيد كلُّ حدٍّ فيها على الحد الذي قبله بفرق معلوم، بعد أن تبدأ السلسلة بعدد مفرد). وإذا قبلنا النسبة «زوج الزوج والفرد»، فيكون معنى ذلك $2+3=5$ ، ثم تستمرُّ في التضعيف: $5 \times 2 = 10$ ، $10 \times 2 = 20$ ، إلخ.

(٣) فرد أول هو العدد الذي لا يقسم إلا على نفسه (وعلى واحد): ١، ٣، ٥، ٧، ١١، إلخ. وفرد الفرد.....

(٤) الواضح هنا أن الأعداد لا تنهاى: لا تثقف عند عدد معين.

(٥) الأعداد التسعة الأولى هي آحاد: العشرة تمثِّل مرتبة العشرات (لأنها في الترتيب تمثِّل مرتبة زائدة إلى اليسار: ١٠٠، ١٠٠٠، ١٠٠٠٠، إلخ. وتمثِّل (في الترتيب) مرتبة ثالثة. والاثنا عشر (في الترتيب) تمثِّل مرتبة ثالثة إلى اليسار ١١١٠٠ = (يخمس إذا نحن أردنا أن ندرك هذا التنظيم أن نعلم أن الفيناغوريين لمَّا تكلموا في علم العدد - أو خواص الأعداد - لم يكن عندهم أرقام، بل كانوا يمدِّون مجموعات من الحصى يترتَّبون بعضها خلف بعض).

(٦) ومن هنا يعود الدور: بعد أن ننهي من المراتب: آحاد، عشرات، مئات (مئات) يصل إلى الألوف (آحاد الألوف) ثم نستمرُّ على النمط السابق فنقول: عشرات الألوف، مئات الألوف، ألوف الألوف. ثم نقول: آحاد ألوف الألوف، عشرات ألوف الألوف، مئات ألوف الألوف، ألوف ألوف الألوف، إلخ.

(٧) الجبر (بالمعنى اللغوي): الإصلاح (إذا كسر عظم في إنسان، فإنه يُجبر) (والجبر هنا) حمل الكسور =

نوعان من جنس واحد. والمعادلة هي أن يُجَبَّرَ الناقصُ إلى الزائدِ ويُطَرَحَ الزائدُ من الزائدِ و (يطرح) الناقصُ من الناقصِ من الأشياء المتجانسة^(١).

ومدارُ (علم) الجبر على ثلاثة أنواع: العدد والأشياء والأموال. فالأشياء هي الجذوب، والمال ما يجتمع من ضربِ الجذرِ في نفسه. والعدد ما لم يُنسَبْ إلى جذرٍ ولا مال^(٢)...

واعلم أنَّ أسَّ الأشياءِ واحد^(٣)، وأسَّ الأموالِ آثنان، وأسَّ الكُبوبِ ثلاثة^(٤).... فإذا ضُرِبَتِ هذه الأنواعُ فأُجْمِعَ (أسَّ المضروبِ إلى) أسَّ المضروبِ فيه فيكون مجموعُ الأسِّين أسًّا للخارج^(٥). وإذا ضُرِبَتِ عدداً في أحدِ هذه الأنواعِ، فالخارجُ ذلك النوعُ بعينه^(٥).

- وقال ابن البناء العدديّ في الحكمة (النوع المغربي ٨٠٧):

قَصَدْتُ إلى الوَجَارَةِ في كلامي لِعَلِمِي بالصواب في الاختصار^(١)
ولم أَخْذَرْ فُهوْماً دُونَ فَهْمِي وَلَكِنْ خِيفْتُ إِزْراءَ الْكِبَارِ^(٢).
فثَانُ فُحوْلَةِ الْعُلَمَاءِ ثَانِي، وَثَانُ الْبَسْطِ تَعْلِيمُ الصُّغَارِ^(٣).

= أعداداً صحيحة: $\frac{1}{2}$ ب + ٣ ح - س = ١٠٠، تجعل الجبر: ب + ١٢ ح - س = ٤٠٠ (بأن تضرب المعادلة كلها بأربعة لتخلص من الربع، فيصبح حلّ المسألة أهون). القابلة أن تجمع الحدود المتجانسة وأن تفرّق الحدود المختلفة في طرفي المعادلة: ٣ س + ١٢ = س + ٢٢ فتصبح ٣ س - س = ٢٢ - ١٢، تساوي ٢ س = ١٠، أو س = ٥.

(١) الشيء أو الجذر: س، ص، ب إلخ (عدد مجهول). المال: الشيء المضروب بنفسه: س × س = س^٢. العدد (المفوظ، المعلوم) ١٨، ٥٢، ٢١٨ إلخ (ليس معه جذر ولا مال).

(٢) هنالك أساس وأس. في ب^٢ = ب × أساس، والعدد ٣ فوقها هو الأس. ومعنى ذلك أن ب × ب = مضروبة بنفسها (ب × ب). وب^٣ تعني أن ب × ب = مضروبة بنفسها مرتين (ب × ب × ب) إلخ. وحينما يكون الأس واحداً فنحن لا نُثَبِّته: نحن لا نكتب ب^١، بل ب × ب فقط.

(٣) س^٢ ندعى مالا (أو س تربيعاً)، س^٣ ندعى كمّاً (أو س مكعبة).

(٤) حينما تضرب س^٢ في س^٢ يصبح لدينا س^٤ (تجمع الإساس - بالكسر جمع أس بالضم - فقط).

(٥) إذا ضربنا س في س في س، يسمى الأساس كما هو (س)، ثم نجمع الإساس (بالكسر: جمع أس).

(٦) الوجازة: الإيجاز، الاختصار. - الكلام الكثير المفصل يكون أكثر مدعاة إلى الخطأ.

(٧) أرزى المجل بالإنسان: عابه، جعله محتقراً.

(٨) الإيجاز شأن العلماء في مخاطبة بعضهم بعضاً. أمّا البسط (الشرح والتفصيل) فيكون في تعليم الصغار (المهال).

- ٤- منهاج الطلب في تعديل الكواكب (.....)، (الطبعة المغربية) ١٩٥٢ م.
 - تلخيص أعمال الحساب (حققه محمود سويبي)، تونس (منشورات الجامعة التونسية) ١٩٦٩ م.
 * نيل الابتهاج ٦٥-٦٨: البدر الطالع ١: ١٠٨: الإعلام بين حلّ مراكش من الأعلام ١:
 ٣٧٥-٣٨٤: ابن قنغد ٣٤٣: دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٣١: بروكلين ٢:
 ٣٣٠-٣٣١، الملحق ٢: ٣٦٣-٣٦٤: تراث العرب العلمي لطوقان ٤٢٩-٤٣٢:
 الأعلام للزركلي ١: ٢١٣-٢١٤ (٢٢٢): النبوغ المغربي ٢١٣، ٨٠٧.

ابن آجروم

١- هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن داوود الصنهاجيّ المعروف بآبن آجروم (ومعنى آجروم أو أكروم - بالكاف المقوode، بلغة البربر - «الفقير الصوفي»). وُلِدَ في فاس، في سَنَةِ ٦٧٢ للهجرة (١٢٧٣-١٢٧٤).

تلقّى أبو عبد الله بن آجروم علومه في فاس ثم ذهب إلى الحجّ - وقد استوفى علمه، فيما يبدو - فقد ألف «مُقدّمته» الجرومية (أو «الأجرومية») نِجَاهَ الكعبة. و«المقدمة» هذه هي أشهرُ كُتُبِ آبن آجروم وأبعدها أثراً. وجلس آبن آجروم للتدريس في فاس يعلّم النحو والقراءات.

وكانت وفاة آبن آجروم في فاس في صَفَرٍ من سَنَةِ ٧٢٣ (شباط - فبراير ١٣٢٣ م).

٢- كان أبو عبد الله بن آجروم بارعاً في النحو وفي القراءات وعارفاً بفنون أخرى من العلم كالغرائض والحساب والأدب. وكانت له أراجيز ومصنّفات، له: فرائد المعاني في شرح حِرْزِ الأمان^(١) - المقدمة الأجرومية.

ومع أن السيوطي قد قال (بغية الوعاة ١٠٢، السطر ٤ من أسفل): وله معلومات

(١) للإمام الشاطبي (ت ٥٩٠ هـ) - راجع الجزء الخامس.

من فرائض (تقسيم الإرث) وحساب وأدب بارع»، فليس من الواضح أن البيتين اللذين نسبهما المقرئ (نفع الطيب ٥: ٩٥-٩٦) إلى ابن أجروم، وهما:

يا غائباً كان أنسي رهن طلعته، كيف أصطباري، وقد كابذتُ بينهما
دعواي أنك في قلبي يُعارضها شوقي إليك، فكيف الجمعُ بينهما؟

أنها لأبي عبد الله بن أجروم، كما توهم الحاشية التي علّقها إحسان عباس (ص ٩٥) وقال فيها: «المشهور بهذا الاسم هو محمد بن محمد بن داود الصنهاجي (ت ٧٢٣)، وهو نحوي، وله في النحو مؤلف سُمي الأجرومية». ولعل هذين البيتين لـمُندِل بن أجروم ابن صاحب الأجرومية، فهو شاعرٌ غيرٌ مُقلِّ. ولقد رَوَى له المقرئُ بيتين آخرين أكثرُ طلاوةً (نفع الطيب ٥: ٤١٨) ثم أوردَ له أيضاً قصيدةً (نفع الطيب ٧: ١٢٣-١٢٥). ولمندِل هذا (ت ٧٧٣ هـ) ترجمة في هذا الجزء.

أمّا في النحو خاصة، فإن أبا عبد الله محمد بن أجروم من أتباع المذهب الكوفي، فقد قال السيوطي (بغية الوعاة ١٠٢): «..... إنا استفدنا من مُقدِّمته أنه كان على مذهب الكوفيين في النحو، لأنّه عبّرَ بالـخَفَضِ^(١) - وهو عيارُهم. وقال الأمر مجزوم^(٢)، وهو ظاهر في أنّه مُعَرَّب^(٣)، وهو رأيهم. وذكر في الجوازِمِ «كيفها»، والجزْمُ بها رأيهم: وأنكره البصريون».

وقد كان للأجرومية على إيجازها، شهرةٌ كبيرةٌ في المشرق والمغرب، فقد صَنَعَ النحاةُ عليها نحو سِتِّينَ شرحاً، كما أنّها قد عُرِفَتْ في الغرب (في أوروبا) منذ القرن العاشر للهجرة (السادس عشر للميلاد) ونُقِلَتْ إلى مُعْظَم اللُّغات الأوروبية، ولها في اللاتينية وحدها ثلاثة نقول^(٤).

(١) بينها = منى. بين « (فراق، بعاد). ها (في) بينها » ضمير يرجع إلى « طلعته » وإلى « اصطباري ».

(٢) عبّر بالخفض (كما يقول الكوفيون) بدل الجر.

(٣) وقال في فعل الأمر إنه مجزوم (وهو قول الكوفيين)، بينما هو عند غيرهم «مبنى على السكون».

(٤) ... ولأن ابن أجروم قال في فعل الأمر إنه «مجزوم»، فقد دلّ ذلك على أن ابن أجروم يقول في فعل الأمر إنه معرب (كما يقول الكوفيون).

(٥) دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٩٧، أعلى العمود الأيمن.

٣- مختارات من آثاره

- من متن الأجرومية:

★ الكلام * الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع^(١)، وأقسامه ثلاثة: اسم وفعل وحرف جاء لمعنى^(٢). فالاسم يُعرَفُ بالحفْضِ والتنوين ودخول الألف واللام وحروف الحفْض، وهي: مِنْ وإلى وعن وعلى وفي ورُبَّ والباء والكاف واللام؛ وحروف القسَم، وهي: الواو والباء والتاء. والفعل يُعرَفُ بِقَدْ والسين وسوف وتاء التأنيث الساكنة. والحرف ما لا يصلحُ معه دليل الاسم ولا دليل الفعل^(٣).

★ الأعراب * هو تغيير أو آخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليه لفظاً أو تقديراً^(٤). وأقسامه أربعة: رفع ونصب وحذف وجزم. فلأسماء من ذلك الرفع والنصب والحذف، ولا جزم فيها. وللأفعال من ذلك الرفع والنصب والجزم، ولا حَفْض فيها.....

(١) اللفظ هو الصوت المشتمل على عدد من الحروف. المركب (المؤلف، المجموع إلى غيره) فلا يكون اللفظ كلاماً (جمله تامّة) إلّا إذا كان مؤلفاً من كلمتين فأكثر (إلا إذا كان في الفعل ضمير مستتر وجوباً، نحو «قم»). ويجب أن يكون الكلام مفيداً (يؤذي معنى مألوفاً) بالوضع (بحسب ما تواضع - أي اتفق - عليه العرب: يجب أن تكون الجملة التامة مركبة من ألفاظ معروفة في اللغة العربية).

(٢) ... وحرف جاء لمعنى. الاسم والفعل يدلّان على معانٍ في نفسها (بيت، شجرة، اجتماع)، والحرف يدلّ على معنى في غيره (لا يثبت معناه إلّا إذا قرُنَ بغيره: هذان سعيد وسليم - جاء سعيد والساء تظمر - ما شأنك والآخرين: فالواو في الجملة الأولى للمطف، وفي الجملة الثانية للحال، وفي الجملة الثالثة للمعية).

(٣) قوله: «الاسم يعرف بالحفْض والتنوين ودخول اللام... والفعل يعرف بقَدْ... والحرف ما لا يصلح معه دليل الاسم ولا دليل الفعل» إشارات ظاهرة بذكرها العربي. أمّا غير العربي فلا ينتفع بها. إنّ كلمة «أحد» مثلاً هي - في الأصل فعل مضارع للمتكلم المفرد - من أجل ذلك تدخل عليها قد والسين وسوف. ثم نقلت كلمة «أحد» إلى اسم العلم فأصبح يدخل عليها الحفْض، وتقبل التنوين (في ضرورة الشعر)، إلخ.

(٤) - إذا قلنا: لن يذهب سعيد إلى المدرسة، فإنّ «يذهب» و«سعيد» و«المدرسة» معربة لفظاً بالفتحة والضمة والكسرة على التوالي. أمّا إذا قلنا: يرجى من القاضي أن ينهى عن الظلم، فإنّ الفعل «يرجى» والاسم «القاضي» والفعل «ينهى» معربة تقديراً بالضمة المقدرة على الألف في «يرجى» (منع من ظهورها التمدّد: لفظ فتحتين في وقت واحد). والاسم «القاضي» معرب بالضمة تقديراً (منع من ظهورها التثقل: لاستئغال لفظ الضمة الطارئة على الياء المسبوقة بكسرة أصلية).

المُعْرَبَاتُ قسمان: قسم يُعْرَبُ بالحركات، وقسم يُعْرَبُ بالحروف. فالذي يُعْرَبُ بالحركات أربعة أنواع: الاسم المفرد وجمع التكسير وجمع المؤنث السالم والفعل المضارع الذي لم يتصل بآخره شيء؛ وكلها ترفع بالضمة وتُنصب بالفتحة وتُخفَضُ بالكسرة وتُجْزَمُ بالسكون. وخرَجَ عن ذلك ثلاثة أشياء: جمع المؤنث السالم يُنصب بالكسرة والاسم الذي لا ينصرف يُخفَضُ بالفتحة، والفعل المضارع المعتل الآخر يُجْزَمُ بِحَذْفِ آخره. والذي يُعْرَبُ بالحروف أربعة أنواع: التثنية وجمع المذكر السالم والأسماء الخمسة والأفعال الخمسة وهي يفعلان وتفعلان ويفعلون وتفعلون وتفعلين. فأما التثنية فترفع بالألف وتُنصب وتُخفَضُ بالياء. وأما جمع المذكر السالم فيرفع بالواو وتُنصب ويُخفَضُ بالياء. وأما الأسماء الخمسة فترفع بالواو وتُنصب بالألف وتُخفَضُ بالياء. وأما الأفعال الخمسة فترفع بالنون وتُنصب وتُجْزَمُ بِحَذْفِهَا.

★ باب لا ★ اعلم أن «لا» تنصب النكرات بغير نون، إذا باشرت النكرة ولم تكرر «لا»، نحو: «لا رجل في الدار»^(١). فإن لم تبأشرها، وجب الرفع ووجب تكرار «لا»، نحو: «لا في الدار رجل ولا امرأة». فإذا تكررت جاز إعمالها وإلغاؤها. فإن شئت قلت: «لا رجل في الدار ولا امرأة»، وإن شئت قلت: «لا رجل في الدار ولا امرأة»^(٢).

٤ - المقدمة (الأجرومية):

إن قصر هذه الرسالة (المقدمة الأجرومية) قد سهل شرحها وطبعها. فالطبقات التالية هي أمثلة من الطبقات الكثيرة المختلفة الأماكن والسين:

(١) لا: نافية للجنس. رجل: اسم «لا النافية للجنس» مبني على ما ينصب به (ها، على الفتحة). ومعنى الجملة: لا يوجد في الدار رجل ولا أكثر من رجل (لكن يمكن أن يوجد فيها نساء أو أطفال أو حجارة). أما إذا قلنا: لا رجل (بضمين) في الدار، تكون لا هنا نافية للوحدة، فيكون المعنى هنا، إذن: ليس في الدار رجل واحد، بل فيها رجلان أو ثلاثة رجال أو أكثر («لا»، هنا، تعمل عمل «ليس»: لا كاذبٌ محموداً عند الله ولا عند الناس).

(٢) في الجملة: «لا رجل في الدار ولا امرأة» (الواو: حرف عطف، امرأة: مبطوفة على رجل، فهي أيضاً اسم للحرف «لا» النافية للجنس). أما إذا قلنا: «لا رجل في الدار ولا امرأة» (بضمين على «امرأة»، كانت الواو حرف عطف، وكانت «لا» حرف نفي عادي، وكانت «امرأة» مبتدأ، وكان خبر امرأة مقدراً يفتره ما قبله: لا رجل في الدار، ولا امرأة في الدار).

- لندن ١٦١٧ م (١٠٢٦ هـ)؛ روما ١٥٩٢ م (١١٠٢ هـ)، ١٦٣١ م؛ بولاق ١٢٣٩، ١٢٥٢، ١٢٩٣ هـ؛ كامبردج (بريطانية) ١٨٣٢ م (١٢٤٨ هـ)، ١٨٥٢ م؛ بيروت ١٨٤١ م (١٢٥٧ هـ)، ١٨٥٧، ١٨٧٤، ١٨٨٦ م؛ باريس ١٨٤٤ م (١٢٦٠ هـ)؛ الجزائر ١٨٤٦ م (١٢٦٤ هـ)، ١٨٦٠؛ الجزائر ١٢٨٣ هـ؛ القاهرة (حجر) مراراً؛ القاهرة ١٢٧٣، ١٢٩٣، ١٢٩٨ هـ؛ القاهرة (في مجموع) ١٢٧٦، ١٢٩٧، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤ هـ؛ جونية (لبنان) ١٨٦٦ م (١٢٨٣ هـ)؛ الهند ١٨٥٣ م (١٢٧٠ هـ)؛ مشن (ألمانية) ١٨٧٦ م (١٢٩٣ هـ)؛ القدس ١٨٧٦ م (١٢٩٣ هـ)؛ دمشق ١٣٠١ هـ؛ في مجموع: الرسائل العلمية التسع، دمشق (مطابع الفكر الإسلامي) ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧ م؛ مكة المكرمة ١٣١٤ هـ؛ مصر (المطبعة الميمنية) ١٣٣٣ هـ؛ فاس (طبع حجر) ١٣٤٥ هـ؛ مختارات برونو وفيشر (بألمانية) (ص ١٧١ - ١٨٣)؛ متن الأجرومية في علم العربية، القاهرة (المكتبة التجارية) بلا تاريخ.

★★ شروح وحواش على متن الأجرومية:

- شرح الأجرومية، لشارح مجهول، بولاق ١٢٤٢ هـ.
- شرح المكوذي، أبو زيد عبد الرحمن بن صالح (ت ٨٠١ هـ)، تونس ١٢٩٢؛ القاهرة ١٣٠٤، ١٣٤٥ هـ؛ القاهرة (مطبعة عبد الرزاق) ١٣٠٩ هـ.
- شرح الأزهرى، خالد بن عبد الله (ت ٩٠٥ هـ)، بولاق ١٢٥١، ١٢٥٩، ١٢٧٤، ١٢٨٠، ١٢٨٤، ١٢٩٠ هـ؛ القاهرة ١٢٦٢، ١٢٦٥، ١٢٨١ هـ؛ بهامش حاشية أبي النجا، ١٣٠٤ هـ؛ ثم ١٣١٢، ١٣١٩ هـ. فاس ١٣١٥ هـ.
- شرح الخطاب الرعيني، جمال الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٥٤ هـ)، بولاق ١٢٩٥ هـ؛ القاهرة ١٢٩٨، ١٣٠٢ هـ.
- شرح ابن جبريل، زين الدين (ت نحو ١٠٥٤ هـ)، (تحرير دلفين)، باريس ١٨٨٥ م (١٣٠٢ هـ)، الطبعة الثانية ١٨٨٦ م.
- شرح الكفراوي، حسن بن علي (ت ١٢٠٢ هـ)، بولاق ١٢٤٢، ١٢٤٨، ١٢٤٩ (٢)، ١٢٥٢، ١٢٥٧، ١٢٦٢، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٩ هـ؛ القاهرة (المطبعة الكاثوليكية) ١٢٨٠، ١٢٩٨ هـ؛ القاهرة (مطبعة المعارف المصرية) ١٢٨٦ هـ؛ القاهرة (المطبعة الحسينية) ١٢٩٦ هـ؛ القاهرة (مطبعة عثمان عبد الرزاق) ١٣٠١ هـ؛ القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٣٠١ هـ؛ القاهرة (المطبعة الأزهرية) ١٣٠٢ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٣ هـ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٥، ١٣١١ هـ؛ القاهرة ١٢٩٢، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٣٠٦، ١٣١٤ هـ.
- حاشية أبي النجا الطننداعي، محمد مجاهد (الْفَتْحُ نحو ١٢٣٣ هـ)، القاهرة ١٢٨٤، ١٢٩٩، ١٣٠١، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٤٢، ١٢٤٤ هـ؛ تونس ١٢٨٤ هـ.
- شرح الباجي (البيجي) المسعودي، أبو عبد الله محمد (ت ١٢٩٧ هـ)، راجع سركيس (معجم =

- = المطبوعات العربية) ص ١٧٤٤ .
- شرح أحمد بن زيني دحلان (ت ١٣٠٤ هـ)، القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٢٩٧، ١٣١١، القاهرة (مطبعة محمد مصطفى) ١٢٩٩ هـ؛ القاهرة (مطبعة شرف) ١٣٠١ هـ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٥، ١٣٠٦ هـ؛ القاهرة ١٣٠٤، ١٣٤٤ هـ، مكة ١٣١٤ هـ .
- شرح العجيمي، عبد الله بن عثمان (أتمها سنة ١٣٠٧ هـ)، مكة ١٣١٣ هـ؛ القاهرة ١٣٤٦ هـ .
- عوائد الصلة الربانية لعبد الرحيم السيوطي (ت ١٣٤٢ هـ)، القاهرة ١٣٣٥ هـ .
- شرح (متن) الأجرومية لهاشم بن الشحات الشرقاوي، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٢٦ هـ .
- شرح العشماوي، عبد الله بن فاضل، بولاق ١٢٨٧ هـ؛ القاهرة ١٢٩١، ١٢٩٨، ١٣٠٢، ١٣٠٤ هـ؛ القاهرة (المطبعة العلمية) ١٣١٠، ١٣٤٤ هـ؛ راجع أيضاً سركيس (معجم المطبوعات العربية)، ص ١٣٢٩ .
- شرح النووي: «كشف المروطية عن ستار الأجرومية»، لمحمد عمر النووي، القاهرة (مطبعة شرف) ١٢٩٨ هـ؛ القاهرة ١٣٢٦، ١٣٤٢ هـ .
- شرح القادر (؟) الفاسي علي مقدمة الأجرومية....
- *** شروحٌ وحواشٍ على شروحٍ وحواشٍ :
- (أ) على شرح الشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى (ت ٩٠٥ هـ):
- حاشية أبي النجا محمد الطنطاوي (فرغ من تأليفها سنة ١٢٢٣ هـ)، بولاق ١٢٨٤ هـ؛ (تحرير كارلتي)، تونس ١٢٩٠ هـ؛ القاهرة ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣١٢ هـ؛ القاهرة (المطبعة العلمية) ١٣١٧ هـ؛ القاهرة ١٣٢٠ هـ، ثم طبعات أخرى .
- حاشية حسن المطار (ت ١٢٥٠ هـ)، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٧ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٧ هـ أيضاً؛ القاهرة (المطبعة العلمية) ١٣١٥ هـ .
- (ب) على شرح حسن بن علي الكفراوي (ت ١٢٠٢ هـ):
- حاشية إسماعيل بن موسى الحامدي (ت ١٣١٦ هـ)، بولاق ١٢٩٠ هـ؛ القاهرة (المطبعة الكاستيلية) ١٢٨٠، ١٢٨٣ (؟)، ١٢٩٨ هـ؛ مصر ١٣٠٤ هـ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣١١ هـ؛ القاهرة ١٣١٤ هـ .
- فوائد الطريف والتالذ، لعبد الرحيم بن عبد الرحمن الجرجاوي (ت ١٣٤٣ هـ)، القاهرة ١٣١٨ هـ .
- حاشية أحمد بن محمد الحاج، فلس ١٣١٥ هـ (؟) .
- منحة الكريم الوهاب وفتح باب النحو للطلاب = حاشية لأحمد بن أحمد التجاري الديماطي (ت بعد ١٣٠٩ هـ)، بولاق (بهاشم شرح الكفراوي) ١٢٤٨ هـ؛ ١٢٨٢، ١٢٩١، ١٢٩٢ هـ (؟) .
- (ج) متفرقات:

- الكواكب الدرية في شرح منمنمة الأجرومية للخطّاب (٩)، تأليف محمد بن أحمد بن عبد الباري الأهدل (ت ١٢٩٨ هـ)، بولاق ١٣١٢ هـ؛ القاهرة (مطبعة محمد مصطفى) ١٣١٢.
- حاشية على شرح النووي (٩) للأجرومية، لمحمد معصوم بن سليم السمراني، القاهرة ١٣٢٦ هـ، ١٣٤٢ هـ.
- شرح (متن) الأجرومية، لهاشم بن السّحات الشرفاوي، وعليه تقييدات وجيزة وشروح لما يجب التنبيه عليه عزيزة، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٢٦ هـ.
- حاشية على شرح أبي العباس أحمد بن محمد السوداني على مقدّمة ابن أجروم، تأليف محمد المهدي بن محمد الوزّاني، فاس ١٢٩٨ هـ.
- تقريرات على حاشية أبي النجاء على شرح الأزهرى على الأجرومية، تأليف محمد بن محمد الأنباري (ت ١٣١٣ هـ)، القاهرة ١٢٨١، ١٣٠٢، ١٣١٩ هـ.
- الدرّة البهية في نظم الأجرومية ليحيى بن نور الدين المعريطي (ت بعد ٩٨٩ هـ)، لكهوه (الهند) ١٢٦٠ هـ؛ كاونبور (الهند)، «في مجموع» طبع حجر) ١٢٩٠ هـ؛ القاهرة ١٢٨٧ هـ، ١٣٠٢، ١٣٠٩، ١٣٤٤ هـ؛ مع حاشية الباجوري ١٢٩٧ هـ.
- المنظومة السّنة لما يُسمّى متن الأجرومية، لعلي بن عبد الله السمرّاني الطرابلسي (الليبي)، مصر (مطبعة شرف - طبع حجر) ١٣٠٧ هـ.

بغية الوعاة ١٠٢-١٠٣؛ شذرات الذهب ٦: ٢٦؛ نفع الطبيب ٧: ١٢٧؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٩٧؛ بروكلمن ٢: ٣٠٨-٣١٠، الملحق ٢: ٣٣٢-٣٣٥؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٦٣ (٣٢)؛ سركيس ٢٥-٢٦؛ النبوغ المغربي ٣١٠.

ابن الفخّار الجذامي النحوي

١- هو أبو بكر (أو أبو عبد الله) محمد بن علي بن محمد البيري (الإلبيري) النحويّ الجذامي المالمقي الشريشي، وُلِدَ في أُرْكُشَ (بَلْدَة قُرْبَ شَرِيشَ على وادي لَكُه)، نحو سَنَةِ ٦٣٠ (١٢٣٢-١٢٣٣ م) وفيها نشأ. وقد تَطَوَّفَ في بُلْدَانٍ كَثِيرَةٍ وتلقّى العِلْمَ عن رجالها^(١): استولى الإِسْبَانُ على أُرْكُشَ سَنَةِ ٦٤٨ (١٢٥٠ م) فانتقل إلى شَرِيشَ.

(١) لم أذكر الأشخاص الذين أخذ عنهم ابن الفخّار لأنّ السيوطي (ت ٩١١) ذكر في بغية الوعاة أن من شيوخ ابن الفخّار (ت ٧٢٣) علي بن إبراهيم السكوني وأبا عبد الله بن خنيس (٦٢٥-٧٠٨ هـ) وأبا الحسين بن أبي الربيع (ت ٦٨٨) والأندلي وابن الصائغ (٧١٠-٧٦٦ هـ) وأما عمر بن حوط الله أو حوطه (٥٤٣-٦١٢ هـ). وعدد من هؤلاء، كما يتضح من تاريخ وفاتهم لا يمكن أن تنسح حياتهم مع حياة ابن الفخّار.

واستولى الإسبان على شريش، سنة ٦٦٣ (١٢٦٤ م) فانتقل إلى الجزيرة الخضراء .
وحُصِرَت الجزيرة الخضراء ، سنة ٦٧٧ (١٢٧٨ م)، ولكنَّ الأندلسيين وأحلافهم
المُرينيين استطاعوا إبادة الأسطول الإسباني . وزارَ سَبْتَةَ في العُدوة الإفريقية، ثُمَّ
استوطن مَالَقَةَ وتصدَّرَ فيها للإقراء ، وظلَّ يُقرىء فيها إلى وفاته، سنة ٧٢٣
(١٣٢٣ م).

٢- كان ابنُ الفَخَّارِ الجُدَامِيُّ عالماً بالقراءاتِ والتفسيرِ وبالفقهِ والحديثِ والأدبِ ،
وكان الآيةَ الكُبرى والإمامَ المُجمَع على إمامته في فنِّ العربية (النحو) المفتوحَ عليه من
الله حِفْظاً وإطلاعاً ونَقْلاً وتَوْجِيهاً بما لا مَطْمَعُ فيه إِسواه (نفع الطيب ٥ : ٦٠٤ ، ٧ :
١٦٥) ، وكان شيخَ النُّحَوِيِّينَ لعهده وسيبويه زمانه (نفع الطيب ٥ : ٧٥ ، ٣٨٣) . وله
شِعْرٌ عليه جفافُ شِعْرِ العُلَمَاءِ . وله من التَّأليفِ : تَفسير (سورة) الفاتحة - شرح الرسالة (في
الفقه المالكي) - شرح مشكلات سيبويه - الردُّ على مَنْ نسب رفع الخبر بـ « لا » إلى
سيبويه - تحريم الشُّطْرَج ، وغيرها .

٣- مختارات من آثاره

- قال ابن الفَخَّارِ الجُدَامِي النحوي في الوصف :

انظُرْ إلى وَرْدِ الرِّياضِ كَأَنَّهُ دِياجُ خَدٍّ في بَنانِ زَرْجَدٍ^(١) .
قد فَتَحَتْهُ نَصارةٌ فبدا له في القلبِ رَوْنَقُ صُفْرةٍ كالصَّجْدِ .
حَكَّتِ المِجَنَّبُ خَدَّ حَبِّ ناعمٍ ، والقلبُ يَعْكِي قلبَ صَبٍّ مُكَمَّدٍ^(٢) .

- ولابن الفَخَّارِ نصُّ نحوي (نفع الطيب ٥ : ٣٥٥-٣٥٦) :

وَرَنْ «إجازة» في الأصلِ إجازةٌ فَأَعْلَتْ بِنَقْلِ حَرَكَةِ الواوِ إلى الجيمِ حَمَلًا على
الفعلِ الماضي أَسْتَقْلا^(٣) . فتمَحَرَّكَتِ الواوُ في الأصلِ وانفَتَحَ ما في اللفظِ فصارت

(١) البان جمع بئانة: إصبع (أو عقدة الإصبع) . زبرجد: حجر كريم أخضر . بنان زبرجد: أطراف
الكلى (في الزهرة) الغلاف الأخضر الذي يلف الزهرة قبل تنفتحها .

(٢) الحب (بالكسر): المبوب . الصب: الحب .

(٣) جذر هذا الفعل «جوز» ، استقل العرب لفظه فقالوا: جاز . وكذلك صيغة إفعالة يجب أن تكون =

« إجازة - بالقي - فحذفت الألف الثانية عند سبويه لأنها زائدة، والزائد أولى بالحذف من الأصلي^(١). وحذفت (الألف) الأولى عند الأخفش لأنها تدل على معنى، وهو المد. وقول سبويه أولى لأنه قد ثبت عوض اللاء من المحذوف في نحو «زنادقة»^(٢)، وتعويض الزائد من الزائد أولى من تعويض الزائد من الأصلي للتناسب. ووزنها في اللفظ عند سبويه إفعلة، وعند الأخفش إفالة، لأن العين محذوفة^(٣) ».

٤ - ** الكنية الكامنة ٧٠ - ٧١؛ بغية الوعاة ٢٨٠؛ درة المجال ٢: ٨٣ - ٨٦؛ نفح الطيب ٥: ٧٥، ٣٥٥ - ٣٥٦، ٣٧٨ - ٣٨١، ٦٠٤؛ الأعلام للزركلي ٧: ١٧٥ (٦: ٢٨٤).

القَبْدري صاحب الرحلة

١ - هو أبو محمد محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن مسعود (أو سمود) البلسي الشهير بابن المعلم؛ لا نعرف من أحداث حياته إلا ما أشار إليه هو في ثنايا «رحلته» التي كان قد بدأها من بلاد قبيلة حاحّة (في المغرب) في الخامس والعشرين من ذي القعدة من سنة ٦٦٨ (١٢/١١/١٢٨٩ م). وقد سمع في أثناء رحلته من نفر من العلماء منهم في تونس الحاضرة عبد الله بن هرون الطائي، كما تسلّم فيها الحريقة من الشيخ أبي محمد عبد

- = « إجازة »، وقد وجدها العرب ثقيلة على اللفظ أيضاً فعاملوها معاملة الفعل الماضي وقالوا « إجازة ».
- (١) في فقه اللغة (فلسفة النحو): إجازة تصبح بقلب الواو ألفاً (مناسبة حركة الميم في الفعل جوز): « إجازة (الألف الأولى مقبولة عن واو إجازة، والألف الثانية من أصل الصيغة أفعالة). وكان سبويه (ت ١٨٠ هـ) يرى أننا حذفنا الألف الأولى المقبولة عن الواو (لأن هذه الألف زائدة: ليست من أصل الصيغة). أما الأخفش (الأصغر؟: أبو الحسن المتوفى ٣١٥ هـ) فيرى أن الحذف يجب أن يتناول الألف الثانية (وإن كانت أصلية في بناء صيغة إفعالة) لا الألف الأولى (وإن كانت غير أصلية) ذلك لأن هذه الألف الأولى الزائدة ضرورية لأنها تقرر حركة الميم.
- (٢) زنديق تجمع على زناديق (مثل: تلميذ: تلاميذ، وأستاذ: أساتيد) وقد تحذف الياء الزائدة في المفرد «زنديق»، ويجعل مكانها تاء زائدة (في الجمع) فتصبح زنادقة مثل تلامذة وأساتذة ومعائلة إلخ.
- (٣) عين الفعل هي الحرف الثاني في جذر الفعل الثلاثي: فعل. فهي جاز (وأصلها جوز) تكون عين الفعل هي الواو.

الله بن يوسف الأندلسي. وسمع في القيروان من أبي زيد عبد الرحمن بن الأشدي. ثم سمع (في مصر) من شرف الدين الدُمياطي وابن دقيق العيد وزين الدين بن المنير. ولا يبعد أن تكون وفاته نحو سنة ٧٢٥ (١٣٢٥ م). ويبدو أنه قد قضى جانباً كبيراً من حياته في المغرب حتى عُرف أيضاً باسم «الحيجي» (نسبة إلى حاحة) وحتى كان ميله إلى المرينيين أصحاب المغرب الأقصى أكثر منه إلى بني عبد الواد أصحاب المغرب الأوسط.

٢- للمبدري «رحلة» عنوانها «ملئ العينة فيما آجتمع بطول العينة في الرحلة إلى مكة وطينة» أو «ما سما إليه الناظر المطرق إلى بلاد المشرق. وتُعرف عادة باسم «الرحلة المغربية».

هذه «الرحلة» قليلة الابتكار قليلة الفوائد الجغرافية فقد أخذ العبدري كثيراً من أوصاف البلدان عن الجغرافيين المتقدمين، إلا أنه يصف البلدان التي مر بها من النواحي العمرانية والاقتصادية والعلمية ثم يعرف عدداً من علماء القرن السابع ومن أدبائه ويورد أشياء من نتائجهم مع شيء من النقد. وكان جُلُّ اهتمامه بحال الثقافة والتدريس وخصوصاً في المغرب.

٣- مختارات من آثاره

- من مطلع الرحلة:

..... وبعد: فلاني قاصدٌ، بعد استخارة الله سبحانه، تقييداً ما أمكن تقييده ورسم ما تيسر رسمه وتسويده مما ساء إليه الناظر المطرق في خير (٩) الرحلة إلى بلاد المشرق من ذكر بعض أوصاف البلدان وأحوال من بها من القطان حسناً أدركه الحس والعيان وقام عليه بالمشاهدة شاهد البرهان من غير تورية ولا تلويح، ولا تقييد حسن ولا تحسين قبيح، بلفظ قاصد لا يخجم مفرداً ولا يجمع فيتمدى المدى، مسطراً لما رأيته بالعيان ومقرراً له بأوضح بيان حتى يكون السامع لذلك كالمبصر وتلحق فيه السابة بالخصر فتشفي به نفس المتطلع المتشوق ويقف منه على بغيته السائل المتعرف. وأذكر مع ذلك ما استفدته من خبر وأنشدته من دُرر وأثبت في خلال ذلك من نظمي

ما يُقْلِلُ إليه الكلام..... وأضيف إلى ذلك ما يَضْطَرُّ إليه التبيانُ فيما قَصَرَ فيه
 الميانُ مِنْ بُبْدِ مذكورة وتُتَفَ مشهورة وتُكْتَب مرسومة في الكُتُبِ مسطورة شَمِيعاً لِفَرَضِ
 التَقْيِيدِ وتعميماً لأَرْبِ المُسْتَفِيدِ حَتَّى يَكُونَ التَّأْلِيفُ في بابِه مُغْنِياً وَعَنِ الافتقار إلى غيره
 مُسْتغنياً، مُثَبِّتاً في كُلِّ رَسْمٍ بعضَ الأحاديثِ التي رَوَتْهَا والآثارُ التي وَعَيْتَهَا.....
 كَانَ سَعَرْنَا - تَقَبَّلَهُ اللهُ - في الخامس والعشرين من ذي القعدة عام ثمانية وثمانين
 وَسِتِّمِائَةٍ، ومَبْدَأَهُ من حَاجَةِ صَانِهَا اللهُ....
 - من طرابلس إلى تونس (ص ٦٩):

ثُمَّ وَصَلْنَا إلى مدينة إَطْرَابُلُسَ، وهي للجهل مَأْتَمٌ وما فيها للعلم غَرَسٌ: أَفْقَرَتْ
 ظاهراً وباطناً. وَذَمَّهَا الخَبِيرُ بِهَا سائِراً وَقَاطِناً^(١). تَلَمَّعُ لِقَاصِدِهَا لَمَعَانُ البرقِ الخَلْبِ
 وَتُرِيهِ ظاهراً مُشْرِقاً والباطنُ قد قَطَبَ، اكْتَنَفَهَا البحرُ والقَفَرُ، واستولى عليها -
 من عُرْبَانِ^(٢) البرِّ ونصارى البحر - النِّفَاقُ والكُفْرُ..... لا ترى فيها شجراً ولا
 ثَمراً، ولا نخوضاً في أرجائها حَوْضاً ولا نَهْراً. ليس على ناشئٍ منهم فضلٌ لذي شَيْبَةٍ
 ولا لذي الفضلِ بَيْنَهُمْ هَيْبَةٌ: ترى أجساماً حاضرةً والعقلُ في عَقْلِ^(٣).. غِيَابَاتِ
 الغَيْبَةِ..... وأهلُ تُونُسَ في طَرَفِي نَقِيزٍ: أولئك في الأوجِ وأولاءُ في الحضيضِ.
 ولم أَرِ بِهَا ما يروقُ العيونَ وسَمِعْتُ عن أن يُقَوِّمَ بالدونِ، سوى جامعها ومدرستها، فإنَّ
 لَهَا من حُسْنِ الصُّورَةِ نَصِيباً ومن إِتْقَانِ الصَّنْعَةِ سَهْماً مُصِيباً. وما رأيتُ في الغَرْبِ
 مثلاً مدرستها المذكورة لولا أن محاسنها مقصورة على الصورة، فما يَشِبُّ بِهَا للعلم طِفْلٌ
 ولا يَحِجُّ صَرُورَةً^(٤)..... وقد حَضَرَتْ بِهَا تَدْرِيسُ الشَّيْخِ المُنِىِّ القَاضِي الخَطِيبِ أَبِي
 مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ السَّيِّدِ^(٥) - وهو بيتُ قَصِيدِهِمْ وَكَبَشُ كَتِيبَتِهِمْ^(٦) ووَاسِطَةُ قِلَادَتِهِمْ

(١) سائراً (مارّاً، مسافراً) وقاطناً (ساكناً في البلد).

(٢) العُرْبَانُ: الغُربون (ما يدفعه الشترى مقدماً لحفظ حقّه في السلمة المطلوبة) - راجع تاج العروس
 (الكويت) ٣: ٣٢٧، العمود الثاني، السطر الثامن ثم ٣٥٠ في أسفل العمود الأول، ثم ٣٥١، العمود
 الأول، السطر ١٣. والباس يقولون: عُرْبَان (بمعنى الأعراب، البدو).

(٣) العقل: القيد، الرباط. الغيبة (بالفتح): القفر.

(٤) الصرورة: الذي لم يتزوج ولم يحج.

(٥) ابن عبد السيد.....

(٦) كبش الكتبية الخ: أكبر الرجال في قومه وأشهرهم وأقواهم الخ.

وَأَنْفُ سِيَادَتِهِمْ، ذُو سَمْتٍ وَوَقَارٍ، وَقَدْ أَثَّرَ الْكِبَرُ فِي جِسْمِهِ، كَثِيرُ الْمَوَاطِبَةِ لِلْمَسْجِدِ وَالذِّكْرِ، خَيْرٌ فِي دِينِهِ - وَمَا كُنْتُ آتِيهِ بَعْدَ مَا رَأَيْتُهُ إِلَّا بِقَصْدِ الدُّعَاءِ لِأَنَّهُ ضَيْقُ الْخَلْقِ لَيِّنُ النَّظَرِ وَفِي لِسَانِهِ حَسَنَةٌ لَا يَكَادُ يُفْهَمُ مَعَهَا. وَقَدْ اسْتَفْرَغْتُ جُهْدِي وَقَتَ إِقْرَائِهِ وَفِي تَفْهَمٍ مَا يَقُولُ فَمَا فِهْمَتُهُ إِلَّا بَعْدَ مُدَّةٍ. وَأُظَنُّهُ لَا رِوَايَةَ لَهُ. فَإِنِّي سَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَأَبْنَاهُ جَوَابَهُ وَتَسَمَّرَ. وَحَاوَلْتُ مُدَاخَلَتَهُ فَصَدَّقَنِي عَنْ ذَلِكَ بِشَكَاسَتِهِ وَجَهَامَةِ لِقَائِهِ

- ٤- الرحلة المغربية (حققها محمد الفاسي)؛ الناشر: جامعة محمد الخامس (الرباط)
 ١٩٦٤ م؛ (حققها ابن جدو).
 * جذوة الاقباس (فاس) ١٩٩٩؛ درة الحجال ١: ١٢٤؛ تاج العروس (الكويت) ٣: ٣٧٩؛
 نفع الطب ٢: ٤٨٣، ٥٨٩؛ العربي (أكتوبر ٦٩) ص ١٤٢؛ نيل الابتهاج ٦٨؛ بروكلين
 ١: ٦٣٤، الملحق ١: ٨٨٣؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ٩٦.

ابن عذارى المراكشي

- ١- هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عذارى، أصله من الأندلس. وسكن مراكش وكان قائد فاس (حاكمها)، توفى نحو ٧٢٠ هـ (١٣٢٥ م).
 ٢- ابن عذارى المراكشي مؤرخ حكيم دقيق محب للإيجاز والتنسيق المنطقي مع تقييد كامل للحوادث في كتابه بتواريخها. له البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب^(١)، كان لا يزال يعمل فيه في سنة ٧١٢ هـ (١٣١٢ م). وله تاريخ الشرق، ولكن لم يصل إلينا.

٣- مختارات من آثاره

- من مقدمة «البيان المغرب»:
 وبعد- جعلنا الله من نظر فاعتبر ووعظ فازدجر^(٢)- فإن خير ما شغلنا

(١) هذا هو العنوان المذكور في مقدمة الكتاب.

(٢) ازدجر: رجع عن اقتراف الذنب.

به الأذكارُ والأفكارُ وتحدثتُ مَعَهُ بالليلِ والنهار^(١) حِفْظُ ما أفادَ من العلوم والأخبار. وإنَّ خَيْرَ ما رَیْتُنا^(٢) به النفوسُ البَشِریَّةُ مُجالِسةُ العلماء والأخبارُ ومذاکرَةُ الأدباءِ ذَوِي الهِمَمِ وَعُلُوُّ المِقدارِ، ففِی مُجالِستِهِمْ ومُذاکرتِهِمْ ما یَنحَرُّ الذَّهَنُ ویُنَوِّرُ الأفکارَ. فإنَّ قَدَرَتِ مُجالِستُهُمْ فلا عِوَضَ مِنْها غَیرُ کتابٍ یَتَخَذُهُ (الإنسان) جلیسَهُ ویَجِدُهُ فی کُلِّ وَقْتٍ أَنیسَهُ.... وطلب بعضهم إلیَّ - مَنْ یَجِبُ إِکرامُهُ عَلَیَّ - أنْ أجمَعُ لَهُ کتاباً مُفرداً فی أخبارِ البلادِ الغَریبَةِ علی سبیلِ الإِيجازِ والاختصارِ... فلم یُمكنی التوقُّفُ فی ذلك ولا الاعتذارُ... فجمعتُ لَهُ فی هذا الکتابِ نُبْذاً ولُمَعاً من عیونِ التواریخِ والأخبارِ ممَّا أجزى اللهُ بِهِ تصاریفَ الأقدارِ فیما مرَّ من الأزمنةِ والأعصارِ، فی بلادِ المَغربِ وما والاها من الأقطارِ: جمعتُ ذلك من الکتابِ الجلیلةِ مُقتَضِياً من غیرِ إسهابٍ ولا إکثارٍ^(٣). فاقطعتُ عیونَها واقتضیتُ فنونها. ووصلتُ الحديثَ بالقديمِ، والقديمَ بالحديثِ، لأنَّهُ إذا اتَّصَلَ یُسْتَظَرَفُ ویُسْتَحْلَى، كما قال بعضهم:

وَسَمِيتُ كُلَّ مَآرِبٍ فَكَأَنَّ أَطْيَها خَيْثُ،
إِلَّا الْحَدِيثُ فَإِنَّهُ عِنْدَ اسْمِهِ أَبَدًا حَدِيثُ^(٤)

.... وَلَمَّا كَمُلْتُ ما قَدَّيْتُهِ وَجَرَدْتُهُ جَزَّيْتُهُ على ثلاثةِ أَجزاء، كُلُّ جِزءٍ مِنْها قائمٌ بِنَفْسِهِ لِيَكُونَ لِمُطالَعِهِ أَوْضَحُ بَيانٍ وَأَسْهَلُ مَرَامٍ لَدَى العِيانِ. وَسَمِيتُهُ بِالْبَيانِ المَغربِ في اختصارِ أخبارِ ملوكِ الأندلسِ والمَغربِ. أمَّا الجِزءُ الأوَّلُ فاختصرتُ فِيهِ أخبارَ إفريقيَّةٍ من حينِ الفَتْحِ الأوَّلِ إلى خِلافةِ أميرِ المؤمنينِ عُثْمانِ بْنِ عَفَّانَ ثُمَّ أخبارَ أُمَرائِها من وِلاَةِ الخُلفاءِ الأُمويِّينَ وَمَنْ دَخَلَ المَغربَ مِنْهُمْ وَمَنْ قامَ بِإِفريقيَّةٍ.... إلى حينِ ابتداءِ الدُولَةِ المُمُتُونِيَةِ المُرابطِيَةِ^(٥). والجِزءُ الثاني اختصرتُ فِيهِ أخبارَ جِزيرةِ

(١) وتحدثتُ مَعَهُ « قلفةً هنا.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: رَوْضُنَا (بالواو)، أي دَلَّلَها، عَوَّدَها، مَرَّناها على...

(٣) البلاد الغريبة: المغربية (بالإضافة إلى الشرقية).

(٤) اقتضب الكلام: قطعه. والمقصود هنا: اختصره. الإسهاب: الزيادة في الألفاظ من غير زيادة في المعاني.

(٥)

(٦) الغرب (إفريقية والأندلس). قام بأفريقية (حكمها). الدولة المرابطية (من بني لمتونة) قامت نحو سنة

٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م).

الأندلس وأغلاكمها الغابرين الدُرسَ من حين الفتح الأول ثم من وليها من الأمراء للخلفاء الأمويين بالشرق ثم من قام بها من العرب الفهريين إلى حين دخول الخلفاء الأمويين^(١) ومن قام عليهم من الثوار الأندلسيين... وذكرت فيه أخبار ملوك الطوائف بعد انقضاء دول الخلائف... وغيرهم من الرؤساء الأندلسيين، وكل ذلك إلى حين دخول لَمْتُونَة إلى الأندلس سنة ٤٧٨. والجزء الثالث اختصرت فيه أخبار (ملوك) الدولة الموحّدية... واستيلاءهم على (ممالك) أمراء المغرب والأندلس... وذلك إلى حين انقراض الدولة المرابطية وابتداء الدولة الموحّدية ثم ما تَخَلَّلَ بعد ذلك للموحّدين... وذكرت الدولة الحفصية... في البلاد الإفريقية والدولة الهودية (والدولة) النُصيرية في البلاد الأندلسية، والدولة السعيدة المرينية في البلاد الغربية، اختصرت من ذلك كله ما اشتهر أمره وأمكنني ذكره... وذلك إلى انقضاء الدولة الموحّدية واستيلاء الإمارة اليوسفية المرينية على حضرتهم المراكشية، وذلك على مرور السنين إلى عام ٦٦٧....

٤- البيان المغرب: الجزء الأول والجزء الثاني (دوزي)، ليدن (بريل) ١٨٤٨-١٨٥١ م؛ (كولان ولفي بروفسال)، ليدن (بريل) ١٩٤٨-١٩٥١ م؛ بيروت.... الجزء الثالث^(٢) (أ. لمي بروفسال)، باريز (بولس كنسالكنتي) ١٩٣٠ م؛ القسم الخاص بتاريخ الموحّدين (تحقيق أمبروسي هوسي ميراندا وساهمة محمد بن تاويت ومحمد إبراهيم الكتّاني)، تطوان ١٩٦٠ م؛ قطعة من تاريخ المرابطين ١٩٦٧ م.

★ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٠٥-٨٠٦؛ بروكلمن ١: ٤١١-٤١٢، الملحق ١: ٥٧٧؛ الأعلام للزركلي ٧: ٣١٤ (٩٥)؛ مركس ١٧٢.

ابن أبي زرع

١- هو، في الأغلب، أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن عمر بن أبي زرع، كان من أهل فاس يحترف التوثيق فيها، وفيها توفي بعد ٧٢٦ (١٣٢٦ م).

(١) الفهريون: القرشيون. يشير إلى النزاع في أيام يوسف الفهري (راجع فوق ٤٤-٤٥، ٤٨-٤٩) دخول الخلفاء الأمويين، ابتداء من عبد الرحمن الداخل، سنة ١٣٨ هـ (٧٥٦ م).
(٢) حوادث هذا الجزء المطبوع تنقذ من سنة ٣٩٢ إلى سنة ٤٥٧ هـ (١٠٠٢-١٠٦٥ م).

٢- كان ابنُ أبي زرعٍ عدلاً في التوثيق كما كان مؤرخاً نزيهاً وصلَّ إلينا منه «الأنيسُ المطربُ» بروضِ القرطاس في أخبارِ ملوكِ المغرب وتاريخِ مدينته فاس، وهو يتناولُ تاريخَ المغرب من قيام الدولة الإدريسية (سنة ١٧٢ هـ) إلى سنة ١٧٢٦ هـ وقد ألفه للسلطان أبي سعيد عثمان المرنيسي (٧١٠ - ٧٣١ هـ)، وكان أبو سعيد هذا من أهل العلم والمعرفة. ويبدو أن ابنَ أبي زرعٍ قد عرَّف كثيراً من «البيان المغرب» لابنِ عذارى^(١). وكذلك وصلَّ إلينا اسمُ كتابِ آخر لابنِ أبي زرعٍ هو «زهرة البستان في أخبار الزمان».

٣- مختارات من آثاره

الحمد لله مُصرفِ الأمور بمشيئته وتديره ومُسَهِّلِ المسير بتوفيقه وتيسيره، ومُنْدِعِ الأشياء بحكمته وتصويره^(٢)، خالقِ الخلق بقدرته وباسطِ الرزق بتقديره^(٣)...

أما بعدُ- أطال الله بقاء مولانا الخليفة الإمام مُغلي الإسلام ورافعه ومُدلِّل الكُفر وقامعه^(٤)... أبي سعيد عثمان بن مولانا... أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق^(٥)... إني لما رأيتُ مكارمَ دولته السعيدة مقامَ سعادة^(٦) أطالها الله وخلدَها وأعلى كلمتها وأيدها تنظُمَ نظمَ الجمان^(٧) وصوّرَ إحسانها ثلثي بكلِّ لسان... أردتُ خدمةَ جبالها والتقربَ إلى كمالها والتفويُّ بظلالها والورودَ من عذب زلالها^(٨) بتأليفِ كتاب

(١) راجع بروكلمن، الملحق ٢: ٣٣٩، السطر السادس من أسفل..- ليس بين يديّ «روض القرطاس» لأقارن مادته بجادة «البيان المغرب».

(٢) مدع الأشياء: خالقها (من العدم). تصويره: إعطائه لها شكلاً مخصوصاً.

(٣) بسط الرزق (وسمه) بتقديره (على ما أراد عما يجب).

(٤) قمع: ضرب بالقمعة (بكرس أوله): عصا من خشب أو حديدية رأسها مكوّج بضرب بها الحيوان ليسرع أو ليهذأ.

(٥) أبو عثمان سعيد بن يفسراش بن زيان سلطان من سلاطين بني عبد الواد في تلمسان (٦٨١-٧٠٣ هـ) وأبو يوسف يعقوب المنصور سلطان الموحدين (٥٥٨ - ٥٨٠ هـ).

(٦) مقام سعادة (مكان سعيد من يكون فيه أو يأتي إليه).

(٧) أيدها: ساعدها وجعلها قوية. الجمان (بالضمة) اللؤلؤة الكبيرة.

(٨) الورد (المهيء إلى الماء): الشرب. المذب: الحلو. الزلال: الصافي العذب.

جامع لطيف الأخبار^(١) وملح الآداب يحتوي على غرر من التاريخ وعجائبه ونوادير الآثار وغرائبه يُخبرُ بِبُذُرِ من أخبار ملوك المغرب المتقدمين وأمرائه الماضين وأمه السالفين وتاريخ أيامهم وذكر أنسابهم وأعمارهم وسيرهم وغزواتهم وأحوالهم في دولتهم وما رَسَموه بالمغرب من المراسم وصنَعوه من المصانع والمعالِم وفتحوه من البلاد والأقالِم^(٢) وبَنَوْه من الحصون والمدن والمكازم... من أوَّل دولة الأمير إدريس بن عبد الله الحسني إلى هذا الأوان^(٣)....

فألفتُ هذا المجموعَ المُتَّصِبَ اتَّصَيْتُ جواهره من كُتُبِ التاريخ المُعْتَمَدِ عليها وَجَمَعْتُ شوارِدَها عن مهَادِ المَعُولِ على مُحْتَمَا^(٤) والمرجوع إليها سوى ما رَوَيْتُهُ عن أشياخِ الحُفَاطِ والكَتَّابِ وَقَيْدَتُهُ عن الرواة الثقات الأُنْجَابِ. وَحَذَفْتُ فِيهِ الْأَسَانِيدَ خِيفَةَ الْإِكْثَارِ وَالْإِمْتِدَادِ^(٥). وَتَرَكْتُ التَّسْهِيبَ^(٦) والتَّطْوِيلَ، وَتَحَنَّنْتُ الْإِخْتِصَارَ والتَّخْفِيلَ.

٤- الأنيس المطرب بروض القرطاس.... (تورنبرغ)، أبسالاً ١٨٤٣-١٨٤٦ م؛ فاس (طبع حجر) مراراً؛ فاس ١٣٠٣، ١٣٠٥، ١٣٠٧، ١٣١٣ هـ؛ (نشره محمد الهاشمي الفيلاي)، الرباط ١٣٥٥ هـ= ١٩٣٦ م.

*** ابن أبي زرع، تأليف عبد الله كَوْن، بيروت (دار الكتاب اللبناني)....

المكتبة العربية الصقلية ٤٠٣-٤٠٤؛ النبوغ المغربي ٢١٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٩٤-٦٩٥؛ بروكلن ٣: ٣١٢، الملحق ٢: ٣٣٩؛ الأعلام للزركلي ١٢١: ٥ (٤: ٣٠٥)؛ سركيس ٣٢.

-
- (١) لطيف مفعول به من «جامع».
 - (٢) المراسم: المراسم (جمع مرسوم): طريقة الإدارة أو الحياة، الخطة. المصنع: المكان بنى لجمع الماء. الملم: العلامة الواضحة (إشارة على الطريق والأبنية المشهورة). الأقالِم: الأقاليم (مناطق الأرض).
 - (٣) إدريس بن عبد الله (الأوَّل) أوَّل ملوك الدولة الإدريسية في وِليي في الغرب الأقصى (١٧٢-١٧٧ هـ). الأوان: الزمان، الوقت.
 - (٤) مهَادِ المَعُولِ على مُحْتَمَا (كذا في الأصل). المَحْ: خاص كل شيء (النفيس منه): المادَّة الصِّفْرَاء في البِيضَة.
 - (٥) الْأَسَانِيد..... الامتداد (كذا في الأصل). اقرأ: الإسناد... الامتداد أو: الأسانيد والتتمديد.
 - (٦) التَّسْهِيب: التَّطْوِيلُ فَمَا لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ.

ابن الزيات الكلاعي

١- هو أبو جعفر أحمد بن الحسن بن علي الكلاعي المعروف بابن الزيات، وُلِدَ في بَلَش مَالَقَة، في حدود سنة ٦٤٩ للهجرة (١٢٥١ م).

تلقى ابن الزيات الكلاعي العلم على نفر كثيرين منهم خاله الفقيه الحكيم أبو جعفر أحمد بن علي المذحجي، ومنهم عياض بن محمد بن عياض بن موسى، قرأ عليه بَلَش وأجازَ عياضُ له. وكذلك كان منهم أبو جعفر بن الزبير وأبو الحسن الصائغ النحوي وأبو الحسن بن أبي الربيع. وأخذ ابن الزيات طريقة التصوف عن أبي الحسن فضل بن فضيلة وتأدَّب به.

ودخل ابن الزيات الكلاعي غرناطة مراراً لطلب العلم في أول أمره ثم للقيام بأمور مختلفة عامة وخاصة، فقد استدعاه السلطان مرة^(١).

وكانت وفاة ابن الزيات الكلاعي في بلدَه بَلَش سَحَر يوم الأربعاء في السابع عشر من شَوَّال من سنة ٧٢٨ (١٣٢٨/٨/٢٥ م).

٢- كان ابن الزيات الكلاعي كريم الأخلاق مع مروءة وتواضع، كما كان كثير العبادة متصوفاً. وقد كان أيضاً خطيباً وبارعاً في عددٍ من فنون المعرفة كال تفسير والحديث واللغة والنحو والشعر. وكان له كتب كثيرة منها: لَذَّة (لذات) السَّمْع من (في) القراءات السَّبع - قُرَّة عين السائل وبُغية نفس الأمل (أرجوزة في اختصار البيرة النبوية) - رَصَف نفائس الآلي في وصف عرائس المعالي (في النحو) - قاعدة البيان وضابطة اللسان (في النحو) - شرف المهارق في اختصار المشارك^(٢) - المقام المخزون في الكلام الموزون.

(١) كان في وفد حل رسالة من سلطان غرناطة إلى ملك الإسبان (راجع نفع الطيب ٥١١: ٤، السطر الأول).

(٢) المهارق جمع مهرق (بضم فسكون ففتح) صحيفة بيضاء. التارق: كتاب التارق أو مشارق الأنوار للقاضي عياض بن موسى التوقى سنة ٥٤٤ هـ (راجع نفع الطيب ٢: ٢٣٢، ٦٦٥ على الأخص)، ٥٣٥: ٥، ٥٣٧. ثم أرجع إلى بروكلمان ١: ٤٥٧، الملحق ١: ٦٣٢)، وفيه: التارق أو مطالع الأنوار على صحيح =

- لأبي جعفر ابن الزيات الكلّاعي في مذهب أهل التصوّف (الإحاطة ١: ٣٠٢،

الكنية الكامنة ٣٦):

دَعْنِي عَلَى حُكْمِ الْهَوَى أَنْتَضِعْ، فَعَسَى يَلِينُ لِي الْحَبِيبُ وَيُخْتَضِعْ^(١).
إِنِّي وَجَدْتُ أَخَا التَضَرُّعِ فَائِزاً بِمُرَادِهِ، وَمِنْ الدُّعَا مَا يُسْمَعُ.
فَأَمَحُ اسْمَ نَفْسِكَ طَالِباً إِثْبَاتِهِ، وَأَقْنَعُ بِتَفْرِيقِي لَعَلَّكَ تُجْمَعُ^(٢).
وَأَخْضَعُ، فَمِنْ أَدَبِ الْمُحِبِّ خُضُوعُهُ. وَلَرُبَّمَا نَالَ الْمُنَى مَنْ يَخْضَعُ.

- وقال في توحيد الله، يجمع بين أشياء من علم الكلام وأشياء من التصوّف، ثم جعل ذلك في خطبة ألّمني منها حرف الألف، على كثرة دوران حرف الألف في الكلام (الإحاطة ١: ٢٩٨ - ٢٩٩):

حَمِدْتُ رَبِّي جَلًّا مِنْ كَرِيمٍ مَحْمُودٍ، وَشَكَرْتُهُ عَزًّا مِنْ عَظِيمٍ مَوْجُودٍ... كَرِيمٌ لَوْ تَقَوَّمَ
فِي فَهْمٍ لَحْدُ^(٣)...، لَوْ فَهِمْتَ لَهُ كَيْفِيَّةَ لَبَطْلَ قَدَمِهِ^(٤)، وَلَوْ عَلِمْتَ لَهُ كَيْفِيَّةَ لِحْصَلِ
عَدَمِهِ^(٥). وَلَوْ حَصَرَهُ طَرْفٌ لَقُطِعَ بِتَجَسُّمِهِ^(٦)... عَظِيمٌ مِنْ غَيْرِ تَرْكُوبِ قُطْبِ^(٧)، عَلِيمٌ
مِنْ غَيْرِ تَرْثُوبِ فِكْرِ^(٨). مَوْجُودٌ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ يُصْبِكُهُ، مَعْبُودٌ مِنْ غَيْرِ وَهْمٍ يُذَرِكُهُ....

= (صحاح) الآثار (وهو كتاب للقاظمي عياض في الألفاظ الغريبة في الحديث مما جاء في الموطأ لمالك بن أنس وفي صحيح البخاري وصحيح مسلم).

- (١) الحبيب (هنا) هو الله تعالى (في الإدراك الصوفي)، ويمكن أن تعني عندهم «الرسول».
- (٢) في التصوّف: امح اسمك (تخصّصك في العالم البشري) طالباً إثباته (تحقيق نفسك في ذات الله). ثم اقنع بأن تدرك أنك مفترق (لت إثباته) لعلك تجمع معه (تصبح أنت وإياه واحداً: بزوال شخصيتك الإنسانية وبقاء الله وحده في الوجود).
- (٣) لو استطاع الإنسان أن يفهم الله لكان الله محدوداً (يحيط به فهم الإنسان).
- (٤) لو عرفنا كيف وجد الله لنا كان قديماً (بل لكان حادثاً مثل جميع الأشياء في الدنيا المادية).
- (٥) ولو علم الناس له كيفية (شكلاً) لأنعمهم (كما تنعدم جميع الأشياء التي لها أشكال - لأنّ العدم في الفلسفة هو تبدل الصور المختلفة على المادّة الواحدة).
- (٦) طرف: بصر، عين. (لو كان الله يرى لكان حساً، بلا شك).
- (٧) أنّ الله عظيم، كبير ولكن ليس له قطر (حدود: طول وعرض وعمق).
- (٨) الله عليم بكل شيء (ولكن من غير منهج فكري، كما يعرف الناس الأشياء).

الْقِيَجَاطِيّ

١- هو أبو الحسن عليُّ بنُ عمرَ بنِ إبراهيمَ بن عبد الله الكِنَافِيّ القِيَجَاطِيّ، نسبةً إلى بلدةٍ قِيَجَاطَة (أو قِيَشَاطَة) من أعمالِ جِيَّانَ (إلى الشرق من قُرُطْبَة).

وُلِدَ القِيَجَاطِيّ سَنَةَ ٦٥٠ للهجرة (١٢٥٢ م) وتلقَى العلمَ على أبيه وعلى نَفَرٍ منهم: عبدُ الله بنُ مُسَاعِدِ الصَّكَّائِي وأبو جعفر بن الصَّبَّاحِ وابن الصَّائغِ^(١) والأُبَيْدِيّ وأبو عليٍّ ابنُ الأحوص.

وفي سَنَةِ ٧١٢ للهجرة (١٣١٢ م) دُعِيَ القِيَجَاطِيّ إلى غَرْنَاطَة فأقرَأَ بالجامعِ الأعظمِ فيها القِراءاتِ والنحوَ والأدبَ، ووَلِيَ فيها الخطابةَ أيضاً. وقد نابَ عن بعضِ القضاةِ مُدَّةً وأذركَته الوفاةَ، في ٢٧ من ذي الحِجَّة من سَنَةِ ٧٣٠ (١٠/١١/١٣٣٠ م)، وهو على القضاء.

٢- كان أبو الحسن القِيَجَاطِيّ مُتَواضِعاً حَسَنَ الخُلُقِ فَكِيهاً حُلُوَ الحديث. وكذلك كان ذَكِيًّا بارِعاً في عددٍ من العلوم كالقِراءاتِ والنحوِ والأدبِ، وكان خَطِيْباً وشاعراً وناثراً وأستاذاً تَكَرَّرُ الاستِفادةُ منه. وقد كانت له تصانيفٌ، كما كان له شعرٌ ونثرٌ.

مختارات من شعره

- قال أبو الحسن القِيَجَاطِيّ في تَذَكُّرِ الشَّبابِ:

والعُمُرُ مثلَ البدرِ يبدو حُسْنُهُ حيناً، ويعقبُ بعدَ ذاكِ سرارُهُ^(٢).

(١) لم اُهند إلى شيءٍ من تراجم الأشخاص المذكورين في هذه الجملة. ولعلَّ «ابن الصائغ» هو الذي سَمَّاهُ ترجمته (ص ٤٥٢).

(٢) السرار (بالفتح أو بالكسر): آخر ليلة من النهر القمري (مها يسر القمر: لا يظهر في سماء البلد ليلاً). يعقب: يتبع.

ما للإخاء تقلّصت أفيآؤه! ما للصفاء تكدرت آثاره!
ولأنت تعلم أنّي - زمن الصبا - ما زلتُ ممن عَفَّ فيه إزاره^(١).
- وله من قصيدة في الرثاء :

أرى أرجلَ الأرزاء تشدُّ نحونا وأيديها تسمى إلينا فتندُّ^(٢).
ونحنُ أولو سهوٍ عن الأمر، ما لنا سوى أملٍ إيجابنا عنده جعدُ^(٣).
فإنَّ خطرَ للمرء ذكرى بخاطرٍ، فتسبحه الساهي إذا سمع الرعد^(٤).
مُصابٌ به قَدَّتْ قلوبٌ وأنفُسٌ لدنيا، إذا في غيره قُطِعتْ بُردُ^(٥).
تلينُ له الصمُّ الصلاب، وتنهى عيونٌ، ويسكي عنده الحجرُ الصلْدُ^(٦).
وقد كان يبدو الصبرُ منا تجلداً، وهذا مُصابٌ صبرنا فيه ما يبدو^(٧).

٤- ** أعمال الأعلام ٢٩٩ ص؛ الديباج المذهب ٢٠٧؛ بغية الوعاة ٣٤٤؛ نفع الطيب ٥:
٣٨٤، ٣٨٥، ٥٠٧، ٥٠٩، ٦٠٣، ٦٠٤؛ الأعلام للزركلي ٥: ١٣٢ (٤: ٣١٦).

ابن هاني السقي

١- هو أبو عبد الله محمد بن علي بن هاني اللّخميّ السّقي^(٨)، أصله من إشبيلية.

- (١) الإزار: ثوب يلف على القسم الأدنى من الجسم. عَفَّ إزاره (لم يقرب امرأة ليست زوجاً له).
- (٢) اشتدَّ: ركض، أسرع. الرزة: المصيبة.
- (٣) المجد: النكران. - نحن لا نلقي بالأى إلى الأحداث التي تمرّ بنا إلا بعد أن نتع (راجع البيت التالي).
- (٤) يهوى (يفعل - يضمّ الفاء -) الإنسان عن نسيج الله، فإذا سمع رعداً خاف من انقضاء الصواعق عليه، فسبح الله.
- (٥) المصاب (هنا) موت الرجل الذي يرثيه القبيحاطي. قَدَّتْ قلوب وأنفُس (حزنت حزناً شديداً) لدينا (لأنّ الميت منا). إذا في غيره (أقرأ: في غيرنا) قُطِعتْ برد (البرد: ثوب من حرير) كناية على الفرح. - يتفق أحياناً، إذا مات رجل أن يحزن لونه قوم ويفرح بموته قوم آخرون.
- (٦) هذا المصاب تلين له الصمُّ الصلاب (الحجارة القاسية). أهوى يهوى (ليست في الفاعل). هوى المطر يهوى: مال بكثرة. الصلْد: القاسي، الباس.
- (٧) في أحوال سابقة من المصائب، كما نتجلّد: نتظاهر بأننا لسنا بمحزونين أو حزناء (جمع حزين). أما في هذا المصاب فلا يبدو منا صبر، بل يظهر حزنا واضحاً شديداً.
- (٨) في بروكلس محمد بن عبد الله (!) بن خاتمة السقي.

قرأ على أبي إسحاق الفاقهي وأبي بكر بن عبيد النحوي وأبي عبد الله بن حريث. وقد استشهد في حصار جبل طارق، أصابه حجر منجنيق، في أواخر ذي القعدة من سنة ٧٣٣ (١١/٨/١٣٣٣ م).

٢- كان ابن هاني السبي من كبار علماء العربية (النحو)، أديباً ناضجاً وناثراً مترسلاً، وله مشاركة في التاريخ. شعره عادي قليل الطلاوة. ونثره أكثر براعة. وكان مُصنِّفاً له: شرح التسهيل (لابن مالك النحوي)- الغرة الطالعة في شعراء المائة السابعة- انشاد^(١) الضوَال وإرشاد السوَال (في لحن العامة)- قوت المقيم. وقد دَوَّن ترسل أبي المطرف بن عميرة (ت ٦٥٨ هـ).

٣- مختارات من آثاره

- قال ابن هاني السبي:

لولا مَشِيبٌ بفؤدي للفؤادِ عَصَى أَنْضَيْتُ فِي مَهْمَةِ الشَّيْبِ لِي قُلُصَا^(٢).
وَكَسْتُ جَارَيْتُ فِيهِ مَنْ جَرَى طَلَقًا مِنَ الْإِجَادَةِ لَمْ يَجْمَعْ وَلَا نَكَصَا^(٣).
وَمَنْ أَعَدَّ مَكَانَ النَّبْلِ نَبْلٌ جَجَى لَمْ يَرُضْ إِلَّا بِأَبْكَارِ النَّهْيِ قَنَصَا^(٤).

- وله في الجواب على رسالة وردت إليه من أبي القاسم الشريف (وكان شاعراً أديباً):

(١) أشد الصالحة (الهيئة التائهة من صاحبها): عَرَفَهَا وَدَلَّ عَلَيْهَا. - يبدو أن هذا الكتاب قد عرف بمساوين مختلفة: لحن العامة- تنقيف اللسان وتلقيح (الأذهان) - المدخل إلى تقويم اللسان (وهذا العنوان نشره كولان في مجلة هسبريس ٥، المجلد ١٢، ص ١-٣٢). راجع بروكلين، الملحق ٢: ٣٧١.

(٢) العود: نحر الرأس السائل على جانب الأذن. عصى العواد (لم يستطع أن يلهو كما يلهو الشبان). أنضى: أُنْتَبَ وَأَنْتَبَ. المَهْمَة: الغلاة الواسعة. القلوص (بالفتح): النافعة. لولا أنني كبرت في السن جداً للأت الدنيا بالفرل!

(٣) جرى الفرس طلقاً: خارجاً من قيده (سريعاً). لم يجمع (يشرد) ولا نكص (جن-رجع). أي لقلت غرلاً عفيفاً جدياً!

(٤) النبل جمع نلة (بالفتح): السهم. المحجى: العقل. القنص: الصيد.

هذا، بُني، ما سَحَّ به الذَّهْنُ الكليلُ واللسانُ القليلُ^(١) في مُراجعة قصيدتك
 الغراءِ الجالِيةِ السَّراءِ، الآخذةِ بمجامعِ القلوبِ المُوفيةِ بجوامعِ المطلوبِ الحسنةِ المُمِيعِ
 والأسلوبِ^(٢).... أُنِزَعُ غيري هذا المنزَعُ أو المرءُ بنفسه وابنه مَوْلَعٌ؟ حيَّا الله الأدبُ
 وبُنيهِ وأعاد علينا أيامه وسينيه.... غيرَ أنَّ الإحسانَ فيه قليلٌ، ولطريقي الإصَابَةِ فيه
 عِلْمٌ ودليلٌ... فَلْيَهْنِكْ، أَيُّهَا الابْنُ الذَّكِيُّ، البَرُّ الزَّكِيُّ، الحَبِيبُ الحَفِيّ^(٣). الصَّفِيُّ
 الوَفِيُّ، أَنْتَ حَامِلُ رَايَتِهِ وَوَاصِلُ غَايَتِهِ^(٤)، لَيْسَ أَوَّلُوهُ وَآخِرُوهُ لَكَ مُنْكَرِينَ
 (لكن) لَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ^(٥). وَلَوْلَا أَنْ يَطُولَ الْكِتَابُ وَيَنْحَرِفَ الشُّعْرَاءُ
 وَالْكَتَّابُ^(٦) لَفَاضَتْ يَتَابِعُ هَذَا الْفَصْلُ قَبْضًا، وَخَرَجَتْ إِلَى نَوْعٍ آخَرَ مِنَ الْبَلَاغَةِ
 أَيْضًا. قَرَّتْ عَيُونُ أَوْدَاءِكَ، وَمِلَّتْ غَيْظًا صُدُورُ أَعْدَائِكَ، وَرَقِيتْ دَرَجَ الْأَمَالِ
 وَوُقِيتَ عَيْنُ الْكِتَالِ^(٧)....

٤- * أوصاف الناس ١٠٣-١٠٤؛ بغية الوعاة ٨٢؛ فتح الطيب ٦: ٢٤٥-٢٥٣؛
 النبوغ المغربي ٢١٠-٢١١، ٣٨٧-٣٩١ (الترقيم التالي)، ٧٣٥-٧٣٦،
 ٨٧١-٨٧٢؛ بروكلمن، الملحق ٢: ٣٧١؛ الأعلام للزركلي ١٧٦: ٦ (٢٨٤).

ابن القويح^(٨) التونسي

١- هو ركنُ الدين أبو عبد الله محمد بنُ محمد بن عبد الرحمن بن يوسف^(٩) الجعفري
 المالكيّ التُّونسيّ، ويُعرفُ بابنِ القويح. وُلِدَ فِي تُونِسَ فِي رَمَضَانَ سَنَةِ ٦٦٤ (١٢٦٦ م).

(١) الكليل: الضعيف، الكال (السبب الذي لا يقطع). القليل (يقصد: الأقل) السبب الذي تَلَمَّ (تقطع)
 حذّه.

(٢) المِهْج: الطريق الواضح.

(٣) الذَّكِيُّ: ذو الفهم والحدق (بكسر الحاء). البَرُّ: المطيع لقومه. الزَّكِيُّ: الطاهر. الحَفِيّ: العارف (الرفيق
 في ساملة الآخرين).

(٤) الذي تَمَّ الكمال فيه.

(٥) ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ تضمين من القرآن الكريم (١٧: ٧ سورة الأعراف).

(٦) وينحرف.... يستطردون إلى موضوعات متشعبة.

(٧) الأوداء: الأصدقاء المحبون. وقيت عين الكمال: حفظك الله من الحد (لأن الكامل في صفاته محسود).

(٨) القويح (يفتح القاف كجوهراً): طائر صغير أحر الرجلين.... (راجع القاموس ٣: ٦٤).

(٩) في بغية الوعاة (ص ٩٧).... يوسف بن عبد الرحمن بن عبد الجليل.

وقرأ النَحْوَ على يحيى بن الفرج بن زيتون^(١)، وقرأ الأصول على محمد بن عبد الرحمن قاضي تونس. ثم إنه رحل فجاء إلى مصر سنة ٦٩٠. ويبدو أنه تنقل بين القاهرة ودمشق مراراً. وقد سمع في دمشق من تقي الدين بن الواسطي وابن القواس وأبي الفضل بن عساكر، كما سمع في حمة من ابن المرتز المحدث.

وكان ابن القويّ يتصدّر للتدريس في فنون مختلفة ويقوم بتدريس الطب في المارستان المنصوري في القاهرة والإعادة^(٢) في المدرسة الناصرية. وتولى نيابة الحكم (القضاء) للقاضي المالكي في القاهرة مدة ثم تركها تدبياً لأنه لم يضمن أن يتجنب فيها مجازاة الحكام. وكانت وفاته في تاسع^(٣) ذي الحجة من سنة ٧٣٨ (١٣٣٨/٦/٢٨م)، في القاهرة.

٢- كان ابن القويّ التونسي رجلاً ذكياً واسعَ معرفة كثير الحفظ لعدد من فنون العلم. وقد كان ضيق الصدر كثير الملل من كل شيء إلى جانب أنه كان حسن الصُحبة حسنَ المعاملة للناس، وعلى شيء من اليسار أغناه عن التملق. وله نثر سائغ وشعر جيد في الغزل والأدب خاصة. ومن فنونه الحديث والأصول والفقهاء والتاريخ والبراعة في معرفة الخطوط (والخطوط بالقلم المغربي خاصة)، مع أنه لم يكن حسن الخط. وكانت له معرفة بالأدب والنقد^(٤) وباللغة والنحو والطب يُكثِرُ من مطالعة كتاب القانون لابن سينا، كما كان كثير الاهتمام بالحكمة (الفلسفة) مكيّاً على مطالعة كتاب الشفاء لابن سينا

(١) هنالك في عنوان الدراية (ص ١١٤): الفقيه القاضي أبو القاسم بن أبي بكر البني الشهير بابن زيتون من أهل تونس (ت ٦٩١ هـ).

(٢) المارستان: المستشفى (وكان فيه في العادة مدرسة لتعليم الطب). المعيد (من الإعادة) مدرّس « بعيد » شرح ما غرض من دروس الأستاذ (نائب أستاذ).. المدرسة الصلاحية (نسبة إلى الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي) كانت في القدس (راجع وفيات الأعيان ٣: ٢٤٤).

(٣) في بغية الوعاة (ص ٩٨): في سابع عشري الحجة (٢٧).

(٤) كان ابن القويّ يقرأ مطلع قصيدة ابن هاني الأندلسي (ت ٣٦٢ هـ):

فتكات لحظك أم سيف أيبك

بالنصب (في فتكات، سيف الخ) على أنها مفعول به لعل تقديره أعاني. وكان ذلك عنده أبلغ من القراءة المشهورة بالرفع.

وكتاب المباحث المشرقية لفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ). ثم هو مُصَنَّف له تفسيرُ سورة ق (السورة الخمسين في المُصَحَّف) وتعليق (أو شرح، راجع بغية الوعاة ٩٨) على ديوان المتنبي.

٣- مختارات من آثاره

- قال ابن القويح التُّونسيُّ في النسيب:

جَوَى يَتَلَطَّى فِي الْفَوَادِ اسْتَعَارُهُ، وَدَمَعُ هَتُونٍ لَا يَكِفُّ انْهَارُهُ^(١)،
وُلُوعاً بِمَنْ حَازَ الْجَمَالَ بِأَسْرِهِ فَحَازَ الْفَوَادِ الْمُسْتَهَامَ إِسَارُهُ^(٢).
غَزَالَ لَهُ صَدْرِي كِنَاسٌ وَمَرْتَعٌ، وَمِنْ حَبِّ قَلْبِي شَيْعُهُ وَعَرَارُهُ^(٣).
جَرَى سَاجِحاً مَاءَ الشَّابِ بِرَوْضِهِ فَأَزْهَرَ فِيهِ وَرْدُهُ وَبَهَارُهُ^(٤).
يَمِلُّ بِعَذْبٍ مِنْ يَرُودٍ رَضَابِهِ تَفَاوَحَ فِيهِ مِنْكَ وَعُقَارُهُ^(٥).
تَجَمَّعَ فِيهِ كُلُّ حُسنٍ مُفَرَّقٍ فَصَارَ لَهُ قُطْباً عَلَيْهِ مَدَارُهُ.
زُلَالٌ وَلَكِنْ أَيْنَ مِنِّي وَرُودُهُ، وَلَذَنٌ وَلَكِنْ أَيْنَ مِنِّي اهْتِصَارُهُ^(٦).
وَسَلَّالٌ رَاحَ صَدَّ عَنِّي كَأْسُهُ، وَغُودِرَ عِنْدِي سُكْرُهُ وَخَمَارُهُ^(٧).

(١) الجوى اشتداد المرض والحزن من أثر الحزن. تلطَّت النار: تلهَّبت (ارتفع لهبها واشتد). الاستعار: نوَّقت النار (اشتداد حرارتها). الهتون: الكثير القطر (سبلان الماء والدمع الخ).

(٢)

جماله استولى على فؤاد الحبِّ جملة.

(٣) الكناس: البيت (المكان) الذي يأوي إليه الغزال. المرتع: المكان الذي ترعى فيه (تلقى فيه) الماشية. حبَّ القلب (ضغ الحاء) جمع حبة القلب: مهبته وسويداؤه (داخله ودمه). الشج نبت طيب الرائحة ترعاه الماشية. العرار: نبات له زهر طيب الرائحة. - هذا الغزال (المحبوب) يسكن في قلبي ويتغذى من دم قلبي (ولذلك نزل في السقام والحزال).

(٤)

ورده كناية عن خذيهِ الأخرين. وبهارة (كناية عن وجهه الأبيض).

(٥) على الرجل يملُّ (يكسر العين): شرب شيئاً قليلاً ومرة بعد مرة. العذب: الحلوى. البرود: البارد. الرضاب: الرقيق ما دام في الفم. تفاوح = فاح (انتشرت منه رائحة طيبة). العقار: الخمر.

(٦) ريفه حلوسات في الحلق ولكن لا أستطيع وروده (الترب منه). وقوامه لدن (طري، ناعم) ولكن لا أستطيع هصره (صمته إلي).

(٧)

السَّلال: العذب الصافي الذي يجري بسهولة في الحلق. الراح: الخمر. صدَّ عني كأسه (منعت من شربه اللذيذ). غودر: ترك (بالبناء للمجهول)، بقي. السكر والخمار: الصداق والألم من أثر شرب الخمر.

دنا ونأى فالدارُ غيرُ بعيدة، ولكنْ بُعِداً صَدَهُ ونفاره^(١).
 كَسَمْتُ الهوى لكنْ بَدَمْنِي وَزَفَرَنِي؛ وَسُقْمِي تَسَاوَى سِرَّهُ وَجُهَارُهُ^(٢).
 أَرَاخَةَ نَفْسِي، كَيْفَ صِرْتُ عَذَابَهَا؟ وَجَنَّةَ قَلْبِي، كَيْفَ مَنَكِ اسْتِمَارُهُ^(٣)؟

- وَكُتِبَ إِجَازَةٌ لِصَلَاحِ الدِّينِ خَلِيلِ بْنِ أَبِيكَ الصَّفَدِيِّ^(٤) جَاءَ فِيهَا:

يَقُولُ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ إِلَى رَحْمَةِ رَبِّهِ وَعَفْوِهِ عَمَّا تَعَاظَمَ مِنْ ذَنْبِهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ
 الرَّحْمَنِ الْقُرَشِيِّ الْجَعْفَرِيِّ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْقَوَائِعِ: بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ ذِي الْمَجْدِ وَالْثَنَاءِ، وَالْعَظَمَةِ
 وَالْكِبَرِيَاءِ، الْأَوَّلِ بِلَا ابْتِدَاءٍ وَالْآخِرِ بِلَا انْتِهَاءٍ، خَالِقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَجَاعِلِ
 الْإِبْصَاحِ وَالْإِمْسَاءِ؛ وَالشُّكْرِ^(٥) لَهُ عَلَى مَا مَنَّ بِهِ مِنْ تَعَاظُمِ الْآلَاءِ وَتَرَادُفِ النِّعَمَاءِ^(٦).
 نَحْمَدُهُ وَنَذْكُرُهُ وَنَعْبُدُهُ وَنُشْكِرُهُ لِنَفَرِّدَهُ بِاسْتِحْقَاقِ ذَلِكَ وَتَوْفُرَ مَا خَصَّنَا بِهِ مِنْ الْعِلْمِ
 هُنَالِكَ وَأَضَاءَ بِهِ بَضِيائِهَا مِنْ نُورِ الْفَهْمِ. وَنُصَلِّيَ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْعَرَبِ وَالْعُجَمِ^(٧)
 وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ فَازُوا مِنْ كُلِّ فَضْلٍ يَعْظُمُ الْخَطُّ وَوُفُورِ الْقَسَمِ. أَجَزْتُ
 لِفُلَانٍ^(٨).... جَمِيعَ مَا يَجُوزُ لِي أَنْ أَرْوِيَهُ تَمَّا رَوَيْتُهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَرْوِيَّاتِ أَوْ قُلْتُهُ نَظْراً أَوْ
 تَثْراً أَوْ اخْتَرَعْتُهُ مِنْ مَسْأَلَةٍ عِلْمِيَّةٍ مُفْتَنِحاً، أَوْ اخْتَرَعْتُهُ مِنْ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ وَاسْتَنْبَطْتُ
 الدَّلِيلَ عَلَيْهِ مُرْجَعاً تَمَّا لَمْ أَصْنَعُهُ فِي تَصْنِيفٍ وَلَا أَجْمَعُهُ فِي تَأْلِيفٍ، عَلَى شَرْطِ ذَلِكَ عِنْدِ
 أَهْلِ الْأَثَرِ^(٩).

وَقَفَّاهُ اللَّهُ لِمَا يَرْضَى فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَمَا يَدْرِي*.

- (١) ... نمرته مَنِيَّ محمله بعيداً عَنِي (وإن كان ساكناً بقربي).
- (٢) أَنَا لَا أَبْكِي وَلَا أَتُهَدِّ (من أثر تعديبه لي بحبه)، وَلَكِنْ سَقَمِي (تحولي) يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ.
- (٣) أَرَاخَةَ نَفْسِي (المهرة للداء).
- (٤) خَلِيلُ بْنُ أَبِيكَ الصَّفَدِيُّ (٦٩٦ - ٧٦٤ هـ) اشتهر بكتب التراجم، له الوافي بالوفيات كبير جداً، قد طبع منه إلى الآن حصة عشر حزاء (عام ١٩٧٩ م) فاستنقوا أسماء المحدثين ووصل إلى حرف السين.
- (٥) وَالشُّكْرِ (وبعد الشكر). * أَزْرَى فُلَانٌ فُلَاناً (داراه؟)
- (٦) تَرَادَفَ: تَنَاجَعَ، تَوَالَى. الْمَاءُ: الْخَفْضُ وَالِدَعَةُ (المبش في رفاية وأمن).
- (٧) كَذَا فِي الْأَصْلِ. (بضياها).
- (٨) الْعَرَبِ وَالْعُجَمِ (غير العرب) كَلَّمَتَيْنِ بَضَمَ فَكُون. الْقِسْمُ (بفتح فكُون): النَصِيبُ، الْحَصَّةُ.
- (٩) لِصَلَاحِ الدِّينِ خَلِيلِ بْنِ أَبِيكَ (راجع الحاشية ٤).
- (٩) بِحَسَبِ الْقَوَاعِدِ الَّتِي أَقْرَأَهَا عَلَماً الْحَدِيثِ لِلتَّنْبِيْهِ مِنْ أَمَانَةِ الرَّائِي وَمِنْ صَحَّةِ الْحَدِيثِ الْمَرْوِيِّ.

وزادَهُ فضلاً إلى فضله
فهذه الدارُ بما تحتوي
دَلَّتْ بَنِيهَا في غرورٍ، فهم
تُريهمُ بِشْراً. ويسا ويحُهم!
يَنَّا تُرى مُتَهَجِّجاً ناعماً
آمنَ ما كان وأقصى مُنى-
فَمَدَّ عنها واشتغلَ بالذي
فإنَّما الخَيْرُ خَصِيصٌ بما
- وله (بغية الوعاة ٩٨):

تأملُ صَحِيفَاتِ الوجودِ فإنَّها
وقد خُطَّ فيها - إن تأملتَ خطَّها:
من الجانبِ السامي إليك رسائلُ^(٧)
«ألا كُلُّ شيءٍ ما خلا الله باطل»^(٨).

٤- ** الوافي بالوفيات ١: ٢٣٨-٢٤٧؛ الديباج المذهب ٣٢٩، بغية الوعاة ٩٧-٩٨؛
درة المجال ٢: ٣٠٠ وما بعد؛ نفع الطيب ٢: ٢٢٥-٢٢٦؛ الأعلام للزركلي ٧:
٢٦٤ (٣٥).

-
- (١) الحشر: يوم القيامة.
 - (٢) دَلَّى الرجل الحبل في البئر: مدَّه نزولاً. بني الدنيا: الناس. العمى: العمى منذ الولادة.
 - (٣) البشر: طلاقة الوجه، إظهار السرور.
 - (٤) في الطمئنان تامَّ محققاً جميع أمانيه. فاجأه: أتاه بغتة. قاصصة الظهر: المصصة المطيعة التي تتلَّ المصاب بها عن التفكير والتصرف.
 - (٥) آخر الدهر (منذ ساعتك هذه إلى آخر حياتك).
 - (٦) النشر والنشور: القيامة في الآخرة.
 - (٧) من الجانب السامي (الإلهي).
 - (٨) هذا من قول لبيد بن ربيعة الجاهلي:
- «ألا كُلُّ شيءٍ ما خلا الله باطل» «وكلُّ نعيم - لا محالة - زائل»

ابن عمر المليكشي

١- هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن علي بن محمد بن إبراهيم المليكشي البجائي (نسبة إلى بجاية في الجزائر) الجزائري التونسي. نشأ في بلاد الجزائر وبدأ تلقى علومه فيها. وقد رحل إلى المشرق وحج وتلقى أشياء من العلم في الحجاز والقاهرة والإسكندرية.

ويدو أن شيئاً من الاضطراب وقع في الجزائر - مقتل أبي حو الأول موسى بن عثمان (٧١٨هـ) - فأثر المليكشي الانتقال إلى الأندلس، في السنة نفسها، ومدح نقرأ من الكبراء، وقد أقام حيناً في مالقة. ثم إنه عاد إلى المدوة الإفريقية وتقلد في تونس خطة الكتابة. وفي تونس كانت وفاته في غرة المحرم من سنة ٧٤٠ (١٣٣٩/٧/٩ م).

٢- كان ابن عمر المليكشي فقيهاً وذا ميل إلى التصوف، كما كان أديباً كاتباً مترسلاً وشاعراً ينظم رويةً وارتجالاً. وفي شعره سهولةً وشيء من الرقة. وفنه الغزل والنسيب.

٣- مختارات من شعره

قال ابن عمر المليكشي في النسيب:

☆ رضا! نلت ما ترصين من كل ما يهوى
وصفحاً عن الجاني المسيء لنفسه؛
بما بيننا من خلوة مكنوية
ففي أشكى لوعة البين ساعة،
فلا توفيني موقف الذل والشكوى.
كفاه الذي يلقاه من شدة البلوى.
أرق من النجوى وأحلى من السكوى^(١).
ولا يك هذا آخر العهد بالنجوى.
إلى عاشق ما يستفيق من البلوى^(٢).

(١) بما بيننا: استحكف بالذي بيننا. خلوة معنوية: عفيفة (بالفكر لا بالاجتماع). السكوى (في القاموس) طائر لذيق اللحم. و (في العرف) المن والسكوى: نوع من الصمغ الحلو يتكون على نوع من الأشجار في فارس والعراق.

(٢) العرصة: أرض خلاء أمام البيت. البلوى (مكررة).

وَمَ قَدْ سَأَلْتُ الرِّيحَ شَوْقاً إِلَيْكُمْ
فِيَا رِيحُ، حَتَّى أَنْتِ مِمَّنْ يَغَارُ فِي؟
خَلَقْتُ وَلِيَّ قَلْبٌ جَلِيدٌ عَلَى النَّوَى،
★ أَرَى لَكَ، يَا قَلْبِي، بَقْلِي مَحَبَّةً
فَقَابِلُهُ بِالْبُشْرِ وَأَقْبِلْ عَيْيَةً،
فَأَحْسَنُ مَا يَأْتِي النَّسِيمُ بَلِيلًا!
فَمَا حَنَ مَرَاهَا عَلَيَّ وَلَا أَلَوَى (١).
وَيَا نَجْدُ، حَتَّى أَنْتِ تَهْوَى كَمَا أَهْوَى.
وَلَكِنْ عَلَى قَعْدِ الْأَحْبَةِ لَا يَهْوَى (٢).
بَعَثْتُ بِهَا سِرِّي إِلَيْكَ رَسُولًا.
فَقَدْ هَبَّ سِكْمِي النَّسِيمُ عَلَيَّا.
وَلَا تَعْتَذِرْ بِالْقَطْرِ أَوْ بَلَلِ النَّدى،

١-★★ نيل الابتهاج ٢٣٩-٢٤٠؛ تعريف الخلف ١: ١٧٣-١٧٦؛ نفع الطيب ٦:
٢٤٠-٢٤٢؛ تاريخ الجزائر العام ٢: ١١١-١١٢؛ معجم أعلام الجزائر
١٧١-١٧٢؛ الطمار ١٩١-١٩٣؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٠٥ (٦: ٣١٤).

محمد بن أحمد بن جُزَيِّ

١- هو أبو القاسم مُحَمَّدُ بْنُ أَحَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ
الرَّحْمَنِ بْنِ يَوْسَفَ بْنِ جُزَيِّ الْكَلْبِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ، وُلِدَ فِي تَاسِعِ رَجَبِ الثَّانِي مِنْ سَنَةِ ٦٩٣
(١٠/٣/١٢٦٤ م) فِي غَرْنَاطَةِ.

قَرَأَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ جُزَيِّ الْقُرْآنَ وَالْحَدِيثَ وَالْفِقْهَ وَالنَّحْوَ عَلَى أَبِي جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ
الْغَرْنَاطِيِّ (٦٢٧-٧٠٨ هـ)؛ ثُمَّ كَانَ مِنْ شُيُوخِهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحَدَ بْنِ دَاوُدَ
أَبْنِ الْكَتَّادِ اللَّخْمِيِّ (ت ٧١٢ هـ) وَأَبُو عَلِيٍّ بْنِ بَرْطَالٍ وَأَبُو عَامِرٍ بْنُ رَبِيعِ الْأَشْعَرِيِّ
وَالشَّيْخَ الْبَرَكَةُ الْوَلِيُّ الْحَطِيبُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الطَّنْجَالِيُّ الْهَاشِمِيُّ وَقَاسِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
الشَّاطِئِ.

تَصَدَّرَ ابْنُ جُزَيِّ لِلتَّدْرِيسِ ثُمَّ أَصْبَحَ مِنْذُ مَطْلَعِ حَيَاتِهِ خَطِيباً فِي الْجَامِعِ الْأَعْظَمِ فِي
غَرْنَاطَةِ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ شَهِيداً فِي وَقْعَةِ طَرِيفَ (مَعْرَكَةِ نَهْرِ سَالَادُو) - وَهُوَ

(١) أَلَوَى (مَالَ وَعَظَفَ).

(٢) الْبَوَى: الْبَعَادُ.

يُحَرِّضُ النَّاسَ عَلَى جِهَادِ الْمُتَمَدِّينَ الْإِسْبَانِ، فِي سَابِعِ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سَنَةِ ٧٤١
(٧٤١/١٠/٣٠ م).

٢- كَانَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ جُرْزِيِّ مُشَارِكًا فِي عَدِيدٍ مِنْ فُنُونِ الْمَعْرِفَةِ: فِي الْقِرَاءَاتِ وَالتَّصْيِيرِ
وَالْحَدِيثِ، وَفِي الْفِقْهِ وَأَصُولِ الْفِقْهِ، وَفِي اللُّغَةِ وَالتَّحْقِيقِ وَالْأَدَبِ. وَلَهُ شَرْعٌ يَدُورُ عَلَى
الْمَعَانِي الدِّينِيَّةِ مِنَ التَّقْوَى وَمَدْحِ الرُّسُولِ وَالتَّصَوُّفِ. وَشِعْرُهُ هَذَا قَرِيبُ الْمَعَانِي سَهْلُ
الْتَّرَكِيبِ وَفِيهِ شَيْءٌ مِنَ الصَّنَاعَةِ وَمِنَ التَّكَلُّفِ أَيْضًا. وَكَانَ لَهُ فِي فَنِّ الْبَدِيعِ نَوْعٌ أَسَمُهُ
«التَّخْيِيرُ» (وَذَلِكَ أَنْ يَكُونَ لِلبَيْتِ قَافِيَتَانِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ وَلَكِنْ عَلَى رَؤْيَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ).
رَاجِعْ مِثْلًا نَفَحَ الطَّيِّبِ (٥: ٥١٧):

أَيَا مَنْ كَفَفْتُ النَّفْسَ عَنْهُ تَعَفُّقًا، وَفِي النَّفْسِ مِنْ شَوْقٍ إِلَيْهِ لَهَيْبٌ (غَرَامُ)،
أَلَا إِنَّا صـــــــــــــــــبْرِي كَصـــــــــــــــــبْرِ، وَإِنَّا
عَلَى النَّفْسِ مِنْ تَقْوَى الْإِلَهِ رَقِيبٌ (لِحَامُ)^(١).

وَكَانَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ جُرْزِيِّ مُؤَلِّفًا، لَهُ: التَّسْهِيلُ فِي عُلُومِ التَّنْزِيلِ (فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ،
وَفِيهِ شَيْءٌ مِنَ النِّقْدِ) - الْمُخْتَصَرُ الْبَارِعُ فِي قِرَاءَةِ نَافِعٍ - وَسَبِيلَةُ الْمُسْلِمِ فِي تَهْذِيبِ صَحِيحِ
مُسْلِمٍ - الدَّعَوَاتُ وَالْأَذْكَارُ الْمُخْرَجَةُ مِنْ صَحِيحِ الْأَخْبَارِ (أَسْتَمْرَضَ فِيهِ مَا وَرَدَ عَنِ
رَسُولِ اللَّهِ مِنَ الذِّكْرِ وَالدَّعَوَاتِ فِي الْكُتُبِ الْخَمْسَةِ)^(٢) - تَقْرِيبُ الْوُصُولِ فِي عِلْمِ الْأَصُولِ
(أَصُولُ الْفِقْهِ) - النُّورُ الْمُبِينُ فِي شَرْحِ عَقَائِدِ الدِّينِ - الْأَنْوَارُ السَّنِّيَّةُ فِي الْأَلْفَاظِ السَّنِّيَّةِ
(وَيُقَالُ: الْأَقْوَالُ السَّنِّيَّةُ) فِي الْمَذَاهِبِ السَّنِّيَّةِ (أَلْفَهُ لِابْنِهِ أَحْمَدَ) - الْقَوَانِينُ الْفَقْهِيَّةُ فِي
تَلْخِصِ مَذْهَبِ الْمَالِكِيَّةِ - قَوَانِينُ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ فِي مَسَائِلِ الْفُرُوعِ الْفَقْهِيَّةِ (انْتَهَى
مِنْ تَأْلِيفِهِ فِي الْعَاشِرِ مِنَ الْمُحَرَّمِ، سَنَةِ ٧٣٥ ١٠/٩/١٣٣٤ م) - الْفَوَائِدُ الْعَامَّةُ فِي لَحْنِ
الْعَامَّةِ - فَهْرَسٌ أَشْتَمَلُ عَلَى عَدِيدٍ كَبِيرٍ (مِنْ شَيْخُوهُ؟) مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ.

(١) الصَّبْرُ (بِفَتْحٍ فَكْسَرٍ، وَلَا يَكُنْ إِلَّا فِي ضَرُورَةِ التَّعَرُّفِ): عَصَارَةٌ (بِالضَّمِّ) شَعْرٌ مَرَّ (الْقَامُوسُ ٣: ٦٧).
(٢) الشُّهُورُ أَنَّهُ يُقَالُ كَتَبَ الْحَدِيثَ السَّنَةَ، وَهِيَ صَحِيحُ الْخَارِجِيِّ وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ ثُمَّ كَتَبَ النَّسَائِيَّ الْأَرْبَعَةَ لِأَبِي
دَاوُدَ وَالسَّافِي (بِالْفَتْحِ) وَالتِّرْمِذِي (بِالْكَسْرِ) وَابْنَ مَاحَةَ.

٣ - مختارات من آثاره:

- من مقدمة «قوانين الأحكام الشرعية»:

الحمد لله ذي الجلال الذي عَجَزَتْ عن إدراك كُفْهِ عقول العارفين^(١)، و (ذي) الكمال الذي قَصَرَتْ عن إحصاء ثَنائه أَلْبِينَةُ الواصفين و (ذي) العظمة الذي عَسَتْ لِمِرَّتْها وجوه الطائفين والعاكفين^(٢)..... سُبْحَانَهُ من مَلِكٍ لم يَخْلُقْ عِبَادَهُ عِبْثاً ولم يَتْرُكْهُمْ سُدىً، بل أَرْسَلَ الرُّسُلَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَدَاعِينَ إِلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى. ثُمَّ خَتَمَ الرِّسَالَةَ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صاحب الدعوة التَّامَّةِ والرَّسَالَةِ الْعَامَّةِ إِلَى الْإِنْسِ وَالْجَانِّ، و (صاحب) الْمِلَّةِ النَّاسِخَةِ لِحَمِيعِ الْأَدْيَانِ^(٣) والشريعة الباقية إلى آخِرِ الْأَزْمَانِ وَالْآيَاتِ الْبَيِّنَةِ وَالْأَدِلَّةِ الْقَاطِعَةِ السَّاطِعَةِ الْبُرْهَانِ^(٤). وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ ﴿هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾^(٥)، وَجَمَلَهُ مُعْجَزَةً ظَاهِرَةً لِلْعِيَانِ مُتَّجِدَةً مَا اخْتَلَفَ الْمُلَوَّنُ^(٦) وَتَعَاقَبَتِ الْأَزْمَانُ.....

أَمَّا بَعْدُ، فِهَذَا كِتَابٌ فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَمَسَائِلِ الْفُرُوعِ الْفِقْهِيَّةِ عَلَى مَذْهَبِ إِمَامِ الْمَدِينَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ الْأَصْبَحِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِذْ هُوَ الَّذِي اخْتَارَهُ أَهْلُ بَلَدِنَا بِالْأَنْدَلُسِ وَسَائِرِ الْمَغْرِبِ اقْتِدَاءً بِدَارِ الْهِجْرَةِ^(٧) وَتَوْفِيقاً مِنْ اللَّهِ تَعَالَى وَتَصَدِيقاً لِقَوْلِ

(١) الكنه: جوهر النية وحقيقته. العارف (في التصوف): الذي يعرف الأمور بما منحه الله من الكشف عن بعض أمور القلوب.

(٢) عنى: خضع، ذلّ: العزة: القوة. الطائف (في الأصل): الذي يقوم بالطواف (الدوران) حول الكعبة (ويكون ذلك في وقت معلوم). العاكف: المتقطع للعبادة في مسجد لمدة هو يمضيها ثم لا يخرج عن اعتكافه في أثناء تلك المدة (وليس للاعتكاف وقت معيّن). للطائفين والعاكفين (في كل وقت وزمن).

(٣) الملة (بالكسر). الدين. نسخ: أ بطل. الأديان (المقصود: الشرائع). الأديان السابوية لا تُنسخ لأنها كلها من عند الله. ولكن الشرائع (القواعد التي يسير عليها الناس في شكل عبادتهم وفي سلوكهم الاجتماعي تتبدل بتبدل الأزمان).

(٤) الآية: الحقيقة العالية، المحجرة. البيّنة: الطاهرة، الواضحة. القاطعة: الباتّة، الخازمة (التي ترفع الحصى عن مواصلة الخدال). الباطع: المبر (الظاهر نكل إنسان). البرهان: الدليل الحاسم (من «برهانا» - في الحاشية - : التور).

(٥) ﴿هُدًى لِلنَّاسِ.....﴾ (٢: ١٨٥، سورة البقرة).

(٦) الملوان (مثنى): الليل والنهار.

(٧) دار الهجرة: المدينة المنورة.

الصادق المصدق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة». ثم زدنا إلى ذلك التسمية على كثير من (وجوه) الاتفاق والاختلاف الذي^(١) بين الإمام المسمى^(٢) وبين الإمام أبي عبد الله مُحَمَّد بن إدريس الشافعي والإمام أبي حنيفة الثَّمان بن ثابت والإمام أبي عبد الله أَحْمَد بن حنبل^(٣) لتكامل الفائدة ويعظم الانتفاع، فإن هؤلاء هم قُدوة المسلمين في أقطار الأرض وأولو الأتباع والأشياء^(٤).

وربما نَهَتْ على مذهب غيرهم من أئمة المسلمين كُفَيَّانِ الثَّوري والحسن البصري وعبد الله بن المبارك وإسحاق بن راهويه وأبي ثور والنخعي وداوود بن علي إمام الظاهرية^(٥) - وقد أكثرنا من نقل مذهبه^(٦) - واللَّيث بن سعيد وسعيد بن المسيَّب والأوزاعي^(٧) وغيرهم، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، فإنَّ كُلَّ واحدٍ منهم مُجتهدٌ في دين الله، ومذاهبهم طُرُقٌ مُوصِلَةٌ إلى الله.

(١) كذا في الأصل. يجب أن تكون «ما».

(٢) المسمى (أي مالك بن أنس).

(٣) مالك والشافعي وأبو حنيفة (وكان في قهقهه واجتهاده بأخذ بالرأي) وأحمد بن حنبل (كان يعتمد النصوص في الأكثر - حتى عدّه نفر من المؤرخين في المحدثين لا في الفقهاء) هم أصحاب المذاهب الأربعة المعمول بها إلى الآن عند أهل السنة والجماعة.

(٤) الأتباع (الذين ينسبون المذهب الذي ولدوا عليه) والأشياء (الذين يتبعون مذهباً ثم يخالفون من ليس على مذهبه).

(٥) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري (ت ١٦١ هـ) من كبار زمانه في رواية الحديث وعلوم الدين والنحو. الحسن البصري (ت ١١٠ هـ) زعيم علم الكلام والاعتزال وتحكيم العقل في الأمور. وكان صالحاً تقياً. عبد الله بن المبارك (ت ١٨١ هـ) من حفاظ الحديث. إسحاق بن راهويه (ت ٢٣٨ هـ) من كبار حفاظ الحديث. أبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي (ت ٢٤٠ هـ) من الفقهاء الكبار الذين كانوا يتكلمون بالرأي. النخعي: إبراهيم بن يزيد (ت ٩٦ هـ) من أكابر التابعين ومن كبار الحفاظ ورواة الحديث - ثم حفص بن غياث (ت ١٩٤ هـ) من حفاظ الحديث. وداوود بن علي الأصبهاني (ت ٢٧٠ هـ) صاحب المذهب الظاهري (وهو مذهب باند: بطل العمل به) يعتمد النص الوارد في القرآن وفي الحديث ولا يأخذ بشيء آخر إلا بعد الضرورة القصوى (إذا سحقت قواعد اللغة والبلاغة بذلك).

(٦) اقرأ: من النقل. مذهبه.

(٧) اللَّيث بن سعيد (ت ١٧٥ هـ) إمام أهل مصر - في زمانه - في الحديث والفقه. سعيد بن المسيَّب =

واعلم أن هذا الكتاب يُنِيف^(١) على سائر الكتب بثلاث فوائد.

★ الفائدة الأولى: أنه جَنَعَ بين تمهيد المذهب وذكر الخلافِ العالي^(٢)، بخلاف غيره من الكتب فإنها في المذهب خاصة أو في الخلافِ العالي خاصة.

★ الفائدة الثانية: أُنِي جَمَعْتَهُ بحسن التقسيم والترتيب وسهّلته بالتهذيب والتقريب. فكم فيه من تقسيم قسم^(٣) وتفصيل أصيل يُقَرِّبُ البعيدَ وَيُلَيِّنُ الشريد^(٤).

★ الفائدة الثالثة: أَنَا قَصَدْنَا الجَمْعَ فيه بين الإيجاز والبيان، على أَنها قلما يجتمعان.

فجاء - بحمدِ الله - سهّل العبارة لطيفَ الإشارة تأمّ المعاني مُختَصَرَ الألفاظ. وإلى الله نرغبُ (في) أن يجعله مُوجِباً لغفرانه ومُوصِلاً لرِضوانه وفاقحاً لحزائِن إحصانه وأَمْتِنَانِه، إنه ذو فضل عظيم.....

- قال مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ جُزَيْيٍّ مِنْ بَدِيعِيَّةٍ (في مَدَحِ الرَّسُولِ):

أُرُومُ امْتِدَاحِ الْمُصْطَفَى فَيَرُدُّنِي قُصُورِي عَنْ إِدْرَاكِ تِلْكَ الْمُنَاقِبِ^(٥)
وَمَنْ لِي بِمَحْضَرِ الْبَحْرِ، وَالْبَحْرُ زَاخِرٌ وَمَنْ لِي بِإِحْصَاءِ الْحَصَى وَالْكَوَاكِبِ!^(٦)

= (ت ٩٤ هـ) أحد الفقهاء السبعة في المدينة، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع. والحبيب اسم (بضمّ الميم وفتح البين ثم ياء شديدة مكسورة: اسم فاعل). ويجوز أن يكون بفتح الباء (ولكنّ الكسر أفصح). أما الحبيب بن حَزَن بن أبي وهب الهزومي (والد سعيد بن الحبيب) فهو بالكسر. جاء في تاج العروس (الكوكب ٣: ٩٠) أن سعيد بن الحبيب هذا كان يقول (وقد سمع أناً بلطون اسم الحبيب بالفتح): «لئن الله من سبب أبي» (أي لفظ اسمه بالياء الشديدة المفتوحة). أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي (ت ١٥٧ هـ) فقيه أهل الشام، كان له مذهب في الفقه قائم على الحديث، انتشر مذهبه في الأندلس - في الغالب - ثم ياد.

(١) أناف العدد على كذا: ارتفع، زاد.

(٢) العالي: المتقدم في الزمن (القريب من زمن الرسول).

(٣) قيم: جميل.

(٤) أصل: جَبَدَ (واضح). ثلث الماء السجّ (حملة مطاوعاً للعمل به). التريد: النافر، الذي يصعب إمساكه.

(٥) المصطفي = محمد رسول الله. قصوري = قصيري. المناقب جمع منة: العمل الكريم.

(٦) المحضر: الإحاطة بالشيء. راخر: مملوء (كثير الماء).

ولو أَنَّ كُلَّ الْعَالَمِينَ تَأَلَّفُوا عَلَى مَذْحِهِ لَمْ يَلْفُوا بَعْضَ وَاجِبٍ.^(١)
فَأَمْسَكَتْ عَنْهُ هَيْبَةً وَتَاهِبًا وَخَوْفًا وَإِعْظَامًا لَأَرْفَعُ جَانِبَ.^(٢)
وَرُبُّ سُكُوتٍ كَانَ فِيهِ بِلَاغَةٌ، وَرُبُّ كَلَامٍ فِيهِ عِتَبٌ لِعَاتِبِ.

- وقال في الابتهاال إلى الله:

يَا رَبِّ، إِنَّ دُنُوبِي الْيَوْمَ قَدْ كَثُرَتْ فَمَا أُطِيقُ لَهَا حَضْرًا وَلَا عَدَدًا.^(٣)
وَلَيْسَ لِي بِعَذَابِ النَّارِ مِنْ قَبْلِ، وَلَا أُطِيقُ لَهَا صَبْرًا وَلَا جَلْدًا.^(٤)
فَانْتَظِرْ، أَلْهِمِي، إِلَى ضَمْعِي وَسَكْنَتِي، وَلَا تَذِيقْنِي حَرَّ الْجَحِيمِ عَدَا.

- وقال في مُرَادِهِ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (وَهُوَ مِنْ لُزُومٍ مَا لَا يَلْزَمُ):

لِكُلِّ بَنِي الدُّنْيَا مُرَادٌ وَمَقْصِدٌ؛ وَإِنَّ مُرَادِي صِحَّةٌ وَبَلَاغٌ^(٥)
لَأُبْلَغَ مِنْ عِلْمِ الشَّرِيعَةِ مَبْلَغًا يَكُونُ بِهِ لِي فِي الْجَنَانِ بِلَاغٌ.^(٦)
وَفِي مِثْلِ هَذَا قَلِيلًا مِنْ أَوَّلِ النَّهْيِ. وَحَسْبِيَ مِنْ دَارِ الْفَنَاءِ بِلَاغٌ.^(٧)

- وقال يَتَخَرَّرُ بِالْعِفَّةِ وَالتَّقْوَى:

وَكَمْ مِنْ صَفْحَةٍ كَالثَّمَنِ تَبْدُو فَيُسْلِي حُسْنُهَا قَلْبَ الْحَزِينِ^(٨)
غَضَضْتُ الطَّرْفَ عَنْ نَظَرِي إِلَيْهَا مُحَافَظَةً عَلَى عِرْضِي وَدِينِي.^(٩)

(١) تَأَلَّفُوا: اسْتَأْجَرُوا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ (اجْتَمَعُوا وَتَعَاوَنُوا).

(٢) أَمْسَكَتْ عَنْهُ هَيْبَةً وَتَاهِبًا: كَفَّتْ وَتَوَقَّفَتْ. الْهَيْبَةُ: الْخُوفُ (مَنْ أَلَّا بِحُجِّ الْإِنْسَانِ فِي مَعَاوِلَةِ أَمْرِ). التَّاهِبُ (فِي الْقَامُوسِ) الْاسْتِعْدَادُ.

(٣) أَلْطَاقُ: اسْتَطَاعَ.

(٤) قَبْلَ (بِكسر فَتْح) الطَّاقَةِ، الْاسْتَطَاعَةِ (الِاحْتِمَالِ). الْجَلْدُ: تَكَلَّفَ الْأَمْرَ وَمَعَاوِلَةَ (الْقِيَامِ) بِهِ.

(٥) بِلَاغٌ: مَا يَرْجُو الْإِنْسَانُ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ فِي الْحَيَاةِ، الْعَايَةِ مِنَ الْحَيَاةِ.

(٦) بِلَاغٌ: وَصُولٌ، نَيْلٌ (الدَّخُولُ إِلَى الْحَقَّةِ).

(٧) أَوَّلِي (أَصْحَابِ) النَّهْيِ (الْعَقْلِ). بِلَاغٌ: الْفُرُوقُ مِنَ أَسْبَابِ الْمَعَاشِ (مَا يَتَبَلَّغُ الْإِنْسَانُ بِهِ: مَا يَكْتُمِي بِهِ)

(٨) صَفْحَةٌ: خِذْفٌ، وَجْهٌ. كَالثَّمَنِ: مُشْرِقَةٌ (جَبَلَةٌ). يَسْلِي مِنْ أَسْلَى (أَدْخَلَ اللَّوْءَ أَوْ التَّلْيَ أَوْ النَّيَانَ عَلَى النَّفْسِ).

(٩) غَضَّ الرَّجْلَ طَرَفَهُ (بَصَرَهُ): كَفَّهُ، خَفَضَهُ (نَمَنَهُ أَنْ يَرَى مَا لَا يَحُوزُ رُؤْيَاهُ).

- ٤ - القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية، تونس ١٣٤١ - ١٣٤٤ هـ = قوانين الأحكام الشرعية ومساائل الفروع الفقهية، بيروت (دار العلم للملايين) بلا تاريخ^(١).
- التسهيل لعلوم التنزيل، مصر (مصطفى محمد) ١٣٥٥ هـ؛ بيروت (دار الكتاب العربي) ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م.
- ** الديباج المذهب ٢٩٥ - ٢٩٦ (٢٦٤)؛ نيل الانتهاج ٢٣٨ - ٢٣٩؛ الدرر الكامنة ٣ : ١٣٠٣، درة المجال ٢ : ١١٧ - ١١٨؛ الكتيبة الكامنة ٤٦؛ نفع الطيب ٥ : ٥١٤ - ٥١٧؛ أزهار الرياض ٣ : ١٨٤ وما بعد؛ الداية ٥٢٩ - ٥٣٣ (أوجز محمد رضوان الداية رؤوس موضوعات البلاغة في كتاب «التسهيل»؛ بروكلمن ٢ : ٣٤٢، الملحق ٢ : ٣٧٧؛ الأعلام للزركلي ٥ : ٣٢٥ (٦ : ٢٢١).

أبو حيانَ الغرناطي

١ - هو أثير الدين أبو حيانَ محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيانَ النَّفْزِيّ الجَيَّافِي الغرناطي، أصلُ أهلِهِ من قبيلة نَفْزَة البربرية من المغرب الأقصى جاءوا إلى الأندلس وسكنوا حَيَّانَ.

وُلِدَ أبو حيانَ في قرية قُرْبَ غرناطة في أواخر شَوَّال من سَنَةِ ٦٥٤ (أواسط تشرين الثاني - نوفمبر ١٢٥٧ م). وقد تلقَّى في غرناطة شيئاً من علوم القرآن والحديث واللغة على عدد من الأئمة القليلين الذين كانوا آنذاك في غرناطة. كان من هؤلاء ابن الطَّبَّاع فلم يُسرَّ منه أبو حيانَ فكشف عن عيوبه في كتاب له سَمَّاه «الإلماع في فساد إجازة ابن الطَّبَّاع»^(٢). ويبدو أن سلطان غرناطة - أبا عبد الله محمد بن محمد المعروف بالفتية (٦٧١ - ٧٠١ هـ) - غضب من أجل ذلك على أبي حيانَ فانتقل أبو حيانَ إلى مالقة (وكانت مالقة آنذاك تحت حكم المرينيين) وسمع شيئاً من علوم القرآن واللغة من أبي جعفر بن الزبير^(٣). ثم إنَّه غادر الأندلس إلى سبتة (المغرب الأقصى) سنة ٦٧٩ هـ.

(١) كتب عبد العزيز سيّد الأهل (نوفٍ نحو ١٩٨٠ م) تعريفاً قصيراً لهذا الكتاب (ص ٥ - ١١).

(٢) الإجازة: شهادة من عالم في فنٍّ من الفنون بأنَّ الذي يحمل منه هذه الإجازة قد سمع منه العلم الذي يلقيه.

(٣) يذكر بروكلمن (٢ : ١٣٣) أن أبا حيانَ الغرناطي كان يدرس في مالقة منذ سنة ٦٧٠ هـ. وهذا يعني أنَّه غادر غرناطة قبل أن يمجيَّه محمد بن محمد الفقيه إلى عرش غرناطة.

وسمع من أبي الحكم مالك بن المرحّل (ت ٦٩٩ هـ) ومن أبي القاسم العزقيّ (٧١٧ هـ).
وتطوّف مدة في المغرب.

ولا نعلم متى بارح أبو حيّان سبتة إلى المشرق، ولكننا نعلم أنه تطوّف كثيراً في مصر والسودان والحبشة والحجاز والعراق والشام. وقد أخذ أبو حيّان في أثناء ذلك كلّهُ أوجهاً من فنون العلم عن أئمة البلدان التي زارها. وقد سمع في القاهرة من بهاء الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الحلبي المعروف بابن النّحاس (ت ٦٩٨ هـ = ١٢٩٩ م).

ودرس أبو حيّان الغرناطي التفسير والحديث والنحو في الجامع الأحمر في القاهرة وخلفه أستاذه ابن النّحاس في تدريس هذه الفنون في المدرسة المنصورية في القاهرة. وكذلك درّس في المدرسة الصالحية في دمشق (٧٣٥ هـ = ١٣٣٥ م).

في أول الأمر كان أبو حيّان على المذهب الظاهري، وكان في الوقت نفسه مائلاً إلى التشيع. في هذه الأثناء كان مُعجباً بابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ). ثم إن أبا حيّان انتقل إلى مذهب الشافعي فجعل يحمل على ابن تيمية ويتهمه بالقول بالتجسيم.
وكفّ بصراً أبي حيّان في أواخر أيامه. وكانت وفاته في ٢٨ صفر ٧٤٥ (١٣٤٤/٧/١١ م).

٢- كان أبو حيّان الغرناطي عارفاً باللغة وإماماً في الصرف والنحو وبارعاً في التفسير والحديث والفقه. وكان شاعراً أكثرأ وفي ديوانه قصائد ومقطعات وموشحات. وفنون شعره كثيرة منها المدح والوصف والخمر والغزل والمجون. وكان يقول الشعر رويةً وأرتجالاً. وعلى شعره شيء من الضعف وفيه كثير من الصناعة وشيء من الفكاهة. وله أيضاً رسائل أدبية.

وعرّف من اللغات الأجنبية الفارسية والتركية والحبشية. وكانت مؤلفاته نحو خسين منها: البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم - إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب - التذيل والتكميل في شرح التسهيل (في اللغة) - منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك - نهاية الاعراب في علم التصريف والاعراب - رجز مجاني القصر في

شراء العصر - نوافث السحر في دماثة الشعر - تحفة النُّدُس في نحاة الأندلس -
الإدراك للسان الأتراك - الأفعال في لسان الترك - منطق الخرس في لسان الفرس -
نور الغَبَش في لسان الحبش - المحبور في لسان اليعمور .

٣ - المختار من آثاره

- لأبي حَيَّانَ الْفَرْنَاطِيَّ أبياتٌ شهيرة من الحِكْمة البارة في الأصدقاء والأعداء :

عِدائِي لَهُمْ فَضْلٌ عَلَيَّ وَمِنَّةٌ ، فَلَا أَذْهَبَ الرَّحْمَنُ عَنِّي الْأَعْدَايَا .
هُمْ يَجْحَثُوا عَن زَلَّتِي فَأَجْتَنَّبْتُهَا ، وَهُمْ نَافِسُونِي فَأَكْتَسَبْتُ الْمَعَالِيَا .

- وله في التهكُّم بالتصوِّفين :

أَيَا كَاسِيًّا مِنْ جَيِّدِ الصُّوفِ نَفْسُهُ وَيَا عَارِيًّا مِنْ كُلِّ فَضْلٍ وَمِنْ كَيْسٍ (١) .
أَتُرْهِمِي بِصُوفٍ ، وَهُوَ بِالْأَمْسِ مُصْبِحٌ عَلَى نَعْمَةٍ وَالْيَوْمِ أَمْسَى عَلَى تَيْسٍ !

- وله في الوداع ، وفيه توريةٌ بين ابنِ مُقْلَةَ (خطاط عباسي بارع مجيد) وبين ابنِ
مُقْلَةَ (ابن العين : الدمع) :

سَبَقَ الدَّمْعُ بِالْمَسِيلِ الْمَطَايَا إِذْ نَوَى مَنْ أَحْبَبُ عَنِّي تَقْلَةَ ؛
وَأَجَادَ السُّطُورَ فِي صَفْحَةِ الْـ خَدَّ ؛ وَلَمْ لَا يُجِيدُ وَهُوَ ابْنُ مُقْلَةَ ؟

- وقال في الدفاع عن البخل :

رَجَاؤُكَ قَلْبًا قَدْ غَدَا فِي حَبَائِلِي قَنِيصًا ، رَجَاءَ لِلتَّنَاجِ مِنَ الْعُقْمِ .
أَتَتَّعِبُ فِي تَحْصِيلِهِ وَأُضِيعُهُ ؟ إِذَا كُنْتُ مُعْتَاضًا عَنِ الْبُرِّءِ بِالْعُقْمِ !

- وقال في فضل المال :

أَتَسَى بِشَفِيعٍ لَيْسَ يُمَكِّنُ رَدُّهُ ؛ دِرَاهِمُ يَبْضُ لِلْجُرُوحِ مَرَاهِمُ ؛
تُصَيِّرُ صَعْبَ الْأَمْرِ أَهْوَنَ مَا يُرَى ، وَتَقْضِي لُبَانَاتِ الْفَتَى وَهُوَ نَائِمُ .

(١) الكيس (بالفتح) : العقل ، الفطنة (بالفتح : حسن الادراك للأمور) ، الذكاء .

- وقال في إباء النفس وعزتها:

وقَصَّرَ آمالي مآلي إلى الردى وأتني، وإن طال المدى، سوف أهلك
فصننت بماء الوجه نفساً أَيْبَةً، وجادت بيمني بالذي كنت أملك.

- من موشحه لأبي حيّان الغرناطي في الخمر:

إن كان ليلٌ داحٍ. وخائنا الإصباح فورها الوهاج يُغني عن المصباح

سُلافةٌ تبدو كالكوكب الأزهر؛
مزاجها شُدهُ وربُّجها عنبر،
يا حبذا الورْدُ منه وإن أسكر^(١).
قلبي بها قد هاج، فما يراني صاحٍ عن ذلك المنهاج وعن هوى، يا صاحٍ

وي رثاً أهيفُ قد لَجَّ في بُعدي^(٢)،
بدرٌ فلا يُخَفُّ مه سنا الخدِّ،
بلحظه المُرَهَفُ يسطو على الأند
كسوة الحجَّاج في الناس والسَّاح. فما ترى من ناسٍ من لحظة السَّاح^(٣)

٤- البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم، القاهرة ١٣٢٨ هـ.

- هداية النحو (بلا تاريخ).

-
- (١) داحٍ: مظلم. خائنا الإصباح: لم يطلع الصباح في ميعاده.
(٢) السُلافة: الخمر. الثور: (يفتح الثين وكسرهما وضمتها): الصل. فما يراني صاح: فما يراني قلبي صاحياً
مفصلاً (من الحب والسكر). الورد (بكسر الواو): الشرب.
(٣) يا صاح: يا صاحبي.
(٤) وي (أحباً) رثاً أهيفُ (غزال) أهيفُ (نحيل القد). قد لَجَّ في بُعدي (أصر على الابتعاد عني). المرهف:
القاطع.
(٥) الحجَّاج بن يوسف والي العراق في أيام عبد الملك بن مروان كان مشهوراً بالقسوة والبطش. السَّاح
(الأولى): أبو العباس السَّاح الخليفة العباسي الأول (قتل خلفاً كثيراً من أهل البيت الأموي بقسوة
وغدر. السَّاح (الثانية): الذي يصفح (يسفك) الدم. ما ترى من ناسٍ: لا ينجو منه أحد.

- الإدراك للسان الأتراك، استانبول ١٣٠٩ هـ؛ (جعفر أوغلو)، اعتابول ١٩٣١ هـ.
- تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، حما (مطبعة الإخلاص) ١٣٤٥ هـ = ١٩٢٦ م؛ دمشق ١٩٣٢ م.
- الارتضاء في الفرق بين الضاد والطاء (بتحقيق محمد حسن آل ياسين)، - مطوع مع «الفرق بين الضاد والطاء» لمحمد بن ثوان الحميري، بغداد (مطبعة المعارف) ١٣٨٠ هـ = ١٩٦١ م.
- ديوان أبي حيان الأندلسي (تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي)، بغداد (مطبعة العاني) ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٩ م.
- *** أبو حيان النحوي، تأليف خديجة الحديثي، بغداد (مطبعة النهضة)، ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٦ م.
- فوات الوفيات ٢: ٣٥٢-٣٥٦؛ الوافي بالوفيات ٥: ٢٦٧-٢٨٣؛ ابن قنفذ ١٣٤٩؛ نكت الحميان ٢٨٠-٢٨٦؛ بنية الوعاة ١٢١-١٢٣؛ البدر الطالع ٢: ٢٨٨-٢٩١؛ شذرات الذهب ٦: ١٤٥-١٤٧؛ نفع الطيب ٢: ٢١٢، ٢٢٨، ٢٢٩-٢٣٠، ٥٣٥-٥٨٤، ٦٥٥-٦٥٦، ٥: ١٩٢، ٢٦٢، ٢٦٦، ٣٥٢، ٤٧٠؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ١٢٦؛ بروكلمن ٢: ١٣٣-١٣٤، الملحق ٢: ١٣٥-١٣٦؛ الأعلام للزركلي ٨: ٢٦ (٧: ١٥٢)؛ البحث العلمي، -، ستمبر-دجنبر (أيلول-كانون الأول) ١٩٦٤، ص ٢٤١-٢٤٧ (يقلم سعيد غراب)؛ سركيس ٣٠٦-٣٠٧.

الطويحين الساحلي

١- هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأنصاري الساحلي (نسبة إلى جدّه لأمه) المشهور بطويحين من أهل غرناطة. كان أبوه أمين العطارين في غرناطة وعالماً فقيهاً قديراً في حاب الفرائض (تقسيم الإرث)، وكان ربّ أسرة معروفة بالصلاح والتقوى وعلى قدر من الثروة.

نشأ إبراهيم في غرناطة وتلقّى العلم فيها ثم أصبح مؤثّقاً (كاتباً عدلاً) بسياط شهود غرناطة.

وكان إبراهيم كثير الرحلة جاء إلى الشرق فزار مصر والشام والعراق واليمن والحجاز فحجّ وزار المدينة. ويبدو أنّه، بعد ذلك، في سنة ٧٢٤ هـ، دخل بلاد السودان (الغربي) ثم عاد وشيكاً في العام نفسه. ولكن يبدو أنه تردّد إلى السودان مراراً

وَاتَّصَلَ بِمَلِكِهِ ثُمَّ عَادَ مَرَّةً وَأَهْدَى إِلَى مَلِكِ الْمَغْرِبِ هَدِيَّةً طَرِيفَةً فَأَثَابَهُ مَلِكُ الْمَغْرِبِ عَلَيْهَا مَالًا كَثِيرًا.

وعاد في أواخر أيامه إلى السودان وَنَزَلَ فِي تَنْبُكُو (مالي اليوم) فَأَدْرَكَتْهُ فِيهَا الْوَفَاةُ، يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ فِي السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ سَنَةِ ٧٤٧ (١٣٤٦/١٠/١٦ م).

٢- كان الطويجى الساحلي ناظما وناثرا قديرا يجمعُ الحزالة والمثانة وربما رأيت على شعره شيئا من الرقة. ثم هو كثيرُ الغريب يتكلفُ الصَّنَاعَةَ وَيُكْثِرُ فِي نَثَرِهِ خَاصَّةً مِنَ الْإِشَارَاتِ التَّارِيخِيَةِ وَالْأَدْبِيَةِ حَتَّى لَيَقْرُبُ أَنْ يُصْبِحَ شِعْرُهُ وَنَثَرُهُ أَلْفَاظًا. وَلَا شَكَّ فِي أَنَّهُ كَانَ مُلَمًّا بِعَدِيدٍ مِنَ الْعُلُومِ. وَالْمَادَّةُ فِي أَدَبِهِ تَغْلُبُ عَلَى الْأُسْلُوبِ. وَشِعْرُهُ مَقْسَمٌ بَيْنَ الْمَدْحِ وَالرِّثَاءِ وَالنَّسِيبِ وَالْحَمْرِ، وَلَهُ أَشْيَاءٌ عَلَى طَرِيقَةِ الْقَوْمِ (الصُّوفِيَةِ).

٣- مختارات من آثاره

- لَمَّا وَصَلَ الطَّوَيْجِيُّ السَّاحِلِيَّ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ إِلَى مَدِينَةِ مَرَكَشَ خَاطَبَ أَهْلَ غَرْنَاطَةَ بِرِسَالَةٍ طَوِيلَةٍ مِنْهَا:

سَلَامٌ لَيْسَ دَارِينُ شِعَارُهُ وَحَلَقِ الرُّوضِ وَالنُّضِيرِ بِهِ صِدَارُهُ^(١)، وَأَنْسَى نَجْدًا شَمَّهُ الزَّكَمِيَّ وَغَرَارَهُ^(٢). جَرَّ ذَيْلَهُ عَلَى الشَّجَرِ فَتَمَطَّرَ وَنَاجَى غُصْنِ الْبَانِ فَاهْتَزَّ لِحْدَيْهِ وَتَأَطَّرَ^(٣). وَارْتَفَعَ النَّدى مِنْ تُغُورِ الشَّقَائِقِ وَحَيًّا خُدُودَ الْوَرْدِ تَحْتَ أُرْدِيَةِ الْحَدَائِقِ. طَرَبَتْ لَهُ النُّجْدِيُّ الْمُشْتَهَامَةُ فَهَجَرَتْ صَبَاهَا بَيْطُنَ تِهَامَةٍ^(٤). وَحَنَّ ابْنُ دَهَانَ لَصَبَاهِ

(١) دارين: مكان مشهور (في الشام وفي البحرين) ببياناته ذات الرائحة الطيبة. النصارى: الطراز، العلامة. الصدار ثوب نصفي الصدر. والجملة: سلام.... صداره « غير مفهومة. اقرأ: « سلام لبست دارين شعاره، وحلّى الروض النضير به صداره » (سلام أخذت دارين منه عطرها، واتخذ الروض النضير - الزاهر - منه صداره، أي ثوبه الجميل الألوان)

(٢) شمه (اقرأ: شبيهه). الغرار نبات زكّى الرائحة (إشارة إلى قول الشاعر: تَمَتَّعَ مِنْ شَمِّهِ عَرَارِ نَجْدِ).

(٣) سلام جرّ ذيله (مع).... تأطّر: تنسّى، قابل (من السرور والفرح).

(٤) النجديّة (؟) المشتهة، الهامقة، المتخوفة، العاشقة (الهامّة ؟). هجرت صباها (بالفتح: ؟ بالفتح: الريح الباردة). تهامة: ساحل الحجاز (المنخفض عند شاطئ البحر).

وسلا به التميمي عن رياه^(١) وأنسي الثميري^(٢) ما تَصَوَّعَ بَرَزَنَبَ من بطن نعمانه^(٣)...
 حتَّى إذا راقَتْ أنفاسُ تحيَّاته ورَقَّتْ ومَلَكَتْ نفاسُ النفوسِ واستشرقت^(٤). ولَبَسَتْ
 دارينَ في مِلانِها ونظمتِ الجوزاءَ في عِقْدِ ثِنانِها^(٥) واشتغل بها الأعشى عن رَوْضِهِ
 ولَهَى ، وشَهِدَ أبْنُ بُرْدٍ شَهادَةَ أطرافِ المَساويك لَها^(٦) خَيَّمَتْ في رَبْعِ الجودِ
 بِفَرانِطَةٍ ورَقَّتْ ومَلَأَتْ دَلوُها إلى عَقْدِ ركبهِ^(٧)، وأقبلتُ منابتُ شَرْقِها عن غَرْبِهِ لا عن
 عَرَفِهِ^(٨). هنالك تُتَرى لها صدورُ المَجالسِ تُخْمِلُ صُدُوراً^(٩) وترايبُ المَعالي تُحَلِّي
 عَقوداً نَفسَةً وجذوراً^(١٠)، ومحاسنُ الشرفِ تُحاسِنُ البُرُوجَ في زُفْرها^(١١) والأفنيَّةَ في
 إيوانِها والأُنديَّةَ في شِجَبِ بَوَّانِها^(١٢). لو رآها النُّعمانُ لَهَجَرَ سَديرُهُ^(١٣) أو كَسِرَى لَبَنَدُ

(١) وحَنَ ابن دَهان لَصابَه (٩). ملا: نسي. التميمي (٩) رياه (اقرأ: رِيانَه، لموازنة نَعمانَه الآتية).

(٢) الثميري هو مُحَمَّد بن عبد الله بن غَير (ت نحو ٩٠ هـ) شاعر أُمويٍّ له قصيدة مَطلَعا:

تَصَوَّعَ مَسْكا بطنَ نَعمانٍ إذ شَتَّ بــــه زِينبُ في نِوَةِ عَظِيراتِ.

نَعمان: وادٍ في الحِجاز (نَعمان الإِراك).

(٣) اقرأ: واسترَقَّتْ.

(٤) الجوزاء مجموع من النجوم.

(٥) اقرأ: ولَها (من لَها يَلهُو) يَشرُ إلى الأَعشى مِبيون بن قيس الذي يقول في مَعلقَتِه اللَّامِيَّة: ما رَوْضَةٌ من

الحَزَن (بفتح الحاء) مَضِيبَةٌ....

(٦) يقول بن بشار بن برد:

يا أَطيبَ الناسِ رِيقاً غيرَ عَجِيرٍ إِلَّا بِقِيَّــــةِ أطرافِ المَساويك!

(٧) اقرأ: إلى عَقْدِ كَربِهِ. الكَرب (بفتح ففتح): الحِبلُ يَشدُّ فوق خِصْبَةِ الدلو.... خَيَّمَتْ في رِيعِ الجودِ

(بِقصد واصلت رسالتي إلى قومي الكرام). رَقَّتْ (٩). مَلَأَتْ دَلوُها إلى عَقْدِ كَربِهِ (ملأته تماماً). (المقصود

غير واضح لي).

(٨) الغرب: ماءٌ يَيلُ أو يَنقُطُ من الدلو عند نَقلِه الماءَ بِهِ. الغرب: الرَّاحَةُ الطَّيِّبَةُ. (المعنى العامُّ غير

واضح).

(٩) اقرأ: التَّرابِيبُ (عظام في أعالي الصدر).... واقرأ: شَذوراً (قطع صغيرة من ذهب توضع بين حَباتِ

اللؤلؤ في العَقْد).

(١٠) تحاسن: تَباها بِغيرِها بِحَسَنِها هي. الزهر: الكواكب. البروج: مَناطق في السَما تَنقَلُ الكواكب فيها

(بحسب المدرك القديم في الفلك).

(١١) الأفنية جمع فناء (بكر الفاء): باحَةٌ فِيحَةٌ أمامَ الدارِ. الإيوان: القاعة العَظيمة الواسعة تحاسن

الأفنية في إيوانِها (٩).

الأندية جمع ندى: نَقاطُ الماءِ التي تَجَمُّعُ في أَثناءِ اللَّيلِ على الأغصانِ والعُشبِ إلخ. شَـبَّ بَوَّان: تَمَرَّ =

إِيَوَانَهُ وَسَرِيرَهُ^(١) أَوْ سَيْفَهُ^(٢) لَقَصَرَ عَنْ عُغْدَانِهِ أَوْ حَسَانَ تَرَكَ جَلَّقَ لِسَانَهُ^(٣)....
لك إبليس! أفلا أشقت من عذابي وسمحت ولو بسلام من أحبابي^(٤): أسلمتني إلى
دَرَعُ البِيدِ ومخالفة الذميل والوخيد^(٥)، والتَنَقَّلَ في المَشارِقِ والمَغارِبِ، والتَمَطَّى في
الصَّهَوَاتِ والفَوَارِبِ^(٦).....

- وقال في النسيب والخمر:

زارتُ وفي كُلِّ لَحْظٍ طرفُ مُحْتَرَسٍ وحولَ كُلِّ كِنَاسٍ كَفَّ مُفْتَرَسٍ^(٧).
يشكو لها الجيدُ ما بالْحَلِيِّ من هَدَرٍ ويشكي الزُّندُ ما بالْقَلْبِ من خرس^(٨).
في لَحْظِهَا سِحْرٌ فِرْعَوْنٍ، ورِقَّتُهَا آيَاتُ مُوسَى، وقلبي موضعُ القيس^(٩).

= مشهور في غربي بلاد فارس فيه خصب كثير وفواكه متنوعة.
هذا من قول التَّنَبِّي

يقول بضم بَوَّانٍ حصاني: أعن هدا يُبار إلى الطمان؟
أبوكم آدم سنَّ المعاصي .علمكم مفارقة الجنان.

- (١٢) التمان بن المنذر ملك الحيرة. المدير: قصر النعمان.
- (١) إيوان كسرى: بناء فخم عظيم على نحو عشرين ميلاً شرق بغداد كان العاصمة الصفية للفرس.
- (٢) سيف بن ذي يزن: ملك في اليمن. غمدان قصر.
- (٣) حسان بن ثابت. غسان: بنو غسان ملوك الشام في جَلَّقَ قرب بُصْرَى في سهل حوران (وربما أطلقها بعضهم على دمشق). إشارة إلى قول حسان:
- لله دَرَعٌ عَصَابِيَّةٌ نَادِمُهُمْ يوماً بَجَلَّتْ في الزمان الأول.
- (٤) لك إبليس: لا بارك الله فيك. أشقى: خاف، هاب.
- (٥) درع: قياس. البِيدُ جمع بِيْدَاءٍ: الأرض الواسعة (الفر الكبير). الذميل: سير سريع لَبَنَ: الوخيد: سير سريع مخطئ واسعة: مخالفة الذميل والوخيد: الاستمرار في الأسفار.
- (٦) الصهوة: ظهر الحصان. الغارب: كعب العير. التمطي: طول السير.
- (٧) الطرف: العين. الكناس: مأوى الطي. زارت وهي خائفة من الذين وجدتهم حولها، وكل من كان حولها كان يريد الوصول إليها (!).
- (٨) الجيد: العنق. الحلي ما تزين به المرأة. الهدر: صوت العير والغلام (عليها حلي كثير يسمع له صوت عند تحركها ومشيها). القلب (بضم الفاء): سوار من قطعة واحدة. والتاعر يقصد بالقلب (الجمع: عدد من الأمورة أو الأساور) وهذه الأساور خرساء لأن زند الفتاة تمتلئ (كثير اللحم)، فالأساور لا تتحرك في زندها.
- (٩) القيس: البار (قلبي مشعل مجتبا).

أشكو إليهما فؤاداً واجسلاً، أبداً

في «النازعات»، وما تنفك في «عبس»^(١).

يا شقة النفس، إن النفس قد تلفت إلا بقية رجع الصوت والنفس^(٢).

هذا فؤادي وجفني فيك قد جمعا ضدين فاعتري إن شئت واقبسي^(٣)!

وليلة جثها سخرأ أجوس بها شبا الموالى وخيف الأخنف الشرس^(٤).

بشنا نطاطى بها ممزوجة مزجت حلو الفكاهة بين اللين والشرس^(٥).

أنكحتها من أبيها وهي آية فثار أبناؤها في ساعة العرس^(٦).

نور ونار أضاءا في رواجتهما: فذاك خذك، يا ليلي، وذا نفسي!

حتى إذا أب نور الفجر في وضع من معرك جال بين الفجر والغلس^(٧).

قامت تجر فضول الريطر آسة كريمة الذيل لم تجنح إلى دس^(٨).

تلوث فوق كتيب الرمل مطرفها وتمسح النوم عن أجفانها النص^(٩).

فظل قلبي يقفوها بملتهب طوراً، ودمي يتلوها بمنجس^(١٠).

(١) واجسلاً: خائفاً (م أن تهره). النازعات وعبس: السورتان ٧٩ و ٨٠ في المصحف. من معاني الزروع:

الحنين والانتياق. العبس (يفتح فسكون والموس): تجتمع جملة أوجه دلالة على النور والزرع.

(٢) الشقة: (يفتح الثين): الجزء من الشيء. (يضم الثين): نصفه.

(٣) الضدان: الماء (السقاء) في عبي، والنار في قلبي: اعترى: تمجى. وإن لم تصدق فاقبسي (قرني شيئاً من قلبي فإنه يهترق).

(٤) الحر (يفتح ففتح أو يفتح فسكون): الزمن عند الفجر. أجوس: أدور، أتحول. الشبا: حد السيف أو البكين. الموالى جمع عالية: أعلى الريح. الخيف جمع خيفة (يفتح الحاء): عرين الأسد. الأخنف^(٥).

(٥) بشنا (قصيدا الليل) نطاطى: نسي مرة بعد مرة. بها (في تلك الليلة). ممزوجة (خرأ ممزوجة بلاء) لعلها يقصد: مشولة (خرأ مرت عليها ريح الشمال - يفتح الثين - فأصبحت باردة).

(٦) أنكحتها: زوجتها من أبيها (الماء): مزجتها بلاء. وهي آية (امرأة تارقها الحيض) كناية عن قدمها. فثار (تطأ). أبناؤها: فثاقب الماء التي تحول على وجه الحمر عند مزجها بالماء. في ساعة العرس (عند امتزاج الحمر بالماء).

(٧) آب: رجع. الوضع: الوضوح، البياض. الغلس: الظلام. من معرك جال^(٨).

(٨) الربطة: قطعة واحدة من نسج نفيس تلبس فوق الرداء، فضول الريط: أطراف الربطة القريبة من الأرض (قامت تجر إلخ: انصرفت بأمان). آسة: فتاة صغيرة السن. كريمة الذيل طاهرة، نقية (محفوظة كرامتها). جنح: مال.

(٩) تلوث: تلف. كتيب: الرمل: تلة (كناية عن امتلاء جسمها في وسطه). المطرف: ثوب ثمين.

(١٠) قفا: نبع. يتلوها: يرافها، يتبعها. منجس: سائل فائض (من الدمع).

دَهْرٌ يُلَوِّنُ لَوْنَيْهِ كَمَا دَنَى: فالصبحُ في مَآثِمِ وَاللَّيْلُ فِي عُرْسٍ !
- وقال وفي قوله لَمَحَاتٌ مِنَ التَّصَوُّفِ:

دَعِ الْعَيْنَ تُذَرِّي الدَّمْعَ فِي طَلَلِ الرَّبْعِ فليس حراماً أن أُرِيقَ بِهَا دَمْعِي ^(١).
وَحَدَّثَ عَنِ الْقَوْمِ الَّذِينَ عَهَدْتُهُمْ: أَحَلُّوا بِنَجْدٍ أَمْ أَقَامُوا عَلَى سَلَعٍ ^(٢)؟
وإن لم يكن قد فاز طَرْفِي بِنَظَرَةٍ إِلَيْهِمْ، فَحَسْبِي أَنْ يَفُوزَ بِهِمْ سَمْعِي.
ذَكَرْتُكَ، يَا نَجْدٌ، ففَاضَتْ مَدَامِعِي. وَأَيُّ نَصِيرٍ لِلْمُحِبِّ سِوَى الدَّمْعِ!
وإن تَقَنَّ، يَا نَفْسُ، الْعَزَاءَ تَحْتَلًّا، فَإِنَّكَ مَكْلُومٌ الْحَنَّا دَائِمُ الصَّدْعِ ^(٣).
أَحِبُّ، كَمَا حَسَّتْ رِكَابِي، إِلَى مَنَى؛ وَمَا دَارُهَا دَارِي وَلَا رَبْعُهَا رَبْعِي ^(٤).
وَقَالُوا: غَدَاً تَقْضَى بِجَمْعٍ دُيُونُنَا. وَحَسْبِي بِجَمْعٍ أَنْ أَرَى لَيْلَةَ الْجَمْعِ ^(٥).
لَيْسَ لَكَ قَلْبِي، يَا ابْنَةَ الْقَوْمِ، طَائِعٌ صَبُورٌ عَلَى الشُّكْوَى (شُكُورٌ) عَلَى الْمَنَعِ!
تَجَلَّى لَطَرْفِي فِي مُحْيَاكِ رَوْضَةٍ وَوَزَدْتُهُ الْمُحْمَرَّةُ اللَّوْنِ مِنْ زَرْعِي ^(٦).

وَتَفَرَّكَ مِنْ دَمْعِي وَخَلَّكَ مِنْ دَمِي،
وَحَصْرُكَ مِنْ فِكْرِي وَحَلَّيْتُكَ مِنْ سَجَمِي ^(٧).
قَصَرْتُ قُوَادِي فِي رِضَاكِ عَلَى الْجَوَى وَحَرَمْتُ عُذْلِي فِي هَوَاكِ عَلَى سَمْعِي ^(٨).

- (١) أَدْرَى: فَرَّقَ، أَسَالَ. الرَّبْعُ: الْمَسْكَنُ. أَرَأَيْتَ: سَكَبَ عَلَى الْأَرْضِ.
- (٢) الَّذِينَ عَهَدْتُهُمْ: الَّذِينَ أَعْرَفْتُهُمْ. أَحَلُّوا... إِلَيْهِ: أَيْنَ هُمْ الْيَوْمَ؟
- (٣) أَنْ تَقَنَّ الْعَزَاءَ: (أَنْ تَحْفَظِيهِ): تَصْبِرِي. التَّحَلُّ: التَّشَدُّدُ وَاحْتِمَالُ الْمَصِيبَةِ (خَوْفًا مِنْ شَتَاةِ الْمَدَى). مَكْلُومٌ: مَجْرُوحٌ. الْحَنَّا: دَاخِلُ الْجِسْمِ (الْقَلْبِ). الصَّدْعُ: الْإِنْكَارُ. كَانَ يُخَاطَبُ النَّفْسَ، ثُمَّ انْتَفَتَ إِلَى غَاظِيَةِ نَفْسِهِ: فَإِنَّكَ (بِفَتْحِ الْكَافِ).
- (٤) الرِّكَابُ: مَا يَرْكَبُهُ الْمَافِرُ (الْثَاقَةُ). مَنَى: مَكَانٌ قَرِيبٌ مَكَّةَ فِيهِ مَنَسْكٌ لِلْحِجَاجِ (كِتَابَةُ عَنِ التَّوْقِ إِلَى اللَّهِ).
- (٥) جَمْعٌ: مَزْدَلِفَةُ، قَرِيبٌ مِنْ بَنِي حَبِثَ بَيْتِ الْحِجَاجِ بَعْدَ نَزْوَلِهِمْ مِنْ عَرَفَاتٍ. تَقْضَى جَمْعُ دُيُونُنَا: تَتَحَقَّقُ جَمِيعُ أَمَالِي. أَنْ أَرَى لَيْلَةَ الْجَمْعِ: أَنْ أَكُونَ وَإِيَّاهَا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ (كِتَابَةُ عَنِ الْعَزَّةِ الْإِلَهِيَّةِ).
- (٦) - أَحَرَّ خَدَّاهَا لَمَّا نَظَرَتْ أَنَا إِلَيْهَا فَانْتَحَيْتُ.
- (٧) - رَيْقُكَ الصَّافِي مِنْ دَمْعِي، وَلَوْ أَنَّ خَدَّكَ مِنْ دَمِي، وَخَصْرُكَ نَاحِلٌ كَسُحُولِ فِكْرِي مِنْ كَثَرَةِ التَّنَكُّيرِ فَيْكَ ^(٩) وَنَسَمٌ مَا تَنْزِينِي بِهِ مِنْ الْحُلِيِّ جَبِيلٌ كَشْمَرِي فَيْكَ ^(١٠).
- (٨) قَصَرْتُ قُوَادِي: جَعَلْتُهُ يَكْفِي. الْجَوَى: أَلَمُ الْحُبِّ. الْعُذْلُ: الْوَلَمُ. رَضِيتُ أَنْ أَتَأَلَّمَ لَصُدُوكَ عَنِّي وَلَمْ أَرْضَ أَنْ أَلُومَكَ أَوْ أَنْ أَسْمَعَ لَوْمًا فَيْكَ.

أبو بكر بن شبرين

١- هو الشيخ الكاتب القاضي أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن شبرين الجذامي، أصله من إشبيلية، من حصن ثلب^(١)، انتقل أبوه - سنة ٦٤٦ هـ - من إشبيلية إلى رندة ثم سكن غرناطة ثم انتقل إلى سبتة (في المغرب).

وُلد أبو بكر بن شبرين في سبتة، في أواخر سنة ٦٧٤ هـ (١٢٧٦ م). بدأ تعلمه بالقراءة على جده لأمه أبي بكر بن عبدة الإشبيلي وعلى الأستاذ أبي إسحاق الغافقي. ثم إنه رحل إلى تونس ولقي نقرأ من علمائها.

وفي أواخر سنة ٧٠٥ هـ (١٣٠٥-١٣٠٦ م) جاء إلى غرناطة وتولى الكتابة للسلطان أبي عبد الله محمد بن محمد المخلوع (٧٠١-٧٠٨ هـ). وتولى القضاء أيضاً. وقد رثى الوزير ابن الحكيم الرندي (قُتل ٧٠٨ هـ) ثم رثى السلطان محمد بن إسماعيل (٧٢٥-٧٣٣ هـ) المقتول.

وكانت وفاة أبي بكر بن شبرين في ثالث شعبان من سنة ٧٤٧ هـ (١٣٤٦/١١/١٩ م).

٢- كان أبو بكر بن شبرين من أهل الدين والفضل والعدالة ومن شيوخ الكتّاب حسن الخط. وكان فصيحا مُتقدراً في نظم الشعر بارعاً في النثر. وفنون شعره الرثاء والفخر. وقصائده طوالٌ وعليها شيء من الرونق والنفس الصوفي. غير أنه أحياناً كثير التكلف.

(١) حصن ثلب (?). هنالك بلدة معروفة باسم « ثلب » تبعد مائتي كيلومتر إلى المغرب من إشبيلية، وتقع قرب الساحل الجنوبي في البرتغال اليوم.

- قال ابن شبرين الجذامي في القائد بكر بن الأشقر الحضرمي (ت ٧١٤هـ):
«كان له في الخدمة مكان كبير وجاءه عريض. ثم صرّقه الأمر عن اسمه * وأنزله الدهر
على حكمه. تغمّده الله برحمته (الإحاطة ١: ٤٥١-٤٥٢).

- وقال في التذکر والاعتبار والابتهاال:

ظعن الصبا، ومن المحال قفوله. إن كنت باكيه قتلك طولله^(١).
رعياً لجيراني وللظل الذي قد كان يجمعنا هناك ظليله.
هذي ديارهم فمثلهم بها، إن المتيم شأنه قميله^(٢).
عهد أحيلت حاله، فاليوم لا معقوله منا ولا منقوله^(٣).
أشجاك مجتمع عفت آياته وتجاوزته شاله وقبوله^(٤).
قد كنت تصغر عن سني قتيانه، فاليوم تصغر عن سنيك كهوله^(٥).
ما كان ماضي الميش إلا خطرة خطرت، ووقت قد تتابع جيله^(٦).
ضيّمت في طلب الفضول بكوره، لكن نذمت وقد أذاك أصيله^(٧).
دغ عنك تذكّار الصبا، إن الصبا رسم يهيج لك الغرام معيله^(٨).

-
- (١) ظعن الصبا (رحل الشاب). القفول: الرجوع. الطلل: مكان البيت بعد أن ينهزم. (يشبه الجسم بعد أن يفارقه الشاب بالطلل). * رسمه (٢).
(٢) المتيم: الذي أرضه الحب لأنه لا يستطيع أن يصل إلى محبوبه) يتحيل محبوبه تحيلاً.
(٣) أحيلت: تبدلت. في ألفاظ الفلاسفة: العقول (المعروف بالرهان) والنقول (الروى، الواصل إلينا عن أعلامنا). لم يبق من شبابي حقيقة ولا مظهر.
(٤) شجا، شجو: حزن (فعل متعدي) وأحزن. عفا بضم: امحى. الآية: العلامة (مظاهر العمران).
(٥) تجاوزته (الرياح) تداورته: تهبّ عليه من جهة مرة ثم من جهة ثانية مرة أخرى. الشمال: الريح الشمالية. والقول: ريح الصا (القاموس ٤: ٣٤) وتهبّ من المغرب.
(٦) الكهل من جاوز الأربعين. كنت أصغر أصحابي (في أيامهم) فصرت أكبرهم سناً (في أيامي).
(٧) خطرة: مدة بيزره. تتابع جيله: ماتوا واحداً بعد واحد.
(٨) بكوره: أوله (زمن الشباب). أصيله (الأصل): ما بين الظهر والمصر: آخره (عصر الشيخوخة).
(٨) المهيل: التغير المحو.

يا مفرقاً نزل الشيبُ به، اتَّيَدُ؛
 لم يَتمدَّ شيبٌ محلَّةَ لَمَّةٍ
 قد كان أنسي في الشبابِ فصدني
 حي إذا رُمْتُ الأنيسَ مؤنسٌ
 يئلى الزمانُ ولا يزال مُجدِّداً،
 يا حاضراً عندي، وليس بجائرٍ
 يا غائباً عن ناظريٍّ ولم يغبْ
 يا واحداً حقاً، وليس بمُمكنٍ
 أنا ذلك العبدُ الظلومُ لنفيه
 فالحرَّ لا يُؤدِّي لذنيه نَزِيلُهُ^(١)
 سوداءٌ إلّا والجمامُ زميلُهُ^(٢)
 وأبى عليَّ وصاله ووصوله^(٣)
 - من ربنا سُبحانه - تَزِيلُهُ^(٤)
 لا نَصه يئلى ولا تأويلُهُ^(٥)
 إدراكُهُ؛ إنَّ العقولَ تُحيلُهُ^(٦)
 إحسانه عني ولا تَنوِيلُهُ^(٧)
 تَسْبِيهُ - كَلّا - ولا تَخْيِيلُهُ،
 زَلَّتْ به قدمٌ وأنت مُقِيلُهُ.

٤- ** الإحاطة ١ : ١٠٤ ، ٤٥١ - ٤٥٢ ، ٥٥٢ - ٥٥٣ ، ٥٥٧ ، ١٧٤ - ١٨٢ ؛
 الكسبة الكاشفة ١٦٦ - ١٧٢ ؛ اللوحة البدرية ٩٨ - ١٠٢ ؛ أوصاف الناس ٣٧ -
 ٣٩ ؛ أعمال الأعلام ٢٩٨ ، ٣٠١ - ٣٠٤ ؛ المرقبة العليا ١٥٣ ؛ نفع الطيب ١ ؛
 ١٧٧ - ١٧٨ ؛ ٥ : ٥٤١ - ٥٤٣ ، ٦٠٥٤٣ - ٢٥١ - ٢٥٣ ؛ النبوغ المغربي ٤١٣ - ٤١٥ ،
 ٧٣٧ - ٧٣٨ ، ٩٣٣ - ٩٣٦ .

ابن الجيّاب الغرناطيّ

١ - هو أبو الحسن عليُّ بنُ مُحَمَّد بنِ سُلَيْمان بنِ عليٍّ بنِ سُلَيْمان بنِ حَسَنِ الأنصاريّ
 المعروف بابن الجيّاب، وُلِدَ في غرناطة في جُمادى الأولى من سَنَةِ ٦٧٣ (خريف
 ١٢٧٤ م).

- (١) المرق: نصف الرأس أو جانبه (مكان فرق الشعر) اتشد: سر على مهل. التزيل: الضيف (كتابة عن النسب).
- (٢) اللّمة: شعر مقدّم الرأس. الجمام: الموت.
- (٣) قد كان (الصا: هو الشباب) أنسي... وأبى عليّ وصاله ووصوله (لا أنا الآن أصلح له ولا هو يصلح لي).
- (٤) الآن تبدلت باللّه قراءة القرآن (تنزيله).
- (٥) الصمّ (ظاهر اللفظ) وتأويله (النظر في باطن المعنى).
- (٦) يا حاضراً (خطاب لله تعالى).. العقل يمع أن يدرك الإنسان حقيقة الله.
- (٧) يا غائباً (لأن الله لا يُرى). السويل: العطاء.

أخذ أبو الحسن بن الجيَّاب أشياء من العلم عن ابن الزبير النَّفَّيَّ (ت ٧٠٨ هـ) صاحب «صِلَةِ الصِّلَةِ» وعن ابن رُشِيد السَّيِّ (ت ٧٢١ هـ) صاحب الرَّحْلَةِ. دَخَلَ ابنُ الجيَّاب إلى الدِّوَانِ السُّلْطَانِي كَاتِباً سَنَةَ ٧٠٨. ثُمَّ إِنَّهُ وَزَرَ لِأَبِي الْحَجَّاجِ يَوْسُفَ النِّيَّارِ سَابِعَ سَلَّاطِينَ بَنِي نَصْرِ فِي غَرْنَاطَةِ (٧٣٧ - ٧٥٥ هـ). وَيَدُو أَنَّهُ آسَمَرٌ فِي خِدْمَةِ الدَّوْلَةِ النَّصْرِيَّةِ مُنْذُ تَوَلَّى الْكِتَابَةَ إِلَى حِينِ وَفَاتِهِ بِالطَّاعُونَ، فِي ٢٣ شَوَّالٍ ٧٤٩ (١٣٤٩/١/١٥ م).

٢- كَانَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْجِيَّابِ مُتَفَنّاً فِي الْعُلُومِ مُقَدِّماً فِيهَا: فِي الْقَرَاءَاتِ وَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ وَالْفَرَائِضِ وَفِي اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ وَالْبَلَاغَةِ وَالْأَدَبِ وَفِي الْحِسَابِ وَالتَّارِيخِ، كَمَا كَانَ مُشَارِكاً فِي عِلْمِ التَّصَوُّفِ. ثُمَّ إِنَّهُ كَانَ نَائِراً وَشَاعِراً مُكْتَرِئاً فِي عَدِيدٍ مِنْ فُنُونِ الشَّعْرِ: فِي الْغَزَلِ (الصَّوْفِي عَلَى الْأَرْجَحِ) وَالْمَدْحِ وَالرِّثَاءِ وَالْأَدَبِ (الْحِكْمَةِ) وَفِي الْأَلْفَاظِ. وَمَعَ أَنْ شَعْرَهُ سَهْلٌ وَاضِحٌ صَحِيحُ الْمَبَانِي، فَلَنْ رَوْنَهُ قَلِيلٌ. وَلَهُ مَعْشَرَاتٌ فِي الشَّعْرِ.

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ

- مِنْ رِسَالَةٍ لِابْنِ الْجِيَّابِ الْغَرْنَاطِيِّ عَلَى لِسَانِ سُلْطَانِ غَرْنَاطَةِ^(١) إِلَى السُّلْطَانِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَرْيَنِيِّ صَاحِبِ فَاسٍّ (٧١٠ - ٧٣٢ هـ):

الْمَقَامُ - لَدَى الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ الْأَعْلَامِ وَالْفَضْلِ الثَّابِتِ الْأَحْكَامِ، وَالْجِدِّ الَّذِي أَشْرَقَتْ بِهِ وَجْهُهُ الْأَيَّامُ وَالْفَخْرُ الَّذِي تُتَدَارَسُ أَخْبَارُهُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ^(٢) وَالْعِزِّ الَّذِي تَعْلُو بِهِ كَلِمَةُ الْإِسْلَامِ - مَقَامُ^(٣) مَحَلِّ الْأَبِّ الْوَاجِبِ الْإِكْبَارِ وَالْإِعْظَامِ..... أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي أَوْلَاكُمْ مُلْكاً مَنْصُوراً وَفَخْراً مَشْهُوراً، وَأَحْيَا بِدَوْلَتِكُمُ الْعَلِيَّةَ الْمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ذِكْراً مَنْشُوراً، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ الَّذِي اخْتَارَهُ (اللَّهُ)

(١) فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ (٧١٠ - ٧٣٢ هـ) كَانَ فِي غَرْنَاطَةِ ثَلَاثَةُ سَلَّاطِينَ: أَبُو الْجِيُوشِ نَصْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ (٧٠٨ - ٧١٣ هـ) وَأَبُو الْوَلِيدِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ فَرْجٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ (٧٢٥ - ٧٣٣ هـ).

(٢) الرُّكْنُ الْبَلْبَانِيُّ وَمَقَامُ إِبْرَاهِيمَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ الْمَشْرِقَةِ.

(٣) مَقَامٌ: خَيْرٌ «الْمَقَامُ» (فِي أَوَّلِ الرِّسَالَةِ).

بشيراً ونذيراً^(١)، وشرح بهدايته صُوراً،.... وأما الذي عند مُعْظَمِ أُمَمِكُم من الإِعْظَامِ لِمَقَامِكُم والإِكْبَارِ^(٢)، والثناء المُردَّدُ المُجَدِّدُ على توالي الأعْصَارِ^(٣).... والعِلْمُ بما لَكُمْ من المكارم التي سار ذِكْرُهَا في الأَقْطَارِ أَشْهُرَ من المَثَلِ السَّيَّارِ، والاعتدَادِ^(٤) بِسُلْطَانِكُم الْعَلِيِّ في الإِعْلَانِ والإِسْرَارِ، والاستِنَادِ إِلَى جَنَابِكُم الْكَرِيمِ في الأَقْوَالِ والأَفْعَالِ والأَخْبَارِ... وإلى هَذَا - أَيْدَ اللَّهِ تَعَالَى سُلْطَانِكُم وَمَهْدِ^(٥) أَوْطَانِكُم - قَدَّ تَقَدَّمَتْ مُطَالَعَةُ مَقَامِكُم، أَسَاءَهُ اللَّهُ، أَنْ مَلِكٌ قَسَالَةً دَسَ مَنْ يَتَحَدَّثُ فِي عَقْدِ صَلَاحٍ يَعُودُ بِالْهُدْنَةِ عَلَى الْبِلَادِ وَيَرْتَفِعُ بِهِ عَنْهَا مَكَابِدَتُهُ مِنْ جِهَةِ الْأَعَادِ^(٦). وَقَدَّرْنَا أَوَّلًا أَنْ ذَلِكَ لَيْسَ عَلَى ظَاهِرِ الْحَالِ فِيهِ وَأَنَّهُ يُبْدِي فِيهِ غَيْرَ مَا يَحْفِيهِ. وَلَكِنْ جَرَيْنَا مَعَهُ فِي ذَلِكَ الْمِضَارِ قَصْدًا لِلتَّشَوُّفِ عَلَى الْأَخْبَارِ^(٧). فَلَمَّا دَارَ الْحَدِيثُ فِي هَذَا الْحُكْمِ ظَهَرَ مِنْهُ أَنَّهُ قَدْ جَنَحَ لِلتَّسَلُّمِ. وَكَانَ خَدِيمُنَا تَقَرُّوزُ^(٨)، مُحْكَمُ الْإِتِّفَاقِ، قَدْ وَرَدَ إِشْبِيلِيَّةَ لِبَعْضِ أَشْغَالِهِ، فَاسْتَحْضَرَهُ وَأَخَذَ مَعَهُ فِي أَمْرِ الصَّلَاحِ وَشَرَحَ أَحْوَالَهُ.... فَأَعْيَدَ إِلَيْهِ بِأَنَّهُ إِنْ أَرَادَ الْمُصَالَحَةَ عَلَى صُلُوحٍ وَالِدِهِ مَعَ هَذِهِ الدِّيَارِ النَّصْرِيَّةِ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ عَلَى شُرُوطِ تِلْكَ الْقَضِيَّةِ، وَلَا يَفْرُضُ لَاسْتِرْجَاعِ مَغْتَبِلٍ مِنَ الْمَعَاقِلِ الَّتِي أُخْلِصَتْ مِنْ يَدِ النَّصْرَانِيَّةِ، وَأَنْ يَكُونَ عَقْدُهُ عَلَى الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ وَرَنْدَةَ وَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ، فَلَا بَدَّ مِنْ مُطَالَعَةِ مَحَلٍّ وَالدِّينَا السُّلْطَانِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي سَعِيدٍ - أَيْدَهُ اللَّهُ - وَاسْتَظْلَاعِ مَا يَرَاهُ.....

-
- (١) البشير: الآتي بالغفر المفرح (للطائعين) والنذير: الآتي بالغفر السيئ، (للمعاصين).
(٢) وأما الذي عند معظم (بضم ففتح فطاء شدة مكسورة) أُمَمِكُم... أي سلطان غرناطة.
(٣) الأعصار جمع عصر (بالفتح): الدهر، المدة من الدهر.
(٤) لم أهتد إلى «اعتداد» في الفاموس. المقصود: الأعداء والأشكال وأسطار الماعده عند الحاجة إلى الماعده.
(٥) مهد الأوطان: سكنها، جعلها مطمئنة آمنة هادئة.
(٦) كابد الرجل الأمر مكابدة: عاناه، فاسي في عمله. الأعداء = الأعادي. الأعداء.
(٧) المضار (النوط الذي تركضه الخيل): السبيل. التَّشَوُّفُ: محاولة الإنسان أَنْ يَرَى الْأَشْيَاءَ الْبَعِيدَةَ.
(٨) الخديم: الخادم، الذي يهد إليه نصريب الأمور، الذي يحمله وسيطاً بينا وبين غرنا. تَقَرُّوزُ (٢): اسم الخديم.

- وقال ابن الجيّاب في الدَّهْر:

أرى الدَّهْرَ في أطواره مُتَقَلِّباً، فلا تَأْمَنَنَّ الدهرَ يوماً فتُخْذَعَا.
فها هوَ إلّا مثل ما قالَ قائلٌ: (مِكرٌ مِفرٌ مَقِيلٌ مُذِيرٌ معاً) (١)

- وقال في الهمّ والهمّ:

وقائِلة: لِمَ عراكُ المِشِيبِ؟ وما إنْ يَبعِدَ الصِّبَا من قِدمِ (٢)
فقلتُ لها: لِمَ أَشِيبُ كَبرَةً، ولَكِنَّهُ الهمُّ نِصفُ الهمِّ.

- وقال في مطلع قصيدة (وهو غَزَلٌ صوفيٌّ في الأكثر):

زارتُ حَجَرٌ نَحْوَهُ أذْيَالُهَا هيفاءُ تَحْلِطُ بالنَّارِ دَلالُها (٣)
وافْتَنَكَ تَمْرُجٌ لِينُها بِقَاوَةِ قد أَذْرَجَتْ طَيَّ العِتابِ نَوالُها (٤)
كَمْ رُمْتَ كَتَمَ مَزارِها، لَكِنَّه صَحَّتْ دَلالُها لَمْ تُطِيقْ إِعْلالُها (٥)
تركتُ على الأَرْجاءِ عِندَ مَسِيرِها أَرْجاءاً كَأَنَّ المِيسِكَ قُتَّ خِلالُها (٦)
يا حُسنَ ليلَةٍ وَصَلِها، ما ضَرَّها لو أَتَبَعْتَ من بَعْدِها أَمثالُها؟
هذا الرِّيعُ أَتاكُ يَنْشُرُ حُسنَه فافْشَحْ لِنَفْسِكَ في مَداهِ مِجالِها.
واخْلَعْ عِذارَكَ في البِطالَةِ جامِهاً وَأَقْرُنْ بِأَسْجارِها أَصالُها (٧)

٤- ** الديباج المذهب ٢٠٧-٨-٢: الكتيبة الكاملة ١٨٣-١٩٢: اللوحة البديرة

(١) هذا الشطر من معلقة امرئ القيس. المكر: الماحم. المفر: المارب (الراجع). - هذا الحصان يُرى لسرعته وكأنه يروح وبجيء في وقت واحد: لا تكاد تراه ذاهباً حتى تراه عائدًا. و (هنا) هو كناية عن خداع الدهر لنا.

(٢) عرا الدهر الناس: أصابهم بأحداثه. «إن» زائدة.

(٣) الحوة: الخفاة، النكر.

(٤) وافى: جاء، وصل. أدرج فلان شيئاً في شيء: أدخله. البوال: العطاء، (الوصال).

(٥) رام يروم: طلب. إعلاها (كذا في الأصل). ولعل المقصود «كتابها».

(٦) أرجاء جمع رجا: ناحية. الأرج: الرائحة الطيبة. فت الرجل المسك: طحنه (وإذا طحن المسك زادت رائحته، إذ تكثر سطوحه التي تلتصق الهواء، ثم يحفّ حل دقايقه على الهواء).

(٧) العذار (بالكسر): الثمر الثابت على جانبي الوجه. والمذار: القسم من رَس الدابة والذي يوضع في رأسها. خلع الرجل عذاره: انغمس في الشهوات وترك الحياء ولم يبال بما يقول الناس فيه.

٥٨-٦٠: الإحاطة ١: ١٣٤، ١٩٩، ٣٩٧، ٤٠٣-٤٠٤، ٥٤٥، ٥٥٠-٥٥١، ٥٧٠، ٢ (القاهرة ١٣١٩ هـ) راجع ٢٨٥-٢٨٧: درة المجال ٢: ٤٣٥: بغية الوعاة ٣٤٨: شير فرائد الجمان ٢٣٩-٢٤٢: نفع الطبيب ٤: ٣٢٦، ٢٢: ٥٣٤-٤٦٤، ٤٩٩-٥٠١، ٦٠٤، ٦٠: ١٢٤-١٢٨، ٢٦٠-٢٦١، ٧: ١٠١: أزهار الرياض ١: ١١٥، ٢: ٣٤٢-٣٤٤، ٣: ١٩٦: بروكلمن، الملحق ٢: ٣٦٩: الأعلام للزركلي (٦: ٥).

ابن جابر الوادي آشي

١- هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن جابر بن محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم بن حسان القيسي الوادي آشي^(١)، وُلِدَ في تُونِسَ سَنَةَ ٦٧٣ (١٢٧٤ م) ونشأ فيها أيضاً.

قرأ ابن جابر الوادي آشي هذا على شيوخ كثيرين في الأندلس وإفريقية ومصر والشام والحجاز، رجالاً ونساءً، ثم خصَّهم ببرنامج ذَكَرَهُمْ فيه فكانوا نحو ثلاثمائة. وكان ابن جابر قد رَحَلَ إلى المَشْرِقَ مرتين (نحو سَنَةِ ٧٢٠ ونحو سنة ٧٣٤) - وقد كان في أثناء ذلك كُلِّهِ يَسْمَعُ من الشيوخ ويُقْرِئُ الذين يجتمعون إليه.

وكانت وفاة ابن جابر في تُونِسَ، في الطاعون العام، سَنَةَ ٧٤٩ (١٣٣٨ م).

٢- كان ابن جابر الوادي آشي قارئاً ضابطاً للقراءة^(٢) ومُحَدِّثاً واسع الرواية ثقة مقصوداً يرحلُ إليه الطُّلَّابُ. ثم كان أيضاً لُغَوِيًّا ونَحْوِيًّا وأدبياً يزوي الشعر، وربما نظم شيئاً منه بين الحين والحين، كما كان مُشاركاً في الفقه. وكان وَفُوراً دِينِيًّا حَسَنَ الخلق عفيفاً لطيفاً المعشر ظريفاً. ثم إنه كان يُقْرِئُ الطُّلَّابَ ويُسمِّعُهم احتساباً (بلا أجر)، أما عَيْشُهُ فكان يَكْنِيهِ من العمل في التجارة.

ولابن جابر الوادي آشي تصانيف: الأربعون البدائية (في الحديث) - أسانيدُ

(١) هو غير شمس الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن جابر الأندلسي (ت ٧٨٠) - راجع ترجمته، تحت.

(٢) لقراءة القرآن الكريم.

كُتِبَ المالكية - الإنشادات البدائية - ترجمة القاضي عياض (لعله أول تأليفه) - تقييد القصيدة العروضية السمة المقصود الجليل إلى علم الخليل (للإمام أبي عمرو بن الحاجب) - زاد المسافر وأُس المسامر (رحلة تكلم فيها على بلدان زارها وعلى شيوخ أخذ عنهم) - سُلُكَلات (من مَرويات شيخه قاضي مِصرَ عبد الغفار بن عبد الكافي السعدي، قرأها عليه) مع أناشيد - برنامج.

٣ - مختارات من آثاره:

- من مقدمة برنامج الوادي آشي (ص ٣٧ - ٣٨):

.... أما بعدُ فَإِنَّ بعضَ أربابِ الرواية^(١) ذا الشَّغَفِ بها والعناية أحبَّ أن أُقَيِّدَ له أسماءَ مَنْ لَقِيْتُهُ من شيوخِي الجِلَّةِ^(٢)، زَمَنَ مُقامي بَنُوسٍ وفي زَمَنِي الرحلة، وأنَّ أَسَمِيَّ له ما أَخَذْتُهُ عنهم كائناً ما كان على حَسَبِ الوُسْعِ والإمكان، ومن أجازاني مِن لَقِيْتُهُ وأخذتُ عنه أو مِنِّ لم أَخْذُ عنه سواء^(٣) أو كَتَبَ لي بها من المشرق والمغرب، وَأَفْصَحَ له عن جُمْلَةٍ ذلك وأعرب^(٤). فَأَجَبْتُهُ لَهَا سأل وجعلته في جُزءٍ من كما أَمَل: في أحدها أسماءُ الشيوخ وأسابيهم وكناهم وما أمَكَنَ من ذِكرِ مواليدهم ووفياتهم وأناشيدهم^(٥)؛ وفي الآخرِ ذِكرُ المأخوذ عنهم مُضَافاً لهم ما فيه من عُلُوِّ سَنَدٍ^(٦) لكن بالإجازة، مُعْتَمِداً في ذلك طريقَ ذوي الاستجازة إذ * فَاتَ الحِصُولُ المامولُ منهم في ذلك اللاتِق^(٧)، لِيَتَعَرَّضَ الشواغلُ عن « السَّنِ » المطابق، راجياً في ذلك عُلُوَّ السَنَدِ. واللهُ سُبْحَانَهُ الهادي للرَّشَدِ، وأنَّ يجعله ذُخْراً تَقْدِمةً * * بين يَدَيُنَا ولا يجعله وبالاً^(٨)

(١) الرواية: رواية (نقل) العلم عن شيوخ متقدمين.

(٢) رجل جليل من جلة (بكسر الحيم): عظيم (القاموس ٣: ٣٤٩).

(٣) سواء (كذا في الأصل): لعلها « سواء » (بالهمزة: سواء أكتُ قد أخذتُ عنهم أو لم أَخْذ عنهم).

(٤) ... أفصح (أكف) له عن جملة (مجموع) ذلك وأعرب (أبين).

(٥) وأناشيدهم (٤). لعلها « وأناشيدهم » (ما يروونه عن شيوخهم).

(٦) السند العالي (في الحديث) ما كان رواه قريبين من عصر رسول الله.

* لعلها « إن ».

(٧) أطلبُ الإجازة منهم عن بُعد إذا لم أستطع الأخذ عنهم شخصياً. اللاتِق (٤).

* * لعلها « تقدّمه ».

(٨) الوبال: الهلاك.

وحسرة علينا. إنه تعالى مولى التوفيق الهادي لأحسن طريق بمنه وكرمه.

- ترجمة لأحد شيوخه (رقم ١٣، ص ٥١ - ٥٢):

أبو محمد عبد الله بن محمد بن هارون بن عبد العزيز بن اسماعيل الطائي القرطبي، رَحِمَهُ اللهُ تعالى. مَوْلَاهُ بِهَا^(١) عامَ ثَلَاثَةِ وَسَبْعِمِائَةٍ. أَخَذَ عَنْ جَدِّهِ لِلَّامِ الْمُقْرِيهِ الْقَيِّمِ^(٢) بِجَامِعِ قُرْطُبَةَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ قَادِمِ الْمُعَاوِيَّ وَ (عَنْ) وَالِدِهِ^(٣). وَمِنْ جَلَّةِ أَشْيَاخِهِ: الْقَاضِي بِحْضَرَةِ مَرَاكُشِ^(٤) أَبُو الْقَاسِمِ أَحْمَدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ بَقِيٍّ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ حَوْطِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ الْحَارِثِيِّ، وَأَخُوهُ أَبُو سُلَيْمَانَ دَاوُدَ، وَأَبُو الْحَسَنِ سَهْلُ بْنُ مَالِكٍ، وَجَاعَةٌ ذَكَرَهُمْ فِي بَرَنَامِجِ شَيْخُوهِ. قَرَأَتْ عَلَيْهِ وَسَبِغَتْ (مِنْهُ) وَأَجَازَنِي إِجَازَةً عَامَةً وَكَتَبَ خَطَّهُ بِهَا. وَعُمِّرَ حَتَّى أَلْحَقَ الْأَصَاغِرَ بِالْأَكَابِرِ^(٥). وَاخْتَلَطَ عَلَيْهِ فِي آخِرِ عُمُرِهِ^(٦). وَكَانَ مُشْكُورَ الْقَلَمِ نَظْمًا وَنَثْرًا. وَمِمَّا وَجَّهَ لِي - بِحِطِّ الشَّيْخِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ حَيَّانَ - مَرْثِيَةٌ فِي وَالِدِي، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، يَعْتَدِرُ فِيهَا عَنْ عَدَمِ حُضُورِهِ الْجَنَازَةَ، لِأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ (بِهَا) حَتَّى سَمِعَ. وَهِيَ:

عَزَاؤُكَ فِي أَبٍ لَكَ أَوْ أَحِبِّ لِي عَزَاءُ مُحَسَّبٍ مَحْبُوبٍ وَخِل.

.....^(٧)

وَوُفِّيَ - عَفَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - لَيْلَةَ الْخَمِيسِ الْحَادِي عَشَرَ لِذِي قَعْدَةِ عَامِ اثْنَيْنِ وَسَبْعِمِائَةٍ. وَدُفِنَ بِالرَّزَاجِ^(٧).

٤ - بَرَنَامِجِ الْوَادِي آشِي (تَحْقِيقُ مُحَمَّدٍ مَحْفُوظٌ)، أَثِينَا - بَيْرُوت (دَارُ الْغَرْبِ الْإِسْلَامِيِّ)

١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م.

(١) بِهَا (فِي قُرْطُبَةِ).

(٢) الْقَيِّمُ: الشَّرَفُ (عَلَى الْجَامِعِ)^٤.

(٣) حِضْرَةُ مَرَاكُشِ (الْعَاصِمَةِ).

(٤) عَمْرٌ (بِالْبَاءِ) لِلْمَحْبُولِ مَعَ تَشْدِيدِ الْمِيمِ: طَالَ عَمْرُهُ. أَلْحَقَ الْأَصَاغِرَ بِالْأَكَابِرِ (رَوَى عَنْهُ الْأَبْنَاءُ بَعْدَ أَنْ كَانَ قَدْ رَوَى عَنْهُ أَبَاؤُهُم).

(٥) أَفْرَأَ: وَاخْتَلَطَ عَقْلُهُ.....

(٦) بَعْدَ الْبَيْتِ السَّابِقِ ثَلَاثَةُ أَبْيَاتٍ عَادِيَةٍ وَمُضْطَرَةٍ.

(٧) الرَّزَاجُ: مَقْبَرَةٌ كَبِيرَةٌ مَشْهُورَةٌ فِي مَدِينَةِ تُونِسِ الْعَاصِمَةِ.

★ الوافي بالوفيات ٢: ١٨٣؛ الديباج المذهب ٣١١-٣١٣؛ نفع الطيب (يبدو أن هالك شيئاً من الخلط بين ابن جابر هذا المتوفى سنة ٧٤٩ وابن جابر الضرير المتوفى سنة ٧٠٨ - راجع فهرس «نفع الطيب»؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢٩٣ (٦٨) ثم راجع المصادر والمراجع في ترجمته التي صنعها محمد محفوظ في التوطئة لبرنامج الوادي آشي.

عبد المهيمن الحضرمي السبقى

١- هو أبو محمد عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن بن محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن محمد الحضرمي، وُلِدَ سَنَةَ ٦٧٦ هـ (١٢٧٧-١٢٧٨ م) فِي سَنَةِ وَثَأ فِيهَا. قَالُوا إِنَّ مِنْ أَشْيَاخِهِ عبيد الله بن أحمد بن أبي الربيع الأشبيلي (٥٩٩-٦٨٨ هـ) وأحمد بن محمد بن الغمار (ت ٦٩٣ هـ) وأبا القاسم بن الشاطئ الأشبيلي (ت ٧٢٥ هـ) وغيرهم. ولكن من الصعب أن نعدَّ ابن أبي الربيع وابن الغمار من شيوخه للفرق في الزمن. كان عبد المهيمن الحضرمي صاحبَ القلم الأعلى في المغرب كَتَبَ لِلسُّلْطَانِ أَبِي سعيد عثمان الريني (٧١٠-٧٣١) ولابنه وخلفه علي (٧٣١-٧٥٢ هـ). وكانت وفاته في تونس بالطاعون في ١٢ شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ٧٤٩ (١٣٤٩/٢/٣ م).

٢- كان عبد المهيمن الحضرمي إمامَ الحديث والنحو في المغرب في عصره، وكان كاتباً مترسلاً وصاحبَ مقاماتٍ وشاعراً من فنونه المدح والغزل والوصف والحماسة. وعلى لُفَتِهِ عموماً، في النثر خاصّة وفي الشعر، شيءٌ كثيرٌ أو قليلٌ من الضعف. وقد يَحْتَذِي في شعره أغراضَ نَفَرٍ من شعراء المشرق المشهورين ومن أسلوبهم فيأتي ببالشعر المتن الجيد.

٣- مختارات من آثاره

- من مقامة الافتخار لعبد المهيمن الحضرمي:
بَرَزْتُ يَوْمًا لَخَارِجٍ بَلَدٍ فَاسَ الْأَشْهَرِ^(١) وَأَتَهَيْتُ إِلَى وَادِيهَا الْمَرْوُوفِ بَوَادِي

(١) الأشهر (بمعنى بلد).

الجوهر . فلم يكن غير بعيد وإذا أنا بمَحْفَلٍ بالقيَد^(١) ، وقد دار بينها عتابٌ بألفاظٍ
تَعَجَّرُ عنها أَلْسِنَةُ الْكُتَّابِ: بِيضَاءُ وَسَمَاءُ فِي مُفَاتِنَةٍ كَبِيرَى ، وكاملةٌ وقصيرةٌ في مُعَاطَاةٍ
كثيرةٍ ، وَسَمِينَةٌ ورقيقةٌ في مُعَاتِبَةٍ حَقِيقَةٍ ، وعَرَبِيَّةٌ وَحَضَرِيَّةٌ^(٢) فِي مُجَادَلَةٍ قَوِيَّةٍ ، وعَجُوزٌ
وَصَبِيَّةٌ فِي مُخَاصَمَةٍ بَذِيَّةٍ^(٣) . فَبَيْنَمَا أَنَا أَنْظُرُ فِي تِلْكَ الْوُجُوهِ الْمُرَوِّقَةِ^(٤) ، إِذَا بِجَارِيَةٍ
يَغْلِبُ ضِيَاءُ وَجْهِهَا عَلَى ضِيَاءِ الشَّمْسِ ؛ فَوَقَّفْتُ بَيْنَ الصُّفُوفِ وَسَلَّمْتُ بِبَنَانِهَا الْحَسَنَ . ثُمَّ
تَقَدَّمَتْ وَقَالَتْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْبَيَاضَ طِرَارًا كُلَّ جَهَالٍ ، وَشَرَفَ أَهْلَهُ بِالْحَيَاءِ
وَالْكَهَالِ ، وَأَعْطَاهُمْ عِزَّةً لَا تَبِيدُ وَصَيَّرَ السُّمَرَ لَهُمْ عَيْدًا^(٥) . أَلَا وَإِنَّ عَلَى قَلْبِي حِمْرَةً مِنْ
مُعَاتِبَتِكَ ، يَا ذَاتَ السُّمَرَةِ . أَعِنْدَكَ ، يَا سَمَاءُ ، مَا عِنْدِي ؛ وَلَيْسَ قَدُّكَ كَقَدِّي وَلَا خَدُّكَ
كَخَدِّي: جَبِينِي ذُو الْإِتِّهَاجِ ، وَذَوَانِي كَقِطْعِ الزَّاجِ^(٦) وَتَغْرِي أَفْهُونَ ، وَدِيَّاجُ
وَجْهِهِ أَرْجُونَ^(٧) . وَإِنْ أَرَسَلْتُ شَغْرِي الْمَضْفُورَ فَظْلَامُ لَيْلٍ عَلَى بَيَاضٍ كَافُورٍ

قال الكاتبُ: وَكَانَتْ الْعَجُوزُ مَخْضُوبَةً الْبَنَانِ ، سَوَّكَةً^(٨) الْفَمِ وَلَيْسَ لَهَا أَسْنَانُ ،
مَصْبُوغَةً الْحَاجِبِ وَالسَّالِفِ تَدْبُ مَا فَاتَهَا فِي الزَّمَنِ السَّالِفِ^(٩) . ثُمَّ أَشْدَّتْ وَأَجَادَتْ فِيمَا
قَصَّدَتْ:

إِذَا جَفَّ لَيْنُ التَّيْنِ يَحْلُو مَذَاقُهُ ؛ وَأَحْلَى مَذَاقًا فِي الثَّمَارِ الْعَجَائِزُ .

-
- (١) اقرأ: فلم يكن غير قليل فإذا . محفل: اجتماع (محل الاجتماع)، جماعة . يرتج: يضطرب، يوج (يكثر فيه).
القيداء: الجميلة.
(٢) عربية (بدوية).
(٣) بذية = بذية: فاحشة الكلام.
(٤) الرونق (جمال الوجه ونضارته).
(٥) اختار عبد المهيمن الحضرمي أن يقف على «عيد» بالكون. وهذا خطأ. يجب أن تلحق بكلمة
«عيد» ألف الإطلاق «عبيدا» فإن الكلمة منصوبة (مفعول به ثان من «صير»).
(٦) الذؤابة: الشعر المضفور (المجدول كالحبال). الزاج: من الأملاح (في تصنيف المواد في الكيمياء). وفي
«المعجم الوسيط» (ص ٤٠٧): الزاج الأبيض، والأزرق والأخضر. والمقصود هنا «الواد».
(٧) الأفهون: زهر برقي قلبه أصفر، وبتلاته بيضاء منتظمة تشبه الأسنان بها. الديياج: نسج كله من
الحمر، ويكون ملوئاً ألواناً (يظهر له إذا تحرك في النسي ألوان مختلفة؟). الأرجون: لون أحمر فيه
شيء من الزرقة (يسمى «لون الملوك».)
(٨) سوك الرجل أسنانه: دلكتها، مسحها بالموك. والمقصود هنا أن تلك العجوز كانت بلا أسنان.
(٩) السالف الأولى (الشعر في جانب الرأس متديلاً أمام الأذن)، والسالف الثانية: الماضي.

فَطَنَمِي ذِكِّي طَيْبُ الشَّرِّ عَاطِرٌ وَإِنْسَانٌ عَيْنِي لِلْمُحِبِّينَ غَامِرٌ!
 ثم قالت: وإن أردت - يا هذه - المَجُونِ والِرِّقَاعَةَ (١) ، فأنا - والله - رَبَّةُ الصَّنَاعَةِ
 وأُستَاذَةُ الجَمَاعَةِ.

وإذا بالصَّبِيَّةِ قد أَتَتْ تَذْرُجُ دَرْجِ القَطَا (٢) على الأقدام ، وتبدَّتْ فأقبلت إقبال
 العام وَوَرَدَتْ وَرودَ الغنى على أهل الإعدام (٣) تَرْمُقُ بلحظٍ نائمٍ وتُفعل بأشعارها
 في قلوب العاشقين ما تفعل الصوارم (٤) . ثم نادت: أَيُّهَا المَجُورُ الشَّمْطَاءُ يا من كَشَفَتْ
 بَعِيْبَهَا عن نفسها البِطَاءَ . هِيَهَاتِ ، يا عَجُوزُ ، أن يكون لك بَعْدَ الهَرَمِ طَلْقٌ ، أو
 يَكُونُ الجَدِيدُ مِثْلَ الخَلْقِ (٥) ! أما رأيتِ شَرِيَّ الفَاحِشِ وَثَغْرِيَّ البَاسِمِ وَغُصْنِيَّ
 النَاعِمِ ؟

- ولعبد المهيمن الحضرمي في الفقر والغنى:

يُخْفِي الفقيرُ، وَيُخْشَى النَّاسُ قَاطِبَةً بَيْتَ الغَنِيِّ . كَذَا حُكْمُ المَقَادِيرِ (٦) .
 وَإِنَّمَا النَّاسُ أَمْثَالُ الفَرَّاشِ ، فَهُمْ يُلْفَوْنَ حَيْثُ مَصَابِيحُ الدَّنَائِرِ .

- وقال يمدح ذا الوزارتين ابنَ الحكيم الرُّنْدِي (٦٦٠-٧٠٨ هـ):

وعاذِلَةٌ بَاتَتْ تَلُومُ عَلَى السُّرَى وَتُكْثِرُ مِنْ تَغْذَالِهَا وَتُطِيلُ (٧) .
 ذَرِينِي أَسْفَى لِلّٰي تَكْسِبُ العُلَا سَاءَ ، وَتُبْقِي الذِّكْرَ وَهُوَ جَبِيلُ (٨) .

(١) الرِّقَاعَةُ: الحِافَةُ ، والوَاقَةُ أَيْضاً .

(٢) درج (مشى وهو ينقل رجلاً بيد رجل على مهل) . القَطَا: طائر (يشي بخطوات قصيرة متقاربة) .

(٣) إقبال العام (٤) . الإعدام: الفقر .

(٤) الأشعار جمع شفرة (بالفتح) : طرف الجفن الذي ينبت عليه الشعر . الصارم: السيف .

(٥) الطلق: التوط (بالفتح) : المسافة التي يركضها الإنسان (سريعاً) في مَدَّة محدودة . الخلق (يفتح ففتح) :
 المتحرِّك من الثياب .

(٦) جفا فلان فلاناً: جانيه ، ابتعد عنه . غشي (يفتح فكمسر ففتح) الرجل مكاناً يغشاء: جاء إليه . المقادير
 جمع مقدار (ما حكم به على الإنسان أن يفعله) .

(٧) العاذلة: التي تلوم الناس بلا سبب (أو بلا معرفة للسبب الصحيح في أفعال الناس) . السرى: السير في
 الليل (للهذهاب إلى المدحوج) .

(٨) الساء: بالعلو، الرضة .

فَلَمَّا تَرَيْتَنِي مِنْ مُرَارَةِ الْهَوَى
وَلَوْلَا اغْتِرَابُ الْمَرْءِ فِي طَلَبِ الْعَلَا
وَلَوْلَا نَوَالُ ابْنِ الْحَكِيمِ مُحَمَّدٍ
وَزِيرٌ سَمَا فَوْقَ السَّهَاكِ جَلَالَةً،
مِنَ الْقَوْمِ: أَمَّا فِي النَّدَى فَلَهُمْ
وَأَبْلَجُ وَقَادُ الْجَبِينِ كَأَنَّمَا
تَهْمُ بِهِ الْعَلِيَاءُ حَتَّى كَأَنَّمَا
سَرَى ذِكْرُهُ فِي الْخَافِقِينَ فَأَصْبَحْتُ
فَلَيْتُ إِلَى لُقْيَاكَ نَاصِيَةَ الْفَلَا
وَقَدْ كُنْتُ ذَا نَفْسٍ عَزُوفٍ وَهَمَةٍ
وَتَأْبَى لِي الْآيَامُ إِلَّا إِدَالَةً.

نَحِيلًا، فَحَدُّ الشَّرْفِيِّ نَحِيلٌ^(١).
لَهَا كَانَ نَحْوُ الْجِدِّ مِنْهُ وَصُولُ
لَأَصْبَحَ رُبْعُ الْجِدِّ وَهُوَ مَحِيلٌ^(٢).
وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا النُّجُومُ قَبِيلٌ^(٣)؛
هَضَابٌ، وَأَمَّا فِي النَّدَى فَيُؤَلِّقُ^(٤).
عَلَى وَجَنَّتَيْهِ لِلنُّضَارِ مَسِيلٌ^(٥).
بُيْنَتُهُ فِي الْحُبِّ وَهُوَ جَمِيلٌ^(٦).
إِلَيْهِ قُلُوبُ الْعَالَمِينَ تَمِيلُ^(٧).
بِأَيْدِي زُكَاةٍ سَيْرُهُنَّ ذَمِيلٌ^(٨).
عَلَيْهَا لِأَحْدَاثِ الزَّمَانِ دُحُولٌ^(٩).
فَصَوْنُكَ لِي! إِنَّ الزَّمَانَ مُدِيلٌ^(١٠).

٤- ** أوصاف الناس ٩٩٩: بغية الوعاة ٣١٥: نفع الطيب ٥: ٢٤٠، ٤٦٤-٤٧١،
٥٣٧: النبوغ المغربي ٤١٩ (التسلسل الثاني)- ٤٣١، ٧٢٨-٧٢٩، ٧٦٧: الأدب
المغربي ٤٣٥-٤٣٧: الأعلام للزركلي ٤: ٣١٨ (١٦٩).

- (١) المشرق: السيف المصنوع في «شرف» (بفتح ففتح)، وهو مكان في الشام: سورية.
- (٢) النوال: العطاء. الربع: المكان المسكون. محيل (بالفتح): ما تحول وتبدل. الربع المحيل: الذي تركه سكّانه (محررب).
- (٣) السهك: أحد نجمين أحدهما السهك الراجح وثانيهما السهك الأعزل. القبيل: القوم، الأهل.
- (٤) الندى (بتشديد الياء): مجلس القوم. الندى (بفتح ففتح): الكرم.
- (٥) الأبلج: الواضح، الأبيض (البشوش الوجه). النضار: الذهب.
- (٦) هام (تحتو، أحسن). جميل بن معمر وبنيته بنت جأ عاشقان من العصر الأموي.
- (٧) الخافق: الأفق. الخافقان: المشرق والمغرب (في جميع البلاد).
- (٨) فلا الرجل شيئاً عن شيء: عزله وسمه. والمقصود هنا: أفلى الرجل. الفلاة (الأرض الواسعة، البدياء). دخلها، سار فيها. ناصية الفلا (جمع فلاة): رأس الفلاة: المكان الصعب سها. الذميل: البير السريع. ركاب جمع ركوبة (الدابة) التي يركبها الإنسان للسفر.
- (٩) عروف: مائلة (عن أعراض الدنيا وكارهة لها). دحول جمع دحل (بالضم): ثأر.
- (١٠) أدال فلال فلاناً (من خصمه): أنصمه، أخذ له بحقه. - التركيب في النظر الثاني غير واضح.

الجزنائي الفاسي الكرياتي

١- هو أبو العباس أحمد بن (محمد بن) شبيب الجزنائي الكرياتي^(١) التازي الدار ونزيل فاس.

قرأ الجزنائي في بلدته فاس على شيوخ منهم أبو عبد الله بن آجروم (ت ٧٢٣ هـ) وأبو عبد الله بن رشيد (ت ٧٢١ هـ)، وقرأ في تونس على يعقوب بن الدارس، أخذ عنه علم الطب والهيئة (الفلك).

ورأس الجزنائي ديوان الكتابة في فاس في عهد عثمان المريني (٧١٠-٧٣١ هـ) ثم بضع سنوات من عهد أبنة علي (٧٣١-٧٥٢ هـ). وقد دخل غرناطة على عهد السابع من ملوكها الأمير محمد^(٢) لقرب من ولايته، وأشتغل هنالك في الكيمياء وفي أمر الأدوية المفردة (راجع الإحاطة، ص ٢٨٥). ولا نعرف شيئاً من أحداث حياته التالية إلا أن وفاته كانت في تونس بالطاعون يوم عيد الأضحى من سنة ٧٤٩ (١٣٤٩/٤/١ م).

٢- كان الجزنائي الفاسي فقيهاً وحاسباً وطبيباً وأديباً ناثراً مترسلاً وشاعراً. وهو يجيد تقليد المارقة في الشعر والنثر، وفي نثره تكلف أكثر مما في شعره. وشعره الآخر

(١) «ابن محمد» زيادة من الإحاطة (١: ٢٨٠).

(٢) في النبوغ المغربي (الجزنائي) «بشدة على النون (ص ٢٢٧) ولا حركة أخرى على الكلمة. ومثل ذلك فعل محمد بن تاويت الطنجي (التعريف بابن خلدون، ص ٤٨، الحاشية ١). أما محمد رضوان الداية فلم يحركها (نثر فرائد الجبان، ص ٣٣٥). وأما بروكلين (الملحق ٢: ٣٣٩) فاختار أن يجعلها «الجزنائي» (يفتح فسكون). - والكرياتي (الإحاطة ١: ٢٨٠)، نسبة إلى قبيلة من قبائل الريف المغربي (كذا). وفي الإحاطة (القاهرة ١٣١٩ هـ، الجزء الأول، ص ١٣٩): المغربي (بالعين المعجمة).

(٣) في الإحاطة (١: ٢٨٥): «دخل غرناطة على عهد السابع من ملوكها الأمير محمد». ولكن السابع من ملوك غرناطة، عند لسان الدين بن الخطيب نفسه (اللمعة الدرية ١٠٢) هو يوسف بن إسماعيل بن فرج (مولده سنة ٧١٨ للهجرة، وجاء إلى العرش ٧٣٣ هـ، وتوفي ٧٥٥ هـ). أما السلطان محمد ملك غرناطة فيجب أن يكون السادس من ملوكها: محمد بن إسماعيل بن فرج، (٧٢٥-٧٣٣ هـ). كما في اللمعة الدرية (ص ٩٠) لسان الدين بن الخطيب نفسه. وقد ذكر عبد الله كئون (النبوغ المغربي ٢٢٧) أن الجزنائي «كان كاتباً في ديوان الإنشاء عند أبي الحسن المريني»، وأبو الحسن هذا هو علي بن عثمان سلطان فاس (٧٣٢-٧٤٩ هـ). فليوفق القارئ بين هذه التواريخ.

عاديّ. غير أن أسلوبه متين ومعانيه جَزَلَة.

وكان للجزنائيّ القاسي عناية بالعلوم الفلسفية والرياضية والطبيعية وبالصُّنعة (الكيمياء القديمة: الخرافية)، له في الصنعة: كتاب الأصداف المنقّضة عن أحكام علم صناعة دينار الذهب من الفضة.

٣- مختارات من آثاره

- قال أحمد بن شعيب الجزنائيّ يرثي جارية له رومية أسماها صُبْحُ (الإحاطة ١ :

٢٨٥):

يا مُحشِي، والبُعد دونَ لقائه، أدعوك عن شَحَطٍ وإن لم تسمع^(١).
يُدينِكَ مِنِّي الشوقُ حتّى إنّسي لأراكَ رَأْيَ العين لولا أدمي^(٢).
وأحنُّ شوقاً للسيم إذا سرى بحدِيثكم وأصيحُ كالمتطلع:
كان اللقاء فكانَ حظّي ناظري، وسَطاً الفراقُ فصار حظّي مَسْمُوعِي^(٣).
فأبعثَ خيالك تُهدِي نارَ الحشا إن كان يجهلُ من مُقامي مَوْضِعِي^(٤).

- قال الجزنائيّ القاسي في الحماسة وحال الدنيا والناس:

عَجِبْتُ من الأيام أَنّى ألفتُها! مُسَالمةُ الأيامِ إحدى المعائب^(٥).
ولا بَسْتُ حاليها من الكُره والرّضا، وقد شابَ رأسي وَهْيُ سُدُ الذوائب.
ومارَسْتُ أنباءَ الزمانِ فلم أجِدْ أختاً ثِقَةً، يا حارٍ، غيرَ التجارب^(٦).

(١) الشحط: البعد.

(٢) كثرة أدمي تحول بيني وبين رؤيتك (لو كنت حاضراً أمامي).

(٣) كان لغاؤنا حينما كنت أنت حيّاً. سطا بطو: بطش أعندى، ظم. صار حظّي ما أسمعُه عنك.

(٤) أرسلَ خيالك (في المنام) لتهديّ لوعتي قليلاً. وإذا كان خيالك لا يعرف مقامي (بضم الميم: مكان وجودي) فيمكنني أن تشرّ نفسي به.

(٥) - عجبت (من نفسي) أنّي (كيف) استعظمت أن أَلِفَ الأيامَ، فإنّ سالمة الأيام (العيش معها بأمان) أمر عجيب في ذاته.

(٦) با حار= يا حارث (أنتها الإنسان). لا أنق إلا بما عرفته عن تجربة.

مَلَيُونَ بِالْبُغْضَاءِ إِلَّا تَمَلَّقَا،
وَيَفْتُ اللَّيَالِي عِفَّةً وَقَنَاعَةً،
وَقَضَيْتُهَا خَسَاءً وَعِشْرِينَ حِجَّةً
فَمَا لِي لِلْأَوْطَانِ! هَلْ يُطَلَّبُ الْجَدَا
وَمَا كُنْتُ أَرْضَى أَنْ أُقِيمَ بِذِلَّةٍ،
سَأَلْتُ مِنْي الْبَيْدُ طَلَّاعَ أَنْجِدِ
حَلِيفَ سُرَى لَا يَسَامُ الْبَيْدُ وَالسُّرَى،
أَرْجِي بِهَا مِنْ عَزَمَتِي مُتَوَقِّدًا
وَمَا هُوَ إِلَّا مِثْلُ إِبَاسٍ حَالِبٍ^(١).
وَقَدْ ضَيَّعَ ذَرْعًا عَنْ تَسَنَّى مَآرِي^(٢).
أُصَدِّقُ ظَنِّي بِالْأَمَانِي الْكَوَاذِبِ.
مِنَ الْقَطْرِ إِلَّا كَاثِنًا فِي الْحَاثِبِ^(٣)?
فَكَيْفَ وَمَا سُدَّتْ عَلَيَّ مَزَاهِي؟
قَلِيلَ هُمُومِ النَّفْسِ جَمَّ الْمَطَالِبِ^(٤)،
طَوَالَ اللَّيَالِي فِي عِرَاضِ السَّبَاسِبِ^(٥)؛
فَأَحْسِبُنِي بَعْضَ النُّجُومِ الثَّوَابِقِ^(٦).

- وله من رسالة:

قد كان حنيني إلى سيدي - أطلال الله بقاءه - وسنى لقاءه - موصولاً مع الاتصال،
ودائماً مع البُكر والواصل^(٧). لا تلحقه فترة فأضِلُّ فيها عن هذبه الواضح الأمام^(٨)،
وأطلُّ فيها من سواه عاكفاً بأعلى صنم^(٩)؛ ومنظرُ العيش أنيق، وغصنُ الشَّيْبَةِ
وريق^(١٠)، والدهرُ جمعٌ ولم يُحْسِنِ التفریقَ والدارُ حَرِيَّةٌ بما تهوى الأنفسُ، واليدُ

(١) ملي = علوه. الإيباس: التلطف والمدارة. ولعلها هنا: المرى (يفتح فكون): ذلك ضرع البقرة بشيء قليل من حلبها لتدر.

(٢) تسنى: ساني (أحسن المعاشرة). والشاعر يقصد: حصول، تحقيق.

(٣) الجدَا: المطاء. القطر: المطر.

(٤) أنجد جمع نجد (أرض عالية، صعبة المرتقى).

(٥) البید جمع بیداء (الأرض الواسعة). السرى: السير ليلاً. السبب: المغارة (الصحراء الواسعة التي يتبعها فيها السائر).

(٦) أرجي: أرسل، أبيت. متوقداً: مشتعلًا (رجلاً شيطاً). ثاقب: شديد اللمعان (كأنه يثقب الليل).

(٧) سنى لقاءه: أحسن معاملته (٩) (يقصد: قرب). السكره (بالضم): وقت الصباح. الأصال جمع أصيل: الوقت عند العصر (منتصف الزمن بين الظهر والمغرب).

(٨) فترة: هدوء، كل. أمم: قريب.

(٩) بأعلى (يجب أن تكون «على»): عاكف على صنم: جامد لا يتصرف في أمر.

(١٠) أنيق: جميل، يحسن في المين. النض: الجديد، الطري. وريق: عليه ورقه (الأخضر)، في مطلع الشاب.

مليئةً بنضار العُقَار تَصْرِفه في لجين الأكوُس^(١)، وشَمْلُنَا الْمُنتَظِمُ عِقْدٌ عَلَى لَبَةِ^(٢) الزمان، وليالينا في مُقْلته كُحْل وفي وَجْنَتِه خَيْلَانٌ^(٣). فكيف وقد عادَ الدهر بِجَوْرِهِ وَسَطَاه، فثَتَّ عِقْدٌ شَمْلُنَا وَأَذْهَبَ وَسَطَاهُ^(٤)، وأَرَانَا مِنْ حَدَثَانِهِ عَجَبًا؟....

٤- ** ثير فرائد الجمان ٣٣٥-٣٤٣: الإحاطة ١: ٢٨٠-٢٨٥؛ أوصاف الناس ١٠٦-١٠٧؛ نيل الانتهاج ٦٨؛ النبوغ المغربي ٢٢٧، ٧٣٠-٧٣٢، ١٩٣٣؛ الأدب المغربي ٢٤٣-٢٤٩.

ابن الصائغ المغربي

١- هو مُحِبُّ الدين أبو عبد الله مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ لُبِّ بْنِ الصائغ الأُمَوِيِّ الْقُرَشِيِّ الْمَغْرِبِيِّ، قرأ على أبي الحسن بن أبي العيش وعلي الخطيب بن علي الفنجاطي (بغية الوعاة ٦٠).

جاء ابن الصائغ الْمَغْرِبِيُّ إِلَى مِصْرَ فَلَقِيَ فِيهَا، سَنَةَ ٧٢٨ هـ (١٣٢٧-١٣٢٨ م) ابْنَ أُنَيْكٍ الصَّفْدِيِّ صَاحِبَ كِتَابِ الْوَاقِي بِالْوَقَايَاتِ وَقَرَأَ مَعَهُ صَاحِبَ الْبُخَارِيِّ عَلَى شِهَابِ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنِ الْمُرْحَلِ النَّحْوِيِّ وَعَلَى فَتْحِ اللَّهِ بْنِ سَيِّدِ النَّاسِ وَعَلَى أَبِي الْقَاسِمِ أَخِي أَبِي الْفَتْحِ. وَكَانَ فِي مِصْرَ مُلَازِمًا لِأَثِيرِ الدِّينِ أَبِي حَيَّانَ الْغُرْنَاطِيِّ (ت ٧٤٥ هـ). وَحَجَّ ابْنُ الصَّائِغِ الْمَغْرِبِيُّ وَمَدَحَ قَاضِي مَكَّةَ نَجْمَ الدِّينِ مُحَمَّدَ بْنَ مُحَمَّدٍ الطَّبْرِيِّ (ت ٧٣١ هـ).

عاش ابن الصائغ الْمَغْرِبِيُّ فِي قَعْرِ شَدِيدٍ، ثُمَّ كَانَتْ وَفَاتُهُ فِي مِصْرَ بِالطَّاعُونَ، سَنَةَ ٧٤٩ هـ، (١٣٤٨ م).

(١) الدار: المسكن، البلد، الوطن. خربة: سحفة. النضار: الذهب. العقار: الحمر. الأكوُس جمع كأس.

في لجين (فضة) الأكوُس: في كؤوس من الزجاج الأبيض كالفضة.

(٢) اللَّبَّة: الصدر.

(٣) خيلان: تكبر.

(٤) الجور: الظلم. سواه (يقصد سطوته ويطنه). سواه (٥) - يستقيم المعنى إذا حذفنا الماء من الكلمتين. سطا (فعل ماض): بطش. وسط (بفتح فتح): الاعتدال.

٢- كان ابن الصائغ المغربي عارفاً بالنحو والعروض واسع المعرفة باللغة. وكان ينظم الشعر ويأتي أحياناً بالقوافي النادرة مع لزوم ما لا يلزم. وكان بارعاً في الضرب على العود.

٣- مختارات من شعره

- لما كان ابن الصائغ المغربي في مكة أشده قاضياً نجم الدين الطبري قصيدة كافية من لزوم ما لا يلزم مطلعها (راجع الوافي بالوفيات ١: ٢٢٩):

أشبهت البدر التمام إذا بدا حسناً، وليس البدر من أشباهك!
فأشبهت هذه القصيدة ابن الصائغ فعارضها بقصيدة مدح بها نجم الدين. من هذه القصيدة:

رقي لجسم رَقٍّ من دَنَفِ الهوى؛	وشفاء ما تخويه حَوْ شِفَاهِك ^(١) .
وَسَنَ نَقَى وَسَيَ فَمَتُّ وَلَمْ أُنَمِّ،	ما لبله السامي كَلِيلِ السَاهِكِ ^(٢) ؛
إِنِّي شِمْتُ الزَّهَرَ بِلَّ عِيُونِهِ	طُلُّ فَأَنبَهُ لَدَى إِنْبَاهِكِ ^(٣) ،
زَمَماً أَرَدُّ أَهَةً الشُّغُوفِ مِنْ	حُرْقِي، فَتَحْكِنِي تَرْجُعَ أَهَكِ ^(٤) .
أَنْضَارِي، أَشْتَمَلُ الشَّيْبُ فَأَنْضَبْتُ	شَلَّ الْحَنَّا مَا رَاقَ مِنْ أَمْوَاهِكِ ^(٥) .
حَلَكُ الْمَارِقِ قَدْ تَنْفَسَ صُبْحُهُ؛	يَا نَفْسُ، هُبِّي مِنْ كَرَى اسْتِغَايِكِ ^(٦) ،

(١) رقي (من الرقة: الحنو، العطف). رَق: أصبح رقيقاً (نحيل الجسم). الدنف: الهلاك (الموت). شفاء = شفاؤه. الحوة (بالضم): السرة (في الشفاء).

(٢) الوس: النوم. وسن (وسنك = نومك مطمئنة غافلة عني) نقى (منع) وسي (نومي) أنا، لأنني معذب بحبك السامي (الغافل) كليل (مثل ليل) الساهك: الرمد (يفتح فكسراً)، الذي أصابه مرض في عينيه.

(٣) الطل: المطر الخفيف، قطرات من الماء تتجمع في الليل على ورق الشجر. - لَّا انتهت أنت من النوم، فتحت الأزارار.

(٤) الشغوف: الحب الذي وصل الحب إلى شفاف (غلاف) قلبه فأمرضه. أردد التأوه من هجرك منذ زمن طويل. تحكيني (تشبهي، تقلدني) ترجع (ترديد، تكرار) أهك (قولك: أه). - ؟.

(٥) أنضاري = يا نضاري (زهر شباني) التي كانت لي قدماً. أنضب: جف. اشتعل الشيب: عم الشيب رأسي. - راق: صفا. أمواه جمع ماء. - ؟.

(٦) حلك (ظلام). المارق جمع مفرق: مكان فرق الشعر في الرأس. قد تنفس صبحه (ظهر فيه الشيب). الكرى: النوم. استماه = ألمه (يفتح ففتح): ألمي: المعلقة.

يستبد هونسك للنسيب، فشرقي
 قاضي الشريعة والمقيم منارها
 يا نفس، إني قد نَقَّهْتُ من الغنى،
 هذا الجوادُ بما حوى أَمْنَاهُ في
 يَسْخو بما يُوعِي، ويظني ما يَمِي،
 دارت رَحَى الأَزْمَاتِ تَبْنِي جَارَهُ
 أُمُّ الْقُرَى، قد جَارَ مَنْ أُمُّ الْقُرَى
 نَاسَبَتْ غُرَّتَهُ وَيَبْتَ نَسِيهِ
 يا فِكْرَةَ بَدَّهَتْ بِأَبْدَعِ مُلْحَةٍ،
 بشريف مَكَّةَ مُنْتَجَ اسْتِيدَاهِكِ (١)،
 حَيْثُ الْمَقَامُ وَحَيْثُ يَنْتُ إِلاهِكِ (٢)،
 ولقد غَنَيْتُ الْيَوْمَ بِاسْتِيفَاهِكِ (٣)،
 إِفْقَارِ كَيْسِ الْمَالِ أَوْ إِزْهَافِكِ (٤)،
 كَمْ بَيْنَ كَنْزِ نَفْسِي وَنِفَاهِكِ (٥)،
 فَأَجَارَهُ مِنْ كُلِّ دَاءٍ دَاهِكِ (٦)،
 بِنِجَاءِ بُذْنِكَ كُلِّهَا وَشَاهِكِ (٧)،
 فَأَعَدْتُ «لَيْسَ الْبَذْرُ مِنْ أَشْبَاهِكِ» (٨)،
 مَا أَقْرَبَ الْإِبْدَاعِ مِنْ إِبْدَاهِكِ (٩)!

- (١) يستبد هونسك للنسيب (يطلبون منك أن تقولي بديهة - بغير استعداد - نبأ)، فلا تضيعي وقتك وجهودك بقول النسيب، بل امدحي بهذه البديهة شريف مَكَّةَ شريف مَكَّةَ: حاكمها، الوالي عليها. المنتج (مبنيًا للمفعول: المنتوج، المولود).
- (٢) منارها: مفعول به من «القيم». المقام: مقام إبراهيم (قرب الكعبة). بيت الله: الكعبة.
- (٣) نقه الرجل من المرض (شفي منه). نقه من الغنى (افتقر). استنفاهاك: يا نفسي أنا (.... الذي يريد أن يشفيني من الفقر).
- (٤) أَمْنَاهُ (يقصد: أَمْنِيته، مراده) أَرْفَاهُكَ (أَنْ يجعل لك، يا نفسي، رفاهية: سعة من العيش الناعم).
- (٥) يَسْخو: يجود. أوعى الشيء: يوعيه (وضعه في وعاء، حفظه) - يجود بكل ما يملك. يظني (؟): يمي: يحفظ، يجمع (من المال). - يرى أن جمع المال من غير انفاقه على المستحقين ظلم (؟). كَمْ بَيْنَ كَنْزِ نَفْسِي وَنِفَاهِكِ: كُلُّ مَالٍ (مِمَّا يَقْلُ) يَجْعَلُكَ، يا نفسي، ناقصة من فترك (غنى).
- (٦) الأَزْمَةُ: الشدة، الضيقة (الفقر). الرَحَى (بالألّف الطويلة أو بالألّف المتصورة): الطاحون. دارت الرَحَا (اشتدَّتْ أَعْمَالُ عَلَى الْإِنْسَانِ).
- الدهاك: الطاحون (الغنييف، الشديد).
- (٧) أُمُّ الْقُرَى (منادى): يَا أُمُّ الْقُرَى (مَكَّةَ). جار: استجار. من «أُم» (قصد) القرى (بالكسر): الضيافة. الفناء (بالكسر): الباحة. البدن (بالضَمِّ) جمع بدنة (بفتح ففتح): الحيوان الذي يساق لبديح في موسم الحجّ في مَكَّةَ. الناء = الشاة جمع شاة. - من استجار بك (يا مَكَّةَ) استحقَّ كل عَطِيَّة (؟).
- (٨) أَرَدْتُ أَنْ أَمْدَحَ وَضَاءَهُ وَجْهَهُ فِي شَمْرٍ. فَأَعَدْتُ: رجعت، عجزت (؟) فرددتُ الكلام الذي قلته أنت في مطلع قصيدتك: «لَيْسَ الْبَذْرُ مِنْ أَشْبَاهِكِ». - لم أقبل أن أشبهه بالبذر، لأنَّ البذر لا يشبهه (؟).
- (٩) فأجأتني فكرة معارضة قصيدة نجم الدين الطبري، بأبدع ملحّة (نظرًا). في الأصل: الإبداع بعد «ما» التمجّية. لعلّ جعل «ما» حرف نفي والإبداع فاعلاً أصح. لم يصل إبداعي (مقدّر في الشعر) إلى مستوى الفكرة التي حطرت لي (وهذا ملموح في البيت التالي).

عَرَضْتُمَا لِمَعَارِضٍ لَمْ يَحْكُمَا . أَنَّى ، وَقَدْ لَزِمَتْ قَوَائِمُهُمَا هَكَذَا (١) .

٤-★★ الوافي بالوفيات ٣: ٣٧٥-٣٧٨، راجع ١: ٢٢٩؛ الكنية الكامنة ٨٨-٩٠؛
نفية الوعاة ٦٠، شذرات ٦: ٢٦٥؛ درة الحال ٢: ٣٠٣-٣٠٥؛ نفع الطبيب ٤:
٣٣٧-٣٣٩ .

أبو العلاء بن سماك (٢)

١- هو أبو العلاء محمد بن محمد بن سماك بن عبد الحق بن سماك العاملي القرناطي،
سَمِعَ من أبي الحسن بن أبي العيش وأبي عبد الله بن الفخار وأبي عبد الله بن بكر وأبي
القاسم بن جزي، وكتب في الدار السلطانية (في قرناطة). ثم كانت وفاته في المحرم من
سنة ٧٥٠ (مطلع الربيع من عام ١٣٤٩ م).

٢- كان أبو العلاء بن سماك بارعاً في الأدب شاعراً مكثرًا، فيما يبدو، يغلبُ على
شعره المدح ووصفُ الحرب وأشياء من التأمل والحكمة مع نفحة صوفية. وبرع في علم
العروض. ثم كانت له مشاركة في علم السياسة. وكذلك كان مُصنِّفاً له: الزُّهْرَاتُ المنثورة
في نكت الأخبار الماثورة - الدر الثمين في مناهج الملوك والسلاطين - رَوِّقَ التَّحْيِيرُ
في حُكْمِ السياسة والتدبير.

٣- مختارات من شعره

- قال أبو العلاء بن سماك في الوحدة والانصراف إلى العلم والإفادة بالعلم:

مُنَايَ مِنَ الدُّنْيَا كِتَابٌ وَخُلُوءٌ أَكُونُ بِهَا بِاللَّهِ ثُمَّ مَعَ اللَّهِ (٣)؛

(١) لم يحكما: لم يستطع أن يأتي بما يحكما (يشهما). أنَّى؟ كيف؟ إن القافية «هك» أمر صعب.

(٢) سماك (غير محلاة باللام وغير مضبوطة بالشكل فيما لدي من الكتب). وأبو العلاء بن سماك هذا هو غير
أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الحياقي المعروف بابن السكّان (ت ٦٤٠ هـ) وكان أيضاً شاعراً (المدح الملقى
١٣٤: نفع الطبيب ٣: ٣١٤-٣١٥).

(٣) الخلو (بالهمس): الوحدة (بالكسر). بالله ومع الله (هنا) من تعابير الصوفية: في حال أسعها الله عليّ ثم
متصلاً بالله (شيئاً واحداً مع الله).

وأشهر من ذاك الكتاب معارفاً لكل مُنيب للمُهتَمين أوَاهُ (١).
 - وقال أبو العلاء بن سبأ يمدح السلطان ويذكرُ استردادَ حصن كان الإسبان قد
 استولوا عليه (الكتيبة الكامنة ١٩٩):

فَتَحَّ تَلَقَّى النَّصْرُ مِنْهُ تَحِيَّةً مِنْ لَفْظِهَا مَاءُ الشَّاشَةِ يَقْطُرُ
 فَتَحَتْ سَيُوفُكَ كَرِيكُولَ، وَإِنَّهُ فِي الْفَتْحِ عُنَوَانٌ لَمْ هُوَ أَكْبَرُ
 ثَغْرٌ عَلَى الْأَرْضِ الْفَضَاءِ طَلِيعَةٌ، فَلَهُ عَلَى كُلِّ الْبَسِيطَةِ مَظْهَرُ (٢).
 يَرُونِ إِلَى أَرْضِ الْعَدُوِّ كَأَنَّهُ لِحَظٍّ يُضْمُّ عَلَيْهِ مِنْهَا مَخْجَرُ (٣).
 مَا أَنْ يَشُنَّ الْكُفْرَ يَوْمًا غَارَةً إِلَّا وَبِالْمُغَوَّرِ مِنْهُ مَنَذَرُ (٤).
 صَبَدَ الْعُدَاةُ عَلَيْهِ أَمْنَعُ مَقْلٍ مُتَمَثِّلِينَ بِأَنَّهُ لَا يُخْصَرُ (٥).
 فَسَمَتْ جُيُوشُكَ مِنْهُ أَعْلَى شَاهِقٍ يَرْتَدُّ عَنْهُ الطَّرْفُ وَهُوَ مُعْجِرُ (٦).
 فِي رَأْسِ سَنْ لَا تُغَامُ سَأُوهُ، مِنْ دُونِهِ قَطْرُ الْغَمَامِ الْمُمْطَرُ (٧).
 فَكَأَنَّ هِرْمِسَ بَثَّ حِكْمَتَهُ بِهِ، وَأَذَقَ فِيهِ فِكْرَهُ الْإِسْكَندَرُ (٨).

- (١) أوَاه: كثير النضج والدعاء. المنيب (الراجع إلى الله: النائب). المهتم من أسماء الله الحسنى.
- (٢) الثغر: المكان بحيثى منه مجيء العدو. الأرض الفضاء: الواسعة. طليعة: مقدمة من الجيش تراقب تحرك العدو. البسيطة: الأرض (الكرة الأرضية). مظهر: إشراف أو نظر من مكان مرتفع (ظهر فلان البيت: صعد إلى طهره أو سطحه).
- (٣) يرون: ينظر. المحجر: التجويف الذي تستقر فيه العين.
- (٤) المغوار: المقاتل الكثير الغارات على أعدائه. منذر (بالبناء للمجهول؟): يأتي العدو بالنبا الشئ. كلاً شئ الإنسان غارة وقتت عليهم (من هذا المغوار) هزيمة.
- (٥) المقل (المحصن) المنيع (الذي ينجز المهاجم عن الوصول إليه). متمثلين (أو متحيلين). يحصر (يمكن إقامة طوق من الحصار حوله).
- (٦) الطرف: البصر.
- (٧) الس: المكان المرتفع (؟) كمن الرمح (؟). في الحاشية (شق). لا تغام ساءوه: لا يصل الغيم إلى أعلاه.
- (٨) الممطر (بالبناء للمعلوم؟) - اليوم التي تمطر تكون تحته.
- (٩) هرمس اسم لعدد من الأشخاص الخرافيين. هرمس هنا هو هرمس الأول الذي استخرج بفكره جميع علوم الأقدمين. بَثَّ: نشر. به (؟). الإسكندر (الافروديسي) فيلسوف قديم كان بارعاً في العلوم الحكيمية، وقد فسر أكثر كتب أرسطوطاليس

فَصَفَا مِنَ النَّعِ الْمُنَارِ عَلَيْهِمْ بُرْدٌ بِأَطْرَافِ الرَّمَاكِ مُحَبَّرٌ^(١).
فَاسْتَنْزَلُوا مُسْتَسْلِمِينَ، وَرَبَّيَا أَعْيَا الْحَيَاةَ حُلُولُ مَا لَا يُقَدَّرُ^(٢).
أَلْقُوا يَدَ الْإِذْعَانِ خِيَفَةَ هُلُوكِهِمْ، وَضُلُوعُهُمْ تَسَدَّقُ أَوْ تَتَفَطَّرُ^(٣).

٤-★★ الكنية الكامنة ١٩٨-٢٠٠: الدرر الكامنة (حيدر آباد) ٤: ١٧٨ (رقم
٤٨٢)- (القاهرة) ٤: ٤٩٥-٢٩٦ (رقم ٤٣٤): الأعلام للزركلي (٧: ٣٦).

ابن ليون التنجي

١- هو أبو عثمان سعد بن أحمد بن إبراهيم بن ليون التنجي^(١) أصله من لورقة
ومولده سنة ٦٨١ هـ (١٢٨٢ م) في المرية، وفيها قضى حياته كلها لم يُغادرها قط.
وتصدّر فيها للتدريس. وكانت وفاته بالطاعون، في رابع عشر جمادى الآخرة من سنة
٧٥٠ (١٣٤٦/٨/٤١ م).

٢- كان ابن ليون التنجي مشاركاً في عددٍ من فنون المعرفة: في الطب (وكان
طبيباً ماهراً) وفي الحكمة (الفلسفة) والفقه والفرائض (تقسيم الإرث) والمباحة (الهندسة
المستوية) والعروض. وقد كانت له قدرة على النظم يتناول الآراء المختلفة فينظمها في
مقطعات (من البيتين والثلاثة): يقتبس من القرآن الكريم والحديث الشريف ومن شعر
الشعراء ومن الأقوال الشائعة. وشعره واضح المعاني سهل التركيب ينوء أحياناً كثيرة

(١) ضفا: امتد (فوق رؤوس الأعداء). النع (بالفتح): غبار الحرب. بُرد: ثوب من حرير. محبّر: مزين،
منقح.

(٢) استنزل الحصمُ حصنه من الحصن (أجبره على النزول). أعيَا الحياةَ (مفعول به مقدّم) ما لا يقدر
(بالبناء للمجهول) المعنى الملموح: إن حاة الحصن (من الإنسان) قد أعيَاهم (أتمهم) أعجزهم) حلول
(البقاء في الحصن) لأن الله لم يقدر (لم يشأ) لهم ذلك.

(٣) الإذعان: الخضوع. ألقوا (بفتح القاف) يد الإذعان: استسلموا وخصموا. الهلك (بالضم): الهلاك. اندق
(أصبح دقيقاً أو طحيئاً). تفتّر: شقق، تقطّع (من الخوف؟).

(٤) هو غير سعد بن أحمد التنجي الموندي الجبائي (محو ٦٦٢ - ربيع شعبان ٧٢٢) أحد شيوخ الثوري
والفتيا (نيل الانبهاج ١٢٤-١٢٥).

بأشياء من الضَّئِف (في النَّخْو وفي الوزن)، ولا تَكَادُ تَلَمَّحُ له ابتكاراً، وكثيرٌ من معانيه مُكرَّرٌ في مقطَّعاتٍ عديدة. ثم هو مُكثِّرٌ اختارَ له المقرئُ ما ملأ به أكثرَ من خمسين صفحةً من «نفع الطيب».

وابنُ ليونَ التُّجَيْبِيُّ مُصَنَّفٌ مُكثِّرٌ له ثلاثون كتاباً (وقيل: واثنةُ كتاب)، منها: أَدَاءُ الدَّيْمِ في الوصايا والمواعظ والحكم (انتهى من تأليفه في منتصف شعبان من سنة ٧٣١) - الأبياتُ المهدبة في المعاني المقرَّبة - نُصح (نصائح؟) الأحاب وصحائح الآداب - المُعدة في علوم الإسناد (الحديث الشريف) - إبداء الملاحاة وإنهاء الرُّجاحة في أصولِ صِناعة الفِلاحة (رجز) - كتابٌ في الهندسة - كتاب في الفلاحة - كمالُ الحافظ وجبالُ الالفاظ في الحكم والوصايا والمواعظ.

واختصرَ ابنُ ليونَ التُّجَيْبِيُّ عدداً من الكتب منها: لَمَحُ السَّحَرِ في رُوح السَّحَرِ (لحمَدِ بنِ أحمدَ بنِ الجَلَّابِ الفهري - أتمَّ اختصارَه سنة ٧٣٩ هـ) - بُغْيَةُ المَوَاسِ من «بهجة المجالس وأنس المجالس» (لابن عبد البر) - المرتبة العُلَيَّا (لابن رشاد القفصي) - التُّخْبَةُ العُلَيَّا من «أدب الدين والدنيا» (لأبي الحسن الماوردي) - الإنبالة العِلْمِيَّة «من رسالة في أحوال فقراء الصوفية المتجرِّدين» (لملِّ بن عبد الله الششتري).

٣ - مختارات من شعره

- من مقطَّعاته في الأدب (الحكمة):

تهدي فيه سبيلاً:	* شرُّ إخوانك من لا
مكرُّه داءٌ دَخِيلاً؛	يُظْهِرُ الودَّ ويُخْفِي
وهو يُؤْلِيكَ الجميلاً؛	يَتَّقِي مِنْكَ اتِّقَاءً
والقَهْ في بابِ دارِهِ.	* لَنْ لِمَنْ تَخْشَى أَذَاهُ
ع؛ فَمَنْ تَخْشَاهُ دارِهِ؛	إِذَا الدُّنْيَا مُدارَا
تَعُدُّ، فَأَنْتَ أَجْدَرُ بِالْكِمالِ.	* إِذَا كَانَتْ عُيُوبُكَ عِنْدَ تَقْدِيرِ
وَحَبُّكَ مَا تُشَاهِدُ فِي الْهِلالِ؛	مَتَى سَلِمْتَ مِنَ التَّقْدِيرِ الْبَرَايَا؟

* سَكُرُ الْوَلَايَةِ مَا لَهُ صَحْوٌ،
 يَهْدِي الْفَتَى أَيَّامَ عِزَّتِهَا،
 فَحَذَارِ، لَا تَفْرُزْكَ صَوْلَتُهَا
 * خَلْ رَأْيَ الْجُهَالِ مَا اسْتَطَعْتَ وَاتَّبِعْ
 رَأْيَ أَهْلِ الصَّلَاحِ نَوْرٌ يُجَلِّي
 * زَمَنْ الْفَضَائِلِ قَدْ مَضَى لِسَبِيلِهِ،
 رَكَدَتْ رِيَّاحُ الْحِدِّ بَعْدَ هُبُوبِهَا،
 هَيْهَاتَ، مَا زَمَنْ الْكِرَامِ وَمَا هُمْ؟
 * لَا تَقْبَلِ الْحُكْمَ عَلَى بَلَدٍ
 رِيَاسَةُ الْمَرْءِ عَلَى الْأَهْلِ وَالِ
 * تَغَافَلْ فِي الْأُمُورِ وَلَا تُتَاقَشْ
 مُنَاقَشَةُ الْفَقْرِ تَجْنِي عَلَيْهِ
 * جَرَبَ النَّاسِ مَا اسْتَطَعْتَ تَجِدْهُمْ
 فَالسَّعِيدُ السَّعِيدُ مِنْ أَخَذَ الْعَفْ
 * أَرْحِ النَّفْسَ تَتَنَفَّعَ بِحَيَاتِكَ
 وَاطْرَحْ عَيْنَ مَنْ سِوَاكَ، وَسَلِّمْ
 وَاعْتَبِرْ بِالَّذِينَ بَادَا، وَبَادِرْ

وَكَلَامُهَا وَجِرَاكُهَا زَهْوٌ.
 فَإِذَا تَقَضَّتْ نَابَهُ شَجْوٌ^(١).
 وَزَمَانُهَا، فَثُبُوتُهَا مَخْوٌ^(٢)!
 رَأْيَ أَهْلِ الْحُلُومِ وَالتَّجْرِبِ.
 ظُلْمَةُ الْكَرْبِ فِي لَيَالِي الْخُطُوبِ.
 وَلَوْ بِطَيْبِ الْمِيشِ وَشَكِّ رَحِيلِهِ^(٣).
 وَعَلَا فَرِيقُ الْهَزْلِ بَعْدَ خُمُولِهِ^(٤).
 ذَهَبُوا؛ وَجَدَّ الدَّهْرُ فِي تَحْوِيلِهِ.
 نَشَأَتْ فِيهَا؛ إِنَّهُ يُحَقِّدُ!
 حَيْرَانَ وَالْخَلَّانِ لَا تُحْمَدُ.
 فَيَقْطَعُكَ الْقَرِيبُ وَذُو الْمَوَدَّةِ.
 وَتُبْدِلُهُ مِنَ الرَّاحَاتِ شِدَّةِ.
 لَا يَرَى الشَّخْصَ مِنْهُمْ غَيْرَ نَفْسِهِ.
 وَذَارَى جَمِيعَ أَبْنَاءِ جَنِيَّةِ^(٥).
 وَأَغْنَمَ الْمِيشَ قَبْلَ يَوْمِ وَقَاتِكَ.
 جُمْلَةُ النَّاسِ يَفْقَلُوا عَنْ أَذَاتِكَ^(٦).
 مَا يُدَانِيكَ مِنْ سَبِيلِ نَجَاتِكَ .

(١) نابه: أصابه. شجو: حزن.

(٢) ... لَا يَفْرُزْكَ (يفتح الراء) مَا تَعْلِيهِ الدُّنْيَا مِنْ صَوْلَةٍ (سلطة). الثبوت والهو (من اصطلاحات

الصوفية). الثبوت (ها - في المعنى اللغوي): وجود السلطة في يدك (في الدنيا). مخو: ذهاب لتخصيتك

(الهو - عند الصوفية - أَنْ يَتَلَاثَى وَجُودَ الْإِنْسَانِ وَيَبْقَى وَجُودَ اللَّهِ).

(٣) وشك: قرب.

(٤) ركذ: هدا، سكن.

(٥) الغفو (هنا): مَا يَفْضُلُ عَنِ الْبَاسِ (لَا تَزَاحِمُ أَحَدًا عَلَى مَقْعٍ مِنْ مَقَاعِمِ الدُّنْيَا، وَاقْعٌ بَمَا يَتْرَكُونَهُ تَمَّا لَا

يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ).

(٦) «ن» (زائدة، زادها الشاعر لإقامة الوزن). أطرَح: ترك، أراح عن عاقته.

٤-★★ الكنية الكاملة ٨٦-٨٧؛ نيل الابتهاج ١٢٣-١٢٤؛ درة المجال ٢؛
 ٤٦٧-٤٧٠؛ نفع الطيب ٥: ٥٤٣-٦٠٣؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة
 الأولى) ٤: ٨٥٥؛ بروكلمن، الملحق ٢: ٣٨٠، الأعلام للزركلي ٣: ١٣٢
 (٨٣-٨٤).

محمد البدري

١- هو أبو عبد الله محمد بن محمد البدري الأندلسي، قرأ على أبي جعفر بن الزيات
 وعلى ابن الكباد، وأخذ أصول الدين وأصول الفقه (?) والنحو عن أبي عمر بن منظور
 ولازمه. وقد حج، ويبدو أنه - وهو في طريق ذهابه أو إيابه - قد أخذ الفقه عن أبي
 عبد الله بن عبد السلام في تونس. ثم إنه عاد إلى الأندلس وأقرأ في بلده بلس. وكانت
 وفاته سنة ٧٥٠ للهجرة (١٣٤٩ م).

٢- كان أبو عبد الله محمد البدري حسن التلاوة للقرآن الكريم، جيد المعرفة بالفقه
 وأصول الدين وخطيباً بليغاً حسن الوعظ. وكذلك كان شاعراً مجيداً رقيقاً غزلاً.

٣- مختارات من شعره

- قال أبو عبد الله محمد البدري في النسيب (نيل الابتهاج ٢٤٩):

خَالَ عَلَى خَدِّكَ أُمَّ عَنَبْرُ وَلَوْلُوْ شَرُّكَ أُمَّ جَوْهَرُ^(١)؟
 أَوْرَيْتَ نَارَ الْحُبِّ (بِي) فِي الْحَشَا، فَصَارَتِ النَّارُ بِهِ تُنْقَرُ^(٢).
 لَوْ جُدْتُ لِي مَتَكَ بِرَشْفِ اللَّيْلِ، لَقُلْتُ: خَرُّ عَمَلُ سَكْرٍ^(٣).
 دَعْنِي فِي الْحَمَى أَذْبَ لَوْعَةً، سَفْكَ دَمِ الْعَاشِقِ لَا يُنْكِرُ.

٤-★★ نيل الابتهاج ٢٤٨-٢٤٩؛ عنوان الأريب ١: ١٠٢-١٠٣.

(١) المنبر: طيب أسود اللون. الجوهر (هنا): اللؤلؤ أيضاً.

(٢) البيت في الأصل: نار الحب في الحشا فصارت الناس.... تُمر (بالبناء للمجهول): تُوقد، تُشعل.

(٣) اللّمي: سُرّة الثفاء (كتابة عن الرقيق).

ابن المراجع

١- هو أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الأزدي الغرناطي، وُلد في بَلَشَ قرب مَالَقَة، قضى حياته يتطوَّف في الأندلس وفي المغرب يتقرَّب من الحكام بُغْيَة التَّكسُّب منهم. ولكنه لم ينل حُظوة ولا شهرة - لا في المغرب ولا في الأندلس نفسها. وكانت وفاته في بَلَشَ بالطاعون، سنة ٧٥٠ (١٣٥٠م).

٢- كان ابن المراجع من طبقة متوسطة في النائرين والشعراء كثير الهجاء، وهو يمثل الطريقة الساسانية في الأندلس (الاستجداء بالأدب). وليس في شعره براعة خاصة إلا في رثائه للديك. وقد رثى والدَ ابن الخطيب وأخاه بعد استشهادهما في وقعة طريف (سنة ٧٤١) ثم مدح ابن الخطيب نفسه (سنة ٧٤٩). وأبرز آثاره «مقامة العيد» (عبد الأضحى).

٣- مختارات من آثاره

- من مقامة العيد لأبي محمد الأزدي بن المراجع:
يقولُ شاكِرُ الأبيادي وذاكِرُ فخرِ كل ناد وناثر غُررِ الغُررِ للعاكِفِ والبادي والرائحِ والغادي^(١): اسمعوا مِنِّي حديثاً تَلَذُّهُ الأسماعُ ويستطرفه الاستماعُ ويشهدُ مُحِبُّهُ الإجماعُ، وهو من الأحاديث التي لم تَتَّفَقْ إلَّا لثُلِّي ولا ذُكِرت عن أحدٍ قبلي. وذلك - يا مشرَّ الألفاء والخُلصاء والأحِبَّاء - أُنِي دخلت في هذه الأيام داري في بعض أدواري لأقضي من أخذ الغذاء أو طاري على حسب أطواري. فقالت لي رَبَّةُ البيت: لِمَ جِئْتَ وَلِمَ أَتَيْتَ؟ قُلْتُ: جِئْتُ لكذا وكذا، فها الغذاء؟ قالت: لا غذا عندي اليوم ولو أودى بك^(٢) الصومُ، حتى تسَلِ الاستخارة وتَمْعُلُ كما فعلَ زوجُ الجارة طيِّبَ الله نَجاره

(١) شاكِرُ الأبيادي (الْتَنِي على الدين أُنعموا عليه)، والمقصود به ها «الراوي» الذي يروي المقامة عن المجلس الذي يرد ذكرها فيه. الغرة: البياض في الجهة. العمل الجميل. ناثر غرر الغرر: ناثر ذكر الأعمال الجميلة. العاكف: القائم في بلده (المدنية). البادي (الساكن في البادية). الرائح: الراجع في المساء. الغادي: الذهاب (المسكَّر) في الصباح.

(٢) أودى بك: أهلكك. الصوم: (ها) الجوع. الاستخارة: طلب خير ما في الأشياء. تسَلِ الاستخاره (٤).

وملاً بالأرزاق وجاره^(١). قلت: وما فعل؟... قالت: إنه قد فكّر في العيد ونظر في أسباب التعميد وفعل في ذلك ما يَنْحِئُهُ القريب والبعيد. وأنت قد نَسِيتَ ذِكْرَهُ ومَحَوْتَهُ من بالك ولم تَنْظُرْ إليه نظرةً بعينِ اهْتِبَالِكَ. وعيد الأضحى في اليد^(٢) والنظر في شراء الأضحية (اليوم) أوفى من الغد.....

فلم يَسْنِيْ إِلَّا أَنْ عَدَوْتُ أَطُوفُ السُّكَّ والشوارع وأبادر لِمَا غَدَوْتُ بسبيله وأسارع، وأجوب الآفاق وأسأل الرفاق، واخترق الأسواق واقتحم زريبةً بعد زريبة واختبر منها البعيدة والقريبة. فما استرخصته استنقصته، وما استغلبته استغلبته^(٣)..... حتى انقضى ثلثا يومي وقد عَيِيتُ بِدَوْرَانِي وصومي.... فأومأت^(٤) للإياب وأنا أجدُّ من خوفها^(٥) ما يجد صغار الغنم من الذئب، إلى أن مَرَزْتُ بقصّاب في مَجْزَرَةٍ وقد شدَّ في وسطه مِشْرَه..... وبين يديه عَنَزٌ قد شدَّ يَدَيْهِ في رَوْقِهِ^(٦)، وهو يَجْذِبُهُ فَيُرِّكُ، ويَجْرَهُ فلا يَتَحَرَّكُ، ويَرُومُ سَيْرَهُ فَيَرْجِعُ الْقَهْقَرَى ويعود إلى ورا، وهو يقول: آه له من جانٍ باغٍ وشيطان طاغٍ^(٧).....

فقلت للقصّاب: كم طلبك فيه على أن تُهْمَلَ الثمن حتى أَوْقِيَهُ. قال: ابغني أجيراً وكُنْ له الآن من الذبح مُجِيراً^(٨). وخُذْهُ بما يُرْضِي لأولي التَقْصِي.... ابْتَعَهُ مِنِّي نَسِيَّةً وخذه هدية^(٩).... وقال: تضمّن لي فيه عشرين كِباراً أَقْبِضُهَا مِنْكَ لَانْقِضَاءِ الْحَوْلِ

(١) التَّجَار: الأصل: الجار: بيت التعلب، (ها) البيت عموماً.

(٢) الاهتبال: انتهاز الفرصة، التمسك بالشيء. في اليد: قريب.

(٣) ما وجدته رخيص الثمن كان ناقصاً في عيني (لا يلقى، لا يكتفي) وما كان غالي الثمن كان عالياً (جيداً أو فوق طاقتي).

(٤) عي: تعب. أومأت: أشار.

(٥) الإياب: الرجوع (إلى البيت). من خوفها (من الخوف من ربة الدار: من أمرأتي).

(٦) المِجْزَرَة: مكان الجزر (ذبح الغنم إلخ). المِشْرَة - والمِشْرَة: ثوب قصير يشدُّ على وسط البدن. العنز: الأنتى من العز (المقصود هنا: نيس) ذكر العز، أو الماعز (وتقال للذكر وللأنثى). الروق: القرن. شد يديه إلى روقه: قيده ليمتعه من الحرب.

(٧) الجاني: المذنب. الباغي: الظالم. الطاعى: الذي جاور الحد في كل شيء.

(٨) (الملح): استأجر رجلاً يدفعه الآن.

(٩) التَقْصِي: الفناء والأفئطاع - المقصود: أولي التفاضل: أصحاب الديون، الدائون. خذ بما يرضى أولي =

ديناراً ديناراً^(١).....

فجلبني للابتياح منه الإنشاء في الأمد^(٢).... فقال: قد بعته لك فاقبض متاعك
وها هو في قبضك فاشدّد وثاقه وهلمّ لتعقد عليه الوثاقة^(٣). فاحدثت معه إلى دكان
التوثيق وابتدرت من السعة إلى الضيق^(٤). وأوثقتي بالشهادة تحت عقد وثيق وحلني
من ركوب الدين ولعاق الثمن في أوعر طريق. ثم قال لي: هذا تيسك فثأرك وإياه وما
أظنك إلا تنهيه^(٥). وآت بحمالين أربعة فإنك لا تقدّر أن ترفعه، ولا يتأتى لك أن
يتبعك ولا أن تتبعه.....

[وأفلت التيس من الحمال وغاب عن النظر فجعل شاكر الأيادي يطلبه فلقبه
رجل غاضب يقول]:

إن عنزك حين شرد خرج مثل الأسد وأوقع الرّهج^(٦) في البلد، وأضرّ بكل
أحد. ودخل دهليز الفخارة فقام فيه وقعد. وكان العمل فيه مطبوخاً ونيئاً^(٧) فلم
يترك منه شيئاً. ومنه كانت معيشتي، وبه استقامت عيشتي، فأنت ضامن مالي، فارتفع
معي للوالي.... ورجلٌ (آخر) يقول (هلمّ إلى المحتسب^(٨))، و (أنا) أعرف ما نكسبُ

= التقاضي (يشن أعلى من الثمن المدفوع نقداً). نية (بشن مؤجل). خذه هدية (خذه الآن من غير أن
تدفع مالا فكانه هدية) - هذا التعبير موجود بشقيه في القامة المضيرة لبديع الزمان الهمداني.

(١) كباراً: (دنانير) كبيرة، وافية، راجحة. الحول: العام. لا تقضاء الحول (بعد عام واحد).

(٢) الإنشاء: التأجيل. الأمد: مدة الدفع.

(٣) الوثاق: الرباط. الوثاقة: التسجيل عند الكاتب العدل.

(٤) آبتدرت من السعة إلى الضيق: أسرع من السعة (أخذ عنز بلا مال) إلى الضيق (كثرة التضيق علي
بالمشروط).

(٥) الثمن: الميب = اللجوء إلى الدين (بفتح الدال). الوعر: المكان الصلب الخفيف (الطريق التي يصعب
سلوكها). تنهيه = تبعاً له: تستطيع السيطرة عليه.

(٦) الرهج (بفتح الهاء أو بكونها): الثغب.

(٧) العمل: (يقصد) المصنوعات (من الفخار) - ما طبخ طينه فأصبح فخاراً قابلاً، وما زال نيئاً لم يطبخ
بعد.

(٨) أرتفع معي للوالي: أذهب معي إلى الحاكم. المحتسب: مفتش منبرع أو موظف ينظر في أحوال السوق وما
يقع فيها من الضرر أو الاساءة الخ.

وإلى مَنْ تَنَسَّبُ وقد كَثُرَ عِنْدَهُ ^(١) بِكَ التَّشْكِي، وصاحب الدَّهْلِيْزِ قَبْلَكَ يَبْكِي. وقد أَمَرَ بِإِحْضَارِكَ، وهو بِاتِّظَارِكَ.... ثم أَسْكَنِي بِالْيَمِينِ حَتَّى أَوْصِلَنِي إِلَى الْأَمِينِ. وقال لي: أُرْسَلَتِ التَّيْسُ لِلْفَسَادِ كَأَنَّكَ فِي نِعَمِ اللَّهِ مِنَ الْحَمَادِ ^(٢). قُلْتُ: إِنَّهُ شَرٌّ، وَلَمْ أَذِرْ حَيْثُ وَرَدَ ^(٣). قَالَ: قَدْ أَمِنْتَ إِنْ ضَمِنْتَ، وَعَلَيْكَ الثَّقَافُ.... حَتَّى يَقَعَ الْإِنْصَافُ أَوْ ضَامِنٌ كَافٍ ^(٤). فَابْتَدَرَ أَحَدُ إِخْوَانِي وَبَعْضُ جِيرَانِي فَأَدَّى عَنِّي مَا ظَهَرَ بِالتَّقْدِيرِ، وَأَلْتَ الْحَالِ لِلتَّكْدِيرِ ^(٥).....

وَتَوَجَّهْتُ لِدَارِي وَقَدْ تَقَدَّمَتْ أَخْبَارِي. وَقَدِمْتُ بِبُيَّارِي وَتَعِيرٍ ^(٦) صَغَارِي وَكِبَارِي. وَالتَّيْسُ عَلَى كَاهِلِ الْحَمَالِ يَرْغُو كَالْبَعِيرِ وَيَزَارُ كَأَسَدٍ إِذَا فَصَلَتْ الْعِيرُ ^(٧). فَقُلْتُ لِلْحَمَالِ: أَنْزِلْهُ عَلَى مَهْلٍ فَالْتَّعْيِيدُ قَدْ اسْتَهْلَ. فَحِينَ طَرَحَهُ فِي الْأُسْطُوَانِ ^(٨) كَرَّرَ إِلَى الْمَدْوَانِ وَصَرَخَ كَالشَّيْطَانِ. وَهَمَّ أَنْ يَقْفِزَ الْجَيْطَانِ. وَعَلَا فَوْقَ الْجِدَارِ وَأَقَامَ الرَّهْجَةَ فِي الدَّارِ. وَلَمْ تَبْقَ فِي الرِّزَاقِ عَجُوزٌ إِلَّا وَصَلَتْ لَتْرَاهُ وَتَسَأَلُ عَمَّا اعْتَرَاهُ وَتَقُولُ بِكُمْ اشْتَرَاهُ. وَالْأَوْلَادُ قَدْ أَرْهَقَهُمْ لَهْفُهُ ^(٩) وَدَخَلَ قُلُوبَهُمْ خَوْفُهُ.

فَابْتَدَرْتُ رَبَّةَ الدَّارِ وَقَالَتْ: كَيْتَ وَكِيتَ، لَا خَلَّ وَلَا زَيْتَ، وَلَا حَيَّ وَلَا مَيِّتَ. وَلَا مَوْسَمَ وَلَا عَيْدَ، وَلَا قَرِيبَ وَلَا بَعِيدَ. سُقَّتِ الْعِفْرِيَّتُ إِلَى الْمَنْزِلِ.... وَمَتَى تَفْرَحْ

(١) اعرف ما تكسب (اعرف مقدار دخلك) وإلى من تنسب (ومكانتك في البلد) - أي أنت قادر على الدفع وتحاف أن يشيع عنك التمتع عن الدفع. عنده (عند الوالي).

(٢) كانت في نعم الله من الحامد: كأنك تحمد أصحاب الأموال فتريد إيتلاف ما يملكون.

(٣) ورد: (هنا) ذهب.

(٤) عليك الثقاف إلى أن يقع الإنصاف: سئيد يداك بالجديد حتى تدفع ما يرضي الخصم. أو ضامن كاف: أو تأتي بضامن قادر على الدفع الآن.

(٥) آل: رجع. التكدير: الكدر والحزن.

(٦) تعير (كذا بالأصل).

(٧) العير: القافلة فيها الجمال والحيل والحمير الخ. فصلت: خرجت من البلد (داخل السور) وأصبحت في الطريق (في البادية - قرية من الوحوش الضارية المفترسة).

(٨) العيد قد استهل: ثبتت رؤية هلاله (هنا: أعلن وقته). الأسطوان: دهليز قائم سقفه على أعمدة (٩).

(٩) الرهجة (٩): الصباح والفتنة.

(١٠) أرهقهم: (جعلهم فوق ما يطيقون) لهفه: الخوف منه - كثر خوفهم منه.

زوجتك والعز أضحيتك. متى تطبخ القدور وكذلك مغدور^(١)؟... والله، لو كان العز يُخرج الكنز، ما عَمَر لي داراً ولا قَرَب لي جواراً. أخرج عني، يا لُكُم: فعل الله بك وصنع! وما حَسَبَك عن الكباش السَّان والضَّان^(٢) الرفيعة الأثمان؟ يا قليل التحصيل، يا مَنْ لا يعرف الحياطة ولا التفصيل.....

٤- ** (ذهبت مِنِّي المصادر التي أخذت منها هذه الترجمة). دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٩١.

ابن هذيل الفرناطي

١- هو أبو زكريا يحيى بن أحمد بن إبراهيم بن هذيل التُّجيبِي الفَرْنَاطِي، كان كثير الابتعاد عن الناس، لاشتغاله بعلوم الأوائل^(٣) ولميله إلى الاعتزال^(٤)، كما كان مكروهاً جداً في المغرب والأندلس. ولعله أَعْتَقَلَ مُدَّةً من أجل ذلك (راجع نفع الطيب ٥: ٤٩٣). وفي أواخر أيامه خَدَمَ السلطان^(٥) بَطِيهَ وقام بإقراء الأصول والفرائض والطب. وفي آخر عمره فُلِّحَ ثم تُوُفِيَ في ٢٥ من ذي القعدة من سَنَةِ ٧٥٣ (١٣٥٣/١/٢ م).

٢- كان ابن هذيل الفرناطي عارفاً بعلوم التعاليم^(٦) وعلوم القدماء كما كان

(١) العز أضحيتك!: تضحي عزاً والأفضل أن تضحي ضاناً (خروفاً). ولدك مغدور: مصاب بأذى من التيس (!).

(٢) اللكع: اللثيم، الأحق. الكبش: الذكر من الضأن.

(٣) علوم الأوائل أو علوم القدماء هي العلوم الفلسفية كاللطق وعلم ما وراء الطبيعة (البحث في الأسباب والوجود والنفس والآخرة).

(٤) الاعتزال، في تاريخ الفكر الإسلامي، حركة ترمي إلى تفسير مظاهر الوجود المادية والمدارك الروحية تفسيراً عقلياً وإلى تحكم العقل حتى في ما لم يجز تحكم العقل فيه (كالمقائد الدينية مثلاً).

(٥) المفروض أنه سلطان غرناطة أبو الحجاج يوسف الأول بن إسماعيل (٧٣٣-٧٥٥ هـ).

(٦) علوم التعاليم هي العلوم التي تجري في الأعداد: الحساب والجبر والهندسة والفلك والموسيقى ثم الطبيعيات (الفيزياء) والكيمياء.

مُتَزَلِّيًا يَقُولُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَقْدِرُ عَلَى غَيْرِ الْمُمَكِّنَاتِ وَلَا يَعْلَمُ الْجُرْئِيَّاتِ^(١). وَكَانَ قَدِيمًا كَبِيرًا وَطَبِيبًا مَشْهُورًا وَأَدِيبًا شَاعِرًا لَهُ مَذْحُ وَغَزَلٌ وَشَكْوَى وَعِتَابٌ، وَقَدْ جَمَعَ جَانِبًا مِنْ شِعْرِهِ فِي دِيْوَانٍ وَسَمَّاهُ «السُّلَيْمَانِيَّاتِ وَالْعَزِيقَاتِ»^(٢).

٣- مختارات من آثاره

- قال ابن هذيل الغرناطي في النسيب:

نَامَ طِفْلُ النَّبْتِ فِي حِجْرِ النَّعَامِ	لاَهْتَزَّازَ الظَّلَّ فِي مَهْدِ الْخُرَامِ ^(٣) .
وَسَقَى الْوَسْمِيَّ أَغْصَانِ النَّقَا	فَهَوَتْ تَلْتِمُ أَفْوَاهَ الدِّمَامِ ^(٤) .
كَحَلَ الْفَجْرُ لَهَا جَفْنَ الدُّجَى	وَعَدَا فِي وَجْهِ الصُّبْحِ لِنَامِ ^(٥) .
تَحَسَّبُ الْبَدْرُ مُحْيَا تَمَلِّ	قَدْ سَقَتْهُ رَاحَةُ الصُّبْحِ مُدَامَا ^(٦) .
يَا عَلِيلَ الرُّوحِ ، رِفْقًا: عَلَنِي	أَشْفَ، بِالسُّقْمِ الَّذِي حَزَّتْ سَقَامَا ^(٧) .
أُبْلَغَنِّي عَنِّي عُرْيَا بِالْحِمَى	هَمْتُ فِي أَرْضٍ بِهَا حَلَاوَا غَرَامَا ^(٨) .
كَسْتُ أَشْفِي غُلَّةً مِنْ طَيْفِكُمْ	لَوْ أَذِنْتُمْ لِحُفُونِي أَنْ تَنَامَا ^(٩) .

- وَقَالَ يَمْدَحُ السُّلْطَانَ أَبَا الْوَلِيدِ إِسْمَاعِيلَ بْنَ فَرَجٍ لَمَّا هَاجَمَ حُصْنَ أَشْكَرَ، سَنَةَ

(١) في المزملة نمر يقولون إن الله لا يقدر على المستحيلات (على مخالفة القوانين التي وضعها هو في الوجود: لا يستطيع عمل الشر، ولا جعل الصخر يطفو على وجه الماء، أي أنهم ينكرون المعجزات). وكذلك هنالك نمر منهم (ومن الفلاسفة) يقولون إن الله يعلم الكلبيات (أي قوانين الوجود وما يحدث من جريان تلك القوانين)، ولكنه لا يعرف الحوادث الجزئية التي تجري في العالم.

(٢) السُّلَيْمَانِيَّاتِ: نسبة إلى سليمان (غلام كان الشاعر يشبُّ به). وَالْعَزِيقَاتِ (نفع الطب ٥: ٤٨٨) أو العريقات (الكعبة الكعانة ٧٤) والعريقات (الاعلام للزركلي ٩: ١٦٣) - لم أعثر على تفسير لها.

(٣) الحجر (بالكسر): القراية، الكف، الوقاية. النعامي: ربيع الجنوب. الخرامى: نبت طيب الرائحة.

(٤) الوسمي: مطر الربيع. النقا: الرمل الأبيض.

(٥)

(٦) محيا: وجه. غل: ثوان سكران. الدمام: الحمر. تحب البدر إلخ (تشبع فيه حمرة من فعل الحمر!).

(٧) علني: اسقي (من ريقك) قلباً بعد قليل. السقم الطيبي (في المحبوب): الرقة والنحول من علامات الجبال). - سقامك يشفي مرضي من حبك (؟).

(٨) العريب: تصغير للتحبيب. الحمى: سكن العرب (الأصلي).

(٩) الفلة: العطش. الطيف: المنام.

٧٢٤ هـ، ورماء بالنفطِ قَتَلَ أَهْلَ ذَلِكَ الْحِصْنِ عَلَى حُكْمِهِ (أطاعوه):

بَحِثُ الْبُؤْدُ الْحُمْرُ وَالْأَسَدُ الْوَرْدُ كَتَابُ سُكَّانِ السَّمَاءِ لَهَا جُنْدُ^(١)
عَاكِرُ مَلِكٍ شَرَفَ اللَّهُ قَدْرَهُ، فَيَا فِي إِقْدَامِهَا السَّهْلُ وَالنَّجْدُ^(٢)
وَتَحَسُّ نَوْرَ الصَّدْقِ وَالْعَزْمِ دَائِمًا سِرَاجًا مِنَ التَّقْوَى بَأَزْرِهِمْ يَبْدُو^(٣)
هَمُّ الْقَوْمِ رُهْبَانٌ إِذَا لَبَسُوا الدُّجَى، وَإِنْ لَبَسُوا حَرَّ الْهِيَاجِ فَهُمْ أَسَدُ^(٤)
حَذُوا حَذْوِ سُلْطَانٍ عَلَى الشَّرْعِ عَاطِفٍ رَفِيقِي بِهِمْ حَانٍ، إِذَا عَظُمَ الْجَهْدُ^(٥)
وَتَحْتَ لَوَاءِ الشَّرْعِ مَلِكٌ هُوَ الْهُدَى تَضِيقُ بِهِ الدُّنْيَا إِذَا رَاحَ أَوْ يَفْدُو
فَلَوْ رَأَى إِدْرَاكَ النُّجُومِ لَنَالَهَا لَوْ هَمَّ لَأَتَقَاتَتْ لَهُ السُّنْدُ وَالْهِنْدُ
وَمِنْهَا يَصِفُ فِعْلَ آلَةِ النَّفْطِ وَيَتَكَلَّمُ عَلَى أَهْلِ الْحِصْنِ:

وظَنُّوا بِأَنَّ الرَّعْدَ وَالصَّعْقَ فِي السَّمَاءِ فَحَاقَ بِهِمْ مِنْ دُونِهَا الصَّعْقُ وَالرَّعْدُ^(٦)
عَجَائِبُ أَشْكَالٍ سَمَا هَرِمُسٌ بِهَا مُهَنْدَسَةٌ تَأْتِي الْجِبَالَ قَتْنَهْدُ^(٧)
أَلَا إِنَّهَا الدُّنْيَا تُرِيكَ عَجَائِبًا؛ وَمَا فِي الْقُوَى مِنْهَا فَلَا بُدَّ أَنْ يَبْدُو^(٨)

- حَدَّثَ الشَّيْخُ أَبُو زَكَرِيَّا بْنُ هُدَيْلٍ فَقَالَ (الإحاطة ١: ٢٨٦):

- (١) سُكَّانُ السَّمَاءِ: الملائكة. جند (ها): ساعدون.
- (٢) الجند: المرتفع من الأرض (يقصد: الصعبة المرتقى).
- (٣) الأزر جمع إزار: ثوب للقم الأسفل من الجسم (هم أكتفاء بطيئهم).
- (٤) فِي اللَّيْلِ يَصْلُونَ وَيَذْكُرُونَ اللَّهَ فِي حَرِّ الْهِيَاجِ (الحرب) مجاريون بشجاعة.
- (٥) حَذَا حَذْوُهُ: صَنَعَ مِثْلَ صَنِيعِهِ. حَانٍ: ذُو حَنُو. المجهود: التعب، المشقة، شدة الزمان.
- (٦) الصَّعْقُ: نَزُولُ الصَّوَاقِقِ. حَاقَ: أَحَاطَ. مِنْ دُونِهَا (مِنْ تَحْتَ السَّمَاءِ: مِنَ الْأَرْضِ).
- (٧) هَرِمُس (فِي الْخَرَافَاتِ الْيُونَانِيَّةِ): رَسُولُ الْآلِهَةِ وَ(فِي الْفُلْكِ): عَطَارِدُ (أَقْرَبُ الْكَوَاكِبِ إِلَى الشَّمْسِ) وَهَرِمُسُ الثَّلَثِ الْعَظْمَةِ أَوْ الثَّلَثُ بِالْحِكْمَةِ ابْنُ زَفْسٍ (زَوْسُ أَوْ جُوبِيْتَرُ أَوْ الْمُشْتَرِي) كَبِيرُ آلِهَةِ الْيُونَانِ وَكَانَ هَرِمُسُ هَذَا حَكِيمًا فِي بَابِلَ ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى مِصْرَ وَعَرَفَ صِنْعَةَ الْكَيْمَاءِ وَغَيْرَهَا.
- (٨) «وَمَا فِي الْقُوَى إلخ» مدرك فلسفي: كُلُّ شَيْءٍ يَكُونُ أَوَّلًا بِالْقُوَّةِ (كَاسْنًا) ثُمَّ يَصِيرُ بِالْفِعْلِ (ظَاهِرًا): النَّارُ فِي الْمَطْبِ وَالْفِجَمِ وَعَوْدُ الثَّنَابِ (الْكَبْرِيتِ) مَوْجُودَةٌ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ بِالْقُوَّةِ، فَإِذَا نَحْنُ أَوْقَدْنَا هَذِهِ الْأَشْيَاءَ صَارَتِ النَّارُ الَّتِي كَانَتْ كَامِنَةً مِنْ قَبْلِ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ ظَاهِرَةً فَلَمَّا.

حَضَرْتُ بِمَجْلِسِ ذِي الْوَزَارَتَيْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَكِيمِ^(١) - وَأَبُو الْعَبَّاسِ بَدُرُ هَالِيهِ^(٢) وَقُطُبُ جَلَالَتِهِ^(٣) - فَلَمْ يُجَزَّ بِشَيْءٍ إِلَّا رَكُضَ فِيهِ وَتَكَلَّمَ بِلَهٍ فِيهِ^(٤). ثُمَّ قُمْنَا إِلَى زَبَّارَيْنِ^(٥) يُصْلِحُونَ شَجَرَةَ عَنَبٍ، فَقَالَ لِعَرِيفِهِمْ: حَقٌّ هَذَا أَنْ يُقْصَرَ (ثُمَّ) يُطَالَ هَذَا، وَيُعْمَلَ كَذَا. فَقَالَ الْوَزِيرُ: يَا أَبَا الْعَبَّاسِ، مَا تَرَكْتَ لِهَؤُلَاءِ أَيْضاً حَقّاً مِنْ صِنَاعَتِهِمْ يَسْتَحِقُّونَ بِهِ أَجْراً. فَمَجَّيْنَا مِنْ أَسْتِخْصَارِهِ وَوَسَاعَةِ ذَرْعِهِ وَامْتِدَادِ حَقِّ كِفَايَتِهِ.

٤- ** الدرر الكامنة ٤: ١٤١٢؛ الكتيبة الكامنة ٧٣-٨٠؛ ثمر فرائد الجمال ٣٢-٣٢٣؛ الإحاطة، راجع ١: ٣٥، ٥٣، ٢١٢-٢١٣، ٢٨٦، ٣٩٩؛ نفح الطيب ٣: ٥١٣٥٧، ٩٧، ١٢٧، ٤٨٧-٤٩٧، ٦٠٥؛ الأعلام للزركلي ٩: ١٦٣ (٨: ١٣٦)؛ معجم المؤلفين للكحالة ١٣: ١٨٢-١٨٣.

أبو عبد الله بن جُزَيِّ الكلبي

١- أَلْ جُزَيِّ يَسْتُ شَهُورٌ فِي الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ بَرَزَ فِيهِ نَقَرٌ مِنْ رِجَالِ الدَّوْلَةِ وَالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ. مِنْ هَؤُلَاءِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى الْكَلْبِيِّ الْغَرْنَاطِي، وُلِدَ فِي شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ٧٢١ (خريف ١٣٢١ م) فِي غَرْنَاطَةِ. نَبَعَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ جُزَيِّ بَاكراً وَبَرَعَ فِي الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ فَاتَّخَذَهُ سُلْطَانُ غَرْنَاطَةِ أَبُو الْحَجَّاجِ يَوْسُفُ بْنُ الْأَحْمَرِ (٧٣٣-٧٥٥ هـ) كَاتِباً ثُمَّ غَضِبَ عَلَيْهِ فَرَحَلَ، نَحْوَ سَنَةِ

- (١) أبو عبد الله بن الحكيم الرندي (ت ٧٠٨ هـ)، راجع ترجمته في هذا الجزء.
- (٢) هو أبو العباس أحمد بن عرفة اللخمي (ت ٧٠٧ هـ). الحالة دائرة منيرة تحيط بالتمر (وبغيره). بدر هالته: أعظم أهل دولته المحيطين به. القطب: محور تدور عليه الأشياء (كالأرض والرحا: الطاحون، الخ).
- (٣) لم يجز (يبحث) في شيء إلا ركض فيه (يبحث فيه أحسن من جميع الحاضرين) وتكلم ببله فيه (بله فمه، وبالتفصيل وبثقة بالنفس).
- (٤) الزُّبَارُونَ: جماعة من المعتنقين بأمر البساتين يأتون إليها في أواخر الشتاء فيزبرون (يضم الباء) أطراف الأغصان (أي يقطعون أشياء من رؤوس الأغصان) مما يكون قد بسى في أثناء الشتاء.
- (٥) الدرر (ها): القدرة (في المعرفة بالأمور المختلفة).

٧٥٣ هـ (١٣٥٢ م)، إلى المغرب وسكن فاس^(١) ونال حظوة عند السلطان أبي عنان فارس. وكانت وفاته في الأغلب في ٢٩ من شوال سنة ٧٥٧ (١٣٥٦/١٠/٢٥ م) شاباً بعد مَرَضٍ، في فاس.

٢- كان أبو عبد الله بن جزيّ ملماً بفنون كثيرة من الحديث والفقه واللغة والنحو والتاريخ والحساب، كما كان كاتباً مجيداً وشاعراً بارعاً مولعاً بالصناعة وخصوصاً التورية. وأكثر شعره المديح والغزل على الأسلوب القديم في المعاني المذرية خاصة. ثم هو مُصَنَّفُ كَتَبَ تَرْجَمَةَ لِنَفْسِهِ، وله كتاب «الأنوار في نسب النبي المختار». وعليه أملى ابن بطوطة رحلته (تُحْفَةُ النُّظَّارِ). ومن المعقول أن يكون قد أَسْنَعَ على هذا «الإملاء» شيئاً من أسلوبه وبراعته. وله باعٌ طويلة في الصناعة، كتب رسالة سينية (في كل كلمة من كلماتها سين).

٣- مختارات من آثاره

- قال أبو عبد الله بن جزيّ في النسيب:

مَتَى يَتَلَاقَى شَائِقٌ وَمَشُوقٌ وَيُضِيحُ عَانِي الْحُبِّ وَهُوَ طَلِيقُ^(٢)
أَمَّا إِنَّهَا أُمْنِيَّةٌ عَزَّ نَيْلُهَا

وَمَرَمَى - لَعَمْرِي - فِي الرَّجَالِ سَحِيقُ^(٣)!

وقد يُرْزَقُ الْإِنْسَانُ مِنْ بَعْدِ يَأْسِهِ؛ وَرَوْضُ الرُّمَى بَعْدَ الدُّبُولِ يَرُوقُ^(٤).

تَبَاعَدْتُ لَمَّا زَادَنِي الْقُرْبُ لَوْعَةً، لَعَلَّ فُؤَادِي مِنْ جَوَاهُ يُفِيقُ^(٥).

وَرُمْتُ شِفَاءَ الدَّاءِ بِالْدَّاءِ مِثْلَهُ؛ فَإِنِّي بَالَأُ أَشْتَفِي لَحَقِيقُ^(٦)

(١) في الإحاطة (القاهرة ١٣١٩ هـ، ص ١٩٤-١٩٥): «اتصل بنا خير وفاته فاس مبطوناً في أوائل

(سنة) ثمان وخمسين وسمائة، ثم تحققت أن ذلك في أوائل ربيع الأول من ذلك العام».

(٢) الشائق: الذي يدعو الآخرين إلى حبه. المشوق: المحب. العاني: الأسير.

(٣) عزّ نيلها: صعب الحصول عليها. مرمى: هدف. سحيق: بعيد.

(٤) يروق: يصيح منظره جيلاً.

(٥) اللوعة: حرقة في القلب من حب أو مرض. الجوى: شدة الحب وحرقته.

- وقال في التورية:

يقولون لي: أصبحت بالآس مولماً! فقلت: وهل في حبي الآس من بأس^(١)
ألم تعلموا أن الهوى قد أغلني؛ وكيف ترى شوق الليل إلى الآسي^(٢)؟
* وغزالٍ لسه جفونٌ مراضٌ تبعثُ الوجدَ في قلوب الصّاح^(٣).
غرني لحظهُ، وقد قيل: شاكٍ! فإذا هم ينعون شاكِي السّلاح

- وكتب أبو عبد الله بن جزيّ إلى أمير المؤمنين المتوكل على الله أبي عيّان فارس
يُهنّئهُ بشفاء ولده أبي زيّان محمدٍ وضَمَّنَ هذه التهنئة عدداً كبيراً من أسماء الكتب (أسماء
الكتب محصورة بين أهلة):

ماذا عسى (أدبُ الكتاب) يُوضّح من^(٤)

خِصَالِ مَجْدِكَ وهي (الزاهر) (الزاهي).

وما الفصيح بـ (كليات) (مُوعِب)ها (كاف) فيأتي بـ (أنباء) و (إنباء).

أبقى الله تعالى مولانا الخليفة وسعادته (القدح المُعلّى)، و (لِزَاهِر) (كِبَال)ه (التاج

(١) المولى: المفرم. الآس نبات مستقيم العروق قاسي الورق طيب الرائحة.

(٢) أغلني: أمرضني. الآسي: الطبيب.

(٣) الوجد: الحب. شاكٍ: مريض. شاكِي السّلاح: متقلّد جميع سلاحه (استعداداً للقتال).

(٤) هنالك عدد من هذه الكتب لم أحتد إليها (الزاهي، الموعب، الميقات)، ثم هنالك كتب في أسمائها

«أشتراك» والإشارة إليها في هذا النص تدلّ على عدد من الكتب (الزاهر، الأنباء، الكمال، نزّه
الناظر، القصد والأسم، الإيضاح، الإرشاد، شفاء الصدور، الملخص). أمّا سائر هذه الكتب فمعروف:

أدب الكتاب (لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي المتوفى نحو ٣٣٦ هـ)، فصيح اللغة (لشطب المتوفى سنة
٢٩١ هـ)، إنباء الرواة على أنباء النجاة (لمعلّي بن يوسف القطعي المتوفى ٦٤٦ هـ)، التاج المُعلّى في

مساجلة القدح المُعلّى (للسان الدين بن الخطيب المتوفى ٧٧٦ هـ)، المثل السائر في أدب الكتاب
والشاعر لأبي الفتح بن الأثير المتوفى ٦٣٧ هـ)، النقد المظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من العفود

والأحكام (لأبي محمد عبد الله بن عبد الله بن سلمون الكتّاني المتوفى ٧٦٧ هـ)، إحياء علوم الدين لأبي
حامد الغزالي المتوفى ٥٠٥ هـ)، منهاج العابدين (للغزالي أيضاً)، تشبيه الغافلين (لأبي الليث السمرقندي

المتوفى ٣٧٥ هـ)، مطمح الأنفس ومسرح النَّاس في ملح أهل الأندلس (للفتح بن خاقان الأندلسي
المتوفى ٥٢٩ هـ)، بغية الملمس في تاريخ رجال أهل الاندلس (لابن عميرة الضبي المتوفى ٥٩٩ هـ)،

أدب الدنيا والدين (لأبي الحسن المارودي المتوفى ٤٥٠ هـ)، سراج الملوك لأبي بكر الطرطوشي المتوفى
٥٢٠ هـ). والكتب التي لم تذكر هنا معروفة لمؤلفين متأخرين في الزمن.

المحلّي). تجلّى من حلاه (نزهة الناظر) ويسير بعلاه (المثل السائر)، ويتّسق من سناه (العقد المنظم) ويتّضح بها (القصد الأمّ)^(١). ولا زالت (هداية) مـ مُتَكَفِّلَةً بـ (إحياء علوم الدين) و (إيضاح) (منهاج العابدين) و (إرشاد) مـ يتولّى (تنبيه الغافلين) ويأتي من (شفاء الصدور) بـ (النور المبين) و (ميقات) الخدمة ببابه (مطمح الأنفس) و (ملخص) الجود من كفه (بغية المتّمسّ). قد حكم (أدب الدنيا والدين) بأنّك (سراج الملوك).....

٤-★★ الدرر الكامنة (حيدر آباد) ٤: ١٦٥؛ الكتبية الكامنة ٢٢٣-٢٢٨؛ الإحاطة ٢: ١٨٦-١٩٥؛ أزهار الرياض ٣: ١٨٩-٢٠٤؛ نفع الطيب ٢: ١٧٠-١٧١، ٥: ٥٢٦-٥٣٦، ٥٣٨-٥٣٩، ٧: ١٠٧-١٠٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ١٧٥٦؛ بروكلمن (في ترجمة ابن بطّوطة) ٢: ٣٣٣، الملحق ٢: ٣٦٦؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٦٦ (٣٧).

المَقْرِيّ الجَدّ★

١- هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر القرشيّ الأصل التلمسانيّ المولد، ثم اشتهر فيما بعد بالمَقْرِيّ، نسبةً إلى مَقَرَّة، بفتح الميم وتشديد القاف المفتوحة (نفع الطيب ٥: ٢٠٥، السطر الثالث)، إحدى قرى زاب بإفريقية أو الزاب (وفيات الأعيان ١: ٣٦٠)- مزاب أو ميزاب، في جنوبيّ القطر الجزائريّ.

وُلِدَ المَقْرِيّ الجَدُّ في أيام أبي حو موسى بن عثمان بن يَمْعَاسَن بن زَيَّان (٧٠٧-٧١٨ هـ)، ولم يشأ أن يُعَيِّن السَّنَةَ التي وُلِدَ فيها (نفع الطيب ٥: ٢٠٦-٢٠٧).

عَدَّ المَقْرِيّ الحَفِيدُ لَجَدَّهُ خَلْقًا كَثِيرًا من الشيوخ منهم أبو زيد عبد الرحمن

(١) ليس في بروكلمن (راجع فهرست الكتب) كتاب باسم «القصد الأمّ» (بفتح الميمزة والميم)، بل فيه: القصد والأمّ - القصد الجليل... - القصد إلى الله إلخ... الأمّ في أنبياء الظلم - الأمّ لا يقطا المهم. (★) جدّ المَقْرِيّ أحمد بن محمد (ت ١٠٤١ هـ) صاحب «نفع الطيب».

(ت ٧٤١ هـ) بن محمد بن عبد الله بن الإمام وأخوه أبو موسى عيسى (ت نحو ٧٥٠ هـ) وأبو موسى عمران بن يوسف المَشْدَالِي ثم أبو إسحاق إبراهيم بن حَكَمِ السَّلَوِي (قتل ٧٣٧ هـ) وأبو محمد عبد الله بن عبد الواحد المَهاصِي (ت ٧٤١ هـ).

عَمِلَ المَقْرِي فِي التِّجَارَةِ بَيْنَ المَغْرِبِ وَالصَّحْرَاءِ وَالسُّودَانِ الْغَرْبِيِّ (جَنُوبَ المَغْرِبِ) يُتَاجَرُ بِالْبَضَائِعِ الثَّمِينَةِ، وَقَدْ وَرِثَ ذَلِكَ عَنْ أَهْلِهِ. ثُمَّ إِنَّهُ حَجَّ فِي سَنَةِ ٧٤٤ هـ (١٣٤٤ م) وَزَارَ الْقُدْسَ.

وَلَمَّا عَادَ المَقْرِي إِلَى المَغْرِبِ اتَّصَلَ بِأَبِي عِيْنَانَ فَارِسِ بْنِ عَلِيٍّ فِي أَوَّلِ سَنَةِ مِنْ حُكْمِهِ، سَنَةِ ٧٤٩ هـ (١٣٤٨ م) فَوَلَّاهُ أَبُو عِيْنَانَ قَضَاءَ فَاسَ ثُمَّ أَصْبَحَ قَاضِي الْجَمَاعَةِ (قَاضِي الْقَضَاءِ) فِيهَا وَخَطِيبَ جَامِعِهَا (جَامِعِ الْقُرَوَيْنِ). وَلَكِنْ يَبْدُو أَنَّ شَيْئاً مِنَ الْفُتُورِ نَشَأَ بَيْنَ أَبِي عِيْنَانَ وَالمَقْرِي فَعُزِلَ المَقْرِي عَنِ الْقَضَاءِ وَبَقِيَ مَدَّةً بَعِيداً عَنْ مَنَاصِبِ الدَّوْلَةِ.

وَفِي أَوَائِلِ شَهْرِ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ سَنَةِ ٧٥٧ (حَزِيرَانَ - يُونِيَةَ ١٣٥٦ م) كَانَ أَبُو عِيْنَانَ قَدْ رَضِيَ عَنِ المَقْرِي فَأَرْسَلَهُ فِي سِفَارَةٍ إِلَى الْأَنْدَلُسِ لِإِزَالَةِ شَيْءٍ مِنَ الْخِلَافِ بَيْنَ بَنِي مَرْوَانَ فِي المَغْرِبِ وَبَنِي الْأَحْمَرِ فِي غَرْنَاطَةِ). وَلَكِنْ المَقْرِي - وَيَبْدُو أَنَّهُ كَانَ قَدْ بَدَأَ يَهْرُمُ فِي نَفْسِهِ وَفِي جِسْمِهِ - أَهْمَلَ السَّفَارَةَ وَمَكَثَ فِي مَالَقَةِ مَنْقَطَعاً إِلَى التَّأَمُّلِ وَالْعِبَادَةِ. وَبَلَغَ الْخَبَرَ إِلَى أَبِي عِيْنَانَ فَغَضِبَ وَأَرْسَلَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ جَمَاعَةً لِيَسْتَبْتُوا مِنْ حَالِ المَقْرِي. وَاتَّقَلَ المَقْرِي إِلَى غَرْنَاطَةِ وَعَادَ بِجَامِعِهَا. ثُمَّ صَلَّحَ مَا بَيْنَ أَبِي عِيْنَانَ وَالمَقْرِي قَلِيلاً. وَفِي السَّنَةِ التَّالِيَةِ عَادَ المَقْرِي إِلَى فَاسَ، وَلَكِنْ لَمْ يُعَمَّرْ بَعْدَ ذَلِكَ طَوِيلًا، فَقَدْ تَوُفِّيَ سَنَةَ ٧٥٩ لِلْهِجْرَةِ (١٣٥٨ م)، كَمَا جَاءَ فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ (٥: ٢٨٠)، فِي فَاسَ، وَنُقِلَتْ جُثَّتُهُ إِلَى تِلْصَانَ.

٢- المَقْرِيُ الْجَدُّ فَقِيهٌ عَالِمٌ وَأَدِيبٌ وَمُتَصَوِّفٌ. وَأَسْلُوبُهُ مُرْسَلٌ لَا تَكَلُّفٌ فِيهِ قَائِمٌ عَلَى التَّفَكُّيرِ وَالنَّطْقِ. وَلِلْمَقْرِيِ الْجَدُّ نَثْرٌ صَوْفِيٌّ وَشِعْرٌ صَوْفِيٌّ كَثِيرَانِ. غَيْرَ أَنَّ الْغَالِبَ عَلَى شِعْرِهِ جَفَافُ شِعْرِ الْعُلَمَاءِ وَقِلَّةُ الرُّوْنِقِ. وَلَهُ قَصِيدَةٌ تَائِيَّةٌ جَعَلَهَا تَبَعَةً، فِي زَعْمِهِ

لثائبة ابن الفارض^(١). والواقع أنها محاكاة قاصرة لثائبة ابن الفارض وترديد لعددٍ من المدارك البسيطة في ألفاظٍ مختلفة. وليس فيها من عمقٍ مقاصد ابن الفارض شيء. والمقريّ الجدُّ مُصنّفٌ له من الكتب:

الحقائق والرفائق (أقوالٌ جامعة في التصوّف؛ راجع المختارات) - القواعد (وهو كتاب يشتمل على ألفٍ ومائتي قاعدةٍ فقهية) - كتاب يشتمل على أكثر من مائة مسألةٍ فقهية (وهو غير الكتاب السابق) - عملٌ من طبِّ لَمَنْ حَبَّ^(٢) (وهو كتاب مختلف الموضوعات فيه أحاديثٌ حكيمية ثم كَلِمَاتٌ، أي قواعدٌ عامّة، من الفقه) ثم قواعدُ وأصولٌ (في الاعتقاد) ثم اصطلاحاتٌ وألفاظ - الطُرفُ والتَّحَفُ (أو التحف والطرف) - المحاضرات (وفيه فوائدٌ وحكاياتٌ وإشاراتٌ تتعلّق بالتصوّف وبالتصوّفين) - اختصارُ المُحصّل^(٣) - شرح الجُمَلِ للحونجي^(٤).

٣- مختارات من آثاره

- في نفح الطيب (٥: ٣٢٨) عن المقريّ الجدُّ أنه قال في وصْفٍ ثائبةٍ له: « هذه لَمَحَةُ العارِضِ لِتَكْمِلَةِ أَلْيَةِ ابنِ الفارض^(٥)، سَلَبَ الدهرُ من فرائدها مائةً وَسَبْعَةً وَسَبْعِينَ، فَاسْتَعْتَمْتُ عَلَى رَدِّهَا بِجَوْلِ اللَّهِ الْمُعِينِ ». من هذه الأبيات:

وَسَأَلَ الْهَوَى مَا قَدْ عَلِمْتُ، وَلَا تَسَلْ؛ وَحَسْبُكَ - إِنْ لَمْ يُخَيِّرِ الْحُبُّ - رُؤْيِي:
سَقَامٌ بَلَا بُرءٍ، ضَلَالٌ بَلَا هُدًى، أَوَامٌ بَلَا رِيٍّ، دَمٌ لَا بِقِيَمَةٍ^(٦).
أَلَا أَتَاهَا اللَّوَامُ عَنِّي قَوْضُوا رِكَابَ مَلَامِي فَهُوَ أَوَّلُ مِخْنَتِي^(٧)،

(١) راجع ٥٢٠: ٣ من هذه السلسلة.

(٢) طب: دأوى، وتأتي أيضاً بمعنى الرفق (بالكسر) والحر.

(٣) «المحصّل» لفهر الدين الرازي (٢).

(٤) محمد بن أناماور الحونجي (ت ٦٤٦ هـ)، له كتاب «الجمال» (في).

(٥) العارض: المقبل على الشيء، التصدّي له. الثائبة الكبرى لابن الفارض (راجع ٥٢٠: ٣).

(٦) أَوَامٌ: عطش. دم لا بنية (إذا قتل، فليس لدمه قيمة لا يطالب أحدٌ بدينه - بكسر الدال وفتح الياء بلا تشديد).

(٧) قَوْضَ الرِّكَابِ (٤) - يقصد الرحل (اتركوا لومي).

ولا تَمْدُلُونِي فِي الْبُكَاءِ وَلَا الْبُكَى ،
وَكَمْ مَوْقِفٍ لِي فِي الْهَوَى خُضَّتْ دُونَهُ
سَلِ السَّلْبِيلَ الْعَذْبَ عَنْ طَعْمِ رَيْقِهِ
لَقَدْ عَزَّ عَنْكَ الصَّبْرُ حَتَّى كَأَنَّهُ
وَأَنْتَ - وَإِنْ لَمْ تُبْقِ مِنِّي صُبَابَةً -
وَكُلُّ فَصِيحٍ مِنْكَ يَسْرِي لِمَسْمِي ،
تَهَوُّ عَلَى النَّفْسِ فَيْكَ ، وَإِنَّهَا
وَتُخَيِّرُ أَصَوَاتِ الْبَلَابِلِ أَنَّهَا
وَفِي كُلِّ خَلْقٍ مِنْهُ كُلُّ عَجِيبةٍ ،
- وَلِلْمَقَرِّي الْجَدِّ آيَاتٌ فِي الْفَخْرِ رَشِيقَةُ الْأَلْفَاظِ (وَلَكِنْ فِي مَعَانِيهَا شَيْئاً مِنْ
الْفُؤُوسِ - لَعَلَّةَ الْخَيَالِ الصَّوْفِيِّ عِنْدَهُ):

نَحْنُ - إِنْ تَأَلَّنَ بِنَاسٍ - مَعْتَرَّ
عَرَبٌ مِنْ يَبِضُهُمْ أَرْزَاقُهُمْ ،
عَرَضَتْ أَصْحَابُهُمْ أَرْوَاحُهُمْ
أَوْرَثُونَا الْمَجْدَ حَتَّى إِنَّا
أَهْلُ مَاءٍ فَجَرَتْهُ الْهَيْمَمُ .
وَمِنَ السُّمْرِ الطَّوَالِ الْحَيْمُ (٢) .
دُونَ نَيْلِ الْعَرَضِ ، وَهُوَ الْكَرَمُ (٨) .
نَرْتَضِي الْمَوْتَ وَلَا نَزْدَحِمُ (٩) .

- (١) العذل: اللوم. البكاء معروف. والبكى: البكاء والغناء (من الأضداد).
- (٢) الظبي جمع طبة (بضم ففتح بلا تشديد): حدّ السيف. الننان (بالكسر): يصل الرمح.
- (٣) - الماء العذب السائغ في الحلق أخذ عذوبته وحلاوته من ريق المحبوب.
- (٤) السراقة (٥). سارقة النظر: النظرة الحافظة، السريعة.
- (٥) الصابة: بقية الشيء (بقية الروح).
- (٦) أنا أكرم نفسي (أرفع مقامها) عن أن تنظر إلى غيرك. سواك (سوى الله).
- (٧) البيض: السيوف. السمر: الرماح. الحميم: الصفات، الأخلاق. - يحصلون عيشهم بمجدهم (بالكسر) وكدهم وأخلاقهم مستقيمة كالرماح.
- (٨) الحسب: العمل الكريم. نيل العرض: اعتداء أحد على أعراضهم. - نسهم الشريف بمحلمهم على أن يدافعوا عنه (عن عرضهم)، ولو أن ذلك أدى إلى موتهم (وهذا هو الكرم الصحيح).
- (٩) - نفعل أن نوت على أن نزاحم الناس على أعراض الدنيا (راجع البيت التالي).

ما لنا في الناس من ذنبٍ سوى أننا نلوي إذا ما اقتحموا^(١)!

- للمقريّ الجدّ أقوالٌ صوفية في كتابه «الحقائق والرقائق» منها:

حقيقة: عَمِلَ قَوْمٌ عَلَى السَّوَابِقِ، وَعَمِلَ قَوْمٌ عَلَى اللَّوَاخِقِ^(٢). والصوفيُّ من لا ماضِي له ولا مُسْتَقْبَل؛ فَإِنْ كَانَ زُجَاجِيًّا فَبَخِرَ بَخْرًا رقيقة: من لم يَجِدْ أَلَمَ الْبُعْدِ لم يَجِدْ لَذَّةَ الْقُرْبِ. فَإِنَّ اللَّذَّةَ هِيَ التَّخَلُّصُ مِنَ الْأَلَمِ - حقيقة: العمل دواء القلب. وإذا كان الدواء لا يصلح إلّا إذا كان على حِمِيَةِ الْبَدَنِ، فكذلك العمل لا ينجح إلّا بعد صَوْمِ النَّفْسِ: فَارِقُ نَفْسِكَ وَتَعَالَى - رقيقة: الزائد لك، وهو مكتوبٌ. والزائدُ عليك، وهو صلوب^(٣). فَأَجْمِلْ في طلبِ الْمُضْمُونِ، ولا تَلْزَمْ نَفْسَكَ صَفْقَةَ الْمَغْبُونِ^(٤) - رقيقة: قُمْتُ ببعضِ الْأَسْحَارِ على قَدَمٍ لِلِاسْتِغْفَارِ، وَقَدْ اسْتَشْرَعْتُ الصَّبَابَةَ وَاسْتَدَثَّرْتُ بِالْكَأَبَةِ^(٥). فأملِ الْجَنَانَ على اللِّسَانِ بما نَفَثَ في رُوعِهِ رُوحَ الْإِحْسَانِ:

مُنْكَسِرُ الْقَلْبِ بِالْجَنَائِيَا يدعوك، يَا مَانِحَ الْعَطَايَا^(٦).

أَقْعَدَةُ الذَّنْبِ عَنْ (رِفَاقٍ) حَتَّوْا لِرِضْوَانِكَ الْمَطَايَا^(٧).

ومنه، أَثَرُ حَقِيقَةٍ فِي شَأْنِ الْحَلَّاجِ، ثُمَّ قُلْتُ:

وَلَرَّبِّ دَاعٍ لِلْجِبَالِ أَطْعَمْتُهُ وَأَبَى الْجَلَالُ عَلَيَّ أَنْ أَتَقَدَّمَ^(٨).

فَأَطْعَمْتُ بِالْعَصِيانِ أَمْرَهَا مَعَا وَجَنَحْتُ لِلتَّسْلِيمِ (حقى) أسلم^(٩).

(١) - إذا اقتحم الناس: هجموا (على غرض من أغراض الدنيا) فنحن نلوي (نلتفت، ننصرف) عنه. وهذا ذنبنا عند الناس (أنا جبناء).

(٢) - نصف الناس يتحرون بأعالمهم الماضية، ونصفهم الآخر يمدون بأن يملوا في المستقبل أعمالاً عظيمة.

(٣) الزائد عما يحتاج إليه من الطعام أو من غير الطعام «صلوب» (ماخوذ منك)، ما دمت لا تستخدمه (تستهلكه)، فهو لغيرك.

(٤) حينما يتم البيع بين اثنين يقومان بصفقة (يضرب أحدهما بكفه كتم الآخر). المبيعون: الذي يدفع في سلعة أكثر من ثمنها (أو يأخذ أقل من ثمنها).

(٥) استشر: ليس الشعار (ثوباً يلبس ملاصقاً للبدن). استدثر: ليس الدثار (ثوباً يلبس فوق سائر الثياب).

(٦) الجنابا جمع جنابة. مانح العطايا هو الله.

(٧) رفاقي الطائون يطلبون رضاك. وأنا مدين أخجل من أن أطلب رضاك.

(٨) - حاله يغري بحبه، وجلاله (عظمته وهيبته) يعني من أن أصرح بحبي لإياه.

(٩) فأطعمت بالعصيان أمرها (لم أطعم داعي الجبال): لم أحبه، ولم أطع هيبته: لم أدع (بفتح) ودال شذدة =

- إِنَّ عَمَلَ أَهْلِ قُرْطُبَةَ لَيْسَ حُجَّةً فِي الْقَضَاءِ وَالْفَتْيَا^(١):

جاء في نفع الطيب (١: ٥٥٦-٥٥٧): «وَعَلِمَ أَنَّهُ، لِعِظَمِ أَمْرِ قُرْطُبَةَ، كَانَ عَمَلُهَا حُجَّةً بِالْمَغْرِبِ، حَتَّى إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي الْأَحْكَامِ: «هَذَا مِمَّا جَرَى بِهِ عَمَلُ قُرْطُبَةَ».

وَكَانَ الْمُقَرَّرُ الْجَدُّ لَا يَرَى صِحَّةَ ذَلِكَ، فَقَالَ فِي كِتَابِهِ «الْقَوَاعِدِ»:

وعلى هذا الشرط ترتب إيجابُ عملِ القضاة بالأندلس، ثم انتقل إلى المغرب. فبينما نحن تنازعُ الناس في عمل أهل المدينة ونصيح بأهل الكوفة^(٢)، مع كثرة ما نزل بها من علماء الأئمة كملِّي وابن مسعود^(٣) ومن كان معهم: «ليس التكحلُّ في العَيْنين كالكحل^(٤)»، «سَنَحَ لَنَا (بِفَضْلِ الْجَهْدِ وَمَوَدَّةِ التَّقْلِيدِ):

اللَّهُ أَخَرُ مُسَدِّقِي فَتَاخَرْتِ حَتَّى رَأَيْتُ مِنَ الزَّمَانِ عَجَائِبًا!

يَا اللَّهُ وَلِلْمُسْلِمِينَ. ذَهَبَتْ قُرْطُبَةُ وَأَهْلُهَا، وَلَمْ يَبْرَحْ مِنَ النَّاسِ جَهْلُهَا. مَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّ الشَّيْطَانَ يَسْمُو فِي مَحْوِ الْحَقِّ قَيْسِيَّةً، وَالْبَاطِلُ لَا زَالَ يُلْقِيهِ وَيُلْقِيهِ^(٥). أَلَا نَرَى

= مفتوحة) أَنِّي أَحَبُّهُ، وَسَلَّمْتُ أَمْرِي إِلَيْهِ (يَهْتَلُ فِي مَا يَشَاءُ) حَتَّى أَسْلَمَ أَنَا: حَتَّى انْجَبُوا (فَرَبَّنَا) ادَّعَيْتَ حُبَّهُ فَلَمْ أَسْتَطِعِ الْوُصُولَ فَأَنْدَمُ أَنَا أَوْ أَكُونُ عَنْدَهُ عَاجِزاً أَوْ مُلَوِّماً).

(١) كان الفقهاء يمدِّون أعمال أهل المدينة قواعد فقهية، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم عاش في المدينة، ولأن كبار الصحابة كانوا من أهل المدينة، ولأن المدينة كانت عاصمة الخلافة الإسلامية. وبما أن قرطبة كانت عاصمة الأندلس في السيادة والحضارة، فقد كان جماعة من فقهاء المغرب يمدِّون ما جرت العادة به في قرطبة قاعدة صحيحة في فقه (المعاملات: البيع والشراء إلخ). وكان المقرئ الجد لا يرى هذا الرأي.

(٢) على هذا الشرط: صحة اتخاذ عمل أهل قرطبة حجة في الفقه (في المعاملات).

(٣) نحن تنازع أهل المدينة في ذلك (المقرئ الجد لا يريد أن يقبل عمل أهل المدينة مصدراً من مصادر التشريع). نصح بأهل الكوفة (نمَّصَ أهل الكوفة لأنهم أرادوا أن يكون عمل أهل بلدهم مصدراً للتشريع) مع كثرة الفقهاء والعلماء فيها، من أمثال علي بن أبي طالب ثم عبد الله بن مسعود (ت ٣٢ هـ): من السابقين إلى الإسلام، ومن أكابر صحابة رسول الله، كان خادماً للرسول ورفيقاً له في الحضر والسفر.

(٤) الشطر من بيت للمنتبى من القصيدة التي مطلعها: أجباب دمي، وما الداعي سوى طلل. التكحل: وضع الكحل في جفون العينين. الكحل: الجبال الطيبي في العينين.

(٥) يلقى: يعلم. يملئ: يملأ. يحمل الناس على قبول الآراء.

خِصَالَ الجَاهِلِيَّةِ كَالنِّيَاحَةِ وَالتَّفَاخُرِ وَالتَّكَاثُرِ^(١) وَالطَّمَنِ وَالتَّفْضِيلِ وَالكِبَاهَةِ وَالنَّجُومِ وَالخَطَّ وَالتَّشَاوُمَ^(٢) وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَأَسْمَاءُهَا كَالْعَتَمَةِ وَيَثْرِبُ^(٣). وَكَذَلِكَ التَّنَابُزُ بِالْأَلْقَابِ^(٤) وَغَيْرُهُ مِمَّا نُهِيَ عَنْهُ وَحُدِّرَ مِنْهُ؛ كَيْفَ لَمْ تَزُلْ مِنْ أَهْلِهَا وَأَنْتَقَلَتْ إِلَى غَيْرِهِمْ^(٥) مَعَ أَثَرِ أَمْرِهَا، حَتَّى إِنْهُمْ لَا يَرْفَعُونَ بِالَّذِينَ رَأَسُوا بَلْ يَجْعَلُونَ الْعَادَاتِ الْقَدِيمَةَ أَسَاءً^(٦). وَكَذَلِكَ حُبُّ الشَّعْرِ وَالتَّلْحِينِ وَالنَّسَبِ* وَمَا أَخْرَطَ فِي هَذَا السَّلَكِ ثَابِتَةُ الْمَوْعِ فِي الْقُلُوبِ^(٧). وَالشَّرْعُ فِينَا مُنْذُ سَبْعِمِائَةِ سَنَةٍ وَسَبْعِ وَسِتِينَ سَنَةً لَا نَحْفَظُهُ إِلَّا قَوْلًا وَلَا نَحْمِلُهُ إِلَّا كَلًّا^(٨)!

٤-★★ الإحاطة ٢: ١٣٦-١٦٥، المرقبة العليا ١٦٩-١٧٠، نيل الانبهاج ٢٤٩-٢٥٤؛ شذرات الذهب ٦: ١٩٦ (في وفيات سنة ٧٦١ هـ)؛ نفع الطبيب ١: ٥٥٦-٥٥٨، ٥: ٢٠٣-٢٣٤، ٢٥٤-٣٥٠؛ معجم ع د ٤١: ٣١٣ (١٩٦٦ م) ثم (كانون الثاني-يناير ١٩٧١ م)، ص ٩٩-١٠٤ (مفalan بقلم عبد القادر زمامة)؛ الأعلام للزركلي ٧: ٣٦٦، ٣٧٠ (٣٧)؛ مجلة الأصالة (المجائر) ٤: ٣٦، ص ١٤١، ١٨٧.

أبو القاسم السبتي الغرناطي

١- هو أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد المعروف بالشريف الحسيني السبتي مولداً ونشأة الغرناطي داراً (الطول سكناه في غرناطة).
وُلِدَ أَبُو الْقَاسِمِ السَّبْتِيُّ فِي سَنَةِ فِي سَادِسِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ ٦٩٧

- (١) التكاثر: الفخر بكثرة الأولاد أو بكثرة الأموال.
- (٢) الخطّ (في الرمل ؟): التنجيم (؟).
- (٣) العتمة (؟) ويثرب من أسماء المدينة المنورة في الجاهلية.
- (٤) التنابز بالألقاب: دعوة الإنسان خصومه بألقاب قبيحة.
- (٥) تلك العادات السبئية لم تزل (بضم الزاي: تذهب) عن العرب، بل أنتقلت منهم إلى غيرهم (البربر).
- (٦) الأس: الأساس. * لعلها = السبب *.
- (٧) ثابتة الموقع في القلوب (محبوبة).
- (٨) منذ سبعمائة سنة وسبع وستين سنة.... (يبدو أن المقري الجدي قد قال هذه الجملة في أواخر حياته) سنة ٧٥٤ للهجرة: ٧٦٧-١٣ قضاها الرسول في مكة قبل الهجرة = ٧٥٤ (تاريخ وفاة المقري الجدي) الكلّ (بالفتح) الثقل (هو يلوم المسلمين في الأندلس في زمانه).

(١٢٩٨/١/٢٢ م). بدأ أخذ العلم عن أبيه وعن نَفَرٍ منهم: أبو إسحاق إبراهيم الغافقي (ت ٧١٦ هـ) وأبو عبد الله محمد بن رُشيد السبي (ت ٧٢١ هـ) وأبو عبد الله محمد بن هاني السبي (ت ٧٣٣ هـ) وغيرهم.

رحل أبو القاسم السبي إلى الأندلس في مطلع حياته وتصدّر للإقراء في مالقة واتصل، في أثناء ذلك، برئيس الكتاب أبي الحسن الجياب^(١) فكانت بينهما مراسلات ومخاطبات فصدّاقة. ويبدو أنّ ابن الجياب أشار بانتقاله من مالقة إلى غرناطة وأنه أدخله في ديوان الإنشاء. ثم إنّ أبا العباس السبي تولى الخطابة والقضاء في غرناطة. غير أنّه صرّف عن قضاء غرناطة، في شعبان من سنة ٧٤٧ لغير زلة. وقد تولى القضاء في وادي آش^(٢) ثم أعيد وشيكاً إلى قضاء غرناطة وظلّ في هذا المنصب إلى حين وفاته، في ٢١ شعبان من سنة ٧٦٠^(٣) (١٣٥٩/٦/١٨ م).

٢- كان أبو القاسم السبي مقدّماً في عددٍ من فنون العلم والأدب: في التفسير والحديث والفقه والأحكام واللغة والنحو والبلاغة والعروض والتاريخ. وهو مُصنّف له: رفع الحُجُب المستورة عن محاسن المقصورة (شرح مقصورة ابن حازم القرطاجي)- رياضة الأبي في شرح قصيدة الخزرجي (أرجوزة: الرامة الشافية في علم العروض والقافية أو القصيدة الخزرجية لأبي عبد الله محمد بن عثمان الخزرجي من أحياء النصف الأوّل من القرن السابع للهجرة)- شرح تسهيل الفوائد (لابن مالك الطائي الجياني المتوفى سنة ٦٧٢ هـ)- جُهدُ المُقلّ (ديوان شعره)- وغير ذلك من الشروح. ثم هو ناثِر مترسِّل شاعرٌ من فنونه الوصف والغزل خاصّة والمدح.

٣- مختارات من آثاره

- قال أبو القاسم السبي الغرناطي يَصِفُ ساقيةً (ناعورة):

(١) انظر فوق، ص ٤٣٨.

(٢) وادي آش قرب غرناطة.

(٣) في نفع الطيب (٥: ١٩٧): وفاته سنة ٧٦١ هـ.

وَذَاتَ حَيْنٍ تَسْتَهْلُ دُمُوعَهَا سِجَاماً إِذَا يَحْدُو رَكَائِبَهَا الْحَادِي^(١).
تَعَجَّبْتُ أَنْ لَيْسَتْ تَرِيمُ مَكَانَهَا، وَلَمْ تَعَلْ مِنْ تَأْوِيْبٍ سَيْرٍ وَإِسَادٍ^(٢).
وَأَرْصَدْتُهَا فِي الرُّوضِ أَيْةَ عُدَّةٍ، فَكَانَتْ لِدَفْعِ الْمَحَلِّ عَنْهُ بِرِصَادٍ^(٣).
تَخَالَفَ مَاءُ الْمَزْنِ حُكْماً وَمَاؤَهَا؛ وَكَلَّ عَلَى رَوْضِ الرَّبِيِّ رَائِحَ غَادِي^(٤).
فِيُنَجِدُ هَذَا بَعْدَ أَنْ كَانَ مُتَهَا، وَذَلِكَ تَرَاهُ مُتَهَا بَعْدَ إِنْجَادٍ^(٥).
لَنْ قَذَفَتْ ذَوْبَ اللَّجِينِ عَلَى الثَّرَى لَقَدْ خَلَصَتْهُ الْقَضْبُ حَلِيّاً لِأَجْيَادٍ^(٦)!

- وأهدى نسخة من ديوان شعره لتلميذه لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) وكتب عليه: هذه أوراق ضمنتها جملة من بنات فكري وقطعا مما يجيش به في بعض الأحيان صدري. ولو حرمت لأضربت عن كتبها كل الإضراب ولزمت في دفتها وإخفائها دين الأعراب^(٧). ولكني أثرت على المحو الإثبات^(٨) وتمثلت بقولهم: إن أحسن ما أوتيته العرب الأبيات^(٩). وإذا هي عرضت على ذلك المجدي وسألها كيف نجت من الواد^(١٠)، فقد أوتتها من حريمكم إلى ظل ظليل وأحلتها من فئانكم في

- (١) دولاب الناعورة يحدث صوتاً وهو يدور. تستهل: تسكب. سجاماً: بكثرة ودوام. يحدو: يهوق. الركايب: الحيوانات المعدة للركوب (يشبه القواديس الصناديق المركبة على محيط دولاب الناعورة بالكائب).
- (٢) تريم: تهرج، تترك. التأويب: سير النهار كله. الإساد: المشي في الليل.
- (٣) أرصدتها: أعددتها. أية عدة: عدة عظيمة (وسيلة). المحل، التحط، قلة نتاج الأرض.
- (٤) المزن: المطر. رائح وغاد (بأقي في الماء وفي الصباح).
- (٥) أعجد (ارتفع). أنهم (انخفض). ذوب اللجين (الفضة): الماء الناصع البياض الصافي.
- (٦) لقد خلصته... إلخ: أخرجت منه قضبان النبات أزهاراً تضعها الساء الجميلات في أجياهن (أعناقهن، أعلى صدورهن).
- (٧) الكتب (بفتح فكون): الكتابة، التدوين. أضرب: أمتنع. الأعراب (البدو). دينهم (عادتهم) دفن النبات.
- (٨) المحو والإثبات من ألفاظ الصوفية. المحو ضياع شخصية المتصوف في الله (بقاء شعره في صدره). الإثبات ثبوت شخصية المتصوف في الله (درجة فوق المحو)، ظهور شعره الذي يتلوه.
- (٩) الأبيات: أبيات الشعر، الشعر.
- (١٠) ذلك المجدي، كناية عن مكانه لسان الدين بن الخطيب الذي أهدى الشاعر إليه ديوانه. الواد: دفن الإنسان حياً.

مُغْرَسٍ وَمَقِيلٍ^(١). وَأَهْدَيْتَهَا عَلِيًّا بَانَ كَرَمَكَ بِالْإِعْضَاءِ عَنْ عُيُوبِهَا كَفِيلٍ. فَاعْتَنَمَ قَلِيلٌ
الْهَدِيَّةَ مِنِّي: إِنَّ جُهْدَ الْمُقْلَ غَيْرُ قَلِيلٍ^(٢).....

- ومن قوله في الغزل:

ظَفِرْتُ بِلَثْمِهَا فَبَدَا أَحْمَرَارٌ بَوَجَّتْهَا يَزِيدُ الْقَلْبَ وَجْدًا^(٣).
فَأَغْرَاهَا بِيِ الْوَاشِي، فَظَلَّتْ تَلُومٌ. وَلَمْ أَكُنْ مِمَّنْ تَعْدَى.
وَمَا كَانَتْ سِوَى قَبْلِ، فَفِيهَا جَنِينَ أَقَاحِيًا وَغَرَسَنَ وَرْدًا^(٤)!

٤- رفع الحبب المستورة عن محاسن المقصورة (راجع، فوق، ص ٤٧٨): فيها ترجمة
لحازم القرطاجني (ت ٦٨٤ هـ).

*** قضاة الأندلس ١٧١-١٧٧؛ الديباج المذهب ٢٩٠-٢٩١؛ بغية الوعاة ١٦؛ نفع
الطيب ٥: ١٨٩-١٩٩، ٦: ٢٤٨-٢٥١؛ السبغ المغربي ٢١١-٢١٢، ٣٣٦،
٧٦٥-٧٦٨؛ الأدب المغربي ٢٣٩-٢٤٢؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢٢٤ (٥: ٣٢٧):
معجم المؤلفين لكحالة ٨: ٢٥٢ و ٣١٧ (مكررة).

أبو جعفر بن صفوان

١- هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان القيسي، ولد في مالقة، سنة
٦٧٥ هـ^(٥). أخذ عن أبي محمد الباهلي، و(في مراكش) عن أبي عبد الله بن عبد الملك
المؤرخ وعن أبي العباس بن البناء^(٦). وتولى أبو جعفر بن صفوان الكتابة في غرناطة

(١) أوتينا (أسكنها) من حرمك (في جنبك الذي لا يجرؤ أحد على ارتكاب ظلم فيه). الفناء (بكسر الفاء):
باحة الدار. المغرس: مكان النوم ليلًا. المقيّل: مكان النوم نهارًا.

(٢) جهد المقل: ما يبذله الفقير أو الضعيف من مالها أو طاقتها. و «جهد المقل» عنوان ديوان أبي القاسم
السنّي.

(٣) الوجد: الثوق والحب.

(٤) الأقاحي جمع أقحوان (بضم الهزة والحاء): أزهار بيض ذات أوساط صفر. - قَبَلْتُ خَدَّهَا الْأَيْضُ
فَأَحْرَ خَجَلًا (كَأَنَّهُ نَبَتَ فِيهِ وَرْدٌ = زَادَ جَمَالَهُ).

(٥) من الديباج المذهب ص ٤٣ = ٧٦٣ هـ = ١٢٧٦-١٢٧٧ م.

(٦) كذا في الديباج المذهب. والموضح أن ابن البناء هذا هو ابن البناء المراكشي (ت ٧٢١ هـ) العالم
بالحساب.

في زمن السلطان أبي عبد الله محمد بن يوسف المعروف بالفيّيه (٦٧١-٧٠١ هـ) ثم استغنى من مناصبه وعاد إلى مالقة وفيها توفي في آخر جمادى الآخرة من سنة ٧٦٣ (٢٥/ ٤/ ١٣٦٢ م).

٢- كان أبو جعفر بن صفوان صدرأمن صدور الكتاب وشاعراً أكثر شعره في الشكوى، وبعضه في التصوف. وكان أيضاً بارعاً في عدد من فنون المعرفة كاللغة والأدب والتاريخ والحساب والفرائض والتوثيق والفلسفة والتصوف. وكان مصنفاً له: مطلع هلال الأنوار الإلهية - بنية المستفيد - شرح كتاب القرشي في الفرائض، وغيرها.

٣- مختارات من آثاره

- قال أبو جعفر بن صفوان في عدد من المعاني الصوفية^(١):

بان الحميم، فما الحمى والبان بشفاء من عنه الأحبة بانوا^(٢) ؟
لم ينقضوا عهداً بينهم، ولا أنساهم ميثاقك الحدثان^(٣).
لكن جنحت لغيرهم، فأزالهم عن أنسهم بك موحش غيران^(٤).
لو صح حبك ما فقدتهم، ولا سارت بهم عن حبك الأظعان^(٥).
لا يشتكي ألم البعاد مقيم أحبابه في قلبه سكان.
شغلتك بالأغيار عنهم مقلّة إنانها عن لعمهم وسنان^(٦).
غمض جفونك عن سواهم معرضاً إن الصوارم حجبها الأجفان^(٧).

- (١) سأشرح هذه الآيات شرحاً أدبياً وسأترك الصور الصوفية بلا شرح.
- (٢) بان: ابتعد، سافر. الحميم: الصديق المخلص - فما أثر الحمى (المكن) والبان (نوع من الشجر) في شفاء (تعزية) من ابتعد عنه أحبه ؟
- (٣) البين: البعد. الميثاق: العهد. الحدثان: أحداث الزمان (المصائب).
- (٤) جنح: مال، انصرف.
- (٥) الظن (بالفتح): الراحلة عليها هودج للنساء.
- (٦) الأغيار (في التصوف): الموجوات في عالم المشاهدة، الأشياء الموجودة في عالنا: البحر، النخرة، البيت، الإنسان (كل ما هو غير الله في الأمور المشاهدة). وسنان: نعان.
- (٧) الصارم: السيف. الجفن (الأولى): جفن العين، (والثانية): جفن السيف، قرابه، بينه. - ما دام السيف في قرابه فليس سيفاً (لأنه في هذه الحال لا يفعل فعل انسيوف).

واَصْرِفْ إِلَيْهِمْ لَحْظَ فِكْرِكَ شَاخِصاً
يا لاهِماً سِرَّ الوجودِ بَعْنِهِ،
أَنْتَ الْحِجَابُ لِمَا تُؤْمَلُ مِنْهُمْ؛
- وقال في الموت وهلاك الأعداء :

وقالوا: قضاء الموتِ حَتْمٌ على الورى
فلا تَنْتَسِمَ رِيحَ ارْتِياحٍ لِقَدِيدِهِ،
فقلتُ: بلى، حُكْمُ الْمَنِيَةِ شامِلٌ؛
ولكنْ لِتَقْدِيرِ الأعادي إلى الرَدَى
وأمنٌ ينام المرء في بَرْدٍ ظِلِّهِ،
وحَنِيَّ بَيْتٌ قاله شاعرٌ مَضَى
وإنْ بقاء المرء بعدَ عَدُوِّهِ
يُديرُ صَفِيرٌ كَأَسَهُ وَكَبِيرٌ^(٢)،
فإنَّكَ عن قَصْدِ السَّيْلِ تَحَوَّرُ^(٣).
وكلُّ إلى ربِّ العبادِ يَصِيرُ.
تَشاطُ يَمُودُ القَلْبُ مِنْ سُرُورٍ^(٤)
ولا حَيَّةٌ لِلحَفِيدِ ثَمٌّ تَتَوَّرُ.
غداً مثلاً في العالمين يَسِيرُ:
- ولو ساعةً من عُمْرِهِ - لَكثير!

- كان سُلْطانُ غرناطة أبو الحجاج يوسفُ الرابعُ متوجّهاً إلى الجزيرة الخضراء
لَتَجِدْتِها على الإِسبان، سنة ٧٤٤ هـ (١٣٤٣ م). وكان في صُحْبَتِهِ لِسَانُ الدِّينِ بْنِ
الخطيب. فتمهلَ السُلْطانُ قليلاً في مَالَقَةٍ، فانتَهزَ لِسَانُ الدِّينِ الفُرْصَةَ وجَمَعَ شَعراً بَيْنِ
صَفْوانَ وَسَمَاءَ « الدُرَّرُ الفَاخِرَةُ وَاللُّجَجُ الزَّاخِرَةُ » وطلبَ مِنْ ابْنِ صَفْوانَ أَنْ يُجَيِّزَ لَهُ
وإِبنَهُ عَبْدِ اللَّهِ رِوَايَةَ هَذَا الدِّيوَانِ، فَكَتَبَ ابْنُ صَفْوانَ فِي الإِجَازَةِ ما يَلِي:

الحمدُ لله مُتَحَقِّقُ الحَمْدِ. أَجَبْتُ سُؤَالَ الفَقِيهِ الأَجَلِّ الأَفْضَلِ السَّرِيِّ المَاجِدِ
الأَوْحَدِ.... الحائِزِ فِي فَنِّي النَظْمِ والنَثْرِ وأُسْلُوبِي المِكاتِبَةِ والشعرِ رُبَّةِ الرِئاسةِ...
أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الخطيبِ - وَصَلَ اللَّهُ سَعادَتَهُ وَمَجادَتَهُ، وَأَسْنَى^(٥) مِنْ الخَيْرِ الأَوْفَرِ
والصُّنْعِ الجَميلِ الأَبهرِ مَقْصِدَهُ وإِرادَتَهُ، وَبَلَّغَهُ فِي نَجلِهِ الأَسعَدِ وإِبنِهِ الرَاقِي بِمَحِيطِهِ

(١) - ما دمت تدرك نملك مستغلاً متحيراً في مكائك فإدراك المرأة الآتية محبوب بك (مستحيل عليك).

(٢) - يدير كأسه: يشرب منه (يموت).

(٣) - أنتسم صيغة غير قاموسية. المقصود نَسَمَ: نَفَسَ. الأرتياح: السرور. تحور: تيل، تضل.

(٤) - لموت أحد المحصنين سرور يدخل على قلب الحميم الآخر مرةً بعد مرةً.

(٥) - أسنى: رفع (زاد).

الفاضل ومُشَاهِدُ الْأَطْهَرِ مَحَلِّ الْفَرْقِدِ، أَفْضَلُ مَا يُؤَمَّلُ بَحَلَّتْهُ إِيَّاهُ^(١) فِي الْمَكْرُمَاتِ وَإِفَادَتِهِ؛ وَأَجَزْتُ لَهُ وَلابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ الْمَذْكُورِ - أَبَقَاهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي عِزَّةِ سَنِيَةِ الْخِلَالِ وَعَاقِبَةِ مُتَمَدَّةِ الْأَفْيَاءِ وَارِفَةِ الظَّلَالِ^(٢) - رَوَايَةً جَمِيعَ مَا تَقَيَّدَ فِي الْأَوْرَاقِ الْمُكْتَتَبِ عَلَى ظَهْرِ أَوَّلِ وَرَقَةٍ مِنْهَا مِنْ نَظْمِي وَنَثْرِي وَمَا تَوَلَّيْتُ إِنْشَاءَهُ وَاعْتَمَدْتُ بِالْإِتِّجَالِ وَالرَّوَايَةِ اخْتِيَارَهُ وَاتِّقَاءَهُ، أَيَّامَ عُمْرِي، وَجَمِيعَ مَا لِي مِنْ تَصْنِيفٍ وَقَصِيدٍ وَمَقْطُوعَةٍ وَقَصِيدٍ، وَجَمِيعَ مَا أَحْمِلُهُ عَنْ أَشْيَاخِي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - مِنَ الْعُلُومِ وَفُنُونِ الْمَشْهُورِ وَالْمَنْظُومِ، بِأَيِّ وَجْهِ تَأَتَّى ذَلِكَ وَصَحَّ حَمْلِي لَهُ وَثَبَّتَ إِسْنَادُهُ لِي، إِجَازَةً تَامَةً فِي ذَلِكَ كُلِّهِ عَامَّةً عَلَى سُنَنِ الْإِجَازَاتِ الشَّرْعِيَّةِ وَشَرْطِهَا الْمَأْثُورِ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ الْمَرْعِيِّ^(٣). وَاللَّهُ يَنْفَعُنِي وَإِيَّاهُمَا بِالْعِلْمِ وَحَمْلِهِ وَتَنْظِيمُنَا فِي سَبِيلِكِ حِزْبِهِ الْمُفْلِحِينَ وَأَهْلِهِ وَيُفِيضُ عَلَيْنَا مِنْ أَنْوَارِ بَرَكَتِهِ وَفَضْلِهِ. قَالَ ذَلِكَ وَكَتَبَهُ بِحَطِّ يَدِهِ الْفَانِيَةِ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ إِلَى الْغَنِيِّ بِهِ أَحَدُ بَنِي إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ صَفْوَانَ - خَتَمَ اللَّهُ لَهُ بِخَيْرٍ - حَامِداً لِلَّهِ تَعَالَى وَمُصَلِّياً وَسَلِّماً عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الْمُصْطَفَى الْكَرِيمِ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ ذَوِي الْمُنَسِّبِ الْعَظِيمِ وَصَحْبِهِ الْبَرَّةِ أَوْلَى الْمُنَسِّبِ وَالْأَثَرَةِ^(٤) وَالتَّقْدِيمِ، فِي سَادِسِ رَبِيعِ الْآخِرِ عَامِ أَرْبَعَةٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ^(٥). وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

٤-★★ الديباج المذهب ١٤٣ نيل الابتهاج ١٧٢ الإحاطة ١: ٢٢٩-٢٤٠: الكتيبة
الكامنة ٢١٦-٢٢٣: دَرَّةُ الْحِجَالِ ١: ٧٨-٧٩: معجم المؤلفين لكحالة ١:
١٣٣-١٣٤.

ابن الحاج النميري الغرناطي

١- هو الشيخُ بَرَهَانُ الدِّينِ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ

(١) المهند: كرم الأصل والشرف. الفرد (النجم القطبي، وغيره). المصود: المكان العالي. النحلة (بالكسر): ما ينحله (يمتته) الإنسان أو يمتقده.

(٢) الوارف: المتمد.

(٣) المرعي: المصول به (نمت لكلمة «شرطها»).

(٤) الأثر: المنزل، وتقدم الإنسان في المنزل على غيره.

(٥) ١٣٤٣/٨/٢٨ م.

موسى التميميُّ الغرناطيُّ، وُلِدَ في غرناطة سنة ٧١٣ هـ (١٣١٣-١٣١٤ م).

دَخَلَ ابنُ الحاجِّ ديوانَ الإنشاء سنة ٧٣٤ هـ. وفي مطلع سنة ٧٣٧ هـ (آخر صيف ١٣٣٦ م) تطوَّفَ قليلاً بَشَرْقِ الأندلسِ ثُمَّ رَحَلَ إلى المشرقِ وَحَجَّ. وَكَثُرَ ذَهَابُهُ إلى المشرقِ وَحَجَّهُ، وَكَانَ في كُلِّ مَرَّةٍ يَعُودُ إلى إفريقيةٍ وَيَعُودُ أحياناً إلى الأندلسِ. وفي نفعِ الطبيبِ (١٠٧: ٧) أَنَّ رِحْلَتَهُ وَصَلَتْ إلى ما وراءَ الشامِ والعراقِ. وَقَدْ لَقِيَ في الشامِ نَفَرًا من كبارِ علماء الحديثِ وأخذَ عنهم. من هؤلاء: عَلَمُ الدينِ البرزاليُّ (ت ٧٣٩ هـ) والحافظُ المِزِّيُّ (ت ٧٤٢ هـ) والحافظُ الذَّهَبِيُّ (ت ٧٤٨ هـ).

وَمَلَ ابنُ الحاجِّ الخِدمةَ في دواوينِ الدَّوَلِ (في الأندلسِ وفي المغربِ) فَأَثَرَ الانسحابَ من الحياةِ العامةِ واعتزلَ (رَمَضَانَ ٧٥٧ = مطلعَ الحَريفِ من عام ١٣٥٦ م). وَلَكِنَّ السُّلْطَانَ أَبَا عِيْنَانَ المَرْيَنِيَّ أَجْبَرَهُ على الرجوعِ إلى الخِدمة. فَلَمَّا تَوَفَّى أَبُو عِيْنَانَ (٧٥٩ هـ) عادَ ابنُ الحاجِّ إلى الأندلسِ. وَلَعَلَّهُ في هذه الحِقْبَةِ تَوَلَّى القضاةَ حيناً في غرناطة.

ثُمَّ إِنَّ ابنَ الحاجِّ تَوَجَّهَ رسولاً من قِبَلِ السُّلْطَانِ مُحَمَّدِ الخامسِ صاحبِ غرناطةَ إلى السُّلْطَانِ أَحْمَدَ بنِ موسى الزَّيَّاتِي صاحبِ بِلْمَسَانَ. فَلَمَّا وَصَلَتْ سَفِينَتُهُ إلى مَقَرَّتِهِ من وَهْرَانَ (شاطِئِ الجزائرِ) تعرَّضَ لها أسطولٌ للمدو^(١)، وذلك في سادسِ ربيعِ الآخرِ من سنة ٧٦٨ (١٣٣٧/١١/١ م). وَلَكِنَّ السُّلْطَانَ مُحَمَّدًا الخامسَ أَتَقَذَهُ^(٢) بعدَ أَنْ لَبِثَ في الأسْرِ سِتَّةَ عَشَرَ يوماً. وعادَ ابنُ الحاجِّ إلى الأندلسِ^(٣).

٢- كَانَ ابنُ الحاجِّ التَّمِيمِيُّ الغرناطيُّ مُحَدِّثًا وَفَقِيهًا، كَمَا كَانَ نَاشِرًا وَشَاعِرًا. قَالَ فِيهِ المَقْرِي «الشَّاعِرُ الْمُتَلَقُّ لَهُ النِّظْمُ الرَّائِقُ العَذْبُ الجَامِعُ بَيْنَ جَزَالَةِ المَغَارِبَةِ وَرِقَّةِ

(١) كَانَ ذَلِكَ في عَصْرِ الفُرْصَةِ حِينَ كَانَ الأوروْبِيَّونَ من إسبَانِ وَبِرْتَالِيَّينَ وَهولَنْدِيَّينَ وَأَنْكَلِيزِيَّينَ يَغْطَمُونَ البَحْرَ على مَرَاكِبِ المُسْلِمِينَ.

(٢) قَبْلَ أَتَقَذَهُ بِمَعْنَى جَمِيعٍ، وَقِيلَ أُرْسِلَ أُسْطُولًا كَبِيرًا حَارِبَ القَرَارِصَةِ.

(٣) لَمْ يَرُدَّ ذِكْرُ وَفَاةِ ابنِ الحاجِّ التَّمِيمِيِّ في نَفْعِ الطَّبِيبِ وَلَا في نِيلِ الْإِبْتِهَاجِ. وَلَكِنَّهُ كَانَ بَلَا رَبِيبَ حَيًّا فِي ٧٦٤ هـ (لَمَّا كَتَبَ رِسَالَتَهُ إِلَى لِسَانَ الدِّينِ بنِ الحُطْبِيِّ). وَلَكِنْ خَيْرُ الدِّينِ الرُّرْكَلِي (الأَعْلَامُ ٤٢: ١) ذَكَرَ أَنَّ وَفَاةَهُ كَانَتْ سَنَةَ ٧٦٨ هـ (١٣٦٧ م). وَفِي الْمَنَهْلِ الصَّافِي (١: ٦٦-٦٨) وَدَائِرَةُ الْمَعَارِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ: نَحْوَ ٧٨٥ هـ.

المشاركة^(١). ويبدو أن مُعْظَمَ شِعْرِهِ مُقْطَعَاتٌ قِصَارٌ تَغْلِبُ فِيهَا التَّوَرِيَّاتُ. وأبرزُ فُنُونِهِ الْمَذْحُ وَالْعَزَلُ. ولابنُ الْحَاجِّ تَأْلِيفٌ كَثِيرٌ مِنْهَا: رحلة - فيضُ الْعُبَابِ وإِجَالَةُ قِدَاحِ الْآدَابِ فِي الْحَرَكَةِ إِلَى قُسْطَنْطِينَةِ وَالزَّابِ^(٢) - المِساهلةُ والمِساهةُ فِي تَبْيِينِ طُرُقِ الْمَدَاعِبَةِ وَالْمَازِحَةِ - إِيْقَاضُ الْكِرَامِ بِأَخْبَارِ الْمَنَامِ - تَنْعِيمُ الْأَشْيَاحِ بِمَحَادِثَةِ الْأَرْوَاحِ - كِتَابُ الْوَسَائِلِ وَنُزْهَةُ النَّوَاطِرِ وَالْجَمَائِلِ - الزَّهْرَاتُ وإِجَالَةُ النَّظَرَاتِ - كِتَابُ فِي التَّوَرِيَّةِ (عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ) - مَثَالِيثُ الْقَوَانِينِ فِي التَّوَرِيَّةِ وَالْإِسْتِخْدَامِ وَالتَّضْمِينِ^(٣) (وَهُوَ كُلُّهُ مِنْ نَظْمِهِ) - بَيَانُ الْأَسْمِ الْأَعْظَمِ^(٤) - اللَّبَاسُ وَالصُّحْبَةُ (جَمْعُ فِيهِ طُرُقُ الْمُتَصَوِّفَةِ) - نُزْهَةُ الْحَدَقِ فِي ذِكْرِ الْفِرَقِ - الْفُصُولُ الْمُقْتَضِبَةُ فِي الْأَحْكَامِ الْمُتَنَخَّبَةِ (رَجَزٌ فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ) - رَجَزٌ فِي 'جَدَل'.

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ

- قَالَ ابْنُ الْحَاجِّ التُّمَيْرِيُّ لَمَّا نَوَى (قَصْدُ) عِلْمِ الدِّينِ الْبِرْزَالِيَّ مِفَادَرَةَ دِمَشْقَ:
نَوَى النَّوَى عِلْمُ الدِّينِ الرِّضَا فَأَنَا مِنْ بَعْدِ فُرْقَتِهِ بِالنَّامِ ذُو أَلَمٍ^(٥).
فَلَا تَلْمِزْنِي عَلَى حُبِّي دِمَشْقَ فَقَدْ أَصْبَحَتْ فِيهَا زَمَانًا صَاحِبَ الْعِلْمِ^(٦).
- وَقَالَ يَذْكُرُ الْآثَارَ (آثَارُ الْبِلَادِ - الْأَحَادِيثُ) وَكَيْفَ تُرَوَّى (تُنْقَى - يَنْقَلِبُهَا وَاحِدٌ عَنْ وَاحِدٍ) بِسِلْسِلَةٍ (حُلُقَاتٍ مَجْمُوعٌ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ تُدَارُ بِهَا النَّاعُورَةُ - نَسَقٌ مِنْ

(١) نفع الطب ٧: ١٠٧. لو قال: جزالة المشاركة ورقة الغارية لكان أولى!

(٢) ارتقاع الموج، وكثرة الماء في السيل. الإجالة: المرج والخلط. القداح جمع قدح (بالكسر): سهام تستخدم في البسر أو لعب الفهار. (يبدو أنه قام برحلة للتكسب يرى فيها حظه في النجاح، كأنها كان يقامر). الحركة: السفر. قسطنطينة (كذا تلفظ اليوم) هي قسطنطينية، نسبة إلى ملك الروم (الأمبرطور البيزنطي) قسطنطين الكبير الذي بناها في مشهد مدينة سابقة كانت قد حُرِبَتْ فِي أَثْنَاءِ ثَوْرَةِ عَامِ ٣١١ م. بلاد الزاب تقع في جنوب الجزائر قريبة من الصحراء الكبرى (مزاب، ميزاب).

(٣) التورية والاستخدام والتضمين من أبواب البلاغة.

(٤) الاسم الأعظم: الاسم المنعم للهائة من أسماء الله الحسنى (والمعروف منها تسعة وتسعون اسماً)، ويرى المتصوفة أن من عرف هذا الاسم ثم دعا به استجاب الله له كل دعوة.

(٥) النوى: العباد، الغربة.

(٦) صاحب العلم: الرجل المشهور ذو النفوذ - وصاحب العلم: صديق علم الدين البرزالي.

الرجال الذين يَرَوُونَ الحديث) من الذهب (المَعْدِنِ المعروف - الحافظُ شمسُ الدين الذهبي):

رَحَلْتُ نَحْوَ دِمَشْقِ الشَّامِ مُبْتَغِيًا رِوَايَةً عَنْ ذَوِي الْأَحْلَامِ وَالْأَدَبِ^(١).
فَفُزْتُ فِي كُسْبِ الْأَثَارِ حِينَ غَدَتُ تَرَوِي بِسِلْسِلَةِ عَظَمَى مِنَ الذَّهَبِي!
- وقالَ لَمَّا مَاتَ أَبُو يَحْيَى أَبُو بَكْرٍ سُلْطَانُ تُونِسَ فَخَلَفَهُ ابْنُهُ أَبُو فَحْصٍ عُمَرُ
(٧٤٨ هـ) بَعْدَ أَنْ قَتَلَ إِخْوَتَهُ (أَبُو بَكْرٍ سُلْطَانُ تُونِسَ - أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ ثُمَّ عَمَرُ
سُلْطَانُ تُونِسَ بَعْدَ أَبِيهِ أَبِي بَكْرٍ - عَمَرُ الْفَارُوقِ الْخَلِيفَةُ الثَّانِي):

وَقَالُوا: أَبُو فَحْصٍ حَوَى الْمُلُوكَ غَاصِبًا، وَإِخْوَتُهُ أَوْلَى، وَقَدْ جَاءَ بِالْكُفْرِ.
فَقُلْتُ لَهُمْ: كُفُّوا، فَمَا رَضِيَ الْوَرَى سِوَى عُمَرَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِ أَبِي بَكْرٍ^(٢)!
- وقالَ فِي النَّسِيبِ (خَفِيفٌ: مُحْتَمَلٌ، مَرْغُوبٌ فِيهِ):

أَتَوْنِي فَعَابُوا مِنْ أَحِبِّ جَالِهِ. وَذَاكَ عَلَى سَمْعِ الْمُحِبِّ خَفِيفٌ^(٣).
فَمَا فِيهِ عَيْبٌ، غَيْرَ أَنْ جُفُونَهُ مِرَاضٌ وَأَنْ الْحَصْرَ مِنْهُ ضَعِيفٌ^(٤).
- وقالَ أَيْضًا (الهِجَاءُ: ضِدُّ الْمَدْحِ، تَهْجَةُ الْكَلِمَاتِ):

لِي الْمَدْحُ يُرَوَى مُنْذُ كُنْتُ كَأَنَّا تَصَوَّرْتُ مَدْحًا لِلْوَرَى وَتَنَاءً^(٥).
وَمَا لِي هِجَاءٌ. فَاعْجَبَنَّ لِشَاعِرٍ وَكَاتِبٍ سِرٌّ لَا يُقِيمُ هِجَاءً.
وقالَ فِي الْغَزْلِ الصَّرِيحِ وَفِيهِ تَوْرِيَّاتٌ بِكُنَايَاتٍ قَبِيحَةٍ وَلَكِنْ بَارِعَةٌ:

وَمَهَابَةٌ تَقُولُ، إِنَّ هِيَ كَلَّتْ وَدَعَا لِلْمُزَاجِ خِلٌّ مُزَاجٌ^(٦).
وَاِزِرِ الرَّدْفَ، إِنَّ فِي الْأَزْرِ مِنِّي رَمَلٌ يَبْرِينُ، يَا طَبِيبُ، وَعَالِجُ^(٧)!

(١) الْأَحْلَامُ جَمْعُ حِلْمٍ (بِالْكَسْرِ) الْعَقْلُ. (٢) الْوَرَى: النَّاسُ.

(٣) الْأَشْيَاءُ الَّتِي ظَنُّوْهَا عِبَادًا فِي عِبَادِي هِيَ حَسَنَاتٌ فِي الْمَحْبُوبِ.

(٤) مِرَاضٌ: نَاعَاتٌ (وَهُمْ يَمْنُونُ أَنَّهَا مَرِيضَةٌ، مُقْبِمَةٌ). ضَعِيفٌ: نَخِيفُ (وَهُمْ يَمْنُونُ أَنَّهُ نَاقِصُ التَّكْوِينِ).

(٥) تَصَوَّرْتُ (كَأَنِّي كَلَّمْتُ - كُلَّ عَمَلٍ - مَدْحَ جَمِيعِ النَّاسِ وَالتَّناء عَلَيْهِم).

(٦) الْمَهَابَةُ: الْغَزَالَةُ (الْمَرْأَةُ الْجَمِيلَةُ). كَلَّتْ: تَبَعَتْ (مِنْ الْغَزْلِ.....).

(٧) الْمَزَاجُ: الْمَدَاعِبَةُ (دَعَبٌ: جَامِعٌ). خِلٌّ: صَدِيقٌ. مُزَاجٌ: مَعَافَرٌ (بِقُدْرَتِهِ عَلَى الْمَدَاعِبَةِ). الرَّدْفُ: مُؤَخَّرٌ =

- وقال :

هذه الشمس بالحجاب توارث
بعد نور لها ورَحِبٍ وبشر^(١).
وأتى الليل بالنسيم عيلاً
فهو يمشي من أُنْفِه لابن زُهر!

(عليلاً: لطيفاً، بارداً- عيلاً: مريضاً ثم ابن زُهر: النجوم؟ - ابن زُهر: طبيب
أندلسي مشهور كان قبل عصر ابن الحاج).

- وردت رسالة من لسان الدين بن الخطيب إلى الحاج الثميري (جواب رسالة
سابقة لابن الحاج) فردّ ابن الحاج برسالة جاء فيها:

..... قَمَا بَرَاعَتِكَ الَّتِي هِيَ الْوَاسِي الْمَطَاعُ وَضُرْبِكَ^(٢) الَّذِي أَنْهَجَتْ بِهِ الْأَبْصَارُ
وَالْأَسْمَاعُ، لَقَدْ عَادَ لِي بِكِتَابِكَ عَيْدُ الشُّوقِ وَجَادَ لِي بِخَطَابِكَ جِدُّ التَّوَقُّ^(٣). وَلَعَهْدِي
بِنَفْسِي - رَهْنُ أَشْجَانِي غَيْرَ مَحْلُولَةٍ عُقْدَةٍ لِسَانِي - أَشَدُّ مِنْ الصَّخْرَةِ جَلْدًا وَأَغْلَظُ مِنْ
الْإِبِلِ كِبْدًا^(٤). حَتَّى إِذَا بَدَتْ حَرِيقَةُ الْقَلْبِ وَهَبَ نَيْمُهُ الرُّطْبَ وَأَفْنَحَ مَوْرِدَهُ
الْعَذْبُ^(٥) وَأَضَاءَ بَنُورَهُ الشَّرْقُ وَالْغَرْبُ وَلَمْ يَبْقَ لِي بَثٌّ وَلَا سَجَنٌ^(٦) وَلَا شَاقِي أَهْلُ

= الدن. وازر الردف (ساعدي على حله). الأزرق جمع إزار (ثوب للنصف الأسفل من الجسم). يبرين
وعالج مكانان في بادية العرب كثيرا الرمال. في الأزرق رمي يبرين وعالج (أشياء كثيرة، طاقة
كبيرة). عالج (فعل أمر من عالج يعالجه: داواه). عالج الشيء: مارسه. وفي حديث: «عالجت امرأة
فأصبت منها» (تاج العروس - الكوكب ٦: ١٠٩).

(١) توارث الشمس بالحجاب: غابت. رجب: مكان واسع (في السماء الظاهرة لأعيننا). البشر: طلاقة الوجه
والساعة. الفرح.

(٢) الواسي (كذا في الأصل) لعلها الواشي. الطرس: الورقة. (سأكتفي هنا بشرح الألفاظ المفردة لأن القطعة
المذكورة قائمة على التلاعب بالألفاظ مما يطول أمر الكشف عن مقاصد ذلك التلاعب).

(٣) عيد: عودة (في موشحة لسان الدين بن الخطيب: عاده عيد من الشوق جديد). جد التوق (الزروع،
الميل، الشوق) المجدي، الحقيقي.

(٤) الجلد: الاحتمال (في موشحة لسان الدين أيضاً: ليس لي صبر ولا لي جلد). أغلظ من الإبل كبدًا: أقدر
على الاحتمال، وأشد بعداً في السفر وأكثر صبراً على البعد عن الوطن.

(٥) أفصح؟ (يقصد فاح من «فصح» أوسع، أكثر) موره (مكان الاستقاء منه). العذب: الحلوى.

(٦) البث والشحن: الحزن.

ولا وطنٌ ومضى سيفُ اللسان بعد النبؤ وتَهَضَّ طِرْفُ الفِكر بعد الكُبؤ ^(١) وهَزَنِي
الطربُ المثيرُ للأفراح ومشى الجَذَلُ في أطرافي وأعطاني ^(٢) مَشْيَ الرّاح ^(٣).... قُلْتُ:
من لي ^(٤) بَشْرِيَّةٍ من كأسِ بَيَانِهِ وقَطْرَةٍ من بُحورِ إِحْسَانِهِ حَتَّى أُودِّيَ ولو بعضُ
حقِّه.... فأَمَّا وقد نَفَقْتُ عِنْدَكَ بِضَاعَتِي المَرْجَاةُ ^(٥) وشَمِلَنِي من لَدُنْكَ الجَلْمُ والأَنَاءُ
وشرَّقَتْنِي بِالخِطَابِ الكريمِ. والرسالة التي عَرَفْتُ في وَجْهِهَا نُصْرَةَ النعمِ ^(٦)، فما أَنبِي إلا
إِيرَادَهَا عَلَيْكَ وَكَلَّهَا خُرَاجُ وَلِبْرَدِهَا في الإِجَادَةِ إِنْهَاجُ ^(٧). وَلَعَلَّكَ تَرْضَى التَّخْرِيجَ من
مُدَوَّنَةِ الأَخْبَارِ والمبسوطة والواضحة، لكن من الأعذار ^(٨).....

وإذا كان المرءُ على دين خليله، ومن شأنه سلوكُ نهجه وسبيله، فالأَثَقُ أن أَرَهَدَ
في الصفراء والبيضاء وأَقَابِلَ رُخْرَفَ الدُّنْيَا ^(٩) بالبغضاء، وَأَرْجُوْ عَلَى يَدِكَ حُسْنَ
التَّخْلِي والاطِّلَاعَ على أَسْرَارِ التَّجَلِّي ^(١٠) حَتَّى أَسْعَدَ بِكَ في آخِرَتِي وَدُنْيَايَ وَأَجِدَ بَرَكَهَ
خَاطِرِكَ في مَمَاتِي وَمَجْيَايَ. أَبْقَاكَ اللهُ بَقَاءَ يُسْرٍ وَأَمْنَعُ بِمَنَاقِبِكَ الَّتِي يَخْضُدُهَا الْيَاقُوتُ

(١) مضى السيف: قطع، مرَّ في الشيء الذي ضُربَ به. النبؤ: رجوع السيف عن الضربة. - في الأصل:
وتَهَضَّ طِرْفُ (بفتح ط) الفكر بعد الفكر (بضم الباء) - والصواب ما أثبتته في المتن. الطرف
(يكسر الطاء) الحصان. والكُبؤ: العثرة. (في أصل هذا النص قراءات خاطئة).

(٢) المجدل: الفرع.

(٣) الرّاح: الحمر.

(٤) في الأصل: مالي. الصواب من لي: من يعطيني.

(٥) المَرْجَاة (من «أزجي»): المشوشة، الرديئة.

(٦) نصرة النعم: وضاءة ولمعان في الوجه من الرفاهية والنعمة. في القرآن الكريم (٨٣: ٢٤، سورة
المطففين): «تعرّف في وجوههم نصرة النعم».

(٧) إيرادها (؟). الخراج بضم الخاء أو بفتحها دمل يخرج في البدن (شيء رديء). البرد: التوب (من
الحمر). نَجِ التوب وأنج: بلي وتبرأ.

(٨) التخريج (هنا): التعليل. المدونة كتاب في الفقه، والواضحة كتاب في التجويد (تجويد القرآن - مقصور
على الفاتحة). ولم أعرف المَسُوطة (وناشر الكتاب لم يذكرها في فهرست الكتب التي ورد ذكرها في
الكتاب). من المعروف أن المَسُوطة كتاب في الفقه. - يقصد يريد أن يدون عذره مبسوطاً (بتفصيل)
وواضحاً.

(٩) الصفراء (العملة من الذهب) والبيضاء (العملة من الفضة). الزخرف: الزينة.

(١٠) التَّجَلِّي: ترك الاختلاط بالناس. وترك الزواج أيضاً. التَّجَلِّي: وضوح الأشياء للإنسان، عطف الله
عليه بإفادته علوماً من عنده (من عند الله).

والدُرّ. ولا زِلَتْ في سِيَادَةِ تَرَوْقُ نَعْمًا وسَعَادَةٍ لَا تَرَى فِيهَا عَوَجًا وَلَا أُنْتًا^(١). وأقرأ عليك سلاماً عاطر العَرَفِ^(٢) كَرِيمِ التَّكْيِيدِ والعطف..... كَتَبَهُ أَخُوكَ وَمَمْلُوكُكَ وَشِيعَةُ مَخْذُكَ في الرَّابِعِ والعشرين من جُمَادَى الْأُولَى عَامِ أَرْبَعَةٍ وَسِتِّينَ وَسَبْعِمِائَةٍ.

٤- ** نيل الابتهاج ٤٤-٤٦؛ الوافي بالوفيات ٦: ٤٠؛ الإحاطة ١: ٣٥٠، ٣٧١؛ الكنية الكامنة ٣٦٠-٣٦٩؛ نثر فرائد الجمان ٣٠٣-٣١٨؛ نفح الطيب ٢: ٥٣٤-٥٣٥، ٥٣١: ٥٠٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٨٠؛ بروكلمن، الملحق ٢: ٣٦٩؛ الأعلام للزركلي ١: ٤٢-٤٣ (٤٩)؛ مجلة ٥: البحث العلمي ١/ ١٩٦٥ م، ص ٧١؛ معجم المؤلفين لكحالة ١: ٥١.

ابن خاتمة الأنصاري

١- هو أبو جعفر أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصاري^(٣)، وُلِدَ في النَمَرِيَّةِ، في مطلع القرن الثامن للهجرة فيما يبدو^(١). وتلقى ابن خاتمة العلم على نفر^(٥) منهم أبو الحسن علي بن محمد بن أبي العيش المُرِّي قرأ عليه ابن خاتمة ولازمه، وأبو إسحاق إبراهيم بن العاصي التَّنُوخِي ومُحَمَّدُ بْنُ جَابِرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَنَّانِ الْوَادِي أَشْيُ، وهو راوية مُحَدَّثٌ (بأحاديث رسول الله) رَحَّالٌ (صاحب رحلات)، وأبو البركات ابن الحاج وأبو القاسم عبد الرحمن بن شُعَيْبِ الْقَيْسِيِّ من أهل النَمَرِيَّةِ، وأبو جعفر القرشي المعروف بابن فركون وأبو القاسم محمد بن سهل بن مالك وأبو جعفر بن الأغَرُّ

(١) الأمت: الاختلاف في الأرض ارتفاعاً وانخفاضاً. «لا ترى فيها الح» تضمين من القرآن الكريم (٢٠): ١٠٧، سورة طه.

(٢) المعروف: الرائحة الطيبة.

(٣) الأنصاري: نسبة إلى «الأنصار» الذين نصرُوا رسول الله ﷺ هاجر إلى المدينة (أهل المدينة). ويزيد محمد رضوان الداية (محقق ديوان ابن خاتمة الأنصاري، ص ٩ م، السطر الأخير) «المريني» (نسبة إلى بني مرين حكام المغرب)!

(٤) في مقدمة الديوان (ص ١٧ م) ترجيح أنه عاش نحو سبعين سنة.

(٥) راجع في ذيل وفيات الأعيان (ص ٨٦) أسماء نفر آخرين من شيوخه. وفي مجلة «دعوة الحق» (الرباط، صفر ١٣٩٢ هـ = إبريل - نيسان ١٩٧٢ م، ص ١٤٦) أن مولده كان سنة ٧٣٤ هـ.

(الإحاطة ٢٤٩، وقد صُغِبَ عليَّ أنسابهم وأحوالهم).

وقد ابن خاتمة للإقراء في الجامع الأعظم في المَرِيَّة فأقرأ اللغة والنحو والبلاغة والأدب، وكان في الوقت نفسه يقوم بعقد الشروط. ثم دُرِسَ في المدرسة اليوسفية التي أنشأها في غرناطة أبو الحجاج يوسف الأول بن الأحمر (٧٣٣-٧٥٥ هـ)^(١).

وكانت صلة ابن خاتمة ببني الأحمر حسنة، زار غرناطة مراراً إحداها في شعبان من سنة ٧٥١ (خريف ١٣٥٠ م). وكان لا يزال حيّاً في ثاني عشر شعبان من سنة ٧٧٠^(٢) (٢١ / ٣ / ١٣٦٩ م)، كما في الإحاطة (١ : ٢٦٧). ولعل وفاته كانت بعيداً ذلك بقليل.

٢- ابن خاتمة الأنصاري نازل له رسائل إخوانية ودويانية، وهو ناظمٌ كثيرٌ متعدّد الفنون والأغراض له مديحٌ دينيٌّ في الله ونعمه ونسيبٌ وغزلٌ مؤنثٌ ومذكرٌ ومُجَوِّدٌ ثم له أوصافٌ في الطبيعة والخمر وله حكمٌ وملحٌ وفكاهاتٌ. وشعره عاديٌّ في الأكثر تغلب عليه الصناعة اللَّفْظِيَّة والصناعة المعنوية. وله موشحاتٌ كثيرة. ويغلب على شعر ابن خاتمة التقليد، فترى فيه أثار الشعراء ظاهرة من مثل أبي نواس وأبي تمام والبُحْتَرِيِّ والمتنبي وابن هاني الأندلسي وابن الفارض وسواهم. غير أنه سليمُ العبارة متينُ السبك.

وابن خاتمة الأنصاري مؤلّفٌ له: تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد (في وصف الطاعون الجارف الذي اجتاحت العالم في آسية وأوربة وإفريقية، سنة ٧٤٩ هـ = ١٣٤٨ م) - مزيّة المَرِيَّة على غيرها من البلاد الأندلسية (فيه شيء من جغرافية تلك المدينة وتاريخها وتراجم رجالها وزوّارها) - إلحاق العقل بالחס في الفرق بين اسم الجنس وعلم الجنس (٤) - إيراد اللال من إنشاد الضوّال (وهو استدراك على « إنشاد الضوّال وإرشاد السّؤال » لمحمد بن هاني اللخمي السّني المتوفى سنة ٧٣٣ في لحن العامة) - رائق التحلية في فائق التورية (مجموع شعر).

(١) يقوم بعقد الشروط (بتنظيم عقود البيع والزواج وغيرها، ولعله يشبه الكاتب العدل في أيامنا)!

(٢) راجع التعليق على دقة هذا التاريخ (الدويان، ص ١٦ م - ١٧ م).

- من مقدّمة ديوانه:

وبعد، فإنّ بعضَ خُصائِي^(١) - وَهُوَ مَنْ لَا يَسَعُ، لجميلِ وُدِّهِ، غيرُ تكميلِ قصيدِهِ - قد خَطَبَ إِلَيَّ بُنَيَاتٍ فِكْرِي وَأَيَّاتٍ شِعْرِي جُمْلَةً يَسْهُلُ اسْتَظْهَارُهَا وَيَجْمَلُ فِي مِئْصَةِ الْمُحَاضِرَةِ اسْتَحْضَارُهَا^(٢)، تَأْخُذُ مِنَ الْآدَابِ بِأَطْوَارِهَا وَفُتُونِهَا وَتَشْتَمِلُ مِنَ الْمَعَانِي عَلَى أَبْكَارِهَا وَعُثْنِهَا^(٣)..... وَعِنْدَمَا كَمَّلَ إِبْدَارُهَا وَتَمَّ اعْتِيَامُهَا وَاخْتِيَارُهَا رَفَقْتُهَا إِلَيْهِ سَادِلَةً^(٤) ثَوَّبَ الْحَيَاءَ تَقَدُّمَ رَجُلًا وَتَوَخَّرَ أُخْرَى مِنَ الْاسْتِحْيَاءِ، رِيحَانَةً مِنْ أَدْوَاحٍ وَنَسَمَةً مِنْ أُرُوحٍ^(٥). وَقَدْ قَسَمْتُهَا أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ قَصَدَ التَّنْشِيطَ وَالْإِجَامَ^(٦): الْقِسْمَ الْأَوَّلَ فِي الْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ - الْقِسْمَ الثَّانِي فِي النِّسَبِ وَالْفَزْلِ - الْقِسْمَ الثَّلَاثَ فِي الْمُلْحِ وَالْفُكَاكَاهِ - الْقِسْمَ الرَّابِعَ فِي الْوَصَايَا وَالْحِكَمِ. وَخَتَمْتُهَا بِنُبْدَةٍ مِنَ التَّوْشِيحِ الَّذِي لَهُ فِي مِضَارٍ^(٧) الْأَدَبِ الْجَهْلُ الْفَسِيحُ.....

- قال ابن خاتمة في ذكر لُطْفِ اللَّهِ وَنِعَمِهِ:

أَمَا أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ لِلْحَقِّ مُرْشِدًا؟ أَمَا سَمِعْتَ أَذْنَكَ لِلَّهِ دَاعِيَا؟
أَبْعَدَ شَيْبٍ تَسْتَجِدُّ شَيْبِيَّةً؟ وَبَعْدَ هَوًى تَبْغِي عَمًى أَوْ تَعَامِيَا^(٨)؟

- (١) الخِصَاءُ: جَمْعُ خَلَصٍ (يَكْسِرُ الْهَاءَ): الْخُذْنُ (يَكْسِرُ الْهَاءَ): الصَّدِيقُ الْخَافِصُ.
- (٢) بُنَيَاتٌ: جَمْعُ بَنِيَّةٍ (مَوْثَتٌ بَنِيٌّ بِضَمِّ الْبَاءِ تَصْغِيرٌ «ابن»). بَنَاتُ الْأَفْكَارِ: الْأَرَاءُ، الْأَهْوَالُ: جُمْلَةٌ: مَقْدَارًا يَسِيرًا. اسْتَظْهَارُهَا: حِفْظُهَا غَيْبًا. مِئْصَةُ: مَنِيرٌ. الْمُحَاضِرَةُ: الْمُسَابَقَةُ، الْمُنَاطَرَةُ. اسْتَحْضَارُهَا: تَذَكُّرُهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ.
- (٣) الْبُكَرُ: (الْأَشْيَاءُ) الَّتِي لَمْ يَعْرِفْهَا أَحَدٌ مِنْ قَبْلِ. الْوُثُونُ: جَمْعُ عَوَانٍ: الْمَرْأَةُ الَّتِي كَانَ لَهَا زَوْجٌ، وَالْحَرْبُ الَّتِي قُوتِلَ فِيهَا مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، النِّهْيُ الَّذِي عُرِفَ مِنْ قَبْلِ.
- (٤) الْإِبْدَارُ: الْإِكْتَالُ (أَصْبَحَتْ كَالْبَدْرِ تَامَةً). الْاعْتِيَامُ: أَخَذَ النِّهْيَ. رَفَقَهَا: أَهْدَاهَا، أَرْسَلَهَا. سَادِلَةٌ: مَرْخِيَةٌ.
- (٥) رِيحَانَةٌ: نَبْتَةٌ لَهَا رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ) مِنْ أَدْوَاحٍ: أَشْجَارٌ كَبِيرَةٌ (بِفَصْدٍ: شَيْئًا مَخْتَصَرًا مِنْ شَيْءٍ مُفَصَّلٍ، وَاسِعٍ). نَسْمَةٌ مِنْ أُرُوحٍ: هَوَاءٌ قَلْبِلٌ مِنْ رِيَّاحٍ كَثِيرَةٍ.
- (٦) الْإِجَامُ: رَدُّ الْجِسْمِ الْمَتَبِّ إِلَى الرَّاحَةِ.
- (٧) الْمِضَارُ: الشُّوْطُ، الْجَهْلُ الَّذِي يَرْكُضُ فِيهِ التَّسَابِقُونَ.
- (٨) تَسْتَجِدُّ شَيْبِيَّةً: تَطْلُبُ الْعُودَةَ إِلَى أَهْوَائِ الشَّبَابِ.

وما بالُ صُدغِ الآسِ أخضرَ ناصعاً؟ وما بالُ خدِّ الوردِ أحمرَ قانياً^(١)؟
 فما خطباءُ الرُّبِّ أفصحُ واعظاً منَ الطيرِ يشدو لو فهِمَتِ المعانيا،
 ولا صفحاتُ الهندِ أزدعُ زاجراً منَ البرقِ يبدو لو عَلِمَتِ النواها^(٢).
 وسائلة: ما بالُ جَفْنِكَ والبُكا؟ وما عَرَقَتْنِي عن هَوَى قطُّ ساليا^(٣).
 إليك، فما في خاطري فَضْلٌ وَسُعةٌ لِسَمْعِكَ فَضْلاً عن حديثِ غراميا^(٤).
 - وله من موشحه:

يا مصباح هل تلتاح، قد أخجلت الإصباح؛
 يا بدرُ، أو ترتاح لذِي وَدٍّ^(٥)؟

★ ★ ★

مرآكا البدرُ بالسَّعدِ.
 لهاكا الخمرُ بالشَّهيدِ.
 رباكا القَطَرُ بالتَّدْ.
 لا تَفَاح كَرِيحُكَ التَّفَاحِ
 الفَوَاح يروِّجُ الأرواحِ
 مِنِ الْوَجْدِ^(٦).

★ ★ ★

- (١) الصدغ: جانب الرأس. الآس: نبات له أوراق تشبه بأذان الخيل شديدة الخضرة. ما الذي جعل لون الآس أخضر وجعل لون الورد أحمر. قان أو خان (من الفارسية: دم): شديد الحمرة.
 (٢) صفحات الهند: السوف من صنع الهند: أردع زاجراً: أقوى أثراً في المنع (عن عمل الشر والأذى). من البرق (لأن البرق يدل على الزاجر الألهي).
 (٣) لماذا يكون البكاء مزلزماً لجفنك (لعينك، لك)؟ ساليا: ناسياً، متلياً عن، غافلاً عن.
 (٤) إليك: اتركيني، أذهبي عني. - أنا مشغول (بحبي) عن أن أذكر لك خاطراً (فكرة في خاطري) فكيف يكون عندي وسعة من وقت لأسرد على سمعك حديث حبي (الطويل).
 (٥) الإصباح: طلوع الصبح. - هل تلتاح (تتغير) يا (شبيه) البدر (عن عهدك في المحبة) أو ترتاح (تسكن) تطمئن، تستقر على حب) ذي وَدٍّ (ذي محبة لك).
 (٦) في السعد: في أعلى مكان من فلك البروج (في أمِّ أحواله). اللُي: سُرة الثفتين (كتابة عن التقبيل).
 الشهد (بفتح الشين وكسرها وضماً) الصل قبل أن يؤخذ من أقراص شمع. الرِّيا: طيب الرائحة. =

يا جَنَّةَ قد ذَلَّ جانبها ،
 وفتنة قد ضلَّ رائيها
 بوجنة قد جَلَّ بارها
 كم أمداخ يحوكها المذاخ
 في إيضاح جبالك الوصاح

ولا تُجدي^(١)؛

- وقال في الغزل العفيف:

زارتُ على حَدَرٍ مِنَ الرُّقْبَاءِ والليلُ مُلتَفٌ بِفَضْلِ رِدَاءِ^(٢)
 تَصِلُ الدُّجَا بِسَوَادٍ فَرَعٍ فَاحِمٍ لِتَزِيدَ ظِلْمَاءَ إِلَى ظِلْمَاءِ^(٣)
 قَوَّشِي بِهَا مِنْ وَجْهِهَا وَحُلِيِّهَا بَذَرُ الدُّجَى وَكَوَاكِبُ الْجُوزَاءِ^(٤)
 أَهْلًا بِزَائِرَةٍ عَلَى خَطَرِ السُّرَى مَا كُنْتُ أَرْجُوهَا لِيَوْمٍ لِقَاءِ^(٥)
 أَقْسَمْتُ لَوْلَا عِفَّةٌ عُذْرِيَّةٌ وَتَقَى عَلَيَّ لَهُ رَقِيبٌ رَائِي^(٦)
 لَتَقَعْتُ غَلَّةَ لَوْعَتِي بِرُضَاهَا وَنَضَحْتُ وَرَدَ خُدُودِهَا بِمُكَاثِي^(٧)!

= الفطر: ماء المطر (الغني، الصافي، الطاهر) الندى: نبات له رائحة زكية. التفاح: الذي ينفج (يبعث)، يرسل، ينفج منه) رائحة طيبة. يروح (يسكن، يهدئ، يدخل الاطمئنان على الإنسان). الوجد: الحب وألم الحب.

(١) المجاني (هنا): المذنب: ذلَّ جانبها: خسر من لم يتمتع بما فيها بالحق. الوجهة: صفحة الحد. بارها: خالفها. حاك: نسج. إيضاح: تبيان، توضيح. الوصاح: المشرق، اللامع. تجدي: تنفع (مها) يكثر الكلام لا يفيد بوصف جالك).

(٢) الرقيب: الجاسوس على الحبيبتين. ملتف بفضل (ببقية) رداء: لم يبق منه إلا قليل.

(٣) الفرع: الثمر. الفاحم: الشديد السواد (كالضحم). - إن شرها جعل سواد الليل (الذي كان قد بدأ بحف بأقتراب الصبح) أشد سواداً.

(٤) الذي أعلمني أنها قادمة لزيارتي (في ذلك الليل) أن ضاء الليل (بنور وجهها) وسمعت صوت الحلى التي كانت تزيئ بها. (بدر: فاعل وشي). وجهها كاليد (يظهر نوره) وحليها تشبه كواكب الجوزاء (عنقود نجوم) لضعف نورها في رأي العين بالإضافة إلى البدر في رأي العين.

(٥) السرى: السير في الليل. اقتحمت مواد الليل (على ما في ذلك من الخوف والخطر) في وقت ما كنت أظن أنها تجيء إلى زيارتي.

(٦) عذرية: نسبة إلى بني عذرة (كان عشاقها مشهورين بعفتهم في الحب). الرقيب: الجاسوس على الحبيبتين. رائي = راء (ناظر)!

(٧) الرضاب: الريق ما دام في الفم. تقعت: بللت، رويت وأرويت. اللقة: العطش. نضح: رش.

- وقال يَصِفُ الربيعَ وَيَدُلُّ في أثناء ذلك على نَعَمِ الله:

أَهْلًا بِأَيَّامِ الرِّبْعِ وَطَيْبَهَا: أَنَسِ الْخَلِيعِ وَنُزْهَةِ التُّبَيْلِ^(١).
زَمَنٌ أَرَقُّ مِنَ الْوُدَادِ شَيْئَلًا وَأَلْدُ مِنْ عَصْرِ الشَّابِ الْأَوَّلِ^(٢).
أَعْجِبْ بِهِ مِنْ مَهْرَجَانٍ قَائِمٍ بَيْنَ الْبَسِيطَةِ وَالْحَيَا الْمُتَهَلِّلِ^(٣)؛
فَالطَّيْرُ تَتَدَوُّ وَالْعَدِيرُ مُصَفَّقُ وَالْقُضْبُ تَرْقُصُ وَالْأَزَاهِرُ تَتَجَلَّى^(٤).
فَاعْطِيفٌ عَلَى وَجْهِ الزَّمَانِ وَحَيِّهِ وَانْظُرْ إِلَى حُسْنِ الرِّبْعِ الْمُقْبِلِ^(٥).
وَأَجَلٌ لِحَاظِكَ فِي صِفَاحِ كِتَابِهِ حَتَّى تَبَيَّنَ وَاضِحًا مِنْ مُشْكِـلِ^(٦).
مَا قَطَّحَ الزَّهْرُ الْجَنِّيُّ نُغُورَهُ إِلَّا لِيَرْتَفُطَ طَيْبَ ذَاكَ السَّلْسَلِ^(٧)!

- وقال في الوصف والخمر:

إِلَى كَمْ يُنَادِيكَ دَاعِي الْوَتْرِ؟ قَلْبُ الْبِدَاءِ وَدَيْنُ الْبَهْرِ^(٨)!
وَنَبْهَ جُفُونِكَ مِنْ غَمَضِهَا، فَقَدْ نَبَّهَ الرُّوْضَ قَطْرُ الْمَطَرِ^(٩).
أَمَا تُبْصِرُ الشُّهْبَ مِثْلَ الْعَوَى دِ قَدْ نَهَبَ الصَّبْحُ مِنْهَا دُرَّرَ^(١٠)؛

-
- (١) يَسِرُ بِهَا الْخَلِيعُ (الذي لا يبالي بفانون الأخلاق) والمُنْتَبِلُ (الزاهد).
(٢) الشَّبَابُ جَمْعُ شَالٍ (يكسر الثين): الخلق (بضمّ فضم)، الحصلة.
(٢) المهرجان: العبد العظيم (يكون للملوك). البسيطة: وجه الأرض. الحيا: المطر. تَهْلِلُ المطر: انكسب وسال - أزهار الربيع بألوانها وزوانها ثم الزكية الرائحة قلا ما بين الأرض والحجاب.
(٤) القضب جمع قضب: غصن. الأزاهر (الأزهار) تنجلي: تظهر وتفتّح!
(٥) وجه الزمان (٢). حَيِّهِ: ألقى عليه التحية.
(٦) صفاح نقال لوجوه نصال السيوف، وهي هنا: صفحات أو صحاف - إذا جلّت بنظرك في وجه الأرض المملوءة بالنبات والأزهار استطلعت أن تعرف كثيراً من أسرار الوجود (٤).
(٧) الجنّي: الطريّ. السلسل: الماء العذب الصافي (الذي يهمل مروره في الخلق).
(٨) داعي الوتر: صوت الموسيقى. لبّ: أحب. دن (فعل أمر من دان) خضع، جعل الأمر له عادة.
(٩) قطرات المطر جعلت الأزهار تفتّح (فكأنّ الروض كلّ يستفيق من نومه بعد ليل الشتاء).
(١٠) الشهب جمع شهاب: الحجر الصغير المنفلت من مداره حول الأرض والناقط إلى الأرض ينتعل قبضي، حينما يدخل جو الأرض. والتاخر يقصد بالتهيب: التجوم. مثل العقول: تبدو للمعين كأنها جميع يرتبط بعض نجوم كل مجموع منها ببعضها الآخر. قد نهب الصبح منها درر: لما اقترب الصباح خفي عدد من النجوم الضئيلة النور (فكأنّ الصبح قد نهبا أو سرقها).

وَضَمَّ الدُّجَا ذَيْلَهُ خَيْفَةً عَلَيْهِ مِنَ الْبَحْرِ لَمَّا انْفَجَرَ^(١).
 وَرَوْضَتُنَا تُجْثَلِي كَالْعُرُوسِ كَسَاهَا سَنَا الصُّبْحِ مِثْلَ الْحَفَرِ^(٢).
 وَقَدْ نَظَمْتَ مَائِلَاتُ الْفُصُونِ لَأَلْسِيءَ طَلٍ عَلَيْهَا انْتَرَى^(٣)!
 وَقَامَتْ سَمَاءٌ لَنَا دَوْحَةٌ تَطْلُعُ كَالزُّهْرِ فِيهَا الزُّهْرُ^(٤).
 فَحُتَّ الْمُدَامَ وَسَقَى النَّدَامَى وَسَلَّ الْفَرَامَ وَخَلَّ الْفِكْرَ^(٥).
 وَخَالِسَ زَمَانُكَ غَفْلَاتِهِ، فَقَدْ فَازَ بِالْعَيْشِ مَنْ قَدْ جَسَرَ^(٦).

- ٤- ديوان ابن خاقنة الأنصاري... (حققه الدكتور محمد رضوان الداية) دمشق (منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي في الجمهورية العربية السورية) ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م.
 - إيراد (٩) اللآل من اشاد الضوال^(١) (طبع في أوروتة ثم صور في بغداد).
 * تشير فرائد الجان ٣٣١-٣٣٢؛ الإحاطة ١: ٢٤٧-٢٦٧؛ الكنية الكامنة ٢٣٩-٢٤٥؛ نيل الابتهاج ١٧٢؛ نفع الطيب ١: ٢٤، ١٧٥ (نص من مزية المزية)، ٤: ٣٤٦-٣٤٨، ٥: ٣٦٠-٣٦١ (نص من مزية المزية)، ٦: ٢٨-٣٨ (رسائل منه وإليه)، راجع ٢٣٠-٢٣١؛ أزهار الرياض ١: ٢٦٥-٢٦٧، ٣: ٥٤-٥٥، ٢٠٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٣٧؛ بروكلمن ٢: ٣٣٥-٣٣٦، الملحق ٢: ٣٦٩؛ ٢٢٢ ع د ١٧: ٣٥٨؛ الأعلام للزركلي ١: ١٧١-١٧٢ (١٧٦)؛ معجم المؤلفين لكحالة ١٩: ٢.

- (١) ضَمَّ الدُّجَا ذَيْلَهُ: تَقَلَّصَ مِنْ جَوَانِبِ السَّمَاءِ. - خَافَ اللَّيْلُ مِنْ هَبَاجِ الْبَحْرِ فَأَرَادَ أَنْ يَرِيبَ!!
 (٢) يَجْتَلِي النَّاسُ الشَّيْءَ: لِيَنْظُرُوا إِلَيْهِ (لِجَالِهِ). الْخَفَرُ: الْحَيَاءُ. - الرُّوضَةُ لَمْ تَبْرُزْ بِكُلِّ مَا فِيهَا مِنْ جَمَالٍ (لِاسْتِمْرَارِ اللَّيْلِ) فَكَأَنَّهَا خَجَلَةٌ لَا تَبْدِي كُلَّ مَا فِيهَا مِنْ جَمَالٍ.
 (٣) الْمَائِلَاتُ ضِدُّ الْمُسْتَقِمِّ (لِغَلَا: مَائِلَاتُ: التَّحَرُّكَةُ بَيْنًا وَشَأَلًا). الطَّلُ: الْمَطَرُ الْخَفِيفُ. إِنَّ حَبَاتَ مَاءِ الْمَطَرِ الْجَامِدَةِ عَلَى الْأَغْصَانِ (مَنْ أَثَرُ اللَّيْلِ الْبَارِدِ) تَشَبَّهُ اللَّوْلُؤَ.
 (٤) كَانَ فَوْقَنَا دَوْحَةٌ (شَجَرَةٌ كَبِيرَةٌ) وَكَانَتِ الزَّهْرُ (بِضَمِّ الزَّايِ: النُّجُومُ) تَبْدُو مِنْ خِلَالِ أَغْصَانِهَا وَأَوْرَاقِهَا كَالْأَزْهَارِ.
 (٥) حُتَّ الْمُدَامَ (الْخَمْرُ) أَمْرَعُ فِي شَرْبِ الْخَمْرِ. سَقَى (أَكْثَرَ مِنْ إِسْقَاءِ) النَّدَامَى (الَّذِينَ يَشْتَرِكُونَ فِي شَرْبِ الْخَمْرِ). سَلَّ: فَعَلَ أَمْرٌ مِنْ «سَلَّى» (طَلَبَ التَّرْوِيجَ عَنِ النَّفْسِ). خَلَّ الْفِكْرَ: دَعَا التَّفَكُّيرَ فِي هَوَمِ الْحَيَاةِ.
 (٦) خَالِسَ: خَذَ خُلُطَةً (عَلَى غَفْلَةٍ مِنْ غَيْرِكَ). خَالِسَ زَمَانُكَ غَفْلَاتِهِ (إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ أَنْ تَتَالَ سُرُورًا مِنْ دَهْرِكَ إِلَّا إِذَا كَانَ غَافِلًا عَنْكَ). قَدْ فَازَ بِالْعَيْشِ (الطَّيِّبِ) مَنْ جَسَرَ (مَنْ كَانَ جَرِيئًا).

مندیل بن آجروم

١- هو أبو المكارم مَندیل، وأسمه محمد بن محمد بن داوود الصَّهاجي، وهو ابن النحويّ المشهور أبي عبد الله محمد بن محمد بن آجروم (ت ٧٢٣ هـ).

تلقَى مَندیلُ بنُ آجرومَ العلمَ على تَفرِّ كثيرين منهم أثيرُ الدين أبو حيَّان (ت ٧٤٥ هـ) والشيخ الخطيبُ أبو عبد الله القطان المُسفر (ت ٧٤٣ هـ) وقاضي الجماعة في تونس أبو عبد الله محمد بن عبد السلام المُستيري (ت ٧٥٠ هـ)، كما كان قد أخذ قِراءة القرآن عن المُكْتَبِ بنِ برال التونسي.

وحجَّ مَندیلُ بنُ آجروم سَنَةَ ٧٤١ للهجرة ثم كانت وفاته في رابعِ جُمادى الأولى من سَنَةِ ٧٧٣ (١٣٧١/١١/١٤ م).

٢- كان مَندیلُ بنُ آجروم مُقرِّناً للقرآن الكريم ولُغويّاً ونحويّاً وفقيهاً، كما كان أديباً وشاعراً مُجيداً مُكثرّاً، وكانت له براعةٌ خاصّةٌ في اللّغة والأدب، فكان يُقرئ مقامات الحريري كأحسن ما يكون إقراؤها.

٣- مختارات من آثاره:

- قال أبو المكارم مَندیلُ بنُ آجروم في مدينة فاس (نفع الطيب ٧: ١٢٣-١٢٥):

أُثِمّا العارفون قَدَرَ الصُّبُوحُ ، جَدَّدُوا أُنْسًا بِبَابِ الفُتُوحِ^(١) .
حيثُ ثابتٌ مفارقُ اللُّوزِ نَوْرًا وَتاقَطْنَ كاللَّجَينِ الصَّريحِ^(٢) .
وكانَ الذي تاقَطَ منه شَفَقًا مَرَقَتُهُ أَيْدِي الرِّيحِ .
ثم حُطُّوا رِحَالُكُمْ فَوْقَ نَهْرٍ كَلَّ في وَصْفِهِ لِبَانُ الفَصيحِ^(٣) ؛

(١) الصُّبُوحُ: شرب الخمر صباحاً. باب الفُتُوح أحد أبواب مدينة فاس، ويبدو أنه قد كان عنده جناح يقصدها الناس للزَّمة واللَّهو.

(٢) النور: الزهر الأبيض. اللجين: اللينة.

(٣) كل: تمب، عجز.

فوق حافاتِه حدائقُ خُضْرَ
وكانَ الطيورَ فيها قِيانَ
وهي تدعوكمُ إلى قُبَّةِ الجَوْ
فيه ما تشتهون من كلِّ نَوْرٍ
وغصونٍ تهيج رقصاً إذا ما
فأجيبوا دُعاءَها، أئِها الرُّ
واجنحوا للمُجونِ فهو جديرٌ
واخلعوا ثمَّ للتصايي عِذاراً،
تَنيرُ الشمسُ ثمَّ كلُّ غُدُوٍّ
فانفضوا، أئِها المُجِونَ، مثلي
هكذا يُرَبِّحُ الزَّمانُ، وإلَّا

ليس عنها لعاشقٍ مِنْ نُزوحِ.
هفتتُ بين أعجمٍ وفصيح^(١)،
ز: هَلَمَّوا إلى مكانٍ مليح^(٢).
مُغْلَقٍ في الكِيامِ أو مفتوح^(٣)،
سَمِعْتُ صوتَ كلِّ طيرٍ صَدوح^(٤).
بُ، واخلَوْا مَقالَ كلِّ نَصيح^(٥).
وخلِيقٌ مِنْ مِثْلِكُمْ بالجنوح^(٦).
إِنَّ خَلَعَ العِذارُ غيرَ قبيح^(٧).
زَعْفَراناً مُبْلَلاً بِنُضوح^(٨).
لنرى ذاتَ حُسنِها الملموحِ.
كُلُّ عيشٍ سواه غيرُ رَبيع^(٩).

- قال أبو المكارم مَندِيلُ بْنُ آجروم (نفع الطيب (٢: ١٩٤ - ١٩٥):

حدَّثني مَنْ يُوثَقُ بقوله أَنَّ أبا اسحاقَ الطُّوبَجِيَّ كانت وفاته يومَ الاثنين ٢٧ جُمادى
الأخيرة سنة ٧٤٧ بتَبْكُمُو موضعٍ بالصحراء من عُمالَةِ مالي، رَحِمَهُ اللهُ. ثُمَّ ضَبَطَ
الطُّوبَجِيَّ بكسر الجيم. قال: وبذلك ضَبَطَهُ بِحَظِّ يَدِهِ، رَحِمَهُ اللهُ. قال: وَمَنْ نَسَبَهُ
للساحلي، فَإِنَّهُ نَسَبَهُ لِجَدِّهِ لِلأَمِّ. انتهى.

٤-★★ نيل الابتهاج ٣٤٧؛ نفع الطيب ٢: ١٩٤-١٩٥، ٥: ٤١٨، ٧: ١٢٣-١٢٥.

- (١) الفينة (بالفتح): المرأة الجميلة الغنية. هتف: رفع صوته. الأعجم الذي لا يفهم العرب كلامه.
- (٢) قبة الجوز...
- (٣) الكيام: الكأس (الأوراق الخضراء) التي تحيط بالزهرة قبل أن تفتح الزهرة.
- (٤) الصدوح: دو الصوت المطرب.
- (٥) السرب: الجماعة السائرة معاً.
- (٦) المجون: قلة المبالاة بالعرف الاجتماعي مع الانتماس في اللهو أحياناً. جنح: مال.
- (٧) الغدو: التكبر في السعي (في الصباح). النضوح: رش الماء على الأشياء.
- (٨) العذار: الرس، اللجام. خلع العذار كناية عن ترك الحياء في أتيان المحارم.
- (٩) بريح الزمان: تحصل منه استفادة للإنسان. الريح: ما فيه ریح (يقال: غارة ربيحة).

أبو البركات بن الحاج البليقي*

١- هو أبو البركات محمد بن محمد بن إبراهيم بن الشيخ الولي أبي إسحاق^(١) بن الحاج السلمي^(٢) البليقي^(٣)، وُلِدَ في المَرِيَّة سنة ٦٨٠ هـ (١٢٨١ - ١٢٨٢ م)، وبدأ تعلّمه فيها وفي إشبيلية. ثم إنّه انتقل إلى المغرب وقرأ في بجاية على قاضي الجماعة أبي منصور أحمد بن عبد الحق الشذالي (ت ٧٣١ هـ) ثم ذهب إلى مراكش وبعدئذ استقر في سبتة. ثم إنّه عاد إلى الأندلس ونزل في مالقة وأخذ عن القاضي أبي عبد الله محمد بن أحمد الطنجالي.

وفي سنة ٧٣٥ هـ تولى أبو البركات البليقي القضاء في مالقة، ثم تولى القضاء والخُطبة في المَرِيَّة ثم قضاء الجماعة في غرناطة ثم في المَرِيَّة ثانية. ثم أعيد إلى قضاء غرناطة. وفي هذه الأثناء كان يقوم بالسفارة بين الملوك (في الأندلس والمغرب). وفي أواخر أيامه استغنى من جميع المناصب. وكانت وفاته في المَرِيَّة، في رمضان^(٤) من سنة ٧٧٣ (صيف ١٣٧٢ م).

٢- كان أبو البركات بن الحاج البليقي رجلاً صالحاً ثراعي الخلق الكريم في أقواله وأفعاله (كما سرى في قصيدته الحاثية). وقد عَمِلَ في بناء الآبار وبنى فيها بنفسه وبماله، وكان يقول (في شعره) إِنَّ النَّاسَ لَا يَعْرِفُونَ مَا فِي ذَلِكَ مِنَ اللَّذَّةِ الصَّحِيحَةِ وَمِنَ الشُّعُورِ بِالْخَيْرِ فِي النَّفْسِ. وكان له شعرٌ ونثرٌ، وأغراضه وُجْدانية أبرزها العُصْرُ الصوفي. غير أنّه كان لا يقبلُ الخرافات التي تُروى عن نَفَرٍ من رجال التصوّف (خرقَ القوانين الطبيعية والتوسّط بين الله وعباده). وكان مُصَنِّفاً له من الكتب: أسماء

(*) هو غير أبي عبد الله محمد بن محمد بن الحاج المبدري القاسي الفقيه المتصوّف المتوفى سنة ٧٣٧ للهجرة (الدياج المذهب ٣٢٧ - ٣٢٨).

(١) كان أبو إسحاق هذا من كبار المتصوّفة، وكان قبره في مراكش مشهوراً يزار (نفع الطيب ٥: ٤٧٤).

(٢) نسبة إلى بني سليم (بضمّ الهمزة). وقيل إنّه من نسل العباس بن مرداس الصحابي الشاعر (ت ١٨ هـ).

(٣) بلغني حصن قرب المرية. وهي بفتح الباء وسكون اللام (المرقبة العليا ٢٣٦).

(٤) في المرقبة العليا، رمضان سنة ٧٧٣ (ص ١٦٦). وفي نفع الطيب (٥: ٤٨٧) أنّ وفاته كانت في شوال، سنة ٧٧١.

الكتب والتعريفُ بمؤلفيها (على حروف المعجم) - الإفصاح فيمن عُرِفَ بالأندلس بالصِّلَاح (في عدد من رجال التصوف) - مُشْتَبِهَاتُ مُصْطَلَحَاتِ الْعُلُوم - الْمُؤْتَمَنُ فِي أُنْبَاءِ مَنْ لَقِيَتْهُ مِنْ أُنْبَاءِ الزَّمَنِ - الْعَذْبُ وَالْأَجَاجُ مِنْ كَلَامِ أَبِي الْبَرَكَاتِ بْنِ الْحَاجِّ (ديوان شعره) - وَقَدْ يَكْبُو الْجَوَادُ فِي غُلْطَةِ أَرْبَعِينَ مِنَ النَّقَادِ^(٥) - تَارِيخُ الْمَرِيَّةِ - الْعَلَنُ فِي أُنْبَاءِ أُنْبَاءِ الزَّمَنِ - سُلُوكُ الْخَاطِرِ - شِعْرٌ مَنْ لَا شِعْرَ لَهُ (أَيُّ مَنْ لَمْ يَشْهَرَ بِالشَّعْرِ) الْخ.

٣- مختارات من آثاره

- قال أبو البركات بن الحاج البليقي:

يَأْسَى شُجُونَ حَدِيثِي الْإِفْصَاحُ	إِذْ لَا تَقُومُ بِشَرْحِهِ الْأُلُوحُ ^(١) .
قَالَتْ صَفِيَّةٌ، عِنْدَمَا مَرَّتْ بِهَا	إِبْلِي: أَتَنْزِلُ سَاعَةً تَرْتَاحُ ^(٢) ؟
فَأَجَبْتُهَا: لَوْلَا الرَّقِيبُ لَكَانَ لِي	مَا تَبْتَغِي بَعْدَ الْغَدَوِّ رَوَاحُ ^(٣) !
قَالَتْ: وَهَلْ فِي الْحَيِّ حَيٌّ غَيْرُنَا؟	فَاسْمَحْ - فَدَيْتُكَ - فَالسَّاحُ رَبَاح.
فَأَجَبْتُهَا: إِنَّ الرَّقِيبَ هُوَ الْكَ	يَبْدِيهِ - مِنَّا - هَذِهِ الْأُرُوحُ ^(٤) ؛
وَهُوَ الشَّهِيدُ عَلَى مَوَارِدِ عَبْدِهِ،	سَيَّانٍ مَا الْإِخْفَاءُ وَالْإِفْصَاحُ ^(٥) .
قَالَتْ: وَأَيْنَ يَكُونُ جُودُ اللَّهِ إِذْ	يُخْشَى؟ وَمَنْهُ هَذِهِ الْأَفْرَاح.
فَافْرَحْ عَلَى اسْمِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ،	وَاشْطَحْ فَتَشَوَّانُ الْهُوَى شَطَّاحُ ^(٥) .
وَارْهَجْ عَلَى ذِمِّهِ الرِّجَالُ وَلَا تَخَفْ،	فَالْحِلْمُ رَحْبٌ وَالتَّوَالُ مُبَاحُ ^(٦) .

(١) الشجون (يفتح ففتح): الفصل. الحديث شجون (مشتحب، وله أصول غامضة).

(٢) صفة اسم فتاة، كناية عن محبوبة مثالية (في هذه الأبيات قرائن صوفية).

(٣) تبغى (خطأ) صوابه: تبغين. بعد الغدو (الجهي في الصباح) رواح (رجوع في المساء).

(٤) الرقيب (راجع البيت الثالث أيضاً هو (ها) الله!

(٥) الشهيد: الشاهد، الحاضر. المورد: مكان الشرب (كناية عما يفعله الإنسان).

(٥) الشطح كلمة عليها رجوة (لفظ قبيح ومعنى سلم). قتل محبي الدين بن عربي لأنه شطح أمام الناس

فقال: أنتم وما تعبدون تحت قدمي (يقصد أنكم تعبدون «المال»).

(٦) في القاموس: أرهج (مزید بالهمزة): أثار غبار الحرب، طرب للحرب، أثار الفتنة. الذمة: العهد....

(٤). التوال: المطاء.

وانزل على حكم السرور ولا تبك،
واخلع عذارك في الخلاعة، يا أخي،
وانظر إلى هذا النهار، فيه
لا تغذل الدنيا على تلويها،
فأجبتها: لو كنت عالمة الذي
من كل معنى غامض من أجله
حتى لقد سكرت من الأمر الذي
لغذرتني وعلمت أنني طالب
فاترك صفيك قارعا باب الرضا،
يا أخت، حي على الفلاح وخلي،
فالوقت صاف ما عليك جناح^(١).
باسم الذي دارت به الأقداح^(٢).
ضحكت ونور جبينه وضاح.
فليلها بعد الماء صباح.
يسدو لتاركها وما يلتاح^(٣)
قد ساء قوم في الجبال وناحوا^(٤)،
هاموا به عند العيان فباحوا
ما الزهد في الدنيا له مفتاح^(٥).
والله جل جلاله الفتاح *
فجاءتني حنوا المطي وراحوا * !

- وللبلقيتي مقطعات في الشكوى من كل شيء. من هذه المقطعات:

* قالوا: تعربت عن أهل وعن وطني.
مضى الأحيى والأهلون كلهم،
أفرغت حزني ودمعي بعدهم، فأنا
* * * قد كنت مغروراً بوعظي وما
من حيث قد أملت إصلاحهم
فلم أجذ للناس أوعظ من

فقلت: لم يبق لي أهل ولا وطن؛
وليس بعدهم سكنى ولا سكن^(١).
من بعد ذلك لا دمع ولا حزن!
أبث من علمي بين البشر،
بالوعظ والعلم، فخان النظر.
أصوات وعاط جلود البقر^(٢)!

(١) لا تبك (غلطة مشهورة في «لا تبال»): لا تهتم. الجناح: الذنب.

(٢) باسم الذي..... باسم الله (٤).

(٣) يلتاح: يعطش. يتغير (٤).

(٤) ناح: بكى (٤).

(٥) ما: ذلك الذي (مفعول به من «طالب»).

(*) «فاترك» (في البيت الأول) ثم «حي» و«حلي» (في البيت الثاني) أفعال أمر للمفرد المذكور على التجريد (مخاطبة الشاعر نفسه)، برغم وجود «يا أخت» (في البيت الثاني).

(٦) السكى: المسكن (المزبل). السكى: الزوجة.

(٧) وعاط جلود البقر (٤).

** يا مَنْ إِذَا مَا رُمْتُ تَوَدِّعَهُ ، وَدَعْتُ قَلْبِي قَبْلَ ذَاكَ الْوَدَاعَ .
 فَأَتَرَكُ التَّوَدِّيعَ عَمْدًا لَكَيَّ أَعْلَلُ النَّفْسَ بِيَعُضِ الْخَدَاعِ ^(١) .
 يا مَحْنَةَ النَّفْسِ بِأَلْوَفِّهَا ، مِنْ أَجْلِهَا قَدْ جَاءَ هَذَا الصَّرَاغُ ^(٢) .
 ** رَعَى اللَّهُ إِخْوَانَ الْخِيَانَةِ إِنَّهُمْ كَفَوْنَا مَوُونَاتِ الْبَقَاءِ عَلَى الْعَهْدِ .
 وَلَوْ قَدْ وَفَّوْا كُنَّا أَسَارَى حُقُوقِهِمْ نَرَاوُحُ مَا بَيْنَ النِّسِيَةِ وَالْحِقْدِ ^(٣) .

- وفي سنة ٧٥١ هـ (١٣٥٠ م) اتَّفَقَ أَنَّ أَبَا الْبَرَكَاتِ بْنَ الْحَاجِّ الْبَلْفَيْقِيَّ رَأَى تَطْلِيقَ امْرَأَتِهِ - لِسَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ ^(١) - فَأَوْقَعَ عَلَيْهَا طَلَقَةً وَاحِدَةً ^(٢) وَكُتِبَ ذَلِكَ فِي نُسْخَةٍ ^(٣) نَصَّهَا :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ . يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ ^(١) الرَّاجِي رَحْمَتَهُ مُحَمَّدٌ الْمَدْعُوُّ بِأَبِي الْبَرَكَاتِ ابْنِ الْحَاجِّ خَارَ اللَّهُ لَهُ ^(٢) وَلَطَفَ بِهِ :
 إِنَّ اللَّهَ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ لَمَّا أَنشَأَ خَلْقَهُ عَلَى طِبَائِعٍ مَخْتَلِفَةٍ وَغَرَائِزَ شَتَّى - فَبَيْنَهُمُ السَّخِيُّ وَالْبَخِيلُ ، وَالشُّجَاعُ وَالْجَبَانُ ، وَالْفَيِّى وَالْفَطْنُ ، وَالْكَيْسُ وَالْعَاجِزُ ، وَالْمُسَامِحُ وَالْمُنَاقِشُ ، وَالتَّكْبَرُ وَالْتَوَاضِعُ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الصِّغَاتِ الْمَعْرُوفَةِ مِنَ الْخَلْقِ - كَانَتْ الْعُثْرَةُ لَا

- (١) ... يبعض الخداع: بأنهم لم يوافقوا ، لم يرحلوا .
- (٢) الصراع في نفس الإنسان قائم لأنه لا يستطيع تغيير شيء قد ألَّفه . السيئة : الدين لأجل (تسدين مملوفاً وتعد وفائه بعد مدة) .
- (٣) لو وفوا (بفتح الفاء) لوجب علينا لهم حق بأن نحازهم على وفائهم في المستقبل . فإذا لم نفعل حضدوا (بفتح الغاف) علينا .
- (٤) لا مد في الطلاق في الإسلام من سبب شرعي . وقد ذكر أبو البركات هذا السبب في الصك الذي سجله على نفسه ونسب الغيب في ذلك إلى نفسه لا إلى امرأته .
- (٥) في الإسلام يحق للسلم أن يطلق امرأته ثلاث مرات وأن يتردها مرتين ، ولا يجوز استردادها بعد الطلقة الثالثة (بعد المرة الثالثة) . قال الله تعالى (٢ : ٢٢٩ سورة البقرة) : ﴿الطلاق مرتان ، فإمساك (بمدها) بمعروف أو تسريح بإحسان﴾ .
- (٦) الطلاق يجب أن يكون بصك مكتوب (أو يشهد من القاضي) . ويحس الإيصاد على هذا الصك عند أهل السنة ، ويجب الإيصاد عليه عند الشيعة والدروز .
- (٧) كل مسلم هو عبد الله . قال عبد الله المحجَّاج بن يوسف ... قال عبد الله عبد الملك بن مروان ... قال عبد الله عبد الله بن الزبير ... الخ .
- (٨) أراد له الخير .

تستمر بينهم إلا بأحد أمرين: إما بالاشتراك بالصفات أو في بعضها وإما بصبر أحدهما على صاحبه إذا عُدِمَ الاشتراك. ولما عِلِمَ الشارع^(١) أن بني آدم على هذا الوضع شرع لهم الطلاق ليستريح إليه من عيل صبره^(٢) على صاحبه توسعة وإحساناً منه إليهم^(٣). فلأجل العمل على هذا طلق كاتب هذا عبد الله محمد المذكور زوجته الحرة العريية المصونة عائشة ابنة الشيخ الوزير الحبيب النزيه الأصيل الصالح الفاضل الطاهر المقدس المرحوم أبي عبد الله محمد المغيلي طلقته واحدة- ملكت بها أمرها دونه^(٤) - عارفاً قدره. قصد بذلك إراحته من عشرته^(٥)، طالباً من الله أن يغني كلاً من سعيه^(٦)، مُشهداً بذلك على نفسه^(٧) في صحته وجواز أمره^(٨)، يوم الثلاثاء أول يوم من شهر ربيع الثاني عام أحد وخسين وسبع مائة^(٩).

- وقال يُنكر أن يكون الرجال الصالحون ممن يأوي إلى الجبال هرباً من الناس (زعماً بأنهم متصوفون):

زَعَمُوا أَن فِي الْجِبَالِ رِجَالاً صَالِحِينَ - قَالُوا - مِنَ الْأَبْدَالِ^(١٠).
وَأَدَّعَوْا أَنَّ كُلَّ مَنْ سَاحَ فِيهَا فَسَلَقَاهُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

- (١) الشارع هو الله تعالى.
- (٢) مباح الطلاق في الإسلام إذا استحال على الزوجين أن يستمرا في بناء أسرة سليمة سعيدة ثم خيف استمرار شقاقها ونزاعها. قال الله تعالى (٤: ٣٤ سورة النساء): ﴿وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها، إن يريدوا إصلاحاً يوفق الله بينهما﴾ (وإلا فيكون الطلاق مباحاً).
- (٣) توسعة من الله على الناس (حتى لا يمشي الزوجان والأسرة معها في نكد مستمر).
- (٤) أي أنه لا يستطيع زواجها بعد ذلك إلا برضاها.
- (٥) نسب هنا سوء العشرة إلى نفسه هو (وهذا غاية في الإحسان والخلق الكريم).
- (٦) هذا من قوله تعالى (٤: ١٢٩ سورة النساء): ﴿وإن يتفرقا يُغن الله كلاً من فضله﴾.
- (٧) الإشهاد على صك الطلاق (الحاشية ٦، ص ٥٠١).
- (٨) لا يجوز للسلم تطليق امرأته في مرض الموت أو في مرض يضيق منه الخلق أو في ثورة من الغضب أو في حال السكر (وإن فعل ذلك لا يقع طلاقه: لا يصح).
- (٩) ١٣٥٠/٦/٨ م.
- (١٠) الأبدال جمع بدل (يفتح ففتح أو بكسر فسكون) وبديل: والأبدال (في الصوفية) طبقة تلي طبقة الأعقاب الأربعة، ولا يخلو العالم عند الصوفية في زمن من الأزمان من واحد منهم (لأنهم الصلة بين الله وخلقه).

فاخترَقْنَا تلكَ الجبالَ مراراً
 ما رأينا بها خلافَ الأفاعي
 وسباعٍ يَجْرُونَ بالليلِ عَدَواً؛
 وَلَوْ أَنَا كُنَّا لَدَى العُدْوَةِ الأخِ
 وإذا أَظْلَمَ الدُّجَى جاءَ إبلي
 هو كان الأنيَسَ فيها، ولولا
 خَلَّ عَنْكَ المُحَالُ، يا مَنْ تَعَنَّى.
 يَنعَالِ طَوْرًا ودُونَ نَعَالِ،
 وشَبَا عَقْرَبٍ كَيْشَلِ النَّبَالِ^(١)،
 لا تَسْأَلُنِي عَنْهُمْ بِتِلْكَ اللَّيَالِي^(٢).
 رى رأينا نَوَاجِدَ الرُّبَالِ^(٣).
 سُنْ إلينا يَزُورُ طَيْفَ خِيَالِ^(٤).
 هُ أَصِيبَتْ عُقُولُنَا بِالْجَبَالِ^(٥).
 لَيْسَ يَلْقَى الرِّجَالُ غَيْرَ الرِّجَالِ^(٦)!

٤- ** المرقبة العليا ١٦٤-١٦٧؛ الإحاطة ٢: ١٠١-١٢١؛ الكنية الكاشة
 ١٢٧-١٣٤؛ الديباج المذهب ٢٩١-٢٩٥ (٣٢٣-٣٢٨)؛ تفح الطيب ٤:
 ١٥٣، ٥: ٤٧١-٤٨٧، ٦: ٣٨، ٨٨، ٢٦٦، ٤٨٢؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٦٩
 (٣٩).

لسان الدين بن الخطيب

١- هُوَ لِسَانُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
 سعيد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد السَّلْمَانِي، نِسْبَةً إِلَى سَلْمَانَ وَهُوَ مَوْضِعٌ فِي الْيَمَنِ؛ وَقَدْ
 جَاءَ أَهْلُهُ عَقِبَ الْفَتْحِ وَاسْتَقَرُوا فِي قُرْبَةِ ثُمَّ انْتَقَلُوا، بَعْدَ وَقْعَةِ الرَّيْضِ (رَاجِعِ فَوْقَ)،
 ص ٤: ٨٩) إِلَى طَلَيْطَلَةَ. وَلَمَّا اشْتَدَّ خَطَرُ النِّصَارِيِّ عَلَى طَلَيْطَلَةَ، فِي مُتَنَصِّفِ الْقَرْنِ

(١) الشبا جمع شاة: إبرة المغرب التي تلصق المغرب بها.

(٢) السبع (يفتح فضع): كل حيوان يأكل اللحم.

(٣) العدو: أرض إفريقية. النواجد جمع ناجد: الضرس. الرئبال: الأسد.

(٤) كأنه طيف خيال (منام).

(٥) الخيال: الجنون.

(٦) المحال: المستحيل (الذي لا يتحقق في الواقع). تعنى: أنتمب نفسه (يطلب المنحيلات). ليس يلقي

الرجال.... إِنَّ الرِّجَالَ مِنَ النَّاسِ لَا يَرُونَ إِلَّا رِجَالًا آخَرِينَ مِنَ النَّاسِ (وَلَا يَصْرُونَ الْمَلَانِكَةَ
 وَالشَّيَاطِينَ).

الميجري الخامس ، انتقلوا (في أيام جدّة سعيد) إلى لوشة ، وكانت مدينة كبيرة على نحو سبعين كيلومتراً غرب غرناطة . وكان سعيدٌ هذا عالماً ورعاً فجعل يُلقِي دروسه ومواعظه في لوشة عند بُرجٍ لهم على مَقَرَّةٍ من أملاكهم فَعَرَفَتِ الأسرةُ باسم آل الخطيب بعد أن كانت تُعرَفُ بِآل الوزير . وكان والدُ ابن الخطيب في خِدْمَةِ بني نصر في ديوان الإنشاء .

وُلِدَ لِسَانُ الدِّينِ بْنُ الْخَطِيبِ في ٢٥ من رَجَبٍ من سَنَةِ ٧١٣ (١٣١٣/١١/١٦ م) في مدينة لُوشة ونشأ فيها وفي غرناطة . ولقد تَلَقَّى علومه في غرناطة على نَفَرٍ منهم: الوزيرُ أبو الحسن عليُّ بن الجيّاب (ت ٧٤٩ هـ) ، وأبو عبد الله محمدُ بنُ الفخار الإلبيريُّ النحوي (ت ٧٥٤ هـ) ، والمحدثُ أبو القاسم محمدُ بنُ أحمد الحسنيُّ السبتي التلمساني (ت ٧٦٠ هـ) ، والقاضي أبو البركاتِ محمدُ بنُ محمد بن الحاجِّ البُلْفِيقي (ت ٧٧١ هـ) ، والمحدثُ الفقيه أبو عبد الله محمدُ بنُ محمد بن مرزوقِ التلمساني (ت ٧٨١ هـ) وكان قد وَقَدَ على غرناطة ، سنة ٧٥٣ هـ ، وعيّنَ خطيباً لمسجدِ الحمراء فتصدّر فيه للتدريس . وكان من شيوخه أيضاً شمسُ الدين بنُ جابرِ الوادي آشي والطبيبُ الفيلسوفُ أبو زكريّا يحيى بن هذيل .

وفي سنة ٧٤١ هـ (١٣٤٠ - ١٣٤١ م) تُوَفِّيَ والدُ ابن الخطيب فحلَّ هو مكانه في ديوان الإنشاء كاتباً لأستاذه أبي الحسن بن الجيّاب وزيرِ السلطان أبي الحجاج يوسف الأول النّيكار (٧٣٣ - ٧٥٥ هـ) . وفي سنة ٧٤٩ هـ (١٣٤٩ م) تُوَفِّيَ ابن الجيّاب في الطاعون الجارفِ فَخَلَفَهُ لِسَانُ الدِّينِ في الوزارة ورئاسة ديوان الإنشاء (وكان رئيسُ الوزارة أو الحاجبُ أبو نعيمِ رِضْوَانُ) . ولما قُتِلَ أبو الحجاج وخَلَفَهُ ابنه محمدُ (الخامس) الغني بالله ، سنة ٧٥٥ هـ (١٣٥٤ م) استمرَّ رِضْوَانُ في الحِجَابَةِ وَلِسَانُ الدِّينِ في الوزارة .

وسَفَرَ لِسَانُ الدِّينِ للغني بالله إلى السلطان المريني أبي عَنانٍ فارسِ المتوكّل على الله (٧٤٩ - ٧٥٩ هـ) تأكيداً للمودّة واستنجاداً على الطاغية مَلِكِ قَسَالَة . وعظمت ثمة الغني بالله في لِسَانِ الدِّينِ فَلَقَبَهُ « ذا الوزارتين » .

وفي ٢٨ من رَمَضانَ من سنة ٧٦٠ خَلَعَ الغني بالله وَقَتَلَ الحاجبُ رِضْوَانُ فَرَّ

الغني بالله إلى فاس ونَزَلَ على السلطان أبي سالم إبراهيم بن علي. ومع أن لسان الدين جعل يُصانع السلطان الجديد إسماعيل (الثاني) بن يوسف (٧٦٠-٧٦٦ هـ) فإن السلطان الجديد لم يطمئن إليه فما عثم، بتحريض ممن حوله، أن نكبه وصادر أمواله وأملاكه. غير أن لسان الدين استطاع الهرب فلجأ إلى فاس أيضاً والتقى في بلاط فاس المريني بـابن خلدون.

وفي منتصف سنة ٧٦٣ هـ (١٣٦١ م) استطاع الغني بالله أن يعود إلى غرناطة ويسترد ملكه فاستدعى لسان الدين من فاس وردّه إلى الوزارة فملت مكانته من جديد وعظم نفوذه.

وغاظ ذلك الخصوم والحساد كالوزير الشاعر ابن زمرك تلميذ لسان الدين وكقاضي الجماعة في غرناطة أبي الحسن علي بن عبد الله الجذامي المالقي البهاقي (٧١٣- نحو ٧٩٨ هـ) فجعلوا يحرضون الغني بالله عليه يتهمونه بالانحراف في ولاته وبالإلحاد. وأدرك لسان الدين أن من الأسلم مبارحة الأندلس قبل قوات الأوان فاستأذن بالذهاب إلى الحج ثم ذهب إلى فاس.

وزاد الخصوم والحساد في تحريض الغني بالله على لسان الدين فأحرقت كتب لسان الدين في غرناطة، في منتصف سنة ٧٧٣ هـ (١٣٧٢ م) ثم كتب الغني بالله إلى السلطان المريني أبي فارس عبد العزيز المستنصر بن علي بأن يقبض على لسان الدين ويُعذبه. فلم يلتفت عبد العزيز لهذا الطلب.

وفي ربيع الثاني من سنة ٧٧٤ (١٣٧٣ م) توفي عبد العزيز وخلفه ابنه أبو زيان محمد السعيد، وكان طفلاً صغيراً. فباعت الأحوال بين بني الأحمر وبين بني مرين فقام بنو الأحمر بقتنة في المغرب ذهبت بمحمد السعيد وجاءت بأبي العباس أحمد المستنصر بن إبراهيم، في السادس من المحرم من ٧٧٦ (١٣٧٤/٦/١٧ م). وعلى الأثر جاء ابن زمرك * إلى فاس يطالب أبا العباس أحمد بمن الوصول إلى العرش على ما كان قد جرى الاتفاق بشأن لسان الدين. فحوكم لسان الدين محاكمة صورية وألقي في السجن. ودخل عليه قوم من الرعاع قتلوه في سجنه، (أوائل ٧٧٦ هـ = أواسط ١٣٧٤ م).

* زمرك (متنح الراي والميم أو بضما).

٢- كان لسان الدين ابن الخطيب رجلاً مُتعدّد نواحي الشخصية واسع الثقافة مُحيطاً بوجوه كثيرة من فنون عصره بارع التعبير عن كلّ موضوع يتناوله حتّى إنّه كشف أنوار كثيرين من الذين عاصروه. وبرّع في الفلسفة والسّياسة والطّب، وأمّا في التاريخ فكان مؤرّخ عصره بلا مُنازع.

ثمّ هو أديب ناثر ومُترسّل وشاعرٌ مقتدرٌ، وهو مُكثّرٌ مِنَ النّـتـاج في النثر وفي الشعر. غير أنّه كثيرُ التكلّف في النثر والشعر ممّا يدلّ على مقدرة في الفنّين تجعل أسلوبه فيهما قوياً مُرصّماً فخماً، ولكنّ سلبه كثيراً من الطّلاوة. وعلى كلّ فإنّ أدبه أعظم قيمة في مادّته وفي خصائصه المعنوية. وسنستطيع أن نرفع شأن النّـتـاج الأدبيّ لسان الدين إذا نحنُ نظرنا إليه على أنّه صورةٌ صحيحة أمانة للعصر الذي عاش فيه. فمِنْ شعره الجميل ذي العاطفة والأثر في النفوس قوله لما جاء سفيراً إلى أيّ عِنانٍ يستجده على الطاغية ملك قنطالة (فتح الطيب ٥ : ٩٨-٩٩):

خليفة الله، ساعد القدر	علاك ما لاح في الدجى قمر؛
ودافعت عنك كف قدرته	ما ليس يستطيع دفعه الشر.
وجّهك في النائبات بدر دجى	لنا، وفي المحل كمك المطر ^(١) .
والناس طرّاً بأرض أندلس	لولاك ما أوطنوا ولا عمروا ^(٢) .
وجُملة الأمر أنه وطن	في غير عليك ما له وطـر.
ومن به- مذ وصلت حبـلهم-	ما جحدوا نعمة ولا كفروا.
وقد أهنتهم بأنفسهم	فوجهوني إليك وانتظروا!

ولسان الدين بن الخطيب مُصنّف خصب له كُتب قيمة منها: الحلل المرقومة (=رقم الحلل في نظم الدول)؛ تاريخ منظوم شعراً للملوك المشرق والمغرب والأندلس يتخلّله

(١) المحل: القحط، الجفاف (حين لا تثبت الأرض شيئاً).

(٢) طرّاً: جعباً. أوطن الرجل المكان: اتخذهُ وطناً. عمر الرجل الأرض: سكنها، وعمر الرجل الدار: بناها.

شروحُ نثراً - اللوحة البدرية في الدولة النصرية (مختصر لتاريخ بني نصر في غرناطة حتى سنة ٧٦٥هـ) - الإحاطة في أخبار غرناطة - أعمال الأعلام في من بُويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام - التاج المجلّى في مساجلة القُدح المُلغى (تاريخ مملكة بني نصر) - نفاضة الجراب في علالة الاغتراب (أخباره ووصف أحواله في أثناء منفاه بالمغرب) - خَطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف (رحلة في مدن الأندلس) - مُقنعة السائل عن المرض الهائل (وصف الطاعون الجارف الذي كان سنة ٧٤٩هـ = ١٣٤٨م) - رِيحانة الكتاب ونُجعة المتنّب (ملخصات من عدد من كتبه ثم من عدد من الرسائل) - مِغيار الاختيار في ذكر المشاهد والديار (....) المعاهد والآثار) - السُحر والشُعر (مختارات من شعر شعراء المشرق وشعراء الأندلس) - الكُتبية الكامنة في من لقيته بالأندلس من شعراء المائة الثامنة - كُتاسة الدُكّان بعد انتقال السكّان (رسائل متبادلة بين السلطان أبي الحجاج يوسف ملك غرناطة والسلطان أبي عنان المريني) - مفاضلة (مفاخرة) بين مالفّة وسلّا - طُرفة العصر في تاريخ دولة بني نصر (مختصر اللوحة البدرية) - الإكليل الزاهر في من فصل (٩) عند نظم التاج والجواهر (وهو تكملة لكتاب المجلّى) - كتاب عمل من طبّ لمن حبّ (في الطب) - الوصول لحفظ الصحة في الفصول (في الطبّ والحِمْية، إلخ) - بستان الدول (كتاب في السياسة والحرب والقضاء وطبقات المجتمع، لم يتم) - دُرة التنزيل وغُرة التأويل - المباخر الطيّبة في المفاخر الخطيبية (ترجمة حياته) - الدُرر الفاخرة واللُّجج الزاخرة (مجموع شعر أستاذاه أبي جعفر بن صفوان) - مجموع من شعر ابن الجيّاب - مجموعة من مُوشحات أُمّة التوشيح بالأندلس - عائد الصلّة (تتمّة لكتاب الصلّة لابن الزبير) - ديوان شعره .

٣ - مختارات من آثاره:

- موشحة لسان الدين بن الخطيب المشهورة، وهي معارضة لموشحة ابن سهل الأندلسي راجع ص ١٧٤؛ ثم راجع آخر هذه الموشحة):
جادك الفَيْثُ، إذا الفَيْثُ هَمِي، يا زمان الوصل بالأندلس .

لم يكن وصلوك إلا حلماً في الكرى أو خلسة المختلس!

إذ يقود الدهر أشتات المنى - ينقل الخطو على ما ترسيم^(١) -
زمرّاً بين فرادى وثنا، مثلما يدعو الوفود المومس^(٢).
والحيا قد جلل الروض ساء، فتغور الروض عنه تبسم^(٣).
وروى الثمنان عن ماء السماء، كيف يروي مالك عن أنس^(٤)!
فكماه الحنن ثوباً مغلماً يزدهي منه بأهسى ملبس^(٥).

في ليالٍ كمت سر الهوى في الدجى لولا شمس الغر^(٦).
مال نجم الكأس فيها وهوى مستقيم السير سعد الأثر^(٧).
وطرّ ما فيه من عيب سوى أنه مرّ كلمح البصر.
حين لذّ الأنس فيه، أو كما هجم الصبح هجوم الحرس.
غارت الثهب بنا، أو ربّما أثرت فينا عيون الترجس^(٨).

أي شيء لا مرء قد خلاصا فيكون الروض قد مكّن فيه^(٩)؟
تنهب الأزهار فيه الفرصا أينست من مكروه ما تنقيه^(١٠).

(١) يفعل ما تنتهي نحو.

(٢) الموسم: العيد، المناسبة التي يجتمع فيها الناس.

(٣) الحيا: المطر. ساء: ضياء، بهاء، جلال.

(٤) الثمنان: شقائق الثمنان (زهر بري أحمر). الثمنان: أحد ملوك الحيرة. ماء السماء: المطر. ماء السماء: ماوية أم المنذر الثالث ملك الحيرة أحد أسلاف الثمنان المذكور. مالك فقيه عظيم مشهور هو صاحب المذهب المالكي. أنس: والد مالك، وكان خادماً لرسول الله ولم يكن له شيء من علم ابنه مالك.

(٥) مزين، مزخرف.

(٦) الغر جمع غرة بضم الغين: القصة (بضم القاف): الشعر في مقدمة الجبهة.

(٧) نجم الكأس: الحبيب الذي يطفو على كأس الخمر. مال نجم الكأس: انحدرت الخمر في حلوقنا، شربناها.

(٨) غارت الثهب بنا: انحدر حباب الخمر (أو الخمر) في حلوقنا. عيون الترجس (زهر أبيض وفي وسطه شيء أصفر): عيون النساء الحسنات. - سكرنا من الخمر ومن عيون الحسان.

(٩) أي الناس صفت له الحياة وعاش مطمئناً حتى يكون الروض دائماً أخضر مزدهراً؟.

(١٠) - من أجل ذلك تنفتح الأزهار ثم تذبل من تلافها نفسها حتى تأمن أن يغدر بها الزمن ويقضي عليها وهي =

وَإِذَا الْمَاءُ تَنَاجَى وَالْحصى، وَخَلَا كُلُّ خَلِيلٍ بِأَخِيهِ^(١)،
تُبْصِرُ الْوَرْدَ غَيْرَآ بِرَمْسَا يَكْسِي مِنْ غَيْظِهِ مَا يَكْسِي^(٢)،
وَتَرَى الْآسَ لَبِيسًا فَهَآ يَسْرِقُ السَّمْعَ بِأُذُنِي قَرَسَ^(٣)،

يَا أَهْلَ الْحَيِّ مِنْ وَادِي الْفَضَا، وَبِقَلْبِي مَسْكَنَ أْتَمَ بِهِ^(٤)،
ضَاقَ عَنْ وَجْدِي بِكُمْ رَحْبُ الْفَضَا لَسْتُ أَدْرِي شَرْقَهُ مِنْ غَرْبِهِ،
فَأَعِيدُوا عَهْدَ أُنْسٍ قَدْ مَضَى تُنْقِدُوا عَانِيَكُمْ مِنْ كَرْبِهِ^(٥)،
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَخْيُوا مُغْرَمَا يَتَلَاشَى نَفْسًا فِي نَفْسٍ؛
حَبَسَ الْقَلْبَ عَلَيْكُمْ كَرَمًا أَقْتَرُضُونَ خَرَابَ الْحَبَسِ؟

وَبِقَلْبِي مِنْكُمْ مُقْتَرِبُ بِأَحَادِيثِ الْمُنَى وَهُوَ بَعِيدُ،
قَمَرٌ أَطْلَعَ مِنْهُ الْمَغْرِبُ شَقْوَةُ الْمُضْنَى وَهُوَ سَعِيدُ،
قَدْ تَسَاوَى مُحْضِنٌ أَوْ مُذْنَبُ فِي هَوَاهُ بَيْنَ وَعْدٍ وَوَعِيدُ،
أَحْوَرُ الْقُلُوبَةِ مَقُولُ اللَّامِ جَالٌ فِي النَّفْسِ مَجَالُ النَّفْسِ^(٦)؛
سَدَّدَ السَّهْمَ فَأَضْنَى إِذْ رَمَى بِفَوَادِي تَبْلَسَةُ الْمُفْتَرَسِ.

إِنْ يَكُنْ جَارًا، وَخَابَ الْأَمْلُ - وَفَوَادٍ الصَّبِّ بِالشَّوْقِ يَذُوبُ -
فَهُوَ لِلنَّفْسِ حَيِّسٌ أَوَّلُ؛ لَيْسَ فِي الْحَبِّ لِمُحِبِّبٍ ذُنُوبُ.

= عَافِلَةٌ (لِلأَزْهَارِ مُدَّةٌ مَعِيَّةٌ قَصِيرَةٌ تَسْتَوِفِيهَا الْأَزْهَارُ كُلَّ عَامٍ، مَخْلَافَ الْإِنْسَانِ الَّذِي لَا يَعْلَمُ مَتَى يَذُكُّهُ الْمَوْتُ، وَقَدْ يَذُكُّهُ الْمَوْتُ قَبْلَ أَنْ يَحْقُقَ شَيْئًا مِنَ الْعَاقِبَةِ مِنَ الْوُجُودِ).

(١) الْمَاءُ تَنَاجَى (٢) يَكْسِي (٣) يَسْرِقُ (٤) يَكْسِي (٥) يَكْسِي (٦) يَكْسِي

(١) الْمَاءُ تَنَاجَى (٢) يَكْسِي (٣) يَسْرِقُ (٤) يَكْسِي (٥) يَكْسِي (٦) يَكْسِي

(١) الْمَاءُ تَنَاجَى (٢) يَكْسِي (٣) يَسْرِقُ (٤) يَكْسِي (٥) يَكْسِي (٦) يَكْسِي

(١) الْمَاءُ تَنَاجَى (٢) يَكْسِي (٣) يَسْرِقُ (٤) يَكْسِي (٥) يَكْسِي (٦) يَكْسِي

أمره مُعْتَمَلٌ مُتَشَلِّلٌ في ضلوعٍ قد بَرَاها وقلوبُ^(١).
حُكْمُ اللَّحْظِ بِهَا فَاحْتِكَمَا، لم يراقبْ في ضِعَافِ الأنفُسِ.
يُنْصِفُ الْمَظْلُومَ مِمَّنْ ظَلَمَا، ويُجَازِي الْبَرَّ مِنْهَا وَالْمُسِي.

مَا لِقَلْبِي كُلَّمَا هَبَّتْ صَبَا عَادَهُ عَيْدٌ مِنَ الشَّوْقِ جَدِيدُ^(٢)!
كَانَ فِي اللَّوْحِ لَهُ مُكْتَتَبًا قَوْلُهُ: إِنْ عَذَابِي لَشَدِيدُ^(٣)؟
جَلَبَ الْهَمَّ لَهُ وَالْوَصِيَا فَهُوَ لِلْأَشْجَانِ فِي جُهْدٍ جَهِيدُ^(٤)
لَاعَجٌ فِي أَضْلَمِي قَدْ أَضْرِمَا، فَهَوَّ نَارٌ فِي هَمِّ الْيَبَسِ^(٥)
لَمْ يَدْعُ مِنْ مُهْجَتِي إِلَّا ذَمًّا كِبَاءُ الصُّبْحِ بَعْدَ الْغَلَسِ^(٦).

سَلَمِي، يَا نَفْسُ، فِي حُكْمِ الْقَضَا وَاعْمُرِي الْوَقْتَ بِرُجْعَى وَمَتَابِ^(٧).
دَعَاكَ مِنْ ذِكْرِ زَمَانٍ قَدْ مَضَى بَيْنَ عُنْتِي قَدْ تَقَضَّتْ وَعِتَابِ^(٨)
وَاضْرِفِي الْقَوْلَ إِلَى الْمَوْلَى الرُّضَا مُلْهِمِ التَّوْفِيقِ فِي أُمِّ الْكِتَابِ^(٩).
الْكَرِيمِ الْمُتَهَمِي وَالْمُتَمَسِّي أَسَدِ السَّرَجِ وَبَدْرِ الْمَجْلِسِ^(١٠)

- (١) أمره (أمر المحبوب): حكمه، إرادته. متعل (معناها في هذا النص): يجب العمل به. مثل: تحب طاعته. ولكن أمر المحبوب صعب التنفيذ ييري المحب: يحمله غيلاً، هزلاً، مريضاً.
- (٢) الصبا، ربح الشرق. عيد، الأمر الذي يعود مرة بعد أخرى.
- (٣) اللوح المحفوظ: القضي به في علم الله على البشر، المكتوب عليهم منذ الأزل. ﴿إِنْ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ تضمين من سورة إبراهيم (١٤: ٧).
- (٤) الوصب: التنب. الأشجان (جمع شجن بفتح ففتح): الأحران. للأشجان: من الأشجان. جهد جهيد: تعب شديد جداً.
- (٥) اللاعج: العاطفة المتقدة، الهوى الشديد المحرق.
- (٦) الذماء: بقية الروح في الجسد. الظلام في آخر الليل. كباء الصبح بعد الغلس (اللموح أن الشاعر يفقد أن يقول: «شيئاً قليلاً»، ولكن التشبيه لا يؤدي هذا المعنى).
- (٧) - أقبلي بفناء الله. أعمرني (أقضي) الوقت برجعي (بالرجوع إلى الله).
- (٨) العتاب: اللوم على ما فات. التمتي: الرضا (بعد العتاب).
- (٩) أم الكتاب: سورة الفاتحة (الأولى في المصحف).
- (١٠) المنهى: النهاية (أي ذاته، ذات المدح وشخصه). التمتي (أُلافة). أسد السرج (البطل إذا ركب الخيل، في الحرب). بدر المجلس (السيد الذي تَجَّه إليه الأنظار في كل اجتماع).

يَنْزِلُ النُّصْرُ عَلَيْهِ مِثْلًا يَنْزِلُ الْوَحْيُ بِرُوحِ الْقُدُسِ^(١)
 مُصْطَفَى اللَّهِ سَمِيَّ الْمُصْطَفَى الْغَنِيِّ بِاللَّهِ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ^(٢)
 مَنْ إِذَا مَا عَقَّدَ الْعَهْدَ وَقَى وَإِذَا مَا قُبِحَ الْخَطْبُ عَقَّدُ^(٣)
 مِنْ بَنِي قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ، وَكفى، حَيْثُ بَيْتُ النَّصْرِ مَرْفُوعُ الْعَقْدِ^(٤)
 حَيْثُ بَيْتُ النَّصْرِ مَحْمِيَّ الْحِمَى وَحَسَى الْفَضْلُ زَكِيَّ الْمَفْرَسِ
 وَالْهُوَى ظِلُّ ظَلِيلٍ خَيْمًا، وَالنَّدَى هَبَّ إِلَى الْمَفْرَسِ^(٥)

هَا كَهَا يَا سَيْطَ أَنْصَارِ الْعُلَا وَالَّذِي إِنْ عَثَرَ الدَّهْرُ أَقَالَ^(٦)
 غَادَةً أَلْبَسَهَا الْحُسْنَ مُلَا تَبَهَّرَ الْعَيْنَ جَلَاءً وَصِقَالَ^(٧)
 عَارَضَتْ لَفْظًا وَمَعْنَى وَحُلَى قَوْلَ مَنْ أَنْطَقَهُ الْحُبُّ فَقَالَ
 (هَلْ دَرَى ظُبِّي الْحِمَى أَنْ قَدْ حَمَى قَلْبَ صَبٍ حَلَّهَ عَنْ مَكْسٍ^(٨)
 فَهَوَى فِي حَرٍّ وَخَفَسَقَى مِثْلًا لَعَيْتَ رِيحُ الصَّبَا بِالْقَبَسِ)

- وقال لما زار قبر المعتمد بن عباد في أغامت بإفريقية:

قَدْ زُرْتُ قَبْرَكَ عَنْ طَوْعٍ بِأَغَامَتٍ: رَأَيْتُ ذَلِكَ مَنْ أَوْلَى الْمُهْمَاتِ.

- (١) روح القدس: جبريل.
- (٢) مصطفى الله (الذي اختاره الله) سَمِيَّ (المتاب بالاسم) المصطفى (محمد رسول الله). الغني بالله (محمد الخامس الغني بالله من ملوك بني نصر في غرناطة).
- (٣) إذا قُبِحَ الخطب (إذا اشتدت الأمور) عقد (العزم وكان حازماً في معالجتها) في نفع الطيب (٧: ١٤): فتح (بالياء للمجهول).
- (٤) قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري من دهاة العرب (راجع الخبر لابن حبيب، ص ١٥٥، و ١٨٤). وبنو نصر أصحاب غرناطة كانوا يردون نسبهم إلى قيس بن سعد.
- (٥) الندى: بخار الماء المعلق في الهواء (في الليل). - من يزرع جنة ينمئذ بالحو الجمل الذي ينشأ منها!
- (٦) البطل (حفيد الرجل من أبنائه). إن عثر الدهر بأحد أقاله (أنهض من عثرته) أو إذا عثر الدهر نفسه، فلن عمداً الخامس الغني بالله يمكن أن يساعد الدهر على النهوض!
- (٧) العادة: المرأة الجميلة (الفصيصة). الملاة: ثوب يشر على انقراض (وثوب سابغ تلبه المرأة) جمعها ملاة (بضم الميم أيضاً).
- (٨) الصب: الحب. حلّه: نزل فيه، سكه. المكس والكاس (بالكسر): بيت الفراء.

لَمْ لَا أُرْوِكَ، يَا أُنْدَى الْمُلُوكِ يَدَا
وَأَنْتَ مَنْ لَوْ تَخَطَّى الدَّهْرُ مَضْرَعَهُ
أَنَافَ قَبْرِكَ فِي هَضْبٍ يُمَيِّزُهُ
كُرُمَتْ حَيًّا وَمَيِّتًا وَأَشْهَرَتْ عَلَا،
مَارِيءٍ مِثْلَكَ فِي مَاضٍ وَمُعْتَقَدِي
وَيَا سِرَاجَ اللَّيَالِي الْمُدْلَهَمَاتِ^(١).
إِلَى حَيَاتِي، لِحَادَثٍ فِيهِ أُبَيَاتِي.
فَتَسْتَحْيِيهِ حَيَّاتُ التَّحِيَّاتِ^(٢).
فَأَنْتَ سُلْطَانُ أَحْيَاءٍ وَأَمْوَاتِ.
الْأَيُّرَى - الدَّهْرُ - فِي حَالٍ وَلَا آتِي^(٣).

- التاريخ (من مقدمة «الإحاطة»)

.... وَلَمَّا كَانَ الْفَنُّ التَّارِيخِيُّ مَأْرَبَ الْبَشَرِ وَوَسِيلَةً إِلَى ضَمِّ النُّشْرِ^(٤) يَعْرِفُونَ بِهِ
أَنَابَهُمْ فِي ذَلِكَ شَرْعًا وَطَبْعًا وَمَافِيهِ، وَيَكْتَسِبُونَ بِهِ عَقْلَ التَّجَرُّبَةِ فِي حَالِ السُّكُونِ
وَالرَّفِيهِ^(٥)، وَيَسْتَدْلُونَ بِبَعْضِ مَا يُسَدِّي بِهِ الدَّهْرُ وَيُسْفِيهِ، وَيَرَى الْعَاقِلُ مِنْ تَصْرِيفِ
قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى مَا يَسْرُحُ صَدْرُهُ بِالْإِسْلَامِ وَيُخْفِيهِ، وَيَعْرِضُ عَلَى مَصَارِعِ الْجَبَابِرَةِ فَيَحْسِبُهُ
بِذَلِكَ وَاعْظَمًا وَيَكْفِيهِ. وَكَتَابُ اللَّهِ يَتَخَلَّلُهُ مِنَ الْقَصَصِ مَا يُتِمُّ هَذَا الشَّاهِدَ لِهَذَا الْفَنِّ
وَيُؤَيِّقُهُ. قَالَ تَعَالَى^(٦): ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُوَثِّقُ بِهِ فَوَادِّكَ﴾. وَقَالَ
عَزَّ مِنْ قَائِلٍ^(٧): ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ، وَإِنْ
كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾.

فَوَضَحَ سَبِيلَ مُبِينٍ، وَظَهَرَ أَنَّ الْقَوْلَ بِفَضْلِهِ يَقْتَضِيهِ عَقْلٌ وَدِينٌ^(٨). وَإِنَّ بَعْضَ
الْمُصَنِّفِينَ مِمَّنْ تَرَكَ نَوْمَهُ لِمَنْ دُونَهُ، وَأَنْزَفَ مَاءَ شَبَابِهِ مُودِعًا إِيَّاهُ بَطْنِ كِتَابِهِ يَقْصِدُهُ

(١) الليل المدلهم: التدبید الظلام (المصائب الكبيرة).

(٢) أناف: علا، ارتفع. انتحى: مال إلى ناحية. الحفي: الذي يهيم بالأمر (ثانيه التحيات المخلصة من كل جانب).

(٣) ربي، (رؤي). الدهر (بالنصب): طول الدهر.

(٤) كذا في الأصل.

(٥) لعلها: السكون الرفيہ (بلا واو العطف): السكون في سعة من العيش.

(٦) القرآن الكريم ١١: ١٢٠، هود.

(٧) القرآن الكريم ١٢: ٣، يوسف.

(٨) بفضل = بفضل التاريخ.

الناسُ وَيَرِدُونَهُ ^(١) اِخْتَلَفَتْ فِي مِثْلِ هَذَا الْبَابِ أَغْرَاضُهُمْ. فَمِنْهُمْ مَنْ اعْتَنَى بِإِثْبَاتِ حَوَادِثِ الزَّمَانِ، وَمِنْهُمْ مَنْ اعْتَنَى بِرِجَالِهِ بَعْدَ اخْتِيَارِ الْأَعْيَانِ عَجْزاً عَنِ الْإِحَاطَةِ بِهَذَا الشَّانِ، عَمُوماً فِي أَكْثَرِ الْأَقْطَارِ وَخُصُوصاً فِي بَعْضِ الْبُلْدَانِ (ثُمَّ يَعْدُدُ لِسَانِ الدِّينِ أَسْمَاءَ نَفَرٍ كَثِيرِينَ آَلَفُوا كِتَاباً فِي تَارِيخِ مَدِينِهِمْ).

فَدَاخَلْتَنِي عَصِيَّةٌ لَا تَقْدَحُ فِي دِينٍ وَلَا مَنْصِبٍ ^(٢)، وَحِمِيَّةٌ لَا يُذَمُّ فِي مِثْلِهَا مُتَعَصِّبٌ، وَرَأَيْتُ أَنَّ هَذِهِ الْحَضْرَةَ ^(٣) الَّتِي لَا حَقَّاءَ بِهَا وَقَرَّ اللَّهُ مِنْ أَسْبَابِ إِثَارِهَا وَأَرَادَهُ مِنْ جَلَالِ مِقْدَارِهَا، جَعَلَهَا تَفَرُّدَ الْإِسْلَامِ وَمُتَبَوِّأَ الْعَرَبِ الْأَعْلَامِ قَبِيلٍ ^(٤) رَسُولُهُ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى السَّلَامِ وَمَا خَصَّهَا مِنْ اعْتِدَالِ الْأَقْطَارِ وَجَرَيَانِ الْأَنْهَارِ وَانْفِسَاحِ الْإِعْتَارِ وَالتَّفَافِ الْأَشْجَارِ.. نَزَّلَهَا الْعَرَبُ الْكِرَامُ عِنْدَ دُخُولِهِمْ مُخْتَطِّينَ فَعَمَرُوا وَأَوْلَدُوا ^(٥) وَأَثْبَتُوا الْمَفَاخِرَ وَخَلَدُوا.....

وَقَدْ كَانَ أَبُو الْقَاسِمِ الْغَافِقِيُّ ^(٦)، مِنْ أَهْلِ غَرْنَاطَةَ، قَدْ قَامَ مِنْ هَذَا الْبَرَضِ بِفَرَضٍ وَأَتَى مِنْ كُلِّ بَيْتَضٍ. فَلَمْ يَشَفِ مِنْ غَلَّةٍ، وَلَا سَدَّ خَلَّةٍ، وَلَا كَثَرَ قَلَّةٍ ^(٧) فَفُتِمَتْ بِهَذَا الْوُظِيفِ وَاتْتَدَبَتْ لِلتَّأْلِيفِ. وَرَجَوْتُ عَلَى نَزَارَةِ حَظِّ الصَّحَّةِ وَازْدِحَامِ الثَّوَاغِلِ الْمُلْحَةِ أَنَّ أَضْطَلَعَ مِنْ هَذَا الْقَصْدِ بِالْعِبَاءِ الَّذِي طَالَمَا طَاطَأَتْ لَهُ الْأَكْبَادُ ^(٨)....

- (١) لَمَنْ هُوَ دُونَهُ (أَقْلَ مِنْهُ، لَمْ يَلَا تَسْمُو نَفْسَهُ إِلَى جَلِيلِ الْأُمُورِ) وَمَنْ قَضَى أَيَّامَ شِبَابِهِ (شَاطِطُهُ) يَدَوْنَ التَّارِيخِ (بِإِخْلَاصٍ) يَقْضِيهِ النَّاسُ لِيَرِدُوا مِنْ مَوْرَدِهِ (يَسْرِبُوا مِنْ نَعْمَةٍ لِيَسْتَفِيدُوا مِنْهَا).
- (٢) الْمَصِيبَةُ: شِدَّةُ الْاهْتِمَامِ بِأَهْلِ الرَّحْلِ (وَلَوْ أَسَاءَ ذَلِكَ إِلَى نَوْمٍ آخَرِينَ). لَا يَقْدَحُ: لَا يَغِيبُ. الْمَنْصِبُ: الْمَكَانَةُ.
- (٣) الْحَضْرَةُ: الْعَاصِمَةُ (غَرْنَاطَةُ).
- (٤) التَّفَرُّدُ: الْمَكَانُ الَّذِي يَحْتَسِبُ مِنْهُ جِهَةُ الْمَدْوِ (حُدُودُ الْبُلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى بُلَادِ الْأَعْدَاءِ الْخَارِجِينَ).
- (٥) الْمُتَبَوِّأُ: السَّكْنُ وَالْمُسْتَقَرُّ. الْقَبِيلُ: الْقَوْمُ، الْأَهْلُ.
- (٦) اخْتَطَطَ: أُنْشِأَ خُطَّةً (بِكَسْرِ الْهَاءِ): مَكَانُ السَّكْنِ (الْبَلَدُ، الْمَدِينَةُ). عَمَرَ الْأَرْضَ: سَكَنَهَا وَأُنْشَأَ فِيهَا حَيَاةً عَمَرَانِيَّةً (اِقْتِسَادِيَّةً وَاجْتِمَاعِيَّةً). أَوْلَدُوا: جَاءَهُمْ أَوْلَادٌ (نَسْلٌ)، أَيْ عَاشُوا فِيهَا مَدَّةً طَوِيلَةً.
- (٧) لَعَلَّهُ أَبُو جَمِيلٍ الْيَسَعَ بْنِ عَيْسَى بْنِ الْيَسَعَ الْغَافِقِيُّ الْجَبَالِيُّ (ت ٥٧٥ هـ)، كَانَ لَهُ اشْتِغَالٌ بِمِثْلِ ذَلِكَ (رَاجِعُ نَفْحِ الطَّيْلِ ١: ١٢٧، ١٦٤، ٢٠٨ وَسَائِرُ الْمَطَائِنِ الْوَارِدِ ذِكْرُهَا فِي فِهْرَتِهِ).
- (٨) الْقَلَّةُ: الْمَعْشَى. الْحَلَّةُ: الْفُرْجَةُ، التَّبَّعُ الصَّغِيرُ، الْحَاجَةُ وَالْفَقْرُ. الْوُظِيفُ: عَظِيمُ دَقِيقٍ فِي السَّاقِ (وَهُوَ يَقْصِدُ الْوُظِيفَةَ: الْعَمَلَ الَّذِي يَقْدَرُ الْإِنْسَانُ عَلَيْهِ). وَاتْتَدَبَتْ (نَفْسِي) لِلتَّأْلِيفِ.
- (٩) الثَّوَاغِلُ: لَيْسَتْ فِي الْقَامُوسِ. الْمَقْصُودُ الْأَشْغَالُ جَمْعُ أَشْعُولَةٍ (بِالضَّمِّ): مَا يَشْغُلُ (يَنْتَعِشُ الْغَيْنُ) الْإِنْسَانَ وَيُلْهِمُهُ. الْكَدُّ (يَنْتَعِشُ فَتَنْحُ): الْكَاهِلُ (يَجْمَعُ الْكَمِينَ).

والترتيب الذي انتهت إليه جيلتي وصرفت في اختياره مخيلتي هو أنني ذكرتُ
البلدة^(١)، حاطها الله، مُنبهاً منها على قديمها وطيب هوائها وأديمها، وإشراق علّاه
ومحاسن حُلّاه، ومن سكّنها وتولّاه، وأحوال أناسها ومن دال^(٢) بها من ضروب
القبائل وأجناسها، وأعطيتُ صورتها وأرّختُ في الفخر ضرورتها. وذكرتُ الأسماء على
الحروف المبوبة^(٣)، وفصلتُ أجناسهم بالتراجم المرتبة: فذكرتُ الملوك والأمراء ثم
الأعيان والكبراء ثم الفضلاء ثم القضاة ثم المقرّنين والعلماء ثم المحدثين والفقهاء وسائر
الطلّبة النجباء ثم الكتاب والشعراء ثم العمال والأثرياء^(٤) ثم الزهاد والصّالحاء
والصوّفة والفقراء ليكون الابتداء بالملك والاختتام بالملك وَلِيَنْظَمَ الجميع انتظام
السلك^(٥). وكلُّ طبقة تنقسم إلى من سكّن المدينة بحكم الأصالة والاستقرار أو طرأ
عليها ممّا يحاورها من الأقطار أو خاض إليها - وهو الغريب - أثّاج^(٦) البحار أو
ألّم بها ولو ساعة من نهار. فإن كثرتِ الأسماء نوّعت وتوسّعت، وإن قلتِ اختصرتُ
وجمعتُ. وآثرتُ ترتيب الحروف في الأسماء ثم في الأجداد والآباء لِشُرُودِ الوفياتِ
والمواليد التي ربّتها الزمان عن الاستقصاء^(٧). وذَهبتُ إلى أن أذكر الرجل ونسبه
وأصالته وحسبه ومولده وبلده ومذاهبه وأنحاله^(٨) والفنّ الذي دعا إلى ذكره،
وحليته ومُشيخته^(٩) - إن كان ممن قيّد علماً أو كُتب - ومآثره إن كان ممن وصل الفضل

(١) البلدة (غرناطة).

(٢) دال فلان دالة ودولة: صارت له دالة (نصيب ودور في الحكم).

(٣) على الحروف (كما ترتّب في القاموس).

(٤) العمال: الولاء على المدن. الأثرياء ليست في القاموس (لعله يقصد الفضلاء، ذوي الفضل والمكانة الاجتماعية في بلدانهم).

(٥) بالملك (أهل القوة). الاختتام بالملك (بأهل الصلاح). انتظام السلك (ليكون الكتاب ممثلاً لجميع طبقات المجتمع على الترتيب المخصوص).

(٦) التبيج: وسط الشيء (ووسط البحر أيضاً).

(٧) - يقصد أن الحصول على تاريخ مولد الأشخاص ووفاتهم ليس سهلاً في كل حين.

(٨) الأحوال ليست في القاموس (لعله يقصد جمع نحلة - بكر النون - الطريقة التي يحصل الإنسان بها معاشه).

(٩) حليته (صفاته وأحواله). مشيخته (أسانده).

بِسَبِّهِ ^(١) وَشِعْرِهِ إِنْ كَانَ شَاعِراً، وَأَدَبِهِ وَتَصَانِيفِهِ إِنْ كَانَ كَانَ مِنْ أَلْفَ فِي فَنٍّ وَهَدَبِهِ، وَمِخْنَتُهُ إِنْ كَانَ مِنْ بَرَّةِ الدَّهْرِ وَسَلَبُهُ ^(٢)، ثُمَّ وَفَاتَهُ وَمُنْقَلَبُهُ إِذَا اسْتَرْجَعَ اللَّهُ مِنْ مَنَحِهِ حَيَاتِهِ مَا وَهَبَهُ ^(٣).

وجعلتُ هذا الكتابَ قِسْمَيْنِ وَمُسْتَمِلاً عَلَى قَتْنَيْنِ: الْقِسْمَ الْأَوَّلَ فِي حُلَى الْمَعَاهِدِ وَالْأَمَاكِنِ وَالْمَنَازِلِ وَالْمَسَاكِنِ، وَالْقِسْمَ الثَّانِي فِي حُلَى الزَّائِرِ وَالْقَاطِنِ وَالْمُتَحَرِّكِ وَالْمَسَاكِنِ.

- ٤- الإحاطة في أخبار غرناطة، مصر (مطبعة الموسوعات) ١٣١٩ هـ: الجزء الأول (حققه عبد الله عنان)، مصر (دار المعارف) ١٣٧٥ هـ= ١٩٥٥ م.
- الإشارة في أدب الوزارة في السياسة (تحقيق عبد القادر زمامة)، دمشق (مجمع اللغة العربية) ١٩٧٢ م.
- أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاختلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام: قسم المغرب (أو إفريقية: تونس) (نشره حسن حسني عبد الوهاب)، بلرم في جزيرة صقلية ١٩١٠ م؛ الكتاب كله (تحقيق ليفي بروفنسال)، الرباط ١٩٣٤ م، بيروت (دار المكشوف) ١٩٥٦ م؛ الجزء الثالث (بعضان: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط) (تحقيق أحمد مختار المبادي ومحمد إبراهيم الكفائي)، الدار البيضاء (دار الكتاب) ١٩٦٤ م؛ موجز تاريخ إسبانية (ملثور أنطونيا)، مدريد ١٩٣٣ م؛
- أوصاف الناس (٩)
- جيش التوشيح (حققه هلال ناجي)، تونس (مطبعة المنار) ١٩٦٧ م.
- الحُلل المرقومة أو رقم الحُلل في نظم الدُول، تونس (المطبعة العمومية) ١٣١٦ هـ: (قسم صقلية) ١٧٩٠ م.

- الحُلل المؤيَّسة في (ذكر) الأخبار المراكشية (*) (تحقيق بشير الغوري)، تونس ١٩١١ م= ١٣٢٩؛ (تحقيق علّوش)، الرباط ١٩٣٦ م.
- ديوان الصَّيْب والجَهَام والماضي والكَهَام (دراسة وتحقيق محمد الشريف قاهر) الجزائر (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع) ١٣٩٣ هـ= ١٩٧٣ م.

(١) ... وصل إلى مكانته في قومه بسبب علمه (!).

(٢) الهنة: المصيبة والشقاء يصيب الإنسان. برَّ: غلب وسلب.

(٣) ... أذكر وفاته، إذا كان قد توفّي في أيامي.

(*) في نسبة هذا الكتاب والحلل المؤيَّسة إلى لسان الدين بن الخطيب شك. ذكر علّوش أن الكتاب لمؤلف مجهول. راجع أيضاً الأعلام للزركلي ١١٣: ٧ (٦: ٢٣٥).

- روضة التعريف بالحَبِّ الشريف (تحقيق عبد القادر أحد عطار عبد الستار)، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٩٦٨ م.
- ربحانة الكتاب ونجعة المتناهب (قطع منه) ١٩١٦ م.
- الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، فاس (تحقيق إحسان عباس)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٣ م.
- كرامة الدكان بعد رحيل السكان (تحقيق محمد كمال شبانة)، القاهرة (دار الكاتب العربي للطباعة والنشر) ١٩٦٦ م.
- اللوحة البدرية في الدولة النصرية (صححه محب الدين الخطيب)، القاهرة (المطبعة السلفية) ١٣٤٧ هـ؛ بيروت (دار الآفاق) ١٩٧٨ م.
- مجموع رسائل (*) .
- مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس (نشره أحمد مختار العبادي)، الاسكندرية (مطبعة جامعة الاسكندرية) ١٩٥٨ م.
- معيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار (مولر)، منش: ميونيخ ١٨٦٦ م؛ فاس ١٣٢٥ هـ.
- مفاخرة مألقة وسلا (مولر)، منش: ميونيخ ١٨٦٦ م.
- مقتعة السائل في المرض المائل (مولر) منش ١٨٦٣ م.
- نفاضة الجرباب في علالة الاغتراب (تقديم أحمد مختار العبادي)، القاهرة (دار الكاتب العربي للتوزيع والنشر) ١٩٦٣ م.
- ** نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب (نشره دوزي-دوغات-كرايل-رايت)، ليدن (بريل) ١٨٥٥-١٨٦١ م؛ مصر (بولاق) ١٢٧٩ هـ؛ مصر (المطبعة الأزهرية) (١٣٠٤ هـ)؛ (حققه محمد محيي الدين عبد الحميد)، بر بيروت (دار الكتاب العربي) ١٣٦٩ هـ؛ (حققه إحسان عباس)، بيروت (دار صادر) ١٣٨٨ هـ=١٩٦٨ م.
- ابن الخطيب: حياته وكتبه، تأليف محمد بن أبي بكر التطواني وعبد العزيز بن عبد الله (معهد مولاي الحسن)، تطوان (دار الطباعة المغربية) ١٩٥٤ م.
- ابن الخطيب وزير غرناطة، تأليف عبد الهادي أبي طالب، القاهرة (المكتبة التجارية) ١٩٥٠ م؛ الدار البيضاء ١٩٦٠ م.
- الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب، بقلم عبد العزيز بن عبد الله، تطوان (دار الطباعة المغربية) ١٩٥٣ م.
- نيل الابتهاج ٢٦٤-٢٦٥؛ الدرر الكامنة ٣: ٢٤٤-٢٤٧ (رقم ١٢٦١)، ٣: ٤٦٩-٤٧٤؛ ثير فرائد جهان ٢٩٢-٢٩٣؛ وفيات ابن قنفذ ٣٧٠-٣٧٢؛ درة

(*) مجموع رسائل، لعله «مشاهدات لسان الدين».....

الحجال ٢: ٢٧١-٢٧٤؛ شذرات الذهب ٦: ٢٤٤-٢٤٧؛ نفع الطيب ١: ٧٠-٨٠،
 ١٠٥-١١٢، ١١٥-١١٧، ١٢٥-١٢٦، ١٨٦-١٩٠، ٣٢١-٣٢٦، ٤٥٣-٤٥٤،
 ٥٠٥-٥١٩، ٤: ٤٠٤-٤٤٦ (رسائل من إثنائه)، ٧: ٥ إلى آخر الجزء ٦: ٥-٧،
 ١٣-٤٥، ٦٠-١٣٨، ١٦٢-٢١٣، ٢١٩-٢٢٧، ٢٣٠ وما بعد، ٢٦٨-٣٨٠،
 ٣٨٥-٤٤٦، ٤٤٧-٥١٥ (في الصفحات السابقة ثغرات قصيرة)، ٧: ٦٥-٦٨،
 ٩٧-١٠٨، ١٤٥ وما بعد (تلاميذه)؛ أزهار الرياض ١: ٣٠-٣٤، ٦٢-٦٣،
 ٦٤-٦٥، ١٧٩، ١٨٦، ٢٠٣، ٢٠٤-٢٣١، ٢٤٩-٢٩١، ٢٩٤-٣٣٦، ٥: ٦-٧،
 ٧-١١، ١٦٤-١٦٦، ٢١٣-٢١٥، ٢١٨، ٣٠١-٣٠٢، ٣٧٦؛ الاستقصا ٢:
 ١٠٥-١١٩، ١٢٥-١٢٨، ١٣٢، ١٣٤-١٣٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣:
 ٣٨٥-٣٨٧؛ بروكلن ٢: ٣٣٧-٣٤٠، الملحق ٢: ٣٧٢-٣٧٣؛ نيكل ٣٦٣-٣٦٦؛
 مختارات نيكل ٢٠٧، ٢١٢-٢١٥؛ سركيس ١٥٨٨-١٥٩١؛ الأعلام للزركلي ٧:
 ١١٢-١١٤ (٦: ٢٣٥)؛ بالنشأ ١٣٨-١٣٩، ٢٥١-٢٥٩، ٣٠٢ وما بعد؛ مجلة الجمع
 العلمي العربي ٢٣: ٤ (١٩٤٨/١٠)، ص ٥٢٤، ثم المجلد ٤٧، ص ١٧٠؛ البحث العلمي
 ٥/١٩٦٨، ص ١٢٣؛ العربي ٦/١٩٦٧، ص ٤٧، ١٢/١٩٦٥، ص ٣٠-٣٥؛ الأصلة
 ٤: ٢٦، ص ٣٣١؛ معجم المؤلفين لكحالة ١٠: ٢١٦-٢١٧.

ابن أبي حجلة

١- هو شهابُ الدين أبو العباسِ أحمدُ بنُ يحيى بن أبي بكرٍ بن عبدِ الواحدِ
 التِّلْسانِيِّ المعروف بابن أبي حَجَلَةَ^(١)، وُلِدَ في تِلْسانَ، سَنَةِ ٧٢٥ هـ (١٣٢٥ م). رَحَلَ
 وَحَجَّ ثُمَّ ذَهَبَ إلى دِمَشْقَ فدرَسَ الأدبَ ثُمَّ انتَقَلَ إلى القَاهِرَةِ وتَوَلَّى شَيْخَةَ الصُّوفِيَّةِ
 بصِهْرِيحٍ مَنَجَكَ خَارِجَ القَاهِرَةِ. وكانت وفاته في القَاهِرَةِ بالطاعونِ في سَلْخِ ذِي القَعْدَةِ
 من سَنَةِ ٧٧٦ (١٣٧٥/٥/٢ م) أو في مُسْتَهَلِّ ذِي الحِجَّةِ.

٢- كان ابنُ أبي حَجَلَةَ ذا اتِّجاءٍ دينيٍّ وميلٍ إلى التَّصَوُّفِ المُتَدَلِّ حَمَلَ على

(١) المحلة طائر مَكُورَ المحم أصغر من الدجاجة أحمر المنار والاقين، يري يصاد للحمه الطيب. قبل إن
 عبد الواحد الجد الأعلى لصاحب هذه الترجمة كان من المتصوفة ذوي الكرامات، وقد باضت حجلة
 على كفه!

القائلين بَوَحْدَةِ الوجود وعلى عَمَرِ بن الفارضِ خاصة^(١). وكان أديباً ناثراً شاعراً له قصائدٌ ومقطعاتٌ وبديعياتٌ ومقامات. وقد عارضَ جميعَ قصائدِ عَمَرِ بن الفارضِ ببديعياتٍ (بمدائحٍ في رسولِ الله) وهو مؤلفٌ مُكثِرٌ ذكروا أن له أكثرَ من ثمانينَ كتاباً منها: ديوان الصبابة (تراجمٌ لنغمٍ من الشعراء المحبين ومختارات لهم) - سكردان^(٢) السلطان (الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون؛ وهو مجموع في معنى العدد «سبعة» في أرض مصر وتاريخها وسكانها وحكامها) - الطاريء على السكردان (نقل الكرام في مدح الكرام: الملك الناصر حسن) - سلوة الحزين في موت البنين - جوار الأخيار في دار القرار - الطب المسنون في دفع الطاعون - التذكير بالموت وسكنى القبور والخروج منها والشور - دفع النعمة في الصلاة على نبي الرحمة - أنودج القتال في نقل الموال^(٣) (في الشطرنج) - مغناطيس الدرّ النفس (مختصر في أنواع من الأدب) - منطق الطير - الأدب الغضّ - حاطب ليل - عنوان السعادة - نحر أعداء البحر - أطيب الطيب - النعمة الشاملة في العشرة الكاملة - السجع الجليل فيما جرى من النيل، الخ.

٣- مختارات من آثاره

الحمد لله الذي جعلَ «للماشقين بأحكام الغرام رضا»^(٤)، وحَبَّبَ إِلَيْهِمُ الموتَ في حُبٍّ مَن يَهْوُونَهُ «فلا تَكُنْ، يا فتى، بالحُبِّ مُعْتَرِضاً»^(٥). فكم فيهم من عاشقٍ ومُحِبٍّ صادق:

رَأَى فَحَبَّ فَرَامَ الوصلَ فَأَمْتَنُوا فَصَامَ صَبِراً فَأَغْيَسَ نَيْلَهُ فَقَضَى!

(١) وحدة الوجود أو الاتّحاد مذهب متطوّر في الصوفية يرى أن مجموع الوجود هو الله، وأن كلَّ جزءٍ منه يمثّل قوّة من قوى الله (وقال بعضهم: كلَّ جزء من العالم يمثّل الله!). عمر بن الفارض (ت ٦٣٢ هـ) متصوّف متطوّر، ولكنّه أشعر شعراء الصوفية من العرب، وثاني شعراء الصوفية في العالم بعد جلال الدين الرومي (ت ٥٧٢ هـ).

(٢) السكردان....

(٣) الحديث العالي: ما أسنّفت روايته شروط الصّحة وكان الدين زوّده قريبين من زمن رسول الله - وفي هذا التعريف شيء من الغموض - (راجع «قواعد التحديث من فون مصطلح الحديث» لمحمد جمال الدين القاسمي، تحقيق محمد بهجة البيطار، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ص ١٢٧).
(٤ إلى ٥) من أبيات للشاب الطريف (ت ٦٨٨ هـ).

أَحْمَدُهُ جَحَدٌ « من خافَ مقامَ رَبِّهِ ونَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (١) » ، وَشَبَّ بِذِكْرِ مَحْبُوبِهِ ،
إِنْ كَانَ تَهَامِيًّا فِي حِجَازٍ أَوْ شَامِيًّا فِي نَوَى (٢) :

طَوْرًا تَحَانٍ إِذَا لَاقَيْتُ ذَا يَمَنِ ، وَإِنْ لَاقَيْتُ مَعَدِّيًّا فَعَدْنَانِي (٣) !
وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْحَمِيدُ الْمَجِيدُ : شَهَادَةٌ مَنْ أَصْبَحَ مَوْتُهُ
لِبُعْدِهِ أَقْرَبَ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (٤) ، وَقَالَ لِعَاذِلِهِ : « لَقَدْ عَلِمْتُ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ ،
وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيد » (٥) .

وَلَوْ أَنَّ مَا بِي مِنْ حَبِيبٍ مُقَنِّعٍ عَذَرْتُ ، وَلَكِنْ مِنْ حَبِيبٍ مُعَمِّمٍ (٦) .
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ شَهَادَةٌ مِنْ أَخْلَصَ فِي مُوَالَاتِهِ وَتَبَرَّأَ مِنَ الْإِثْمِ حِينَ
تَوَلَّى عَنْهُ مَحْبُوبُهُ بِخَاتَمِ رَبِّهِ وَبِرَاثِهِ (٧) . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَا ذَرَّ شَارِقٌ
وَهَامَ عَاشِقٌ (٨) . أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ كِتَابَنَا هَذَا كَمَا قِيلَ :

عَلَى أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْمُصَرِّفِينَ غَلَبُوا عَلَى مَنْ تَقَدَّمَ بِالتَّأْلِيفِ فِي هَذَا الْبَابِ ، وَلَمْ يُفَرِّقْ
بَعْضُهُمْ فِي التَّشْيِيبِ بَيْنَ زَيْنَبَ وَالرَّبَابِ (٩) :

وَكُلُّ يَدْعِي وَصْلًا بَلِيلِي ، وَلَيْلَى لَا تُقَرُّ لَهُ بِذَاكَ (١٠) .

(١) القرآن الكريم ٧٩ : ٤٠ ، التازعات .

(٢) تهامة : ساحل الحجاز . (الأرض المنخفضة بالإضافة إلى نجد) . شامياً (شامياً) من بلاد الشام (سورية) .
نوى قرية بالشام .

(٣) - حيناً انتسب إلى اليمن (عرب الجنوب) معدَّ وعدنان (جدان لعرب الشمال) . البيت لعمران
بن حطَّان .

(٤) حلل الوريد : تمر للدم في جانب العنق (في العنق وريدان) .

(٥) القرآن الكريم ١١ : ٧٩ هود . العاذل : اللاتم .

(٦) - لو كنت أشكو من حبيب مقنِّع (امرأة محبوبة) لمان عليَّ الأمر . معمم : بلبس عمامة (رجل) . والبيت
للشَّعْبِي .

(٧) الإثم : الذنب . براته (براهته) ! .

(٨) ذرَّ (ظهر من وراء الأفق) شارق (طلع من شمس أو قمر أو نجم ما) . هام : حار من شدة الحب .

(٩) زينب والرباب : اسمان للنساء (لم يفرَّق بين محبوب ومحبوب) .

(١٠) البيت

فَرَنْعُ كِتَابِنَا هَذَا بِذِكْرِ الْعَامِرَةِ مَعْمُورٌ^(١)، وَهُوَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا آلَفَهُ الشَّهَابُ مَعْمُودٌ
 مَشْكُورٌ^(٢). وَمَنْ وَقَفَ عَلَيْهِ عَلِمَ صِحَّةَ هَذَا الْكَلَامِ. وَأَشَدُّ فِي تَصْدِيقِ هَذِهِ الدَّعْوَى
 « إِذَا قَالَتْ حَذَامٌ »^(٣). مُؤَلَّفُ طَوْقِ الْحِمَامَةِ « بِالنِّسْبَةِ إِلَى حَجَلَتِهِ يَحْجُلُ^(٤)،
 وَصَاحِبُ « مَنَازِلِ الْأَحْيَاءِ » مِمَّنْ عَرَفَ الْمَحَلَّ فَبَاتَ دُونَ الْمَنْزِلِ^(٥) :

* وَعَذَرْتُ طَيْفَكَ فِي الْحَفَاءِ لِأَنَّهُ يَسْرِي فَيُصْبِحُ دُونَنَا بِمَرَا حِلٍ^(٦).

* فَيَا دَارَهَا بِالْحَيْفِ إِنَّ مَرَارَهَا قَرِيبٌ، وَلَكِنْ دُونَ ذَلِكَ أَهْوَالُ^(٧)!

فَإِنْ قُلْتَ « الْفَضْلُ لِلْمُقَدَّمِ »^(٨)، وَ« هَلْ غَادَرَ الشُّرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ »^(٩)! قُلْتُ:
 نَعَمْ، فِي الْخَمْرِ مَعْنَى لَيْسَ فِي الْعَيْنِ^(١٠).....

وَلَمْ يَزَلْ كِتَابُنَا هَذَا فِي سُودَاتِهِ مُنْذُ حَجَجَ، وَبُيُوتُهُ مِنْ بُخُورِهَا فِي لُجَجِ^(١١): لَا
 أُبَيِّحُ مَا فِي مَنَازِلِ الْأَحْيَاءِ لِسَاكِنٍ وَلَا أُمَكِّنُ عَاشِقًا مِنَ الْمُرُورِ بِتِلْكَ الْأَمَاكِنِ.....
 حَتَّى بَرَزَ لَطْلِبُهُ الْمَرْسُومُ الشَّرِيفُ الْمَلَكِيُّ النَّاصِرِيُّ^(١٢)... فَبَادَرْتُ إِلَى تَجْهِيزِهِ وَسَبَّكَ

(١) الربع: السكن. العامرية: ليلي (محبوبة قيس بن الملوح). معمور: مسكون، عامر (يكثر في كتابنا ذكر ليلي، وذكر الحب).

(٢) الشهاب: محمود بن فهد الحلبي (انظر بعد بضعة أسطر).

(٣) إذا قالت حذام فصدها فلان القول ما قالت حذام

(٤) طوق الحمامة كتاب لابن حزم (ت ٤٥٦). المجلة: ستر للمرأة. حجل: مشى على رجل واحدة، أو مشى بتمتر كأنه مقبذ.

(٥) منازل الأحباب ومنازه الألباب (حكايات في الحب وأشعار في الغزل)، تأليف شهاب الدين محمود بن فهد الحلبي (ت ٧٢٥). بات دون المنزل (المكان الأمين لنزول القوافل، إذا جاء الليل ولم تكن قد وصلت إلى بلد له سور)، قصر فيا أراد.

(٦) يبدو أن البيت قديم، وقد ضمه ابن عني (ت ٦٣٠ هـ) في بعض قصائده (راجع وفيات الأعيان، بيروت ٥: ١٥).

(٧) البيت لأبي العلاء المرّي.

(٨).....

(٩) مطلع معلقة عنتره.

(١٠) من بيت المتنبي في رثاء أخت سيف الدولة:

فلان تكن تطلب الغلباء نيتها، فلان في الخمر معنى ليس في العنب.

(١١) الحق (يكسر الحاء) السنة، العام بيوتة.... في ليج (اللجة: معظم الماء، الموجة الكبيرة): غير منظم!

(١٢) الأشرف ناصر الدين شهبان (٧٦٤-٧٧٨ هـ)!!

إبريزه^(١) حَسَبَ المرسوم الشريف، بلا تَؤَوف ولا تَكْلِيف.....

وَسَلَكْتُ فِي تَأْلِيفِهِ الْاِخْتِصَارَ وَالْاِقْتِصَارَ عَلَى النُّوَادِرِ الْقَصَارِ.... وَسَمَّيْتُهُ «دِيَوَانُ الصَّبَابَةِ» لِیُضِیْحَ الْوَاقِفُ عَلَيْهِ مُوَلَّاهَا وَيَعْلَمَ اِنْ لَمْ اَكُنْ اَنَا لِلصَّبَابَةِ، فَمَنْ لَهَا^(٢)؟.... وَرَبَّتُهُ عَلَى مُقَدِّمَةِ وَثَلَاثِينَ بَابًا وَخَاتِمَةً. اَمَّا الْمَقْدَمَةُ فَفِي ذِكْرِ حَدِّ الشَّقِّ وَاشْتِقَاقِهِ وَمَا قِيلَ فِيهِ.... وَاَمَّا الْاَبْوَابُ (فَهِی): ذِكْرُ الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ - ذِكْرُ الْمُحَبِّينَ وَالظُّرَفَاءِ مِنَ الْمُلُوكِ وَالْخُلَفَاءِ - ذِكْرُ مَنْ غَشِيَ عَلَى السَّحَابِ -..... ذِكْرُ الْغَيْرَةِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْحَيْزَةِ - ذِكْرُ اِثْنَاءِ السَّرِّ وَالْكُتْمَانِ - ذِكْرُ الْاِحْتِيَالِ عَلَى طَيْفِ الْحَيَالِ - ذِكْرُ الْعِتَابِ عِنْدَ اجْتِمَاعِ الْاَحْبَابِ..... إلخ. وَاَمَّا الْخَاتِمَةُ فَفِي ذِكْرِ مَنْ مَاتَ مِنْ حَبِّهِ.....

- ٤- دِيَوَانُ الصَّبَابَةِ، الْقَاهِرَةُ (طَبْعُ حَجَر) ١٢٧٩ هـ؛ ١٢٩١ هـ؛ ١٣٠٥ هـ (بَهِاش «تَزْوِينِ الْأَسْوَاقِ»، لِدَاوُودِ الْأَنْطَاكِيِّ التَّوَفَى ١٠٠٨ هـ)، مِصْرَ ١٢٩١ هـ؛ الْقَاهِرَةُ (الْمَطْبَعَةُ الْأَزْهَرِيَّةُ) ١٣٠٢، ١٣٠٨ هـ.
- سَكْرَدَانُ السُّلْطَانِ، بُولَاقُ ١٢٨٨ هـ (بَهِاش «الْخَلَاةُ» لِبَهَاءِ الدِّينِ الْعَامِلِيِّ التَّوَفَى ٩٥٣ هـ)، الْقَاهِرَةُ (الْبَابِي) ١٣١٤، ١٣١٧ هـ.
- مِجْتَمَعُ الْأَدْبَاءِ، مِصْرَ.
- مِغْنَاتِيسُ الدَّرِّ النَّفِيسِ، مِصْرَ ١٣٠٥ هـ.

★ الدَّرَرُ الْكَامِنَةُ (الْقَاهِرَةُ) ١ : ٣٥٠ - ٣٥٢، (حَدَرِ آبَاد) ١ : ٣٢٩ - ٣١١ (رَقْمُ ٨٢٦)؛ تَعْرِيفُ الْخُلْفِ ٢ : ٤٢ - ٥٣؛ تَشِيرُ الْجَمَانِ ٢٢٨ - ٢٢٩؛ شَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٦ : ٢٤٠ - ٢٤١؛ دَائِرَةُ الْمَعَارِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ ٣ : ٦٨٦؛ بَرُوكْلَسُنُ ٢ : ١٣ - ١٤، الْمُلْحَقُ ٢ : ٦ - ٥، رَاجِعُ ٢ : ٣٠٩، الْمُلْحَقُ ٢ : ٤٦٧؛ الْأَعْلَامُ لِلزُّرْكَلِيِّ ١ : ٣٥٥ (٢٦٨ - ٢٦٩)؛ مَعْجَمُ الْمُؤَلَّفِينَ لِكَحَّالَةٍ ٢ : ٢٠١؛ مَعْجَمُ أَعْلَامِ الْجَزَائِرِ ٤٧ - ٤٨؛ سَرَكِيسُ ٢٨ - ٢٩.

ابن بطّوطة

١- هُوَ شَمْسُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ اللُّوَاتِي الطَّنْجِي الْمَرْفُوفُ بِابْنِ بَطَّوْطَةَ، وُلِدَ فِي ١٧ رَجَبِ ٧٠٣ (١٠٣٤/٢/٢٤ م) فِي طَنْجَةَ.

(١) الإبريز: الذهب الخالص.

(٢) مَوْلَهُ: شَدِيدُ الْحُبِّ لِلشَّيْءِ. فَمَنْ لَهَا؟ مَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ غَيْرِي؟

في سنة ٧٢٥ هـ (١٣٢٥ م) خَرَجَ ابنُ بطُوطَة من طنجَة بِنِيَّة الحِجِّ، ولم يَكُنْ قادراً على توفير وسائل السفر بنفسه فاضطرَّ إلى أن يرافق القوافل التي قَبِلَتْ أن تُحْمِلَه مجاناً، فطالت رحلته وتعرَّجت طريقه: جازَ البحرَ من مِصرَ إلى الحِجاز فلم يَتيسَّر له الوصولُ إلى مَكَّة فعادَ إلى مِصرَ ثم سارَ إلى القُدس فيبُروتَ فحَلَبَ فاللاذقية فحَلَبَ فدمشقَ. وبعدَ الحِجِّ تطوَّفَ في الشام والعراق وفارسَ وبلادِ الروم (آسية الصغرى) والقسطنطينية وشبه جزيرة القرم، ثم قطع نهرَ الفولغا إلى الأفغان والتُرْكستان والمِندَ فتولَّى القضاء في دَهلي (عاصمة الهند) عامين. وبعدَ أن تولَّى القضاء عاماً ونصفَ عامٍ في ذِية المِهل^(١) زارَ الصينَ وسيلانَ وسومطرةَ. ثم عادَ إلى فاسَ (المغرب) في شُعبانَ من سنة ٧٥٠ هـ (أواخر ١٣٤٩ م). وفي العام التالي زارَ غرناطةَ (الأندلس) ومَلِي^(٢) وتمبكتو في السودانِ الغربي (غربي إفريقيا).

وكانت وفاةُ ابنِ بطُوطَة في مدينة مَرَاكُشَ سنة ٧٧٩ هـ (١٣٧٧ م).

٢- رحلة ابنِ بطُوطَة من أعجب الرِّحَلاتِ امتدَّتْ أكثرَ من خَمْسٍ وعشرين سنةً. وكان ابنُ بطُوطَة يَسْتَقِرُّ في عددٍ من المُدنِ ويتزوَّجُ ويتولَّى عدداً من المناصب والأعمال. من أجل ذلك كان في رحلته أخباراً كثيرةً موثوقةً برُغم غرابتها. وكان ابنُ بطُوطَة يَكْتُبُ مذكراتٍ في أثناء رحلته. ولكن مذكراتِه هذه ضاعت في بَحرِ الرِّنج. فلَمَّا استقرَّ في مدينة مَرَاكُشَ أَملى ما كان يَتَذَكَّرُ منها على ابنِ جُزَي^(٣) وسَمَّاها «تُحْفَةُ النُّظَّارِ في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»، وهي تُعرَفُ عادةً بِعنوانِ رحلة ابنِ بطُوطَة.

(١) ذِية المِهل جزائر جنوب شرق الهند تعرف في الكتب الأوروبية المعاصرة لنا باسم مالديف، وتسمى اليوم رسمياً محلدب.

(٢) مَلِي = مالي في السودان الغربي. ومالي تطلق اليوم على جمهورية في غربي إفريقيا عاصمتها باماكو.

(٣) ابن جُزَي هذا: عَمَد بن عَمَد بن جُزَي الكلبي المتوفى سنة ٧٥٧ للهجرة (راجع ترجمته). وقد أَملى ابن بطُوطَة رحلته على ابن جُزَي هذا تلبية لرغبة أبي عنان فارس بن علي سلطان بني مرين (٧٢٩ - ٧٥٩ هـ).

- من «رحلة ابن بطوطة»:

(أ) ذِكْرُ إحراقِ أهلِ الهندِ أنفسهم:

ثم اتفق بعد مدة أن كنت بمدينة أكثر أهلها من الكفار تُعرفُ بأبحري، وأميرها سلم من سامرة السند^(١)، وعلى مقرية منه الكفار العصاة، فقطعوا الطريق يوماً. فخرج الأمير لقتالهم ومعه رعيته من المسلمين والكفار، ووقع قتالٌ شديدٌ مات فيه من رعيته الكفار سبعة نفر. وكان لثلاثة منهم ثلاث زوجات فاتفقن على إحراق أنفسهن.

وإحراق المرأة بعد زوجها عندهم أمرٌ مندوبٌ إليه غير واجب. لكن من أحرقت نفسها بعد زوجها أحرز أهل بيتها شرفاً بذلك ونسبوا إلى الوفاء. ومن لم تحرق نفسها لبست خشن الثياب وأقامت عند أهلها بائسة مُمتَهنة لعدَمِ وفاتها. ولكنها لا تُكره على إحراق نفسها.

ولما تعاهدت النسوة الثلاث اللاتي ذكرناهن على إحراق أنفسهن أقمن قبل ذلك ثلاثة أيام في غناء وطرب وأكل وشرب كأنهن يُودعن الدنيا، و (كانت) تأتي إليهن النساء من كل جهة. وفي صبيحة اليوم الرابع أتيت كل واحدة منهن بفرس فركيته وهي منزينة متعطرة، وفي يئناها جورة نارجيل تلعبُ بها وفي يسراها مِراة تنظرُ فيها وجهها، والبراهمة يحفون بها وأقاربها ممها، وبين يديها الأطباء والأبواق والأنوار^(٢)، وكل إنسان من الكفار يقول لها: «أبلغني السلام إلى أبي أو أخي أو أمي أو صاحبي». وهي تقول: «نعم!» وتبسم لهم.

وركبتُ مَهمَنَ لأرى كيفية صنيعهن في الاحتراق. فبرنا مَهمَنَ نحو ثلاثة أميال. وانتهينا إلى موضعٍ مُظلمٍ كثير المياه والأشجار مُتكاثفِ الظلال، وبين أشجاره أربع قباب في

(١) من سامرة السند: من مجوس الهند الذين دخلوا في الإسلام (٤). السند: المناطق الغربية الشمالية من الهند (باكستان الغربية اليوم).

(٢) الألبال والطبول جمع طبل: آلة موسيقية من ذوات النزع (الضرب) كبيرة وبوجهين. البوق: آلة موسيقية من ذوات الفخ وجمعها بوق (بضم ففتح). الأنوار جمع نر (بفتح فسكون) ونفیر: الجماعة من الناس (واين بطوطة يقصد بكلمة أنوار: مرامير).

كُلُّ قُبَّةٍ صَنَّمَتْ مِنَ الْحِجَارَةِ. وَبَيْنَ الْقِيَابِ صَهْرِيحٌ مَاءٌ قَدْ تَكَاثَفَتْ عَلَيْهِ الظَّلَالُ
وَتَرَاخَمَتْ الْأَشْجَارُ فَلَا تَخْلَلُهَا الشَّمْسُ. فَكَأَنَّ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ مِنْ جَهَنَّمَ، أَعَادَنَا اللَّهُ مِنْهَا!
وَلَمَّا وَصَلْنَا إِلَى تِلْكَ الْقِيَابِ نَزَلْنَا إِلَى الصَّهْرِيحِ. وَانْعَسَنَّا فِيهِ وَجَرَدْنَا مَا عَلَيْنَا مِنْ
ثِيَابٍ وَحُلَى فَتَصَدَّقَنَ بِهِ. وَأُتِيَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ بِثَوْبٍ قُطِرَ خَشْيَ غَيْرِ مَخِيطٍ،
فَرُبِّطَ بَعْضُهُ عَلَى وَسْطِهَا وَبَعْضُهُ عَلَى رَأْسِهَا وَكَيْفِهَا، وَالنِّيرَانُ قَدْ أَضْرَمَتْ عَلَى قُرْبٍ
مِنْ ذَلِكَ الصَّهْرِيحِ فِي مَوْضِعٍ مَنخَفِضٍ وَصُبَّ عَلَيْهَا رَوْغُنٌ كَنَجَتْ - وَهُوَ زَيْتُ
الْجُلْجُلَانِ^(١) - فَرَاذٌ فِي اسْتِعْمَالِهَا. وَ (كَانَ) هُنَاكَ نَحْوُ خَمْسَةِ عَشَرَ رَجُلًا بِأَيْدِيهِمْ خَشَبٌ
كِبَارٌ، وَأَهْلُ الْأُطْبَالِ وَالْأَبْوَابِ وَقُوفٌ يَنْتَظِرُونَ مَجِيءَ الْمَرْأَةِ - وَقَدْ حُجِبَتِ النَّارُ
بِجُلْحَةِ لَثَلٍ يُذْهِشُهَا النَّظَرُ إِلَيْهَا. فَرَأَيْتُ إِحْدَاهُنَّ لَمَّا وَصَلَتْ إِلَى تِلْكَ الْمَلْحَفَةِ نَزَعَتْهَا مِنْ
أَيْدِي الرِّجَالِ بَغْتَةً وَقَالَتْ لَهُمْ: «مَارَا مَيْتَرَسَانِي أَزْ أَطُش؟ مِنْ مِيدَانِ أَوْ أَطُشِ اسْتِ.
رَهَا كَنِي مَارَا!» وَهِيَ تَضْحَكُ. وَمَعْنَى هَذِهِ الْجُمْلَةِ: أِبَالِنَارُ تُخَوِّفُونَنِي؟ أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهَا نَارٌ
مُحْرِقَةٌ^(٢). خَلَوْا عَنِّي^(٣). ثُمَّ جَمَعَتْ يَدَيْهَا فَوْقَ رَأْسِهَا خِدْمَةً لِلنَّارِ وَرَمَتْ بِنَفْسِهَا
فِيهَا. عِنْدَئِذٍ ضَرَبَتِ الْأُطْبَالُ وَالْأَنْفَارُ وَالْأَبْوَابُ، وَرَمَى الرِّجَالُ مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْحَطَبِ
عَلَيْهَا، وَجَمَلَ الْآخَرُونَ تِلْكَ الْحُشْبَ مِنْ فَوْقِهَا لَثَلًا تَتَحَرَّكُ. وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ وَكَثُرَ
الصَّجِيحُ.

وَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ كِدْتُ أَشْفُطُ عَنْ فَرَسِي لَوْلَا أَنَّ أَصْحَابِي تَدَارَكُونِي بِالْمَاءِ فَغَسَلُوا
وَجْهِي. وَانْصَرَفْتُ.

(ب) مَدَن الثَّام:

وَمَدِينَةُ صُورَ هِيَ الَّتِي يُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ فِي الْحِصَانَةِ وَالْمِنْعَةِ لِأَنَّ الْبَحْرَ مُحِيطٌ بِهَا مِنْ

(١) الْجُلْجُلَانُ: السَّم.

(٢) «مُحْرِقَةٌ» غَيْرُ مَوْجُودَةٍ فِي الْأَصْلِ الْفَارْسِيِّ.

(٣) هَذِهِ الْعِبَارَةُ «خَلَوْا عَنِّي». هِيَ مَعْنَى «رَهَا كَنِي مَارَا» (حَرْفِيًّا: اَعْمَلُوا لِي طَرِيقًا)، وَهِيَ غَيْرُ مَوْجُودَةٍ
فِي الْأَصْلِ فَأَضْمَتْنَاهَا. (هَذِهِ جُمْلَةٌ مَهْمَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ بَجُوسَ الْهِنْدِ مِنْذُ أَيَّامِ ابْنِ بَطُّوطة كَانُوا يَتَكَلَّمُونَ اللَّفَّةَ
الْفَارْسِيَّةَ - لَفَّةَ الْمُسْلِمِينَ - ثُمَّ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ ابْنَ بَطُّوطة تَعَلَّمَ عِدَّةً مِنْ لُغَاتِ الْبِلَادِ الَّتِي زَارَهَا وَطَالَ
مَكَّةَ فِيهَا. وَكَذَلِكَ تَدُلُّ - إِذَا كَانَ هَذَا النِّقْصُ مَوْجُودًا فِي جَمِيعِ النُّسخِ - أَنَّ ابْنَ جَزْيِي لَمْ يَتَوَعَّبْ كَلَامَ
ابْنِ بَطُّوطة كُلِّهِ فَكَانَ يَنْصَرِفُ بِمَا أَمْلَأَ عَلَيْهِ ابْنُ بَطُّوطة كَثِيرًا أَوْ قَلِيلًا).

ثلاث جهاتها. ولها بابان أحدهما للبر والآخر للبحر..... وبنائها ليس في بلاد الدنيا أعجب منه ولا أغرب شأنًا..... ثم سافرت إلى مدينة صيدا وهي على ساحل البحر حنة كثيرة الفواكه يُحمل منها التين والزبيب والزيت إلى بلاد مصر..... ثم سافرت إلى مدينة طبرية، وكانت فيما مضى مدينة ضخمة ولم يبق منها إلا رسوم تُبنى عن ضخامتها وعظم شأنها. وبها الحمامات العجيبة... وماؤها شديد الحرارة.....

ثم سِرنا إلى مدينة بيروت وهي صغيرة حنة الأسواق وجامعها بديع الحسن، وتُجلب منها إلى مصر الفواكه والحديد... ثم، وصَلتُ إلى مدينة طرابلس وهي إحدى قواعد^(١) الشام وبلدانها الضخام، تَخترقها الأنهار وتُحفظ البساتين والأشجار وقد تَكُنَّفها البحر بمراقبه العميقة والبر بحجراته المنيعة^(٢)، ولها الأسواق العجيبة والمسارح^(٣) الخصبية. والبحر منها على ميلين، وهي حديثة البناء. وأما طرابلس القديمة فكانت على ضفة البحر وتملكها الروم زمانًا. فلما استرجعها الملك الظاهر خربت وأُتخذت هذه الحديثة^(٤).

(ج) النارجيل:

وهو جوز الهند. وهذا الشجر من أغرب الأشجار شأنًا وأعجبها أمرًا. وشجره شبيه شجر النخل، لا فرق بينهما إلا أن هذه تُثمر جوزًا وتلك تُثمر تمرًا. وجوزها يشبه رأس ابن آدم لأن فيه شبة العينين والفم. وداخلها شبة الدماغ - إذا كانت (لا تزال) خضراء - وعليها ليف يشبه الشعر، وهم يصنعون منه حبالاً يخيطنون بها المراكب عوضاً عن مسامير الحديد. ويصنعون منه الحبال للمراكب.

والجوزة منها - وخصوصاً التي يجزأثر ذببة المهل^(٥) - تكون يقدار رأس

(١) القواعد: المدن الكبيرة المهمة.

(٢) المنيعة: الدائقة.

(٣) المسرح: المرعى، المكان الذي تسرح فيه الماشية.

(٤) طرابلس القديمة كانت الجزء المعروف اليوم باسم «البناء» (طرابلس الحرة). طرابلس الحديثة

(الحديثة): طرابلس البلد.

(٥) راجع، فوق ص ٥٢٢، الحاشية الأولى.

الآدمي. ويزعمون أن حكماً من حكماء الهند في غابر الزمان كان متصلاً بملك من الملوك ومُعظماً لديه، وكان للملك وزير بينه وبين هذا الحكيم مُعادة. فقال الحكيم للملك: «إن رأس هذا الوزير إذا قُطِع ودُفِنَ تخرجُ منه نخلة تُسمَّى بِشَرٍ عظيم يعودُ نفعه على أهل الهند وسواهم من أهل الدنيا». فقال له الملك: «فإن لم يظهر من رأس الوزير ما ذكرته؟» قال (الحكيم): «فإن لم يظهر فأصنع برأسي كما صنعت برأسه».

فأمر الملك برأس الوزير قُطِع. وأخذَ الحكيمُ وغرسَ نواة تمرٍ في دماغه وعالجها حتى صارت شجرةً وأثمرت بهذا الجوز.

وهذه الحكاية من الأكاذيب، ولكن ذكرناها لشهرتها عندهم.

- مشعوذ في الصين:

..... وفي تلك الليلة حَضَرَ أَحَدُ الْمُشْعُودِينَ^(١)، فقال له الأمير: أرنا من عجائبك. فأخذَ (المشعوذ) كُرَّةَ خَسْبٍ لما قُبِّبَ وفيها سُيور^(٢) طوالَ قَرَمَى بها إلى الهواء فأزفعت حتى غابت عن الأبصار، ونحن في وسطِ المَورِ^(٣) أيامَ الحرِّ الشديد. فلما لم يَبْقَ في يده من السَّيرِ إلَّا (شيء) يسير^(٤)، أمرَ مُتَعَمِّلاً^(٥) له فتعلَّقَ به وصعدَ في الهواء إلى أن غابَ عن أبصارنا. فدعاه فلم يُجِبْهُ ثلاثاً^(٦). فأخذَ (المشعوذ) سِكِّيناً بيده كالْمُفْتَاطِزِ وتعلَّقَ بالسَّيرِ (وصعد) إلى أن غابَ أيضاً. ثم (إنه) رمى يَدَ الصَّبِيِّ إلى الأرض، ثم رمى يَدَهُ الأخرى ثم بِرِجْلِهِ الأخرى ثم بِجَسَدِهِ ثم بِرَأْسِهِ. ثم هَبَطَ (المشعوذ) وهو يَنْفُخُ، - وثيابه مُلَطَّخَةٌ بِالدَّمِ - فقَبَلَ الأرضَ بينَ يَدَيِ الأميرِ، وكَلَّمَهُ بالصَّيْنِي، (ف) أَمَرَ له الأميرُ بِشَيْءٍ.

- (١) شِعْذ الرجل وشعوذ: برع في الاحتيال وفي إظهار الأشياء على غير حقيقتها.
- (٢) السيور جمع سير (بالفتح): قطعة من جلد مقدودة بمرض الإصبع أو نحو ذلك، ولكن طويلة كالجلل.
- (٣) المور ليست في القاموس بمعنى يوافق موقفاً في هذا النص. والمقصود مجلس ضاحٍ (في الخلاه) يجلس فيه الأمير.
- (٤) يسير: قليل.
- (٥) المتعلم: صبي يقوم بين يدي أحد أرباب الصنائع ليتعلم منه صنعه. وكان الكلمة الفرنسية apprenti مأخوذة من معنى هذه الكلمة العربية. والإنكليز قالوا: apprenticed من نظرهم إلى الكلمة الفرنسية.
- (٦) اقرأ: فدعاه ثلاثاً فلم يجبه.

ثم إنه أخذ أعضاء الصبي فالتصق بعضها ببعض، وركضة^(١) برجله فقام سويًا. فعجبت منه وأصابني حَقَقَانُ^(٢)، فسَقَوِي ما أَذْهَبَ عَنِّي ما وَجَدْتُ. وكان القاضي فخر الدين إلى جانبي، فقال لي: والله، ما كان من صعود ولا نزول ولا قطع عضو، وإنما ذلك شعوذة.

٤- تحفة النظار.... (رحلة ابن بطوطة) (تحرير ديميري وسانغوينيتي)، باريس (المطبعة الأهلية) ١٨٥٣-١٨٥٨ م (١٢٧٠ هـ وما بعد)، الطبعة الثانية ١٨٦٩-١٨٧٩ م، الطبعة الثالثة ١٨٩٣-١٨٩٥ م؛ القاهرة (مطبعة وادي النيل) ١٢٨٧-١٢٨٨ هـ؛ القاهرة (مصطفى فهمي) ١٣٢٢ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٢٢ هـ؛ القاهرة (مطبعة انتقدم) ١٣٢٢ هـ؛ القاهرة ١٣٤٦ هـ؛ بيروت (دار بيروت) ١٩٦٠ م.

★ ★ تحفة النظار (اختصار محمد فتح الله بن محمود البيلوني العمري الأنصاري)، القاهرة (طبع حجر) ١٢٧٨ هـ، (طبع حروف) ١٢٧٩ هـ.

- مذهب رحلة ابن بطوطة المسماة «تحفة النظار» (وقف على تهذيبها أحمد العوامري ومحمد جاد المولى)، (بلا تاريخ)، القاهرة (المطبعة الأميرية) ١٩٣٣-١٩٣٤ م.

- ذيل على فصل الأخية (?) الفتيان التركية لابن بطوطة، بقلم جودت محمد، استانبول ١٣٥١ هـ (راجع بروكلمان، الملحق ٢: ٣٦٦).

- رحلة ابن بطوطة، تأليف محمد مصطفى زيادة، القاهرة () ١٩٣٩ م.

- ابن بطوطة، تأليف فؤاد بدوي، القاهرة (دار الكتاب العربي) ١٩٦٧ م.

- أدب الرحلة: تاريخه وأعلامه: المسعودي- ابن بطوطة- الريحاني، تأليف جورج غريب، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٦ م.

- ابن بطوطة، تأليف فؤاد أفرام البستاني، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٢٧ م.

الدرر الكامنة (حيدر آباد) ٣: ٤٨٠-٤٨١؛ نفح الطيب ١: ١٥٢، ١٧٥-١٧٦، ١٧٧؛

٣٣٧-٣٣٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٣٥-٧٣٦؛ بروكلمان ٢: ٣٣٢-٣٣٣،

الملحق ٢: ٣٦٥-٣٦٦؛ الأعلام للزركلي ٧: ١١٤ (٦: ٢٣٥-٢٣٦)؛ معجم المؤلفين

لكحالة ١٠: ٢٣٥-٢٣٦؛ سركيس ٤٨-٤٩؛ النبوغ المغربي ٢١٢-٢١٣؛ الأدب

المغربي ٤١٢-٤١٧.

(١) ركض الرجل الحجر برجله: ركله، صدمه، دفعه.

(٢) الحَقَقَان: شدة النبض (يفتح فكون): شدة ضربات القلب وسرعتها.

أبو جعفر الفَرْنَاطِيُّ الرَّعِينِي^(١)

١- هو أبو جعفر أحمد بن يوسف بن مالك بن اسماعيل الفَرْنَاطِيُّ الإلبيري الرَّعِينِي، وُلِدَ سَنَةَ ٧٠٨ أو ٧٠٩ هـ (١٣٠٨ - ١٣١٠ م). قرأ القرآن بالسَّبعِ على أبي الحسن علي بن إبراهيم القيجاطي، والحديث على أبي عبد الله محمد بن علي الخولاني الإلبيري، والفقه على أبي عبد الله البياني. وكانت وفاته في مُنْتَصَفِ رَمَضَانَ من سَنَةِ ٧٧٩ (١٣٧٨/١/١٦ م).

٢- أبو جعفر الفَرْنَاطِيُّ الرَّعِينِيُّ عانى الأدب مُدَّةً حَتَّى بَرَعَ فيه. ولكن أدبه ظلَّ أدبَ شروح ومُعَارَضَاتٍ واقتباسٍ من القرآن ومن الحديث ومن أقوال الشعراء ومن موضوعات النحو والبلاغة في مَقْطَعَاتٍ من بَيِّنَاتٍ وثَلَاثَةٍ وأربعة. وفي شذرات الذهب أنه كان كثيرَ التَّأليفِ في العربية (النحو) وغيرها. وكان قد شَرَحَ بديعةَ رفيقه ابن جابر الأندلسيَّ وسَمَّاها « طِرَازَ الحَلَّةِ وشِفاءَ العَلَّةِ » (نفع الطيب ٢: ٦٧٦).

٣- مختارات من آثاره

- لأبي جعفر الفَرْنَاطِيُّ الرَّعِينِي مَقْطَعَاتٌ منها:

- ★ أبدت لي الصُّدُغَ على خَدَّها، فأطلع الليلُ لنا صُبْحَهُ^(٢).
فخَدَّها معَ قَدَّها قائلٌ (هذا شقيقٌ عارضٌ رُمْنَهُ)^(٣).
★ جِنِصْ لمن أضْحى بها جَنَّةً يدنو لَدَنِّها الأملُ العاصي^(٤).
حلَّ بها العاصي. ألا فاعجبوا من جَنَّةٍ حلَّ بها العاصي^(٥)!

(١) راجع عدداً من تفاصيل حياته في ترجمة رفيقه ابن جابر الأندلسي (ت ٧٨٠).

(٢) الصُّدُغُ، في الأصل، ما فوق الحَذِّ. و (هنا) الشعر الذي يتدلَّى إلى جانب الجبهة. - فظهر بياض خَدَّها من خلال شعرها.

(٣) قَدَّها: قوامها الذي يشبه قوام الرمح. والعجز اقتباس. (تضمن ناقص) من قول الشاعر:

جاء شقيق عارضاً رعبه إن يسي عَمَّك فيهم رماح.

(٤) حصن المدينة الثامية على نهر العاصي. جنة: روضة ذات أنهار وأشجار.

(٥) العاصي (الأولى) نهر العاصي. العاصي (الثانية): المذنب. الحنة (الثالثة): جنة الخلد في الآخرة.

** وَمُورِدِ الْوَجَنَاتِ دَبَّ عِذَارُهُ،
 لَمَّا رَأَيْتُ عِذَارَهُ مُتَعَجِّلًا
 نَادَيْتُهُ: قِفْ كِي أُوَدِّعَ وَرَدَّهُ؛
 ** يَا رَاحِلًا يَبْنِي زِيَارَةَ طَبِيبَةٍ،
 حَيَّ الْعَفِيقَ إِذَا وَصَلْتَ وَصِيفَ لَنَا
 وَإِذَا وَقَفْتَ لَدَى الْمُرَفِّ دَاعِيًا
 ** هَذِهِ رَوْضَةُ الرُّسُولِ، فَدَغْنِي
 لَا تَلْمُنِي عَلَى انْكَابِ دُمُوعِي؛
 ** حَسَنَ النَّيَّةِ مَا اسْتَطَعْتَ وَلَا
 إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، مَنْ
 ** قَالَتْ، وَقَدْ جَاوَلْتُ تَيْلَّ وَصَالِهَا:
 بِاللَّهِ، قُلْ لِي: أَيْنَ نَحْوُكَ، يَا قَتَى؟
 ** لَا تُعَادِ النَّاسَ فِي أَوْطَانِهِمْ؛
 وَإِذَا مَا شِثَّتَ عَيْشًا بَيْنَهُمْ

(١) العذار: الشعر النابت في الوجه: كأنه حطَّ (أسود) على قرطاس (ورق أبيض).

(٢) الورد: أحجار الخندق. الآس نبت أوراقه شديدة الخضرة. والعرب تسمي الأسود أخضر.

(٣) المعجز: نصين من مطلع قصيدة لأيي تمام:

ما في وقوفك ساعة من باس نقضي ذمام الأربع الأدراس.

(٤) طيبة: المدينة (مدينة الرسول).

(٥) العفيق: وادٍ قرب المدينة يتنزّه فيه الناس. منى: مكان قرب مكة بيت فيه الحجاج بعد الفجر (يفتح فكون: النزول من جبل عرفة).

(٦) المرَف: عرفة: جبل يقف عليه الحجاج يوم التاسع من ذي الحجة.

(٧) الروضة: مكان قبر الرسول. الصعيد: الأرض، التراب. الصعيد (لأنه ضَمَّ جسد الرسول).

(٨) في الحديث: إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ. وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى....

(٩) أين علمك بالبحر! هل يمكن أن يأتي اسم موصول بغير صلة (جملة تَمَّ معنا: رجع القائِد الذي ربح المعركة - ربح المعركة - صلة لاسم الموصول «الذي») وفي «الموصول» تورية: الحب الذي استجاب له حبيبه ثم الكلمة النحوية (الذي، التي، إلخ).

(١٠) المعجز نصين.....

- وله في مقدّمة شرحه ليدعيّة رفيقه ابن جابر الأندلسي.
.... نادرة في قنّها فريدة في حُسْنها، يُجْنى ثمرُ البلاغة من غُصنها وتَنهلُ سواكبُ
الإِجادة من مُرّنها. لم يُنسَج على مُنوالها^(١) ولا سَمَحَتْ قريحةٌ بِمثالها. رأيتُ أن أضعَ لها
شرحاً يَجْلُو عرائسَ معانيها لمعانيها^(٢)، ويُبدِي غرائبَ ما فيها لمُوافيها^(٣). لا أَمِلُ
الناظرُ فيه بالتطويل ولا أَعَوِّقُه بِكثرة الاختصار عن مدارك التحصيل. فخيرُ الأمور
أَوْسَطُها، والغرضُ ما يقرِّبُ الأمورَ ويَضِطُّها. فأعِزُّبُ من أفاظها كلَّ خفي وأسكُتُ
من لغاتها عن كلَّ جَلِيٍّ^(٤)..

٤-★★ المنهل الصافي ١: ٢٩٩؛ الدرر الكامنة ١: ٣٦١-٣٦٢ (١: ٣٤٠)؛ الوافي
بالوفيات ٨: ٣٠٥-٣٠٧، راجع ٦: ٣٠٥-٣٠٧؛ بغية الوعاة ١٧٦ (راجع
١٤)؛ شذرات الذهب ٦: ٢٦٠-٢٦١؛ نفع الطبيب ١: ٤٤، ٤٧، ٩٠، ٩٢؛
٥٦٥، ٦٧٥-٦٧٧، ٦٨٠، ٦٨٤ وما بعد، ٦٨٧ وما بعد، ٢٨٨-٢٨٩،
٣٤٧: ٣٤٨-٣٤٧، ٣٧٦-٣٧٧؛ الأعلام للزركلي ١: ٢٦٠ (٢٧٤).

ابن جابر الأندلسي

١- هو شمسُ الدين أبو عبدِ الله محمدُ بنُ عليّ بن جابر الهواريّ الأندلسيّ المرينيّ
الضريّ، وُلِدَ في المرية سنة ٦٩٨ (١٢٩٨-١٢٩٩ م).

قرأ ابنُ جابر القرآنَ على محمد بن أبي العيش^(٥) والحديثَ على محمد الزواوي والفقّهَ
على محمد بن سعيد الرنديّ، ثم رَحَلَ - وهو في مَطْلَعِ حياتِه - إلى مِصرَ، ومَعَهُ أبو جعفر
القرناطيّ (كان ابنُ جابر يَنْظِمُ وأبو جعفر يُدَوِّنُ له نَظْمه)، وقد عرِفَا بالأعمى
والبصير. وفي مِصرَ سَمِعَ الرقيقانِ من أبي حيان القرناطيّ (ت ٧٤٥).

(١) المزن: الطر. المتوال: آلة لحياكة السج. لم ينج أحد على متوالها: لم يصنع أحد مثلها.

(٢) المعاني: الذي يجهد نفسه في فهم الشيء أو عمله.

(٣) الوافي: الواصل (الذي يصل إلى هذه البديعية ويقرأها ليفهم ما فيها).

(٤) لغاتها: ألفاظها المختلفة (والدالة على معنى واحد، أو على معانٍ متقاربة). الخفي: الواضح.

(٥) كذا في الوافي بالوفيات وفي نكت العميان. وفي بغية الوعاة: ابن بعيش.

ثم حجّ الرفيقان واستأنفا الرحلة إلى الشام، سنة ٧٤١، ونزلوا دمشقَ فسيما فيها جانباً من صحيح البخاري من الحافظ يوسف بن عبد الرحمن المزيّ (ت ٧٤٢). واتهم الرفيقان فرصة موت المزيّ فانتقلا إلى حلب، سنة ٧٤٣، وجعلوا يُحدثان بصحيح البخاري. ثم انتقلا إلى البيرة (على الفرات، قرب سُميساط).

ثم اتفق أن تزوّج ابنُ جابر فاختلّت صُحبَتُها وافترقا. وتوفي أبو جعفر سنة ٧٧٩ فرثاه ابنُ جابر. أما ابنُ جابر فكانت وفاته سنة ٧٨٠ (١٣٧٨ - ١٣٧٩ م) في البيرة.

٢- ابنُ جابر الأندلسيُّ أديبٌ ناثرٌ وشاعرٌ، وله إلمامٌ بالحديث وبراعةٌ في اللغة والنحو والعروض والبلاغة. وهو شاعرٌ مُكثِّرٌ له مُقطَّعاتٌ حسانٌ. وقد اشتهر بقصيدته «بديعةُ العُمانِ» أو الحلةُ السيرا في مدح خير الوري^(١)، وهي مائةٌ وسبعةٌ وسبعون بيتاً جمَعَ فيها خمسينَ وجهاً من البديع (الصناعة اللفظية). هذه القصيدة نازلةٌ عن مُستوى الشعر الجيد لأنَّ ناظمها تكلف فيها ما من شأنه أن يجعلَ الشعرَ متخلِّجاً ضعيفاً. ثم هو مُصنّفٌ شرحَ بديعته وشرحَ ألفيةَ ابنِ مالكٍ وألفيةَ ابنِ مُعطٍ. وله من الكتب: كتابُ الغينِ في مدحِ سيّد الكونين (مجموعُ مدائحٍ في الرسوبِ مرتبةٌ على الحروف) - رسالةٌ في البيرة ومولِدِ النبي - المنحة في اختصارِ الملحة^(٢). ثم له قصائدٌ وأراجيزٌ منها: وسيلةُ الآبِقِ في أسماءِ الصحابة والتابعين على ما ذكّرَ أبو نعيم^(٣) - غايةُ المرامِ في تثلِيثِ الكلام - في العروض - في النحو - في المقصور والممدود - مدح المدينة.

(١) قال ابن حجة الحموي (٧٦٧ - ٨٣٧ هـ) في «بديعة العُمان» ما يلي (خزانة الأدب، مصر ١٣٠٤ هـ، ص ١٢): «..... وجدته صرح في براعتها (في مطلعها الذي تكون فيه براعة الاستهلال، أي الابتداء الجيد الموافق) بمدح النبي صلى الله عليه وسلم..... فهذه البراعة ليس فيها إشارة تشعير بغرض الناظم وقصده، بل أطلق التصريح ونثر المدح ونشر طيب الكلام. فإن قال قائل: إنها براعة استهلال. قلت: إن البديعة لا بد لها من براعة (استهلال) وحسن مخلص (حسن انتقال من موضوع إلى موضوع) وحسن ختام. فإذا كان مطلع القصيدة منبأً على تصريح المدح لم يبق لحسن التخلص محل ولا موضع. ونظم هذه القصيدة سافل بالنسبة إلى طريق الجماعة (أصحاب البديعات). غير أن الشيخ الإمام العلامة شهاب الدين أبا جعفر الأندلسي شرحها شرحاً مفيداً».

(٢) ملحمة الأعراب (م منظومة في النحو للمبتدئين) للحريري (ت ٥١٦ هـ).

(٣) هو أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (٣٣٦ - ٤٣٠ هـ) من حفاظ الحديث ومن المؤرخين لرجاله. له كتب منها: كتاب معرفة الصحاب.

٣- مختارات من آثاره

- من بديعة العميان:

- كافي الأرامل والأيتام كافلهم،
دع عنك سلمى وسل ما بالعتيق جرى
من لي بدار كرام في البدار لها
بانوا فهان دمي وجداً فيها ندمي،
وحقهم ما نسينا عهد حبهم
من لي بمسلم للبيد معصم
ذو مرة فاستوى حتى دنا فرأى
واسهر إذا نام سار وامض حيث ونى
- وإني الندى لموافي ذلك الحرم^(١)
وأمّ سلماً وسل عن أهله القدم^(٢)
عزّ، فمن قدّ لها عن ذاك يُعْصَم^(٣)
فقد أراق دمي فيها ما أرى قدّمي^(٤)
ولا طلبنا سواهم لا، وحقهم^(٥)
باليس لا سُئِم يوماً ولا سُمِ^(٦)
وقيل: سل قدّ خيرت فاحتكم^(٧)
واسمح إذا شح نفساً واسر إن يُفم^(٨)

- (١) الوافي: الراجح، الكثير. الموافي: القادم، الواصل إلى. الحرم: المكان المحرم، المقدس (مكة أو المدينة). - جناس ناقص بين: كافي وكافل ثم وافي وموافي.
- (٢) العتيق: مرج في المدينة. بالعتيق: بالآخر: (الدمع) المزوج بدم. أمّ: قصد.
- (٣) سلح: اسم مكان في الحجاز. - جناس تام مركب (من كلمتين) بين سلمى وسل ما ثم بين سل عن وسلما.
- (٤) البدار: الإبراع. لها بهو: غفل، اشتغل عن الأمر، نسي. احتضم: وقع عليه ظم. - جناس تام. بدار (في دار) وبادار (إبراع). لها (فعل ماضٍ)، لها (جار ومحرور).
- (٥) بانوا: بعدوا، سافروا. هان: رخص، ذلّ. وجداً: اشتياًقاً. ها: أداة التنبيه من هذا (اسم إشارة). - جناس تام مركب أيضاً: فهان دمي، فيها ندمي. ثم أراق دمي، أرى قدّمي (أرى قدّمي أراق دمي جملة قديمة معروفة، فيما أعتقد).
- (٥) وحقهم (الواو: اللضم. حقهم: مجرور بالباء) - ردّ الإعجاز على الصدور بين «وحقهم ما» و«لا وحقهم».
- (٦) مسلم للبد (جمع بيداء، أرض واسعة مقفرة): ملتي بنفسي غير مهمّ بالخطر. معصم باليس (النياق): معتمد على الناقة التي يركبها لتقطع به تلك المسافات الطوال. المسم: الذي يجمل غيره بئ. المسم: الذي ملّ من طول السير. - سجع (قافية في وسط البيت: مسلم ومعصم ثم مسم ومسم).
- (٧) مرة: (قوة، أو منظر حسن). ذو قوة: جبريل. استوى: استقرّ. دنا: اقترب. - اقتباس من القرآن ﴿ذو مرة فاستوى، فهو بالأفق الأعلى، ثم دنا فتدلى﴾ (٥٣: ٦-٨، سورة النجم). - في حديث الإبراء والمراج: وصل محمد رسول الله مع جبريل إلى قرب عرش الرحمن.
- (٨) سار: سائر في الليل. ونى: كلّ وتعب. أسر: (فعل أمر من أسرى (سار ليلاً). أقام: لبث، بقي في مكانه. - طباق (معان متضادة) بين سهر ونام ثم أمض وونى، ثم اسمح وشح (محل)، ثم أسر وبهم.

إِلَى نَبِيٍّ رَأَى مَا لَا رَأَى مَلَكٌ وَقَامَ حَيْثُ أَمِينُ الْوَحْيِ لَمْ يَقُمْ^(١)
فَأَيْتَضُّ بَعْدَ سَوَادٍ قَلْبُ مُنْتَصِرٍ، وَاسْوَدُّ بَعْدَ بَيَاضٍ وَجْهُ مُنْهَزِمٍ^(٢)
يَمُّ نَبِيًّا تُبَارَى الرِّيحُ أُنْمُلُهُ وَالْمُزْنَ مِنْ كُلِّ هَامِي الْوَذْقِ مُرْتَكِمٍ^(٣)
تَكَادُ تَهْتَدُ أَنْ اللَّهُ أَرْسَلَهُ

إِلَى الْوَرَى نُطْفَأُ الْأَنْبَاءُ فِي الرَّحِمِ^(٤)
تُحِيطُ كَفَاهُ بِالْبَحْرِ الْمُحِيطِ، فَلَذَ بِهِ وَدَعَا كُلَّ طَامٍ الْمَوْجِ مُلْتَطِمٍ^(٥)
مِنْ أَغْرَبِ الْعَرَبِ، إِلَّا أَنْ نَسَبَتْهُ إِلَى قُرَيْشٍ حُبَاةِ الْبَيْتِ وَالْحَرَمِ^(٦)،
لَا عَيْبَ فِيهِمْ سِوَى أَنْ لَا تَرَى لَهُمْ ضَيْفًا يَجُوعُ وَلَا جَارًا يُهْتَضَمُ^(٧)،
عَيَّتْ عِدَاهُمْ فَرَانُوهُمْ بِأَنْ تَرَكُوا سِيُوفَهُمْ وَهِيَ تَبْجَانُ لِهَامِهِمْ^(٨)
تَجْرِي دِمَاءُ الْأَعَادِي مِنْ سِيُوفِهِمْ مِثْلَ الْمَوَاهِبِ تَجْرِي مِنْ أَكْفِهِمْ^(٩)،
إِذَا بَدَأَ الْبِدْرُ تَحْتَ اللَّيْلِ قُلْتُ لَهُ: أَنْتَ يَا بَدْرُ أَمْ مَرَأَى وَجُوهِهِمْ^(١٠)!

- (١) الملك (بفتح ففتح): واحد الملائكة. أمين الوحي جبريل. - طباى بالنبي: رأى ولا رأى ثم قام ولم يقم.
- (٢) طباى: أبيض واسود، سواد وبياض، منتصر ومنهزم. وعكس (تدميران أحدهما ضد الآخر).
- (٣) يم: اقص. تبارى: تنافس، تابى. أنمله: أصابه (يده). كناية عن الكرم). المزن: المطر. هامي الودق (البرق): الماء الساقط من السحاب بعد انشقاقه (ويكون عادة غزيراً). مرتكم: السحاب المتراكم (فيه ماء كثير). - مبالغة (لأن الإنسان لا يمكن أن يكون أكرم من المطر الذي هو من كرم الله!).
- (٤) الورى: البشر، مجموع الناس. النطفة: ماء الرجل قل أن يتعقد في رحم المرأة ليصبح جنيناً. - مبالغة وعلو.....
- (٥) البحر المحيط: الأقيانوس، البحر العظيم. لاذ يلود: لحأ. دع: انترك (الاستغناء) من كل طامي الموج (البحر المملوء بالأموال). ملتطم: يضرب بعض موجه بعضاً. - مبالغة.
- (٦) من أغرب العرب: من أقصى العرب نسباً. - تأكيد المدح بما يشبه الذم (انتقل هنا من مجموع العرب إلى قبيلة منهم).
- (٧) مهتضم: مظلوم. - تأكيد المدح بما يشبه الذم (لا عيب فيهم: مدح. ضيفهم يجوع: ذم. ضيفهم لا يجوع: يشبه الذم).
- (٨) الهامة: الرأس. المقصود هامهم تبجان لسيفهم. - تأكيد الذم بما يشبه المدح. تزيين السيوف برؤوس الأعداء ذم للأعداء، ولكن ظاهره (زانوا، زينوا، تبجان) مديح.
- (٩) المواهب: المطايا. - استنناع: جعل الشاعر يجري المواهب من الأكف (وهو مجاز، استمارة) مثل تجري الدماء من السيوف (وهو حقيقة).
- (١٠) تجاهل العارف: هو يعرف أن الذي يراه هو بدر السماء، ولكنه يتجاهل ذلك (وهو عارف بالحقيقة) لأن وجوههم أجل من البدر.

- وقال في الذين يتخذون الحضرة لباساً للدلالة على أنهم من نسل رسول الله:
 جَعَلُوا لِأَنْبَاءِ الرَّسُولِ عَلامَةً. إِنَّ العَلامَةَ شَأْنٌ مَنْ لَمْ يُشَهِّرْ.
 نُورَ النُّبُوَّةِ فِي كَرِيمِ وَجُوهِهِمْ يُغْنِي الشَّرِيفَ عَنِ الطَّيَّارِ الْأَخْضَرِ.
 - وله مقاطع منها:

★ ★ يَا أَهْلَ طَيِّبَةٍ، فِي مَفْئِئِكُمْ قَمَرٌ يَهْدِي إِلَى كُلِّ مَحْجُودٍ مِنَ الطُّرُقِ (١)؛
 كَالْفَيْثِ فِي كَرَمٍ، وَاللَّيْثِ فِي حَرَمٍ، وَالبَدْرِ فِي أُفُقٍ، وَالزَّهْرِ فِي خُلُقٍ (٢)؛
 ★ ★ وَلَمَّا وَقَفْنَا كَيْ نُودِّعَ مَنْ نَأَى وَلَمْ يَسْقَ إِلَّا أَنْ تُحَثَّ الرِّكَائِبُ،
 بَكَيْنًا. وَحَقٌّ لِلْمُحِبِّ إِذَا بَكَى عَشِيَّةً سَارَتْ عَنْ حِيَاهِ الحَبَائِبِ.
 ★ ★ مَتَمَّنَّا قَرَى الْجِبَالِ وَقَالَتْ: لَيْسَ فِي غَيْرِ زَادِنَا مِنْ مَجَالٍ (٣).
 فَأَقَمْنَا عَلَى الرَّحَالِ وَقُلْنَا: مَا لَنَا حَاجَةً بِحِطِّ الرَّحَالِ (٤)؛

- وكتب تعليقاً على كتاب نسيم الصبا (٥) منه:

لَمَّا وَقَفْتُ عَلَى الْفُصُولِ الْمَوْسُومَةِ بِنَسِيمِ الصَّبَا الْمَرْسُومَةِ فِي صَفَحَاتِ الْحُسْنِ فَإِذَا
 أَبْصَرَهَا اللَّيْبُ صَبَاً (٦)، انْتَشَشَ بِهَا الْخَاطِرُ انْتِعَاشَ النَّبْتِ بِالْفَهِامِ وَهَمَّتْ (٧) سَحَابٌ
 بِيَانِهَا فَأَثْمَرَتْ حَدَائِقَ الْكَلَامِ. وَأَخْرَجَتْ أَرْضُ الْقَرَائِعِ مَا فِيهَا مِنَ النَّبَاتِ.....
 فَصُولٌ هِيَ لِلْحُسْنِ أَصُولٌ، وَشَمُولٌ لَهَا عَلَى كُلِّ قَلْبٍ شُمُولٌ (٨). لَيْسَ لِقُدَامَةٍ عَلَى التَّقَدُّمِ
 بِهَا حُصُولٌ (٩)، وَلَا لَسَحَابَانِ لِأَنْ يَنْحَبَّ ذَيْلُهَا وَصُولٌ (١٠). وَلَا انْتَهَى قَسُّ الْأَيَادِي لِهَذِهِ

(١) طيبة: مدينة الرسول. قمر (كتابة عن الرسول).

(٢) الليث: الأسد. حرم: المكان الذي يأوي إليه الأسد (لا يجوز أن يقترب أحد منه).

(٣) رفضت أن تمننا عجايلها وسمحت بأن تقدم لنا الطعام إذا غن نزلنا بها ضيوفاً.

(٤) عندئذ بقينا على سروج خيلنا وقفنا لها: لا حاجة بنا إلى النزول ضيوفاً عليها.

(٥) «نسيم الصبا» كتاب في وصف الطبيعة والحياة الإنسانية في أسلوب أنيق مسجع لبدر الدين أبي محمد

الحسن بن عمر بن حبيب الدمشقي الحلبي (٧١٠ - ٧٧٩ هـ).

(٦) الليب: العاقل. صبا: مال، اشتاق.

(٧) همى المطر يهيم: انهمر، سقط غزيراً.

(٨) الشُمُول: الحمر الباردة. الشُمُول (مصدر): عموم، إحاطة.

(٩) قدامة بن جعفر البغدادي (ت ٣٢٧) كاتب مبلغ له كتاب «نقد الشعر».

(١٠) سحبان وائل (ت ٥٤) خطيب مخضرم (عاش في الحاهلية وفي الإسلام) مشهور بالمصاحبة.

الأيادي^(١)، ولا ظَفِرَ بَدِيعِ الزَّمانِ^(٢) بهذه البدائع الحسان.....

- لابن جابر الوادي آشيّ الضريع مقصورة نلمح في نقبها شيئاً من مقصورة ابن دُرَيْد (ت ٣٢١ هـ)، ولكنها في بنائها مُعْصَرَاتٌ (كلُّ مقطعٍ منها عَشْرَةُ أبياتٍ). وفي قوافيها خاصّةٌ هي: جميع أبياتها مَحْتَمَةٌ بِألفٍ مقصورة ثم كلُّ مَقْطَعٍ من عَشْرَةِ أبياتٍ مَبْنِيٌّ على رَوِيٍّ (قبل الألف المقصورة) هو أحدُ أَحرفِ الهجاء على التوالي: الهمزة، الباء، التاء، الخ، كما سَنَرِي. ولكنَّ المقطعَ الذي على رَوِيٍّ الغين المنقوطة سبعة أبياتٍ فقط. ثم تأتي ثلاثة مقاطع، بعد المقطع الذي على رَوِيٍّ الياء، والذي يجب أن يكون المقطع الأخير، أولها أربعة أبياتٍ على رَوِيٍّ اللام وثانيها تسعة أبياتٍ على رَوِيٍّ الراء ثم مقطعٌ من سبعة أبياتٍ على رَوِيٍّ الدال. ومجموعُ أبياتِ هذه المقصورة مائتان وسبعة وسبعون.

والموضوع الغالب على هذه المقصورة «مدحُ الرسول»، وإن كان فيها أشياء من الغزل والأدب (الحكمة) والتاريخ. راجع بناء القوافي في المختارات السيرة التالية (نفع الطيب ٧: ٣٠٦-٣٢٣):

بَادَرَ قلبي للهوى وما آرتأى	لَمَّا رَأَى من حُسْنِها ما قد رأى.
فَقَرَّبَ الْوَجْدُ لقلبي حُبَّها،	وكان قلبي قبلَ هذا قد نأى....
يا رَبُّ ليلٍ قد تعاطينا به	حديث أنسٍ مثلَ أزهارِ الرُّبى
في روضةٍ تعانقتُ أغصانها،	إذ واصلتُ ما بَيْنَها رِيحُ الصَّبَا،
أيامَ كان العيشُ غُضًّا حُسْنُهُ	عَذَّبَ الْجَنَى رَيَّانَ من ماءِ الصَّبَا....
تالله، لا أعيا بعيشٍ قد مضى،	ولا زمانٍ قد تعدَّى وَعْثًا ^(١) ،
مُذْ عَلِقَتْ كَفِّي بالهادي الذي	سَادَ الْوَرَى طِفْلاً وَكَهْلاً وَفَتًى.
إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ مِصْبَاحُ هُدًى	يُهْدِي به مَنْ في دُجَى اللَّيْلِ مَتَا ^(٢)

(١) فَن من ساعدة الأيادي (ت ٢٢ قبل الهجرة) خطيب جاهلي مشهور. الأيادي: النعم والعطايا.

(٢) بَدِيعُ الزَّمانِ المَهْداني (٣٥٨-٣٩٨ هـ) مؤسس فَنِ المَعامات.

(٣) عَتَا: ظلم وتَحَمَّرَ.

(٤) مَتَا: شئ وأمرع.

إِنَّ تَحْسِبِ الرُّسُلَ سَاءَ قَدْ بَدَتْ، فَإِنَّهُ فِي أَقْفِهَا نَجْمٌ هُدَى.
 واسطَةُ القومِ إِذَا مَا نُظِمُوا، وَمَلْجَأُ القومِ إِذَا الحَطْبُ عَدَا.....
 يَا مُجَنَّبِيَّ مِنْ خَيْرِ قَوْمٍ حَسَبًا فَيَا أَتَى مِنْ زَمَنٍ وَمَا مَضَى،
 اخْتَارَكَ اللهُ رَسولًا هَادِيًا أَكْرَمَ بِنَا اخْتَارَ لَنَا وَمَا أَرْضَى.
 عَجِزْتُ لِلْأَيَّامِ: مَنْ عَزَّ بِهَا ذَلَّ، وَمَنْ يَضْحَكُ بِهَا يَوْمًا بِكَى.
 وَكَمْ صَرِيحٍ غَادَرْتُ لَيْسَ لَهُ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمًا وَلَا مِنْ مُشْتَكَى.
 عَدْتُ عَلَى نَفْسِ عَدِيٍّ، وَسَقْتُ مِنْهَا ابْنُ حُجْرٍ كَأَسْمُ كَالذُّكَا^(١).....
 لَمْ يَأْمَنِ المَأْمُونُ مِنْ صَوْتَيْهَا، وَلَا ابْنُ هَنْدٍ مِنْ عَوَادِيهَا خَلَا^(٢).
 وَغَالَتِ الزَّبَاءُ فِي مِيعَتِهَا فَأَظْفَرْتُ عَمْرًا بِهَا فَا أَلَا^(٣).
 وَأَهْلَكْتُ عَادًا وَأَقْنَتُ جُرْهُمَا وَزَوَّدْتُ مِنْهَا تَمِيمًا بِالصَّلَى^(٤).....
 وَالآنَ قَدْ أَكْمَلْتُهَا فِي مَدْحِهِ مَقْصُورَةً يَقْصُرُ عَنْهَا مَنْ خَلَا^(٥).
 ضَمَنْتُهَا مِنْ كُلِّ فَنٍّ ذُرْرًا نَظْمًا، فَأَضَحْتُ مِنْ نَفِيسَاتِ الحُلَى.
 حَلَيْتُهَا جِيدَ مَعَالِيهِ، وَمَا أَمْلَحَ حَلْيَ المَدْحِ فِي جِيدِ العُلَا!

٤- بدعيّة العبدان أو الحلة السرا في مدح خير الورى (عني بنشرها عبد الله مخلص) القاهرة (المطبعة السلفية ومكبتها) ١٣٤٧ هـ؛ (طبعت مع: سبل الرشاد إلى نفع العباد لأحمد عبد النعم الدمهوري) مصر ١٣٠٥ هـ.

* خزنة الأدب لابن حجة الحموي (مصر ١٣٠٤ هـ، ص ١٢)؛ نكت الهيمان ٢٤٤-٢٤٦؛ الوافي بالوفيات ٢: ١٥٧-١٥٨؛ فوات الوفيات ٢: ٦٨-٧٣؛

- (١) عدِي بن زيد قتله النعمان بن المنذر في الجاهلية. ابن حجر: امرؤ القيس. الذكا: اتقاد النار واشتداد لمسيها.
- (٢) المأمون العباسي (٤). ابن هند: معاوية بن أبي سفيان.
- (٣) الرباء ملكة عربية (في الجاهلية) حاصرها عمرو بن عدِي ليقتلها (في حديث طويل) فأتتحت بالسم مختارة.
- (٤) عاد وجرهم من القبائل الجاهلية البائدة (التي انقرضت). كان النعمان قد أحرق جماعة من بني تميم بالنار.
- (٥) في هذا البيت ما يدل على أن ابن جابر قد أراد مدح أحد معاصريه بهذه المقصورة.

١- بغية الوعاة ١٤، راجع ١٧٦؛ نفع الطيب ١: ٣٨، ٢: ٣٨٧،
 ٦٦٤-٦٧٥ (مع شيء من الاستطراد)، ٦٨٠-٦٩٠، ٤: ٣٢٠-٣٢١، ٥: ٢٠٠،
 ٢٠٢، ٤٧١، ٦٠٤، ٦: ١٧٢، ١٣: ٢١٣، ٧: ٣٠٢-٣٢٦، ثم ممارضات له ٣٣٧-٣٣٩،
 ٣٤٧، ٣٤٩-٣٧١؛ شذرات الذهب ٦: ٣٦٨؛ دائرة المعارف الإسلامية بروكلمن ٢:
 ١٤-١٥، الملحق ٢: ٦؛ سر كيس ٦٠-٦١؛ الداية ٥٣٧-٥٣٩؛ الأعلام للزركلي ٦:
 ٢٢٥- (٣٢٨: ٥).

محمد بن يوسف الثغري التلمساني

١- هو أبو عبد الله محمد بن يوسف القيسي الثغري، وُلِدَ في تِلْمَسَانَ ونشأ فيها. وقد أدرك دولة بني زِيَّانَ في دَوْرِهَا الأولِ ودورها الثاني، وكان وثيقَ الصِّلَةِ بِبِلَاطِيْهَا: ألقى قصيدةً في المَوْلِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ (٧١٧ هـ = ١٠/٩/١٣٦٩ م)^(١)، في عهدِ أَبِي حَمُو موسى الأولِ بْنِ عُمَانَ (من سلاطين الدور الأول) ثم كان من شعراءِ أَبِي حَمُو موسى الثاني بن يوسف (٧٦٠-٧٩١ م) من سلاطين الدور الثاني. فإذا نحن قَبَلْنَا هَاتَيْنِ الروائِيَتَيْنِ، وَجَبَ أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدُ الثَّغْرِيُّ هذا قد عاش مُدَّةً طويلةً جَدًّا، وَأَنْ يَكُونَ قَدْ وُلِدَ سَنَةَ ٦٩٠ هـ (إذا نحن فَرَضْنَا أَنْ يَكُونَ قد ألقى قصيدتهُ تلك وعُمُرُهُ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً فقط). ثم لا يجوزُ أَنْ يَكُونَ قد أَدْرَكَ أَحَدًا بعدَ أَبِي حَمُو الثاني.

وتَقَعُ وَفَاةُ مُحَمَّدِ بْنِ يَوْسُفَ الثَّغْرِيِّ في أَوَاخِرِ القَرْنِ الثَّامِنِ، نَحْوَ سَنَةِ ٧٨٠ للهجرة (١٣٧٨ م) في الأغلب.

٢- كان مُحَمَّدُ بْنُ يَوْسُفَ الثَّغْرِيُّ أَدِيبًا عَارِفًا بِنُفُوزِ الأدبِ نَاشِرًا شَاعِرًا. وفنونه المدحُ والرثاءُ والوصفُ والشعرُ الدينيُّ. وكانتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ لِسَانِ الدِّينِ بنِ الخَطِيبِ (ت ٧٧٦ هـ) مُرَاسَلَاتٌ.

(١) تاريخ الجزائر العام ٢: ١٩٩؛ الطُّكَّار ١٧٧. ومن غير المألوف أن يكون قد أدرك أما زِيَّانَ (٧٩٦-٨٠١ هـ) ثم عاش بعده، كما يقول عبد الحميد حاجبات (الأصالة ٤: ٣٦ ص ١٥٠).

- قال محمد بن يوسف الثغري في الشيب وحال الدنيا:

أَقْصِرْ فَإِنَّ نَذِيرَ الشَّيْبِ وَافِي، وَأَنْكَرْتُني الغواني بعد عِرْفَانِ^(١).
وقد تَمَادَيْتَ في غَمٍّ بِلَا رَشْدٍ، والنفس تَأْمُرُني والشَّيْبُ يَنْهَانِي.
كَمْ مِنْ خُطِيٍّ، فِي الْخَطَايَا، قَدْ خَطَوْتُ وَلَمْ
فَلَا تَفَرَّكَ الدُّنْيَا بِزُخْرُفِهَا، فَيَا نَدَامَةً مَنْ يَفْتَرُّ بِالْفَانِي!

- حَفِظَ أَبُو زَيْنَانَ مُحَمَّدٌ (وَلَدُ أَبِي حَوَّ مَوْسَى الثَّانِي) سُورَةَ الْبَقَرَةِ^(٢) فَأَقَامَ أَبُو حَوَّ
حَفْلًا لِهَذِهِ الْمُنَاسِبَةِ فَأَشَدَّ الثَّغْرِيُّ قَصِيدَةً فِي مَدْحِ آلِ زَيْنَانَ، مِنْهَا:

تَهَلَّلَ وَجْهُ الرُّؤُوسِ وَابْتَسَمَ الزُّهْرُ وَغَارَتْ بِهِ فِي أَفْقِهَا الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ^(١).
وَضَاكَتْ الْأَرْضُ السَّمَاءَ مَسْرَةً وَقَابَلَهَا مِنْ كُلِّ رِيحَانَةٍ ثَغْرُ^(٢).
وَمَالَتْ قُدُودُ الْقُضْبِ زَهْوًا كَأَنَّهَا نَشَاوَى تَشَتَّتْ فِي مَعَاطِنِهَا الْخَمْرُ^(٣).
وَعَسَتْ قِيَانُ الْوُرُقِ خَلْفَ سَتُورِهَا، وَلِلْوُرُقِ أَنْ غَسَّتْ بِأَوْرَاقِهَا سِتْرُ^(٤).
لِمَوْلَايَ مَوْسَى أَبَدَتْ الْأَرْضُ زِينَةً فَتَوَجَّهَا زَهْرٌ وَوَشَّحَهَا نَهْرُ^(٥).
وَقَدْ رَفَلْتُ فِي حُلَّةٍ سُنْدُوسِيَّةٍ وَشَاها الصَّبَا وَشَيَأَ وَدَبَّجَهَا الْفَطْرُ^(٦).

(١) في البيت تحريد (يجرد الشاعر من نفسه شخصاً يحاط به). بعد عرفان (بعد معرفة منها بمكانتي أيام شائي).

(٢) لم تراقب الله: لم تحف الله (لم تشع، وأنت ترتكب الذنوب، أن الله يراك).

(٣) السورة الثانية في المصحف وأطول سور القرآن الكريم (مائتان وست وأربعون آية).

(٤) المقصود: غارت منه (من الغيرة والغيرة والحمد). الزهر: الالعة التديدة لللعان.

(٥) كل زهرة متفتحة كانت، كأنها ثغر يتسم لتلك المناسبة.

(٦) القصب جمع قضيب: النقص. زهواً: عجباً بالنفس. التنوان: ثارب الخمر.

(٧) الغيبة (يفتح القاف): المرأة الحسناء الغنبة. الورق جمع ورقاء: الحماية. (بأوراق الأشجار التي تسمى فيها). - نسع الحمايم تسمى على الأغصان ولا تراها (لأن أوراق الأغصان تحجبها).

(٨) في أعلاها (على الأشجار) أزهار، وفي أسفلها (على الأرض) نهر جار.

(٩) رفل: لبس ثوباً ضامياً (واسعاً) جبلاً وتختر به في المشي. سندس: حرير أخضر. وشاها: طرزها، زينها.

الصبا (بالكسر): الشباب. الربيع الجديد. الصبا (بالتفتح): الريح الشرقية: توجع فيها فتحدث في نباتها

توجعات مختلفة. دبجها: جعل نباتها كالديباج (النبات الأخضر). الفطر: المطر.

وإِنَّ أَبَا زَيْلَانَ زَيْنٌ لِذَاتِهِ، زَكَا مِنْهُ نَجَلٌ حِينَ طَابَ لَهُ نَجْرٌ^(١).
وقَدْ حَذَقَ الْقُرْآنَ حِذْقَ مَجُودٍ، فَأَشْرَقَ مِنْهُ الْقَلْبُ وَأَنْشَرَحَ الصَّدْرُ^(٢).
فِيَا مَلِكًا فَاضَتْ أَشِعَّةُ نُورِهِ فَأَشْرَقَ مِنْهَا لِلْعُلَى أَنْجُمُ زُهْرُ^(٣).
هَيْئًا، لَكَ الْبُشْرَى، بَنَيْتَ بِهِذِهِمْ مِنَ الدِّينِ أَرْكَانًا يَهْدِي بِهَا الْكُفْرُ^(٤).
بِهِم تَزْدَهِي الْأَعْلَامُ وَالْبَيْضُ وَالْقَنَا كَمَا أَزْدَهَتْ الْأَقْلَامُ وَاللُّوْحُ وَالْحَيْرُ^(٥).
جَمَعْتُمْ لَدَى الْقَصْرِينِ كُلِّ فَضِيلَةٍ سَمَا لَكُمْ فِي الْخَافِقِينَ بِهَا ذِكْرُ^(٦).
مَآثِرُ شَقٍّ مِنْ قِرَى وَقِرَاءَةٍ تَضَمَّنَ مِنْهَا كُلُّ مَآثِرَةٍ قَصْرُ^(٧).
فَمِنْ صَدَقَاتٍ غَارَ مِنْ جُودِهَا الْحَيَا،

وَفِيضٍ هَيَاتٍ غَاضَ مِنْ جُودِهَا الْبَحْرُ^(٨).
دَعَوْتُمْ إِلَيْهَا كُلَّ بَادٍ وَحَاضِرٍ فَلَبَّوْا كَأَنَّ النَّاسَ ضَمَّهُمُ الْخَشَرُ^(٩).
كَأَنَّ الثَّرِيَّا نَحْوَكُمْ مُدَّ كَفُّهَا، فَمِنْ نَيْلِكُمْ فِي كَفِّهَا وَرَقٌ وَفَرْ^(١٠).
مَكَارِمُ لَا تَنْفَكُ تَزْدَادُ جِدَّةً عَلَى الدَّهْرِ لَا تَبْلَى وَإِنْ بَلَى الدَّهْرُ^(١١).
فَدَامَتْ بِكَ الْأَيَّامُ تُظْهِرُ حُسْنَهَا فَيَحْسُنُ فِي أَوْصَافِهَا النَّظْمُ وَالنَّثَرُ!

٤-★★ تفح الطيب ٧: ١٢١ وما بعد، راجع ٦: ٤٢٧ وما بعد؛ تاريخ الجزائر العالم ٢: ١٩٩-٢٠٠؛ الطمار ١٧٧-١٨٥؛ معجم أعلام الجزائر ١٨٨-١٨٩؛ الأصول ١: ٢٦، ص ١٥٠.

- (١) زكا: طاب، طهر. نجل: ابن. نجر: أصل.
- (١) حذق: مهر، برع. التجويد: إعطاء الحروف حَقًّا في الخارج ومن المدود.
- (٣) الهدي (يفتح مَكُون) والهدي (بالضم) بمعنى.
- (٤) الأعلام والبيض (البيوف) والقنا (الرماح) كناية عن الحرب والتجاعة. والأقلام إلخ كناية عن العلم.
- (٥) المآثر: العمل النبل الكريم. الغرى: الضيافة والكرم.
- (٦) الحيا: المطر. غار من جودها: الحيا (نجد المطر). غاض الماء: ذهب في باطن الأرض. - لو كانت عطايكم من ماء المطر ومياه البحار لنفدت (يفتح النون وكسر الفاء) تلك المياه.
- (٧) البادي: الساكن في البادية. الحاضر: الساكن في المدينة أجمع الناس). الخشر: يوم الغمامة.
- (٨) النيل: المطاء. الورق (يفتح فَكسر): الفضة. وفر: كثر. الثريا مجموع نجوم شبه الكف في رأي العين. - كأن الثريا كف تمد طلباً لعطائكم، فكأن جمع نجومها (الصن التسيه بالفضة) من عطايكم.

يحيى بن خلدون

١- هو أبو زكريّا يحيى بن محمد بن محمد بن الحسن بن خلدون الحضرميُّ، وُلِدَ في تُونِسَ سَنَةَ ٧٣٣ (١١٣٢-١١٣٣ م) أو ٧٣٤. وفيها نشأ وتلقّى العِلْمَ على تَقَرٍّ منهم عبدُ المهيمن الحضرميِّ (ت ٧٤٩ هـ) وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأيليِّ (ت ٧٥٧ هـ) والحافظُ أبو عبد الله السطّيَّ (ت ٧٥٠ هـ) وسواهم من الذين دَرَسَ عليهم أخوه عبدُ الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨ هـ).

تقلّبت الأحوال يحيى بن خلدون كثيراً لأنّه كان مُتقلِّبَ الموى في السّياسة تنقّله مصلحته الشخصية بين الحفصيّين في تُونِسَ والمُرِينيّين في فاسَ وبني عبد الواد في تِلْمَسَانَ. وكان قد تولّى للحفصيّين في بجاية (وهي اليوم من الجزائر) مناصِبَ عاديّة. وحاول أبو حمو الثاني (من بني عبد الوادِ أصحاب تلمسان) أن يستولي على بجاية - في حديثٍ طويلٍ - فلم يستطع. فلما عاد الحفصيّون إلى بَنَطِ سُلْطَانِهِمْ على بجاية اعتقلوا يحيى بن خلدون (لشكّهم في ولائهِ). ولكنه هَرَبَ ووَصَلَ إلى تلمسانَ سَنَةَ ٧٦٩ (١٣٦٧-١٣٦٨ م) فعيّنه أبو حمو (٧٦٠-٧٩١ هـ) كاتباً للإشّاء بعدَ توصيةٍ من أخيه عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨ هـ).

ثم إنَّ يحيى انحاز إلى المُرِينيّين وشيكاً (سَنَةَ ٧٧٢)، ومالَهم مائةٌ استطاعوا أن يُهدّدوا بها تلمسانَ. وبرغم ذلك رَضِيَ أبو حمو على يحيى وأعادَه إلى منصبهِ. ولكن ذلك أثارَ غَيْظَ أبي تاشينَ (ابن أبي حمو الثاني) فدبّر مقتل يحيى في رَمَضَانَ من سَنَةِ ٧٨٠ (يبدأ رَمَضَانُ هذا في ١٣٧٨/١٢/٢٢ م).

٢- كان يحيى بن خلدون رجلاً سياسيّة ومورخاً كما كان ميالاً إلى الأدب والشعر يَنْظِمُ في المديح والوصف، ولم يكنْ نظمُهُ عاليّاً. وله ميلاديّات (في مدح الرسول) يَسْتَرْبِدُ فيها أحياناً إلى المدح. وشهرته قائمة على كتابه الذي وصَلَ إلينا وعُنوانه في لفظ يحيى بن خلدون «... وسمّيته بغيّة الرُّوَادِ في ذِكْرِ الملوك من بني عبد الوادِ وما حازَه مولانا أبو حَمَو من الشرف الشاهقِ الأطوَادِ....»، وقد ألفه بطلبٍ من أبي حَمَو نفسه وانتهى في تأليفه إلى سَنَةِ ٧٧٧ (١٣٧٥ م). وقيمة الكتاب تقومُ على تَوْفُرِهِ على

عهد أي حو الثاني ثم فيه صورة لبلاط تِلْسان في ذلك العهد وقصائد كثيرة تامة لشراء ذلك العصر. فقيمة الكتاب تاريخية واجتماعية وأدبية معاً.

٣- مختارات من آثاره

- نَظَمَ يَحْيَى بْنُ خَلْدُونٍ فِي مَوْلِدِ سَنَةِ ٧٧٨^(١) قصيدةً حذا فيها حَدَوَ لِسَانِ الدِّينِ
أَبِي الْخَطِيبِ فِي مَوْلِدِيَّةٍ لَهُ^(٢) ثُمَّ اسْتَطَرَّدَ فِيهَا إِلَى مَدْحِ السُّلْطَانِ أَبِي حَمُو. قَالَ يَحْيَى بْنُ
خَلْدُونٍ (نفع الطيب ٦: ٥١٠-٥١٣):

ما على الصَّبِّ في الهوى من جُنَاح	أَنْ يُرَى حَلْفَ عَبْرَةٍ وَافْتِضَاح ^(٣)
يَا رَعَى اللَّهَ بِالْمُحَصَّبِ رَبْعاً	أَذْنَتْ عِنْدَهُ النَّوَى بِانْتِزَاح ^(٤)
نَسَأُ الدَّارَ بِالْخَلِيطِ وَنَشِي	ذَلِكَ الرَّبْعَ بِالدُّمُوعِ السِّفَاح ^(٥)
يَا أَهْيَلُ الْجَمَى، نَدَاءٌ مَشُوقٍ	مَا لَهُ عَنْ هَوَى الدَّمَى مِنْ بَرَّاح ^(٦)
طَالَمَا اسْتَمَذَبَ الْمَدَامِيعَ وَرَدّاً	فِي هَوَاكُم عَنْ كُلِّ عَذْبٍ قَرَّاح ^(٧)
وَإِخَارِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنْ لَمْ	يَغْفِرِ اللَّهُ ذَلَّتِي وَاجْتِرَاحِي ^(٨)

(١) يقع مولد محمد رسول الله في الثاني عشر من شهر ربيع الأول (الشهر الثالث في التقويم القمري المحجري). وذكرى مولده سنة ٧٧٨ يوافق ١٣٧٦/٧/٣٠ م.

(٢) للسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) مولدية مطلعها (نفع الطيب ٦: ٥٠٩):

ما على القلب بعدكم من جُنَاح أَنْ يَرَى طَائِراً بِمَسِيرِ جُنَاحِ
الجنَّاح الأولى، (بضم الجيم: الذنب والإثم) والجنَّاح الثانية (بفتح الجيم: أحد جناحي الطائر).

(٣) الصب: الحب. حلف (حلفب) عبرة (دمعة): دائم الكفاء.

(٤) المحصَّب: مكان رمي الجمرات في الحج (مسك من ماسك الحج) الربيع: المنزل المعمور المسكون. أذن: نادى وأعلن عن عزمه، قارب. النوى: البعاد، الفراق. انتزاح: ابتعاد (حبنا وصلنا إلى مكّة شعرنا بأننا أصبحنا قريبين من غايتنا)

(٥) الخليط: الساكن مع آخرين. سأله: سأله. السفاح: لست في القاموس في المعنى المقصود (المقصود: المسفوح، الماطلة بكثرة). وفي القاموس: بينهم سفاح (بكسر السين): سفك دماء.

(٦) أهيل الحمى (كناية عن أهل مكّة). الدمى (النساء الجميلات) البراح: المبارحة، الترك، التحلي عن الأشياء.

(٧) الورد (بكسر الواو): الشرب. القراح: الخالص، الصافي.

(٨) الاجترّاح: ارتكاب الذنوب (المعصية).

لَمْ أَقْدَمْ وَسِيلَةً فِيهِ إِلَّا حُبَّ خَيْرِ الْوَرَى الثَّغِيرِ الْمَاحِي^(١)
سَيِّدِ الْعَالَمِينَ دُنْيَا وَآخَرَى أَشْرَفِ الْخَلْقِ فِي الْمَلَا وَالسَّحَابِ
سَيِّدِ الْكَوْنِ مِنْ سَمَاءٍ وَأَرْضٍ سِرُّهُ بَيْنَ غَايَةِ وَافْتِتَاحِ^(٢)
زَهْرَةِ الْغَيْبِ مَظْهَرُ الْوَحْيِ مَعْنَى آيَةِ الْمَكْرُمَاتِ قُطْبُ الْمَعَالِي
نُورُ كُنْهِ الْمَشْكَاةِ وَالْمَصْبَاحِ^(٣) مُصْطَفَى اللَّهِ مِنْ قُرَيْشِ الْبَطَاحِ^(٤)
أَوَّلِ الْأَنْبِيَاءِ تَخْصِيصَ زُلْفَى، آخَرِ الْمُرْسَلِينَ بَعَثَ نَجَاحِ^(٥)
مَنْ لَيْسَ لَهُ بِمَكَّةَ ضَاءٌ مِنْ قُرَى قَيْصَرٍ جَمِيعِ الضَّوَاهِي^(٦)
وَحَبَّتْ نَارُ فَارَسٍ وَتَدَاعَتْ مِنْ مَشِيدِ الْإِيْوَانِ كُلِّ النَّوَاهِي^(٧)
مَنْ رَقِيَ فِي السَّمَاءِ سَبْعًا طِبَاقًا وَرَأَى آيَ رَبِّهِ فِي انْقِصَاحِ^(٨)
وَدَنَا مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ قُرْبًا ظَافِرًا فِي الْمَلَا بِكُلِّ اقْتِرَاحِ^(٩)

- (١) فيه (في يوم القيامة). خير الورى (محمد رسول الله) ومن أسماه الثغير والمحي.
(٢) كان موجوداً في الافتتاح (عند خلق العالم) وسيظل موجوداً عند فناء العالم. راجع البيت الذي سباني: أول الأنبياء ...
(٣) الكنه: جوهر الشيء وحقيقته والغاية منه. المشكاة: تجويف في الجدار يوضع فيه المصباح. يبدو أن الشاعر يشير هنا إلى الآية الكريمة (٢٤: ٣٥، النور): ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ: مِثْلُ نَوْرِهِ كَمِثْلَةِ شِعَارِ مُصْبِحٍ...﴾ (.... إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ مُحَمَّدًا رَسُولًا لِيَدُلَّ النَّاسَ عَلَى آيَاتِ اللَّهِ وَحُكْمَتِهِ وَعَظَمَتِهِ).
(٤) المصطفى (المختار) من أسماء الرسول. قريش البطاح (بطحاء مكة: وسطها) كانوا أقوى وأشرف من قريش الظواهر (الذين كانوا يسكنون خارج مكة). وقريش كانوا أشرف العرب.
(٥) أول الأنبياء الذين أراد الله أن يرسلهم إلى خلقه ولكن آخر من بعثه منهم بالرسالة الأخيرة التامة.
(٦) في الخبر أنه في ليلة ميلاد الرسول أضاءت الأرض ما بين المشرق والمغرب، ورؤي هذا النور في مكة. قيصر: لقب ملك الروم (اليونان).
(٧) خبا: خد، انطفأ. أهل فارس كانوا يعبدون النار، وكانوا يحرصون على أن تظل تلك النار المعبودة في الهيكل تامة الاتقاد. وقد خبت هذه النار في ليلة مولد الرسول. تداعي: تناقل وتهدم. المشيد: المبني. الإيوان: قصر كسرى. في الخبر وفي التاريخ أن زلزالاً حدث في بلاد فارس، وفي نحو مولد الرسول، وأن عدداً من القصور تهدمت.
(٨) سبعا (السماوات السبع - مفعول به) طباقاً: بعضها فوق بعض - طباقاً - نمت «سبعا» أو بدلت منها: أعاق السماء.. رأى عجائب خلق الله بوضوح.
(٩) قاب قوسين: قاضي قوس (مسافة ما بين طرفي القوس: إلى مقربة شديدة).

مَنْ هَدَى الخَلْقَ بَيْنَ حُمْرٍ وَسُودٍ
 مَنْ إِلَى حَوْضِهِ وَظِلِّ لَوَاهُ
 أَحَدُ الْمُجْتَنِي حَبِيباً، وَإِنِّي
 فِي أَنَاجِيلِهِ الْمَسِيحُ تَلَاهُ
 يَا رُؤَاةَ الْقَصِيدِ وَالشَّعْرَ عَجَزاً،
 إِنَّمَا حَسْبُنَا الصَّلَاةُ عَلَيْهِ،
 يَا إِلَهِي، بِحَقِّ أَحَدٍ، عَفْوَاً
 وَأَدِمَّ دَوْلَةَ الْخَلِيفَةِ مُوسَى
 نَاصِرِ الْحَقِّ خَاذِلِ الظُّلْمِ عَذْلًا
 يَتَلَقَّى النَّدَى بِوَجْهِ حَيٍّ
 يَا إِمَاماً بَدَّ الْمُلُوكَ جَلَالًا
 أَنْتَ شَمْسُ الْكَهَالِ دُمْتَ عَلَيْهَا
 وَأَبُو تَاشِفِينَ بِدَرٍّ مَنِيرٍ
 وَبِكُمْ رُئِيتُ سَمَاءَ الْمَعَالِي
 وَجَلَا لَيْلَ غَيْمٍ بِالصَّبَاحِ (١)
 بِلِجَا أَنَاسُ بَيْنَ ظَامٍ وَضَاحِي (٢)
 فَوْقَ عِزِّ الْحَبِيبِ مَرْمَى طِهَاحِي (٣)
 بِأَسْمِهِ، وَالْكَلِمُ فِي الْأَلْوَا حِ (٤)
 مَا عَسَى تُذَكِّرُونَ بِالْأَمْدَاحِ (٥)؟
 وَهِيَ لِمَفُوزِ آيَةٍ اسْتِفْتَاحِ
 عَنْ ذُنُوبٍ جَنَّتُهُنَّ قَبَاحِ
 ذِي الْمَعَالِي الْمُبِينَةِ الْأَوْضَاحِ،
 مَلِجاً الْخَائِفِينَ بَحْرُ السَّاحِ
 وَيُلَاقِي الْبَعْدَا بِبَاسٍ صِفَاحِ (٦)
 وَجَمَالًا، قُدِيرَتِ بِالْأُرُوَا حِ (٧)
 بِأَغْتَبَاقٍ مِنَ الْمُنَى وَأَصْطِبَاحِ (٨)
 زَانَهُ اللَّهُ بِالْحِلَالِ الصَّبَاحِ (٩)
 وَأَهْتَدَى النَّاسُ فِي الدُّجَى وَالصَّبَاحِ

- (١) الحمر (جمع أحمر): العجم. السود: العرب. جلا: كشف. ليلي: الضلال.
- (٢) الحوض (النفيا) واللواء (للظل) يوم القسامة. الظامي: العطشان. الضاحي: الذي أصابه حر الشمس.
- (٣) أحد (من أسماء الرسول) المجتني: المغرب. حبيباً (أي حبيباً لله). طهاحي (أُملي) كبير جداً لأنني مدنت كثيراً (فأُملي في شناعة الرسول لي على مقدار ذنبي وفوق ما أستحق).
- (٤) الهام في «أناجيله» راجعة إلى ما بعدها (إلى المسيح). تلاه: قرأه، ذكره. الكلم: موسى. الألواح العشرة (الوصايا العشر) التي أوحى الله بها إلى موسى على جبل الطور. (لقد ذكر في التوراة وفي الإنجيل أن محمداً صلى الله عليه وسلم يبعث نبياً).
- (٥) أيها الثمراء الذين تحاولون مدح الرسول بالقصائد فتمحرون.
- (٦) - أبو حو الثاني يعطي كثيراً. ومع ذلك يستحي من الذين يعطيهم لأنه يود دائماً أن يعطيهم أكثر. الناس: القوة. الصفا ح جمع صفيحة: الحجر العريض، السيوف (٥).
- (٧) بد: غلب، سق، فاق.
- (٨) الاغتياق والاصطباح (في الأصل): شرب الحمر ساء وصاحاً. (هنا): صاحاً وساء (دائماً).
- (٩) أبو تاشفين: ابن أبي حو الثاني. الحلال: الصفات. الصباح: البيضاء (الحملة).

- وصف تلمسان من كتاب « بغية الرواد » (نفع الطيب ٧: ١٣٣-١٣٥):

ودارٌ مُلكِهِمْ وَسَطٌ بَيْنَ الصَّحراءِ وَالتَّلِّ^(١)، تُسَمَّى بِلُغَةِ الْبَربرِ تَلْمَسَنَ - كَلِمَةً مُرَكَّبَةً مِنْ « تَلَم » وَمَعْنَاهُ تَجْمَعُ، وَ« سَن » وَمَعْنَاهُ اثْنان: أَيْ الصَّحراءِ وَالتَّلِّ، فَيَا ذَكَرَهُ شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَبْلِي، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَكَانَ حَافِظًا بِلِسَانِ الْقَوْمِ^(٢) - وَيُقَالُ « تَلْمَسَان »، وَهُوَ أَيْضًا مُرَكَّبٌ مِنْ « تَلَم » وَمَعْنَاهُ لَهَا، وَ« شَان »: أَيْ لَهَا شَأْنٌ. وَهِيَ مَدِينَةٌ عَرِيقَةٌ^(٣) فِي التَّمَدُّنِ لَذِيذَةُ الْهَوَاءِ عَذْبَةُ الْمَاءِ كَرِيمَةُ الْمَنْبِتِ اقْتَعَدَتْ بِسَفْحِ جَبَلٍ، وَدُوْنَيْنِ رَأْسِهِ بَسِيطٌ أَطْوَلُ مِنْ شَرْقٍ إِلَى غَرْبٍ^(٤)، عُرُوسًا فَوْقَ مِئْصَةِ، وَالشَّامِريُّ مَشْرِفَةٌ^(٥) عَلَيْهَا إِشْرَافُ التَّاجِ عَلَى الْحَبِينِ. وَيُطْلَقُ مِنْهَا عَلَى فَحْصِ أَفْجَحٍ^(٦) مُعَدُّ لِلْفَلَاحَةِ تَشَقُّ ظُهُورُهُ الْأَسْلِحَةِ عَلَى مِثْلِ أَسْنِمَةِ الْمَهَارِيِّ^(٧).... وَبِهَا لِلْمَلِكِ قَصُورٌ زَاهِرَاتٌ اشْتَمَلَتْ عَلَى الْمَصَانِعِ الْفَائِقَةِ وَالصُّرُوحِ الشَّاهِقَةِ وَالْبَسَاتِينِ الرَّائِقَةِ تَمَّا زُخْرِفَتْ عُرُوشُهُ وَنُمِصَّتْ غُرُوسُهُ وَنُوسِبَتْ أَطْوَالُهُ وَعُرُوضُهُ. فَازْرَى بِالْحَوْرُنِقِ وَأَخْجَلَ الرُّصَافَةَ وَعَبَثَ بِالسَّدِيرِ^(٨). وَتَنْصَبُ إِلَيْهَا مِنْ عَلَيَّ أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آيْنٍ تَجَاذِبُهُ

(١) دار ملكهم: عاصمتهم (تلمسان): التل: الجبل..

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد المبدري الأبي التلمساني أندلسي الأصل من أبلة (أبيلة: أزيله، إلى الشمال الغربي من مدريد). كان شيخاً (أستاذاً) كبيراً تلقى العلم عليه يحيى بن خلدون وأخوه عبد الرحمن المشهور وغيرهما كثير. القوم: البربر.

(٣) عريقة: قديمة.

(٤) دون (تحت ولكن بمقافة قصيرة) بسيط (أرض منبسطة مستوية) أطول من شرق إلى غرب: طولها من الشرق إلى الغرب أكثر من طولها من الشمال إلى الجنوب.

(٥) المئصة: المنصدة (المكان المرتفع). الشراخ: رأس الجبل.

(٦) الفحص: كل موضع يمكن (سهل). أفجح: واسع.

(٧) الأسلحة جمع سلاح (هنا): مكان مسلح، حصن! النام: كتلة شحم على ظهر الجمل (قبة). المهاري (جمع) الإبل المهرية (من مهرة - بفتح ففتح - في اليمن).

(٨) المصنع: حوض للماء، والمصنع أيضاً القصر والحصن. الصرح: البناء العالي. الرائق: الذي يوجب العين.

(٩) زخرف: زين. المرش (هنا): المظلة (القف من أغصان الشجر). نق: نقش (بالألوان)، زين. الغرس: الشجر (!).

(١٠) أررى: عاب، أظهر نقص الأشياء التي تقارن به. عبث (هزى، استخف). الحورنق والسدير والرصافة قصور. والرصافة خاصة أسماء لمدن ثم قلعة للاسماعيليين.

أَيدي المذانب والأسرابُ المكفورةُ خلالها^(١). ثم تُزِيلُه بالمساجِدِ والمدارس والسقايات بالقصور^(٢)، وعليه الدورُ والحَمَامَاتُ فيُنْفِعُ الصهاريجُ وَيُنْقِي الحياضَ وَيَنْقِي رَيْعُهُ^(٣) خارجها مغارسَ الشجرِ ومنابتَ الحبِّ. فَبَيَّ التي سَحَرَتِ الألبابَ رُوءَاءَ وَأَصْنَبَتِ النُّهى^(٤) جَلالاً وَوَجَدَ المادحون فيها المَقَالَ فاطالوا وأطابوا... فَأَنَا أُشِيدُ ساكنها قول ابن خُفاجة^(٥) لاستحقاقها إياه عِندي:

ما جَنَّةُ الخُلدِ إِلَّا في منازلِكُمْ؛ وهذه كُنْتُ، لو خَيْرْتُ، أختارُ.
لا تَتَّقُوا بعدها أن تدخلوا سَفْراً، فليس تُدْخَلَ بعدَ الجَنَّةِ النارُ^(٦)!

وتوسَّطت قُطْراً ذا كُوبٍ عديدةٍ تعمُرُها أشاجُ^(٧) البربرِ والعربِ، مَرِيعةُ الجَنَّاتِ مُنْجِيَةٌ لِلحَيَوانِ والنبات^(٨)، كريمةُ الفِلاحةِ زاكِيةُ الإِصابةِ. فَرَبَّما انتهت في الزوج الواحدِ إلى أربعمائةِ مَدٍّ كبير^(٩).....

٤- بغية الرواد (نشرة ألفرد بل)، الجزائر (مطبعة بير فوتانه) ١٣٢١ هـ وما بعد ١٩٠٣-١٩١٣ م.

* نفع الطيب، راجع ٦: ٣٨٩-٣٩٩، ٥١٠-٥١٣، ٥١٥-٥١٧، ٧: ١٣٣-١٣٥، دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٣١-٨٣٢ (تحليل جيد للكتاب: بغية الرواد)، بروكسل ٢: ٣١٢-٣١٣. الملحق ٢: ٣٤٠، الأعلام للزركلي ٩: ٢١١ (٨: ١٦٦)، الفكر ١٢/٦٠.

(١) غُلُ (يفتح العين) تكون معرفة ومبينّة على الضمّ بمعنى «من المكان العالي». وتكون نكرة ومعربه بمعنى «من مكان عالٍ». أي مكان كان. آس: متعبّر الطعم. فاس.

الندب (يكسر فكون ففتح): مثل الماء من جانب الهر السرب (يصح فكون ففتح): تمر الماء أو الحمة، إلخ. المكورة (المسورة، المظفأة). خلالها: يسها (المارب قائمة بين الدانِب).

(٢) بالمساجد: إلى المساجد (إ). النهاية: موضع السيف. بالقصور (في القصور!).

(٣) أعمق وأفنى: ملأ. الصهريج: حوض كبير للياه. الريع (ما يفيض من الشيء) أو يبنى بعد أخذ الحاجة منه.

(٤) اللب: العقل. الرواء: الخيال. الهى: العقل.

(٥) راجع. فوق ص ٥: ٣١٨.

(٦) لا تتقوا: لا تخافوا سَفْراً جهنم.

(٧) الكور جمع كورة: النبعة من الأرض فيها عدد من الثرى. بمرها: تسكنها وتبنى فيها. أشاج: أخلاط.

(٨) المريج: الحصب (الكبر العنب). المسج: الذي يسح (بالياه للمجول)، نواج جيد.

(٩) زاكبة الإِصابة.... فَرَبَّما انتهت في الزوج... (٩).

ص ٣٢-٣٧؛ الأصلة ٣: ١٣ ص ٢١٣-٢٢٢ (المعجم بو عياد - وفيه تحليل واف للكتاب وتلخيص لقيمته)، ٤: ٢٦ ص ١٥١-١٥٢؛ معجم المطبوعات العربية ٩٧-٩٨؛ معجم المؤلفين ١٣: ٢٢٨.

ابن مرزوق الخطيب

١- آل الخطيب في المغرب أسرة مشهورة: كان مرزوق من عجيبة^(١) ومن أحياء النصف الثاني من القرن الخامس للهجرة. ثم برزت هذه الأسرة في التاريخ لما أخذ أبو بكر بن مرزوق نفسه بخدمة التصوف المشهور أبي مدني (ت ٥٩٤ هـ). وبعد أبي بكر توالى آل مرزوق على خدمة مقام أبي مدني في جبل العباد المطل على مدينة تلمسان. وصاحب هذه الترجمة هو شمس الدين أبو عبد الله (أبو بكر) محمد بن أحمد بن محمد ابن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي ويعرف بابن مرزوق الجد، تميزاً له من حفيده محمد^(٢). ولد ابن مرزوق الخطيب الجد سنة ٧١٠ (١٣١٠-١٣١١ م) في تلمسان، وفيها نشأ وتلقى مبادئ علمه. وفي سنة ٧٢٨ رحل بصحبة والده أحمد (٦٦٨-٧٤١ هـ) وحج وطاف في مصر والحجاز والشام ولقي في أثناء هذا التطواف عدداً كبيراً من العلماء - زعموهم ألقين - وأخذ عنهم. وفي سنة ٧٣٣ (١٣٣٣ م) عاد وحده إلى المغرب فجعله السلطان أبو الحسن علي المرتيني (٧٣١-٧٥٢ هـ) صاحب سيره وخطيب منبره وأمين رسالته. وفي سنة ٧٤٨ (١٣٤٧ م) سقر له إلى صاحب قشتالة ألفونس الحادي عشر لعقد الصلح وفك الأسرى.

وفي سنة ٧٥٢ حدث نزاع في البيت المالكي في المغرب ففاد ابن مرزوق المغرب - في حديث طويل - وجاز إلى الأندلس واستقر في غرناطة فجعله السلطان أبو الحجاج يوسف خطيباً في جامعهم ومقرئاً في مدرسته. ثم إن اضطراب الأحوال في

(١) عجيبة: اسم مكان في الزاب في جنوبي المغرب (راجع تاريخ الجزائر العام ٢: ١٠٤)، قبيلة من البربر (شذرات الذهب ٦: ٢٧١).

(٢) كان ابن مرزوق الحفيد من علماء الحديث (نفع الطيب ٥: ٥٢٠) ثم كان هنالك محمد الكفيف (٨٢٤-٩٠١ هـ) من الخطباء والمحدثين، وهو ابن محمد الحفيد (راجع نفع الطيب ٥: ٤١٩).

المغرب وفي الأندلس حمل ابن مرزوق على التردد بينهما مراراً وعرضه للنكبات وللشحن في المغرب ثلاث مرات. ومَلَ هذا القلق في الحياة فانتقل إلى تونس، سنة ٧٦٤، وتولّى بها الخطبة في جامع الموحدين. ثم إن الأحوال ساءت بين الحفصيين سلاطين تونس والمرينيين سلاطين المغرب، فاختر ابن مرزوق أن يرحل إلى مصر (في ربيع الأول سنة ٧٧٣) فنال فيها حظوة عند الملك الأشرف شعبان وتولّى الخطابة والتدريس في أماكن كثيرة. وكانت وفاته في القاهرة في ربيع الأول من سنة ٧٨١ (مطلع الصيف من عام ١٣٧٩ م).

٢- كان ابن مرزوق الخطيب الجذّ رجلاً وقوراً مع كثير من الظرف وقليل من الدعابة. وكان «عالم الدنيا» في أيامه (كما ذكر المقرئ في أماكن كثيرة من نفع الطيب) مستغلاً بقرأة القرآن والحديث والتفسير وأصول الفقه وفروعه؛ ولكن شهرته كانت في الحديث. وله ترسل ونظم ليسا من الطبقة العليا، ولكنها يُثَلّان عصره وينطقان بفضلِهِ، إذا نحن قسناها بشعر أمثاله من العلماء وبنثرهم. وكان أيضاً مُصنّفاً، إلا أن كُتبه ضاعت سوى فهرسة شيوخه. فمن كُتبه: شرح الشفا في التعريف بمحقق المصطفى^(١) (لبياض ت ٥٤٤ هـ) - شرح عمدة الأحكام عن سيّد الأنام^(٢) - شرح الأحكام الصغرى (العبد الحقّ بن الخراط الإشبيلي المتوفى سنة ٥٨١ هـ) - الإمامة^(٣) - عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمات التقليد - إزالة الحاجب لفروع ابن الحاجب^(٤) - إيضاح المرائد فيما تشتمل عليه الخلافة من الفوائد - المفاتيح

(١) المصطفى: محمد رسول الله.

(٢) فيه الأحاديث المنطوية على الأحكام الشرعية، ولذلك يُلقب أيضاً باسم: عمدة الأحكام عن سيّد الأنام من أحاديث النبي عليه السلام (أو: في معالم الحلال والحرام عن خير الأنام) وهو من تأليف عبد الغنيّ أن عبد الواحد الجماعلي (ت ٦٠٠) وقد جمع ابن مرزوق في شرحه لهذا الكتاب بين شرح تقي الدين ابن دقيق العيد (ت ٧٠٢) وشرح عمر بن عليّ الفاكهاني (ت ٧٣٤) بالإضافة إلى زيادات كثيرة من عنده.

(٣) ضلّ عني العنوان الكامل لهذا الكتاب، وأظنّه في الكلام على البخاري ومسلم.

(٤) هو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب (ت ٦٤٦) وهو من النحاة ومن الفقهاء (كتابه المذكور هنا في الفقه).

المرزوقية لحلّ الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية أو^(١) شرح القصيدة الخزرجية المسماة: الرامزة الشافية في علم العروض والقافية (لأبي محمد عبد الله بن محمد الأنصاري الخزرجي الأندلسي المتوفى نحو سنة ٢٢٦) - تمهيد السالك إلى شرح ألفية ابن مالك - المسند الصحيح الحسن من أحاديث السلطان أبي الحسن^(٢) - النور البذري في التعريف بالفتية المقرئ^(٣)، إلخ.

٣- مختارات من آثاره

- قال ابن مرزوق الخطيب في المقرئ الجدد^(٤):

كان صاحبنا المقرئ معلوم القدر مشهور الذكر تبعه بعد موته، من حسن الشاء وصالح الدعاء، ما يرجى له النفع به يوم اللقاء^(٥). وعوارفه معلومة عند الفقهاء مشهورة عند الدهماء^(٦).

- عرف ابن مرزوق الخطيب أن لسان الدين بن الخطيب قادم إلى فاس برسالة إلى السلطان أبي عنان. فأرسل إليه مرسوماً (حصاناً لمركوبه) ومعه رسالة فيها إشارة إلى فضل أبي عنان. من هذه الرسالة:

مَنْ قَاسَ جُودَ أَبِي عِنَانٍ فِي النَّدَى	بِسَوَاهُ، قَاسَ الْبَحْرَ بِالضَّخْضَاحِ ^(٧) .
مَلِكٌ يُفِيضُ عَلَى الْعَفَاةِ نَوَالَهُ	قَبْلَ السُّؤَالِ وَقَبْلَ بَسْطَةِ رَاحِ ^(٨) .
فَلْجُودِ كَعْبٍ وَابْنِ سَعْدَى فِي النَّدَى	ذِكْرٌ مَحَاهُ عَنْ نَدَاهُ مَاحِي ^(٩) .

(١) لعلّ العنوانين لكتاب واحد.

(٢) هو السلطان المريني أبو الحسن علي بن سعيد (ت ٧٥٢).

(٣) راجع الحاشية التالية.

(٤) محمد بن محمد المقرئ (ت ٧٥٩ هـ) وهو جد أحمد بن محمد المقرئ (ت ١٠٤١) مؤلف «نفع الطيب».

(٥) يوم اللقاء: يوم القيامة.

(٦) الدهماء: عامة الناس: سوادهم (الجانب الأعظم منهم).

(٧) الضخضاح: الماء القليل الممق، القليل.

(٨) أفاض: سكب. العافي: الذي يطلب العطاء. النوال: العطاء.

(٩) كعب بن عامر من أحواد الجاهلية. وأما ابن سعدى فعرفه إسماعيل بن عباس (نفع الطيب ٦: ٦٤ ح) أنه

أوس بن حارثة الطائي (راجع أيضاً ابن الأثير ١: ٦٢٧). الندى: الكريم.

ما إِنْ سَمِعْتُ - ولا رَأَيْتُ - بمثله: من أَرَجِيَّ لِلنَّدى مُرْتاح^(١).
بَسَطَ الأمانَ على الأنامِ، فأصْبَحُوا قد أَلْحِنُوا مِنْهُ بِظِلِّ جَنَاحِ^(٢).
وَهَمَى على العافِينَ سَيْبُ نَوَالِهِ حَتَّى حَكَى سَحَّ الغمامِ السَّاحِي^(٣).

فالحمد لله، يا سيدي وأخي، على نعيمه التي لا تُحصى حمداً يُومُّ بنا جميعاً المقصِدُ
الأسنى^(٤) فيبلغُ الأمدَ الأقصى، فطالما كان مُعْظَمُ سيدي للأسى في خبالٍ، وللأسف
بين اشتغالٍ بالٍ واشتغالٍ بلبالٍ^(٥). ولقد وِدِمَكُم على هذا المقامِ المُولَوِي^(٦) في ارتقابٍ،
ولموا عيِدَكُم بذلك في تَحَقُّقِ وقوعه من غير شكٍّ ولا ارتيابٍ... وليسيدي الفضلُ في قبولِ
مَرْكوبِهِ الواصلِ إليه بِسَرَجِهِ ولِجَامِهِ. فهو من بعضِ ما لَدَى المُعْظَمِ من إحسانِ مولاهُ
وإنعامه^(٧). ولعمري، لقد كان وافداً على سيدي من سُتْقَرِّهِ مع غيره. فالحمد لله، يَسِّرَ
في إيصالِهِ على أَفضَلِ أحواله^(٨).

- كَتَبَ لسان الدين بن الخطيب فصلاً في «الإحاطة» عن ابن مرزوق، وقال في
هذا الفصل: «أَحْسَنْتُ مِنْهُ... صاغيةً إلى الدنيا وحينئذٍ لما بَلَاهُ اللهُ من غُرُورها^(٩)». «
واطَّلَعَ ابنُ مرزوقٍ على هذا الفصلِ (بعد النكبة التي حَلَّتْ بلسانِ الدين)، فعلَّقَ على

- (١) الأَرَجِيَّ: الواسع الخلق المرتاح (الذي يرتاح: يسر) بأعمال الكرم.
- (٢) ألحَفَ فلان فلاناً: اشترى له لحافاً، ألبسه ثوباً (عطاءً، ستره). - ولو قال: قد ألحَفُوا مِنْ ظِلِّهِ بجناح لكان هو أشعر ولكان التركيب أمثناً وطلَّالَ الوزن صحيحاً.
- (٣) همى: سال بكثرة. السيب: الفيض. سَحَّ: سال. الساحي (المطر) الهاطل بكثرة حَتَّى أَنَّهُ يجرف ما فوق سطح الأرض.
- (٤) يَوْمٌ: يقصد، يتَّجَه إلى. المقصد: الغاية. الأسنى: الأعلى.
- (٥) الأسى: الحزن. الخبال: ضعف العقل. اللبالب: شدة الهم، الوسواس. «كان مُعْظَمُ سيدي للأسى»: أكثر أيام أحزان (٤).
- (٦) المقام المُولَوِي (نسبة إلى مولى): بلاط أبي عنان في فاس.
- (٧) المُعْظَمُ (يكسر الظاء المتددة): ابن مرزوق نفسه! من إحسان مولاه (لسان الدين بن الخطيب!) على سيدي (لسان الدين بن الخطيب).
- (٨) كان ابن مرزوق قد تَلَمَّ هدية من الخيل هذا الحصان أحدها (١).
- (٩) صاغية الرجل: خاصته المتألمون إلى اتِّباعه (المعجم الوسيط ٥١٨) - يقصد: ميلاً إلى الدنيا. - حينئذٍ لما بَلَاهُ اللهُ (امتحنه، أصابه) من غرور (الدنيا): باطلها. - إشارة إلى أن لسان الدين بن الخطيب كان (قبل نكبته) قد أحبَّ الدنيا مع ما كان يعلم من باطلها.

هذا الفصل بما يلي :

تَوَهَّمَ مَا لَا يَقَعُ^(١) ، بَلْ لَمَّا تَجَلَّتْ عَنِّي سَحْبُ النَكْبَةِ وَالْامْتِحَانِ جَزَمْتُ بِالرَّحَلَةِ
وَعَزَمْتُ عَلَى الثَّقَلَةِ^(٢) . وَتَفَرَّتْ مِنْ خِدْمَةِ السُّلْطَانِ وَمِلَازِمَةِ الْأَوْطَانِ . وَالْعَجَبُ كُلُّ
الْعَجَبِ أَنْ جَمِيعَ مَا خَاطَبَنِي بِهِ - أَبْقَاهُ اللَّهُ تَعَالَى - تَحَلَّى بِهِ أَجْمَعًا ، وَابْتُلِيَ بِمَا مِنْهُ
حَذَرٌ^(٣) . فَكَأَنَّهُ خَاطَبَ نَفْسَهُ بِمَا وَقَعَ لَهُ . فَاللَّهُ تَعَالَى يُخَيِّنُ لَهُ الْخَائِفَةَ وَالْخَلَّاصَ^(٤) .

- في نفع الطيب (٥ : ٣٩٧ - ٤٠٢) مَوْلِدِيَّة (قصيدة في مَوْلِدِ الرُّسُولِ) طَوِيلَةٌ
(١١٧ بيتاً) بَارِعَةٌ نَقَلَهَا الْمُقَرِّيُّ عَنْ «الإحاطة» لِلسَّانِ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ ، وَذَكَرَ أَنَّ
لِسَانَ الدِّينِ قَدَمَهَا بِقَوْلِهِ : «وَمِنْ الشَّعْرِ الْمُنْسُوبِ إِلَى مُحَاسِنِهِ مَا أُشِيدَ عَنْهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ لَيْلَةُ
الْمِيلَادِ الْمُعْظَمِ مِنْ عَامِ ٧٦٣هـ^(٥)» . ثُمَّ قَالَ الْمُقَرِّيُّ إِنَّ لِسَانَ الدِّينِ أَرَادَ أَنْ يَقُولَ إِنَّ
الْقَصِيدَةَ لَيْسَتْ لِابْنِ مَرْزُوقٍ^(٦) بَلْ هِيَ مَقُولَةٌ عَلَى لِسَانِهِ وَمُنْسُوبَةٌ إِلَيْهِ . وَرَأَيْتُ الْمُقَرِّيَّ أَنَّهَا
لِابْنِ مَرْزُوقٍ نَفْسِهِ . وَالْوَاقِعُ أَنَّ نَفْسَ الْقَصِيدَةِ مُخْتَلَفٌ مِنَ النَّفْسِ السَّائِدَةِ فِي الشَّعْرِ الَّذِي
قَالَهُ ابْنُ مَرْزُوقٍ . وَسَاقِفٌ بِجَانِبِ الْمُقَرِّيِّ وَأُورِدُ فِيمَا يَلِي جَانِباً وَافِياً مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

وَصِيفُ لَجْرِانِ الْحِمَى وَجَنْدِي بِهِمْ وَسَهْرِي .
وَحَقِّمْ ، مَسَاغِيرَ غَيْرَتِ وَدِّي صُرُوفُ الْغَيْرِ^(٧) .
لِلَّهِ عَهْدٌ فِيهِ ، قَضَى ضَيِّبْتُ ، حَيْدُ الْأَثَرِ .

(١) ظَنُّ لِسَانَ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ مَا لَيْسَ صَحِيحاً فِي سُلُوكِ ابْنِ مَرْزُوقٍ .

(٢) الثَّقَلَةُ (بِالْفَتْحِ) : صَوْتُ السَّيْلِ ، (وَبِالْكَسْرِ) : الْمَرَأَةُ الَّتِي لَا تُخَطَّبُ لِكَبَرِ سِنِهَا ، (وَبِالضَّمِّ) : النِّسْبَةُ .
الْمَقْصُودُ : الْإِتِّقَالُ ، هَجْرُ الْمَكَانِ .

(٣) حَذَرُنِي مِنْ شَيْءٍ (لَمْ يَكُنْ فِي) ثُمَّ وَقَعَ هُوَ فِيهِ .

(٤) فَاللَّهُ تَعَالَى يُخَيِّنُ لَهُ الْخَائِفَةَ (خَتَامَ حَيَاتِهِ) وَالْخَلَّاصَ فِيهَا . وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ ابْنَ مَرْزُوقٍ كَتَبَ هَذِهِ
الْمُلَاحَظَةَ حِينَ كَانَ لِسَانَ الدِّينِ مَنُكُوباً وَمَسْجُوراً .

(٥) مَوْلِدُ الرُّسُولِ فِي الثَّانِي عَشَرَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ . وَذَكَرَى مَوْلَدَهُ سَنَةَ ٧٦٣ هـ يَقَعُ فِي ٩ / ١ / ١٣٦٢ م .

(٦) يَقُولُ إِحْسَانُ عِبَّاسٍ (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٥ : ٣٩٧ ح) : لَمْ تَرِدْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ فِي «الإحاطة» . وَلَا رَيْبَ فِي أَنَّهُ
يَقْصِدُ فِي «مَخْطُوطَاتِ الإحاطة» لَا فِي النُّسخَةِ الْمَطْبُوعَةِ فَقَطْ .

(٧) صُرُوفُ الْغَيْرِ : تَقَلُّبُ أَحْدَاثِ الدَّهْرِ .

أَيَّامُهُ هِيَ السَّيِّئَةُ أَحْيَيْهِمَا مِنْ عُمْرِي .
وَيَا لَيْلِي فِيهِ، مَا عَيْبٌ بِغَيْرِ الْقَصْرِ .
الْمُعْرِ قَيْنَانُ وَوَجْه هُوَ الدَّهْرُ طَلَّقَ الْغُرَّ (١) .
وَالشَّمْلُ بِالْأَحْبَابِ مِنْ ظُومٍ كَنْظَمِ السُّدُورِ :
صَفَوْ مِنَ الْعَيْشِ بَلَا شَائِبَةٍ مِنْ كَدَرِ .
عَهْدِي بِحَادِي الرُّكْبِ كَالِ وَرَقَاءٍ عِنْدَ السَّحَرِ (٢) .
لَيْتَكَ، لَيْتَكَ، إِذْ هُوَ الْخَلْقِ بَارِي الصُّورِ (٣) .
وَلَا حَسْبَ الْكَعْبَةِ يَدِ حَتَّى اللَّهُ ذَاتُ الْأَثَرِ (٤) .
تَمْ تَتَوَانُو نَحْوَ رَسُو لِإِلَهِ سَيَّرَ الضُّمَرِ (٥) ،
فَعَايَنُوا فِي طَيْبَةِ لِأَلَاءِ نَوْرِ نَيْسَرِ (٦) .
رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ وَاسْتَبْرَأَ شَفَّوْا بَلْشَمِ الْجُودَرِ (٧) .
زِيَارَةُ الْمَهَادِي الشَّيْفِ حِجَّةٌ فِي الْمَحْشَرِ (٨) .
رَبِّعُ بِهِ مُسْتَنْزَلُ الْ تَعْمِيرُ بِهِ وَالسُّورِ (٩) ،

- (١) فَبَانُ: طَوِيلُ الشَّرِّ (المَقْصُودُ: لَا يَزَالُ فِي الْعَمْرِ مُتَعَمِّقًا). الْغُرَّةُ: شَرُّ مَقْدَمِ الرَّأْسِ. طَلَّقَ: وَاضَحَ، مَشَرَّقَ، ضَاكَّ. طَلَّقَ الْغُرَّ: مَرُورٌ .
- (٢) حَادِي (سَاقِقُ) الرُّكْبِ (الْمَجَاعَةُ الْمَافِرُونَ مَعًا). إِنَّ صَوْتَ الْحَادِي (مَعَ أَنَّهُ فِي الْعَادَةِ يَكُونُ غَلِيظًا) هُوَ هُنَا مَحَبَّبٌ كَصَوْتِ الْوَرَقَاءِ (الْمَهَامَةِ) فِي الْبَحْرِ (الصَّبَاحِ) لِأَنَّهُ يَسِيرُ نَحْوَ مَكَّةَ لِلْحَجِّ .
- (٣) لَيْتَكَ اللَّهُمَّ لَيْتَكَ: دَعَاءٌ يَجْهَرُ بِهِ الْمُحَاجِّجُ فِي اتِّجَاهِهِمْ نَحْوَ مَكَّةَ. لَيْتَكَ (اسْمُ فِعْلٍ): أَنَا مُقِيمٌ عَلَى طَاعَتِكَ وَاسْتِجَابَةِ لَدَائِكَ!
- (٤) الْأَثَرُ: الرُّوْقُ وَالْمَجَالُ .
- (٥) تَمَى: رَدَّ، عَطَفَ (تَابِعَ السَّيْرَ فِي اتِّجَاهِهِ آخِرَ) نَحْوَ قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ (فِي الْمَدِينَةِ). «سِيرَ» مَفْعُولٌ بِهِ مِنْ «تَمَى» .
- (٦) طَيْبَةُ: مَدِينَةُ الرَّسُولِ .
- (٧) رَأَوْا قَبْرَ رَسُولِ اللَّهِ .
- (٨) الْمَهَادِي التَّشْفِيعُ (رَسُولُ اللَّهِ) هَدَى النَّاسَ فِي الدُّنْيَا وَسَيَفْعُ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ لِإِنْقَازِ الْمَذْنُبِينَ غَيْرِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ. الْحُجَّةُ: الْوَقَاةُ. الْحَشْرُ: يَوْمُ الْحَشْرِ، يَوْمُ الْقِيَامَةِ .
- (٩) الْمَكَانُ الَّذِي نَزَلَ فِيهِ الْوَحْيُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ .

وَمُلْتَقَى جَبْرِيلَ بِالْهَادِي الزَّكِيِّ الْمُنْصَرِّ^(١)؛
مُنْتَقَبُ اللَّهِ وَمُخْذُ تَارُ الْوَرَى مِنْ مُنْصَرِّ^(٢)
ذُو الْمُعْجَزَاتِ الْغُرِّ أَمْ شَالِ النُّجُومِ الزُّهْرُ.

★ ★ ★

يَا أَكْرَمَ الرُّسُلِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَخَيْرَ الْبَشَرِ،
يَا مَنْ لَدَى مَوْلَدِهِ الْإِسْلَامُ مَقْدَسُ الْمَطَهَرِ
إِيوَانُ كِسْرَى ارْتَجَّ إِذْ ضَاءَتْ قُصُورُ قَيْصَرِ^(٣).

★ ★ ★

يَا وَيْحَ نَفْسِي، كَمْ أَرَى فِي غَفْلَةٍ مِنْ عُمْرِي!
وَاحْصِرْتِي مِنْ قَلْبَةٍ الزَّكَاةِ وَبُقْعَةٍ الْفَرِّ
ضَيَّعْتُ فِي الْكِبَرَةِ مَا أُعِدْتُ لَهُ فِي صِبْرِي.
وَلَيْسَ مِمَّا مَرَّ مِنْ أَلْفِ أَيْامٍ بِالْمُنْتَظَرِ.
يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْمَنْسَى تَسْرُقُ طِيْبُ الْعُمْرِ،
هَلْ أَرْجِي مِنْ عَوْدَةٍ أَوْ رَجْعَةٍ أَوْ صَدْرِ^(٤)
فَأُبْرِدَ الْفَلَاةَ مِنْ ذَاكَ الزَّلَالِ الْخَصِيرِ^(٥).

★ ★ ★

يَا ابْنَ الْإِمَامِ الطَّاهِرِ الْبَرِّ الزَّكِيِّ السَّيِّدِ^(٦)،
مَذْحُوكٌ قَدْ عَلَّمَ نَظْمَ شِعْرِي مَنْ لَمْ يَشْعُرْ.

(١) الهادي (الرسول) الزكي (الطاهر) المنصر (الأصل).

(٢) منصر: عرب الشمال (المقصود: من العرب).

(٣) أرنج: أهنر، تزلزل. في التاريخ أن إيوان كسرى تهدم منه بزلزال في نحو الوقت الذي ولد فيه الرسول.

(٤) عودة إلى الحج وزيارة المدينة. الصدر (يفتح ففتح): الرجوع (من الحج وقد تقبل الله حجي).

(٥) الفلة: العطش (التوق الشديد إلى زيارة مكة والمدينة). الزلال: الماء الصافي. الخصر: البارد.

(٦) لما قبلت هذه القصيدة، سنة ٧٦٣، كان ابن مرزوق لا يزال في المغرب، وكان السلطان يومذاك محمد بن يعقوب (٧٦٢-٧٦٧ هـ). والأبيات طبعاً مديح. الزكي السيرة (تمت الحياة): الطاهر السلوك.

جَهْدُ الْقِلِّ الْيَوْمَ مِنْ مِثْلِي كَوْنُ الْمَكْبَرِ^(١).
فَلَا يَنْ يَقْصُرُ ظَاهِرِي، فَلَمْ يَقْصُرْ مُضْمَرِي!

- من المَسْنَدِ الصَّحِيحِ الْحَسَنِ مِنْ أَحَادِيثِ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ^(٢):

لَمْ يَزَلْ^(٣) (هَذَا)^(٤) دَابَّةً^(٥)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي حَالِ إِمَارَتِهِ وَخِلَاقَتِهِ^(٦) - فَلَهُ بِمَدِينَةِ فَاسٍ حَرَسَهَا اللَّهُ الْآثَارُ الْجَمِيلَةُ وَالْبَنَاءَاتُ الْحَفِيلَةُ كَسَجْدِ الصَّغَارَيْنِ وَمَسْجِدِ حَلْقِي النَّعَامِ^(٧)، وَكُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا غَايَةٌ فِي الْكِبَرِ وَالضَّخَامَةِ. وَصَوْمَةٌ^(٨) كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا غَايَةٌ فِي الْإِرْتِقَاعِ وَالْحُسْنِ. وَ(لَهُ) مَسَاجِدُ عِدَّةٌ وَصَوَامِعُ. وَبِالْمَدِينَةِ الْبَيْضَاءِ كَذَلِكَ. وَبِالنُّصُورَةِ مِنْ مَدِينَةِ سَبْتَةِ الْجَامِعِ الْمُتَّصِلِ بِالْقَصْرِ السَّعِيدِ، وَهُوَ جَامِعٌ حَافِلٌ وَصَوْمَعَتُهُ حَافِلَةٌ^(٩)....

وَأَمَّا الْجَامِعُ الْكَبِيرُ فَقَدْ أَتَقَقَ الرَّحَالُونَ وَأَجَعَ الْمُتَجَوِّلُونَ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا لَهُ ثَانِيًا - (وَإِنْ كَانَ) جَامِعُ بَنِي أُمَيَّةَ (قَدْ) تَمَّ حُسْنُهُ لَمَّا كَمَلَ تَرْتِيبُ وَضْعِهِ. وَ(لَوْ) كَمَلَتْ تَبَعَاتُ هَذَا الْجَامِعِ لَمَّا قَصَرَ عَنْهُ.

(١) الجهد: أقصى ما يستطيع الإنسان بذله. جهد المقلّ (الفقير): الشيء الذي يستطيعه المقلّ. الوسع: ما يقدر عليه الإنسان - المقدار القليل من الفقير كالمقدار الكبير من الغني.

(٢) أبو الحسن علي بن عثمان عاشر سلاطين بني مرين (٧٣٢ - ٧٤٩ هـ) في المغرب. وقد جالس ابن مرزوق هنا بين «الحسن» اسم السلطان و«الحسن» من مراتب الأحاديث الروية عن رسول الله. المسد هو الحديث الواصل بروايته إلى الرسول. والصحيح: الحديث المرفوع المتصل بنقل عدل ضابط في التحري والأداء سالماً من شذوذ وعلة (المعجم الوسيط ٥١٠) أي هو الحديث الذي رواه ثقات معروفون متصلو الرواية إلى رسول الله. الحسن: هو الحديث الذي عُرف مخرجه واشتهر رجاله (المعجم الوجيز ١٥١). أحاديث (هنا): أخبار.

(٣) لم يزل السلطان أبو الحسن.

(٤) إضافة بقتضيا المسمى.

(٥) الدأب: العادة والثأب.

(٦) في خِلَاقَتِهِ (أبَاهُ مَلِكُهُ) وَإِمَارَتِهِ (قَبْلَ أَنْ يَتَوَلَّى الْمَلِكُ).

(٧) الحفيلة: الكثيرة (أو الكثير السكان). الصغارين: سوق الفين يعملون الأدوات النحاسية. حلق النعام: (اسم موضع).

(٨) الصومعة: المئذنة.

(٩) حافل (كثير المصلّى). حافلة:.....

وجامع المنصور بِمَرَاكُشَ (وهو) الذي تُضْرَبُ به الأمثال.... أَكْبَرُ مِسَاحَةٍ، إِلَّا أَنْ مَا كَانَ فِي هَذَا (الجامع) مِنَ الرُّخَامِ وَالْإِحْكَامِ ^(١) أَغْرَبُ وَأَعْظَمُ. وَلَا شَكَّ (فِي) أَنْ صَوْمَعَتَهُ لَا تَلْتَحِقُ بِهَا صَوْمَعَةٌ فِي شَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا. صَعِدْتُهَا غَيْرَ مَرَّةٍ مَعَ الْأَمِيرِ أَبِي عَلِيٍّ النَّاصِرِ، وَهُوَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى فَرَسِهِ وَأَنَا عَلَى بَغْلَتِي ^(٢)، مِنْ أَسْفَلِهَا إِلَى أَعْلَاهَا، وَكَأَنَّا فِي وَطَاءٍ ^(٣) مِنَ الْأَرْضِ. وَكَانَتْ عَلَى الْبَابِ الْجَوْفِي ^(٤) مِنْهُ، وَلَهَا مَجْرَيَانِ يُطْلَعُ فِيهِمَا إِلَى أَعْلَاهَا. وَكَانَتْ مُحْكَمَةَ الْبِنَاءِ وَالنَّجَارَةِ فِي الْأَحْجَارِ بِصِنَاعَةٍ مُخْتَلَفَةٍ ^(٥) مِنَ الْإِحْكَامِ فِي كُلِّ جَانِبٍ.

..... وهذه الزوايا التي يُطْلَقُ عليها في المشرق الرُّبُطُ. والخَوَاتِقُ والخَانَقَاتُ عِلْمٌ عَلَى الرُّبُطِ، وَهُوَ لَفْظٌ أَعْجَمِي ^(٦). وَالرُّبَاطُ فِي أَصْطِلَاحِ الْفُقَرَاءِ عِبَارَةٌ عَنْ أَحْتِسَابِ النَّفْسِ فِي الْجِهَادِ وَالْحِرَاسَةِ ^(٧)، وَعِنْدَ الْمُتَصَوِّفَةِ عِبَارَةٌ عَنِ الْمَوَاضِعِ الَّتِي يُلْتَزَمُ فِيهَا لِلْعِبَادَةِ..... قُلْتُ: وَالظَّاهِرُ أَنَّ الزَّوَايَا عِنْدَنَا فِي الْمَغْرِبِ هِيَ الْمَوَاضِعُ الْمُعَدَّةُ لِإِرْفَاقِ الْوَارِدِينَ وَإِطْعَامِ الْمُحْتَاجِ مِنَ الْقَاصِدِينَ ^(٨). وَأَمَّا الرُّبُطُ عَلَى مَا هُوَ الْمُصْطَلَحُ عَلَيْهِ فِي الْمَشْرِقِ فَلَمْ أَرَ فِي الْمَغْرِبِ عَلَى سَبِيلِهَا وَنَمَطِهَا ^(٩) إِلَّا رِبَاطَ سَيِّدِي أَبِي مُحَمَّدٍ صَالِحٍ وَالزَّوَايَا الْمُنَسَّوِبَةَ لِسَيِّدِنَا أَبِي زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنِ عُمَرَ، نَعَى اللَّهُ بِهِ، بِسَلَى، غَرْفِي الْجَامِعِ

(١) الإحكام (بالكسر): الدقة والإتقان.

(٢) الصعود في هذه المذبة لا يكون على درج بل على سطح مائل (وقد صعدت أنا إلى أعلى صومعة الكنيّة في مدينة مراكش، فكان الصعود إليها أسهل وأقلّ إرهاقاً من الصعود على درج).

(٣) وطاء: الأرض الواطئة المستوية.

(٤) الجوفي: القبلي (التّجه إلى جهة مكّة. ويمكن أن يقال على جهة الجنوب).

(٥) النجارة: (المعمل في الحشب). بصناعة مختلفة (ذات أشكال مختلفة من التزيين).

(٦) الخواتق والخانات جمع خانكاه (بكاف معقودة) من اللغة الفارسية: بيت الملك (ممكن يأوي إليه الدراويش والصوفية مجاًناً، ويقومون فيه بعبادتهم).

(٧) الفقراء (الصوفية). ولست هنا في مكانها. الرباط يكون فيه محاربون للدفاع عن حدود البلاد الإسلامية.

(٨) لنفحة السافرين الواصلين إلى ذلك المكان (شبه الفندق؟).

(٩) النمط: الشكل، المثال.

(١٠) سلى = سلا: بلدة إلى شمال مدينة الرباط. غربي (أقرأ: غرب). الغربي هو الجانب الغربي من المكان (ويكون داخله فيه). «غرب» (طرف): إلى الجهة الغربية من المكان (ولا تكون داخله فيه: رأس بيروت هو غربي مدينة بيروت. وبيروت غرب دمشق: تقع في الغرب من دمشق).

الأعظم منها . ولم أرَ لها ثالثاً على نحوها في مُلازمة السَّكَّانِ وصِفَاتِهِمْ وشَبَهِهِمْ بِمَنْ ذُكِرَ ،
نفع الله بهم .

٤- المسند الصحيح في أحاديث أبي الحسن (قطعة بتحقيق ليبي يروفسال) ، مع ترجمة لابن
مرزوق (بالفرنسية) والنصّ (بالعربية والفرنسية) ، من مجلّة (المجلد الخامس ،
١٩٢٥م) ، باريس (لاروز) .

★ الدرر الكامنة ٣ : ٣٦٠ - ٣٦١ : الإحاطة (الفاخرة ١٣١٩ هـ) ٢ : ٢٢٣ وما بعد ؛
الديباج المذهب ٣٠٥ - ٣٠٩ : نيل الابتهاج ٢٦٧ - ٢٧٠ : بغية الوعاة ١٨ - ١٩ ؛
شذرات الذهب ٦ : ٢٧١ - ٢٧٢ : نفع الطيب ٥ : ١٥٢ - ١٥٣ ، ٢٠٠ - ٢٠١ ، ٢٢٤ ،
٢٧٩ ، وما بعد ٦ : ١١ - ١٢ ، ٦٤ - ٦٥ : شجرة النور الزكية ٤٣٦ : الاستقصا ٢ :
٩٤ - ٩٥ : دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٨٦٦ (راجع عن أسرته ٣ : ٨٦٥ - ٣٦٨) ؛ تاريخ
الجزائر العام ٢ : ١٠٢ - ١٠٥ : معجم أعلام الجزائر ١٤٠ - ١٤١ ؛ بروكلمن ٢ : ٣١٠ ،
الملحق ٢ : ٢٣٥ - ٢٣٦ : الأعلام للزركلي ٦ : ٢٢٦ (٥ : ٣٢٨) ؛ الأصول (مجلّة) ٤ : ٢٦ ،
ص ١٤٣ و ١٠٦ ؛ دودو (كتب وشخصيات) ٢٩ - ٤٦ ؛ معجم المؤلفين لكحالة ٩ : ١٦ .

أبو سعيد بن لبّ

١- هو أبو سعيد فرَجُ بنِ قاسمِ بنِ أحمدَ بنِ لبّ التَغَلِيّ الشَّاطِئِيّ الغَرْنَاطِيّ ، وُلِدَ
سَنَةَ ٧٠١ هـ (١٣٠١ - ١٣٠٢ م) . قرأ القرآن الكريم بالسَّبعِ على أبي الحسن
القيجاطي^(١) وروى الحديث عن ابن جابر الوادي آشي وأخذ العربية (النحو) عن ابن
الفَخَّارِ وأبي حَيَّانِ الغَرْنَاطِيّ . ثمَّ إنَّه أقرأ في المدرسة النَّصْرِيَّة ، ابتداءً من ثامنَ عَشَرَ
رَجَبَ من سَنَةِ ٧٥٤ (١٣٥٣/٨/١٨ م) . وكانت وفاته في ذي الحِجَّة من سنة ٧٨٢
(آذار - مارس ١٣٨١ م) .

٢- كان أبو سعيد بن لبّ فقيهاً ماهراً في القراءات ، عارفاً بالتفسير مُشاركاً في
أصول الدين وأصول الفقه وفي الفرائض ، بارعاً في علوم الأدب جيّد النظم والنثر ،
تَغَلَّبَ على نظمه الصُّبغةُ الدِّينِيَّة . وكانت له تاليفٌ منها : شَرْحُ الرِّجَالِي^(٢) - شَرْحُ

(١) أبو الحسن علي بن عمر القيجاتي (٦٥٠ - ٧٣٠ هـ) من علماء النحو تولى الخطابة (في صلاة الجمعة) في
غرناطة ومات فيها .

(٢) لعلّه شرح كتاب «المجلد الكبير» (في النحو) لأبي القاسم الزجاجي (ت ٣٤٠ هـ) .

٣- مختارات من شعره

- قال أبو سعيد بن لبّ قصيدة في مدح رسول الله، منها:

تروم جفوني لنـارِ الهوى خموداً قَتَهمي دُموعاً غزاراً^(١) :
فأء جفوني يَسَحْ أنـهالاً ونار فؤادي تَهيج اشتعاراً^(٢)
أجنُّ اشتياقاً لريح سَرَت وأبدي هياماً لبرق أنسار^(٣)
فيا فوزَ مَنْ فازَ في طَيِّبَةِ بلثم المغانى جداراً جداراً^(٤) ؛
وألصقَ خدّاً على تُربِها وأكمل حجّاً بها واعتباراً^(٥) ؛
فيا هادي الخلقِ دارَ نعيمٍ تناهتَ جالاً وطابت قراراً^(٦) ،
لأنتَ الوسيلةَ والمُرتجى ليوم يرى الناسُ فيه سُكاري
وما هم سُكاري، ولكنهم ذهنتهم دَواهٍ فهاموا حَياري^(٧) :
تَرى المرءَ - لِلهَوْلِ - مِنْ أُمِّهِ ومن أَقربيه يُطيل الفِراراً^(٨) .

- وقال في وداع شهرِ رَمَضانَ :

أأزمتُ، يا شهرَ الصَّيامِ، رَحيلًا؟ وقاربتَ، يا بَدَرَ الزمانِ، أفولاً^(٩) ؟

-
- (١) رام : طلب . الخمود : الانطفاء . همى المطر : انسكب وسال .
(٢) سَحَ : سال من أعلى إلى أسفل . اِهْلَت السماء = هملت : دام مطرها . اشترعت النارُ : اشتدَّ اشتغالها .
(٣) الهيام : الخنون من العشق .
(٤) طَيِّبَةُ : المدينة (على ساكنها أفضل السلام) . المغانى : المكان السكون .
(٥) الحجّ : القيام بالناسك . في مكّة في موسم الحجّ (٨ - ١٠ من ذي الحجة ، آخر أشهر السنة الهجرية) .
(٦) « دار » مفعول به « هادي » . تناهت : بلغت الحد الأقصى . القرار : المستقر : البقاء الدائم .
(٧) ليوم يرى الناس فيه سُكاري وما هم بسكاري - اقتباس من القرآن الكريم في وصف هول يوم القيامة ﴿وترى الناس سُكاري وما هم بسكاري، ولكنّ عذاب الله شديد﴾ (سورة الحجّ) .
(٨) في هذا البيت أيضاً اقتباس : ﴿يوم يفرّ المرء من أخيه وأُمّه وأبيه وصاحبته وبنيه﴾ (٨٠ : ٣٤ - ٣٦ ، سورة عس) .
(٩) أزمع : عزم ، أراد . الأفول : الغياب .

أَجْدَكَ! قَدْ جَدْتَ بِكَ الْآنَ رَحْلَةً؟ رُؤْيَدَكَ! أُمَيْكَ لِلْوَدَاعِ قَلِيلًا^(١).
 نَزَلْتُ فَأَزْمَعْتُ الرَّحِيلَ كَأَنَّا نَوَيْتُ رَجِيلًا إِذْ نَوَيْتُ نَزُولًا.
 وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ أَهْلَكَ قَدْ مَضَوْا: تَفَانُوا فَأَبْصَرْتَ الدِّيَارَ طُلُولًا^(٢).

- وقال في السيب:

خُذُوا لِلْهَوَى مِنْ قَلْبِي الْيَوْمَ مَا أَنْقَى،
 فَمَا زَالَ قَلْبِي كُلُّهُ لِلْهَوَى رِقَا.
 دَعُوا الْقَلْبَ يَصْطَلِي فِي لَطْفِ الْوَجْدِ نَارَهُ فِكْلُ الَّذِي يَلْقَوْنَ بَعْضُ الَّذِي أَلْقَى^(٣).
 فَإِنْ كَانَ عَبْدٌ يَسْأَلُ الْعَتَقَ سَيِّدًا، فَلَا أَبْتَغِي مِنْ مَالِكِي فِي الْهَوَى عَتَقًا.
 بَدَعُوا الْهَوَى يَدْعُو أَنَاسًا، وَكُلُّهُمْ إِذَا سُئِلُوا طُرُقَ الْهَوَى جَهَلُوا الطَّرْقَا^(٤).
 فَطُرُقُ الْهَوَى شَتَّى، وَلَكِنْ أَهْلُهُ يَحُورُونَ فِي يَوْمِ السِّيَاقِ بِهِ السَّبَا^(٥).
 وَكَمْ جَمَعَتْ طُرُقُ الْهَوَى بَيْنَ أَهْلِهِ،
 فَبَيْتُ تَرَى سِيَا الْهَوَى فَاعْرِفِ الصَّدَقَا^(٦).
 فَمِنْ زَفْرَةٍ تُزْجِي سَحَابَيْبَ عَبْرَةٍ، إِذَا زَفَرَتْ تَرُقَى فَلَا عَبْرَةَ تَرَقَا^(٧).
 إِذَا سَكَنُوا عَنْ وَجْدِهِمْ أَعْرَبَتْ بِهِ بِوَاطِنُ أَحْوَالٍ وَمَا عَرَفَتْ نُطْقَا^(٨).

-
- (١) أَجْدَكَ: أَسْتَحْلِفُكَ بِحَقِيقَتِكَ! جَدْتُ: حَدَّثْتُ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ، وَ(هَذَا): أَمْرَعْتُ (لَأَنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ أَصْبَحَ فِي أَوَاخِرِهِ فَبِذَا انْتِظَاؤُهُ أَسْرَعَ تَمَا كَانَ يَبْدُو فِي أَوَائِلِهِ). رُؤْيَدَكَ: تَهَلَّلْ!
 (٢) أَهْلَكَ قَدْ مَضَوْا: (سَكَنَ الْأَنْدَلُسَ الْآنَ قَلُّوا، وَأَصْبَحُوا أَقْلَ قُوَّةٍ وَفَخَامَةً مَظْهَرٌ تَمَا كَانُوا).
 (٣) صَلْبِي: شَرِّ بَحْرٍ (النَّارِ). لَطْفِي: جَهَنَّمُ (شِدَّةُ حَرِّ النَّارِ). الْوَجْدُ: الْحُبُّ الشَّدِيدُ.
 (٤) - صَحَّةُ الْحُبِّ لَا تَكُونُ بِالْدَعْوَى، بَلْ بِاللُّوْكَ (بِمَالِ الْمَرْءِ نَجْمًا مَحْبُوبَةً).
 (٥) «عِنْدَ السَّرِيِّ» (رَاجِعِ الْكَلِمَةَ الْكَامِنَةَ ٦٩، السَّطْرُ الْأَوَّلُ) - وَفِي نَفْحِ الطَّيِّبِ (٥: ٥١٢، السَّطْرُ الْبَاسِ): «عِنْدَ الْوَيْ» (بِضَمِّ الْهَيْنِ أَوْ كَسْرُهَا): الْعَدْلُ، الْإِعْتِدَالُ، الْوَسْطُ، النَّاسُ الْآخَرِينَ، الْمَثَلُ، النَّظِيرُ، الشَّبِيهَ). السَّرِيُّ: الْبَرِّ فِي اللَّيْلِ (وَقْتُ الْجَدِّ فِي الْبَرِّ - لَأَنَّ الْعَرَبَ الْقَدَمَاءَ كَانُوا يَسَافِرُونَ فِي اللَّيْلِ لِقَلَّةِ الْحَرِّ فِيهِ وَيَسْتَرْجِعُونَ فِي النَّهَارِ عِنْدَ اشْتِدَادِ الْحَرِّ).
 (٦) السَّيَاءُ: الْعَلَامَةُ.
 (٧) الزَّفْرَةُ: إِخْرَاجُ نَفْسٍ حَارَّةٍ (لَشِدَّةِ الْحُزْنِ). أَرْجِي: أَرْسَلْ، سَبَّ. الْعَبْرَةُ: الدَّمْعَةُ. تَرُقَى: تَصْعَدُ (مِنْ الصَّدْرِ). تَرَقَا: تَحَفَّ، (يَنْقَطِعُ صَاحِبُهَا عَنِ الْبُكَاءِ).
 (٨) الْوَجْدُ: الْحُبُّ الشَّدِيدُ. - فِي هَذَا الْبَيْتِ مَا يَدُلُّ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْإِتِّعَافِ الصُّوفِيِّ.

٤- ** الكنية الكامنة ٦٧-٧٠: الديباج المذهب ٢٢٠-٢٢١: نيل الابتهاج ٢١٩-٢٢١: بغية الوعاة ١٣٧٢: شذرات الذهب ٢٨٠-٢٨١: نفع الطب ١٠٨-١٠٩، ٢٦٥، ٥٠٩-٥١٤، ١٥٣٥: بروكلن ٢: ٣٣٦، الملحق ٢: ٣٧١: مختارات نيكل ١٩٦-١٩٧: الأعلام للزركلي ٥: ٣٤١ (١٤٠): معجم المؤلفين لكحالة ٨: ٥٨.

أبو جعفر أحمد بن محمد بن جزي

١- هو أبو جعفر^(١) أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن جزي، من أهل غرناطة، وُلِدَ سَنَةَ ٧١٥ هـ (١٣١٥-١٣١٦ م). تَلَقَّى العِلْمَ على والده وعلى نَفَرٍ آخَرِينَ ثُمَّ دَخَلَ فِي خِدْمَةِ الدَّوْلَةِ، فِي خُطَّةِ الكِتَابَةِ، فِي أَوَائِلِ أَيَّامِ أَبِي الحَجَّاجِ يَوْسُفَ الأوَّلِ سَابِعِ مُلُوكِ بَنِي نَصْرٍ (٧٣٣-٧٥٥ هـ). ثُمَّ إِنَّهُ تَوَلَّى القَضَاءَ فِي بَرَجَةٍ ثُمَّ فِي أُنْدَرَسَ ثُمَّ فِي وادي آش^(٢). ثُمَّ إِنَّهُ أَصْبَحَ قَاضِيًا بِمَدِينَةِ غَرْنَاطَةِ وَخُطِيبًا فِيهَا فِي مَسْجِدِ السُّلْطَانِ (الجامع الأكبر) فِي ثَامِنِ سَوَالٍ مِنْ سَنَةِ ٧٦٠ (١٣٥٩/٩/٢ م). ثُمَّ صُرِفَ عَنِ الخُطْبَةِ ثُمَّ أُعِيدَ إِلَيْهَا، سَنَةَ ٧٦٣ هـ. وَيَبْدُو أَنَّ وَفَاتَهُ كَانَتْ فِي سَنَةِ ٧٨٥ هـ (١٣٨٣ م).

٢- كَانَ أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ جُزَيٍّْ فَقْهِيًّا وَأَدِيبًا شَاعِرًا. وَقَدْ كَانَ بِرُغْمِ اتِّجَاهِهِ الدِّينِيِّ - قَلِيلِ الثِّقَةِ بِالنَّاسِ. وَفِي شِعْرِهِ لَفَاتَاتٌ بَارِعَةٌ.

٣- مختارات من شعره

- كَسْبُ لِسَانِ الدِّينِ بْنِ الخُطِيبِ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ بْنِ جُزَيٍّْ يَطْلُبُ شَيْئًا مِنْ شِعْرِهِ،

- (١) كَسْبُ لِسَانِ الدِّينِ بْنِ الخُطِيبِ فِي الكِتَابَةِ الكَامِنَةِ (ص ١٣٨): أَبَا جَعْفَرٍ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الإِرْطَاةِ (رَاجِعِ ١: ١٦٣-١٦٨). وَالْمَقْرِيُّ كَنَاهُ «أَبَا بَكْرٍ» (نَفْحُ الطَّيْبِ ٥: ٥١٧، رَاجِعِ ٢: ٥١٤، ٧: ٢٨٢).
- (٢) بَرَجَةٌ، ضَبَطَهَا مُحَمَّدُ عَبْدِ اللَّهِ عَنَانَ بِضَمِّ البَاءِ (الإِرْطَاةُ ١: ١٦٤، ١٧٣، ١٧٤، ٢٠٤، ٥٠٨). وَهِيَ مَضْبُوطَةٌ بِالضَّمِّ أَيْضًا فِي الْقَامُوسِ وَفِي تَاجِ العُرُوسِ (مَعَ مَلاحِظَةِ التَّاجِ أَنَّ الإِطْلَاقَ يَقْتَضِي الفَتْحَ). وَفِي مَعْجَمِ البُلْدَانِ مَضْبُوطَةٌ بِالفَتْحِ، وَهِيَ فِي مَعْظَمِ المَرَاجِعِ الحَدِيثَةُ مَضْبُوطَةٌ بِالفَتْحِ أَيْضًا. تَقَعُ بَرَجَةٌ غَرْبَ المَرْيَةِ (فِي المَنْحَبِ الشَّرْقِيِّ مِنَ الأَنْدَلُسِ) عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنَ سَاحِلِ البَحْرِ. وَأُنْدَرَسُ مِنْ أَعْمَالِ المَرْيَةِ أَيْضًا، عَلَى نَهْرِ بِاسْمِهَا، غَرْبَ غَرْنَاطَةِ. وَوَادِي آش إِلَى الشَّامِ الشَّرْقِيِّ مِنْ غَرْنَاطَةِ.

فأرسل أبو جعفر إلى لسان الدين ما طلبَ وكتبَ إليه بهذه الأبيات (الكتيبة الكامنة: ١٤٢):

فَدَيْتُكَ، يَا سَيِّدِي، مِثْلَمَا فِدَاكَ الزَّمَانُ الَّذِي زَيْتُهُ^(١).
جَالُ فَعَالِكَ أَظْهَرْتَهُ، وَسِرُّ كَمَالِكَ أَخْفَيْتَهُ^(٢).
تَشَوَّفْتُ مِنِّي إِلَى بِنْتِ فِكْرِي فَشَرَفْتَ شِعْرِي وَزَيَّنْتَهُ^(٣).
وَقَدْ وَرَدَّتْكَ، وَأَنْتَ الَّذِي أَخَذْتَ قُوَادِي، فَخُذْ بِنْتَهُ^(٤).

- وقال في التورية في «معين» (بين أن تكونَ أسماً أو تكونَ علماً):

كَمْ بَكَائِي لِبُعْدِكَ! كَمْ أُنِينِي! مَنْ أَظْهَرِي عَلَى الْأَسَى؟ مَنْ مُعِينِي^(٥)?
جَرَحَ الْحَدَّ دَمْعُ عَيْنِي، وَلَكِنْ لَا عَجِيبٌ إِنْ جَرَحَ آبِنُ مُعِينِي^(٦).

- قال أبو جعفر أحمد بن محمد بن جزي في سلوك الناس حيال الغني والفقير:

أَرَى النَّاسَ يُوَلُّونَ الْغَنَى كَرَامَةً، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لِرُقْمَةٍ مِقْدَارِ.
وَيَلْوُونَ عَنْ وَجْهِ الْفَقِيرِ وَجُوهَهُمْ، وَإِنْ كَانَ أَهْلًا أَنْ يُلَاقَى بِأَكْبَارِ.
بَنُو الدَّهْرِ جَاءَتْهُمْ أَحَادِيثُ جَمَّةٌ،

فَمَا صَحَّحُوا مِنْهَا إِلَّا حَدِيثَ آبِنِ دِينَارٍ^(٧)!

(١) زان وزين (بالشدید) بمعنى واحد.

(٢) النعال (بالفتح): الفعل الحميد.

(٣) تشوّف: تطلّع؛ نظر من بعيد. بنت الفكر: نتاج الفكر من شعر ونثر وحكم إلخ.

(٤) وقد وردت: أرسلتها أنا إليك فوصلت إليك.

(٥) الظهير: المعين، المساعد لك في ما نسى إليه. الأسى: الحزن.

(٦) جرح (في النظر الثاني): جرحه (عابه وأسفط عدالته: صدقه في الشهادة). والتعديل والتجريح (في علم الحديث): تبيان مراتب رواة الحديث في الصدق وصحة النقل. ابن معين هو يحيى بن معين بن عون بن زياد البغدادي (ت ٢٣٣ هـ = ٨٤٨ م) من أئمة الحديث ومؤرخي رجال الحديث، وكان إماماً عارفاً بأصول التعديل والتجريح.

(٧) ابن دينار: الرجل الغني (هم يصدقون الرجل الغني فقط). وعيسى بن دينار (ت ٢١٢ هـ) من فقهاء الأندلس ومن رجال الحديث أيضاً.

- وله قصيدة جعلَ كلَّ عَجْزٍ فيها عَجْزاً من قصيدة لامرئ القيس (ما عدا مَظْلَمَها، فإنَّ عَجْزَه صَدْرُ المَطْلَعِ في قصيدة امرئ القيس نفسها)*. من هذه القصيدة:

أقول لعزمي أو لصالح أعمالي: (ألا عِمَّ صباحاً، أُنْها الطَّلُّ البالي) (١)
أما واعِظي شَيْبٌ علا فوقَ لِمَتي (سُمُو حَبَابِ الماءِ حالاً على حالٍ) (٢)؟
أخالِطُ دَهْرِي، وهو يعلمُ أَنِّي (كَبُرْتُ، وأنَّ لا يُخِشُّ اللّهُ أَمْثالي).
وقد عَلِمْتُ مِنِّي مواعِدُ نَوْبِي (بأنَّ الفَقِي يَهْذِي وليس بفعّالٍ) (٣)
ألا لَيْتَ شِعْرِي، هل تقولُ عزائي (لِخَيْلي: كُرِّي كَرَّةً بعد إقبالٍ) (٤)،
فأنزِلْ داراً للنَّبِيِّ نَزِيلُها (قليلُ هُمومٍ ما يَبِيتُ بأوجالٍ)
فطوبى لِنَفْسٍ جاورَتْ خَيْرَ مُرْسَلٍ (بِيتْرِبَ أدنى دارِها نَظَرٌ عالٍ) (٥).
جوارُ رسولِ اللَّهِ بِمَجْدٍ مُؤْتَلٍّ (وقد يُذَكُّ المَجْدُ المُوْتَلَّ أَمْثالي) (٦).
وما ذا الذي يُمْنِي عِنانَ السُّرى، وقد (كفاني - ولم أطلب - قليلٌ من المالِ) (٧).

١-٢ * الدرر الكامنة () ١: ٢٩٣ () ، الكتيبة الكامنة ١٣٨-١٤٣
الاحاطة ١: ١٦٣-١٦٨ ، بغية الوعاة ١٦٢-١٦٣ ، شذرات الذهب ٦: ٢٨٦ ،
نفع الطيب ٥: ٥١٧-٥١٩ ، راجع ٧: ٢٨٢ ، أزهار الرياض ٣: ١٨٧-١٨٨ ،
معجم المؤلفين لكحالة ٢: ٧٢ .

(*) لحارم القرطاجني (ت ٦٨٤ هـ) تصنف مثل هذا لهذه القصيدة (لامرئ القيس) نفسها.
(١) عم بالكسر فعل أمر (أو طلب) من «وعم» (يفتح ففتح أو يفتح فكسر) يعم (يفتح فكسر). عم صباحاً
أو مساءً (من تحبة الماهلية). أقول لعزمي.... (ليس لي عزية ولا أعمال صالحة).
(٢) اللعة: الشعر الجاور للأذن. الحباب: فقاقع الماء. حالاً على حال: مرة بعد مرة (٩).
(٣) هذِي يهذي: خلط في الكلام من أثر مرض أو حزن. - وعدت مراراً أن أتوب ولم أقبل.
(٤) كَرَّ: هجم. إقبال (كذا في الكتيبة الكامنة ١٤٠)، وفي «شرح ديوان امرئ القيس للسندوي (الطبعة
الحاسية: القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ص ١٦٤): لإجمال (مضي وأسرع - من الخوف: هرب)
(٩).

(٥) يترب: المدينة (مدينة الرسول). أدنى دارها نظر عال:
(٦) مؤتَل وأُنيل: ثابت على الزمن.
(٧) يني: يرد. عناني: لجامي (فرسي) أي يمني عن السفر (إلى الحج). - وهذه رحلة تقتضي قليلاً من المال
نقط، وأنا لم أطلب شيئاً كثيراً فوق ذلك.

محمد الظريف التونسي

١- هو أبو عبد الله محمد الظريف التونسي، نشأ في تونس وطلب العلم والأدب فيها. وكانت وفاته في الجبل المبارك (جبل المنار) ويُعرف في تونس بأسم «سيدي بو سعيد» أو مرسى قرطاجة^(١)، وذلك يوم الخميس في حادي عشر جبادى الآخرة من سنة ٧٨٧ (١٣٨٥/٧/١٨ م).

٢- كان محمد الظريف التونسي من علماء تونس وصلحاتها المشهورين متصوفاً منفرداً بنفسه، تُروى له كرامات. وكان بارعاً في فنون عدة منها الموسيقى. وشعره سهل رائق يدور على مدح الرسول وعلى الوعظ وتهذيب الأخلاق.

٣- مختارات من شعره

- قال محمد الظريف يصف روضة:

ورب روضة أنس قد مررتُ بها مخضرة ذات أشجار وأغصان^(٢).
تطوفها تمش الأرواح دانية بجنة ذات روح ذات ریحان^(٣).
تحلل الماء في أنهارها فصدت تزهو بورْد ونسرين ونُعمان^(٤).
وقام فيها خطيب فوق منبره يشكو البعاد بتغريد وألحان^(٥).
مُرَوِّق الصدر مخضوبُ البنان له من الزبرجد والياقوت لُونان^(٦).

(١) «سيدي بو سعيد» (جبل أبي سعيد) منطقة جبلية مشرفة على البحر في الصاحية الشمالية من تونس الحاضرة. والمنطقة هي قرطاجة (أو قرطاج، كما يلفظها التونسيون في الصيغة الفرنسية). وقرطاجة (قرطاج) حديثة: القرية - المدينة - الحديثة، وهي من بناء الكمانيين (الفينيقيين).

(٢) الأنس: السرور، الألفة بين الأصحاب.

(٣) قطوف جمع قطف (بكسر الفاف): ثمر. دانية: قرية (من الذي يريد قطعها) روح (راحة) ريحان (رزق حسن) راجع القرآن الكريم (٥٦: ٨٩، سورة الواقعة).

(٤) تزهو: تلمع، تقتخر. نسرين: ورد أبيض اللون. نعمان = شقائق النعمان (زهر برّي أحمر اللون).

(٥) خطيب = طائر مفرد (هنا: حمامة).

(٦) مَرَوِّق الصدر (في صدره ريش مختلف الألوان). مخضوب (مصبوغ) البنان (الأصابع). المقصود هنا «القوائم»، وقوائم الحمامة تكون عادة حراء. الزبرجد: حجر كريم أخضر اللون. الياقوت: حجر كريم أحمر اللون. يبرز في هذه الحمامة لونان: اللون الأسود (والعرب يقولون للأسود أخضر) واللون الأحمر في قوائمها

يَبِضُّ جَوَانِحُهُ سَوْدٌ مَنَابِكُهُ
مَطْوِقُ الْجِيدِ، فِي أَطْرَافِ مَقْلَتِهِ
وَأَطْرَبَ الطَّيْرِ فِي أَوْكَارِهَا فَعَدَّتْ
نَاشِدُتُكَ اللَّهُ، يَاطِيرَ الْأَرَاكِ، إِذَا
وَسَاعَدَتْكَ اللَّيَالِي فِي تَصَرُّفِهَا
وَجِئْتَ طَيِّبَةً وَالْوَادِي وَجُرْتَ عَلَى
سَلَمٍ عَلَى الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍّ
الْهَاشِمِيِّ الَّذِي فَاضَتْ فَضَائِلُهُ
وَقُلْ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَا أَمَلِي،
جِئْنِي بِتُونَسٍ مَوْثُوقٍ بَزَلَّتِيهِ،
وَكُلَّ عَامٍ أَرْجِي أَنْ أُرَوِّدُكُمْ،
أَمُوتْ وَالْقَلْبُ مُشْتَاقٌ لِرَوْزَتِكُمْ؛
فَكُنْ شَفِيعِي فِي يَوْمِ الْجَزَاءِ إِذَا
- وَقَالَ أَيْضاً يُوْرِي فِي بَاسْمِهِ:

- (١) المنكب (بالكسر): الكتف. المك أسود اللون، والكافور أبيض اللون.
- (٢) مطوق الجيد (العتق): لعدد من أنواع الحمام طوق (شبه العقدة) من ريش لونه مخالف للون الريش في سائر جسمها. البهاء: الجمال. الثاني (الشديد الحمرة، من «قار» في الفارسية: دم) هنا: اللون الزاهي البراق.
- (٣) ناشدتك الله: سألتك (طلبت منك) وأنا أقسم بالله. الأراك: شجر يتخذ الناس من أغصانه المساويك (جمع سواك: لجلاء الأسنان)، إشارة إلى الحجاز.
- (٤) طيبة: المدينة المنورة. الوادي (وادي مكة، أو مدينة مكة؟). وادي العقيق (قرب المدينة). العاني: الأسير (الموجود في بلده غير قادر على الذهاب إلى الحج).
- (٥) المصطفى المختار (محمد رسول الله). مضر (مجموع عرب الشمال). عدنان (جدّ عرب الشمال).
- (٦) عند ميزابي (يوم القيامة حين توزن حسنات المرء وسيئاته للفصل في أمره إلى الجنة أو إلى النار).
- (٧) مَوْثُوقٌ، يقصد مَوْثُوقٌ (مربوط). الزَّلَّةُ: الخطأ، العثرة، الذنب. والقلب في الشرق (الشرق): يحن إلى مكة. الرند (شجر طيب الرائحة) والبان (شجر جميل الأغصان) كناية عن المقام المحمود (القدس).
- (٨) يوم الجزاء: يوم القيامة.

ليس الظريفُ بكاملٍ في ظَرْفِهِ حتى يكونَ عن الحرام عفيفاً .
فإذا تَعَفَّفَ عن محارمِ رَبِّهِ ، فهناك يدعوهُ الأناسُ ظريفاً .

٤-★★ عنوان الأريب ١: ١٠٣-١٠٥ ؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ٢١٦-٢١٧ .

أبو جعفر بن زرقاله

١- كان آل زَرْقَالَهُ أسرةً قديمةً السُّكنى في مدينة المَرْيَّة ، وكان جدُّ صاحب الترجمة (واسمه أيضاً: أحدٌ وكُنيتُه أبو جعفر) من العُدول^(١) أديباً ناثراً ناظماً وعالملاً فاضلاً ذا مكانة عند أهل الدولة وذا صلةٍ بهم .

أمَّا أبو جعفر (الحفيد) صاحبُ هذه الترجمة فالذي نَعْرِفُه عنه أَنَّهُ تَلَقَّى شيئاً من العلم على أبي البركات بن الحاجِّ البلفيقي^(٢) ، كما قرأ رحلة أبي البقاء البَلَوِّي^(٣) « تاج المُفَرِّق في تَحْلِيَةِ علماء المشرق » على مؤلِّفها مراراً وقرَّظها شعراً ونثراً .

ولعلَّ وفاةَ ابن زرقاله هذا كانت في أعقاب القرنِ الثامن للهجرة (الرابع عشر للميلاد) .

٢- أبو جعفرٍ أحدُ بنِ زَرْقَالَهُ (الحفيد) هو الفقيهُ الوزير الكاتب الماهر والناظم النائر شُغِفَ بِرِحلة أبي البقاء البَلَوِّي واعتنى بها عنايةً فائقةً ونَظَّمَ في مدحها قصائدَ ومقطعاتٍ ثم جَمَعَ ما قيل فيها نظماً ونثراً وعَرَّفَ القائلينَ فيها تعريفاً حسناً . ثم هو مؤلِّف له « رائقُ التَّحْلِيَةِ في فائِقِ التَّوَرِيَةِ » جمعه من أبياتٍ في التورية لابنِ خاتمة الأنصاري (ت ٧٧٠ هـ ، راجع فوق ص ٣٨٩) أَشَدَّهُ إياها ابنُ خاتمة نفسه .

(١) العدل، والجمع عدول. أشخاص تميَّنت الدولة فيجلسون مع القاضي في مجلس الحكم ليشهدوا على أحكامه ويصحِّحوها إذا وقع فيها خطأ . وكان نفر من هؤلاء يعملون مستنظفين ويرتزقون من الشهادة في الحاكم لمن يطلب منهم ذلك ويدفع لهم مبالغ يتفق عليها .

(٢) أنظر ، فوق ، ص ٤٩٨ .

(٣) أنظر ، فوق ، أبو البقاء خالد بن عيسى البلوي الأندلسي قاض ، وله شعر ونثر ، توفي في أواخر القرن الهجري الثامن (راجع نقيح الطبيب ٢: ٥٣٢-١٥٣٤ ميل الابتهاج ١١١٥ : الأعلام للزركلي ، الطبعة الرابعة ٢: ٢٩٧) .

- من مقدمة كتاب « رائق التحلية » لابن زرقالة:

..... الحمد لله الذي خصَّ هذه الأمة باللسان العربي المبين و(ب)البيان المتبلِّج
الفرَّة الوضاح الجبين فهَصَّروا من ثَمَرَاتِهِ الدَانِيَةِ القُطُوفَ بِفَنِّي مائل^(١)، وتَفَيَّأُوا
ظِلَالَهَا عن الأَثْيَانِ (والشَّائِلِ)^(٢).... وبعدُ، فلمَّا كان الأدبُ حِلِيَّةَ العربِ الذي إليه
انتهت فَصَاحَتُهَا وبه ظهرت رِجَاحَتُهَا^(٣)، وكان الشعرُ منه بمنزلةِ الروح من الجسد....
فهو طِرَازُ بُرْدِهِ ووُسْطَى عِقْدِهِ^(٤). ولم يزلِ النَّاسُ - خَلْفًا عن سَلَفٍ - يتوارثونه
ويَتَّبِعُونَ (فيه) منهجَ العربِ وَيَقْتَفُونَهُ، هذا وإن كانوا لا يَتَّجِعُونَ إلَّا من واديهم ولا
يَسْتَمْطِرُونَ إلَّا من غَوَادِيهِمْ^(٥). فلم يَخُلْ كُلُّ عَصْرِ من شاعرٍ يكون شُراءُ زَمَانِهِ
عِيَالًا^(٦) عليه وَيَرْجِعُ كُلُّ (واحد) منهم إليه.... وكان شاعرٌ عَصْرِنَا يبلدنا
هذا - عَصَمَهُ اللهُ - (و) الذي رَفَعَ سماءَ الأدبِ وبَنَاهَا، ومَهَّدَ أرضَ الشعرِ
ودحاها^(٧)..... شيخُنَا الأستاذُ أبو جعفرٍ أحدُ بَنِي خاتمة.....

و(قد) كان لي بحاسنِ الأدبِ شَفَفٌ وباقتناء جواهره كَلَفٌ، أَتَشَبَّثُ به تَشَبُّثَ
الوليدِ بالوالد، والمُوصُولِ بالصِّلَةِ والعائِدِ^(٨)، وأَقْصِدُ غُرَرَ عِيُونِهِ وأَعْتَمِدُ أَبْكَارَهُ دُونَ

(١) حصر الرجل النصف: جذب إليه. الدانية (الغريبة) القُطُوف (الثمرات التي تجنى من الأعصان). الفن: النصف.

(٢) الأَيَان (جمع بين، الجانب الأيمن) والشَّائِل (جمع شال بكسر الشين).

(٣) الحلية: الرينة. انتهت (بلغت النهاية: الكمال). الرجاحة (بفتح الراء): الحلم (المعجم الوسيط ١: ٣٣٠) بكسر الهاء: سعة الصدر.

(٤) الطراز: العلامة في الثوب دلالة على صاحبه (إذا كان من الملوك أو من هو في صفهم). والوسطى في العقد: الجوهرة الكبرى تكون في العقد، وتكون في وسطه.

(٥) اتجع: ذهب (إلى المرعى). الغادية: السحابة الممطرة صباحاً.

(٦) عيالاً عليه: يعتمدون عليه في نظم الشعر (بأخذون من معانيه).

(٧) مهَّد: سوى، جعل الشيء مستوياً. دحا الشيء: يدحوه: مدَّه وبسطه.

(٨) الاسم الموصول: الذي، التي، الخ. ويكون له في الجملة صلة وعائد (مثال ذلك: الرجل الذي جاء من بعيد - الضمير في « جاء » عائد، يعود إلى الرجل. وجملة « جاء من بعيد » صلة الموصول لا محل لها من الإعراب). ولا معنى لاسم الموصول إذا لم يأت بعده صلة وعائد.

عُونِهِ^(١). وَأَتَوَفُّوْا لِلْأَسْطِلَاعِ مِنْهُ مَنْ مَا لَمْ^(٢) تَمَرَّقَ الْأَيَّامُ بُرْدَتَهُ وَتُخْلِي الْأَقْلَامُ
جِدَّتَهُ^(٣)..... وَكَانَتْ التَّوْرِيَّةُ^(٤) مِنْ عَاسِي الشَّعْرِ نَشْهُدُ لَصَاحِبِهَا بِجِلَالَةِ الْقَدْرِ وَتَجَلُّ
مِنْ النَّفْسِ مَجَلُّ النَّوْرِ مِنَ الرِّيَاضِ، وَالشَّحْرِ مِنَ الْحَدَقِ الْمِرَاضِ^(٥)، وَتَمْتَزِجُ بِالْأَرْوَاحِ
امْتِزَاجَ الْمَاءِ بِالرَّاحِ لِلطَّفِّ مَعْنَاهَا وَدِقَّةُ إِشَارَتِهَا وَرِقَّةُ عِبَارَتِهَا، اسْتَشْدَدَتْهُ - أَبْقَاهُ
اللهُ - مَا وَقَعَ لَهُ مِنَ الْمَظْلُومَاتِ فِيهَا، وَرَغِبَتْ مِنْهُ أَنْ يُنْفِخَ جِيمِهَا وَيَتَوَفَّيْهَا^(٦).
فَأُجَابِي إِلَى ذَلِكَ عَمَلًا عَلَى شَاكِلَةِ فَضْلِهِ^(٧) وَمَا يَلِيْقُ مِنَ التَّخْلِيقِ بِكَرِيمِ مَجْلِهِ.

٤- رائق التحلية في فائق التورية (حققه محمد رضوان الداية)، دمشق (منشورات دار
الحكمة).

ابن عباد الرندي

١- هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن مالك النَّفْزِي الحِمَيْرِي المعروف
بإبن عباد الرندي، أصلُ أهلِهِ مِنْ قَبِيلَةِ نَفْزَةَ (فِي الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى) وَمَوْلَدُهُ فِي رُنْدَةَ
(الْأَنْدَلُسِ)، سَنَةَ ٧٣٣ هـ (١٣٣٣ م) وَمِنْشَأُهُ فِيهَا.

حَفِظَ ابْنُ عِبَادٍ الرُّنْدِيُّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ فِي السَّابِعَةِ مِنْ عُمْرِهِ ثُمَّ تَلَقَّى النُّحُوَّ وَالْأَدَبَ
وَالْفِقْهَ أَصُولًا وَفُرُوعًا عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ أَبُوهُ، وَكَانَ أَبُوهُ وَاعِظًا مَعْرُوفًا.

(١) عيون الشيء: خياره (أحسن ما فيه). البكر: الغناء التي لم تنزوج بعد. العوان: المرأة المتوسطة في العمر
(يقصد المعاني المبكرة والمعاني المألوفة).

(٢) من ما لم (ترسم: كما لم).

(٣) البردة: الثوب الواسع. تُخْلَقُ: تَمَرَّقُ، تُنْفَخُ (تجمل الشيء قديماً متبرهاً).

(٤) التورية (في البلاغة): الجيء بلفظ أو تركيب له معنيين قريبين وبمعيد يفهم السامع عادة معناه القريب
بينما يكون القائل قد قصد المعنى البعيد، فإذا قلت لرجل ملأ الله فمك ذهباً، يظنك تدعو له (بأن
يعطيه الله ذهباً بمقدار ما يبع فيه) بينما يمكن أن تكون أنت تدعو عليه (بأن تسقط أسنانه ثم يستعوض
عنها بأسنان من ذهب).

(٥) النور (بفتح النون): الزهر الأبيض. الحدق: الميون. الميراض: المريضة (الناعسة).

(٦) أقرأ: سمعني بها جيمها (باعدني في الحصول عليها).

(٧) الشاكلة: السجبة، الطبع. على شاكلة فضله: على ما تعود من التفضل على الناس.

رَحَلَ ابْنُ عَبَّادٍ الرُّنْدِيُّ عَنِ الْأَنْدَلُسِ بَاكِرًا فَتَنَقَّلَ بَيْنَ فَاسَ وَتِلْمَسَانَ وَمَرَّاكُشَ
وَسَلَا وَطَنْجَةَ. فَفِي تِلْمَسَانَ دَرَسَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ أَحَدَ الشَّرِيفِ التِّلْمَسَانِيِّ
(٧١٠ - ٧٧١ هـ) كَبِيرِ عُلَمَاءِ الْمَذْهَبِ الْمَالِكِيِّ فِي أَيَّامِهِ. أَمَّا فِي طَرِيقِ الْقَوْمِ (التَّصَوُّفِ)
فَقَدْ لَازَمَ أَحَدَ بْنَ عَمَرَ بْنِ عَاشِرٍ (ت ٧٦٥ هـ) وَتَأَثَّرَ بِهِ كَثِيرًا.

وَفِي سَنَةِ ٧٧٧ عَيَّنَ ابْنُ عَبَّادٍ الرُّنْدِيُّ إِمَامًا وَوَاعِظًا فِي جَامِعِ الْقَرَوَيْنِ فِي فَاسَ
وَوَظَلَ فِي هَذَا الْمَنَصِبِ إِلَى وَفَاتِهِ فِي ثَالِثِ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ ٧٩٢ (١٣٩٠/٦/١٧ م).

٢- ابْنُ عَبَّادٍ الرُّنْدِيُّ خَطِيبٌ وَوَاعِظٌ وَصُوفِيٌّ مُصَنِّفٌ لَهُ مِنَ الْكُتُبِ: الرِّسَالَتُ
الْكُبْرَى (وَهِيَ مَكَاتِبَاتٌ فِي التَّوْحِيدِ وَالتَّصَوُّفِ وَفِي تَفْسِيرِ مُتَشَابِهِ^(١) الْآيَاتِ كُتِبَ بِهَا إِلَى
أُمَثَالِهِ الْمُتَّصِفِينَ) - الرِّسَالَتُ الصَّغْرَى^(٢) وَجُهِهَا مِنْ سَلَا، قَبْلَ سَنَةِ ٧٧٠ لِلْهِجْرَةِ فِي
الْأَغْلَبِ: سَبَتْ مِنْهَا إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ أَدِيَّةٍ^(٣) وَتَبِعَ إِلَى تَلْمِيزِهِ الرَّحَّالَةَ الْحَدَّثَ بِحَسْبِ
السَّرَّاجِ (ت نَحْوَ ٨٠٣ هـ) ثُمَّ وَاحِدَةً إِلَى الْإِمَامِ أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ النَّاطِقِيِّ
(ت ٧٩٠ هـ) - غَيْثُ الْمَوَاهِبِ الْعَلِيَّةِ فِي شَرْحِ الْحُكْمِ الْعَطَائِيَّةِ^(٤) (فِي الزُّهْدِ
وَالْتَّصَوُّفِ) - كِفَايَةُ الْمُحْتَاجِ - فَتَحُ الطَّرْفَةِ وَإِضْحَاحُ الشَّرْفَةِ - شَرْحُ الْأَسْمَاءِ
الْحُسْنَى - رِسَالَتُ (فِي عِدَدٍ مِنَ الْمَوْضُوعَاتِ الْوَارِدَةِ فِي كِتَابِ «قُوَّةِ الْقُلُوبِ»^(٥)).

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ

- لِابْنِ عَبَّادٍ (مِنْ الرِّسَالَتِ الصَّغْرَى): الرِّسَالَةُ الثَّلَاثَةُ: كِتَابٌ يَتَضَمَّنُ بَيَانَ التَّقْلِيدِ

(١) الْآيَاتُ الْمُتَشَابِهَاتُ الَّتِي تَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ (وَقِيلَ هِيَ: الْحُرُوفُ الَّتِي فِي أَوَائِلِ السُّورِ، وَلَا نَعْرِفُ نَحْنَ
دَلَالَتَهَا).

(٢) الرِّسَالَتُ الصَّغْرَى أَوْ الْكُبْرَى لَا تَخْتَلِفُ فِي مَادَّتِهَا وَاتِّجَاهِهَا وَأَسْلُوبِهَا، بَلْ فِي حَجْمِهَا: الرِّسَالَتُ الْكُبْرَى
٢٦٢ صَفْحَةً وَالرِّسَالَتُ الصَّغْرَى ١٣٨ صَفْحَةً.

(٣) هُوَ أَحَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ عَطَاءِ اللَّهِ الْإِسْكَنْدَرِيِّ (ت ٧٠٩ هـ) الْمَالِكِيُّ النَّازِلِيُّ، صَحْبُ أَبِي
الْحَسَنِ النَّازِلِيِّ. وَكَانَ ابْنُ عَطَاءٍ فِي زَمَانِهِ هُوَ الْمُتَكَلِّمُ عَلَى لِسَانِ الصُّوفِيَّةِ. وَقَدْ كَانَ شَدِيدَ الْمَقَامَةِ لِلْإِمَامِ
ابْنِ تَيْمِيَّةٍ (ت ٧٢٨ هـ) لِأَنَّ ابْنَ تَيْمِيَّةٍ كَانَ شَدِيدَ الْحَمَلَةِ عَلَى الصُّوفِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَصْحَابِ الْمَذَاهِبِ
وَالْأَرَاءِ الْخَالِفَةِ لِرَأْيِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ. وَلِابْنِ عَطَاءٍ مُصَنَّفَاتٌ أَشْهَرُهَا الْحُكْمُ الْعَطَائِيَّةُ.

(٤) قُوَّةُ الْقُلُوبِ كِتَابٌ فِي التَّصَوُّفِ لِأَبِي طَالِبِ الْمَكِّيِّ (ت ٣٨٦ هـ).

والبدعة وما اشتملا عليه من القبائح والمفاسد:

أُسِّمَ عليكم وأُعرفكم بوصول كتابكم إلينا تُعلمون فيه بوصول جوابنا إليكم، وأنه وقع منكم موقفاً اقتضاه حُسنُ ظنكم وسلامةُ اعتقادكم. وطلبتم منا بيانَ التقليد والبدعة اللذين أشرتَ إليهما في الجواب المذكور وأن أكتبَ إليكم بُدْأً في ذلك.

فاعلم أن هذين المُنْتَبِهَيْنِ قد ورد الشرعُ بدمهما وعيبَ المتصِفِ بهما. أما التقليدُ فهو نوعٌ من أنواع البدع التي يأتي ذكرُها، وهي عبارةٌ عن اتباع الغير بلا دليل ولا حُجَّةٍ، كَمَنْ يَقْلُدُ شخصاً لِعَظَمِ محلِّه عنده أو (كَمَنْ يَقْلُدُ) أُمَّةً من الناس لكثرتهم وقِدَمِ زمانهم. وقد غاب الحقُّ تعالى ذلك على طوائفٍ مِنَ الكُفَرَةِ في أي كثيرة من القرآن.....

واعلم أن هذه الصُّفَةَ الذميمة قد استطار^(١) في هذا الزمانِ شرُّها وعمَّ ضرُّها، فترى المتفكِّعَ النفيَ إذا قَرَعَ سَمْعُهُ شيءٌ من علوم التحقيق^(٢) أو علم^(٣) من أعلام أهل التصديق يُلَوِّي خَدَّهُ وَيُقَطِّبُ وجهه ويقول لِقَرَطِ غباوته: لو كان هذا حقاً لَنَصَّ عليه فلانٌ وَلَتَدَاوَلَتْهُ القرون والأزمان. وترى المتصوِّفَ الجاهلَ إذا ذُكِرَ عنده مسألةٌ من مسائل الأحكام ومعالِمِ الحلال والحرام يَتَنَكَّرُ لجليسه ويفتَرِّ بتزويره وتلبسه^(٤) ويقول لشدة جهالته: هذه ظواهرُ ورسومٌ ومُخاطباتٌ للعموم. وقد كان سيدي^(٥) فلانٌ لا يقرأ ولا يكتب ولا يَنْتَسِبُ إلى مذهب. وترى الفاجرَ العيَّارَ^(٦) من ذوي الكبائر والإصرار يَقْتَدِي بهَوَاتِ القدماء وزَلَّاتِ العلماء وَيَقْتَدُ^(٧) ذلك ديناً مَتيماً وحقاً مُبيناً.

(١) استطار: انتشر.

(٢) علوم التحقيق (علوم التصوِّف).

(٣) أو علم (كذا!).

(٤) التزوير: التحين والتزيين (وهنا: إيراد الشيء على خلاف حقيقته). التلبس: (خلط الشيء بغيره).

(٥) ظواهر (أُمُور ظاهرة غير حقيقية، غير مفعودة لذاتها) ورسوم (أُمُور وضعها الناس لأنفسهم يمكن أن يعضوا في وقت آخر غيرها). ومُخاطبات للعموم (للعامة لبس على الخاصة من العلماء أتباعها). سيدي: شيعي (الذي أتبعه وأقنطه به).

(٦) الفاجر: الفاسق الذي يكثر من إتيان المحارم من غير أن يبالي. العيَّار: الكثير التحوال في الأرض، الذي يتَّبِعُ هَواهُ في كُلِّ شيء ولا يبالي.

(٧) اعتدَّ الأمرُ ديناً: عدَّه وأحضره (اتَّخذه).

وقد ينتهي الجهل بأقوام إلى ألا يَرَوْا لأحدٍ فضلاً على مَنْ قلدوه من أئمتِّهم ويستحقرون بذلَّ مُهجِّهم في مُحاماتهم ونُصرتهم.....

واعلم أن كلَّ مسألةٍ مطلوبٍ فيها إصابةٌ ما في نفس الأمر^(١) وله (للإنسان) مندوحةٌ عن التقليد فيها بأن ينظرَ إلى وجهِ الدليل المنصوبِ عليها: إمَّا على جهةِ الوجوبِ كسائلِ الاعتقادات، أو على غيرِ جهةِ الوجوبِ كغيرِها من المسائل. فالتقليدُ في ذلك مذمومٌ سواء اتفقت^(٢) إصابته أم لم تتفق. (لكن) لا يدخلُ في ذلك تقليدُ العامة للمجتهدين في المسائل اليقينية الفرعية، لأنَّ المطلوبَ فيها إصابةٌ ما غلبَ على ظنِّ المجتهد، ولا سبيلٌ للعاميِّ إلى هذا إلَّا بالتقليد. ولا يدخلُ فيه أيضاً تقليدُ مَنْ يحتاج إلى فنٍّ من فنون العلم لأربابه^(٣)، وإن كان المطلوبُ فيه إصابةٌ ما في نفس الأمر^(٤) إذ لا مندوحةٌ له عن التقليد فيه، كعلمِ التفسير والحديث والتاريخ والنحو واللغة والطب. فالتقليد في نفسه مذمومٌ لا ينبغي الاعتماد عليه إلَّا عند الضرورة.....

وأما البدعة فقد وردَ في ذمِّها آياتٌ كثيرةٌ وأخبارٌ*.....

إنَّ الله تعالى بعثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسولاً إلى جميع الأنام وهادياً لهم إلى دار السلام^(٥)، وكانوا إذ ذاك في جاهليةٍ جهلاء وضلالةٍ ظلمات^(٦)، مُسْتَنَّةً أراؤهم مُفْتَرَقَةً أهواؤهم لم تأمُرْ أحلامهم الفاخرة^(٧) إلَّا بإيهالِ النظر في مسالكِ العير^(٨)، ولم تهْدِهِم ألبابهم إلَّا إلى عبادَةِ حَجَرٍ وشمسٍ وقمر. فَمَنَّ اللهُ عليهم بأن بعثَ فيهم رسولاً من أنفُسِهِمْ - و (من) أَرْكَاهم وأنفُسِهِمْ^(٩) - حِلَّاهُ بأكملِ الصفات وأحسنِ الأخلاق ووفَّاه من مواهبِهِ وَمَنَحَهُ نفائسَ الأعلاق^(١٠)..... (ثم يذكر أحاديث وأخباراً من نشأة

(١) إصابة نفس الأمر (المقصود: ما في الأمر نفسه).

(٢) اتفقت = اتفقت؟

(٣) من فنون العلم لأربابه (علم موجود عند أناس غير موجود عند آخرين).

(٤) الأخبار (جمع خبر): الأحاديث المروية عن رسول الله.

(٥) دار السلام: الجنة.

(٦) ضلالة ظلمات (عمياء): ضلال (ضياح، تيه) لا يهندي فيه الضائع إلى سبيله.

(٧) الحلم (بالضم): العقل. الفاخرة (٩).

(٨) العيرة (بالكسر): الدرس، نتيجة الاختبار.

(٩) أنفُسُ الأشياء: أئمتُّها، أحسنها.

(١٠) وفَّاه: كَمَّلَ له، أتمَّ عليه. العلق (بالكسر): النسيء الذي يضنَّ (يحلِّ) الإنسان به.

البدع واتساعها).

وقد بُعدنا عن المقصِدِ فلتَرَجِعْ إليه. فجميعُ ما ذَكَرناه في هذه التُّبْدَةِ إشارةٌ إلى نوعٍ واحدٍ من أنواعِ البدعِ وهو ما يُؤدِّي إلى اختلافٍ وتنازعٍ وتهاجُرٍ وتقاطعٍ من أيِّ وَجْهِ أَدَّى إلى ذلك. وَيَقَعُ ذلك بين مُبْطِلَيْنِ بسببِ شِدَّةِ التعصُّبِ من الجانبين، وبين مُبْطِلٍ وَمُحِقٍّ فَيَنْقَسِمُ الأمرُ فيكونُ سببُهُ من جِهَةِ المُبْطِلِ هَوًى مُرَدِّياً وشَيْطَاناً مُغْوِياً^(١)، ومن جِهَةِ المُحِقِّ قِياماً بواجبِ الدين ونصيحةً للمسلمين. ويستحيلُ وَقوعُ بين مُحِقِّينِ.....

٤- غيب المواهب العلية بشرح الحكم العطائية (شرح النفري على متن السكندري) بولاق ١٢٨٥ هـ مصر (مطبعة محمد مصطفى) ١٢٩٩ هـ (المطبعة الخيرية) ١٣٠٣ هـ (المطبعة الميمنية) ١٣٠٤ هـ ١٣٢٠ هـ.

- الرسائل الكبرى، فاس (حجر) ١٣٢٠ هـ.

- الرسائل الصغرى (نشرها بولس نوبّا)، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٥٧ م.

* شرح الشيخ عبد الله الشرقاوي على غيب المواهب (بإمضاء طبعه بولاق).

الكتيبة الكامنة ٤٠-٤٤؛ نيل الابتهاج ٢٧٩-٢٨١ (٢٨٧ وما بعد)؛ نفح الطيب ٥:

٣٤١-٣٥٠ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٢٢٠ بروكلمن، الملحق ٢: ٣٥٨؛ سركيس

١٥٧-١٥٨؛ الأعلام للزركلي ٦: ١٩٠ (٢٩٩:٥)؛ بالنسبة ٣٩٠؛ معجم المؤلفين لكحالة

٨: ٢٠٧-٢٠٨.

ابنُ زَمْرَكَ

١- هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يَوْسَفَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ يَوْسَفَ

الصُرَيْحِيِّ المعروف باسم ابن زمرَك (بفتح الزاي والراء أو بضمهما)، أَصْلُ أَهْلِهِ من شَرْقِي الأندلس وقد سَكَنَ سَلْفُهُ غَرْنَاطَةَ.

وُلِدَ ابْنُ زَمْرَكَ في ١٤ من شَوَّالٍ من سنة ٧٣٣ (١٣٣٣/٦/٢٩ م) في غَرْنَاطَةَ ونشأ فيها. وقد تَلَمَّى العِلْمَ على نَفَرٍ منهم: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ اللَّوْشِيّ (ت ٧٥٢ هـ)،

(١) الردي: المهلك. المغوي: المضلل، الداعي إلى الخيّد عن الصواب.

وأبو عبد الله محمد بن بيشش المندري (ت ٧٥٣ هـ)، وابن الفخار الإلبيري وأبو القاسم الحسني التلمساني وأبو البركات البلقي وأبو فرج بن لب. غير أن أكثر أخذِه كان عن ابن مَرْزُوقِ التِّلْمَسَانِي.

أما الذي تولى العناية بابن زمرك فهو لسان الدين بن الخطيب: إنه أستاذُه على الحَصْر في فنون الأدب ووليَّ نعمته في الترقِّي في مراتب الدولة. لما تولى ابن الخطيب الوزارة، سنة ٧٤٩ هـ، لأبي الحجاج يوسف الأول النيار، أدخل ابن زمرك في خدمة الدولة كاتباً.

في سنة ٧٥٥ هـ (١٣٥٤ م) جاء محمد الخامس الغني بالله إلى عرش غرناطة فأخذت مكانة ابن زمرك ترتفع في دولة بني الأحمر، إذ أصبح ابن الخطيب حاجباً للدولة فجعل تلميذه ابن زمرك في حاشية السلطان. وفي سنة ٧٦٠ هـ خلع محمد الخامس الغني بالله فلجأ إلى أبي سالم إبراهيم بن علي سلطان بني مرين في فاس ولحق به ابن زمرك (بينما بقي ابن الخطيب في غرناطة). وبعد عامين (في ٢٠ جُمادى الآخرة ٧٦٣ = ١٣٦٢/٤/١٧ م) عاد محمد الخامس الغني بالله إلى غرناطة - وابن زمرك معه - واستعاد عرشه وردَّ ابن الخطيب إلى الوزارة وجعل ابن زمرك كاتباً خاصاً به ولقَّبه بالرئيس. ولَمَلَّ ابن زمرك قد وَجَدَ في هذه الأثناء فُسْحَةً من الوقت فتصدَّر لتدريس الفقه واشتهر بذلك في مَلَقَّة وفي غرناطة.

كانت الأسرة المرينية في فاس قد ضَعُفَتْ، وكان بنو الأحمر يتلاعبون بها ويضربون بعض أعضائها ببعض ثم ينصرون بعضهم على بعض. ويبدو أن ابن الخطيب مالَ مع بعض بني مرين على محمد الغني بالله، أو أن ابن زمرك اتهمه بذلك (٧٧٠ هـ) ففرَّ ابن الخطيب إلى فاس خوفاً من سوء العاقبة في غرناطة. بذلك أصبح ابن زمرك وزيراً مكان ابن الخطيب.

وداخلَ ابن زمرك العُجْبُ بما وَصَلَ إليه من الرِّفْعَةِ والنُّفُوذِ فاستبدَّ برأيه في الأمور واستعذب التَّأْمُرَ والإيقاع بالناس، ولكن لم يَسْتَطِعْ أحدٌ أن يَصِلَ إليه، فقد كان محمد الغني بالله - وقد كان ابن زمرك شاركة سراءه وضراءه - يَحْمِيهِ ولا يَسْمَعُ فيه قولَ سوءٍ.

وفي صَفَرٍ من سنة ٧٩٣ (كانون الثاني - يناير ١٣٩١ م) توفي محمد الغني بالله فخلّفه ابنه أبو الحجاج يوسف الثاني، ولم يكن هو ولا حاشيته يعطِفون على ابن زمرك فُجِنَ ابنُ زمرك في سِجْنِ أَلْمَرِّيَّةِ، في أوّل ربيع الأول من سنة ٧٩٤ (١٣٩٢/٧/٢٢ م). ومع أن ابن زمرك خرج من السّجْن بعد ذلك وعاد إلى الوزارة مُدَّةَ سيرةٍ ثم صرّفَ منها وَشِكَاً فَإِنَّ النُّقْمَةَ ظَلَّتْ عَلَيْهِ شديدةً - ذلك لأنه، فيها يبدو، استأف شَيْئاً من الكَيْدِ والتَّأْمُرِ. فاقْتَحَمَ السُّلْطَانُ بَنَفْسَهُ على ابن زمرك منزله وقتلَهُ هُوَ ووَلَدَيْهِ وعدداً من خَدَمِهِ وأنصارِهِ في أواخرِ سَنَةِ ٧٩٥ أو أوائل سنة ٧٩٦ هـ (١٣٩٣ م).

٢- كان ابنُ زُمْرُكْ شُعْلَةً من شُعَلِ الذِّكَااءِ جَيِّدَ الْفَهْمِ حُلُوَ الْمَجَالِسَةِ عَذْبَ الْفُكَااهَةِ، وَلَكِنَّهُ كان أيضاً مَيْالاً إلى الكَيْدِ والدَّسِّ. ولقد شارك في فنونٍ كثيرةٍ منها التفسيرُ والفِقْهُ (في الأصول والفروع) واللُّغَةُ. وكان أيضاً شِعْراً وَجُدَانِيّاً مُجِيداً، قيل فيه إِنَّهُ آخرُ الشعراءِ الْفُحُولِ في الأندلس، كما كان وَشاحاً وَخُطِيباً وَمُتَرَسِّلاً وناقداً. وشعرُهُ قصائدٌ طَوَالٌ ومقطعاتٌ بعضها مُرتَجَلٌ. ثم إِنَّهُ كان كَلِفاً بالمعاني البديعة والألفاظ الصَّعِيلة.

أما فنونُ شعرِهِ فأكْبَرُها المديحُ. ومدايحُهُ كَثَارٌ طَوَالٌ تبدأ بغزلٍ، وهي عادةُ سُلْطَانِيَّاتٍ (لأنَّهَا تَقَالُ في سُلْطَانِ غِرْنَاطَةِ) وعِيدِيَّاتٍ (لأنَّ الْقِسْمَ الْأَوْفَرَ منها كان يقال في الأعياد تهنئةً) واعتذارِيَّاتٍ. وله ميلاديَّاتٌ كَثِيرٌ أيضاً (بديعِيَّاتٍ، في مَدْحِ الرُّسُولِ). ومن قصائده ميلاديَّاتٌ عِيدِيَّاتٌ. ورنائوه قَلِيلٌ جَدًّا. وله وَصْفٌ خَطَّاجِيّ الزَّعَةِ أَكْثَرُهُ في وَصْفِ قُصُورِ الْحَمْرَاءِ وبساتينها. وله خُرَيَّاتٌ أيضاً يَدْعُوْنَهَا صَبُوحِيَّاتٍ (والصُّبُوحُ شربُ الخمرِ في الصُّباح). وغَلَبَ على شعرِهِ، في بعضِ أدوارِ حَيَاتِهِ، شَيْءٌ من التَّصَوُّفِ.

٣- مختارات من آثاره

- مُوشِحَةٌ مشهورة لابن زمرك قالها في أثناء إقامته في فاس (٧٧٦ هـ)، لَمَّا ذهب إليها لِطَلَبِ سُلْطَانِ فاس بقتلِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ (راجع ترجمة ابن الخطيب):
أَبْلَغُ لِبَرْغَاطَةِ السَّلامِ وَصِفْ لَهَا عَهْدِي السَّليمِ

فَلَوْ رَعَى طَرَفُهَا ذِمَامَ مَا بَتُّ فِي لَيْلَةِ السَّلَامِ^(١).

★ ★ ★

كَمْ بَتُّ فِيهَا عَلَى اقْتِرَاحٍ أَعْلُ مِنْ خَمْرَةِ الرُّضَابِ؛
أَدِيرُ فِيهَا كُؤُوسَ رَاحٍ قَدْ زَانَهَا الثُّغْرُ بِالْحَبَابِ؛
أَخْتَسِلُ كَالْمُهْرِ فِي الْجَاهِ تَشْوَانِ فِي رَوْضَةِ الشَّبَابِ؛
أَضَاجِكُ الزَّهْرِ فِي الْكِيَامِ مُبَاهِيَا رَوْضَهُ الْوَسِيمِ؛
وَأَفْضَحُ الْعُصْنَ فِي الْقَوَامِ إِنْ هَبَّ مِنْ جَوْهَا النَّسِيمِ^(٢).

★ ★ ★

يَنِينَا أَنَا وَالشَّبَابُ ضَافٍ وَظُلُّهُ فَوْقَنَا مَدِيدُ،
وَمَوْرِدُ الْأَنْسِ فِيهِ صَافٍ وَبُرْدُهُ رَائِقٌ جَدِيدُ،
إِذَا لَاحَ فِي الْقَوْدِ، غَيْرَ خَافٍ، صُنِّحَ بِهِ نُبَّةُ الْوَلِيدِ؛
أَيَقْظَ مَنْ كَانَ ذَا مَنَامٍ لَمَّا انْجَلَى لَيْلُهُ الْبَهِيمِ،
وَأَرْسَلَ الدَّمْعَ كَالْفَنَامِ فِي كُلِّ وَادٍ بِهِ أَهْمِ^(٣).

★ ★ ★

بَا جِيرَةَ عَهْدُهُمْ كَرِيمٍ وَفَعْلَهُمْ كُلُّهُ جَمِيلُ،

(١) عهدي السلم: عهدي الذي كان سلاماً في ربوعها. لو رعى طرفها ذمامي: لو دام لي صداؤها. ما بت في ليلة السلم: ما قضيت زمناً (بعد ذلك) أتألم كأتني سلم (ممدوغ).

(٢) على اقتراح: حسب مقترحي، على ما أشتهي. أعل: أسقى مرة بعد مرة. الرضاب: الريق. الراح: الخمر. والحباب الذي يطفو على سطح تلك الخمر من ثغر الحبيب. الجاه: الشاطئ. الكيام: الورق الأخضر الذي يلف الزهر قبل أن يتفتح. الوسيم: ذو الملامح الجميلة. - وفوامي المتأمل من الشباب أجزل من الفصص المتأمل في النسيم.

(٣) صاف: صايغ. يعم كل ما أتني عليه. المورد: (الشرعة) المكان الذي يتغني الناس منه. البرد: الثوب. برد الثياب حديد (في أول الثياب). القود: الثمر في طرف الرأس عند الأذن. صبح (شيب). قد نبه الوليد: قد دعا الذي يظن نفسه أنه لا يزال صغيراً إلى التفكير بانقضاء القسم الجميل من عمره. لَمَّا انْجَلَى (انْجَاب، زال، انتفضى) ليله البهيم (الأ سود، كناية عن الثياب الذي يكون الثمر فيه أسود). أهم: أسير على وجهي من غير تفكير (أصبحت نادماً على كل ما كنت قد عملته في إبان حنون الشباب).

لا تَعْدِلُوا الصَّابَةَ إِذْ يَهْمُ فَبَلَّاهُ قَدْ صَبَا جَمِيلُ.
الْقُرْبُ مِنْ رَبِّكُمْ نَعِيمٌ، وَيُعَدُّكُمْ خَطْبُهُ جَلِيلُ.
كَمْ مِنْ رِيَّاضٍ بِهِ وَسَامُ يُزْهِى بِهَا الرَّائِضُ الْمُسِيمُ:
غَدِيرُهُمَا أَرْزَقُ الْجِهَامُ، وَنَبَتْهَا كُلُّهُ جَمِيمٌ^(١).

* * *

أَعِنْدَكُمْ أَنَّنِي بَفَاسِ أَكَابِدُ الشَّوْقَ وَالْحَنِينَ^(٢)؟
أَذْكُرُ أَهْلِي بِهَا وَنَاسِي، وَالْيَوْمُ فِي الطَّوْلِ كَالسَّنِينَ.
اللَّهُ حَنِيٌّ، فَكَمْ أَفَاسِي مِنْ وَخَةِ الصَّبِّ وَالْبَنِينَ،
مُطَارِحاً سَاجِعَ الْهَامِ شَوْقاً إِلَى الْإِلْفِ وَالْحَمِيمِ؛
وَالدَّمَعُ قَدْ لَجَّ فِي أَنْجَامِ وَقَدْ وَهَى عِقْدُهُ النَّظِيمِ.

* * *

يَا سَاكِنِي جَنَةِ الْعَرِيفِ، أَسْكَنْتُمْ جَنَّةَ الْخُلُودِ.
كَمْ نَمَ مِنْ مَنْظَرٍ شَرِيفِ قَدْ حُفَّ بِالْيَمْنِ وَالسُّعُودِ!
وَرُبُّ طَوْدٍ بِهِ مُنِيفِ أَذْوَاحُهُ الْخَضِرُ كَالْبُنُودِ؛
وَالنَّهْرُ قَسَدٌ سُلَّ كَالْحُسَامِ لِرَاحَةِ الشَّرْبِ مُتَدِيمِ،
وَالزَّهْرُ قَدْ رَاقَ بِأَنْسَامِ مُقْبِلًا رَاحَةَ النَّدِيمِ^(٣).

(١) لا تعدلوا: لا تلوموا. الصب: الحب المتناقض. صبا: مال (إلى النساء)، أحب. جميل = جميل بن معمر الشاعر الأموي القنري. الربع: السكن، المكان المعبور. الخطب: الثأن، الأمر (المصائب). جليل: عظيم، خطير. وسام جمع وسيم: جميل. يزهي: يتنحّر، يعتد بنفسه. الرائض: المتنزه في الرياض. المسم الذي يرسل أنعامه للرعي (كتابة عن الشاب الذي يدفع في شبابه بغير رادع ولا قيد). أرزق الهام (الأطراف): ماؤه صاف. الجميم: النبات الكثير المنتشر (كل هذا كناية عن الشباب).

(٢) أكابد: أفاسي. الصب: الحب (إشارة إلى زوجته). مطارحاً ساجع الهام: مشاركاً الهام في نواحه. لجّ في انجم: تدافع في المطول والسقوط. وهى (صُف) عقده النظم: الخيط الذي كان يمسك الدمع من قبل (يشبه دموعه باللؤلؤ الملوك في خيط، فإذا انقطع الخيط تناثر اللؤلؤ وتفرق) وكذلك حيناً قد هو صبره (الذي كان كالخيط لدموعه) أخذت هذه الدموع تسيل: توقفت.

(٣) جنة العريف: جنيّة جميلة جداً في قصر غرناطة. ثم: هنالك (في جنة العريف). حف: أحبط. اليمن: =

- ولاين زمرك من موشحة أخرى:

لَوْ تَرَجَّعُ الْأَيَّامُ بَعْدَ الذَّهَابِ لَمْ تَقْدَحِ الْأَيَّامُ ذِكْرِي حَبِيبُ^(١)
وَكُلُّ مَنْ نَامٍ يَلِيلَ الشَّبَابِ يُوقِظُهُ الدَّهْرُ بِصُبْحِ الْمَثِيبِ^(٢)

★ ★ ★

يَا رَاكِبَ الْعَجْزِ، أَلَا نَهَضْتُ. قَدْ ضَيَّقَ الدَّهْرُ عَلَيْكَ الْمَجَالَ.
لَا تَحْسَبَنَّ أَنَّ الصَّبَا رَوْضَةٌ تَنَامُ فِيهَا تَحْتَ فَيْءِ الظَّلَالِ.
فَالْقَيْشُ نَوْمٌ وَالرَّدَى يَقْظَةٌ^(*)، وَالْمَرْءُ مَا بَيْنَهَا كَالْحَيَالِ.
وَالْعُمْرُ قَدْ مَرَّ كَمَرِّ الْحَبَابِ وَالْمُلْتَقَى بِاللَّهِ عَمَّا قَرِيبِ.
وَأَنْتَ مَخْدُوعٌ بَلَمَعَ الرَّابِ تَحْبُهُ مَاءٌ وَلَا تَسْتَرِيبُ^(٣)!

★ ★ ★

- وقال ابنُ زمرك من كلامٍ له يمتزجُ فيه الشعرُ بالنثر (الإحاطة ٢: ٢٣٧ وما

بعد):

يَا جَانِحَةَ الْأَصِيلِ، أَيْنَ يَذْهَبُ قُرْصُكَ الْمُدْهَبُ وَقَدْ ضَاقَ بِالْمَشُوقِ الْمَذْهَبُ^(١)؟

= البركة. طود: جبل. ضيف: عال. الدوح: الشجر الكبير. البود: الأعلام (يقول: سمو أشجاراً في هذه
الجبينة كأنها أعلام مرتفعة). قد سلّ كالهام (السيف) كناية عن أنه أبيض جار صاف يبرّ به التُّرْبُ
(الذين يشربون الخمر معاً). مستديم: دائم، لا ينقطع جريانه في جميع فصول السنة. راق: حسن مظهره.
بأنسام: ضحك (كناية عن تنمعه). مقبلاً راحة (باطن الكف) النديم (كلّ رجل يشرب الخمر مع آخر):
يجعل منه النديم في كفه.

(١) - أن مرور الزمن ينسي الإنسان أحبائه.

(٢) وكل من نام (غفل عن الأعمال الصالحة) يوقظه الدهر (يجعله الدهر يندم). ليل الشباب (كناية عن سواد
التمر). صبح المثيب (كناية عن يبايض التمر).

(*) يقظة (يقنح فتتح)، ثم هي خطأ في التقفية مع «روضة...».

(٣) لم السراب (انمكاس للضوء نرى من بعيد كأنه ماء): كناية عن الشباب. استراب فلان بفلان: رأى منه
ما يريب (ما يدعو إلى الشك والتهمة).

(٤) هذه قطعة من الإنشاء المنقح. من أجل ذلك سأكتفي بالتفسير اللغوي. الجانحة (المائلة). الأصيل: من
منتصف الوقت بين الظهر وغروب الشمس حتى غروب الشمس. جانحة الأصيل: الشمس. القرص
(قرص الشمس: جرمها - بالكسر). المذهب (بالضّم): اللون بلون الذهب. المشوق: المحب. المذهب
(بالفتح): الطريق.

أَمْسَتْ شَمْسُ الْأَنْسِ مَحْجُوبَةً عَنْ عَيْنِي، وَقَدْ ضَرَبَ الْبُعْدُ الْحِجَابَ بَيْنَهَا وَبَيْنِي. وَعَلَى كُلِّ حَالٍ - مِنْ إِقَامَةٍ وَتَرْحَالٍ - فَمَا مَحَلُّكَ فِي قَلْبِي مَحَلًّا فِيهَا^(١)، وَمَا كُنْتُ لِأَقْنَعُ مِنْ وَجْهِكَ تَخْيِيلًا وَتَشْبِيهًا. وَمَنْ أَيْنَ أَنْتَظَمْتَ لَكَ عَقُودَ التَّشْبِيهِ، وَأَنْتِ مُتَجَمِّلَةٌ بِثَوْنِي زَوْرٍ، وَجِيبُ الظَّلَامِ عَلَى جِسْمِكَ حَتَّى الصَّبَاحِ مَزْرُورٌ^(٢). وَرَاءَكَ مِنَ الصُّبْحِ غَرِيمٌ مُطَالِبٌ تَتَقَلَّبُ فِي كَفِّهِ الْمَطَالِبُ.

وَيَا بَرَقَ الْغَمَامِ، مِنْ أَيِّ حِجَابٍ تَبْتَسِمُ! وَبِأَيِّ صُبْحٍ تَرْتَسِمُ! وَأَيُّ وَجْهِ مِنْ السَّحَابِ تَسِيمُ^(٣)؟ أَلَيْسَتْ مِبَاسِمُ الثُّغُورِ لَا تُنْجِدُ بِأَقْفِي وَلَا تَنْوَرُ^(٤)؟ هَذَا، وَإِنْ كَانَتْ مِبَاسِمُكَ مُفْتَرَّةً، فَلَطَالَمَا ضَحِكْتَ فَأَبْكِي الْغَوَادِيَّ وَعَظَلَّتِ الرَّائِحُ وَالْغَادِيَّ^(٥).....

- وَمِنْ مَقْطَعَاتِ ابْنِ زَمْرَكِ:

فُؤَادِي قَدْ تَمَلَّكَهُ الْغَرَامُ، وَوَجْدِي لَا يُطَاقُ وَلَا يُرَامُ^(٦).
وَدَمْعِي دُونَهُ صَوْبُ الْغَوَادِي، وَشَجْوِي فَوْقَ مَا يَشْدُو الْهَمَامُ^(٧).
إِذَا مَا الْوَجْدُ لَمْ يَبْرَحْ فُؤَادِي، عَلَى الدُّنْيَا وَسَاكِنِهَا السَّلَامُ^(٨).

(١) مَحَلُّكَ (مَكَانَكَ). مَحَلًّا (كَذَا بِالْأَصْلِ. اقْرَأْ: عَلَيَّ: حُلُوءًا، مَحْبُوبًا).

(٢) ثَوْبًا زَوْر (بَاطِلًا): الْأَفَقُ وَالتَّقِيقُ عَلَى الْأَفَقِ (٤) - لَوْنُ الْأَفَقِ الْغَرِي بِعَدِ غِيَابِ الشَّمْسِ يَرَى أَجْلَ مِنْ لَوْنِهِ قَبْلَ غِيَابِ الشَّمْسِ (٤). الْجِيبُ: مَدْخَلُ الثَّقِيقِ مِنَ التَّوْبِ. حَتَّى الصَّبَاحِ (طُولُ اللَّيْلِ). مَزْرُورٌ (مَعْقُودٌ بِالْأَزْرَارِ): مَفْلُوقٌ.

(٣) مَا أَجَلَ الْحِجَابِ (السَّارِ: صَفْحَةُ الْغَيْمِ) الَّذِي تَبْتَسِمُ (تَلْعَمُ) مِنْ خِلَالِهِ. وَمَا أَجَلَ النُّورِ الَّذِي تَتَمَثَّلُ بِهِ (عِنْدَ الْبَرَقِ). وَمَا أَجَلَ صَفْحَةِ الْغَيْمِ الَّتِي تَضِيئُهَا عِنْدَ لَمَعَانِكَ (يَا بَرَقَ).

(٤) مِبَاسِمُ الثُّغُورِ (جَمْعُ ثَغْرٍ: فَمُ الْمَحْبُوبِ). لَا تُنْجِدُ: لَا تَرْتَفِعُ (لَا تَشْرُقُ): لَا تَظْهَرُ بَعْدَ أَنْ تَكُونَ مُحْتَفِيَةً) وَلَا تَنْوَرُ: تَتَبَيَّنُ (كَالتَّابِثِ الْمَادِيَّةِ). ضَحِكُ الْغَيْمِ بِأَبْرَقَ. أَبْكِي الْغَوَادِيَّ (جَمْعُ غَادِيَّةٍ: الْغَمَامُ الْقَبِيلُ صَبَاحًا) فَأَبْكِيهَا (جَمَلْتُهَا تَهْتَرُ).

(٥) الرَّائِحُ: الرَّاجِعُ (فِي الْمَاءِ) إِلَى مَكَانِهِ الْأَصْلِيِّ (بَيْتِهِ). الْغَادِيَّ: الْمُنْطَلِقُ فِي الصَّبَاحِ إِلَى مَا يَقْصِدُ (إِلَى عَمَلِهِ).

(٦) الْوَجْدُ: أَلَمُ الْحُبِّ. لَا يُطَاقُ (لَا يَطِيقُهُ أَحَدٌ إِذَا فُرِضَ عَلَيْهِ) وَلَا يُرَامُ (لَا يَطْلُبُهُ أَحَدٌ بِاخْتِيَارِهِ).

(٧) دُونَهُ: أَقْلَ مِنْهُ. صَوْبُ: هَطُولُ، انْسِكَابُ، انْصِبَابُ. الْغَوَادِيَّ: الْيَوْمِ الْمَطْرَةِ فِي الصَّبَاحِ. التَّجْوُ: الْحُزْنُ. - الْهَمَامُ دَائِمُ التَّصَوُّوتِ.

(٨) الْوَجْدُ: الْحُبُّ. يَبْرَحُ: تَرُكُ.

* أيا لائمي في الجود، والجودُ شمتي، جُبِلْتُ على إيثارها يومَ مَوْلدي^(١).
 ذَرِني، فلو أَنِّي أَخَلَدْتُ بِالْغِنَى لَكُنْتُ ضَنْبِيئاً بِالَّذِي مَلَكَتْ يَدِي^(٢).
 * لَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ أَنِّي أَمْرُؤُ أَجَرُّ نَوْبَ الْعَفَافِ الْقَشِيبِ^(٣).
 فَكَمْ غَمَضَ الدَّهْرُ أَجْفَانَهُ وَفَارَتْ قِدَاحِي بَوَصْلِ الْحَبِيبِ^(٤)،
 وَقِيلَ: رَقِيبُكَ فِي غَفْلَةٍ؛ فَقُلْتُ: أَخَافُ الْإِلَهَ الرَّقِيبَ.

٤- ** الكتيبة الكامنة ٢٨٢-٢٨٨: الإحاطة (القاهرة ١٣١٩ هـ) ٢: ٢٢١-٢٢٠،
 نثر الجمان ٣٢٧-٣٢٩؛ الدرر الكامنة (حيدر آباد) ٤: ٣١٢-٣١٣؛ نيل
 الابتهاج ٢٨٢-٢٨٣؛ نفع الطيب ٥: ٤٦-٥٠، ٧٥-٨٠، ١٣٤-١٣٦،
 ١٦٩-١٨٠، ١٩٤-١٩٧، ١٤٥: ٧، ١٦٦-٢٧٩، ١٢٨١؛ أزهار الرياض ٢:
 ٧-٢٠٦؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٧٢-٩٧٣؛ بروكلمن ٢: ٣٣٦، الملحق
 ٢: ٣٧٠؛ نيكل ٣٦٦-٣٦٩، عتارات نيكل ٢١٦-٢١٨؛ الاستقصا ٢:
 ١٢١-١٢٣ (وصف الزرافة)، الأعلام للزركلي ٨: ٢٨ (٧: ١٥٤)؛ مجلة العربي
 (الكويت) أيلول - سبتمبر ١٩٦٢ (ص ١٠٨)؛ بالنشأ ١٣٩-١٤٢.

ابن فرحون

١- هو بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ فَرْحُونِ
 الْبَيْعَمَرِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ الْمَالِكِيِّ الْأَبَانِيِّ^(٥) (بِضْمِ الْهَمْزَةِ) الْجَبَّانِيُّ نِسْبَةً إِلَى بَلَدَيْنِ فِي
 الْأَنْدَلُسِ.

وُلِدَ ابْنُ فَرْحُونٍ فِي الْمَدِينَةِ وَبَدَأَ دِرَاسَتَهُ عَلَى أَبِيهِ وَعَمِّهِ وَعَلَى جَمَالِ الدِّينِ أَبِي عَبْدِ

-
- (١) التبعة: الحصلة. الإيثار: التفضيل.
 (٢) ذريني: اتركيني. اخلد: أبقي في الحياة إلى الأبد. ضنين: حريص، يحيل. - لكنت ضنبياً.... (لما
 أنفقت كل ما كنت أملكه).
 (٣) نوب العفاف (كتابة عن العفة: ترك إتيان ما هو حرام في الدين وفي المثل). القشيب: الجديد. ما زال
 عفاي جديداً (لم أدسه بشيء حرام).
 (٤) كثيراً ما سحت لي فرصة للاتصال بالحبوب، ولم يكن أحد يرانا.
 (٥) في نظير الديباج (ص ٣٠): الإباني (بالياء).

الله محمد بن أحمد بن خلف المطري الحزرجي (ت ٧٤١ هـ) وكان خطيب المدينة وكبير المؤذنين فيها. وكان الحديث أكثر دراسته.

ورحل ابن فرحون مراراً إلى مصر. وفي سنة ٧٩٢ زار القدس والشام وحج ولقي (في الحج) أبا عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الوزغامي التونسي (٧١٦-٨٠٣ هـ) فأعجب به ابن عرفة وأجاز له رواية جميع ما سمعه منه ورواية جميع كتبه. وفي ربيع الآخر من سنة ٧٩٣ (١٣٩١ م). عين قاضياً في المدينة.

وكانت وفاة ابن فرحون في العاشر من ذي الحجة من سنة ٧٩٩ (١٣٩٧/٩/٤ م)، بعد أن فُليح شقه الأسر.

٢- كان ابن فرحون من أهل بيت علم ومن صدور المدرسين واسع المعرفة حسن التحقيق رأساً في أصول الفقه وفروعه وبالفروض والوثائق^(١) عارفاً بالتاريخ والنحو والطب أيضاً. وقد كان شديداً النصرة لمذهب الإمام مالك. ولابن فرحون تأليف منها: تسهيل المهمات في شرح جامع الأمهات (وهو شرح لمختصر ابن الحاجب^(٢))، وقد جمعه من نثر من الشراح في ثمانية أسفار - تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام - درة الفواص في محاضرة الخواص (ألفه ألفاً على أبواب الفقه) - كشف النقاب الحاجب عن مصطلح ابن الحاجب^(٣) - ارشاد السالك إلى أفعال المناسك (في الحج) - المنتخب في مفردات ابن البيطار^(٤) (في الطب والأدوية) وغير ذلك مما لم يُتم تأليفه. وقد شهر بكتابه: «الديباج المذهب في أعيان علم المذهب» انتهى من تأليفه في شعبان من سنة ٧٦١ (١٣٦٠ م). يبدأ هذا الكتاب بمقدمة قصيرة (راجع مختارات من آثاره) يأتي بعدها فهرس موجز (غير الفهرس المقيّد بالصفحات) (والذي ألحقه الناشر بالكتاب). ثم تأتي تسع عشرة صفحة

(١) الفروض والفرائض: تقسيم الإرث الوثائق والتوثيق (كتابة اليهود والصكوك بين المتخاصمين والمتراضين والمتبايعين).

(٢) و٣) راجع ٥٥٩.

(٤) ابن البيطار: عبد الله بن أحمد الملقب الأندلسي (ت ٦٤٦ هـ = ١٢٤٨ م). من علماء النبات والأعشاب التي تدخل في الأدوية. الأدوية المفردة: المواد التي تدخل في تركيب الدواء.

في حياة الإمام مالك وأحواله وتأليفه ثم تأتي بعد ذلك التراجم على الحروف الهجائية.

٣- مختارات من آثاره

- من مقدمة الديباج المذهب:

..... وبعد، فإن أولى ما أنحف به الطالب اللبيب ودون للأديب الأريب^(١) التعريف بحال من جعل تقليده بينه وبين الله حجة واتخذ اقتفائه هديه في الحلال والحرام محجة^(٢)، ثم حال الرواة عنه والناقلين عنهم والمجتهدين في مذهبه والقائمين على أصوله والمفتين على قواعده والمدونين لمسائله وتمييز درجاتهم في العلم والفهم والدين والورع والتعريف بشقاتهم وشهادة أهل العلم فيهم وفي مؤلفاتهم. فشرّف العلم بهذا الفن معلوم والجهل به مذموم. وليس هو مما قيل فيه: علم لا ينفع وجهالة لا تضر، فإن هذا مقول في علم الأنساب^(٣)، وهو فن غير هذا.

وقد ذكرت في هذا المجموع الوجيز مشاهير الرواة وأعيان الناقلين للمذهب والمؤلفين فيه ومن تخرج به أحد^(٤) من المشاهير وجماعة من حفاظ الحديث. وأضربت عن ذكر غير المشاهير إيثاراً للاختصار، لأن الإحاطة بهم مُتَعَذِّرَةٌ واستيفاء من يمكن ذكره يخرج عن المقصود. وذكرت جماعة من المتأخرين ممن لم يبلغ درجة الأئمة المقتدى بهم قصداً للتعريف بحالهم لكونهم قصدوا التأليف ولأن لكل زمان رجالاً. وكذلك ذكرت بعض الرواة الحفاظ المتأخرين لكونهم من مشاهير أهل زماننا. ولم يقع ترتيب أسمائهم في هذا التأليف على الوجه المطلوب، بل وقع فيه تقديم وتأخير من غير قصد. وذكرت العذر عن ذلك في آخر الأسماء.

(١) الاتحاف: إهداء الأشياء الثمينة. الأريب: ذو الذكاء والفطنة (بكسر الفاء).

(٢) تقليده = تقليد المتأخر للمتقدم (تقليد الفن جاءوا بعد الإمام مالك مالك). اقتفاء: اتباع. المحجة: الطريق المستقيم (الواضح).

(٣) علم الأنساب (النسب): قرابة بعض الناس من بعض.

(٤) ... ومن تخرج به أحد من المشاهير (وذكرت أشخاصاً من غير المشاهير إذا كان قد تلقى العلم عليه رجل مشهور).

وبدأت مُقدِّمة تشتمل على ترجيح مذهب مالك والحجة في وجوب تقليده مُلخَّصاً من كلام الإمام أبي الفضل عياض بن موسى رَحِمَهُ اللهُ في مقدِّمة كتابه المسمَّى بالمدارك **. وأثبت ذلك بذكر الإمام مالك بن أنس رَضِيَ اللهُ عنه والتعريف بنبذة يسيرة من أحواله. (ثم يأتي ذكر مَنْ اشتمل عليهم هذا التأليف مرتباً على حروف المُعْجَم ليسهل الكشف عن المطلوب. وسَمَّيته «الديباج المذهب» في أعيان علماء المذهب

- ٤- تبصرة الحكام (على هامش «فتح العلي» لمحمد بن عlish)، فاس (طبع حجر) ١٣٠١ هـ (راجع سركيس ١٣٧٤)، القاهرة (مطبعة شرف) ١٣٠١ هـ؛ القاهرة (مطبعة مصطفى محمد) ١٣٠٢ هـ؛ القاهرة ١٣١٩ هـ.
- الديباج المذهب، فاس (طبع حجر) ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٩ هـ؛ القاهرة ١٣١٩ هـ؛ القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٢٩ هـ؛ القاهرة ١٣٣٠؛ (طبعة عباس بن عبد السلام بن شقرون)، القاهرة (مطبعة المعاهد) ١٣٥١ هـ.
- ** نيل الابتهاج ٣٠ - ٣٢؛ شذرات الذهب ٦: ٣٥٧؛ الدرر الكامنة ١: ٤٨؛ بروكلمن ٢: ٢٢٦، الملحق ٢: ٢٢٦ (أيضاً)، دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٦٣؛ الأعلام للزركلي ١: ٤٧ (٥٢)؛ معجم المؤلفين لكحالة؛ سركيس ٣٠٢ - ٣٠٣.

أبو زيد المكوذي

١- هو أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكوذي، نسبة إلى بني مكوذ من قبائل هَوَارة (مُسكنهم بين فاس وتازة المَطَرُزِي، وُلِدَ سَنَةَ ٧٢٦ للهجرة أو ١٣٢٦ م (راجع سركيس ١٧٨٦).

تصدَّر أبو زيد المكوذي لتدريس النَّحو في فاس (راجع نفح الطيب ٥: ٤٢٨)، وكان يُدرِّس الكتاب (كتاب سيبويه) في مدرسة العطارين - وهو آخر من درَّس هذا الكتاب في فاس - إذ أصبح الاعتماد فيما بعد على ألفية ابن مالك والتي كان المكوذي قد وضع عليها شرحاً جيداً.

(** ترتيب المدارك وتقريب السالك لمعرفة أعلام مذهب مالك (بروكلمن ١: ٤٥٦).

وكانت وفاة المكوذي هذا في فاس في الحادي عَشَرَ من شَعْبَانَ ٨٠٧
(١٤٠٥/٢/١٣) في الأغلب.

٢- كان أبو زيد المكوذي، في زمنه، عالم فاس وأديبها، بارعاً في الفقه وفي العلوم اللسانية من اللغة والنحو والعروض والأدب، كما كان شاعراً راجزاً ومُقَصِّداً. ثم إنّه كان مُصَنِّفاً له: شرحُ أَلْفِيَةِ ابن مالك - شرح مقدّمة ابن آجَرُوم - شرح المقصور والممدود لابن مالك - البَسَطُ والتعريف في نظم علم التصريف - نظم المُعَرَّب من الألفاظ - المقصورة (نحو ثلاثمائة بيت، أراد بها مدح الرسول ومُعارضة مقصورة حازم القرطاجني. ولكنها مملوءة بالشكوى أيضاً. وفيها كثير من ترداد المعاني إلى جانب اتكائه فيها على معاني السابقين، من كعب بن زهير، إلى ابن دريد، إلى حازم القرطاجني إلى البوصيري. وفي هذه المقصورة براعة وسهولة وإن كان المكوذي يتكلّف فيها الغريب من اللفظ أحياناً كما فعل في الأبيات المتعلقة بوصف الجمل).

٣- مختارات من آثاره

- من مقصورة المكوذي الفاسي:

أَرَقَنِي بَارِقُ نَجْدٍ إِذْ سَرَى يُؤَمِّضُ مَا بَيْنَ فُرَادِي وَتُنَى^(١).
فِيَا لَهُ مِنْ بَارِقٍ ذَكَرَنِي مِنْ الْهَوَى مَا كُنْتُ عَنْهُ فِي غِنَى.

- وبعد أن يصف روضاً بعد ليل من المطر يقول:

وَأُشْتَكِي دَهْرًا دَهَانِي صَرْفُهُ لَمَّا قَضَى بِالْبَيْنِ فِيمَا قَدْ قَضَى^(٢).
مَنَازِلٌ كَانَتْ بِنَا أَوَاهِلًا نَلْنَا بِهَا حِينًا أَسَالِبَ الْمُنَى.
كَمْ بَتُّ فِي أَفْيَاطِهَا أَجْرِي إِلَى غَايَاتِهَا بِطَرْفٍ جِدُّ مَا كَبَا^(٣).

(١) فرادي ونسى (قد يأتي البرق مرةً مرةً أو مرّتين مرّتين).

(٢) صرف الدهر وتصاريفه (مصائبه). البين: البعاد.

(٣) الطرف (بكسر الطاء): الفرس السابق. كبا: عثر، وقع.

وَكَمْ سَحَبْتُ، إِذْ صَحِيتْ غَيْدَهَا
وَكَمْ لَثَمْتُ زَهْرَ ثَغْرِ أَشْنَبِ
وَكَمْ رَشَفْتُ مِنْ رُضَابِ سَلَلِ
أَيَّامَ أَزْهَارِ الْمُنَى مُونِقَةً
يَا لَيْتَ شِغْرِي، وَالْأَمَانِي خُدْعُ،
وَهَلْ لَنَا مِنْ عَوْدَةٍ لِمَعْدِ
وَالدَّهْرِ فِي صُرُوفِهِ ذُو عَجَبِ
يُكِي إِذَا أَضْحَكَ يَوْمًا أَهْلَهُ،
هَذَا هِيَ الدُّنْيَا فَلَا يَفْرُزُكَ مَا
فَانْفِضَ يَدَيْكَ مِنْ عُرَاهَا وَارْمِهَا
وَسِرُّكَ اكْتُمُهُ عَنِ الْخَلْقِ وَلَا
وَاقِنْعٍ - عَلَى عِزٍّ - بِمَا يَكْنِي، وَلَا
كَمْ مِنْ صَدِيقٍ مُظْهِرٍ لَوُدِّهِ
يَبْشُرُ فِي وَجْهِكَ إِنْ لَاقَيْتَهُ،
يُذِيعُ مَا يَرَاهُ مِنْ قُبْحٍ، وَإِنْ

يَرَوْضُهَا، ذَلِيلَ السُّرُورِ وَالْهَنَا*
مِنْ شَادِنِ عَذْبِ الثَّنَايَا وَاللَّمَى (١).
يَفْعَلُ بِالْأَلْبَابِ أَفْعَالَ الطَّلَا (٢).
وَالدَّهْرُ ذُو وَجْهِ مُنِيرٍ مُجْتَلِي (٣).
هَلْ يَرْجِعُ الدَّهْرُ لَنَا عَهْدًا مَضَى (٤)؟
صَبَّوْتُ فِيهِ جُلًّا أَيَّامِ الصَّبَا (٥).
يُدْنِي بِهَا كُلَّ جَدِيدٍ لِلَّيْلِ (٦).
وَيُعْقِبُ الْكَرْبَ إِذَا الْعَيْشُ صَفَا.
تَرَاهُ فِيهَا مِنْ سُرُورٍ وَهَنَا*،
وَإِذَا رَأَى بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّهْيِ (٧).
تُطْلِعُ عَلَيْهِ أَحَدًا مِنَ الْوَرَى (٨).
تَحْرِصُ؛ فَإِنَّ الْحِرْصَ ذُلٌّ لِلْفَقْرِ.
لَكِنْ لَهُ قَلْبٌ عَلَى الْحِقْدِ انْطَوَى:
وَإِنْ تَغِيبَ يَغْتَبِكَ فِي كُلِّ مَلَا (٩)؛
رَأَى جَمِيلًا مِنْكَ أَخْفَى مَا رَأَى.

- (١) الثَّنبُ: البياض في الأسنان: الشادن: الغزال الصغير. اللَمَى: السرة في الثَّغَاء.
(٢) الرُّضَابُ: الرِّيقُ مَا دَامَ فِي الْفَمِ. السَّلَلُ: الذي يجري في الحلق بسهولة. اللَّبُّ (بالضم): العقل. الطَّلَا (بالكسر): الحمر. * الهَنَاءُ: الفُطْرَان (والشاعر يقصد الهَنَاءَ: الفَرْحَ والسُّرُورَ).
(٣) مُونِقَةٌ: جَمِيلَةٌ تَعْجَبُ الْعَيْنَ.. مُجْتَلِيٌّ: يَحِبُّ النَّاسَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَيْهِ.
(٤) خُدَعُ (بضم ففتح) جمع خُدْعَةٍ (بالكسر). وَخُدَعُ (بضم وتثنية أو بضم فصح) جمع خَادِعٍ. رَجَعَ يَرْجِعُ (فعل لازم ومتعد).
(٥) صَبَا: مَالٌ (سَلَكَ فِيهِ سَلَكَ الْحَبِيبِ). جُلٌّ: مَعْظَمُ، أَكْثَرُ.
(٦) صُرُوفُ الدَّهْرِ: تَغْيِيرُهُ (وَمَصَائِبُهُ). الْبَلَى: التَّهَرُّؤُ.
(٧) الْعُرْوَةُ (بِالضَّمِّ) الْحَلْقَةُ (لِلزَّوْرِ وَشَبْهِهِ)، مَا يَمُكُّ بِهِ الْمُتَقَلِّقَ. ادْرَأْ: ادْفَعْ (عَنْكَ بِهَا مَصَائِبُ الدَّهْرِ). النَّهْيُ: الْقَلْعُ.
(٨) الْوَرَى: النَّاسُ، مَجْمُوعُ الْخَلْقِ.
(٩) مَلَا = مَلَأَ: التَّخْبَةُ مِنَ الْقَوْمِ، (وَهَنَا): كُلُّ مَجْمَعٍ مِنَ النَّاسِ.

كَمْ خُضْتُ فِي بَحْرِ الْمَعَاصِي جَامِعًا لَا أَرْعُو نُصْحًا لِلْخِيِّ مَنْ لَهَا^(١) ؟
وَكَمْ تَبَيْتُ إِذْ تَبَيْتُ أَمْلًا قَدْ انْقَضَتْ لَذَاتُهُ وَمَا انْقَضَى .
وَأَحْزَنْتَا ، قَدْ مَرَّ عُمْرِي ضَائِعًا بَيْنَ خُرْغَبَلَاتٍ لَهُوَ وَهُوَ .
هَلَكْتُ فِي الْهَلَاكِ لَوْلَا أَنِّي ذَخَرْتُ ذُخْرًا أَرْغَمِي بِهِ الْهُدَى .
وَلَيْسَ ذُخْرِي غَيْرَ مَدْحٍ أَحَدٍ سَيِّدِ أَهْلِ الْأَرْضِ طُرًّا وَالسَّهْلِ^(٢) :
مَقْصُورَةٌ ، لَكِنَّهَا مَقْصُورَةٌ عَلَى امْتِدَاحِ الْمُصْطَفَى خَيْرِ الْوَرَى^(٣) .

- من شرح المَكْوَدِيَّ عَلَى الْفَيْةِ أَبِي مَالِكٍ :

أَمَّا بَعْدُ فَهَذَا شَرْحٌ مُخْتَصَرٌّ عَلَى الْفَيْةِ أَبِي مَالِكٍ مُهَذَّبُ الْمَقَاصِدِ^(١) وَاضْعُ الْمَسَالِكِ
تَفَهَّمْ بِهِ الْفَافْظَا وَيَحْطِ بِمَعَانِيهَا حِفَافُهَا ، مُعَرِّبٌ عَنْ إِعْرَابِ أَبِيهَا^(٢) وَمُقَرِّبٌ لَهَا
شَرْدٌ مِنْ عِبَارَاتِهَا^(٣) ، مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِلنَّقْلِ^(٤) عَلَيْهَا وَلَا إِضَافَةٍ غَيْرِهَا إِلَيْهَا ، وَلَا
إِنْشَادٍ شَوَاهِدٍ إِلَّا مَا لَا بُدَّ مِنْهُ ، وَلَا إِيْرَادٍ مَذَاهِبٍ إِلَّا مَا لَا مَنَدُوحَةَ عَنْهُ^(٥) ، يَسْتَفِيدُ
بِهِ الْبَادِي وَيَسْتَحْسِنُهُ الشَّادِي^(٦) . وَالْبَاعِثُ عَلَى ذَلِكَ أَنْ بَعْضَ الطَّلَبَةِ الْمُتَبَدِّلِينَ
وَالْفَيْةَ الْمُجْتَهِدِينَ الْمُتَنِينَ يَحْفَظُهَا الْقَانِعِينَ بِمَعْرِفَةِ لَفْظِهَا طَلَبَ مِنِّي أَنْ أَضَعَ شَرْحًا
عَلَى نَحْوِ مَا ذَكَرْتُهُ وَ(أَنْ) أَبَيَّنَ الْفَافْظَا وَمَعَانِيهَا عَلَى حَسَبِ مَا وَصَفْتُهُ . فَأَجَبْتُهُ إِلَى
مَا اقْتَرَحَ عَلَيَّ وَأَسَعَفْتُهُ بِمَا أَمَّلَ لَدَيَّ . وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَنْفَعُنَا وَإِيَّاهُ بِالْعِلْمِ .

(١) الجامع: الحصان الثارد: اللحي: اللوم.

(٢) أحد من أسلم محمد رسول الله.

(٣) مقصورة (الأولى): قصيدة مبنية في قافيتها على الألف المقصورة. مقصورة (الثانية): قاصرة على (شيء واحد)، مخصوصة بشيء واحد. المصطفى من أسلم محمد رسول الله.

(٤) مهذب المقاصد: مختصر الأهداف (لم أذكر فيه جميع الوجوه التي تجوز في كل موضوع من مواضيع الصرف والنحو).

(٥) معرب: مبين. - وكثيراً ما يعرب المَكْوَدِيَّ أبيات هذه الألفية.

(٦) لها شرد من عباراتها (لما كان غير واضح من عباراتها).

(٧) للنقل (٩) = للنقد، للتقص (التنبيه على ما فيها من الخطأ أو على خلاف ما « نقله » النحاة الآخرون عن العرب).

(٨) مندوحة: متع (ما لا مندوحة عنه: ما لا بد منه).

(٩) الشادي: الذي حصل طرفاً من العلم (لا يكفي لأن يجعله عالماً).

ويرزقنا وإيَّاهِ سَلامَةُ الإدراكِ والفَهمِ بِمَنِّهِ ^(١) وَكَرَمِهِ آمينَ .

- ما لا ينصرف ^(٢) :

(الصَّرْفُ تَنْوِينٌ أُنْثَى مُبَيَّنٌ مَعْنَى بِهِ يَكُونُ الْأَسْمُ أَمَكَّنَا)

يَعْنِي أَنَّ الصَّرْفَ هُوَ التَّنْوِينُ الَّذِي يَتَبَيَّنُ بِهِ أَنَّ الْأَسْمَ الَّذِي يَتَّصِلُ بِهِ ^(٣) يُسَمَّى أَمَكَّنًا ^(٤) . وَمَا صَرَّحَ بِهِ مِنْ أَنَّ الصَّرْفَ هُوَ التَّنْوِينُ هُوَ مَذْهَبُ الْمُحَقِّقِينَ . وَيُمنَعُ الْأَسْمُ مِنَ الصَّرْفِ لَوْجُودِ عِلَّتَيْنِ أَوْ عَلَّةٍ (وَاحِدَةٍ) تَقُومُ مَقَامَ عِلَّتَيْنِ . وَقَصْدُهُ فِي هَذَا الْبَابِ أَنْ يُبَيِّنَ الْأَسْمَاءَ الَّتِي لَا تَنْصَرِفُ ، وَإِنَّا ذَكَرَ الصَّرْفَ وَعَرَّفَهُ لِأَنَّ بِمَعْرِفَتِهِ يُعْرَفُ الْأَسْمُ الَّذِي لَا يَنْصَرِفُ . فَمَا وَجَدَ فِيهِ التَّنْوِينَ الْمَذْكُورَ فَهُوَ مُنْصَرِفٌ ، وَمَا لَمْ يَوْجَدْ فِيهِ (فَهُوَ) غَيْرُ مُنْصَرِفٍ . ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ جَمِيعَ مَا لَا يَنْصَرِفُ أَثْنَا عَشَرَ نَوْعًا : خَمْسَةٌ فِي النِّكَرَةِ وَسَبْعَةٌ فِي الْمَعْرِفَةِ قَالَ :

(فَالِإِفُ التَّائِيثِ مُطْلَقًا مَنَعَ صَرْفَ الَّذِي حَوَاهُ كَيْفًا وَقَحَ)

يَعْنِي أَنَّ « أَلِفَ التَّائِيثِ » تَمْنَعُ مِنَ الصَّرْفِ مُطْلَقًا - أَيِ مَقْصُورَةً كَانَتْ أَوْ مَمْدُودَةً - كَيْفَمَا كَانَ الْأَسْمُ الَّذِي هِيَ فِيهِ ، مِنْ كَوْنِهِ نِكَرَةً أَوْ مَعْرِفَةً ، مُفْرَدًا أَوْ جَمْعًا ، نَحْوُ : ذَكَرَى وَسَلَّمَ وَحُبْلَى وَسُكَارَى وَحِرَاءَ وَأَسْمَاءَ وَزَكَرِيَّا . وَإِنَّا مَنَعْنَا أَلِفَ التَّائِيثِ وَحَدَّاهَا (الْأَسْمَ الَّذِي هِيَ فِيهِ مِنَ الصَّرْفِ) لِأَنَّهَا قَامَتْ مَقَامَ عِلَّتَيْنِ ، وَهِيَ التَّائِيثُ وَلِزُومِ التَّائِيثِ ^(٥) .

فـ « أَلِفُ التَّائِيثِ » مُبْتَدَأٌ ، خَبَرُهُ « مَنَعَ » ، وَ « مُطْلَقًا » حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ الْمُسْتَتِرِ فِي « مَنَعَ » الْعَائِدِ عَلَى الْمُبْتَدَأِ . وَ « حَوَاهُ » صِلَةٌ « الَّذِي » . وَالضَّمِيرُ الْعَائِدُ مِنَ الصِّلَةِ إِلَى الْمَوْصُولِ (هُوَ) فِي « حَوَاهُ » . وَالْهَاءُ فِي « حَوَاهُ » عَائِدَةٌ عَلَى أَلِفِ التَّائِيثِ . وَكَيْفَمَا

(١) الْمَنُّ : النِّعْمَةُ ، الْكَرَمُ (يَفْتَحُ فَتْحُحَ) .

(٢) فِيهَا يَلِي نَوْذَجٌ مِنْ هَذَا الْبَابِ (مَا لَا يَصْرَفُ : الْمَنْعُ مِنَ الصَّرْفِ) ، وَلَمْ أَوْرِدْ فِيهَا بَلَى كُلَّ مَا ذَكَرَهُ صَاحِبُ الْأَلْفِيَةِ وَشَارَحَ الْأَلْفِيَةَ مِنْ أَنْوَاعِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَمْنَعُ مِنَ الصَّرْفِ .

(٣) يَتَّصِلُ بِهِ (التَّنْوِينُ) قَبْلَ التَّنْوِينِ (جَرَتْ عَادَةُ الْعَرَبِ عَلَى تَنْوِينِهِ) .

(٤) أَمَكَّنَ : تَمَكَّنَ ، ثَابِتٌ فِي جَمِيعِ وُجُوهِ الْإِعْرَابِ عَلَى الْقَوَاعِدِ الْعَامَّةِ الْمَأْلُوفَةِ .

(٥) التَّائِيثُ وَلِزُومِ التَّائِيثِ : التَّائِيثُ بِمَعْنَاهُ (عَلَّةٌ مَمْنُونَةٌ) وَلِطَاقِ عِلَامَةِ التَّائِيثِ بِهِ (عَلَّةٌ لَفْظِيَّةٌ) .

وَقَعَ شَرْطُ حُدُفَ جَوَابِهِ، لِذِلَالَةِ مَا تَقَدَّمَ عَلَيْهِ^(١). وَالتَّقْدِيرُ: «كَيْفَمَا وَقَعَ مَنَعُ الصَّرْفِ».

ثمَّ أَشَارَ إِلَى النَّوعِ الثَّانِي مِمَّا يَمْنَعُ (الصَّرْفَ) فِي التَّكْرَةِ فَقَالَ:

(وَزَائِدًا فَعَلَانُ فِي وَصْفٍ سَلِمَ مِنْ أَنْ يُرَى بِنَاءُ تَأْنِيثٍ خُتِمَ)

يعني أَنَّ «زَائِدِي فَعَلَانُ» - وَهِيَ الْأَلْفُ وَالنُّونُ الزَائِدَتَانِ - يَمْنَعَانِ الصَّرْفَ، إِذَا كَانَتْ فِي وَصْفٍ سَلِمَ مِنْ أَنْ يُخْتَمَ بِنَاءُ التَّأْنِيثِ. وَالْمَانِعُ لَهُ مِنَ الصَّرْفِ الْأَلْفُ وَالنُّونُ وَالصَّفَّةُ. وَفُهُمُ مِنْهُ أَنَّ ذَلِكَ مَخْصُوصٌ بِهَذَا الْوِزْنِ الَّذِي هُوَ فَعَلَانُ. وَفُهُمُ مِنْ قَوْلِهِ: «فِي وَصْفٍ»، أَنَّ هَاتَيْنِ الزَّيَادَتَيْنِ لَوْ كَانَتَا فِي غَيْرِ الْوَصْفِ لَمْ يَمْنَعَا، نَحْوَ سَرَحَانِ^(٢). وَفُهُمُ مِنْهُ (أَيْضًا) أَنَّ الْوَصْفَ الْمُحْتَوِيَّ عَلَى هَاتَيْنِ الزَّيَادَتَيْنِ إِذَا أَتَتْ بِالْهَاءِ لَمْ يَمْنَعِ، نَحْوَ نَدَمَانٍ فَإِنَّ مُؤَنَّثَهُ نَدَمَانَةٌ. فَبِمِثَالِ مَا تَوَقَّرَتْ فِيهِ شُرُوطُ الْمَانِعِ غَضَبَانُ وَسَكَرَانُ، فَإِنَّكَ تَقُولُ فِي مُؤَنَّثَيْهِمَا: غَضَبِي وَسَكَرِي، وَلَا يَجُوزُ فِيهِمَا غَضَبَانَةٌ وَسَكَرَانَةٌ.

و «زَائِدًا» مَعْطُوفٌ عَلَى الضَّمِيرِ الْمُسْتَتِرِ فِي «مَنَعَ» الْعَائِدِ عَلَى أَلْفِ التَّأْنِيثِ. وَجَارَ الْعَطْفُ عَلَيْهِ لِلْفَصْلِ بِالْمَفْعُولِ^(٣). وَالتَّقْدِيرُ: (أَنَّ الَّذِي) مَنَعَ الصَّرْفَ أَلْفُ التَّأْنِيثِ وَ «زَائِدًا فَعَلَانُ». وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ «زَائِدًا فَعَلَانُ» مُبْتَدَأً، وَالْخَبَرُ مَحْذُوفٌ لِذِلَالَةِ مَا تَقَدَّمَ عَلَيْهِ، أَيْ: وَ «زَائِدًا فَعَلَانُ» كَذَلِكَ^(٤). وَ «سَلِمَ...» إِلَى آخِرِ الْبَيْتِ فِي مَوْضِعِ الصَّفَّةِ ل «وَصْفٍ». وَ «خُتِمَ» فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ الثَّانِي ل «يُرَى»^(٥)، وَ «بِنَاءُ» (جَارٌ وَمَجْرُورٌ) مُتَعَلِّقٌ ب «خُتِمَ»....

(١) كَيْفَمَا وَقَعَ مَنَعُ مِنَ الصَّرْفِ (لَمْ يَذْكُرْ «مَنَعُ مِنَ الصَّرْفِ» لِأَنَّ هَذَا الْمَعْنَى تَقَدَّمَ عَلَى اسْمِ الشَّرْطِ وَفَعْلِهِ «كَيْفَمَا وَقَعَ»).

(٢) السَّرْحَانُ: الذَّنْبُ.

(٣) «وَزَائِدًا فَعَلَانُ» مَعْطُوفٌ عَلَى «أَلْفِ التَّأْنِيثِ» (فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ). وَالْفَصْلُ بِالْمَفْعُولِ (مَجْمُوعُ «صَرْفٍ» الَّذِي حَوَاهُ - وَهِيَ مَفْعُولٌ بِهِ - مَعْتَرِضَةٌ بَيْنَ الْفَعْلِ «مَنَعَ» وَفَاعِلِهِ «زَائِدًا فَعَلَانُ»).

(٤) كَذَلِكَ: «جَارٌ وَمَجْرُورٌ (خَبَرٌ «زَائِدًا فَعَلَانُ»، أَوْ فِي مَحَلِّ خَبَرٍ).

(٥) سَلِمَ مِنْ أَنْ يُرَى مَخْتِومًا بِنَاءُ التَّأْنِيثِ «جَلَّةٌ فَعْلِيَّةٌ فِي مَحَلِّ نَصْتٍ لِكَلِمَةِ «وَصْفٍ». وَ «يُرَى بِنَاءُ تَأْنِيثٍ خَتَمَ»: يَرَى فَعْلٌ مَبْنِيٌّ لِلْمَجْعُولِ. وَثَانِي الْفَاعِلِ ضَمِيرٌ مُسْتَتَرٌ فِيهِ تَقْدِيرُهُ (هُوَ (يَرْجِعُ إِلَى اسْمِ). وَ «خَتَمَ» جَلَّةٌ فَعْلِيَّةٌ مِنَ الْفَعْلِ «خَتَمَ» وَثَانِي الْفَاعِلِ الْمُسْتَتِرِ فِيهِ فِي مَحَلِّ مَفْعُولٍ بِهِ ثَانٍ لِلْفَعْلِ الْمَجْعُولِ «يُرَى».

(فالأَذهَمُ القَيْدُ لِكَوْنِهِ وَضِيعٌ فِي الْأَصْلِ وَصَفًا أَنْصَرَفَهُ مُنْعٌ)
 من أسماء القَيْدِ «أَذهَمٌ»، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ، وَصَفٌ، لَكِنَّهُ اسْتُعْمِلَ اسْتِعْمَالُ الْأَسْمَاءِ
 فَالْفَيْتُ فِيهِ الْأَسْمِيَّةُ وَبَقِيَ غَيْرُ مُنْصَرِفٍ عَلَى مُقْتَضَى الْأَصْلِ، فَتَقُولُ: «مَرَرْتُ
 بِأَذهَمٍ»، أَيْ بِقَيْدٍ. وَمِثْلُ «أَذهَمٍ» فِي ذَلِكَ «أَرْزَمٌ» لِتَوَعُّدٍ مِنَ الْحَيَاتِ وَ «أَسْوَدٌ»
 لِلْحَيَّةِ أَيْضًا.

فـ «أَذهَمٌ» مُبْتَدَأٌ، وَ «القَيْدُ» بَدَلٌ مِنْهُ - بَدَلُ الشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ ^(١) - .
 وَ «لِكَوْنِهِ» مُتَعَلِّقٌ بِ «مُنْعٍ». وَ «فِي الْأَصْلِ» مُتَعَلِّقٌ بِ «وَضِيعٍ».

ثُمَّ إِنَّ مِنَ الْأَسْمَاءِ الَّتِي عَلَى وَزْنِ «أَفْعَلٍ» مَا جَاءَ فِيهِ الصَّرْفُ وَمُنْعُ الصَّرْفِ (مَعًا).
 وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ (ابْنُ مَالِكٍ) بِقَوْلِهِ:

(وَأَجْدَلٌ وَأَخْيَلٌ وَأَفْسَى مَصْرُوفَةٌ. وَقَدْ يَنْلَنُ الْمُنْعَا)
 «أَجْدَلٌ» أَسْمٌ لِلصَّغْرِ. وَ «أَخْيَلٌ» أَسْمٌ لَطَائِرٍ ذِي خَيْلَانٍ ^(٢). وَ «أَفْسَى» أَسْمٌ
 لَضَرْبٍ ^(٣) مِنَ الْحَيَاتِ. وَلَيْسَتْ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ صِفَاتٍ - لَا فِي الْأَصْلِ وَلَا فِي
 الِاسْتِعْمَالِ - فَحَقُّهَا الصَّرْفُ، وَلِذَلِكَ صَرَفَهَا أَكْثَرُ الْعَرَبِ. وَبَعْضُ الْعَرَبِ يَنْعَمُهَا مِنَ
 الصَّرْفِ، وَوَجْهُهُ ^(٤) أَنَّهُ ^(٥) لَاحِظٌ فِيهَا مَعْنَى الصَّفَةِ، وَهُوَ ظَاهِرٌ فِي «أَجْدَلٍ» لِأَنَّهُ مِنْ
 «الْجَدَلِ» وَهُوَ الْقُوَّةُ. وَ «أَخْيَلٌ» (يُمْكِنُ أَنْ تُنْعَمَ مِنَ الصَّرْفِ) لِأَنَّهُ مِنَ «الْحَيُولِ» ^(٦)،
 وَهُوَ الْكَثِيرُ الْخَيْلَانِ. وَفَهُمْ مِنْ قَوْلِهِ: «مَصْرُوفَةٌ، وَقَدْ يَنْلَنُ (الْمُنْعَا)» أَنَّ الصَّرْفَ هُوَ
 الْكَثِيرُ ^(٧).....

٤ - شرح ألفية ابن مالك، فاس بلا تاريخ؛ فاس ١٢٩٤ هـ، فاس ١٣١٨ هـ؛ ثم في مصر،
 (بهاشم حاشية أحمد الملوحي) طبع حجر ١٢٧٩ هـ؛ مصر (مطبعة محمد مصطفى) ١٣٠١ هـ،

(١) أي بدل كل من كل: المُبدل منه (البدل) هو المُبدل نفسه.

(٢) الخيلان: التكثير والإعجاب بالنفس.

(٣) ضرب: نوع.

(٤) وجهه (وجه منعه من الصرف أو سبب منعه من الصرف).

(٥) أَنَّهُ (أَنْ بَعْضُ الْعَرَبِ).

(٦) الغالب أَنَّهُ مَصْرُوفٌ أَكْثَرُ مِنْهُ مَنُوعًا مِنَ الصَّرْفِ.

١٣٤٥ هـ؛ مصر (المطبعة الشرفية) ١٣٠٣ هـ؛ مصر (المطبعة الخيرية) ١٣٠٥ هـ؛ مصر

(المطبعة الميمنية) ١٣٠٥ هـ؛ ثم مصر ١٣٢٠ هـ.

- شرح مقدّمة ابن أجروم، تونس ١٢٩٢ هـ؛ مصر ١٣٠٤ هـ؛ مصر (مطبعة عبد الرزاق)

١٣٠٩ هـ؛ ١٣٤٥ هـ.

- شرح مقصورة ابن حازم القرطاجني (نشرها عبد الله كنون)، القاهرة ١٣٥٧ هـ.

- البسط والتعريف في نظم العلم الشريف (عليها شرح بعنوان: الفتح اللطيف لمحمد بن أبي

بكر الصغير المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ = ١٦٧٨ م)، فاس ١٣١٥ - ١٣١٦ هـ.

★ الصوّ اللامع ٤: ٩٧؛ نيل الابتهاج (مصر) ١٦٨ - ١٦٩ (١٤٥)؛ بغية الوعاة ٣٠٠؛

شذرات الذهب ٨: ٤؛ النبوغ المغربي ٢١٠، ٨١٠ - ٨١٧، ٩١٧؛ الأدب المغربي

٢٧٨ - ٢٨٠؛ بروكلين ٢: ٣١٠، ٣٦١، الملحق ٢: ٣٣٦، ٥٢٤؛ الأعلام للزركلي ٤:

٩١ (٣: ٣١٨)؛ معجم المؤلفين لكحالة ٥: ١٥٦؛ سيركيس ١٧٨٦ - ١٧٨٧.

ابنُ خَلْدُون

١- لما فَتَحَ المسلمون الأندلسَ دَخَلَ مَعَ جِيُوشِ الفَتْحِ رَجُلٌ يَمِينِيٌّ مِنْ عَرَبِ حَضْرَمَوْتٍ^(١) اسْمُهُ خَالِدُ بْنُ الْخَطَّابِ. وَسَكَنَ خَالِدٌ هَذَا فِي قَرْمُونَةَ ثُمَّ أُنْتَقَلَ إِلَى إِشْبِيلَةَ حَيْثُ عُرِفَ بِأَسْمِ خَلْدُونٍ (تصغير خالد: خالد الصغير)^(٢). وَلَمَّا أَشَدَّ خَطَرُ الْإِسْبَانِ عَلَى إِشْبِيلَةَ سَنَةَ ٦٢٥ هـ (١٢٢٧ م) هَجَرَها أَلُ الْخَطَّابِ إِلَى ثَغْرِ سَبْتَةَ^(٣). ثُمَّ أُنْتَقَلَ مُحَمَّدٌ جَدُّ فِيلَسُوفِنَا إِلَى تُونِسَ وَوَلَّى الْوِزَارَةَ حِينًا. وَكَذَلِكَ مَالٌ وَالِدُ فِيلَسُوفِنَا (وَأَسَمَهُ مُحَمَّدٌ أَيْضًا) إِلَى الشُّؤُونِ الْمَسْكُورَةِ وَالْإِدَارِيَّةِ، وَلَكِنَّهُ عَادَ فَشِفَ بِالْعِلْمِ وَأَصْبَحَ

(١) حضرموت منطقة في جنوبي شبه جزيرة العرب.

(٢) يرى عبد الله كنون (مجلة البحث العلمي، الرباط، جادى الآخرة - رمضان ١٣٨٤ هـ، ص ١٢٧ -

١٣٦). أن صيغة «خلدون» عربية تقيّد التعظيم بدلالاته الجسمية (أي بالواو والنون اللّحقيّين به) وهما في رأيه علامة جمع المذكّر السالم، وعندي أن الواو والنون لاحقة تقيّد التصغير والتّجيب، ففي المشرق يقال عند التصغير والتّجيب كلبون وسعدون، صغيرون، الخ. وربّما استعملت صيغة فُؤول لهذا الغرض في الأسما المذكّرة والمؤنّثة نحو: قُدُور (تصغير عبد القادر) فُؤوم، عُبُوش (تصغيراً لفاطمة وعائشة) الخ.

ثَبَّةٌ فِي الْفِقْهِ وَاللُّغَةِ ، وَقَدْ تُوَفِّيَ بِالطَّاعُونَ الْجَارِفُ^(١) الَّذِي ذَهَبَ فِيهِ كَثِيرُونَ مِنَ الْعُلَمَاءِ
سَنَةَ ٧٤٩ هـ (١٣٤٩).

أَمَّا ابْنُ خَلْدُونِ نَفْسُهُ (وَهُوَ وَلِيُّ الدِّينِ أَبُو زَيْدٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ ... ابْنِ
خَالِدِ بْنِ الْخَطَّابِ) فَقَدْ وُلِدَ فِي تُونِسَ غُرَّةَ رَمَضَانَ ٧٣٢ (٢٧ / ٥ / ١٣٣٢ م). وَتَلَّمَ ،
عَلَى أَبِيهِ وَعَلَى بَعْضِ عُلَمَاءِ تُونِسَ وَالْوَارِدِينَ إِلَيْهَا ، الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ حِفْظًا وَتَفْسِيرًا ثُمَّ
الْحَدِيثَ وَالْفِقْهَ وَاللُّغَةَ وَالنَّحْوَ وَكَثِيرًا مِنَ الشُّعْرِ .

وَفِي سَنَةِ ٧٤٨ هـ (١٣٤٧ م) اَلْتَحَقَ ابْنُ خَلْدُونِ بِحَاشِيَةِ أَبِي الْحَسَنِ الْمَرْيَنِيِّ سُلْطَانِ
مَرَاكُشَ^(٢) . غَيْرَ أَنَّ أَوَّلَ عَهْدِهِ بِمَرَاتِبِ الدَّوْلَةِ فَعَمَلًا كَانَ سَنَةَ ٧٥٢ هـ (١٣٥١ م) ، فَقَدْ
تَوَلَّى « كِتَابَةَ الْعَلَمَاءِ » (دِيْوَانَ الرِّسَالِ) لِأَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ تَافَرَائِكِينَ الْمُتَبَدِّلِ عَلَى الدَّوْلَةِ
يَوْمَئِذٍ بَتُونِسَ . ثُمَّ إِنَّهُ وَصَفَ لِأَبِي عَنَانَ صَاحِبِ فَاسَ^(٣) ، وَكَانَ يَجْمَعُ الْعُلَمَاءَ فِي بَلَاطِهِ ،
فَاسْتَقْدَمَهُ عَامَ ٧٥٥ هـ ثُمَّ اسْتَعْدَمَهُ فِي آخِرِ سَنَةِ ٧٥٦ هـ (آخِرَ عَامِ ١٣٥٥ م) ، ثُمَّ
غَضِبَ عَلَيْهِ فَسَجَنَهُ سَنَةَ ٧٥٨ هـ^(٤) .

وَتَقَلَّبَ ابْنُ خَلْدُونِ فِي الْبِلَادِ فَكَانَ عِنْدَ بَنِي مَرَيْنَ فِي فَاسَ (٧٦٠ هـ = ١٣٥٩ م) ،
وَعِنْدَ بَنِي عَبْدِ الْوَادِ فِي تِلْمَسَانَ (٧٦٣ هـ) ثُمَّ عِنْدَ بَنِي الْأَحْمَرِ فِي غَرْنَاطَةَ (٧٦٤ هـ) ؛
فَأَرْسَلَهُ بَنُو الْأَحْمَرِ فِي سَفَارَةٍ إِلَى بَطْرِهِ مَلِكِ قُشْتَالَةَ (بَطْرَسَ الرَّابِعَ الْقَاسِي) لِإِتْمَامِ عَقْدِ
الصُّلْحِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُلُوكِ الْمَغْرِبِ . ثُمَّ انْتَقَلَ هُوَ إِلَى الْمَغْرِبِ ، وَلَكِنَّهُ سَيَّمَ التَّطَوُّافَ
وَالْمُنَاصِبَ وَخَافَ عَوَاقِبَ السِّيَاسَةِ فَاتَّرَ الْأَعْتَزَالُ فِي قَلْعَةِ ابْنِ سَلَامَةَ ، شَرْقَ تِلْمَسَانَ ،
فَمَكَثَ عِنْدَ بَنِي الْعَرِيفِ أَرْبَعَ سَنَوَاتٍ وَبَدَأَ بِتَأْلِيْفِ كِتَابِهِ فِي التَّارِيخِ . وَلَكِنَّهُ أَحْتَاجَ
إِلَى مَوَادِّ لِكِتَابَتِهِ لَمْ تَكُنْ مَتَيِّسَةً فِي قَلْعَةِ ابْنِ سَلَامَةَ فَذَهَبَ إِلَى تُونِسَ
(٧٨٠ هـ = ١٣٧٨ م) .

(١) هُوَ الطَّاعُونَ الَّذِي عَمَّ أَوْرُوقَةُ وَعُرفَ عَنْدهُمْ بِاسْمِ « الْمَوْتِ الْأَسْوَدَ » .

(٢) أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَنَانَ ، تَوَلَّى الْمُلْكَ مِنَ الْمَهْرَمِ ٧٣٢ إِلَى جَدَايِ الْآخِرَةِ ٧٤٩ .

(٣) الْمُتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ أَبُو عَنَانَ فَارِسُ بْنُ عَلِيٍّ ، جَاءَ بَعْدَ أَبِيهِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيٍّ وَبَقِيَ فِي الْمُلْكِ إِلَى الْحَاسِ
وَالْعَشْرِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ ٧٥٩ .

(٤) رَاجِعِ الْقَصِيدَةَ الَّتِي نَظَمَهَا ابْنُ خَلْدُونِ فِي مَدِيحِ أَبِي عَنَانَ (فِي الْمَهْنَرَاتِ مِنْ آثَارِهِ) .

وفي سنة ٧٨٤ هـ (١٣٧٢ م) سار ابنُ خلدون إلى الحجّ، ولكنه لما وصل إلى مصرَ عرِضَ عليه القضاء على المذهب المالكي فقبله، فتأخّر ذهابه إلى الحجّ حتّى سنة ٧٨٩ هـ. وعاد من الحج إلى القاهرة وأتقطع فيها للتدريس حيناً ثم عاد إلى تولّي القضاء (٨٠١ هـ = ١٣٩٩ م).

ولما غزا تيمورلنك سورية ذهبَ الملكُ الناصرُ فرجُ^(١) ابنُ الملكِ الظاهر برقوقَ إلى دمشق ليُفاوضَ تيمورَ وأصطحب معه العلماء وفيهم ابنُ خلدون. ثم سمع الناصرُ فرجَ بؤامرةٍ عليه في مصرَ فأضطرَّ إلى العودة. فحملَ ابنُ خلدونِ التّبعةَ كلّها وذهبَ سرّاً على رأس وفدٍ لمفاوضة تيمورَ في الصلح وألقى بين يديه خطبةً نفيسة؛ فأكرمه تيمورُ عليها وأعادَه إلى مصرَ. وتولّى ابنُ خلدونِ القضاء بمصرَ بعد ذلك مراراً، ثم وافاه اليقينيُّ بالقاهرة في ٢٥ رَمَضانَ ٨٠٨ هـ (١٥ آذار - مارس ١٤٠٦ م).

٢- ابنُ خلدونِ أديبٌ وشاعرٌ وناقدٌ، ثم هو عالمٌ وفيلسوفٌ. وهو واضعُ علمِ الاجتماعِ ومُدوّنُ فلسفةِ التاريخ. أمّا أعظمُ آثاره فهو كتابه المشهورُ في التاريخ «كتابُ العيبرِ ودِيوانُ المُبتدِئِ والخبرِ في أيامِ العربِ والعجمِ والبربرِ ومن عاصرَهم من ذوي السلطانِ الأكبرِ»^(٢). وأهمُ أقسامِ هذا الكتابِ عامّةٌ وخاصةُ الجزءِ الأوّلِ منه وهو المعروفُ باسمِ «مُقَدِّمة»^(٣) ابنِ خلدونِ أو باسمِ «المُقَدِّمة» فحسبُ.

ولابنِ خلدونِ في «مُقَدِّمته» أسلوبانِ أسلوبٌ أنيقٌ كثيرُ التكلّفِ والتّصنيعِ

(١) السلطان ناصر الدين فرج بن برقوق من سلاطين المماليك البرجية (في مصر) جاء إلى العرش في شوال من سنة ٨٠١ ثم بقي على العرش (في المرة الأولى) إلى ربيع الأول من سنة ٨٠٨ (قبل وفاة ابن خلدون ستة أشهر).

(٢) تيمورلنك (٤). - تيمورلنك (تيمور الأعرج)، ولد سنة ٧٤٠ هـ (١٣٣٩ م)، تولّى الملك على بلاد ما وراء نهر جيحون (تركستان) من سنة ٧٧٢ إلى سنة ٨٠٨ (١٣٧٠ - ١٤٠٥ م) وكان فاتحاً ظالماً وسفكاً للدماء. ومنذ سنة ٧٨٢ هـ بدأ باجتياح إيران (فارس) وما يجاورها من البلاد. ثم اقتحم الشام (سورية) وخرب حلب ودمشق وبغداد (٨٠٤ - ٨٠٥ هـ) وهزم بايزيد يلديرم (بايزيد الصاعقة) سلطان الدولة العثمانية، قرب أنقرة، سنة ٨٠٥ هـ (١٤٠٢ م). ثم توفي تيمورلنك عشية عزمه على اقتحام الصين، سنة ٨٠٨ للهجرة (في السنة التي توفي فيها ابن خلدون). وتيمورلنك، كان برغم كلّ قسوته ومظالمة مسلماً مؤمناً وأديباً محباً للأدب.

(٣) مُقَدِّمة (بكر الدال الشدّة أو بفتحها).

تَجِدُهُ فِي دِيبَاجَةِ الْمَقْدَمَةِ وَفِي عَدِيدٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ مِنْ فُصُولِ الْمَقْدَمَةِ ثُمَّ أَسْلُوبٌ سَهْلٌ مُرْسَلٌ نَجِدُهُ فِي فُصُولِ الْمَقْدَمَةِ عَامَّةً (ذَلِكَ لِأَنَّ فُصُولَ الْكِتَابِ الْأُخْرَى مِنَ الْأَجْزَاءِ السَّتَةِ الْبَاقِيَةِ أَكْثَرُهَا تُقُولُ عَنْ آخَرِينَ).

وهنا موضع كلام على زمن تأليف كتاب «العير». يقول ابن خلدون (في آخر الجزء الأول: المقدمة):

«أَتَمَمْتُ هَذَا الْجُزْءَ الْأَوَّلَ بِالْوَضْعِ وَالتَّأْلِيفِ، قَبْلَ التَّنْقِيحِ وَالتَّهْذِيبِ، فِي مُدَّةٍ خَمْسَةِ أَشْهُرٍ آخِرُهَا مُنْتَصَفُ عَامٍ تِسْعَةٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ^(١). ثُمَّ تَقَعْتُ بَعْدَ ذَلِكَ وَهَذَّبْتُهُ وَأَلْحَقْتُ بِهِ تَوَارِيخَ الْأُمَمِ».

تناول عبد الرحمن بدوي هذا الموضوع (مؤلفات ابن خلدون، ص ٣٤ - ٤٠) ومال إلى أن يكون ابن خلدون قد وَضَعَ كِتَابَهُ كُلَّهُ (سبعة أجزاء) فِي نَسْخَتِهِ الْأُولَى عَلَى الْأَقْلَى، فِي مَدَى خَمْسِ سَنَوَاتٍ (راجع ص ٣٦). والذي أَمِيلُ إِلَيْهِ أَنَا أَنَّ ابْنَ خَلْدُونٍ قَدْ «دَوَّنَ» فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ مَا كَانَ قَدْ جَمَعَهُ مِنْ قَبْلِ مِنْ مَوَادِّ كِتَابِهِ. وَعِنْدِي أَيْضاً أَنَّ «الْمَقْدَمَةَ» (أَوِ الْجُزْءَ الْأَوَّلَ) قَدْ كُتِبَتْ بَعْدَ جَمْعِ تِلْكَ الْمَوَادِّ. بِهَذَا وَحْدَهُ نَسْتَطِيعُ فَهْمَ قَوْلِ ابْنِ خَلْدُونٍ (التعريف برحلة ابن خلدون، ص ٢٢٩): «وَشَرَعْتُ فِي تَأْلِيفِ هَذَا الْكِتَابِ وَأَنَا مُقِمٌّ (بقلمه ابن سلامة) وَأَكْمَلْتُ الْمَقْدَمَةَ عَلَى ذَلِكَ النُّحُو الْغَرِيبِ الَّذِي أَهْتَدَيْتُ إِلَيْهِ (تعليل التاريخ: فلسفة التاريخ) فِي تِلْكَ الْخَلْوَةِ. فَالَّتِ شَأْيِبُ^(٢) الْكَلَامِ وَالْمَعَانِي عَلَى الْفِكْرِ حَتَّى أَمْتَحِصْتُ زُبْدَهَا^(٣) وَتَأَلَّفْتُ تَنَائِجَهَا».

إِنَّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الْمَوْضُوعَ كُلَّهُ كَانَ فِي ذِهْنِ ابْنِ خَلْدُونٍ مُدَّةً طَوِيلَةً - يَعْمَلُ فِي عَقْلِهِ الْبَاطِنُ - كَمَا يَقُولُ عُلَمَاءُ النَّفْسِ - وَالْأَقْلَسُ مِنَ الْمَالُوفِ أَنَّ يَكْتُبُ إِنْسَانٌ مِثْلَ هَذَا الْمَوْضُوعِ الْجَدِيدِ التُّشَعُّبِ الْمُزْدَجِمِ بِالْأَقْوَالِ وَبِالْأَحْدَاثِ عَلَى سَبِيلِ الْأَسْتِشْهَادِ وَالتَّمْثِيلِ، وَفِي نَحْوِ مِائَةِ وَسَبْعِينَ أَلْفَ كَلِمَةٍ (فِي النُّسخة الْأُولَى مِنْ

(١) عام ١٣٧٧ للميلاد.

(٢) التَّوْبُوبُ (بِالضَّمِّ): الدَّفْعَةُ (بِالضَّمِّ) مِنَ الْمَطَرِ.

(٣) اسْتَحْضَ الْلَبْنَ (الْحَلِيبَ) تَحْرُكٌ فِي وَعَائِهِ. وَالْقَصْدُ هُنَا «مُخَصَّتْ» (بِالْبَيَانِ لِلْمَجْهُولِ) زَبْدُهَا: انْفَصَلَ السَّمْنُ مِنَ الْخَبِيضِ (مَاءِ اللَّبَنِ)، ظَهَرَتْ وَتَكَوَّنَتْ خِلَاصَتُهُ.

المقدمة)، في خمسة أشهر. فَلَغَلَّ ابنُ خَلْدُونِ كان قد جَمَعَ موادَّ كتابهِ كُلِّها ثم جَلَسَ في تلكِ المَدَّةِ يُؤَلِّفُ (يَجْمَعُ بعضَ موادِّهِ إلى بعضٍ) فبدأ، بطبيعة الحال، بالجزء الأول ثم أُنْقَلَ إلى تهذيبِ الأجزاء الباقية. ومع ذلك فالموضوعُ يحتاجُ إلى دراسةٍ داخليةٍ (مقارنةٍ بنصوصِ المقدمةِ أو الجزءِ الأولِ بنصوصِ الأجزاء الباقية).

* * *

وابنُ خَلْدُونِ مُحِيطٌ بكثيرٍ من علومِ الأقدمين قبلَ الإسلامِ ومن العلومِ الحديثةِ بعدَ ظُهورِ الإسلامِ، في الفلسفةِ النظريةِ وفي العِلْمِ العمليِّ معاً. ومعَ أن ابنَ خَلْدُونِ أَشْرَفِيٌّ في حياتهِ العمليَّةِ (يُفَضِّلُ الروايةَ الدينيةَ على الأخذِ بالعقلِ)، فإنَّه عِنْدَ البحثِ في كُلِّ شيءٍ من وُجوهِ الثقافةِ الإنسانيةِ (في الفلسفةِ وفي الدينِ أيضاً) مُعتزِلِيُّ المنهجِ (يأخذُ بقواعدِ المنطقِ وبما يدلُّ عليه العقلُ ثم بما هو مُشاهدٌ في الاجتماعِ الإنسانيِّ).

وهو أيضاً عالِمٌ حَسَنُ الروايةِ للعِلْمِ مُنْصِفٌ لخصومه واضحٌ في بَحْثِهِ يَرْضُ رأيَ الخصمِ كما يقولُ الخصمُ - وإن كان ذلكَ الرأيُ مُخالفًا لرأيِ ابنِ خَلْدُونِ نَفْسِهِ أو لاعتقاده أيضاً، كما نرى عِنْدَ كلامِهِ على اليهود والنصارى، في الفصلِ الثالثِ والثلاثينِ مِنَ الفصلِ الثالثِ (في طبعة دار الكتاب اللبناني: من «الباب» الثالث) من الكتابِ الأولِ^(١) مثلاً.

وإذا عَرَضَ ابنُ خَلْدُونِ للعلومِ الطبيعيَّةِ أو الرياضيَّةِ - وهيَ ليستُ علوماً داخليةً في اختصاصه - فإنَّه يُحْسِنُ عَرَضَها وتفهيمَها إلى حدٍّ كبيرٍ، كما نرى عِنْدَهُ في الكلامِ على الحسابِ والمهندسةِ أو على الفلكِ والجغرافيةِ أو على الكيمياءِ والطبِّ^(٢).

وإبنُ خَلْدُونِ مُؤَلِّفٌ له^(٣) (غيرُ كتابِ العِبرِ): لُبَّابُ المُحَصِّلِ^(٤) في أصولِ

(١) راجع المقدمة (بيروت ١٩٠٠ م)، ص ٢٣٠-٢٣٥ بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٦١ م، ص ٤٠٨-٤١٦.

(٢) مثلها، ص ٤٨٢ وما بعدها ثم ص ٨٩٤-٩١٩.

(٣) مؤلفات ابن خلدون، ص ٩ وما بعد.

(٤) «محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين» أو «المحصل من نهاية العقول في علم الأصول»: كتاب في الفلسفة العقلية أو فلسفة ما بعد الطبيعة (بروكلمن ١: ٦٦٨) للنخري الرازي، وهو أبو عبد الله محمد بن عمر، ولد =

الدين - تلخيصٌ عديدٌ من كتب ابنِ رُشدٍ^(١) - تقييدٌ في المنطق - كتابٌ في الحساب - شرحٌ رَجَزٍ في أصولِ الدينِ لِلسانِ السدينِ بنِ الخطيب^(٢) - شرحُ البردة^(٣) - شفاءُ السائلِ لتهذيبِ المسائل^(٤).

وَيَنْظِمُ ابْنُ خَلْدُونِ الشَّعْرَ فَيُطِيلُ. وَمُعْظَمُ شِعْرِهِ فِي الْمَدِيحِ وَفِيهَا يَتَّصِلُ بِالْمَدِيحِ. وَفِي شِعْرِهِ مَعَانٍ كَثِيرَةٌ أَكْثَرُهَا يَرِدُ عِنْدَ كِبَارِ شُعْرَاءِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَمْثَالِ أَبِي تَمَّامٍ وَابْنِ الرُّومِيِّ وَالْمُنْتَسَبِيِّ. وَفِي قَوَافِيهِ خَاصَّةً كَثِيرٌ مِنَ الْأَلْفَاظِ عَلَى صِيغٍ غَيْرِ مألُوفَةٍ، وَكَثِيرٌ مِنْ قَوَافِيهِ قَلْبٌ مَجْلُوبٌ (لَا يَنْزِلُ فِي خِتَامِ الْآيَاتِ مَنَزَلَةَ مألُوفَةٍ أَوْ مُسْتَقَرَّةٍ). وَعَلَى شِعْرِهِ عَامَّةً قَدْرٌ كَبِيرٌ مِنَ الْجَفَافِ وَقِلَّةٌ الطَّلَاوَةِ. وَكَانَ ابْنُ خَلْدُونِ يَشْعُرُ بِذَلِكَ كُلَّهُ، وَلِذَلِكَ قَالَ:

وَمَا كَانَ لِي نَظْمُ الْقَرِيضِ بِضَاعَةً، وَلَكِنْ دَعَا نِي نَحْوُ مَذْحَكٍ جَاذِبُ.

٣- مختارات من آثاره

- من المقدمة

(أ) من الديباجة:

الحمد لله الذي له العِزَّةُ والجَبْرُوتُ، وبِيدِهِ الْمُلْكُ وَالْمَلَكُوتُ^(٥)، وله الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى

= سنة ٥٤٣ أو ٥٤٤ للهجرة (١١٤٨ - ١١٥٠ م). وهو من المفسرين (لِلقرآن الكريم) ومن القتهاء والفلاسفة. كانت وفاته سنة ٦٠٦ هـ (١٢١٠ م).

(١) من كتب ابن رشد التي كان ابن رشد قد لخصها من كتب أفلاطون وأرسطو، فيما يبدو، ككتاب السياسة (المعروف باسم «الجمهورية») لأفلاطون، وكتاب السياسة لأرسطو (راجع مؤلفات ابن خلدون، ص ٩ - ١٠).

(٢) لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ).

(٣) البردة: بديهة (قصيدة في مدح محمد رسول الله) لكتب بن زهير التوماني سنة ٢٦ للهجرة (٦٤٥ م) (راجع الجزء الأول، ص ٢٨٢ وما بعد).

(٤) في مسائل مختلفة، منها التصوف.

(٥) العِزَّة: الغلبة (المنقلب على كل ما سواه). الجبروت: القهر (حل الناس على الطاعة). الملك (الحكم في الأرض) والملَكُوت (الحكم في السماء). - الجبروت والملَكُوت (هما في الأغلب بصيغة الجمع - بالواو والتاء من اللغات الأعرابية (التي يقال لها خطأ سامية - للدلالة على جميع أنواع الملك إلخ).

والنموت؛ العالم فلا يَغْزُبُ عنه ما تُظْهِره النُّجُوى^(١) أو يُخفيه السكوت، القادرُ فلا يُعْجِزه شيءٌ في السموات والأرض ولا يفوت. أنشأنا من الأرض نَسْأً^(٢)، وأسْتَعْمَرْنَا فيها أجيالاً وأممًا، ويسر لنا منها أرزاقاً وقِسْماً، تَكْتَفُنَا الأرحام والبيوت، ويَكْفُلُنَا الرزق والقوت، وتُبَلِّينَا الأيام والوقوت، وتَمْتَوِرُنَا الآجال التي خُطَّ علينا كِتابُها الموقوت^(٣). وله البقاء والثبوت. وهو الحيُّ الذي لا يموت.....

أما بعد، فإنَّ فنَّ التاريخ من الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال وتُسَدُّ إليه الرُكائِبُ والرَّحَالُ^(٤)، وتسمو إلى معرفته السُّوقَةُ والأغفال، وتتنافس فيه الملوك والأقيال، ويتساوى في فهمه العلماء والجهال^(٥)؛ إذ هو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدُّوَلِ والسوابق من القرون الأول، تنمو فيها الأقوال^(٦)، وتُضْرَبُ فيها الأمثال، وتُطْرَفُ بها الأندية إذا غَصَّها الاحتفال^(٧).....

-
- (١) عزب يعزب: غاب، خفي. النجوى: الكلام سرّاً بين شخصين.
 (٢) أنشأنا (صنعنا، خلقنا) من الأرض (التراب) نَسْأً (حياة) - جعل الحياة من شيء لا حياة فيه.
 (٣) تكتفنا: تحيط بنا. الرحم (بفتح فكس): كيس في بطن الأنثى يتخلق فيه المولود. - نحن (وكل شيء آخر) محدودون بالأمكنة، أما هو (الله) فلا يحويه مكان (لمطمته) ولا يحده. يكفلنا الرزق والقوت (الطعام يقيتنا أحياء). أما هو فلا يحتاج إلى من يرزقه ولا يحتاج إلى طعام. تبليتنا: تهلكنا (تأخذ من قوتنا وحياتنا وعمرنا). تمتورنا الآجال (الأجل: مدى عمر الإنسان): تتداولنا (يموت بعضنا إثر بعض). الكتاب الموقوت: الموت.
 (٤) الركوبة (بالفتح): دابة يهاجر الناس عليها. الرجل (بالكس): ما يوضع على ظهر الدابة للركوب عليها. تَسُدُّ إليه.... (يقصده الناس).
 (٥) السوق: الرعية، عامة الناس أو العامة من الناس. الأغفال جمع غُفْل (بالضم): الإنسان العادي، من لا حسب (عمل مجيد) له، الذي لا يعرفه أحد. القيل (بالفتح): ملك اليمن (الملوك من عرب الشمال والأقيال من عرب الجنوب: جميع الملوك). يتساوى فيه العلماء (يعرفه العلماء) والجهال (يُدْهِمُ معرفته الجهال) أو: يُتَرَّ بَسَاعَهُ العلماء والجهال.
 (٦) تسمو (تكثر، تزيد) فيه الأقوال: يضيف إليه الناس أشياء ليست منه.
 (٧) تُطْرَفُ به الأندية (أماكن اجتماع الناس) إذا غَصَّها (ملأها) الاحتفال (اجتماع الناس): يكون التاريخ (القصص - بفتح فتح - وأخبار الناس) طريفاً (جديداً) - ولو أعيد ذكر الحادثة الواحد، مرةً بعد مرةً، محبوباً).

(ب) في أن من طبيعة الملك الترف:

وذلك أن الأمة إذا تغلبت وملكت ما بأيدي أهل الملك قبلها كثر رباؤها^(١) ونعمتها فتكثر عوائدهم ويتجاوزون ضرورات العيش وخشوتها إلى نوافله^(٢) ورقته وزينته ويذهبون إلى من قبلهم في عوائدهم وأحوالهم. وتصير لتلك النواقل عوائد ضرورية في تحصيلها، وينزعون مع ذلك إلى^(٣) رقة الأحوال في المطاعم والملابس والفرش والأنية، ويتفاخرون في ذلك ويفاخرون فيه غيرهم من الأمم: في أكل الطيب ولبس الأنيق وركوب الفاره، ويُناغى^(٤) خلفهم في ذلك سلفهم إلى آخر الدولة. وعلى قدر ملكهم يكون حظهم من ذلك وترفعهم فيه إلى أن يلبسوا من ذلك الغاية التي للدولة أن تبذلها بحسب قوتها وعوائدها من قبلها. سنة الله في خلقه، والله تعالى أعلم.

(ج) العباسة أخت الرشيد^(٥) (المقدمة ١٥ / ٢٢):

ومن الحكايات المدخولة^(٦) للمؤرخين ما ينقلونه كافة في سبب نكبة الرشيد للبرامية من قصة العباسة أخته مع جعفر بن يحيى بن خالد مولاها^(٧)، وأنه لكلفه بمكانها من معاقرته إياها الخمر^(٨) أذن لها في عقد النكاح دون الخلوة حرصاً على اجتماعها في مجلسه، وأن العباسة تحيلت عليه في آلتها الخلوة به لها شغفها من

(١) الرباش (جمع ريش): المال والأثاث - الأدوات التي يجمعها الناس في بيوتهم - (تاج العروس - الكويت ٢٣٠ : ١٧).

(٢) العوائد هنا: العادات (أو دخلهم من المال). النافلة: ما يريد على المطلوب أو الضروري.

(٣) نزع إلى الشيء: مال إليه.

(٤) الأنيق: الجميل المنظر، ما يحسن شكله في العين. الفاره (بالهاء): الدابة الجميلة المنظر والنشطة في سيرها. يناغى: يداغى، يناض.

(٥) راجع كتاب «تجديد التاريخ» للمؤلف، ص ١٥٢ وما بعد.

(٦) المدخولة: التي فيها خطأ (لا صحة لها).

(٧) مولاها: المنتسب بالولاء إليه: كان غير العربي إذا دخل في الإسلام آتسب إلى أحد رجال العرب (المسلمين) بالولاء أو إلى قبيلته. مثال ذلك أبو تمام الطائي (شعر رومي) - يوناني - الأصل، ينتسب إلى بني طيء بالولاء: بالوادة والطاعة.

(٨) الكلف: الشغف، الميل (بالفتح) والمهبة.

حُبّه - زَعَمُوا فِي حَالَةِ السُّكْرِ - فَحَمَلَتْ وَوُشِيَ بِذَلِكَ لِلرَّشِيدِ فَاسْتَغْضَبَ^(١).

وهيأت ذلك^(٢) من مَنَصِبِ العباسية في دِينِهَا وَأَبَوْنَهَا وَجَلَّالَهَا، وَأَنَّهُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا أَرْبَعَةُ رِجَالٍ هُمْ أَشْرَافُ الدِّينِ وَعُظْمَاءُ الْمِلَّةِ^(٣) مِنْ بَعْدِهِ. وَالْعَبَّاسِيَّةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ الْمَهْدِيِّ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ بْنِ مُحَمَّدٍ السَّجَّادِ بْنِ عَلِيٍّ أَبِي الْخَلَفَاءِ^(٤) بْنِ عَبْدِ اللَّهِ تَرْجُمَانُ الْقُرْآنِ^(٥) ابْنِ الْعَبَّاسِ عَمِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ابْنَةُ خَلِيفَةٍ أُخْتُ خَلِيفَةٍ^(٦) مَحْفُوفَةٌ^(٧) بِالْمُلْكِ الْعَزِيزِ وَالْخِلَافَةِ النَّبَوِيَّةِ وَصُحْبَةِ الرُّسُولِ وَعُمُومَتِهِ وَإِقَامَةِ الْمِلَّةِ^(٨) وَنُورِ الْوَحْيِ وَمَهَيْطِ الْمَلَائِكَةِ مِنْ سَائِرِ جِهَاتِهَا قَرِيبَةً عَهْدٍ بِبِدَاوَةِ الْعُرُوبِ وَسَدَاجَةِ الدِّينِ^(٩) الْبَعِيدَةِ عَنْ عَوَائِدِ التَّرَفِّ وَمَرَاعِ الْفُحْشِ. فَأَيْنَ يُطَلَّبُ الصَّوْنُ وَالْعَفَافُ إِذَا ذَهَبَا عَنْهَا؟ أَوْ أَيْنَ تَوْجِدُ الطَّهَارَةَ وَالذِّكَاءَ^(١٠) إِذَا قُفِدَا مِنْ بَيْتِهَا؟ أَوْ كَيْفَ تُلْحَمُ نَسَبُهَا بِجَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى وَتُدْنَسُ شَرَفُهَا الْعَرَبِيُّ بِمَوْتِ مَنْ مَوَالِي الْعِجَمِ..... وَكَيْفَ يَسُوغُ مِنَ الرَّشِيدِ أَنْ يُضْهَرَ إِلَى مَوَالِي الْأَعَاجِمِ عَلَى بُعْدِ هِمَّتِهِ وَعِظَمِ آبَائِهِ. وَلَوْ نَظَرَ التَّمَاكُلُ فِي ذَلِكَ نَظَرَ الْمُصَيِّفِ وَقَاسَ الْعَبَّاسِيَّةَ بِابْنَةِ مَلِكٍ مِنْ عِظَمَاءِ مُلُوكِ زَمَانِهِ لَأَسْتَنْكَفَ^(١١) لَهَا عَنْ مِثْلِهِ مَعَ مَوْتِ مَنْ مَوَالِي دَوْلَتِهَا وَفِي سُلْطَانِ قَوْمِهَا وَأَسْتَنْكَرَهُ وَلَجَ^(١٢) فِي تَكْذِيبِهِ. وَأَيْنَ قَدَّرُ الْعَبَّاسِيَّةَ وَالرَّشِيدَ مِنَ النَّاسِ^(١٣)!

(١) استغضب، المقصود: أغضب، بالبناء للمجهول: قُلْ بِهِ مَا يَدْعُو إِلَى الْغَضَبِ.

(٢) هيأت ذلك: ما أبعد ذلك!

(٣) الملة (هنا): الدين، الإسلام.

(٤) مُحَمَّدُ الْمَهْدِيُّ (ابْنُ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ): الْخَلِيفَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ الثَّالِثُ. أَبُو الْخَلَفَاءِ: الَّذِي كَانَ (جَمِيعُ) الْخَلَفَاءِ (الْعَبَّاسِيِّينَ) مِنْ نَسْلِهِ.

(٥) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ ابْنُ عَمِّ الرُّسُولِ، كَانَ مَوْثُوقًا فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ.

(٦) ابْنَةُ خَلِيفَةٍ (ابْنَةُ مُحَمَّدٍ الْمَهْدِيِّ) أُخْتُ خَلِيفَةٍ (أُخْتُ هُرُونِ الرَّشِيدِ).

(٧) محفوفة: محاطة (من قرب).

(٨) إقامة الملة: المحافظة على عقائد الدين وتعاليمه.

(٩) سداجة الدين: بساطة الدين وصفاءه.

(١٠) الذكاء (كذا في الأصل). اقرأ: الزكاء (بالزاي) أُخْتُ الرَّاءِ: الطَّهَارَةُ.

(١١) أَسْتَنْكَفَ: كَرِهَ، اِمْتَنَعَ، رَفَضَ.

(١٢) لَجَّ: اِسْتَمَرَّ (أَصْرًا).

(١٣) هُرُونُ الرَّشِيدِ وَأُخْتُهُ الْعَبَّاسِيَّةُ فَوْقَ مَسْتَوَى النَّاسِ الْعَادِيِّينَ.

ولما نكَبَ البرامكة ما كان من آسِنَادِهِم على الدَّولَةِ وَاحتِجَافِهِمُ أُمُوالَ الجَبَايةِ^(١).....

(د) تقليد المغلوب للغالب:

يقول ابن خلدون^(٢):

في أَنَّ المَغْلُوبَ مُولِعٌ أَبَدًا بِالْأَقْتِدَاءِ بِالْغَالِبِ في شِعَارِهِ وَزِيَّهِ وَنِحْلَتِهِ^(٣) وَسَائِرِ أحوَالِهِ وَعَوَائِدِهِ^(٤) - وَالسَّبَبُ في ذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ أَبَدًا تَعْتَقِدُ الْكَمَالَ فيمن غَلِبَهَا وَانْقَادَتْ إِلَيْهِ، إِمَّا لِنِظَرَةٍ^(٥) بِالْكَمَالِ بِهَا وَقَرَّ^(٦) عِنْدَهَا من تَعْظِيمِهِ أَوْ لِمَا تُغَالِطُ بِهِ (ذَاتَهَا)^(٧) مِنْ أَنَّ اتِّقَادَهَا (ذَلِكَ) لَيْسَ لِقَلْبٍ طَبِيعِيٍّ^(٨)، إِنَّمَا هُوَ لِكَمَالِ الْغَالِبِ، فَلِذَا (هِيَ) غَالِطَتْ (ذَاتَهَا) بِذَلِكَ (كَانَ ذَلِكَ) لَهَا أَعْتِقَادًا فَاتَّحَلَّتْ^(٩) جَمِيعَ مَذَاهِبِ الْغَالِبِ وَتَشَبَّهَتْ بِهِ. وَذَلِكَ هُوَ الْأَقْتِدَاءُ. (وَرُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ) لِمَا تَرَاهُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - مِنْ أَنَّ غَلَبَ الْغَالِبِ لَهَا لَيْسَ بِعَصِيَّةٍ وَلَا قُوَّةٍ بِأَسْرِ^(١٠)، وَإِنَّمَا هُوَ بِمَا اتَّحَلَّتْهُ مِنَ الْعَوَائِدِ وَالْمَذَاهِبِ تُغَالِطُ أَيْضًا بِذَلِكَ عَنِ الْقَلْبِ، وَهَذَا رَاجِعٌ لِلأَوَّلِ. وَلِذَلِكَ تَرَى الْمَغْلُوبَ يَتَشَبَّهُ أَبَدًا بِالْغَالِبِ في مَلْبَسِهِ وَمَرْكَبِهِ وَسِلَاحِهِ في اتِّخَاذِهَا وَأَشْكَالِهَا^(١١) بَلْ وَفِي^(١٢) سَائِرِ أحوَالِهِ. وَانْظُرْ ذَلِكَ

(١) احتجف الرجل الشيء: استخلصه (حازه، أخذه بغير حق). الجباية: الضرائب الواجبة للدولة على الناس.

(٢) المقدمة ١٤٧/٢٥٨.

(٣) الشعار: العلامة، الثارة الدالة على شرف أو منصب. النحلة (بالكسر): الدين.

(٤) العوائد (المادات).

(٥) النظرة: اللحظة، (رؤية، اعتقاد).

(٦) قر: ثبت.

(٧) تُحِيلُ لِنَفْسِهَا.

(٨) القلب الطبيعي (القائم على القوة أو الفضل أو البقي في مبادئ الحياة).

(٩) اتحللت: اتخذت، عملت.

(١٠) الشدة في الحرب، القوة.

(١١) لا يكتفي الضعيف بتقليد القوي في نوع طعامه مثلاً، بل في الشكل (الصورة) الخاص الذي يملكه القوي في تناول طعامه.

(١٢) «بل وفي» تعبير خاطيء (بزيادة الواو) يرد عند ابن خلدون وعند غيره كإبن تيمية (ت ٨٢٧ هـ) مثلاً.

في الأبناء مع آبائهم كيف تجدهم مُشبهين بهم دائماً، وما ذلك إلا لأعتقادهم الكمال فيهم.

وأنظرُ إلى كُلِّ قُطرٍ من الأقطار كيف يَغلبُ على أهله زِيُّ الحامية^(١) وجُنْدِ السُّلطانِ في الأكثرِ لِإِتِّمِ الغالبون لهم، حتَّى إِنَّه إذا كانت أُمَّةٌ تُجاوِرُ أخرى - ولها الغلبُ عليها - فيسري إِلَيْهِمْ من هذا التَّشْبِهُ والاقْتِدَاءُ حظُّ كبيرٌ، كما هو في الأندلس لهذا العَهْدِ مع أَمِّرِ الجَلالَةِ^(٢) فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ يَتَشَبَّهون بِهِمْ في مَلابِسِهِمْ وشاراتهم و (في) الكثيرِ من عَوائِدِهِمْ وأحوالهم حتَّى في رَسْمِ الثَّائِلِ^(٣) في الجُدرانِ والمصانِعِ^(٤) والبيوتِ، حتَّى لقد يَتَشَبَّهُ^(٥) مِنْ ذَلِكَ النَّاظِرُ بِعَيْنِ الحِكْمَةِ أَنَّهُ من علاماتِ الأَسْتِيلاءِ^(٦). والأمرُ لله. (ثم) تأمَّلْ في ذلك سِرَّ قَوْلِهِمْ: «العامةُ على دينِ المَلِكِ»^(٧)، فَإِنَّهُ من بابِهِ^(٨)، إِذِ المَلِكُ غَالِبٌ لِمَنْ تَحْتَ يَدِهِ، والرَّعِيَّةُ مُقْتَدُونَ به لاعتقادِ الكمالِ فيه اعتقادَ الأبناءِ بِآبائِهِمْ والمُتَعَلِّمينِ بِمُعَلِّمِيهِمْ. واللهُ العَلِيمُ الحَكِيمُ، وبِهِ سُبْحَانَهُ وتعالى التوفيقُ.

(هـ) العلوم العددية:

وأولُّها الأرقامُ التي^(١)، وهو مَعْرِفَةُ خواصِّ الأعدادِ من حيثُ التَّأْلِيفِ^(٢): إمَّا على

-
- (١) الحامية: الجنود المكفون بحفظ الحدود (ويكونون عادة من جنود القوي الذي يحتلّ بلدًا ضيقًا).
 - (٢) الجلالة: سكّان الجانب الشمالي الغربي من شبه جزيرة الأندلس (هنا: نصارى الأندلس).
 - (٣) الثائيل هنا (صور الرجال النصارى ورموزهم).
 - (٤) المصنع (هنا) حوض الماء أو البناء العظيم (القصر).....
 - (٥) استشر الشيء: أحس به.
 - (٦) ... استيلاء الإِسباني على الأندلس. (قال ابن خلدون ذلك قبل خروج العرب من الأندلس بنحو مائة عام).
 - (٧) في المثل المشهور: الناس على دين ملوكهم.
 - (٨) من بابِهِ: من نوعه.
 - (٩) الأرقامُ التي: الحساب.
 - (١٠) نسق الأعداد على نظام معين.

التوالي^(١) أو بالتضميف^(٢)؛ مثل أَنَّ الأعدادَ إذا تَوَالَتْ مُتَفَضِّلَةً بِعَدَدٍ وَاحِدٍ، فَإِنَّ جَمْعَ الطَّرَفَيْنِ مِنْهَا مُسَاوٍ لْجَمْعِ كُلِّ عَدَدَيْنِ بَعْدَهَا مِنَ الطَّرَفَيْنِ بَعْدَ وَاحِدٍ^(٣)، ومثلُ ضِعْفِ الواسِطَةِ^(٤).... ومثلُ أَنَّ الأعدادَ إذا تَوَالَتْ عَلَى نِسْبَةٍ وَاحِدَةٍ بَأَن يَكُونَ أَوَّلُهَا نِصْفَ ثَانِيهَا، وَثَانِيهَا نِصْفَ ثَالِثِهَا، الخ، أَوْ يَكُونَ أَوَّلُهَا ثُلْثَ ثَانِيهَا، وَثَانِيهَا ثُلْثَ ثَالِثِهَا، الخ، فَإِنَّ ضَرْبَ الطَّرَفَيْنِ أَحَدِهِمَا فِي الْآخَرِ (يَكُونُ حِينَئِذٍ) كَضَرْبِ كُلِّ عَدَدَيْنِ بَعْدَهَا مِنَ الطَّرَفَيْنِ بَعْدَ وَاحِدٍ أَحَدِهِمَا فِي الْآخَرِ^(٥)، ومثلُ مُرْبِعِ الواسِطَةِ^(٦).....

(و) لغة القرآن الكريم:

اعْلَمْ أَنَّ لِسَانَ الْعَرَبِ وَكَلَامَهُمْ عَلَى فَنَيْنِ: فَنُ الشَّعْر، وَهُوَ الْكَلَامُ الْمَنْظُومُ الْمُقَنَّى - وَمَعْنَاهُ أَنْ تَكُونَ أَوْزَانُهُ كُلُّهَا عَلَى رَوْيٍ وَاحِدٍ وَهُوَ الْقَافِيَةُ ؛ وَفَنُ النَّثْرِ، وَهُوَ الْكَلَامُ غَيْرُ الْمَوْزُونِ. وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَنَيْنِ يَشْتَمِلُ عَلَى فَنَوَيْنِ وَمِزَاجَيْنِ فِي الْكَلَامِ.....

وَأَمَّا الْقُرْآنُ^(٧) وَإِنْ كَانَ مِنَ الْمَنْثُورِ إِلَّا أَنَّهُ خَارِجٌ عَنِ الْوَصْفَيْنِ. وَلَيْسَ يُسَمَّى مُرْسَلًا مُطْلَقًا وَلَا مُسَجَّمًا^(٨)، بَلْ تَفْصِيلُ آيَاتِهِ يَنْتَهِي إِلَى مَقَاطِعَ يَشْهَدُ الذَّوْقُ بِانْتِهَاءِ الْكَلَامِ عِنْدَهَا^(٩)، ثُمَّ يُعَادُ الْكَلَامُ فِي الْآيَةِ الْآخَرَى بَعْدَهَا وَيُتَنَّى مِنْ غَيْرِ التَّزَامِ حَرْفٍ

(١) على التوالي بفرق معين: ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، الخ.

(٢) التضميف: ضرب الأعداد في السلسلة المتوالية الأعداد بعدد معين. ضرب الأعداد باثنين، مثلاً، ١،

٢، ٤، ٨، ١٦، الخ، أو بثلاثة: ١، ٣، ٩، ٢٧، ٨١، الخ، أو بخمسة: ١، ٥، ٢٥، ١٢٥، ٦٢٥، الخ.

(٣) في: ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، الخ. أو مضطمة (أي ١٢) = ٨ + ٤.

(٤) راجع الحاشية التي قبل السابقة: ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، الخ (كل عدد هنا هو نصف العدد الذي بعده. وفي الحاشية نفسها: ٣ هي ثلث ٩، و ٩ هي ثلث ٢٧، الخ.

(٥) في المتوالية بالتضميف، ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، الخ مثلاً، ٨ × ٨ = ٦٤ × ٤ = ٢٥٦، الخ. أو ٨ × ٢ = ١٦ × ٢ = ٣٢، الخ.

(٦) حينما يأتي في آخر أبيات الشعر ألفاظ مثل: مال، نالوا، أزالوا، حال، فاللام هي الروي، أما القافية فهي مال، نالوا، الخ.

(٧) القرآن (القراءة): كلام الله القديم المدون في المصحف. لا تقل: عندي قرآن. قل: قرأت القرآن - عندي مصحفان - قرأت في المصحف.

(٨ و ٩) لا يقال للألفاظ التي في أواخر آيات القرآن: (السورة ١١٣): ﴿قُلْ: أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ =

يكونُ سَجْماً ولا قافية.....

(ز) تعريف الشعر:

الشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف، المفضلُ بأجزاء متفقة في الوزن والروي (مستقلاً) كلُّ جزءٍ منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده والجاري على أساليب العرب المخصوصة به..... وقولنا الجاري على الأساليب المخصوصة به فصلٌ له (أي يفصله، يحمله مفصلاً مختلفاً) عما لم يجز منه على أساليب الشعر المعروفة؛ فإنه حينئذٍ لا يكونُ شِعْراً، إنَّما هو كلامٌ منظوم، لأنَّ الشعر له أساليبٌ تخصه لا تكون للمنثور. وكذا أساليبُ المنثور لا تكون للشعر. فما كان من الكلام منظوماً وليس على تلك الأساليب فلا يُسمى شعراً. وهذا الاعتبار^(١) كان الكثيرُ ممن لقيناه من شيوخنا^(٢) في هذه الصناعة الأدبية يرون أن نظم المتنبي والمعري ليس هو من الشعر في شيء لأنَّهما لم يجزيا على أساليب العرب فيه.....

اعلم أن لعمَلِ الشعر وإحكام صناعته شروطاً أولها الحِفْظُ من جنسه، أي من جنس شعر العرب، حتَّى تنشأ في النفس ملكةٌ يُنسجُ على مِنوالها. ويُتَخَيَّرُ المحفوظُ من الحرِّ النقيِّ الكثيرِ الأساليب. وهذا المحفوظ المختار أقلُّ ما يكفي فيه شعرُ شاعرٍ من الفحول الإسلاميين^(٣) مثل ابن أبي ربيعة وكثيرٍ وذي الرُّمة وجريز وأبي نواسٍ وحبيبٍ والبحرّري والرضي وأبي فراس..... والمختارُ من شعر الجاهلية. ومن كان خالياً من المحفوظ فنظمه قاصراً ردياً. ولا يُعطيه الرونق والحلاوة إلّا كثرةُ المحفوظ.

= * ومن شرَّ غاسقٍ إذا وقب * ومن شرَّ نفاثاتٍ في العُقد * ومن شرَّ حاسدٍ إذا حدَّ * أسجاع (كما في الخطب الجاهلية مثلاً)، بل فواصل بين الجمل جاءت فيها هذه الألفاظ في محلّها (بلا قصد للموافقة بين الأحرف).

(١) الاعتبار: العبرة (بالكسر)، أي الاتِّعَاطُ بالحوادث التي تمرُّ بالإنسان، الاستفادة من أخطاء الآخرين ومن مصائبهم. والمقصود هنا: إنعام النظر (تفهم الأمور).

(٢) الشيوخ: الأساتذة الكبار.

(٣) الشعراء الإسلاميون هم الذين كانوا في صدر الإسلام (أهام الخلفاء الراشدين) وفي الدولة الأموية: حسان ابن ثابت وعمر بن أبي ربيعة وجريز والأخطل الصرّافي كانوا شعراء إسلاميين.

(ج) اللفظ والمعنى:

(ويجب على الشاعر أن) يَحْتَنِبَ الْمُعَقَّدَ من التراكيب جُهْدُهُ، وَإِنَّا يَقْصِدُ منها ما كانت معانيه تُسابق ألفاظه إلى الفهم. وكذلك كَثْرَةُ المعاني في البيت الواحد، فَإِنَّ فيه نَوْعَ تعقيدٍ على الفهم، وَإِنَّا الْمُخْتَارُ منه ما كانت ألفاظه طَبَقًا على معانيه أو أَوْفَى^(١) منها قليلاً. فَإِنْ كانت المعاني كثيرة كانت حَسْرًا، واشتغل الذهن بالقَوْصِ عليها فَتَنَعَ الذوقَ مِنْ أَسْتِفاءِ مَذْرِكِهِ من البلاغة. ولا يكون الشعر سَهْلًا إِلَّا إِذَا كانت معانيه تُسابق ألفاظه إلى الذهن. ولهذا كان شُبُوحُنَا، رَحِمَهُمُ اللهُ، يَعْيِيون شعرَ أبي بكرٍ أَيْنَ خَفَاجَةٍ شاعرٍ شَرِقي الأندلسِ لِكَثْرَةِ معانيه وازدحامها في البيت الواحدِ كما كانوا يَعْيِيون شعرَ المتنبي والمعرِّي بِعَدَمِ^(*) النسيجِ على الأساليب العربية، كما مرَّ، فكان شعرُهما كلاماً منظوماً نازلاً عن طَبَقَةِ الشعر؛ والحالُكُم بِذلك هو الذوقُ.

(ط) نشأة الموشح:

(راجع الجزء الرابع، ص ٤٢٢ و ٤٣٥).

- مدح أبي عنان فارس:

كان أبو عنانٍ فارسُ المتوكلِ على الله أَحَدَ سَلَاطِينِ بني مَرْيَمَ في فاس (٧٤٩-٧٥٩ هـ) قد غَضِبَ على أبنِ خَلْدُونٍ وَحَبَسَهُ. وَلَمَّا طَالَ الزَّمَنُ على أبنِ خَلْدُونٍ في السَّجْنِ، نَظَّمَ قصيدة في مدحِ أَبِي عِنَانِ المتوكلِ على الله - وكان قد مَضَى عليه في السَّجْنِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْرًا - وَأَرْسَلَهَا إليه في الثَّلَاثِ الأوَّلِ من شهرِ شَعْبَانَ من سَنَةِ ٧٥٩ هـ (في أواسطِ تَمُوزَ - يوليو من عام ١٣٥٨ م). من هذه القصيدة:

على أَيِّ حَالٍ لِلْيَالِيِ أَعَاتَبُ؟ وَأَيُّ صُرُوفٍ لِلزَّمَانِ أَغَالِبُ^(٢)؟
كفى حَزَنًا أَنِّي على القُربِ نازِحٌ وَأَنِّي على دَعْوَى شُهُودِي غَائِبُ^(٣)؛

(١) أوفى: أكثر.

(*) عدم النسيج: ترك النسيج (كلمة «عدم» هنا ستمثلة على غير الوجه الصحيح).

(٢) صُرُوف الدهر: أحداثه (مصائبه).

(٣) نازح: بعيد. وَأَنِّي على دَعْوَى شُهُودِي غَائِبُ (مع أَنِّي موجود في بلدك، فَأَنَا غَائِبٌ عن رعايتك).

وَأَتَيْ عَلَى حُكْمِ الْحَوَادِثِ نَازِلٌ
أَجْنُ إِلَى إِلَهِي، وَقَدْ حَالَ دُونَهُمْ
وَمَا أُنْسَ لَا أُنْسَ الْوَدَاعِ، وَقَدْ جَرَتْ
عَشِيَّةً بَانُوا وَالْقُلُوبُ جَوَامِدُ،
وَقَفْنَا وَلَا نَجْوَى سِوَى بَيْنَ أَغْيَى
مَضَوْا يُزِيمُونَ السَّيْرَ إِلَّا تَلَفُتْنَا
وَأَتَبَعْتُهُمْ طَرَفِي وَقَلْبِي، وَمَا دَرَوْا
رَعَى اللَّهُ عَهْدًا ضَمَهُ أَفَقُ ثَوْنِ
وَجَادَتْ عَلَيْهِ الْغَانِيَاتُ بِهَا حَوْنُ
بِلَادُهَا فَضَّ الشَّبَابُ تَائِمِي
يُذَكِّرُنِي عَهْدَ الرُّضَا فِي جَنَابِهَا
فَأُضْبِو، وَلَكِنْ أَيْنَ مَنِي مَزَارُهَا،

- (١) الإلف: الرفيق، صاحب الذي تَعَوَّدت صحبته. المهمة: المفازة (الصحراء) البعيدة. الفيح (جمع أفيح وفيحاء): الواسعة. السبب: المفازة (الصحراء).
(٢) زَمَتْ (بالبناء للمجهول) الركوبة (بالفتح): أخرجت الدابة للركوب عليها والسير بها.
(٣) بَانُوا: ابتعدوا، رحلوا. القلوب جوامد: صابرة، ساكنة. عقيق: أحمر. (دموع حمراء كأنها من دم).
(٤) النجوى: الكلام سرّاً بين شخصين. - الدموع هي التي أعلنت أن بيننا حباً.
(٥) أزع السير: نوى السير، قصد. الأراك: شجر. الربائب جمع ربيعة: الصغير الذي يرمى عند غير أهله، ثم واحدة الغنم (من الضأن أو المعزى) التي تربط إلى جانب البيت ولا تسرح في المراعي (وليس في هذه صدقة). والمقصود هنا: الغزلان (النساء الجميلات).
(٦) طرفي: نظري. ذاهب (ميت).
(٧) الألق (هنا): المنطقة، البلد. راع فلان فلاناً: أخافه.
(٨) الغانية: المرأة الجميلة. الظلم: الرقيق.
(٩) التميمية: عوذة (بالضم) أو حرز يملق على أجسام الأطفال. فضّ الشباب تائمي: ثأّت فيها حتّى بلغت الشباب. التريبة: عظمة في الجانب الأهل من الصدر. ولا مسّ فيها التربّ النح: ولدت فيها. راجع قول الشاعر الأعراي (نفع الطيب ١: ١٧٣):
بلاد بها عتق الشباب تائمي وأول أرض مسّ جلدي ترايها.
(١٠) أصبو: اشتاق، وإن لم تغن عني الحائب (كان مطر الحباب أقل من دموعي).

وقد أمتطي فكري لدى الليل مركباً
وأغشو إلى مدح الخليفة فارس
إمام هدى ضاءت شمس أهدائه
فعقل، إذا ما أظلم الخطب، نير؛
تراحم تيجان الملوك يبابه
لك الله من ملك أغر مهذب
جبرت عباد الدين بعد أنصداه
وشيدت فخراً في دؤابة مشر
ومهدت ركن الملك منك بعزيمة
ودوخت أرض الغرب حتى سابت
ولما طغى بالشرق كل مكذب

بذكر الذي تُعدى إليه الركائب^(١).
فتنجا بعتي للخطوب غياهب^(٢).
فبانست لنا من بين المذاهب^(٣).
وفكر، إذا ما أشكل العلم، ثاقب^(٤).
كما أزدحت بالدارعين المواب^(٥).
تقيل المرامي عنده والمناصب^(٦).
على حين لم يجبر له الصدع شاعب^(٧).
نمتك إلى العلياء منهم عصائب^(٨).
تذب بها عنه الحماة الصوارب^(٩).
لأمرك طوعاً وعجه والأعارب^(١٠).
عصى تناجيه الأمان الكواذب^(١١).

- (١) تحدي إليه: تاق إليه (يزوره الناس ويقصدونه). الروبه (بالفتح): الدابة التي يافر الناس عليها.
- (٢) عشا: قصد. فارس: أبو عنان التوكل على الله (المدوح بهذه القصيدة). انجا: انجلي، زال. الخطب: المصيبة. الغيب (يفتح فكون): جانب من الليل شديد الظلمة (بالضم) أو شديد الواد.
- (٣) بان: ظهر، وضح. الذهب: الطريق، النهج (في الحياة) - عرفنا به (بحسن رأيه) الصواب والخطأ.
- (٤) أشكل الأمر: ألتبس، أختلط فيه الصواب والخطأ. الثاقب: الذي ينقب (ينفذ، يمزق الأشياء)، النور القوي.
- (٥) الدارع: الذي يلبس درعاً. الجندي. - يقصده ذوو التيجان (الملوك) بمدد كبير كمدد الجنود الذين يسيرون في موكبه (في رفقه من الحرس).
- (٦) الأغر: الأبيض (الجيد، العظيم). تقيل (٢) المرامي (الدرجات، المقامات) عنده والمناصب: الوصول إليه صعب، والذين هم عنده هم في أعلى طبقات الناس (٢).
- (٧) جبر الطبيب العظم المكور: رده إلى حاله الأصلية (الصحيحة)، أصلحه. عماد (عمود) الدين: الأساس الذي يقوم عليه الدين. الصدع: الشق. شرب الرجل الأمر شربه (يفتح العين فيها): جمعة وفرقه أو أصلحه وأفسده (من ألفاظ الأضداد). والثابع (هنا): الجامع للأمور، المصلح.
- (٨) الدؤابة: طرف الثمر (أعلى الأقسام في الشجر)، الذروة (أعلى الجبل). نمتك: رفعتك، بلغت بك إلى الملك. العصابة (بالكسر): الجماعة من الناس.
- (٩) ذب: دفع، حمى.
- (١٠) دوخ الرجل البلاد: سار فيها حتى عرف جميع طرقها، استولى عليها. أرض الغرب: بلاد المغرب (الجانب الشمالي الغربي من قارة إفريقيا).
- (١١) طغى: ظلم، عصى. تناجيه الأمان الكواذب: توهمه أنه إذا حاربك (أو ثار عليك) نجح وانتصر.

بدأتهم بالقول؛ لو أن سقيم
 ولكن أبوا إلا جاحاً وما دروا
 ولجوا على ظن بأن حصونهم
 فسمتهم بالرغب قبل نزالهم،
 وأرسلتهم من آل أمحوج غلباً
 من القوم ما غير القنا في طريقهم
 إذا أظلمت - جنح النهار - دروعهم،
 ففي الحرب آساد وفي السلم سادة،
 وسرت، فلولا أن أمرَكَ وازعُ
 بجيشٍ يَمُصُّ الأفقُ منه برُكَب،
 حميدٌ لها ساءت لَدَيْهِمْ عواقبُ (١).
 بأنك حربُ الله، والله غالبُ (٢).
 مُنْعَةٌ، لو أن غيركَ طالبُ (٣).
 فقلتُ جُمُوعٌ مِنْهُمْ وَمَضَارِبُ (٤).
 عليها من الأبطالِ شُوسُ أغالِبُ (٥)،
 أنيسٌ، ولا غيرُ المُنْهَدِ صاحبُ (٦).
 أضاءتُ وجوهٌ مِنْهُمْ وَمَنَاقِبُ (٧).
 ويومُ النَّدَى والمَكْرُمَاتِ سَحَابُ (٨).
 لَسَارَتْ جِبَالٌ عِنْدَهَا وَأَهَاضِبُ (٩).
 وَيَعْجِزُ عَنْ حَصْرِ الكِيبَةِ حَاسِبُ (١٠).

- (١) - حاولت في أول الأمر أن تخاطب التائرين عليك بالكلام (المعروف). ولو كانوا يريدون الخير لما قهرتهم وقتلتهم.
- (٢) الجاح: المصيان، الرخص على غير هدى. بأنك حرب الله (تحارب في سبيل الله). حزب الله (٤).
- (٣) لج: استمر، تابع (السير)، أصر.
- (٤) حصونهم (قلاعهم) منيعة (لا يستطيع أحد أن يتولى عليها)، ولكنها لم تكن منيعة لما قصدتهم أنت.
- (٥) نزل بهم الرعب (الخوف) قبل نزاهم (قبل أن تحاربهم). قلت (بالبناء للمجهول): انفضت، تفرقت، هربت. جموع (من الجنود المحاربين). المضارب: الخيام (السكان غير المحاربين). - استوليت أنت على جميع أهل البلاد.
- (٦) أمحوج (الملوح هنا آل أمحوج إشارة إلى الخيل) وفي تاج العروس (الكويت ٦: ٢٤٠) محاج (بفتح الميم وبضمها): اسم فرس معروفة من خيل العرب. غلب (بضم فلام مشدودة) لم أجدها في القاموس والمقصود: الغالبون، الأشداء - وهي (أي غلباً) حال صاحبها آل أمحوج. والدليل على أنها إشارة إلى الخيل قوله: «عليها من الأبطال.....». الأشوس: الجريه الشجاع. الأغلب: الفيلظ الرقبة من داء أو من غيره (تاج العروس - الكويت ٣: ٤٩١)، وهي هنا كناية عن الرجل القوي.
- (٧) القنا: الرماح. المُنْهَد: السيف (من صنع الهند) الجيد.
- (٨) جنح النهار (ظرف زمان) في النهار. الدرع من حديد (وتكون عادة سوداء). النقة: الفحل الكريم.
- (٩) الهضبة (بفتح ففتح): السهل المرتفع، الجبل إذا كان عليه بقعة متوية. والجمع هضاب (بالكسر)، وجمع الجمع أهاضيب. وتحذف الياء (تصبح أهاضب) للضرورة في الشعر (تاج العروس - الكويت ٤: ٣٩٥).
- (١٠) يَمُصُّ الأفق: تضيق الأرض. الرُكَب (بمعنى «الركاب»): الفرسان. الكيبة: القطعة من الجيش.

أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَكَ الْعُلَا
وإنْ أَثْبَتَ الْأَعْدَاءُ أَنِّي مُذْنِبٌ،
وَهُبْنَهُمْ رَمُونِي بِالَّتِي لَسْتُ أَهْلَهَا،
أَبْعَدُ أَتَزَاحِي عَنْ بِلَادِي تَحْتَنِي
وَعَرَاءَ مِنْ نَسْلِ الْجَدِيلِ وَشَدَقَمِ
يُجَاذِبُ عَظْفِهَا الْمَرَا حُ تَنْتَنِي
وَتُكْرِيرُ قَدْرًا أَنْ يَمِيلَ بِمَثَلِهَا
رَقَمْتُ بِهَا فِي صَفْحَةِ الْبَيْدِ أَسْطَرًّا
وَجُبْتُ بِهَا غَوْرَ الْفَلَاةِ وَنَجَدَهَا،
كَأَنِّي لَفْظٌ، وَالْبِلَادُ تُجَيِّسُنِي

تُنِيلُ الْوَرَى عَفْوًا تَغْنَى الْمَايِبُ (١).
فَصَفَحَكَ، يَا مَوْلَايَ، لِلذَّنْبِ سَالِبِ.
أَلَيْسَ أَتَسَايِي وَاضِحٌ مُتَنَاسِبُ (٢)؟
إِلَى بَابِكَ الْأَعْلَى مَطِيٌّ شَوَاذِبُ (٣)؟
لَهَا فِي الرِّيَاحِ الْعَاصِفَاتِ مَنَاسِبُ (٤)،
كَمَا التَّقَتَّتْ فِي الرُّوضِ حَسَنَاءُ كَاعِبُ (٥)
لِغَيْرِكَ قَصْدٌ أَوْ نَحْنُ مَطَالِبِ.
كَمَا زَانَ رَقْمًا فِي الصَّحِيفَةِ كَاتِبُ (٦).
وَلَيْسَ سِوَى مَنْ ذَنْبُهَا مَا أَصَاحِبُ (٧).
خَوَاطِرُ مِنْهَا لِلْمَعَانِي حَرَائِبُ (٨)،

- (١) تنيل (تمطي) الوري (جميع الناس) عفواً (الزيادة من مالك، ما لا تحتاج إليه من المال). المعاييب (جمع معائب ومعابة ومعيبة): العيوب، النقص، الخطأ (القر). تغنى: تفتى، تفتى، تغطي (تزول).
(٢) ... لستُ أهلاً (أهلاً). أتسايي (صلي بك). متناسب (متبادل بيني وبينك).
(٣) اتزاحي: أتبادي. تحتني، تدفني. المطية: الدابة يركبها المسافر. الشاذب: الحصان الضامر البطن (ويمكن سرياً).
(٤) عراء: (فرس) يبيض (أو لها بياض في جبهتها)، كرمية الأصل. الجدبل وشدقم حصانان للنعمان بن المنذر (القاموس المحيط ٣: ٣٤٧ و ٤: ١٣٥).
(٥) المطف (بالكس): الجانب الأعلى من الصدر. المراح: النشاط: يجاذب عطفها المراح (شاطها بجملها) نيل يميناً ويهراً). تنشي: تمل (تلنت، تلنت) بدلال وكبرياء. الكاعب: الفتاة إذا تكور ثدياها وتم غوها.
(٦) رقمت بها..... سرت طويلاً في البوادي (كثرت أسفاري). زان: زين، زخرف. الرق: الكتابة (يقصد سافرت كثيراً في البلاد وإلى كل مكان).
(٧) جاب محبوب: قطع (سافر): الفلاة: الأرض الواسعة. الغور (المنخفض من الأرض). النجد: ما ارتفع من الأرض. سافرت في كل مكان وإلى كل مكان. مَنْ ذَنْبُهَا (من عذّب هذه الناقة بالأسفار الكثيرة؟) يقصد ابن خلدون بذلك نفسه. ما أصحاب (ليس معي رفيق سواي - وحيداً).
(٨) كأنني لفظ (كلام، أسئلة). والبلاد (في البلاد). تحييني خواطر (فاعل دحييني ٢٠) منها للمعاني حرائب (سلوبة) - كنت، وأنا في كل بلد، تحظر في بالي خواطر لا أستطيع أن أجد معاني يمكن التعبير عنها (كنت أكره كل البلاد حتى وصلت إليك - انظر البيت التالي).

تَطْنُ بِأَنَّ الشَّرْقَ عَنْ حَمَلِ كَتْمِهِ
إِلَى أَنْ حَطَطْتُ الرَّحْلَ فِي سَاحَةِ الْعَلَا
وَأَصْدَرْتَنِي عَنْ وَرْدِ نَعْمَاكَ نَاهِلًا
فَكَيْفَ أَوْلَى شَطْرَ غَيْرِكَ وَجْهَةً
وَمَا خَلَصْتَ إِلَّا لِبَابِكَ هِجْرِي،
وَإِنِّي عَلَى عِلْمٍ بِأَنْ لَا مُمْلِكُ
وَلَكِنْ عَوَادٍ إِنْ عَدْتَنِي عَنِ الزَّمَا
سَأَنْزِعُ عَمَّا أَنْتَ - وَاللَّهِ - سَاخِطٌ،
وَأُسْطُو عَلَى الْأَيَّامِ مِنْكَ بَنُوبَةٍ
وَتُوْبِعُنِي نَعْمَاكَ أَفْضَلَ نِعْمَةٍ

يَضِيقُ فَتَطْوِي سِرَّهُنَّ الْمَغَارِبُ^(١)
لَدَى بَابِكَ الْأَعْلَى كَمَا حَطَّ آيِبُ^(٢).
وَقَدْ أَثْقَلْتُ ظَنِّي إِلَيْكَ الْمَوَاهِبُ^(٣).
أَوْمَلُ مِنْهُ نَجْمَةً أَوْ أَرَاقِبُ^(٤)؟
وَلَمْ تَصْفَ لِي مَعْنَى سِوَاكَ الْمَشَارِبُ^(٥).
سِوَاكَ عَلَى الدُّنْيَا، وَلَا عَنْكَ ذَاهِبُ^(٦).
نِ زَمَانًا، فَإِنِّي الْيَوْمَ مِنْهُنَّ تَائِبُ^(٧).
فَأَمْرُكَ مَحْتَوَمٌ عَلَى الْخَلْقِ وَاجِبُ^(٨).
كَمَا أَفْتَرَسْتَنِي بَيْنَهُنَّ النَّوَائِبُ^(٩).
يَرِيشُ بِهَا عَظْمِي وَتَرَى الْمَكَاسِبُ^(١٠).

(١) لا في الشرق (تونس) ولا في المغرب (الجزائر والمغرب) وجدت من يدرك معاني (يعرف مقادير ومكانتي)...

(٢) حططت الرحل: نزلت، استقررت (سكنت). الآيب: الراجع من سفر إلى بلده (ليبقى فيه دائمًا).

(٣) أصدرتني: رددتني. الورد (بالكسر): الهيماء إلى الماء للشرب. ناهل: ريان (مكف من الماء) - لَّا جثت إليك أعطيني عطايا كثيرة. وقد أثقلت إلخ (وكتكت أظن أن ما أريد أن أطلبه منك كثير): أعطيني فوق ما كنت أريد.

(٤) النجمة: قصد أصحاب الأموال لنيل عطاياهم. أراقب. (أرجو أن يمطيني شيئاً - يقصد أن جميع الناس، غيرك، بجلالة).

(٥) - هاجرت (قصدت) إلى أبواب ملوك كثيرين. يهيش إليك وحدك كان اعتقاداً مني بكرمك وإخلاصاً في محبتك. لم تصف لي إلخ: لم أكن مسروراً عند أحد (غيرك).

(٦) - أنا واثق بأنه لا يوجد في هذا العالم ملك (يستهق هذا الاسم) غيرك. وليس هنالك من يستحق أن يذهب الناس إليه (للعطاء) غيرك.

(٧) ولكن عوادي (جمع عادية): نوايب، مصائب. عدتني: جاوزتني، (أهدتني). عن الزمان (عن السرور في الحياة؟ عنك). زماناً (مدة).

(٨) نزع عن الشيء: تركه.

(٩) - سأعندي أنا على حوادث الأيام (على المصائب) بنوبة (بعدة أكون فيها حرّاً قوياً غنياً)، كما كانت المصائب قد اعتدت علي كثيراً من قبل، وسيكون الفضل في ذلك لك.

(١٠) راش يریش: أصبح غنياً، ذا رماش (أثاث كثير في بيته). يریش عظمي: يكسي عظمي لحماً، بعد أن أفترقت وجئت حتى برزت عظامي للميون. تَرَى تَوَالِي، تتصل.

فما في اللبالي من ذمير وَلَوْ أَتَى ، إذا حُصِدَتْ بعد المبادي العَوَاقِبُ^(١) .
- مطلع في الغزل:

قال ابن خلدون في صدر قصيدة طويلة في المديح (سنة ٧٦٢ هـ):

أَسْرَفَنَ فِي هَجْرِي وَفِي تَعْدِيهِ وَأَطْلَنَ مَوْقِفَ عَبْرِي وَنَحْيِي^(٢)؛
وَأَبَيَنَ يَوْمَ الْبَيْنِ وَقْفَةً سَاعِيَةً لِدَوَاعِ مَشْغُوفِ الْفَوَادِ كَثِيبِ^(٣) .
مَا هَاجَنِي طَرْبٌ وَلَا أَعْتَادَ الْجَوَى لَوْلَا تَذَكُّرُ مَنْزِلٍ وَحْيِيْبِ^(٤) .
وَإِذَا الدِّيارُ تَعَرَّضَتْ لِمُتَيِّمٍ هَزْنُهُ ذِكْرَاهَا إِلَى التَّشْيِيبِ .
فِي كُلِّ شَيْعٍ مُنِيَّةٌ مِنْ دُونِهَا هَجْرُ الْأَمَانِي أَوْ لِقَاءُ شُعُوبِ^(٥) .
هَلَّا عَطَفْتَ صُدُورَهُنَّ إِلَى الَّتِي فِيهَا لُبَانَةٌ أَعْيِنِ وَقُلُوبِ^(٦) .
فَتَوْمٌ مِنْ أَكْثَافٍ يَثْرَبُ مَأْمَنًا يَكْفِيكَ مَا تَخْشَاهُ مِنْ تَثْرِيبِ^(٧) .

٤- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي

(١) العاقبة: النهاية، النتيجة. - فما في اللبالي.....: إذا صَلَحَتْ حال الإنسان نسي كلَّ شيء كان قد لقيه من قبل. لتكبير (ت ١٦١٦ م = ١٠٢٥ هـ، بعد ابن خلدون بمائتين وسبع عشرة سنة)، رواية تشيلية عنوانها: All's Well That Ends Well: ما كانت نهايته حسنة فهو حسن.

(٢) هؤلاء السوء جعلني أطيل وقوي على الأطلال أبكي وأنتخب.

(٣) أمي: رفض. البين: البعاد، الفراق. المشغوف: الذي بلغ الحب إلى شُغاف (بضم الشين) قلبه (شغاف القلب: غلافه أو حجابيه أو داخله).

(٤) الطرب ما يثير الإنسان من فرح أو حزن. أعتاد: عاد مرّة بعد مرّة. الجوى: شدّة الوجد والحنين إلى المحبوب حتّى تشبه حاله حال المريض.

(٥) الشعب (بكسر الشين) الشيعة، الفرقة، القسم من الطريق أو من الأمة. شعوب (يفتح الشين وبلا لام للتعريف): النّبيّة، الموت.

(٦) صدورهن: صدور النبايق (هلا يَلَتْ بالنبايق نحو المدينة، مدينة الرسول). اللبانة: الحاجة.

(٧) أم: قصد. أكتاف: أطراف. يثرّب: المدينة، مدينة الرسول. التثريب: اللوم.

(*) اعتمدت في جَمْع هذه القائمة مراجع مختلفة: تاريخ الأدب العربي (النسخة الألمانية) لبروكلمن - بطاقات مكتبة يافت في الجامعة الأميركية في بيروت - مؤلفات ابن خلدون، تأليف عبد الرحمن بدوي (دار المعارف بمصر ١٩٦٢ م).

(٨) يُلْفَى هذا الكتاب باسم «عُنوان العبر.....» (بروكلمن ١: ٣١٦، السطر ٢١) وباسم «ترجمان العبر.....» (مؤلفات ابن خلدون، ص ٢٩، السطر الأول).

السلطان الأكبر^(١)، بولاق^(٢) ١٢٨٤ هـ؛ بيروت (مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة، والنشر، بيروت ١٩٥٦ - ١٩٦١ م (١٣٧٤ هـ)، الطبعة الثالثة ١٩٦٦ - ١٩٦٨ م).

- الجزء الأول من كتاب العبر (ويعرف بمقدمة ابن خلدون):

- * (نشرها كاترمير)، باريس ١٨٤٧ - ١٨٥٨ م.
- * (بتصحيح نصر الموريني)، بولاق ١٢٧٤ هـ.
- * بيروت (المطبعة الأدبية) ١٨٧٩، ١٨٨٦، ١٩٠٠ م.
- * مصر - القاهرة ١٣١١، ١٣٢٠، ١٣٢٢، ١٣٢٧، ١٣٣٦، ١٣٤٩ هـ (٣).
- * القاهرة (المطبعة الأزهرية) ١٣٤٩ هـ = ١٩٣٠ م.
- * (تحرير عليّ عبد الواحد وافي)، القاهرة (لجنة البيان العربي) ١٣٧٧ هـ وما بعد = ١٩٥٧ - ١٩٦٢ م.

- * (لجنة من العلماء)، القاهرة (المكتبة التجارية) بلا تاريخ.
- * (اللجنة الدولية لترجمة الروائع)، بيروت ١٩٦٧ م.

أقام من كتاب العبر:

أخبار الفرنج فيما ملكوه من سواحل الشام وثغورها وكيف تغلبوا عليها وبداية أمرهم في ذلك ومصابره (نشرها تورنبرغ)، أوبسلا ١٨٤٠ م.

- أخبار دولة بني الأغلب في إفريقية وصقلية إلى حين أسبلاء الفرنجة على صقلية (نويل دي فيرجيه) باريس ١٨٤١ م.

- تاريخ الدول الإسلامية في المغرب (نشره دي سلان)، الجزائر (دار الطباعة السلطانية) ١٨٤٧ - ١٨٥٦ م.

- تاريخ الأسرة العقيلية (نيزهاوزن)، بطرسبورج ١٨٥٩ م.

- مختارات من ابن خلدون، بيروت (مكتبة صادر) ١٩٤٩ - ١٩٥٠.

- التعريف^(١) بـابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً (تحقيق محمد بن تاويت الطنجي)، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٧٠ هـ = ١٩٥٠ م.

كتب لابن خلدون:

- لباب المحصل^(٥) في أصول الدين، القاهرة (المطبعة الحسينية) ١٣٢٣ هـ.

(١) ويعرف اختصاراً باسم «تاريخ ابن خلدون».

(٢) بولاق حيّ من أحياء القاهرة كانت فيه المطبعة الأميرية. فإذا قيل بولاق يمكن أن يُقنى بها مكان الطبع (في مقابل القاهرة)، ويمكن أن يقنى بها المطبعة.

(٣) إن طبعتي ١٣١١ و ١٣٤٩ كانتا في المطبعة الأزهرية. ولم أستطع تحقيق أسماء المطابع للطبعات الباقية.

(٤) ترد هذه الترجمة الذاتية التي صنعها ابن خلدون لنفسه في آخر كتاب «العبر» (في آخر الجزء السابع).

(٥) قال عبد الرحمن بدوي (مؤلفات ابن خلدون، ١٥ - ١٦): «... وقد نُشر الكتاب في إستانبول سنة ١٩٥٨ (للسبيلاد). ثم جاء الأب أغناطيوس عبده اليسوعي مدير مجلة «المشرق» التي يصدرها الآباء =

- شفاء السائل لتهذيب السائل (نشره لوثيانو روبيو)، تطوان (دار الطباعة المغربية) ١٩٥٢ م؛ (عارضه في أصوله محمد بن تاويت الطنجي)، أنقرة (منشورات كلية الآليات)، إستانبول (مطبعة عثمان بلش) ١٣٧٧ هـ = ١٩٥٧ م؛ (نشره إغناطيوس عبده خليفة اليسوعي) - في منشورات معهد الآداب الشرقية بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٥٩ م. كتب ودراسات مستقلة في ابن خلدون^(١):

★★- إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون أو المرشد المبدئي لفساد طعن ابن خلدون في أحاديث المهدي^(٢)، تأليف أحمد بن الصديق، دمشق ١٣٤٧ هـ = ١٩٣٤ م.

- ابن خلدون، تأليف تيسير شيخ الأرض .
- ابن خلدون، تأليف محمد جعفر وفوزي سليمان، القاهرة (الدار القومية للطباعة والنشر) بلا تاريخ.

- ابن خلدون: حياته وتراثه الفكري، تأليف محمد عبد الله ع inan، القاهرة (دار الكتاب العربي) ١٩٣٣ م، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٩٥٣ م، ثم ١٩٦٦ م.

- ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية تأليف جوسون بوتول (ترجمة غنيم عبدون)، القاهرة (المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر) ١٩٦٤ م.

- ابن خلدون (في سلسلة الروائع، رقم ١٣ - ١٥) تأليف فؤاد أفرام البستاني، بيروت المطبعة الكاثوليكية).

- ابن خلدون في المدرسة المالدية (مطبوع مع «محمد والمرأة») تأليف عبد القادر المغربي، دمشق (مطابع قوزما) ١٩٢٨ م.

- ابن خلدون: قائمة بمؤلفاته، انظر، تحت: قائمة بمؤلفاته.

- ابن خلدون: منتخبات، تأليف جميل صليبا وكامل عياد، دمشق (مطبعة ابن زيدون) ١٩٣٣ م.

- ابن خلدون منشئ علم الاجتماع، تأليف علي عبد الواحد وافي، القاهرة (مكتبة نهضة مصر) بلا تاريخ.

= البوعيون في بيروت بلبنان، فنشر كتاب ابن خلدون (شفاء السائل) في نشرة أخرى فرغ من طبعتها في ٣٠ أبريل (نيسان) سنة ١٩٥٩، أي بعد نشرة محمد بن تاويت الطنجي بحوالى تسعة أشهر. ومن المؤكد أن الأب أغناطيوس عبده خليفة - برغم ذلك - لم يطلع على نشرة الأستاذ الطنجي، وإلا لتلافى الأخطاء الفاحشة العديدة جداً والتي وقعت في طبعة. وهي على أنواع.....

(١) هنالك عدد من المقالات والبحوث على مستويات مختلفة من الطول (ومن القيمة أيضاً) نشرت في عدد من المجلات المختلفة لم أر ضرورة لذكرها هنا. فمن شاء الإطلاع على عناوينها ومطالع نشرها فليرجع إلى كتاب «مؤلفات ابن خلدون» لعبد الرحمن بدوي (ص ٣١٧ - ٣٢٣).

(٢) المهدي هو الذي يرجع إلى الدنيا في آخر الزمان ليملاً الدنيا عدلاً كما ملئت ظلماً. راجع كلام ابن خلدون في ذلك في مقدمة ابن خلدون: بيروت ١٩٠٠ م (ص ٣١١ - ٣٣٠)، بيروت - دار الكتاب اللبناني ١٩٦١ م، (ص ٥٥٥ - ٥٨٦).

- ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع، تأليف عبده الحلو، بيروت (بيت الحكمة) ١٩٦٩ م.
- ابن خلدون وعلوم المجتمع، تأليف محمود عبد المولى، ليبيا (الدار العربية للكتاب) ١٩٧٦ م.
- أعمال بهرجان ابن خلدون المنعقد في القاهرة من ٢ إلى ٦ يناير (كانون الثاني) (منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجناائية)، القاهرة (الاتحاد القومي - دار ومطابع الشعب) ١٩٦٢ م.
- التفكير العلمي عند ابن خلدون، تأليف ابن عمار الصغير، الجزائر ١٩٦٩ م.
- حياة ابن خلدون ومثل من فلسفته الاجتماعية، تأليف محمد الحضر حسين التونسي، القاهرة (المطبعة السلفية ومكتبتها)، دمشق ١٣٤٣ هـ = ١٩٢٤ م.
- دراسات عن ابن خلدون، تأليف ساطع الحصري^(١)، بيروت (مطبعة الكتّاف) ١٩٤٣ - ١٩٤٤ م؛ (نشر على نفقة محمد ناجي الحصري^(٢)، بغداد)، مصر (دار المعارف) ١٩٥٣ م؛ طبعة ثالثة، بيروت (دار الكتاب العربي) ١٩٦٧ م.
- دقائق وحقائق في مقدمة ابن خلدون، تأليف ، بغداد (مطبعة أسعد) ١٩٥٥ م.
- عبد الرحمن بن خلدون، تأليف محسن الزمرلي، تونس ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥ م.
- عبد الرحمن بن خلدون، بقلم علي عبد الواحد وافي (أعلام العرب، رقم ٤)، القاهرة وزارة الثقافة والإرشاد القومي - الإدارة العامة للثقافة، قبل (٩) ١٩٦٢ م.
- عبد الرحمن بن خلدون: حياته وآثاره ومظاهر من عبقريته، تأليف علي عبد الواحد وافي، القاهرة (وزارة الثقافة والإرشاد) بلا تاريخ.
- العرب وابن خلدون، تأليف أبي القاسم محمد كرو، تونس (مطبعة الترقّي) ١٩٥٦ م.

(١) هو ساطع بن محمد هلال الحصري (بضم فتح)، كنيته: أبو خلدون (لأنه سَمَّى ابنه خلدوناً)، حليبي الأصل، ولد سنة ١٣٠٠ هـ (١٨٨٣ م) في صناعاء اليمن. تَعلَّم في استانبول فنّاً تركي الثقافة. أُنشأ مجلة «التربية» (بالتركية) وألف عدداً من الكتب (بالتركية أيضاً). وعمل في التعليم والإدارة. وفي عام ١٩١٨ م (بعد الحرب العالمية الأولى)، جاء إلى سورية وأتصل بالملك فيصل وتولّى وزارة المعارف ثم (بعد سقوط الدولة العربية في سورية وانتقال الملك فيصل إلى العراق)، ذهب هو أيضاً إلى العراق وتولّى إدارة دار الآثار ورئاسة كلية الحقوق. وفي عام ١٩٤١ (بعد خيبة ثورة رشيد عالي الكيلاني) أخرج من العراق فجاء إلى بيروت. ثم انتقل (بعد الحرب العالمية الثانية، عام ١٩٤٦) إلى مصر. ولساطع الحصري عدد كبير من الكتب بالعربية أهمّها «دراسات عن ابن خلدون». وقد كان ساطع الحصري قد جمع موادّ كثيرة لكتابه هذا. فلما أخرج من العراق بقيت تلك الموادّ في العراق. ودوّن ساطع الحصري هذا الكتاب من ذاكرته، بعد الاستعانة بعدد يسير من الكتب. وكانت وفاته في مصر، سنة ١٣٨٨ هـ (١٩٦٣ م).

(٢) بالخاء والصاد المنقطتين من فوقهما (وبالتصغير).

- المصيبة والدولة: معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، تأليف محمد عابد الجابري، الدار البيضاء (دار الثقافة) ١٩٧١ م.
- علم الاجتماع الخلدوني، تأليف حسن الساعني، طبعة ثالثة، القاهرة (دار المعارف) ١٩٧٥ م.
- فلسفة ابن خلدون الاجتماعية، تأليف طه حسين (نقله إلى العربية محمد عبد الله عيان)، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٤٣ هـ = ١٩٢٥ م.
- قائمة مؤلفاته وبعض المراجع التي كتبت عنه بمناسبة المهرجان العلمي الذي ينظمه المركز القومي للبحوث الاجتماعية، القاهرة (دار الكتب) ١٩٦٢ م (صفحات: ٣٦ و ٢٢).
- كلمة في ابن خلدون، تأليف عمر فروخ، بيروت (منشورات مكتبة منيمنة) ١٣٦٢ هـ = ١٩٤٣ م، الطبعة الثانية ١٣٧٠ هـ = ١٩٥١ م.
- لقاء ابن خلدون وتيمورلنك، (تعليق محمد توفيق)، بيروت (دار مكتبة الحياة) ١٩٦٥ م.
- مجلة «الحديث» (حلب)، عدد خاص (أيلول - سبتمبر ١٩٣٢ م).
- مجلة «الفكر» (تونس)، عدد خاص (آذار - مارس ١٩٦١ م).
- مختارات من ابن خلدون، بيروت (مكتبة صادر) ١٩٤٩، ١٩٥٠ م.
- مع ابن خلدون، تأليف أحمد محمد الحوفي، مصر ١٩٥٢ م.
- مقدمة ابن خلدون: دراسة - مختارات، تأليف يوحنا قمير، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٤٧ م.
- منتخبات من مقدمة ابن خلدون (مع ملاحظات بقلم دونكان ب. ماكدونالد)، لندن (بريل) ١٩٦٢ م.
- منطق ابن خلدون في ضوء حياته وشخصيته، تأليف علي حسين الورد، القاهرة (معهد الدراسات العربية العالية) ١٩٦٢ م.
- مهرجان ابن خلدون (مايو - أيار ١٩٦٢)، نظمتها كلية الآداب (في جامعة محمد الخامس) بمشاركة اتحاد كتاب المغرب العربي وجمعية قدماء مولاي إدريس، الدار البيضاء (دار الكتاب) بلا تاريخ.
- مؤلفات ابن خلدون، تأليف عبد الرحمن بدوي (منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية)، مصر (دار المعارف) ١٩٦٢ م.
- صفحات من كتب^(١) (منسوقة على حروف الهجاء):
- أزهار الرياض ٢: ٢٠٦ وما بعد، الاستقصا ٢: ١٢٠ - ١٢١، الأعلام للزركلي ٤: ١٠٧ - ١٠٨، ٣: ٣٣٠، بالنيشيا (راجع: تاريخ الفكر الأندلسي)، البدر الطالع ١: ١٠٧ - ١٠٨.

(١) فيما يلي صفحات من الكتب التي جرت العادة بإيراد بعضها دون بعض في آخر كل ترجمة (في هذا الكتاب) ما أمكن. ولكن هنالك عدداً أكبر من الكتب التي يرد فيها فصول تتعلق بابن خلدون لم أر أن أستنفدها هنا. وبإمكان الباحث، إذا أراد، أن يجمع إليها في مؤلفات ابن خلدون (لعبد الرحمن بدوي)، ص ٣١٧ - ٣٣٨ (بالربية وبغير العربية).

٣٣٧-٣٣٩، بروكلمن ٢: ٣١٤-٣١٧، الملحق ٢: ٣٤٢-٣٤٤؛ تاريخ العلوم عند العرب (لعمر فروخ) ٤٤٢-٥١٦؛ تاريخ الفكر الأندلسي ١٥٤-٢٥٩؛ ٢٦٦-٤١٥؛ تاريخ الفكر العربي (لعمر فروخ) ٦٩١-٧٠٩؛ تاريخ النقد الأدبي (إحسان عباس) ٦١٥-٦٣٠؛ تعريف الحلف ٢: ٢١٣-٢١٥؛ دائرة المعارف الإسلامية (بالإنكليزية) ٣: ٨٢٥-٨٣١؛ سارطون (راجع: مقدّمة إلى تاريخ العلم)؛ سركيس ٩٥-٩٧؛ شذرات الذهب ٧: ٧٦-٧٧؛ الضوء اللامع ٤: ١٤٥-١٤٩؛ عصر سلاطين المماليك ٦: ٣١١-٣٤٨؛ عنوان الأريب ١: ١٠٧-١١٤؛ بمجلد تاريخ الأدب التونسي ٢١٨-٢٢٣؛ معجم المطبوعات العربية (راجع: سركيس)؛ معجم المؤلفين ٥: ١٨٨-١٩٠؛ مقدّمة إلى تاريخ العلم (لجورج سارطون بالإنكليزية)؛ راجع فهارس الأجزاء الثلاثة (خسة مجلّذات) والجزء الثالث (مجلدين) منها خاصة: غصن جفري شوسر وابن خلدون وحداي كرسكاس^(١)، ص ١٠١٩-١٨٧١ (مجموع المجلد الثاني من الجزء الثالث)؛ المكتبة العربية الصقليّة ٤٦٠-٥٠٨؛ نفع الطيب ١: ١٤٧، ٢٣٢-٢٣٨، ٢٨٢-٢٨٣، ٣٢٧-٣٣٠، ٣٣٢، ٣٤١-٣٤٢، ٣٥٢-٣٥٤، ٣٥٦-٣٥٩، ٣٦٤-٣٦٦، ٣٩٨، ٤٢٤، (٤٤٦-٤٤٩)، ٤٥٢-٤٥٣، ٥٧٧-٥٧٨، (٢): ١٢٥، ٢٠١-٢٠٢، ٥٢١-٥٢٣، (٤): ٣٧٣، (٥): ٨، ٩٥-١٠٨، ١١٠-١١٢، ٢٥٤-٢٥٦، ٤١٢، (٦): ١٧١-١٩١، ٣٨٩-٣٩٦، (٧): ٥، ١٧؛ نيل الابتهاج (مصر) ١٦٩-١٧٠.

ابن قنفذ القسطنطيني

١- هو أبو العباس أحمد بن حسن الخطيب (ت ٧٥٠ هـ) بن علي الخطيب (ت ٧٣٣ هـ) بن حسن^(٢) بن علي بن ميمون القسطنطيني، نسبة إلى قسطنطينة (قسطنطينية)

(١) جفري شوسر (١٣٤٠-١٤٠٠ م) شاعر وكاتب إنكليزي من أهل لندن، أشهر كُتبه «أفايصوص كاتريري». وقد عملت كُتبه على تثبيت عدد من قواعد اللغة الانكليزية. - حداي (بفتح الحاء المهملة أو بكسرها) بن إبراهيم كراسكاس (أو فراقاس) من أهل برشلونة (إسبانية)، فيلسوف يهودي حاول أن يخلّص الفكر اليهودي من أثر الفلسفة الأرسطوطاليسية. ومع أنه لم يرفض مكانه العقل في الفلسفة، فإنّه حاول أن يلقني عليه عدداً من القيود. ويبدو أنه كان لحجة الإسلام الغزالي (ت ٥٠٥ هـ = ١١١١ م) أثر بالغ في تفكيره، كما أنه تأثر أيضاً بنفر آخرين من الفلاسفة المسلمين كإبن رشد مثلاً (ت ٥٩٥ هـ = ١١٩٨ م).

(٢) لابن قنفذ القسطنطيني في كتاب «الفارسية» ترجمة ودراسة مفصّلتان (ص ٣٩-٩٥)، وهو هنالك ابن «القنفذ» (بالتعريف). وفي بروكلمن: ابن قنفوذ. أمّا سبب التسمية «ابن قنفذ» فلا يعرف الدارسون لها وجهاً. وفي سلسلة نسبه «الحسين» مكان «الحسن» (مرتّين).

في القُطر الجزائري، والشهير بابن الخطيب وبابن قُنفذ^(١). ولعلّ مَوْلدهُ كان في سَنَةِ ٧٤٠ هـ (١٣٣٩ - ١٣٤٠ م).

بدأ ابنُ قُنفذ طلبَ العلمِ على والدهِ حسنٍ وعلى جدّه لأمّه أبي يعقوبَ يوسفَ بنِ يعقوبَ المَلّاري الصوفي (ت ٧٦٤ هـ) ثم على الحسنِ بنِ خلفِ الله بنِ باديسَ القسنطيني (ت ٧٨٤ هـ) والحسنِ بنِ أبي القاسمِ بنِ باديسَ القسنطيني (ت ٧٨٧ هـ) وغيرهما.

وفي سَنَةِ ٧٥٩ هـ (١٣٥٨ م) رَحَلَ ابنُ قُنفذٍ إلى فاسَ وتلقَى العلمَ على نفرٍ من علماؤها ومن العلماء الطارئين عليها. من هؤلاء جميعاً: الشريفُ الفَرناطِيُّ أبو القاسمِ مُحَمَّدُ ابنُ أَحَدِ السَّبْغِيِّ (ت ٧٦٠ هـ)، وأبو مُحَمَّدٍ المَرْغِيّ الرُّقْدَرِيُّ (ت ٧٦٨ هـ)، والشريفُ التِّلْصَانِيُّ أبو عبدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ أَحَدِ بنِ عَلِيٍّ (ت ٧٧١ هـ)، والشيخُ الفقيهُ أبو زَيْدِ عبدُ الرحمنِ اللجائي (ت ٧٧٣ هـ)، وأبو عمرانَ موسى بنَ مُحَمَّدٍ بنِ مُعْطَرِ المبدوسي (ت ٧٧٦ هـ) وأبو مُحَمَّدٍ عبدُ اللهِ الوانغيلي الفاسيُّ (ت ٧٧٩ هـ)، وابنُ مرزوقِ التِّلْصَانِيِّ أبو عبدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ أَحَدٍ (ت ٧٨١ هـ)، وأبو العباسِ أَحْمَدُ بنُ قاسمِ القَبَابِ الفاسي (ت ٧٧٩ هـ).

وقد تطوَّفَ ابنُ قُنفذٍ في عددٍ من مدن القُطرِ المَغْرِبِي (٧٥٩ - ٧٧٦ هـ) ثم عادَ إلى قسنطينة وتولَّى الحُطْبَةَ والقضاءَ والإفتاءَ فيها وتصدَّرَ حيناً للتدريس.

وكانتْ وفاةُ ابنِ قُنفذٍ القسنطيني في ثاني عَشَرَ ربيعِ الأوَّل من سَنَةِ ٨٠٩ (١٤٠٦/٨/٢٧ م).

٢- نشأ ابنُ قُنفذٍ القسنطيني في أسرةٍ علمٍ ووجاهةٍ وثروة، فقد كان جدّه ثم والدهُ من بعدِ جدّه يتولَّيانِ الحُطْبَةَ في قسنطينة مدَّةَ تَزيدُ على سِتِّين سَنَةً. وكان مَوْلَفاً مُكثِراً، ولكنْ أَكثَرَ مَوْلَفاتِه قد ضاع. ومُعْظَمُ هذهِ المَوْلَفاتِ كان في الفقه وفي الفلكِ والطبِّ والحِسابِ والفرائض (تقسيم الموارث) ثم في العربية (النحو). فمن هذه الكتب: معاونة الرائض في مبادئ الفرائض - هواية السالك في بيان أُلَيْيَةِ ابنِ مالِكٍ - سراج

(١) توفي سنة ٦٦٤ هـ (وفيات ابن قنفذ ٢٣٠). وأرى أن المدى بين وفاة جدّه (٧٣٣ هـ) وبين وفاة والد جدّه (٦٦٤ هـ) واسع جداً (٦٩ سنة!).

الثقات في علم الأوقات - تيسير (تسهيل) المطالب في تمديد الكواكب - حطّ النقاب عن وجوه أعمال الحساب - الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية - نُحْفَةُ الْوَارِدِ فِي اخْتِصَاصِ الشَّرَفِ مِنْ قِبَلِ الْوَالِدِ - شرف الطالب في أسنى المطالب - تحصيل المناقب وتكميل المآرب - شرح المنظومة الحساوية في القضايا النجومية (لأبي الحسن علي بن أبي الرجال القيرواني) - طبقات علماء قسنطينة - أنس الفقير وعزّ الحفير (في ترجمة أبي مدين شعيب الصوفي) - كتاب الوفيات. وهنالك كتب أخرى له ضاعت.

٣- مختارات من آثاره

- من مقدّمة « الفارسية » وخاتمتها:

.... وبعدُ فهذا مُختَصَرٌ فيه ما تَشَوُّفُ النُفُوسُ إِلَيْهِ مِنْ الْإِطْلَاعِ عَلَى مَبَادِي الدَّوْلَةِ الْحَفْصِيَّةِ وما يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنْ مُهِمَّاتِ الْوَقَائِعِ الْجَلِيَّةِ بِكَلَامٍ كُلِّيٍّ تَحْسُنُ الْحَاضِرُ بِهِ وَتَحْصُلُ الْإِفَادَةُ بِسَبِيهِ. وَلِشَرْفِهِ بِرَفِيعِهِ إِلَى الْحَضْرَةِ الْعَلِيَّةِ وَفَخْرٍ زَمَانٍ وَضَعَهُ بِأَيَّامِ الْإِمَارَةِ الْعَزِيزَةِ وَالْمُجَاهِدِيَّةِ سَمِيَّتُهُ « الْفَارْسِيَّةُ فِي مَبَادِي الدَّوْلَةِ الْحَفْصِيَّةِ ». وَاللَّهُ الْمُسَوِّلُ فِي التَّوْفِيقِ وَالْهُدَايَةِ إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ.

... وَهُنَا انْتَهَى الْغَرَضُ فَمَا تَعَلَّقَ بِالدَّوْلَةِ الْحَفْصِيَّةِ الْعُمَرِيَّةِ مِنْ ذِكْرِ بَعْضِ وَقَائِعِهَا الْجَلِيَّةِ، مِنْ مَبْدِئِهَا إِلَى هَذَا التَّارِيخِ الَّذِي هُوَ مِنْ آخِرِ سَنَةِ خَمْسٍ وَثِنَائِمِائَةٍ - أَدَامَهَا اللَّهُ رَحْمَةً لِلْإِسْلَامِ بِجَاهِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

- من متن كتاب « الفارسية » في مبادئ الدولة الحفصية:

وَفِي السَّنَةِ الَّتِي بُويعَ فِيهَا الْأَمِيرُ أَبُو حَفْصٍ ^(١) أَخَذَ النَّصَارَى جَزِيرَةَ جَرَّيَّةٍ وَأَسْرَوْا مِنَ الشَّابِّ الْقَوِيَّ وَالشَّابَّةَ الْحَسَنَةَ ^(٢) ثِنَائِمَةَ آلَافٍ وَقَتَلُوا الصُّغَارَ. وَنَهَبُوا الْأُمَيْمَةَ ^(٣)

(١) هو أبو حفص عمر، جاء إلى العرش سنة ٦٨٣ هـ (١٢٨٤ م) ولم تطل مدته (راجع زامباور ١١٥)، ولم يُعَدِّهِ حُسن حُسنِي عبد الوهاب في سلاطين بني حفص في تونس (راجع خلاصة تاريخ تونس، ص ١٠٧-١٠٨ و ١٢٥).

(٢) جربة جزيرة عند الشاطئ الجنوبي الشرقي من القطر التونسي.

(٣) يقصد: من الثَّبان الأَهْوَاء ومن الثَّابَّات (الفنات) الحسانوات.

والأموال والزيت والزبيب ما حملوا (في) سُنْمُهُمُ التي هي نحو السبعين وفي سُنْ الجزيرة التي هي نحو الثلاثين. وفي مدته أيضاً، في سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة، نزل النصارى المهدية، ومات منهم نحو المائة، ومات من أهل المدينة ثلاثة. وأنصرفوا بعد إقامة خمسة أيام.

- وصف «كتاب الوفيات»

قال ابن قنفذ^(١):

....، ولما حافظ عليه أهل الحديث كثيراً تاريخ وفيات الصحابة والمحدثين خوفاً من المذسكين^(٢)، ولذلك قال بعضهم: إذا اتهمتم أحداً في أخذ أو رواية فأحسبوا سنه وسنة وفاة من أخذ عنه^(٣)، فبذلك يتبين هل أدركه أم لا..... ولتذكر في هذا الكتاب ما حصرني من وفيات الصحابة والمحدثين والمؤلفين. (وقد رتبته على المئين من السنين^(٤)) بوجه لم أستبق إليه.

- من متن «كتاب الوفيات»:

المائة الثامنة^(٥): تُوْفِيَ الفقيه المحدث الجليل الشهير الفاضل قاضي الجماعة ببجاية أبو العباس أحمد بن محمد الغبريني^(*) صاحب «عنوان الدرارية» وغيره شهيداً سنة أربع وسبعمائة. وفي هذه السنة تُوْفِيَ أبو الحسن الغرافي^(٦). وفي سنة سبع وسبعمائة تُوْفِيَ فقيه شيوخ الأولياء أبو زيد الهرميري^(٧) بمدينة فاس. وتُوْفِيَ الأديب أبو

(١) نص يرد في كتاب لابن قنفذ هو «شرف الطالب في أسنى الطالب» (راجع «كتاب الوفيات» - تحقيق عادل نويض - ٢١).

(٢) التدليس أن يكتم البائع عيب السلعة عن المشتري. وفي الحديث خاصة: أن يزعم رجل أنه سمع حديثاً من فلان وهو لم يسمعه منه، أو ينسب إلى شيخه أشياء ليست موجودة في شيخه.

(٣) فأحسبوا سن (الراوي) والسنة التي توفي فيها الرجل الذي قال ذلك الراوي أنه أخذ عنه.

(٤) رتبته على تعاقب سنوات الوفاة (فذكر الذي مات في سنة قبل الذي مات في سنة بعدها).

(٥) المائة الثامنة (أو القرن الثامن) تبدأ سنة ٧٠١ وتنتهي سنة ٨٠٠.

(*) تجد ترجمته في هذا الجزء.

(٦) هو علي بن أحمد بن عبد الحسن بن أحمد الحسيني الإسكندراني (٦٢٨ - ٧٠٤ هـ) محدث ثقة.

(٧) هو أبو زيد عبد الرحمن الهرميري من أهل مراکش، كان من الأولياء الصالحين. وروي الناس عنه عدداً من الكرامات.

عبد الله محمد بن خميس التونسي سنة ثمان وسبعمائة.

... العشرة^(١) الثالثة من المائة الثامنة. توفي الشيخ المحقق أبو العباس أحمد بن

محمد بن عثمان بن البناء الأزدي العددي بمدينة مراكش سنة إحدى وعشرين

وسبعمائة..... العشرة الرابعة من المائة الثامنة..... وفي سنة ثلاث وثلاثين

وسبعمائة.... وفي هذه السنة توفي الجد والدي علي بن حسن بن علي بن ميمون بن

قنفذ، وكانت مدة خطبته بفسطنطينة نحواً من خمسين سنة. وتقلد خطة القضاء بها مدة

ثم استعفى فعوفي^(٢). وكانت به وسوسة^(٣) في شأن عبادته بلغت به إلى أنه إذا قبل

أحد طرف ثوبه حبسه يده^(٤) ليغفله. وأمر مرة بإخراج منبر الجامع حتى طهر له من

صعود غيره عليه. ولقي أعلاماً من الناس.

٤- الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية (تحرير هنري بيرس)، الجزائر (المطبعة الثعالبية

والمكتبة الأدبية) ١٩٣٩ م (طبع في مصر)؛ (تحقيق محمد الثاذلي النيفر وعبد المجيد

التركي)، تونس (الدار التونسية للنشر) ١٩٦٨ م.

- كتاب الوفيات (نشره هنري بيرس)، الجزائر بلا تاريخ للطبع؛ (حققه عادل نوهض)،

بيروت (المكتب التجاري للطبع والنشر والتوزيع) ١٩٧١ م.

- أنس الفقير وعز الحفير (تحقيق محمد الفاسي وأدولف فور)، الرباط (جامعة محمد الخامس:

المركز الجامعي للبحث العلمي) ١٩٦٥ م.

★ تعريف الخلف ١: ٢٧-٣٢؛ الإعلام بين حل مراكش من الأعلام ٢: ١٦؛ درة الحجال

١: ٦٠ (١: ١٣١-١٣٣)؛ جذوة الاقتباس ٧٩؛ نيل الابتهاج ٧٥؛ دائرة المعارف

الإسلامية ٣: ٨٤٣-٨٤٤؛ بروكلمن ٢: ٣١٣، الملحق ٢: ٣٤١؛ الأعلام للزركلي ١:

١٤٤ (١١٧)؛ المكتبة العربية الصقلية ٥٠٩.

(١) وأصح أن يقال: العشر (أي العشر السنوات أو السنوات العشر) الثالثة (من المائة الثامنة).

(٢) استعفى فلان من منصبه (طلب التخلي عنه) فأعفى (المجهول من «أعفى») وعوفي (المجهول من «عافى» بمعنى واحد. والصيغة الأولى «أعفى» أفصح وأكثر استعمالاً.

(٤) الوسوسة والوسواس (والعامة تقول: سراسب): وهم (بفتح فسكون فضمتين) بأن كل شيء بمه (بفتح الميم) الآخرون نجس (بفتح فكسر). وهذا مرض نفسي.

(٥) حبس طرف ثوبه بيده (أسك بطرف ثوبه ليمده عن باقي ثيابه).

ابن الأحمر

صاحب نثير الجمان^(١)

١- ليس في سلسلة نسب ابن الأحمر هذا من تولى عرش غرناطة. إنه أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن محمد بن فرج^(٢) بن إسماعيل بن يوسف المدعو بالأحمر. وُلِدَ أبو الوليد إسماعيل بُعِيدَ سَنَةِ ٧٢٥ هـ (١٣٢٥ م). ويبدو أن السلطان أبا الحجاج يوسف الأول بن إسماعيل بن فرج والمعروف بلقب «النَّيَّار» (٧٣٣-٧٥٥ هـ) قد خاف طمع أبناء عمه بالملك فأخرجهم من الأندلس: خَرَجَ عُمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ فَرَجٍ وَمَعَهُ ابْنُهُ يَوْسُفُ^(٣) وَخَفِيْذُهُ إِسْمَاعِيلُ (صاحب هذه الترجمة) إلى المغرب، وذلك - فيما يبدو - في أيام أبي سعيد عثمان بن يعقوب (٧١٠-٧٣٢ هـ) تاسع ملوك بني مرين في فاس.

اشتغل أبو الوليد بن الأحمر منذ مطلع حياته بالعلم والأدب فتلقى علم العربية (النحو) على محمد بن محمد بن داوود الصنهاجي، والأدب والتاريخ على أحمد بن محمد الصباح وعبد القفار بن موسى البوظفي، وسمع الموطأ من الحسن بن عطية بن موسى الوائشريسي. وهناك نقر من العلماء أجازوا أبا الوليد بن الأحمر إجازة عامة (في علوم مختلفة) منهم محمد بن أحمد بن عبد الملك بن شعيب الفشتالي وأبو عبد الله محمد بن سعيد الرعيني السراج.

ثم تصدر أبو الوليد بن الأحمر للتدريس في جامع القرويين في فاس وأخذ بمخالطة رجال العلم والأدب والسياسة. وقد كان أول اتصال له بالبلاط المريني في أيام أبي

(١) هذه الترجمة مبنية على الدراسة المفصلة القيمة التي قدّم بها محمد رضوان الداية دراسته في كتاب «نثير الجمان». غير أن السلسلة المنطقية لتاريخ بني الأحمر كثيرة التعقيد.

(٢) في زاماور (ص ٩٥): إسماعيل بن محمد بن فرج، وفي نثير فرائد الجمان (ص ٦٦): إسماعيل بن يوسف ابن محمد بن فرج. وقد قبلت هنا السلسلة الثانية.

(٣) في نفع الطيب (٨٤: ٥): كانت فتنة أندلس في الليلة الثامنة والعشرين من شهر رمضان عام ستين وسبعمائة (١٣٥٩/٨/٢٢ م) والتي جاء بها إلى عرش غرناطة إسماعيل بن محمد بن فرج عم أبي الوليد إسماعيل بن يوسف بن محمد بن فرج (صاحب هذه الترجمة)، بعد خسة وثلاثين عاماً من مولد صاحب هذه الترجمة والذي فرضنا أنه جاء مع أبيه وجدّه إلى المغرب طفلاً.

عنان فارس المتوكل بن علي (٧٤٩-٧٥٩ هـ) فقال عنده حظوة كبيرة. ومع أنه أصبح مؤرخ دولة بني مرين وكاتباً عند ملوكهم ووزرائهم، فإن صلته بهم ضعفت بعد أي عنان ثم اختلفت مكانته عندهم صعوداً وهبوطاً.

وكانت وفاة أبي الوليد إسماعيل بن يوسف بن الأحمر في فاس، سنة ٨١٠ هـ (١٤٠٧ م) في الأغلب.

٢- تقوم شهرة أبي الوليد بن الأحمر على أنه مؤلف خصب ترك لنا في مؤلفاته صورة للعصر الذي عاش فيه من الناحية السياسية ومن الناحية الأدبية. فمن كتبه: عرائس الأمراء ونفائس الوزراء - أعيان مدينة فاس - مستودع العلامة ومستبدع العلامة^(١) - المنتخب من درر السلوك في شعر الخلفاء الأربعة والملوك - فريد العصر في شعر بني نصر - شرح البردة (للوصيري) - نثر الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان - نثر فرائد الجمان في نظم فحول الزمان - حديقة النسرين في أخبار بني مرين - روضة النسرين^(٢) في أخبار بني عبد الواد وبني مرين (ألفها سنة ٨٠٧ هـ)، - تأنيس النفوس في اكمال نطق القروس (للسان الدين بن الخطيب) - نظم وشرح كتاب رقم الحلال (للسان الدين بن الخطيب)^(٣) - فهرست ابن الأحمر^(٤).

(١) الاسم غريب غامض الدلالة. ويقال إن كلمة العلامة الثانية بتشديد اللام (راجع نثر فرائد الجمان ١٣٢). العلامة (بتسهيل اللام، بلا تشديد)، في الأصل: الطراز (رسم اسم الملك على الأوراق والتياب والأسلحة الخ). وصاحب العلامة أصبح يطلق في الأندلس على رئيس ديوان الاشياء.

(٢) ألف أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن الأحمر هذا الكتاب أولاً برسم السلطان المريني أبي العباس أحمد المنصور بالله بن إبراهيم (٧٧٦-٧٨٦ هـ) وبمنوان «النفحة النسرينية واللمحة المرينية» ووقف به في تاريخ بني مرين عند سنة ٧٨٩ للهجرة (١٣٨٧ م). ثم جعل له مقدمة جديدة برسم السلطان المريني أبي سعيد عنان بن أحمد (٨٠١ وما بعد) وجعل له أيضاً عنواناً جديداً هو «روضة النسرين...» (راجع بروكلمان، الملحق ٢: ٣٤٠).

(٣) كتاب «رقم الحلال الموشى» لسان الدين بن الخطيب تاريخ موجز لدول الإسلام نظمها ابن الخطيب شراً ثم جعل عليه ابن الخطيب شرحاً قصيراً. ويبدو أن أبا الوليد بن الأحمر قد وصل هذا الكتاب (أي: زاده واستمر فيه، نظماً وشرحاً، على غرار ما كان لسان الدين قد فعل).

(٤) الفهرست: البرنامج = فهرست ابن الأحمر أو برنامج ابن الأحمر: كتاب تكلم فيه ابن الأحمر على شيوخه (أسانده).

وأبو الوليد بن الأحمر شاعرٌ وناثر. له في الشعر قصائدٌ ومقطعاتٌ أكثرها شعرٌ مناسباتٍ يَغْلِبُ عليها المديحُ، وفيها شيءٌ من الرثاء والغزل وبعض الأغراض الإخوانية. أما أماديجهُ فأكثرها في بني مرين الذين عاشَ في كَنَفِهِمْ لاجئاً وفي نفرٍ من رجالِ دولتهم، وقد مدَحَ أيضاً الغنيَّ بالله النَّصْرِيَّ - وهو مُحَمَّدُ (الحامس) بنُ يوسفَ بنِ الأحمر ثامنَ ملوكِ غرناطة. غيرَ أنَّنا لا ندري متى مدَحَ الغنيَّ بالله هذا: أحيانَ كان الغنيَّ بالله ملكاً على عرش غرناطة (٧٥٥ - ٧٦٠ هـ) أم حينَ كان في فاس لاجئاً (٧٦١ - ٧٦٣ هـ)؟

ولأبي الوليد بن الأحمر نسيبٌ وغزلٌ ليس فيها براعة خاصة. وله أيضاً بديعياتٌ أو مولدياتٌ في مدحِ محمد رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم. ثم له أيضاً عددٌ من الأخوانيات لا تخرج عن نطاق المديح كثيراً.

وفي شعر أبي الوليد بن الأحمر صِناعةٌ وتكلفٌ يُلقِيانِ على شعره شيئاً من جفافِ شعرِ العلماء والفقهاء. ولأبي الوليد بن الأحمر تثرٌ ينقسم تَرَسُّلاً يَكْثُرُ فيه التأنُّق والتكلفُ وتدويناً في الكتبِ مُرْسَلاً فيه محاولةٌ للجريِّ على سَجِيَّةِ النفس.

٣- المختار من آثاره

- قال أبو الوليد اسماعيلُ بنُ يوسفَ بنِ الأحمر في مَوْلِدِيَّةٍ (بديعيةٌ يمدَحُ بها رسولَ الله):

ففي الماءَ لَمَّا مِنْ أَصَابِعِهِ انْهَمَى لَمُعِجَرَةٌ ما في البرايا ضَرِيئُهَا^(١).
وفي الماءَ - لَمَّا جازَهُ - ومياهُه به الأرضُ يُزَوِّى حَزَنُها وَسُوءُهَا^(٢)؛
فلم تَنْدُ أَخْضافُ المَطِيِّ بِمائه، وأموأهُ ما خيفَ منها رُسُوبُهَا^(٣).

(١) من المعجزات التي تروى للرسول أن الماء سال من بين أصابعه حتَّى ارتوى الجيش العطشان. الضريب: المتبل، التبيه.

(٢) الحزن: الأرض الهلة. السهب (بالفتح): الأرض الواسعة.

(٣) الحفّ: باطن قاذمة الحمل. تندی: تبتل المطي: الحيوانات المدة للركوب. رَسَبَ الماء: غار في الأرض (كان الماء كثيراً إلى درجة أن الأرض ما كانت قادرة على امتصاصه).

إليك، رسولَ الله، نيرانَ لَوْعتي؛ فيها هُوَ شَوْقي الخارجي شَيْبها^(١).
هي النفسُ في آمالِ رَزْوَكَ سَوَّلها، ورَعَبْتُها في أن يُتَاحَ رَعِيها^(٢).
- وقال يمدح الغني بالله:

ألا يا عَفَاةَ الأرض، طُرًّا تَبَادروا إلى جودِ مَلِكٍ جُودُهُ عَمَرَ الدُّنيا^(٣).
هو القَدُّ في الأُملاك طُرًّا لَأَنَّهُ أَجَلُهُم قَدْرًا وَأَحْسَنُهُم هَذِيَا^(٤).
هُمَّامٌ إِذَا مَا الرُّوعُ عَبَّ عُبَابُهُ وَأَبْدَى عَلَيْهِ النِّعَمُ مِنْ نَنْجِهِ رِيَا^(٥).
ولاحثُ بَروقِ الهِنْدِ وامتلأَ الفضا بصلصالِ رَعْدِ الطُّبَلِ أَعْظَمَ بِهِ شِيَا^(٦)!
أَرَاكَ مُحْيِيًا تَالِيَا سُورَةَ الضُّحَى وَقَلْبًا عَلَى الْأَعْدَاءِ قَدَرَكِبَ الْبَغْيَا^(٧).
تَمَرَّزَ مِنْهُ الدِّينُ لَمَّا أَقَامَهُ، وَلَمْ يَشْكُ مِنْهُ الْمُلْكُ وَهْنًا وَلَا وَهْيَا^(٨).
نَاصِصٌ عَلَى الْعَافِينَ طُرًّا مَوَاهِيَا بِأَفْضَالِهِ وَعَدَا لَهُمْ كَانَ مَأْتِيَا^(٩).
خَلَفْتُ يَمِينًا بَرَّةً، لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مَلِيكًا سِوَاهِ لِلْمَعَالِي سَمَى سَعْيَا.
- وقال في السيب والغزل:

سَهَرْتُ فِي مَنْ جَفَنُهُ نَائِمٌ وَذُبْتُ فِي مَنْ جِنَمُهُ نَاعِمٌ.
ظَبِي ظَبْيَ عَيْنَيْهِ فَعَالَةٌ بِالْقَلْبِ مَا لَا يَفْعَلُ الصَّارِمُ^(١٠).

- (١) في البيت تورية: الخارجي: الظاهر (وأحد الخوارج). الشيب: رَفَعُ الفَرَسِ بِلْتَا يَدَيْهِ، والشاعر يقصد: الشوب، اشتعال النار. وشيب بن يزيد الشيباني (ت ٧٧ هـ - من رؤساء الخوارج وأبطالهم). يقول: ظاهر شوقي إليك كاشتعال النار أو كبطولة شيب الخارجي، فكيف يباطنه.
- (٢) الزور: الزيادة. السؤل: المطلب. الرغبة: النهم (شدة التوق).
- (٣) العافي: الذي يطلب المعروف.
- (٤) القَدُّ: الفرد، الأوحد. الأُملاك: الملوك.
- (٥) الروع: الخوف (الحرب). عَبَّ عُبَابُهُ (اضطرب موجه). النعم: غبار الحرب.
- (٦) بروق الهند: لمان (السيوف) الهندية.
- (٧) سورة الضحى هي السورة الثالثة والتسعون في المصحف. الضحى هو الوقت الذي يكون بعد شروق الشمس مباشرة (ويكون لامعاً جداً). أراك محياً....: فرحاً، ضاحكاً. البني: الظلم.
- (٨) تَمَرَّزَ: اشتدَّ، اعتَزَّ، تَوَيَّ. الوهن: الضعف. الوهي (في الجدار): التهدم (في الثوب): التثقيب، التهرؤ.
- (٩) مَأْتِيَا: آتِيَا لَا شَكَّ فِيهِ. تضمن من القرآن الكريم: ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾ (١٩: ٦١، سورة مريم).
- (١٠) الظبة (بضم ففتح): حدّ السيف. الصارم: السيف.

يَشَأْ عَنْ عَيْنَيْهِ سِكْرُ الْهَوَى فَكَلْنَا مِنْ ثَمَلِ هَائِمٍ^(١).
شَكَوْتُ مَا يَنْ جَوَى حُبِّهِ مِنْ وَلَّهِ لَمْلَهُ رَاحِمٍ^(٢).
يَضْحَكُ فِي الْحُبِّ، وَأَبْكِي أَنَا. اللَّهُ فِيمَا بَيْنَنَا حَامٍ!

- من مقدمة شير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان:

وبعد؛ فَإِنَّ الْأَدَبَ زَهْرٌ حَوَتْهُ مِنَ الْبِدَائِعِ كِيَامَةٌ، وَرَوْضٌ مُدَبَّجٌ^(٣) حَاكِهِ مِنَ الْحَامِدِ غَامَةٌ. وَهُوَ أَغْذَبُ مَا تَطْمَحُ إِلَيْهِ الْهِمَمُ.... لَا يَسْتَمِيلُ عَلَيْهِ مِنْ ضَبْطِ الْقَوَافِي وَالْأَوْزَانِ، وَيَحْتَوِي عَلَيْهِ مَسْرَحُهُ مِنْ بَدِيعِ الْحَلَاوَةِ وَالنَّفَاطِ الْمُذْهِبَةِ لِلْأَحْزَانِ. إِذْ بِهِ تَتَفَاوَتُ فِي النَّاسِ الْأَخْطَارُ، وَتَشْرِفُ النُّفُوسُ وَإِنْ اخْتَلَفَتْ بِهِمُ الْأَقْطَارُ. وَلَمَّا كَانَ (الْأَدَبُ) فِي الرَّبِّيَةِ الْعَلِيَّةِ فِي نَفْسِ أَهْلِ الْعَقْدِ وَالْحَلِّ.... وَكَانَ فِي هَذَا الْعَصْرِ الَّذِي أَنَا فِيهِ مَنْ يَأْتِي فِي نَظْمِهِ بِالْبَدِيعِ وَيُوقِّعُهُ، مِنْ كُلِّ أَسَدٍ فَحْلٍ يَسْتَنْزِلُ وَكَافٍ الْإِجَادَةِ فِي مَحَلٍّ، مِمَّنْ يُقَالُ لَهُ فِي الشَّعْرِ حَبِيبُهُ، وَهُوَ لِلْإِدْرَاكِ جَلِيلُهُ^(٤).... مِنْ مُجِبِّ مُتَغَزِّلٍ، وَمَادِحٍ لِلرَّفْدِ مُسْتَنْزِلٍ^(٥)، سَخَتْ لِأَهْلِهِ نَصِيحَتِي وَسَمَحَتْ بِعَمَلِهِ قَرِيبَتِي. فَجَمَعْتُ فِي هَذَا التَّالِيفِ مَا وَجَدْتُهُ لَهُمْ مُتَمَحَقًّا شَاعَهُ^(٦)، وَمَا أَلْقَيْتُهُ مِنْ نَفَاسٍ جَوَاهِرِهِمْ مُتَفَرِّقًا شَاعَهُ، مُعَوَّلًا فِي ذَلِكَ عَلَى مَا طَابَ فَصْلُهُ وَفَرَعُ ذُرَى الْإِجَادَةِ قَرَعُهُ وَأَصْلُهُ. وَلَمْ أَعُولْ إِلَّا عَلَى مَنْ فِي عَصْرِنَا نَبَغَ وَأَثَابَ التَّخِيلَاتِ الشَّعْرِيَّةِ فِي الْإِحْسَانِ صَبَغَ.... وَلَمْ أَثْبِتْ إِلَّا قَادِرًا لَا يُيَارِيهِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ وَقْتِهِ، إِذْ تَبَرَّأْتُ مِنَ الْعَمِيِّ وَمَقْتِهِ. وَضَرَبْتُ عَنْ غَيْرِهِمْ صَفْحًا.

(١) الثمل: السكر. هائم: حائر (لا يدري ما يفعل).

(٢) الهوى: ألم الحب. الوله: ذهاب العقل من الحزن.

(٣) الكيامة: الكأس (الفلاف الأخضر) الذي تكون فيه الزهرة قبل أن تتفتح. مدبج: (ثوب من الحرير) مزين ومنقوش بالأشكال والألوان.

(٤) الوكاف (كذا في الأصل: من ٢١٦، الطر الخامس عشر): بردعة الحمار. والمقصود: الوكف (بالفتح) أو الوكيف أو الوكفان (بفتح ففتح): هطول المطر. محل (لعلها بفتح ففتح فتشديد) حبيبه: حبيب بن أوس (أبو قَام)، كناية عن البراعة في الشعر.

(٥) الرغد: العطاء. مستنزل: الذي ينجح في استئصال شيء (إقناع الآخرين بفعله).

(٦) الهاق (بالضم): ليلة آخر الشهر (لا ضوء قمر فيها). - من شعر جيد (له شعاع) ولكنه مستور، محبوب (لم ينشر بعد). الشعاع (بالضم): الضوء المنتشر. الشعاع (بالفتح): (الأشياء) المتفرقة.

والشعراء كثيرون، هم لأرياح الكلام مُثيرون... واقتَصَرْتُ فيه على مَنْ لَتَفِيهِ أَشَدُّنِي، وَمَنْ يَنْظِمُهُ الْبَارِعُ اسْتَرَشَدَنِي مِمَّنْ رَأَيْتُهُ بِالْيَمَانِ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْأَعْيَانِ، وَمَنْ بَسِطِي لِحَفْنَهُ وَأَنْشِدْتُ لَهُ فَأَلْحَقْتُهُ وَالْمُ بِهَا أَشَدُّنِي رِوَايَةً عَنْ قَائِلِ أَعْيَنِهِ تَمَّا يَسْتَجِيدُهُ قَائِلُهُ وَيَزِينُهُ. وَغَرَضِي أَنْ أَكْتُبَ مَا أَجِدُهُ مِنَ الرِّسَائِلِ لِمَنْ ثَبَتَ اسْمُهُ وَأَضْمَنَهُ أَنْوَاعاً شَتَّى مِنَ الْمَكَاتِبَاتِ وَأَحْسَنَ رِسْمِهِ؛ إِذْ هَذَا النُّوعُ الْإِنْسَائِيُّ مِنَ الطَّبَقَةِ الْعُلْيَا بِالْمَوْضِعِ الَّذِي لَا يُجْهَلُ عُلُوُّهُ وَلَمْ يَتَقَلَّدْ حُلْيَتَهُ مِنَ الْجِنْسِ الْإِنْسَائِيِّ إِلَّا الْآحَادُ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُهْمَلَ سُمُوهُ. وَجَمَلْتُهُ عَلَى فُصُولٍ أَرْبَعَةٍ: الْفَصْلُ الْأَوَّلُ فِي شُعْرَاءِ الْمَشْرِقِ - الْفَصْلُ الثَّانِي فِي شُعْرَاءِ الْمَغْرِبِ؛ وَهَذَا الْفَصْلُ أَجْمَعُهُ عَلَى تَوْعَيْنِ: النَّوعِ الْأَوَّلِ فِي شُعْرَاءِ الْأَنْدَلُسِ، وَالنُّوعِ الثَّانِي فِي شُعْرَاءِ بَرِّ الْعُدُوَّةِ.

وَسَمَّيْتُهُ تَثِيرَ فَرَائِدِ الْجَمَانِ فِي نَظْمِ فُحُولِ الزَّمَانِ، مِنْ أَهْلِ الْمِائَةِ الثَّامِنَةِ مِنْ قُرْسَانِ الْكَلِمَةِ الْكَامِنَةِ مِنْ أَرْبَابِ الْقَوَافِي مِنْ كُلِّ مَدِيدِ الْخَوَافِي^(١)، مِمَّنْ شَفِي عَلَى مَفَاخِرِهِ أَلْسِنَةُ الْأَقْلَامِ وَالْمَحَابِرِ وَقَوْمٌ بِأَمْدَاحِ شَرْفِهِ خُطْبَاءُ الْمَنَابِرِ، مِنْ فُقَيْهِ كَاتِبِ مُجَدِّ بِالسُّنُودِ، وَعَالِمٍ كَانَ مِنْهُ لِإِقْرَاءِ الْعُلُومِ مَا حُمِدَ بِالتَّجْوِيدِ؛ وَمَنْ أَدِيبٍ ذِي جَاهٍ عَرِضَ سَلَكُ مِنَ الْإِدْرَاكِ بَرُوضِ أَرِيضِ^(٢). وَعَلَى مَنْ أَدْرَكَهُ جِثْتُ بِالتَّمْوِيلِ، وَغَيْرُ مَا يُؤْمَلُ الْمَرْءُ فَإِبَاهَتُهُ مِنْ أَفْعَالِ التَّمْوِيلِ.

٤- روضة النسرین فی دولة بنی مرین، الرباط (المطبعة الملكية) ١٣٤٤ هـ، تم ١٣٨٢ هـ = ١٩٦٢ م.

- ستودع العلامة ومستبدع العلامة (بتحقيق محمد بن تاويت الطنجي ومحمد التركي التونسي)، منشورات كلية الآداب بجامعة محمد الخامس في الرباط)، تطوان ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م.

- ثير فرائد الجمال، في نظم فحول الزمان، (دراسة وتحقيق د. بقم)، محمد رضوان الداية)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٧ م.

★ جذوة الاقتباس ٩٩؛ درة المجال ١: ١١٦؛ نيل الابتهاج (القاهرة) ٩٨-٩٩

(١) الكنية الكامنة في من لقبناه في الأندلس في المائة الثامنة (٧٠١-٨٠٠ هـ) كتاب لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) الحافية: الرضة الطويلة في مقدمة الجناح (كتابة عن القوة على الطيران).

(٢) الأريض: (المكان) الكثير الثبت الحسن المنظر.

تثير الجمان في نظم فحول الزمان، ص ٣٧٧-٤٠٤ (ترجمة له) ثم راجع مقدمة المحقق؛ أزهار الرياض ١: ١٨٦، ٢٩١-٢٩٢، ٣: ١٩٥-١٩٨؛ بروكلمن ٢: ٣١٣، الملحق ٢: ٣٤٠، الأعلام للزركلي ١: ٣٢٩-٣٢٩ (٣٣٠)؛ مجلة البحث العلمي (ماي-غشت = أيار-آب ١٩٦٤)، ص ٢٥٤-٢٦٧؛ معجم المؤلفين ٢: ٣٠١.

يوسف بن يوسف بن الأحمر

١- هو الثالث عشر من ملوك غرناطة: أبو الحجاج يوسف الناصر (الثالث) بن يوسف (الثاني) بن محمد (الخامس: الغني بالله) بن أبي الحجاج يوسف (الأول) بن إسماعيل (الأول) بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر.

تلقى يوسف بن يوسف بن الأحمر أشياء من علمه على أبي محمد عبد الله بن جزي وأبي عبد الله الشريشي والقاضي أبي عبد الله محمد بن علاقي والصوفي أبي مهدي بن الزيات. ثم جاء إلى العرش بعد موت أخيه محمد، سنة ٨١٠ هـ (١٤٠٧ م). وقد كانت أيامه أيام ضعف واضطراب من استمرار تنازع أمراء بني الأحمر على البقعة الصغيرة التي كانوا يحكمونها ومن إلحاح الإسبانيين على أطراف غرناطة بالاستيلاء قدرة أو حيلة. وكانت وفاة يوسف بن يوسف سنة ٨١٩ هـ (١٤١٧ م).

٢- كان يوسف بن يوسف بن الأحمر أديباً ناثراً وناظماً ومُصنفاً. وفنون شعره المولديات والرائاء والحماسة والغزل والشكوى. وشعره عاديٌّ ظاهر الضعف أحياناً تلمح فيه تقليد شعراء المارقة يُسر كقولهِ، مثلاً (ديوان ١٣٧):

يا آلَ يوسف، لي في قُطْرِكُمْ قَمَرٌ قد ظلّ من فلكِ الأزرار^(١) مَطْلَمُهُ
من قول ابن زريق البغدادي:

أُسْتَوْدِعُ اللهَ في بَغْدَادَ لي قَمَرًا بالكُرْخ^(٢) من فلكِ الأنوارِ مَطْلَمُهُ.
وصَفَّ يوسف بن يوسف ديوان ابن زمرَك (قُتِلَ ٧٩٦ م).

(١) في زاباؤر (ص ٩٤) سنة ٨٢٠ هـ.

(٢) الأزرار: مدخل التوب في العنق.

(٣) الكرخ: الجانب الغربي من بغداد.

٣- مختارات من آثاره

- قال يوسف بن يوسف بن الأحرر:

خَلِيلِي، مَهْلًا! فَالزَّمَانُ كَمَا تَدْرِي. وَلَا بُدَّ مِنْ يُسْرِ عَلَى أَثَرِ الْمُسْرِ.
فَمَهَا دَهَا صَحَوُ فَلَا بُدَّ مِنْ قَطْرِ، وَمَهَا دَجَا خَطْبُ فَلَا بُدَّ مِنْ فَجْرِ^(١).
وَالطَّافُ صُنِعَ اللهُ رَائِعَةُ الْبَشَرِ^(٢).

عَلَى الْعَدْلِ يَجْرِي حُكْمُهُ وَقَضَاؤُهُ، وَمِنَا لَهُ التَّسْلِيمُ فِيمَا يَشَاؤُهُ.
وَمَنْ كَانَ بِالْحَقِّ الْيَقِينَ اهْتَدَاؤُهُ رَأَى النُّصْرَ خَفَاقًا عَلَيْهِ لَوَاؤُهُ.
وَسُخْفًا لِبَاغٍ حَادٍ عَنْ عِلْمِ النُّصْرِ.

رَضِيتُ بِمَا يَرْضَاهُ رَبِّي وَنَاصِرِي: مُجَاهِدَةً بَيْنَ السُّيُوفِ الْبَوَاتِرِ،
وَبَيْنَ اقْتِكَارِي فِي الْعَدُوِّ الْمُحَاصِرِ أُنَادِي إِلَّاهَا عَلَمًا بِالسَّرَائِرِ،
عَسَى عَظْفَةً مِنْ عَالَمِ النَّهْيِ وَالْأَمْرِ^(٣).

إِلَيْهِ اسْتِنَادِي حَيْثُ حَلَّتْ رِكَائِي، عَلَيْهِ اعْتِمَادِي فِي جَمِيعِ الْمَطَالِبِ
وَخَيْرِ شَفِيعٍ مِنْ لُؤْيِ بْنِ غَالِبٍ وَأَتْبَاعِهِ مَا بَيْنَ سِبْطٍ وَصَاحِبٍ
وَمَا جَاءَ فِي الْفُرْقَانِ وَالشُّعْ وَالْوُتْرِ^(٤).

- وقال في الشكوى من حال الأندلس والحرب:

وَمِمَّا أَهَاجَ الْوَجْدَ مِنِّي وَالْبُكََا وَمِيضٌ بِأَعْلَى الرَّقْمَتَيْنِ يُلُوحُ^(٥).
تَعَرَّضَ مِنْ دُونِ الْمُصَلَّى، وَدُونَهُ مَجَالٌ لِأَيْدِي النَّاعِجَاتِ فَسِيحُ^(٦).

(١) صحو: انقطاع المطر (لعل المقصود: قحط). القطر: المطر.

(٢) البشر يمكن أن تكون بضم الباء وتسكين التين (بدل فتحها، جواراً في الشعر) جمع بشري.

(٣) عالم النهي والأمر: الملاء الأعلى (من لدى الله).

(٤) لؤي بن غالب من أجداد رسول الله. السبط: ابن البنت (الحسن والحسين سبطا رسول الله). صاحب واحد صحابة الرسول. الفرقان: القرآن. الشع والوتر إشارة إلى سورة الفجر (٨٩: ١-٣): ﴿وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشُّعْ وَالْوُتْرُ﴾.

(٥-٦) الوجود: الشوق. الرقمتين اسم مكان لا يقصد هنا به علماً معيناً، والمصلّى مثله. الناعجات: النوق السريمة.

بَلِيلٍ كَانَ الشُّهْبَ فِيهِ فَوَارِسٌ يُكَلِّ عَلَيْهَا لِلْبُرُوقِ صَفِيحٌ^(١).
 فَمِنْ بَيْنِهَا وَ قَدْ تَكَدَّرَ وَ اخْتَفَى، وَ آخَرَ خَفَاقِ الْفُؤَادِ جَرِيحٌ^(٢).
 فَإِنْ يَكُ لَيْلُ الْحَجَرِ لَيْسَ يُنْقَضُ فَلِلصَّبْرِ وَجَهٌ بِالصَّبَاحِ صَبِيحٌ.
 سِرَضَى بِحُكْمِ السِّيفِ مِنْهُ سُرْفٌ، وَيَسْمَحُ بِالْمَالِ الْعَرِيضِ شَحِيحٌ^(٣).
 أَنَا الْيُوسُفِيُّ النَّاصِرُ الْمَلِكُ الَّذِي أَيْدِ ذُرَارِيِّ الْعِدَا وَأَيْحِ.
 يُصَرِّحُ مَلِكُ الرُّومِ جُهْدًا بِصُلْحِهِ، وَبُرْهَانُ مَقْصُودِي لَدُنْهُ صَحِيحٌ^(٤).
 وَهَلْ لِي إِلَى غَيْرِ الْحُرُوبِ تَطَلُّعٌ، وَهَلْ لِي إِلَى غَيْرِ الْجِهَادِ طُمُوحٌ؟
 وَأَنْ مُقَامِي لَا مُقَامَ يَرُوقُهُ، فَلَيْسَ قُتُورًا أَنْ تَقِلَّ قُتُوحٌ^(٥)!

٤- ديوان ملك غرناطة: يوسف الثالث (حققه عبدالله كُتُون)، تطوان ١٩٥٨ م؛ الطبعة الثانية، القاهرة (مكتبة الانجلو المصرية) ١٩٦٥ م.
 ** درة المجال ٢: ٢٨٣؛ نفع الطيب ٤: ٣٠٣ (٩)؛ الأعلام للزركلي (٨: ٢٥٩)؛ مجلة «دعوة الحق» (المغرب)، مقال لأحمد العراقي القاسي، في عدد (عدي ٩) رمضان وذو الحجة ١٣٩٢ هـ.

ابن جابر الفسائي المكناسي

١- في «الأعلام» للزركلي (٦: ٢٩٤): مُحَمَّدُ بْنُ جَابِرِ الْفَسَائِيِّ الْمِكنَاسِيِّ (ت ٨٢٧ هـ) من أهل مِكنَاسَ، له «نظمُ المَرْقَبَةِ الْعُلْيَا فِي تَعْبِيرِ الرُّوْيَا» ثم (٨: ١٠): مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جَابِرِ الْفَسَائِيِّ (ت ٨٢٧ هـ) من أهل مِكنَاسَةَ، له نظمٌ في عِلْمِ الرُّوْيَا.

وَإِذَا نَحْنُ رَجَعْنَا إِلَى نَيْلِ الْإِبْتِهَاجِ (ص ٢٨٦-٢٨٧) وَالنَّبُوغِ الْمَغْرَبِيِّ (ص ٢٢٩)

- (١) الشهب: النجوم. الصفيح: الصفحة المستوية من الحديد (أنيف).
- (٢) هاو: غائب (يقرب وراء الأق في رأي العين). خفّاق الفؤاد: يزهر (يوميض تناعاً). جريح (لونه أحمر).
- (٣) العريض (الكثير؟). شحيح: بخيل.
- (٤) الروم: الإفرنج، نصارى أوروبا. جهداً (٩) لعلها: جهراً.
- (٥) موقني كملك في غرناطة لا يرضى أحداً (الضعفي والضعف دولتي). قُتُور: هدوء، كل. إن ترك الحرب ليس عن كل في ولكن عن عجز مني.

والأدب المغربي (ص ٢٧٤) وَجَدْنَا مُحَمَّدَ بْنَ جَابِرِ الْغَسَّانِيِّ الْيَمَنِيَّ مِنْ أَهْلِ مَكْنَسَةَ تَلْمِذَ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنَ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الْمَنَّانِ الْيَمَنِيِّ (ت ٧٩٢ هـ) وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحُسَيْنِ اللَّخْمِيُّ مِنْ سُكَّانِ مَكْنَسَةَ. وَكَانَتْ وَفَاةُ ابْنِ جَابِرِ الْغَسَّانِيِّ الْيَمَنِيِّ سَنَةَ ٨٢٧ (١٤٢٤ م).

٢- كان ابنُ جابرِ المقصودُ بهذه الترجمة أديباً شهيراً (راجع نفح الطيب ٥: ١٦٧) وشاعراً مُجيداً كما كان مُصنفاً بارِعاً وعالماً بالقراءات له (راجع نيل الابتهاج ٢٨٦): نُزْهَةُ النَّاطِرِ لابنِ جَابِرِ (رَجَزٌ فِي التَّعْرِيفِ بِلِدِّهِ مَكْنَسَةَ) - كِتَابٌ فِي رَسْمِ الْقُرْآنِ - تَسْمِيطُ الْبُرْدَةِ (لِلْبُوصَيْرِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٦٩٦) - نَظْمُ الْمَرْقَبَةِ الْعَلِيَا فِي تَعْبِيرِ الرُّوْيَا (لِابْنِ رَاشِدٍ).

٣- مختارات من شعره

- قال أبو عبدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ جَابِرِ الْغَسَّانِيِّ الْيَمَنِيِّ مُخَمَّساً بَيْنَيْنِ لِسَانِ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ فِي رَسُولِ اللَّهِ (نفح الطيب ٥: ١٦٧):

يَا سَائِلًا لِضَرْيَحِ خَيْرِ الْعَالَمِ يُنْهِي إِلَيْهِ مَقَامَ صَبٍّ هَائِمٍ^(١)،
بِاللَّهِ، نَادٍ وَقُلٌّ مَقَالَةٌ عَالِمٍ: (يَا مُصْطَفَى مِنْ قَبْلِ نَشْأَةِ آدَمَ^(٢))
وَالْكُؤُنُ لَمْ تُفْتَحْ لَهُ أَغْلَاقُ^(٣).

بِشْنَاكَ قَدْ شَهِدَتْ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ، وَاللَّهُ قَدْ صَلَّى عَلَيْكَ وَسَلَّمًا^(٤).
يَا مُجْتَنِبِي وَمُعْظَمًا وَمُكْرَمًا، (أَيْرُومُ مَخْلُوقٌ تَسَاءَكَ بَعْدَمَا^(٥)).

(١) يا سائلا (كذا في الأصل). اقرأ: يا سائرًا! الضريح: القبر. خير العالم (محمد رسول الله). يُنْهِي..... (يحمل إليه وصفاً لحال رجل محب له - هو لم يستطع الذهاب إلى المدينة فحمل أحد الزاهدين إليها رغبته).

(٢) مصطفى: مختار، منتقى، مفضل (اختار الله محمداً رسولاً إلى الناس كافة من قبل أن يُخلق آدم أبو البشر).

(٣) الكون (مصدر = كان - يكون). والناس يلحنون فيمنون بالكون = مجموع الوجود. «اغلاق (ليست في القاموس) والملموح أن الوجود لم يظهر بعد.

(٤) شاك = ثناؤك (التناء عليك: بصفاتك الجميلة).

(٥) مجتني: مقرب، مختار. أيروم: أطلب (أطلب في مثل صفاتك)؟

أَتَى عَلَى أَخْلَاقِكَ الْخَلَّاقُ^(١).

وقال مُورِيًّا بِالْبُرُقِ وَالْعُقُوبِ (وبالبراق والعقارب) مُتَفَرِّلاً (النبوغ المغربي ٧٤١، الأدب المغربي ٢٧٤):

إِنْ خِضْتَ مِنْ قَتْلِ الْمُهَنْدِ وَالْقَنَاءِ فَإِذَا رَنَتْ وَإِذَا مَسَتْ لَا تَقْرَبِ^(٢);
فِي قَلْبِ بُرْقُعِهَا حَاسَنٌ أَتَزَلَّتْ قَمَرَ السَّمَاءِ لَنَا بِقَلْبِ الْعُقُوبِ^(٣);
** حَلَّتْ عَقَارِبُ صِدْغِهِ مِنْ خَدِّهِ قَمَرًا فَجَلَّ بِهَا عَنِ التَّشْبِيهِ^(٤);
وَلَقَدْ عَيْدَنَاهُ يَحِلُّ بِبُرْجِهَا فَمِنْ الْعَجَائِبِ كَيْفَ حَلَّتْ فِيهِ^(٥)!
- وقال فِي جَمَالِ مِكْنَسَةِ (النبوغ المغربي ٧٦٤، الأدب المغربي ٢٧٦):

لَا تُتَكَبَّرُ الْحُسْنُ مِنْ مِكْنَسَةٍ، فَالْحُسْنُ لَمْ يَبْرَحْ بِهَا مَعْرُوفًا.
وَلَيْتَ مَحَتَّ أَيْدِي الزَّمَانِ رُسُومَهَا، فَلَرُبَّمَا أَبْقَتْ هُنَاكَ حُرُوفًا.

٤- دَرَّةُ الْحِجَالِ ٢: ٢٧٨، نِيلُ الْإِبْتِهَاجِ (القاهرة) ٢٨٦-٢٨٧، ٣٢١؛ نَحْجُ الطَّيِّبِ ٥: ١٦٧، النُّبُوغُ الْمَغْرِبِيُّ ٢٢٩، ٧٤١، ٧٦٤، ٨٠٩؛ الأدب المغربي ٢٧٤-٢٧٦، بروكلمن ٢: ٣٣٤، الملحق ٢: ٣٦٧؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢٩٤، راجع ٨: ١٠ (٦: ٦٨ و ٧: ١٣٩)؛ مجمع المؤلفين ٩: ١٤٦.

أبو بكر بن عاصم

١- هو الرئيس أبو بكر مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَاصِمِ الْقَيْسِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ الْغَرْنَاطِيِّ،

- (١) في القرآن الكريم (٦٨: ٤ القلم) في خطاب الرسول: ﴿وَإِنَّكَ لَأَنْتَ خَلْقٌ عَظِيمٌ﴾. الخَلَّاقُ: الله.
- (٢) المَهَنْدُ: السيف (من صنع الهند). القَنَاة: القصبة (الرمح). رَنَّا يَرِنُو (نظر، تطلع). إِنْ كُنْتَ تَخَافُ الْهَلَكَ فَلَا تَنْتَظِرْ (إلى هذه الفتاة الجميلة) إِذَا هِيَ نَظَرَتْ إِلَيْكَ أَوْ إِذَا هِيَ مَرَّتْ بِكَ.
- (٣) فِي قَلْبِ (وَسَطِ) بَرْقُعِهَا حَاسَنٌ (وَجْهَهَا). هذه الحاسن جعلت من وجهها قمرًا (شيثًا جميلًا) بِقَلْبِ (بمكس) الْعُقُوبِ = ع ق ر ب: ب ر ق ع). هنا تورية: العُقُوبُ: برج (مجموع نجوم) يَرَبُّهَا الْقَمَرُ (في رأي قدماء الفلكيين). - والعُقُوبُ (الحشرة السامة المعروفة).
- (٤) عَقَارِبُ صِدْغِهِ (كتابة عن خصل الشعر المتدلية من جواب رأسه). جَلَّ: فاق، ارتفع.
- (٥) الكلام على القمر (المحسوب الجميل) وفيه تورية: القمر الجرم - بكسر الجيم - السماوي يمر عادة ببرج المغرب - والعجيب أن العقارب (خصل الشعر) قد تدلَّتْ من جوانب رأس المحبوب (ثم هي لا تضره).

وُلِدَ فِي غَرْنَاطَةِ فِي ثَانِي عَشَرَ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سَنَةِ ٧٦٠ (١١/٤/١٣٥٩م).

نشأ أبو بكر بن عاصم في غَرْنَاطَةِ وتلقَى فيها علومه على خَالَتِهِ: قاضي الجماعة أبي بكر بن جَزِيٍّ ثم رئيس علماء اللسان أبي إسحاق بن جَزِيٍّ^(١). ومن أخذ عنهم أبو بكر ابن عاصم: أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن الحاج الثُميري (٧١٣ - ٧٦٨ هـ) وأبو سعيد ابن لُبٍّ (ت ٧٨٢ هـ) وأبو إسحاق الشاطبي (ت ٧٦٠ هـ) وأبو محمد عبد الله بن الشريف التليصاني (ت ٧٩٢ هـ) وأبو عبد الله القيجاتي (القيجاطي) وأبو عبد الله بن عَلاقٍ وأبو الحسن عليُّ ابنُ منصورٍ الأشهبُ وأبو عبد الله البلنسيُّ.

كان أبو بكر بن عاصم قد بدأ حياته العملية بالورقة (تجليد الكتب وبيعها) ثم أصبح قاضي الجماعة (قاضي القضاة) في غَرْنَاطَةِ^(٢)، كما كان قد تولّى الكتابة (الوزارة) - في غَرْنَاطَةِ أيضاً - مدةً يسيرة^(٣). وكانت وفاته يوم الخميس في الحادي

(١) لم أهند إلى تفصيل أمرها.

(٢) في نفع الطيب (٥: ١٩) ترجمة لأبي بكر بن عاصم، علق عليه المحقق (في الحاشية) أن أبا بكر بن عاصم هذا «كان من أكابر قضاة غرناطة، تولّى قضاءها سنة ٨٨٨ (للهجرة) وله مؤلفات منها شرحه على تحفة والده في الأحكام.....». ومع أن رقم الحاشية موضوع على اسم «أبي بكر بن عاصم» لا على اسم ابنه أبي يحيى بن عاصم «(المذكور في السطر السابق)، فإن تاريخ الوفاة (أزهار الرياض ١: ١٤٥): «وليّ القضاء عام ثمان وثمانين وثمان مئة» (كذا بالأحرف) خطأ (لأن أبا بكر توفي سنة ٨٢٩، وتوفي ابنه أبو يحيى سنة ٨٦٠ هـ). والصواب ما جاء في «نيل الابتهاج» (ص ٣١٣): «تولّى القضاء عام ثمان وثلاثين وثمان مئة» (بالأحرف أيضاً). وقد نبّه على ذلك أيضاً خير الدين الزركلي (الأعلام، طبعة عام ١٩٧٩م، ٧: ٤٨).

(٣) في «نفع الطيب» (٧: ١٦٩)، راجع «أزهار الرياض ٢: ١٩»: «وقدّم للكتابة الفقيه ابن عاصم (أي أبو بكر) لمدة من عام (مدةً يسيرة من عام). وفي «تاريخ الفكر الأندلسي» (ص ٤٢٩): «واستوزره يوسف الثاني الفتي بالله صاحب غرناطة» - ويبدو أن تقوم هذه الجملة أن يقال: يوسف الثاني بن محمد الخامس الفتي بالله. أمّا يوسف الثاني فقد جاء إلى عرش غرناطة، سنة ٧٩٣ ثم خلع (٧٩٤؟)، وكانت وفاته سنة ٧٩٦ هـ، فبها يبدو. وأمّا محمد (الخامس) الفتي بالله فقد تولّى عرش غرناطة في حقيبتين (يكسر الحاء): من ٧٥٥ إلى ٧٦٠ (ولم يكن أبو بكر بن عاصم قد ولد بعد) ثم من ٧٩٣ إلى ٧٩٦ هـ للهجرة. وعلى كل حال فإن أبا بكر بن عاصم لم يكن قد برأ في الإدارة (الوزارة)، فقد جاء في «أزهار الرياض» (٢: ٢٦٤، الطبرين ١١ و ١٢): «..... (وعندي) حيلة أقيم لك بها في عام واحد عدد ما كان يقوم على يدي..... ابن عاصم (من جمع أموال الجباية) في عشرين عاماً». أو لعل أبا بكر ابن عاصم لم يكن ظالماً في جمع المال من الرعيّة.

عَثَرَ من شَوَالٍ، سَنَةَ ٨٢٩ (١٥/٨/١٤٢٦ م).

٢- كان أبو بكر بن عاصم مُتَضَلِّعاً من القِراءات وبارِعاً في النحو يَجْمَعُ بين القِياس والسَّماع، وإن كان أَمِيلَ إلى رأيِ البَصْرِيِّين في السَّماع^(١). وكذلك كان أديباً عارفاً بالبلاغة والعروض، كما كان شارِكا في المنطق وعلم العدَد (الحساب) والفرائض (تقسيم الإرث)، ثم كان أديباً ناثراً وشاعراً ومُصَنِّفاً في عدد من فنون المعرفة. فمن تصانيفه: تحفة الحكام في نُكْتِ العقود والأحكام (١٦١٨ بيتاً من الرَّجَز) - حدائق الأزهار (أو حديقة الأزهار) في مُسْتَحْصِنِ الأَجُوبَةِ والمُضْحِكَاتِ والحِكَمِ والأمثال والحِكَايَاتِ والنوادر (وهذان الكتابان وصلا إلينا وُصُبا). ثم كانت له كُتُبٌ (لا نعلم أنها باقية)، منها (أراجيز): مَقْبَعٌ (في نيل الابتهاج: منبع) الوُصولِ في علم الأصول (أصول الفقه) - مُرْتَقَى الوُصولِ للأصول^(٢) (الأرجوزة الصغرى) - نَيْلُ النُيِّ في اختصار المُوافَقاتِ (لِلشَّاطِبيِّ) - المُوجِزُ في النحو (حاذى به رَجَزُ أبْنِ مالِكٍ في عَرْضِ البَسْطِ له والمُحَاذَاةُ لِقَصْدِهِ) - ثم قصائد: إيضاحُ المعاني في القِراءات الثمانية (في نيل الابتهاج: في قراءة أبي عمرو الداني، المُتَوَفَّى سَنَةَ ٤٤٤ هـ) - الأَمَلُ المَرْقُوبُ في قِراءة يَنْقُوبِ^(٣) - كَنْزُ المُفَاوِضِ في علم الفرائض.

٣- مختارات من آثاره

- من العاصمية (تحفة الأحكام):
 الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَقْضِي وَلَا يَقْضَى عَلَيْهِ، جَلَّ شَأْنُهُ وَعَلَا^(٤).
 ثُمَّ الصَّلَاةُ بِدَوَامِ الْأَبَدِ عَلَى الرَّسُولِ الْمُصْطَفَى مُحَمَّدٍ^(٥)،
 وَاللَّهُ وَالْفِتْنَةُ الْمُتَبَعَةُ فِي كُلِّ مَا قَدْ سَنَّهُ وَشَرَعَهُ^(٦).

(١) راجع الجزء الثالث من هذا الكتاب، ص ٤٧.

(٢) بروكلمن، الملحق ٢: ٣٧٥.

(٣) هو أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمي البصري (١١٧ - ٢٠٥ هـ) أحد القراء العشرة.

(٤) يقضي: يحكم (على الناس بما يسيبهم)، يفصل في خلافاتهم.

(٥) الأبد: الدهر.

(٦) الفتنة (الجماعة) التبعة (لشريعته): المسلمون. سَنَهُ: جملة سَنَةٍ (طريقة الحياة يستحسن العمل به). شرعه: أوجب العمل به (جملة شريعة).

وبعد، فالقصد بهذا الرجز آتت فيه الميل للتبيين وجئت في بغض من المسائل فضمنه القصد والمقرب نظمته تذكرة، وحين تم، سمّيته بـ «تحفة الأحكام» وذاك لما أن بليت بالقضاء وإنسي أسأل، من ربّ قضى والحمل والتوفيق أن أكونا حتى أرى من مفرد الثلاثة (باب القضاء وما يتعلق به):

منفذ بالشرع للأحكام له نيابة عن الإمام (٨).

(١) آتت: فضلت. التضمن: تداخل بعضه ببعض (جعلته منفصلاً تفصيلاً واضحاً). والتضمن عند الروضيين (بالفتح: علماء الثمر): أن يكون قام معنى البيت من الثمر في البيت الذي يليه، كقول أبي نواس:

الحمد لله، أني - على حدائنة سني -
فقت الحبين طراً ببعض ما شاع عني.

(فإن خير «إن»، في البيت الأول، «فقت» في البيت الثاني).

(٢) بالخلف (باختلاف الأقوال) لاشتهار القائل (إذا كان الذين جاءوا بهذه الأقوال المختلفة من المشهورين بالعلم والصدق).

(٣) تذكرة: تذكيراً (لي). ما تمّ به البلوى (حاجة الناس إليه). ألم بالموضوع: تناوله باختصار.

(٤) التكت (هنا): الأمور التي تبدو غامضة، والأمور الجزئية التي يغفلها الناس أحياناً. العقود (جمع عقد بالفتح): ما يتفق عليه الفريقان كتابة.

(٥) أطلب من الذي قضى عليّ (أي الله) بأن أكون قاضياً أن يرفق بي في القضاء (في حالي يوم القيامة).

(٦) الحمل (القدرة على القيام بما يوجبه عليّ منصب القاضي).

(٧) في الحديث الشريف: القضاة ثلاثة: اثنان في النار وواحد في الجنة: من مفرد الثلاثة (الواحد الذي هو في الجنة).

(٨) القاضي هو المنفذ للأحكام بمقتضى الشرع نيابة عن الإمام (الذي هو الخليفة).

وَأَسْتَحْصِنَتْ فِي حَقِّهِ الْجَزَاةَ، وَشَرْطُهُ التَّكْلِيفُ وَالْعَدَالَةُ^(١)،
وَأَنْ يَكُونَ ذَكَرًا حُرًّا سَلَمَ مِنْ قَقْدِ رُؤْيَةٍ وَسَمْعٍ وَكَلِمَ.
وَيُسْتَحَبُّ الْعِلْمُ فِيهِ وَالْوَرَعُ، مَعَ كَوْنِهِ الْحَدِيثُ لِلْفَقْهِ جَمْعَ^(٢)،
وَحَيْثُ لَاقَ لِلْقَضَاءِ يَقْعُدُ، وَفِي الْبِلَادِ يُسْتَحَبُّ الْمَسْجِدُ^(٣)،

(فصل في مسائل من القضاء):

وليس بالجائز للقاضي - إذا لم يَبْدُ وَجْهُ الْحُكْمِ - أَنْ يُنْفِذَ^(٤)،
وَالصَّلَحُ يَسْتَدْعِي لَهُ إِنْ أَشْكَلا حُكْمًا، وَإِنْ تَمَيَّنَ الْحَقُّ فَلَا^(٥)،
مَا لَمْ يَخَفْ بِنَافِذِ الْأَحْكَامِ فِتْنَةً أَوْ شَحْنًا أُولَى الْأَرْحَامِ^(٦)،
وَفِي الشُّهُودِ يَحْكُمُ الْقَاضِي بِمَا يَعْلَمُ مِنْهُمْ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ^(٧)،

(١) لتولَّى منصب القضاء نوعان من الشروط: العدالة (وهي شروط وجوب، وهي التكليف أو العقل والذكورة والحرية وسلامة الحواس بالألا يكون أعمى أو أخرس، الخ) ثم شروط كمال ومنها الجزالة أو أصالة الرأي (القاموس المحيط ٣: ٣٤٨) وسعة العلم والورع أو التحفظ عن المغريات ثم المعرفة بالحديث والفقه معاً، الخ.

(٢) الورع: الخوف من الله، الترفع عن الأمور الدنيئة. مع كونه الحديث الخ: مع أن حفظه للحديث يكتفي (لأن الحديث قد جمع أبواب الفقه كلها؟) أو اقرأ: مع كونه الحديث (بالنصب) والفقه (العلم بأمور الدين) جمع (فعل ماضٍ مؤخَّر نصب ما قبله، أي الحديث والفقه): يجب أن يضيف (القاضي) إلى العلم (العام) والورع معرفة الحديث والفقه.

(٣) والقاضي يجلس للحكم في الأماكن الصغيرة والبعيدة حيث يلقى الجلوس للقضاء. أما في البلاد (المدن) فيحسن أن يجلس للحكم في المسجد.

(٤) لا يجوز للقاضي أن يصدر حكمه قبل أن يبدو له وجه الحق في القضايا المروضة عليه.

(٥) إذا تدرَّ على القاضي أن يفصل في قضية مروضة عليه (لعموم تلك القضية) فيجب عليه أن يدعو المتخاصمين إلى الصلح (بأن يتنازل كل خصم عن شيء من حقه). أما إذا طهر للقاضي أنَّ الحق في جانب أحد المتخاصمين فيجب عليه أن يحكم لذلك الخصم.

(٦) ولكن إذا أيقن القاضي أن حكمه لأحد المتخاصمين سيجرُّ إلى فتنة (قتال) أو شحنة (حقد وبغضاء) بين قومي المتخاصمين (لأن الخصم الذي حكم عليه قوي شرير) فيجوز له حينئذ أن يدعو الفريقين إلى المصالحة. أولو الأرحام: الأقارب.

(٧) ويجوز للقاضي أن يقبل شهادة الشهود الذين يعرفهم (ويعرف أنهم عدول) شخصياً. وأكثر العلماء يميزون ذلك.

وفي سواهم مالكٌ قد شددا
وقولُ سخونٍ به اليوم العسل
في منع حُكمه بغير الشُّهدا^(١)
فيما عليه مجلسُ الحكمِ أشتملُ....^(٢)

(باب الشهود وأنواع الشهادات):

وشاهدٌ صِفَتُهُ الرِّعِيَّةُ
والعدْلُ من يَحْتَسِبُ الكِبائِرَا
وما أيسحَ، وهو في العِيانِ،
فالعدْلُ في التَّبَرُّيزِ ليس يَقْدَحُ
وغيرُ ذي التَّبَرُّيزِ قد يُجَرِّحُ
ومنَ عليه وَسْمٌ خيرٌ قد ظَهَرَ
عَدَالَةُ، تَقْطُ، حُرِّيَّةُ^(٣)
ويَتَّقِي في الغالبِ الصِّغَارَا^(٤)
يَقْدَحُ في مُروءَةِ الإنسانِ^(٥)
فيه سِوَى عَدَاوَةٍ تُتَوَضَّعُ^(٦)
بغيرِها من كُلِّ ما يُسْتَقْبَحُ^(٧)
زُكِّي، إِلَّا في ضَرُورَةِ السَّمَرِ^(٨)

- (١) إن الإمام مالكا (ت ١٧٩ هـ) فيه أهل المدينة قد منع أن يحكم القاضي في القضايا بعلمه من غير استماع إلى الشهود وأوجب أن يستمع القاضي إلى الشهود ويحكم بما يوضح له من أقوالهم.
- (٢) سخون هو عبد السلام بن سعيد من كبار فقهاء المالكية (ت ٢٤٠ هـ) قد قبل أن يحكم القاضي في عدالة الشهود بعلمه (يقبل شهادة من يعلم هو عدالته ويرفض شهادة من كان عنده مجروح العدالة).... وإذا حكم القاضي (في رأي فقهاء آخرين) بعلمه في عدالة الشهود وجرح عدالتهم انقلب شاهداً ولم يبق قاضياً.
- (٣) والشاهد يجب أن يتصف بصفات: العدالة (العدل، الإنصاف، النزاهة) ويتقظ (معرفة الأحوال المحيطة بالقضية، الوعي، العقل) والحرية (أن يكون حراً لا عبداً رقيقاً).
- (٤) الرجل العدل (المقبول الشهادة في القضاء) هو الذي لا يأتي الكبائر (شرب الخمر، ترك الصلاة.... الخ) ويتقي (يحاف، يتعد عن) الصغائر (الذنوب الصغيرة: النظر العارض إلى غير محرم، الميل إلى اللغو، سبق اللسان إلى ما لا يقصد الإنسان، ذكر أخيه بما يكره أخوه، إلخ).
- (٥) والأموار المباحة (الطعام، تربية الحيوانات الأليفة، التبؤل، الخ)، إذا فعلها الإنسان علناً (في الأسواق مثلاً) نسقط عدالته فلا تقبل شهادته. قدح: عاب، جرح، قلل من. المروءة: الصفة الأساسية في الإنسان (والتي تجعل منه أمراً لا بهيمة).
- (٦) أما الرجال المشهورون بالتمييز (بين قومهم): بالعلم والصدق والمكانة، فلا تبطل عدالتهم (قبول شهادتهم في المحاكم) إلا إذا كان بينهم وبين أحد المتخاصمين عداوة ظاهرة.
- (٧) أما غير ذوي التمييز (راجع الحاشية السابقة) فكل عمل قبيح (الشرب في المأكول والمشروب والمزل، مثلاً) يفسد عدالتهم فلا تقبل شهادتهم.
- (٨) وسْم: علامة. وسْم خير: مظهر يدل على النبل وحسن الحال. إن مثل هذا الشاهد يجب أن يزكى، في العادة. أما إذا اختلف جماعة مسافرون واحتكموا إلى قاضي بلدة يرمون بها، فإن القاضي يقبل شهادة بعضهم على بعض (لتمنر تركبتهم) إذا هو اقتنع بعدالتهم من مظهرهم الصالح في نظره.

وَمَنْ بِعَكْسِ حَالِهِ فَلَا غِنَى
بِحَالَةِ الْجَرْحِ، فَلَيْسَ تُقْبَلُ
عَنْ أَنْ يُزَكَّى. وَالَّذِي قَدْ أَعْلَنَّا^(١)
لَهُ شَهَادَةً وَلَا يُعَدِّلُ^(٢).....
(باب اليمين):

فِي رُبْعِ دِينَارٍ فَأَعْلَى تُقْتَضَى،
وَمَا لَهُ بِأَلٍّ فِيهِ تَخْرُجُ
وَقَائِمًا مُسْتَقْبِلًا يَكُونُ
وَهِيَ، وَإِنْ تَعَدَّدَتْ فِي الْأَعْرَفِ،
وَمَا يَقِلُّ حَيْثُ كَانَ يُحْلَفُ
وَبَعْضُهُمْ يَزِيدُ لِلْيَهُودِيِّ
فِي مَسْجِدِ الْجَمْعِ، الْيَمِينُ بِالْقَضَا^(٣)
إِلَيْهِ لَيْلًا غَيْرُ مَنْ تَبَرَّجُ^(٤)
مَنْ اسْتَحَقَّتْ عِنْدَهُ الْيَمِينُ^(٥)
عَلَى وَفَاقِ نَيْتَةِ الْمُسْتَحْلِفِ^(٦)
فِيهِ، وَبِاللَّهِ يَكُونُ الْحَلْفُ^(٧)
مَنْزِلُ التَّوْرَةِ لِلتَّشْدِيدِ^(٨)

- (١) أَمَا الَّذِي لَا يَدُلُّ مَظْهَرُهُ عَلَى الصَّلَاحِ (وَقَدْ يَكُونُ صَالِحًا) فَيَجِبُ أَنْ يُزَكَّى (أَنْ يُثْبِتَ عَلَيْهِ رَجُلَانِ عَدْلَانِ وَشَهِيدَا بَصَالِحِهِ). وَأَمَّا الَّذِي يَظْهَرُ عَلَيْهِ.....
- (٢) أَنَّهُ غَيْرُ صَالِحٍ، فَلَا تُقْبَلُ شَهَادَتُهُ، وَلَا يُطْلَبُ الْقَاضِي مِنْ أَحَدٍ أَنْ يُزَكِّيه (لَأَنَّهُ لَا يَمْدُلُ: لَا يَكُنْ أَنْ يَصْبِحَ مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ).
- (٣) إِذَا كَانَ لَزِيدٌ عِنْدَ عَمْرُو دِينَارٍ مَقْدَارُهُ رُبْعُ دِينَارٍ فَمَا فَوْقَ يَثْبُتُ لَهُ ذَلِكَ الدِّينُ إِذَا هُوَ حَلَفَ يَمِينًا فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ (الْمَسْجِدِ الْكَبِيرِ الَّذِي تَقَامُ فِيهِ صَلَاةُ الْجُمُعَةِ).
- (٤) أَمَّا فِي الْأُمُورِ ذَاتِ الْبَالِ (الْمَهْمَةُ: الْقَتْلُ، الزَّانَا، الرِّضَاعُ، الْخ) فَيُمْكِنُ (بِحَسَبِ هَذَا الْبَيْتِ) أَنْ تَدْعَى الْمَرْأَةَ حَلْفَ الْيَمِينِ فِي الْمَسْجِدِ. الْمَالُوفُ - إِذَا احْتَاجَ الْقَاضِي إِلَى أَنْ تَحْلِفَ أَمْرَأَةً يَمِينًا - أَوْ أَنْ يُرْسَلَ الْقَاضِي إِلَى بَيْتِهَا رَجُلًا مُوَثَّقًا يَسْمَعُ بَيْنَهَا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ.
- (٥) وَصُورَةُ حَلْفِ الْيَمِينِ أَنْ يَقِفَ الْحَالِفُ مُسْتَقْبِلًا (مُتَّحِبًا إِلَى الْقِبْلَةِ).
- (٦) وَالْيَمِينُ - وَإِنْ تَعَدَّدَتْ فِي الْأَعْرَفِ (فِي الْمَالُوفِ الثَّانِعِ)..... تَكُونُ عَلَى نَيْتَةِ الْمُسْتَحْلِفِ (الْخَصْمِ) لَا عَلَى نَيْتَةِ الْحَالِفِ (إِذَا أَنْكَرَ زَيْدٌ أَنْ لَعَمْرُو دَهْنًا عِنْدَهُ، فَطَلَبَ عَمْرُو مِنْ زَيْدٍ حَلْفَ يَمِينٍ، فَتَكُونُ هَذِهِ الْيَمِينُ عَلَى مَا يَقْصِدُهُ عَمْرُو. فَلَا يَجُوزُ لَزَيْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَقْسَمُ... أَتَى غَيْرَ مَدِينٍ لَكَ (وَيُضْمَرُ أَنَّهُ غَيْرَ مَدِينٍ لَهُ بِأَمْرٍ مَعْنَوِيٍّ مِنْ ضِيَاةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ سَابِقٍ).
- (٧) وَإِذَا كَانَتْ الْيَمِينُ تَمَلِّقُ بِمَبْلَغٍ هُوَ أَقَلُّ مِنْ رُبْعِ دِينَارٍ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَلْفُ الْيَمِينِ فِي مَكَانٍ غَيْرِ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ. وَالْحَلْفُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِاللَّهِ. فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَحْلِفَ الْمَلَمُ بِالْهَيِّ أَوْ بِالْمَصْحَفِ أَوْ بِأَيِّهِ أَوْ بِشَرَفِهِ، الْخ.
- (٨) وَلِتَأْكِيدِ الْيَمِينِ يُطْلَبُ مِنَ الْيَهُودِيِّ أَنْ يَقْسَمَ بِاللَّهِ مَنْزِلَ التَّوْرَةِ، كَمَا يُطْلَبُ مِنَ النَّصْرَانِيِّ (رَاجِعِ الْبَيْتَ التَّالِيَّ) أَنْ يَقْسَمَ بِاللَّهِ مَنْزِلَ الْإِنْجِيلِ ذَلِكَ لِأَنَّ مَدْرَكَ اللَّهِ فِي الْإِسْلَامِ يَخَالِفُ مَدْرَكَ «يَهُوَه» عِنْدَ الْيَهُودِ وَمَدْرَكَ «الرَّبِّ» عِنْدَ النَّصَارَى. فَإِذَا كَانَ الْحَلْفُ بِاللَّهِ مَنْزِلَ التَّوْرَةِ وَمَنْزِلَ الْإِنْجِيلِ أَصْبَحَ مَدْرَكَ اللَّهِ فِي الْإِسْلَامِ هُوَ الْمُعْتَمَدُ فِي حَلْفِ الْيَمِينِ.

كما يزيد فيه للتثقيل على النصارى منزل الإنجيل .
وجُملة الكفار يَحْلِفونَا أَيْمَانَهُمْ حَيْثُ يُعْظَمُونَا^(١).

٤- تحفة الحكّام في نكت العقود والأحكام (هوداس ومارتل)، الأجزاء ١ - ٣، الجزائر ١٨٨٣ م، الجزء ٤ و٥، باريس ١٨٨٨ م، الأجزاء ٦ - ٨، الجزائر ١٨٩٢ - ١٨٩٣ م؛ فاس (طبع حجر) ١٢٨٩ هـ؛ تم ١٣٠٠، ١٣١٧، ١٣٢٣ هـ؛ القاهرة ١٣٠٩، ١٣٢٢، ١٣٢٧ هـ (في مجموع) مع شرح «الهيئة» للتسولي ١٣١٠ هـ؛ تم ١٣١٧ هـ (في مجموع) الجزائر ١٣٢٣ هـ؛ العاصمية أو تحفة الحكّام في نكت العقود والأحكام (نشرها وعلّق عليها ليون برشيه)، الجزائر (معهد الدراسات الشرقية - كلية الآداب بجامعة الجزائر) (١٩٥٨ م).

- شروح على تحفة الحكّام:

* الهيئة لعليّ بن عبد السلام التسولي الشبراوي (بروكلمن، الملحق ٢: ٣٧٥)، بولاق ١٢٥٦ هـ؛ ١٢٨٩ - ١٢٩٠ هـ؛ فاس ١٢٩٣ - ١٢٩٤ هـ؛ القاهرة ١٣٠٤، ١٣٠٥ هـ؛ بيروت، الطبعة الثالثة (دار المعرفة) ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م .
* الإبتقان والأحكام في شرح تحفة الحكّام، لمحمد بن أحمد ميّارة الفاسي (ت ١٠٧٢ هـ)، فاس ١٢٩٣ - ١٢٩٤، ١٢٩٨ - ١٢٩٩ هـ؛ القاهرة ١٣١٤ هـ؛ القاهرة (المطبعة الشريفة) ١٣١٦ هـ.

(٥) حاشية على شرح الإبتقان والأحكام، لمحمد الطالب بن حمدون بن عبد الرحمن بن حمدون، فاس ١٢٩٣ هـ؛ حاشية لأبي عليّ الحسن بن الرّحال المداني (على هامش «الابتقان»)، القاهرة ١٣٠١، ١٣٠٥، ١٣٠٦ هـ؛ تم مع حاشية للمدني ١٣١٥ هـ.

* شرح لمبد الله بن إبراهيم الشنقيطي (ت ١٢٣٠ هـ) - (مع «نشر البنود على مراقي السعود»، فاس بلا تاريخ).

* حلّی المعاصم لبنت فكر ابن عاصم، لمحمد بن سودة الناودي (ت ١٢٠٧ هـ)، فاس ١٣٠٤ هـ؛ فاس ١٣٠٨ - ١٣١٠ هـ (بهاش «الهجة»).

(٥) حاشية على «حلّی المعاصم» للمهدي بن محمد الوزّاني، فاس ١٣٠٨ - ١٣١٠ هـ.

* توضيح الأحكام لعثمان بن محمد التوزري، تونس ١٣٣٩ هـ (؟).

- حدائق الأزهار، فاس، بلا تاريخ.

- مرتقى الوصول إلى علم الأصول، فاس ١٣٢٧ هـ (على هامش «فتح الودود على مراقي السعود» لمبد الله بن إبراهيم الشنقيطي المتوفى سنة ١٣٢٠ هـ)، فاس، بلا تاريخ.

* شرح مرتقى الوصول = نيل السؤل أو بلوغ الوصول وحصول المأمول (لأبي ؟) محمد يحيى بن

(١) وغير الملم يقسم بينه في مكان عبادته أو في مكان يعظمه هو (ولا يؤتى به إلى المسجد الجامع).

محمد بن المختار بن الطالب عبد الله الساولي الحوضي الوالاتي، فاس ١٣٢٧ هـ، (على هامش «فتح الودود...»)، فاس، بلا تاريخ.

** نيل الابتهاج (القاهرة) ٢٨٩ - ٢٩٠ نفع الطيب ١٩:٥ - ٦٠:٢٢ - ١٥٥: ١٦٢ هـ ثم قال المقرئ (٥: ٢٢): «ولولا خوف الإطالة لذكرت بعض إنشائه ونظمه، فإنه في الذروة العليا. وقد ذكرت جملة من ذلك في «أزهار الرياض في أخبار عياض» (ولكن لم أهند إلى ذلك). غير أن في «نفع الطيب» جملة صالحة من أخبار أبي يحيى بن عاصم أخي أبي بكر ابن عاصم؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٢٠ - ٧٢١ بروكلمن ٢: ٣٤١، الملحق ٢: ٣٧٥ الأعلام للزركلي ٧: ٢٧٤ (٤٥)؛ معجم المؤلفين ١١: ٢٩٠؛ سركيس ٥٦؛ بالنسبة ٤٣٩ - ٤٣٠.

أبو يحيى بن عقبة

١- هو أبو يحيى أبو بكر بن عقبة القفصي (نسبة إلى قفصة في تونس) أخذ عن ابن عرفة (٧١٦ - ٨٠٣ هـ) إمام تونس وعالما وخطيبا في عصره وعن ابن مهدي وغيرهما. وكان معاصرا لابن مرزوق الحفيد (٧٦٦ - ٨٤٢ هـ) وللقاضي أحمد القلشاني. ولعل وفاته كانت نحو ٨٦٠ هـ (١٤٥٥ م).

٢- كان أبو يحيى بن عقبة رجلا صالحا وعلامة بارعا وفقها معروفا. له أسئلة كتبت بها إلى الإمام ابن مرزوق الحفيد فأجابه عليها ابن مرزوق بجزء سماه «اغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة». وكان له نظم حسن.

٣- مختارات من شعره

- كتب أبو يحيى بن عقبة إلى القاضي أحمد القلشاني (وكان القلشاني في قسنطينة) بآيات منها (ولعل البيتين الآخرين تضمين!):

عليك، أخي، بالتقى ولزومه ولا تكثر ما فيه زيد ولا عمرو^(١).
وكن مُسنداً ما قال بعض أولي النهى؛ فكم حكمة غراء قيدها الشعر:

(١) أكثر: اهتم، بالي (وحثها أن تتمدى بالباء). ما فيه زيد وعمرو (من الجدال والزعاع على أعراض الدنيا المادّة والمنوية).

إذا المرء جازَّ الأربعمِئَ ولم يكن له دون ما يأتي حياءً ولا سِتْرُ،
فدَعَهُ ولا تَنَفَّسَ عليه الذي أتى، وإن مَدَّ أسبابَ الحياةِ له العُمُرُ^(١).

٤ - نيل الابتهاج ٣٥٧.

ابن مرزوق الحفيد

١ - هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد (الخطيب) بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق المُجَنِّسِي التِّلِيسَانِي، وُلِدَ في الرابع عَشَرَ من ربيع الأول من سَنَةِ ٧٦٦ (١٣٦٥/١٢/٩ م) في تِلِيسَانَ.

وتلقَى أبْنُ مرزوقِ الحفيدُ أشياء من العلم في تِلِيسَانَ على والده أحمدَ وعمِّه محمدٍ وعلى نفرٍ آخَرِينَ منهم سعيدُ بنُ محمدِ العَقْبَانِي التِّلِيسَانِي (ت ٨١١ هـ) وأبو إسحاق إبراهيم المصمودي وأبو الحسن الأشهبُ الغياري وعبدُ الله بنُ الشريفِ التِّلِيسَانِي (ت ٧٧١ هـ). ثم إنَّه ارتَحَلَ إلى تونسَ وأخذ عن إمامِ تونسَ محمد بن عَرَفةَ الوَرْغِي (ت ٨٠٣ هـ) وأبي العباسِ القصارِ.

بعدئذٍ انتَقَلَ ابنُ مرزوقِ الحفيدُ إلى فاسَ وأخذ عن أبي زيدِ المَكُودِي (ت ٨٠٧ هـ) وعن محمد بن مسعودِ الفِيلَالِي الصَّنَاجِي. ولكن لا يَتَسَقُّ في التاريخ أن يكونَ أبْنُ مرزوقِ الحفيدُ المولودُ سَنَةَ ٧٦٦ للهجرة قد أخذ عن النُّحَوي أبي حَيَّان المُتَوَفَّى سَنَةَ ٧٤٥ - كما جاء في نفع الطيب (٥: ٤٢٨، السطر السابع).

ثم إنَّ أبْنَ مرزوقِ الحفيدِ رَحَلَ إلى المشرق فأخَذَ في مِصْرَ - في أثناء طريقه إلى الحج (وفي حِجَّتِهِ الأولى، سَنَةَ ٧٩٠) - عن عُمَرَ بنِ عَلِيٍّ بنِ الْمُلقِّن (٧٢٣ - ٨٠٤ هـ) وعن عبدِ الرحمن بنِ خَلْدُون (ت ٨٠٨ هـ) وعن مجدِ الدين محمد بن يَعْقُوبَ الفَيْرُزَابَادِي (ت ٨١٧ هـ)، كما أخذ عن السُّراجِ البُلْقِينِي^(٢) وعن النورِ النويري^(٣).

(١) لا تنفس عليه الذي أتى: لا تحمده على ما يفعل من الأمور المحبوبة في الدنيا. وإن مَدَّ أسباب الحياة له العمر: وإن مكَّه طول عمره من أن يكون له نشاط يتنمَّع به بِلَاذِ الحياة.

(٢) لعل السراج البلقيني هذا هو عمر بن رسلان (٧٢٤ - ٨٠٥ هـ) من حفاظ الحديث.

وأخذ ابنُ مرزوقٍ هذا، في مَكَّةَ، في أَثَاءِ حِجَّتِهِ الأولى (٧٩٠ هـ)، عن البهاء الدمايني (ت ٨٢٧ هـ) وعن النُّور العقيلي (٢)، كما أخذ في حِجَّتِهِ الثانية (٨١٩ هـ) عن أبي حَجَرٍ المِثْلَاقِي (ت ٨٥٢ هـ).

وكانت وفاةُ ابنِ مرزوقِ الحفِيدِ في تِلْسانَ في رابعِ عَشَرَ شَعْبَانَ من سَنَةِ ٨٤٢ (١٤٣٩/١/٣٠ م).

٢- إِنَّ الذينَ ذَكَرُوا ابنَ مرزوقِ الحفِيدَ قد أَطْنَبُوا في مَدْحِهِ إطناباً عظيماً، ففي «نفع الطيب» (٥: ٤٢٠ وما بعد؛ راجع «نيل الابتهاج» ٢٩٣ وما بعد): «عالمُ الدنيا... البحرُ الإمامُ المشهورُ الحُجَّةُ الحافظُ^(١) العلامةُ المحقِّقُ الكبيرُ والنُّظَّارُ^(٢) المِطْلَعُ والمُصَنِّفُ المُنْصِفُ... الآخِذُ من كُلِّ فَنٍّ بأَوْفَرِ نصيبٍ، الراعي في كُلِّ عِلْمٍ مَرَعاهُ الخُصيبَ، حُجَّةُ اللَّهِ على خَلْقِهِ^(٣)..... فارسُ الكراسي والمنابرِ^(٤)، سليلُ الأكابرِ، سَيِّدُ العُلَماءِ الأخيارِ وإمامُ الأئِمَّةِ وآخرُ الشيوخِ ذَوِي الرُّسوخِ، بدرُ التَّهَامِ الجامعُ بينَ المعقولِ والمنقولِ^(٥) و (بين) الحقيقةِ والشرِعةِ^(٦) بأَجَلٍ محمولٍ.....».

وقال فيه المَقْرِي: «شيخُ شيوخنا المحقِّقُ النُّظَّارُ أبو عبدِ اللهِ بنِ مرزوقِ الحفِيدِ» (نفع الطيب ٥: ٣٤٠)... «وعالمُ الدنيا البحرُ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ مرزوقِ» (٤١٨: ٥).

كانَ ابنُ مرزوقِ الحفِيدُ مُلِمّاً بفنونٍ كثيرةٍ من قِراءةِ القرآنِ والتفسيرِ ومن الحديثِ، وَهُوَ حافظٌ ومُسَنِّدٌ^(٧) وفقيهٌ مُجتهدٌ وعارفٌ باللُّغةِ والنَّحوِ والبلاغةِ

(١) الحافظ (الذي يحفظ أحاديث رسول الله).

(٢) النُّظَّارُ (العالم الكبير من علماء الكلام: الدفاع عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية).

(٣) حُجَّةُ اللَّهِ على خَلْقِهِ (المُسَوَّلُ عن هداية الناس، ويكون الناس مسؤولين عن اتِّباعِ هديه).

(٤) فارس الكراسي (القدر في التدريس) والمنابر (وفي الخطابة).

(٥) المعقول (العلوم العقلية: الحساب، المنطق، الفلسفة، الخ) والمنقول (العلوم التي تكون بالرواية: الحديث،

التاريخ، الخ).

(٦) الحقيقة (التصوُّف) والشرِعة (أُمُور الدين: العبادات والمعاملات، الخ).

(٧) المسند: الحافظ الثقة في علوم الحديث وفي رواية الحديث.

والعروض^(١). ويبدو أنه كان حسنَ التصنيفِ للكتبِ حسنَ إلقاءِ الدُّروسِ ، وقد قيل فيه (نيل الابتهاج ٢٩٨ س): «أما الفقهُ فهو فيه مالِكٌ»^(٢)، ولأزمتهُ فُروعه حائزٌ ومالِكٌ^(٣)». هذا بالإضافة إلى أنه كان حاملَ لواءِ السُّنةِ وداحِضَ شُبهِ البِدعةِ^(٤)، ومن كيارِ رجالِ التصوُّفِ.

كان أبْنُ مرزوقِ الحفيدُ مُصنِّفاً مُكثِراً في عددٍ من فنونِ المعرفةِ، ويبدو أنه وصلَ إلينا بضعةُ كتبٍ منها (راجع بروكلمن، الملحق ٢: ٣٤٥). فمن كُتبه: تفسيرُ سورةِ الإخلاصِ (السورة ١١٢ في المصحف؛ على طريقة الحكماء) - رَجَزٌ «حِرزُ الأُماني» (للشاطبي) - أَرْجوزةٌ أَلْفِيَّةٌ في مُحَاذاةِ الشاطبية - الروضة (رَجَزٌ في علم الحديث جمع فيه بين أَلْفِيَّةِ ابنِ نُيُونٍ وأَلْفِيَّةِ العراقي)^(٥) - الحديقةُ (أختصر فيها أَلْفِيَّةَ العراقي) - أنوارُ الدراري في مُكْرَرَاتِ البُخاري - عقيدةُ أهلِ التوحيدِ المُخرَجةُ من ظُلْمةِ التَّقْلِيدِ - الآياتُ الواضحات في وجه^(٦) دَلالةِ المُعْجَزَاتِ - المفاتيح (الغاية) القُرطاسية في شرح (القصيدة) الشُّقْراطيسية^(٧) (في مدح الرسول) - أغْتَنَامُ الفرصةِ في مُحَادَثَةِ عالمِ قَفْصَةٍ (وهو أجوبة على مسائل في التنهير والفقه وغيرها وردت عليه من عالم قَفْصَةِ أَبِي يَحْيَى بنِ عَقِيبة)^(٨) - شرحُ ابنِ الحاجبِ^(٩) (في فروع الفقه) - الدليلُ المُوْهي في

(١) العروض: قواعد نظم الشعر.

(٢) مالِك: مالك بن أنس فقيه أهل المدينة.

(٣) الزمام (بالكسر): القيادة. فروع الفقه (الصلاة، الصوم، الإرث، الخ). الحائز الذي يجوز (يحصل على الأشياء)، والمالك (الذي يملك الأشياء).

(٤) حامل لواء السُّنة (المدافع عن الإيمان) وداحض (مبطل، هازم) شبه (جمع شبهة): الأمر الضائع بين الحقِّ والباطل أو بين الحلال والحرام، الأمر المضلل للناس يثيره أعداء الدين (البِدعة) الأمر المخالف لما جاء به الدين).

(٥) ابن ليون هو أبو عثمان سعد بن أحمد التجيبي الأندلسي (ت ٧٥٠ هـ) من العلماء والمكثيرين من التأليف. والعراقي هو أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين المعروف بالحافظ العراقي (ت ٨٠٦ هـ) له أَلْفِيَّةٌ في مصطلح الحديث.

(٦) في وجه دلالة: فيها يدلُّ على.

(٧) الشُّقْراطيسيُّ هو أبو مُحَمَّد عبد الله بن يحيى التوزري (ت ٤٦٦ هـ) له قصيدة في مدح الرسول (راجع ترجمته في الجزء الرابع من هذه السلسلة).

(٨) قفصة بلدة في جنوبي تونس. أبو يحيى بن عقيبة (ص ٦٣٣).

(٩) ابن الحاجب هو أبو عمرو عثمان بن عمر (ت ٦٤٦ هـ) من الفقهاء وعلماء النحو.

ترجيح طهارة الكاغد الرومي^(١) - مُختَصَرُ الحاوي في الفتاوي لابن عبد النور التونسي^(٢) - نورُ (أنوار) اليقين في شرح أولياء الله المتقين - كتاب (في التصوف: في شأن البدلاء، تكلم فيه على حديث وَرَدَ في أوَّل « الحِلْيَةِ » في شأن البدلاء وغيرهم)^(٣) - النصح الخالص في الرد على مُدَّعي رُتْبَةِ الكامل^(٤) للناقص (في الرد على أبي الفضل قاسم العقباتي^(٥)) في مسألة الفقراء الصوفية في أشياء صَوَّبَ العقباتي صَنِيعَهُمْ فيها فخالَفَهُ ابنُ مرزوق) - المُقنع الثاني (أرجوزة في الميقات: استخراج ساعات الليل والنهار، فَلَك) - أرجوزة في تليخيص (أعمال الحساب) لابن البناء^(٦) - إسماع الصم في إثبات الشرف من قِبَلِ^(٧) الأُم - تأليف في مناقب شيخه إبراهيم المصمودي^(٨) - النور البذري في التعريف بالشيخ المقرئ^(٩) - نهاية الأمل في شرح « الجمل » للخونجى^(١٠) (في المنطق) - نظم « الجمل » للخونجى (في المنطق) - الميراج في استمطار فوائد الأستاذ ابن سراج (أجاب فيه قاضي الجماعة أبا القاسم بن سراج^(١١) عن مسائل منطقية ونحوية) -

(١) المومي = المومياء (المثير، الدال). الكاغد: الورق (ورق الكتابة) الرومي (اليوناني المصري).

(٢) ابن عبد النور التونسي.....

(٣) الأبدال في اصطلاح الصوفية: طبقة تلي الأقطاب الأربعة، قيل لا تخلو الدنيا منهم، إذا مات واحد (منهم) أبدل الله مكانه آخر. واحداهم يدل (بفتح ففتح) وبديل (بكر فسكون) وبديل (المعجم الوسيط ٤٣).

(٤) اقرأ: رتبة الشخص الكامل.....

(٥) أبو الفضل قاسم بن سعيد العقباتي التلمساني (ت ٨٥٤ هـ) فقيه بلغ درجة الاجتهاد. له أرجوزة في التصوف.

(٦) ابن البناء من علماء الرياضيات (ت ٧٢١ هـ) له ترجمة في هذا الجزء.

(٧) من قبل: من جهة نسبة.....

(٨) إبراهيم بن موسى المصمودي التلمساني المتوفى ٨٠٥ أو ٨٠٤ هـ (نيل الابتهاج ٥١-٥٢).

(٩) الشيخ المقرئ هو محمد بن محمد المقرئ (ت ٧٥٨ هـ) جد أحمد بن محمد المقرئ (ت ١٠٤١ هـ) صاحب «فتح الطيب». وبالجمعة في هذا الكتاب تدل على أن «المقرئ» ترسم بفتح فسكون (راجع أيضاً تاج المروس - الكوكب ١٤: ١٤٦): «مقرة بالفتح مدينة بالمغرب، بقرب قلعة بني حاد، بالقطر الجزائري اليوم...» وقد تشدد القاف، وبه اشتهرت (١٤: ١٤٧، راجع أيضاً فتح الطيب ٥: ٣٤٠).

(١٠) محمد بن نامارو (ت ٦٤٦ هـ) فارسي الأصل سكن مصر. وهو عالم بالحكمة والمنطق. وفي بروكسل (١٦٧، الملحق ١: ٨٣٨): أفضل الدين أبو الفضائل أبو عبد الله محمد بن نامار (يسكون الميم أو بفتحها) بن عبد الملك الحناجي (بالضم، تعيداً باللفظ الفارسي).

(١١) ابن سراج.....

أرجوزة في نظم « تلخيص المفتاح (في البلاغة، لجلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني المتوفى سنة ٧٣٩ هـ) - المفاتيح المَرْزُوقِيَّة في استخراج رُموز (القصيدة) الخَزْرَجِيَّة^(١) (في العروض) - أرجوزة في اختصار ألفية ابن مالك (في النحو) - إظهار صِدْقِ المودَّة في شرح البُرْدَةِ (وهو شرح كبير لقصيدة « بانت سعاد » لكعب بن زهير في مدح الرسول، استوفى فيه الكلام غاية الاستيفاء وضمَّنه سبعة فنون في كل بيت) - شرح وسط (للبردة أيضاً) - الاستيعاب لما في « البردة » من البيان والإعراب (شرح صغير للبردة) - الرُّوضُ البهيج في مسألة الخليج^(٢) - شرح التسهيل^(٣). ولأبن مرزوقي هذا كُتُبٌ بدأها ولم يُتِمَّها، منها (نفع الطيب ٥ : ٤٣٠؛ نيل الابتهاج ٢٩٨): المتجرُّ الرِّيح والسَّمي (المسمى؟) الرجيع والرَّحْب (نفع الطيب: المرحب) الفسيح في شرح الجامع الصحيح^(٢) - روضة الأريب في شرح التهذيب^(٣) - المَزْعُ النبيل في شرح مُختصر خليل^(٤) - إيضاح السالك إلى ألفية ابن مالك - شرح شواهد شراح الألفية (لابن مالك) - التحرير والاستيفاء و (الزول) لألفاظ الكتاب والنقول^(٥).

٣- مختارات من آثاره:

- كلام في إعراب آية.

قال ابنُ مرزوقي الحفيدُ في كتابه « أَعْتَامُ الفُرْصَةِ » (نيل الابتهاج ٢٩٨ - ٢٩٩):
حَضَرْتُ مَجْلِسَ شَيْخِنَا العَلَامَةِ نُخْبَةِ الزَّمَانِ ابْنِ عَرَفَةَ^(١)، رَحِمَهُ اللهُ، فَقَرَأَ: ﴿وَمَنْ

(١) الخَزْرَجِي، لعلَّه أبو العباس أحمد بن مسعود بن محمد القرطبي الخَزْرَجِي، كان إماماً في التفسير والفقه والحساب والفرائض والنحو واللغة والعروض والطب. وله تأليف حسان وشعر رائق، توفي سنة ٦٠١ للهجرة (نفع الطيب ٢ : ٦١٤ - ٦١٥).

(٢) الجامع الصحيح (في الحديث، للإمام البخاري).

(٣) التهذيب.....

(٤) خليل هو ضياء الدين خليل بن إسحاق بن موسى الجندي (كان يلبس لباس الجندي) فنيه مالكي (ت ٧٧٦ هـ).

(٥) الكتاب = القرآن الكريم. النقول: الروايات المتعلّقة بالحديث (٢).

(٦) أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورعني (٧١٦ - ٨٠٣ هـ) إمام تونس وعالمها في عصره.

يَنْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضُ لَهُ شَيْطَانًا هُوَ لَهُ قَرِينٌ»^(١). فَجَرَى بَيْنَنَا مُذَاكِرَةٌ رَائِقَةٌ وَأَجَاجٌ حَسَنَةٌ فَاقِقَةٌ، مِنْهَا أَنَّهُ قَالَ: قَرِيءٌ «يَعْنُو» بِالرَّفْعِ وَ «نُقِيضٌ» بِالْجَزْمِ، وَوَجَّهَهَا أَبُو حَيَّانٍ بِكَلَامٍ مَا فَهِمْتُهُ^(٢). وَذَكَرَ (أَنْ) فِي النُّسخَةِ خَلًّا، وَذَكَرَ بَعْضُ ذَلِكَ الْكَلَامِ^(٣). فَأَهَنْدَيْتُ (أَنَا) إِلَى تَأَمُّهِ. فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي، مَعْنَى مَا ذَكَرَ أَنَّ جَزَمَ «نُقِيضٌ» بِ «مَنْ» الْمُوصُولِيَّةِ^(٤) لِشُبُهَيْهَا بِالشَّرْطِيَّةِ، لِمَا تَضَمَّنَتْهَا مِنْ مَعْنَى الشَّرْطِ. وَإِذَا كَانُوا يُعَامِلُونَ (أَسْمَ) الْمُوصُولِ الَّذِي لَا يُشَبِّهُ لَفْظُهُ لَفْظَ الشَّرْطِ بِذَلِكَ، فَمَا يُشَبِّهُ لَفْظُهُ لَفْظَ الشَّرْطِ أَوْلَى بِتِلْكَ الْمُعَامَلَةِ. فَوَافَقَ، رَحِمَهُ اللَّهُ، وَفَرَحَ كَمَا^(٥) أَنَّ الْإِنْصَافَ كَانَ طَبِيعَةً.

وَعِنْدَ ذَلِكَ أَتَنَكَّرَ عَلَيَّ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْمَجْلِسِ، وَطَالِبُونِي بِإثْبَاتِ مُعَامَلَةِ (أَسْمِ) الْمُوصُولِ مُعَامَلَةَ (أَسْمِ) الشَّرْطِ. فَقُلْتُ: (مِثَالُ ذَلِكَ) نَصَّهُمْ عَلَى دُخُولِ الْفَاءِ فِي خَبَرِ (أَسْمِ) الْمُوصُولِ فِي نَحْوِ «الَّذِي يَأْتِينِي فَلَهُ دِرْهَمٌ». فَتَارَعُونِي فِي ذَلِكَ، وَكُنْتُ حَدِيثَ عَهْدٍ بِحِفْظِ «التَّسْهِيلِ»^(٦). فَقُلْتُ: قَالَ ابْنُ مَالِكٍ قِيَا يُشَبِّهُ (هَذِهِ) الْمَأْلَةَ: «وَقَدْ يَجْزِمُهُ مُتَسَبِّبٌ عَنْ صِلَةٍ»، وَأَتَشَدَّدُ مِنْ شَوَاهِدِ (هَذِهِ) الْمَأْلَةِ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

(١) الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ (٤٣: ٣٦)، سُورَةُ الزَّخْرَفِ. يَعْشُو: يَرْضُ (عِشَا فُلَانٌ عَنْ الْأَمْرِ: غُفْلٌ). نُقِيضٌ (نَهْيٌ)، نُسَبُّ، نَجْعَلُ. قَرِينٌ: رَفِيقٌ مُلَازِمٌ.

(٢) (٣ وَ ٢) الْكَلَامُ هُنَا لَابِنِ عَرَفَةَ. مَا فَهِمْتُ (الْجُمْلَةَ هُنَا تَرْجِعُ إِلَى ابْنِ مَرْزُوقِ الْحَفِيدِ).

(٤) مِنَ الْمُوصُولِيَّةِ (أَسْمِ الْمُوصُولِ) لَهَا «عَائِدٌ» (ضَمِيرٌ يَعُودُ إِلَيْهَا) وَصِلَةٌ (جُمْلَةٌ تَشْرَحُ عَمَلَهَا): «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا» (٢٧: ٨٩، سُورَةُ النَّحْلِ): الضَّمِيرُ فِي «جَاءَ» هُوَ الْعَائِدُ (الرَّاجِعُ، الدَّالُّ عَلَى) «مَنْ». وَالْجُمْلَةُ «جَاءَ» (هُوَ) بِالْحَسَنَةِ «صِلَةُ الْمُوصُولِ لَا مَحَلَّ لَهَا مِنَ الْإِعْرَابِ (لِلتَّقْدِيرِ: الْجَائِي بِالْحَسَنَةِ). وَالْفَاءُ فِي «فَلَهُ» زَائِدَةٌ، وَلَكِنَّمَا تَدُلُّ عَلَى التَّوَكِيدِ، أَيْ عَلَى عِلَاقَةِ التَّرْكِيبِ «لَهُ خَيْرٌ مِنْهَا» بِالتَّرْكِيبِ «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ». وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ الْمُوصُولِيَّةُ تُشَبِّهِ الْجُمْلَةَ الشَّرْطِيَّةَ: «وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ» (بِالْكِتَابِ: الْقُرْآنُ) فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» (٢: ١٢١، سُورَةُ الْبَقَرَةِ): «مَنْ» أَسْمُ شَرْطٍ جَازِمٌ. «يَكْفُرُ» فَعْلُ الشَّرْطِ مَجْزُومٌ بِأَسْمِ الشَّرْطِ «مَنْ». وَالْفَاءُ فِي «فَأُولَئِكَ»: رَابِطَةٌ جَوَابُ الشَّرْطِ «أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» بِفَعْلِ الشَّرْطِ «يَكْفُرُ بِهِ».

(٥) كَمَا: مِثْلًا، إِذْ أُنْ- «فَرَحَ ابْنُ عَرَفَةَ بِالدَّلِيلِ الَّذِي جِشْتُ أَنَا بِهِ، كَمَا أَنَّ الْإِنْصَافَ (مَعْرِفَةَ الْفَضْلِ لِأَهْلِهِ) كَانَ طَبِيعَةً لَهُ.

(٦) التَّسْهِيلُ: كِتَابٌ «تَسْهِيلُ الْفَوَائِدِ وَتَكْمِيلُ الْمَقَاصِدِ» لِابْنِ مَالِكٍ النَّحْوِيِّ (ت ٦٧٢ هـ).

فَلَا تَخْفَرَنِ بِشَرِّ أُرَيْدُ بِهَا أَخَا، فَإِنَّكَ فِيهَا أَنْتَ مِنْ دُونِهِ نَمَّعَ^(١).
كَذَاكَ الَّذِي يَنْفِي عَنِ النَّاسِ ظَالِمًا «تُصِيْبُهُ» عَلَى رُغْمٍ، عَوَاقِبَ مَا صَنَعَ.
فَجَاءَ الشَّاهِدُ مُوَافِقًا لِلْحَالِ.

- أَسْمُ أَبِي مَرْزُوقِ الْحَفِيدِ (نيل الابتهاج ٢٩٨ س):

حَدَّثَنِي أُمِّي عَائِشَةُ بِنْتُ الْقَاضِي الصَّالِحِ الْقَاضِي أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ الْمَذْيُونِيِّ، وَكَانَتْ
صَالِحَةً أَقَلَّتْ مَجْمُوعًا فِي أَدْعِيَةٍ اخْتَارَتْهَا. وَ (كَانَ) لَهَا قُوَّةٌ فِي تَغْيِيرِ الرُّوْيَا^(٢) اكْتَسَبَتْهَا مِنْ
كَثْرَةِ مُطَالَعَةِ كُتُبِ (هَذَا) النَّحْوِ، أَنَّهُ أَصَابَنِي مَرَضٌ شَدِيدٌ أَشْرَفْتُ مِنْهُ عَلَى الْمَوْتِ -
وَ (كَانَ) مِنْ شَأْنِهَا وَ (شَأْنِ) أَبِيهَا أَنَّهُمَا لَا يَعْيشُ لَهَا وَلَدٌ إِلَّا نَادِرًا. وَ (كَانُوا قَدْ) سَمَوْنِي
أَبَا الْفَضْلِ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ. فَدَخَلَ عَلَيْهَا أَبُوهَا أَحْمَدُ الْمَذْكُورُ، فَلَمَّا رَأَى مَرْضِيَّيَ وَمَا بَلَغَ
بِي، غَضِبَ وَقَالَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ: لَا تَسْمُوهُ أَبَا الْفَضْلِ؟ مَا الَّذِي رَأَيْتُمُوهُ لَهُ مِنَ الْفَضْلِ
حَتَّى تَسْمُوهُ أَبَا الْفَضْلِ؟ سَمَوْهُ مُحَمَّدًا. (وَإِنِّي) لَا أَسْمَعُ أَحَدًا يُنَادِيهِ بِغَيْرِهِ إِلَّا فَعَلْتُ
بِهِ وَفَعَلْتُ، يَتَوَعَّدُ بِالْأَدَبِ. قَالَتْ: فَسَمَيْتُكَ مُحَمَّدًا، فَفَرَجَ اللَّهُ عَنْكَ.

- وَقَالَ أَبُو مَرْزُوقِ الْحَفِيدُ فِي مَدِينَةِ تِلْسَانَ - وَسَمَّاها «بَلَدُ الْجِدَارِ»^(٣) - (نَفَخَ
الطَّيْبُ ٥ : ٤٣٣):

بَلَدُ الْجِدَارِ مَا أَمْرٌ نَوَاهَا، كَلَّفَ الْفَوَادُ مَجْبُهَا وَهَوَاهَا^(٤).
يَا عَاذِلِي، كُنْ عَاذِرِي فِي حُبِّهَا. يَكْفِيكَ مِنْهَا مَاؤُهَا وَهَوَاهَا^(٥).

- وَقَالَ يُشِيرُ إِلَى تِلْسَانَ فِي رَجَزٍ لَهُ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ (نَفَخَ الطَّيْبُ ٥ : ٤٣٣):

وَمَنْ بِهَا أَهْلُ ذِكَاءٍ وَفِطْنٍ فِي رَابِعٍ مِنَ الْأَقَالِمِ قَطْنُ^(٦).

(١) هذا البيت إضافة من رواية ثانية للقصة نفسها (راجع نيل الابتهاج ٢٩٩)

(٢) نصير (نصير، تأويل) الروْيَا (النَّام، الأحلام).

(٣) بلد الجدار: البلدة التي لها جدار (سور).

(٤) النوى: البعد، البعاد.

(٥) العاذل: اللام (بغير حق).

(٦) قطن: سكن. الإقليم الرابع هو المنطقة المعتدلة (منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط).

يكفيكَ أَنَّ الدَّوْدِيَّ بِهَا دُفِنَ مَعَ ضَجِيحِهِ آيِنَ غَزْلَوْنَ الْفَظِينِ^(١).

٤- مسند ابن مرزوق () ، باريس (لا روز) ١٩٢٥ م .

** تعريف الخلف ١٢٤-١٣٦ : نيل الابتهاج ٢٩٣-٢٩٩ (طبعة فاس ٣٠٤) ، الضوء
اللامع ٧ : ٥٠ : نفع الطيب ٥ : ٤٢٠-٤٣٣ : تاريخ الجزائر العام ٢ : ١٩٥-١٩٩
بروكلمن ، الملحق ٢ : ٣٤٥ : الأعلام للزركلي ٦ : ٢٢٨ (٥ : ٣٢٨) .

أبو يحيى بن أبي بكر بن عاصم

كان لأبي بكرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَاصِمٍ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٨٢٩ للهجرة (راجع ترجمته ، فوق ،
ص ٦٢٥) أَخُ اسْمُهُ أَبُو يَحْيَى مُحَمَّدُ بْنُ عَاصِمٍ (راجع « نفع الطيب » ٥ : ٥١٣ س)
وَأَيُّ اسْمِهِ أَيْضاً أَبُو يَحْيَى مُحَمَّدُ بْنُ عَاصِمٍ . والترجمة التالية تتعلق بآبائه لا بأخيه .

١- هو أَبُو يَحْيَى مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ (خَسْرَ مَرَاتٍ) بْنِ عَاصِمٍ
الْقَيْسِيُّ الْغُرْنَاطِيُّ ، يبدو أَنَّ مولده كان (تقديراً) نحو سَنَةِ ٧٩٠ للهجرة (١٣٨٨) .

أَخَذَ أَبُو يَحْيَى بْنُ عَاصِمٍ الْعِلْمَ عَنْ نَفَرٍ مِنْ شُيُوخِ وَقْتِهِ ، مِنْهُمْ : أَبُو الْحَسَنِ بْنُ سَمْعَتٍ
(سمعة) الْأَنْدَلُسِيُّ وَأَبُو الْقَاسِمِ بْنِ السَّرَّاجِ . الْغُرْنَاطِيُّ وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمُتَوَرِّقِيُّ وَأَبُو
عَبْدِ اللَّهِ الْبَيْكَاكِيُّ وَأَبُو جَعْفَرٍ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ السَّبْئِيِّ .

ويبدو أَنَّهُ كَانَ كَثِيرَ النِّشَاطِ (والمعرفة أيضاً) فَقَدْ تَوَلَّى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ خُطَّةً (مَنْصِباً)
مِنْ خُطَطِ الدَّوْلَةِ مِنْهَا الْإِمَامَةُ وَالْخُطَابَةُ (فِي الْمَسْجِدِ) وَمِنْهَا الْوِزَارَةُ وَالْكِتَابَةُ . وَقَدْ كَانَ
قَاضِي الْجَمَاعَةِ (قَاضِي الْقُضَاةِ) فِي غُرْنَاطَةَ - وَكَانَ تَوَلَّى الْقُضَاةَ سَنَةَ ٨٣٨ للهجرة
(١٤٣٤-١٤٣٥ م) ، كَمَا جَاءَ فِي الدِّيَاكِجِ الْمَذْهَبِ (ص ٣١٣) .

وكانت وفاة أبي يحيى بن أبي بكر بن عاصم ، سَنَةَ ٨٦٠ للهجرة (١٤٥٦ م) فِي
الْأَغْلَبِ ، ذَيْحاً مِنْ قِبَلِ السُّلْطَانِ (*) .

(١) الدوداي وابن غزلون

(*) كَانَ سُلْطَانُ غُرْنَاطَةَ فِي ذَلِكَ الْحِينِ سَعْدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ يُونُسَ بْنِ مُحَمَّدٍ (الْحَاسِ) الْفَنِّيِّ بِاللَّهِ ، لِلرَّمَّةِ الثَّانِيَةِ
(٨٥٧-٨٦٦ هـ) أَوْ ابْنُهُ عَلِيُّ بْنُ سَعْدٍ (٨٦٦-٨٨٧ هـ) .

٢- كان أبو يحيى بن أبي بكر بن عاصم الغرناطي من أكابر الفقهاء ومن العلماء الرؤساء حافظاً (للحديث)، بليغاً وخطيباً ومشاركاً في عدد من العلوم، كما كان مُصنفاً؛ له: شرحُ علي «تحفة الحكام» (لأبيه أبي بكر محمد بن عاصم المتوفى سنة ٨٢٩ هـ) - جنة الرضا في التسليم لما قَدَّرَ الله وقضى (في الحُرْن على حال المسلمين في الأندلس وعلى ما كان الإسبان النصارى - في آخر أيام العرب في الأندلس - يفعلونه بالمسلمين. وفي المختارات نص من هذا الكتاب) - الروض الأريض في تراجم ذوي السيوف والأقلام والقرىض (في عدة أجزاء، كأنه ذيلٌ على كتاب «الإحاطة» للسان الدين بن الخطيب). وكان له ترسلٌ (رسائلُ إخوانيةٌ) وشعرٌ.

وأبو يحيى بن عاصم أديبٌ مُنشىءٌ كثيرُ التصنيع والتكليف في الشعر والنثر، فربما نَظَم القصيدة فَبَنَاهَا على نَظْمٍ يُمكنُ أَنْ يَخْرُجَ به منها عددٌ من القصائد والموشحات. وكذلك كانت الأسجاعُ في نثره تتوالى على نسقٍ وتَرَدَّدُ تَرَدُّداً يُذكرُنا بالموشحات أيضاً (انظر ذلك في النص المأخوذ فيما يلي من كتاب «جنة الرضا»). وأما المثلُ على قولِهِ بعض قصائده من بعض فقراته فيما يلي (أزهار الرياض ١: ١٤٦ وما بعد):

أما، والهوى، «ما كنتُ» مُذْبانَ عهدِهِ أَهْمُ بَلْقِيَا مَنْ (تأثر) وُدُّهُ^(١) *
رعى الله مَنْ لو أنصفَ الصَّبَّ في الهوى لَهَا فاضَ منه (الدمعُ) مَذْبانَ صَدِّهِ^(٢).
ولو جادَ مِنْ (بعدِ المطال) بِرَوْرَةٍ لَهَا شَبَّ أَشْواقِي وِقلْبِي رَنْدُهُ^(٣).
كما خانَ صبرِي يومَ أَصْبَحَ وَ«أصلي لَطَى «زاد ماءً (مِنْ جُفُونِي) وَقَدَّهُ^(٤).

(١*) بما أن العاية من القطع التالية في الشعر أن نرى طريقة توليد بعض القصائد من بعض، فأجمل الشرح هنا موجزاً. بان (بعد، أتبع) عهده (زمانه): مضى عليه زمن طويل فاتقضى شبابه.

(٢) بان (ظهر) صدّه: ميله (عني).

(٣) الرند: قطعة من الحديد تقدر به النار من الحجر. شَبَّ (أشمل) «أشواقِي وِقلْبِي» (منقول به متعمد) رنده (فاعل «شَبَّ»).

(٤) «لَطَى»، إذا كانت علماً على جهنم، فإنها تكون ممنوعة من الصرف فلا تُنَوَّن. وأما إذا كانت مصدرًا: لَطَى (يفتح فكسر ففتح) يَلطَى لَطًى، وكان «اللطي» بمعنى اللهب الذي لا دخان معه (كما هو المقصود هنا)، فإن «لَطَى» حينئذ تكون مصروفة وتُنَوَّن. وأما إذا كانت «لَطَى» (أسمًا مؤنثًا) بمعنى «لهيب لا دخان له» فتكون حينئذ ممنوعة من الصرف (فلا تُنَوَّن) لمتين (التأنيث ولأنها محتومة بناءً التأنيث أيضًا). «وأصلي» (هنا): يصل إلى (من المبوب).

لذلك أسأل الدمعَ (كالدُّرِّ) مذمعي

من «الوَجْدِ» فاستَولى على الجَفَنِ سُهُدُهُ^(١)

حكى لَوُؤْلُوًّا (مِنْ سِلْكِهِ) مُتَنَازِرًا و «إِلَّا لَيْمٌ» قد تَبَاعَ مَذَّةُ^(٢).
ذَخَرْتُ (الْثَمِينَ) الْقَدْرَ مِنْهُ بِمُقْلَتِي ومازِلْتُ مِنْ خَوْفِ «النَّكَالِ» أُعِدَّةُ^(٣).
ولا عَجَبٌ (مُدَّ أَعْوَرَ) الْقُرْبُ أَنْ غَدَا و «كالقمر الزاهي» سَاءَ وَبُعْدُهُ^(٤).
أُلْهِجْتُ بِاللُّقْيَا أَوْ (الْوَصْلِ) مِنْ يَفْوٍ ر «في نوره» بِدَرُ السَّمَاءِ وَجُنْدُهُ^(٥).
وَصَيَّرَ جِسْمِي لِلصَّبَابَةِ (وَالْتَّلَا قِي) يُنَيِّمُ قَلْبِي إِذْ تَمَكَّنَ وَجْدُهُ^(٦).
أَقْطَعُ أَنْفَاسِي «عَلَيْهِ كَ» آبَةً وَلِلَّهِ (مِنْ بَدْرِ) لِغَيْرِي سَعْدُهُ.

(وَأَسْتَخْرَجَ أَبُو يَحْيَى بْنُ عَاصِمٍ مِنْ قَصِيدَتِهِ هَذِهِ الطَّوِيلَةَ - وَهِيَ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ بَيْتًا - قَصِيدَةً أَصْغَرَ مِنْهَا، عَدَدَ آيَاتٍ وَوَرْنًَا، وَهِيَ سَبْعَةٌ عَشْرَ بَيْتًا مِنْ «مَجْزُوءِ الْبَحْرِ الْبَسِيطِ: مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ فَعُولُنْ»). مِنْ الْكَلِمَاتِ الْمَحْصُورَةِ بَيْنَ أَهْلَةِ كِبَارِ ():

تَنَازَرُ الدَّمَعُ مِنْ جُفَوِي كَالدُّرِّ مِنْ سِلْكِهِ الثَّمِينِ.
مُدَّ أَعْوَرَ الْوَصْلَ وَالتَّلَاقِي مِنْ بَدْرِ حُسْنٍ بَلَا قَرِينِ^(٧).
عَلِقْتُ فِي الْحُبِّ ظَنِّي أَنْسِرَ جَالُّهُ مَرْتَعُ الْعَيُونِ.

(١) الوجد: شدة الحب وشدة الحزن. السهد: امتناع النوم.

(٢) حكى: شابه (الدمع). وإلا ليمٌ - يمٌ: بحر. المد: ارتفاع الموج وكثرة الماء.

(٣) ذخرت = آذخرت: خبأت. القدر (القنينة). والقدر (في الأصل) منصوبة، وحققا الجر على الإضافة: الثمين القدر. النكال: شدة العذاب. أعدده، أحتفظ (بدمعي) مهيا (خوف عذابه الشديد القتل - حينما يطن المحبوب أنه قطني بتهمة؟).

(٤) أعور الشيء فلائنا = أحتاج فلان إلى ذلك الشيء. أعورني قربه: أصبحت محتاجا إلى أن يكون قريبا مني. أو عز قربه: أبتعد عني. السا: الضوء.

(٥) ألهمق باللقيا: ألهمقني بلقياها (أنهم علي بالوصل أو القرب) من (ذلك المحبوب: محبوبي أنا) الذي يفور في نوره (يحتفي في كثرة نوره) بدر السماء وجنده (أي النجوم أيضا): نور حبيبي (جماله) أعظم من نور بدر السماء ومن نور النجوم كلها مجتمعة.

(٦) الصبابة: الثوق، حرارة الشوق (شدته). تيم: أرض، دلال، أذهب عقل (المحب). الوجد: شدة الحب أو شدة الحزن.

(٧) القرين (هنا): المثل، الشبيه.

تَنَازَرُ الدَّمَعُ كَالدَّرِّ مَذْ أَعُوْزِ الْوَصْلِ مِنْ بَدْرِ
عَلَقَتْ فِي الْحُبِّ جَمَالَه.....

(ثم عاد فاستخرج منها - من الكلمات المحصورة بين أهلة صغار - قصيدة جديدة):
ما كُنتُ لو أنصفَ بعدَ المطال أصلى لظى الوجدِ الأليمِ التَّكال^(١).
(ثم عاد أيضاً فاستخرج منها موشحتين أخريين).

ويحسنُ من يُريدُ تفصيلَ ذلك كُلِّه أن يعودَ إلى «أزهار الرياض» (١):
١٤٥-١٥٨).

٢- مختارات من آثاره

- قال أبو يحيى بن عاصمٍ في «جنة الرضا» (راجع أزهار الرياض ١: ١٥٨ وما بعد):

الحمدُ لله الذي عوّضَ مِنَ الْخِلَافِ وَفَاقًا، وَأَعْقَبَ مِنَ الْإِفْتِرَاقِ اجْتِمَاعًا وَأَتْفَاقًا،
وهيأَ لِإِسْوَاقِ الْأَتْلَافِ بَرَفِ الْخِلَافِ نَفَاقًا^(٢)، وَيَسَّرَ لَوِطْنِ الْجِهَادِ مِنْ تَوْثِيرِ الْمِهَادِ
أَرْفَاقًا^(٣)، وَزَيَّنَ بِأَنْجَمِ السُّعُودِ مِنَ النَّصْرِ الْمَوْعِدِ آفَاقًا، وَعَقَدَ عَلَى جَمْعِ الْكَلِمَةِ مِنْ
الْأُمَّةِ الْمُتَلَمِّعَةِ إِجْجَاعًا وَإِصْفَاقًا^(٤). نَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ - وَهُوَ الْحَمْدُ بِجَمِيعِ اللُّغَاتِ،
وَنَشْكُرُهُ عَلَى مَا سَنَى^(٥) مِنْ آمَالٍ عَلَى وَفْقِ الْأُمْنِيَةِ مُبْلَغَاتٍ؛ وَتُشْنِي عَلَيْهِ بِمَا أَسْدَى مِنْ
عَوَارِفَ مُحَوَّلَاتٍ وَمَوَاهِبَ سُوءَاتٍ^(٦)، حَمْدًا نَسْتَكْبِرُ مِنْ دُرَرِهِ النَّفِيسَةِ إِنْفَاقًا،

(١) انظر، فوق، ص ٦٤٣.

(٢) التَّفَاق: الرواج (القول عند الذين كانوا مختلفين).

(٣) وطن الجهاد: الأندلس - (للكثرة الحروب في سبيل الدفاع عن النفس). توثير المهاد (جعل البقاء في الأندلس ممكنًا وسهلًا). المهاد الوثير: الفراش اللين الناعم. إرفاق (في الأصل) بفتح الهمزة. لعلها «إرفاق» (بكر الهمزة): رفقة ناضجة معينة على الخير.

(٤) الإصفاق (الإجماع على أمر ما).

(٥) سَنَى = ساقى فلان فلانًا: لاينه وأحسن معاشرته. والمقصود هنا (أكثر، جعل الشيء كثيرًا).

(٦) أسدى فلان إلى فلان معروفًا: أولاه إياه، أعطاه. العوارف جمع عارفة: الإحسان. محولات: مطعاة، منوطة. سوءات: ممكنة، مباحة، مطعاة.

وأمانته العظيمة فلا نأى من حملها إشفاقاً^(١). وشهد أنه لا إله إلا هو الواحد الأحد، الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً^(٢) أحد: شهادة نرفع لواءها المرتج القذبات خفاقاً^(٣)، فلا لاقى لمقاصد السعادة إخفاقاً^(٤). وشهد أن سيدنا ومولانا محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله ونبى المصطفى وخليفه: نبى الرحمة ونور الظلمة وشفيع الأمة والمبعوث بالكتاب والحكمة والمجموع له بين مزية السبق ومزية التيممة^(٥): شهادة تستحفظ بقاع الأرض أرفاقاً^(٦) فلا تحشى معها القلوب - وقد حصل منها القرض المطلوب - شكاً ولا نفاقاً.....

أما بعد..... فإن لأحوال الوقت الداهية^(٨) ﴿لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾^(٩)، وعبرة. لِمَنْ تَفَهَّمْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَإِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾^(١٠).

فبينما الدسوت عامرة^(١١) والولاء آمرة والفئة مجموعة والدعوة مسموعة والإمرة مطاعة والأجوبة سماعاً وطاعة، إذا بالنعمة قد كُفِرَتْ والذمة قد خُفِرَتْ^(١٢)....

- (١) الأمانة العظيمة: التبعة (الواجبات التي يأل الإنسان عن أدائها والقيام بها والمحافظة عليها، كالعبادات وتولي الإدارة في الدولة والإصلاح في المجتمع، إلخ). الإشفاق: الحوف.
- (٢) الأحد (الوحيد) الفرد (الذي لا شخص آخر يشبهه). الكفو: المعدل، المأوي.
- (٣) المرتج (هنا): المطال (اعتزازاً وفخراً). العذبة (بفتح ففتح): زيادة تدل على من جانب العيامة.
- (٤) الإخفاق: الخيبة.
- (٥) الكتاب: الكتاب المنزل (الشريعة). الحكمة (هنا): الأحكام الدينية.
- (٦) محمد رسول الله كان الأول والأسبق (الأعظم) في الأنبياء والمنتم (الخاتم، الأخير) في الأنبياء (لا نبي بعده).

- (٧) إرفاقاً (في الأصل: بفتح همزة) ٢.
- (٨) الداهية: الآتية بالمصائب. (هجمات نصارى الأندلس على بلاد المسلمين).
- (٩) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾. (راجع القرآن الكريم ٥٠ سورة ق: ٣٧). ذكرى: عظة، تذكير. قلب: عقل، تفكير في الأمور. ألقى السمع: استمع إلى الوعد، كان مستعداً لفهم ما يسمع. شهيد = شاهد لا يجري (حاضر العقل في تقلب الأحداث).
- (١٠) ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (٢٢ الحج: ١٨)؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ (٥ المائدة: ٢). يحكم ما يريد من التحليل والتحرير (يفعل الأمور بإرادته).

- (١١) الدست: صدر المجلس، المنصب العالي في الدولة، كرسي الحكم. الدسوت عامرة (الملوك كثيرون).
- (١٢) كفر فلان الشيء: غطاه، ستره. كفر فلان النعمة (أكر فضل الله عليه). الذمة (العهد) خفرت: نقصت.

والسعيد من اتَّعَظَ بغيره، ولا يزيدُ المؤمنَ عُمُرُهُ إِلَّا خَيْرًا^(١). جَعَلَنَا اللهُ مِن قَضَى
(اللهُ) بِخَيْرِهِ.

وَبَيْنَا الْفُرْقَةُ حَاصِلَةٌ وَالْقَطِيعَةُ فَاصِلَةٌ وَالْمَضْرَّةُ وَاصِلَةٌ، وَالْحَبْلُ فِي أَنْبَتَاتِ^(٢)
وَالْوَطْنُ فِي شَتَاتٍ وَالْخِلَافُ يَمْنَعُ رَغْيَ مَتَاتِ^(٣) وَالْقُلُوبُ شَتَّى مِنْ قَوْمٍ أَشْتَاتٍ،
وَالطَّاعِيَةُ يَمْتَلِئُ لِقَضَمِ الْوَطَنِ وَقَضَمُهُ^(٤).... وَيَتَوَقَّعُ الْحَسْرَةَ إِنْ يَأْذَنَ اللهُ بِجَمْعِ شَمْلِهِ
وَنَظْمِهِ عَلَى رُغْمِ الشَّيْطَانِ وَرُغْمِهِ^(٥)، إِذَا بِالْقُلُوبِ قَدِ انْتَلَقَتْ، وَ(النَّفُوسُ) الْمُتَنَافِرَةُ
قَدِ اجْتَمَعَتْ بَعْدَمَا اخْتَلَفَتْ، وَالْأَفْتِدَةُ بِالْأَلْفَةِ قَدِ اقْتَرَبَتْ إِلَى اللهِ وَأَزْدَلَتْ^(٦).
و(الْأَيْدِي) الْمُتَضَرِّعَةُ إِلَى اللهِ قَدِ ابْتَهَلَتْ^(٧) فِي إِصْلَاحِ الْحَالَةِ الَّتِي سَلَفَتْ، فَالْقَتِ
الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا^(٨) وَأَذْنَتْ الْفَرْقَةُ النَّافِرَةَ مَرَارَهَا^(٩) وَجَلَّتِ الْأَلْفَةُ الدِّينِيَّةُ أَنْوَارَهَا^(١٠)
وَأَوْضَحَتِ الْعِصْمَةَ الشَّرْعِيَّةَ آثَارَهَا^(١١) وَرَفَعَتِ الْوَحْشَةَ النَّاشِبَةَ أَظْفَارَهَا أَعْدَارَهَا^(١٢)،
وَأَرْضَتْ الْخِلَافَةَ الْفُلَانِيَّةَ^(١٣) أَنْصَارَهَا وَغَضَّتِ الْفِتْنَةَ الْمُتَضَرِّعَةَ أَبْصَارَهَا^(١٤) وَأَصْلَحَ اللهُ

(١) كَلِمًا تَقْدَمُ الْمَلَمُ فِي الْعَمَرِ. زَادَتْ تَقْوَاهُ وَأَصْبَحَ أَكْثَرَ مَيْلًا لِعَمَلِ الْخَيْرِ.

(٢) انبئات: انقطاع، تقطع.

(٣) المتات: ما يمت (يصل، يتصل) به إنسان لآخر، القرابة.

(٤) الطاغية: لقب ملك الإِسْبَان. يمتلئ: يحرك ظهره (يمتد). لقضم (كسر). القضم (أكل الشيء من أطرافه - احتلال بلدان الأندلس).

(٥) يتوقع الحسرة... إلخ: هو (ملك الإِسْبَان) واثق من أنه سيحزن حينما يسهل الله جمع شمل أهل الأندلس (اتفاقهم) ونظمه (واستيباب أمره).

(٦) الرغم: الإذلال، القهر (وجريان الأمور على خلاف ما يريد الخصم). ورغمه (رغم الإِسْبَان).

(٧) ازدلفت: دنا، اقرب، تقدم.

(٨) ابتهل: تضرع (بالغ في الدعاء إلى الله مستعيناً به).

(٩) سلف: مضى. ألفت الحرب أوزارها (أحالتها): انتهت.

(١٠) الفرقة: الفئة الشقة من الجماعة. النافرة: العاضبة، المبتددة. أذنت (قربت) مزارها: مالت إلى الوفاق.

(١١) جلت (بفتح فتح) وجلت (بفتح غلام شدة مفتوحة): أظهرت، كشفت.

(١٢) العصمة الشريعة (حصانة المسلمين من أن يحتلفوا فيها بينهم). أوضحت آثارها: ظهرت نتائجها.

(١٣) الناشبة أظفارها (في المسلمين: باختلاف فيها بينهم) أعذارها: لم يبق، بعد ذلك، للمسلمين عذر في أن يحتلفوا.

(١٤) الخلافة الفلانية (٤). أرضت أنصارها (بمنهم شيئاً من الغلام ٤). (٩) وغضت (خففت) الفئة المتضرعة (للزراع على الحكم ٩) أبصارها (تازلت عن مطالبها وساهلت في موقفها).

أسرارها^(١). فتَجَمَّعَتِ الأوطانُ بالطاعةِ وَالتَّزَمَتْ نصيحةَ الدينِ بأقصى الاستطاعةِ وتسابقتْ إلى لزومِ السَّنةِ والجماعةِ وألقتْ إلى الإمامةِ الفلانيةِ يدَ التسليمِ والضَّراعةِ^(٢).....

- ومن نَظَمَ أبي يحيى بنَ عاصمٍ قوله مُخاطباً شيخه قاضيَ الجماعةِ أبا قاسمٍ بنَ سراجٍ، وقد طَلَبَ الآجتماعَ به (في) زَمَنِ قِتْنَةٍ^(٣). فظنَّ أبو يحيى بنَ عاصمٍ (أنَّ أبَنَ سراجٍ يُريدُ أن) يَسْتَخْبِرَهُ عن سرٍّ من أسرارِ السُّلطانِ فأَعَدَّهُ (٢) مُعْتَذِراً، و(لكن) لم يصدُقْ ظنُّ أبي يحيى. ومع ذلك فقد قال أبو يحيى يُخاطبُ شيخه (- نفع الطيب ٦: ١٥٠):

فَدَيْتُكَ، لا تَسألُ عني السَّرَّ كاتِباً، فتلَقَّاهُ في حالٍ من الرُّشدِ عاطِلٍ^(٤)،
وَتَضَطَّرَّهُ إمَّبا لِحالَةٍ خائِنٍ أمانتَه أو خائِضٍ في الأباطِلِ.
فلا فَرَقَ عِندي بَيْنَ قاضٍ وكاتبٍ: وَشَى ذا بِسِرٍّ أو قَضَى ذا بِباطِلٍ.

- كتب أبو يحيى ابنَ عاصمٍ يُخاطبُ الكاتبَ أبا القاسمِ بنَ طركاظ^(٥):

القضاءُ - حَفِظَ اللهُ تعالى كِمالكَ وانجَحَ آمالكَ - إذا لم يَحُطِّه العَدْلُ من كلا جانِبَيْهِ، سَبيلٌ مُعَوَّجٌ ومذهبٌ لا يوافقُ عليه مُناظرٌ ولا يَنْصُرُهُ مُحتَجٌّ. كما أَنَّهُ، إذا حاطَهُ العَدْلُ، جادَّةٌ لِلنَّجاةِ وسببٌ في حصولِ رَحمةِ اللهِ المُرتَجاةِ وسوقٌ لِنِفاقٍ بِضاعةِ العَبْدِ المُزجاةِ^(٦). وأجلُّ العَدْلِ ما تَحَلَّى به في نَفْسِهِ الحَكَمُ وجرى على مُقتضى ما شَهِدَتْ به الآراءُ الشَّهورةُ والحِكَمُ، حتَّى يَكُونَ عَنِ البَغْيِ رادِعاً وبالقِسْطِ صادِعاً

(١) أصلح الله أسرارها (قلوبها).

(٢) الإمامة الفلانية (٣). ألقت يد التسليم (قبلت بالحكم القائم) والضراعة (المضوع).

(٣) زمن يقتل فيه المسلمون.

(٤) عاطل من الرشد: قاصر عن التفكير وعن إدراك حقائق الأمور.

(٥) يبدو أن طركاظ هذا كان في أوَّل أمره حاجباً في المحكمة (مباشراً بنادي على المتداعين وعلى الشهود ليدخلوا إلى المحكمة بأدوارهم. ويبدو أَنَّهُ كان دقيقاً شديداً مخلصاً في عمله. ثم أَنَّهُ تَوَلَّى القضاء فجرت منه هفوات في آداب القضاء. فكتب إليه أبو يحيى بن عاصم هذه الرسالة وطواها على شيء من التوبيخ ونهي من النصيح.

(٦) المرجاة: الرديئة (إذا كان القاضي عادلاً في نفسه نجح ولو كان علمه بالقضاء قليلاً).

وَأَنْفِ الْأَنْفَةَ مِنَ الْإِذْعَانِ لِلْحَقِّ جَادِعاً^(١). وَأَنْتَ - أَجْلَكَ اللَّهُ تَعَالَى - عَلَى سَعَةٍ عِلْمِكَ
وَشِدَّةِ سَاعِدِ قِيَامِكَ بِالطَّرِيقَةِ وَاضْطِلَاعِكَ مِمَّنْ لَا يُنْبَهُ عَلَى مَا يَنْبَغِي وَلَا يَرُدُّ عَلَى
طَلِبَتِهِ مِنَ الْإِنْصَافِ الْمُبْتَغَى. فَلَكَ فِي الطَّرِيقَةِ الْقَاضِيَةِ التَّبَرُّزُ. وَأَنْتَ - إِذَا كَانَ
غَيْرُكَ الشَّيْءَ - الذَّهَبُ الْإِبْرِيْزُ^(٢) وَلِعَمَلِيَّةِ عَذْلِكَ التَّوْشِيَةُ بِالزَّاهَةِ وَالتَّطْرِيزُ.....
وَأَنْتَ - حَفِظَكَ اللَّهُ تَعَالَى - قَدْ قُتِمَتْ مِنْ غِلْظِ الْحِجَابِ بِالْمَقَامِ الْمَعْصُومِ وَمَثَلَتْ مِنْ سَعَةِ
النَّزْلِ فِي الْفَضْلِ وَالطَّوْلِ كَالشَّهْرِ الْمَعْصُومِ^(٣)، وَالْبَابُ قَدْ سُدَّ وَدَاعِي الشَّفَاعَةِ قَدْ رُدَّ
وَالْمِيقَاتُ لِلأَذُنِّ قَدْ حُدَّ وَمَطْلَبُ الْأَجْرَةِ الْمُتَمَارِفَةِ قَدْ بَلَغَ الْأَشَدَّ^(٤). حَتَّى إِذَا قُضِيَ
الْوَاجِبُ وَأُذِنَ فِي دُخُولِ الْحَصْمِينَ الْحَاجِبِ، وَكَبِحَ السَّابِقِينَ إِلَى الْحُدِّ الَّذِي لَا يَمْدُونَهُ
وَحَفَزَ إِيْمَاؤُهُ مِنْ تَعْدَاهُ أَوْ وَقَفَ دُونَهُ^(٥)، وَقَدْ حَصَلَ بِاللَّحْظِ وَاللِّفْظِ التَّسَاوِيَّ وَأُتِجَ
الْمَطْلَبُ الْأَرْبَعَةُ هَذَا الْلازِمُ الْمُسَاوِي^(٦)..... وَهَذِهِ - أَعَانَكَ اللَّهُ تَعَالَى - مُكَمَّلَاتٌ مِنْ
الْعَدْلِ فِي الْحُكْمِ..... فَهَلَّا رَاجَعْتَ فِيهَا النَّظَرَ وَأَنْجَزْتَ لَهَا الْوَعْدَ الْمُتَنْتَظَرَ وَكَفَفْتَ مِنْ
دُمُوعِهَا عَيُوناً مُسْتَهْلَةً..... وَقَدْ أَدْرَجْتُ لَكَ فِي طَيِّ هَذَا مَا يَصِلُ إِلَى يَدِكَ وَتَلْهَجُ
بِهِ^(٧) فِي يَوْمِكَ وَغَدِكَ، مُنْتَظِرَةً مِنْكَ إِطْفَاءَ الْجَوَى بِالْجَوَابِ وَمَخَوَ مَا سَبَقَ مِنَ الْخَطَا
بِالْحِطَابِ^(٨)..... فِي أَوَائِلِ ذِي الْحِجَّةِ عَامَ خَمْسَةِ وَأَرْبَعِينَ وَثَمَانِيَا^(٩).

٤-★★ نيل الابتهاج ١٣١٣؛ نفح الطيب ٦: ١٤٦-١٦٢؛ أزهار الرياض ١: ٥٠-٦٠،
١٤٥-١٨٧: ٣: ٣١٠-٣١٢، ٣٢٠-٣٢٣؛ شجرة النور الزكية ٢٤٨؛ الأعلام
للزركلي ٧: ٢٧٧ (٤٨)؛ معجم المؤلفين ١١: ٢٩٣.

- (١) القسط: العدل. صعد بالأمر: أعلنه وجهر به. الأنفة: التكبر، التفرّد، التزهو، الإذعان: الخضوع
للحق. جدد: قطع. قطع أنف الأنفة: حل نفسه على الرضا بالأمور.
- (٢) الشبه: التعاسي الأصغر. الإبريز: الخالص، الصافي.
- (٣) غلظ الحجاب: شدة الفاصل بينك وبين العامة. المقام المعصوم: الذي لا يجرؤ أحد على الاقتراب منه.
الطول: القدرة، الغنى. الشهر المعصوم: رمضان.....
- (٤) مطلب الأجرة قد بلغ الأشد (بضم التين النضج) نسبة عالية - يبدو أن الموقنين كانوا يتفاوضون (بفتح
الضاد) أجراً على عملهم (الموتق: الكاتب بالعدل أو كاتب العدل).
- (٥) يمدونه: يتجاوزونه. حفز: حثّ، دفع. الإيماء: الإشارة الخفيفة.
- (٦) وأتج..... (٩).
- (٧) لهج (بكسر الهاء) بالأمر: ولع به، تأثر على فعله.
- (٨) الجوى شدة المرض النفسي (من الحب) .. الاستماتان هنا غامضتان.
- (٩) أواسط نيسان - أبريل ١٤٤٢ م.

إبراهيم التازي

١- هو الشيخ أبو إسحاق أبو سالم إبراهيم بن محمد بن علي التازي - من بني لنت، وهي قبيلة من بربر تازة (نيل الابتهاج ٥٥، السطر السادس) - سكن وهران (في القطر الجزائري اليوم. وقيل شهر بالتازي لأنه ولد في تازة^(١)).

قرأ إبراهيم التازي على أبي زكريا يحيى الوازمي، وأخذ في تونس عن عبد العزيز المبدوسي، كما أخذ في تلمسان عن محمد بن مرزوق الحفيدة (ت ٨٤٢ هـ).

رحل إبراهيم التازي إلى المشرق وحجّ ولبس الحرقة (أصبح ذا مكانة عالية في التصوف) على يد شرف الدين الداعي. ثم عاد إلى المغرب ولبسها مجدداً على يد الشيخ صالح بن محمد الزواوي، بسنده (أي بلبسه الحرقة على يد) أبي مدين شبيب (ت ٥٩٤ هـ)^(٢).

٢- كان إبراهيم التازي مقدماً في علوم القرآن وعلوم اللغة حافظاً للحديث بصيراً بأصول الدين وأصول الفقه ومُتصوفاً مشهوراً. له بديعيات (قصائد في مدح الرسول) وقصائد تنطوي على معاني صوفية على بعضها أثر عمر بن الفارض. وله تأليف في الفقه وأصول الدين ويعلم الحديث.

٣- مختارات من آثاره

- قال إبراهيم التازي (نيل الابتهاج ٥٦):

أبعد الأربعين تروم هزلاً؟ وهل بعد العتيبة من عرار^(٣)!

(١) وهران: ثغر في القطر الجزائري. تازة: بلد قرب فاس في المغرب (تاج العروس - الكويت ١٥: ٤٨).

(٢) لا يتسق، في التاريخ، أن يكون إبراهيم التازي (ت نحو ٨٦٦ هـ) قد أخذ التصوف عن صالح بن محمد الرواي، إذا كان هذا قد أخذ عن أبي مدين (ت ٥٩٤ هـ)، إلا أن يكون بين التازي والزواوي نفر من الشيوخ (إذ بين موت التازي وموت أبي مدين مائتان واثنان وسبعون سنة).

(٣) رام: قصد: أراد. القرار: نبت له زهر طيب الرائحة. في البيت تضمنين من بيت قدم:

تفتح من شمم عرار نغد فبا بعد العتيبة من عرار.

إبراهيم التازي يقصد: وهل بعد العتيبة (التقدم في السن وراء الأربعين) عرار (بجاء، أو قدرة على الهزل وملاذ الحياة)!

وَعَدُّ عَنِ الرَّيَّابِ وَعَنِ سَعَادٍ وَزَيْنَبَ وَالْمَعَارِفِ * وَالْعَقَارِ^(١)
فَمَا الدُّنْيَا وَزُخْرُفُهَا بِشَيْءٍ . وَمَا أَيْكُمُهَا إِلَّا عَوَارِ^(٢) .
فَتُبَّ وَأَخْلَعَ عِذَارَكَ فِي هَوًى مِّنْ لَهُ دَارُ النِّمْرِ وَدَارُ نَارِ^(٣) .
وَلَا مَوْجُودٌ إِلَّا اللَّهُ حَقًّا ، فَدَغَّ عَنْكَ التَّعَلُّقُ بِالشُّغَارِ^(٤) .

- وقال إبراهيم التازي أيضاً^(٥) (أزهار الرياض ٢ : ٣١٠) :

مَا حَالُ مَنْ فَارَقَ هَذَا الْجَمَالَ وَذَاقَ طَعْمَ الْهَجْرِ بَعْدَ الْوَصَالِ ،
وَالْعَقْلُ مِنْهُ ذَاهِبٌ ، وَالْحَشَى مُلْتَهَبٌ ، وَالْجِسْمُ يَحْكِي الْحَيَالَ ؟
أَيُّتْ أَرْعَى النَّجْمَ فِي أَفْقِهَا ، وَلَيْلُ أَهْلِ الْحُبِّ رَحْبٌ طَوَالَ^(٦) .
يَا قَبَّحَ اللَّهُ النَّوَى لِنَهَا^(٧) قَتْلُ بِلَا سَيْفٍ وَدَاءُ عُضَالِ^(٨) .
وَيَا رَعَى اللَّهُ زَمَانًا مَضَى بِالْأَنْسِ فِي وَارِفِ تِلْكَ الظَّلَالِ^(٩) :
ظِلَالِ تَبَاءٍ السَّيِّئَةِ تَيَّمَتْ قَلْبِي وَخَلَّتْ مُهْجَتِي فِي نَكَالِ^(١٠) .

- (١) الرباب وسعاد وزينب من أسماء اللواتي يكنى بها عن المحبوبات في الدنيا . المعارف : الأصدقاء
(٢) العلوم الدينية (٣) العقار (يفتح العين) : الأراضي والأبنية ، (بضم العين) : الخمر - عد (تجاوز ،
اترك) كلُّ أمور الدنيا المادية والمنوية . * اقرأ : المعارف . المَرْفَ من آلات الطرب ، شبه العود .
(٢) الزخرف : الذهب ، والزينة . عوار جمع عارة وعارية (الشيء الذي تستعيره من غيرك) من المذذر
« عور » (يقال : أعور الرجل : بدا فيه نقص أو خلل أو حاجة) .
(٣) من له دار الميم (الجنة) ودار النار (جهنم) هو الله .
(٤) المتصوفة المتطرفون لا يقولون : لا إله إلا الله ، لزعيمهم أنَّ هذه الصيغة تعني أنَّ هالك في العالم أشياء
كبيرة منها الله . إنهم يقولون : لا موجود إلا الله : أي ليس في العالم كائن حق إلا كائن واحد هو الله . كان
محي الدين بن عربي (ت ٦٣٨ هـ) يقول بذلك أيضاً . الشُّغَار (الأشياء المادية الموجودة في الدنيا) .
(٥) محرَّدة من تخسيس لبعض الأكابر - من الصوفيين - (راجع أزهار الرياض ٢ : ٣٠٩) .
(٦) رحب : مَنَح . طَوَالَ (بالضَّم) : طويل (القاموس المحيط : ٤ : ٩) .
(٧) في الأصل « إنه » . والصواب إنها لأنَّ « النوى » مؤنثة .
(٨) العضال : المرض الذي لا يرجى شفاؤه .
(٩) الظل الوارف : المَنَح (المنتشر على بقعة واسعة) .
(١٠) تباء مكان قرب المدينة (في شبه جزيرة العرب) . وهي هنا كناية عن العزلة الآتية . تَيَّم : أمرض ، ذَلَّل .
الهجة : دم القلب (القلب) . الكال : العذاب الشديد .

الله، ما أحسنَ خالاً لها تَقْبِيلُهُ المَهْظُورُ عَيْنُ الْحَلَالِ^(١).

- صلاة (دعاء) لإبراهيمَ التازي، وتُعرفُ بالصلاة التازية (النبوغ المغربي ٣٦٧ من الترقيم الأول): اللَّهُمَّ، صَلِّ صَلَاةً كَامِلَةً وَسَلِّمْ سَلَامًا تَامًا عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّ^(٢) تَحُلُّ بِهِ الْعُقْدُ وَتَنْفِرُ بِهِ الْكَرْبُ^(٣) وَتُقْضَى بِهِ الْخَوَائِجُ^(٤) وَتُنَالُ بِهِ الرِّغَائِبُ^(٥) وَحُسْنُ الْخَوَاتِيمِ^(٦)، وَيُسْتَقَى الْغَنَامُ بِوَجْهِهِ^(٧)، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ.

- وقال (ناظرًا إلى عَدَدٍ من معاني ابن الفارض):

أَبَتْ مُهْجَتِي إِلَّا الْوُلُوعَ بَيْنَ تَهْوَى فَدَعَ عَنْكَ لَوْمِي وَالنَّفُوسَ وَمَا تَقْوَى^(٨)،
هَوَانُ الْهَوَى عِزٌّ، وَعَذَبُ أَجَاغِهِ؛ وَعَلَقَمُهُ أَحْلَى مِنَ الْمَنِّ وَالسَّلْوَى^(٩).

-
- (١) الحال: نقطة سوداء على الخد (عادة). المَهْظُورُ: المنوع... تقبيل وجه الأجنبية حرام. ولكن المرأة الإليمية (وهي أجنبية، أي غير الحب، غير الإنسان) تقبيلها (عبادتها طاعتها) عين الحلال (حلال مطلق واجب على كل إنسان).
- (٢) اقرأ: على محمد، وهو نبي... أو: على محمد النبي الذي....
- (٣) الكربة: الحزن الشديد والغم الثقيل.
- (٤) الخوائج جمع حائجة: الأربة (بضم الراء)، أي الرغبة التي بضررها الإنسان في نفسه. وربما كانت «الخوائج» جمع «حاجة» على غير قياس (وقيل: هي مولدة نشأت في مصر المباسي)، وقيل: استمالها منكر (خطأ، غير مألوف). وصاحب التاج يراها صحيحة ويستشهد عليها من الشعر الجاهلي ومن حديث رسول الله (راجع تاج المروس - الكويت ٥: ٤٩٦-٤٩٨).
- (٥) الرغبة: الأمر المرغوب فيه، العطاء الكثير.
- (٦) يقال: كسب الله لنا حسن الخاتمة (الموت على الإيمان - الإسلام).
- (٧) يستقي الغنام (الطر) بوجهه: مبارك عالي المنزلة عند الله، يستجيب الله دعاءه ودعاء الذين يحيطونه وسيلتهم إلى الله.
- (٨) الولوع: التعلق، المحبة الشديدة. بين أهوى (أنا) أي بالله وحده. والنفوس (أي دع: اترك) النفوس (بعض النفوس) وما تقوى تلك النفوس عليه. - إذا كنت أنت لا تقوى (تقدر، تحتمل) أن تحب الله وحده فاترك أصحاب النفوس من الذين يقدرون على ذلك: أن يحبوا الله (يتصوفوا).
- (٩) الهوان: الذل، أن يصحح الشيء محترقاً لا يخيف فيهمج عليه كل إنسان. الأجاج: الشديد اللوحة. المن: طلل (الندى) يتجمع على الأغصان ويجمد فيتحول مادة حلوة تؤكل. السلوى: السكاني (بضم السين) طائر مرغوب في لحمه. والشاعر يظن أن السلوى مادة حلوة كالمن (كما لا يزال عوام الناس يظنون).

وتعذيبه للصَّيبِ عَيْنُ نَعِيمِهِ . وَنَحْيُ اللَّوَاخِي فِي السُّلُومِ الْمَدْوَى ^(١) !
وَلَيْسَ بِحَرٍّْ مِنْ تَعَبِدِهِ الْهَوَى
فَمَا الْحَبُّ إِلَّا حُبُّ ذِي الطُّوْلِ وَالْغِنَى وَأَمْلَاكِه وَالْأَنْبِيَا وَأُولَى التَّقْوَى ^(٢) .

٤- ** تعريف الخلف ٢ : ٧-١٢ ، نيل الانتهاج ٥٤-٥٧ : أزهار الرياض ٢ :
٣٠٩-٣١٤ : النبوغ المغربي ٣٦٧ (من الترقيم الأول) ، ٨١٧-٨١٨ الطمار
١٤٧-١٥٠ .

ابن عبد المنعم الحميري

١- هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم بن عبد النور الحميريُّ
الأندلسيُّ من أهل سَبْتَةَ لَا نَعْرِفُ مِنْ تَفَاصِيلِ حَيَاتِهِ شَيْئاً ، وَلَمَلَّ وَفَاتَهُ كَانَتْ بُعِيدَ سَنَةٍ
٨٦٦ (١٤٦١-١٤٦٢ م) .

٢- كان ابنُ عبدِ المنعمِ الحميريُّ عالماً بالبلدانِ والسَّيَرِ ^(١) والأخبارِ ، وَقَدْ اشْتَهَرَ
بِكِتَابِ «الرَّوْضِ الْمِطَارِ فِي خَبَرِ الْأَقْطَارِ» ^(٢) . وَنُسْخَةُ الْكِتَابِ الْمَعْرُوفَةُ الْيَوْمَ مُوجَزٌ
صَنَعَهُ أَحَدُ أَغْقَابِهِ فِي جُدَّةَ (بِالْحِجَازِ) نَحْوَ سَنَةِ ٩٠٠ (١٤٩٤-١٤٩٥ م) . وَقَدْ كَانَ
الْقَلَسَنْدِيُّ (ت ٨٢١ هـ) وَالْمِقْرِيزِيُّ (ت ٨٤٥ هـ) قَدْ أَخَذَا مِنَ النُّسخَةِ الْأَصْلِيَّةِ
لِلرَّوْضِ الْمِطَارِ وَالتِّي صَنَعَهَا ابْنُ عَبْدِ الْمُنْعَمِ الْحَمِيرِيُّ نَفْسُهُ .

(١) اللواحي جمع لاحية: التي تلوم الآخرين. وسمي اللواحي (طلب الماذلات اللغات مني) السلو (نيان محبوي) من المدوى (من تقلبهم للآخرين الذين يلومونني بلا علم بمحققة حبي لله).

(٢) - الذي يحب إنساناً في هذه الدنيا (مفرد دنا) يكون عبداً لهواه هذا . فاختر لنفسك من توى (تعب): من يكون أهلاً للحب (وهو الله وحده) .

(٣) الطول (يفتح أطاء): الفضل والغنى . ذو الطول والغنى هو الله . الأملاك: الملائكة .

(٤) السير (جمع سيرة): تراجم الأشخاص ، والسير أيضاً: جماعات الناس . ثم هي الصلات بين الدول (السياسة الخارجية) .

(٥) ذكر محمد الناسي (البحث العلمي ١ : ٦٥-٦٩) ما يلي: «الروض المطار في أخبار الأقطار لمحمد بن محمد الحميري التوفي سنة ٩٠٠ هـ (١٤٩٤ م) ، وهو غير الحميري صاحب كتاب يجعل تقريباً نفس هذا العنوان الذي نشر بالفرنسية ما يتعلق منه بجزيرة الأندلس لبني بروفنصال.....»

والفصلُ في أمرِ «الروضِ المطار» ليس سهلاً. وفي «دائرة المعارف الإسلامية» (٦٧٥: ٦٧٦) مناقشة مفصلة لتحقيق عنوانِ الكتاب وزمّنه ونسخه. وقد قام ليبي بروفنسال بنشرِ مختاراتٍ من «الروض المطار» تتعلّق بالأندلس. وجاء في تاريخ الفكر الأندلسي «(ص ٣١١-٣١٢) هذا المقطع المفيد:

«وموادُّ هذا الجزء المنشور عن الأندلس مرتبة ترتيباً أبجدياً. وهو يضمُّ معظمَ الأعلامِ الجغرافية الهامة التي يردُّ ذكرها في كتب الأندلسيين. وقد حرصَ الجُميُري على أن يوردَ ما اتصلَ ببلده من أطرافِ التاريخ عن الموضع الذي يتكلّم عنه. وأكثرُ هذه المادّة التاريخية يتعلّق بمصر الموحّدين الذي سقطتْ خلاله معظمُ حواضرِ الأندلس الكبيرة في أيدي النصارى. والجُميُري يُفنى بتفصيل ذلك على نحوٍ فريدٍ في أسلوبٍ عربيٍّ رصينٍ بما يجعلُ لهذا الكتابِ أهميةً كبيرةً للمؤرّخ والجغرافي على السواء».

٣- مختارات من آثاره

- من مقدمة كتاب «الروض المطار»:

.... وبعدُ فلّني قصْدْتُ في هذا المجموع ذكرَ المواضع المشهودة عند الناس من العربية والعجمية^(١)، والأصقاع التي تعلّقت بها قصّة أو كان في ذكرها فائدة، أو كلامٌ فيه حكمة أو خبرٌ لها طريفٌ أو معنى يُستلج أو يُستغرب ويحسنُ إيراده. أما ما كان غريباً عند الناس - ولم يتعلّق بذكره فائدة، ولا له خبرٌ يحسنُ إيراده - فلا أُلِمُّ^(٢) بذكره ولا أتمرّضُ له غالباً استثناءً عنه واستثقالاً لذكره. ولو ذهبتُ إلى إيراد المواضع والبقاع على الاستقصاء لطالَ الكتابُ وقلَّ إمتاعه^(٣). فأقتصرتُ لذلك على المشهور من البقاع وما في ذكره فائدةً ونكتفي عما سوى ذلك (١).

وربّته على حروف المُعْجَمِ لها في ذلك من الإحاض^(٤) (!) المرغوب فيه ولما فيه

(١) من اللغة العربية واللغة الأعجمية (الأجنبية: الإسبانية).

(٢) لا أُلِمُّ بذكره: لا أذكره. أُلِمُّ بالشيء: مرُّ به مرّاً خفيفاً.

(٣) الاستقصاء: الاستفاد (محاولة ذكر كلّ شيءٍ يتعلّق بموضوع ما). الإمتاع: السرور.

(٤) الإحاض (في الأصل): أن تأكل الإبل نبتاً حامضاً (بعد أن تكون قد امتلأت بطونها من العشب المادّي). والإحاض أيضاً: تناول المتحدثين بعض أحاديث المزَل. والمقصود هنا: التنقل بين أشياء متباعدة (فلا تُلِّ التمس من مطالعة موضوعات متقاربة للمعاني).

من سُرعة هجوم الطالب على اسم الموضوع الخاص من غير تكلفٍ عَناءٍ^(١) ولا تحشُّمٍ تعبٍ^(٢). فقد صار هذا الكتاب محتوياً على فتنٍ مختلفين: أحدها ذكرُ الأقطار والجهات وما اشتملت عليه من الثنوت والصفات؛ وثانيها الأخبار والوقائع والمعاني المختلفة بها الصادرة عن مجتليها^(٣). وأختلستُ (في) ذلك ساعاتٍ زماني وجعلته فكاكةً نفسي. وأنصبتُ فيه فكري وبدني ورُضتُهُ^(٤) حتى أنقادت للعمل وجاء حَسْبُ الأصل فأصبح طارداً للهموم مُلقياً للغموم وشاهداً بقدرة القيوم^(٥) مغنياً عن مؤانسة الصَّحْبِ مِنْهَا على حكمة الربِّ باعثاً على الاعتبار مُستحضراً لخصائص الأقطار، مُشيراً لآثار الأمم وأحداثها مُشيراً^(٦) إلى وقائع الأخبار وأنبائها.....

وجعلتُ الإيجازَ في هذا الكتاب قصدي وحرَّصتُ على الاختصار جُهدي حتى جاء نسيجٌ وحده مليحاً في قنّه، غريباً في معناه مُبهجاً للنفوس المتشوقة ومُذهباً للأفكار المحرقة^(٧)، مؤنساً لمن استولى عليه الأفراد ورَغِبَ عن مُعاشرَةِ الناس. ومَعَ هذا فقد لُمْتُ نفسي على التَّشَاغُلِ بهذا الوضعِ الصادِّ^(٨) عن الاشتغال بما لا يُغني عن أمر الآخرة والمُهمِّ عن العلم المُزَلِّفِ^(٩) عند الله تعالى. وقلتُ: هذا شأنُ البطالين وسُئل مَنْ لا يَهْمُهُ وقته. ثم رأيتُ ذلك من قبيل ما فيه ترويحٌ لهذه النفوس ومن حَسَنَ تعليلها بالمباح لمن يَشْتَطُّ إلى ما هي به أغنى^(١٠). ثم هو مَهَيِّجٌ^(١١) يَلْكَه الناسُ، وأعتنى به طائفة من العلماء وقِيده جماعة من أهل التحصيل، فلا حَرَجَ^(١٢) من الاقتداء بهم.....

-
- (١) العناء التعب. تكلف عناء: بذل جهداً (بالضم).
 - (٢) تحشُّم الأمر: نكلفه (حاول القيام به). تحشُّمُ تعب: مُعاناة شقة وعُسْر.
 - (٣) مجتلب الشيء: الذي يأتي بالشيء من مصدره.
 - (٤) راض فلان الأمر: مارسه وذلكه.
 - (٥) القيوم (من أسلم الله الحسنى).
 - (٦) «شيراً» وردت مرتين. لعل الأولى «شيراً» (بالتاء: كاشفاً). شيراً (الثانية): دالاً.
 - (٧) المحرقة (؟)، لعلها: المحرقة.
 - (٨) الصاد: الراد، الرادع، المانع.
 - (٩) والمهم (الضروري؟). المزلف: المقرب.
 - (١٠) أغنى: أكثر عناية (أهتماً واشتغلاً) بالشيء.
 - (١١) المهيج: الطريق الواضح.
 - (١٢) لا حرج: لا ضيق، لا ضرر.

قال عبد المنعم الحميري في «الروض المعطار» (نفع الطيب ٤: ٣٦٢):

فلما عَبَرَ يوسفُ وجميعُ جيوشِهِ إلى الجزيرةِ الخضراءِ انزعج^(٢) إلى أشبيليةِ على أحسنِ الهَيئاتِ: جيشاً بعدَ جيشٍ، وأميراً بعدَ أميرٍ، وقبيلًا بعدَ قبيل^(٣). وَبَعَثَ الْمُعْتَمِدُ ابنَهُ إلى لِقَاءِ يوسفَ، وأمرَ عُمَالَ البلادِ بِحُلْبِ الأَقْوَاتِ والضيافاتِ. ورأى يوسفُ من ذلكَ ما سَرَهُ وَنَشَطَهُ. وتواردَتِ الجيوشُ مَعَ أُمَرائها على إِشْبِيلِيَّةَ. وَخَرَجَ الْمُعْتَمِدُ إلى لِقَاءِ يوسفَ من إِشْبِيلِيَّةِ في مائةِ فارسٍ ووُجُوهِ أَصْحابِهِ. فلَمَّا أَتَى مَحَلَّةَ يوسفَ رَكَضَ نَحْوَ القومِ، وركضوا نَحْوَ. فَبَرَزَ إِلَيْهِ يوسفُ وحدهُ، وَالتَقِيَ مُنْفَرِدَيْنِ وتصافحا وتعانقا، وأظْهَرَ كُلُّ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ المَوَدَّةَ والخُلوصَ^(٤)، وشَكَرا نِعْمَ اللَّهِ تعالى وتواصيا بالصَّبْرِ والرحمةِ وَبَشَّرَا أَنفُسَهُمَا بما اسْتَقْبَلَا من غَزْوِ أَهْلِ الكُفْرِ، وتضرعا إلى اللَّهِ تعالى في أنْ يَجْعَلَ ذلكَ خالِصاً لوجهِهِ مُقَرَّباً إِلَيْهِ، وافترقا.....

وكان الأذفونش^(٥) لَمَّا تَحَقَّقَ الحَرْكَةُ والحَرْبُ اسْتَنْفَرَ جَمِيعَ أَهْلِ بِلادِهِ وما يَلِيها وما وراءَها. وَرَفَعَ القَيْسُونَ والرُّهْبَانُ والأَسَاقِفَةُ صُلبانَهُمْ وَشَرُّوا أَناجيلَهُمْ. فاجتمعَ إِلَيْهِ من الجَلالَةِ والإِفْرَنْجَةِ^(٦) ما لا يُحصى، وجواسيسُ كُلِّ فِرْقٍ تَرَدَّدُ بَيْنَ الجَمِيعِ. وَبَعَثَ الأذفونشُ إلى ابنِ عَبادٍ أَنَّ صاحِبَكُم يوسفُ قد تَعَمَّى^(٧) من بِلادِهِ وخاضَ البُحُورَ، وأنا أَكفِيكَ النَّصَاءَ فيما بَقِيَ ولا أَكُلِّفُكَ تَعَباً: أَمْضِ وَأَلْقَاكُم في بِلادِكُم رِفْقاً بِكُم وتَوفيراً عَلَيْكُم^(٨).

(١) راجع، فوق، ٥: ٣٣.

(٢) الجزيرة الخضراء في جنوبي الأندلس. انزعج: انتقل.

(٣) القبيل: القوم تجمعهم قرابة. (كان كُلُّ جيشٍ من الجيوش - أو كُلِّ قسمٍ من الجيش الواحد - يتألف من جنود ينتمون إلى قبيلة واحدة أو إلى قبائل متقاربة في النسب).

(٤) الخُلوص: الصفاء.

(٥) الأذفونش لقب ملوك قشتالة. والأذفونش المقصود هنا هو الفونس (ألفونسو) السادس ملك ليونة (١٠٦٥ م) وقشتالة (منذ ١٠٧٢ م) وكانت هزيمته في معركة الزلاقة سنة ١٠٨٦ م (٤٧٩ للهجرة).

(٦) الجلالفة أهل جَلِيْقَةِ (الشمال الغربي من إسبانية. الإفرنجية (سكان غالية: فرسة اليوم).

(٧) تَعَمَّى: تعب، تكلف القيام بأمر فيه شقة. النماء: التعب.

(٨) في هذه الجملة تهم.

وقال (الأذفونش) لِخَاصَّتِهِ وَأَهْلِ مَسُورَتِهِ: إِنِّي رَأَيْتُ أَنِّي إِن مَكَّتُهُمْ مِنَ الدُّخُولِ إِلَى بِلَادِي فَتَجَزُونِي فِيهَا وَبَيْنَ جُدْرِيهَا - وَرَبِّهَا كَانَتْ الدَّائِرَةُ عَلَيَّ^(١) - يَسْتَحْكُمُونَ الْبِلَادَ وَيَحْصُدُونَ مَنْ فِيهَا غَدَاةً وَاحِدَةً^(٢). وَلَكِنْ أَجْعَلْ يَوْمَهُمْ مَعِيَ فِي حَوْزِ بِلَادِهِمْ^(٣).....

ثُمَّ بَرَزَ بِالْمُخْتَارِ مِنْ جُنُودِهِ وَأَنْجَادِ جُمُوعِهِ عَلَى بَابِ دَرْبِهِ^(٤)، وَتَرَكَ بَقِيَّةَ جُمُوعِهِ خَلْفَهُ، وَقَالَ - حِينَ نَظَرَ إِلَى مَا اخْتَارَهُ مِنْهُمْ - يَهْؤُلَاءِ أَقَاتِلُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ وَمَلَائِكَةَ السَّمَاءِ. فَالْقَلِيلُ يَقُولُ: الْمُخْتَارُونَ أَرْبَعُونَ أَلْفَ دَارِعٍ^(٥)، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ أَتْبَاعٌ. وَأَمَّا النَّصَارَى فَيَعْتَجِبُونَ مِمَّنْ يَزْعُمُ ذَلِكَ وَيَرَوْنَ أَنَّهُمْ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ. وَاتَّقَى الْكُلَّ (عَلَى) أَنَّ عَدَدَ الْمُسْلِمِينَ أَقَلُّ مِنَ الْكُفَرَةِ.....

٤ - صفة جزيرة الأندلس (منتخبة من كتاب «الروض المطار» - عني بنشرها إ. لافي بروفنصال - وقف على طبعه محمد فؤاد عبد الباقي)، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٣٧ م، بيروت (الشركة المتحدة للتوزيع) ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م.
* نفع الطيب ٤: ٣٥٤ وما بعد، ٣٥٧ وما بعد، ٣٦٠، ٣٦٣ وما بعد، ٣٦٨ وما بعد، دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٧٥ - ٦٧٦؛ بروكلمن ٢: ٥٠، الملحق ٢: ٣٨، ٣: ١٢٧٩؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٨١ (٥٣)؛ بالنسبة ٣١١ - ٣١٢.

الجزولي (*) السِّلَالِي

١ - هو أبو عبد الله محمد بن سليمان (أو ابن عبد الرحمن) بن أبي بكر الجزولي

- (١) ناجزوني: قاتلوني، حاربوني. الجدر (بضمّ فضاء) جمع جدر (بالكسر): الحائط. كانت الدائرة عليّ: انهزمت، هلكت.
- (٢) استحكم: ليست هنا في مكانها (المقصود: تحكّم في البلاد: سيطر فيها). غداة واحدة = في غداة واحدة (في وقت قصير).
- (٣) الحوز: قطعة من الأرض يحوزها (يملكها ويحوزها) أهل مدينة فتكون خالصة لهم.
- (٤) الأنجاد جمع نجيد (يفتح فكه أو يفتح فمّه): الرجل التجاع، والذي يضي في ما لا ينطعمه غيره.
- (٥) الدرب (هنا): كل طريق يؤدي إلى ظاهر (خارج) البلد.
- (٥) الدارِع: اللابس الدرع.
- (*) الجزولي (يفتح الحِم أو بضمّها) نسبة إلى قبيلة جزولة (بضم فارسية).

السَّلَالِي (من قبيلة سَيْمَلَة أحدِ فروع جَزُولَة) وهو من أهل (سِلْسلة جبالِ) السوس الأقصى المَرَاكُشِيَّة (في جَنُوبِي المَغْرِب).

وُلِدَ الجَزُولِيُّ السَّلَالِيُّ سَنَةَ ٨٠٧ للهجرة (١٤٠٤-١٤٠٥ م). ويبدو أَنَّهُ غادر مَوْطِنَهُ في مطلعِ حَيَاتِهِ، بعدَ حادثةٍ مَحَلِّيَّةٍ أَقْرَبَ فِيهَا عَلَى نَفْسِهِ بِقَتْلِ مَوَاطِنٍ حَتَّى يُمَكِّنَ الإِصْلَاحَ بَيْنَ أَهْلِ القَتِيلِ وَأَهْلِ القَاتِلِ عَلَى عَادَةِ أَهْلِ الْبَلَدِ (راجع نيل الابتهاج ٣١٧ س). فَخَرَجَ إِلَى طَنْجَة. ثُمَّ رَجَعَ إِلَى فَاسٍ وَتَلَقَّى فِيهَا شَيْئاً مِنَ الْعِلْمِ، وَدَوَّنَ فِيهَا «دَلَالِلَ الْخَيْرَاتِ». وَفِيهَا أَيْضاً لَقِيَ الشَّيْخَ زُرُوقَ^(١). ثُمَّ إِنَّهُ عَادَ إِلَى السَّاحِلِ (إِلَى طَنْجَة؟) وَلَقِيَ هُنَاكَ «أَوْحَدَ وَقْتَهُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَمْعَارَ الصَّغِيرِ» وَأَخَذَ عَنْهُ.

وَيُقَالُ إِنَّهُ رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ، بَعْدَ تَطَوُّفِهِ فِي الْمَغْرِبِ، وَقَضَى مُدَّةً فِي الْحِجَازِ. وَبَعْدَ رُجُوعِهِ مِنَ الْمَشْرِقِ - فَمَا قِيلَ - دَخَلَ فِي الطَّرِيقَةِ الشَّاذِلِيَّةِ ثُمَّ أَعْتَزَلَ مُعْتَكِيفاً وَأَنْقَطَعَ فِي الْحَلْوَةِ (فِي فَاسٍ) أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً.

وكانت وفاة الجَزُولِيِّ السَّلَالِيِّ - فَمَا قِيلَ - مَسْمُوماً، فِي مَكَانٍ أَسَمَهُ أَفْغَالُ (أَوْ أَفُوغَالُ)، فِي السَّادِسِ عَشَرَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ ٨٧٠ للهجرة (١٤٦٤/٨/٩ م). وَبَعْدَ سَبْعِ سَنَوَاتٍ نُقِلَتْ جُسَّتُهُ إِلَى مَدِينَةِ مَرَاكُشِ^(٢) فِي الْأَغْلَبِ.

٢- الجَزُولِيُّ السَّلَالِيُّ فَتِيهٌ صَوْفِيٌّ مَشْهُورٌ وَمِنْ ذَوِي الْمَكَانَةِ الَّذِينَ بَلَّغُوا فِي التَّصَوُّفِ مَرْتَبَةً عَالِيَةً، جَاءَ فِي «نِيلِ الْإِبْتِهَاجِ» (ص ٣١٧): «الْعَالِمُ الْعَارِفُ الْوَلِيُّ الصَّالِحُ الْقُطْبُ... نُخْبَةُ الدَّهْرِ وَوَحِيدُ الْعَصْرِ، مُجِيي الطَّرِيقَةِ (الصُّوفِيَّةِ) بِالْمَغْرِبِ بَعْدَ دَرَسِيهَا وَ(كَاشَفَ) شَمْسَ الْحَقِيقَةِ عِنْدَ طَمَسِهَا». وَهُوَ مُصَنَّفٌ، لَهُ: دَلَالِلُ الْخَيْرَاتِ وَشَوَارِقُ الْأَنْوَارِ فِي ذِكْرِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ - حِزْبُ الْفَلَاحِ^(٣) - الْمُجَالَةُ فِي

(١) هُوَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَبَّاسِ الْبَرْنَسِيِّ الْفَاسِيِّ الْمَعْرُوفُ بِزُرُوقٍ، فَتِيهٌ وَمُعَدِّثٌ وَصَوْفِيٌّ. سَاحَ فِي الْمَغْرِبِ وَرَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ وَزَارَ مِصْرَ وَالْحِجَازَ. لَهُ مَصْنُوعَاتٌ فِي الْفِقْهِ وَفِي التَّصَوُّفِ. كَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ ٨٩٩ (١٤٩٣-١٤٩٤ م) فِي تَكْرِينَ (مِنْ قُرَى مَسْرَاتِهِ) مِنْ أَعْمَالِ طَرَابُلُسَ (لِيبْيَا).

(٢) نُقِلَتْ جُسَّتُهُ إِلَى مَرَاكُشَ بَعْدَ سَبْعِ سَنَوَاتٍ مِنْ مَوْتِهِ؛ وَفِي نِيلِ الْإِبْتِهَاجِ بَعْدَ سَبْعِ وَسَبْعِينَ سَنَةً، وَوُجِدَتْ سَلِيمَةً ثُمَّ تَمْتَعِيرًا!

(٣) «دَلَالِلُ الْخَيْرَاتِ» تَعْبِيرٌ أُطْلِقَ فِيهَا بَعْدَ عَلَى مَجْمُوعٍ مَعْيَنٍ مِنَ الْأَدْعِيَةِ تَقَالُ فِي غَنَبِ الصَّلَوَاتِ أَوْ فِي فَرَاتٍ مِنَ التَّهَجُّدِ وَالْمُعَادَةِ (أَلْفِهِ فِي فَاسٍ). الْحَرْبُ فِي الْأَصْلِ رِبْعٌ جَرَى مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (وَالْقُرْآنُ =

٣ - مختارات من آثاره

- من دلائل الخيرات للجزولي السِّلالي:

.... أفضل صَلَواتِ (*) الله وأحسنُ صَلَواتِ الله وأجلُ صَلَواتِ الله وأكملُ صَلَواتِ الله وأسبغُ (١) صَلَواتِ الله وأتمَّ صَلَواتِ الله وأظهرُ صَلَواتِ الله وأعظمُ صَلَواتِ الله وأزكى (٢) صَلَواتِ الله وأطيبُ صَلَواتِ الله وأبركُ صَلَواتِ الله وأوفى صَلَواتِ الله وأسنى (٣) صَلَواتِ الله وأعلى صَلَواتِ الله وأكثرُ صَلَواتِ الله وأجمعُ صَلَواتِ الله وأعمُّ صَلَواتِ الله وأدومُ صَلَواتِ الله وأبقى صَلَواتِ الله وأعزُّ صَلَواتِ الله وأرفعُ صَلَواتِ الله على أفضلِ خلقِ الله وأحسنِ خلقِ الله وأجلَّ خلقِ الله وأكرمِ خلقِ الله وأجلَّ خلقِ الله وأكملِ خلقِ الله وأعظمُ خلقِ الله عندَ الله: رسولُ الله ونبيُّ الله وحبيبُ الله وصفيُّ الله ونجيُّ (٥) الله وخليلُ الله ووليُّ الله وأمينُ الله وخيرةُ (٦) الله من خلقِ الله، ونُخبَةُ الله من

= الكريم ثلاثون جزءاً)، ويطلق على مقدار من القراءة والأدعية يأخذ المسلم نفسه بقراءته في أوقات معينة.

(*) يحسن أن ندرك أن في هذا الدعاء أشياء . أولى هذه الأشياء أن الجزولي السِّلالي يريد أن يجمع في دعائه هذا كلَّ أنواع المديح في رسول الله صلى الله عليه وسلّم - ورسول الله أهل لكلِّ هذا المديح ولأكثر منه أيضاً . ثم إن الجزولي هذا لا يبغي بالأكثر للصفات التي يضيفها إلى الأسماء : أفضل صَلَواتِ الله وأجلَّ وأحسن وأعلى وأرفع صَلَواتِ الله ، إلخ . الغاية الأساسية جمع هذه الصفات في سلك طويل من غير تفرق في خصائصها (ظلال معانيها) . ثم هنالك شيء أدعى إلى الملاحظة (مع العلم بأن النص هنا مختارات) ، هو أن ترتب الصفات المضافة إلى الصلوات (أفضل صَلَواتِ الله وأحسن صَلَواتِ الله تجري على ترتيب واحد مع الصفات التي سيخلفها الجزولي السِّلالي على الرسول (على أفضل خلق الله وأحسن خلق الله ، إلخ) .

(١) أسبغ : أوسع وأكثر شمولاً .

(٢) أظهر : أبين ، أوضح ، أقوى . أزكى : أظهر .

(٣) أسنى : أعلى ، أضوأ (أكثر ضوءاً أو نوراً) . أوفى : أتم وأكمل .

(٤) أعز : أقوى ، أندر ، أحب .

(٥) الصفي : الذي تجمله صديقاً خالصاً لك دون سواه . والنجي : الذي تشاره (تظلمه على أسرارك دون غيره) .

(٦) الخليل : الصديق المحال (الذي يعرف دخائل أمورك) . الولي : الذي يتولى أمورك ويكون كلَّ اعتدالك في كلِّ شيء عليه . خيرة الله (الذي اختاره الله) .

بِرَّةٍ^(١) الله، وصفوة الله من أنبياء الله، وعزوة^(٢) الله وعِصْمَةُ الله ونعمة الله ومفتاح رحمة الله، المختار من رُسُلِ الله، المُنتخب من خلق الله، الفائز بالمطلب في المرغِب والمرغَب، المُخلَص فيما وَهَب^(٣)، أَكْرَم مبعوث، أَصْدَق قائل، أَنجَح شافع، أَفْضَل مُشَفِّع، الأَمِين فيما أَسْتَوْدَع، الصادق فيما بَلَغ، الصّادع بأمر رَبِّهِ، المُضْطَلَع بما حُمِّل^(٤)، أَقْرَب رسل الله إلى الله وسيلةً وأَعْظَمِهِمْ غَدَاً^(٥) عند الله مَنزِلَةً وفضيلةً، وأَكْرَم أنبياء الله الكرام الصُّفْوَةُ على الله^(٦)، وأَحِبَّهُمْ إلى الله وأَقْرَبَهُمْ زُلْفَى^(٧) إلى الله، وأَكْرَم الخلق على الله وأَحْظَاهُمْ^(٨) وأَرْضَاهُمْ لدى الله، وأَعْلَى الناس قَدْرًا وأَعْظَمِهِمْ مَحَلًّا وأَكْرَمَهُمْ مَحَاسِنَ وَفَضْلًا، وَأَفْضَلُ الأنبياء دَرَجَةً وَأَكْمَلَهُمْ شَرِيعَةً، وَأَشْرَفِ الأنبياء نَصَابًا وَأَتَيْنَهُمْ خِطَابًا^(٩) وَأَفْضَلُهُمْ مَوْلَدًا وَمُهَاجِرًا وَعِتْرَةً^(١٠) وَأَصْحَابًا، وَأَكْرَمِ الناس أَرْوَمَةً وَأَشْرَفَهُمْ جُرْثُومَةً^(١١)، وَخَيْرَهُمْ نَفْسًا وَأَطْهَرَهُمْ قَلْبًا وَأَصْدَقَهُمْ قَوْلًا وَأَزْكَاهُمْ فِعْلًا وَأَثْبَتَهُمْ أَصْلًا^(١٢) وَأَوْقَاهُمْ عَهْدًا وَأَمَكَنَهُمْ مَجْدًا وَأَكْرَمَهُمْ طَبْعًا وَأَحْسَنَهُمْ صُنْعًا وَأَطْيَبَهُمْ فَرْعًا^(١٣) وَأَكْثَرَهُمْ سَمْعًا وَطَاعَةً^(١٤) وَأَعْلَاهُمْ مَقَامًا وَأَحْلَاهُمْ كَلَامًا وَأَزْكَاهُمْ

(١) البرية: الخلق (بالفتح)، مجموع البشر.

(٢) العروة: ما يملك به الإنسان (ليستعين به على الثبات في موقفه). العصمة: الحماية ما يلجأ إليه الإنسان (ليدفع عنه خطراً ما).

(٣) المرهب: الأشياء التي يرهب (يخاف) الإنسان منها. والمرغِب: المراد (بالضم) أو ما يريد الإنسان أن يحصل عليه. المخلص فيما وهب (أعطى): الذي خصّه الله بأعطائه دون غيره (من الرسل).

(٤) الصّادع: الذي يعلن الأمر ويحجر به (من غير تردد أو خوف). المضطلع (القدير في القيام بالأمور) بما حلّ (من الرسالة إلى جميع البشر).

(٥) غداً (يوم القيامة).

(٦) وأكرم على الله (أعز وأرفع مكانة) عند الله من جميع الأنبياء (الذين هم أيضاً ذوو مكانة عند الله، والذين هم الصفوة المختارون من سائر الناس).

(٧) أقرّبهم زلفى إلى الله: أكثرهم أثراً في الزلفى (التقرب) بجاههم إلى الله.

(٨) أحظاهم: أقرّبهم منزلة.

(٩) النصاب: الأصل، قوم الرجل. أئينهم: أوضحهم.

(١٠) المهاجر: المكان الذي يهاجر الإنسان إليه. العترة: عشيرة الرجل وقومه.

(١١) الأرومة والجُرْثُومَةُ: الأصل الذي ينتمي الإنسان إليه من السب.

(١٢) أزكاهم (أطهرهم) فعلاً: خيرهم أفعالاً. أثبتهم أصلاً (لا اختلاف في سرد نسبه).

(١٣) أمكنهم: أثبتهم. الفرع: السب القريب (في مقابل الأرومة والجُرْثُومَةُ: الأصل البعيد).

(١٤) أكثرهم سمعاً (لقول الله) وطاعة (له).

سَلاماً وأجلَّهُم قَدَراً وأعظَمَهُم فخرَاً وأسأَهُم نوراً^(١) وأرفَعَهُم في المَلَأِ الأعلى^(٢) ذِكْراً وأصدقَهُم وعداً وأكثرَهُم شُكْراً وأعلاَّهُم أمراً وأجلَّهُم صبراً وأحسنَهُم خَيراً وأقربَهُم يُسْراً وأبعدَهُم مكاناً^(٣) وأعظَمَهُم شأنَاً وأثبتَهُم بُرْهاناً وأرجَحَهُم ميزاناً وأولَّهُم إيماناً وأوضحَهُم بياناً وأفصحَهُم لساناً وأظْهَرَهُم بُرْهاناً^(٤)....

٤- دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في الصلاة على النبي المختار، بطرسبورج ١٨٤٢ م (١٢٥٢ هـ)؛ فاس بلا تاريخ^(٥)؛ القاهرة (مطبعة المدارس بالأزبكية) ١٢٥٦ هـ؛ القاهرة (مطبعة كاستللي) ١٢٧٧ هـ؛ القاهرة ١٢٨١، ١٢٨٧ هـ؛ القاهرة (مطبعة الطوخي) ١٢٨٩ هـ؛ القاهرة (مطبعة أبي زيد) ١٢٨٩، ١٢٩١، ١٢٩٤، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٣٠٤، ١٣٠٥ هـ؛ القاهرة ١٣٠٧، ١٣٠٨ هـ، إلخ، القاهرة (مطبعة الباي الحلبي) ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م)؛ استانبول ١٢٦٤، ١٢٧٣، ١٢٧٥، ١٢٩٣، ١٣٠١، ١٣١٤ هـ؛ وطبعت في الهند: دهلي ١٢٨٩، ١٣٠٢، ١٣١١ هـ؛ بومباي (مع ترجمة بين السطور بالسندية) ١٢٩٤ هـ؛ تلتشري (مع ترجمة بين السطور بالفارسية والهندستانية ومع زيادة في الأدعية لولانا حافظت حين) ١٢٩٦ هـ؛ كاونبور ١٢٩٨، ١٣٠٣، ١٣٠٤ هـ؛ لاهور (مع ترجمة بين السطور بالهندستانية) ١٣٠٢ هـ؛ لاهور (مع ترجمة بين السطور بالهندستانية لعلام أحد) ١٣١٧ هـ. مدراس (مع ترجمة بين السطور بلغة التاميل: «نوافل البركات» لمحمد عبد الرحمن قادر مرام) ١٩٠٨ م (١٣٢٦ هـ)؛ الجزائر ١٣٢٢ هـ.

شروح على «دلائل الخيرات»:

- مطالع المسرات، لأحد بن علي بن محمد المهدي القاسمي (ت ١٠٦٧ هـ = ١٦٥٣ م)، القاهرة ١٢٧٨، ١٣٠١، ١٣٠٩ هـ. ١٣٢٧ هـ.

- شرح، للمعدوي الحمزاوي (ت ١٢٠٤ هـ = ١٧٨٩ م)، القاهرة ١٢٨٩ هـ.

- الأنوار اللامعات شرح دلائل الخيرات، لعبد الرحمن بن محمد القاسمي (ت ١٠٣١ هـ = ١٦٢٢ م)، فاس ١٣١٧ هـ.

***- تمتع الأسباع في ذكر (او: بمناقب) الشيخ الجزولي والتباع (بفتح التاء) وما لها من

(١) أعلَّهم (أعظمهم) قدراً (مكانة). أسأهم (أضوأهم، أسطهم، أشدهم).

(٢) المَلَأُ الأعلى (العالم الروحاني): لدى الله.

(٣) أقربهم يسراً: أكثرهم تحقيقاً لتيسير الأمور (على الوصول إلى صالح الأعمال وإلى الثواب عليها) وأبعدهم مكاناً (عن أن يصل إلى مرتبته ومقامه أحد).

(٤) البرهان: (النور التوي الذي يظهر حقائق الأشياء) والدليل (الذي يثبت الأمور على ما يجب أن تثبت الأمور عليه).

(٥) يبدو أن جميع هذه الطباعات طبع حجر. ثم إنه طبع بعد ذلك بالحروف وفي أماكن عديدة.

الأتباع، لأبي عبد الله محمد المهدي القاسبي^(١)، فاس ١٣٠٥، ١٣١٣ هـ.
- الدلالات الواضحات: حاشية مختصرة على دلائل الخبرات، ليوسف بن إسماعيل السهاني^(٢)،
الطبعة الثانية، القاهرة (البابي) ١٣٧٥ هـ (١٩٥٥ م).

نيل الابتهاج ٣١٧ (طبعة فاس ٣٣٩)؛ دائرة المعارف الإسلامية ٢: ٥٢٧-٥٢٨؛
بروكلن ٢: ٣٢٧-٣٢٨، الملحق ٢: ٣٥٩-٣٦٠؛ الأعلام للزركلي ٢١: ٧ (١٥١: ٦)؛
معجم المؤلفين ١٠: ٤٥٢ (١١: ١١٨)، ترجمة مكرورة؛ النبوغ المغربي ٣٦٥؛ سركيس
٦٩٧.

القاضي ابن الأزرق

- هو قاضي القضاة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن
القاسم بن الأزرق الأصبحي الغرناطي من أهل وادي آش، وُلِدَ سَنَةَ ٨٣٢
(١٤٢٨-١٤٢٩ م). تَلَقَّى ابْنُ الْأَزْرَقِ الْعِلْمَ فِي غَرْنَاطَةِ: لَازَمَ الْأَسْتَاذَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ
أَحْمَدَ بْنِ قَتَّوحٍ مُفَتًى غَرْنَاطَةَ وَأَخَذَ عَنْهُ أَصُولَ الدِّينِ وَأَصُولَ الْفِقْهِ وَالنَّحْوِ وَالْمَنْطِقِ،
وَحَضَرَ مَجَالِسَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ السَّرْمُسْتِيّ - مُفَتًى غَرْنَاطَةَ أَيْضاً - فِي الْفِقْهِ
وَحَضَرَ مَجَالِسَ قَاضِي الْجَمَاعَةِ أَبِي الْمُبَاسِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي يَحْيَى بْنِ شَرْفِ التِّلْصَانِيّ.

وَتَوَلَّى ابْنُ الْأَزْرَقِ الْقِضَاءَ فِي غَرْنَاطَةِ، وَلَكِنْ لَمَّا اشْتَدَّ ضَغْطُ النِّصَارِيِّ الْإِسْبَانِ
عَلَى غَرْنَاطَةَ غَادَرَهَا إِلَى تِلْصَانَ ثُمَّ إِلَى مِصْرَ ثُمَّ إِلَى الْحِجَازِ فَحَجَّ ثُمَّ عَادَ إِلَى مِصْرَ؛ كُلُّ
ذَلِكَ فِي سَبِيلِ الْإِسْتِجَادَةِ لِمُلُوكِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَبْرَزَهُمْ يَوْمَئِذٍ السُّلْطَانُ قَايْتَبَايَ
(٨٧٢-٩٠١ هـ) مِنْ أَسْرَةِ الْمَالِكِ الْبُرْجِيَّةِ فِي مِصْرَ، وَلَكِنْ دَعَوْتُهُ لَمْ تُثْمَرْ.

وَأَحَبَّ قَايْتَبَايَ أَنْ يَسْتَفِيدَ مِنْ عِلْمِ ابْنِ الْأَزْرَقِ وَنَزَاهَتِهِ فَعَيَّنَهُ فِي مَنْصِبِ قَاضِي
الْقِضَاءِ فِي الْقُدْسِ. وَوَصَلَ ابْنُ الْأَزْرَقِ إِلَى الْقُدْسِ فِي سَادِسَ عَشَرَ شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ

(١) هو أبو عبد الله محمد المهدي بن أحمد بن يوسف (من أتباع الحزبي السلافي)، ولد سنة ١٠٣٣ هـ
(١٦٢٤ م) وتوفي ١١٠٩ هـ (١٦٩٨ م) - (بروكلن، الملحق ٢: ٧٠٣، راجع ٣٥٩ سركيس ١٤٢٨).

(٢) يوسف بن إسماعيل السهاني، ولد سنة ١٢٦٥ هـ (١٨٤٩ م) وتوفي سنة ١٣٥٠ هـ (١٩٣٢ م)؛ أديب
وشاعر وقبّه مشدّد، ألف عدداً كبيراً من الكتب أكثرها في الأمور الإسلامية مع حلة شديدة على
الدين بخالفوه في شدّده (راجع الأعلام للزركلي ٩: ٢٨٩: ٨: ٢١٨).

٨٩٦ (١٤٩١/٨/٢١ م)، ولكنه تُوْفِيَ وشيكاً في سابع عَشَر ذي الحجة من سَنَةِ ٨٩٦ (١٤٩١/١٠/٢٠ م).

وفي ثاني ربيع الأول من سَنَةِ ٨٩٧ (١٤٩٢/١/٣ م) استولى النصارى على الحمراء (نفتح الطيب ٤: ٥٢٥) وانتهى الحكم السياسي للمسلمين في الأندلس.

٢- كان القاضي ابن الأزرقي قَفيهاً وباحثاً مُتَفَنّاً غَلَبَ عليه النظرُ في العُمران البشري، فقد تَوَقَّرَ في كِتَابِيهِ: «الإبريز المسبوك في كيفية آداب الملوك» (نحو ٨٨٣ هـ) و«بدائع السُّلُك في طبائع المُلُك (بدائع السلوك في نظام الملوك)» على تلخيص عددٍ من الآراء في مقدمة ابن خلدون أو مُحَاكاتها. ولابن الأزرقي من الكتب أيضاً: روضة الإعلام بمنزلة اللغة العربية من علوم الإسلام - شفاء الغليل في شرح مُختصر خليل^(١) - فتاوى.

وكان لابن الأزرقي نَظْمٌ من شعر العلماء أكثره مُقَطَّعاتٌ مَبْنِيَّةٌ على التَّوَرِيَّة (كلمة لها مَنِيَّان أحدهما قَريبٌ مألوفٌ وثانيها بعيدٌ ملموح). ويُنسَبُ إليه قصيدةٌ طويلةٌ في سِتِّهِ وتَمِينِ بيتاً في المَزَلِ والسُّخْبِ وبعضُ المُجَوَّن (نفتح الطيب ٣: ٢٩٨ - ٣٠٣)، ولَعَلَّها بعيدةٌ عن مَنَهْجِهِ. من هذه القصيدة:

لا أَمَّ لي، لا أَمَّ لي	إن لم أُبرِّدْ شَجَـني ^(٢)
وأخلَعَنَ في المَـجـو	نِ والتَصـمـي رَسَـي ^(٣) .
أفسدي صديقاً كان لي	بنفسي يُعـيـدني:
فـتـارَـة أنصَحُـه،	وتـارَـة يُنصَحُـني،
وتـارَـة أَلْعُنُـه،	وتـارَـة يَلْعُنُـني.
وربِّها أَصَفُّـه،	وربِّها يَصَفُّـني.....

(١) للشيخ خليل: بن إسحاق (ت ٧٧٦) كتاب في الفقه المالكي اسمه «المختصر» مشهور جداً.

(٢) لا أَمَّ لي أو لا أَب لي تعبير معناه: لت على حق، أو لت مستحقاً للكرامة (إن لم أفضل كذا وكذا).

(٣) المجون: الكلام المكشوف والأعمال المحجلة إذا مارسها صاحبها جهاراً. التصابي: فعل أفعال الصبا بعد ذهاب زمنها (بتقدم السن). خلع الرسن: انغمس في الأعمال السيئة بلا مبالاة.

- قال ابن الأزرقي في إيجاز شيء من قول ابن خلدون في أهل العصبية:

.... ولا يصدق ذلك إلا إذا كانوا ذوي عصبية وأهل تسع واحد. وحسب شد شوكهم ويخشى جانبهم لئلا جيل في القلوب من الشفقة والثقة على ذوي الرحم والقرابة. ومن ثم قال إخوة يوسف عليه السلام: «لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون»^(١). والمفترقون في النسب قل أن يجد أحد منهم نفرة على صاحبه يوم الكفاح على حد ما هي من ذوي الأرحام، فلا يقدرون لذلك على سكتى الفقر^(٢)، وإلا كانوا فرسة لمن سواهم.....

- ومن آرائه في التربية والتعليم (من كتاب بدائع السلك أيضاً):

ولقد كان شيخنا العلامة أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن فتوح قدس الله تعالى روحه يفتح لصاحب البحث مجالاً رحباً ويوسع المراجع له قبولاً ورحباً^(٣)، بل يطالب بذلك ويقتضيه ويختار طريق التعليم ويرتضيه توفيقاً على ما خلص له لتحقيقه ووضوح له في معيار^(٤) الاختيار تدقيقه. وإلا فقد كان ما يليه غاية ما يتحصل ويتمهد به مختار ما يحفظ ويتأصل^(٥).....

ومخالفة التلميذ الشيخ في بعض المسائل - إذا كان لها وجه وعليها دليل قائم يقبله غير الشيخ من العلماء - ليس من سوء أدب التلميذ مع الشيخ، ولكن^(٦) مع ملازمة التوفير الدائم والإجلال الملائم. فقد خالف ابن عباس عمر وعلياً وزيد بن ثابت^(٧).

(١) القرآن الكريم ١٢: ١٤ يوسف.

(٢) يرى ابن خلدون أن سكتى الفقر (البادية) بعيداً عن سلطة الدولة لا تتم إلا للجماعات القوية التي تستطيع الدفاع عن نفسها.

(٣) الشيخ: الأستاذ الكبير الذي يتولى تخريج الطلاب.

(٤) الرحب (بالفتح): صفة بمعنى التسع. الرحب (بالضم) مصدر بمعنى السعة.

(٥) التوفيق: النص البات كأنه قاعدة. معيار: مقياس.

(٦) .. ما كان الشيخ يلقبه (من الدروس) غاية (نهاية، أسمى، كل) ما يتحصل (ما يمكن في باب تحصيل العلوم). ويتمهد (يستقر). يتأصل (يرسخ في النفس).

(٧) لكن.... المقصود: إذا كان مع التوفير للأستاذ.

(٨) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب (ابن عم الرسول) كان يسمى «ترجان القرآن» لمعرفته بوجوه تفسير =

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وكان قد أَخَذَ عنهم. وخالفَ كثيرٌ من التابعين بعضَ الصحابة، وإنَّما أخذوا العِلْمَ عنهم. وخالفَ مالكٌ^(١) كثيراً من أشياخه..... وكادَ كلُّ من أخذَ العلمَ أن يُخالفَهُ بعضَ تلاميذه في عِدَّةِ مسائل، ولم يَزَلْ ذلكَ دأبَ التلاميذِ معَ الأساتيدِ إلى زماننا هذا. وشاهدنا ذلكَ في أشياخنا معَ أشياخهم رَحِمَهُمُ اللهُ تعالى. ولا يَنْبَغِي للشيخِ أن يَتَبَرَّكَ من هذه المخالفةِ إذا كانتَ على الوجهِ الذي وصفناه.

- ولابن الأزرَقِ مقطَّعاتٌ فيها تورية:

★★ رَبٌّ مَحْبُوبَةٌ تَبَدَّتْ كَأَنهَا الشَّمْسُ فِي حُلَاهَا^(٢).
فَأَعْجَبَ لِحَالِ الْأَنَامِ: مَنْ قَدْ أَحَبَّهَا فَقَدْ قَلَّهَا^(٣)!
★★ عَذْرِي فِي هَذَا الدُّخَانِ الَّذِي جَاوَزَ دَارِي وَاضِحٌ فِي الْبَيَانِ^(٤).
قَدْ قُلْتُمْ إِنَّ بَهَا زُخْرُفًا وَلَا يَلِي الزُّخْرُفَ إِلَّا الدُّخَانُ^(٥).
★★ تَأَمَّلْتُ مِنْ حُسْنِ الرَّيْعِ نَضَارَةً وَقَدْ غَرَدَتْ فَوْقَ الْغُصُونِ الْبَلَابِلُ.
حَكَّتْ فِي غُصُونِ الدَّوْحِ قَسًّا فَصَاحَةً لَتُعَلِّمَ أَنَّ الثَّبْتَ فِي الرُّوضِ بِاقِلُ^(٦).

- وقال عند وفاة والدته:

- = القرآن الكريم. ثم عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب. وزيد بن ثابت أخو حنان بن ثابت الشاعر.
وزيد بن ثابت كان الذي تولى جمع سور القرآن الكريم بين دفعتي كتاب واحد (في مجلد واحد).
(١) مالك بن أنس عالم أهل المدينة وأحد الأئمة في الفقه وفي رواية الحديث.
(٢) المحبوبة كناية عن القطائف (نوع من المعجّات تحشى بالخبز عادة ثم تقلى بالسمن وتغرس بالفطر أو السكر المغلي بالماء حتى يصبح على شيء من الكثافة).
(٣) التورية في كلمة «قلاها» (المعنى القريب: أبغضها لوجود القرينة «أحبها» - والمعنى البعيد المقصود «طبخها بالسمن».)
(٤) يبدو أن الناس قد عاتبوا ابن الأزرَقِ لوجود دخان يتصاعد من قرب بيته.
(٥) في البيت توريتان. الزخرف (الذهب، الزينة) - والزخرف السورة الثالثة والأربعون في المصحف. والدخان (السخام الأسود المتصاعد من النار) - والدخان السورة الرابعة والأربعون في المصحف.
(٦) حكى: ثابته، مائل. الدوحة: الشجرة الكبيرة. قس بن ساعدة الأيادي من خطباء العرب في الجاهلية كان مشهوراً بالفصاحة. التورية في «باقل» (باقل: نابت، لقرينة النبت - وباقل كان رجلاً من بني إباد معروفاً بالعمى) (المعجز أو الكسل عن الكلام)، لقرينة قس (بن ساعدة الأيادي الذي كان مشهوراً بالفصاحة).

تقولُ لي، ودموعُ العينِ واكفةً: ما أفضَحَ البينَ والتَّرحالَ، يا وُلدي^(١) !
فقلتُ: أينَ السُّرى؟ قالت: لِرَحْمَةٍ مَن قد عَزَّ في المُلْكِ لم يُولَدْ ولم يُلِدْ^(٢)

٤-★★ نيل الابتهاج: شجرة البور الزكية ٢٦٦: نفع الطيب ٢: ٦٩٩-٧٠٤، ٣: ٢٩٨-٣٠٣، راجع ٦: ١٥١-١٥٣، ٤٤٧: أزهار الرياض ٣: ٣١٧-٣٢٣، بروكلن ٢: ٣٤٣: الأصالة (السنة الثالثة - العدد ١٣) ص ١٢١-١٢٤: الأعلام للزركلي ٧: ١٨١ (٦: ٢٨٩)، معجم المؤلفين ١: ٤٣.

القصادي

١- هو أبو الحسن عليُّ بنُ محمد بن محمد بن عليِّ القرشيِّ البُسطيِّ الأندلسيِّ المغربي الشهير بالقصاديِّ، أصله من بَسْطَة (على مَقَرَّةٍ من غرناطة شرقاً في شَال). وفي بَسْطَة كان مولده سنة ٨١٥ للهجرة (١٤١٢-١٤١٣ م).

انتقل القصاديُّ إلى غرناطة واستوطنها لطلبِ العلمِ فقرأ فيها على إبراهيم بن أحمد ابن فتوح مُفتي غرناطة (وكانت له مشاركة في علم الأصول والنحو والفلك، كما كانت له أرجوزة في النجوم). وكذلك قرأ فيها على أبي عبد الله محمد بن محمد السرقسطي، وكان فقيهاً ومُفتياً.

ورحلَ القصاديُّ إلى المشرق، فمرَّ في طريقه بِلِمْسانَ فقرأ على يوسف بن سليمان ومحمد بن النجار والشريف محمد المعروف بلقب حَمَو. ومن أشهر شيوخه في لِمَسانَ أبو عبد الله محمد بن مرزوق الحفيد (راجع المختارات).

ثمَّ أرحل من لِمَسانَ إلى حاضرة تُونِسَ وأخذ عن قاضي الجماعة أبي الفضل قاسم ابن عقاب والقشاني وحلوه^(٣). ومن تُونِسَ تابع سيره إلى المشرق فحجَّ وسمع من نفرٍ من

(١) الواكف: السائل، المتحدِّث. البين: البعاد والفراق.

(٢) السرى: السير (ليلاً)، الذهاب. عز: قوي. لم يولد ولم يلد: هو الله تعالى (راجع القرآن الكريم ٣: ١١٢ الإخلاص).

(٣) راجع نفع الطيب ٢: ٦٩٢-٦٩٣ ابن عقاب (٤). القشاني هو قاضي الجماعة في تونس أبو العباس أحمد ابن محمد القشاني المتوفى سنة ٨٦٣ للهجرة (شجرة البور الزكية، ص ٢٥٨، رقم ٩٤٣). وحلوه هو أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن اليزلطيني القروي (نسبة إلى القيروان) قاضي طرابلس الغرب، كان لا يزال حياً سنة ٨٧٥ للهجرة (شجرة البور الزكية، ص ٢٥٩، رقم ٩٤٧).

العلماء مِنْهُمْ الحافظُ أَبُو حَجَرٍ الصَّقْلَانِيّ (ت ٨٥٢ هـ) وجلال الدين المَحَلِّيّ (ت ٨٦٤ هـ) وتقي الدين أبي العباس التُّمَنِيّ المِصْرِيّ (ت ٨٧٢ هـ) ومن القاريءِ محبّ الدين أبي القاسمِ مُحَمَّدُ التَّوَيْرِيّ المِصْرِيّ (ت ٨٥٧ هـ) وغيرهم.

ثم عاد القَلَّصَادِيّ إلى غَرْناطَة. ولَمَّا أَشَدَّتْ وطأةُ الإسبانِ النَّصَارَى على غَرْناطَة جَدَّدَ القَلَّصَادِيّ الرِّحْلَة فجاء إلى إفريقية (القُطْرُ التُّونِسِيّ). ويبدو أَنَّهُ أَستقرَّ في باجَة (في الشَّمالِ الغربي من القُطْرِ التُّونِسِيّ)، وفيها كانت وفاته في مُنتَصَفِ ذِي الحِجَّةِ من سَنَةِ ٨٩١ (١٢/١٢/١٤٨٦ م).

٢- للقَلَّصَادِيّ فضلٌ على علمِ الرِّياضيَّاتِ بأنَّ تَوَسَّعَ في أَستخدامِ الرُّمُوزِ في بِناءِ المُعادلاتِ الجَبْرِيَّةِ وفي مُحاولته لَأستخراجِ القيمةِ التَّقْرِيبِيَّةِ للجذرِ الأصَمِّ^(١).

والقَلَّصَادِيّ مُصَنَّفٌ مُكثَّرٌ في اللُّغة والنحو والبلاغة والعروض والحديث والفقه، وفي الفرائض (تقسيم الإرث خاصة) وفي المنطق. ولكنْ أَكثَرَ تَأليفه في علمِ الحساب من علمِ العدد (خواص الأعداد) والحُساب والجبر والهندسة والفلك. وأشهرُ كُتبه: قانونُ (علم) الحسابِ وَغُنْيَة ذَوِي الأَلْبَابِ - شرح تلخيص أعمالِ الحساب لابن البَنَاءِ - كشف الجِلْبَابِ عن علمِ الحساب - كشف الأسرار (الأستار) عن علمِ (وَضْعِ) حروفِ العُبَارِ^(٢) (وفيه العمل بالأعداد الصحيحة: جميعها وطرحها، إلخ وبالكسور وجذور الأعداد الصحيحة وكسورها وبالجبر والمقابلة وغير ذلك) - بُغْيَة المُتَدِي وَغُنْيَة المُتَمَيّ (في علمِ الفرائض وتقسيم الارث، على المذاهب الأربعة) - شرحُ فرائضِ الشَّيخِ خَلِيلِ

(١) العدد الأصَمُّ هو العدد الذي لا جذر تامَّ له. والجذر عدد إذا ضربته بنفسه نتج (بالبناء للمجهول) منه عدد آخر (هو مربع العدد الذي ضربته بنفسه). إنَّ العدد ١٦ = له جذر تامَّ هو أربعة. ولكن العدد ١٧ = ليس له جذر تامَّ (إنَّ جذره أربعة ثم كسر غير متناه: ١٢٣١٠٥٦٢٥) (إلى بين الواحد المنطوق أعداد غير متناهية).

(٢) حروف العبار أو الحروف العبارية هي الأرقام المشتقة من الأصل الهندي إذا كتب كل رقم من اليسار إلى اليمين (كالأرقام التي تكتب اليوم في المغرب وفي اللغات الأجنبية). أمَّا إذا كتب كل رقم من اليمين إلى اليسار فيتكوّن منه ما نسميه بالأرقام الهندية، وهي المستخدمة في الشرق ٥،٤،٣،٢،١. إلخ. والعمل (حل المسائل) بالأرقام يسمّى الحساب الهندي. أمَّا العمل بالأحرف (أ=١، ب=٢، ج=٣، د=٤، هـ=٥، و=٦) (إلى آخر حروف الأبجدية) فيسمّى الحساب الرومي.

٣- مختارات من آثاره:

- قال القلصادي في رحلته يذكر بَلَدَه بَسْطَةَ (نفع الطيب ٦: ٤٤٦ - ٤٤٧):

سقى الله تعالى أرجاءها المشرقة وأغصانها المورقة شايب الإحسان، ومهداها
بالمُهدنة والأمان. دارٌ نخجلُ منها الدُّورُ، وتتقاصر عنها القصورُ وتقرُّ لها بالقصور، مع
ما حوته من المحاسن والفضائل من صِحَّةِ أجسام أهلها وما طُبِعوا عليه من كَرَمِ
السَّمائل. وحسبك فيها عَدَمُ الحَرَجِ أَنْ داخلها بابُ الفَرَجِ.....

- من شيوخ القلصادي: من رحلته (نفع الطيب ٥: ٤٢٦ - ٤٢٧؛ راجع نيل
الابتهاج ٧٩ - ٨٠، وبين التَّصْنِيحِ خِلَافٌ في السَّيَاق).

أُذِرْتُ كَثِيرًا مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْعُبَادِ وَالزَّهَادِ وَالصُّلَحَاءِ أَوْلَاهُمْ فِي الذِّكْرِ وَالتَّقْدِيمِ
الشيخُ الفقيه الإمام العَلَّامَةُ الكَبِيرُ الشَّهِيرُ شَيْخُنَا بَرَكْنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَرْزُوقٍ، حَلَّ
كَتَفَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَجَلَّ قَدْرُهُ فِي الْجِلَّةِ الْفَضْلَا. قَطَعَ اللَّيَالِي سَاهِرًا وَقَطَفَ مِنَ الْعِلْمِ
أَزَاهِرًا، فَأَثَمَرَ وَأَوْرَقَ وَغَرَبَ وَشَرَّقَ حَتَّى تَوَعَّلَ فِي فُنُونِ الْعِلْمِ وَأَسْتَفَرَّقَ، إِلَى أَنْ طَلَعَ
لِلْأَبْصَارِ هِلَالًا لَأَنَّ الْغَرْبَ مَطْلَعُهُ، وَسَمَا فِي النُّفُوسِ مَوْضِعُهُ وَمَوْقِعُهُ. فَلَا تَرَى أَحْسَنَ مِنْ
لِقَائِهِ وَلَا أَسْهَلَ مِنْ لِقَائِهِ. لَقِيَ الشُّيُوخَ الْأَكْبَارَ، وَبَقِيَ حَمْدُهُ مُتَعَرِّفًا مِنْ بَطُونِ الْكُتُبِ
وَالنِّسَبَةِ الْأَقْلَامِ وَأَفْوَاهِ الْمَخَابِرِ. وَكَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِنْ رِجَالِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

(١) خليل ابن إسحاق (ت ٧٧٦ هـ) فقه مالكي. وهو غير خليل بن إسحاق (ت ٣٣٢ هـ) الشاعر المذكور في
الجزء الرابع من هذا الكتاب (ص ٢٢٤ - ٢٢٦).

(٢) ابن الياسين هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن حجاج من أهل فاس، برع في عدد من العلوم والفنون.
وشهرته الأولى في الرياضيات، وله مقدرة في نظم الشعر. له أرجوزة في الجبر قرئت عليه في إشبيلية،
سنة ٥٨٧ هـ (١١٩١ م). وكانت وفاته سنة ٦٠١ هـ (١٢٠٤ - ٢٢٠٥ م). ومن أرجوزته:

عسلى ثلاثية بدور الجبر: المال والأعداد ثم الجذر.
والعدد المطلق ما لم يُنسب للال أو للجذر، فاقم تُصَيَّبِ.
والجذر والشيء بمعنى واحد، كالقول في لفظ أبٍ ووالد.

(راجع التبوغ المغربي ١١٥٧ مجلّة «العربي» - الكويت ١٩٨٢/٥ م، ص ١٦٤).

إلقاء دروسه.

وكانت أوقاته كلها معمورة^(١) بالطاعات ليلاً ونهاراً، من صلاة وقراءة قرآن وتدرّس وعلم وقتياً وتصنيف. وكانت له أوراد^(٢) معلومة وأوقات^(٣) مشهورة. وكانت له بالعلم عناية تُكشّف بها العمائية، ودراية تغضّدها الرواية ونباهة تُكسِبُ النزاهة. قرأت عليه - رضي الله عنه - بعض كتابه في الفرائض وأواخر إيضاح الفارسي وشيئاً من شرح التسهيل^(٤). وعرضت عليه إعراب القرآن^(٥) وصحيح البخاري والشاطبي^(٦) وأكثر آين الحاجب القرعي^(٧) والتلقين وتسهيل ابن مالك^(٨) والألفية^(٩) والكافية^(١٠) وآين الصلاح في علم الحديث^(١١) ومنهاج الفزالي^(١٢) وبعض الرسالة^(١٣) وغيرها. ثم توفي يوم الخميس بمصر رابع عشر شعبان عام اثنين وأربعين وثمانمائة. وصلي عليه بالجامع.

- (١) معمورة بالطاعات (ملوءة بأنواع المبادات).
- (٢) الورد (بالكسر): جلّ مميّة يردّها نفر من العابدين بعد الصلاة أو في أوقات معلومة (يتخذونها لذلك).
- (٣) أوقات مشهورة (معروفة عند الناس). في الحاشية: مشهودة (بالدال): يحضرها عدد كبير من الناس.
- (٤) لعله: شرح تسهيل القوائد (في النحو) لأثير الدين أبي حيان الفرناطي المتوفى سنة ٧٤٤ هـ الهجرة (راجع بروكلمان، الملحق ١: ١٣٦).
- (٥) عرضت عليه (قرأت عليه للتأكد من معرفتي السابقة) إعراب القرآن. و«إعراب القرآن» عنوان لعدد من الكتب، ولعلّ المقصود هنا كتاب أبي حيان أثير الدين (راجع الحاشية السابقة).
- (٦) لأبي محمد القاسم بن فيره الطاهي (ت ٥٩٠ هـ) أرجوزتان (تعرف كلّ واحدة منها بالناطقة): حرز الأمان في الفراءات (راجع ترجمة الطاهي) ثم عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد، وهي نظم لكتاب المقنع (في رسم: خطّ المصاحف، أو التهجئة الخاصة بكتابة المصحف) لأبي عثمان الداني الأندلسي (ت ٤٤٤ هـ).
- (٧) كتاب أبي عمرو عثمان بن عمر بن الحاجب المصري (ت ٦٤٦ هـ) في الفقه.
- (٨) التلقين اسم لكتب منها: التلقين في فروع الفقه للإمام المازري الصقلي (ت ٥٣٦ هـ). ومنها التلقين في النحو للعسكري (بالضم) أبي البقاء عبد الله بن الحسين (ت ٦٦٦ هـ). ثم التسهيل لابن مالك النحوي (ت ٦٧٢ هـ) في النحو.
- (٩) الألفية لابن مالك (٤).
- (١٠) الكافية (في النحو) لأبي عمرو عثمان بن عمر بن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ).
- (١١) ابن الصلاح: صلاح الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن من علماء التفسير والحديث والفقه (ت ٦٤٣ هـ) تولى التدريس في «دار الحديث» (في دمشق)، له كتاب «معرفة أنواع علم الحديث» (ويعرف بمقدّمة ابن الصلاح).
- (١٢) منهاج العابدين (في التصوّف) للفزالي (ت ٥٠٥ هـ).
- (١٣) الرسالة (في الفقه المالكي) لابن أبي زيد القيرواني (ت ٣٨٦ هـ).

الأكظم. وحَصَرَ جِزَارَتَهُ السُّلْطَانُ^(١) قَمَنَ دَوْنَهُ. ولم أَرِ مِثْلَهَا قَبْلُ. وَأَيْفَ النَّاسُ لِفَقْدِهِ.....

- عليّ بن موسى القرباقي^(٢): من رحلة القلصادي (نص ذكر مُلَخَّصاً في نيل الابتهاج ٢٠٧):

شيخنا وبركنا الفقيه الإمام الصدر العَلَمُ الخطيبُ الخطير الكبير الشهير أُوْحِدَ الزمان وفريد البيان العديم الأقران المُقي المؤلفُ المدرّسُ المُصنّفُ الذاكرُ لأحوال العربِ وأَسَاسُهَا حَافِظاً لُغَاتِهَا وَأَدَابُهَا، له في العربية أوفر نصيب، وفي التفسير والحديث والأصول والطب سَهْمٌ مُصِيبٌ، حَتَّى أَرْتَمِي لِدَرَجَةٍ عَالِيَةٍ وَرُتْبَةٍ سَامِيَةٍ فَتُهِدُ لَهُ بِالْفَضْلِ فِي الْقَبِيَّةِ وَالْيَمَانِ، وَأَقْرَأَ لَهُ صَدِيقُهُ وَحَاسِدُهُ لِلدَّلِيلِ وَالْبِرْهَانِ. قرأتُ عليه التلَقِينَ والإيضاحَ للفاسي^(٣) (٤) وأبَاحُضاً^(٥) مِنَ الْجَلَّابِ^(٦) وابنِ الحَاجِبِ الْفَرَعِيِّ^(٧) وتمييحَ القوافي^(٨) وفصيحَ ثعلب^(٩) وأَلْفِيَةَ أَبِي مَالِكٍ وَأَدَبَ الْكَاتِبِ لِابْنِ قُتَيْبَةَ^(١٠)، وتأليفَه الْمَسْمُومَ بِالتَّبَصُّرَةِ الْكَافِيَةِ فِي عِلْمِي الْعَرُوضِ وَالْقَافِيَةِ^(١١) عَلَى الْخَزْرَجِيَّةِ. وَحَضَرْتُ عَلَيْهِ كَثِيراً مِنَ التفسيرِ وَ(من) كُتُبِ مُتَعَدِّدَةٍ فِي عُلُومِ شَيْءٍ. وَكَانَ كَثِيراً مَا

(١) كانت وفاة القلصادي في أيام السلطان الحفصي أبي عمرو عثمان بن محمد (٨٣٩-٨٩٣ هـ).

(٢) قرباقة.

(٣) التلقين (راجع النص السابق). الإيضاح للفاسي (٤).

(٤) أباحض (أشياء متفرقة من الكتب).

(٥) في بروكسن (الملحق ١ : ٥٩٨) : أبو عبد الله محمد بن أحمد (بن) الجلاب (ت ٦٦٤ هـ) له كتاب (مجموع أشعار) : روح النمر ودوح النجر.

(٦) ابن الحاجب (راجع النص السابق).

(٧) تمييح القوافي (٤) - لعله شرح تميح الفصول للقرافي أبي العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي المصري (ت ٦٨٤ هـ). والكتاب في الفقه المالكي.

(٨) كتاب « الفصيح » لأبي العباس ثعلب (ت ٢٩١ هـ).

(٩) ابن قتيبة الديوري (ت ٢٧٦ هـ).

(١٠) التبصرة إلخ (٤). تأليف القرباقي (٤).

(١١) على الخزرجية (التبصرة إلخ) حاشية أو شرح على الخزرجية أو القصيدة الخزرجية، وعنوانها: الرامزة الشافية في علم العروض والقافية لأبي محمد عبد الله محمد الأنصاري الأندلسي (ت ٦٢٦ هـ).

يَتَمَثَّلُ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ (١):

وَزَهَّدَنِي فِي النَّاسِ مَعْرِفَتِي بِهِمْ (٢) وطولُ اختياري صاحباً بعدَ صاحبٍ .
فَلَمْ تُرْنِي الْأَهْأَامُ خِلاً تَسْرُونِي مباديه إلا ساءني في العواقب (٣) .
وَلَا قُلْتُ أَرْجُوهُ لِدَفْعِ مُلِمَّةٍ من الدهر إلا كان إحدى المصائب (٤) .

ولذا كان لا يُخالطُ النَّاسَ، مَعَ نِزَاهَةِ نَفْسٍ وَارْتِفَاعِ هِمَّةٍ، كَثِيرَ الصَّمْتِ فَصِيحَ
اللِّسَانِ لَمْ أَسْمَعْ مِثْلَ خُطْبِهِ وَوَعْظِهِ فِيمَا رَأَيْتُ مِنَ الْبُلْدَانِ. وَغَضِبَ عَلَيْهِ بَعْضُ
الْجَبَابِرَةِ (٥) فَأَخْرَجَهُ مِنْ بَسْطَةِ الْبِرْشَانَةِ (٦) فَأَقَامَ بِهَا عَشْرَةَ أَشْهُرٍ، ثُمَّ عَادَ لِبَسْطَةِ إِلَى أَنْ
تَوَقَّعِيَ بِهَا فِي الْوَبَاءِ (٧)، عَاشِرَ صَفَرٍ، عَامَ أَرْبَعَةٍ وَأَرْبَعِينَ وَثَمَانِيَاةٍ. وَصَلِّيَ عَلَيْهِ خَارِجَ
الْمَدِينَةِ لِكَثْرَةِ النَّاسِ فِي جِنَازَتِهِ.

٤ - بغية المهدي وغنية المنتهى، فاس - بلا تاريخ.

- شرح الأرجوزة الياسينية.

- كشف أسرار الفار، فاس ١٣١٥ مع كتاب «بغية المهدي»، مصر ١٣٠٩ هـ.

- شرح فرائض الشيخ خليل المالكي، فاس (طبع حجر) ١٢٩٣ هـ.

* نيل الابتهاج ٢٠٩ - ٢١٠؛ الضوء اللامع ٥: ١٤ - ١٥؛ نفح الطيب ٢: ٦٩٢ - ٦٩٤،

٥: ٤٢٦ - ٤٢٧، ٦: ٤٤٦ - ٤٤٧؛ دائرة المعارف الإسلامية ٤: ٤٧٦ - ٤٧٧؛ بروكلمن

٢: ٣٤٣ - ٣٤٤، الملحق ٢: ٣٧٨ - ٣٧٩؛ تراث العرب العلمي لقنبري طوقان (طبعة

ثالثة) ص ٤٦١ - ٤٦٥؛ شجرة النور الزكية ٢٦١ (رقم ٩٥٩)؛ الأعلام للزركلي ٥: ١٦٣

(١٠)، معجم المؤلفين ٧: ٢٣٠؛ مركيس ٤٥٧ - ٤٥٨، ٤٤٤ - ١٤٤٥.

(١) الشعر للمعتمد بن صراح الأندلسي (راجع وفيات الأعيان ٥: ٤٠).

(٢) هذا الشطر من لزومية للمعري: (وزهدني.... وعلي بأن العالمين هباء).

(٣) مبادئه (في أول أمره).

(٤) اللمة: النازلة (المصيبة) الشديدة.

(٥) الجبابرة: الولاة الظالمون أو التسلطون القساء.

(٦) اقرأ: من بسطة إلى البرشانة. بسطة في الجنوب الشرقي من الأندلس (إلى الشمال من المرتبة). البرشانة

يجب أن تكون قريبة من غرناطة.

(٧) (٢).

عبد الكريم الغرناطي

١- هو عبد الكريم بن محمد القيسي الغرناطي، وُلِدَ في بَنَظَّة - على مائة وعشرين كيلومتراً شال شرقي غرناطة - في أوائل القرن التاسع للهجرة. وبرز عبد الكريم الغرناطي في الفقه وعمل في التوثيق (تسجيل العقود في المحكمة)، ولكنه لم يكن على شيء من بَنَظَةِ العيش. ولكن يبدو أنه كان على شيء من الشهرة في الفقه والدين، فقد دعاه أهل بَرَجَة (من مُلْحَقَاتِ أَلْمَرِيَّة) في أحد شُهورِ رَمَضَانَ لِيُؤْمَهُمْ في مَسْجِدِهِمْ ويعيظهم. ولقد نِعِمَ في أثناء ذلك بشيء من طيب العيش.

ثم حدثت نُفْرَة بينه وبين ابن الأحوال قاضي بَنَظَةِ فاضطُرَّ إلى مُغَادِرَتِها وانتقل إلى مالقة ثم انتقل، فيما يبدو، إلى غرناطة واستقرَّ فيها. وفي غرناطة اتَّصلَ بشيوخ الفُرَاة (قادة الحامية التي وَصَّعَها ملوك المغرب من بني مرين في الأندلس للدِّفاع عن أهلها) ومدحَ منهم الوزيرَ إبراهيم بن عبد البرِّ وأبا الحسن الشریف. ثم نشأت عنده ناشئةُ الجهاد فحاض المَعارك. ولكنه وَقَعَ في الأسر وبقي فيه عدداً من السنين. ثم اتَّفَق أن أطلق سراحه فعاد إلى غرناطة.

وطالت حياة عبد الكريم الغرناطي حتى رآه عبد الله محمد بن الأزرق، وقد تُوُفِّيَ في مِصرَ سَنَةَ ٨٩٠ هـ. ويبدو أنه لم يَعمشَ بعدَ ذلك طويلاً، ولعلَّ وفاته كانت قُبيل سُقُوطِ الأندلسِ سَنَةَ ٨٩٨ هـ (١٤٩٢ م).

٢- كان عبد الكريم الغرناطي فقيهاً عالماً، وكان شاعراً واضحَ التعبير كثيرَ الصِّدْقِ والإخلاص قليلَ التكلُّفِ ولكنه كان مُحِبّاً للمبالغة. وفنَّونُ شعره الوصفُ والغزلُ معَ العَفَافِ ثم رثاءُ الأفرادِ والممالكِ ثم الهِجاءُ. وَنَجِدُ في شعره شيئاً من الحوارِ وقليلًا من الأناقة.

٣- مختارات من شعره

- قال عبد الكريم الغرناطي يذكُرُ طيبَ عيشه في بَرَجَة:

وفي بَرْجَةٍ مَثْوَايَ حَيْثُ تَبَسَّمتُ تُغورُ الأفاحي من بكاء الغمام^(١).
أروحُ وأغدو بين قَوْمٍ تَوَاطَوا قديماً على إكرامِ كُلِّ إمام^(٢).
أُمثِّلُ شَخْصِي يَتَنَهَمُ في حديقَةٍ سقاها سَحَابُ الجَوِّ صَوْبَ سِجَامِ^(٣).

- وقال يَصِفُ بُؤْسَ حَيَاتِهِ في الأسر:

وَاحْزَنْتَا ! بَعْدَ اسْتِغَالِي بِالْعُلُوِّ مِ وَدَرْسِهَا وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ،
أُنْسِي وَأَصْبَحُ خَادِماً مُتَصَرِّفاً^(٥)

إِن لَمْ أَكُنْ بِالْحَفَرِ مُشْتَغِلاً أَكُنْ بِالْهَذْمِ مُشْتَغِلاً مَعَ الْبُيَّانِ^(٦).
وَالْكَسْفُ فِي يَوْمِ الْجُلُوسِ صِنَاعَتِي، وَالرَّشُّ يَتَبَعُهُ مَدَى الْأَحْيَانِ^(٧).
وَبِفَضْلِ أَقْذَارِ الْكِلاَبِ تَحْزُمِي فِي أَكْثَرِ الْأَوْقَاتِ وَالْأَزْمَانِ^(٨).

- وقال في أسره يَتَغَزَّلُ بِصَيِّئَةٍ نَضْرَانِيَّة:

وَأَعْجَبُ عَبَادِ الصَّلِيبِ صَيِّئَةً سَبَّحْنِي بِوَجْهِ مِثْلِ بَذْرِ مُتَمِّمِ^(٩).
فَبِتُّ حَلِيفَ الْهَمِّ مِنْ فَرْطِ حُبِّهَا وَبَاتْتُ بِهَجْرِي فِي فِرَاشِ تَنَمِّمِ^(١٠).

(١) المثوي: المقام والسكنى (بضم الميم الثانية والسين). تَبَسَّمتُ تغور: كثر تَفَتَّحَ زهر الاقحوان من كثرة المطر.

(٢) الإمام: الذي يصلي بالناس (دليل على تقواهم). الإمام: كلُّ بارع في علم (دليل على إدراكهم قيمة العلم ومكانة العلماء).

(٣) الصوب: المطر بمقدار ينفع ولا يؤذي. السجام: هطول المطر.

(٤) أَمَ الرجل القوم: صلى بهم إماماً وصلّوا هم وراءه مقتدين به. الجماعة: صلاة القوم معاً. مقيمين للخمس الفروض: يصلّون الصلوات الخمس (في اليوم والليلة) ولا يتهاونون فيها.

(٥) قطع الرقيب اللباني هذا الشطر (إذ يبدو أنّه كان تعبيراً عن أمر لا يرضاه النصارى) - من أسفل المود الثاني من الصفحة ٥٧ من مجلّة « العربي » (الكويت) من « عدد » تشرين الأول (أكتوبر) من عام ١٩٦٧ م.

(٦) يميل بحفر الأرض أو بالبنيان.

(٧) يوم الجلوس: يوم التعميل (الأحد؟).

(٨) لا أعلم إذا كانت كلمة « الكلاب » هنا مستعملة على الحقيقة أو على المجاز. التحريم: العمل بحمّ (بكسر الجيم).

(٩) سبّحني: أسرقني.

(١٠) حليف: شريك، رفيق. الفرط: الكثرة.

وَكَمْ نَمَتْنِي مِنْ لَذِيذِ وَصَالِهَا بِمَا لَمْ تَصِلْ نَفْسِي لَهُ بِتَوَهُّمٍ .
 قَبِلْتُ مِنْهَا الْخَدَّ وَهُوَ مُورِدٌ وَتَبَيْتُ بِالشَّرِّ الْمَلِيحِ التَّبَسُّمِ .
 وَمَالَتْ بِفَرْطِ الشُّكْرِ وَهِيَ مَرِيضَةٌ كَمَلِ الصَّبَا صُبْحًا بِفُضْنِ مُنَمِّمٍ ^(١) .
 وَلَوْلا عَفَافِي وَاتِّقَاءُ عِتَابِهَا تَمَتَّعْتُ مِنْهَا بِالْمَحَلِّ الْمُحَرَّمِ ^(٢) .

٤- ** مجلة « العربي » (الكويت، تشرين الأول - أكتوبر ١٩٦٧ م، ص ٥٣ - ٦٤ : عبد الكريم الفرساطي، بقلم محمود علي مكّي (يبدو أن صاحب المقال قد نشر كتاباً عن عبد الكريم هذا، أو كتاباً لعبد الكريم هذا)، ولم أستطع أنا أن أرى ذلك الكتاب.

زُرُوقُ الْبُرْنَسِيّ

١- هو أَحَدُ بَنِي أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَيْسَى الْبُرْنَسِيّ الشَّهِيرِ بِلِقَبِ زُرُوقٍ ^(*)، وَلِدَ يَوْمَ الْخَمِيسِ فِي الثَّامِنِ وَالْعَشْرِينَ مِنَ الْمُحَرَّمِ مِنْ سَنَةِ ٨٤٦ (١٤٤٢/٦/٨ م).

حَفِظَ زُرُوقُ الْقُرْآنَ فِي الْعَاثِرَةِ مِنْ عُمُرِهِ. وَفِي السَّادَةِ عَشْرَةَ بَدْءَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ^(٣) وَالْحَدِيثَ وَالْفِقْهَ عَلَى تَفَرُّقٍ كَثِيرِينَ مِنْ عُلَمَاءِ عَصْرِهِ وَأَخَذَ التَّصَوُّفَ خَاصَّةً عَنْ نَفَرٍ مِنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ التَّازِي (ت ٨٦٦ هـ). رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ فَحَجَّ مِرَاراً وَقَرَأَ فِيهِ التَّصَوُّفَ عَلَى جَاعَةٍ ثُمَّ عَادَ. وَقَدْ تَوَفَّيَ فِي تَكَرُّورٍ مِنْ أَعْمَالِ طَرَابُلُسَ (لِيبْيَا) * فِي الثَّانِي مِنْ صَفَرٍ مِنْ سَنَةِ ٨٩٩ (١٢ / ١١ / ١٤٩٣ م).

٢- كَانَ زُرُوقُ الْبُرْنَسِيّ مُتَّصِلاً بِتُسَبُّبٍ إِلَيْهِ كَرَامَاتٌ كَثِيرَةٌ كَمَا كَانَ وَاسِعَ الْمَعْرِفَةِ

(١) مريضة: مريضة الأجبان (ناعمة العينين) من صفات النساء الحسان. الصبا: ربح الشرق الخفيفة الباردة. الفصن النعم (الناعم) لأنه يهتز مع الريح بسهولة.

(٢) المحلّ (الشئ الذي تمدّه هي حلالاً) المحرمّ (الذي حرّمه الإسلام).

(*) ولد زُرُوقُ يَوْمَ الْخَمِيسِ. ثُمَّ تَوَفَّيْتُ أَنَّهُ يَوْمَ الْبَيْتِ الْتَالِي، ثُمَّ تَوَفَّى أَبُوهُ أَيْضاً يَوْمَ الثَّلَاثَةِ بَعْدَ ذَلِكَ الْبَيْتِ.

(٣) قراءة القرآن: حفظ القرآن غيباً وتجوّده (أحكام قراءته) وتفسيره وقراءاته والناسخ فيه والمنسوخ.

(*) تَكَرُّورٌ فِي الْبُودَانِ الْغُرْبِيِّ (غُرْبِيّ إِفْرِيْقِيَّة، جَنُوبِ الْجَزَائِرِ). وَقَوْلُهُ (هَـنَا): مِنْ أَعْمَالِ طَرَابُلُسَ (عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيبِ).

بَعْدَ من العلوم. وله تَأْلِيفُ كَثِيرَةٌ جَدًّا، وَلَكِنْ مَعْظَمُهَا شُرُوحٌ مُوجِزَةٌ عَلَى تَأْلِيفٍ فِي
 الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ وَالتَّصَوُّفِ. فَمِنْ كُتُبِهِ: جُزْءٌ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ - تَعْلِيقٌ عَلَى صَحِيحِ
 الْبُخَارِيِّ - شَرْحٌ «مُخْتَصَرُ خَلِيلٍ» - الْجُنَّةُ لِلْمُعْتَصِمِ مِنَ الْبِدْعِ بِالسُّنَّةِ - شَرْحُ رِسَالَةِ ابْنِ
 أَبِي زَيْدٍ - شَرْحُ الْمَقْدَمَةِ الْقُرْطُبِيَّةِ - شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الْقُدْسِيَّةِ - النَّصِيحَةُ الْكَافِيَّةُ لِمَنْ
 خَصَّهَ اللَّهُ بِالْعَافِيَةِ - الْقَوَاعِدُ (فِي التَّصَوُّفِ) - تَهْيِيدُ (فِي تَأْسِيسِ عَقَائِدِ التَّصَوُّفِ
 وَأَصُولِهِ) - الْبِدْعُ الَّتِي يَفْعَلُهَا الْفُقَرَاءُ (الصُّوفِيُونَ) - دُعَاءُ الصَّبَاحِ - وَدُعَاءُ الْمَاءِ -
 كِنَاشَةُ - رَحْلَةُ - الْوُظَيْفَةُ الزَّرَوَقِيَّةُ.

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ

- يُنْسَبُ إِلَى زُرَّوقِ الْبُرْنُوسِيِّ نَظْمٌ صَرَحَ فِيهِ بِمَا زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاهُ مِنَ الْقُدْرَةِ عَلَى
 الْأَعْمَالِ الَّتِي هِيَ فِي الْأَصْلِ مِنْ أَعْمَالِ اللَّهِ تَعَالَى (وَالْتَصْرِيحُ بِذَلِكَ عَيْبٌ عِنْدَ كِبَارِ
 الصُّوفِيَّةِ):

لَعَلِّي أَرَى مَحْبُوبَ قَلْبِي يُقْلِقُنِي ^(١) .	أَلَا قَدْ هَجَرْتُ الْخَلْقَ طَرًّا بِأَسْرِهِمْ
وَكُوشِفْتُ بِالتَّحْقِيقِ مِنْ غَيْرِ مَرِيَّةٍ ^(٢) .	وَعَلَّقْتُ قَلْبِي بِالْمَعَالِي تَهْمًا
وَصِرْتُ إِمَامَ الْوَقْتِ صَاحِبَ رُفْعَةٍ ^(٣) .	وَقُلْدْتُ سَيْفَ الْعِزِّ فِي مَجْمَعِ الْوَعْيِ
وَكُلُّ بِلَادِ الشَّرْقِ فِي عِلْمِي قَبْضَتِي ^(٤) .	وَمُلِكْتُ أَرْضَ الْغَرْبِ طَرًّا بِأَسْرِهَا
وَأَعْلَى مَنَارِ الْبَعْضِ فَوْقَ الْمِنْصَةِ ^(٥) .	فَأَعَزَلْتُ قَوْمًا ثُمَّ أُولَى سِوَاهُمْ،
وَأَرْفَعُ بِمِقْدَارٍ بِأَرْفَعِ هِمَّتِي.	وَأَجْبُرُ مَكُورًا وَأُشْهِدُ خَامِلًا

-
- (١) طَرًّا، بِأَسْرِهِمْ: كُلُّهُمْ. مَحْبُوبُ قَلْبِي: اللَّهُ. أَرَى اللَّهُ يَغْلِقُنِي: أَتَى بِوُجُودِهِ وَبِصْنَعِهِ كَأَنِّي أَرَاهُ بِعَيْنِي.
 (٢) فِي الْغَامُوسِ: تَهْمٌ الرَّجُلِ الشَّيْءَ (تَحَمُّهُ). وَالتَّاعَرُ يَقْصِدُ «اهْتِمَامًا شَدِيدًا». كُوشِفُ الصُّوفِي: كَفَّ اللَّهُ
 لَهُ عَنْ حَقَائِقِ الْوُجُودِ وَعَنِ الْمُسْتَقْبَلِ. الْمَرِيَّةُ: التَّكَلُّفُ.
 (٣) وَقُلْدْتُ... أَعْطَيْتِ اللَّطْفَ الْعَظِيمَ. إِمَامُ الْوَقْتِ: الْإِنْسَانُ الْوَحِيدُ فِي زَمَانِهِ، إِذَا كَانَ يَمْلِكُ اللَّطْفَ
 الْخَارِجَةَ فِي الْعَادَةِ عَنْ طَاقَةِ الْبَشَرِ.
 (٤) فِي طَمِيٍّ قَبْضِي: أَطْوَى عَلَيْهَا يَدِي (أَفْضَلُ بِهَا مَا أَشَاءُ).
 (٥) أُولَى الْهَآكِمِ فَلَانًا أَمْرًا: جَعَلَهُ وَآلِيَا (ضَدَّ عَزَلَ). أَعْلَى (أَرْفَعُ) مَنَارَ (تَقْدِيلُ) الْمِنْصَةِ الطَّالُوتَةِ. أَعْلَى
 مَنَارٌ... أَجْمَلُ أَمْرِهِمْ شَهُورًا.

وَأَقْهَرُ جَبَّاراً وَأَذْهَضُ ظَالِماً
وَأَلْهَمْتُ أَسْرَاراً وَأَعْطَيْتُ حِكْماً
أَنَا لِمُرِيدِي جَامِعٌ لَشَتَائِهِ
وَإِنْ كُنْتَ فِي كَرْبٍ وَضِيقٍ وَكُرْبَةٍ،
- ومن كلامه في بعض رسائله:

طُفْتُ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا فِي طَلَبِ الْحَقِّ، وَاسْتَعْمَلْتُ جَمِيعَ الْأَسْبَابِ الْمَذْكُورَةِ
فِي مُعَالَجَةِ النَّفْسِ بِقَدْرِ الْإِمْكَانِ فِي مَرْضَاةِ الْحَقِّ. فَمَا طَلَبْتُ قُرْبَ الْحَقِّ بِشَيْءٍ إِلَّا كَانَ
مُبْغِدي، وَلَا عَمِلْتُ فِي مُعَالَجَتِهَا بِشَيْءٍ إِلَّا كَانَ لَهَا مُعِيناً^(١). وَلَا تَوَجَّهْتُ لِإِرْضَاءِ الْخَلْقِ
إِلَّا كَانَ غَيْرُ مُوفٍ بِالْمَقْصُودِ^(٢). فَفَزَعْتُ إِلَى اللَّجَأِ إِلَيْهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْجَمِيعِ فَخَرَجْتُ
بِفَضْلِ ذَلِكَ عِلَّةَ رُؤْيَا الْأَسْبَابِ^(٣). فَفَزَعْتُ إِلَى الْإِسْتِسْلَامِ فَخَرَجَ لِي مِنْهُ رُؤْيُ وَجُودِي
وَهُوَ رَأْسُ الْعِلَلِ. فَطَرَحْتُ نَفْسِي بَيْنَ يَدَيِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ طَرَحاً لَا يَضْحَبُهُ حَوْلٌ وَلَا
قُوَّةٌ^(٤)، فَصَحَّ عِنْدِي أَنَّ السَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ (إِنَّمَا هِيَ) بِالتَّيَرِّيِّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَ(أَنَّ)
الْفَنِيْمَةَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ (أَنَّمَا هِيَ) بِالرَّجُوعِ إِلَى اللَّهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ^(٥).

- وَقَالَ الشَّيْخُ زَرَّوْقٌ فِي أَصُولِ الطَّرِيقَةِ الصُّوفِيَّةِ الَّتِي كَانَ يَتَّبِعُهَا (النَّبُوغَ الْمَغْرِبِيَّ،

٦٣٤ وما بعد):

- (١) دَحْضٌ وَأَذْهَضُ الْقَدَمِ: أَرْزَلَهَا (جَعَلَهَا تَزَلِقُ) وَأَبْطَلَ الْحِجَّةَ. أَذْهَضَ الظَّالِمُ: أَرْحَزَهُ عَنْ مَوْقِفِهِ (أَسْنَمَهُ عَنِ الظُّلْمِ أَوْ أَهْزَمَهُ وَأَقْهَرَهُ).
- (٢) الْمُرِيدُ (الْمُتَّبِعُ الصُّوفِيَّ) كَالْتَّمِيزِ (لِلْأَسْتَاذِ).
- (٣) كَلَّمَا حَاوَلْتُ أَنْ أَعْرِفَ اللَّهَ بَوَاسِطَةِ شَيْءٍ (مِنَ الْخَلْقِ) زَادَ جَهْلِي: بِحَقِيقَةِ اللَّهِ. وَكَلَّمَا أَرَدْتُ مَعْرِفَةَ الْأَشْيَاءِ بَوَاسِطَةِ مَا، أَعَانَنِي اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ (١).
- (٤) وَكَلَّمَا حَاوَلْتُ أَنْ أَعْمَلَ عَمَلاً لَأَرْضِي بِهِ مَخْلُوقاً لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مُوفِياً بِمَقْصُودِي (لَمْ يَتِمَّ مَقْصُودِي، لَمْ أَصِلْ إِلَى تَتَبُّعِهِ).
- (٥) اللَّجَأُ كَاللَّجَأِ: الْحَصْنُ. وَاللَّجَأُ (يَضَحُّ وَسُكُونٌ) مَصْدَرٌ بِمَعْنَى اللُّجُوءِ وَالِاتِّجَاءِ. فَخَرَجْتُ بِفَضْلِ ذَلِكَ... (يَبْدُو أَنَّ فِي الْجُمْلَةِ نَقْصاً)، وَالْمَقْصُودُ: السَّبَبُ الْأَقْصَى لِلْوُجُودِ هُوَ اللَّهُ.
- (٦) فَرَزَعْتُ: لَجَأْتُ. الْإِسْتِسْلَامُ: تَسْلِيمُ الْأَمْرِ كُلِّهِ إِلَى اللَّهِ. فَخَرَجَ لِي.... ظَهَرَ لِي أَنَّ مَعْرِفَةَ اللَّهِ تَصِلُ بِي إِلَى مَعْرِفَةِ وَجُودِي أَنَا (هَذَا شَطْحٌ: كَلَامٌ ظَاهِرُهُ يَشْبُهُ الْكَفْرَ) مَعْرُوفٌ فِي التَّصَوُّفِ الْمَتَطَرِّفِ. الْحَوْلُ: الْقُوَّةُ.
- (٧) التَّيَرِّيُّ - الْفَنُوْدُ: التَّيَرُّوْ (بِالْهَمْزَةِ: التَّخَلِّيُّ، التَّرْكُ). السَّلَامَةُ الْحَقِيقِيَّةُ وَالْفَنِيْمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ تَكُونَانِ بَتَرَكِ الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَبِالْإِعْتِدَالِ فِي كُلِّ شَيْءٍ عَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ.

أصول طريقتنا التي تَنبِي^(١) عليها عشرة أشياء: خمسة ظاهرة وخسة باطنة. أما الخمسة الظاهرة فأولها مُلَازِمَةُ السمع والطاعة لأمراء المسلمين وعَامَّتِهِمْ وخاصَّتِهِمْ مِنْ أَهْلِ اللَّهِ^(٢)، فلا يُخَالَفُ عليهم بِقَوْلٍ ولا بِفِعْلٍ، بل إِيْمَانٌ وتَسْلِيمٌ^(٣). والثاني لَزُومُ الخُسرِ في الجماعة^(٤) بِحَسَبِ الإمكان. فإن كان (ذلك) في الجامع الأعظم^(٥) فَهُوَ أَوَّلِيٌّ. وتكتفي المرأة والصبيّ وأَيٌّ مَنْ كَانَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ في تحصيل فضلها^(٦). والثالثُ القناعةُ بقليلِ الرِّزْقِ وكثيره بأيّ وجهٍ تَحَصَّلَ من الوجوه المُباحة. الرابعُ إقامة الأُورادِ^(٧) الشرعية بِحَسَبِ ما يَكُونُ صالحاً للإنسان في دينه ودُنياه، وذلك يَحْتَلِفُ باختلافِ الناس^(٨). والخامسُ إِيثارُ الحُمُولِ بِتَرْكِ الفُضُولِ^(٩) وَعَدَمُ المُنازعة والعنادِ في قولٍ وفعلٍ. وفي ذلك يقولُ القائل:

وقائليّة: ما لي أراك مُجانباً أموراً، وفيها للتجارة مَرَبَحٌ؟
فقلت لها: ما لي بِرَبِيحِكَ حاجةً، فَتَحْنُ أناسٌ بالسلامة نَفَرَحٌ^(١٠).

وأما الخمسة الباطنة فأولها الإِعراضُ عَمَّا يُرْجى أو يُخشى مِنْ قِبَلِ الْخَلْقِ^(١١) بآلا يُرْجى منهم لا دَفْعٌ ولا جَلْبٌ^(١٢)، ولا يُتَوَجَّهُ إِلَيْهِمْ في طلبٍ ولا هَرَبٍ^(١٣). والثاني

(١) تنبئ عليها طريقتنا: تتألف منها طريقتنا.

(٢) أهل الله: المتصوفون.

(٣) على المريدَيْن (الداخلين حديثاً في الطريقة) أن يسموا شيوخهم ويطيعوهم بإيمان وتسلم (بنقة والطمئنان).

(٤) الخسر: الصلوات الخمس.

(٥) الجامع الأعظم (أكبر جوامع المدينة والذي تقام فيه صلاة الجمعة).

(٦) المرأة والصبيّ وأَيٌّ مَنْ كَانَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (هم غير المريدَيْن الداخلين في الطريقة). في تحصيل فضلها (فضل صلاة الجماعة). القصود من هذه الجملة كُلُّها غير واضح.

(٧) الورد (بالكسر): سياق من الجمل (في ذكر الله والصلاة على رسول الله) يقرأها الصوفي في أوقات معينة.

(٨) مادة الورد ونسقه لا يكونان واحداً لجميع الناس وعند جميع الناس.

(٩) إِيثار (تفضيل) الحمول (قَلَّةُ الثَّهْرَةِ). الفضول: دخول الإنسان فيها لا بِمَحْضَةٍ ولا بِمَنْعَةٍ مِنَ الْأَفْعَالِ والأفعال.

(١٠) السلامة (ها): خلاص الفرد من التاكل والمصائب التي تحيط بالناس.

(١١) من قبل (جهة) الخلق (الناس).

(١٢) دفع مضرة أو جلب منفعة.

(١٣) في طلب منفعة ولا هرب (لجوء إليهم لمهاية).

الإقبال على الله بالآ تَطْلُبَ حَوَائِجَكَ - قَلَّتْ أَوْ جَلَّتْ ^(١) - إِلَّا مِنْهُ

وبعد هذه الخمس خمس لا بُدَّ لك منها: مُجَامَلَةُ الْخَلْقِ وَمُحَاسَنَتُهُمْ فِي الْأُمُورِ وَالْحَذَرُ مِنْهُمْ فِي عَيْنِ حَسَنِ الظَّنِّ بِهِمْ ^(٢) وَمُوَافَقَتُهُمْ فِي كُلِّ أَمْرٍ لَا يُخَالِفُ الشَّرْعَ وَلَا يَضُرُّهُ بِالدُّنْيَا وَلَا يَنْقُصُ الْعَقْلَ ^(٣) ، وَاتِّبَاعُ الْعِلْمِ فِي كُلِّ وَرْدٍ وَصَدْرٍ ^(٤) ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « الْعِلْمُ إِمَامُ الْعَمَلِ ، وَالْعَمَلُ تَابِعُهُ » .

- من كتاب « حكم ابن عطاء : شرح العارف بالله الشيخ زروق » (ص ٢٦) (*) :
أَمَّا قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ وَمَعَهُ وَبَعْدَهُ ، فَلَيْسَ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ : مِنْ وَقَفَ بِيَابِهِ الْكَرِيمِ أَنْجَحَ وَمَلَكَ ، وَمَنْ أَسْتَدَّ لِحَبَابِهِ الْعَظِيمِ أُلْفَحَ وَسَلَّكَ ^(٥) ، وَمَنْ حَادَّ عَنْ مَنَاجِيهِ الْقَوْمِ خَسِرَ وَهَلَكَ . وَخَيْرُ الْعِبَادِ مَنْ وَقَفَ بِكُنْهِهِ ^(٦) هِمَّتَهُ عَلَيْهِ ، وَأَفْضَلُهُمْ مَنْ تَوَجَّهَ فِي كُلِّ أَمْرِهِ إِلَيْهِ فَقَامَ بِالْحَقِّ عَلَى سِاطِ التَّحْقِيقِ ، وَجَمَعَ بَيْنَ ظَاهِرِ الشَّرْعِ وَبَاطِنِ الطَّرِيقِ ^(٧) ، وَوَقَفَ لِلخِدْمَةِ وَغَيْرِهَا مَوْقِفَ أَهْلِ الصَّدْقِ وَالتَّصَدِيقِ ، مُقْتَدِبًا بِأَيْمَةِ الْهُدَى وَالتَّوْفِيقِ كَالسَّادَةِ الشَّاذِلِيَّةِ ^(٨) وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ وَالْجَمَاعَةُ الْوَفَائِيَّةُ ^(٩) وَمَنْ جَرَى مَجْرَاهُمْ .

(١) جَلَّتْ : عظمت ، كثرت .

(٢) فِي عَيْنِ حَسَنِ الظَّنِّ ^(٢) : لَا يَجُوزُ أَنْ يَحْسَنَ الْإِنْسَانُ الظَّنَّ بِكُلِّ إِنْسَانٍ آخَرَ فِي كُلِّ أَمْرٍ .

(٣) وَلَا يَنْقُصُ (يَفْتَحُ فَسْكَوْنُ فَضْمٌ أَوْ يَضْمُ فَسْكَوْنُ فَكْسَرُ) الْعَقْلُ : يَضَعُفُ الْعَقْلُ (بِمُجْلِهِ ضَمِيحًا) بِدَلٍّ عَلَى عَجْزٍ فِي الْعَقْلِ عَنْ إِدْرَاكِ الْأُمُورِ .

(٤) الْوَرْدُ : الذَّهَابُ إِلَى الْمَاءِ (لِلشَّرْبِ أَوْ لِلتَّزَوُّدِ بِالْمَاءِ) وَالصَّدْرُ : الرَّجُوعُ عَنِ الْمَاءِ بَعْدَ الرِّيِّ (بِالْكَسْرِ) الْإِمْتِلَاءُ مِنَ الْمَاءِ أَوْ بَعْدَ التَّزَوُّدِ بِالْمَاءِ .

(*) فِي هَذِهِ النُّصُوصِ الصُّوفِيَّةِ التَّالِيَةِ سَاكُنِي بِالْإِثَارَةِ إِلَى الْمَعَانِي اللَّغَوِيَّةِ وَالتَّارِيخِيَّةِ - عِنْدَ الضَّرُورَةِ - وَلِنَ أَشْرَحَ الْمَعَانِي الصُّوفِيَّةَ الَّتِي تَحْتَمِلُ وَجُوهًا كَثِيرَةً وَفَهْمًا شَخْصِيًّا يَخْتَلِفُ بَيْنَ الْفَرْدِ وَالْفَرْدِ .

(٥) سَلَّكَ : سَارَ فِي طَرِيقِ التَّصَوُّفِ (أَصْبَحَ صُوفِيًّا مَقْبُولًا عِنْدَ جَمَاعَةِ الصُّوفِيِّينَ) .

(٦) الْكُنْهُ : جَوْهَرُ الشَّيْءِ وَحَقِيقَتُهُ . وَكُنْهَ هِمَّتُهُ (هَذَا) : بِمَجْمَعِ قَصْدِهِ وَجَهْدِهِ .

(٧) ظَاهِرُ الشَّرْعِ : الْعِبَادَاتُ الظَّاهِرَةُ (كَاشْكَالِ الصَّلَاةِ وَالْإِنْقِطَاعِ فِي الصَّوْمِ عَنِ الطَّعَامِ) . بَاطِنُ الطَّرِيقِ (طَرِيقُ التَّصَوُّفِ) : حَقِيقَةُ الْعِبَادَاتِ (إِدْرَاكِ مَعْنَى الصَّلَاةِ عِنْدَهُمْ بِالْإِضَافَةِ إِلَى شَكْلِهَا عِنْدَ غَيْرِهِمْ : إِنَّ)

ذَكَرَ اللَّهُ فِي الْقَلْبِ عِنْدَهُمْ صَلَاةً ، وَلَوْ لَمْ يَقُمْ أَحَدُهُمْ بِالشَّكْلِ الْمَطْلُوبِ لِلصَّلَاةِ .

(٨) الشَّاذِلِيَّةُ : طَرِيقَةُ صُوفِيَّةٌ تَرْجِعُ إِلَى مُؤَسَّسِهَا أَبِي الْحَسَنِ الشَّاذِلِيِّ الْخُرَاسَانِيِّ (ت ٦٥٦ هـ) .

(٩) الْوَفَائِيَّةُ : طَرِيقَةُ صُوفِيَّةٌ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الطَّرِيقَةِ الشَّاذِلِيَّةِ (رَاجِعِ الْحَاشِيَةَ السَّابِقَةَ) وَضَعَهَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ الْإِسْكَانْدَرِيُّ الْمَلَبِّيُّ بَلَقَ السَّيِّدَ مُحَمَّدَ وَفَا الشَّاذِلِيِّ (ت ٧٦٥ هـ = ١٣٦٤ م) .

- من كتاب « حكم ابن عطاء ... » (ص ٣٣):

وقد اُختَصَّتْ هذه التعاليفُ بثلاث خِصال: إظهارُ المناسبةِ في الكلام والاختصارُ في التقرير والتسهيل في البيان، مع زياداتٍ أُخرَ تُخصُّ بعضها وتعمُّ كلها^(١). من ذلك أنَّ الكتابَ مُحْتَوٍ على أربعةِ أنواعٍ: التذكيرُ والوعظُ، وهو حظُّ العوامِّ، وللخواصِّ فيه نصيبٌ (ثمَّ) الكلامُ على الأحكام، وهو حقُّ التوجَّهين^(٢) من كلِّ فريقٍ ولكلِّ طريقٍ (ثمَّ) الكلامُ على الأحوال، وهو نصيبُ المريدين^(٣)، وربَّما كان تنبيهاً وتثويلاً لغيرهم (ثمَّ) الكلامُ على الحقائق، وهو نصيبُ العارفين والمُحقِّقين^(٤). وقد عرَّفَ كلُّ أناسٍ مشرِّبهم^(٥) وما يَجْزِي به حالهم وما يليقُ بهم.

- من متن كتاب « حكم ابن عطاء ... » (ص ٥٩ - ٦٠):

(قال ابن عطاء الاسكندري المتوفى سنة ٧٠٩ للهجرة):

« الأعمال صور قائمة، وأرواحها وجود سرّ الإخلاص فيها ».

(وشرحها الشيخ زروق فقال):

قلت: ولا عِبرةَ بصورةٍ لا روحَ فيها، كما أنَّه لا قيامَ لروحٍ دون صورتيها. ويَحْتَمِلُ^(٦) قوله: « سرُّ الإخلاص » أن يكونَ ما هو أخصُّ منه، وهو الصدقُ المُعْبَرُ عنه بالتبرِّي من الحول^(٧) والقوَّة. وكلاهما مطلوبٌ: الإخلاص لِتَنفِي الرِياء، والصدقُ لِتَنفِي

(١) هذه « الزيادات » منها ما يتعلَّقُ بعدد من حكم ابن عطاء، ومنها ما يتعلَّقُ بجميع تلك الحكم.

(٢) العوام (هنا): الذين لم يملِكوا طريق التَّصوُّف. والخواصَّ هم السالكون في طريق التَّصوُّف.

(٣) الأحكام = أحكام الشرع (في الماملات)، كالبيع والشراء، والزواج والطلاق، وتقسيم الإرث (فما يحتاج إليه جميع الناس).

(٤) المريد: الذي بدأ السير في طريق التَّصوُّف (إرشاد أحد الشيوخ).

(٥) الحقائق: ما يعرفه الصوفي من طريق الإلهام (الإلهام للمتَّصِّف كالوحي للأنبياء). العارف: الصوفي الذي بدأ يتلقَّى الإلهام. الحقُّ: الصوفي الذي بلغ مرتبة « المرقَّة القصوى » (وأصبحت الأمور تجري - في هذا العالم - بإرادته).

(٦) « قد علم كلُّ أناسٍ مشرِّبهم » (٢: ٦٠، سورة البقرة) - المقصود (هنا): كلُّ فريقٍ يعرف مقداره ومكانته فيقف عند حدِّه منها.

(٧) يحتملُ أحد وجهين....

(٨) التبرِّي = التبرُّؤ (التخلِّي عن أمر من الأمور). الحول: القوَّة.

المُعْجِب^(١)، وكِلَاهُمَا لَا كِبَالَ لِلْعَمَلِ إِلَّا بِهِ. فَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الْمَشَائِخِ، رَحِمَهُ اللَّهُ: صَحَّحَ عَمَلَكَ بِالْإِخْلَاصِ، وَصَحَّحَ إِخْلَاصَكَ بِالتَّوْبَةِ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ. قَالَ الشَّيْخُ أَبُو طَالِبٍ الْمَكِّي^(٢)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْهُ: وَالْإِخْلَاصُ عِنْدَ الْمُخْلِصِينَ إِخْرَاجُ الْخَلْقِ مِنْ مُعَامَلَةِ الْحَقِّ. وَأَوَّلُ الْخَلْقِ النَّفْسُ. وَالْإِخْلَاصُ عِنْدَ الْمُحِبِّينَ أَلَّا يَعْمَلَ (الْمُحِبُّ) عَمَلًا لِأَجْلِ النَّفْسِ، وَإِلَّا دَخَلَ عَلَيْهِ مُطَالَعَةُ عِيُوضٍ أَوْ مَيَّلَ إِلَى حِطِّ النَّفْسِ. وَالْإِخْلَاصُ عِنْدَ الْمُوَحِّدِينَ خُرُوجُ الْخَلْقِ مِنْ مُعَامَلَةِ الْحَقِّ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِمْ فِي الْأَفْعَالِ وَعَدَمِ السُّكُونِ إِلَيْهِمْ وَالْأَسْتِرَاحَةِ بِهِمْ فِي الْأَحْوَالِ. أَتَتْهُ (كَلَامُ أَبِي طَالِبٍ الْمَكِّي). وَكَيْفَا أَنْ الْإِخْلَاصَ حِصْنُ الْأَعْمَالِ، فَالْحَمُولُ حُسْنُ الْإِخْلَاصِ، وَهُوَ طَرَحُ النَّفْسِ فِيمَا يَلِيْقُ^(٣) بِهَا مِنَ النِّقْصِ وَالذَّنَاءَةِ. وَبِحَسَبِ هَذَا فَهُوَ دَقْنٌ (انْتَهَى شَرْحُ زُرُقٍ لِحِكْمَةِ ابْنِ عَطَاءِ اللَّهِ: « الْأَعْمَالُ صَوْرٌ قَائِمَةٌ ... »).

- ٤- النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية، مصر (طبع حجر) ١٢٨١ هـ.
- قواعد التصوف على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة (صححه محمد زهري النجار)، القاهرة (مكتبة الكليات الأزهرية) بلا تاريخ؛ (ضبط ابراهيم يعقوبي)، دمشق (مطبعة الملاح) ١٩٦٨ م.
- شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، مصر ١٣٢٢ هـ.
- وظيفة سيدي أحمد زروق (الوظيفة الزروقية)، مطبوع مع « تنوير الأفتدة » لأحمد بن عبد الرحمن الساعاتي، مصر (المطبعة الجيالية) ١٣٣٣ هـ.
- حكم ابن عطاء الله: شرح العارف بالله الشيخ زروق (تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمود بن الشريف)، القاهرة (دار الشعب) ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م.
- ★ المنهل المذنب ١ : ١٨١ (؟)؛ الضوء اللامع ١ : ٢٢٢؛ نيل الابتهاج ٨٤ - ٨٧؛ جذوة الاقتباس ٦٠؛ شجرة النور الزكية ٢٦٧؛ شذرات الذهب ٧ : ٣٦٣ - ٣٦٤؛ بروكلمن ٢ : ٣٢٨ - ٣٣٠، الملحق ٢ : ٣٦٠ - ٣٦٢؛ سر كس ٩٦٥ - ٩٦٦؛ الأعلام للزركلي ١ : ٨٧ - ٨٨ (٩١)؛ أعلام ليبيا ٦٥؛ النبوغ المغربي ١٣٨، ٢٠٧ - ٢٠٨، ٦٣١ - ٦٣٦؛ مجلة كلية الآداب (ليبيا)، العدد الثاني، ص ١٢٩ (١٩٦٨؟).

- (١) العجب: الزهو (الفخر بالنفس). الكبر (بالكسر): التكبر، الترفع عن سائر الناس.
- (٢) أبو طالب المكي هو محمد بن علي بن عطية الحارثي (ت ٣٨٦ هـ = ٩٩٦ م) الزاهد الواعظ سكن بغداد، له كتاب « قوت القلوب » في التصوف.
- (٣) فيما يليق (كذا في الأصل). اقرأ: « طرح (ترك) النفس ما لا يليق بها.

ابن عبد الجليل التنسي

١- هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي اللّساني ثم الأموي (نفع الطيب ٢: ٥٧٤) أصله من تنس (مدينة ساحلية في الجزائر) ونشأ في تلمسان. وقد أخذ عن جماعة منهم (نيل الابتهاج ٣٢٩): أبو الفضل بن مرزوق وقاسم العقباتي (٧٦٨-٨٥٤ هـ) والإمام الأصولي محمد النجار وإبراهيم التازي (ت ٨٦٦ هـ). وتصدّر التنسي للتدريس، وكانت وفاته في جُمادى الأولى من سنة ٨٩٩ (أوائل ١٤٩٤ م).

٢- كان ابن عبد الجليل التنسي شيخ شيوخ زمّنه وحافظ (محدث) عصره إماماً في التفسير والفقه والنحو ومؤرخاً بارعاً له: راح الأرواح فيما قاله المولى أبو حو من الشعر وقيل فيه من الأمداح وما يُوافق ذلك على حسب الاقتراح - نظم الدرر والعُقبان في شرف بني زَيانٍ وذكر ملوكهم الأعيان. وكان له بصَرٌ في الأدب والنقد وشي من النظم. لَمَّا وَقَفَ التنسي على قصيدة لسان الدين بن الخطيب «أُطْلِعَن في سَدَفِ الفُروع شُموسا» قال إِنَّ لسان الدين قد حذا في هذه القصيدة حَذْوَ أبي تَمَّامٍ في قصيدته «أُتَشِيبُ رَنْبَهُمُ أراك دَرِيسا» (نفع الطيب ٦: ٢٠١) ولم يقبل أن يكون لسان الدين قد نَسَجَ على مِوالٍ قصيدة من هذا البحر وهذا الرُوي لابن عبدون «أَذْهَبَن من فَرَقِ الفِراق نُفوسا» (نفع الطيب ٤: ٣٠٥).

في الفقه نصّ على أن الزَّرْعَ للزارع (من زَرَعَ زَرَعاً في أرضٍ فله وحده الحق في حصّاده). وكان شاعرٌ قد قال إِنَّ نَظْرَهُ إلى غُلامٍ حَمَلَ ذلك الغُلامَ على الخَجَلِ فَأَحْمَرَ خَدَهُ (وأصبح كالورد). فلماذا لا يجوز للشاعر أن يقبل ذلك الحدّ ليقطف الورد الذي كان قد زَرَعه فيه. ويردُّ التنسي على ذلك بقوله: (نفع الطيب ٣: ١١٣):

في ذا الذي قد قُلْتُم مَنَحْتُ، إذ فيه إيهامٌ على السامع .
سَلَّمْتُمُ الحُكْمَ لَهُ مُطْلَقاً. وغيرُ ذا نُصَّ عن الشارع .

يَقْصِدُ أَنَّ المِينَ هِيَ التي زَرَعَتِ الوردَ في الحدِّ (أخذت فيه الخجل) فلا يجوز للغير أن يقطف ذلك الوردَ لأنّه ليسَ الزارع .

٣- مختارات من آثاره

- احتفال أبي حو الثاني بالمولد.

قال ابن عبد الجليل التنسي في كتابه «راح الأرواح» (نفع الطيب ٦ : ٥١٣-٥١٤):

إنه^(١) كان يُقيم ليلة الميلاد النبوي، على صاحبه الصلاة والسلام، بمشورة^(٢) من تِلْسانَ المحروسة مدعاة حَفِيلَة يُحْشَرُ^(٣) فيها الناسُ خاصَّةً وعامةً. فما شِئَتْ من نَهارٍ مصفوفةٍ وزرايبيٍّ مَبْثُوثَةٍ^(٤)، وبُسْطٍ مَوْشَاةٍ ووسائدٍ بالذهب مُغْشَاةٍ^(٥) وشَمْعٍ كالأسطوانات وموائدٍ كالهالات^(٦)، ومباخرٍ منصوبةٍ كالقِبابِ بِحَالِهَا المُنْصِرُ يَنِرًا مَذاب^(٧). ويُفَاضُ على الجميع أنواعُ الأطعمةِ كأنها أزهارُ الربيعِ المُنْثَمَةِ^(٨) تَشْتَهِيها الأنفُسُ وتَلَذُّها النواظرُ، ويُخالَطُ حُسنُ رَيَاها الأرواحَ ويُخامِرُ^(٩)؛ رُتَبُ الناسِ فيها على مراتبِهِمْ ترتيبَ احتفالٍ، وقد علَّتِ الجميعُ أَهْمَةُ الوَقَارِ والإجلال. وبُعْثُ ذلك بِجَمْعِ المُسَيِّمِينَ^(١٠) بأنداحِ المصطفى عليه الصلاة والسلام ومُكَفَّرَاتِ تَرْغَبُ في

(١) أي أبا حو الثاني.

(٢) المشورة (مكان يجتمع فيه السلطان بأصحابه للتشاور - قصر كبير على مقربة من تِلْسانَ؛ أذكرُ أننا كنا قبلين من نزهة - في أحد ملتقيات الفكر الإسلامي (في الجزائر) - فنزلنا نزور بقايا قصر قيل، فيما أذكر، أنه مشورة!).

(٣) مدعاة (جما مداع): دعوة، مأدبة. الحفيل: الكثير (يقال: جمع حفيل). يحشر الناس (يجمعون من كل مكان ومن جميع الطبقات).

(٤) «وغارق مصفوفة وزرايبي مَبْثُوثَةٍ» من القرآن الكريم (٨٨: ١٥ - ١٦، الفاشية). التمرقة (بضم فسكون فضم): وسادة يتكأ عليها. الزربية: الحَصِير، البساط (ما يسط أو يفرش على الأرض)، وقيل هي التمرقة. مَبْثُوثَة: مفروشة، متفرقة.

(٥) مَوْشَاة: مزركشة. مَغْشَاة: مغطاة.

(٦) كالهالات (كناية عن اتساعها). الهالة: ظاهرة ضوئية ترى محيطة بمصدر النور إذا كان ذلك النور محاطاً بجو رطب.

(٧) بِحَالِهَا: بظنّها. التبر: الذهب. مذاب (كذا في الأصل) ويجب أن تكون مذاباً. ويمكن أن تكون: كأنها التبر المذاب.

(٨) المنعم: مرقش، مزركش (لكثرة أنواعه) بأغاط صغيرة جداً.

(٩) الرَيَا: الرائحة الطيبة. خامر: خالط.

(١٠) بِقَبْ ذلك: بَعْدَ ذلك. المَسْمَع: المَشْد (للشعر). وبُعْثُ ذلك أيضاً.

الإقلاع عن الآثام^(١)، يَخْرُجُونَ فِيهَا مِنْ فَنٍّ إِلَى فَنٍّ وَمِنْ أَسْلُوبٍ إِلَى أَسْلُوبٍ وَيَأْتُونَ مِنْ ذَلِكَ بِمَا تَطَرَّبُ لَهُ النَفُوسُ وَتَرْتَاحُ إِلَى سَاعَةِ الْقُلُوبِ. وَبِالْقُرْبِ مِنَ السُّلْطَانِ، رِضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ، خِزَانَةُ الْمُنْجَانَةِ قَدْ زُخِرَتْ كَأَنَّهَا حَلَّةٌ يَمَانِيَّةٌ^(٢)، لَهَا أَبْوَابٌ مُوجِفَةٌ عَلَى عِدَدِ سَاعَاتِ اللَّيْلِ الزَّمَانِيَةِ^(٣). فَمِنْهَا مَضَتْ مِنْ سَاعَةٍ وَقَعَ النَّقْرُ بِقَدْرِ حِجَابِهَا وَفُتِحَ عِنْدَ ذَلِكَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِهَا وَبَرَزَتْ مِنْهُ جَارِيَةٌ صَوَّرَتْ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فِي يَدِهَا الْبُيُوتِي رُقْعَةً مُشْتَمِلَةً عَلَى نَظْمٍ فِيهِ تِلْكَ السَّاعَةُ بِأَسْمِهَا مَسْطُورَةٌ^(٤)، فَتَضَعُهَا بَيْنَ يَدَيِ السُّلْطَانِ بِلَطَافَةٍ، وَيُسْرَاهَا عَلَى فَمِهَا كَالْمُؤَدِّيَةِ بِالْمُبَايَعَةِ حَقَّ الْخِلَافَةِ. وَهَكَذَا حَالُهُمْ إِلَى أَنْبِلَاجِ عَمُودِ الصَّبَاحِ وَبِنْدَاءِ الْمُنَادِي: حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ^(٥)!

٤- ** * الضوء اللامع ٨ : ١٢٠ شجرة النور الزكية ٢٤٨ : نيل الابتهاج ٣٢٩ - ٣٣٠ :
نفع الطيب ١ : ٦٨١ : ٢ : ٥٧٤ ، ٣ : ١١٣ ، ٤ : ٣٠٥ ، ٦ : ١٩٥ ، ١ : ٢٠١ ،
٥١٣ - ٥١٧ : أزهار الرياض ١ : ٢٤٣ - ٢٤٤ : معجم أعلام الجزائر
١٥٩ - ١٦٠ : بروكلمن ٢ : ٣١٣ ، الملحق ٢ : ١٣٤١ : الطاهر ٢٢٦ - ٢٢٨ : سركيس
٦٤٣ : الأعلام للزركلي ٧ : ١١٦ (٦ : ٢٧٨) : معجم المؤلفين ١٠ : ٢٢٢ .

المؤلوي الزركشي

١ - هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن مؤلُو، عُرِفَ بالمؤلوي نسبةً إلى جَدِّهِ الَّذِي

(١) المَكْفَرَات: أشعار قال في التزهيد فَتَكَفَّرَ (تَنَفَّرَ). مَا كَانَ مِنْ عَيْتٍ (حَاشِيَةٌ فِي نَفْعِ الطَّيِّبِ ٦ : ٥١٣).

الآثَام: الذُّنُوبُ.

(٢) الْمُنْجَانَةُ: آلَةُ تَقْسِيمِ الْوَقْتِ (سَاعَةٌ دَقَاقَةٌ). وَفِي نَفْعِ الطَّيِّبِ (٦ : ٥١٤ - ٥١٥) وَصَفَ مِفْصَلَ لِلْمُنْجَانَةِ لَاحِنَ عَبْدِ الْجَلِيلِ التَّنَسِي قَه. زُخِرَتْ: زَيَّنَتْ. حَلَّةٌ: ثَوْبٌ. يَمَانِيَّةٌ: مِنْ نَجِ الْيَمَنِ (اسْتَشْهَرَتِ الْيَمَنُ بِالنَّسِيجِ الْجَمِيلِ). أَوْ هِيَ السَّاعَةُ الرَّمْلِيَّةُ (رَاجِعْ أَزْهَارَ الرِّيَاضِ ١ : ٣٠٩).

(٣) مُوجِفَةٌ: مُخَلِّقَةٌ.

(٤) نَظْمٌ: شِعْرٌ فِيهِ تَبْيِينُ السَّاعَةِ، يُخَاطَبُ بِهِ السُّلْطَانُ، نَحْوُ (عِنْدَ قَامِ السَّاعَةِ الْبَادِئَةِ):

يَا مَاجِدًا وَهُوَ فَرْدٌ تَحَالُفُهُ فِي عَاكِرٍ،

«سَتَ» مِنَ اللَّيْلِ وَلَيْتَ، مَا إِنَّ لَهَا مِنْ نَظَائِرِ.

دَامَتْ لِبَالِيكَ، حَتَّى إِلَى الْمَسَادِ، نَوَاضِرِ!

(٥) الْمُنَادِي: الْمُؤَذِّنُ. «حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ» مِنْ قُرَاتٍ (بَكْسَرِ فَتَحِ) الْأَذَانِ (أَيَّ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ).

كان - فيما يبدو - مملوكاً لا نَعْرِفُ له سِلْسِلَةَ نَسَبٍ. ويبدو أَنَّ اللُّؤلُؤيَّ الزركشي^(١) قد وُلِدَ في نحو سَنَةِ ٨٢٠ هـ (١٤١٧ م) ثم بدأ تَعَلُّمه، بعد سَنَةِ ٨٤٠ هـ على نفرٍ منهم: مُحَمَّدُ ابْنُ عُمَرَ القلشائي (ولمَّله لازمُ القلشائي هذا مدَّةً طويلةً) وأحدُ القُسطنطيني ومحمدُ البيدموري وأبو البركات محمد بن محمد بن عصفورٍ في الأغلب. غيرَ أَنَّ علومه التي حَصَلَ عليها كانت - فيما يبدو - تُتَقَّى، فإنَّ كتابه في التاريخ لا يدلُّ على إحاطةٍ واسعةٍ بفنون المعرفة.

ويبدو أيضاً أَنَّهُ كان كاتباً في الدولة يعمل في خُطَّةِ العَدَل، ولكنه لم يكن من الرؤساء. أما وفاته فيمكنُ أَنْ تكونَ في السَّوَاتِ الأوَّل من القرنِ العاشر^(٢).

٢- كان اللُّؤلُؤيُّ الزركشي مُدَوِّنًا للأحداث ولم يكن عالماً بالتاريخ ومجرّاه. ولكنَّ أهمِّيَّةَ كتاب الزركشي أَنَّهُ مِنْ عصرٍ قلَّ فيه تدوينُ التاريخ في تونس. ومادَّةُ الكتاب أحداثٌ مُفْرَدَةٌ يتخلَّلها انقطاعٌ في السِّلْسِلَةِ التاريخيَّةِ مرَّةً بعدَ مرَّةٍ. وفي لُغَةِ المؤلِّفِ ضَمَفٌ، مَعَ أَنَّهُ يُعَاوَلُ التسجييعُ أحياناً. ويُمكنُ أَنْ نَعُدَّ المؤلِّفَ شَاهِدَ عِيَانٍ لِلحوادثِ المُتعلِّقَةِ بِالقرنِ التاسع (ص ١١٤ - ١٥٩). أمَّا المُلْحَقُ (ص ١٦٢ - ١٦٨)، وهو شَيْءٌ تَلْخِيسٍ لِلكتابِ ثُمَّ اسْتِثْنَاةٌ لِلتدوينِ حَتَّى سَنَةِ ٨٣٩ هـ (١٤٣٥ م)، فالأغلبُ أَنَّهُ إِضافةٌ لِيَسْتِ لِلمؤلِّفِ.

٣- مختارات من آثاره

- مدخل «تاريخ الدولتين الموحديّة والحفصية»:

الحمد لله الذي جعل الأيام دُولاً، وصيّر بعض الناس لبعضٍ خَوَلاً^(٣)، وجعل لهم في المطامع أملاً، ﴿لَا يَتَّبِعُونَ عَنْهَا حَوَلاً﴾^(٤).

(١) لم اهتم إلى وجه لقبه «الزركشي»، إلا إذا كانت «الزركشة» صنعة لأبيه أو لجده (بعد تحرره) أو له.

(٢) إذا قبلنا أن يكون مولده سنة ٨٢٠، لم يبق وجه لقول بروكلمان إنه ألف كتابه نحو ٩٣٢ هـ، ولا لتقدير خير الدين الزركلي أَنَّهُ تَوَفَّى بعد ٩٣٢ هـ (١٥٢٥ م).

(٣) دولة: كل مدّة لقوم. الحول: الخدم.

(٤) آية كريمة (١٨: ١٠٩، سورة الكهف): لا يَتَّبِعُونَ عَنْهَا حَوَلاً (عن الجنة) حولاً (انتقالاً). - ذلك ميل ثابت فيهم.

- حلة صليبية من فرسة وجنوة على المهدية^(١) :

وفي سنة ثنتين وتسعين نزل النصارى المهدية في مائة قطعة بين مراكب كبيرة وأغرية^(٢). فوجه السلطان أحد محلة^(٣) نزلت قرب البلد قدم عليها ولده المولى أبا فارس وأصحابه بأخيه أي زكريا. فاتفق للمولى أبي فارس عبد العزيز مع النصارى وقائع منها في يوم نزولهم وقعت بينهم وبين النصارى حروب كان للمسلمين فيها جولة بحيث أسلموا المحلة، ودخلها العدو ولم يجد فيها عيناً تطرف عدا رجلاً واحداً مشاغباً قتلوه. وبينما هم (النصارى) في جمع الأزواد والأسباب^(٤) إذا بالمولى أبي فارس نادى في المسلمين وجمع القواد ومن حضرهم من الجند وكر راجعاً تجاه العدو حتى أخذ المحلة من أيديهم قهراً. فحميت العرب^(٥) وانصرف العدو منهزماً. وقيل منهم نحو خمسة وسبعين رأساً. وواجه العدو^(٦) بنفسه ودفع في صدورهم دفعة شتت بها شملهم. فلم يلتفت إلا والعدو قد أحاط به من كل جهة. وعلم العدو أنه ابن الخليفة - ومن عاديتهم في الحرب أنهم إذا أخذوا ملكاً أو ابن ملك فإتهم لا ينزلونه عن فرسه - فأخذوا بعنان فرسه وساروا به. فآلهمة الله سبحانه خلق عنان فرسه من رأسه وألح (على) الفرس وهمزة^(٧). ففزع الفرس من بينهم، فرموه بسيهام وأسيمة، واتبعوه بخيل وأعنة^(٨)، وهو لا يلتفت إلى أن وصل إلى المسلمين وسلمه الله عز وجل. ثم إن النصارى اختلفوا فيما بينهم، وأراد الجنوي الغدر بالفرنسي، فارتحل الفرنسي

(١) جنوة (في شمال عربي إيطالية) كانت في العصور الوسطى جمهورية مستقلة.

(٢) = ٧٩٢ هـ (١٣٩٠ م). المصادر الغربية تعني بالروم والنصارى الإفرنج عامة (الأوروبيين). المصوح أن «الغراب» هنا سفينة صغيرة.

(٣) هو أبو العباس أحمد (٧٧٢ - ٧٩٦ هـ). محلة: (٢)

(٤) الأزواد جمع زاد: الطعام. الأسباب: الوسائل، الآلات (يقصد: الغنائم).

(٥) حيث: أشدت (في الحرب). العرب: البدو.

(٦) لعل الجملة التامة: وواجه أبو فارس العدو.

(٧) ألح على الفرس (حثه على الركض!). همزة: نخه (بمهازين في الهذاء). في بطنه.

(٨) أسنة جمع سنان (الحديدة التي في رأس الرمح - ولا معنى لها هـ، ولعله أي بها لتكون سجمة مع أعنة - جمع عنان: لجام، كناية عن الخيل).

بُفْنِهِ. وَلَمْ رَأَى الْجَنَوِيَّ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ وَحْدَهُ رَحْلَ أَيْضاً. وَكُنِيَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ شَرَّهُمْ.
فَانصَرَفُوا خَائِبِينَ.....

- ٤- تاريخ الدولتين الموحّدية والحفصية، تونس (المطبعة الرسمية) ١٢٨٩ هـ؛ (بتحقيق محمد ماضور)، تونس (المكتبة المتينة) ١٩٦٦ م.
** شذرات الذهب ٣٦٣:٧ - ٣٦٧، بروكلمن ٦٠٦:٢، الملحق ٦٧٧:٢؛ سركيس ١١٦٠٠
الأعلام للزركلي ١٩٢:٦ (٣٠٢:٥)؛ المكتبة العربية الصقلية ٥٢٢ - ٥٢٤؛ مجلة الندوة
التونسية (مقال بقلم محمد الناذلي النيفر)، مايو - أيار ١٩٥٣ م.

شهاب الدين (بن) الخلّوف

١- هو شهابُ الدين أبو العباسِ أحدُ بنِ أبي القاسمِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ
الخلّوفِ الحِمَيْرِيِّ القاسِي التُونِسِيِّ، وُلِدَ فِي ثَالِثِ الْمُحَرَّمِ مِنْ سَنَةِ ٨٢٩
(١٤٢٥/١١/١٥ م).

ذَهَبَ شِهَابُ الدِّينِ بَنُ الْخَلّوْفِ فِي أَوَائِلِ حَيَاتِهِ مَعَ وَالِدِهِ إِلَى الْحِجَازِ. وَبَعْدَ أَرْبَعِ
سَنَوَاتٍ انْتَقَلَ مَعَ وَالِدِهِ أَيْضاً إِلَى الْقُدُسِ حَيْثُ حَفِظَ الْقُرْآنَ وَلاَزَمَ الْقُرَيْشِيَّ أَبَا الْقَاسِمِ
مُحَمَّدَ بْنَ مُحَمَّدٍ النَّوِيرِي (٨٠١ - ٨٥٧ هـ) وَأَخَذَ عَنِ الشَّهَابِ بْنِ رِسْلَانَ وَالْعَزُّ الْقُدْسِيِّ
وغيرهم.

وَفِي سَنَةِ ٨٥٩ هـ (١٤٥٥ م) تُوُفِّيَ وَالِدُهُ فَعَادَ إِلَى الْمَغْرِبِ ثُمَّ اسْتَقَرَّ فِي تُونِسَ
وَاقْتَطَعَ إِلَى السُّلْطَانِ الْحَفْصِيِّ أَبِي عُمَرَ عُثْمَانَ (٧٣٩ - ٨٩٣ هـ) وَأَكْثَرَ مِنْ مَذْحِهِ. وَفِي
سَنَةِ ٨٧٧ هـ حَجَّ ثَانِيَةً، فَلَمَّا مَرَّ بِالْقَاهِرَةِ لَقِيَ السَّخَاوِيَّ صَاحِبَ «الضَّوَاءِ اللَّامِعِ»
(ت ٩٠٢ هـ).

وَكَانَتْ وَفَاةُ شِهَابِ الدِّينِ بْنِ الْخَلّوْفِ فِي سَنَةِ ٨٩٩ هـ (١٤٩٣ - ١٤٩٤ م) فِي
تُونِسَ.

٢- كَانَ شِهَابُ الدِّينِ بْنِ الْخَلّوْفِ أَدِيباً بَارِعاً فِي النَثْرِ وَالنَّظْمِ وَلِذَلِكَ سُمِّيَ ذَا
الصَّنَاعَتَيْنِ. كَمَا كَانَتْ لَهُ مَعْرِفَةٌ بِالنَّحْوِ. وَهُوَ شَاعِرٌ مُكْتَرِّ مُطِيلٌ لَهُ بَدِيعَاتٌ وَمَوْشَعَاتٌ

وفي شعره تقليدٌ للمشاركة. ثم إنَّ أوصافه في الطبيعة جيادٌ في ألفاظها. ولكن استعاراته بعيدةٌ جداً، وكثيرٌ من مُعانيه - من أجل ذلك - غامضٌ. ثم هو مصنفٌ له: تحرير الميزان لتصحيح الأوزان (عروض) - مواهب البديع (ميمية في علم البديع) - شرح مواهب البديع - عمدة الفارض (أرجوزة في الفرائض: تسمي الإرث) - جامع الأقوال في صيغ الأفعال - أرجوزة في تصريف الأسماء والأفعال - نظم المغني (في النحو). وله ديوان فيه تفسير منامات وأدعية.

ويبدو احتذاءً أبين الخُلف للمشاركة واضحاً جداً - وإن كان بارعاً جداً أيضاً - في المقطوعة الواردة في «مختارات من شعره»، فإنها تقليدٌ لقصيدة البحريّ التي يقول فيها (في وصف الربيع):

أناكَ الربيعُ الطَّلَقُ يَحْتَالُ ضاحِكا
وقد نبّه النُّيرُورُ في غلَسِ الدُّجَى
مِنَ الحُسْنِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ.
أَوائِلَ وَرَدٍ كُنَّ بِالْأَسْرِ نُومًا.

٣ - مختارات من شعره

- قال شهابُ الدين أحمدُ بنُ محمدٍ بنِ الخُلف في وصف الطبيعة:

رأى البرقُ تَمبِيسَ الدُّجَى قَتَبًا
ورقَ لواءِ البرقِ لَمَّا تَلَاعَبَتْ
وصافحَ أزهارَ الرُّبَى قَتَسًا^(١)
سوابقُ خيلِ الرِّيحِ في حَلْبَةِ السَّما^(٢)
وقد بلَّ أردانَ الثُّرى دمعَ مُرْنَةٍ
تناثرَ في أسلاكِهِما قَتَنَظًا^(٣)
وجرَّ على هامِ الرُّبَى ذَيْلَ وَبِلَه
فدَبَّحَ أثوابَ الرُّبوعِ وسَهًا^(٤)

(١) تَسَم (قلقة هنا في المعنى) وفي القاموس: تَسَمَتِ الرِّيحُ (هَبَّتْ رويداً رويداً) وتَسَمَ فلان (تَفَسَّ) وتَسَمَ المكان (أصبحت رائحته طيبة).

(٢) الحلبة: الميدان الذي تجري فيه خيل الباق.

(٣) الردن (بضم الراء): طرف الثوب. المُرْنَةُ: المطر. - نقط الماء التي تشبه اللؤلؤ، والتي سقطت متناثرة (متفرقة)، قد ظلَّ بعضها (بعد توقُّف المطر) عالقةً بالغصون، فكانَ الغصونُ أسلاكَ وخيوطَ للمنود، وكانَ نقط الماء العالقة بها لآلَ منتظمة في عقود.

(٤) الويل: المطر. دَبَّحَ المطر الأرض: سقاها فاخضرت وأزهت. سَهَمَ الثوب: صَوَّرَ فيه سهاماً (خطوطاً).

تَلَوَى بِاِكْتِصَافِ السَّحَابِ فَحَلَّتْهُ
وَحَطَّ بِطَرَسِ الْجَوِّ سَطْرًا مُدْهَبًا
وَشَابَ لُجَيْنَ الطَّلِّ عَسْجَدُ بَارِقِ
وَدَارَ بِسَاقِ الْغُصَنِ خَلْخَالُ جَدُولِ
إِلَى أَنْ أَمَاطَ الْفَجْرُ فَضْلَ لِثَامِهِ
وَنَبَةَ دَاعِي الصُّبْحِ إِذْ هَبَّتِ الصَّبَا
حُبَابًا تَلَوَى أَوْ حَبَابًا تَلَوَمَا^(١)
فَنَقَطَهُ قَطْرَ الْغَمَامِ وَأَعْجَبَا^(٢)
فَدَنَرَ أَزْهَارَ الرِّيعِ وَدَزَهَهَا^(٣)
وَوَشَّحَ أَعْطَافَ الْفُصُونِ وَعَمَّهَا^(٤)
وَنَوَّرَ بِالْإِسْفَارِ مَا كَانَ أَظْلَمَا^(٥)
لَوَاحِظَ زَهْرٍ كُنَّ فِي اللَّيْلِ نَوْمَا

- وقال ابن الخلف مَخْمَسًا بَيْتَيْنِ لِأَبْنِ الْأَحْمَرِ:

أَمَاطَ الْهَوَى عَنْ وَاضِحِي بُرْقُعِ النَّسْكِ
فَوَحَّدْتُ مَنْ أَهْوَاهُ عَنْ هَوَاةِ الشَّرْكِ^(٦)
فَقُلْتُ، وَقَدْ أَقْنَتَ لِحَاظُكَ بِالْفَتَنِ: (أَفَاتَكَةَ اللَّحْظِ الَّتِي سَلَبَتْ نُسْكَي^(٧))
عَلَى أَيِّ حَالٍ كَانَ لَا بُدَّ لِي مِنْكَ).

(١) يصب تفسیر هذا البيت (إذ يبدو أن بيتاً أو أكثر من بيت سابق عليه قد حذف). الملموح أن البرق يظهر من أطراف السحاب خطوطاً متعرجة (منكسرة) فخلته (ظننته) حباباً (بالضم: ثمباناً) تَلَوَى: تَمَرَّجَ في زحفه (سيره، جريه) ثم مر (اختفى) أو حباباً (بالفتح: خطوطاً) وحواجز تسكها الريح في رمال الصحراء) تَلَوَمَا تَلَبَّتْ، بقي، دام).

(٢) الطرس: الورقة يكتب عليها. مذهباً (أحمر: لون البرق) فنقطه قطر الغمام (وضع عليه نقطاً) وأعجم اقرأ: فأعجم (ماز بعض الحروف من بعض بوضع النقط عندها). البرق لا يرى واضحاً من خلال المطر المساقط (٢).

(٣) وكما أن سقوط المطر قد جعل البرق قليل الوضوح (راجع البيت السابق)، فكذلك: (هذا البرق) شاب (خلط، مزج) لجَيْنِ الطَّلِّ (فضة المطر، المطر الأبيض كالفضة) بمسجد (ذهب) فدَنَرَ أَزْهَارَ الرِّيعِ (جعل شيئاً منها كالذنانير الذهب) ودرهم بعضها الآخر (جعلها بيضاء كالدرهم الفضية).

(٤) ودار الثمر بجانب الأشجار كما يحيط الخلل بأرجل النساء (الجميلات). ووشَّحَ (التهر؟) أعطاف (جوانب) الفصون (بالورق الأخضر) وعمَّها (جعل لها عمامة: جعل في أطرافها أزهاراً؟).

(٥) أَمَاطَ: أَرَاَحَ. الإسفار (بكسر الهمزة) الكشف عن الوجه (أسفر الصبح: بان، ظهر).

(٦) ابن الأحمر؟

(٦) أَمَاطَ: أزال، كشف. واضحي (وجهي؟) برقع النسك (النسك المألوف عند الناس: النسك الشكلي). ووحَّدْتُ (في الأصل وجدت - بالجمع). الهوة: الحفرة العميقة أو هوية (بضم فواو فياء: حقيقة). - في الأبيات معان صوفية.

(٧) الفتنك: القتل.

مِينَا، يَنْجِمُ الْقُرْطُ، مِنْكَ إِذَا هَوَى وَخَالَ عَلَى عَرْشِ بَوَّجَنَتِكَ أَسْتَوَى^(١) ،
لَنْ لَمْ تَقَى ، لَا بُدَّ لِلْقَلْبِ مَا نَوَى : (فَأَمَّا بِذُلٍّ ، وَهُوَ أَلْيَقُ بِأَهْوَى ،
وَأَمَّا بَعِزٍّ ، وَهُوَ أَلْيَقُ بِالْمَلِكِ) .

٤ - ديوان (أحمد بن أبي القاسم الخُوف الأندلسي) ، بيروت (المطبعة السليمة) ١٨٧٣ م (*) .
** موشحة (في كتاب « الدراري السبع والموشحات الأندلسية » ، بيروت ١٨٧٦ م) : الضوء اللامع
٢ : ١٢٢ - ١٢٣ ، مجمل تاريخ الأدب التونسي ٢٢٤ - ٢٣٠ ، تاريخ الجزائر العام
٦٤ - ٦٦ : أعلام الجزائر ٣٩ ، بروكلن ٣٠٧ : ٢ ، الملحق ٢ : ٣٣١ ، الأعلام للزركلي :
٢٢١ (٢٣١) ؛ سركيس ٩٩ - ١٠٠ ، ٨٣٣ ، انطمار ٩٨ - ٩٩ ، معجم المؤلفين ١١٨ .

أبو العباس الونشريسي

١ - هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن عليّ
الونشريسي - نسبة إلى ونشريس ، وهو جبل في القطر الجزائري - ، وكان مولده في
تلمسان ، نحو سنة ٨٣٤^(٢) للهجرة (١٤٣٠ م) .

ويبدو أن الونشريسي قد بدأ تلقّي العلم باكراً على نفرٍ منهم : والدّه (وكان والدّه
من العلماء المُدرّسين) ثم أبو الفضل قاسم بن سعيد المَقْباني (ت ٨٥٤ هـ) وشيخ الجماعة
أبو عبد الله محمد بن العباس التلمساني (ت ٨٧١ هـ) وأبو عبد الله محمد بن أحمد الجلاب
(ت ٨٧٥ هـ) - وقاضي الجماعة يتلمسان أبو سالم إبراهيم بن قاسم المَقْباني (ت
٨٨٠ هـ) وهو ابن أبي الفضل المَقْباني المذكور آنفاً - ومحمد بن محمد بن مرزوق الكفيف
(ت ٩٠١ هـ) .

(١) القرط : حلية تعلّق بالأذن . هوى القرط (كان معلقاً بأذن امرأة ذات عنق طويل - والطول المعتدل في
أعناق النساء من صفات الجمال فيهن) .

(*) راجع ملاحظة في سركيس (معجم المطبوعات العربية) : كتب بأخر الديوان أن (؟) قد تم طبعه في
دمشق سنة ١٢٩١ الواقعة لسنة ١٨٧٤ م

(٢) هذا التقدير من كتاب « تاريخ الجزائر العام » ، تأليف عبد الرحمن بن محمد الجيلاني (٢ : ٣٢٦) .

وفي أوائل المحرم من سنة ٨٧٤ (تموز - يوليو ١٤٦٩ م) جرت على الوشرسي كاتبة (حادثة) على أثر خلاف مع أحد رجال الدولة عرضته لفضب السلطان أبي عبد الله محمد المتوكل (٨٦٦ - ٨٨١ هـ) فنهت داره، وفر بنفسه إلى مدينة فاس. إن التاريخ لم يحفظ لنا رواية هذه الحادثة، وإن كنا نعلم أن تلك الحقة كانت حقة قتر داخلية كثيرة.

وأخذ أبو العباس الوشرسي، منذ نزوله في مدينة فاس، يحضر مجلس أبي عبد الله محمد بن عبد الله اليرني المعروف بلقب القاضي الكناسي (ت ٩١٧ هـ). ثم إن السلطان المريني محمد بن محمد المعروف بالشيخ البرقالي (٨٧٥ - ٩٣١ هـ) قدمه للتدريس، فتصدّر حينئذ لتدريس الفقه معتيداً في ذلك «الدونة» للإمام سخون (ت ٢٤٠ هـ) وفروع^(١) ابن الحاجب.

وأستمر الوشرسي في التدريس في فاس - لم يغادرها قط - إلى حين وفاته في العشرين من صفر من سنة ٩١٤ (١٥٠٨/٦/٢٠ م).

٢ - كان أبو العباس الوشرسي كثير الاجتهاد والمطالعة. ومع أنه كان مشاركاً في عدد من العلوم، فإنه اقتصر في التدريس على فروع الفقه^(٢). وكان واسع المعرفة بهذه الفروع حتى أصبح «حامل لواء المذهب» على رأس المائة التاسعة^(٣) (نيل الابتهاج ٨٧).

وكذلك كانت له براعة في النحو، كما كان فصيح الكلام بليغاً في التعبير. وكان له أيضاً شيء من النظم.

(١) هذا الكتاب «مختصر الفروع» أو «جامع الأمهات» راجع بروكلمن ١: ٣٧٣، الملحق ١: ٥٣٨، لابن الحاجب، وهو جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر. والفروع (هنا) هي العبادات (الصوم والصلاة....) والمعاملات (الزواج، البيع، الفرائض أو قسم الإرث، الخ). راجع في وصف هذا الكتاب وفي قيمته ومكانته مقدمة ابن خلدون (بيروت ١٩٠٠ م، ص ٤٥٠، السطر الرابع من أسفل، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٦١، ص ٨٠٨ - ٨٠٩).

(٢) راجع الحاشية السابقة.

(٣) إذا كان رأس القرن أوله (قياساً على المتعارف بقولنا: «رأس») فيكون الوشرسي «حامل لواء المذهب» على رأس المائة (القرن) العاشرة (راجع أيضاً «تاريخ الجرائز العام» ٢: ٣٢٦).

وكان الونشريسي مُصَنِّفاً وَضَعَ عدداً من الكُتُبِ أَكْثَرُهَا في الفقه المالكي. من هذه الكُتُبِ: إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك - الفروق في مسائل الفقه: عدة البروق في تلخيص ما في المذهب من المجموع والفروق - الولايات في مناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية - القواعد في الفقه - المعيار المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب - غنيّة المعاصر والتالي في شرح وثائق الفتاوى^(١) - المختصر من أحكام البرزلي^(٢) - القصد الواجب في معرفة اصطلاح ابن الحاجب - حل الربهة عن أسير الصفة^(٣) - إضاءة الحلك في الرد على من أفتى بتضمين الراعي المشترك^(٤) - فهرسة شيوخه - شرح الخرزجية في العروض^(٥) - وفيات الونشريسي - ترجمة محمد المقرئ (الجد).

أما أهم كُتُبِهِ فهو كتاب «المعيار المغرب....»، انتهى من تأليفه سنة ٩٠١ للهجرة (١٤٩٦ م)، وهو كتاب كبير (مطبوع في اثني عشر جزءاً) وشامل يكاد يُحيطُ بجميع بحوث مذهب الإمام مالك. والكتاب مُشتمِلٌ على فتاوى الفقهاء الذين كانوا في إفريقية (القطر التونسي) وفي الأندلس وفي المغرب (القطر الجزائري والمغربي). ثم هو، بما فيه من الفتاوى المختلفة الموضوعات، يُمكن أن يكون صورةً للحياة في المغرب والأندلس بما فيها من الميادين الحضارية في الاجتماع والسياسة والاقتصاد والدين والعلم والتربية. وفيه وصفٌ مبسوطٌ في المدارس لذلك العهد^(٦) من حيث الوصف للأمكنة ومن حيث مناهج الحياة فيها. غير أنه ينوء - بسبب اتساعه وشموله وتبعاً لطبيعة الفتاوى التي هي نتاج حاجات طارئة في الأكثر - بشيء كبير من الصعوبة في الوصول

-
- (١) الفتاوى، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٧٧٧ هـ) قاضي مدينة غاس.
 - (٢) البرزلي أبو القاسم بن أحمد (٧٤١ - ٨٤٤ هـ، عاش مائة وثلاث سنوات) من أئمة المالكية وكان ينفذ شيخ الإسلام، له «جامع مسائل الأحكام بما نزل من القضايا للفتن والحكام».
 - (٣) الربهة: الحبل. حل الربهة: فك القيد أو تفريج كربة المكروب. عن أسير الصفة (عقد البيع؟).
 - (٤) الحلك: الظلام. تضمين الراعي المشترك (٢).
 - (٥) القمبيدة الخرزجية (= الرامة الثافية) لضياء الدين أبي محمد عبد الله بن محمد الأنصاري الخرزجي الأندلسي (ت ٧٢٦ أو ٧٢٧ هـ).
 - (٦) لذلك العهد (في زمن الونشريسي).

إلى مُفرداتِ حقائقهِ. إِنَّهُ مُحتَاجٌ إلى فَهَارسٍ لأعلامِ الرِّجالِ والمُوضوعاتِ أيضاً.

- ٣ - مختارات من آثاره

- قال الوُشَريسيُّ في « صِفَةِ المُدرِّسِ » وفي التَّحْيِيسِ - أي « وَقفِ المِدارسِ »^(١) على التعلِيمِ (أزهار الرياض ٣ : ٣٥):

مِنْ هُنَا نَعْلَمُ أَنَّ إِطْلَاقَ اسْمِ المُدرِّسِ على المُقتَصِرِ على نَقْلِ تَقَايِيدِ^(٢) الرِّسَالَةِ^(٣) والمُدَوَّنَةِ^(٤) - مِنْ غَيْرِ قَتْسٍ وَلَا تَزِيلٍ وَلَا كَتْفٍ^(٥) وَأَسْتَظْهَارٍ بِغَيْرِهَا^(٦) - مَجَازٌ لَا حَقِيقَةَ^(٧). وَهَذَا الوَصْفُ^(٨) كَادَ أَنَّ يَمَّ أَهْلَ الوَقْتِ أَوْ عَمَّهُمْ^(٩). فَسَأَلُ اللهُ العَظِيمَ المَغْفِرَةَ مِنَ التَّطَفُّلِ^(١٠) وَتَعَاطَى مَا لَيْسَ فِي المَقْدُورِ

- وَقَالَ فِي حَالِ نَفَرٍ مِنْ طَالِبِي العِلْمِ (أزهار الرياض ٣ : ٣٥ - ٣٦):
تَأَمَّلْ هَا هُنَا الثَّنَاءَ عَلَى شَيْخِ الإِسْلَامِ الإِمَامِ أَبِي عَبْدِ اللهِ بْنِ عَرَفَةَ^(١١) - أَسْكَنَهُ

-
- (١) الوقف: التَّرجَعُ بِمِرافِقِ الحَيَاةِ (من بِناء وماء وأرض) بِكَوْنِ رِبْعِهَا لِمَنْفَعَةِ المُتَحَاجِّينَ.
 - (٢) التقييد: مَلاحِظَاتُ يَعلِّمُهَا العُلَمَاءُ عَلَى الكُتُبِ المَشْهُورَةِ.
 - (٣) الرِّسَالَةُ كِتَابٌ فِي الفَنَنِ (فِي تَعْلِيمِ الوُلَدَانِ أَصُولَ الدِّينِ) لِأَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي زَيْدٍ القِيروَانِيِّ المَتَوَفَّى سَنَةَ ٣٨٦ هـ (رَاجِعْ تَرْجُمَتَهُ فِي المِجْزَاءِ الرَّابِعِ مِنْ هَذِهِ السَّلْسَلَةِ).
 - (٤) المَدَوَّنَةُ (الكُبْرَى): كِتَابٌ فِي الفَنَنِ المَالِكِيِّ اجْتَمَعَ مِنْ رِوَايَةِ كِبَارِ قَهَّاءِ المَذْهَبِ لِعَبْدِ السَّلَامِ بْنِ سَعِيدٍ المَرْوُوفِ بِلقَبِ سَحْنُونٍ (ت ٢٤٠ هـ) عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ القَاسِمِ (ت ١٩١ هـ) عَنْ أُسْدِ بْنِ القِرَاتِ (ت ٢١٤ هـ) بِالِاسْتِنَادِ إِلَى « المَوْطَأِ » لِمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ (ت ١٧٩ هـ).
 - (٥) قَتْسٌ عَنِ الشَّيْءِ قَتْسًا (بِفَتْحٍ فَسَكُونٍ): سَأَلَ عَنْهُ أَوْ بَحَثَ عَنْهُ. التَّزِيلُ: التَّرْتِيبُ، وَضَعُ الشَّيْءِ فِي مَنَزَلِهِ (مَوْضِعِهِ). الكَتْفُ (عَنِ المَعْنَى القَاضِ).
 - (٦) الاسْتَظْهَارُ: إِبْرَادُ مِثْلِ أَوْ قَوْلِ لآخرين يَجْمَلُ حِجَّةَ الأُسْتَاذِ (أَوْ المَوْظَفِ) أَقْوَى.
 - (٧) اقْرَأْ: يَسْتَوِي مَدْرَسًا عَلَى المِجَازِ لَا عَلَى الحَقِيقَةِ.
 - (٨) هَذَا الوَصْفُ (أَيِ اقْتِصَارُ نَفَرٍ مِنَ المَدْرَسِينَ عَلَى نَقْلِ أَقْوَالِ غَيْرِهِمْ بِلَا تَقْسِيرٍ وَلَا تَحْقِيقٍ).
 - (٩) اقْرَأْ: أَوْ هُوَ قَدْ عَمَّهُمْ.
 - (١٠) التَّطَفُّلُ (هَنا) جَرَأَةُ المَدْرَسِ عَلَى تَدْرِيسِ غَيْرِهِ لَا يَتَّقَنَهُ.
 - (١١) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَرَفَةَ الوُرْغَمِيّ (٧١٦ - ٨٠٣ هـ) إِمَامٌ تَوَسَّسَ وَعَالِمٌ فِي عَصْرِهِ، تَوَلَّى إِمَامَةَ الجَامِعِ الأعْظَمِ فِي تُونِسَ والمُطَاطَبَةِ فِيهِ أَيْضًا والقُوَى، لَهُ: المَحْتَصَرُ الكَبِيرُ (فِي الفَنَنِ المَالِكِيِّ) - المَحْتَصَرُ النَامِلُ (فِي التَّوْحِيدِ) - المَبْسُوطُ، الخ.

الله دار السلام^(١) - وعلى تأليفه، ولا سيما مُختصره الفقه^(٢) الذي أعجزَ معقوله ومنقوله الفحول^(٣)، خلافاً لِبعضِ القاصرين من طلبية فاس، فإنهم يقولون: «ما يقول (هذا) شيئاً»، يريدون أن يطفئوا نور الله^(٤)، ويحتقرون^(٥) ما عظم الله. ومُستندهم في ذلك برغمهم حكاية تؤثّر عن الشيخ المُحقّق أبي العباس القَبَاب^(٦)، لا رأس لها ولا ذنب^(٧). وحاشاه من ذلك. وما أراهم في ذلك إلّا كما قال الأول^(٨):

وَكَمْ من عَائِبٍ قولاً صحيحاً، وأَقْسَمَ من الفَهْمِ السَّيِّئِ.

.....

وقد حبسَ ملوكُ المغرب - رضوانُ الله عليهم - بخيراتي القرويين والأندلسيين^(٩) من هذا الديوان^(١٠) المملوكِ نخاً عديدة؛ ثم لا يُعرجُ عليها للمطالعة في هذا الوقتِ أجدهُ من طلبية الحضرة^(١١) شتاءً ولا صيفاً. فإنّا لله وإنّا إليه راجعون^(١٢). (وذلك) ما قيّدَ عن الشيخ الجزولي^(١٣) وأبي الحسن الصغير^(١٤)

(١) دار السلام: الجنة.

(٢) راجع الحاشية التي هي قبل الحاشية السابقة.

(٣) المعقول: العلوم العقلية: (ها) التوحيد، المنطق، الكلام، النح. والمنقول: العلوم التي تروى من طريق الرجال (كالحدّث والفقه والتاريخ). الفحول (كبار العلماء).

(٤) يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ﴿٩: ٣٢﴾؛ التوبة؛ راجع ٦١: ٨، الصمّة.

(٥) يحتقرون «مطوفة على «يريدون».

(٦) هو أبو العباس أحمد بن القاسم الجذامي القاسي المتوفى سنة ٧٧٨ للهجرة (راجع بروكلمان، الملحق ٢:

١٣٤٦، النبوغ المغربي ١٢٠٥ الديباج ٥٧ ونيل الابتهاج ٥٢، من طبعة (فاس).

(٧) لا رأس لها ولا ذنب (لا يعرف لها وجه من الصحة).

(٨) البيت للمتنبي.

(٩) الخزانة (المكتبة العامة). القرويين (جامع القرويين في فاس). والأندلسيين (جامع الأندلسيين، في

الصدوة - الجانب - التي سكها الأندلسيون في فاس بعد خروجهم من الأندلس).

(١٠) من هذا الديوان (المختصر الكبير لابن عرفة).

(١١) الحضرة: العاصمة.

(١٢) في القرآن الكريم (٢: ١٥٦، البقرة): ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون﴾.

(١٣) الشيخ الجزولي السلافي، هو محمد بن سليمان (ت ٨٧٠ هـ) - راجع ترجمته في هذا الجزء.

(١٤) أبو الحسن الصغير (بصيغة التصغير) هو عليّ بن عبد الحق الزرويلي من حفاظ الحديث ومن الفقهاء، كانت وفاته سنة ٧١٩ هـ (راجع النبوغ المغربي ٢٠٤ - ٢٠٥).... والونشريسي بأسف لأن الناس =

(وأماهلها)، فإنك تجدهم يزجون عليها في كل مكان، وخصوصاً في فصل الشتاء، لا يلحق الآخر منها ورقة^(١) واحدة مع كثرة عددها بحيث ذكر^(٢)، بل تجدهم يتنافسون في اقتنائها بالأثمان العظيمة المصحفة^(٣). ومن ملك منهم المسبغ^(٤) من الجزولي وتقييد اليمحدي^(٥) عن أبي الحسن^(٦)، أو حصلت له عناية بنقلها فهو عالم العالم بأسره وخائر مذهب إمام دار الهجرة^(٧) على التمام والقائم بأمره^(٨). ولقد كان الحسن المظلي^(٩) عندهم في أعلى طبقة من الفقه والتفقه لقيامه على مسبغ الجزولي بخزانة القرويين، زعموا أنها بخط أبي علي الحسن المذكور^(١٠)، وهي مشحونة بالتصنيف^(١١) ثممي البصر والبصائر. نور الله قلوبنا وعمر ألسنتنا بشكره ووفقنا لما فيه رضاء عنا.

- كسب الوشريسي تعليقاً على كتاب «مثل الطريقة في ذم الوثيقة» للسان الدين ابن الخطيب (راجع نفع الطيب ٦: ٢٧٣، السطر السادس من أسفل) فقال - والذم في هذا التعليق للمؤلفين^(١٢) لا للسان الدين - (نفع الطيب ٦: ٢٧٨):

-
- = يَتَمَوَّنُ بالجزولي التصوف وبأبي الحسن الصغير (وهو ليس من الفقهاء الكبار) ثم يهلون قتيماً فذاً مثل ابن عرفة.
- (١) يكثر طلب الناس لكسب الجزولي وكسب أبي الحسن الصغير حتى لا يجد بعض الطلبة ورقة من كسب هذين (مع كثرة كسب هذين) يقرأ فيها.
- (٢) بحيث ذكر (في كل ورقة من كتاب ذكر فيها شيء عن الجزولي وأبي الحسن الصغير).
- (٣) (التمن) المحف (الباهظ، المرتفع والذي يكلف الفرد ما لا يطيق).
- (٤) يبدو أن «المسبغ» هذا كتاب للجزولي أو كتاب فيه، ولم أعثر عليه فيما لدي من المراجع.
- (٥) اليمحدي لقب لفر معروفين (راجع تاج العروس - الكويت ٨: ٤٥). ولم أعثر على هذا المذكور هنا.
- (٦) أبو الحسن (الصغير؟).
- (٧) إمام دار الهجرة (المدينة) هو مالك بن أنس.
- (٨) القائم بأمره: البارع في فهمه وشرحه. - ومن الواضح أن الوشريسي ينهكم بأولئك الذين يتمَوَّنون بكسب الجزولي وكسب أبي الحسن الصغير.
- (٩) الحسن المظلي (٩).
- (١٠) الحسن المظلي.
- (١١) التصحيح: تبديل الأحرف في الكلمة الواحدة أو اختلاف النقط في الأحرف.
- (١٢) المؤنق: من يؤنق العقود (الاتفاقات) بالطرق الرسمية (الكاتب العدل).

الحمد لله. جامع^(١) هذا الكتاب المقيّد هذا^(٢) بأوّل ورقة منه قد كدّ^(٣) نفسه في شيء لا يعني الأفاضل^(٤)، ولا يعودّ عليه في القيامة ولا في الدنيا بطائل^(٥). وأفنى طائفة^(٦) من نفيس عمره في التّلاس مساوئ طائفة^(٧) بهم تّستباح الفروج^(٨)، وتُملك مُشيدات الدور والبروج^(٩)، وجعلهم أضحوكة لذوي الفتنك والمجانة^(١٠)، وأترع عنهم جلباب الصدق والديانة. سامحه الله تعالى وغفر له. قال ذلك وخطّه بيمنى يديه عبيد ربّه أحمد بن يحيى بن محمد بن عليّ الوُشَريسيّ، خار الله سبحانه له

- ٤- إضاعة الملّك في الردّ على من أفتى بتضمين الراعي المشترك، فاس....
- أسنى التاجر^(١١) في أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر، وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر (نشره م. ي. مولر في «مقالات في تاريخ العرب المغاربة»، ٤١-٤٣)، منش ١٨٦٦ م.
- غنية المعاصر والتالي على وثائق الفشتالي (بهامش «وثائق الفشتالي»)، فاس بلا تاريخ (سركيس ١٤٥٣).
- المنهج الفائق والمنهل الوثائق^(١٢) في أحكام الوثائق، فاس ١٢٩٨ هـ.
- المعيار المغرب والجامع المغرب^(١٣) عن فتاوى أهل إفريقيا^(١٤) والأندلس والمغرب، فاس ١٣١٤-١٣١٥ هـ (نشره برونو وده مونيون)، الرباط (معهد الدراسات العليا المغربية)

- (١) جامع هذا الكتاب (مؤلف كتاب «مثل الطريقة...»): لسان الدين بن الخطيب.
- (٢) المقيّد هذا بأوّل ورقة منه (الكتاب الذي دوّنت هذه الملاحظة على الصفحة الأولى منه).
- (٣) كدّ: أتمب.
- (٤) شيء لا يعني الأفاضل: لا يهتمّ به كبار العلماء.
- (٥) طائل: فائدة.
- (٦) طائفة (هنا): مدّة.
- (٧) طائفة (هنا): جماعة.
- (٨) يجلّون زواج اللواتي لا يحلّ الزواج بهنّ.
- (٩) البرج: البناء العظيم، القصر.
- (١٠) الفتنك (هنا): الاندفاع في الأعمال اندفاعاً لا وازع أخلاقياً أو اجتماعياً فيها، اتباع رغبات النفس بلا مبالاة بلوم أو بحفاظ على الصحة مثلاً. المجانة (المجون): قلّة الحياء في القول والعمل، مزج الجدّ بالهزل.
- (١١) في بروكلن: «التاجر».
- (١٢) لعلّها «الرائق».
- (١٣) لعلّها «العرب» (بالعين المهملة).
- (١٤) إفريقية = تونس.

- ١٩٣٧م؛ (بإشراف محمد حجّي)، الرباط (وزارة الأوقاف والشؤون الدينية)، بيروت - أثينا (دار الغرب الإسلامي) ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م.
- نوازل^(١) الميبار (مستخرجة من «الميار»)، فاس (المطبعة الشافعة) ١٣١٥ هـ.
- جامعة الميبار، فاس ١٣١٤ - ١٣١٥ هـ^(٢).
- *** تعريف الخلف ١: ٥٨ - ٥٩؛ فهرس أحد النجور (تحقيق محمد حجّي - الرباط ١٩٧٦ م)، ص ١٥٠. البستان لابن مريم ٥٣ - ٥٤؛ نيل الابتهاج ٨٧ - ٨٨ (طبعة فاس ٧٤)؛ جذوة الاقتباس ٨١ (الرباط ١٩٧٣ م، ١: ٥٦ - ٥٧)؛ درة المجال ١: ٤٣، رقم ١٣٠ (تونس ١٩٧٠ م)؛ ١: ٩١ - ٩٢؛ شجرة النور الزكية ١: ٣٧٤ - ٣٧٥؛ فهرس الفهارس للكتّاني ٢: ٤٣٨ - ٤٣٩؛ الاستقصا (الدار البيضاء) ٤: ١٦٥؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ٤: ١١٣١؛ بروكلمن ٢: ٣٢٠، الملحق ٢: ٣٤٨؛ سيركيس ١٩٢٣ - ١٩٢٤؛ الأعلام للزركلي ١: ٢٥٥ - ٢٥٦ (١: ٣٦٩ - ٣٧٠)؛ ولوداد القاضي (الجامعة الأميركية بيروت) دراسة في أربع وأربعين صفحة (على السنانسل) لا أعلم إذا كانت قد طبعت بالحروف.

ابن غازي^(٣) المكناسي

١- هو شيخ الجماعة الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن غازي المكناسي ثم الفاسي، وُلِدَ في مكناسة الزيتون، سنة ٨٤١ (١٤٣٧-١٤٣٨ م) وتلقّى العلم فيها ثم انتقل إلى فاس (سنة ٨٥٨ هـ = ١٤٥٤ م) فتابع فيها تلقّي العلم. ومن شيوخه النيجي والقوري.

ولّى ابن غازي الخطابة في مكناسة ثم في فاس الجديدة. ثم تولّى الإمامة والخطابة في جامع القرويين، وتصدّر فيه للتدريس أيضاً. وفي أثناء ذلك كلّه كان يُرابط

(١) النوازل.....

(٢) في سيركيس: جامعة الميبار - الميبار - نوازل الميبار (أرقامها ٢، ٤، ٦).

(٣) غاز اسم فاعل من غزا، فهو أسم منقوص ترجع إليه الياء إذا حُلّي باللام أو أضيف (الغازي، غازي المدوّ). أما إثبات الياء في أسماء الأعلام المنقوصة، نحو: غازي، سامي، ناجي، ثم شوقي، بدري إلخ، فصيغة تركية.

وُجَّارِب^(١). وكانت وفاته في فاس في تاسع جُمادى الأولى من سنة ٩١٩
(١٦/٧/١٥١٣ م).

٢- كان ابن غاز المكناسي مُقرئاً بارعاً في معرفة قراءات القرآن الكريم عارفاً
بوجوهها واسع العلم بالتفسير حافظاً للحديث واقفاً على أحوال رجاله (رُواته) وطبقاتهم
(مكاتبهم وتراجيمهم) عالماً بالفقه مُجيداً للعربية (النحو) حسن المعرفة بالتاريخ والسير
(التراجم) والمغازي والأدب والعروض والحساب والفرائض (تقسيم الإرث).

وكان ابن غاز مُصنفاً مُكثرأ له: تفصيل الدرر (في قراءة القرآن) - إنشاد الشريد
في ضوأل القصيد (في رسم القرآن؟) - نظم قراءة نافع - حاشية لطيفة (مختصرة) على
البُخاري - إرشاد اللبيب إلى مقاصد حديث الحبيب (رسول الله) - الفهرسة المباركة
(في المُحدثين ومصنفاتهم) - التعلل برسم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد
(فهرست شيوخه؟ أُنمها في رَجَب ٨٩٦) - الروضُ المَهْتُون في أخبار مكناسة الزيتون
(إلى سنة ٩١٩) - مَنِيَّة الحُساب (منظومة في الحساب) - بُغْيَة (غنية) الطلاب في علم
الحساب (شرح « مَنِيَّة الحُساب ») - ذيل على القصيدة الخرزجية (في العروض) - عروض
القصيد والدويّيت - نظم مراحل الحجاز - شرح نظم مراحل الحجاز - إمداد بحر
القصيد ببحر أهل التوليد وأناس الأَقْعَاد (?) والتجريد بجنسها من الشريد - المجالس
المكناسية. ثم له مُصنّفاتٌ في الفقه، منها: شفاء الغليل في حلِّ مُقْعَلِ خليل^(١) - منظومة
في مُشكلات الرسالة (لابن أبي زيد القيرواني؟) - منظومة في نظائر رسالة
القيرواني - المسائل الحسان المرفوعة إلى حَبْرِ فاس وتِلْصان - الجامعُ المستوفي بمجدول
الحوفي - المُطلب الكَلْبِي في محادثة الإمام القلي - كَلْبِيَّاتٌ فقهية على مذهب المالكية.

٣- مختارات من آثاره:

- قال ابن غاز في الشكوى من مكناسة:

★ طَلَقْتُ مِكناسَةً ثَلانِثاً، والشرعُ يَأْبَى الرجوعَ فيه^(٢).

(١) المراجعة: السكى على أطراف البلاد الإسلامية لدفاع الأعداء عنها تطوعاً وتعبداً (للجهاد).

(٢) في الشرع الإسلامي يجوز للزوج أن يطلق امرأته مرتين ثم يستردها مرتين أيضاً. فإذا طلقها مرةً ثالثة فلا يجوز له أن يستردها، إلا إذا تزوجها رجل ثم طلقها اختياراً من عند نفسه.

ليست بدارٍ سوى لقاضٍ
 * أقمْتُ بمكناسٍ مُدَّةً
 فلقمنا تَوَهَّمَهُ بعضهم
 أو عاملِ الجَوْرِ أو سفِه^(١)!
 أَعْلَمُ أبناءَها ما الكلامُ
 عليَّ بهِ بَخِلُوا، والسلامُ^(٢)!
 - وَيُنْسَبُ إِلَيْهِ لُغَزٌ فِي « الْقَلَمِ »:

وَمَيَّتَ قَبْرِ طُعْمُهُ عِنْدَ رَأْسِهِ، إِذَا ذَاقَ مِنْ ذَاكَ الطَّعَامِ تَكَلَّمَا^(٣).
 يَقُومُ فَيَمْشِي صَامِتاً مُتَكَلِّماً، وَيَأْوِي إِلَى الرَّصَنِ الَّذِي مِنْهُ قُومًا^(٤).
 فَلَا هُوَ حَيٌّ يَسْتَحِقُّ زِيَارَةً وَلَا هُوَ مَيَّتٌ (مِنْكَ) يَرْجُو تَرْحَمًا^(٥).
 - وَقَالَ ابْنُ غَازِي (النَّبُوغَ الْمَغْرِبِي ٨١٨):

عَجِبْتُ لِمُبْتَاعِ الضَّلَالَةِ بِالْهَدَى؛ وَلِلْمُشْتَرِي دُنْيَاهُ بِالْدِينِ أَعْجَبُ.
 وَأَعْجَبُ مَنْ هَدَيْنِ مَنْ بَاعَ دِينَهُ بِدُنْيَا سِوَاهُ، فَهُوَ أَخْزَى وَأَخْيَبُ.

٤- الروض المhton، فاس (طبع حجر) ١٣١٦، ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م).

- بغية الطلاب، فاس (طبع حجر) ١٣١٧، ١٣١٩ هـ.

- كليات قفيمية، فاس (طبع حجر) بلا تاريخ.

* نيل الانتباه ٣٣٣-٣٣٤؛ أزهار الرياض ٣: ٦٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٧٣؛

بروكلمن ٢: ٢١١، الملحق ٢: ٣٣٧-٣٣٨، راجع ١: ٥٢٣، السطر الثامن من أسفل؛

النَّبُوغَ الْمَغْرِبِي ٢٠٨-٢٠٩؛ الأدب المغربي ٢١٦-٢١٧، ٢٨٨-٢٨٩، ٢٩١، ٤٠٢؛

مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٢٨: ٤٣٩؛ سركيس ١٩٥؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢٣٢

(٥: ٣٣٦)؛ معجم المؤلفين ٩: ١٦.

(١) تصلح داراً لقاضٍ (لكثرة اختلاف الناس فيها فتطو مكائنه وتكثر مغانه!) عامل الجور (الظلم). العامل

(في المشرق): الذي يبيح أموال الدولة. العامل (في المغرب): الوالي، الحاكم. السفه (في الأصل):

المسرف في الإنفاق على ما لا حاجة في المادة إليه. والسبه أيضاً: الذي لا يتأدب مع الناس.

(٢) لما ظنَّ نفر منهم أنهم أصبحوا قادرين على صوغ الكلام ترفعوا عن محادثته.

(٣) مَيَّتَ قبر (كان القلم يوضع عادة في علبه مستطيلة تشبه اثابوت). الطعم (بالضم): الطعام. عند رأسه

(يوضع القلم أحياناً، في أثناء الكتابة، على طرف الحبرة. والخبر في الحبرة طعام للقلم أو شراب!). فإذا

أخذ القلم شيئاً من الخبر كتب به، فكأنه يتكلم (يعبر عن المقاصد).

(٤) «قوم» ليس (بهذا المعنى) في القاموس. يقصد: أقام (أنهض).

(٥) في الأصل «ميت فبرجو».

محمّد بن العربي العقيليّ

١- هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله العربيّ العقيليّ، لا نعرف من أحداث حياته إلا أنّه كان، فيما يبدو، كاتباً للإرشاء في غرناطة في أيام آخر سلاطينها أبي عبد الله محمد بن عليّ - في ولايته الثانية من سنة ٨٩٢ إلى سنة ٨٩٧ للهجرة - وأنّه كتب رسالة على لسان سلطان غرناطة يستجد فيها بالسلطان المريني في فاس، وهو محمد بن محمد المعروف بالشيخ الوطاسيّ أو البرتغاليّ (٨٧٥-٩٣١ هـ). وقد كانت وفاة محمد بن العربيّ في القرن العاشر، ولعلّها كانت سنة ٩٢٨ للهجرة (١٥٢٢ م).

٢- محمد بن العربيّ العقيليّ هو الفقيه والكاتب المجيد البارع البليغ (نفع الطيب ٥٢٩)، بقي لنا من إنشائه رسالة طويلة من نحو عشرين صفحة يمزج فيها الشعر بالنثر، وقد كتبها على لسان آخر ملوك غرناطة إلى سلطان بني مرين في فاس محمد بن محمد المعروف بالشيخ الوطاسيّ. والمفروض أنّه قد كتب هذه الرسالة في سنة ٨٩٧ للهجرة، قبيل خروج العرب من الأندلس.

تبدأ هذه الرسالة بقصيدة لمحمد بن العربيّ العقيليّ نفسه يعارض فيها ميمية البوصيريّ «أين تذكر جيران بني سلم...؟» ونثر محمد العقيليّ أحسن من شعره معاني وأمتن تركيباً. وهو كثير الاستشهاد بآيات من القرآن الكريم وبالأمثال. وفي شعره نلمح محاكاة لعدد من الشعراء كالنابغة وكعب بن زهير وأبي تمام والمتنبي وابن عبدون وغيرهم. والسجع في نثره كثير، وكذلك الصنعة المعنوية والصنعة اللفظية.

٣- مختارات من آثاره

- لأبي عبد الله محمد بن عبد الله العربيّ العقيليّ موشحة منها:

هل يصحّ الأمان من شبيه البذر،
وهو مثل الزمان منتمٍ للفذر!^(١)

★ ★ ★

(١) منتم: منسوب، قريب (الفذر).

لَمْ يَغُرَّ الْأَغَرَّ غَيْرَ غَمْرِ جَاهِلٍ،
عَيْشُهُ الْحَلْوُ مُرٌّ وَهُوَ فِيهِ نَاهِلٌ.
وَالصَّبَا الْفَضُّ مَرٌّ وَهُوَ عَنْهُ ذَاهِلٌ.
مَرَشَتْهُ الْبَهْرَمَانُ فَوْقَ ثَغْرِ السَّيْدْرِ
مُطْمِئِنٌّ لِلْأَمَانِ بِاقْتِرَابِ الدَّرِّ (١).

- لَمَّا شَدَّ الْإِسْبَانُ الْحَصَارَ عَلَى غَرْنَاطَةَ وَكَانُوا كَثِيرًا مَا يَقْرَعُونَ الطُّبُولَ وَيَنْفَخُونَ
بِالنَّفِيرِ إِرْهَابًا لِلْمُسْلِمِينَ وَإِضْعَاقًا لِنَفْسِهِمْ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْعَرَبِيُّ الْعَقِيلِيُّ:

بِالطُّبُولِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَبِالنَّفْسِ نُرَاعُ.
وَلَيْسَ مِنْ بَعْدِ هَذَا وَذَلِكَ إِلَّا الْقِرَاعُ (٢).
يَا رَبِّ، جِبْرَكَ يَرْجُو مِنْ هَيْضَ مِنْهُ الذَّرَاعُ (٣)؛
لَا تَلْبُئِنِّي صَمِيرًا مِنْهُ لِقْلِي آدِرَاعُ (٤)!

- وَلَأَيُّ عَبْدِ اللَّهِ الْعَرَبِيِّ الْعَقِيلِيِّ قَصِيدَةٌ فِي اللَّهْوِ نَخْتَارُ مِنْهَا هُنَا عِدَدًا مِنَ الْآيَاتِ
الَّتِي تَسْتَقِيمُ عَلَى السَّرْدِ:

وَالْعُدُوْ ذُو دَبْدَبَةٍ يَطْبِي آثَارَهَا لِلطَّارِ دَبْدَابُ (٥).
وَفُضْ لِلَّهِوْ خِتَامٌ، وَلَمْ يُدِّ فِي وَجْهِ الْهَوَى بَابُ.

(١) الْأَغَرُّ: الشَّخْصُ الْأَعْوَى عَلَى التَّخِيرِ بِالنَّاسِ. الْغَمْرُ: الْقَلِيلُ التَّجَرُّبَةِ وَالْعِلْمِ. نَاهِلٌ: شَارِبٌ. ذَاهِلٌ:
غَافِلٌ. الْبَهْرَمَانُ: اللَّوْنُ الْأَصْفَرُ (وَلَا مَعْنَى لَهَا هُنَا). الدَّرُّ (بِالضَّمِّ): الْوُلُوْ (ثَغْرُ الدَّرِّ: الْفَمُ الَّذِي فِيهِ
أَسْنَانُ كَالْوُلُوْ، كِتَابَةٌ عَنِ النَّبَابِ وَالْجَهَالِ). الدَّرُّ (بِالْفَتْحِ): اللَّبَنُ سَاعَةً يَحْلِبُ. اقْتِرَابُ الدَّرِّ: بُلُوْغُ
الْأَمَانِ.

(٢) الْقِرَاعُ: الْقِتَالُ.

(٣) يَا رَبِّ، إِنْ الَّذِي كَسَرَتْ ذِرَاعَهُ (أَصِيبَ بِمَصِيبَةٍ) لَا يَرْجُو جِبْرَهَا (إِصْلَاحَهَا) إِلَّا مِنْكَ.

(٤) - لَا يَدْفَعُ عَنِّي هَذَا الْعُدُوْ إِلَّا الصَّبْرُ (فَالصَّبْرُ وَحْدَهُ هُوَ دَرْعِي فِي هَذِهِ الْحَرْبِ).

(٥) الدَّبْدَبَةُ: كُلُّ صَوْتٍ (عَلَى نَسَقٍ مَعِيْنٍ) كَوَقْعِ الْحَافِزِ عَلَى الْأَرْضِ الصَّلْبَةِ (الْقَامُوسُ ١: ٦٥). أَطَى الْقَوْمُ
فَلَانًا: تَقَرَّبُوا إِلَيْهِ ثُمَّ اغْتَالَوْهُ (قَتَلُوهُ). وَالتَّاعَرُ يَقْضَدُ: طَبَّاهُ وَأَطْبَاهُ (مَنْ طَبَّى يَطْبِي) دَعَا الشَّيْءَ إِلَيْهِ أَوْ
صَرَفَهُ عَنْ نَفْسِهِ. الطَّارُ: الدَّفْعُ (بِضَمِّ الْفَاءِ). الدَّبْدَابُ: الطَّبْلُ. (يَصِفُ التَّاعَرُ هُنَا تَجَاوُبَ الْأَلَاتِ
الْمُوسِيقِيَّةِ).

وَكُلَّ إِنْسَانٍ وَمَا يَشْتَهِي، لَيْسَ عَلَى مُنَاهُ حُجَابٌ
مُنْتَرِيلاً لَيْسَ لَهُ عُذْلٌ، كَلَّا وَلَا عَلَيْهِ رَقَابٌ.

- ولما اشتدَّ الحصارُ على غَرَنَاطَةِ اللِّغَايَةِ طَلَّبَ سُلْطَانُ غَرَنَاطَةِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٌ (٨٨٧-٨٩٠ م ٨٩٢-٨٩٧ هـ) مِنْ كَاتِبِهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَرَبِيِّ الْعَقِيلِيِّ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى سُلْطَانِ فَاسٍ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْمَعْرُوفِ بِالشَّيْخِ الْوُطَّاسِيِّ (٨٧٦-٩٣١) مِنْ آلِ مَرَيْنٍ رِسَالَةً يَسْتَنْجِدُ بِهِ فِيهَا. فَكَتَبَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْعَقِيلِيُّ رِسَالَةً طَوِيلَةً بِدَافِعِهَا بِقَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ (مِائَةٌ وَثَلَاثِينَ بَيْتًا) عَارِضَ بِهَا قَصِيدَةَ الْبُوصَيْرِيِّ «أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بِذِي سَلَمٍ». وَلَكِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ ضَعِيفَةٌ جِدًّا. ثُمَّ تَلَّى الرِّسَالَةَ، وَفِي ثَنَائِهَا هُنَا وَهُنَا أَيْبَاتٌ مِنَ الشِّعْرِ لِنَفَرٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ تَنَاسَبُ مَعَانِي الرِّسَالَةِ. وَالرِّسَالَةُ فِي مَجْمُوعِهَا مَدِيحٌ لِسُلْطَانِ فَاسٍ وَاسْتِعْطَافٌ وَطَلَبٌ بِأَنْ يَسْمَحَ سُلْطَانُ فَاسٍ لِسُلْطَانِ غَرَنَاطَةِ بِأَنْ يَأْتِيَ إِلَى الْمَغْرِبِ لَا جُنَاءً. وَفِي مَا يَلِي أَيْبَاتَ مِنَ الْقَصِيدَةِ وَمَقَاطِعُ مِنَ الرِّسَالَةِ:

مَوْلَى الْمُلُوكِ مُلُوكِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ،	رُعِيًّا لَهَا مِثْلُهُ يُرْعَى مِنَ الذَّمِّ.
بِكَ اسْتَجَرْنَا - وَنِعْمَ الْجَارُ أَنْتَ لِمَنْ	جَارُ الزَّمَانِ عَلَيْهِ جَوْرٌ مُنْتَقِمٌ.
حَتَّى غَدَا مُلْكُهُ بِالرُّغْمِ مُسْتَلْبًا؛	وَأَفْطَحَ الْخَطْبُ مَا يَأْتِي عَلَى الرُّغْمِ -.
حُكْمٌ مِنَ اللَّهِ حَتْمٌ لَا مَرَدٍّ لَهُ،	وَهَلْ مَرَدُّ لِحُكْمٍ مِنْهُ مُنْخَتِمٌ.
وَهِيَ اللَّيَالِي - وَقَاكَ اللَّهُ صَوْتَهَا -	تَصُولُ حَتَّى عَلَى الْأَسَادِ فِي الْأَجَمِ ^(١) .
كُنَّا مُلُوكًا لَنَا فِي أَرْضِنَا دَوْلٌ	نَمْنَا بِهَا تَحْتَ أَفْيَاءٍ مِنَ النِّعَمِ
فَأَيْقَظْتَنَا سِهَامٌ لِلرَّدَى صَيِّبٌ	يُرْمِي بِأَفْجَعِ حَتْفٍ مِنْ بَيْنِ رُمَى!
فَصِيلٌ أَوْاصِرٌ قَدْ كَانَتْ لَنَا اشْتَبَكَتْ،	فَالْمُلْكُ بَيْنَ مُلُوكِ الْأَرْضِ كَالرَّجَمِ ^(٢) .
وَابْطُ لَنَا الْخُلُقَ الْمَرْجُوَّ بَاسْطُهُ،	وَاعْطِفْ وَلَا تَتَحَرَفْ، وَاعْذُرْ وَلَا تَلُمْ.
وَلَا تَعَاتِبْ عَلَى أَشْيَاءٍ. قَدْ قُدِّرَتْ	وَحُطَّتْ مَسْطُورُهَا فِي اللَّوْحِ بِالْقَلَمِ ^(٣)

(١) تصول: تهجم، تشدد، تغلب. الأجمة: المكان المملوء بالنجر. الأساد في الأجم: في أماكنها (وتكون هالك قوة).

(٢) الأواصر: الصلات. الرحم: القراية.

(٣) - قد قضاه الله علينا منذ الأزل (لما كتبها عنده في اللوح المحفوظ).

بنو مَرَيْنَ لِيُوثَ فِي الْعَرِينِ أَبَوَا رُؤْيَا قَرِينٍ لَهُمْ فِي الْبَاسِ وَالْكَرَمِ^(١)،
النَّازِلِينَ مِنَ الْبَيْضَاءِ وَنَطَّ حَتَّى أَحْمَى مِنَ الْأَبْلَقِ السَّامِيِّ وَمِنْ إِرَمَ^(٢).
نُضِيءُ أَرَاؤُهُمْ فِي كُلِّ مُفْضِلَةٍ إِضَاءَةَ الشَّرَجِ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلُمِ
يَرَوْنَ حَقًّا عَلَيْهِمْ حِفْظَ جَارِهِمْ، فَلَمْ يُضِرْ نَازِلٌ فِيهِمْ وَلَمْ يُضَمَّ^(٣).....

.... فيا مولانا الذي أولانا من النعم ما أولانا، لا حطَّ الله تعالى لكم مِنَ الْعِرِّ رَوَاقًا وَلَا أَذْوِي لَدَوْحَةٍ دَوْلَتِكُمْ أَغْصَانًا وَلَا أَوْرَاقًا^(٤)، ولا زالت مُحْضَرَّةُ الْعُودِ مَبْحَةً عَنْ زَهْرَاتِ الْبِشَائِرِ مُتَّحِفَةً بِشِمَرَاتِ السُّعُودِ مَمْطُورَةً بِسَحَابِ الْبَرَكَاتِ الْمُنْدَارِكَاتِ دُونَ بَرْقٍ وَلَا رُعُودٍ. هذا مقامُ الْعَائِدِ بِمَقَامِكُمْ الْمُتَمَلِّقِ بِأَسْبَابِ زِمَامِكُمْ^(٥) الْمُتَرْجِي لِعَوَاطِفِ قُلُوبِكُمْ الْمُقْبِلِ الْأَرْضَ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ الْمُتَلَجِّجِ اللَّسَانَ عِنْدَ مُحَاوَلَةِ مِفْتَاحَةِ كَلَامِكُمْ. وما الذي يَقُولُ مَنْ وَجْهُهُ خَجَلٌ وَقَوَادُهُ وَجَلٌ وَقَضِيَّتُهُ الْمُقْضِيَّةُ عَنِ التَّنَصُّلِ تَجَلَّ^(٦). يَبْدُ أَنِّي أَقُولُ لَكُمْ مَا أَقُولُهُ لِرَبِّي - وَأَجْتَرَأِي عَلَيْهِ أَكْثَرَ وَاحْتِرَامِي لَهُ أَكْبَرُ - اللَّهُمَّ، لَا بَرِيءَ فَأَعْتَذِرُ، وَلَا قَوِيَّ فَأَتَصَرَّ، وَلَكِنِّي مُسْتَقِيلٌ مُسْتَنِيْلٌ مُسْتَعْتَبٌ مُسْتَغْفِرٌ^(٧)؛ وما أُبْرِيءُ نَفْسِي، إِنَّ النَّفْسَ لِأَمَارَةٌ بِالسُّوءِ^(٨).....

وما لي والتكلفُ لِيَا لَا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْقَوْلِ..... وَالْمَوْلَى يَعْلَمُ أَنَّ الدُّنْيَا تَلْعَبُ

- (١) بنو مَرَيْنَ: سلاطين المغرب. أَبَوَا: رفضوا. قَرِين: مثيل، نظير. الْبَاسُ: القوة.
- (٢) الْبَيْضَاءُ: مدينة فاس (الجديدة) عاصمة المرينيين. الْحَمَى: ما تحب حمايته. أَحْمَى (صفة خطأ): أكثر منعة. الْأَبْلَقُ: حصن كان للسؤال. إِرَمَ: مدينة قبل كانت قائمة في صحراء اليمن ومبنيّة بالحديد والنحاس.
- (٣) لم يضر نازل (لم يصب ساكن عندهم بضرر) ولم يضم (لم يلحقه ضم: ظلم).
- (٤) الرواق: مقدّم البيت. لا حطَّ الله لكم في الْعِرِّ رَوَاقًا: لا رال يبتكم عالياً عزيزاً شريفاً قوياً. الدوحة: الشجرة الكبيرة.
- (٥) الْعَائِدُ: اللاجئ. الزمام: الرباط.
- (٦) وَجَلَّ: خائف. تَجَلَّ (فعل مضارع): نعلم، نكبر.
- (٧) لَا بَرِيءَ فَأَعْتَذِرُ: لست بريئاً (من أقوالِي السَّيئةِ فبك والتي نقلت إليك) حتّى أَعْتَذِرَ مِنْهَا (أنفِها عن نفسي). وَلَا أَنَا قَوِيٌّ فَأَتَصَرَّ (أدفع عن نفسي بنفسي في وجه خصمي). مُسْتَقِيلٌ (تائب عما قلته) مُسْتَنِيْلٌ (طالب نوالك: عطائك، إحسانك) مُسْتَعْتَبٌ (طالب العتي: الرضا، رضاك) مُسْتَغْفِرٌ (طالب الصفح عن ذنبي).
- (٨) الْفَرَانُ الْكَرِيمُ ١٢: ٥٣، سورة يوسف.

باللاعب وتجربُ براحتها إلى المتاعب. وقديماً للأكياس من الناس خَدَعَتْ، والمحرفُ
عن وصالهم أَغْفَلَ ما كانوا وَقَطَعَتْ^(١)....

وأبيها، لقد أَرْهَقْتُنَا إِرْهَاقاً وَجَرَعْتُنَا مِنْ صَابِ الْأَوْصَابِ كَأْساً دِهَاقاً^(٢)، ولم نَفْرَغْ
إِلَى غَيْرِ بَابِكُمُ الْمَسِيحِ الْجَنَابِ الْمُنْتَحِ حِينَ سُدَّتِ الْأَبْوَابِ. ولم نَلْبَسْ غَيْرَ نَمَائِكُمْ حِينَ
خَلَعْنَا مَا أَلْبَسَنَا الْمَلِكُ مِنَ الْأَثْوَابِ...

ولقد عَرَضَ عَلَيْنَا صَاحِبُ قِتَالَةٍ مَوَاضِعَ مُعْتَبَرَةٍ خَيْرَ فِيهَا^(٣) وأعطى من أمانة
المؤكِّدِ فِيهِ خَطُّهُ بِأَيَّامِهِ مَا يُقْبَعُ النُّفُوسَ وَيَكْفِيهَا^(٤). فلم نَرِ -وَحْنٍ مِنْ سُلَالَةِ
الْأَحْرِ- مَجَاوِرَةَ الصُّفْرِ^(٥)، وَلَا سَوْغَ لَنَا الْإِيمَانَ الْإِقَامَةَ بَيْنَ ظَهْرَانِي الْكُفْرِ.....
وَوَصَلْتُ أَيْضاً مِنَ الشَّرْقِ إِلَيْنَا كُتُبُ كَرِيمَةِ الْمُقْصِدِ لَدُنَا تَسْتَدْعِي الْأَحْيَارَ إِلَى تِلْكَ
الْجَنَابِ وَتَتَضَمَّنُ مَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ مِنَ الرَّغَبَاتِ. فَلَنْ نَخْتَرُ إِلَّا دَارَنَا الَّتِي كَانَتْ دَارَ
آبَائِنَا مِنْ قَبْلِنَا، وَلَمْ نَرْتَضِ الْأَنْضَوَاءَ إِلَّا لِمَنْ بَحَلَهُ وَصَلَّنَا حَبْلَنَا... امْتِثَالاً لَوْصَاةِ
أَجْدَادٍ لِأَنْظَارِهِمْ وَأَقْدَارِهِمْ أَصَالَةً وَجَلَالَةً^(٦)، إِذْ قَدْ رَوَيْنَا عَنْ سَلَفٍ مِنْ أَسْلَافِنَا فِي
الْإِبْصَاءِ لِمَنْ يَخْلُفُ بَعْدَهُمْ مِنْ أَخْلَافِنَا أَلَّا يَتَّبِعُوا إِذَا دَهَمَهُمْ دَاهِمٌ بِالْحَضَرَةِ الْمَرْنِيَّةِ بَدَلاً
وَلَا يَجِدُوا عَنْ طَرِيقِهَا فِي التَّوَجُّهِ إِلَى فَرِيقِهَا مَعْدِلاً^(٧). فَاخْتَرَقْنَا إِلَى الرِّيَاضِ الْأَرِيضَةِ

(١) براحتها (تورية): بيدها أو بالراحة (ضد التعب) التي يجدها الإنسان فيها (في الدنيا) أحياناً. الأكياس جمع كيس (بالكسر: الوعاء الذي توضع فيه الأشياء). والكيس (بشديد الياء المكسورة: العاقل والجمع كيسو يفتح الكاف وسكون الياء (القاموس ٢: ٢٤٨). أغفل ما كانوا (في قام عقلمهم)= رجاحة العقل وطول التفكير لا يمكن أن يتغلنا على مصائب الدنيا.

(٢) وأبيها: أقم بأبي الدنيا، أقم بالدنيا. الرق: تحميل الإنسان ما يطيق. الصاب: المر (بضم الميم). الوصب (يفتح ففتح وجهها أوصاب): الألم، المرض. دهاق: ملوه.

(٣) صاحب (ملك) قتالة: الملك فرديناند.

(٤) مخطَّه (مخطَّ يده): كتابة. الأتيان جمع عين: القسم.

(٥) من سلاسل (نسل) الأحمر (جد بني الأحمر ملوك غرناطة) مجاورة (جوار) الصفر الإفرنج (بنو الأصفري: الروم، اليونان).

(٦) نرتضي= نرضى. الانضواء: الالتجاء. وصلنا بحبله حبلىنا: عقدنا معه صلات وعلاقات بإرادتنا. الوصاة (يفتح الواو): الوصية، النصيحة، الأمر. الأنظار جمع نظر: رأي. القدر: المكانة والمقام. أصالة: جودة رأي.

(٧) دهمهم داهم: نزل بهم أمر مفاجئ. الحضرة المرنية= عاصمة بني مرين، أرض بني مرين. الفرين: الحرب، الجماعة (بالإضافة إلى كل فريق آخر). المعدل: الميل عن الشيء. -... يجب أن يتوجهوا إلى =

الْفَجَاجَ، وَرَكِبْنَا إِلَى الْبَحْرِ الْفُرَاتِ ظَهَرَ الْبَحْرُ الْأَجَاجُ^(١)، فَلَا غَرَوَ أَنْ نَرَدَ مِنْهُ عَلَى مَا يُقَرُّ الْعَيْنَ وَيُفْهِمُ النَّفْسَ الشَّاكِيَةَ مِنَ أَلَمِ الْبَيْنِ^(٢). وَمَنْ تَوَصَّلَ هَذَا التَّوَصَّلَ وَتَوَسَّلَ هَذَا التَّوَسَّلَ تَطَارَحًا عَلَى سُدَّةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُحَارِبِ لِلْمُحَارِبِينَ وَالْمُؤْمِنَ لِلْمُسْتَأْمِنِينَ فَهُوَ الْحَلِيقُ الْحَقِيقُ بَأَن يُوَوِّغَ أَصْفَى مِثَارِيهِ وَيُلْغَ أَوْفَى مَآرِبِهِ عَلَى تَوَالِي الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ وَالسِّنِينَ.....

٤- ** نفع الطيب ٤ : ٤٢٩-٥٥٣ أزهار الرياض ١ : ٧٢-١٠٣ : الأدب المغربي ٢٩٤-٢٩٥.

إبراهيم الفجيجي

١- هو إبراهيم بن عبد الجبار بن أحمد الشريف الفجيجي (بكسر فكسر- كما صُبطت في « التبوغ المغربي » ٧٧٥)، نسبة إلى فجيج أو فيفق، وهي بلدة في جنوبي الجزائر.

جاء إبراهيم الفجيجي إلى فاس وأخذ العلم عن نفرٍ منهم أبو العباس أحمد بن يحيى الوشريسي (ت ٩١٤ هـ) وأبو عبد الله محمد بن أحمد المكناسي (ت ٩١٩ هـ) والأستاذ الصغير (؟) ثم انتقل إلى تِلْصَانَ وأخذ عن نفرٍ آخرين منهم أبو عبد الله محمد ابن يوسف السنوسي (٨٣٢-٨٩٥ هـ) وأبو عبد الله محمد بن عبد الله التنسي (ت ٨٩٩ هـ).

وفي أواخر القرن الهجري التاسع رَحَلَ الفجيجي إلى المشرق فأخذ العلم في مِصْرَ عن جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) ثم جاء إلى المدينة وفيها الأشموني (ت نحو ٩٠٠ هـ) والسخاوي (ت ٩٠٢ هـ) فأخذ عنهما.

ثم إنَّ الفجيجي عادَ إلى بلدِهِ فاشتغل بالتعليم من غير أن يترك الاستزادة من

= بلاد بني مرين رأياً وألا يبدلوا اتجاههم (أو رأيهم) في أثناء الطريق.

(١) الرياض (الجنائن) الأريضة (الخصبة المزدهرة) الفجاج (جمع فجّ: الأرض الواسعة الفاحشة). الفرات: الحلو. الأجاج: الملح.

(٢) ما يقرّ العين: ما يبرّر. البين: الفراق.

الم. ولكن اضطراب الأحوال حمله على أن يرحل إلى السودان (غربي إفريقيا) حيث بقي مدة عاد بمدّها إلى فجيج حيث توفي نحو سنة ٩٢٠ هـ (١٥١٤ م).

٢- ترك لنا إبراهيم الفجيجي عدداً من المنظومات أشهرها منظومة ذكرها بروكلمن بلفظ: «الفارد في تقييد الشارد وترصيد الوالد» (١) أو روضة السلوان (وهي طردية: في وصف الصيد، صيد الصقور للطيور والفيزلان وغيرها)، وهي قصيدة في مائتين وثلاثة عشر بيتاً من البحر الطويل فيها وصف للبادية والجالس البدو والطبيعة الصحراوية وذكر لأحكام الصيد من الناحية الفقهية (الدينية). غير أن على هذه القصيدة شيئاً من الجفاف لكثرة الألفاظ الفقهية فيها. وللـفـجـجـي أيضاً منظومة سماها «المقيدة» فيها كلام على الديانات وعدد من مسائل الفقه. وله أيضاً عدد من المقطعات الشعرية.

٣- مختارات من شعره

- من الطردية «روضة السلوان»:

يلوموني في الصيد، والصيد جامع لأشياء للإنسان فيها منافع.
فأولها كتب الحلال أتت به نصوص كتاب الله وهي قواطع^(١).
وصحة جسم ثم صحة ناظر، وإحكام إجراء السوابق رابع^(٢)...
وينفي الهوم المهرمات عن الفتى، ويقمع وقد الشيب كيلا يبارع^(٣).
ويورث عند الالتحام شجاعة، وفيه من السر الحقي بدائع:
كذبير أمر الحرب والفتك بالعدا وصيد أسود الإنس، والوحش تابع^(٤).

(١) - في القرآن الكريم (٩: ٣، ٩٩، سورة المائدة) ذكر التحليل للصيد، إلا إذا كان الإنسان مُحَرَّمًا في الحج، فإذا انتهى من أداء شعائر الحج حلّ له الصيد (في خارج الحرمين: نطاق مكة والمدينة).

(٢) أحكام... المرفة بإقامة الباق بين الخيل.....

(٣) المهرم: التي تسرع بالإنسان إلى الهرم. ويقمع (يطلق، يؤخر) محي، الشيب (يحفظ على الإنسان صحته وشبابه). يبارع (حقها النصب).

(٤) صيد أسود الإنس: التعلّب على الشجمان الأقوياء من الأعداء.

بنفسي عفيفاً مُتَرَفّاً ذا نزاهة له في سله الجهد والسعد طالع^(١)،
على هَيْكَلٍ نَهْدٍ وفوق شِالِه وقورٌ من الصُّقور أبيضُ ناصع^(٢).
أخي، هل ترى الأيامَ تَجْمَعُ شَمَلَنَا ونحس على جُرْدِ سِراعِ نُطالِع^(٣)،
لدى كلِّ رَبْوَةٍ وأجْراسُ طَيْرِنا لها زَجَلٌ من فوقنا وقِماع^(٤)؛
فنفضي من السُّلوانِ بعضَ غرامِنا ونَجْني جَنَى اللذاتِ والدهرُ خاضع؟
عَظِيمٌ ثَلاثٍ: رأيه ثم فخذِه ومُسْرَه لِحْزَرٍ ما هو صادع^(٥).
عليه سِياتُ القَتْلِكِ، إمّا نَظَرْتَه أَطَلَّتْ حِواجِيبٌ وغارتِ مدامع^(٦).
طموحٌ كثيرُ الالتفاتِ مُسَلِّطٌ لأَمِّ الثَّلاحِ الدهرُ منه فجائع^(٧).

٤-★★ تعريف الخلف ٢: ٣-١٤ النبوغ الغربي ٧٧٥-١٧٨٤ بروكلمن ٢: ١٧٠، الملحق
٢: ١٦٨ الأعلام للزركلي (١: ٤٥)، الأصالة (مجلة)، الجزائر (النة الثانية،
العدد ١١) ثوال- ذو القعدة ١٣٩٢ (نوفمبر- ديسمبر ١٩٧٢)، ص
١٣٩-١٤٤.

محمود بن عمر أقيت التنبكي

١- هو أبو الشناء وأبو المحاسن محمود بن عُمر بن محمد أقيت^(٨) بن عمر بن علي بن

- (١) في هذا البيت يصف الشاعر صياداً له في سله..... ذو حظٍ سعيد (موفق).
- (٢) هَيْكَل (حصان عظيم الجسم) نَهْد (عالي الكتفين). وقور: هادئ رصين.
- (٣) الجرد (جمع أجرد). حصان قصير الشعر (دلالة على كرم أصله). نطالع: نبعت عن الطرائد.
- (٤) زجل: صوت.
- (٥) هذا البيت وصف للصقر الأصل. النسر: الظفر. جزر: ذبح. صادع (ربّما: صارع).
- (٦) سة: علامة. من محاسن الصقر أن يكون حاجباه بارزين وعينه غائرة.
- (٧) أمّ اللّاح (بضمّ الين) لعلّه يقصد «الحبارى» (وهي كبرة الذرق: القدر يخرج من مؤخرة الطيور).
وصيد الحبارى بالصقور مرغوب فيه لأنّ طير الحبارى كبير الحجم طيب اللحم. الدهر = طول الدهر،
دائماً.. هو بصطاد عدداً كبيراً من الحباري (والحبارى تضلل الصيادين لأنّ لون ريشها كلون التراب).
- (٨) على صفحة الغلاف: تاريخ الفئاش.... للقاضي محمود كمت بن الحاج المتوكل كمت الكرمني التنبكي
الوعكري، ومثل ذلك على الصفحة الناحية. وفي «نيل الابتهاج» (ص ٣٤٣-٣٤٤) محمود بن عمر
أقيت..... وليس للكتاب «تاريخ الفئاش» ذكر. وفي بروكلمن، الملحق ٢: ٧١٦-٧١٧: القاضي =

يحيى الكرمني^(١) الصّهاجيّ الموسوي^(٢)، وُلِدَ سَنَةَ ٨٦٨ للهجرة (١٤٦٣ - ١٤٦٤ م) في تَنْبُكْت. ولما نَعَلِمَ شيئاً من حياته الأولى قَبْلَ أَنْ يَتَوَلَّى القضاة في بلده، سَنَةَ ٩٠٤ للهجرة (١٤٩٨ - ١٤٩٩ م) فَيَسْتَدِّدَ في الأمور وَيَتَوَخَّى العدلَ في الأحكام فيَقْضِعَ أهل الفساد. ومع ذلك، فقد كان، في الوقت نفسه، يقوم بالتدريس، وكان في الغالب يُقْرِئ المَدَوَّنَةَ^(٣) والرسالة (لابن أبي زيد) ومختصر خليل.

وفي سَنَةِ ٩١٥ للهجرة (١٥١٠ م) كان في الحج^(٤)، وقد لَقِيَ في مصر (في أثناء طريقه) نَفَرًا من العلماء. ثم إنه عاد إلى بلاده واستأنف التدريس والقضاء والإصلاح. وطال عُمُرُهُ كثيراً حَتَّى أَلْحَقَ الأبناء بالآباء (علم أناساً ثم عَلَّمَ أبناءهم). وكانت وفاته في سادسَ عَشَرَ رَمَضَانَ من سَنَةِ ٩٥٥ (١٩/١٠/١٥٤٨ م). وخَلَفَهُ في القضاء أولاده الثلاثة: مُحَمَّدٌ والعاقِبُ وعُمَرُ.

٢- كان محمود بن عمر أَيْتَ التَّنْبُكِّي هادئ الطبع قويّ المحافظة ومن فُتُها المالكية عالم بلاد التُّكُرُور وصالحها ومُدْرَسُها وقضيتها وإمامها بلا مُدَافِع. وهو الذي أَدْخَلَ مُخْتَصَرَ خليل والمدونة إلى بلاد السودان. وكذلك كان مُصَنِّفًا له: تَقْيِيدٌ على مختصر خليل. وهو الذي بدأ تأليفَ كِتَابِ «الفتّاش» (أو الفتّاس)^(٥) وعُنوانه على النسخة المطبوعة: «تاريخ الفتّاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس». أمّا على الصفحة الحادية عَشْرَةَ فيبدو هذا العنوانُ أَكْثَرَ تفصيلاً: «تاريخ الفتّاش في أخبار

= محمود كمت... الكرمني التنبكي، وله «تاريخ الفتّاش». ويذكر هوار (تاريخ الأدب العربي، النسخة الانكليزية، ص ٣٩٣) محمود بن عمر هذا ولا يذكر له «تاريخ الفتّاش». غير أن خير الدين الزركلي (الأعلام، الطبعة الثالثة ٥٦: ٨، الطبعة الرابعة ١٧٩: ٧) يذكر محمود بن عمر التنبكي ويذكر له كتاب تاريخ الفتّاش.

- (١) الكرمني نسبة إلى كرم (بالضم أو بالفتح): مقاطعة قريية من تنبكت.
- (٢) صنهاجة (بالكسر) وسوفة (بالفتح) من قبائل البربر.
- (٣) المقصود هنا: المدونة الكبرى لعبد السلام بن سعيد المعروف بسحنون (ت ٢٤٠ هـ) في الفقه المالكي.
- (٤) كان محمود بن عمر في الحج مع الأسكيا (الملك، الشيخ ؟) محمد بن أبي بكر (راجع مطلع «تاريخ الفتّاش» في المختارات من آثاره).
- (٥) الفتّاس (مكان «الفتّاش») راجع ص ١١ و ١٦ (من المقدمة الفرنسية)، وهذا يوافق السجع: تاريخ الفتّاش..... وأكابر الناس.

البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظام الأمور وتفرقي
أنساب المبيد من الأحرار». والمؤلف قد بدأ هذا الكتاب سنة ٩٢٥ للهجرة
(١٥١٩ م). ثم إن حفيده ابن المختار أمته إلى سنة ١٠٧٦ للهجرة (١٦٦٥ م). - ولعل
أحد أولاد المؤلف كان قد وصل بالأحداث إلى سنة ١٠٠٧ للهجرة (١٥٩٩ م)^(١).

وفي كتاب «الفتاش» يختلط التاريخ بالقصص الشعبي وبالخرافات أيضاً. والمؤلف
نفسه يقول إنه كان في هذه الروايات أشياء لا يُصدّقها العقل (ص ٣٤)، مثل صنع بحر
في الصحراء (ص ٣٥)، ومن أن كنتك موسى لما خرج إلى الحج ما مر ببلد (بين
السودان ومصر)، وكان يوم جمعة، إلا بني في ذلك اليوم منجداً في يومه^(٢) (ص
٣٤). ومثل ذلك قصة خراب تُنبكت وإعادة بنائها (ص ١٥٦).

٣- مختارات من آثاره

- من مقدمة كتاب الفتاش:

الحمد لله المنفرد بالملك والملكوت^(٣) والميرة والجبروت والقهر والغلبون والرافة
والرحموت، الملك الديان القادر المتأن^(٤) الذي خلق الأرض والسماء وعلم آدم الأسماء^(٥)
وأخرج من صلبه الملوك والرعاة^(٦)، فينهم متكبرون قايطون ومنهم مقتصدون

(١) تاريخ الفتاش - ص ١٨٤. راجع أيضاً المقدمة العربية، ص ١٨.

(٢) بيتي المسجد في يوم واحد!

(٣) فلولت (يفتح ففتح) وفعلوتا (من الصيغ النادرة في اللغة العربية) يأتي عليها ست كلمات: جبروت،
رحموت، رغبوت، رهوت، قهرت، ملكوت (راجع تاج المروس - الكويت ١٠: ٣٥٦). والمؤلف
(هنا) استعمل «غلبوت» أيضاً. هذه الصيغ تشتمل في اللغة العربية مصادر. ولكن ما الفائدة من
استعمالها مكان المصادر العادية: جبر، رحمة، قهر، ملك، الخ؟ - في القاموس السرياني (اللاب لجبرائيل
الفرداخي، ١: ١٥٨): جبروتا (بجيم معقودة، قريبة من القاف، مفتوحة وبعدها باء ساكنة): الرجولة.
وترد هذه الصيغة السريانية (يفتح ففتح فسكون وواو مضمونة): المعجزة أو الآفة. وأغلب الظن أن
العرب أخذوا هذه الصيغ لما في لفظها من الفخامة والتأثير الغريب.

(٤) الديان: الذي يحكم بين الناس (يوم القيامة). المتأن: المالح (المطحي، الواهب) الكريم.

(٥) «وعلم آدم الأسماء كلها» (الفرآن الكريم ٢: ٣١، سورة البقرة).

(٦) الرعاة (بالضم وأخرها همزة): الرعاة (جمع راع) - راجع القاموس ٤: ٣٣٥.

صالحون^(١). فَأَبْتَلَاهُمْ (جميعاً) بظهور الأنبياء والأخبار^(٢) فَأَهْلَكَ مِنْ أَبَائِهِمْ^(٣) وَصَبَّرَهُمْ عِبرَةً لِلْمُتَعَبِّينَ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ. ثُمَّ أَوْرَثَ الْعُلَمَاءَ عِلْمَهُمْ وَأَخْلَفَ الْخُلَفَاءَ عَلَى أَمْرِهِمْ^(٤)..... وَنَشَهِدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً مَنْ أَفْرَغَ قَلْبُهُ وَهَوَاهُ لِأَمْثَالِ أَمْرِ مَوْلَاهُ^(٥)..... وَنَشَهِدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ الْكَرِيمُ وَرَسُولَهُ الرَّحِيمُ وَصَفِيَّهُ الْحَلِيمُ وَنَجِيَّهُ الْأَمِينُ ذُو الْآيَاتِ الصَّادِقَاتِ وَالْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَاتِ وَالْبِرَاهِينِ الْقَاطِعَاتِ، أَرْسَلَهُ مُؤْتَدِّاً لِلْإِسْلَامِ وَمُسَدِّدَاً لِلْإِنَامِ وَمُبَيِّنَاً لِلشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ.

وبعد، فلما كان ذِكْرُ قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ^(٦) وَالسُّلَاطِينِ وَالْمُلُوكِ وَأَكَابِرِ الْبُلْدَانِ مِنْ عَادَةِ الْحُكَمَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْأَعْيَانِ، اتَّخَذَ^(٧) بِنْتَةَ الرَّسُولِ وَتَذَكُّيراً لَهَا غَيْرَ مِنَ الزَّمَانِ وَرَدّاً لِلنَّبِيِّ عَنِ الْخَيْفِ وَالْهَوَانِ^(٨) وَعَوْناً لِلتَّقِيِّ عَلَى مُسَاعَدَةِ الْإِخْوَانِ. وَ(قَدْ) مَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا بِأَنْ أَظْهَرَ لَنَا فِي زَمَانِنَا هَذَا الْإِمَامَ الصَّالِحَ وَالْخَلِيفَةَ الْعَادِلَ وَالسُّلْطَانَ الْغَالِبَ وَالنَّصُورَ الْقَائِمَ أَسْكِيَا الْحَاجَّ مُحَمَّدَ^(٩) بِنِ أَبِي بَكْرٍ التَّوْرِدِيَّ أَصْلَ الْكُوكُوبِيِّ دَارِياً وَمَسْكَنَاً فَأَنَارَ لَنَا الْهُدَى بَعْدَ ظُلْمِ الدُّجَى وَأَمَاطَ عَنَّا الْهُدَى^(١٠)؟ بَعْدَ الْجُبْنِ وَالرَّدَى^(١١). فَأَنْتَفَحَ^(١٢)، بِمُحَمَّدِ اللَّهِ، الْبِلَادَ شَرْقاً وَغَرْباً، وَتَدَاعَتْ^(١٣) لَهُ الْوُفُودُ فَرَدّاً

- (١) قاسط: ظالم (تأتي أيضاً بمعنى: عادل). مقتصد: معتدل.
- (٢) ابتلاهم: اختبرهم (أي اختبر الناس) بظهور الأنبياء (جمع نبي) - تاج العروس - الكويت ١: ٤٤٥.
- (٣) أبائهم: رفضهم (عصى الأنبياء).
- (٤) أخلف (استخلف) الأنبياء (الأنبياء) على (تنفيذ) أمرهم (ما أمر به الأنبياء).
- (٥) هواه (ميله، رغبته): جعل رغبته قاصرة على طاعة أوامر الله. لأمثال (اقرأ: لآستانال: تعبد، طاعة) موله (زبته).
- (٦) الأنبياء جمع نبي.
- (٧) اتخذ لنفسه الرسول أو اتقياداً لسنة الرسول أو اقتداءه بسنة الرسول.
- (٨) غير: مضى. الخيف: الظلم.
- (٩) الأسكيا محمد الأول: ملكاً اميرطورية سنهي، وكانت تضم جميع الحوض الأوسط لنهر النيجر وقسماً من الصحراء الكبرى بما في ذلك المدن: ولاتن وتبكت وكاو (بكاف معنودة، تلفظ كالكاف).
- (١٠) أماط: أبعد، أزال. الهدى (؟) اقرأ: الهدى. ويقال «أماط الأذى».
- (١١) الردى: الموت، الهلاك (على يد الأعداء). الجبن: الخوف، الإحجام عن العمل (قتال العدو).
- (١٢) انتفح البلدان (انتفح ملكه). - لعلها: آفتتح البلدان (؟).
- (١٣) تداعت له الوفود (اجتمعت عنده الوفود من الشرق والغرب).

وَجَمْعًا. وَأَذَعَّتْ لَهُ الْمُلُوكُ كَرْهَا وَطَوْعًا. فَصِرْنَا مِنْ بَرَكَاتِهِ فِي خَيْرٍ وَنُعْمَى بَعْدَمَا كُنَّا فِي ضَيْقٍ وَيُوسَى^(١). فَبَيَّنَّ اللَّهُ ذَلِكَ بِفَضْلِهِ، كَمَا قَالَ لِأَكْرَمِ خَلْقِهِ: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾^(٢).

أُرِدْتُ أَنْ نَجْمَعَ مِنْ أَحْوَالِ الْخُلُوفِ^(٣)، مَعَ ذِكْرِ شَيْءٍ عَالِ الْمَلْعُونِ^(٤) (؟) مَا سَهَّلَ عَلَى الْيَدِ وَاللِّسَانِ. وَإِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ التَّكْلَانُ^(٥). وَسَمَّيْتُهُ «تَارِيخَ الْفَتَاشِ فِي أَخْبَارِ الْبُلْدَانِ وَالْجَيُوشِ وَأَكَابِرِ النَّاسِ وَذِكْرِ وَقَائِعِ التَّكْرُورِ وَعِظَائِمِ الْأُمُورِ وَتَفْرِيقِ أَنْسَابِ الْعَبِيدِ مِنَ الْأَحْرَارِ».

أَعْلَمُ، رَحِمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ، أَنَّ الْإِمَامَ الْعَادِلَ وَالسُّلْطَانَ الْفَاضِلَ أَسْكِيَا الْحَاجَّ مُحَمَّدًا لَمَّا تَوَلَّى السُّلْطَنَةَ أَقَامَ^(٦) طَرِيقَةً سَنَنِي وَجَعَلَ فِيهَا قَوَاعِدَ^(٧)..... وَلَا يَقُومُ^(٨) لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْعَالِمِ وَالْحُجَّاجِ^(٩) إِذَا قَدِمُوا مِنْ مَكَّةَ، وَلَا يَأْكُلُ مَعَهُ إِلَّا الْعُلَمَاءُ وَالشُّرَفَاءُ وَأَوْلَادُهُمْ وَنَسَبُهُ^(١٠)، وَلَوْ كَانَ صَغِيرًا، رَحِمَهُ اللَّهُ. وَهَذَا كُلُّهُ (كَانَ) فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ لِتَأْلِيْفِ قُلُوبِ قَوْمِهِ. فَلَمَّا تَبَيَّنَتْ لَهُ السُّلْطَنَةُ وَاسْتَقَامَتِ الْمَمْلَكَةُ خَرَجَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ وَجَعَلَ يَسْأَلُ الْعُلَمَاءَ الْعَامِلِينَ عَنْ سُنَّةِ^(١١) رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَعْنِي عَلَى أَقْوَالِهِ، رَحِمَهُ اللَّهُ،

(١) الْيُوسَى: الْبُؤْسُ (الْمُثَقَّةُ، الْفَقْرُ، الشَّقَاءُ).

(٢) كَمَا قَالَ (اللَّهُ تَعَالَى) لِأَكْرَمِ خَلْقِهِ (مُحَمَّدَ رَسُولَ اللَّهِ): ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ ٩٤: ٦٥، سُورَةُ الْإِنشِرَاحِ).

(٣) مِنْ أَحْوَالِهِ: مِنْ أَحْوَالِ الْأَسْكِيَا الْحَاجَّ مُحَمَّدٍ. الْخُلُوفُ (؟).

(٤) شَيْءٌ عَالٍ (فِي التَّعْلِيقِ عَلَى النَّصِّ بِالْفَرَنْسِيَّةِ، ص ١٠): أَمِيرُ حَكَمِ بِلَادِ سَنَنِي مِنْ ١٤٦٥ إِلَى ١٤٩٢ لِلْمِيلَادِ (٨٧٠ - ٨٩٨ هـ) وَكَانَ الْمَلِكُ الَّذِي سَبَقَ آخِرَ مُلُوكِ أَمْرَةِ شَيْءٍ الَّتِي جَاءَتْ قَبْلَ الْأُسْرَةِ الَّتِي عُرِفَتْ بِاسْمِ الْأَسْكِيَا (أُسْرَةُ الْحَاجَّ مُحَمَّدٍ).

(٥) إِلَى (اقْرَأْ: عَلَى). التَّكْلَانُ (بِالضَّمِّ): الْإِتِّكَالُ، الْإِعْتَادُ.

(٦) أَقَامَ سَنَنِي: عَمِلَ بِهَا، عَلَى نَظْمِ مَا كَانَتْ تِلْكَ الْأُسْرَةُ تَعْمَلُ.

(٧) سَنَنِي (بِضَمِّ فَسْكَوْنِ فَتْحِ فَسْكَوْنٍ) أَوْ سَنِي (بِضَمِّ فَتْحِ فَسْكَوْنٍ) تِلْكَ الْمَمْلَكَةُ الَّتِي كَانَتْ عَاصِمَتَهَا كَاو (بِكَافٍ مَقْطُودَةٍ - بَيْنَ الْفَيْنِ وَالْقَافِ)، وَخُصُوصًا فِي الْحَوْضِ الْأَوْسَطِ لِلنَّيْجَرِ.

(٨) قَوَاعِدُ - بَعْدَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ عَادَاتُ شَخْصِيَّةٍ لِلَّذِينَ يَخْدُمُونَ الْمَلِكَ.

(٩) يَقُومُ: يَنْهَضُ، يَقِفُ لِلتَّحِيَّةِ.

(١٠) اقْرَأْ: أَوْ لِلْحُجَّاجِ.

(١١) سَنَ مُضَاهَا: الرَّئِيسَ، الْأَمِيرَ (وَلَهَا تَشْبِهُ إِلَى الْفَرْدِ مِنْ أَعْضَاءِ الْأُسْرَةِ الْحَاكِمَةِ).

(١٢) سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ = طَرِيقَتُهُ.

حَتَّى اتَّفَقَ عُلَمَاءُ عَصْرِهِ عَلَى أَنَّهُ خَلِيفَةُ^(١). وَمِمَّنْ صَرَّحَ لَهُ بِذَلِكَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السُّيُوطِيُّ^(٢) وَالشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْمَغِيلِيُّ^(٣) وَالشَّيْخُ شَهْرُوشُ الْجَنِيُّ^(٤) وَالشَّرِيفُ الْحَسْبِيُّ مَوْلَايَ الْعَبَّاسِ أَمِيرُ مَكَّةَ^(٥)، رَحِمَ اللَّهُ الْجَمِيعَ.

- عدد من أسماء أعلامهم مضبوطاً (الفتاش ٢٥):

....وكانَ أَسْمُ كَبِيرِ الرِّجَالِ الْمَذْكُورِينَ وَعَكْرُئِيُّ بْنُ بَرَّاسٍ وَأَسْمُ زَوْجَتِهِ أَمْنَةُ بِنْتُ بَحْتٍ، وَهُوَ جَدُّ قَبِيلَةِ وَعَكْرُئِيِّ بَوَاوٍ مَفْتُوحَةٍ وَعَيْنٌ سَاكِنَةٌ وَكَافٍ وَرَاءَ مَضْمُومَةٍ^(١) مُمَالَتَيْنِ فَيَاءً سَاكِنَةً. وَأَسْمُ ثَانِي الرِّجَالِ سُئِي بْنُ بَرَّاسٍ، وَأَسْمُ زَوْجَتِهِ سَارَةُ بِنْتُ وَهَبٍ، وَهُوَ جَدُّ قَبِيلَةِ سُئِي بَيْنَ عَيْنٍ مَضْمُومَتَيْنِ مُمَالَتَيْنِ بَعْدَهَا يَاءً سَاكِنَةً. وَثَالِثُ الرِّجَالِ أَسْمُهُ وَنَكَرٌ، وَهُوَ أَضْفَرُهُمْ، وَلَيْسَ لَهُ زَوْجَةٌ، وَإِنَّمَا كَانَ لَهُ أُمْتَانِ^(٢) أَسْمُ إِحْدَاهُمَا سَكْرَى وَاسْمُ الْآخَرِ كَسْرَى. فَاتَّخَذَ وَنَكَرَ سَكْرَى سَرِيَّةً لَهُ.

وكانَ جَدُّ قَبِيلَةِ وَنَكَرَ بَوَاوٍ مَفْتُوحَةٍ وَنُونٍ مَدْغَمَةٍ وَكَافٍ مَفْتُوحَةٍ فَرَاءً مَفْتُوحَةٍ. وَكَانَ لَهُمْ عَبْدٌ يُسَمَّى بَيْنَكَ فَرُجُوهَ بَأَمْتِهِمْ كَسْرَى، وَهُوَ جَدُّ قَبِيلَةِ مَيْنَكَ بِيَمٍ مَكْسُورَةٍ عَمَالَةً فَيَاءً مَدْغَمَةٍ وَنُونٍ مَدْغَمَةٍ وَكَافٍ مَفْتُوحَةٍ. وَإِلَى آبَائِهِمْ نُسِبُوا. ثُمَّ تَفَرَّقُوا فِي الْأَرْضِ. وَكَانَ كَبِيرُهُمْ وَعَكْرُئِيُّ سُلْطَانَهُمْ، وَسَمَوُهُ كَيْمَغٌ، وَمَعْنَى ذَلِكَ فِي كَلَامِهِمْ: طَالَ الْإِرْثُ، يَرِيدُونَ بِذَلِكَ «أَطَالَ اللَّهُ وَرَثَتَنَا الْمُلُوكَ».

٤- تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيش وأكابر الناس (تحرير هوداس وديلافوس)، باريس (مطبعة مدرسة اللغات الشرقية، القسم الخامس، المجلد ١٩، العدد الأول) ١٩١٣؛

(١) خليفة = متحق لقب خليفة.

(٢) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي المصري (ت ٩١١ هـ) من العلماء الذين برعوا في فنون كثيرة من المعرفة الإنسانية.

(٣) المغيلي (ت ٩٠٩ هـ) هذا عالم مغربي عاش جانباً كبيراً من حياته في السودان الغربي.

(٤) شهروش (يبدو أنه شخص خيالي) الجنّي (نسبة إلى الجنّ، خلاف الإنس - بكر الهزرة).

(٥) أمير مكة: (لم يذكر زامباور (ص ٣٢ - ٣٣) أحداً من أشراف مكة في القرنين التاسع والعاشر والحادي عشر للهجرة (الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر للميلاد) باسم العباس).

(٦) اقرأ: مضمومتين (أي الكاف والراء).

(٧) الأمة (بفتح ففتح): الحاربة الملوكة.

طبعة بالتصوير: المدرسة الباريكية لتدريس الألسنة الشرقية، باريس (مكتبة أميرة
والشرق: أدريان ميزوتوف) ١٩٦٤ م.

★ نيل الابتهاج ٣٤٣ - ٣٤٤ بروكلين، الملحق ٢: ٧١٦ - ٧١٧ هوار (السخة الانكليزية
٣٨٦): الأعلام للزركلي ٨: ٥٦ (٧: ١٧٩)؛ سركيس ٤٦٤؛ شجرة النور الزكية ٢٧٨ (رقم
١٠٤٣).

ثالث صفر ١٤٠٣ = ١٩ / ١١ / ١٩٨٢ م.





مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فهرس أعلام الأشخاص

[١-٦]

ابن أجروم = منديل

ابن الأتبار القضاعي (٢١٠-٢١٧)، ٦،

١٦، ١٧، ٨٠، ٩٩، ١١٠، ١٥٩،

٣٤٨-٣٤٩، ٣٧٦، ح.

ابن أبي البناء البلسي - محمد بن - محمد
(١٣٤-١٣٥).

ابن أبي بكر = أسكيا الحاج محمد

ابن أبي بكر التطواني - محمد ٥١٦.

ابن أبي بكر الصغير - محمد ٥٨٦.

ابن أبي بكر - محمد بن يحيى ٨١.

ابن أبي جعفر = أحمد

ابن أبي جرة الأندلسي - عبد الله ٥٦، ٥٩.

ابن أبي حجلة (٥١٧-٥٢١).

ابن أبي الحسين - محمد (٢٥٣-٢٥٥).

ابن أبي حزة = ابن أبي جرة

ابن أبي خرص = أبو محمد ١٤٠، ح، ١٤١.

ابن أبي الخصال ٢١٥، ح.

ابن أبي الربيع القرشي - عبيد الله بن أحمد

(٣١٧-٣١٨)، ٣٣٦-٣٣٧، ٣٨٢، م،

٣٩٩، ٤٠٩، ٤٤٥، م.

ابن أبي الرجال القيرواني - علي ٦١٢.

ابن أبي رجانة الربلي - الحاج ٣٤١.

ابن أبي زرع - علي (٤٠٦-٤٠٨).

ابن أبي زيد القيرواني ٦٠، ٦١، م، ٦٥،

٦٨، ٧٠، ٧١، ٧٣، ٦٩١، ح، ٦٦٨، ح،

٦٧٤، ٦٧٩، ٦٩٦، ٧٠٦.

الآبلي - محمد بن إبراهيم ٥٤٠، ٥٤٤، م.

الآبي - صالح ٢٠٩.

آدم ١٩٩، م، ٢٣٩، ح، ٣٠٧، ٣٢٠،
٤٣٣، ح، ٥٠٢.

آل ياسين - محمد حسن ٤٣٠.

آمنة بنت وهب ١٨٠، ح، م.

الأبدي ٣٩٩، ٤١١، *

إبراهيم ١٧٨، ح.

إبراهيم بن أبي بكر التلماني (٣٠٧-
٣١٩).

إبراهيم بن علي - أبو سالم (السلطان المريني)
٥٠٥، م، ٥٠٧.

إبراهيم الفيجي (٧٠٣-٧٠٥)، ٧٠.

إبراهيم بن محمد = الطويج

إبراهيم بن محمد المرسى ٧٢.

إبراهيم بن يحيى القرناطي ٦١.

إبراهيم بن مخلف المطاطي التلماني ٣٦١.

إبراهيم بن يزيد = النخعي.

إركان - الحسن ٨٠.

أبرهة الحبشي ٣٠٦، ح.

إبليس ٩٦، م، ٤٣٣، م.

ابن أجروم - أبو عبد الله محمد (٣٩٣-
٣٩٩)، ٥٣، ٤٤٩، ٤٩٦، ٥٨٠،

٥٨٦.

- ابن أبي التكر (شكر) - يحيى بن محمد ٨٨ م. ح ٨٩.
- ابن أبي صالح - عبد الله ١٦٢ ح.
- ابن أبي العيش - علي بن محمد ٤٥٥، ٤٥٢، ٤٥٠، ٤٨٩.
- ابن أبي العيش - محمد ٥٣٠.
- ابن الأثير - ضياء الدين ٤٧٠ ح.
- ابن الأثير - مجد الدين ٣٧٣.
- ابن أحمد الكناسي - محمد ٧٠٥.
- ابن الأحمر (؟) ٢١ م، ٦٨٥ م.
- ابن الأحمر (لقب كل سلطان في غرناطة) ١٠١، راجع ٣٥٧.
- ابن الأحمر (*) - اسماعيل بن فرج (٥) ٤٣٩، ٤٦٦-٤٦٧.
- ابن الأحمر - اسماعيل بن محمد بن فرج (؟) ٦١٥ ح.
- ابن الأحمر - اسماعيل بن يوسف بن اسماعيل (٩) ٥٠٥.
- ابن الأحمر - اسماعيل بن يوسف بن محمد (.) ٦١٥ (٦٢١-٨١).
- ابن الأحمر - سعد بن علي (١٨) ٦٤١.
- ابن الأحمر - علي بن سعد (١٩) ٦٤١ ح.
- ابن الأحمر - محمد بن اسماعيل بن محمد (٦) ٤٣٩، ٤٣٦.
- ابن الأحمر - أبو عبد الله محمد بن علي (آخر ملوك غرناطة) ٦٩٨، ٧٠٠-٧٠٣.
- ابن الأحمر - محمد بن فرج (.) ٦١٥.
- ابن الأحمر - محمد بن محمد بن محمد (٣) ٤٤٤.
- ابن الأحمر - محمد بن يوسف بن محمد بن نصر (١) ٢٦ م، ٢٨٧.
- ابن الأحمر - محمد بن محمد بن يوسف بن نصر (٢) ٣٦٥، ٣٦٦-٣٦٧، ٣٨٢، ٤٢٦ م، ٤٨١.
- ابن الأحمر - نصر بن محمد (٤) ٩٢، ٤٣٩.
- ابن الأحمر - يوسف بن اسماعيل بن فرج (٧) ١٠٤-١٠٦، ٤٣٩، ٤٤٩ ح.
- ٤٦٥ ح، ٤٦٨، ٤٩٠، ٥٠٤ م، ٥٠٧، ٥٤٦، ٥٥٨، ٥٧٠، ٥٧١، ٦١٥.
- ابن الأحمر - يوسف بن محمد بن اسماعيل (١٦) ٤٨٢.
- ابن الأحمر - يوسف بن محمد بن فرج (.) ٦١٥.
- ابن الأحمر - أبو الحجاج بن نصر (والي مدينة وادي آش) ٣٦٨ م.
- ابن الأحمر - يوسف بن يوسف (١٣) ٦٢١-٦٢٣.
- ابن الأحوص - أبو علي ٤١١.
- ابن أدبية (؟) - محمد ٥٦٦.
- ابن الأزرقي - محمد بن علي (٦٦١-٦٦٥)، ٦٨، ٨٥ م، ٦٧١.
- ابن اسماعيل الطائي - محمد بن عبد الله ٤٤٤.

(*) إن الرقم المحصور بين هلالين كبيرين يدلّ على مرتبة صاحبه في سلسلة ملوك بني الأحمر في غرناطة.

أبو بكر - أبو عبد الله ٤٥٥ .
 ابن البناء الإشبيلي - محمد بن أحمد (١٦٧) -
 (١٦٩) .
 ابن البناء العددي - أحمد بن محمد (٣٨٨) -
 (٣٩٣) ٦٠، ٥٣، ٨٧، ٩٠، ٤٨٠ م .
 ٦٦٤، ٦٣٧، ٦٦٦ .
 ابن البناء السرقطي - أحمد بن يوسف ٧٥ .
 ابن بيش المبدي ٥٧٠ .
 ابن البيطار - عبد الله بن أحمد ٣٧١،
 ٥٧٧ م .
 ابن تفرakin - أبو محمد ٥٨٧ .
 ابن تايوت الطنجي - محمد ٤٠٦، ٤٤٩ ح ،
 ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٢٠ .
 ابن تيفاوت = محمد بن تيفاوت
 ابن تيمية الحراني - أحمد ١١٠ - ١١١،
 ٢١٧، ٤٢٧ م، ٥٦٦ ح م، ٥٩٥ ح .
 ابن جابر الأندلسي - شمس الدين محمد بن
 علي (٥٣٠ - ٥٣٧)، ١١٤ ح م، ٥٠٤،
 ٥٣٨، ٥٣٠، ٥٥٥ .
 ابن جابر الوادي آشي - شمس الدين محمد
 (٤٤٢ - ٤٤٥)، ٤٤٢ ح ، ٥٠٤ .
 ابن جابر = عنان
 ابن جابر الفسائي - محمد بن يحيى (٦٢٣) -
 (٦٢٥)، ٥٤ .
 ابن جامع = عنان ابن جابر
 ابن جامعة - عمر ٧٣ .
 ابن جبريل - زين الدين ٣٩٧ .
 ابن جبير - محمد بن أحمد ١١٢، ١١٤ -
 ١١٥، ٢٣٠ .
 ابن الجدة التونسي - أبو القاسم ٢٨٦ .
 ابن جدو ٤٠٤ .

ابن الأشقر الحضرمي = بكر
 ابن الأغر - أبو جعفر ٤٨٩ .
 ابن أقيت - أبو بكر بن أحمد التبيكي
 ١٣٣ .
 ابن أقيت = بابا التبيكي
 ابن الإمام - عبد الرحمن ٤٧٢ .
 ابن الإمام - عيسى ٤٧٢ .
 ابن أبيك الصفي - خليل ٤١٧ - ٤١٨،
 ٤٥٢ .
 ابن بابشاذ المصري ٢٥٠ .
 ابن باجه ١٨٥ م .
 ابن باديس - الحسن ٦١١ .
 ابن بحرق = بحرق
 ابن بدر - عبد الملك ١٩٠ .
 ابن البراء - أبو القاسم ٣٠٥ .
 ابن براجان - عبد الحكيم ٧٢ .
 ابن برال التونسي ٤٩٦ .
 ابن البرذعي = البرذعي
 ابن برطال - أبو علي ٤٣٠ .
 ابن بري - عبد الله ٥٤، ٣٧١، ٣٧٢ .
 ابن بري - علي بن محمد ٥٣ م، ٥٤ م .
 ابن برز = مؤيد الدين القمي
 ابن بكام الشتريني - علي ٣٧١ .
 ابن بشكوال - خلف بن عبد الملك ١٥٥،
 ٢١١، ٣٤٧ م، ٣٤٨ م، ٣٥٩ .
 ابن بشير (٤) ٦٣ م .
 ابن بطوطة (٥٢١ - ٥٢٧)، ٦، ٥٤، ٥٧،
 ٨١، ٤٦٩ .
 ابن البقال - محمد ٥٣، ٧٢ .
 ابن بقي - أحمد بن يزيد ٢٣٥، ٣١٧،
 ٣٣٦، ٤٤٤ .

0.73, 0.2, 2.89, (0.3-2.98)

. 07 .

ابن الحاجّ العبدري - محمد بن محمد ٧٤،

- 29A

ابن الحاجّ النيرى - إبراهيم بن عید الله

727, 298, (289 - 283)

ابن الحاجب - أبو عمرو عثمان بن عمر

١٢٦٠، ١٢٦٨، ١٢٦٧، ١٢٦٣، ١٢٦٢، ١٢٦٠.

٤٤٣ ٤٥٤٧ ٤٥٧٧ ٤٦٣٦

778, 779, 789.

ابن الحَبَّاک - مُحَمَّد بن أَحْمَد . ۹۰ .

ابن حبيب الدمشقي - الحسن بن عمر

٥٣٤

ابن الحجاج - أبو الوليد ٣٨٨.

ابن حجر = أمرؤ القيس

ابن حجر المفلاني ٦٣٥، ٦٦٦.

ابن حجر المهيتمى، ١١٣.

ابن حجة الحموي ٥٣١ ح، ٥٣٦.

ابن حرازم (حرزم) - محمد ۲۰۴.

ابن حریث - أبو عبد الله ۱۳۷۷ .

ابن حزم ۳۰۹ م.

ابن حزم - أبو بكر بن طلحة ١٥٤ .

ابن حزم - أبو العباس بن طلحة ١٥٤ .

ابن حزم = طلحة.

ابن حزم الکمر - علّام بن محمد ۵۲۰ ھ.

ابن حکان الوادی آثم - محمد بن حام

- 289

ابن الحسين = المتنبي

ابن الحصار - أبو جعفر ١٣٨ م، ٢١٠.

ابن حفص الحصم ٢٥٥.

ابن حكم السلي - إمامهم ٤٧٢ .

ابن الخطيب - عبد الله بن سعيد (والد لسان الدين) ٤٦١، ٥٠٤.

ابن الخطيب - ؟ بن عبد الله (أخو لسان الدين) ٤٦١.

ابن الخطيب = عبد الله بن لسان الدين

ابن الخطيب = لسان الدين

ابن الخطيب = ابن قنمذ

ابن خطاجة ٩٧، ٥٩٩.

ابن خلاص - أبو علي ١٧٤.

ابن خلاص (صاحب سبته) ١٩٦.

ابن خلدون - محمد (جد عبد الرحمن) ٥٨٦.

ابن خلدون - محمد (والد عبد الرحمن) ٥٨٦.

ابن خلدون - عبد الرحمن (٥٨٦ - ٦١٠)،

٦، ١٩، ٢٠، ٣٣، ٥٧، ٥٨ م.

٦٣ ح، ٨١، ٩٣، ١٢٧، ٢٧٢ ح.

٣٨٩، ٤٤٩ ح، ٥٠٥، ٥٤٠، ٥٤٤ ح.

٦٦٤، ٦٦٣، ٦٣٤.

ابن خلدون - يحيى (٥٤٠ - ٥٤٦).

ابن خلّكان ١٦٣ ح م.

ابن الخلوف = شهاب الدين

ابن خميس - أبو بكر محمد ١٤١ ح.

ابن خميس التلمساني - محمد بن عمر (٣٦١ -

٣٦٥)، ٣٩٩، ٦١٣ - ٦١٤.

ابن خميس - أبو علي ٣٥٧.

ابن الخوجة - محمد الحبیب ٣١٢، ٣٨٧.

ابن خيار - ثابت ٢٦٠.

ابن الدارس - يعقوب ٤٤٩.

ابن داوود الصنهاجي - علي بن محمد ٦١٥ -

ابن الدبّاج (الديبج) الإشبيلي - علي بن جابر

(١٧٠ - ١٧١)، ١٦٧، ١٧٤، ٢٣٧،

ابن حكم القرشي = سعيد بن حكم

ابن الحكيم الرندي (٣٦٥ - ٣٦٧)، ٣٦٢.

٣٨٢ م، ٣٨٣، ٤٤٧ - ٤٤٨، ٤٦٨ م.

ابن الحمارة - علي ١٨٥ م.

ابن حمدون = ابن الحاج السلمي

ابن حمدون = ابن الحاج (محمد الطالب)

ابن حوط الله (حوطه):

ابن حوط الله - أبو سليمان داوود ٢١٠.

٤٤٤.

ابن حوط الله - أبو عمر ٣٩٩ م.

ابن حوط الله - أبو محمد عبد الله ١٤٤.

١٤٧ م، ١٩٠، ٢١٨، ٤٤٤.

ابن حيّان - خلف بن حسين ١٩٢ م.

ابن حيّان - محمد ٤٤٤.

ابن حيدور (هيدور) - علي بن موسى ؟؟

ابن خاتمة - أحمد بن علي (٤٨٨ - ٤٩٤)،

٥٦٤، ٥٦٣، ٦.

ابن خاتمة السقي = ابن هاني السقي

ابن الخاسر المري = أبو الحسن ١٨٥ م.

ابن الخراط - عبد الحق ٤٣٦ ح م، ٥٤٧.

ابن خروف - أبو الحسن ١٧٠، ١٩٠،

٢٣٠، ٢٤٠.

ابن الخضار - علي بن محمد ٣٨٢.

ابن خضر الشاطبي - أحمد بن محمد ٥٣.

ابن خطّاب النحوي - عزيز بن عبد الملك

١٩٦.

ابن خطّاب الفافقي - محمد بن عبد الله

٣٦١.

ابن الخطيب (?) ٦٠.

ابن الخطيب - سعيد = الخطيب (جد لسان

الدين)

ابن زرقون- أبو الحسين (الحسن) ٢٧٧،
٢٨٦.

ابن زرقون- أبو عبد الله ١٩٠.

ابن زرقون- محمد بن محمد ٢٤٠.

ابن زريق البغدادي ٦٢١.

ابن زكري التلمساني- أحمد ٦٨، ٧٤ م.

ابن زمرك- محمد بن يوسف (٥٦٩-٥٧٦).

١٢٧-١٣١، ١٥٠٥ م، ٦٢١.

ابن زهر- أبو بكر ١٥٤، ١٦٤ م، ٤٨٧.

ابن الزيات الصوفي- أبو مهدي ٦٢١.

ابن الزيات الكلاعي- أحمد بن الحسن

(٤٠٩-٤١١)، ٥٣، ٤٦٠.

ابن زيتون- أبو القاسم بن أبي بكر ٣٥٤،

٤١٥ ح.

ابن زيتون- يحيى بن الفرج ٤١٥.

ابن زين الدين= أحمد

ابن زين الدين الحمصي ٢٦٨ م.

ابن زيني دحلان= دحلان

ابن سالم= أبو الربيع

ابن سبعين- عبد الحق ٢٤٦ م، ٣٣٠.

ابن السداد- أبو عيسى ١٩٦.

ابن السراج الرعيني- محمد بن سعيد ٥٧-

٥٨، ٦٢، ٧٢، ٦١٥.

ابن سراج الغرناطي- أبو القاسم ٦٣٧ م،

٦٤١ م، ٦٤٣ م، ٦٤٧ م

ابن سراقه الناطلي- محمد بن أحمد (٢٣٥-)

٢٤٦، (٢٣٧).

ابن سعدى (= أوس بن حارثة).

ابن سعيد التونسي ٢٦٨، ٢٦٩.

ابن سعيد الضبي- أحمد بن عبد الملك

٣١٣-٣١٤.

٢٤٨، ٢٧٥، ٢٨٦، ٣١٢، ٣١٧.

راجع ٣٣٥.

ابن دريد ٢٩٨-٢٩٩، ٣٧١، ٥٣٥،

٥٨٠.

ابن دقيق العيد- تقي الدين ٤٠٢ م،

٥٤٧ ح.

ابن دهمان ٤٣١، ٤٣٢ ح.

ابن الديلم الشيباني ١١٣.

ابن دينار- عيسى ٥٥٩ م.

ابن ذي يزن ٢٧٢ م، ٢٨٨ م.

ابن راهوي= إسحاق

ابن ربيع الأشعري- أبو عامر ٤٢٠.

ابن ربيع الأنصاري- عبد الحق ٣٥٤.

ابن الرحال المداني- الحسن ٦٣٢.

ابن رشاد القفصي ٤٥٨.

ابن رشد الفقيه (الجد) ٦٢، ٦٧، ٦٨، ٧٢.

ابن رشد الفيوف (الحفيد) ١٤٨، ٥٩١ م،

٦١٠ ح.

ابن رشيد السبي (٣٨٢-٣٨٧)، ٥٦،

٤٣٩، ٤٤٩، ٤٧٨.

ابن رشيقي القيرواني ٢٨٦.

ابن الرضاع التلمساني- محمد بن القاسم ٥٩.

ابن الرعيني= ابن السراج

ابن الرقام السبي- القاسم بن سعد ٧٤.

ابن الرقام المرسى- محمد بن إبراهيم ٨٧.

ابن الرومي ٢٩٧ ح، ٥٩١.

ابن الزبير= أبو جعفر بن الزبير

ابن الزبير- الزبير بن أحمد ٧٩.

ابن زرقاله- أبو جعفر أحمد (الجد) ٥٦٣.

ابن زرقاله- أبو جعفر أحمد (الحفيد)

(٥٦٣-٥٦٥).

ابن سيّد العنسي - عبد الرحمن بن عبد
الملك ٣١٤ .
ابن سيّد العنسي - عليّ بن الحسن (٣١٢ -
٣١٧) ، ١٨٠ ، ١٥١ ، ح ١٨٣ .

ابن سيّد العنسي - محمد بن سعيد (١٤٨ -
١٥٢) .
ابن سيّد العنسي - موسى بن محمد بن عبد
الملك ١٤١ م ، ٣١٤ .

ابن سمر المري - محمد بن عبد الله (١٥٩ -
١٦١) .
ابن السكّات المكناسي - محمد بن محمد ٧٩ .
ابن سلامة السكري - عليّ بن عيسى ٧٦ .

ابن سلمون البياسي - أبو القاسم بن عليّ
٦١ .
ابن شرف التلمساني ٦٦١ . ؟؟؟؟
ابن شريح الإشبيلي - محمد بن أحمد ٢٤٠ -
٢٤١ .
ابن شريك الداني - عليّ بن يوسف ١٩٤ .
ابن شبيب الفاسي - محمد بن أحمد ٦١ .
ابن شبيب القشتالي - محمد بن أحمد ٦١٥ .
ابن شبيب القيسي ٤٨٩ .
ابن شبيب الكرياني = الجزنائي الكرياني
ابن الثلوبين = أبو عليّ
ابن شب - محمد ٢١٦ ، ٣٥٦ .
ابن الشيخ - أبو الحجاج ٣٦٠ .
ابن الصانع (٩) .
ابن الصانع - (٩) ٣٩٩ ، ح ٤١١ م .
ابن الصانع المغربي - محمد بن عبد الله

ابن سعيد العنسي - عبد الرحمن بن عبد
الملك ٣١٤ .

ابن سعيد العنسي - عليّ بن الحسن (٣١٢ -
٣١٧) ، ١٨٠ ، ١٥١ ، ح ١٨٣ .

ابن سعيد العنسي - محمد بن سعيد (١٤٨ -
١٥٢) .
ابن سعيد العنسي - موسى بن محمد بن عبد
الملك ١٤١ م ، ٣١٤ .

ابن سمر المري - محمد بن عبد الله (١٥٩ -
١٦١) .
ابن السكّات المكناسي - محمد بن محمد ٧٩ .
ابن سلامة السكري - عليّ بن عيسى ٧٦ .
ابن سلمون البياسي - أبو القاسم بن عليّ
٦١ .

ابن سلمون الكنافي - عبد الله بن عبد الله
٤٧٠ ح .
ابن سلمون الكنافي - عبد الله بن عليّ ٦٠ ،
٦١ .

ابن سليمان - يوسف ٦٦٥ .
ابن السّاط المهدوي - يوسف بن علي
(٣١٩ - ٣٢٣) .

ابن السّاك - محمد بن إبراهيم ٤٥٥ ح .
ابن سّاك - محمد بن محمد (٤٥٥ - ٤٥٧) .
ابن سّاك - يعيش بن إبراهيم ٨٧ .
ابن سمعت (سمعة) - أبو الحسن ٦٤١ .
ابن سهل الإشبيلي (١٧٤ - ١٨٣) ، ١١٧ م ،
١٢٠ ح ، ١٢٢ م ، ٥٠٧ .

ابن سودة = التاوديّ
ابن سيّد الناس - أبو القاسم ٤٥٢ .
ابن سيّد الناس - عبد الله ٢٣٢ ، راجع
٢٢٩ .

(٤٥٢-٤٥٥)، ٤١١ م

ابن الصباح - أبو صادق ٢٦٠ .

ابن الصباغ - (٩) ٤١١ .

ابن الصباغ الحميري - محمد بن أبي القاسم ٧٥ .

ابن الصديق - أحمد ٦٠٧ .

ابن الصغير الزرويلي - علي بن عبد الحق ٦٠، ٦٨، ٧٨، ٧٩، ٦٩٢ - ٦٩٣ .

ابن صفر = ابن سفر المرعي

ابن صفوان - أحمد بن إبراهيم (٤٨٠ - ٤٨٣)، ٥٠٧ .

ابن الصلاح - عثمان بن عبد الرحمن ٦٦٨ م .

ابن الصقيل = النجيب .

ابن الطبايع ٤٢٦ م .

الطبري = نجم الدين .

ابن طركاط - أبو القاسم ٦٤٣ - ٦٤٤ .

ابن الطفيل (؟) ٢٨٥ .

ابن الطفيل = عبد الرحمن .

ابن طلحة الإشبيلي - أبو بكر ١٦٧، ١٧٠، ١٩٠ .

ابن الطيب - الطيب بن محمد ١٩٤ .

ابن الطيلسان - أبو القاسم ٢٧٦ .

ابن الطيلسان - القاسم بن محمد ٥٥ .

ابن ظفر المالكي - محمد بن عبد الله ٨٣ .

ابن عايد القاسي - محمد بن علي ٥٤ .

ابن عات - أبو عمر ١٩٠، ٢٠٨، ٢١٨ (؟) .

ابن عاشر - أحمد بن عمر ٥٦٦ .

ابن عاصم - أبو بكر (٦٢٥ - ٦٣٣)، ١٧، ٩٦٥، ٦٤٢ .

ابن عاصم - أبو يحيى بن أبي بكر (٦٤١ - ٦٤٨)، ١٧، ٢١، ٦٢٦ ح م .

ابن عاصم - أبو يحيى (أخو أبي بكر) ٦٤١ .

ابن العاصي التنوخي - إبراهيم ٤٨٩ .

ابن عائد - يحيى ١٥٥ .

ابن عبّاد الرندي (٥٦٥ - ٥٦٩)، ٧٥ .

ابن العبّاس التلمساني - محمد ٦٨٨ .

ابن عبدالله - عبد العزيز ٥١٦ م .

ابن عبد الله - محمد بن محمد ٢٦٦ .

ابن عبد البر - إبراهيم ٦٧١ .

ابن عبد البر - يوسف بن عبد الله ٤٥٨ .

ابن عبد الجليل = محمد بن عبد الجليل .

ابن عبد الجليل التنسي - محمد بن عبد الله (٦٨٠ - ٦٨٢)، ٨٢ .

ابن عبد الحق المشدّال = المشدّالي

ابن عبد الدائم ٣٣٤ .

ابن عبد ربّه (صاحب «الفقد») ٨٣، ٣٧١ .

ابن عبد السلام = المرّ

ابن عبد السلام - (؟) ٦٧ .

ابن عبد السلام المستيري - محمد ٤٦٠، ٤٩٦ .

ابن عبد السيّد - أبو محمد ٤٠٣ م .

ابن عبد الصنوع ٢٧٠ .

ابن عبد العزيز الأنصاري = محمد بن محمد

ابن عبد الكافي السعدي - عبد الفقار ٤٤٣ .

ابن عبد الملك الأراكشي - محمد بن محمد (٣٤٦ - ٣٥٣)، ٦٠، ٦٠، ٢٣٠، ٤٨٠ .

ابن عبد الملك = ابن خطّاب النحوي

ابن عبد المنّان المكناسي - أحمد بن يحيى ٦٢٤ .

ابن عبد النعم الحميري - محمد بن عبد الله (٦٥٦ - ٦٥٢) .

- ابن عبد المؤمن - أبو إسحاق (حاكم إشبيلية) ١٦٤، (٤٠٦)، ٨٠، ٤٠٧.
- ابن عربي - محسبي السدين ١١٦-١١٧، ٦٥٠ ح.
- ابن العربي - أبو بكر ٩٧-٩٨.
- ابن العربي العقيلي = محمد بن العربي
- ابن عربية - عثمان (٢٢٤-٢٢٧).
- ابن عرفة - أحمد ٤٦٨ م.
- ابن عرفة الوردغمي التونسي - محمد ٦٤، ٦٧، ٦٨ م، ٥٧٧، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٨، ٦٩٢-٦٩١، ٦٣٩.
- ابن عروس - أحمد ٧٥.
- ابن عربية = ابن عربية
- ابن العريف - أبو العباس ١١٣-١١٤
- ابن عزّوز = إسماعيل
- ابن عزّوز - محمد الفضل ٧٦.
- ابن عساكر - أبو الفضل ٤١٥، راجع ٣٧٠.
- ابن عسكر - محمد بن علي (١٤٠-١٤٤).
- ابن عصفور الإشبيلي - أبو الحسن عليّ (٢٤٨-٢٥٢)، ٦، ١٦٢ ح م، ٣١٢، ٣٤٢، ٣٧٦ ح.
- ابن عصفور - أبو العباس علي ٣١٧.
- ابن عصفور - أبو البركات محمد ٦٨٣.
- ابن عطاء الإسكندري - أحمد بن محمد ٧٦ ح، ٢٠٩، ٥٦٦ ح، ٥٦٧، ٦٧٧-٦٧٩.
- ابن عطية - أبو الحسن ١٦٧.
- ابن عطية - أبو محمد ٢٧٦.
- ابن غفير - أبو الوليد ٣٤٦.
- ابن عقاب - قاسم ٦٦٥.
- ابن عفيفة القنصي - أبو بكر (٦٣٣-٦٦٤)، ٦٦، ٦٣٤.
- ابن عبد المؤمن - أبو إسحاق (حاكم إشبيلية) ١٦٤.
- ابن عبد المؤمن - إسماعيل ١٣٥.
- ابن عبد المؤمن - عثمان (والي غرناطة) ٣١٤ م.
- ابن عبد المؤمن - محمد بن عمر (والي بلنسية) ١٦٨.
- ابن عبد المؤمن = المنصور الموحد
- ابن عبد المؤمن = (الناصر الموحد) - محمد ٢٩، ١٦٤.
- ابن عبد المؤمن - يوسف ٩٨ م.
- ابن عبد النور التونسي ٦٣٧ م.
- ابن عبد النور البتي - محمد ٢٤٠.
- ابن عبد النور المالقي - أحمد (٣٤١-٣٤٦).
- ابن عبد الواحد الجاهلي - عبد الله ٤٧٢.
- ابن عبدون - عبد المجيد ٩٦، ٢٧٢، ٦٨٠، ٦٩٨.
- ابن عبدون المكناسي - محمد (٢٣٣-٢٣٥)، ٥٢.
- ابن عبيد الحجري = الحجري
- ابن عبيد (؟) الإشبيلي النحوي - أبو بكر ٤٣٦، ٤١٣.
- ابن عتيق = ابن عربية
- ابن عتيق اللاردي - محمد ٥٥.
- ابن عتيق المرسى - الحسين (٣٢٢-٣٢٥).
- ابن عجلان القيسي - أحمد بن عثمان ٣٥٣.
- ابن عجيبة = مرزوق.
- ابن العديم - كمال السدين ٢٧٣، ٣١٢-٣١٣.
- ابن العديم - محمد الدين ٢٧٣.
- ابن عذارى المراكشي - أحمد (٤٠٤-٤٠٤).

- ابن عقيل - عبد الله بن عبد الرحمن ٢٦٦ .
 ٢٦٨ م ، ٢٦٩ م ، ٢٧٠ .
 ابن علاق - محمد ٣٣٤ ، ٦٢١ ، ٦٢٦ .
 ابن علوان التونسي - عمر ٣٧٧ .
 ابن عمار = ثابت
 ابن عمار الصغير ٦٠٨ .
 ابن عمر الملكيشي = الملكيشي
 ابن عمران العبدوسي = العبدوسي
 ابن عمرو ٢٦٠ .
 ابن عميرة الضبي - أحمد بن يحيى ٢١٧ ح ،
 ٤٧٠ ح .
 ابن عميرة الضبي اللورقي - أحمد بن عبد
 الملك ٢١٧ ح .
 ابن عميرة = أبو المطرف
 ابن عنين - محمد بن نصر الله ٥٢٠ ح .
 ابن عيَّاش - أبو العباس ٢٧٦ .
 ابن عياض - أبو محمد (متبذل بشرق
 الأندلس) ١٥٠ م .
 ابن غاز المكناشي (٦٩٥ - ٦٩٧) ، ١٥٥ ،
 ٥٩ ، ٧٠ ، ٨٢ ، ١٣٢ م .
 ابن غالب الأنصاري محمد ١٤٧ م .
 ابن غانية الميورقي ١٧٢ م .
 ابن غلاب السمرقاني - عبد السلام ٥٩ .
 ابن غلبون الرسي - محمد ١٩٤ .
 ابن الغنَّاز البلسني (٣٢٥ - ٣٢٧) ،
 ٣٧٦ ح .
 ابن غياث الشريشي (١٣٤ - ١٣٧) .
 ابن الفارض = عمر
 ابن فتوح - إبراهيم بن أحمد ٦٦١ ، ٦٦٣ ،
 ٦٦٥ .
 ابن الفخار الإلبيري - (؟) ٥٥٥ ، ٥٧٠ .
 ابن الفخار الجذامي - محمد بن علي (٣٩٩ -
 ٤٠١) ، ٦٠ ، ٤٥٥ ، ٥٠٤ (؟) .
 ابن الفخار الرعيني - علي بن محمد (٢٤٠ -
 ٢٤٥) ، ٢٢١ .
 ابن الفخار الشريشي - (؟) ٢٨٦ .
 ابن فرتون - أحمد بن يوسف ٣٤٨ م ، ٣٥٩ .
 ابن فرج الإشبيلي (٣٣٤ - ٣٣٥) .
 ابن فرحون - إبراهيم بن علي (٥٧٦ -
 ٥٧٩) ، ٤٥ .
 ابن فرحون - عبد الله بن محمد ٥٧ .
 ابن فرحون - علي بن محمد ٧٢ .
 ابن الفرضي - عبد الله بن محمد ٣٤٦ ح ،
 ٣٤٧ - ٣٤٨ .
 ابن فضيلة - فضل ٤٠٩ .
 ابن قادم المافري - محمد ٤٤٤ .
 ابن القاسم - عبد الرحمن ٦٩١ ح .
 ابن قتيبة الدينوري ٦٦٩ م .
 ابن القبطرنة - (؟) ١٥٤ .
 ابن قنوم - أبو بكر ١٥٤ .
 ابن القطّاع - علي بن جعفر ٢٥٦ .
 ابن القطّان القاسي - علي بن محمد ٦٠ ، ٦٢ ،
 (؟) ٣٤٦ م .
 ابن القطّان المسفر - أبو عبد الله ٤٩٦ .
 ابن قطرال - عبد الله بن عبد الحق ١٩٦ ،
 ٢٨٦ .
 ابن قنفذ - أحمد بن حسن (٦١٠ - ٦١٤) ،
 ٨١ .
 ابن القوّاس (دمشقي) ٤١٥ .
 ابن القويح التونسي (٤١٤ - ٤١٨) ، ٥٤ .
 ابن قيس الرقيات - عبيد الله ٩٣ - ٩٤ .
 ابن القين = الفرزدق .

- ابن الكمّاد - محمد بن أحمد ٤٢٠، ٤٦٠.
 ابن كيداد = أبو يزيد
 ابن لبّ - فرج بن قاسم (٥٥٥ - ٥٥٨)،
 ٦٢٦.
 ابن ليون التجيبي - سعد بن أحمد (٤٥٧ -
 ٤٦٠)، ٦٣٦ م.
 ابن ماجة ٥٥ ح، ٤٢١ ح.
 ابن مالك - سهل ١٩٦، ٤٤٤، ٤٨٩.
 ابن مالك المرشاني - محمد ٢٦٠.
 ابن مالك النحوي - جال الدين محمد بن عبد
 الله (٢٦٠ - ٢٧٠)، ٦، ٦٤، ٣٢٨،
 ٤١٤، ٤٢٧، ٤٧٨، ٥٣١، ٥٤٨،
 ٥٧٩، ٥٧٩، ٥٨٠ م، ٥٨٢ - ٥٨٦،
 ٦٢٧، ٦٣٨ م، ٦٣٩ م، ٦٦٨، ٦٦٩.
 ابن ماهلا (٩) ٢٠٩.
 ابن محمد = أحمد بن أحمد.
 ابن محرز - أبو بكر ٣١٧.
 ابن المختار (حفيد محمود بن عمر بن أقيت)
 ٧٠٧.
 ابن مخلوف الثعالبي - عبد الرحمن ٥٤، ٥٥،
 ٥٩، ٦٧.
 ابن مخلوف - عبد العزيز ٣٢٨، ٣٥٤.
 ابن مخلوف الجلساني - أبو عبد الله ٣٨٨.
 ابن المراجع (٤٦١ - ٤٦٥).
 ابن مرج الكحل ١٣٦ م، ٢٤٠.
 ابن الرّحل - أحمد ٤٥٢.
 ابن الرّحل - مالك (٣٣٥ - ٣٣٩)، ٤٢٧.
 ابن مردانيش (مردنيش: ملك بشرقي
 الأندلس) ٣١٤.
 ابن مردانيش = زيان
 ابن مرزوق ٢١ م.
- ابن مرزوق - أبو بكر (خدم أبا مدين
 التوفّي ٥٩٤ هـ) ٥٤٦ م.
 ابن مرزوق - أبو الفضل ٦٨٠.
 ابن مرزوق العجسي - محمد بن محمد
 (ت ٦٧١ هـ) ٣٦١.
 ابن مرزوق - أحمد (والد ابن مرزوق الجند
 (ت ٧٤١ هـ) ٥٤٦.
 ابن مرزوق التلمساني (ت ٧٧٦ هـ) ٦١١.
 ابن مرزوق الحفيد - محمد بن أحمد بن محمد
 (ت ٨٤١ هـ) (٦٣٤ - ٦٤١)، ٥٩،
 ٦٦، ٥٤٦ م، ٦٣٣ م، ٦٤٩، ٦٦٥.
 ابن مرزوق - أحمد بن محمد (والد ابن مرزوق
 الحفيد) ٦٣٤.
 ابن مرزوق الخطيب - محمد بن أحمد بن محمد
 (ت ٧٨١ هـ) (٥٤٦ - ٥٥٥)، ٥٨،
 ٦٢، ٥٠٤.
 ابن مرزوق - أبو عبد الله (ت ٨٩١ هـ)
 ٦٦٧ - ٦٦٩.
 ابن مرزوق الكفيف - محمد بن محمد
 (ت ٩٠١ هـ) ٦٨٨.
 ابن مرسي الطبيب ٣٥٤.
 ابن المرز (الحموي) ٤١٥.
 ابن مساعد الضّائي - عبد الله ٤١١.
 ابن مدي - الرّناطي - محمد بن يوسف ٥٥.
 ابن مسعود الخزرجي السّبي ٨٩.
 ابن مسعود الزّواوي - عيسى ٦٠، ٧٥.
 ابن مسعود الصّواي - علي ٣٢٩ م.
 ابن مبيك = فروة.
 ابن مشيش - عبد السلام ٢٠٤، ٢٠٥.
 ابن معط - يحيى ٢٦٢ م، ٥٣١.
 ابن معط المبدوسي - موسى ٦١١.

ابن النّحاس - محمد بن إبراهيم ٣٢٨ م.
٤٢٧ م.

ابن ندي = ابن ناد (؟)

ابن النّشار - عمر بن القاسم ٣٤١ م.

ابن شوان الحميري - محمد ٤٣٠ م.

ابن نصر = ابن الأحرر

ابن نوار - أحمد ٢٦٠ م.

ابن نوح الغافقي - عبد الله بن أيوب ٢١٠ م.

ابن نور الدين الأنصاري - عمر بن علي = ابن

الملقن (؟) - ابن الملقن (٧٢٣ - ٨٠٣ هـ)

ابن نور الدين (٧٢٣ - ٨٠٤ هـ) كلاهما

سراج الدين عمر بن علي.

ابن هارون (؟) ٦٧ م.

ابن هرون التيمي - محمد ٣١٧ م.

ابن هرون الطائي - عبد الله ٤٠١ م.

ابن هاني الأندلسي ١٨٤، ٤١٥، ٤٩٠ م.

ابن هاني البتي - محمد بن علي

(٤١٢ - ٤١٤)، ٤٧٨، ٤٩٠ م.

ابن هذيل الفرناطي - يحيى بن أحمد

(٤٦٥ - ٤٦٨)، ٥٠٤ م.

ابن هشام الأزدي القرطبي - عامر ٢٤٠ م.

ابن هشام الأنصاري ٢٦٤ م، ٢٦٦ م.

ابن هشام (النورقي) - محمد بن أحمد ٢٧٨ م.

ابن هشام = محمد بن علي.

ابن هلال - إبراهيم ٦٨ - ٦٩ م.

ابن هلال - أبو عبد الله ٩٩٨ م.

ابن هند = معاوية.

ابن هود - محمد بن يوسف = المتوكل بن هود.

ابن هيدور = ابن حيدور.

ابن واجب القيسي - أحمد بن محمد ٢١٠ م.

٢١٨ م.

ابن معمر الموّاري - الحسن بن موسى
(٢٨٣ - ٢٨٤).

ابن معين البغدادي - يحيى ٥٥٩ م.

ابن المغربي - الحسين بن علي ١١٣ م.

ابن مفرّج المالقي - محمد بن يحيى ٣٤١ م.

ابن مفرّج - يوسف ٢٧٨ م.

ابن مفرّج - عبد الحق بن علي البطوي

ابن مقلة - محمد بن علي ٤٢٨ م.

ابن المقير - علي بن الحسين ٣٧٠ م.

ابن مكرّم = ابن منظور

ابن مكرّم - محمد بن شعبان الكرماني

٣٧٠ م.

ابن المكرّم - محمد (غير ابن منظور) ٣٧٠ م.

ابن مكّي = أحمد بن مكّي

ابن الملقن - عمر بن علي ٥٨، ٦٤، ٦٣٤ م.

ابن منظور - جمال الدين محمد بن مكرّم

(٣٦٩ - ٣٧٤)، ٦٠، ١٨٧، ١٨٤ م.

ابن منظور - مكرّم ١٨٣ م.

ابن منظور - أبو عمر ٤٦٠ م.

ابن المنير ٤٠٢ م.

ابن المواق ٦٠، ٦٨، راجع ٣٤٦ م.

ابن ميمون الإدريسي ٧٠ م.

ابن ميمون التميمي القلبي - محمد ٣٥٤ م.

ابن الناجي - القاسم بن عيسى ٨١ - ٨٢ م.

ابن ناد - يحيى الدين ١٨٣ م.

ابن الناظر القرشي - الحسين بن عبد العزيز

(٢٧٥ - ٢٧٧).

ابن النّجار (محمد) ٦٦٥، راجع ٣٧٠ م.

ابن مهدي ٦٣٢ م.

ابن ميّارة = ميّارة

ابن نامارو (ناموار) = الخونجي

ابن الواسطي - تقي الدين ٤١٥.

ابن الياسين - عبدالله بن محمد ٦٦٧ ح.

ابن ياسين = الجزولي.

ابن يسر - أبو عبدالله ٣٨٨.

ابن يعيش = ابن أبي العيش.

ابن يمش (آخر) ٢٦٠.

ابن يوسف = سليمان بن داوود.

أبو اسحاق البليقي = البليقي.

أبو أمية (بن الحاج) ١٥٥.

أبو البقاء خالد (أمير بجاية) ٣٥٤ م.

أبو البقاء صالح بن شريف الرندي

(٢٨٦ - ٢٩١) - ٩٩٠ - ١٠٠٠.

أبو بكر أحمد بن عمر التنبكي = ابن أقيت.

أبو بكر داؤد = بارو.

أبو بكر بن زهر = ابن زهر.

أبو بكر الصديق ٤٨٦ م.

أبو بكر بن طلحة = ابن طلحة.

أبو بكر بن عبد العزيز بن أبي عامر ١٥٠ م.

أبو بكر بن عمر اللمتوني ٣٩ - ٤٤٠، ٤٤٠ م.

أبو تاشفين بن أبي حو ٥٤٠، ٥٤٣ م.

أبو تمام ١٩٣، ٢٢٣، ٢٤٢، ٢٥٠،

٢٩٦، ٤٩٠، ٥٢٩، ٥٩١، ٥٩٣، ح.

٥٩٨، ح. ٦٩٨.

أبو ثابت - الزعيم بن عبد الرحمن ٣٢.

أبو ثور النخعي - ابراهيم بن خالد ٤٢٣ م.

أبو جعفر بن الزبير - أحمد بن ابراهيم

(٣٥٨ - ٣٦١)، ٥٣، ١٦٢، ٣٤٦،

٣٤٨، ٣٤٩، ٣٨٣، ٤٠٩، ٤٢٠،

٤٢٦، ٤٣٩، ٥٠٧.

أبو جعفر الفرناطي الرعيبي (٥٢٨ -

٥٣٠)، ١١٤٠، م. ٥٣١.

أبو الجيوش نصر بن محمد = ابن الأخر.

أبو الحجاج الباسي - يوسف بن محمد

(١٩٢ - ١٩٤).

أبو الحاج التجيبي المكناسي - يوسف ٣٨٨.

أبو الحسن (ذكره ابن مرزوق) ٥٨.

أبو الحسن الشاذلي - علي (٢٠٤ - ٢١٠)،

٧٤، ٧٥، ح. ٥٦٦، ح. ٦٧٧، ح. م.

أبو الحسن الصغير الزرويلي - علي بن عبد

الحق = ابن الصغير الزرويلي

أبو الحسن بن عطية = ابن عطية

أبو الحسن الريني - (السلطان) علي بن عثمان

٢٧، ٣٢، ٩١، م. ١٠١ - ١٠٤،

١٠٨، ح. ٤٤٥، ٤٤٦، ٥٤٨، م. ٤٤٩،

٥٥٥، ٥٨٧، ٦١٥.

أبو حصص يحيى بن عمر الهنتاتي ٢٩، ٦ م.

٣٠٠، ح. ٣٧٦، ح. ٥٥٤.

أبو حو (الأول) - موسى بن عثمان ٤٢٠،

٤٧١.

أبو حو (الثاني) - موسى بن يوسف ٦،

٨٢ - ٨٥، ١٢٢ - ١٢٤، ١٢٧،

٥٣٧، م. ٥٣٨ - ٥٣٩، ٥٤٠ - ٥٤١،

٥٤٣، م. ٦٨٠، ٦٨١ - ٦٨٢.

أبو حنيفة الثمان ٦٣، ٤٢٣ م.

أبو حيان الفرناطي - أنير الدين (٤٢٦ -

٤٣٠)، ٢٦٦، ٣٢٨، ح. ٤٥٢ - ٤٩٦،

٥٣٠، ٥٥٥، ٦٣٤، ٦٦٨، ح. م.

أبو الخطاب السكوني - محمد بن أحمد (١٨٩ -

١٩٢).

أبو الخطاب = ابن واجب القيسي.

أبو حلدون = الحصري - ساطع.

- أبو عبد الآله ١٥٨ .
أبو عصيد - محمد الواثق بن يحيى ٣٥٢ م ،
٣٧٧ .
أبو العلاء = ابن سماك .
أبو العلاء = المعري .
أبو علي الثلوبين (الثلوبيني) (١٦١ - ١٦٤) ،
١٤٥ ، ١٥٤ ، ١٦٧ ، ١٧٤ ، ١٩٤ ،
١٩٦ ، ٢١٨ ، ٢٣٧ ، ٢٤٨ م ، ٢٧٠ ،
٢٩٢ ، ٣١٢ ، ٣١٧ م ، ٣٣٥ .
أبو علي الصديقي ٢١١ ، ٢١٦ .
أبو علي الفارسي ١٤٧ ح ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ح م ،
٢٥٠ ح ، ٢٧١ ، ٣١٧ .
أبو عمران المارتنلي الزاهد ١٩٠ .
أبو عمران موسى = ابن سعيد النسي .
أبو عمران = موسى بن عيسى الفجومي .
أبو عمران الداني = الداني .
أبو عنان المريني - المتوكل ٣٢ - ٣٣ ، ٣٥ ،
١٠٨ ح ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٨٤ م ،
٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٤٨ -
٥٤٩ ، ٥٥٣ م ، ٥٨٧ م ، ٥٩٩ - ٦٠٥ ،
٦١٥ - ٦١٦ .
أبو عوانة الزواوي ٨٦ ح .
أبو فارس عبد العزيز = عبد العزيز
المقصي .
أبو الفتح الواسطي ٢٠٥ .
أبو فراس الحمداني ٥٩٨ .
أبو الفرج غريغوريوس اللطفي ٨٨ .
أبو قابوس ١٥١ ح .
أبو القاسم = محمد رسول الله
أبو القاسم بن سراج = ابن سراج الفرناطي .
أبو القاسم (الشيخ ؟) ٥٨ .
- أبو داوود السجستاني ٥٥ ح ، ٤٢١ ح .
أبو ذر الحثني - مصعب ١٧٠ ، ٢٣٠ .
أبو الربيع بن سالم الكلاعي - سليمان بن موسى
(؟) ١٩٦ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٤ وما
بعد ، ٢١٨ ، ٢٧٦ .
أبو الربيع المريني - سليمان بن عامر ٣٨٣ .
أبو زيان (؟) ٥٣٧ .
أبو زيان المريني - محمد (السعيد) بن عبد
العزيز ٥٠٥ م .
أبو زيان - محمد بن موسى (أبي حو الثاني)
٥٣٨ - ٥٣٩ .
أبو زيد اللجائي = اللجائي .
أبو زيد الموحد - محمد بن حفص ٢١٠ .
أبو سعيد الثوري - محمد بن يوسف ٩٧ ح .
أبو سعيد الزناتي = عثمان بن يغمراش .
أبو سعيد المريني - عثمان بن أحمد ٦١٦ ح .
أبو سعيد المريني - عثمان بن يعقوب ٩١ ،
٣٨٣ ، ٤٠٧ - ٤٠٨ ، ٤٣٩ - ٤٤٠ ،
٤٤٩ ، ٤٤٥ .
ابن ضربة اللجائي - محمد بن زكريا ٣٧٧ م .
أبو طالب - عبد الهادي ٥١٦ .
أبو طالب المكي ١٢٩ ح ، ٥٦٦ ح ، ٦٧٩ م .
أبو عامر = تاشفين بن علي .
أبو العباس المريني - أحمد بن إبراهيم ٥٠٥ .
أبو العباس المغربي - أحمد بن أبي طالب
(٣٥٨ - ٣٥٧) .
أبو العباس المرسى - أحمد بن عمر ٢٠٥ م .
أبو العباس الملياني - أحمد بن علي (٣٧٤ -
٣٧٥) .
أبو العباس الوشريس - أحمد بن يحيى
(٦٨٨ - ٦٩٥) ، ٧٠٥ .

- أبو القاسم البقي = الشريف الحسي .
أبولونيوس ٨٨ .
أبو الليث السمركندي ٤٧٠ ح .
أبو مدين ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٣٥٦ ، ٥٤٦ م ،
٦١٢ ، ٦٤٩ م .
أبو المطرف بن عميرة الهزومي - أحد
(٢١٧ - ٢٢٤) ، ٦ ، ١٠٠ - ١٠١ ،
٢٤٢ م ، ٣١٧ ، ٤١٣ .
أبو مفرقة = ابن مفرق البطوي
أبو النجا الطنتداعي - محمد ٣٩٧ ، ٣٩٨ ،
٣٩٩ .
أبو نعيم = رضوان
أبو نعيم الاصفهاني ٥٣١ م .
أبو نواس ٣٧١ ، ٤٩٠ ، ٥٩٨ ، ٦٢٨ م .
أبو يزيد - محمد بن كيداد ٤٨ .
الأبي - محمد بن خليفة ٥٩ م .
الأيباري - ابراهيم ٢١٦ ، ٣١٦ م .
أثير الدين = أبو حيان الفرناطي
الأجهوري - أحد ٧٨ .
أحمد = محمد رسول الله
أحمد (اسم ١٥٤) ، ٢٦٣ ، ٣٤٩ م ، ٣٩٥ ح .
أحمد بن أبي بكر بن جعفر ١٨٣ .
أحمد بن أحمد بن محمد ٢٦٠ .
أحمد بن أحمد ... بن عيسى
البرنسي = زروق
أحمد الحفصي ٧٣ ح .
أحمد بن حنبل ٥٧ ، ٣٤٠ ح ، ٣٥٣ ، ٤٢٣ .
أحمد بن زكريا المغربي ٥٩ .
أحمد بن زين الدين ٣٣٤ .
أحمد - شكري محمود ٣٧٤ .
أحمد بن عيسى الفهري ٣٥٤ .
أحمد بن محمد القطبي = القطبي
أحمد بن عبدالله الزواوي ٧٣ .
أحمد اللباني - أبو العباس بن ابراهيم
(٢٢٧ - ٢٢٩) .
أحمد الحفصي = المستنصر الحفصي .
أحمد بن محمد الفاسي (?) ٧٣ - ٧٤ .
أحمد بن المستنصر المريني = أبو العباس .
أحمد بن مكّي - أبو العباس (صاحب قابس)
٣٥ .
أحمد بن يحيى الحميري القرطبي ١٤٤ .
أحمد بن موسى الزناتي (صاحب تلمسان)
٤٨٤ .
الأحمر (جدّ بني الأحمر: بني نصر) ٧٠٢ م .
الأخطل ٥٩٨ ح .
الأخفش (الأصفر؟) - أبو الحسن ٤٠١ .
إدريس (الأول) بن عبدالله ٤٠٨ م .
إدريس كنع كرمي ٤٧ - ٤٨ .
إدريس بن محمد بن محمد بن موسى الأنصاري
القرطبي ١١٧ .
أذفتش ٣٠٨ م .
أرسطو (أرسطوطاليس) ٢٩٢ ، ٢٩٦ م ،
٤٥٦ ح ، ٥٩١ ح .
الأزهري - خالد بن عبدالله ٢٦٧ م ، ٢٦٨ ،
٢٦٩ م ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ .
الأزهري - محمد بن أحمد ٣٧١ .
الأزهري الرفاعي = الرفاعي الأزهري - أحمد
الاستحي = محمد بن أحمد .
اسحاق الثاني (ملك كاغو) ٥٠ م .
اسحاق الموصلبي ١٨٥ م .
اسحاق بن راهويه ٤٢٣ م .
أسد بن الفرات ٦٩١ ح .

ألفونسو السادس ٩٥، ٦٥٥ م.
ألفونسو الحادي عشر ٢٧، ١٠٥، ح ١٠٦، ح.
٥٤٦.

أُمّ العفاف = نزهة بنت سليمان اللخمي

أعوج = محاج

أمرؤ القيس ٢٢١، ٢٢٢، ح ٢٥٠،

٢٩٧، ح ٣٠٩ وما بعد، ح ٤٤١، ح.

٥٣٦، ٥٦٠ م.

أقطار الصغير - أبو عبدالله ٦٥٧.

أمين الوحي = جبريل

الأمي الشريشي - علي بن ابراهيم ٥٥.

الانباري - محمد بن محمد ٢٦٨، ٢٦٩، ٣٩٩.

أنس الأصبحي ٥٠٨ م.

أنسلمو نورميدا ٧٢ - ٧٣.

الأنصاري الحموي = شرف الدين

الأنصقي = العاقب

أنطونيا - ماثور ٥١٥.

الأنقاسي - يوسف بن عمر ٦١.

أنو شروان = كسرى أنو شروان

الأهدل - محمد بن أحمد بن عبد الباري

٣٩٩.

الأوزاعي - عبد الرحمن بن عمرو ٤٢٣،

٤٢٤ ح.

أوس بن حارثة = ابن سعدى

أومي = حومي

ايت = ايد

أيد أحمد التازخي - محمد بن أحمد (؟) ١٣٢.

إسابل (ملكة قتالة) ٢٧ م.

أيوب ١١١ ح.

الأسد = تقي الدين الأسد

الاسكندر الأفروديسي ٤٥٦ م.

الاسكندر المقدوني ٢٨٨ ح.

أسكي الحاج محمد ١٣٣.

أسكيا الحاج محمد (الأول) التوردي

٧٠٨ - ٧٠٩.

أسكيا = اسحاق الثاني.

أسكيا اسحاق الأول ٤٩ م.

أسماء (اسم) ٥٨٣.

اسماعيل = ابن عبد المؤمن

اسماعيل بن عزوز ٣٣٤.

الأشتر - صالح ٢١٦.

الاشري - عبد الرحمن ٤٠٢.

الأشرف شعبان ناصر الدين ٥٢٠، ح ٥٤٧.

الاشموني - علي بن محمد ٢٦٦ م، ٢٦٨،

٢٦٩ م، ٢٧٠، ٧٠٣.

الأشهب - أبو الحسن علي بن منصور ٦٢٦،

٦٣٤ (؟).

الأصلي - عبدالله بن ابراهيم ٨١.

الأعشى ٤٣٢ ح.

الأعلم البطليوسي - ابراهيم بن قاسم

(١٥٢ - ١٥٤).

الأعلم الشنمري - يوسف بن سليمان ١٥٢ ح.

الأفراغي - محمد ١٨٢.

أفضل الخلقين = محمد رسول الله

أفلاطون ٨٤، ٢٩٦، ح ٥٩١ ح.

الأقنيسي = الصلاح الأقنيسي

أقليدس ٨٨، ١٩٤، ح ٣٨٨، ٣٨٩.

أقيت = عبد الله بن عمر

أقيت = محمود بن عمر

الأركون ٢١٦.

حرف الباء :

بابا التبنكي - أحمد بن أحمد بن أقيت ٤٥ .

٨٥ .

الباجوري - ابراهيم ٧٨ ، ٧٩ ، ٣٩٩ .

الباجي - أبو سعيد ٦٣٨ .

الباجي السعدي - محمد ٣٩٧ .

الباجي (ثائر في اشبيلية) ١٦٩ .

باراماندانا ٤١ م .

بارو - أبو بكر دأو ٤٩ .

باسه - رنيه ٧٩ .

بالنشا = غزالث بالنشا ٢١٦ .

الباهلي - أبو محمد ٤٨٠ .

بايزيد يلديرم ٥٨٨ م .

بتاني - زين العابدين محمد ٧٨ .

البجاني = محمد بن عمر الزواوي

البحرتي ٩٤ م ، ٢٤٢ م ، ٤٩٠ .

بحرق ٢٦٧ م ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ .

البخاري ٥٥ م ، ٥٦ م ، ٥٨ م ، ٥٩ م ، ٦٣ ،

٧٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ح ، ٢٦١ ، ٢٦٥ ،

٣٤٨ م ، ٣٤٩ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ م ،

٤١٠ ح ، ٤٢١ ، ٤٥٢ ، ٥٤٧ ح ، ٦٦٨ ،

٦٩٦ .

البخاري الدماطي - أحمد ٣٥٨ .

بدر الدين بن هود - الحسن بن علي (٣٣١ -

٣٣٣) .

بدري (اسم) ٦٩٥ ح .

البدري - محمد بن محمد (٤٦٠) .

بدوي - عبد الرحمن ٢٠ ، ٦٠٥ ح ،

٦٠٧ م ، ٦٠٩ .

بديع الرمان الهمداني ١٠٥ ح ، ٢٤٢ م ،

٥٣٥ م .

البرادي الدماي - ابراهيم ٧١ م ، ٨١ م ،

٨٢ م .

بربروسا = خير الدين

البرذعي ٦٥ .

البرزالي الاشبيلي - محمد ٥٧ ، ٤٨٤ ،

٤٨٥ م .

البرزلي (؟) ٦٦ - ٦٧ ، ٦٩٠ م .

برشه - ليون ٦٣٢ .

البرعي - عبد الرحيم ١١٣ .

البرغاوي = يوسف دليلي

برقوق - الطاهر ٤٦ ، ١١٢ .

البرقي - يحيى ٢٢٧ ، ٢٨٣ .

بركات بن أحمد = النجار العروسي

بركات - محمد كامل ٢٦٥

بروفسال (بروفصال) - اتيان ليفي ٣٦١ ،

٤٠٦ ، ٥١٥ ، ٥٥٥ ، ٦٥٢ ح .

بروكلمن ٦٧ - ٦٨ ، ٧٥ ح - ٧٦ ، ٢٦٤ ،

٣٥٤ ، ٤٢٦ ح ، ٤٤٩ ح ، ٦٠٥ ح .

برونو ٣٩٧ ، ٦٩٤ .

البتاني - ألفرد ٢١٦ .

البتاني - فؤاد أفرام ٥٢٧ ، ٦٠٧ .

بيوني - محمود ١٧٨ .

بشار بن برد ٤٣٢ م .

بطرس (الرابع) القاسمي ٥٨٧ .

بظلموس ٨٨ .

الطلوي = ابن مفرع

البغدادى - عبد اللطيف ١٨٣ .

بكرتون بن الأشقر الحضرمي ٤٣٧ .

البكري - حسن بن محمد ٢٥٥ .

بل - ألفرد ٢١٦ ، ٥٤٥ .

البلادري ٣٧٢ ح .

البلبالي = مخلوف بن علي
 بلج بن بشر ١٦٥ ح ٢٣٢ م.
 بلش - عثمان ٧٠٦.
 البلقي - ابراهيم بن محمد ٢١١، ٢١٦.
 البلقي = ابن الحاج - أبو البركات.
 بلقيس ٣٠٦ م.
 البلسي - أبو عبد الله ٦٢٦.
 البلوى - خالد بن عيسى ٨١، ٥٦٣ م.
 البلوى - علي بن محمد ٢٤٠.
 البَنَاني - ابراهيم بن الحسن ٧٨، ٧٩.
 بهاء الدين العاملي ٥٣١.
 بوالي ٣٦٩.
 بوتول - جوستون ٦٠٧.
 البوصري ٥٨٠، ٦٢٤، ٦٩٨، ٧٠٠.
 البوظفي - عبد الغفار ٦١٥.
 بونار - رايح ٣٥٦.
 البياشي - يوسف بن محمد ٨٠.
 البَيَّاني - أبو عبد الله ٥٢٨، ٦٤١ (؟).
 البيجي = الباجي.
 البيدموري ٦٨٣.
 بيريس - هنري ٦١٤ م.
 بيثا ١٨٧.
 البيطار - محمد بيجة ٥١٨ ح.
 البيلوني العمري - محمد فتح الله بن محمود
 ٥٢٧.
 التكروري = عبد العزيز
 التميمي (؟) ٤٣٢ م.
 التنسي - محمد ١٢٢ - ١٢٤، ٧٠٣ (؟).
 التسي - محمد بن عبد الجليل ٨٢.
 التنوخي - محمد بن محمد ٣٧٠.
 التوردي = أسكيا الحاج محمد
 نورميديا = أنسلمو

تاسرت = محمد بن تيفاوت.
 تاشفين بن علي - أبو عامر (؟)
 تالوكيت ٣١٦.
 تامر - عارف ١٨٢.
 التاودي = محمد بن سودة
 التجاني - ابراهيم بن محمد ٣٧٦ م.
 التجاني - أبو القاسم ٣٧٦.
 التجاني (التجانية): زينب ٣٧٦ م.
 التجاني - عمر بن ابراهيم ٣٧٦ م.
 التجاني - محمد بن (أحمد) محمد (٣٧٦ -
 ٣٨١)، ٨٦.
 التجاني - محمد بن أبي القاسم ٣٧٦.
 التجاني - محمد بن علي ٣٧٦.
 التجانية = التجاني (زينب).
 النجبي السبي - أبو القاسم ٥٦.
 الترجمان الميورقي = أنسلمو.
 التركي - عبد المجيد ٦١٤.
 التركي التونسي - محمد ٦٢٠.
 الترمذي ٥٥ ح، ٥٦، ٤٢١ ح.
 التسولي - ابن أبي يحيى ٦١.
 التسولي - علي بن عبد السلام ٦٥.
 التسولي الشراوي - عبد السلام ٦٣٢ م.
 توسر - جفري ٦١٠ ح.
 تقي الدين الأسد (ولد ابن مالك النحوي)
 ٢٦١.
 حرفا التاء والتاء:
 تاج الدين الكندي ١٨٣، ١٩٤.
 التادلي - أحمد ٧٥.
 التازخي - محمد بن أحمد ١٣٢.
 التازي - ابراهيم (٦٤٩ - ٦٥٢)، ٧٦، ٨٠.
 ٦٨٠.

- تورنبرغ ٦٠٦، ٤٠٨ .
التوزري - عثمان بن محمد ٦٣٢ .
توفيق - محمد ٦٠٩ .
تيزهاوزن ٦٠٦ .
التيفاشي القنصي - أحمد بن يوسف (١٨٣ -
١٨٨)، ٩٠، ٣٧٠ .
تيفاوت = محمد بن تيفاوت
تيمور - أحمد ٣٧٤ .
تيمورلنك ٥٨٨ م - ٦٠٩ .
التبملي - قاسم بن علي ٥٨ .
ثابت بن عمار ٣٥ م .
الثعالي = ابن مخلوف .
الثعالي - عبد الملك بن محمد ٣٧١ .
ثعلب - أحمد بن يحيى ٣٣٦ م ، ٤٧٠ ح ،
٦٦٩ م (?) .
الثغري = محمد بن يوسف
ثيودوسيوس ٨٨ .
- حرف الجيم:
- الجاحظ ٣٧٠ .
الجابري - محمد عابد ٦٠٩ .
جاد المولى ٥٢٧ .
الجادري (الجاديري) ٩٠، ٥٤ م .
جبريل ٢٠٠ م ، ٢٥٨ ح ، ٥١١ م ، ٥٣٢ ح ،
٥٣٣ م .
الجبوري - عبد الله ٢٥١ .
الجديل (حصان) ٦٠٣ م .
الجرجاوي - عبد الرحيم ٣٩٨ .
الجرجاوي - عبد النعم ٢٦٨ ، ٢٦٩ .
جيرير ٢٢٢ ح ، ٥٩٨ م .
الجزائري = محمد الطيب
- الجزائري - علي ٨١ .
الجزائري الكرياني - أحمد بن شبيب (٤٤٩ -
٤٥٢)، ١٦، ٩١١ .
الجزولي - عبد الله بن ياسين ٣٩ - ٤٠ .
الجزولي - عبد الرحمن ٦١ .
الجزولي - عيسى بن عبد العزيز ١٦٣ ، ٢٤٨ ،
٢٥٠ م ، ٢٥٠ م (?) ، ٣٤١ .
الجزولي - محمد ٨٩ .
الجزولي السلافي - محمد بن سليمان (٦٥٦ -
٦٦١)، ٧٦، ٦٩٢ - ٦٩٣ .
جعفر أوغلو ٤٣٠ .
جعفر - محمد ٦٠٧ .
جعفر بن يحيى بن خالد ٥٩٣ - ٥٩٤ .
الجلاب = ابن الجلاب
جلال الدين الرومي ٥١٨ ح .
الجماعيلي - عبد القوي بن عبد الواحد
٥٤٧ ح .
جمال الدين - محسن ١١٠ ح م .
جل (بالضم: في شعر) ٣٣٢ .
جميل بن معمر ٥٧٣ م .
الجناني (في؟) - أبو موسى ٦٥ .
جندح ، جندحان = عمرو القيس
الجيد البغدادي ٢٠٤ .
الجواري - عبد الستار ٢٥١ .
الجواليقي = ابن الجواليقي
جويتر (رفس) ٤٦٧ ح .
جودت - محمد ٥٢٧ .
جؤذر (المغربي) ٥٠٠ .
الجوندي = سعد بن أحمد التجيبي
الجوهري - اسماعيل بن حماد ١٥٣ ، ٢٥٦ ،
٣٧١ .

الحِيَاب = ابن الحِيَاب

الحِيَابِي - علي بن محمد (٢٣٧ - ٢٣٩).

المِيطَانِي - اسماعيل بن موسى ٧١.

حرف الحاء:

حاتم (اسم)

الحاج - أحمد بن محمد ٣٩٨.

حاجب بن زرارة ٢٢٥ م.

حاجيات - عبد الحميد ٥٣٧ ح.

حار = حارث (في شعر) ٤٥٠ م

حازم القرطاجني (٢٩١ - ٣١٢)، ٦،

٣٧٦ ح، ٣٨٣، ٤٧٨، ٤٨٠، ٥٦٠ ح،

٥٨٠، ٥٨٦.

الحافظ الذهبي = الذهبي

الحافظ المزني = المزني

حافي رأسه - محمد بن عبد الله (٣٢٧ -

٣٢٩).

الحاكم النسابوري - أبو عبد الله ٥٨.

الحامدي - اسماعيل بن موسى ٣٩٨.

حاب (اسم) ٣٤٨ ح.

حبيب، حبيب بن أوس = أبو تمام.

الحبيب = محمد رسول الله ٥٦ م، ٥٩.

الحجاج بن يوسف ٤٢٩ م، ٥٠١.

حجر بن ذي رعين ٣٦١.

الحجري - عبد الله بن محمد...

حجتي - محمد ٦٩٥ م.

الحديشي - خديجة ٤٣٠ م.

حذام ٥٢٠ م.

الحزاني - أبو عبد الله ٢٨٤.

الحريري - القاسم بن علي ٣٥٢ - ٣٥٣.

٣٧٠، ٤٩٦، ٥٣١ ح.

الحريري - أبو محمد بن قاسم ١٥٥.

حكان بن ثابت ٢٩٣ م، ٤٣٣ م، ٥٩٨ ح،

٦٦٤ ح.

الحكافي = الهاسي

حسن (اسم) ٣٤٨ ح.

الحسن بن أحمد الأنصاري ١٨٨.

الحسن الصري ٤٢٣ م.

حسن - زكي محمد ٣١٦.

الحسن بن علي بن أبي طالب ١١٥ ح.

حسن = علي الفقيه

الحسن بن عمر = الفودودي

الحسن بن عمر المراكشي ٨٨.

حسن = محمد عبد القني

الحسن بن محمد = البكري

حسن - يوسف ١٨٧.

الحسين (اسم) ٣٤٨ ح.

حين = الحضر حين

حين - طه ٦٠٩.

الحسين بن علي بن أبي طالب ١١٥ م،

١٣٠ - ١٣١ (؟)، ٢١١.

الحصار = ابن الحصار

الحصري - ابراهيم بن علي ٣٧١.

الحصري - خلدون ٦٠٨ ح

الحصري - ساطع ٦٠٨ م.

الحضرمي - عبد المهيمن.

الحضرمي السبي - عمران ٥٧٠.

الحضرمي = يعقوب.

الحطاب الصغير الرعيني - محمد ٧٠ - ٧١.

حفاظت حين ٦٦٠.

حفص بن غياث ٤٢٣ ح (راجع ابن غياث.

الشريفي).

حفصة الثائرة ٣٢٤.

الحفصي - أبو بكر (صاحب قسطنطينة)

٣٧٧.

الحفصي - أبو زكريا يحيى = أبو حفص

الحفصي - أبو يحيى أبو بكر (سلطان تونس)

٤٨٦ م.

الحفصي = أحمد الحفصي

الحفصي - عمر ٤٨٦.

الحفصي - محمد = المنتصر

الحكم الرضوي بن هشام ١٨٤ م.

الحكيم - توفيق ٢٦٠.

الحكيم المغربي = ابن أبي السكر

الحكيم = يحيى الرندي

الحلاج ٤٧٥.

الحلو - عبده ٦٠٨.

حلولو - أحمد ٦٦٥ م.

حليمة السعدية ١٩٩.

الحمار (كناية عن خصم) = راجع أنسلمو ٧٢.

الحمازوي = العدوي

حمو الشريف - محمد ٦٦٥.

حميد الأنصاري أحمد (١٨٨ - ١٨٩).

الحميري = ابن عبد المنعم

الحميري (آخر) ٦٥٢.

الحميري = ابن الصباغ

حوثللو = حوط الله.

الحوضي = الساولي.

حوط الله (حوظلوا) = ابن حوط الله ١٢٠.

الحوفي - أحمد بن محمد ٦٤ ح. ٦٠٩، ٦٩٦.

(٢).

الحوفي - علي بن ابراهيم ٦١، ٧٧.

حومي (أول ملوك كاتم) ٤٦ م.

حومي = محمد بن عبد الجليل

حرف الحاء:

خاتم الأنبياء = محمد رسول الله

خالد بن الخطاب (رأس أسرة ابن خلدون)

٥٨٦ م.

الخراط - أحمد ٣٤٦.

الخزوي - محمد بن أحمد ٧٥.

الخزاز الشريشي - محمد بن محمد ٥٣.

الخزرجي - أحمد بن مسعود ٦٣٨ ح.

الخزرجي - أبو محمد عبد الله بن محمد بن محمد

٥٤٨، ٦٦٩ ح (٢).

الخزرجي - عبد الله بن محمد بن أحمد

٥٧٦ - ٥٧٧.

الخزرجي - عبد الله بن محمد الأنصاري

٦٩٠ ح.

الخزرجي - محمد بن عثمان ٤٧٨.

الحثني = أبو ذر

الحضر حين - محمد ٦٠٨.

الحضري الديماطي - محمد ٢٦٩.

الحضيري - محمد ناجي ٦٠٨ م.

الخطاب (٢) ٣٩٩.

الخطاب الرعيني - محمد بن محمد ٣٩٧.

الخطيب = ابن الخطيب.

الخطيب البغدادي ٣٧٠.

الخطيب - سعيد (جد لسان الدين) ٥٠٤ م.

الخطيب - محب الدين ٥١٦.

الخطيب المغربي - أبو النجم ٧٧.

خلدون = خالد بن الخطاب

الخلف = شهاب الدين

الخليل بن أحمد ٤٤٣.

الدرجيني - أحمد بن سعيد (٢٥٢)، ٧١ م،

٨٢، ٨١ م.

الدسوقي - محمد بن أحمد ٧٨.

الدماري = البرادي

الدماسيني - البهاء ٣٥.

الدمياطي - شرف الدين ٤٠٣.

الدمياطي = نور الدين

ده ساسي ٢٦٤.

ده فيرجيه - نويل ٦٠٦.

ده موبين ٦٩٤.

دوزي ٣١٦، ٤٠٦، ٥١٦.

دوغات ٥١٦.

دوغا بن حومي ٤٦.

دوغا بن محمد بن عبد الجليل ٤٦ م.

دي سنان ٦٠٦.

ديارا كتي ٤٧ م.

دغبريري ٥٢٧.

الديري (?) ٧٩.

الدينوري - أبو حفص ٢٣٥.

الذهبي - الحافظ ٤٨٤، ٤٨٦ م.

ذو الرمة - غيلان ٢٢٩ م، ٥٩٨.

حرف الراء:

الرازي = فخر الدين الرازي

راشد بن الوليد القاسي ٥٩.

الرافعي (?) ٥٨.

رايت ٥١٦.

الرباب (اسم) ٣٣٥، ٥١٩ م، ٦٥٠ م.

الرياح = الدياج

الربمي التونسي - محمد بن محمد ٦١.

الرجم = الشيطان

خليل بن اسحاق (الجندي المالكي) ٦٦.

٦٧ م، ٦٨ م، ٦٩، ٧٠، ٧١ م، ٧٣ م.

١٣٣ م، ٦٣٨ م، ٦٦٣، ٦٦٦ - ٦٦٧،

٦٧٠، ٦٧٤، ٦٩٦، ٧٠٦.

خليل بن اسحاق (الشاعر) ٦٦٧ ح.

الحنانجي = الحونجي

الحنولاني الإلبيري - محمد بن علي ٥٢٨.

الحنونجي - محمد بن نامارو (ناموار) ٦٦٠، ٦٦٥،

٤٧٣ م، ٦٣٧ م.

خير الأنام = محمد رسول الله ١١٤.

خير البرية = محمد رسول الله ٧٩.

خير الدين بربوسا ٣٠، ٣١ ح، ٣٤.

خير الوري = محمد رسول الله ٣٦٦ م، ٥٣١.

حرفا الدال والذال:

دارا (الأول والثالث) ٢٨٨ م.

الدارجيني = الدرجيني

الداعي - شرف الدين ٦٤٩.

داغر - يوسف أسعد ٢٠.

داريوس = دارا

الداني - أبو عمرو ٥٣، ٦٢٧، ٦٦٨ ح.

دأو = بارو

داوود (أخو أسكيا اسحاق) ٩٤ - ٩٥.

داوود الأنطاكي ٥٣١.

داوود بن علي الأصفهاني ٤٢٣ م.

الداية - محمد رضوان ٢٨٦ ح، ٢٨٧ ح،

٢٩٠ ح، ٤٤٩ ح، ٤٨٩ ح، ٤٩٥،

٥٦٥، ٦١٥ ح، ٦٢٠.

الدياج = ابن الدياج

الدياج - أبو الحسن بن طاهر (?) ٣١٧.

دحلان - أحمد (بن) زيني ٢٦٧، ٣٩٨.

- الرشيد = هرون
 الرشيد الموحدى ٢١٨ م (؟)، ٢٣٧، ٢٩٢.
 الرشيدى - أحمد بن يوسف ٧٩.
 رضوان (خازن الجنة) ٢٨٢.
 رضوان - أبو نعيم ٥٠٤ م.
 الرضى - الشريف الرضى.
 الرعيني = ابن السراج.
 الرعيني - أبو الحسن علي بن محمد ٣٤٦.
 الرعيني = أبو جعفر الفرناطى.
 الرقاء المرسى - الحسن بن عبد الرحمن (١٣٨ - ١٣٩).
 الرقاعى الأزهرى - أحمد ٢٦٧، ٢٦٩.
 الرقبلى - يحيى بن ابراهيم ٧٣.
 الرندى = أبو البقاء الرندى.
 الرندى - محمد سعيد ٥٣٠.
 الرندى = يحيى.
 الرندى = يحيى بن أحمد النفزي.
 روبين (النبي) ١١١ ح.
 رويو - لوثيانو ٦٠٧.
 الروح، روح القدس = جبريل.
 رويغ بن ثابت الأنصارى ٣٦٩ ح.
 الرىحاني - أمين ٥٢٧.
 حرف الزاي:
 زاسباور ٧١٠ ح.
 الزباه ٥٣٦ م.
 الزجاجى - عبد الرحمن بن اسحاق ١٤٧ ح،
 ١٤٨ ح، ٢٤٨، ٢٤٩ م، ٢٧٦، ٣١٧،
 ١٣٤١ م ٥٥٥.
 الزركشى = اللؤلؤي.
 الزركلى - خير الدين ١٧، ٥٤، ٦٧، ٨٥ ح،
 ٦٣٣.

زيد بن ثابت ٦٦٣ - ٦٦٤ .

زيد بن = كوديرا

زين = محمد ٧٨ .

زينب (اسم) ٤٣٢، ٣٣٥، ٥١٩، ٦٥٠ م .

زيني (بن) دحلان = دحلان .

حرف السين:

الساخلي = الطويج

ساسان - ٢٨٨ م

ساسكي = محمد الحاج

الساقي - أحمد بن عبد الرحمن ٦٧٩ .

الساقي - حسن ٦٠٩ .

سالم = محمد بن عبد الجليل

سامي (اسم) ٦٩٥ ح .

سانغوينيقي ٥٢٧ .

الساوي الحوضي الولاقي (الأي) - يحيى بن

مختار ٦٣٢ - ٦٣٣ .

السي - أبو القاسم محمد بن أحمد ٥٠٤ .

السي - أبو جعفر بن أبي القاسم ٦٤١ .

سيكورا ٤٢ .

الجاعي ٢٦٨ م . ٢٦٩ .

سحان وائل ٥٣٤ م .

سحنون ٦٣٠ م ، ٦٩١ ح ، ٧٠٦ ح .

السحاوي - أبو المحسن ٢٦٠ .

السحاوي - محمد بن عبد الرحمن ١١٢ ،

١١٣ ، ٦٨٥ ، ٧٠٣ .

السراج - يحيى ٥٦٦ . (?)

السراج = يحيى بن أحمد النفزي

السراج البلقيني - عمر ٦٣٤ م .

السرطسي - محمد بن محمد ٦٦١ ، ٦٦٥ .

سركيس - يوسف اليان ٨٣ ح ، ٢٦٤ .

الطبي - أبو عبد الله ٥٤٠ .

سعاد (اسم) ٥٦ ، ٦٣٨ ، ٦٥٠ م .

سعد التجيبي = ابن ليون

سعد بن أحمد التجيبي الجوندي الجيكاني

٤٥٧ ح .

سعدون (اسم) ٥٨٦ .

سعدى (اسم) ٣٣٢ ، ٣٣٥ م .

السعدي - عبد الرحمن بن محمد ٢٥ ح .

سعيد (اسم) ٢٦٣ ح ، ٣٩٥ ح م .

سعيد بن حكم القرشي (٢٧٧ - ٢٨٢) .

سعيد الخطيب (حدّ لسان الدين) ٥٠٤ .

سعيد بن الميِّب ٤٢٣ - ٤٢٤ .

السفاح - أبو العباس ٤٢٩ م .

سفيان الثوري ٤٢٣ م .

السقطي - أحمد بن محمد المالقي ٦٨ .

سفين = القصري الفاسي .

السكراني - يوسف ٢٥٠ ح م .

سكورا = سبكورا .

السكوني - أبو بكر ١٩٠ .

السكوني - أبو الحكم ١٨٩ ح .

السكوني - أبو الحكم ١٨٩ ح .

السكوني = أبو الخطاب .

السكوني - أبو الفضل ١٨٩ ح .

السكوني - علي بن ابراهيم ٣٩٩ ح .

السكوني - محمد ١٨٩ ح .

السكوني التونسي - محمد بن خليل ٧٢ .

سلمى (اسم) ٥٣٢ ، ٥٨٣ .

سلمى = محمد بن عبد الجليل .

السلولي - أبو القاسم ٥٤ ، ٥٩ .

سلم (اسم) ٣٩٥ ح .

سليمان (?) ٢٨٩ م .

سليمان بن داوود بن يوسف ٣٢ ح.

سليمان - فوزي ٦٠٧.

السمباوي - محمد زين ٧٨.

السمراي - محمد معصوم ٣٩٩.

السمطاني ٣٧٠.

السوأل ٣٥٥ م.

سن أياتا = سندياتا.

السندوي ٥٦٠ ح.

السوسي - محمد بن يوسف ٥٩، ٦٨، ٧٧.

٧٨ م، ٧٠٣.

السهوردي - عمر ٢٣٥.

السهيلي - عبد الرحمن ٥٩، ١٤٨ م.

السوداني - أحمد بن محمد ٣٩٩.

سومان غورو (هورو) ٤١ - ٤٢، ٤٧، ٤٨ م.

السوسي - محمد ٨٧ م.

السوسي - محمود ٣٩٣.

سيويه ١٤٧، ١٦٣ م، ١٧٠، ٢٤٨، ٢٧٦،

٣١٧، ٣٨٨، ٤٠٠ م، ٤٠١ م، ٥٧٩.

سيد الأنام = محمد رسول الله ٥٨.

سيد الأهل - عبد العزيز ٤٢٦ ح.

سيد ريعة ومضر = محمد رسول الله ٥٦.

سيد المرسلين = محمد رسول الله ٥٩.

السيد القمبياطور ٩٧.

سيد الكونين = محمد رسول الله ٥٣١ م.

سيف الدولة ٢٢٢ ح، ٥٢٠ ح.

سيف بن ذي يزن ٤٣٣ ح (راجع: ابن ذي يزن).

السيوطي - عبد الرحمن ٦٠، ٦٩، ١٣٣،

١٥٣ ح، ٢٦٦، ٢٧٠، ٣٩٣ - ٣٩٤،

٧١٠، ٧٠٣.

السيوطي - عبد الرحيم ٣٩٨.

حرف الثين:

الثابّ الطريف ١٥٨ ح.

الثاذلي = أبو الحسن الثاذلي

الثارققي، الثاري - أبو الحسن بن محمد

١٨٨ م، ٣٥٩.

الناطي = ابن خضر الناطي

الناطي - ابراهيم بن موسى ٦٢ - ٦٤،

٥٦٦، ٦٢٦.

الناطي - القاسم بن فيره ٢٦١ م، ٣٣٦ ح،

٣٩٣، ٦٢٧، ٦٣٦ م، ٦٦٨ ح م.

الناطي = محمد بن علي

النافعي ٤٢٣ م، ٤٢٧.

شاكر الأيادي (اسم مرتجل) ٤٦١ م.

شاحجة (الرايع) ملك قتالة ٢٦ - ٢٧.

شبانة - محمد كمال ٥١٦.

شبح - ابراهيم ٢٤٥.

شبيب بن يزيد الشيباني ٦١٨ ح م.

شداد بن عاد ٢٨٨ م.

شدم (اسم حصان) ٦٠٣ م.

شرف الدين الأنصاري الحموي ٣٣٤

الشرفاوي - عبد الله بن حجازي ٧٨.

الشرمباطي - محمد بن سمود ٢٧٠.

الشرنوبي - عبد الجيد ٢٧.

الشرشي - الأمي

الشرشي - أبو عبد الله ٦٢١.

الشرشي = محمد بن أحمد

الشريف الحسني - العباس ٧١٠ م.

الشريف الحسني السني - محمد بن أحمد

(٤٧٧ - ٤٨٠)، ٤١٣ وما بعد، ٥٧٠،

٥٦٦، ٦١١.

- الشريف التلمساني - عبد الله ٦٢٦ ، ٦٣٤ .
الشريف الغرناطي = الشريف الحسني
السبق
الشريف - أبو الحسن ٦٧١ .
الشريف الرضي ٥٩٨ .
الشريف الصقلي التونسي - أحمد بن عبد
السلام ٩٢ .
الشريف محمد = حو
الشتري - علي بن عبد الله (٢٤٦ - ٢٤٧) .
٧٦ ح ٤٥٨ .
شعبان = الأشرف شعبان
الشعراني - عبد الوهاب ٢٦٠ .
الشتراطي - عبد الله بن يحيى ٢٢٥ ،
٦٣٦ ح .
الشقوري = محمد بن علي اللخمي
شقيق (اسم) ٥٢٨ م .
شكري محمود = أحمد
شكير ٦٠٥ ح .
الثلوييني ، الثلوييني = أبو علي
الثلوييني الصغير - محمد بن علي ١٦١ ح -
١٦٢ ، ٢٦٠ .
الثمّاحي - أحمد بن سعيد ٧١ .
الثمّاحي - عامر ٧١ م ، ٨١ .
الثمّاحي - سعيد (؟) بن عبد الواحد ٨٢ .
التمّني المصري - أبو العباس ٦٦٦ .
شمورش ٧١ م .
الشفطي - عبد الله بن ابراهيم ٦٣٢ م .
الشفطي - عبد الودود بن علي ٢٦٧ -
٢٦٨ .
الشفطي - محمد الأمين ٢٦٥ م .
- التهاب بن رسلان ٦٨٥ .
التهاب محمود بن فهد ٥٢٠ م .
تهاب الدين بن الخلوف - أحمد بن محمد
(٦٨٥ - ٦٨٨) .
الثّوّاش القهري - أبو عبد الله ٣٤١ .
الثّوّاشي السملاني - الحسن (الحسين) بن علي
٥٥ .
ثوقي (اسم) ٦٩٥ ح .
شيخ الأرض - تبر ٦٠٧ .
الشيخ البرتغالي الوطاسي - محمد بن محمد
٦٨٩ ، ٦٩٨ م ، ٧٠٠ - ٧٠٣ .
شيخ الغزاة ١٠١ .
شيخو - الأب لويس ٣٧٢ ح .
الثيرازي (؟) ٦٤ ، ٧٢ .
الثيرزي = عبد الرحمن بن نصر .
الطيّطان ٢٠٧ م ، ٤٧٦ .
- حرفا الصاد والضاد:
- الصابوني - أبو الحسن ٢٨٤ - ٢٨٥ .
صاحب الحمار = أبو زيد كيداد
صالح (البي) ٢٢٤ ح .
صالح الرندي = أبو العلاء
صالح - أبو محمد ٥٥٤ .
صالح (قنب) ٤٣ م .
صالح (أدخل الإسلام إلى وداي) ٥٠ - ٥١ .
الصانع النحوي - أبو الحسن ٤٠٩ .
الصائغي - سالم بن سعيد ٧١ .
الصباح - أحمد بن محمد ٦١٥ .
الصباغ - محمد بن محمد ٧٩ .
الصباغ الحميري - محمد ٢٠٩ .
الصبان - محمد علي ٢٦٩ م ، ٢٧٠ .

حرفا الطاء والظاء:

- الطائي = عبد الله بن هرون
الطاغية = ملك الإيبان (اطلب أسماء ملوكهم).
طالب - ميرزا أحمد ٢٧٠.
طاهر الزواوي = الزواوي.
الطبّاع - عبد الله ٢١٧.
الطبري = نجم الدين
الطرطوشي - أبو بكر ٨٢، ٨٣، ٤٧٠ ح.
طرفة بن العبد ٢٥٠.
طلحة بن حرم الأندلسي - محمد (١٥٤ - ١٥٦).
الطنجالي - محمد بن أحمد ٤٢٠، ٤٩٨.
طوقان - قدرى ٣٨٩.
الطويجني الساحلي - ابراهيم بن محمد (٤٣٠ - ٤٣٦)، ٤٢٠، ٤٩٧ م.
الطّيب بن عبد الحميد الكراي (؟) ٢٦٩.
الطّيب = ابن الطّيب
الطيب = محمد الطيب
الظاهر برقوق = برقوق
الطريف = محمد الطريف

حرف العين:

- عائشة (اسم) ٥٨٦.
عائشة بنت أحمد المديوني ٦٤٠.
عائشة الباعونية ١١٣.
عائشة بنت الجيّار المحتب ٩٢.
عائشة بنت علي الصنهاجية ٥٧.
عائشة بنت عمران المنوي ٧٥.
عائشة بنت محمد المغيلي ٥٠٢.

- الصبان - محمد علي ٣٦٩ م، ٣٧٠.
صبح (جارية الجزناني) ٤٥٠.
الصدفي = أبو علي
الصدفي الناطبي - أحمد بن محمد ٥٣٤.
الصدفي الطرابلسي - عبد الحميد ٣٥٤.
الصميدي - عبد المتعال ٢٧٠.
الصغير (الأستاذ؟) ٧٠٣.
الصغير = ابن الصغير.
الصغير = ابن عمار.
الصفاقي - ابراهيم بن محمد ٥٤.
الصفاقي - محمد بن محمد ٥٤.
الصفدي - خليل بن أبيك ١٩٤ ح، ٣٢٨، ٣٣١.
الصفاوي - عبد الرحمن بن عبد الحميد ٣٢٨، ٣٨٤.
صفوة الخلق = محمد رسول الله ١٢١.
الصفوي - عبد الرحيم ٢٦٦ (٢٦٦ م؟).
صفية (اسم) ٤٩٩ - ٥٠٠.
صلاح الدين الأيوبي ٨٣ ح م، ١١١ - ١١٢، ٤١٥ ح.
الصلاح الأتقيسي ٥٨.
الصلاح - محمد بن ابراهيم ٩٠.
صليبا - جيل ٦٠٧.
صديا تا ٤١ م، ٤٨ م.
صني علي ٤٩ م.
الصواي = ابن مسعود.
الصولي - أبو بكر بن يحيى ٤٧٠ ح.
صوماغورو = صوماغورو.
الضائمي = الضائمي.
ضيف - شوقي ١٨٥ ح، ٣١٦ م.

- عاد (جدّ عربي) ٢٨٨ .
- العاقيب بن عبد الله الأنصقي ١٣٢ .
- ١٣٣ م .
- العاقيب بن محمد بن عمر التنيكي ١٣٣ م .
- (راجع نيل الابتهاج ٢١٨ - ٢١٩) .
- عالم قفصة = ابن عقيبة .
- العامة = ليلي .
- العالمي = بهاء الدين .
- عبادة القزاز ١٤٥ .
- عبادة بن ماء السماء ٣٥٨ ح .
- العبّادي - أحمد مختار ٥١٥ ، ٥١٦ م .
- عبّاس - احسان ٨٣ ح ، ١٧٩ ح ، ١٨٢ ، ١٨٧ ، ٣٥٣ ، ٣٩٤ ، ٥١٦ م ، ٥٤٨ ح ، ٥٥٠ ح .
- العبّاس بن مرداس ٤٩٨ ح .
- العبّاسة أخت الرشيد ٥٩٣ - ٥٩٤ .
- عبد الله (اسم) ٣٤٥ ، ٣٤٩ م .
- عبد الله بن الحسن اللخمي ٦٢٤ .
- عبد الله بن الزبير ٤٢٩ ح .
- عبد الله بن سعيد الخطيب (والد لسان الدين) = ابن الخطيب .
- عبد الله بن عباس ٥٩٤ م ، ٦٦٣ م .
- عبد الله بن عبد الله = أنسلمو .
- عبد الله بن عبد المطلب (والد الرسول) ١٨٠ ح .
- عبد الله بن عمر بن محمد أقيت ١٣٢ .
- عبد الله بن غانية ١٥٠ ، ١٥١ .
- عبد الله بن لسان الدين بن الخطيب ٤٣٢ - ٤٨٣ .
- عبد الله بن المبارك ٤٢٣ م .
- عبد الله بن مسعود ٤٧٦ م .
- عبد الله بن هرون الطائي ٤٠١ .
- عبد الله بن ياسين الجزولي ٣٩ - ٤٠ .
- عبد الله بن يوسف الأندلسي - أبو محمد ٤٠١ - ٤٠٢ .
- عبد الباقي - محمد فؤاد ٢٦٥ ، ٢٥٦ .
- عبد الحق الإشبيلي - أبو محمد ٦٠ .
- عبد الحق البطوي :
- عبد الحميد - محمد يحيى الدين ٢٦٦ ، ٢٧٠ ، ٥١٦ .
- عبد الرحمن (اسم) ٣٤٩ م .
- عبد الرحمن الأوسط ١٨٥ م .
- عبد الرحمن الداخل ٤٠٦ ح .
- عبد الرحمن (بن) أي حو موسى الثاني (٢) ٨٣ .
- عبد الرحمن بن الطفيل ٣٧٠ .
- عبد الرحمن بن نصر (الله) الشيزي النبراوي ٨٣ م .
- عبد الرحيم (اسم) ٣٤٩ م .
- عبد الرسول - محمد ٣٧٤ .
- عبد السّار - أحمد عطار (عبد القادر) (٢) ٥١٦ .
- عبد السلام بن علي الزواوي ٥٣ .
- عبد العزيز التكروري ١٣١ .
- عبد العزيز الحفصي = المتوكل .
- عبد العزيز بن عبد العزيز اللمطي ٧٣ ، ٦٨٠ .
- عبد العزيز بن علي = المستنصر المبريني .
- عبد العزيز الموزري (٣٢٩ - ٣٣١) .
- عبد القادر (اسم) ٥٨٦ .
- عبد القاهر بن محمد التونسي ٩٢ - ٩٣ .
- عبد القيام - محمد ٢٠٨ .

- عبد القيوم - محمد
عبد الكريم الرناطلي (٦٧١ - ٦٧٣).
عبد النعم المنهوري ٥٣٦.
عبد النعم بن محمد الفسافي ٣٥٤.
عبد النعم بن صالح التميمي ٣٢٨.
عبد الملك بن مروان ٤٢٩ ح، ٥٠١.
عبد الهيثم الحضرمي (٤٤٥ - ٤٤٨)، ٥٧٠.
٥٤٠، ٣٦٥.
عبد المولى - محمود ٦٠٨.
عبد المؤمن بن علي ٣٧٦ م.
عبد النور العمري ٧٠.
عبد الواحد الحفصي ٣٠١، ٦٩ م.
عبد الواحد بن محمد المالقي ٥٣.
عبد الواحد المراكشي (١٦٤ - ١٦٧)، ٦٠.
عبد الواحد الهندي ٢٦٤.
عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن
١٤٨ م، ١٤٩.
عبد الواد = (عبد الواحد) ٣٢ ح.
عبد الوهاب - حسن حني ١٨٣ ح، ١٨٥،
٢٥٣ ح، ٣٧٩ ح، ٣٨١، ٥١٥.
٦١٢ ح.
عبد الوهاب بن علي بن محمد القيسي
٣٦٠ - ٣٦١.
المبدري = ابن الحاج الفاسي - محمد
المبدري (صاحب الرحلة) - محمد بن محمد
البلنسي (٤٠١ - ٤٠٤)، ٨٠، ٣٦٢.
المبدري - علي بن يوسف ٣٦٥.
المبدوسي - أبو عمران ٦٢.
المبدوسي - عبد العزيز ٦٣٩.
المبدوسي = ابن معط المبدوسي
عبد - اغناطيوس ٦٠٦ ح - ٦٠٧.
- عبدون - غنيم ٦٠٧.
عبيد الله (اسم) ٣٤٩.
عبيد الله بن أحمد الأزدي ٣٥٤.
عثمان بن أديس (سلطان كاتم) ٤٦.
عثمان بن سعيد = ورش
عثمان (أبو عمر) الحفصي ٦٨٥.
عثمان بن عفان ٤٠٥، ٨١.
عثمان بن بغيراسن ٣٦٢، ٣٢.
العجيزي = يوسف دليلي.
عدنان (جدّ عرب الشمال) ٥١٩، ٥٦٢.
العدوي - حسن ٢٠٩.
العدوي = عبد الرحمن بن نصر
العدوي = قطرة العدوي
العدوي الحمزوي ٦٦٠.
عدي بن زيد ٥٣٦ م.
العراقي - عبد الرحيم بن الحسن ٦٣٦ م.
العربي - اسماعيل ٣١٦.
عروج، ٣٠، ٣١ ح، ٣٤.
العروسي = التجار العروسي
عروة بن حرام ٣٣٠ م.
العرف - عبد الرحمن ٧٨.
العزيز بن عبد اللام ٣٣٤.
المرّ القدسي ٦٨٥.
المزني - أبو طالب ٣٦٢.
المزني - أبو القاسم ٤٢٧.
المزني - أحمد بن محمد ٥٦.
المزني السني - محمد بن أحمد ١١٦، ٥٦.
عزّوز الحفصي = المتوكّل الحفصي
القصاب القرطبي - أحمد بن محمد ٥٤.
الشاوي - عبد الله بن فاضل ٣٩٨.
المطّار - أبو اسحاق الصنهاجي ٣٨٨.

- الطار - عزّت ٢١٦ .
الطار - حسن بن محمد ٣٦٩ ، ٣٩٨ .
العقابي - ابراهيم بن قاسم ٦٨٨ .
العقابي - سعيد بن محمد ٦٤ - ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٣٤ ، ٦٣٧ م ، ٦٨٠ ، ٦٨٨ .
العقابي - محمد بن أحمد
العقابي - محمد بن العباس ٦٧ م .
العقيلي = محمد بن العربي .
علا كي = كنع - موسى .
علام - مهدي ٢٩٨ ح .
علقمة الفحل ٢٥٠ .
العلمي = يحيى بن عبد اللام .
علوش (محقق «الحلل الموشة») ٥١٥ م .
علي (اسم) ٣٤٩ ح م .
علي بن أبي طالب ١١١ ح ، ١١٥ م ، ٤٧٦ م ، ٦٦٣ - ٦٦٤ .
علي بن حاتم الدين الهندي ٢٧٦ .
علي دونا (ملك برنو) ٤٧ .
علي = صني علي .
علي بن عبد الله (محمد) الفاسي ٨٠ - ٨١ .
علي بن عثمان المريني = أبو الحسن - علي بن عثمان .
علي بن عمر الهواري ٧٤ - ٧٥ .
علي الفقيه حسن ٣٧٠ .
علي كولون ٤٨ .
علي بن محمد بن علي = ابن حفص اليحصي .
علي = محمد بن سالم .
علي بن موسى = ابن سعيد العنسي .
علي بن نافع = زرياب .
عليش - محمد ٥٧٩ .
عماد الدين الأصفهاني ٢٤٢ م .
عمار - علي بن سالم ٢٠٩ .
عمار بن ياسر ١٤٠ م .
عمر (عمرو) بن ادريس بن ابراهيم ٤٦ .
عمر بن أبي ربيعة ٥٩٨ م .
عمر بن الخطاب ١٨٠ ح ، ٢٠٠ ح ، ٢٢٠ ح .
٣٠٠ م ، ٤٨٦ م ، ٦٦٣ ح - ٦٦٤ .
عمر بن رسلان (راجع السراج البلقيني) .
عمر بن عبد الله السلمي ٢٣٠ .
عمر بن الفارض ٣٣٢ ، ٤٧٣ م ، ٤٩٠ ، ٥١٨ م ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ .
عمر بن محمد النفزاوي ٨٦ م .
عمر الهنتاني - أبو حفص ٢٥٠ (راجع أبو حفص) .
عمران بن حطّان ٥١٩ م .
العمراني = عبد الله .
عمرو (اسم) ٦٣١ ح م ، ٦٣٣ .
عمرو = عمر بن ادريس .
عمرو بن عدوى ٥٣٦ م .
العمرطي - يحيى ٣٩٩ .
عنان بن جابر (١٥٧ - ١٥٩) ، ٢٥٣ - ٢٥٤ .
عنان - محمد عبد الله ١٦ ، ٢٨٦ ح ، ٥١٥ ، ٥٥٨ ح ، ٦٠٧ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ .
عنزة ٢٥٠ ، ٥٢٠ ح .
العنجاطي - الخطيب (?) ٤٥٢ .
العنسي = ابن سعيد العنسي .
العنسي البلنسي - محمد بن سعيد ٥٤ .
العنسي المراكشي - علي ٩١ .
العوامري - أحمد ٥٢٧ .
عياد - كامل ٦٠٧ .

الففجومي - أبو عمران موسى بن عيسى

٣٢٩ م.

غلام أحمد ٦٦٠.

غلام عبد الرحمن = قادر مرام

غليزر - سدي ٢٦٦.

الفاري - أحمد بن الحسن ٨٠.

الفاري - أحمد بن عيسى ٣٥٤.

الفاري - البلنسي - أحمد بن محمد ٢٦٠،

٣٥٤.

الفاري المراكشي - محمد بن عبد الرحمن

٦٤.

الفصّار - أحمد بن محمد ٤٤٥ م.

غوثالث = بالنشيا

غوغبة ٢٦٥ م.

غومذ = غارثيا

غيلان مية = ذو الرمة

حرف الفاء :

فارس بن الحسن = أبو عنان

الفاروق = عمر بن الخطاب

الفارسي - الحسن بن علي ٦٦٨.

الفازاري - أبو زيد ١١٦.

الفاصي - (الفارسي ؟) ٦٦٩ م.

الفاصي - عبد الرحمن بن محمد ٢٠٩، ٦٦٠.

الفاصي - علي بن عبد الله

الفاصي - محمد ٤٠٤، ٤١٤، ٦٥٢ ح.

الفاصي = محمد بن أحمد

الفاصي = محمد بن حسن

الفاصي = يحيى بن أحمد النفزي

فاطمة (اسم) ٥٨٦.

عيّاد - محمد بن محمد ٢٠٩.

عياض (القاضي) بن موسى ٤٠٩ (راجع

٤٠٠، ٤١٠، ٤٤٥).

عياض بن موسى بن عياض القاضي ٥٦،

٦٢، ١١٤ م، ٤٠٩ ح، (راجع ٤٠٠،

٤٤٥، ٤١٠).

عيسى ١٢٠ ح، ٢٧٥ ح.

العيني ١٢٠ ح، ٢٧٥ ح.

العيني - محمود بن أحمد ٢٦٦.

عَيُوش (اسم) ٥٨٦.

حرف الغين :

غابريلي ٧٨.

غارثيا غومذ - أميليو ٣٢٦.

غازي (اسم) ٦٩٥ ح.

الغافقي - ابراهيم ٤١٣، ٤٣٦، ٤٧٨.

الغافقي - ابراهيم ٥١٣.

الغافقي - البع بن عيسى ٥١٣ ح.

الغبريني - أحمد (٣٥٣ - ٣٥٦)، ٦١٣.

الغرابلي - أبو زيد ٣٣٩.

الغرافي - علي بن أحمد ٦١٣.

الغرناطي = عبد الكريم

الغرناطي = محمد بن محمد

الغرور = أبلّس

غريب - جورج ٥٢٧.

غرينوريوس = أبو الفرج

الغزالي - أبو حامد ١٢٩ ح، ٢٠٦، ٢٧٦،

٣٨٨، ٤٧٠، ٦١٠ ح، ٦٦٨ م.

الغزالي (?) ٧٦.

الغفاني = عبد المنعم بن محمد.

- فاطمة (بنت رسول الله) ١١٥ م .
 الفاكهاني - عمر بن علي ٥٤٧ ح .
 الفتح بن خاقان الأندلسي ٤٧٠ ح .
 الفحيجي = ابراهيم
 الفخار = ميمون
 فخر الدين القاضي (ذكره ابن بطوطة) ٥٣ م .
 (٢) . ٥٢٧ .
 فخر الدين الرازي ٤٧٣ ح ، ٥٩٠ ح - ٥٩١ .
 فرج بن برقوق = الناصر فرج
 فرديناند الثالث (ملك قشتالة) ٢٦ م ، ٣٣٤ .
 فرديناند الخامس (ملك أرغون وقشتالة) ٢٧ ، ٧٠٢ ح .
 الفرزدق ٢٢٢ ح م .
 فرعون ٤٣٣ .
 فروخ - عمر ٦٠٩ .
 فروة بن سيك ٣٤٥ ح .
 الفزاري - ابراهيم (ثائر اندلسي) ٣٧٩ م .
 الفتالي = ابن شبيب
 الفتالي - محمد بن أحمد ٦١ ، ٦٩٠ م ، ٦٩٤ .
 الفضيلي - محمد بن يحيى ٢٨٤ م .
 فطوم (اسم) ٥٨٦ .
 فند زمان ٢٢١ م ، ٢٢٢ ح .
 الفودودي - الحسن بن عمر ٣٣ .
 فور - أدولف ٦١٤ .
 الفورقي - بشير ٥١٥ .
 فولك ٢٦٧ .
 فيتو - أنريكو ٢٦٥ م .
 الفيروزآبادي - محمد الدين ٢٣ ، ٦٣٤ .
 فيصل الأول (ملك العراق) ٦٠٨ ح .
 فيرنيه ٣١٦ .
 فيشر ٣٩٧ .
 الفيلاي الهاشمي - محمد ٤٠٨ .
 الفيلاي الصنهاجي - محمد ٦٣٤ .
 حرف القاف:
 القادر بن ذي الون ٩٥ .
 القادر القاسي (٢) ٣٩٨ .
 قادر مرام = غلام عبد الرحمن ٦٦٠ .
 القادري - نوح بن علي ٢٠٩ .
 قارون ٢٨٨ م .
 قاسم (ذكره التلويين) ١٦٣ م .
 قاسم بن عيسى القيرواني ٦٥ .
 القاسمي - محمد جمال الدين ٥١٨ ح .
 القاضي - محمد بن محمود ١٣٣ .
 القاضي المكتاسي = اليفري
 القاضي - وداد ٨٣ ح ، ٨٤ - ٨٥ .
 القالي - أبو علي ١٧٠ .
 قاهر - محمد الشريف ٥١٥ .
 القاووقجي - محمد خليل ٢٠٩ م .
 قايتباي ٦٦١ م .
 القباب - أحمد بن قاسم ٦٢ ، ٦١١ ، ٦٩٢ م .
 قباوي - فخر الدين ٢٤٩ ح ، ٢٥١ م .
 قحطان ٢٨٨ .
 قدار (من نمود) ٢٢٤ ح .
 قداره = كوديرا
 قدامة بن جعفر ٥٣٤ م .
 قدّور (اسم) ٥٨٦ .
 قراسقاس ٦١٠ ح .
 القرباقي - علي بن موسى ٦٦٩ - ٦٧٠ .
 القربلياني - محمد بن علي ٩١ - ٩٢ .
 القرداحي - جبرائيل ٧٠٧ ح .
 القرشي - أبو جعفر = ابن فركون .

القيجاني (القيجاطي) - علي بن عمر
(٤١١ - ٤١٢)، ٥٢٨، ٥٥٥ م.
القيجاني - أبو عبد الله ٦٢٦.
قيس بن سعد ٥١١ م.
قيس بن سعد بن عبادة الصحابي ٥١١ م.
قبصر ٥٤٢، ٥٥٢.

حرف الكاف:

كانرمير ٦٠٦.
كارلتي ٣٩٨.
كاشف - سيدة (؟) ٣١٦.
الكثاني - أبو بكر ٥٧.
الكثاني - محمد بن إبراهيم ٥١٥، ٤٠٦.
كنع = ادريس كنع
كنع = موسى
كثير عزة ٥٩٨.
الكذالي = يحيى بن إبراهيم
كراسكاس = قراستاس
الكراني (؟) - الطيب بن عبد المجيد
كرايل ٥١٦.
الكرودودي - محمد ٢٦٦.
(الكرسوطي) (الكرسيوطي) الفاسي -
عبد الله ٥٧.

كرمي = ادريس كرمي
كزو - أبو القاسم محمد ٦٠٨.
الكراني = الجزنائي الكراني.
الكسي - عبد الله بن محمد ٧١.
كسرى أنوشروان ٢٥٥ ح ٢٨٨ م.
٤٣٢ - ٤٣٣. راجع ٥٤٢ ح ٥٥٢.
الكماك - عثمان ٣١٢.
كعب بن زهير ٥٦، ١١٢، ٥٨٠، ٥٩١ ح.
٦٩٨، ٦٣٨.

القرشي (؟) (صاحب كتاب الفرائض) ٤٨١.
القرشي - المهدي بن مصطفى ٢٧٠.
القرطي (ت ٥٩٠ هـ) ١٤٧ ح.
القرطي - أحمد بن عمر ٢٥٥.
القرطي - محمد بن أحمد (٢٥٥ - ٢٦٠) ٦٠.
٥٢.

القرني - أبو حنين ١٨١.
القزويني - محمد بن عبد الرحمن ٦٧٨.
قس بن ساعدة ٥٣٤ - ٥٣٥.
قسطنطين الأول (ملك الروم) ٤٨٥ ح.
القسطنطي - أحمد ٦٨٣.
القسطنطي = يحيى بن عبد السلام
القتيري - أبو القاسم ٢٠٦.
القصار - أبو العباس ٦٣٢.
القصري - عبد الرحمن بن علي ١٣٢.
قطعة العدوي - محمد بن عبد الرحمن ٢٦٩.
قلاوون (الملك المنصور) ١٠١ م، ٣٧٠ ح.
القلشاني - أحمد ٦٣٢ - ٦٣٣، ٦٦٥ م (؟).
القلشاني - محمد بن عمر ٦٨٣ م.
القلصادي - علي بن محمد (٦٦٥ - ٦٧٠) ٦٠.
٦٦.

القلبي - عبد الله بن محمد.....
القلبي = محمد بن الحسن
القلقشدي ٦٥٢.
القلي ٦٩٦.
قمير - يوحنا ٦٠٩.
القمني = مؤيد الدين القمني
قنب صالح = صالح
الغوري - ٦٧.
الغوري - محمد بن محمد ١٣٣ (؟).
الغوري (شيخ ابن غاز) ٦٩٥ (راجع).

٤٨٧ - ٤٨٩ . ٥٣٧ . ٥٤١ - ٥٤٣ .

٥٤٨ - ٥٥٠ . ٥٥٨ - ٥٥٩ . ٥٧٠ م .

٥٩١ م . ٦١٦ م . ٦٢٠ ح . ٦٢٤ -

٦٢٥ . ٦٤٢ . ٦٨٠ م . ٦٩٣ - ٦٩٤ .

اللياني = أحمد اللياني

اللمنوي = محمد بن تيفاوت

اللمنوي = يحيى بن عمر

اللمطي = عبد العزيز بن عبد العزيز

لوشبانو (لوثيانو) ٧٨ م .

اللوشي - محمد بن محمد ٥٦٧ .

اللؤلؤي الزركشي - محمد بن ابراهيم

(٦٨٢ - ٦٨٥) .

لويس التاسع ٣٠ م . ٣٤ . ٢٠٥ م . ٢٩٣ ح .

الليث بن سعد ٤٢٣ م .

ليفي بروفصال = لافي

ليلي (في شعر) ٢٨٥ م . ٣٣٢ . ٤٣٤ .

ليلي العامرية ٥٢٠ م .

اللمومي ٣٧٧ .

حرف الميم:

ماء السماء = ماوية

مارتل ٦٣٢ .

مارتل - الأسف نفولا ٧٣ م .

المارتلي = أبو عمران

مارسيه ٣٦٩ .

ماسيون - لويس ٤٤ .

ماصور - محمد ٦٨٥ .

ماكدونالد - دوفكان ٦٠٩ .

مالك (خازن النار) ٢٨٢ م . ٣٢٥ م .

٣٣٧ م ..

مالك بن أنس ٦٠ . ٦٣ . ٦٧ . ٧٠ . ٢٠٦ .

كعب بن مامة ٥٤٨ م .

كعت - محمود بن المتوكل كعت التسكتي

٢٥ ح . ٧٠ .

كلغن ٢٦٧ م .

الكفراوي - حسن بن علي ٣٩٧ . ٣٩٨ .

الكلاعي - أحمد بن الحسن = ابن الزيات

الكلاعي - (?) ٣٧٦ ح .

الكلم = مؤس

كلميت السادس (بابا) ١٠٢ ح .

الكنافي الوقي - أحمد بن عبد الرحمن ٩٨ .

كتي = دبارا كتي

الكدي - تاج الدين

كك موسى ٧٠٧ .

ككون - عبد الله ٥٣ . ٥٧ . ٦٨ . ٨٨ .

٤٤٩ . ٤٠٨ ح . ٥٨٦ م . ٦٢٣ .

كوديرا أي زيبين - فرنسيسكو ٢١٦ م .

كوكوري = مظفر الدين

كولان ٤٠٦ م .

كولون = علي كولون

حرف اللام:

لاي بروفصال ٦٥٦ .

ليبد بن ربيعة ٤١٨ ح .

اللجاني - أبو عبد الرحمن ٨٩ . ٦١١ .

اللياني ٣٠ .

اللمخي = محمد بن علي

لسان الدين بن الخطيب - محمد بن عبد الله

(٥٠٣ - ٥١٧) . ٦٠ . ١٦ . ٨١ . ١٠٤ -

١٠٩ . ١١٩ ح . ١٢٤ . ١٢٧ . ١٤٥ .

٣٢٣ . ٤٣٩ - ٤٤٠ . ٤٤٩ ح . ٤٧٠ .

٤٧٩ - ٤٨٠ . ٤٨٢ - ٤٨٣ . ٤٨٤ ح .

محمد - عبد القادر ٣١٦ .

محموط - محمد ٤٤٤ .

محموط الحق - محمد ٢٠٨ .

المحلي - جلال الدين ٦٦٦ .

محمد (اسم) ٣٤٩ م .

محمد رسول الله * ٥٥٠٤٣ إلى ٥٩٠٥٩ م .

٧٣ ح . ٧٦ إلى ٨١ . ١١٠ إلى ١٣٠ .

٥٦ ح م . ١٧٤٠ إلى ١٧٧ . ١٨٢ .

١٩١ ح . ١٩٥ إلى ٢٠١ . ٢٢٥ .

٢٣٠ م . ٢٣٢ م . ٢٣٧ - ٢٣٩ .

٢٤٣ - ٢٤٤ . ٢٥٦ . ٢٥٧ . ٢٥٩ .

٢٦٢ . ٢٧١ - ٢٧٢ . ٢٧٥ ح م .

٣٠٠ م . ٣٠٧ ح . ٣٠٩ . ٣١٨ م .

٣٢٠ - ٣٢٣ . ٣٠٩ . ٣١٨ م . ٣٢٠ -

٣٢٣ . ٣٢٦ . ٣٢٩ . ٣٤٠ . ٣٤٤ ح م .

٣٤٨ ح . ٣٤٩ م . ٣٥٥ . ٣٦٦ م .

٣٨٢ . ٣٨٥ . ٤١٠ ح . ٤١٧ . ٤٢١ م .

٤٢٢ إلى ٤٢٥ . ٤٣٩ . ٤٤٣ م . ٤٦٩ .

٤٧٦ ح م . ٤٧٧ ح . ٤٨٣ . ٤٨٩ م .

٥٠١ . ٥٠٨ ح . ٥١١ م . ٥١٩ .

٥٢٩ م . ٥٣٢ إلى ٥٣٦ . ٥٤١ ح .

٥٤٧ م . ٥٥٠ - ٥٥٣ . ٥٥٦ - ٥٥٧ .

٥٦٠ م . ٥٦٢ م . ٥٦٨ . ٥٧١ . ٥٨٢ م .

٥٩١ ح . ٥٩٤ م . ٦٠٧ . ٦١٢ .

٦١٧ - ٦١٨ . ٦٢٤ - ٦٢٥ . ٦٢٧ .

٦٣٦ . ٦٣٨ . ٦٤٣ م . ٦٤٩ . ٦٥١ م .

٦٥٧ إلى ٦٦٠ . ٦٦٣ . ٦٧٧ .

٦٨١ - ٦٨٢ . ٦٩٦ . ٧٠٨ م . ٧٠٩ م .

٢٠٨ م . ٥٠٨ م . ٥٧٧ . ٥٧٨ . ٥٧٩ م .

٦٣٠ م . ٦٣٦ م . ٦٦٤ م . ٦٩٠ م .

٦٩١ ح . ٦٩٣ ح .

مالك بن المرحل (٣٣٥ - ٣٣٩) . ٥٣ .

١٢٢ م . ٣٢٤ - ٣٢٥ .

الأمون (العباسي ؟) ٥٤٦ م .

الأمون الموحد ٣٥٦ م .

الماوردي - أبو الحسن ٤٥٨ . ٤٧٠ ح .

ماوية (ماء الساء) ٥٠٨ م .

المبرد ١٧٠ .

المتقي = علي بن حام الدين

المتقي ١٩ ، ١٣٧ ح ، ١٤٥ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ح ،

٢٥٠ . ٣٠٩ م . ٣٣٧ ح م . ٤١٦ .

٤٣٣ ح ، ٤٧٦ ح ، ٤٩٠ . ٥١٩ ح .

٥٩١ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٩٢ ح ، ٦٩٨ .

التوكل الحفصي - أبو فارس عبد العزيز بن

أحمد ٣٠ م ، ٣٥ ، ٧٣ ح ، ٨٦ ح ، ٩٢ .

٦٨٤ م .

التوكل المغربي - أبو عثمان فارس ٣٥ ،

١٠٨ ح .

التوكل المغربي الزياتي ٦٨٩ .

التوكل بن هود - محمد بن يوسف ٢٦ م ،

١٤٠ ح ، ١٤١ ح ، ١٤٩ ، ١٤٩ ، ١٦٩ ،

١٧٤ ، ١٩٦ ، ٢٠٢ ، وما بعد ، ٣٣١ م .

الخاصي = ابن عبد الواحد

مجنون ليلي ٣٣٠ م .

مجاج (اسم فرس) ٦٠٢ .

المحاسبي - يوسف بن موسى ٣١٧ .

(*) محمد رسول الله أسلمه كثيرة منها: سيد العالمين - التميمي - الماسي وغيرها ، تجد الإشارة إليها كلها تحت

محمد رسول الله .

- محمد بن أحمد الاستحي (١٤٤ - ١٤٨).
 محمد بن أحمد التريشي ٦٢.
 محمد بن أحمد القاسي - تقي الدين ٦٥.
 محمد البدري = البدري
 محمد (راجع أيضاً «حمو».)
 محمد بن أبي القاسم الحميري = ابن الصباغ
 محمد بن تيفاوت اللمتوني = (تاسرت) ٣٨ م.
 محمد الحاج (ساسكي) ٦٩.
 محمد حسن (الهندي) ٢٦٥.
 محمد بن حس القاسي ٥٢.
 محمد بن الحسن القلمي (٢٧١ - ٢٧٣).
 محمد بن الحسن الملقني ٦١ - ٦٢.
 محمد بن حمص الموحدى (والى بلسة) ٢١٠.
 محمد بن خلدون (جد عبد الرحمن) = ابن
 خلدون
 محمد (الثالث) بن داوود ٥٠.
 محمد سالم علي ٢٧٠.
 محمد سعيد الصنهاجي ٧٤.
 محمد بن سعيد العسي ١٤٩.
 محمد الطيب الجزائري ٢٠٩.
 محمد الطريف التونسي (٥٦١ - ٥٦٣).
 محمد بن عبد الله بن عبد الحليل التنسي =
 ابن عبد الحليل
 محمد بن عبد الله المرسي (١٩٤ - ١٩٦).
 ٥٢
 محمد بن عبد الحليل = سلمى. سالم
 محمد - عبد القنوم ٣٧٤.
 محمد العربي المظلي (٦٩٨ - ٧٠٣).
 محمد بن علي التاطي المغربي ٨٢.
 محمد بن علي اللحمي التتوري ٩١.
 محمد بن علي بن موسى (أمير جزيرة ميورقة)
 ٢٢٣ - ٢٢٤.
 محمد بن علي بن هشام ٤٦.
 محمد بن محمد بن يحيى ٣٨٨.
 محمد بن عمر الزواوي التجار البحائي ٩١.
 محمد بن محمد بن عبد الله = ابن عبد الله
 محمد بن محمد بن عبد العزيز الأنصاري ٢١٠.
 محمد بن محمد العرناطي ٦٧ م.
 محمد بن محمد بن منصور القيسي الأندلسي
 ٦٧.
 محمد بن محمود بن عمر بن محمد أقيت...
 الصنهاجي ١٣٢ - ١٣٣.
 محمد الفضل الهادي = ابن عزوز
 محمد بن موسى المزالي (٢٨٤ - ٢٨٥).
 محمد بن محمد بن يعقوب الكومي ٧٥، ٧٦.
 محمد المهدي القاسي - أحمد بن علي ٦٦٠،
 ٦٦١.
 محمد الناصر الموحدى = الناصر الموحدى
 محمد بن يحيى = ابن أبي بكر
 محمد بن يحيى الحفصي = المستنصر الحفصي
 محمد بن يحيى المريني ٥٥٢ م.
 محمد بن يعقوب الموحدى = الناصر الموحدى
 محمد بن يوسف = ابن نصر.
 محمد (الحامس الغني الله) ابن الاحمر = محمد بن
 يوسف بن إسحاق
 محمد بن يوسف التلمساني (٥٣٦ - ٥٣٩).
 راجع أبو سعد.
 محمد بن يوسف الحمداني ٣٥٤.
 محمد بن يوسف بن هود = ابن هود
 محمود - عبد الحليم ٢٠٩، ٦٧٩.

محمود بن عمر أقيت التنكيتي (٧٠٥) -
(٧١١).

محمود بن عمر بن محمد أقيت... الصنهاجي
١٣٢.

محمود بن فهد = الشهاب محمود

محمود كمت = محمود بن عمر أقيت
الختار (محمد رسول الله) ١٩٧ م.

محمّد بن كيداد = أبو يريد

مخلص - عبد الله ٥٣٦.

مخلوف بن علي بن صالح البلالي ١٣٢.

المخيلي - يوسف ٣٧٠.

المدني - (?) ٦٣٢.

المدبوني - أحمد بن الحسن ٦٤٠ م.

المدبوني الحكيم - يوسف ٩٠.

المدبوي - عائشة بنت أحمد

المدحجي - أحمد بن علي ٥٠٩ (؟) ٤٠٥).

المرائي - أحمد مصطفى ٢٧٠.

المراكشي = عبد الواحد

المراكشي = ابن عبد الملك

المريلي = ابن أبي رجحانة

مرتضى بن حاتم ٣٧٠.

المرتضى - محمد ١٢٧.

المرتضي الزبيدي ٢٠٩ م.

مرخل (المرخل): والد مالك بن المرخل)

٣٢٥ م.

مرزوق بن عحسة ٥٤٦.

مرسي - أحمد محمد ٢٥٩.

المرسي = محمد بن عبد الله

المريني = أبو الحسن. أبو سعيد

المريني - أبو يعقوب بن يحيى بن عبد الحق

٩٠ ح.

المرالي = محمد بن موسى

المرقي - يوسف بن عبد الرحمن ٤٨٤.

٥٣١ م.

المستنصر - أبو العباس أحمد ٦٨٤.

المستنصر الحفصي (المستنصر) ٣٠ م. ٤٦.

١٧٢ - ١٧٣. ١٩٥. ٣١١. ٣١٨.

٢٢٧. ٢٣٠ م. ٢٤٨ م. ٣٤٩. ٣٥٣.

٢٨٣ م. ٢٩٣ - ٢٩٤. ٢٩٩ وما بعد.

٣١٣ م.

المسحر الميرني - أبو فارس عبد العزيز

٥٠٥ م.

المسحر (الثاني) الميرني - أحمد بن ابراهيم

٥٠٥. ٦١٦ ح.

المستنصر الموحد - أبو يعقوب يوسف

١٤٨ م.

المستري = ابن غلاب

المستري - علي بن عبد الله ٣٩٩.

المعويدي = الباجي

المعويدي - علي بن الحسين ٥٢٧.

الممر = ابن القطان

سلم ٥٥ ح. ٥٦ م. ٥٧. ٥٨ م. ٥٩ م. ٧٧.

١٩٥. ٤١٠ ح. ٤٣١ م. ٥٤٧ ح.

المسب بن حزن (أبو سعيد) ٤٢٤ ح م.

المسبح ٥٤٣ م.

المسبي - أحمد بن علي ٥٤.

المسيلي - أبو علي ٣٥٦.

المستري (زفس) ٤٦٧ ح.

المثالي - أحمد بن عبد الحق ٤٩٨.

المثالي - عمران بن يوسف

المثالي - محمد بن محمد ٦٨.

المثيشي = القوافجي

٥٥ ، ٦٩ ، ٨٥ م ، ١٣٢ ، ١٣٣ م .
٧١٠ م .

المقبلي - موسى بن عيسى ٦١ ، ٦٧ .
المقدسي - محمود ٧٧ .
المقري (الجد) - محمد بن محمد (٤٧١ -
٤٧٧) ، ٤٥٨ م ، ٦٣٧ م ، ٦٩٠ .
المقري - أحمد بن محمد (صاحب نفع الطيب)
١١٤ ، ١١٩ ح ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ .
١٥٣ ح ، ١٧٩ ح ، ٣٨٢ ، ٣٩٤ م ،
٤٧١ ح ، ٤٨٤ - ٤٨٥ ، ٥٤٨ ح .
٥٥٠ م ، ٦٣٥ ، ٦٣٧ ح .

المقريزي ٦٥٢ .
مكرم بن محمد - أبو الفضل ٢٦٠ .
المكناسي = ابن غاز ابن أحمد
المكودي - أبو عبد الرحمن (٥٧٩ - ٥٨٦) ،
٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ م ، ٣٩٧ ، ٦٣٤ .

مكي - محمود علي ٦٧٢ .
الملاح - محمد بن عبد الواحد ٢٣٠ .
الملاوي - يوسف بن يعقوب ٦١١ .
الملزوزي - عبد العزيز بن محمد ٨٠ .
الملك الصالح بن الملك الناصر بن قلاوون
١٠١ - ١٠٤ .

الملك الصالح - نجم الدين أيوب ١٠١ ح .
الملكي - محمد بن عمر (٤١٩ - ٤٣٠) .
الملوي - أحمد ٥٨٥ .
الملياني = أبو العباس
الملياني - أبو علي أحمد ٣٧٤ - ٣٧٥ .
منلاوس ٨٨ .
المنجور - أحمد ٦٩٥ .
المتشاقري - يوسف بن موسى ١١٩ - ١٢٢ .

المصطفى (محمد رسول الله) ١١٥ ، ١٢٣ .
١٢٧ إلى ١٣٠ ، ١٥٦ م ، ٥٢٧ .

المصمودي - إبراهيم بن موسى ٦٣٤ ، ٦٣٧ .
المصمودي - محمد بن أحمد ٩٢ .
المطرزي ٢٤٩ ح .
المطرزي ٢٤٩ ح .
المطرزي = المكودي
المطري = الخزرجي
مطلوب - أحمد ٤٣٠ .

المطاطبي = إبراهيم بن خلف
المظفر بن عبد الملك العامري ١٤٩ - ١٥٠ .
مظفر الدين كوكبوري ١١٢ .
معاوية ٣٦٩ ح ، ٥٣٦ م .
المصمم بن صباح ٦٧٠ ح .
المصمدي بن عباد ٥١١ - ٥١٢ ، ٦٥٥ .
المعتمد (?) ٣٢٣ م .

معد ٥١٩ ح .
المعداني = ابن الرحال
المعري - أبو الصلاء ١٩ ، ٢٠ م ، ٢١٧ ،
٣٦٢ ، ٥٢٠ ح ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٧٠ ح .

معن بن زائدة ٢٢٢ م .
المعراوي السجلماسي - أبو منصور ٧٠ .
المعري = أحمد بن زكريا
المعري - عبد القادر ٦٠٧ .
المعري = محمد بن علي الشاطبي
المقبلي - الحسن (?) ٦٩٣ .
المقبلي - زكريا بن موسى بن عيسى (?) ٦٨ .
المقبلي = عاتقة بنت محمد المقبلي
المقبلي - عبد الرحمن بن يحيى ٦٥ .
المقبلي التلمساني - محمد بن عبد الكريم (?)

المنصور الحفصي - أبو عبد الله محمد =
المنصور الحفصي .

النتقي - محمد ١٢٧ .

النتوري - أبو عبد الله (؟) ٦٤١ .

النتوري - محمد بن عبد الملك ٥٨ .

مندبل بن آجروم - محمد بن محمد الصنهاجي
٤٩٦ - ٤٩٧ ، ٣٩٤ م .

المذر الثالث (ملك الحيرة) ٥٠٨ ح .

منسا موسى ٤٣ - ٤٣ .

المسنيري - محمد بن عبد السلام ٦٠ .

المصفي - يوسف ١٢٩ ح .

المنصور بن أبي عامر ١٥٠ ح .

المنصور الذهبي - أحمد بن محمد ٥٠ م .

المنصور الريني يعقوب بن عبد الحق ٦ ،

٣٢٩ م ، ٣٣٦ ، ٣٧٤ ، ٤٠٧ م ، ٥٥٤ .

المنصور الموحدى - يعقوب بن يوسف ٨٧ ،

١٤٨ م ، ١٦٣ ، ١٦٥ - ١٦٦ .

المهدى بن تومرت ٢١٣ م .

المهدي (صاحب الزمان) ٦٠٧ م .

المهدي العناسي ٥٩٤ م .

المهدي الفاسي = محمد المهدي

المواق = ابن المواق .

موسى ١١١ ح ، ١٢٠ ح ، ١٨٤ ح ، ١٩٩ ح ،

٢٧٥ ح ، ٣١٩ ح ، ٣٢٠ وما بعد ،

٥٤٣ م .

موسى (في شعر) ١٧٤ .

موسى كنع ٤١ .

موسى بن عثمان = أبو حو الأول

موسى بن عيسى = الففجومي ،

موسى = كك موسى

موسى (صاحب مالي) ٤٩ .

موسى بن أسكيا محمد الأول ٤٩ .

موسى بن محمد بن سعد العنسي = ابن سعيد

العنسي

موسى = منسا موسى

مولر (محقق كتاب اللان الدين بن الخطيب)

٥١٦ م .

مولر (آخر ؟) ٢١٦ م .

مؤنس - حين ٢١٦ ، ٢٧٧ .

مؤيد الدين القسبي - محمد بن محمد ١٦٥ .

ميارة - محمد بن أحمد ٦٥ ، ٦٣٢ ح .

ميراندا - أمروسي هوبي ٤٠٦ .

ميمون الفخار ٥٣ .

ميمون القلمي ٢٧١ .

مبة (محبوبة غيلان) ٢٩٥ ح .

الميورقي = ابن غانية .

حرف النون:

النابغة الذبياني ١٥١ ح ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ح ،

٢٥٠ ، ٦٩٨ .

ناجي (اسم) ٦٩٥ ح .

ناجي - هلال ٥١٥ .

ناصر الدين = الأشرف شعبان

الناصر الريني - يوسف بن يعقوب ٣٢ م ،

٣٧٥ ، ٣٢٣ ، ٩٠ .

الناصر حسن بن قلاوون ٥١٨ م .

الناصر الموحدى = ابن عبد المؤمن

الناصر فرج بن برقوق = فرج بن برقوق

نافع (المقري) ٥٣ م ، ٥٤ م ، ٥٥ م ، ١٤٧ ح ،

٤٢١ ، ٦٩٦ .

الناهي الماتقي - أبو الحسن علي ١٤٠ ،

٥٠٥ م ، (؟) .

- التراوي = عبد الله بن نصر (الله)
 التيهاني - اسماعيل بن يوسف ٦٦١ م.
 النبي = محمد رسول الله
 النجار - محمد ٦٨٠.
 النجار البجائي - محمد بن عمر الزواوي ٩١.
 النجار العروسي = يركات بن أحمد ٧٩.
 النجار - محمد زهري ٦٧٩.
 نجم الدين الطبري = الطبري
 النجيب بن الصقيل ٣٣٤.
 النخعي - ابراهيم بن زيد ٤٢٣ م.
 النذرومي التلمساني - محمد بن محمد ٥٧.
 النذرومي - يوسف بن علي ٧٥.
 نزهة بن سليمان اللخمي - أم العناب ٢٣٠.
 النسائي ٥٥ ح، ٤٢١ ح،
 النشار - سامي ٢٤٧.
 نصار - حين ٣١٦، ٣٧٤.
 نصر بن محمد النصري = أبو الجيوش
 نصيب بن رباح ١٤٢ ح.
 نصير الدين الطوسي ٨٨.
 النعمان بن المنذر ٤٣٢، ٥٠٨ م، ٦٠٣ ح،
 راجع ٥٣٦ ح.
 النغري - محمد بن عبد الجبار ٢٠٦.
 النغري = يحيى بن أحمد السراج
 النقرشي (؟) = القرشي.
 نفروز ٤٤٠ م.
 النمرود ٣٠٦ م.
 النميري - محمد بن عبد الله ٤٣٢ م.
 النور العقيلي (؟) ٦٣٥.
 النور النويري (؟) ٦٣٤.
 نور الدين الدمياطي (؟) ٧٦.
 النويري - محمد بن عمر ٥٨، ٦٢، ٦٤ م.
- ٧٨، ٣٣٤، ٣٩٨، ٣٩٩.
 النويري - محمد بن محمد ٦٦٦، ٦٨٥.
 نويا - بولس ٢٠٩، ٥٦٧.
 نوبض - عادل ٦١٣، ٦١٤.
 النيار = يوسف بن اسماعيل
 النيجي (شيخ ابن غاز) ٦٩٥.
 النيفر - محمد التاذلي ٦١٤.
 حرف الهاء:
 الهادي - محمد ١١٣، ١١٧، ١٢٠، ١٢٩.
 الهاشمي - محمد ١١٩.
 هدهاد بن شرحبيل ٣٠٦ م.
 هذيل (الأستاذ؟) ١٥٣ م.
 الهراس - عبد السلام ٢١٧.
 الهرغي الزقندري - أبو محمد ٦١١.
 هرقل ٢٧٢ م.
 هرمس (اسم لعدد من الأشخاص الخرافيين)
 ٤٥٦ ح.
 هرمس التلث بالحكمة ٤٥٦ م، ٤٦٧ ح م.
 هرون الرشيد ٥٩٣ - ٥٩٤.
 الهروي - أحمد بن محمد ١٤٠ م.
 الهزميري - أبو زيد عبد الرحمن ٦١٣.
 هشام بن الحكم بن عبد الرحمن ١٥٠ ح.
 الحمداني الأندلسي = محمد بن يوسف
 الهنتاقي = أبو حفص يحيى
 الهندي = علي بن حاتم الدين
 هوداس ٦٣٢.
 هورتن ٧٨.
 الهوريني - نصر ٢٦٩، ٦٠٦.
 هولكو ٣١٣ م.
 هوميروس ٣١ ح.

حرف الواو:

الواثق بن يحيى = أبو عصيد

واجاج بن زلو اللمطي ٣٩ م.

الوادي أشي = ابن جابر

الوازي - يحيى ٦٤٩.

الواسطي = أبو الفتح

وافي - علي عبد الواحد ٦٠٦، ٦٠٧.

٦٠٨ م.

الوالاتي = السولي

الواشرسي - الحسن بن عطية ٦١٥.

الواشرسي = الوشرسي.

الوانجلي - عبد الله ٦١١.

الوانغي - أبو مهدي (?) ٦٨.

الوانغي - محمد بن أحمد ٦٥.

الوانغي - يوسف بن ابراهيم ٦٥.

الورجلاني الاباضي - يحيى بن أبي بكر ٨٢.

٣٥٢.

الوردي - علي حسن ٦٠٩.

ورش - عثمان بن سعيد ٥٣ م، ١٤٧ ح.

الوزاني - محمد المهدي ٢٧٠، راجع ٣٩٩

(ابن الوزاني).

الوزاني - المهدي بن محمد ٦٣٢.

الوغيبي - عبد الرحمن بن أحمد ٧٢،

٧٦ ح.

الوقشي = الكنائي الوقشي

الوليد = البحتري

الونشريسي - أبو العباس أحمد بن يحيى ١٦،

٦١، ٧٠.

حرف الياء:

اليازجي - ابراهيم ٢٦٥.

اليحصي = ابن حصص

اليحمدي - (?) ٦٩٣.

يحيى بن خلدون = ابن خلدون

يحيى بن ابراهيم الكدالي ٣٨ - ٣٩.

يحيى بن أحمد النفري السراج الرندي

الفاسي ٥٨.

يحيى الرندي الحكيم ٣٦٥.

يحيى بن عبد السلام الطلي القنطيني ٦٨.

يحيى بن عبد الواحد الحفصي (١٧١ - ١٧٤)

٢٩ - ٣٠، ٩٩ م، ١٥٧ م، ١٨٣،

١٩٢، ٢٠٥، ٢١٠ وما بعد ٢٢٠ وما

بعد، ٢٢٥، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٧٨ ح،

٢٩٢، ٣٠١ م، ٣٧٦ ح.

يحيى بن علي البفري (٣٤٠).

يحيى بن عمر اللتوني ٤٠.

يحيى بن عمر = المقتاني - أبو حصص

يحيى بن غانية البورقي = ابن غانية

البيع بن عيسى = الفاقني

يعقوب الحضرمي (المقرئ) - أبو محمد

٦٢٧ م.

يعقوب بن عبد الحق = المنصور المربي

يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن = المنصور

الموحدي.

اليقوي - ابراهيم ٦٧٩.

اليغمري = ابن فرحون (صاحب الدياج)

اليغمري = ابن سيد الناس - أبو بكر

يعوق (صن) ١٢٠ م.

يفراس بن زيان ٨٢.

يفوث (صن) ١٢٠ م.

اليبرقي = يحيى بن علي

اليبرقي - محمد بن عبد الله ٧٠، ٦٨٩.

البقوري الأندلسي - محمد بن ابراهيم ٥٦
يوسف بن اسماعيل (النيار) = ابن الأحمر -
يوسف بن اسماعيل بن فرج
يوسف بن أيوب بن يحيى ٨٤ ح .
يوسف بن تاشفين ٤٠ م - ٦٥٥ م .
يوسف دليلى البرغواوي بن محمد المجيزي
٦٩ - ٧٠ .

يوسف الصديق ٧٢ ، ١٤٧ ح ، ٦٦٣ .
يوسف بن عبد المؤمن = ابن عبد المؤمن
يوسف الفهري ٤٠٦ ح .
يوسف بن يعقوب المريني = الناصر المريني

